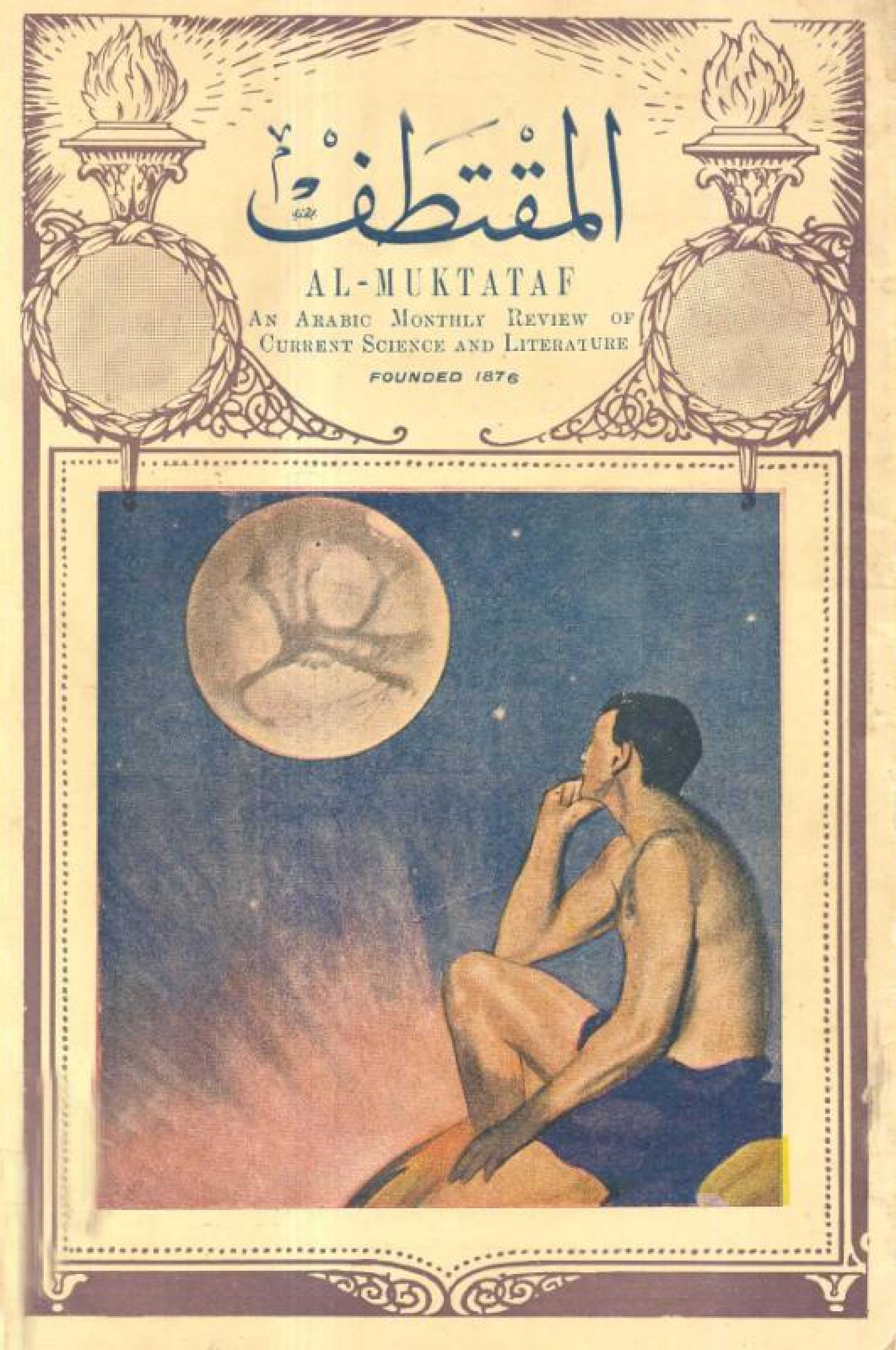

المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٢٠

خزّان اصوان

من غرائب الخلق ان الحيوان الاعجم سبق الانسان الى كثير من الاعمال التي يظَن انها لا تُعمَل الاَّ بعد الروية وامعان النظر . من ذلك اقامة السدود في مسايل الانهر لكي يرتفع ماؤُها وتتكوَّن فيها بحيرات كبيرة فان الحيوان المعروف بكلب الماء يفعل ذلك الآن وقد كان يفعله منذ العصور الخوالي يقرض سوق الاشجار باسنانهِ ويجرُّها الى مسيل الماء ويصنع منها سدًّا متيناً . والظاهر ان الناس انتبهوا منذ زمان طويل لما في اقامة السدود من النفع إما من تلقاء انفسهم او من مشاهدتهم سدود كلاب الماء فقد جاء في التوراة ان حزقيا ملك اليهود سدَّ مجرى نهر جيحون حتى ارتفع ماؤُهُ واجراهُ الى اورشليم . وجاء في اخبار العرب ان اهالي اليمن بنوا سدًّا في وادي مأرب حتى اذا انحدرت السيول اجتمعت خلفهُ كالبحر وكانوا اذا ارادوا سقي اراضيهم فتحوا من ذلك السد على مقدار حاجتهم بابواب محكمة . ثم خرب هذا السدُّ في اوائل التاريخ المسيحي وسال الماء منهُ فخرَّب البلاد وهو المعروف بسيل العرم

ويبعد عن الظن ان يكون المصريون قد اهملوا الاحتفاظ بما يزيد وقت الفيضان من ماء نيلهم ولم يفعلوا شيئاً لحفظهِ الى وقت الحاجة اليهِ . وتدلُّ التواريخ والآثار القديمة على انهم فعلوا ذلك من ايام الملك امنمهات الثالث الذي كان قبل المسيح بنحو الفين وخمس مئة سنة فكانوا يجرون بعض ماء الفيضان الى الفيوم ثم يردونهُ الى النيل وقت التحاريق الاَّ ان عملهم هذا لم يبقَ في الامكان لان الجانب الاكبر من الفيوم صار ارضاً زراعيةً

ولا بدَّ من ان جمع ماء الفيضان خطر لكثيرين من ولاة مصر بعد ذلك فقد جاء في ترجمة ابن الهيثم ان الحاكم بامر الله العبيدي صاحب مصر الذي كان في اوائل القرن الخامس للهجرة

بلغهُ ان ابن الهيثم قال لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملاً يحصل بهِ النفع في كل من حالتي الزيادة والنقصان فاستدعاهُ فسار الى مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائهِ وامر بانزالهِ واكرامهِ واقام عندهُ ريثما استراح من وعثاء السفر فطالبهُ بما وعد بهِ من امر النيل فسار ومعهُ جماعة من الصنّاع ليستعين بهم على هندستهِ التي خطرت ببالهِ ولما سار في الاقليم بطولهِ ورأى آثار من تقدَّم من ساكنيهِ من الامم الخالية وهي غاية في احكام الصنعة وجودة الهندسة تحقق ان الذي يقصدهُ ليس بممكن فان من تقدموهُ لم يفتهم علم ما علمهُ ولو امكن لفعلوا. فانكسرت همتهُ عند ذلك ووقف خاطرهُ ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل (الشلال) فعاينهُ وباشرهُ واختبرهُ من جانبيهِ فوجد امرهُ لا ينطبق على مرادهِ وتحقق الخطأَ في ما وعد بهِ وعاد خجلاً

وهذا الخاطر الذي خطر لابن الهيثم منذ تسع مئة سنة خطر لنابوليون بونابرت منذ مئة سنة وبعد نحو خمسين سنة تحققت بعض امانيهِ في القناطر الخيرية التي لا تزال الى الآن شاهدة بفضل محمد علي باشا الآمر بانشائها ومهارة موجل بك الذي وضع اساسها. وبعد مئة سنة تماماً تحققت كل اماني بونابرت واماني الحاكم وابن الهيثم اذ وُضع اساس الخزان سنة ١٨٩٨ وكان بونابرت قد اشار بهِ سنة ١٧٩٨

وجاء بعد بونابرت كثيرون من رجال الهندسة واشاروا بانشاء الخزان في اماكن مختلفة فاشار لينان باشا بانشائهِ في جبل السلسلة واشار السر صموئيل باكر سنة ١٨٦٧ بانشائهِ في الشلال حيث انشئ الآن وعاد المسيو ده لاموت سنة ١٨٨٠ الى رأي لينان باشا واشار بانشائهِ في جبل السلسلة وخزن الماء فوقهُ وحسب نفقات انشائهِ اربعة ملايين من الجنيهات وقال انهُ يخزن فيهِ نحو ٦٠٠٠ مليون متر مكعب. وسنة ١٨٨٢ اشار المستر كوب هوَيتهوس بحفر ترعة الى وادي الريّان وجعلهِ بحيرة لخزن الماء كما كانت بحيرة الفيوم في الزمن القديم. وسنة ١٨٨٩ اشار المسيو برونت بعمل قناطر متوالية وحياض متتابعة في مجرى النيل لخزن ماء الفيضان وكتب تقريراً مسهباً في ذلك نشرناها في المقتطف في الجزء السابع والثامن من المجلد الرابع عشر وقدر النفقات اللازمة لذلك بنحو مليون ونصف من الجنيهات ونشرنا هناك انتقاد السر كولن منكريف عليهِ

وقر رأي الحكومة المصرية سنة ١٨٩٠ على بناء سد او حبس في اصوان وقناطر في اسيوط لخزن ماء الفيضان وانتدبت المهندس ولككس لاجراء المباحث وتقدير النفقات اللازمة وكان ذلك بعد ان انتهت من تقوية القناطر الخيرية حتى صارت صالحة لما بنيت لهُ والغت السخرة التي اثقلت كاهل الفلاح المصري منذ العصور الخوالي ومنعت الشراقي التي كانت تتوالى على الصعيد

وصارت قادرة ان تلتفت الى ماء الفيضان تحفظ بعضهُ وتوسّع بهِ نطاق الري الصيفي وتمنع تلف المزروعات الصيفيَّة اذا قلَّ الماء كثيرًا في زمن التحاريق وتحيي الكثير من الاراضي البور التي تصلح للزراعة لو اتاها ماء يرويها . هذه الاغراض الثلاثة نظرت اليها حينما عقدت نيتها على انشاء الخزان فانها تنتظر منهُ اولاً ان يتحوَّل بهِ اربع مئة الف فدان في المديريات الوسطى من ري الحياض او الري النيلي الى الري الصيفي ويحيا بهِ مئتا الف فدان في الفيوم والوجه البحري من الارض الموات التي لا تزرع الآن وتتضاعف بهِ مساحة الارض التي تروى الآن ريًّا صيفيًّا في الفيوم. وتزيد المياه في الصعيد جنوبي اسيوط حتى تروى مئتا الف فدان منهُ بالآلات الرافعة

وقد قال السر وليم ولككس في كتابهِ الذي وضعهُ عن الخزان "ان الري النيلي او ري الحياض الذي اعتمد عليهِ المصريون مدة سبعة آلاف سنة اخذ الآن ينقلب الى الري الصيفي اي الى زرع الارض مرتين او ثلاثًا في السنة بدلاً من زرعها مرةً واحدة ولكن الماء الذي يجري في النيل صيفًا لا يكفي للري الصيفي ولو كفى لزاد بهِ ايجار الاطيان سنويًّا ستة ملايين من الجنيهات". فلا عجب اذا بذلت الحكومة المصرية النفس والنفيس لتحقيق هذه الامنيَّة امنيَّة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية لكنها لا تحقق بخزان اصوان وحدهُ بل لا بدَّ من اعمال اخرى تزيد نفقاتها على نفقاتهِ اضعافًا مضاعفة لان الستة الملايين من الجنيهات لا يمكن ان تنال من المليونين والنصف التي أُنفقت على انشاء خزان اصوان بل ان هذا الخزان في حالتهِ الحاضرة لا يفي بنصف الفائدة التي تنال منهُ لو أُنفق عليهِ مئتا الف جنيه أُخرى عليَّ بها ستة امتار فوق علوهِ الحاضر ولو غمر الماء حينئذٍ مباني انس الوجود

ولما فوّض الامر الى السر وليم ولككس ليختار مكانًا يبني فيهِ هذا السدّ اختار شلال اصوان لان صخورهُ صمَّاء تصلح ان تكون اساسًا لهُ لكنهُ رأى ان يتبع في انشائهِ موقع الصخور وصلابتها فاشار بان يؤلف من ثلاثة سدود متصلة بعضها ببعض

ولما كان انشاء هذا الخزان من الاعمال الخطيرة جدًّا لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولانهُ اذا انبثق يومًا ما حدث منهُ سيل كسيل العرم خرَّب القطر المصري كلهُ استشارت الحكومة المصرية في امرهِ ثلاثة من كبار المهندسين وهم السر بنيامين باكر الانكليزي والمسيو بوله الفرنسوي والسنيور طوريشلي الايطالي فاتوا اصوان سنة ١٨٩٤ ونظروا في ما قرَّ عليهِ السر وليم ولككس وبحثوا بحثًا دقيقًا عن افضل الاماكن لبناء الخزان وعن الاشكال التي يجب ان تُتبع في انشائهِ واخيرًا قرَّ قرار المهندسين الانكليزي والايطالي على انشائهِ في اصوان

وعلى ان يكون سدًّا واحدًا مستقيمًا لا ثلاثة سدود منحنية كما اشار ولككس حاسبين ان السد الواحد اجمل منظرًا واسهل انشاء واشد مقاومة للحر والبرد

والسدُّ يقطع النيل من الشرق الى الغرب تراهُ عن بعد قليل فلا تحسبهُ شيئًا كبيرًا . كذا حال الاهرام اذا رأيتها اول مرةٍ قبلما تصل الى سفحها ولكنك اذا دنوت منهُ ورأيتهُ قائمًا امامك كالحصن الحصين ويمتد ويستدقُّ الى ان يتلاشى في اقصى بعدٍ هالك امرهُ وتجلَّت لك عظمتهُ ثم اذا وصلت اليهِ ومشيت على ظهرهِ ورأيتهُ ينتشر امامك كالسجل كأَن لهُ اولاً من غير آخر زادت عظمتهُ في عينيك وقعاً . حتى اذا اطللتَ عن شرفتهِ الجنوبيَّة ورأيت البحيرة التي غطّي بها جنادل النيل واعلاها حتى طمرت قرى البرابرة ووصلت الى رؤُوس نخيلهم واشجارهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كأَنهُ نابت من الماء والسفن التجارية والزوارق الشراعيَّة وقوارب البرابرة تجري على سطحها كأَنها الطيور سابحة في جلد السماء ثم اذا اطللت من الشرفة الشمالية فرأيت ميازيب الماء تنصبُّ من عيون السدّ كذوب النضار فلا تكاد تبلغ الصخور التي تحتها حتى ترغي وتزبد ويزحم بعضها بعضاً فتململ وتجعَّد كاذيال خوَدٍ من دمقسٍ مفتَّل ويقف ماؤُها هنيهة حيران ذاهلاً يحاول الارتداد على عقبيهِ لكن قوة الجذب تتغلب عليهِ فيجري بين هاتيك الجنادل على عادتهِ التي جرى عليها منذ العصور الخوالي — اذا رأيت ذلك وامعنت نظرك في بناء السد واختيار الشكل الهرمي المائل لجدرانهِ وحجر الغرانيت وطين السمنت لبنيانهِ حتى يكون واسع القاعدة متين الاركان لا يتزحزح ولا يتقلقل يرسخ مدى العصور التالية كما رسخت الاهرام مدى العصور الخالية — اذا رأيت ذلك كلهُ وقفت مذهولاً بين جمال ما ترى وجلالهِ يطربك ذاك ويدهشك هذا. ثم اذا وصلت الى الطرف الغربي ورأيت الترعة (الهويس) التي تجري فيها السفن وعمقها الهائل وما اقيم فيها من الابواب العظيمة تجلَّى لك ارتفاع السد من جديد لان الماء يغطي جانبهُ الجنوبي فلا يظهر عمقهُ والشكل المائل في جانبهِ الشمالي ينقِّص ارتفاعهُ لكن جداري الترعة لا يحجبان شيئًا عن النظر حتى لقد كاد يصيبنا الدوار من النظر الى عمقها الهائل . اما الابواب التي تسد عيون السد ومجرى الترعة فيضيق المقام عن وصفها الآن فنرجئهُ الى فرصة اخرى

وطول السد من الشرق الى الغرب الفا متر اربع مئة متر منها في الجهة الشرقية خالية من العيون لان قاع النيل مرتفع هناك وفي ما بقي منها مئة وثمانون عيناً مختلفة الاوضاع والاقدار على حسب ما في قاع النيل من الارتفاع والانخفاض. وسعة العين نحو ثلاثة امتار من الامام ومتران من الوراء وبين العين والاخرى بغلة عرضها خمسة امتار وبين كل عشر عيون دعامة بارزة

من سطح الوجه متراً. والترعة الغربيَّة عرضها تسعة امتار ونصف متر وفيها ثلاثة احواض الواحد فوق الآخر لمرور السفن صعوداً ونزولاً كما هو شائع في الاهوسة طول الحوض منها نحو ثمانين متراً
وسمك السد من اسفلهِ ثلاثون متراً ثم يستدق رويداً رويداً الى ان يبلغ ارتفاعه نحو ١٨ متراً ثم يصير عمودياً ويبلغ معظم ارتفاعهِ عن سطح الماء وقت التحاريق ٢٣ متراً وهو مبنيٌّ بحجارة كبيرة من الغرانيت غير منحوتة من ظاهرها الأَّ ما بُطّنت بهِ العيون وبنيت بهِ الذروة فانهُ منحوت من جوانبهِ كلها وبعض العيون مبطن بالحديد

ووضع الحجر الاول من بناء هذا السد في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وضعهُ دوق كنوت ووضعت زوجتهُ الحجر الاخير منهُ الآن باحتفال عظيم كما سيجيء فتم بناؤُهُ في اقل من اربع سنوات وهي دون ما قُدّر لهُ مع ان الصخر الذي بني عليهِ لم يوجد صلباً كما ظنَّ اولاً فعمّق اساسهُ اكثر مما قدّر لهُ وزادت نفقاتهُ بذلك كثيراً

وقد دعت الحكومة المصرية وكلاء الدول وجمهوراً من اعيان النزلاء والوطنيين لحضور هذا الاحتفال وجاءهُ دوق كنوت اخو ملك الانكليز والدوقة زوجتهُ وجمهور من كبراء الامَّة الانكليزية فساروا جميعاً برّاً وبحراً الى مدينة اصوان يتقدمهم الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ ووكلاء النظارات

ولما حان وقت الاحتفال في العاشر من دسمبر تسابق المدعوون الى القطرات التي تنقلهم من اصوان الى الخزان في المواعيد المضروبة لهم وكان بعضهم يصل الى القطار قبل قيامهِ بربع ساعة فلا يجد لهُ مكاناً يجلس فيهِ فيقف بين المركبات وقد رأينا سيدات وقفن مسافة الطريق كلها من اصوان الى الشلال والبعض مشوا على طول السدّ ولعلَّ سبب ذلك ان كثيرين من الذين معهم تذاكر للدخول فقط وميعاد قيامهم الى الخزان قبيل الظهر تأخروا الى القطار التالي فازدحم بهم ولم تكفِ المركبات لنقلهم على السد فان سكة الحديد تصل الى الطرف الشرقي منهُ وموقع الاحتفال عند الطرف الغربي فينقل المدعوون اليهِ بمركبات تجرُّ باليد . ومكان الاحتفال ساحة كبيرة فيها ثلاثة اقسام مفصولة بعضها عن بعض بحواجز الخارجي منها للذين أُذن لهم في الدخول والمتوسط للمدعوين والامامي للجناب الخديوي والدوق والدوقة والبرنسات ومختار باشا الغازي ونظار الحكومة المصرية وقناصل الدول وكان فيهِ خمس كراسي كبيرة مذهبة للجناب الخديوي والدوق والدوقة وقنصل المانيا بالنيابة عن امبراطورها وقنصل ايطاليا بالنيابة عن ملكها لكنهم لم يجلسوا عليها وكان الناس يتوقعون جلوسهم لانهُ شاع انهُ وقع خلاف في كيف يجلسون فان كانت الاشاعة صحيحة فوقوفهم انقذهم من هذا المشكل

وقد كان الفوز لاصحاب الجرائد فان ادارة المطبوعات اقامت لهم دكة عالية امام الدكة التي وقف فيها الجناب الخديوي تماماً وتبعد عنها عرض السد لا غير بحيث يسمعون كل ما يقال ويرون كل ما يفعل

وفي الساعة الثالثة وصل القطار الخديوي فحُيي باطلاق المدافع ونزل من فيهِ الى المركبات التي تجرّ باليد وكان الجناب الخديوي في الثانية منها والدوق عن يمينهِ وفي الثالثة البرنس محمد علي والدوقة عن يمينهِ ثم حضرات الامراء والنظار وحاشية الدوق وكان الجناب الخديوي وسمو الدوق ودولة مختار باشا الغازي بالحلل العسكرية والنياشين والبرنسات والنظار باللباس الاسود الرسمي وكذلك قناصل الدول . واقام الجناب الخديوي برهة يسلم على نساء القناصل مصافحةً ثم وقف عطوفة فخري باشا ناظر الاشغال بين يديهِ وتلا خطبة مسهبة باللغة الفرنسوية ذكر فيها الحاجة التي دعت الى انشاء هذا الخزان في اصوان وانشاء السد في اسيوط ومدح المهندسين الذين هندسوها والمقاولين الذين بنوها وهذا نص ترجمتها العربية

"مولاي : إن ابهى ما افتخر بهِ من اعمال وظيفتي ان يُتاح لي منتهى الشرف بدعوة جنابكم الفخيم الى الإشراف بنظرهِ الكريم على الاحتفالات التي تقيمها نظارة الاشغال العمومية تتويجاً لما تواليهِ من الاعمال الكبرى ذات الفوائد العميمة . ومنها البنيان الذي اكملت تشييدهُ بالامس واعدَّتهُ لحفظ مآثر الاقدمين في العلوم والصنائع وما ابقوهُ لنا من الآثار والمخلفات . اما عملها في يومنا هذا فمما يرسخ في الاذهان على ممرّ الايام والازمان . وها هو يتمثل امام جنابكم السامي في منظرهِ الجسيم ومرآهُ المهيب دعامةً من الصوان وطيدة الاركان من جملة الدعائم التي قد تأسست عليها عظمة مصر وقامت بها رفاهة احوالها

"إن فيضان النيل السعيد في كل عام هو قوام الحياة في هذه الديار وعليهِ مدار الخصب والعمران فلا غرو ان كانت المصلحة الواجبة التقديم في هذه البلاد تقتضي حصر العناية في توسيع نطاقهِ وتعميم خيراتهِ وذلك بتعديل جريانهِ المستمرّ وتنظيم اندفاقهِ في البحر حتى يستطيل زمان الانتفاع بخيراتهِ وتتسع دائرة الاراضي التي تستفيد من بركاتهِ

"كانت هذه المقاصد يا مولاي مطمحاً لانظار رجال حكومتكم السنية كما هو الواجب على القائمين بالشؤون العامة من الاستنارة بنبراس الحكمة والصواب فقرنوا المباحث بالمتاعب واستخدموا كلَّ الوسائل لتذليل المصاعب وواصلوا الاجتهاد بالليل والنهار لتحقيق هذه الاماني الكبار حتى استقرّ رأيهم على انشاء خزان عظيم يكون موقعهُ على الشلال الاول في اقصى الصعيد وان يقيموا على مقربة من اسيوط قنطرة فوق النيل والغرض من الخزان حبس المياه

بكميات فائقة وراء جدرانهِ المتينة واسوارهِ المنيعة واما القنطرة ففائدتها حفظ مستوى النهر في درجة تعود بالنفع على الريّ وتصريف مياهه على قدرٍ معلوم في وقت الحاجة وعلى حسب اللزوم

"كانت البداية في اقامة هذين العملين الجليلين في سنة ١٨٩٨ وقد بلغ كل منهما حدَّ الكمال في هذه الايام بل ان قنطرة اسيوط قد فازت لدى الامتحان فوزاً يفوق المأمول واتت بكل الثمرات المنتظرة حينما جاء الفيضان منحطاً عن العادة في هذا العام . وفي هذه اللحظة ستصدر اشارة سامية يعقبها وضع حجر الختام ايذاناً بتمام نعمة الكمال

"على ان نيل المزايا العديدة المترتبة على هذا المشروع الجسيم يقتضي العناية بجملة اعمال تتميمية هي من الاهمية بمكان مثل حفر الترع وتوسيعها وبناء قناطر الموازنة والمصارف ونحوها. وقد شرعت النظارة في تنفيذ بعضها وفي تقرير الباقي منها في الجهات التي ستدعو الحال لتحويل طريقة الريّ فيها او تحسينها عن ذي قبل

"ان استدامة الريّ في الوجه البحري وتوسيع نطاقهِ في الاقاليم الوسطى وزيادة التسهيل في استدرار فوائدهِ في ارض الصعيد تلك هي الاماني الجميلة التي سيكون تحقيقها بعون مفيض الخيرات والبركات موجباً لابتهاج قلوب الزرّاع واستمرار حركة التقدم والعمران وتوالي النعم على هذه البلاد

"هذا اليوم السعيد الذي تمَّ فيهِ افتتاح الخزان في اصوان بين يدي جنابكم السامي وبحضرة اضيافكم الفخام وعلى مشهد من هذا الجم الغفير من اكابر القوم واماثل الاعيان سيكون لهُ الاثر المشهود والذكر المحمود ويسطرهُ تاريخ مصر الحديث بحروف من النور فخراً لكم على مدى الشهور والدهور

"على ان الاسراع بالتعجيل في إتمام هذا الصنيع الجليل لا يُنسينا المصاعب المالية والعوائق الفنية التي اعترضتنا في سبيل تمهيد الاعمال بطريقة منطبقة على العقل والعرفان والتي صادفها العمال عند اقامة بنيانهِ على هذا المثال الذي هو منتهى الكمال . ولا ينسينا ايضاً ما بذلهُ القائمون بهِ من الهمة الفائقة والمواظبة الدائمة حتى تغلبوا على الصعوبات وذللوا كل العقبات

"هذا المنظر الباهر الذي يتمثل الآن بفخامتهِ وضخامتهِ امام الابصار قد تحملت بلادكم العزيزة في ايامكم السعيدة ما استوجبهُ من النفقات الطائلة بمعاونة اساطين العلم والحكمة وجهابذة الفن والعرفان . لذلك استميح الاذن الشريف في هذا المقام لتوفية كل ذي حق حقهُ من الثناء والاطراء

"فلقد كانت اليد البيضاء في اقامة هذا الاثر الماثل بل المجد الخالد لحضرة الماليين

البصيرين والسياسيين الخبيرين ألا وهما جناب السير إلوين بالمر المستشار المالي السابق وخليفتهُ في وظيفتهِ جناب السير إلدون غورست

"وهذا العمل هو على الاخص مأثرة من المآثر العديدة التي لجناب السير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية المشتهر بمعارفهِ الواسعة واخلاصهِ في كل اعمالهِ مع العزيمة الماضية التي لا يعتريها كلال ولا ملال

"ولقد لقيت هذه العنايات المتناهية في الاقدام اكبر عضد واقوى نصير لدى صندوق الدين العمومي عند ما اقتضت الحال فان حضرات الاعضاء المديرين لهُ لم يبخلوا قط بحسن موازرتهم الفعالة كلما دعت الضرورة لاتمام شيء من المشروعات التي تعود بالمنافع الكبار على هذه الديار

"ومن العدل ان نشرك مع هؤلاء العاملين في هذا الشكر الصادق والثناء الواجب اكابر المعينين لهم في انجاز هذا العمل العظيم . واعني بهم جناب السير بنيامين بيكر الذي لهُ المكانة العليا في عالم المهندسين فقد كان لخبرتهِ التامة ومعارفهِ العامة الفضل الاكبر في هذه المشروعات قبل تقريرها وفي اثناء انجازها وكذلك الطيب الذكر المستر واسون اول مدير للخزانات وقد اخترمتهُ يد المنون في عام ١٩٠٠ فكان لنعيهِ تأثير كبير في القلوب ثم جناب المستر وب مدير عموم الخزانات الآن فانهُ قام بما عهد اليهِ من المهامّ الجسام خير قيام ثم المفتشين البارعين وهم جناب المستر موريس فتز موريس فجناب المستر ماي بخزان اصوان وجناب المستر ستفنس بقنطرة الحجز في اسيوط وكافة المهندسين المؤتمرين باوامرهم فكلهم قد ادى الواجب عليهِ بتمام الغيرة والدراية والاهتمام . وكذلك جناب الكلي الاحترام السير ارنست كاسل المتمول البارع الهمام . فلقد تسنَّى للخزينة المصرية باتفاقها معهُ ان تفي بالنفقات الطائلة التي استوجبتها هذه الاعمال في بدايتها ثم جناب المستر ويلكوكس المهندس الطائر الصيت الذي قام بالمباحث الابتدائية وكانت مشروعاتهُ وتصميماتهُ اساساً لتشييد هذا البنيان ثم حضرات المستر ستوكس والمستر تيبر اللذين ابتكرا الاسلوب البديع لعمل الابواب الحديدية لخزان اصوان ثم جناب السير جون ايرد المقاول المشهور ومعاونيهِ جناب المستر بلو والمستر ماك لور فانهم قد اكملوا الخزان في اصوان وقنطرة الحجز في اسيوط قبل الميعاد المضروب لهم بزمان طويل ليكون هذان العملان الفخيمان العائدان على مصر باكبر المنافع واعظم المزايا شاهدين لهم بنشاطهم العجيب ومهارتهم التي ليس لها نظير

"فخليق بمصر ان تنقش هذه الاسماء على صفحات صدرها تخليدًا لذكرها"

فاجابهُ الجناب العالي الخديوي بخطبة فرنسوية وجيزة قال فيها ما ترجمتهُ

" يا سعادة الناظر اعدُّ من سعدي ان اشرف على هذا الاحتفال الفخيم الذي تدعونني اليهِ وان يحضرهُ معي ضيوفي الاكابر الكرام وجماعة الوجوه وذوو الحيثيات ممن حولي

" ان هذا العمل الكبير الذي نحن في موقف الاعجاب بعظمتهِ اليوم ألا وهو خزان اصوان وما يتبعهُ من قناطر اسيوط هو لا شك من جلائل الاعمال النافعة التي تمت حتى الآن في مصلحة مصر وخيرها واني لارجو وآمل ان سيعود عليها بصنوف الخيرات وان القرن العشرين سيتحلى بهِ في جملة مفاخرهِ

" على ان هذا الامل يبعث في نفسي السرور ويدعوني الى ان اقدم لكم يا سعادة الناظر عظيم شكراني وان اثني كذلك على اعوانكم الذين امتدحتم كفاءتهم بالحق ونوهتم بجليل مساعدتهم لكم على اتمام هذا العمل الخالد الذكر حتى قبل الميعاد المقرر

" وانهُ ليسرني كثيرًا ان ارى حكومتي تتبع اعز رغائبي واخص اماني فتبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد

" والآن اذكر بارتياح لصاحب السمو الملكي الدوق دي كونوت انهُ تفضل من قبل فوضع الحجر الاول من اساس الخزان واتقدم اليوم الى صاحبة السمو الملكي الدوقة قرينتهِ راجيًا ان تتكرم بوضع الحجر الاخير من بنيانهِ "

ثم تكلم سمو الدوق بالانكليزيَّة فقال ما ترجمتهُ .

" انني شاعر من صميم الفؤَاد بجميل سموكم العظيم حيث دعوتموني لاشهد الاحتفال باتمام هذا العمل التاريخي العظيم الشان الذي يعدُّ الى ابد الدهر من اعظم عظائم هذا العصر وسيكون ذا منفعة لا تقدر قيمتها في اسعاد مصر

" ومما يزيدني سرورًا بحضور هذا الافتتاح اني وضعت اول حجر في اساسهِ منذ اقل من اربع سنوات . واستميحكم بتهنئة سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية على اتمام هذا العمل على ما يرام واخص بالذكر في الشكر السر وليم جارستن والموظفين الذين تحت يدهِ . ولا يسعنا الاَّ ان نعترف بالخدمات الجليلة التي قام بها في ري مصر وما نجم عنها من النتائج البادية في كل انحاء البلاد واقدم ايضًا تهانئي القلبيَّة الى السر بنيامين باكر المهندس المستشار والسر جون أيرد المقاول بالنجاح العظيم الذي كللت بهِ مساعيهما التي لم تعرف تعبًا ولا كللاً في اتمام هذا العمل العظيم

" ويسرني ان ارى وكلاء الدول حاضرين هنا . نعم ان هذا العمل يعد اولاً انكليزيًا مصريًا ولكني عالم بالسخاء الحميد الذي ابداهُ صندوق الدين وهو مجلس دولي فسدَّ جانبًا عظيمًا من المال اللازم لهُ . هذا واعود فاشكر سموكم على دعوتكم لي الى الحضور في هذا اليوم وعلى

طلبكم من دوقة كنوت ان تضع الحجر الاخير"

وكان الجناب الخديوي ينظر اليه شاكرًا ثم صافحهُ حين اتمّ الخطبة مصافحة طويلة والتفت الى الدوقة فتقدمت واخذت قليلاً من الطين على رأس ملعقة بناء (مسطرين) من الفضة ووضعتهُ تحت حجر من الغرانيت الاحمر كان مرفوعاً بحبال وبكر وبهِ تنتهي الذروة الشمالية من طرفها الغربي . وأُنزل الحجر الى مكانهِ فطرقتهُ بمطرقة صغيرة وهتف حينئذٍ السرجون ايرد مقاول الخزان ثلاثاً فردد بعض الحضور هتافهُ

والحجر مكعب طول كل ضلع من اضلاعهِ نحو متر وعلى وجههِ الغربي هذه الكتابة

This stone was laid to complete the dam by H. R. H. the Duchess of Connaught, 10th December 1902, in the 10th year of the reign of H. H. Abbass Helmy, Khedive.

وترجمتها "وضعت دوقة كنوت هذا الحجر اتماماً للسد في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ في السنة العاشرة من حكم سمو الخديوي عباس حلمي"

ونقدم المستر ستوكس مهندس صانعي بوابات الحديد وسلم الجناب الخديوي مفتاحاً من الفضة على رسم مفتاح النيل عند المصريين القدماء وقد كتب عليهِ بالعربية والانكليزية انهُ لفتح العيون الاولى من الخزان يفتحها بهِ سمو الخديوي عباس حلمي في السنة العاشرة من حكمهِ (والحق انها السنة الحادية عشرة) في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ اهداهُ اليهِ صانعو ابواب العيون والهويس . فاستلم المفتاح ووقف امام جسم في شكل هرم مقطوع عليهِ قنديلان كهربائيان وازرار كهربائية ورسم مصري فحالما وضع المفتاح في مكانهِ انار القنديلان الكهربائيان وانفتحت خمس عيون من عيون الخزان المئة والثانين فتدفق ماء النيل منها وكان الضغط على هذه الابواب يساوي اربعين طناً فانفتحت بقوة الكهربائية في طرفة عين. وسار الجناب الخديوي بعد ذلك الى القفل الذي يقفل اعلى ابواب الهويس وهو دكة كبيرة من الحديد قائمة على بكر فوقف عليها هو والدوق والدوقة والبرنسات واللورد كرومر وكونتس كرومر فجرت بهم الى الجهة الغربية وارتفع من تحتها عتب كبير من الحديد وجرى غلق الباب الى خرق في الجدار وانفتح جانبا جسر جنوبي الباب فجرى الماء وملأ ذلك الجزء من الهويس وكان فيهِ زورقان وطنيان شراعيان فخرا فيهِ وقطعا في جريهما شريطاً من الحرير مربوطاً في الهويس من جانب الى آخر وقطعهما لهُ علامة فتح الهويس . وعادت الدكة الى مكانها الاول وعاد كل شيء الى وضعهِ وحينئذٍ اخذ الجناب الخديوي يوزع النياشين التي انعم بها على القائمين بهذا العمل ونزل الدوق والدوقة واللورد كرومر والكونتس زوجتهُ والذين كان الدوق عازماً ان يسلمهم

النياشين التي انعم بها عليهم جلالة ملك الانكليز وساروا في زورق بخاري الى يخت نظارة الاشغال فاعطاهم اياها فيه. وعاد الجناب العالي وحضرات البرنسات والنظار بالمركبات الى سكة الحديد وتبعهم المدعوون بما يحتمله المقام من الانتظام

وبقال جملة ان الاحتفال كان عظيماً وقوراً كما هو العمل الذي أُريد فتحهُ بهِ. لا زالت الاعمال النافعة تتوالى في عهد الجناب العالي والوزارة الفهمية الحكيمة التي انتفع القطر المصري في عهدها اعظم نفع قصر عنهُ ملوك مصر السالفين

ومما يحسن سوقهُ هنا انهُ مع كثرة الخلق وشدة الازدحام لم يحدث اقل حادث مكدر لا في سكة الحديد ولا حيث اجتمع الناس مراراً

ولو سألت جمهور الناس عمَّن لهُ الفضل في انشاء هذا الخزان ويحقّ لهُ ان يكون اول من يدعى لافتتاحهِ لاجابوك على الفور انهم اهالي البلاد الذين ستدفع نفقات انشائهِ من اموالهم فكان يجب ان يدعى وجهاؤهم وكبراء المزارعين منهم قبل غيرهم من الوطنيين والاجانب. وهذا الرأي شائع سمعناهُ من كثيرين وانَّا لنعجب كيف يغفل الذين ارتأوهُ عن ان كل مايدفع من نفقات الخزان انما يدفع من الخزان نفسهِ لانهُ هو سيزيد ماء الري حتى يزيد بهِ ريع الارض وهذه الزيادة السنوية تفي في سنتين او ثلاث بكل ما أُنفق عليهِ ثم تصير ربحاً لاهالي القطر لم يتعبوا في جلبهِ بل كان بعضهم من اشد المقاومين لهُ واما الذين تعبوا وكان لهم القول والعمل فيهِ فهم

اولاً المهندسون الذين وجدوا بعلمهم ان انشاء هذا الخزان من الممكنات ورسموا كيفية انشائهِ حتى يكون ثابتاً متيناً يجمع بهِ من الماء ما تمسُّ اليهِ الحاجة وهم كثار عرف اولو الامر هنا وفي انكلترا فضلهم فمنحوهم الرتب والنياشين

وثانياً المثري السر ارنست كاسل الذي جاد بالمال الكثير لانشاء الخزان واثقاً انهُ يسترد مالهُ مع رباهُ القانوني فلهُ علينا سكان هذا القطر فضل من مدَّنا بمليونين من الجنيهات نكتسب منهما مليوناً كل سنة. وشأننا معهُ شأن مَن يمتلك اطياناً غير مصلحة وليس عندهُ مال يصلحها بهِ ويشتري لها المواشي فيأتي رجل اجنبي ويقول ها صندوقي خذ منهُ كل ما تحتاج اليهِ من المال لاصلاح ارضك ثم اوفني اياهُ اقساطاً سنوية مع الربا القانوني فيأخذ منهُ الف جنيه يصلح بها ارضهُ فيزيد ريعها خمس مئة جنيه في السنة

والفضل الثالث والاكبر للذين استخدموا ذلك العلم الهندسي وهذا الكرم الحاتمي لانفع عمل عُمل في هذا العصر وهم ولاة الامر نخص منهم الجناب الخديوي ونظارهُ ومستشار المالية ورجل الاصلاح صاحب الهمة التي لا تبارى والعزيمة التي تستسهل كل صعب جناب اللورد كرومر

فان الحكومة الخديوية داست على المصاعب واقدمت على هذا العمل العظيم اقدام واثق بالنجاح وجناب اللورد كانت تقوم لهُ الصعوبة بعد الصعوبة من علماء الآثار ومن طبيعة الصخر الذي اقيم اساس الخزان فيهِ فيرمقها بعين المستخف ولو تضاعفت بها النفقات ليقينهِ الثابت ان الخزان نافع جدًّا ويبقى نفعهُ عظيمًا لهذا القطر مهما اقتضى من النفقات . رجل مثل هذا يثق بهِ المهندسون والماليون يستطيع ما لا يستطيعهُ غيرهُ. فان انصفنا ونسبنا كل فضل الى ذويهِ وجب ان نعزو الفضل في انشاء الخزان الى رجال الادارة ورجال المال ورجال العلم على ما تقدَّم بيانهُ اما قناطر اسيوط فسيرد وصفها بالتفصيل في فرصة اخرى مع ما يلزم من الصور لايضاحهِ

المؤتمر الطبي

شهد القطر المصري في الشهر الماضي (دسمبر) مشهدين عظيمين الاحتفال بافتتاح خزان اصوان وقناطر اسيوط والاحتفال باول مؤتمر طبي شهدتهُ البلاد الشرقية . اما افتتاح الخزان فقد وصفناهُ بالاسهاب في اول هذا الجزء واما المؤتمر الطبي فلا تنحصر فائدتهُ في هذا القطر كالخزان بل تتناول الاقطار الحارة كلها وسائر البلدان التي تستفيد من اتساع المعارف الطبيَّة. وقد كان مثل احفل المؤتمرات افتتحهُ الجناب الخديوي في الاوبرا الخديوية في التاسع عشر من دسمبر وحضرهُ جمهور غفير من اطباء هذا القطر والاقطار الاوربية وعدد كبير من المدعوين وارباب الصحافة. فلم تأزف الساعة العاشرة صباحًا حتى ازدحمت فسحة الاوبرا وامتلأت لوجاتها بالمدعوين والمدعوات . وجلس الدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس المؤتمر وعن يمينهِ الدكتور اباتا باشا الرئيس الاكرامي وعن يسارهِ السرهوراس بتشنج بك مدير الصحة والدكتور فورونوف سكرتير المؤتمر العام وحولهم اعضاء المؤتمر والمندوبون الطبيون من قبل الدول والمدارس الطبيَّة الاجنبية وغيرهم من مدعوي الاجانب وامامهم جمهور المدعوين وكان المندوبون واعضاء المؤتمر بالملابس السوداء والنياشين والعسكريون منهم بالحلل الرسميَّة

وفي الساعة العاشرة اقبل سمو الخديوي بموكبهِ ودخل المحل المعد لهُ ووقف حضرات النظار عن يمينهِ ويسارهِ وكبار رجال المعيَّة وراءهُ ثم قرأ سموهُ بالفرنسويَّة الخطبة الافتتاحيَّة بصوت صريح ولفظ فصيح وهذه ترجمها

"ايها السادة

"اني بمزيد الرضى ارحّب بكم واؤكد لكم سروري باجتماعكم. ثم اني اعرب عن شكري

العظيم للحكومات والمجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومتي وارسلت عنها مندوبين الى هذا المؤتمر الطبي الاول . ولما كان غرض هذا المؤتمر درس الامراض التي تحدث في البلدان الحارة فقد فعل عين الصواب باختياره وادي النيل مكاناً لاجتماعه نظراً الى هوائهِ وموقعهِ الجغرافي الذي يجعله صلة الغرب بالشرق ويحق لي ان افتخر بان بلادي قد اهتمت اهتماماً حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفي ما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعيَّ موجهة دائماً الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل وانا على يقين تام ايها السادة انها تستفيد فائدة كبيرة من اعمالكم

"بقي عليَّ ان اشكر جميع العلماء الذين جاؤوا ليمدوا هذا المؤتمر بمساعداتهم الثمينة المستنيرة بانوار العرفان وان اشكر لجنة تنظيم المؤتمر ايضاً على اتمامها مهمتها طبق المرام

"هذا واني ابدي سروري منذ الآن بنتائج اعمالكم واعلن افتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر الطبي المصري"

وبعد ما فتح سموهُ المؤتمر جلس وجلس الحضور . ثم وقف سعادة ابرهيم باشا حسن فادَّى واجب التعظيم للجناب الخديوي ثم قرأ خطبة عربية قال فيها

ان القطر المصري بل افريقية كلها لم يسعدها الحظ باجتماع مثل هذا جمع الكثير من مشاهير العلماء الذين جاؤوا من اوربا واميركا ليزينوا هذا المؤتمر الطبي وينيروا بانوارهم الحديثة بلاد الفراعنة القديمة ولذلك نرحب بهم اعظم ترحيب ونحتفل بهم ما استطعنا الى الاحتفال سبيلاً مدة اقامتهم بيننا . ومما افتخر بهِ اني كُلّفت بأن اشكر رصفائي الذين يعدون فخراً لبلادهم وللعالم باسرهِ فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن مواطنيَّ اتشرف بأن احييكم ايها السادة وارحب بكم

ثم قال ان هذا المؤتمر كلفهم عناءً كثيراً وان الجناب العالي شجعهم وشدَّ ازرهم بجعلهِ مؤتمرهم تحت رعايتهِ وان حضرات النظار وجناب اللورد كرومر ومديري الصحة ساعدوهُ مساعدة ثمينة وان رصفاءهُ وسكرتيرهُ العام عكفوا على العمل بمزيد الجد والثبات حتى ازال ذلك كل المصاعب التي حالت دون اتمام هذا العمل العلمي وسيكون نجاح هذا المؤتمر فاتحة لاعمال جديدة مفيدة للعالم باسرهِ لان غرضهُ درس امراض البلاد الحارة وكان الاوربيون لا يهتمون بهذه الامراض كثيراً في ما مضى لقلة من يقطن منهم الشرق اما الآن فاملاكهم في هذه الجهات اتسعت ونزلاؤهم يضاعفون من يوم الى آخر ولذلك باتت امراض البلاد الحارة ذات شأن عظيم عندهم بل اصبحت من اهم مسائل هذه الايام فاهتم بها جميع العلماء اهتماماً عظيماً ووجهوا عنايتهم الى درسها درساً دقيقاً في جهات عديدة من اوربا

ثم ذكر ان الاوربيين المقيمين في القطر المصري وحدهُ يبلغون ١١٢ الفاً عدا السيَّاح الذين يقصدون هذه البلاد في كل عام وقد بلغ عددهم في الاعوام الماضية نحو ١٥ الفاً . وزد على ذلك ان في هذا القطر اناساً من جميع الامم فكل ما يحسن حالةَ الصحية لا ينفع الوطنيين وحدهم بل ينفع الاوربيين والوطنيين معاً وختم الكلام بالترحيب بالاطباء القادمين وقال انكم تحملتم المشاق وجئتم الى هنا لتأتوا هذا المؤتمر بنتائج علمكم وتجاربكم فاستحققتم شكر العالم وشكر رصفائكم الذين يبتهجون بالاستنارة بانواركم

ثم تلاهُ سعادة اباتا باشا فتلا خطبة فرنسوية افتتحها بشكر الجناب العالي على تكرمهِ بشمل هذا المؤتمر برعايتهِ وشكر جدهُ الاكبر المغفور لهُ محمد علي باشا على احيائهِ العلوم الطبية في الديار المصرية وذكر ما كان عليهِ علم الطب عند المصريين القدماء وختم بالشكر للاطباء القادمين من البلدان الاجنبيَّة وبالدعاء للحضرة الخديوية

وتلا الدكتور فورنوف سكرتير المؤتمر العام خطبة افتتحها بشكر الجناب العالي واستطرد الى ان علماء العالم المتمدن كلهِ يلتقون جميعهم الآن في ميدان المراقبة والتجربة نحلَّ الاتصال بينهم محل الانفصال الذي كان بين البلدان في عهد اسلافهم الاَّ ان مصر بقيت متأخرة عن سائر البلدان في هذا الميدان فارادوا ان يخرجوها من دائرة انفصالها بهذا المؤتمر ثم ابان موافقتها لدرس امراض البلدان الحارة والاوبئة التي تنتابها وشرح كيف توصلت لجنة المؤتمر بالمكاتبة وبالسفر الى اوربا الى تأليف عشرين لجنة طبية من اطباء جميع البلدان برئاسة مشاهير الاطباء في العالم. وقال ان عدد اعضاء المؤتمر ٥٢٠ طبيباً منهم ٣٤٠ في القطر المصري والوطنيون منهم ١٢٢ وان حكومة فرنسا وايطاليا واسبانيا والبلجيك والولايات المتحدة وايران وروسيا ارسلت مندوبين عنها رسميًّا من رجال نظارات المعارف عندها وان المقالات التي ستتلى في المؤتمر منها ١٥٠ مقالة بقلم اطباء مستوطنين مصر وسيكون مدار البحث على اهم المسائل المتعلقة بامراض البلاد الحارة وبالاوبئة. وهذه اول مرة يبحث فيها في تلك الامراض في الارض التي تتولد هي فيها فتستفيد مصر من ذلك زيادة الشهرة في العالم وتستفيد اوربا زيادة العلم بما يهمها ويهم مستعمراتها . وعليهِ ترى اللجنة ان عملها يهم العموم وينفع مصر كثيرًا . وختم بالثناء على الجناب العالي والحكومة المصرية ونظارة المعارف العمومية وكل الذين ايدوا اللجنة في عملها مدة الثمانية عشر شهرًا الماضية

ثم نهض مندوبو الدول حسب ترتيب اسمائها على حروف المعجم اولهم الدكتور تولدا مندوب حكومة المانيا فتلا خطبة المانية افتتحها بتقديم الشكر الى الجناب العالي بالنيابة عن

حكومتهِ وافاض في اظهار منافع عقد المؤتمر في مصر لدرس امراض البلاد الحارة والبحث في الاوبئة اذ لا يتيسر للاوربيين ان يدرسوها ويبحثوا عنها في بلادهم كما يبحثون عنها في وطنها وختم بالثناء على الجناب العالي ولجنة المؤتمر . وقام بعدهُ الاستاذ نوتناجل مندوب النمسا فخطب بالنمسوية مفتتحاً خطبتهُ بشكر الجناب العالي ثم وصف عناية مصر بالطب منذ قديم الزمان ووجه خطابهُ الى الجناب العالي حاثاً سموهُ على ادامة عنايتهِ بالعلوم والمعارف وحماية العلم والطب

وعقبهُ الدكتور الفريدعيد مندوب حكومة البلجيك فقال بالفرنسوية اني سررت لما انتدبتني نظارة الزراعة البلجيكيَّة مع الدكتور كوبس ولاسيما لان الصلات العلميَّة قديمة العهد بين مصر والبلجيك فان حكومة البلجيك ارسلت الدكتور روتريو سنة ١٨٧٦ بمهمة طبية الى مصر وفي سنة ١٨٧٨ فوضت اليهِ الحكومة المصرية النظر في مدرسة العميان والرمد بمصر وبعد ذلك نشر فوكامر رسالتهُ عن المعارف العمومية في هذا القطر واليوم كلفني المؤتمر بكتابة تقرير عن تاريخ الطب في مصر فأؤمل ان اجمع فيهِ من الحقائق والملاحظات عن امراض البلاد الحارة ما يهم حكومة البلجيك لشدة المشابهة بين بعض هذه الامراض وامراض ولاية الكنجو المستقلة

ثم استطرد الى مدح المغفور لهُ محمدعلي باشا على احيائهِ علم الطب في مصر بانشائهِ المدرسة الطبيَّة ومدح الجناب العالي على قيامهِ بعد جدهِ الاكبر بنحو قرن ورئاستهِ الاحتفال بفتح هذا المؤتمر . وذكر ما افاد بهِ بعض اطباء المغرب بلاد مصر بعلومهم واكتشافاتهم وقال ولا بدع فمصر ايضاً تفتخر بان اطباء المغرب يردون اليها ثمار المعارف التي بقيت اعصاراً متطاولة محصورة في ممفيس وهليوبوليس والاسكندرية . وختم بالدعاء للمجلس بالنيابة عن حكومتهِ

ثم تلاهُ الماجور جورجاس مندوب الولايات المتحدة فخطب بالانكليزية وشكر للجناب العالي بالنيابة عن حكومتهِ وقال ان بلادي اهتمت بهذا المؤتمر لانهُ سيبحث في امراض البلاد الحارة ويناط البحث فيها بأُناس اعلم من غيرهم بها لاسيا وان هذه الامراض صارت شغلاً شاغلاً لحكومة بلادي لانتشارها في البلدان التي أُضيفت الى بلادنا . ومن لطائف قولهِ ان الولايات المتحدة تعد احدث البلدان المتمدنة عهداً وبلاد مصر تعد اقدمها عهداً ثم ذكر فضل مصر على علم الطب في الاحقاب الغابرة والاعصار الوسطى وقال ان الولايات المتحدة احدث البلدان معترفة بفضل مصر اقدمهن

وتلاهُ الاستاذ بوشار مندوب فرنسا فتلا خطبة رقيقة شكر فيها الجناب العالي بالنيابة عن الاعضاء الفرنسويين في المؤتمر وأمل أن يكون مؤتمراً مفيداً لمصر وقال انهُ يفيد كل الامم

وإن الاتفاق على البحث عن الحقيقة خدمة للانسانيَّة وان خدمة العلم خدمة المدنيَّة . ثم خاطب الاطباء المصريين فشكرهم على دعوتهم لهُ ولرفاقهِ وترحيبهم بهم واستطرد الى منزلة مصر عند الفرنسويين فذكر افعال الفرنسويين الحربية والعلمية والفنية والاثرية فيها وقال ان مصر تعد عند الفرنسويين الشرق بعينهِ حيث شرق النور والجمال والحق فالجمال نجدهُ في آثارها والحق يقال لنا انهُ في برابيها والعلم قد دخل اليها فان علماءنا يقولون لنا انهم وجدوا فيها مراصل كل تمدن فزيارتنا حج ارض مقدسة ولكم افضال اخرى كثيرة علينا نحن الاطباء خصوصاً لان الشرق بلادكم هو الحارس الذي يحمي الغرب وهو السد الذي تتنفس عليهِ امواج الاوبئة القادمة من الجهات الحجيَّة . وقد قيل لنا انكم انفقتم اموالاً في البحر الاحمر وسينا وقيل لنا انكم اردتم ان تزيدوا نهركم ضبطاً وارضكم جوداً وصحة فاردنا ان نرى سد اصوان بعد الاهرام. واختتم بذكر مساعيكم الحسان في حفظ صحة بني الانسان

وتلاهُ الدكتور رجينلد هريسون مندوب بريطانيا العظمى والرويال كوليج اوف سرجنس فتلا خطبة انكليزية شكر فيها الجناب العالي وقال ان كان عدد القادمين الى المؤتمر من بلادهِ قليلاً فما ذلك لقلة رغبتهم فيهِ بل لان واجبات صناعتهم تمنعهم منعاً باتّاً من مفارقة بلادهم في هذا الحين. ثم ذكر ما رآهُ من تقدم علم الطب في هذا القطر ومدح المدرسة الطبية ومستشفى قصر العيني وقال ان ما رآهُ من دلائل تقدمهما ونجاحهما فاق كل ما كان يظنهُ عنهما قبل رؤيتهما

ثم تلاهُ الاستاذ كارل هور مندوب المجر وتلا خطبة بالالمانيَّة مدح فيها الجناب العالي وتكلم بمعنى ما تقدم في خطب غيرهِ وقام بعدهُ الاستاذ مراليانو مندوب ايطاليا فخطب بالايطالية

وتلاهُ الدكتور ميرزا محمد مهدي خان مندوب دولة ايران العلية وتلا بالعربية خطبة نفيسة قال فيها ان جلالة الشاه امرهُ بان يعرب للجناب الخديوي عن سرورهِ بهذا العمل المجيد الذي جعل بهِ مملكتهُ المصرية السعيدة ترفل بثياب مجدها القديم

وقام بعدهُ الاستاذ ربتشوسكي مندوب روسيا فخطب بالفرنسوية وتلاهُ الاستاذ اترنو مندوب سويسرا وتكلم بالفرنسوية فشكر وختم بالدعاء للمؤتمر

ثم تلا جناب الاستاذ بوشار مقالة عن الترابيوتيا المحلية ضمنها كثيراً من الفوائد والتجارب المبتكرة الطبية وسنأتي على ترجمتها في الجزء التالي ونذكر اعمال المؤتمر في جلساتهِ المختلفة وخلاصة الخطب التي تليت فيهِ

منزلة الشعر من التاريخ

٧

استعمال النقود

التعامل له آثار بين ام الارض جمعاء فحيث لا نقود يحلُّ محلها الخرز والودع وامثال ذلك . والنقود وسيلة التعامل عند الامم الراقية في العمران . وقد كانوا يستخدمون في معاملتهم الحجرين الذهب والفضَّة ونستدلُّ على ذلك من اقوال شعرائهم التالية

اولاً الدينار

في تداول الدنانير يقول عنترة العبسي

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ركد المواجر بالمشوفِ المُعلَمِ [1]

يريد بقولهِ المشوف المعلم الدينار . وهي تسمية من باب الكناية واما الاسم الصريح فوارد في قول احيحة بن الجلاح في رثاء ابنهِ وهو

فما هبرزيٌّ من دنانير ايلةٍ بايدي الوشاة ناصع يتأكلُ [2]

باحسن منهُ يوم اصبح غادياً ونفَّسني فيهِ الحمامُ المعجَّلُ

والهبرزي الدينار الجيد . وايلة احدى مدن ادوم

وقال ربيعة بن المكدَّم وهو بدوي

شدِّي عليَّ العصب امَّ سيَّارْ فقد رزئتِ فارساً كالدينارْ

ويثبت لنا هذا الشاهد استعمال العرب البدو للنقود وعلاوة على ذلك يثبت لنا انهم كانوا يضربون بهِ مثل الحسن والجودة وهو استنتاج يحققهُ ما ورد في شعر احيحة المتقدم ايرادهُ وقول المحرز بن المكعبر الضبي

كأنَّ دنانيرًا على قسماتهم وان كان قد شفَّ الوجوه لقاه

والقسمات جمع قسمة وهي الوجه او ما اقبل منهُ . يريد بقولهِ هذا الاشارة الى ان وجوههم مدوَّرة كما قال المرقش الاكبر

النشر مسك والوجوهُ دنا نيرٌ واطراف الاكفِّ عنم

لان الوجوه المدوَّرة اتم جمالاً

(1) المدامة الخمرة . ركد سكن . المواجر جمع ماجرة نصف النهار والمعلم الذي فيهِ علامة

(2) الناصع الخالص من كل شيء يقال ابيض ناصع واصفر ناصع

ثانياً الدرهم

وشواهد تداول الدراهم منها قول تميم بن ابي مقبل العامري

فقلتُ والمرء قد تخطيه منيتهُ ادنى عطيته اياي ميئاتُ
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعةٍ دراهم زائفات ضربجياتُ

وضربجيات بمعنى زائفات وفي هذا الشاهد فائدة اخرى في معرفة العرب زائف النقود من خالصها الصحيح . وقال الاعشى ميمون

دراهمنا جيدٌ كلُّها فلا تعززنَّ بتنقادِها

وقال جؤبة بن النضر

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سَرَف فيها ولا خَرَقُ
انّا اذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلّت الى طُرُق المعروف تستبقُ
لا يألف الدرهم الصيّاح صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلقُ
حتى يصير الى نذلٍ يخلّده يكاد من صرّه اياه يمزقُ

ثالثاً ميزان النقود

وكان للنقود آلة يزنونها بها يسمونها القسطاس قال عديٌّ

في حديد القسطاس يرقُبُني الحا رث والمرء كلّ شيء يلاقي

رابعاً استعمال الحجرين وزناً

ولم يقتصروا في استعمال الحجرين على المطروق فقط فقد استعملوا الوزن ايضاً قال زهير ابن عمرو بن نفيل

وتُرى أعبدٌ لنا وأواقٍ ومناصيف من خوادم عشرِ

قال البغدادي صاحب خزانة العرب " اواقٍ اي من الذهب والفضة وهي جمع اوقية وهي سبعة مثاقيل واربعون درهماً "

وقد جاء لاحد المؤلفين في النقود كلامٌ في نقود الجاهلية فانكر المعاملة بالنقود المضروبة بين العرب وقال " وكان الدينار يسمّى لوزنه ديناراً وانما هو تبر ويسمّي الدرهم لوزنه درهماً وانما هو تبر (٢) " . والمّ احد المجلات العصرية بهذا البحث فتابع هذا المؤلف . ولكنَّ الشواهد التي وردت اولاً يستحيل معها ان يكون المراد بالدينار تبراً موزوناً والله اعلم

(٢) كتاب النقود القديمة والاسلامية للعلامة المقريزي فصل اول

٨

اللباس

اولاً نوع اللباس

كان لباسهم "قميصاً وثوبين" قال عروة بن حزام

اغرّكما مني قميص لبستهُ جديداً وبردا يمنةٍ زهيانِ

وقد ذكر الثوبين كثار من الشعراء قال امرؤ القيس الكندي

واقبلتُ زحفاً على الركبتين فثوب لبستُ وثوب أجرّ

وقال ذو الاصبع العدواني

قتلنا منهم كلّ فتى ابيض حسّانا

يُرى يرفل في بردَ نِ من ابراد نجرانا

واوضح ذلك كل الايضاح الاعشى في قولهِ

وكلُّ زوج من الديباج يلبسهُ ابوقدامة محبوّاً بذاك معاً(٤)

ولاشتهار لبس الثوبين استعيرا للنفس قال الجميح

فدى لسلمى ثوباي اذ دنس الا قوم واذ يدسمون ما دسموا

وكانوا يلبسون (السراويل) قال ابن مقبل

اتى دونها ذَبُّ الرياد كأنهُ فتى فارسي في سراويل رامحِ(٥)

وقال قيس بن عُبادة

اردتُ لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفودُ شهودُ

وان لايقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاديّ نمتهُ ثمودُ(٦)

وكانوا في ايام الشتاء يتدثّرون بالملابس الكثيرة وفي ايام القيظ يكتفون بخفيف الكسوة قال الربيع بن ضبع الفزاري

اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهرمهُ الشتاء

فاما حين يذهب كل قرّ فسربال خفيف او رداء

وكانوا لدى النوم ينضون ثيابهم الاّ ثوباً يسمّونهُ الفضل وذلك واضح من قول امرىء القيس في معلقتهِ

فجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها لدى الستر الاّ لبسة المتفضلِ

---

(٤) محبوّ منعم عليهِ (٥) ذب الرياد الثور الوحشي (٦) العادي القديم

ثانياً اجناس نسيج الملابس

اما ما كانوا يتخذون منهُ ملابسهم "فالحرير" قال المنخل اليشكري

الكاعب الحسناء ترْ فل في الدمقس وفي الحريرِ

"والخز" قال عمر بن ربيعة القرشي

فقامت اليها حرّتان عليهما كساءان من خزّ دمقس واخضرِ

"والسندس والديباج" قال امية بن ابي الصلت

عليهم سندس وجياد ريط وديباج جرى منهم قتوم (٧)

وتحتهمُ نمارق من دمقسٍ ولا احد يُرى منهم سقيمُ

"والاضريج" قال النابغة الذبياني

يحييهم البيض الولائد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجبِ

"والقسيّ" قال ربيعة بن مقروم

على الاحداج واستشعرنَ ريطاً عراقيًا وقسيًّا مصونـا (٨)

وجميع هذه المنسوجات من الحرير. وهذا دليل تفنن العرب في اجناس اللباس. وقد اتخذوا ملابس من "الكتان" ايضاً فمن ذلك "القبطيَّة" قال زهير بن ابي سلمى المزني

ليأتينك مني منطق قذع باق كما دنَّس القبطية الودكُ (٩)

"والجهرم" قال رؤبة بن العجاج

بل بلد ملء الفجاج قتمهْ لا يُشترى كتّانهُ وجهرمهْ

والقبطيَّة ثياب من كتان يُؤتى بها من مصر. والجهرم ثياب من كتّان تستجلب من جهرم وهي بلد بفارس. وفي هذين الشاهدين دليل اتصال التجارة بين العرب والفرس والمصريين وجاء لرؤبة في الاكتساء من الكتان قولهُ "عليهِ كتّان وآخيّ" والآخيّ اكسية سود لينة يلبسها رهبان النصارى قال البعيث

فكرّ علينا ثم ظلّ يجرّها كما جرّ ثوب الآخيّ المقدّس (١٠)

ولعلّ الثوب الذي يعنيهِ الشاعر هو الجبّة لانها تُلبس فوق جميع الملابس وتستر ما سواها. وفي البيت شاهد آخر وهو انّ ملابس الرهبان كانت كما لم تزل تختار من ذوات الالوان السوداء ويؤكد ذلك قول الاعلم يصف ضباعاً

---

(٧) القتوم المائل الى السواد (٨) استشعرن اتخذن شعارهنّ

(٩) القذع الفاحش. الودك دسم اللحم (١٠) المقدّس والمقدّسي الراهب

سود محاليل كأنّ جلودهنّ ثياب راهب [١]

ومما نسج من الكتان ملابس "الرازقي" قال لبيد

لها غال من رازقيّ وكرسف بأيمان عجم ينصفون المقاولا [٢]

وقد اتخذوا ملابس من "القطن" ومن اوضح ما جاء في ذلك ما اورده صاحب لسان العرب في مادة نحم

صفراء منحمة حيكت نمانمها من الدمقسيّ او من فاخر الطوط

والطوط القطن . واوضح قعنب بن ام صاحب عن معرفة العرب الكتان والقطن بقوله

واحتلّ أهلك من صرف النوى بهم ارضاً يحاك بها الكتان والقطن

وقد استعملوا نسيج "الصوف" واستعماله اما وهو خليط النسج مع سواه كالخز فانهُ خليط من صوف وحرير واما وهو غير خليط . ومن ذلك "الخسيج" او الخسي وشاهده ما اورده لسان العرب لرجل من بني عمرو وطيّء يقال له اسحم وهو

تحمّل اهله واستودعوه خسياً من نسيج الصوف بالي

وكانوا يتخذون الميدع من الصوف قال الضبيّ

اقدّمهُ قدام نفسي واتقي بهِ الموت ان الصوف للخز ميدع [٣]

ولنا دليل عقلي على اتخاذهم الصوف ملابس وهو سهولة عمله ورخص ثمنه وغزارة وجوده عندهم فضلاً عما اوردناه من تفننهم في تنويع ملابسهم حتى طرّزوا ثيابهم بالذهب قال مسلي بن ربيعة

والبيض يرفلنَ كالدُّمى في الريط والمُذهَبِ المَصونِ [٤]

والريط [٥] قد تكون من الكتّان قال الراعي

يعلو الظواهر فرداً لا اليف لهُ مشيَ النطول عليهِ ريطُ كتّانِ

وقد عرفوا المسوح (وهي ثياب من شعر) كما ورد معنا لعمرو بن عدي اللخمي قوله

اتتها العير تحمل ما دهاها رجالاً في المسوح مسوَّمينا

---

(١) محاليل جمع محلال وهو العظيم البطن

(٢) الرازقي الكتان وقيل ثياب من كتان . والكرسف القطن . والايمان جمع يمين . وينصفون المقاول يخدمون الاقيال اي الملوك (٣) التوديع ان تجعل ثوباً وقاية ثوب آخر والميدع ما ودعت به

(٤) يرفلن يجررن ذيول اثوابهن والدمى جمع دمية . والريط جمع ريطة وهي الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين

(٥) الريط تذكر وتؤنث فتأنيثها وارد كثيراً وتذكيرها كما سيرد معنا للعجاج (خود تخال ريطها المدقمسا)

ثالثاً الازار

وكانت نساء العرب اذا خرجن من بيوتهن لزيارة لبسنَ فوق الثياب ازاراً ذا اهداب ربما كان منقوشاً برسوم قال امرؤُ القيس الكندي

كأن دمي شغفف على ظهر مرمرٍ كسا مزبدَ الساجوم وشياً مصوَّرا (٦)

وقال الفرزدق

عليهنَّ راحولات كل قطيفة من الخز او من قيصران علامها (٧)

وقال امرء القيس ايضاً

خرجتُ بها امشي تجرُّ وراءنا على اثرينا ذيلَ مرط مُرحَّلِ (٨)

رابعاً الفراء

اما الشيوخ فكانوا يتخذون الفراء كسوة في ايام القرّ قال النابغة الذبياني "جلوس الشيوخ في ثياب المرانب" والثوب المرنباني هو المتخذ من جلد الارنب . وروى سيبويه لليلى الاخيلية قولها "كراتُ غلام من كساء مؤرنبِ"

وقد اتخذوا الفراء من جلد السمور ايضاً ودليلهُ قول ابي زبيد الطائي

حتى اذا ما رأى الانصار قدغفلت واجتاب من ظلمِ جوديٍّ سمُّورِ (٩)

خامساً ازياء اللباس

وكانت الحسان يعمدنَ الى اخلاء اعلى الصدر ليظهر بياض الجسد للعيون قال طرفة بن العبد البكري

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومُجسَدِ (١٠)

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجسّ الندامى بضَّةُ المتجرِّدِ (١)

وقطاب الجيب مجتمعهُ حيث قُطب اي جُمع وهو مخرج الراس من الثوب والرحيب الواسع وانما وصف قطاب الجيب بالسعة ليبدو صدرها فيُنظر اليهِ

---

(٦) الدمى الصور في الرخام وشغفف موضع والساجوم واد والمزبد ما علاهُ الزبد والوشي المصور النسج الذي عليهِ رسوم

(٧) الراحولات الرحل الموشيُّ . والقيصران ضربٌ من الثياب الموشية

(٨) المرط الازار . والمرحل الذي عليهِ صور الرحال

(٩) اجتاب لبس . وجوديٌّ نبطية اراد بها جوديا اي جبة كذا في معجم لسان العرب

(١٠) هو المصبوغ بالجسد وهو الزعفران والقينة الامة المغنية

(١) والجس المس والبضة الرقيقة الجلد

وكنّ ايضاً يفتقن فتيقاً في الكم الى الابط قال الاعشى ميمون "لجسّ الندامى في يد الدرع مفتق"

واما ذيل الثوب فقد جاء في ارساله حتى الكعب قول النابغة الذبياني

اثيث نبتهُ جعدٌ ثراهُ   بهِ عوذ المطافل والمتالي (٢)
كأنّ نساءهنّ مبطّنات   الى فوق الكعاب برود خالِ (٣)

وفي ارساله حتى يمسّ الثرى قول زياد بن حمل بن سعد من بني تميم

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها   تمشي الهوينى ولا يبدو لها قدمُ

وقال العجاج

خود تخال ريطها المدقّسا   وميسنانيّ لها مميّسا (٤)

وربما كانت النساء يلبسن ثيابهنّ سابغات الذيل كما قال التميمي والبنات يلبسن ثيابهنّ قصيراتهِ كما ذكر الذبياني ونستخلص من ذلك ان العادة المتبعة عندنا الآن في لباس النساء والبنات ورادة الينا عن العرب الاقدمين والله اعلم

واما لباس الرجال فكان مميزًا بكشف الذراعين قال المحرز بن المكعبر الضبي في مدح قوم

لهم اذرع بادٍ نواشر لحمها   وبعض الرجال في الحروب غثاءُ (٥)

وقال دريد بن الصمة في صفة اخيهِ عبد الله المدعو ايضاً معبدًا

قصير الازار خارج نصف ساقهِ   صبور على العزاء طلّاع انجدِ

وقال اعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب الباهلي

مهفهف اهضم الكشحين منخرق   عنهُ القميص لسير الليل محتقرُ

سادساً تيجان الملوك

وكانت ملوك العرب تلبس التيجان قال امية بن ابي الصلت في خطاب سيف بن ذي يزن تبّع حمير

---

(٢) الاثيث الكثير الملتف · والثرى الجعد اللين والعوذ الحديثات النتاج المطفل الذي ولدها طفل · والمتالي من الابل التي لم تنتج حتى تصيف

(٣) الكعاب جمع كعب وهو في الانسان ما اشرف فوق رسغهِ عند قدمهِ · الخال نوع من البرود

(٤) المدقس والمدمقس واحد من الدمقس وهو الحرير · والمميس الذي له ذيل والميساني نسبه الى ميسان بلد من كوَر دجلة وكورة بسواد العراق · ورواية البيت برفع ميساني متابعة لمعجم لسان العرب الجزء ٨ الصفحة ١١٠

(٥) النواشر عروق باطن الذراع · والغثاء ما يحملهُ السيل من القمش كناية عما لا فائدة بهِ

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً برأس غمدان داراً منك محلالا[٦]

وقال تميم بن ابي مقبل العامري

وعاقد التاج او سام لهُ شرفاً من سوقة الناس نالتهُ عوالينا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

وسيد معشر قد توَّجوهُ بتاج الملك يحمي المحجرينا[٧]

تركنا الخيل عاكفة عليهِ مقلدة اعنتها صفونا[٨]

وقال النابغة الذبياني هازئاً بيزيد بن عمرو بن الصعق

لعمرك ما خشيت على يزيد من الفخر المضلَّل ما اتاني

كأَنَّ التاج معصوباً عليهِ لاذوادٍ اصبن بذي أَبانِ[٩]

وقال اعشى بكر

من يرَ هوذةَ يسجد غير مكتئب اذا تعصب فوق التاج او وضعا

لهُ اكاليل بالياقوت فصلها صوَّاغها لا ترى عيباً ولا طَبَعا[١٠]

وكانت ملوك بني غسان يضيف الواحد منهم على تاجهِ خرزة كلما مضت عليهِ سنة قال لبيد بن ربيعة

رعى خرزات الملك ستين حجةً وعشرين حتى فاد والشيب شاملُ

اي انهُ عمر حتى صار في تاجهِ خرزات كثيرة

سابعاً عمامات الرجال

وكانت الرجال تستر رؤُوسها ايام السلم بالعمائم قال سليك بن السلكة

الا عتبت عليَّ فصارمتني واعجبها ذوو العمم الطوالِ

وقال عنترة العبسي

وما الفخر الَّا ان تكون عمامتي مكوَّرة الاطراف بالصارم المندي[١]

واما الفتيان فكان منهم من يلبس البرنس قال حسان بن ثابت

---

(٦) المرتفق المتكى (٧) المحجرين الملتجئين اليهِ

(٨) العكوف الاقامة والصفون جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر

(٩) كل شيء استدار بشيء فقد عصب بهِ ومن هذا يكون الراس معصوباً بالتاج . الاذواد جمع ذود وهو القطيع من الابل الثلاث الى التسع

(١٠) الطبع الصدأ (١) كوَّر العمامة لفها وجمعها

يسعى بها احمرُ ذو برنس محتلق الذفرى شديد الحزام (٢)

وكان من العرب من يلبس القلنسوة قال العجير السلولي

اذا ما القلنسى والعمائم أُجهِلت ففيهنّ عن صلع الرجال حُسورُ (٣)

ثامنًا نصيف النساء

اما النساء فكنَّ يغطين رؤوسهنَّ بالنصيف حتى يستر وجوههنَّ قال النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم ترد اسقاطهُ فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وكنَّ يغطّين الوجوه قال ابو داود الايادي

ويصنَّ الوجوه بالميسناني كما صان قرن شمس غمامُ (٤)

وقال عنترة العبسي

نحر الرجال سلاسل وقيود وكذا النساء بخانق وعقودُ (٥)

وقال حجية بن المضرَّب

لججنا ولجت هذه في التغضّبِ ولطّ الحجاب دوننا والتنقّبِ (٦)

وقال الممزق العبدي

ظهرنَ بكلّةٍ وسدلنَ رقماً وثقبن الوصاوص للعيونِ (٧)

ولم يكن ارسال غطاء الوجه عامًّا عند العرب . قالت فاطمة بنت الاحجم في رثاء ابيها

قد كنتَ لي ذا حمية ما عشتَ لي امشي البراز وكنت انت جناحي

وربما كان بعضهن يرسلنهُ حينما يردنَ اخفاء امرهنَّ قال الاعشى ميمون

ولقد ساءها المشيب فلطّت بحجاب من دونها مصدوفِ (٨)

ولبعضهنَّ حيلة لنجاتهنَّ من السبي يحسن ذكرها وهي انهنَّ كنَّ يتنقّبن دون امائهنَّ فاذا غزت الاعداء قومهنَّ وظفروا كنَّ يبرزنَ وجوههنَّ وينقبنَ اماءهنَّ فتُسبَى الاماء دون الحرائر . والى هذا اشار سبرة بن عمرو الفقعسي في قولهِ

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها يُخلنَ اماء والاماء حرائرُ

(٢) البرنس قلنسوة طويلة . محتلق محلوق . الذفرى العظم الشاخص خلف الاذن

(٣) أُجهلت نزعت عن الجهلة وهي انحسار الشعر عن الرأس اكثر من الجلح . والحسور الفتور

(٤) الميسناني نسبة الى ميسان على خلاف القياس وقيل بل الى ميسنان قال العبد "وما قرية من قرى ميسنان معجبة نظرًا واتصافا"

(٥) المخنق برقع يغشي العنق والصدر (٦) لط الحجاب سدلهُ

(٧) الوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير (٨) المصدوف المستور

وبعض العرب كانوا اذا فقدوا عزيزًا حسرت نساؤهم عن وجوههنَّ نائحات لاطمات . قال الربيع بن زياد العبسي

من كان مسرورًا بمقتل مالك … فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسرًا يندبنهُ … يلطمنَ اوجههنَّ في الاسحارِ
قد كنَّ يخبأنَ الوجوه تسترًا … فاليوم حين برزنَ للنظَّارِ
يضربن حرَّ وجوههنَّ على فتى … عفّ الشمائل طيب الاخبارِ

وبعضهنَّ كنَّ يمزقنَ الثياب اسفًا على العزيز قالت مية بنت ام عتبة بن الحارث

تروَّحنا من اللَّعباء عصرًا … فاعجلنا الإلهة ان تؤوبا (١)
على مثل ابن مية فانعياهُ … تشقُّ نواعم البَشَرِ الجيوبا

ولكن ذلك لم يكن شأن جميع العرب بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذَ الاله انْ تنوح نساؤنا … على هالكٍ او ان تضجَّ من القتلِ

ومن لا يسمحون لنسائهم بالنواح فبالاولى انهم لا يسمحون لهنَّ بالبروز حاسرات . ومن كان هذا شأنهم في الرصانة لدى الرزيئة يخلق بنا ان نقتدي بهم في هذه العادة الحميدة (ترك النواح) ونعترف لهم بعلو المدارك وجودة الرأي وشهامة النفس امين ظاهر خير الله

قانون القرعة العسكرية المصرية

الصادر عليهِ الامر العالي بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٣٢٠ هجرية الموافق (٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ افرنجية)

نحن خديو مصر بعد الاطلاع على الاوامر العالية الصادرة بشأن القرعة لجيشنا وبحريتنا المذكورة في الكشف الملحق بامرنا هذا وعلى الامر العالي الصادر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٢ عن الخدمة في خفر السواحل وبالنظر الى ما تراءى من مناسبة تعديل القوانين الصادرة بشأن القرعة وتوحيدها وبناء على ما عرضهُ علينا ناظر حربيتنا وبحريتنا وموافقة رأي مجلس شورى القوانين امرنا بما هو آتٍ

القسم الاول في فرض الخدمة العسكرية الالزامية

١ — بعد مراعاة اوجه المعافاة الواردة في امرنا هذا تفرض الخدمة العسكرية الالزامية بموجب النصوص الواردة فيهِ على كل ذكر ينطبق عليهِ احد الشروط الآتية

(١) الإلهة اسم من اسماء الشمس

اولاً — اذا كان من رعايا الدولة العلية مولوداً من ابوين متوطنين بالقطر المصري حين ولادتهِ ولم يتوطن بعد ذلك قسماً آخر من بلاد الدولة العلية — . او

ثانياً — اذا كان من رعايا الدولة العلية وتوطن هو او والداهُ في القطر المصري خمسة عشر عاماً قبل بلوغهِ سن ١٩ او قبل كتابة اسمهِ في كشوفات القرعة المذكورة في الفصل العاشر على شرط ان يكون اسمهُ قد كتب فيها قبل بلوغهِ سن الرابعة والعشرين — . او

ثالثاً — اذا كان اصلهُ من السودان ولكنهُ متوطن بالقطر المصري وليس معروفاً انهُ من تابعية اجنبية

لا تسري احكام هذه المادة على العثمانيين الذين هم في حماية احدى الدول الاجنبية

٢ — تبدأ ملزومية الشخص بالخدمة العسكرية من السنة التي يبلغ فيها سن التاسعة عشرة وللعمل بهذا الامر العالي يحسب السن على طريقة الحساب الافرنكي

٣ — الخدمة العسكرية الالزامية تشمل خدمة خمس سنوات في الجيش العامل او في البحرية وخمس سنوات في الرديف او في البوليس او خفر السواحل وذلك بعد مراعاة احكام الرفت المبينة في القسم الخامس

٤ — الاشخاص المكلفون بالخدمة العسكرية والمتوفرة فيهم شروط البنية يطلبون للتجنيد بموجب الترتيب الذي يحددهُ لهم الاقتراع السنوي المنصوص عنهُ في الفصل الحادي عشر

٥ — لا يجوز في اي حال كان ان يطلب شخص للتجنيد بعد بلوغهِ سن السابعة والعشرين

القسم الثاني في تنظيم اعمال القرعة

٦ — ادارة القرعة الموجودة الآن في نظارة الحربية تبقى كما هي

٧ — ينوب عن ادارة القرعة في المديريات مجالس قرعة وتعين نظارة الحربية لكل مجلس منها قسماً يكون عبارة عن مديرية واحدة او اكثر وكل مجلس منها يشكل على الاقل من ثلاثة ضباط عسكريين احدهم رئيس لا تقل رتبتهُ عن رتبة بكباشي

ويجوز انتداب مجلس القرعة للعمل موقتاً خارج القسم المعين لهُ

٨ — تحضَّر كشوفة سنوية باسماء الاشخاص المكلفين بالخدمة العسكرية ويُعمل الاقتراع السنوي في كل مركز وذلك كلهِ بمعرفة مجلس اقتراع يؤلف من رئيس مجلس قرعة المديرية وضابطين من اعضائهِ الآخرين مع معاون من ديوان تلك المديرية وعمدتين من المركز يعينهما المدير

يرأس مجلس الاقتراع رئيس مجلس القرعة وتعتبر هيئتهُ قانونية اذا حضرهُ اثنان من

الاعضاء العسكريين واثنان من الاعضاء الملكيين

وعلى المديران يعدّ كشفاً باسماء عمد آخرين لينوبوا عن العمد الاعضاء في مجلس الاقتراع متى اضطروا الى الغياب

٩ — يلحق بادارة القرعة ضابطان على الاقل من القسم الطبي لا تقل رتبتهما عن بكباشي للقيام بالكشف الطبي على انفار القرعة حسب مواد الفصل الثاني عشر وعند عدم اشتغالهما في الكشف الطبي يؤديان وظيفة التفتيش على اعمال القرعة تحت اوامر ادارة القرعة ومن اختصاص وظيفتهما مراجعة جميع الدفاتر والاوراق المتعلقة باعمال القرعة وطلب كل شخص اعفاهُ مجلس الاقتراع من الخدمة العسكرية لعدم اللياقة البدنية لاعادة الكشف عليهِ

١٠ — يجوز لناظر الحربية بمقتضى امر وزاري مصدق عليهِ من مجلس النظار ان يستثني أية جهة كانت من القرعة متى كان عدد الانفار الذين يؤخذون منها قليلاً لا يستحق اعمال القرعة بسبب عدم صلاحية اهلها او متى كان هناك اسباب اخرى خصوصية تستدعي استثناءها

القسم الثالث في المعافاة من الخدمة العسكرية

في المعافاة بالبدل النقدي

١١ — يحق لكل شخص ان يعفى من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية اذا دفع عشرين جنيهاً مصرياً في اي وقت كان قبل اقتراعهِ

١٢ — كل شخص اقترع وهو غائب اذا اثبت لنظارة الحربية انهُ لم يصلهُ اعلان ليحضر امام مجلس الاقتراع وانهُ لم يكن عالماً بدرج اسمهِ في كشوفة الاقتراع يرخص لهُ ان يدفع البدلية في خلال ثلاثين يوماً بعد علمهِ بدرج اسمهِ في الكشوفة المذكورة

١٣ — كل شخص استحق المعافاة بسبب من الاسباب المبينة في هذا الامر العالي ثم بطلت اسباب معافاتهِ يجوز لهُ ان يدفع البدلية في خلال ثلاثة اشهر من تاريخ سقوط حقهِ في المعافاة

١٤ — يمكن دفع البدلية في نظارة الحربية او في ديوان اي مديرية او مركز او الى رئيس مجلس الاقتراع في اي وقت قبل الاقتراع

وكل شخص يدفع البدلية تعطى لهُ شهادة معافاة بامضاء ناظر الحربية او بامرهِ

في المعافاة بسبب خدمة الحكومة

١٥ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكرية بسبب استخدامهم

اولاً — مستخدمو الحكومة الداخلون في هيئة العمال ومن جملتهم المستخدمون منهم تحت التجربة

ثانياً — العمد والمشايخ الذين تنطبق عليهم احكام الامر العالي الصادر في ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ .

ثالثاً — الحلاقون الصحيون الذين تعينهم مصلحة الصحة

رابعاً — صف ضباط وعساكر البوليس وخفر السواحل الذين تطوّعوا للخدمة تحت شروط توجب عليهم خدمة عشر سنوات على الاقل

خامساً — مستخدمو حكومة السودان الذين يؤدون اعمالهم في بلاد السودان او خارجاً عنها

وأحكام هذه المادة لا تعفي من يستخدم بعد اقتراعهِ الاّ اذا تصدق من نظارة الحربية على استخدامهِ بهذه الصفة

١٦ — يعفى نهائياً من الخدمة العسكريّة كل شخص كان ابوهُ في احدى الحالات الآتية

اولاً — اذا كان ضابطاً في الجيش سواء كان عاملاً او مستودعاً

ثانياً — اذا كان ضابطاً في الجيش فيما مضى وبقي فيهِ عشر سنوات على الاقل ولم يطرد منهُ او يفصل عنهُ بصفة تاديبية

ثالثاً — اذا كان ضابطاً في الجيش وأحيل على المعاش او أخذ مكافأة بسبب جراح او اصابات او امراض اعترتهُ مدة تأدية واجباتهِ او توفي بسبب تلك الجراحات او الاصابات او الامراض

١٧ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكريّة كلّ شخص تعين ابوهُ عمدة او شيخاً حسب منطوق الامر العالي الصادر في ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ لمدة عشر سنين ولم يرفت من العمدية او المشيخة بصفة تأديبية او لادانتهِ على جريمة ارتكبها

١٨ — يعفى موقتاً من الملزومية بالخدمة العسكريّة ابن العمدة او الشيخ على شرط أن يكون أبوهُ قد تعين عمدةً او شيخاً قبل طلب الابن للتجنيد . فاذا عُين الاب شيخاً او عمدةً بعد طلب ابنهِ للتجنيد فلا يعفى الابن من بقية مدة خدمتهِ في الجيش او الرديف ولكن اذا بقي الاب شيخاً او عمدة لحين رفت ابنهُ من الجيش فالابن يعفى نهائياً من خدمة البوليس او خفر السواحل

في المعافاة لاسباب عائلية

١٩ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكريّة لاسباب عائلية

اولاً — كلّ شخص يكون ابناً وحيداً لابيهِ سواء كان الاب حيّاً او ميتاً

ثانياً — كلّ شخص يكون اكبر الابناء الاحياء لابيهِ سواء كان الاب ميتاً او بالغاً

سنَّ الستين او كفيف البصر او بهِ عاهة مزمنة صيرتهُ عاجزًا عن اكتساب معيشتهِ

ثالثًا — كلُّ شخص يكون اكبر الابناء الاحياء او وحيدًا لوالدة ارملة او مطلقة او غاب عنها زوجها غيابًا شرعيًّا او تركها ولا يعلم مقرُّهُ على شرط أن تكون باقية بلا زواج ولم ترجع الى زوجها السابق وأن تكون بلا اب ولا اخ شقيق في استطاعتهِ أن يقوم بمعيشتها

رابعًا — كلُّ شخص يقضي عليهِ قانون الاحوال الشخصية الخاضع لهُ أن يساعد في نفقة واحد او اكثر من اجدادهِ بشرط ان لا يتمتع بالمعافاة المدوَّنة في هذا البند الاخير الَّا شخص واحد عند ما يكلف عدَّة اشخاص معًا باعالة جدّ واحد

وعند تطبيق هذه المادة يعتبر الشخص الغائب غيابًا شرعيًّا كأنهُ ميت

٢٠ — اذا كان احد من افراد العائلة قد تجند بالاقتراع فاخوهُ التالي لهُ يعفى من الزامهِ بالخدمة الى ان يتم الاخ الاكبر مدة خدمة الجيش ومدة خدمة الرديف او البوليس او خفر السواحل بحسب ما تكون الحالة

ولكن اذا فر الاخ الاول من الخدمة فالثاني المعفي منها بناء على خدمة اخيهِ يطلب ويجند في الحال ولا يعود لهُ حق المعافاة ثانية الَّا بعد القبض على اخيهِ الفار او تسليمهِ نفسهُ وتتميمهِ مدة السجن التي يحكم عليهِ بها بسبب فرارهِ

٢١ — عند ما تفرض الخدمة العسكريَّة على اخوين او اكثر في سنة واحدة فلا يعتبر احدهم معفى منها . ولكن اذا طلب احدهم للتجنيد فاكبر الاخوة الباقين يعفى بموجب احكام المادة السابقة

٢٢ — اذا توفي احد افراد العائلة مدة خدمتهِ في الجيش او اخلي سبيلهُ من الخدمة بسبب جراح او امراض اصابتهُ فيها ثم مات بسببها او اصبح عقبها غير قادر على اكتساب معيشتهِ يعفى اخوهُ التالي لهُ من ملزوميتهِ بالخدمة العسكريَّة

٢٣ — اذا كان احد افراد العائلة الذي يستحق المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بحسب احكام هذا الفصل غير قادر على اكتساب معيشتهِ لانهُ كفيف البصر او بهِ عاهة اخرى فاخوهُ التالي لهُ يعفى بدلاً منهُ

٢٤ — اذا استحق شخص المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بحسب احكام هذا الفصل وكان اخوهُ التالي لهُ غير صالح للخدمة العسكرية لاسباب صحية ولكنهُ غير عاجز عن اكتساب معيشتهِ فالاخ الاكبر ولو انهُ قد نال المعافاة من الخدمة يجند بدل اخيهِ الاصغر

٢٥ — اذا ظهر ان احد انفار القرعة سيصير مستحقًّا للمعافاة حتمًا قبل ان تتم مدة خدمتهِ

في الجيش بسبب سن ابيهِ يجوز لنظارة الحربية ان تصدر امرًا باعتبارهِ معفى من الخدمة العسكرية

في المعافاة لاسباب دينية

٢٦ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكرية لاسباب دينية

اولاً — العلماء والمدرسون في الازهر وفي اي جامع آخر في القطر المصري

ثانياً — الخلفاء في مقامي السيد احمد البدوي والسيد ابراهيم الدسوقي

ثالثاً — مشايخ الطرق الدينيَّة المعروفة بمدينة القاهرة

رابعاً — القسس والقامصة والرهبان التابعون للطوائف المسيحيَّة المعروفة كذلك الحاخامات ووكلاؤهم والمشرعون في الطوائف الاسرائيلية

خامساً — مشايخ التكايا

سادساً — أئمة المساجد والزوايا وخطباؤها متى كانوا منقطعين لتلك الخدمة

سابعاً — الفقهاء الحافظون القرآن الشريف غيباً ما داموا بلا حرفة أُخرى وبعد اتمام الشروط المبينة في المواد من ٣٠ الى ٣٧

ثامناً — الطلبة المنقطعون لطلب العلوم الدينية وليس لهم حرفة اخرى سواءٌ كانوا مسلمين او مسيحيين او اسرائيليين

٢٧ — كل طلب للمعافاة بمقتضى الفقرة (الاولى) من المادة السابقة يجب ان يرفق بشهادة من شيخ الجامع الازهر وكل طلب بمقتضى الفقرتين (الثانية) او (الثالثة) يرفق بشهادة من شيخ مشايخ الطرق وكل طلب بمقتضى الفقرة (الرابعة) يرفق بشهادة من الرئيس المعروف لطائفة الطالب

طلب المعافاة بمقتضى الفقرتين (الخامسة) او (السادسة) يرفق بشهادة بان الطالب حسن السيرة عالم بالشريعة الغرّاء ومشتغل فعلاً بالعمل الذي يطلب المعافاة بسببهِ . واذا كان الطالب تابعاً الى التكايا او المساجد او الزوايا التي تحت مراقبة ديوان الاوقاف فتكون الشهادة مختومة بختم ديوان الاوقاف واما في الاحوال الاخرى فالشهادة يتوقع عليها من قاضي ومفتي المديرية او من اثنين من اكابر علماء المديرية مصدقاً عليها من القاضي والمفتي اللذين يوقعان علي مصادقتهما بالشهادة

٢٨ — كل شخص يطلب المعافاة لكونهِ فقيهاً يكلف بالحضور امام مجلس الاقتراع للامتحان في حفظ القرآن الشريف غيباً

٢٩ — يجري امتحان الاشخاص الذين يطلبون المعافاة لكونهم من الفقهاء على اسلوب تضعهُ نظارة الحربية — الاشخاص الذين يطلبون المعافاة في القاهرة لكونهم فقهاء يجري امتحانهم العلماء الذين ينتخبهم شيخ الجامع الازهر وفي غير القاهرة قاضي او نائب قاضي المديرية او المركز فان لم يكن حضورهما ميسوراً فمجلس الاقتراع ينتدب عالماً او اكثر لهذا الغرض

٣٠ — كل طالب للعلوم الدينية يطلب المعافاة يجب ان يكون قد انقطع سنتين على الاقل لتلك العلوم قبل ان يطلب شهادة المعافاة بالطرق المبينة في المواد الآتية . وبعد انقطاعهِ السنتين المذكورتين اعلاه يجوز لهُ ان يقدّم طلب المعافاة قبل ان يطلب للحضور امام مجلس الاقتراع

٣١ — طلبة العلم في الجامع الازهر يقدمون طلبات المعافاة الى شيخ الجامع الازهر وطلبة العلوم الدينيّة الاسلامية في غير الجامع الازهر يقدمون طلباتهم الى الذين تتفق نظارة الحربية مع شيخ الجامع الازهر على تعيينهم لامتحان الطلبة كما في المادة ٣٣

وطلبة العلوم الدينية من المسيحيين والاسرائيليين يقدمون طلبات المعافاة الى رؤساء طوائفهم المعروفين

٣٢ — يرفق الطلب في جميع الاحوال بالاوراق الآتية

اولاً — شهادة من عمدة بلدة الطالب او شيخها يوضع فيها كل المعلومات اللازمة لاثبات شخصية الطالب ومحل سكنهِ ومسقط رأسهِ ويشهد فيها ان الطالب منقطع بكليتهِ للعلوم الدينيّة وليس لهُ حرفة أُخرى

ثانياً — شهادات من رؤساء المدارس او المواضع التي تعلم فيها مدة السنتين الماضيتين او من مدرسيهِ الخصوصيين تكتب فيها كل المعلومات اللازمة عن العلوم الدينية التي تلقاها وانهُ كان ذا سلوك حسن مجتهدًا متقدماً فيها

ثالثاً — تعهُّد من الطالب يعلن فيهِ عزمهُ على الانقطاع كلية للعلوم الدينية او لخدمة الدين

اذا لم يقدر الطالب على تحصيل الشهادات المطلوبة في الفقرة (الثانية) يجب عليهِ ان يكتب انهُ طلب تلك الشهادات ولم تعطَ لهُ او يوضح بطريقة اخرى اسباب عدم حصولهِ عليها

٣٣ — عند ما يقدم الطالب الاوراق المذكورة بالمادة السابقة يجري امتحانهُ لتُعلم درجة معرفتهِ واما مواضيع هذا الامتحان وتشكيل الهيئة التي تقوم بهِ وزمانهُ ومكانهُ فكل ذلك يتم على طريقة يتفق عليها بين نظارة الحربية وشيخ الازهر فيما يختص بالطلبة المسلمين وبين النظارة ورؤساء الطوائف فيما يختص بالمسيحيين والاسرائيليين

ويجوز ان يُذكر في نصوص هذا الاتفاق ان المدارس او المواضع التي تمتحن تلامذتها في مواعيد مقررة تقبل نتائج امتحاناتها عوضاً عن الامتحان المنصوص عنهُ في هذه المادة

٣٤ — وفي جميع الاحوال يجب ابلاغ المدير او المحافظ وقت الامتحان ومحلهُ قبل الموعد بزمن كافٍ لانتداب من ينوب عنهُ في حضور ذلك الامتحان

٣٥ — اذا وجدت لجنة الامتحان ان نتيجتهُ تدل على ان درجة الطالب في العلم والتقدم كافية تستوجب الرضاء ترسل شهادة بهذا المعنى الى شيخ الازهر او رئيس طائفة الطالب وهو يمضيها و يرسلها الى نظارة الحربية مع الاوراق المطلوبة في المادة (٣٢)

٣٦ — اذا رأت نظارة الحربية ان الطالب يستحق المعافاة تجري ما يلزم لتسليمهِ شهادة معافاة ومع ذلك فقبل اعطائها الشهادة المذكورة لها الحق ان تطلبهُ الى القاهرة لاعادة امتحانهِ امام لجنة عليا تعقد في ديوان الحربية وتشكل بالاتفاق بين النظارة وشيخ الازهر وبينها وبين رئيس الطائفة المعروف حسبما تقتضيهِ الحالة

٣٧ — كل دار للعلوم الدينيَّة ما خلا الجامع الازهر يجب ان يكون فيها دفتر تقيد فيهِ اسماء التلامذة مع تواريخ دخولهم اليها وخروجهم منها و يجب عرض هذا الدفتر للتفتيش عليهِ بمعرفة الضباط المعينين بموجب نصوص المادة التاسعة

في المعافاة لاسباب تلقي العلوم

٣٨ — يعفى موقتاً من الملزومية بالخدمة العسكرية كل تلميذ يكون في احدى المدارس الآتي ذكرها وهي

مدرسة الحقوق . والطب . والمهندسخانة . والتوفيقية للمعلمين . والناصريه للمعلمين . والزراعة . والطب البيطري . والصنايع في بولاق . والصنايع في المنصورة

والذين تخرجوا من احدى مدرستي المعلمين السابق ذكرهما وبقوا بصفة معلمين تحت التجربة يعتبرون في تطبيق هذه المادة كأنهم باقون تلامذة في هاتين المدرستين

وتصير المعافاة المنصوص عنها في هذه المادة نهائية عند ما يتمم التلميذ دروسهُ وينال الشهادة المدرسية (دبلومه)

٣٩ — يجوز لناظر الحربية أن يمنح المعافاة المنصوص عنها في المادة السابقة لتلامذة كل مدرسة عالية او خصوصية من المدارس الموجودة الآن غير التي سبق ذكرها او من المدارس التي تستجد في المستقبل وذلك بامر وزاري يصدر منهُ بناء على طلب ناظر المعارف وموافقة ناظر المالية

٤٠ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء موقتاً كل شخص مواظب على تلقي العلوم في مدرسة جامعة اوعالية او صناعية خارج القطر المصري تكون علومها كعلوم احدى المدارس المذكورة بالمادة ٣٨ وتصير هذه المعافاة نهائية عند ما يتم الطالب دروسهُ وينال الشهادة المدرسية (دبلومه)

كل مسألة تنشأ عن الدروس التي يتلقاها الشخص الطالب المعافاة على مقتضى نصوص هذه المادة تحال علي نظارة المعارف للفصل فيها

٤١ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء موقتاً كل تلميذ يكون في المدرسة الحربية او مدرسة البوليس او مدارس خفر السواحل . وبعد خروج التلميذ من المدرسة تستمر هذه المعافاة الوقتية ما دام تحت تصرف اولياء الامر لحين منحهِ رتبة ضابط

اما اذا خرج التلميذ من احدى المدارس السابق ذكرها ولم يكن منظوراً منحهُ رتبة ضابط فمتى طلب للتجنيد يجند وتحسب لهُ المدة التي اقامها في المدرسة من مدة الخدمة المفروضة عليهِ في الجيش الاَّ اذا كان قد خرج من المدرسة طرداً بصفة تأديبية

في المعافاة لاسباب متنوعة

٤٢ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص يكون في خدمة الجناب العالي الخديوي الشخصية

لا تجوز المعافاة بمقتضى هذه المادة بعد التجنيد

٤٣ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص يكون مستخدماً عند احد القناصل الجنرالية او القناصل او وكلاء القناصل او وكلاء القنصليات وتكون خدمتهُ معروفة لدى الحكومة المصرية

٤٤ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص لهُ اخ ضابط في الجيش سواء كان عاملاً او مستودعاً

٤٥ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص اصلهُ من العربان من جهة الآباء

٤٦ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء نهائياً كل شخص تجند في قسم آخر من بلاد الدولة العلية

٤٧ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص تدفع عنهُ الفريضة العسكرية في اوقاتها في قسم آخر من بلاد الدولة العلية

احكام عمومية عن المعافاة

٤٨ — كل شخص لهُ حق في المعافاة لاسباب كانت موجودة عندهُ وقت الاقتراع يفقد حقهُ في هذه المعافاة اذا تأخر بدون عذر مقبول عن تقديم طلبهِ بالمعافاة الى مجلس الاقتراع قبل اجراء الاقتراع

٤٩ — اذا جدَّ سبب من اسباب المعافاة لشخص بعد اقتراعهِ وقبل طلبهِ للتجنيد فعليهِ ان يقدم طلب المعافاة بدون تأخير الى نظارة الحربية او الى رئيس مجلس القرعة الذي في الجهة التابع هو لها

٥٠ — اذا صار احد العساكر مستحقاً للمعافاة بعد تجنيدهِ فعليهِ ان يقدم طلب المعافاة الى نظارة الحربية بواسطة قومندانهِ

لكن يشترط في هذه الحالة انهُ اذا كان وجود العسكري في الجيش قد متع اخاً لهُ بالمعافاة فذلك العسكري لا يرفت بسبب من اسباب المعافاة الّا اذا كان ذلك السبب موجباً لمعافاة اخيهِ معهُ ايضاً

٥١ — يسقط الحق في المعافاة عند ما تزول اسبابها الّا في الحالات التي ينص عنها ما يخالف ذلك نصاً صريحاً

ومع ذلك فكل شخص استحق المعافاة وبقي معفىً الى ان بلغ سنّ الرابعة والعشرين لا يطلب بعد ذلك لتجنيدهِ مهما كانت الحالة

٥٢ — كل مامور او عمدة او شيخ او موظف آخر من موظفي الحكومة الذين لهم شأن في تنفيذ قانون القرعة علم ان شخصاً كان معفياً بتصديق مجلس الاقتراع ثم بطلت اسباب معافاتهِ يجب عليهِ حتماً ان يبلغ ذلك في الحال الى رئيس مجلس القرعة في تلك الجهة بالطريقة المتبعة

القسم الرابع في اعمال القرعة

في تحضير قوائم القرعة السنوية

٥٣ — يجب على عمدة البلد ومشايخها ان يتحدوا مع الصراف ويحضّروا قبل التاريخ الذي تعينهُ نظارة الحربية كشفاً في كل سنة على الاورنيك الذي تقررهُ نظارة الحربية باسماء الاشخاص الذين لهم علاقة بالبلد وستبدأ ملزوميتهم بالخدمة العسكرية في خلال تلك السنة

٥٤ — وهذه الكشوفة تشتمل على اسماء الاشخاص الآتي بيانهم وهم

اولاً — كل ذكر وارد اسمهُ في دفاتر مواليد البلد او في الكشوفة الملحقة بها المنصوص عنها في المادة (٥٨) سواء كان مقيماً في البلد او غير مقيم فيهِ وسيبلغ عمرهُ ١٩ سنة في خلال

السنة على مقتضى دفاتر المواليد والكشوفة الملحقة بها المشار اليها سابقاً

ثانياً — كل ذكر متوطن عادة في البلد واسمهُ غير وارد في دفاتر المواليد ولا في الكشوفة الملحقة بها وسيبلغ بحسب الظاهر سن ١٩ في خلال تلك السنة

ثالثاً — كل ذكر متوطن في البلد بلغ بحسب الظاهر سن ١٩ ولم يبلغ سن ٢٧ واسمهُ غير وارد في كشوفات قرعة السنين الماضية

٥٥ — وفي تطبيق المادة السابقة يعتبر متوطناً في البلد كل شخص من عادتهِ الاقامة فيهِ ولو كان غائباً عنهُ وقت تحضير كشوفات القرعة وذلك

اولاً — سواء كان في السابق مقيماً في البلد ولم يتوطن غيره بصفة دائمة

ثانياً — اوكان من عادتهِ الاقامة في البلد مدة في كل عام

٥٦ — متى ظهر من دفاتر وفيات البلد ان شخصاً من الاشخاص الواردة اسماؤهم في الكشوفة المنصوص عنها في الفقرة (الاولى) من المادة (٥٤) قد توفي فمن الواجب تدوين وفاتهِ في تلك الكشوفة والاشارة الى الدفتر المذكورة فيهِ

٥٧ — الكشوفة المنصوص عنها في المادة (٥٤) ترفق بكشف آخر مشتمل على جميع المعلومات التي تعينها نظارة الحربية كبيان عائلات الاشخاص المذكورين في الكشوفة الاولى وصناعتهم وحالاتهم الاخرى التي تكون ذات اهمية لمعرفة حقوقهم في المعافاة

٥٨ — يجب على العمدة والمشايخ ان يحرروا ايضاً كشفاً آخر باسماء الذكور الذين جاؤوا البلد بقصد الاقامة فيهِ بعد اتمام كشوفات السنة الماضية ولا يبلغون بحسب الظاهر سن ٦٧ ما عدا الجهات التي تستثنيها نظارة الحربية من تطبيق احكام هذه المادة بسبب تعوّد اهاليها على التنقل

وهذه المادة لا تسري على القاهرة والاسكندرية

٥٩ — تعلق صور الكشوفة المنصوص عنها في المادتين (٥٤ و ٥٨) في محل ظاهر في البلد وتبقى معلقة الى ٧ ايام

٦٠ — ترسل صور الكشوفة المنصوص عنها في المواد (٥٤ و ٥٧ و ٥٨) الى مأمور المركز قبل الميعاد الذي تعينهُ نظارة الحربية وتكون كلها مختومة باختام عمدة البلد ومشايخها والصراف

٦١ — اذا قدمت شكوى للمأمور بان اسماً ادرج في الكشوفة او اسقط منها بدون حق او ان فيها خللاً آخر فعليهِ ان يبادر الى تحقيق هذه الشكوى

فاذا كان موضوع الشكوى هو اسقاط اسم من احدى الكشوفة وثبت للمأمور ان ذلك الاسقاط حاصل فعلاً فعليهِ ان يضيف الاسم الساقط الى الكشف الخاص بهِ . اما في كل حالة اخرى فيجب عليهِ ان يدوّن نتيجة التحقيق في الكشف الخاص بذلك

٦٢ — وعند الانتهاء من تصحيح الكشوفة وضبطها يرسل المأمور صورًا منها مختومة بختمهِ الى رئيس مجلس القرعة . وللمأمور ان يسقط من الصور التي يرسلها بهذه الصفة اسماء الاشخاص الذين تظهر وفاتهم في دفتر المتوفين (ستأتي البقية)

ناموس النشوء في تقدم العمران

(٤)

ان المبدأ الاول في تقدم العمران جارٍ على الناموس المعروف بناموس الاستعمال والاهمال مع حفظ الموازنة بين تأثير المحيط الخارجيّ في الامة وبين تهيئها الداخلي التدريجي . وعبّروا عن ذلك بقولهم ان مبدأ التقدّم الاجتماعي قائمٌ بانحطاط الانانيّة وارتقاء الغيريّة . فان هذا الناموس هو نفس ما يجري عليهِ ارتقاء الاحياء من ادناها الى اعلاها . فاذا وقع اختلالٌ سريع في الموازنة بين المحيط وحالة الحيّ الداخليّة كأن يتغيّر المحيط فجأةً قبل ان يستعدّ الحي لملاءمتهِ صار الى الهلاك والانقراض . ولكن اذا تغيّر المحيط على سبيل التدريج استعدّ الحيُّ لهُ تدريجًا كذلك حتى يبقى معهُ على تمام الملاءمة . فان لم تتم هذه الملاءمة في جيلٍ واحدٍ تمّت في ما يليهِ من الاجيال كما يُشاهد في حال المهاجرين من بلادٍ الى أُخرى الذين قد لا يتأتى استعدادهم لاحوال الوسط الجديد فيتمّ امرهُ في اولادهم والاحفاد

فيؤْخذ من ذلك ان تقدّم التمدّن انما هو تدريجيٌّ بطيءٌ في التربية واعتياد الوسط طبيعيًّا وعقليًّا وادبيًّا حفظًا للموازنة بين الامة وبين المحيط فيجري ذلك من جيلٍ الى آخر وتسري عناصر التقدم بطيئةً في مجموع الجنس البشري غير ظاهرة في سريانها هذا الى العيان . فكلُّ مدينةٍ تُبنى وكل مخترع يجد وكل رأيٍ يظهر الى ساحة الوجود وكل مبدإٍ ينتشر في المعمور يؤَثر شيئًا في المحيط الاجتماعي فتتغيّر بهِ نسبة الامة اليهِ ويقضي عليها باستعدادها الداخليّ لهُ على التدريج . وكل ما ينتهي اليهِ حال الجيل الواحد من مبلغ التمدن ينتقل الى الجيل التالي فيضيف الى محيطهِ مادةً جديدةً بحيث يصبح محيط الجيل التابع الذي ينبغي ان يستعدّ لهُ مختلفًا عنهُ . ثم اذا ارتقت الامة الى حالٍ جديدة من التمدن أَثّر ذلك في محيطها ايضًا وهذا

أعدَّ للجيل الذي يليهِ محيطاً جديدًا على التعاقب والتبادل الى ما شاء الله

وهاك ايضاح ذلك ملخصاً مما ثبت لاهل النظر والتحقيق في تاريخ التمدن منذ نشأَتهِ الاولى الى ما بعدها من الاطوار

اجمعت شهادة المحققين ان حال النوع الانساني الاولى كانت حال تعدٍ وعداء وكان محيط كل قبيلةٍ مجموع قبائل مجاورة تناصبها الشرّ وتضمر لها الاذى والضرّ فتضطرُّ تلك القبيلة الى اتخاذ اسباب الحيطة والاستعداد الدائم لدفع شرّها وضرّها حتى تشغلها هذه الحال عمّا سوى الاستعداد المستمرّ الى النضال والقتال

ثم لما كان عدد كل قبيلة قليلاً وافرادها متشابهة الطبقة والحال كان مجال العواطف الغيريَّة محصورًا في العلائق الزوجيَّة والوالديَّة . على ان هذه العواطف مع ضيق دائرتها وضعف امرها كانت هي الجرثومة الاولى التي نشأَت منها مبادئ الغيريَّة العظمى في ما تبع ذلك من اطوار تقدّم التمدّن والعمران

ففيما كان محيط القبيلة القليلة العدد كلهُ عداء وحقدًا وانتقاماً لم يكن يخلو حالها الداخليَّة من موضعٍ لمبادىء الامانة والشكر والعدل والمحبة العائليَّة والمودة الشخصيَّة ومراعاة حقوق الرفيق والشريك على ما فيها من القلة والضعف . ولذا كان ميدان الانانيَّة في حفظ كيانها الخارجيّ ازاء اعدائها اوسع حدودًا من دائرة الغيريَّة في نِسَبها الداخليَّة وكانت هذه العواطف الغيريَّة على حداثة نشأَتها مشوبةً بصبغة الانانيَّة . فكان اسماها ادبًا وفضيلةً العصبيَّة القوميَّة واخلاص الطاعة الى سيّد القبيل . هذه كانت صورة الحالة الاجتماعيَّة لاول عهدها على ما ينطق بهِ تاريخ كل امة الآن كهنود اميركا وسكان جزائر البحر المحيط وعرب البادية وغيرهم

واما الوجه الذي ترقَّت فيهِ الغيريَّة وانحطَّت الانانيَّة على التدريج فهو اتساع نطاق الامة عددًا وتنوُّع طبقاتها وتفرُّع نِسَبها في دوائر الشرع والقضاء وتشعُّب طرق الرزق والاحتراف اذ بهذه العوامل يتسع المجال لمبادىء الغيرية لما يزداد فيها من النسب الاجتماعيَّة . وكلما ارتقت حال القبيلة المدنيَّة ارتقت معها هاتيك المبادىء على الدوام كما كان شأن امم مصر واشور وفارس والهند في سالف العصور (وكما هي حال الصين الى هذا اليوم في ضعف شؤُونها المشهورة) وكما كان من امر اليونان القدماء بعد ان اتحدت قبائلهم فصارت مجموع محالفاتٍ وكما انتهى اليهِ حال الرومان فتألفوا امةً سياسيَّة واحدة تضمُّ عناصر مختلفة وقبائل عديدة . ففي كلٍّ من هذه الصور الاجتماعيَّة تقلُّ الحاجة الى ازدياد التحصُّن والدفاع الحربي فيحلُّ محلَّ الغزو والغارة محبة الارتزاق بمعايش الزراعة والصناعة وحينئذٍ تقوى الحاجة الى

التعاون الشعبي ونشأ للامة حاجات جديدة واحوال عمرانيَّة مرتقية فيأخذ الميل الى المناوأة والقتال بالضعف والزوال على نسبة الطور الذي بلغتهُ كلُّ قبيلةٍ من المدنيَّة والحضارة. وفي حال ارتقاء الامة المدني يصبح فضُّ المشاكل بين الفرد ومواطنيهِ اقناعيًّا ضروريًّا اديبًّا بعد ان كان القاضي بينهما حدُّ الحسام. وبعد ان كانت اسمى العواطف الادبيَّة عند الامة عاطفة الاعتصاب الجنسي تسود محبة الوطن باسمى معانيها الى الحدّ الذي بلغتهُ عند اليونان والرومان

ولنلاحظ هنا ان باعتلاء المبدإ الادبي تفقد الحياة الجنديَّة نزعتها الاولى الانانيَّة المحضة وتمسي مدرسة التهذيب الاخلاقي وتضحية الذات مغتذية بعناصر الغيرية على قدرٍ غير يسير. يؤيد هذا القول المقابلة بين واقعتي ماراثون وثرموبيليا وبين غارة عصابة همجيَّة بما هو معلوم من قسوتها البربريَّة وقرَمها الى شرب الدماء

على ان الظواهر الادبيَّة نظير اخواتها الظواهر الطبيعيَّة في انها قد لا يظهر فيها الفاصل بين العناصر المختلفة تمام الظهور ففي محبة الوطن التي اشرنا اليها كانت الانانيَّة غير مفارقة للغيريَّة. فمن الجهة الواحدة كانت الوطنيَّة مشابهة للاعتصاب الجنسي ومن الجهة الاخرى اتسعت حدودها حتى لحقت بالوطنيَّة العامة بين البشر اجمعين. فكان العنصر الاعتصابي دائم الظهور في المحبة الوطنيَّة بدوام تألف الامة المدني. وكأنما تاريخ اليونان بعد طرد الفرس من البلاد كان تاريخ النزاع بين الوطنيَّة العليا والوطنيَّة الدنيا. اما الرومان فحين مدُّوا رواق سلطتهم الى تخوم البحر المتوسط جامعين تحت جناحي نسرهم (شعار لوائهم) تلك القبائل المختلفة العناصر والنزعات — القائمة لذاك العهد على الخصام والعداء — بجامعة الاشتراك في مصلحة التهذيب والتجارة والسلم — حينئذٍ — تمهَّد لهم السبيل الى بث روح الوطنيَّة العامَّة التي كان من اعزّ اركانها المساواة بين طبقات الخلق في نظر الشرع

هذا ولا يجوز الغفلة في عرض هذا البيان عن انهُ لم يتأتَّ لهاتهِ الأُمة توطيد اركان هذا المبدإ (الوطنية العامَّة) الَّا بعد ان عانت المشقات وتجشَّمت الاهوال من الانقلابات السياسية. وذلك لانها اتَّسع حجمها باسرع مما ارتقى جسمها بحدود الحجم. فتسرَّعت بسحق مبدإ الحكم الذاتي المكنون في صدور القبائل المتفرقة قبل الاوان واقامت الامبراطورية على رمَّة الجنسيَّة. فكان من الحكم الطبيعي ان قبائلها المختلفة العناصر لم تكن قد تمكَّنت بينها عُرى الاتحاد العام الصحيح فلم تقوَ على صدّ هجمات البرابرة واغارتهم على حدود مملكتها المتسعة الارجاء. غير ان ذلك المبدأ (اي الوطنيَّة العامَّة) الذي غرستهُ الامبراطورية الاولى

لم يكن من حظهِ التلاشي والفناء بل نما وزكا وانبثَّت اصولهُ في نفوس ذلك الجيل يرثهُ الخلف عن السلف . حتى انهُ حين اصاب الاجتماع الاوروبي مرةً ما يكاد يقضي على اوصالهِ بالانحلال فيعود مجموعهُ الى قبائل متفرقة هبَّت كوامن تلك الجراثيم الموروثة من مبدإ الرومان وتمَّت لها الغلبة على دواعي ذلك التفريق . وهكذا كان شأن تلك المبادىء الرومانية في ايام شارلمان العظيم بانتصارها على عوادي الانقسام الى المحالفة الجنسيَّة والاعتصاب الشعبي . وجملة القول ان مبادىء النظام الروماني هي التي مهَّدت السبيل الى النظام الاقطاعي في القرون الوسطى فكان اساساً للنظام الاوروبي وركناً من اركان العمران الحديث

فنرى من ذلك كلهِ ان التقدم في تغيُّر المحيط الاجتماعي مع متابعة الامم لهُ لم يحد عن قياس التدريج . فحيث تجد الامة باقية على حال السكون الداخلي والمحيطي كما في قبائل المتوحشين لا ترى اثرًا لذلك التقدُّم الاخلاقي المذكور . وحيث ترى نموًّا في العدد دون ارتقاء يقابلهُ في التركيب والتنوُّع في الوظائف والنسب كما في اكثر امم اسيا الحريصة على حال الخمول والجمود ترى حالها الاخلاقي والادبي وسطاً بين المتوحش والمتمدن وذلك كلهُ شاهدٌ على صدق القاعدة الاساسية المتقدمة الذكر وهي ان تقدم الامة جارٍ على ناموس الموازنة بين حال المحيط الخارجيّ وبين حالها الداخليّ وانها في خلال ذلك يرتقي محيطها فتسمو افكارها فترتقي اخلاقها وتلحقهُ في شوط الارتقاء الدائم على التعاقب المستمرّ

ولنقف الآن عند هذا الحد من البيان مرجئين استيفاء الكلام فيهِ على سائر وجوه الشبه بين ارتقاء الاجتماع ونشوء الاحياء الى الجزء التالي ان شاء الله ولنعطف بعض النظر على اثر هذا البحث الجليل الشأن الى ما يبنى عليهِ من الاحكام الاجتماعية التي هي باحوالنا الشرقية امس وعلينا اصدق فنقول

اولاً — ما دام التقدم لا يرجى لحيّ قبل تغير محيطهِ فما احرى اهل الشرق فرادى وجماعات في توخي هذه الغاية بممازجة امم الارتقاء اليوم ما احرى ائمة التشريع باقتباس شرائع العدل والمساواة الى حد التمام. ما احرى ذوي السيادة بالاقتداء بنظرائهم الغربيين في تسهيل اسباب النجاح على العباد . ما احرى اهل الغنى والثراء باقتفاء آثار ارباب النخوة الوطنية والغيرة الانسانية . ما احرى حملة العلم فينا بتحري اساتذتهم في انتقاء موضوعات الدرس والتدريس واعتماد احسن اساليب البحث والتحصيل . ما احرى المؤلف منا والكاتب والشاعر بمتابعة شركائهم السابقين بحسن الوضع واحكام التبويب واطّراح الحشو والتقعر وانتهاج مناهج الابداع والاختراع . ما احرى القابضين على ازمة ادارات المدارس ودوائر الخير العام بمحاكاة اولئك

المصلحين اعلام الفضل والهدى في السلوك يبني جلدتهم مسالك النبل والاخلاص فينبذون الاغراض ويعرضون عن الاعراض ويعمدون الى تعهد القديم بالتغيير والتقويم والقلب والابدال في ما وُكل اليهم من الاعمال . بل ما احرى بني المشرق اجمعين بالنهوض من رقدة التهم حرصاً على ما بقي لهم من جراثيم الحياة قبل ان يلحقوا بسالف الامم . هذا الاحتكاك بالغرب هو الذي نريدهُ بتغيير المحيط لا بمجرَّد التباهي بتقليد العوائد والازياء او اقتباس الالقاب والاسماء

ثانياً — ان سنة الارتقاء هي التدريج ابداً والطفرة محال . هذا هو الذي يهوّن على المصلحين الحكماء في ايّ الاجيال ويكبح جماح الحدة والهياج ويأخذ المسالك على اهل التهوُّر ونزق الشباب . ينشأ بعض فتياننا اليوم على التبرُّم من حطة الشرق ودائهِ الدفين فتأخذهم النعرة على شرف ما يعبرون عنهُ (بالوطن) فيندفعون في تيَّار الحماسة وفي كل وادٍ من الوسوسة يهيمون . يزعمون ان الاصلاح يقوم بالقذف والسباب في قاعات الخطب ومقاعد الطلب وحلقات المجالس على ما يشاهد اليوم في مصر وتسير بهِ ركائب الاخبار وقد فاتهم ان الامواج لا تصدُّ بالهياج وان ما كفَّ سيلٌ بالاكفّ ولا رُدَّ جيشٌ بقرع دُفّ ولا ساد بالجهل قوم. يرجُّون ان يمضي عام في ساعةٍ او ينقضي قرنٌ في يوم . نعم طال على الشرق رقادهُ ولكن ما رحم الليل سميرهُ المسهَّد فعجَّل اليهِ الصباح . نعم اشتدَّ في الشرق فسادهُ حتى غلت القدور في الصدور غير ان الطيش مفسدة الاصلاح . فالعاقل العاقل من ذكر ان الامور مرهونة باوقاتها فصبر على الايام واستنَّ بسنة الزمان وجارى محيطهُ حتى يتنقل تنقل الافياء . هذه هي شريعة الوجود وهذا هو ناموس الارتقاء . فكلٌّ من تعجَّل الى دعوةٍ قبل اوانها يقطف الاثمار قبل نضجها ويأتي الامور في غير نهجها . فلكم رأى الشرق من عواقب التغرير ردًّا على الاعقاب وكم جازت الطبيعة عصبة الطياشة شديد العقاب حتى شدوا على انفسهم خناق الضيق بدل الافراج وزادوا على الداء ادواء من حيث يبغون العلاج

ثالثاً — المرء ابن محيطهِ على الدوام . فما اجهل من قصر نظرهُ في التنظير بين الاقران فمدح هذا على رُقيهِ وذمَّ ذاك على هبوطهِ في حال من الاحوال . تقول زيدٌ وعمرو متشابهان في الفطرة والاستعداد فتقدم الاول لنشاط العزم وتأخر الثاني لضعف النفس وقلة الحزم على حين انك لا تعلم محيط كل منهما من المنشإِ والتربية وفعل الوراثة وتمكن العادات . ثم ترى قوماً دبَّ فيهم النشاط فلحقوا باهل الإقدام وقوماً آخرين بقوا على وهن العزائم وسقوط الهمم فتقول هناك ميدان العقول وهنا مقرُّ الجهل والخمول وقد فاتك النظر الى الفرق بين المحيطين من موقع البلاد وموضعها من مطامع اهل الاطماع واخلاقها الموروثة وحال قوَّادها من العدالة

والاستبداد الى غير ذلك من الاحوال الملابسة ومقوّمات الوسط والمحيط . فالحكيم المنصف من راعى هذه الاحكام الطبيعيَّة في احكامهِ فانصف الناس بمدحهِ واطرائهِ وتعنيفهِ وازرائهِ. ولعمر الحق ما وقع على نفسك من مكارهِ الدنيا اشدُّ من لوم اخيك وهو يجهل حالك ولا ذقتَ كاساً امرَّ من تقبيح امرك وقد لا يكلف يوماً سؤالك

رابعاً — ان كان تكامل المحيط موقوفاً بالطبع على تكامل الانضمام في ذراتهِ وعناصرهِ كما تنضم قطرات السحاب قبل الانصباب فلتطب نفوس بني المشرق وليستنشقوا انفاس الرجاء من منافذ اليأس ان فيهم اليوم في اقطار مختلفة فيهِ وبلدان متفرقة منهُ مَن ضمنوا من انفسهم التفاني في اصلاحهِ فوقفوا الارواح والاعمار والاموال على تنويرهِ وصلاحهِ يضيفون الى محيطهِ كل يوم ولو ذرَّة من عناصر التمدن القويم من نشر علم وانهاض همة والهاب لب يسلكون في ذلك مسالك الحكمة والدعة والسكينة والثبات حتى تُمثل حقائق افكارهم كما تُمثل مواد الطعام في الابدان وتسري عناصر الغذاء في خلايا النبات . لا يعلو صياحهم في المحافل والاسواق ولا يموهون بفضلهم على صفحات الاوراق وينشرون صلاحهم في الآفاق انما هم المربون الالباء والمرشدون الاصحاء والكتبة العقلاء هؤلاء هم الذين بجهادهم واجتهادهم سيبلغ الشرق ما قدر لهُ من النجاء. فعلى اساس بنيانهم نشيد اركانهُ وبنبراس هديهم يتعالى شأنهُ في معارج الارتقاء

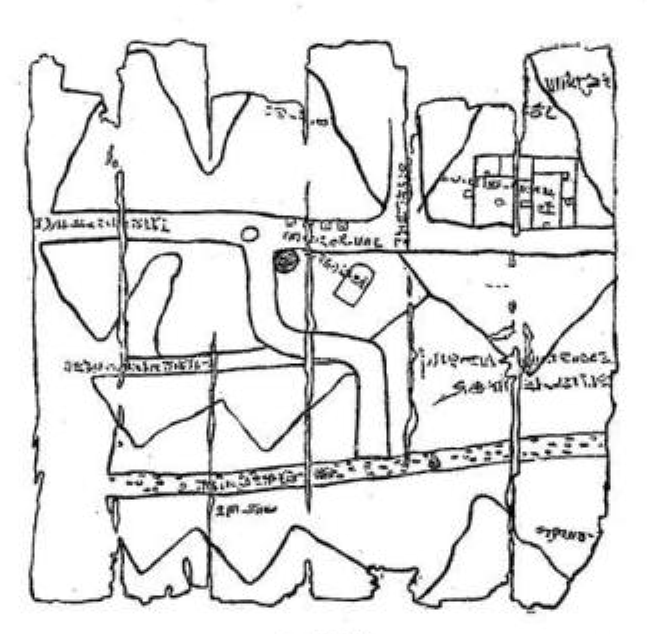
دمشق — متري قندلفت

رسم الخرائط

نُشر اطلس (١) بالامس في بلاد الانكليز كُتِبَ فيهِ انهُ أُنفق على عملهِ خمس مئة مليون جنيه . اي مضاعف النفقات التي انفقتها انكلترا على حربها مع البوير . ومعلوم ان النفقات التي اقتضاها رسم ذلك الاطلس وطبعهُ لا تساوي عشر معشار هذا المبلغ ولكنهُ لم يرسم الاَّ بعد ان انفقت دول الارض ما لا يحصى من الاموال على تخطيط البلدان وقياسها بالضبط من عهد المصريين والاشوريين والفينيقيين الى الآن فقد اشتغلت كل الدول العظيمة بتخطيط البلدان ورسم الخرائط ولاسيما الدول الاوربيَّة وجمهوريَّة اميركا ولا تزال تشتغل كذلك واشتغل معها السيَّاح وارباب الرحلات من عهد حنو وهيرودوطس الى الآن . والاطالس الصغيرة التي يباع الاطلس منها بيضعة غروش لم يتسنَّ رسمها الاَّ بعد ان أُنفق ما لا يحصى من الملايين على تحقيق ما رُسم فيها

(١) الاطلس مجموع الخرائط سي كذلك نسبة الى اطلس ملك مراكش كما سيجيء

والمال ليس كل ما أُنفق على عمل الخرائط بل لقد ذهبت الوف من النفوس ضحيّة البحث والاستقصاء عن حدود البلدان وحسبنا شاهدًا على ذلك تجشّم الاوربيين والاميركيين المشاق لكي يصلوا الى القطب الشمالي والقطب الجنوبي او يخططوا ما يجدونهُ حولهما من الاراضي ولكي يخترقوا مفاوز افريقية واسيا ويعرفوا كل مجاهلهما حتى تتمّ خريطة الارض ولا يبقى منها مكان مجهولاً



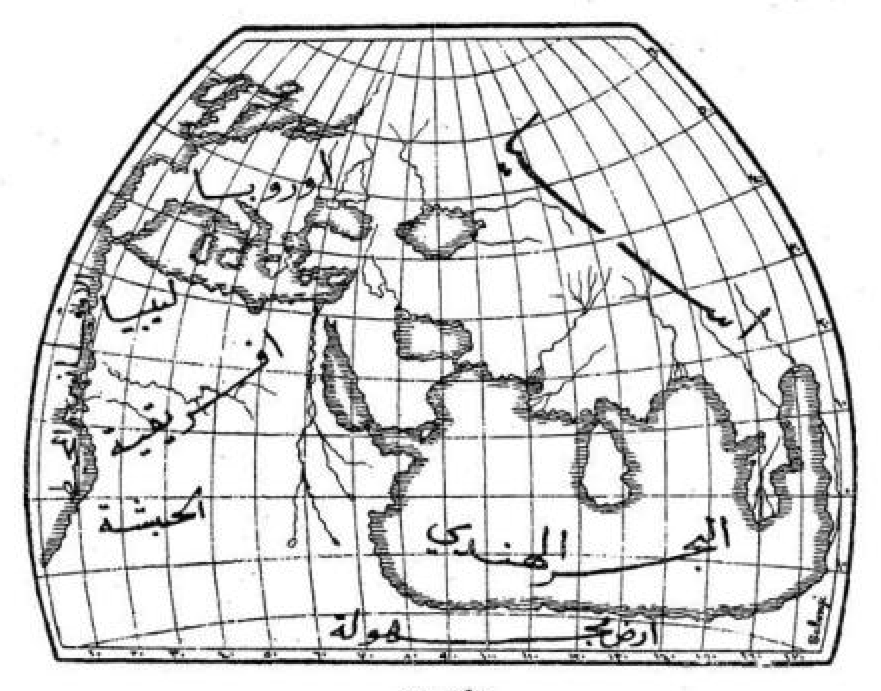
الشكل الاول

والانسان من اول عهده جوّاب آفاق ينتجع المراعي والمناهل وقد اقام المعالم ليهتدي بها في رحلاتهِ. والظاهر انهُ رسم الخرائط منذ عهد قديم جدا لتكون مرشدًا لهُ في المسالك المترامية فقد رأينا صورة خريطة من عهد المصريين القدماء رسموا فيها مناجم الذهب في بلاد النوبة بين النيل والبحر الاحمر والطرق المؤدية اليها وهي المرسومة ههنا وتاريخ رسمها سنة ١٣٧٠ قبل المسيح

وكان المصريون الاقدمون يرسمون طرق البلدان التي يدوخونها وكذلك كان الاشوريون والبابليون يرسمون مسالك البلدان وقد قسمت الدائرة الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة اقتداء بالبابليين في تقسيمهما

واول من حاول رسم خريطة للمسكونة كلها الفيلسوف انكسيمندر اليوناني وكان ذلك سنة ٥٦٠ قبل المسيح فجعل بلاد اليونان مركز المسكونة وسائر البلدان محيطة بها . ثم قام مارين الصوري وألف الكتاب الذي اعتمد عليهِ بطليموس في جغرافيتهِ الشهيرة

وبطليموس هذا واسمهُ كلوديوس بطليموس من يوناني مصر نشأ في الاسكندرية في اواسط القرن الثاني قبل المسيح واطلع على كتب من تقدمهُ واستخلص منها ومن مبتكراتهِ العلمية كتابين كبيرين ارتشد بهما الناس ونسجوا على منوالهما الى ان بزغت شمس العلوم الحديثة منذ



الشكل الثاني

قرنين او ثلاثة وهما كتاب الجغرافية هذا وكتاب المجسطي في الفلك . وكتاب الجغرافية في ثمانية اجزاء ذكر فيها كل الاماكن المعروفة ووصفها وصفاً موجزاً وذكر اطوالها وعروضها وصنع ستاً وعشرين خريطة للبلدان المختلفة وخريطة واحدة تجمعها كلها وهي المرسومة في الشكل الثاني

واطبق ليل الجهل بعد بطليموس ولكن بقيت كتبهُ تنير حنادس الظلم الى ان قويت شوكة العرب واستعانوا بالسوريين على ترجمة كتب اليونان واهتموا بعلم الجغرافية فنسجوا على

منوال بطليموس واضافوا الى معارف اليونان والرومان ما عرفوهُ برحلاتهم الكثيرة في اسيا وافريقية . وكانوا يقتصرون على رسم المدن والطرق التي يسار بها اليها ثم صاروا يرسمون الخرائط المسهبة . ودعا الملك روجر صاحب صقلية الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر للميلاد فألف لهُ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق شرح فيهِ كرة ارضية صنعها من الفضة



الشكل الثالث

وصنعت خريطة عن هذه الكرة وهي المرسومة في الشكل الثالث . وبقي ليل الجهل مطبقاً على ربوع اوربا والذين يرسمون الخرائط الارضية فيها يجعلون القدس في مركز المسكونة ويرسمون حولها ما تصوّرهُ لهم المخيلة كبرج بابل وسفينة نوح وامرأة لوط والفرات ودجلة ويصورون سكان افريقية وعيونهم في اكتافهم الى ان كشفت اميركا وزادت الرغبة في الارتحال والاكتساب فصنع مركاتور خريطتهُ المشهورة والاطلس الاول او مجموع الخرائط وقد سماهُ

كذلك نسبة الى اطلس ملك موريتانيا او مراكش الذي قيل انهُ حُكم عليهِ بان يحمل العالم على عاتقهِ لانهُ نظر الى رأس المدوزا اي الغولة التي شعرها افاعي

وصنعت الاطالس في اوربا منذ نحو خمس مئة سنة ولا تزال آخذة في الاتساع والتدقيق وما يصنع منها هذا العام تدعو الحال الى تغيير كثير منهُ بعد اعوام قليلة على حسب ازدياد التحقيق وتغيير الحدود بين الممالك

ان من يملك مئة فدان من الارض في قطع مختلفة يجد اعظم مشقة في تحديدها ورسم تخومها فما قولك في رسم البلدان الواسعة والاقطار الشاسعة التي لا يرى اولها من آخرها وما فيها من شواهق لا ترتقى ومفاوز لا تسلك . لكن ما يعجز عنهُ الواحد لا تعجز عنهُ الممالك الكبيرة واهل العزائم من رجالها فان ممالك اوربا واميركا اناطت اعاظم مهندسيها بتخطيط بلدانها وغيرها من البلدان التي ليس فيها من يخططها وهي ترسل المسَّاحين جماعات واذا ضربوا في عرض البحار اعطتهم السفن والبوارج وزودتهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الآلات والادوات وجعلت عملهم من جملة اعمالها الحربيَّة والبحرية تنفق عليها كما تنفق على الجنود والحصون بكرم حاتمي وهم يستعينون بالدقيق من الآلات الهندسيَّة والفلكيَّة على تحقيق الاطوال والعروض وقياس الابعاد والارتفاعات ومتى اتموا عملهم جاء الرسَّامون ورسموا نتيجة ذلك على القرطاس او اصلحوا بهِ الخرائط التي بين ايديهم. ومتى تمَّ اصلاحها واعيد رسمها واريد ان تطبع بالوان مختلفة يظهر فيها مختلف البلدان رسموا كل جزء منها بلون واحد على حجر من حجارة الطبع الحجري وطبعوا الخريطة الواحدة مراراً كثيرة حسب الالوان التي فيها. ولا بدَّ من الدقة التامَّة في ذلك كلهِ حتى لا يقع لون في غير موقعهِ ولا ينحرف حد عن وضعهِ ولو شعرةً وقد يكون في بعض الخرائط عشرة الوان فتدعو الحال الى اعادة طبعها عشر مرات متوالية

ولا بدَّ من تجليد الاطالس تجليدًا متيناً وعمل فهرس لها يذكر فيهِ كل ما ذكر فيها من اسماء البلدان والمدن والجبال والبحار والانهار مرتبة على حروف المعجم مع اشارات يستدل بها على موقعها اما بذكر درجات الطول والعرض ودقائقهما او بوضع حروف ترسم على الخريطة طولاً وعرضاً ويحصر بها مكان الاسم بين حرفين منها

وقد اهتمَّ البعض برسم الاطالس في بيروت والاستانة وهذه العاصمة نقلوها عن الخرائط الاوربية وكتبوا اسماءها بحروف عربية وزادت الحكومة المصرية ان اناطت بقسم المساحة في ديوان الاشغال اعادة تخطيط بلادها واضافة البحث الجيولوجي فيها الى القياس الجغرافي فاحسنت صنعاً لان ذلك وامثالهُ من الدعائم التي لا بدَّ منها لكل بلاد تريد ان تجاري غيرها في ميدان الارتقاء

نبأٌ من اليابان

زعماء الامة

لارتقاء الامم شرطان لا بدَّ منهما الاول ان تكون الامَّة مستعدة للارتقاء وليس في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عنهُ والثاني ان يقوم منها اناس ذوو علم وعزم يعرفون كيف يرشدونها في سبل الارتقاء ويقوون على مقاومة العقبات التي تعترضهم فيهِ. وقد ابنا في الفصول السابقة ان الشرط الاول كان متوفرًا للامَّة اليابانية لان ليس في شرائعها وتقاليدها ما يمنعها من الاقتداء بغيرها من الامم المرتقية . والثاني كان متوفرًا ايضاً لان امبراطورها رجل عاقل غيور يعرف مصلحة بلادهِ ويودُّ إسعاد رعيتهِ وحولهُ عصبة كبيرة من رجال الفضل والنبل استعدوا لمناصبهم بالدرس في اعظم المدارس الاوربيَّة والاميركيَّة وعادوا الى بلادهم وترقيتها نصب عيونهم والغرض الذي يرمون اليهِ

قال المستر ستد انهُ زار هؤُلاء الرجال في بيوتهم وحادثهم طويلاً ووقف على آرائهم وهم سبعة البارون شبوساوى والكونت اينوي والكونت اوكوما والشريف صدزوكا والمركيز يماغاتا والكونت متسوكاتا ورئيسهم الاكبر المركيز ايتو الذي قال عنهُ احد رجال اليابان "انهُ الرجل الذي تمثلت فيهِ بلادنا في حاضرها ومستقبلها والزعيم الذي تتجه اليهِ انظار كل الاحزاب متى وقعت البلاد في شدَّة سواء كان في الوزارة او خارجاً عنها"

المركيز ايتو

هو زعيم الامَّة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجاً عنهُ . ومن حين أُلفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسماً لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيساً لها فاول شيءٍ يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارتهِ . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامَّة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر طعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامَّة ويعدهُ صديقاً حميماً لهُ وهذا يزيدهُ رفعةً في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الاَّ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو ببسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تماماً بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأت من لا شيءٍ تقريباً وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى والمركيز

ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمرهِ وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلادهِ ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمهُ في شؤون بلادهِ فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعيَّة لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلادهِ ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولي عملاً متصلاً بمرفإٍ أُعطي للاجانب ثم جُعل وكيلاً لناظر الماليَّة سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤون الماليَّة فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظرًا لنظارة الاشغال العموميَّة وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة وبقي رئيساً للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٢ فادار رحى الحرب الصينيَّة اليابانيَّة وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضاً سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مرارًا في مهام السلطنة ولا سيما سنة ١٨٨٢ حين اوفدهُ ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفدهُ اخيرًا لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسيَّة

اما انشاؤهُ الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيَّد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنهُ ما ترجمتهُ

"لقد كلفني هذا العمل عناء كثيرًا فانهُ لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننتهُ لازماً للبلاد كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعدهِ حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدسة . وقد قمت بالعمل الذي طُلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعتهُ لبلادي لم تدعُ الحاجة الى تغيير شيءٍ منهُ حتى الآن"

وصرف همهُ الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزبًا سماهُ المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشرهُ على اعضائهِ ما ترجمتهُ " اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشدًا لبلادهِ كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظم نفسهُ تنظيمًا تامًّا وان يخلص الخدمة لبلادهِ وان يتجنب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الاكفاء لكونهم من حزبهِ"

هذا من حيث كونهُ زعيماً سياسيًّا اما من حيث كونهُ رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زارهُ المستر ستد في مصيفهِ قرب توكيو فقابلهُ في القسم الاوربي منهُ لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معهُ في غرفة تطلُّ على جبل فوجياما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات الانكليزية لانهُ كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدم السريع وقال ان كل ما اقتبسناهُ من الاوربيين صبغناهُ بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناهُ قبلهُ كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين اتهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انهُ مسرور لانهُ ليس في بلادهِ ديانة ظاهرة بل فيها قواعد ادبيَّة توجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيماً فهي في غنًى عمَّا في بعض الاديان من الاوهام والخرافات

قال المستر ستد ثم دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غنَّاء تعتني زوجة المركيز بما فيها من الازهار وتقضي اكثر وقتها فيها وسرنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيتهِ ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كلهُ اوربي من افخر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجتهُ . ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدَّ لها من امبراطور حازم والاَّ مزَّقتها الفوضى سنين كثيرة الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار. ومن رأيهِ انهُ لا يمكن اصلاح الجنود الصينيَّة ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولا سيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر دسمبر الماضي وعلى اثر زيارتهِ عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

البارون شبوساوى

البارون شبوساوى ليس من زعماء السياسة ولكن في يدهِ القوة المالية التي تدير السياسة . كان وكيلاً لناظر المالية فاستعفى من منصبهِ ودخل ميدان التجارة ولهُ الفضل الاكبر في تقدم بلادهِ ماليًّا وصناعيًّا . قال المستر ستد انهُ بلغ الثانية والستين من عمرهِ وهو الآن رئيس او مدير لنحو خمسين شركة كبيرة ولهُ اسهم في كل شركة صناعيَّة تنشأُ في البلاد. وقد عُرض عليهِ حديثاً منصب نظارة المالية فرفضهُ لانهُ يقول انهُ يقدر ان يؤثر في الحكومة وهو بعيد عن مناصبها اكثر مما لو كان فيها . ولو رأى ان مصلحة بلادهِ تقتضي ان يقبل وزارة المالية لقبلها ولو اضطرَّ ان يستعفي من كل الشركات التي هو رئيس لها . وهو شديد الغيرة على مصالح

بلادهِ وتقدُّمها بنى كثيرًا من الملاجىءِ للعوزين ووقف الاموال الطائلة على المدارس واعمال البر وهو الذي ادخل نظام الشركات الى بلادهِ

وقد زار اوربا قبل تنظيم الحكومة الجديدة وكان لابسًا اللباس الياباني ومتقلدًا سيفين على عادة اليابانيين فلما وصل الى فرنسا رمى السيفين وخلع اللباس الياباني ولبس اللباس الاوربي وبعث صورتهُ الى عائلتهِ فلما رأتها بكت وانتحبت على ما ألمَّ بها من العار اما هو فلم يعبأ بذلك بل بقي من ذلك الحين في مقدمة الآخذين مأخذ الاوربيين

وهو قصير القامة مملوء البدن محبوب جدًّا في بلادهِ لا يذكرهُ احد الأَّ بالمدح والاطراء

الكونت ايتوي

هو شيخ طاعن في السن لكنهُ شاب في الهمة والاميال تقلَّب في مناصب الحكومة المختلفة ولا يزال مستعدًّا للتقلُّب فيها وقد زار اوربا مع المركيز ايتو واربعة آخرين قبل انتظام الحكومة الجديدة ودرس هناك عوامل المدنية الاوربية وعاد الى بلادهِ ودخل مناصب الحكومة فارتقى فيها سريعًا واتصل بالامبراطور وجُعل ناظرًا للخارجية . ولما رأى ان الدول الاوربية تقاومهُ في وضع رسوم عالية للجمارك استعفى من منصبهِ لانهُ من المعتقدين بان لا بدَّ لارتقاء صناعة البلاد من وضع الرسوم الفاحشة على البضائع الاجنبيَّة . وزار اوربا مرارًا كثيرة وابنهُ سفير الآن لبلادهِ في برلين

وهو مغرم بجمع التحف اليابانيَّة وبيتهُ مملوء من الصور القديمة ومصنوعات النحاس ولهُ ولع شديد بالحدائق وجمع الحجارة البديعة الالوان فيها ويقال انهُ من اكبر الثقات في مسائل اليابان الماليَّة وقد تقلب في اكبر مناصب الحكومة فكان ناظرًا للمالية وناظرًا للخارجية ورئيسًا للنظار

الكونت اوكوما

هذا الكونت من المغالين في الجري على اساليب الاوربيين حتى اتهمهُ اهالي بلادهِ بانهُ يقصد بعهم للاجانب فقام عليهِ احد المتحمسين وقصد الايقاع بهِ فقتل الفرسين اللذين كانا يجران مركبتهُ وسائق المركبة ورماهُ بقنبلة من الديناميت مزقت فخذهُ الايمن لكنهُ بقي حيًّا فبُترت فخذهُ وعاد الى ما كان عليهِ من الانتصار للاجانب ووضع فخذًا صناعية وصار يمشي عليها بغير مشقة كبيرة

وهو مشهور في بلادهِ بانهُ افصح خطيب سياسي وتراهُ يضرب في طول البلاد وعرضها يخطب في المواضيع المالية ويحث الناس على تعليم اولادهم وقدكان ناظرًا للمالية ورئيسًا للنظار

وهو من زعماء حزب التقدُّم ومن اشد اعضائهِ حماسةً . وينتقد عليهِ البعض انهُ كثير الاماني شديد الآمال ولكن امانيهُ وآمالهُ تحققت كلها او اكثرها. ويقول بحرية التجارة فيخالف صديقهُ الكونت اينوي في ذلك ولهُ مقالات كثيرة في المجلات الاميركيَّة مع انهُ لا يعلم اللغة الانكليزية

ولهُ ولع بالتعليم وقد انشأ مدرستين الواحدة لتعليم البنات العلوم العالية والثانية لتعليم الصبيان العلوم العالية ايضاً ويتصل بالمدرسة الثانية دار طباعة تترجم فيها الكتب العلميَّة الى اللغة اليابانية وتطبع فيها. ولهُ بستان قرب المدرسة يُعَدُّ الاول بين بساتين توكيو وهو وزوجتهُ مغرمان بغرس الازهار والرياحين فيهِ ولاسيما السحالب النادرة المثال

وهو والكونت اينوي لا يشيخان ولو علاهما المشيب ولا تفارقهما همَّة الشباب ولاسيما في المسائل الوطنيَّة

الشريف صدزوكا

هو شاب عالي الهمة سائر في سبيل زعماء السياسة وسيكون لهُ شأن كبير في بلادهِ . لم يبلغ سن الكهولة حتى الآن ومع ذلك تربَّع في كثير من المناصب العالية فكان وكيلاً لنظارة المعارف ولنظارة الخارجيَّة وهو اصغر عضوٍ في مجلس الاعيان وقد مُنح هذا الشرف اعترافاً بفضلهِ وكفاءتهِ . درس في المانيا وهو يتكلَّم الالمانية والانكليزية والفرنسوية وقد رافق المركيز ايتو لما كان في اوربا اخيرًا كاتباً لهُ فادهش الذين رأوهُ بذكاء عقلهِ وقوة حجتهِ وتفانيهِ في خدمة رئيسهِ . قال المستر ستد ولا بدَّ من ان تسند اليهِ نظارة المعارف او نظارة الخارجيَّة

الكونت متسوكاتا

هذا الرجل اعظم رجال المالية في حكومة اليابان وقد بقي سنين كثيرة وادارة المالية في يدهِ ولا تزال في يدهِ حتى الآن . والناظر اليهِ يظن انهُ يرى البرنس بسمارك لشدَّة المشابهة بينهما وهو من المعجبين ببسمارك وبغلادستون وعندهُ تمثالاهما . وقد اقام وقتاً طويلاً في فرنسا يدرس نظاماتها المالية وعاد الى بلادهِ في اوائل العصر الجديد فوجد مجالاً واسعاً لاظهار معارفهِ . ولما كانت ادارة المالية في يدهِ اتمَّ عملين عظيمين الاول تحويل الاوراق المالية التي لم تتعهد الحكومة ان تبدلها بالنقود الى اوراق تعهدت بابدالها والثاني جعل الذهب معيارًا للمعاملة . وهو الذي وضع نظام المالية اليابانية على اساس متين ولولاهُ ما استطاعت البلاد ان تنجو من العسر المالي وقت الحرب مع الصين . وقد كتب في مالية اليابان وفي الاعتماد على الذهب معيارًا للمعاملة وكتابتهُ في هذين الموضوعين تدل على علم واسع ورأي اصيل وهو من شيوخ الساسة المقربين من الامبراطور

المركيز ياغاتا

هو مرشال في الجيش الياباني وقد جاوز السادسة والستين من عمرهِ ولكنهُ لم يزل منتصب القامة مملوءًا قوةً ونشاطاً بوجه باش وعينين برَّاقتين حسن البزَّة كما يكون القوَّاد الاوربيون عادةً وهو من اكبر رجال السياسة عند اليابانيين ويظن البعض انهُ اكبرهم كلهم وقد كان رئيساً للنظار اكثر من مرة وهو الذي ادخل نظام الجندية الحالي الى اليابان ويقال انهُ من اعلم الناس باحوال الصين وبما يلزم لاصلاحها

وقد لقي اشد المقاومة لما ادخل نظام القرعة العسكرية الى بلادهِ لان الجمهور كان يعتقد انهُ يستحيل الجمع بين ابن التاجر وابن الفلاح لكن قمع الثورة الوطنية والتغلُّب على الجنود الصينية اثبتا انهُ اصابَ كبد الصواب في تنظيم الجيوش اليابانية . ثم اثبتت الحوادث الاخيرة في بلاد الصين ان الجنود اليابانية لا تقل عن الجنود الاوربية انتظامًا وكفاءة

وقد كانت لهُ القيادة العامَّة زمانًا طويلاً وهو الآن متنحٍ عن المناصب ولكن افعالهُ الماضية تكسف كل ما فعلهُ او يفعلهُ سواهُ

هذه خلاصة الوصف الذي وصف بهِ المستر الفرد ستد رجال اليابان الذين عاونوا امبراطورها على ايرادها موارد الاسعاد . وصفهم كذلك في كتابهِ الذي نشرهُ في اوائل هذا العام بعد ان زار بلادهم وبحث في شؤُونها . ومن المحتمل ان بعضهم توفُّوا في غضون الشهور الماضية بعد ما نشر كتابهُ او تغيرت مناصبهم او حدث لهم ما يجب ذكرهُ في ترجماتهم لكننا لم نقف على شيءٍ ذلك. وحسبنا من امرهم ما ذكرناهُ فان فيهِ الدليل الواضح على وجود الرجال في المشرق وعلى انهم اذا أُسعدوا بملك يعرف مصلحة امتهِ ويريد اصلاح بلادهِ ولم يكن في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عن الاصلاح ظهرت جواهرهم المخبوءة في نفوسهم وكفتهم ثلاثون سنة لترقيتها من حالة شبيهة بالهمجيَّة الى حالة لم تصل اليها بعض الممالك الاوربيَّة حتى الآن

وقد اوردنا هذه الفصول عن بلاد اليابان لا تزلُّفًا الى اهاليها ولا تفكهة لقراء المقتطف بل عبرةً وذكرى حتى يرى الساعون في اصلاح بلادهم من الشرقيين المثال الذي يليق بهم ان يحتذوهُ في اصلاحها ويرى ولاة الامر خاصَّةً ان الاصلاح غير بعيد المنال اذا شدوا العزيمة لتطلبهِ ولم يكن في العقائد المتسلطة على نفوسهم شيءٌ يبعدهم عنهُ . والاَّ فان بقيت عزائمنا فاترة وبقينا مستمسكين بالسخيف من العقائد الموضوعة التي تمنعنا من توحيد كلمتنا والاقتداء بغيرنا فلن تقوم لنا قائمة

المشي في النار

لبعض الناس اعمال غريبة مدهشة يتخذها دهاتهم سبيلاً للكسب زاعمين انها من الخوارق التي لا يستطيعها الاَّ من أُعطي قوة تفوق قوى الطبيعة ولهُ اتصال بآلهة او اورواح وراء الطبيعة من ذلك مشي بعض الناس في النار او على الحجارة المحماة وهم حفاة الاقدام. وقد جرى ذلك حديثاً في جزائر فيجي امام بعض العلماء احتفالاً بتتويج ملك الانكليز ووصفتهُ جريدة نانشر وصفاً علميًّا وها خلاصة ما ذكرتهُ قالت

ان هذا العمل جرى في جزيرة مبنغا اجراهُ اناس من قبيلة مشهورة بتحمُّل اهاليها للحر الشديد. حفرت حفرة مستديرة في غاب كبير قطرها نحو ٢٠ قدماً وعمقها قدمان وغرزت فيها اوتاد كثيرة أُلقيت عليها سعوف النخل اليابسة واضرمت فيها النار ثم رصفت الحجارة في تلك الحفرة كما ترصف في الاتون وزيد اضرام النار تحتها وفوقها وظلت النار توقد يومين كاملين حتى صارت الحجارة بيضاء متلهّبة من شدَّة حموها كما تصير في اتون الجير (الكلس) وصار يصعب على الانسان ان يدنو منها لشدَّة حموها ولأنَّ الشظايا كانت تنشظَّى منها وتتطاير في كل الجهات. وحينئذٍ اتوا بعيدان كبيرة خضراء طول العود منها نحو عشرين قدماً وبحزم من الاغصان والدوالي الغليظة وربطوا الدوالي في رؤُوس العيدان اناشيط او حلقات وجعلوا يلقونها على جزال الحطب التي لم يتم اشتعالها ويجرُّونها بها من الحفرة وكلما لمست هذه الحلقات او العيدان حجرًا من الحجارة ازَّت واشتعلت حالاً دلالة على ان الحجارة كانت في اشد درجات الحمو . وظلوا يفعلون ذلك حتى لم يبقَ في الحفرة غير الحجارة فجعلوا يقلبونها بحلقات الدوالي المتصلة بالعيدان ويرصفونها بعضها بجانب بعض والحلقات تشتعل كلما اتَّصلت بها مع انها خضراء وهم لا ينفكون عن ابدالها بغيرها الى ان صارت الحجارة على استواء واحد تقريباً وحينئذٍ انتهى عمل هؤلاء الرجال وابتدأ عمل الذين يمشون في النار فخرج عشرة منهم من غابة لابسين ملابس غريبة ونزلوا الى الحفرة حفاة ومشوا على الحجارة مسرعين وداروا حول الحفرة كلها في نحو خمس عشرة ثانية . ورُميت لهم اوراق خضراء في وسط الحفرة فداروا اليها وداسوها وحالما وضعوا اقدامهم عليها ازَّت وخرج البخار منها واكتنفهم حتى كاد يحجبهم عن الابصار

وفحص احد الاطباء واحدًا منهم قبل نزولهِ الى الحفرة فوجدهُ صحيح البدن ضربات نبضهِ تسعون في الدقيقة ويداهُ وقدماهُ ابرد من سائر بدنهِ . وقدماهُ نظيفتان لا رائحة فيهما ولا

يظهر انهُ عالجهما بشيءٍ من الاشياء واخمصاهما ايضاً الى الصفرة صقيلان لينان جداً كانهما من جلود الجداء

وكان هؤلاء الرجال لا يرفعون نظرهم من الحجارة وهم يمشون عليها. وفُحص واحد منهم بعد خروجهم من الحفرة فاذا ضربات نبضهِ ١٢٠ في الدقيقة واخمصا قدميهِ باردان وباطنتا رجليهِ سخنتان كأنهُ مصاب بحمَّى شديدة وكان لابساً مئزراً محوكاً من لحاء الاشجار وخلخالين منها ايضاً فلم تفعل بها النار ولا فعلت بشعر ساقيهِ . وداس الطبيب بعض تلك الحجارة بجزمتهِ فلم تسوَدّ جلدها مع انها كانت حامية جداً لا تلمس . وطلب من احد الحضور ان يخرج لهُ حجراً منها ولم يكن من الذين مشوا عليها فاخرج لهُ حجراً بقدمهِ ولكنهُ لم يستطع لمسهُ بيدهِ

وقد علّل الطبيب ذلك بان الحجارة من النوع المعروف بالاندسيت وقد وُجد بالامتحان ان سير الحرارة في هذه الحجارة بطيءٌ جداً فاذا حُسب سيرها في النحاس الفاً فسيرها فيها اقل من سبعة اي ان ايصالها للحرارة ضعيف جداً . واما اشعاعها للحرارة فكثير لانهُ اذا كان اشعاع الحديد مئة فاشعاعها ٤٨ ولذلك فالسطح المعرَّض منها للهواء يبرد ولو قليلاً والحرارة الباقية فيهِ لا تصل الى القدم بسرعة اذا كانت القدم تمسهُ لحظة من الزمان لان هذه المدة غير كافية لانتقال مقدار كبير من الحرارة من الحجر الى القدم

وخلاصة ذلك ان الحجارة المحماة يمكن دوسها بالاقدام ولو لم يكن لمسها بالايدي ممكناً لان شعور الاقدام بالحرارة اضعف من شعور الانامل بها. ثم انهُ اذا كان الجسم غير موصل للحرارة كالماء وبعض الحجارة سهل لمسهُ ولو كان حاراً لان الحرارة لا تنتقل منهُ الا ببطءٍ مثال ذلك انك تستسهل لمس الماء السخن ولو كان غالياً ولكنك لا تستطيع ان تلمس الاناء الذي فيهِ ذلك الماء اذا كان من النحاس او الحديد لان الحرارة لا تنتقل من الماء الى يدك بسرعة ولكنها تنتقل بسرعة من النحاس والحديد . ولذلك فالمشي على الحجارة المحماة ليس من الخوارق ولو كانت الحجارة شديدة الحمو اذا كان المشيُ سريعاً

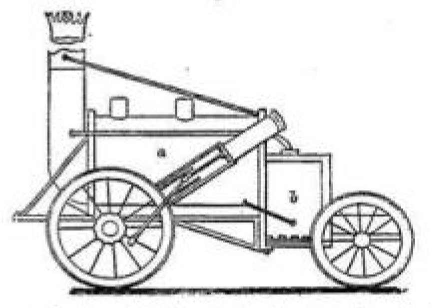
هذا وبلغنا عن اناس يأكلون الجمر ويقضمون الزجاج ولا ينالهم مكروه ولم نسمع ان احداً بحث في ذلك بحثاً علمياً ولكن لا شبهة عندنا في ان هذه الافعال وامثالها اذا تولى البحث عنها عالم محقق لم يجد فيها شيئاً من الخوارق بل وجد انها جارية على مقتضى بعض النواميس المعروفة كناموس انتقال الحرارة في الاجسام وقد يجد انها جارية على مقتضى ناموس غير معروف كناموس اشعة رنتجن ولكنَّ هذا بعيد الاحتمال جداً

———

القاطرات ومخاطر سوقها

رأينا بالامس قاطرة اميركية من القواطر التي احضرتها الحكومة المصرية من معامل الولايات المتحدة الاميركية . رأيناها تئز وتزفر متحفزة للسير بقطار الصباح وهو كثير المركبات مشحون بالركاب والبخار يتململ فيها من شدة الحرارة ولا يجد له منفذاً الا من مصراع السلامة فيفتحهُ بقوة انتشاره ويخرج منهُ بزفرات متتابعة تصمّ الآذان ولو احسن الوقّاد عملهُ لفتح لهُ باباً آخر وارسلهُ الى مخزن الماء حيث تحفظ قوتهُ من الضياع

وقد رأينا القواطر الاميركيَّة الكبيرة في معرض باريس والقاطرة منها مضاعف القاطرة التي رأيناها امس وهي ليست اكبر ما صُنع من نوعها. والقاطرة من قواطرنا تسير باسرع قطاراتنا ٣٧ ميلاً في الساعة واما القاطرة من قاطراتهم فتسير ٧٥ ميلاً في الساعة اي ان سرعتها



مضاعف سرعة قاطراتنا . الى هذا الحد بلغ اتقان القاطرات في نحو سبعين سنة فقد كانت في اول عهدها صغيرة بسيطة كما ترى في هذا الشكل وهو صورة القاطرة الاولى التي صنعها ستفنصن منذ ثلاث وسبعين سنة ولم يزل الرجل الذي اجراها حينئذٍ حيًّا يرزق وكان حين اجراها فتًى في الرابعة من عمره

قلنا ان سرعة القطرات المصرية لا تزيد الآن على سبعة وثلاثين ميلاً في الساعة وحينما امتحنت قاطرة ستفنصن منذ ٧٣ سنة كان المظنون ان سرعة القاطرات لا يمكن ان تزيد على عشرة اميال او اثني عشر ميلاً في الساعة ومدّت حينئذٍ سكة حديدية بين لفربول ومنشستر طولها ٣١ ميلاً وعيَّن اصحابها جائزة خمس مئة جنيه للقاطرة التي تجري عليها بسرعة لا تقل عن عشرة اميال في الساعة وتجرُّ من المركبات ما هو اثقل منها ثلاثة اضعاف على الاقل فتقدَّم ثلاث قاطرات للمباراة في هذا المضمار احداهنَّ قاطرة ستفنصن واسمها الركت ففازت

بالسبق لان متوسط سرعتها كان ١٥ ميلاً في الساعة واعظمها ٣٥ ميلاً . فانظر مقدار ما ارتقت اليهِ هذه الآلات في ايدي ارباب العلم والصناعة

ولقد اعتدنا ان نلوم مديري السكك الحديدية كما حدث خلل في قطراتهم كأن الرجال الذين يسوقونها يعبثون بحياة الركاب لمجرَّد الفكاهة او التسلية وننسى ان هؤلاء الرجال اشد تعرُّضاً للخطر من كل راكب في القطرات وانهُ اذا لم يدفعهم الى الحذر التام الاَّ حبُّ السلامة فكفى بهِ دافعاً يزيد تأثيرهُ في نفوسهم على كل مراقبة وانتقاد. وهؤلاء الساقة ليسوا من ارباب الاقلام حتى يدافعوا عن انفسهم الاَّ اننا عثرنا الآن على مقالة وجيزة كتبها المسيو اوجن ردلُف سائق اكسبرس الشمال الذي يجري بين باريس وكاله ذكر فيها بعض المخاطر التي يتعرَّض لها الساقة فرأينا ان نلخص منها ما يلي قال

مضى عليَّ الآن عشرون سنة وانا اسوق قطرات تقطع ١٢٠ كيلومترًا في الساعة (٧٥ ميلاً) وهي تقطع هذه المسافة الآن ولو كانت الطريق صاعدة مع ان ثقل القطار ٣٧٥ طناً وكنا لا نقطعها بها قبلاً الاَّ اذا كانت الطريق نازلة

والمخاطر التي تمرُّ بنا كل يوم تفوق الوصف ولو كنا نوجس منها لكنَّا نطلِّق هذه الحرفة بتاتاً لاسيما واننا نعلم ان سلامة جمٍّ غفيرٍ من الناس متوقفة علينا وهذا الخاطر لا يفارقنا لحظة من حين تشرع القاطرة في المسير الى ان تصل الى المحطة. واقل اهمال يوردنا ويورد كل من معنا موارد الهلاك ولاسيما اذا كان القطار نازلاً. وكثيرًا ما تسير المواشي على الخط فاذا لم يرَها السائق ولم يتمكن من ايقاف القطار قبل الوصول اليها فقد تخرجهُ من الخط فيرد حتفهُ هو وكثيرون من الركاب

على مقربة من باريس سرب قصير ضيق مظلم تمر سكة فيهِ وسكة فوقهُ . وحدث منذ مدة اني وصلت اليهِ وكان قطار آخر سائرًا فوقهُ فناداني السائق قائلاً قلل سرعتك فاستغربت نداءهُ ولكنني قلت في نفسي ان لا بدَّ لهُ من سبب فقللت السرعة ولما خرجت من السرب رأيت امامي بقرة واقفة في منتصف الطريق ولو لم اسمع نداءهُ وبقيت مسرعاً لانقلبت القاطرة والقطار

والضباب من الد اعدائنا فان سائق الاكسبرس يقطع ميلاً او اكثر في الدقيقة ولابدَّ لهُ من ان يعتمد على الاشارات التي ترفع لهُ وهو قد لا يراها حينئذٍ على ابعد من متر فلا يتبيَّن ما هي حتى يكون قد ابعد عنها امتارًا كثيرة واذا لم يرَها جهل موقعهُ ومصيرهُ وقد يصير الى الهلاك بسرعة البرق

واشد ما لقيتهُ في حياتي اني قمت مرة من مدينة كاله في الساعة الاولى بعد نصف الليل وكان المطر غزيرًا والظلام حالكًا وكنا نسير بسرعة خمسين ميلاً في الساعة فمررنا بقطر بضاعة آتيًا من باريس وجزناهُ حالاً وبعد قليل سمعت صريفًا مخيفًا فبادرت الى انبوب البخار (النفَس) وقطعتهُ لكن القاطرة وثبت عن الخط وتدهورت عن الجسر الذي تحتهُ وكان ارتفاعهُ عشرين قدمًا فوقعت على ظهرها وغرزت مدخنتها في الارض وارتفعت عجلاتها في الهواء ولحسن الحظ لم ينفجر الاظان بل تفرَّغ ماؤُهُ من صمام السلامة. وارتميتُ انا والوقَّاد على بعد من القاطرة واصابنا الماء السخن فسلقنا ولكنهُ لم يقتلنا ولما افقت ممَّا اصابني كان اول خاطر خطر لي ان لا بدَّ من ان تصل قطرات أُخرى وتصطدم بقطارنا فتتكسر وتكسر ما بقي من مركباتنا فجمعت ما بقي فيَّ من الرمق وهرولت الى اقرب مكان فيهِ رقيب واخبرتهُ بما جرى ليرفع الاشارات الى القطارات الذاهبة والراجعة حتى تتقي الخطر

ثم عرفت ان سبب ما اصابنا كرة من الحديد وقعت على الخط من قطار البضاعة الذي مررنا بهِ وبقي تأثير تلك الوقعة في ذهني حتى صرت انزعج لاقل حركة. وبعد ان شفيت ممَّا اصابني من الرضوض ركبت القطار المتفجر الذي يسير بين باريس وكاله فلما وصلت الى المكان الذي جرت فيهِ الحادثة المذكورة لم اتمالك من ان التفت اليهِ لامعن نظري فيهِ فاطار الهواء قبعتي. وكان الوقَّاد اشد مني اضطرابًا وحدث ان لولبًا انكسر حينئذٍ فامتقع واخذ يرتجف كالقصبة وهو يحسب اننا وقعنا في مهلك آخر

ومن المخاطر التي مرَّت بي اني كنت مرةً في محطة الشمال بباريس وكنت آخذًا القاطرة الى المخزن ووقفت عند مفترق الطريق منتظرًا المفتاحجي ليفتح لي الطريق المؤدية الى المخزن واذا انا باكسبرس ليل مسرعًا نحوي وفي اقل من طرفة عين وثبت من القاطرة وخطفت القنديل الاحمر واسرعت الى ملاقاتهِ ووقفت انادي السائق باعلى صوتي كالمجنون والوّح لهُ بالقنديل ولحسن الحظ رأى السائق القنديل واوقف الاكسبرس على خمسة امتار من قاطرتي فعدت اليها وقد بللني العرق وانا انتفض كالعصفور بللهُ القطر

حقًّا ان مخاطر ساقة القطرات تفوق الوصف وقد يختلُّ شعورهم من شدَّة ما يلاقونهُ من الاهوال ولكنهم اذا وضعوا يدهم على القاطرة فجرت تسابق الرياح شعروا بانشراح لا يفوقهُ انشراح

هذا قليل ممَّا يقولهُ كل سائق من سائقي القاطرات وما يقولهُ كلُّ وقَّاد ومفتاحجي وهؤُلاء اشدُّ تعرُّضًا للمخاطر من كل احد وكثيرون منهم يلاقون منيتهم في حال قيامهم بما يُطلب منهم فليس من الانصاف تشديد اللوم عليهم

البيسكل وتاريخهُ

من المخترعات ما لا يتجاوز نفعهُ حدَّ التفكُّه بهِ كالفونوغراف مثلاً ومنها ما يرتقي على مرّ السنين فينمو ويتسع ويصبح من الحاجيات لما في استخدامهِ من الاقتصاد في الوقت والقوَّة اللذين لهما الشأن الاكبر والمقام الاوَّل في حضارة كل قوم . ومن هذا القبيل البيسكل (او الدراجة) فقد ظهر منذ زمن قصير بمظهر لم يكن اعظم انصارهِ حينئذٍ يحسبهُ فاتحةً للارتقاء الذي اصابهُ بتوالي الزمان فيصير في مقدمة المخترعات المستخدمة في قضاء الاعمال كما هو الآن

والبيسكل كما نراهُ اليوم حديث العهد بالوجود لكنهُ جرى شوطاً بعيداً من الارتقاء والاتقان في زمن قصير شأن غيرهِ من المخترعات المفيدة كالتلغراف والتلفون والآلة البخارية فتناولتهُ ايدي ارباب القرائح والهمم العالية تحسيناً وتبديلاً وافرغ الصنَّاع عنايتهم في اتقانهِ حتى انزلوهُ في المنزلة العليا بين المصنوعات فاصبح مثالاً في الدقة والكمال الميكانيكيين كما يتضح لمن يتأمل اجزاءهُ الدقيقة وينعم النظر في حسن صنعها وخفتها ومتانتها

اما تاريخ نشأتهِ وسيرهِ فيقال فيهِ اجمالاً انهُ وُلد في فرنسا وبلغ اشدَّهُ في انكلترا واعتزَّ شأنهُ في اميركا بلاد العجائب والغرائب . اما كيفية نشوئهِ وزمان ظهورهِ فلا يزالان غامضين شأنهما في سائر المخترعات الكبيرة وقد زعم بعضهم ان البيسكل اخترع في القرن الخامس عشر لكن المتفق عليهِ عند الباحثين عن اصلهِ ان الموسيو دي سفراك الفرنسوي عرض في باريس في اوائل القرن التاسع عشر آلة سماها سلريفير (الرجل السريعة) وهي مصنوعة من عجلتين من الخشب بينهما شبه مقعد من الخشب ايضاً يجلس عليهِ الراكب فتطأ رجلاهُ الارض وتدفعان الآلة فتدور العجلتان اما تحويل وجهة السير فيتمّ بادارة مقبض متصل بالعجلة الامامية

ونحو ذلك الوقت صنع البارون ڤون دراي مركبة أُخرى لكنها كانت كسابقتها ثقلاً وبطوءًا وكلتاهما لا تفي بالغرض المطلوب . وفي سنة ١٨٥٥ صنع ميشو من صانعي المركبات في باريس مركبة من هذا النوع حوَّر فيها التركيب المألوف فوضع "الركبة" الاولى على العجلة الامامية ففتح بذلك باباً كبيراً للاتقان لان جميع ما تلا هذا الوضع من التحسين والتبديل في اشكال البيسكل التي ظهرت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر كان مدارهُ على مبدإ "الركبة" و "الدواسة" ثم قام لالمان الفرنسوي فاحدث بعض الاصلاح في مركبة ميشو وفي سنة ١٨٦٦ سافر الى الولايات المتحدة وصنع فيها آلة سماها الفيلوسبيد (الرجل السريعة) ولم يكن اسم البيسكل معروفاً بعدُ

وفي سنتي ١٨٦٦ و١٨٦٧ شاع ركوب الفيلوسبيد بين اهل فرنسا لاسيما كبارهم اقتداء بالبرنس امبريال ابن الامبراطور نبوليون الثالث فكثر الطلب على هذه المركبات في اوروبا واميركا لكنَّ المناظرة كانت محصرة في التفنن في الركوب لا في سرعة جري المركبات وكان سراة باريس يذهبون الى الاوبرا راكبين الفيلوسبيد لكنَّ ذلك لم يطل فلم يعد الناس يحفلون بهِ لخشونة مركبهِ وقبح شكلهِ فتنوسي امرهُ وانقضى أجلهُ كأنهُ بعض ازياء باريس الكثيرة الانتشار القصيرة الاعمار

وكان بعد ذلك ان الانكليز اهتموا بهذه الآلة اهتماماً شديدًا فصنع واحد منهم اسمهُ توماس همبر مركبة في سنة ١٨٦٩ وجعل العجلتين متماثلتين شكلاً وحجماً وصنع غيرهُ آلة أُخرى على طرز جديد فالعجلة الامامية فيها اكبر جدًّا من الخلفية وكانوا يسمون هذه المركبة "بالعادية" وظلَّت شائعة نحو عشرين سنة واستعملت على قلَّة في مصر والشام . وبلغ من شغف الانكليز بالبيسكل بين سنتي ١٨٧٠ و١٨٨٠ ان معاملهُ انتشرت في انحاء بلادهم وكثر المصنوع منها

لا ريب في ان الاميركيين أقرب الامم الى تناول المفيد والانتفاع بهِ مجرَّدًا عن مصدرهِ لكنهم لم يجروا على هذا الحكم في امر البيسكل فلما عرضت بعض مركباتهِ عليهم في معرض فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قابلوها بالاعراض وقد يستغرب القراء ذلك منهم ويزيد استغرابهم اذا علموا ان الولايات المتحدة تنفق الآن على هذه المركبات اكثر من مئة مليون ريال في السنة او عشرين مليون جنيه حتى صارت صناعة البيسكل من اوسع الصناعات الاميركيَّة واعظمها شأنًا كل ذلك جرى في خلال عشرين سنة وقد بلغ من اعجابهم بهِ منذ بضع سنوات ان كبارهم وصغارهم رجالاً ونساء كانوا يستخدمونهُ في قضاء الحاجات والنزهة في الاقامة والحضر حتى لما اضرب عمال الترامواي في فيلادلفيا عن العمل وكان العام شديد البرد جعل النساء يركبنَ البيسكلات الى السوق فيقضين حوائجهنَّ اما الرجال والنساء المستخدمون في المحالّ التجاريَّة والمصانع والمعامل والحكومة فكانوا يركبون البيسكل جميعاً في الذهاب الى اماكن عملهم وفي الاياب منها . وقد كثر الآن استعمال الاوتوموبيل واتخذهُ كبراء القوم بدل البيسكل

ومما فعلهُ الاميركان من اصلاح البيسكل التبديل في تركيبهِ فاستعيض من العجلة الكبيرة الامامية بعجلة اصغر منها وأُخر السرج عن مكانهِ وغيّر شكل المقبضان واوضاعهما حتى يتيسَّر للراكب تسيير العجلة بقدميهِ بعد ان أُبعد السرج عن "الدوَّاستين"

وفي سنة ١٨٨٣ اخذت يد الصناعة والاجتهاد تدخل التغيير والتحوير في البيسكل فجعلت

الهيكل خماسياً بعد ان كان مربعاً او كثير الاضلاع اذ اتضح لصانعي البيسكل ان الشكل الخماسي امتن تلك الاشكال واقلها نفقة

وكان من جملة اسباب النقص في البيسكل ارتجاجهُ اثناء سيره بحيث يرتج جسم الراكب فيصيبهُ عناء شديد فانصرفت همة المخترعين الى تخفيف هذا الارتجاج او منعهِ وكان في ارلندا طبيب بيطري اسمهُ دنلوب فشكا اليهِ ابنهُ ذات يوم ما يلاقيهِ من العناء في ركوب بيسكلهِ بسبب الارتجاج فخطر للأب ان يصنع اطاراً مجوفاً من الكاوتشوك يملأهُ بالهواء المضغوط وامتحن ذلك فوفى بالغرض فذاع اكتشافهُ في الخافقين واقبل الناس على الاطارات المجوفة اي اقبل حتى صار المطلوب منها يتجاوز الملايين ولا تزال هذه الاطارات تنسب الى صانعها الاوَّل الاَّ ان راكبي البيسكل كانوا يشكون من سرعة عطب هذه الاطارات لسهولة ثقبها فحاول بعضهم ان يستبدلها باطارات الكاوتشوك المصمت فلم يفلح لقلة اقبال الناس عليها بسبب ضخمها وثقلها

وتصنع الاطارات المجوَّفة على شكلين امَّا الاوَّل فانبوب واحد بهيئة "خرطوم" الماء فاذا ثقب اضطرَّ الراكب الى سدّ الثقب وامَّا الآخر فانبوبان الظاهر منهما ثخين متين والداخل دقيق فاذا ثقب هذا وهو اسرع الاثنين عطباً لرقتهِ نزع من مكانهِ ولُحِم ما تمزق منهُ

ومن ضروب التفنن في صنع البيسكل ما فعلهُ الاميركان سنة ١٨٩٣ من استبدال اطار العجلة الصلب (الفولاذ) الذي يلي اطار الكاوتشوك باطار من الخشب لامتياز هذا على ذاك في الخفة ولتساويهما في المرونة والمتانة

ومن غريب امر البيسكل ان التفنن في اتقانهِ كان بطيئاً في اول العهد سريعاً في السنوات الاخيرة فترى كل يوم شيئاً من التحسين والتبديل في بعض اجزائهِ. وقد لا يخطر على بال القراء ما يقتضيهِ صنع اجزائهِ وتركيبها من المهارة الميكانيكية والدقَّة في اختيار احسن المواد والعناية في إحكام ربط هذه الاجزاء الواحد بالآخر حتى تجمع الآلة بين خفَّة الوزن والمتانة وسهولة الحركة وقلة الاحتكاك والتوازن وهي مطالب تستدعي اشد العناية والحذق الميكانيكي

امَّا سرعة سير البيسكل فتفوق سرعة سائر المراكب ما خلا الآلة البخاريَّة فقد قطع بعض راكبيهِ ميلاً واحداً في دقيقة واحدة وعشرة اميال في ٢٠ دقيقة و٢٩ ميلاً في ساعة واحدة و٥٢٩ ميلاً في اربع وعشرين ساعة ومن هؤلاء الركاب من طاف بلاداً باسرها او قطع قارَّات على بيسكلهِ

ولبعضهم مهارة وتفنن في اشكال الركوب فمنهم من يقف على السرج والمقبض او على

السرج فقط او يركع عليهِ كل ذلك والبيسكل مسرع في سيرهِ ويركب بعضهم على العجلة الخلفية وينزع العجلة الامامية ويرفعها بيدهِ او يفعل ذلك وينزع العجلة الامامية ويفكك اجزاءها وهو سائرٌ على العجلة الخلفية فقط وقد يسير بالبيسكل الى الوراء او يقلب البيسكل ويقف على الدواستين ويدير العجلتين كذلك او يركب العجلة الكبرى المعروفة "بالاعتيادي" ويوازن نفسهُ عليها "بالدواستين" فقط وكان احدهم ينقر على العود وهو كذلك او يحمل رجلاً على كتفيهِ وهذا يحمل آخر الى غير ذلك من ضروب التفنن في الركوب حتى اقد يخال الناظر ان الراكبين من مهرة السحرة

وبين ركاب البيسكل كثيرون من الملوك والامراء والحكام وكبار رجال العلم والأدب وقد انشأت بعض الدول فرقاً من جنودها تسير راكبة البيسكل فتسبق الفرسان

وللبيسكل جرائد خاصة بهِ وهي تبحث عن الطرق الملائمة لراكبيهِ والمتنزهات والبقاع الجميلة التي تحسن زيارتها فتصف كيفية الوصول اليها وتعيّن الفنادق الواقعة على الطرق حيث يمكن لراكبي البيسكل ان يجدوا فيها الطعام واسباب الراحة وتنشر اعلانات صانعي هذه الآلات وتطرف قراءها باخبار البيسكل وراكبيهِ وتطلعهم على ما يجدُّ من اتقانهِ وتحسينهِ لكن صانعي الاتوموبيل ناظروا صانعي البيسكل في ذلك كلهِ

والخلاصة ان البيسكل اليوم من خير الوسائل المستخدمة للاقتصاد في الوقت والقوَّة والمال فضلاً عن نفعهِ للصحة اذا اعتدل في ركوبهِ اذ الافراط في ذلك مجلبة للضرر لا سيما للذين يشكون من العلل القلبية والصدرية

شركة العمَّال

خطر لجماعة من العمَّال منذ خمس وخمسين سنة ان يتعاونوا على ما ينجيهم من مخالب الباعة الذين كانوا يبيعونهم لوازم المعيشة باثمان باهظة وكان ذلك في معمل بضواحي مدينة ليدس ببلاد الانكليز فاجتمع سبعة منهم ونشروا منشوراً في ٢٥ فبراير (شباط) سنة ١٨٤٧ قالوا فيهِ انهم لقوا الامرَّين هم وعيالهم من غلاء ثمن الدقيق ورأَوا ان لا بدَّ لهم من ان يبذلوا جهدهم لمقاومة طمع التجار ودفع الحيف عن انفسهم وقد ارتأَوا ان يجتمعوا ويكتتب كل واحد منهم بمبلغ لا يزيد على جنيه يدفعونهُ اقساطاً اسبوعية ويستأجروا بالمبلغ الذي يجمعونهُ بهذا الاكتتاب مطحنة يشترون منها طحينهم وهم يتوقعون ان يبلغ عدد المكتتبين الفاً من العمَّال

ولم يمضِ شهران على نشر هذا المنشور حتى اكتتب ١٠٢٣ من العمال دفع كل منهم خمسة غروش ابتداءً وفي غرة اكتوبر من تلك السنة صنعوا الخبز من الدقيق الذي طُحن في مطحنتهم واجتمعوا كلهم في محفل حافل واكلوهُ معاً مسرورين وكان الدقيق اسمر دون الدقيق الذي يباع في السوق لوناً وطعماً لكنهم اصلحوهُ رويداً رويداً حتى صار مثل اجود انواع الدقيق ورخَّصوا ثمنهُ فاضطرَّ باعة الدقيق ان يرخصوا ثمن دقيقهم مجاراةً لهم . ولم تمضِ ثلاث سنوات على اعضاء هذه الشركة حتى بلغ ربحهم من هذه المطحنة اكثر من عشرة آلاف جنيه

وكانت الحكومة تمنع الشركة من بيع دقيقها لغير اعضائها لئلاَّ تضرَّ بالتجَّار ثم سمحت لها سنة ١٨٥٢ ان تبيع من تشاء فصارت تبيع كل اسبوع بالف ومئتي جنيه

وسنة ١٨٥٦ قرَّ قرار اعضائها على توسيع اعمالها وبيع كل اللوازم من طعام وشراب وكساء فبلغ رأس مالها بعد اربع سنوات نحو خمسة عشر الف جنيه وبلغت قيمة ما باعتهُ تلك السنة سبعين الف جنيه . ثم زاد رأس مالها على حاجتها حتى اضطرَّت ان تردَّ بعضهُ الى الشركاء وجعلت البيع كلهُ نقدًا فاقتدى بها غيرها من الباعة فتغيَّر اسلوب البيع والشراء من ذلك الحين. وزاد عملها اتساعاً حتى صارت ارباحها السنوية تبلغ عشرة آلاف جنيه فرأَت ان تنفق هذا الربح الوافر في بناء البيوت الصحية للشركاء . ولمَّا مضى عليها خمس وعشرون سنة من حين تألفت ارتكبت خطأً فاحشاً عاد عليها بالخسران وهو انها اشترت منجماً كبيرًا من مناجم الفحم الحجري فاضاعت كل النقود التي دفعتها ثمناً لهُ لكنها تعلمت من ذلك ان لا تخاطر في عمل لا تعلمهُ

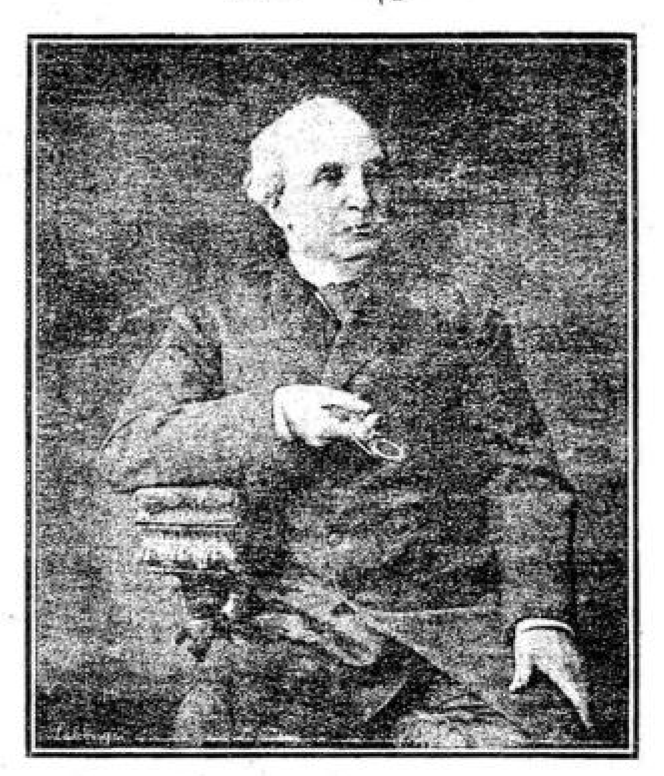
وعادت الى توسيع مخازنها وتكثير عددها واحترقت مطحنتها الاولى سنة ١٨٨١ فبنت مطحنةً غيرها اكبر منها كثيرًا وفتحتها باحتفال عظيم اظهرت فيهِ ثروتها واتساع اعمالها فانضمَّ الى الاشتراك فيها حينئذٍ الف عضو زاد بهم رأس مالها ثمانية آلاف جنيه في يوم واحد

وسنة ١٨٩٢ اهتمت بالزراعة ايضاً حتى تكون كل حاجياتها مما ينتجهُ اعضاؤُها فزادت اعمالها زيادة بالغة وقد بلغت قيمة البضائع التي باعتها هذه السنة ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ الصافي من ارباحها اكثر من مئتي الف جنيه بعد ان دفعت ربا رأس المال وما يلزم للاستهلاك

فمن مطحنة صغيرة اقيمت سنة ١٨٤٧ نشأ ثمانون مخزناً كبيرًا وما يلزم لها من المطاحن والمخابز والمسالخ والحقول وكلها خاصة بالعمَّال الذين اشتركوا في هذه الشركة وزد على ذلك انها بنت لاعضائها سبع مئة بيت وساعدت غيرهم على ابتياع البيوت وتفرَّع منها ثلاثة عشر فرعاً فيها ١٥٠٠ من المستخدمين تبلغ رواتبهم السنويَّة ٧٥٠٠٠ جنيه ولها الآن ١٢

مخزناً من مخازن الفحم الحجري وعشرون مركباً وسبعون مركبةً من مركبات سكك الحديد لنقل بضائعها . وعدد اعضائها الآن اربعون الفاً وقد ردَّت لهم الاموال التي دفعوها مراراً كثيرة لوفرة ارباحها

سليم ده نوفل



يمسك المنشئ القلم ويخط بضع صفحات يثبت فيها ما يعلمهُ عن موضوع من المواضيع او ما اقتبسهُ من غيره نقلاً او ترجمةً او تلخيصاً وينشرهُ في رسالة او جريدة وهو لا يدري ما يكون لهُ من الاثر نفعاً كان او ضرراً. ولو تتبعت آثار ما يُكتَب وينشر كل يوم في البلدان المتمدنة لرأيت نصف افعال الناس وآرائهم ناتجاً عمَّا يقرأُون والنصف الآخر عن سائر ملابساتهم

منذ سبع وثلاثين سنة كنَّا نطلب العلم في مدرسة عبيه وكانت العادة المتبعة هناك ان

يقف واحد من التلامذة وقت الغداء ويتلو فصلاً من كتاب علمي او ادبي على سماع التلامذة حتى لا يضيع وقت الاكل في الاحاديث الفارغة ولا في الصمت على غير جدوى لانهُ لا يعسر على العقل ان يشتغل ويعي وقت تناول الطعام وقبل ان تشرع المعدة في الهضم . وكانت الحوادث التي حدثت في سورية سنة ستين قد حرَّكت عواطف الشفقة والحنان في اهالي اوربا واميركا فبعثوا بالبعض من فضلائهم لاقامة المدارس في بيروت وتعليم الاولاد الذين نُكبوا بوالديهم فاجتمع من معلميها وتلامذتها ومن الشبان الذين تلقوا العلوم في مدارس لبنان واضطرتهم حوادثهُ الى سكن بيروت جماعة الفوا جمعيةً علميةً كانوا يتلون فيها الخطب والمقالات العلميَّة ومن تلك المقالات مقالة طبيعيَّة لنقيد علماء الشرق سليم نوفل سمعناها حينئذٍ تتلى على المائدة فتاقت نفوسنا الى المزيد من المعارف المتضمنة فيها وهي الباعث الاول الذي بعثنا على درس العلوم الطبيعيَّة والتفرُّغ للكتابة فيها . فلمنشئها فضل علينا نذكرهُ لهُ مدى العمر

وهو من مشاهير القرن الماضي وُلد في طرابلس الشام سنة ١٨٢٨ من عائلة وجيهة نشأ منها كثيرون من الفضلاء اخصهم صديقنا المرحوم نوفل افندي نوفل صاحب صنَّاجة الطرب وسوسنة سليمان وسياحة المعارف . وحصَّل ما حصَّلهُ من العلوم الادبيَّة والطبيعيَّة بجدهِ واجتهادهِ وكان كبير النفس عالي الهمَّة يعنى بمصالح بلادهِ الاجتماعيَّة ويناضل عنها وينشر الرسائل ولو لم يذكر اسمهُ فيها حاسباً ان الفائدة متعلقة بالقول لا بالقائل . ودعي الى بلاد الروس في حدود سنة ١٨٧٠ ليعلّم اللغة العربية للشبان الروسيين الذين يستعدون للخدمة السياسيَّة في البلدان الشرقية وارتقى هناك حتى صار من مستشاري الدولة الروسية وترجمان امبراطوريتها واستاذ اللغتين العربية والفرنسوية والفقه الاسلامي في قسم اللغات الشرقية بالقلم الاول من اقلام نظارة روسيا الخارجيَّة

وخدم اربعة من القياصرة باخلاص فاكتسب رضاءهم فشملوهُ بانعامهم وكان يحسن عدة لغات تكلماً وانشاء حتى اللغة الحبشيَّة ولهُ مؤلفات كثيرة في الشريعة والفلسفة باللغة الفرنسوية شهد لها العلماء الغربيون فضلاً عن الشرقيين . واشتهر بغيرتهِ على ابناء وطنهِ وسعيهِ الدائم في البلاط القيصري لمساعدة كل شرقي يقصدهُ في حاجة لدى الحكومة الروسية

ادركتهُ المنية في اليوم الثاني من نوفمبر الماضي شيخاً جليل القدر بالغاً اربعاً وسبعين سنة من العمر فطير البرق نعيهُ الى اقاربهِ في طرابلس الشام والاسكندرية وتأخرنا عن نشر ترجمتهِ الى ان ظفرنا بصورة من صورهِ

وكان قصير القامة نحيف الجسم لقيهُ ابننا نجيب صروف منذ سنتين في باريس فرآهُ لا يزال عالي الهمة مهتماً بنشر ما لم ينشرهُ من كتبهِ حتى الآن



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستَختار على المطوَّلة

تاريخ التمدن الاسلامي

حضرة العالمين الفاضلين منشئي مجلَّة المقتطف الغرَّاء

وقفتُ على الجزء الاول من تاريخ التمدُّن الاسلامي الذي وضعهُ حضرة الكاتب الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلَّة الهلال فاكبرتُ اقدامهُ على مثل هذا الموضوع على وعورة مسلكهِ وندرة من نظر فيهِ حتى كتَّاب الغربيين على ان اجتهاد حضرتهِ اشهر من ان يذكر وهو من الفضلاء الذين وقفوا النفس لخدمة العلم والادب فلا غرو اذا لم يحفل بالمصاعب ولم يكترث للمشقات

وقد طالعت كتابهُ بما يستحقهُ من الروية والاعتبار فالفيتهُ حافلاً بالمعلومات النفيسة التي عثر عليها المؤَلف في المظان المتفرقة مملوءا بالحقائق التي تروق مطالعتها فضلاً عما اضافهُ اليها من النتائج التي استخرجها اعتماداً على ما اتضح لهُ من درسهِ وما وقف عليهِ من كتب القوم واخبارهم

ولا يخفى ان الاسلام من العوامل الاجتماعيَّة الكبيرة ولحضارة المسلمين شأن كبير في تاريخ العالم بما احدثتهُ من الأَثر في حضارة غيرهم ممن عاصرهم او جاورهم او جاء بعدهم فالنظر في كيفية نشوء التمدن الاسلامي وارتقائهِ والأَثر الذي اوقعهُ في العالم ليس بالشيء القليل وكلُّ من يميل الى فنّ التاريخ وعلم السسيولوجيا يرتاح الى تتبع ارتقائهِ من اول يوم ظهرت الدعوة الاسلامية الى يومنا هذا لاسيا الشرقيين الذين ظهرت هذه الدعوة بين ظهرانيهم ولا يزال صداها يرنُّ في آذانهم

وقد عني المؤَلف بوصف ذاك التمدُّن وكيفية نشوئهِ والعوامل التي عملت فيهِ ومقدار تأثيرهِ في العمران فجاء على خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام اي ايام كانوا قبائل شتَّى ليس

بينها من الروابط سوى وجودها في بلاد واحدة وفي احوال متماثلة شأنهم الغزو وارتباط الخيل والعناية بالسائمة وتدرَّج في وصف احوالهم حتى بلغ ايام الدعوة فبيَّن استعداد تلك القبائل لتلقيها وتهيوء العصر لظهورها وما خصَّ بهِ ذلك الزمان من قيام رجال أكفاء توفَّرت فيهم شروط السياسة والحكومة كما يكون في كل عصر تقع فيهِ حادثة كبيرة او حركة في الافكار وهو مبدأ جليل في العمران والتاريخ أيَّدهُ الاختبار

ثم اتى على خلاصة تاريخ الدعوة وما رافقها من اضطهاد صاحبها والمعارك التي نشبت بين انصارهِ والمنكرين رسالتهُ الى ان ثبت الاسلام في ايامهِ وايام مَن خلفهُ واعتزَّ شأنهُ في ايام ابي بكر وعمر حتى اذا ما المَّ بخلاصة تاريخ الدول الامويَّة والعباسية والاندلسية والفاطمية اقفل باب الاخبار وولج باب البحث الذي يطلبهُ بعد ان مهَّدلهُ السبيل بوصف ما سبق وضع تلك البناية الكبيرة وكيفية وضع اسسها

والكتاب جامع لكثير مما تهمُّ المطالعين معرفتهُ مبوَّبًا احسن تبويب ومنسقًا احسن تنسيق. وقد يفهم عادة من التاريخ انهُ عبارة عن مجموعة حوادث ووقائع ومواقع وحروب وقيام ملك وموت ملك الخ وليس هذا كل التاريخ وقد احسن المؤلف في انهُ بحث في التاريخ من وجهتيهِ تقرير الحوادث والوقائع وذكر الاسباب والعلل كما ارتأى من يعتمد عليهِ من العلماء وكما استنبط بفطرتهِ السليمة وقد اجاد في ذلك غاية الاجادة لكنهُ اغضى عن امرٍ خليق بالاعتبار فقد ذكر في مقدمة الكتاب انهُ طالع كتب القوم من عرب وافرنج في هذا الموضوع وعدد بعض الكتب التي يشار اليها بالبنان حتى اذا ما خاض عباب البحث اغفل الاسناد في جميع تفاصيل الكلام من مثل الكلام عن مصالح الدول الاسلامية وعلامات الخلافة وشاراتها وولايات الاعمال والوزارة حتى رواتبها والجند وما يختص بهم من ديوان وأعطيات وعدد ورتب ولواء وموسيقى وسلاح وآلات حرب برًّا وبحرًا وبيت المال وما يختصُّ بهِ من الفيء والجزية ثم البريد والقضاء وديوان المظالم

ولو فعل كما فعل صاحب "حضارة الاسلام في دار السلام" لاحسن صنعًا فان ذاك اشار في الصفحة عينها الى المصادر التي استقى منها او كما يفعل المؤلف نفسهُ غير مرَّةٍ في رواياتهِ التاريخية. ولست اقول هذا القول وانا مرتاب في صحة النقل على ان هنالك امورًا استخلصها المؤلف واستنتجها مما قرأهُ واطلع عليهِ فلو اسندها الى مصادرها لتمكن المطالع من مراجعة الاصل فيحكم بنفسهِ في صحة الاستنتاج وعدمها

وهنالك امر آخر لم يبسط الكلام عليهِ البسط الشافي اريد بهِ البحث عمَّا اقتبس العرب عن

الروم والفرس والمصريين بعد ان غلبوهم على امرهم وحلّوا محلّهم والعرب اذ ذاك خلوٌ من المعارف والفنون ولدى الروم زبدة ما ابتكرتهُ قرائحهم وما نقلوهُ عمّن سبقهم من المصريين وغيرهم نعم انهُ اشار الى ما كان من امر ضرب النقود وتحويل الحساب والطراز ونحوها في عرض الكلام عن هذه المواضيع وكان الاجدر بهِ افراد فصل خاص يتضح منهُ ما الذي نقلهُ العرب عن غيرهم حتى اذا ما اتخذ ذاك بمثابة اساس او مقدمة او تمهيد استطاع القارئ معرفة ما انشأهُ العرب انفسهم كما ان سرد الوقائع في التواريخ المعروفة يستدلّ منهُ على مبلغ قوّتهم وبطشهم وانبساط ظل ملكهم في اربعة انحاء المعمور لذلك العهد

قال المؤلف في صفحة ٧٢ " ولما كانت الدولة العباسية اشهرها (اي اشهر الدول الاسلامية) واسبقها الى التمدن فسنجعل ما يأتي من وصف التمدن خاصًا بها على الاكثر " وقد رأيتهُ افاض في الكلام عن كثير من مصالح الدولة والجند لكنهُ اغفل بعض الامور الجديرة بالاعتبار فلم يأتِ على ذكر شيء من تاريخ المعارف في تلك الدولة وارتقائها في عهد افاضل خلفائها مع ان بحثهُ في المصالح يتجاوز ايام العباسيين ولا تنكر عنايتهم بالعلوم والمعارف وامرهم فيها مشهور وهي من عمد الحضارة ولها اليد الطولى في ترسيخ قدم التمدن وبسط ظلّهِ وليتهُ افرز لها فصلاً خاصًا بها بعد الكلام عن القضاء وديوان الانشاء اذ الفرق بين معارف العرب في صدر الاسلام وما بلغوهُ في ايام المأمون عظيم يستحق النظر من وجهتي التأثير في الحضارة والدلالة على مبلغ الارتقاء

ومن المعلوم ان مَن يمعن النظر في بحث او موضوع ما يميل الى ذلك البحث وهذا الموضوع فيعتقد صحة كثير من الامور التي يحتاج اثباتها الى اقامة الدليل فمن ذلك قول المؤلف في صدر الكتاب (صفحة ٩) " وعندنا ان العرب من اكثر الامم استعدادًا للحضارة وسياسة الملك لا يقلون عن سواهم من الامم التي تمدنت قديمًا او حديثًا " فاذا اراد المؤلف متابعة كتّاب السيولوجيا العظام والمؤرخين الكبار وجب عليهِ ان يقول غير هذا القول لان العرب ليسوا كما قال من حيث الاستعداد للحضارة وسياسة الملك كما بيّن ذلك الفيلسوف ابن خلدون في مقدمتهِ وهم في هذين ادنى منزلةً من اليونان والرومان والانكليز والجرمان والفرنساويين واذا شاء ان يقول قولاً جديدًا فعليهِ اثبات صحة قولهِ بالدليل المقنع

ومن هذا القبيل تصديقهُ اقوال المؤرخين في الكلام عن ضخامة الممالك الاسلامية والتماسهُ لهم العذر حيث يتعذر تصديقهم كما فعل في الكلام عن البصرة (صفحة ٨١) فقد نقل عن الاصطخري " ان انهارها أُحصيت في ايام بلال بن ابي بردة فزادت على مئة الف

نهر وعشرين الف نهر تجري فيها الزوارق " وعقب على ذلك بقوله " فاعتبر المسافة التي تحفر فيها ١٢٠٠٠٠ نهر او ترعة كم يمكن ان يكون سكانها " ولو تأنى قليلاً في الاستنتاج لقضى بعدم صحة قول قائل هذا الكلام فان ترع مصر المتفرعة من النيل والترع الصغيرة المشتقة من تلك والمنتشرة في اراضٍ مساحتها اكثر من عشرة آلاف كيلو متر مربع لا يبلغ عددها كسرًا من العدد الذي نقلهُ وسكان مصر فوق عشرة الملايين ولا يصح ان يكون في البصرة مئة وعشرون الف نهر او ترعة تجري فيها الزوارق ولا يصدق هذا الكلام ولو قالهُ احد الانبياء

ثم اعتبر ما نقلهُ في الكلام عن مصر وانها لما فتحها المسلمون " كان عدد الذكور فيها ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك " ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ " ثمانية آلاف الف فاذا اضفنا الى ذلك عدد الاناث والاطفال والشيوخ زادت جملتهُ على ٣٠٠٠٠٠٠٠ وهو ثلاثة اضعاف سكانها اليوم ٠٠٠٠ ذكر المقريزي ان هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٧ هـ) امر عبيد الله بن الحبحاب عاملهُ على خراج مصر ان يمسحها فمسحها بنفسهِ فوجد مساحة ارضها الزراعية مما يركبهُ النيل ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدّان وذلك خمسة اضعاف ما يزرع منها الآن مع ان مساحة الارض الزراعية في وادي النيل اليوم على ما تبذلهُ الحكومة من العناية في اخصابها وتعميرها لا تزال اقل من ستة ملايين فدان . ومساحة وادي النيل كلها اي الوجه البحري والصعيد على جانبي النيل لا تزيد على هذا القدر الاَّ قليلاً فيستحيل ان تكون مساحتها في اوائل الاسلام خمسة اضعاف ذلك " . وبعد ان قال باستحالة هذا الخبر عاد فالتمس للمخبر عذرًا فقال " ولكن يظهر ان العرب زرعوا ما يجاور هذا الوادي من الشرق نحو البحر الاحمر ومن الغرب الى وادي النطرون لان مساحة مصر بما فيها الواحات في صحراء ليبيا والارض بين النيل والبحر الاحمر وبينهُ وبين بحر الروم الى العريش تزيد على ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع وذلك يساوي نحو ١٨٧ مليون فدان . فلا غرابة اذ ذاك ان يكون العامر منها ٣٠ مليون فدان وان يكون سكانها ٣٠ مليون نفس " . اما الدليل على فساد هذا الخبر فواضح واما اثبات ان العرب كانوا يزرعون هذا القدر من مصر فمستحيل لكني اتولى تكذيبهُ من قول هؤلاء المخبرين انفسهم فقد نقل المؤلف عن المقريزي ما يأتي

" وآخر ما اعتبر حالــــ ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يوماً ومساحة ارضها ١٨٠٠٠٠٠٠ فدان يزرع منها في مباشرة ابن المدبّر (في اواسط القرن الثالث للهجرة) ٢٤٠٠٠٠٠ فدان . وانهُ لا يتمّ خراجها حتى يكون فيها ٤٨٠٠٠٠ حرّاث يلزمون العمل بها دائماً . . الخ " انتهى

فاذا قسمنا عدد الفدن المزروعة في ذلك العهد بحسب زعمهم على عدد هؤلاء الحرّاث كان الخارج خمسين فداناً لكل حارث ويعلم اهل الزراعة وغيرهم ان الرجل لا يستطيع ان يقوم على العناية بخمسين فداناً من حرث وزرعٍ وريّ لاسيما اذا كان اكثر الارض المزروعة في جهات البحر الاحمر ووادي النطرون ! والمشهور ان العناية بالفدان الواحد ريّاً وحرثاً وزرعاً واستغلالاً تقتضي ⅙ عمل رجل الى نصفهِ . اي ان الرجل الواحد يزرع فدانين الى ستة على الاكثر . ثم قابل قول المقريزي هذا بما نقلهُ المؤلف عن مساحة مصر (صفحة ١٧٥) حيث قال " ان هشام بن عبد الملك انتبه لها فبعث الى عاملهِ على خراجها وامرهُ ان يمسحها فخرج بنفسهِ فمسح العامر والغامر مما يركبهُ ماء النيل فوجد مساحة ذلك ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدان " وبين الغامر والعامر فرق ومع ذلك فماء النيل لا يركب هذا القدر من ارض مصر الَّا اذا صعد النيل الى الجبل

وقد بقي هنالك مواضع متفرقة تسامح فيها المؤلف واطلق فيها الكلام غير متقيد كقولهِ في صفحة ٧٧ " ولاصبحت اللغة العربيَّة لغة اهل تلك القارَّة (اوربا) كما هي لغة معظم قارتي اسيا وافريقيا وسائر العالم الاسلامي " وقولهِ في صفحة ٨٧ " الخلافة ضرب من الملك خاص بالاسلام لم يكن في سواهُ من قبل " ولو اجال نظرهُ في جغرافية الارض وتاريخ العالم لوجد نطاق العربيَّة اضيق مما ظن ولألفى للخلافة شبهاً سابقاً لها في البابوية فقد كان للبابوات الخلافة الدينية على العالم الكاثوليكي والسلطة السياسية على ذلك العالم مباشرة او توليداً بعضهُ اوكلهُ كما هو مشهور

خليل ثابت

العربيَّة والقبطية

سيديَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

قرأت في المجلد السابع والعشرين الجزء الثاني عشر ديسمبر سنة ١٩٠٢ من المقتطف الاغر مقالة تحت عنوان " العربيَّة والقبطيَّة " وفيها ان حضرة الاديب الفاضل اقلاديوس افندي لبيب عني بجمع كثير من الكلمات العربيَّة العاميَّة التي اصلها قبطيَّة دخلتها عند دخول العرب الى مصر حيث اهملت اللغة القبطيَّة ولكن بقي لها أثر في اللغة العربيَّة العاميَّة لغة المصريين . ثم اورد حضرتهُ امثلة لذلك خلتها لاول وهلة رأيتها انها عربيَّة اكثرها ان لم تكن كلها وان اصلها عربي ولا ادري ان كانت قبطيَّة الاصل ايضاً ام لا وان كانت فذلك من باب الاتفاق

كقولك باللغة الانكليزية " اول " اي جميع و " اول " باللغة التركيَّة بمثل هذا المعنى فمن استشهاد حضرتهِ قولهُ

(" حالوم " من قولهم " حالوم يا جبنه حالوم ") مع ان هذه الكلمة عربيَّة الاصل بهذا المعنى قال الفيروزبادي " الحالوم ضرب من الاقط او لبن يغلظ فيصير جبناً طريًّا "

(" اش " تفيد الاستفهام ماذا) وهي ولا شك محرفة من ايش اي " اي شي " كقولك اي شي تقصد اي ماذا تقصد

(" ادهى " تفيد اردأ او اشرّ) هذه الكلمة عربيَّة الاصل والمبنى قال الله تعالى وقولهُ القديم " والساعة ادهى وأمر " وفي القاموس دهاهُ اي اصابهُ بداهية ولا شبهة في ان ادهى اسم تفضيل من هذا المعنى

(" اوني " في قولهم اوني يا طاحون الرحايه اي رحى) اولاً لم نسمع بهذا المثل بين امثال المصريين ولم نسمع باحد يقول بهِ وان قال بهِ احد فلماذا لا نأخذ قولهُ على المعنى العربي " الانين " لان قولك إني بالكسر يا طاحون اقرب من قولك رحى رحى يا طاحون حيث لا معنى موجود

(" طمس " معناها بالقبطية دفن) هذه الكلمة عربية الاصل حاملة نفس هذه المعنى ورد في القاموس طمس اي محى قال الله تعالى من قبل ان نطمس على وجوههم فنردها على ادبارها الخ الآية ويقال بلغة المصريين العامية فلان عينيهِ مطموسة فهي هي بالمعنى العربي والاصل العربي ايضاً

(" يم " ومعناها بالقبطية البحر) يم بالعربية البحر قال تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيهِ في التابوت فاقذفيهِ في اليم فليلقهِ اليمُ بالساحل — وقال شاعرنا العربي

القاهُ في اليم مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتل بالماء

(" ليلي " ومعناها بالقبطية فرح) اظن ان الاحسن والاصح ان تحمل هذه الكلمة على المحمل الآتي فهو اقرب الى العقل وذلك انها مركبة من ليل وهي مضافة وياء المتكلم مضاف اليها يستعملها المغنون للعشق والهيام لان الليل يهيج العشق وليل العاشقين طويل ويا ليل طل يا شوق دم الخ

(" مدمس " بالقبطي الفول الناضج) وبالعربيَّة دمس اي اخفى قال الحريري ويني وبين كي ليل دامس وطريق طامس ومعلوم ان طريقة تدميس الفول بمصر عبارة عن وضعهِ في تراب النار الحار بحيث تخفى آنيتهُ فما يكون داخل تلك الآنية بعد هذه العملية يقال لهُ مدمس

فيمكنك ان تقول عدس مدمس وفول مدمس وليس فول فقط ومنهُ الديماس اي القبر لانهُ يخفي من فيهِ قال الفيروزبادي دمس الشيء اخفاهُ ودمَّسهُ بالتشديد

(" نافلة " بالقبطية باطل ، نافلة كلمة عربية معناها زيادة ومنها الصلاة النافلة اي الزائدة عن الفرض وجاء في القاموس النافلة ايضاً الغنيمة ومعلوم انها زيادة عن رأس المال

(" شوية " معناها قليل) هي ولا شك محرفة عن شوي تصغير شيء وهو القليل فهي اذاً عربية الاصل

ويعلم الله انني ما جئت بهذه العجالة لأحبط من عزيمتهِ في مشروعهِ ولكني اردت بذلك الخدمة العامة واظهار الحقائق فالحقيقة بنت البحث ولي في مكارم اخلاق حضرتهِ شفيع فيحمل قولي هذا على المحمل الحسن فضالتنا المنشودة واحدة وهي الحقيقة — وفي الختام تقبلوا فائق احترامي

محمد فاضل

بالسكة الحديد السودانية بحلفا

مؤتمر العميان

في النصف الاول من شهر آب (اغسطس) المنقضي عقد في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر تحت حماية جلالة الملك وسمو الدوق شارل تيودور البافاري احد مشاهير اطباء العيون ووالد الاميرة البرت البلجيكية . وكانت الغاية من هذا المؤتمر تخفيف المصاب عن الذين اصيبوا بفقد بصرهم وتولى زعامة المؤتمر وزير العدلية والاب اميده ستوكانس الرئيس العام لاخوة المحبة وشهدهُ فريق كبير من مشاهير الاطباء ورؤساء المستشفيات وزعماء ملاجيء العميان في كثير من الامصار وشهدهُ ايضاً كثيرون من العميان الذين خاضوا مع اعضاء المؤتمر في مجال المباحثات ومما يحسن سوقهُ هنا ان السواد الاعظم من العميان يجدون في تحصيل العلم ولا جدّ البصيرين فيهِ فيخطُّون على القرطاس باحرف ناتئة الدروس التي يلقيها عليهم اساتذتهم ويسرعون في الكتابة كثيراً لانهم يستعملون لذلك طريقة الكتابة المختزلة (ستانوغرافيا) ويكفيهم ان يمروا اصابعهم على الصحيفة المرسومة عليها الحروف الناتئة لكي يقرأوها بسرعة

وقد بحث اعضاء المؤتمر عمَّا يعود بالنفع على العميان فاتفقت كلمتهم على انهُ ليس من حرفة يستطيع العميان ان يتعاطوها افضل من الموسيقى وصنع السلال والمذاري

وامعنوا في البحث عن اسباب العمى وطرق الوقاية منهُ فتحقق لديهم ان اكثر حوادث العمى

ناجمة عن الرمد الصديدي الذي يصيب الاطفال ويكون على الغالب في الطبقة الواطية من الناس وسببهُ التهامل والتهاون. وكثيرًا ما يذهب الوالدون بابصار اولادهم باستعمالهم علاجات يتناولونها من غير الاطباء. واليكم ما رواهُ احد اطباء العيون في بروسل في هذا الصدد. قال:

اتتني ذات يوم امرأَة حاملة على ذراعيها طفلاً مصابًا بالرمد الصديدي وبعد الفحص المدقق وجدت ان نور عيني الطفل قد انطفأ ولم يعد من حيلة لارجاع البصر اليهما فجعلت الومها لتأخرها عن احضار طفلها اليَّ لاعالجهُ. فقالت لي: يا سيدي قد استعملنا لهُ وصفة اخذناها من احدى النساء

فقلت وما هي هذه الوصفة ؟

فقالت غسل عيني الطفل بماء من النهر مأخوذ من موضع فيهِ جيف حيوانات. وعملاً بمشورتها استأذن زوجي من صاحب المعمل الذي يعمل فيهِ ومضى الى نهر السن وبعد الاستقصاء في التنقير عثر على جيفة كلب فملأَ قنينة من الماء الذي حولها وعاد بها الى البيت فغسلنا عيني الطفل ولكن لسوء الحظ لم تبدُ ادنى علامة تدلُّ على التحسين . . . . . .

وواضح من ذلك ان العامَّة في اوربا لا يفرقون عن العامَّة عندنا من حيث الجهل والاعتماد على طب العجائز والدجالين ولو سهل انتشار امراض العيون في اقليمهم كما يسهل في القطر المصري لرأى حضرة الدكتور شدودي مجالاً لانتشار العمى في اوربا كما رأى مجالاً لانتشارهِ في هذا القطر

لبنان سبيريدون منسّى
الصيدلاني

استفهام

اورد حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي في مقالتهِ المنشورة في الجزء الحادي عشر من المقتطف عن التواريخ العربيَّة كلامًا نسبهُ الى الحافظ ابي البكر الخطيب وفيهِ "ان سعد بن ابي وقاص مات يوم قريظة قبل خيبر" والمعروف انهُ توفي سنة ٥١ او ٥٥ للهجرة وغزوة خيبر كانت سنة سبع ولعلهُ اراد سعيد بن معاز فنرجو منهُ ايضاح ما تقدم ولهُ الفضل

ثم انهُ قال في الصفحة ١٠٤٨ ان الجبرتي وصل في تاريخهِ الى سنة ١٢٧٦ وهذا خطأ في النسخ او الطبع والصواب سنة ١٢٣٦ . وقد بلغني ان المطبوع من تاريخ الجبرتي ليس كل ما كتبهُ فهل عثر احد على بقية تاريخهِ واين هي الآن

مستفيد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

خبز جديد

يسعى المرء نهارهُ وبعض ليلهِ ليضمن لنفسهِ ولاهل بيتهِ الحاجيَّات من قوت وكسوة ومسكن فاذا فضل من ربحهِ فضلة كبيرة انفق بعضها في احراز الكماليَّات فتأنَّق في الحاجيَّات واضاف اليها ما يعدُّهُ من متمات الراحة ورغد العيش واسباب التقدم على غيرهِ من ابناء جنسهِ.

ومن المعلوم ان الفقير يطلب من الطعام ما يسهل عليهِ ابتياعهُ ويغذيهِ وهذان الشرطان لازمان لهُ امَّا الاول فلضيق ذات يدهِ واماَّ الثاني فلأنَّ الغذاء ضروري لهُ فيجدّد ما يبلى من جسمهِ وقوَّتهِ بمزاولتهِ عملهُ الشاق يوماً بعد يوم امَّا الغنيُّ فلا يهمهُ غلاء اثمان الاطعمة لكنَّ الغذاء ضروري لهُ كما هو للفقير اذا اراد طول العمر والراحة والتخلُّص من الامراض والاوجاع

ومن الغريب ان الذين يتأنقون في اشكال الاطعمة والوانها لا ينتبهون الى امر جدير بالاعتبار وهو انَّ الانسان يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل اي ان الطعام واسطة لا غاية فتراهم على الغالب ينفقون مالهم على ما فيهِ إتلاف صحتهم وإضعاف قواهم حتى اذا ما وافتهم العلل واصابتهم الامراض اضطروا الى طلب معونة الطبيب ليدفع عنهم بالدواء ما جنوهُ على انفسهم بفضل تهاونهم وحسبنا دليلاً على ذلك كثرة العقاقير والحبوب التي تصنع لتسهيل الهضم ومعالجة المعدة والكبد فقد قال احد الذين زاروا الولايات المتحدة ان الاعلانات عن حبوب الكبد منتشرة فيها الى حد أنَّ من يقرأها يحسب انَّ الاميركيين لا يأكلون سواها وعلَّة كثرتها انتشار الخبز الابيض بينهم واقتصارهم عليهِ في الاكل ونبذهم الخبز الاسمر فان الخبز الابيض خالٍ من الموادّ الغذائية التي في القمح فليس من اكلهِ فائدة كبيرة وهو حملٌ ثقيل على المعدة ولا يقتصر ضررهُ عليها بل يتناول الاسنان فقد اتضح ان اسنان الذين يقتصرون على اكلهِ اقرب الى التلف من اسنان غيرهم

ولا يخفى ان الخبز الابيض اجمل منظراً من الاسمر وبياضهُ علَّة رغبة الناس الوحيدة فيهِ والاَّ فان الخبز المصنوع من الدقيق الذي لم يُنخل اشدُّ نفعاً منهُ لكنَّ قبح منظرهِ وصعوبة خبزهِ

يحولان دون تعميمهِ ويصرفان انظار الناس عنهُ . ولطالما حاول الكثيرون الجمع بين الفائدة وحسن المنظر في الخبز فلم يفلحوا حتى اضطرَّت الحاجة بعض المرضى الى الاهتمام بهذا الامر سعياً وراء راحتهم. وتفصيل ذلك ان رجلاً اميركيًّا اسمهُ بركي اصيب بسوء هضم شديد وهو في سنّ الاربعين واشتدَّ بهِ هذا المرض حتى اضطرَّهُ الى الانقطاع عن اعمالهِ فسئم المعيشة واصبحت حياتهُ عبئاً ثقيلاً عليهِ فعمد الى التداوي فقصرت فيهِ حيل الاطباء وخانتهُ العقاقير ولما ملَّ منها لقلة جدواها نبذها نبذ النواة واخذ يفكّر في امرهِ لعلهُ يهتدي الى ما يخفف اوجاعهُ ويعيد اليهِ ماضي راحتهِ وقوَّتهِ فخطر لهُ ان يبدأ بطعامهِ فلا يتناول الاَّ ابسط المآكل وبعد بحث طويل عقد النية على الاقتصار على الخبز وترك ما سواهُ اذ تبين لهُ ان القمح يحتوي على جميع موادّ الغذاء اللازمة لحفظ الجسم وان هذه المواد لا تكون في الخبز الابيض فتنزع منهُ ليكسب لونهُ الذي يرغب الناس فيهِ وكان بعضهم قد امتحن فعل الخبز الابيض والاسمر في الكلاب بأن جعل طعام بعضها من الخبز الابيض وطعام البعض الآخر من الخبز الاسمر فماتت الاولى من الضعف والهزال وسمنت الثانية وكبرت فايقن المستر بركي بصحة مذهبهِ وتأكد انَّ الخبز المصنوع من دقيق الحنطة بنخالتهِ مغذٍ والخبز الابيض معدوم الغذاء كثير الضرر لا سيما بعد ان بدت امارات النجاح فيهِ فزالت اوجاعهُ والامهُ وعاودتهُ القوَّة والنشاط فحملهُ الفرح بشفائهِ على موالاة البحث حبًّا منهُ بالنفع العامّ واهتماماً بالوف المرضى الذين يذوقون صنوف العناء جهلاً منهم بالحقائق التي اكتشفها

والناظر الى حبَّة القمح يخالها مصنوعة من المادَّة البيضاء التي تستحيل الى الدقيق والغلاف الظاهر الذي يستحيل الى النخالة لكنَّ حبة القمح ليست كذلك فغلافها مؤَلف من خمس طبقات الطبقة الظاهرة منها هي النخالة الحقيقية والطبقتان اللتان تحتها مؤَلفتان من مواد نتروجينية تقوم مقام اللحم في الغذاء ومادَّة اخرى تدخل في بناء العظام والاسنان ولا بدَّ للعظام والاسنان منها والطبقتان الاخيرتان تحتويان على المادَّة القمحية التي تكسب القمح لونهُ وطعمهُ وتساعد على الهضم وداخلها خلايا بيضاء تحيط بالنواة الداخلية وهي مؤَلفة من الجلوتن اللازم لبناء العضلات وانسجة الجسم واما الجزء الداخليّ الابيض فمؤَلف من دقائق نشائية ومنها يصنع الدقيق الابيض وفيهِ جرثومة النواة التي ينبت منها نبات القمح وفيها مواد تغذي الدماغ والاعصاب

فاذا طحن القمح على النمط المعروف ونخل فالطبقات الخمس الاولى وجزء كبير من الجلوتن تنزع منهُ ونزع الجلوتن ضروري في صنع الخبز الابيض لانَّ بقاءهُ يسمّر لونهُ فينتج من ذلك أنَّ

الموادّ اللازمة لتغذية الجسد تنزع من الدقيق فلا يبقى في خبزهِ الأ قليل من الغذاء

ذلك ما دفع المستر بركي الى الاهتمام بابتداع طريقة لصنع خبز يحتوي على جميع الموادّ المغذية التي في القمح ويكون لذيذ الطعم شهيّ المنظر وبعد ان اعمل فكرتهُ طويلاً اهتدى الى حلّ المسألة بأن صنع آلة تمزّق القمح تمزيقاً او تهرسهُ هرساً فلا يفقد شيء من اجزائهِ المغذية وبعد ان تعالجهُ كذلك يصنع منهُ كعك مخبوز وقد زار احد الكتاب المعمل الذي اقامهُ لهذه الغاية بقرب شلالات نياغرا فوصف كيفية صنع هذا الكعك واليك خلاصة ما قال

يؤتى بالقمح الى الطبقة العليا من المعمل فيصبونهُ منها الى الاسفل في فوهة يصعد منها مجرى شديد من الهواء الصاعد فينقيهِ من الغبار والرمل والعصافة ونحو ذلك من الادران والاوساخ وبعد تنظيفهِ على هذه الصورة يلقى في حياضٍ من الماء المعقّم فيغسل فيها ثم يوضع في اساطين مصنوعة من الاسلاك وتدار هذه الاساطين في الماء الغالي مدة ثلاثين دقيقة وفائدة هذا العمل تليين القمح وتنظيفهُ مما قد يبقى فيهِ من الاوساخ بعد الغسل كما تقدَّم وقتل الحشرات الصغيرة التي تلصق بغلاف حبوب القمح وتطحن معها عادةً وتؤكل وبعد ذلك ينشر على اطباقٍ ترصف بعضها فوق بعض في غرفة واسعة يهبُّ فيها مجرى هواء شديد فيصبح القمح ناشفاً نظيفاً ليناً وحينئذٍ يوضع في احواض آلات تمزّقهُ على شكل خيوط طويلة ثم تلقى هذه الخيوط الواحد الى جنب الآخر حتى يكون منها قدد على شكل شريط الحرير وعدد هذه القدد ٣٦ تُضمُّ الواحدة الى الاخرى فتصبح كأنها ملصوقة بها ولا يزيد ثخنها متى ضمت كذلك عن عقدة واحدة فتنقل حينئذٍ الى آلة أخرى تقطعها بحجم الكعك المطلوب ثم يوضع هذا الكعك في مقالٍ تدور افقياً على نار حامية فيبقى في المقالي نصف ساعة وبعد ذلك ينقل الى فرن آخر حرارتهُ اخفُّ من حرارة المقالي فيبقى فيهِ ساعة واربعين دقيقة ومتى برد يوضع في علب وتختم ويضعون في كل علبة ١٢ كعكة وزن الكعكة الواحدة منها ١٥ درهماً وتمتص نحو ٤٠ درهماً من الماء اذا بُلّت بهِ فيكون في العلبة الواحدة ١٨٠ درهماً او نحو رطل وربع تباع في اميركا بثلاثة غروش وهي بمثابة اربعة ارطال من الخبز وهذا الكعك يؤكل ناشفاً او مبلولاً باللبن المحلّى بالسكّر وبعضهم يضيفهُ الى كثير من اصناف المآكل

ومن جملة اسباب النظافة في صنع هذا الكعك ان الآلات تقوم بجميع العمل المطلوب فلا يلمسهُ الصنّاع في جميع ادوار صنعهِ الأ متى وضع في العلب وذلك موكول الى مئات من البنات اللواتي يضعنهُ في العلب . فترى مما تقدَّم ان هذا الكعك يحتوي على جميع اجزاء القمح خالصة من الشوائب والاوساخ والادران والظاهر انهُ راج رواجاً عظيماً واصبح طعام كثيرين

من المصابين بسوء الهضم

ويظهر لنا ان البرغل الذي يُصنع في هذا القطر والقطر السوري يقوم مقام هذا الكعك من اكثر وجوهه فانهُ يصنع مثلهُ بسلق الحنطة وتبقى فيهِ كل موادها ما عدا القشرة الرقيقة الظاهرة التي لا تهضم لو اكلت فهو اذا طُبخ جيدًا من اكثر مواد الطعام غذاء واسهلها هضمًا. واهالي جبال سورية يعلمون ذلك بالاختبار ويفضلون البرغل على الارز ويقولون انهُ يغذيهم ويقويهم وهم مصيبون في قولهم لانهُ حاوٍ كل مواد الغذاء ويتلوهُ في الفائدة الخبز الاسمر الذي لم ينزع من دقيقهِ الاَّ القشور الرقيقة من النخالة

تعليم البنات في المدارس العالية

قد يظن القارئ لاول وهلة ان البحث عن تعليم النساء في المدارس العالية لا محل لهُ في البلاد الشرقيَّة ولا سيما في القطر المصري لان البنات لم يحصلنَ حتى الآن على التعليم الابتدائي . والمدارس التي يُعلَّمنَ فيها التعليم الابتدائي قليلة جدًّا لا تفي ببعض الحاجة فاذا كان في الطائفة انشاء مدارس اخرى للبنات وجب ان تكون من نوعها لا من نوع المدارس العالية لان الاهم مقدَّم على المهم والضروري مقدَّم على الكمالي وهذا صحيح كلهُ لكن الناظر في امر التعليم يرى ان مدارس الصبيان العالية لم تنشأ لكل الناس ولا ينتظر ان يتعلَّم فيها كل احد ولا هي كافية لشبان البلاد كلهم ومع ذلك يحثّ الناس على تعليم ابنائهم في المدارس العالية ولا بدَّ من ان يتعلَّم فيها العدد الكافي لادارة الاعمال الكبيرة ولا سيما الفنون التي تقتضي توسُّعًا في العلوم كالطب والقضاء والادارة والتعليم . ولا بدَّ لكل بلاد من اناس يكونون في جسمها كالعمود الفقري في جسم الحيوان يحفظون كيانها وبهم يقوم هيكلها اوكالدماغ في جسم الانسان عليهِ تتوقف اعمالهُ فاذا اردنا ان نجاري الامم المرتقية فلا بدَّ لنا من ان نعلِّم فريقًا من بناتنا العلوم العالية كما تفعل تلك الامم

وقد عثرنا الآن على خطبة في تعليم البنات العلوم العالية للاستاذ داود ستار جوردان تليت في مؤتمر النساء في الولايات المتحدة الاميركية فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

قال الخطيب ان هذا الموضوع يتناول ثلاث مسائل

الاولى هل يحسن ان تتعلَّم البنات العلوم العالية

والثانية هل يحسن ان تتعلَّم العلوم العالية التي يتعلمها الصبيان

والثالثة هل يحسن ان تتعلم معهم في مدرسة واحدة

اما المسألة الاولى فالجواب عنها ان تعليم البنات يتوقف على استعدادهنَّ . وهذا هو الواقع في تعليم الصبيان فانهُ على كل والد ان يعدَّ ابنهُ او ابنتهُ للجهاد في هذه الحياة على قدر طاقتهِ . نعم ان كثيرين يتعلمون في المدارس العالية ولا تظهر ثمرة من تعلمهم ولكنهم لو لم يتعلموا لكان نفعهم اقل. وقد ارتقى شأن البيت الآن في البلدان المرتقية لانهُ نتيجة ما وصل اليهِ الارتقاء فلا تقوم بهِ القيام الواجب الاَّ المرأة التي نالت اعلى درجات العلم والتهذيب. والفتاة التي تبدو عليها مخايل النجابة ويظهر فيها الاستعداد لاكتساب اعلى درجات العلم يجب ان لا تقنع بما هو دون ذلك واذا لم يكن استعدادها العقلي كافياً ليجعلها تحرز الدرجات العليا فاقامتها اربع سنوات في مدرسة عالية مع معلمات من الطبقة الاولى في العلم والتهذيب وبين كتب ألفها جهابذة العلم والفضل لابدَّ وان تؤَثر في نفسها تأْثيرًا نافعاً. وللمرأَة المتعلمة المتهذبة اعظم اثر في حياة الامة ويظهر اثرها في اولادها واحفادها والذين حولها . والذي يؤَثر في حياة الناس اعظم تأْثير ليس حكومتهم وشرائعهم بل امهاتهم وزوجاتهم. ولتعليم البنات شأن في مستقبل الامة اكثر مما لكل قوانين حكومتها ونظاماتها

ولا يقتصر تأْثير المرأة على بيتها بل يتبع زوجها واولادها اينما كانوا فيزيد فيهم صفات الرجولية ويصلح شؤُونهم فلنعلّمْ بناتنا كما نعلم ابناءنا والعلم خير صداق تأْتي بهِ الفتاة من بيت ابيها واذا كان من نصيبها في بيت زوجها المطبخ لا غير فالعلم ينفعها فيهِ ويزيد نفعها . والابن الحكيم هو الذي ولدتهُ وربتهُ ام حكيمة . فتعليم البنات اكبر ممهد لتعليم الصبيان

ونقول في الجواب عن المسألة الثانية نعم ولا . فاذا اريد بالتعليم تثقيف العقل وتهذيب الاخلاق حتى تعلو مدارك الابنة وتصير تتعقَّل الامور وتعمل اعمالها بروية وحكمة فهذا التعليم واجب . ولكن هل تصل الى هذه الغاية بتعليمها العلوم التي يتعلمها الشبان تماماً والجواب كلاَّ لان التعليم الواحد لا ينتج نتيجة واحدة في الصبيان والبنات على حدٍّ سوى لاسيما وان الاسلوب المتبع الآن في التعليم لا يصلح لجمهور الناس بل هو في الاصل خاصٌّ بخدمة الدين والمستعدين لخدمة الحكومة وليس هذا بالتعليم المطلوب لجمهور الناس المختلفي المطالب والاغراض فان تعليمهم يجب ان يؤَهل كلاًّ منهم للعمل الذي يريد ان يتعاطاهُ. وقد جرت المدارس الاميركية الجامعة هذا المجرى الآن فصار اساتذتها يبينون للتلامذة اساليب الاعمال التي يمكنهم ان يتعاطوها وكل تلميذ منهم يختار العمل الذي يناسب ذوقهُ وميلهُ ويستعد لهُ في المدرسة فيبرع فيهِ حينما يتعاطاهُ

واذا كان الامر كذلك اي اذا كان تعليم الشبان يجب ان يؤَهلهم لتعاطي الاعمال

الخاصة بالرجال فهذا التعليم لا يصلح للبنات لان لهنَّ اعمالاً اخرى غير اعمال الرجال ويجب ان يكون تعليمهنَّ مما يؤهلهنَّ للقيام باعمالهنَّ وواجباتهنَّ الاّ اذا شئنَ ان يتعاطينَ الاعمال التي يتعاطاها الرجال كصناعة الطب او المحاماة فان تعليمهنَّ حينئذٍ يجب ان يكون مثل تعليم الرجال

وهذا لا ينفي ان تكون العلوم واحدة مدارس في الصبيان والبنات لانَّ اكثرها وسائل لغيرها كالعلوم الحسابية والطبيعية فانها يجب ان تعلَّم في مدارس الصبيان والبنات على حدٍ سوى ولكن اذا اريد التوسع في العلوم الحسابية حتى يكون طلاباً بها تجاراً وفي العلوم الطبيعية حتى يكون طلاباً بها نظاراً للزراعة مثلاً فحينئذٍ يعلَّم الصبيان ما لا يعلَّمهُ البنات

ونقول في الجواب عن المسألة الثالثة ان التجارب اثبتت انهُ لا فرق بين ان يتعلم الصبيان والبنات في مدرسة واحدة او يتعلم كل فريق منهم في مدرسة خاصة ولكن اذا تعلم الفريقان في مدرسة واحدة وجب ان تراعى مطالب البنات في تعليمهنَّ كما تراعى مطالب كل فريق من الصبيان اي يجب ان ينوَّع تعليمهنَّ حتى يكون منطبقاً على ما يراد تأهيلهنَّ لهُ من اعمال الحياة

(ثم بيَّن الخطيب انهُ ميَّال الى تعليم البنات والصبيان معاً وذكر لذلك اسباباً فلسفية مبنية على ما يُعرَف من الفرق بين عقول الرجال والنساء واختلافهما في طلب العلم والاشتغال بهِ واستنتج ان اجتماعهما في مدرسة واحدة يفيدهما كليهما اكثر مما لو تعلَّم كل فريق منهما في مدرسة على حدتها وقال ان وجود المعلّمات الحكيمات في مدارس الشبان يفيدهم فائدة لا تقدَّر لانهُ يعلي صورة المرأة في نفوسهم ويوجب عليهم ان يهذبوا اخلاقهم لكي يستحقوا ان ينالوا رضاها. وكذلك اذا رأى الشبان ان الفتيات يناظرنهم في دروسهم زادوا همةً واجتهاداً لانهُ لا شيء يخجل الشاب منهُ مثل ان يرى فتاة تباريهِ وتفوقهُ في الهمة والاجتهاد والدرس والتحصيل . ولا حاجة الى نشر التفصيل الذي فصل بهِ الخطيب هذا الموضوع لاننا لا ننتظر ان تنشأ عندنا مدارس عالية يتعلم فيها الفتيان والفتيات معاً ولكن انشاء المدارس العالية للبنات وتعليمهنَّ العلوم العالية اذا استطاع اهلهنَّ ان ينفقوا عليهنَّ من لوازم الحضارة التي لا بدَّ منها اذا اردنا مباراة غيرنا من الامم المرتقية)

مسز ستانتون

فقد النساء المرأة التي لها الشأن الاكبر في الدفاع عن حقوقهنَّ المهتضمة وهي مسز اليصابات كادي ستانتون الاميركية الشهيرة توفيت في السادس والعشرين من اكتوبر الماضي في السابعة والثمانين من عمرها

ولدت سنة ١٨١٦ واسم ابيها دانيال كادي وكان من القضاة المشهورين في بلاده وكانت تدخل مكتبهُ في حداثتها وتسمع فيهِ ما يدل على اهتضام حقوق المرأة لان حقها في التملك عندهم لم يكن مثل حق الرجل فتغتاظ من ذلك لانها لا ترى لها مسوّغاً ثم يزيد غيظها كما رأت الوالدين يهتمون بابنائهم اكثر مما يهتمون ببناتهم وكان لها اخ وحيد كان ابوه يفضله على بناتهِ كلهن وكنَّ خمساً ثم توفي فحزن ابوها عليهِ حزناً مفرطاً حتى لم يعد يتعزى . ونظر اليها ابوها ذات يوم وقال لها حبذا لو كنتِ صبياً فقالت لهُ سأصير صبياً وافعل كل ما كان يفعلهُ اخي . واخذت من ذلك الحين تدرس اللغة اليونانية واللاتينية والعلوم الرياضية فبرعت براعة فائقة واتمت دروسها في مدرسة عالية وكانت الاولى في فرقتها . وعزمت ان تدخل المدرسة الكلية حيث تعلَّم اخوها فرأت قوانين المدرسة تحظر عليها ذلك فزاد غيظها من هذا الاجحاف ودخلت مدرسة من مدارس البنات العالية واتمت دروسها فيها وانضمت الى مقاومي الاستعباد وتزوجت بالمستر ستانتون وكان من خطبائهم

وانتخب زوجها نائباً عن بلادهِ في مؤتمر اضداد الرق الذي التأم في بلاد الانكليز سنة ١٨٤٠ فرافقتهُ اليها وارسل نساء اميركا نواباً عنهنَّ الى ذلك المؤتمر فلم يُسمح لهنَّ بالاشتراك في مذاكراتهِ فحسبت ذلك اهانة كبيرة على النساء وعادت الى بلادها وهي عاقدة النية على الدفاع عن حقوق المرأة وبذل كل واسطة لانصافها ولو قضت في ذلك عمرها كلهُ والفت مجمعاً سمتهُ مجمع حقوق النساء وطلبت ان يساوين لدى القانون في كل الحقوق حتى في حق الانتخاب لمجلس النوّاب وكان زوجها يخالفها في هذا الامر الاخير ولما التأم المجمع رأت اعضاءهُ يخالفونها في رأيها الا واحداً منهم لكنها استطاعت بقوة حجتها وشدة عارضتها وبمساعدة هذا العضو ان تجعل المجمع يقرُّ على كل مطالبها

وكان لهذا القرار شأن كبير في البلاد الاميركية وتناولتهُ الجرائد وتهكمت عليهِ . وعرضت نفسها للانتخاب سنة ١٨٦٦ لمجلس النواب وكانت ساكنة في مدينة نيويورك وعدد المنتخبين حينئذٍ ٢٣٠٠٠ فلم يصوّت لها منهم سوى ٢٤ لكن فشلها هذا لم يثنها عن عزمها فانشأت جريدة للدفاع عن حقوق النساء ثم تخلت عن انشائها لغيرها وظلت ١٤ سنة تخطب مطالبةً بحقوق النساء والفت كتاباً كبيراً في هذا الموضوع نشرتهُ في ثلاثة مجلدات في كل مجلد منها الف صفحة . وبسعيها واجتهادها أُنصفت المرأة في اميركا وجُعل حقها لدى القانون مثل حق الرجل وصارت تنتخب وتنتخَب للمجالس المحلية في بعض الولايات . وكان لخطبها ومؤلفاتها شأن كبير في اوربا ايضاً . وقد ربَّت عائلة كبيرة خمسة ابناء وبنتين ومع ذلك لم تصرفها واجباتها

البيتيّة عن مساعيها العمومية وبقيت تخطب وتكتب الى آخر دقيقة من عمرها وفي الشهر الذي توفيت فيهِ كتبت مقالة في اصلاح قانون الطلاق في جورنال نيويورك . ومن انبل اعمالها ان المدارس العالية التي كانت تقفل ابوابها في وجوه البنات فيحرمن تعلم العلوم العالية صارت تفتح ابوابها لهنَّ الآن بسعيها . وفي الولايات المتحدة الآن ثلاثة ملايين وسبع مئة وخمسون الف امرأة يعملنَ اعمالاً شريفة غير اعمالهنَّ البيتية يكسبن بها ما يقوم بمعيشتهنَّ مثل ازواجهنَّ واخوتهنَّ من غير ان يكنَّ عالةً على غيرهنَّ والفضل الاكبر في ذلك لهذه المرأة فلها نصيب وافر من عمران الولايات المتحدة وارتقائها

ترويض الاطفال

حالما يصير الطفل قادرًا ان يفعل شيئًا فدربهُ حتى يفعلهُ على احسن اسلوب لانهُ لافرق عندهُ في كيفيةِ فعلهِ ولكن الفرق كبير بين ان يحسن فعلهُ او يسيئهُ مثال ذلك انهُ قد يشرب اللبن متمهلاً ولا يريق منهُ شيئًا على ثيابهِ وقد يشربهُ مسرعًا فيشرق فيهِ او يصبهُ على ثيابهِ وهو يستسهل العملين على حدٍ سوى فيجب ان يعلم الاول ويمنع عن الثاني

ومما يجب الانتباه لهُ في الصغر بنوع خاص ترويض الجسم وتقويتهُ لان العقل السليم لا يكون في الجسم السقيم ولان لاعتدال القوام وقوة البدن شأنًا كبيرًا في نجاح الانسان

والرياضة الكثيرة لا تضرُّ الطفل ولا تتعبهُ لان الحركة من طبعهِ ويجب على والديهِ ان يشاركاهُ في لعبهِ كما استطاعا الى ذلك سبيلاً فان اللعب ينفعهُ ولا يضر بهما بل ينفعهما . ومن اجمل المناظر منظر رجل شيخ مثل غلادستون يلعب مع ابنة ابنهِ وهي طفلة صغيرة عمرها بضع سنوات يحملها على ظهرهِ او يجري معها ويتسابقان وكبار الوزراء ووكلاء الدول ينتظرونهُ في غرفة اخرى . واللعب مع الاطفال على هذه الصفة يزيل آثار الشيخوخة من الشيوخ ويعيد الطلاقة الى وجوههم فضلاً عما يكسب الطفل من القوة والنشاط . واذا لعب الوالد مع ولدهِ شعر الولد ان اباهُ رفيق لهُ فزاد تعلقهُ بهِ وحبهُ لهُ

ومن الاقوال التي تتناقلها الامهات انهُ لا يجوز اللعب مع الاطفال قبل النوم لئلاَّ يقلقوا في نومهم وهذا خطأ لانهُ ظهر بالاختبار ان قوة الانسان تكون على اشدها في اواخر النهار عند غروب الشمس وفي المساء وان الاطفال الذين يتحركون كثيرًا حينئذٍ ينامون جيدًا

واذا أُريد ان تحصل للطفل الفائدة الكبرى من اللعب معهُ وجب ان تُتبع في اللعب القواعد العلمية حتى تستفيد منهُ كل اعضائهِ وعضلاتهِ وان يكرَّر ذلك يومًا بعد يوم ويُستمر

فيهِ الى ان يتعب فيُترَك ليستريح وعلى الوالد حينئذٍ ان يجعل اللعب مسلياً للطفل ملذّاً لهُ فيتبارى معهُ ويقول لهُ لننظر ايُّنا اقوى من الآخر ويلعب معهُ الالعاب التي تقوّي صدرهُ ورئتيهِ ويديهِ ورجليهِ وسنبين كيفية ذلك في الجزء التالي نقلاً عن استاذ علم الرياضة البدنية

باب الزراعة

زراعة القطن في العام الماضي

كتب المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعية مقالة مسهبة في ما رآهُ هو وغيرهُ من امر زراعة القطن في العام الماضي ذكر فيها اولاً ان احوال الهواء في شهر مارس الماضي لم تكن موافقة لزرع القطن على العموم فلم ينبت بعضهُ واضطرَّ الزارعون الى الترقيع وبعض ما زرع ثانية لم ينبت ايضاً فاضطروا ان يزرعوا بدلاً منهُ ثالثةً ولذلك نما القطن وشجراتهُ مختلفةُ الاعمار والنمو فعسر ارواؤهُ في الاوقات المناسبة لهُ

واستطرد الى ذكر وقت الزرع فقال ان الزرع "البدري" اصلح من الزرع "الوخري" وقد مال اليهِ كبار المزارعين ولو لم تكن نتيجتهُ مرضية في العام الماضي . وانتقل الى الكلام على التقاوي وقال ان نوع القطن المصري آخذ في الانحطاط لقلَّة الاعتناء بانتقاء التقاوي . واشار بان تفحص الاقطان قبل حلجها وينتقى منها القطن الجيد الخالص في نوعهِ من الامتزاج بانواع اخرى ثم تؤخذ التقاوي المطلوبة منهُ على شرط ان تكون دواليب الحلج والغرابيل نظيفة . وقد اهتمت الجمعية الزراعية بان يزرع القطن في اطيانها بالجيزة وميت الدبية من اجود وانقى التقاوي التي يمكن الحصول عليها وان يتبعها في ذلك بعض الدوائر الزراعيَّة الكبيرة . وفي اثناء نمو القطن ينزع منهُ كل الاشجار التي ليست من نوعهِ ويكرر ذلك قبل الجنية الاولى فتنزع منهُ كل الشجرات التي تحمل قطناً من غير نوع القطن المزروع او يخالفهُ في لونهِ . ويحلج قطن الجنية الاولى على حدة فتكون بزرتهُ انقى بزرة يمكن الحصول عليها من ذلك النوع . ولا بدَّ من ان يعتنى بزرع هذا القطن وخدمتهِ اعتناء خصوصياً من حيث الحرث والعزق والتسميد حتى ينمو احسن نمو

واشار بان تخدم ارض القطن باكرًا وقال انهُ رأى مدة الموسمين الماضيين فرقاً كبيرًا بين نمو القطن المزروع بعد الذرة ونمو القطن المزروع بعد البرسيم المزرع بعد الذرة فان ارض الذرة

اذا حرثت وتركت بائرة الى حين زرع القطن يكون قطنها اجود من قطن الارض التي تزرع برسيماً بعد الذرة ثم تحرث قبل زرع القطن مباشرة . وقال انهُ من الخطإِ تأخير حرث ارض البرسيم الى حين زرع القطن فان ما يمكن الحصول عليهِ من البرسيم لا يوازي ما ينقص من غلَّة القطن اذا تأخرت خدمة ارضهِ لان ارض القطن يجب ان تحرث وتترك مدة لتأثير الشمس والهواء

وعاد الى الموسم الماضي فقال ان احوال الهواء لم تكن على ما يرام في شهر مايو ايضاً لان تعاقب الحر والبرد فيهِ اخرا نمو النبات وكذلك لم يشتد الحر في شهر يونيو حتى يبلغ النبات الدرجة اللازمة لهُ من النمو وكانت حرارة الهواء في شهر يونيو اقل من المتوسط ولاسيما في النصف الاخير منهُ . ولم تكن حرارتهُ موافقة في اغسطس ولاسيما في اواخرهِ . وانتشر الضباب في شهر سبتمبر فزاد بهِ ضرر القطن . وظهر ان القطن الميت عفيف تأثر من رداءة الهواء اكثر من القطن العباسي والينوفتش والاخير تأثر اقل من غيرهِ

نتيجة التجارب في الجيزة

امتُحن السباخ البلدي في ثلاثة افدنة من اطيان الجمعية الزراعية في الجيزة وُضع في الفدان منها ١٥ متراً مكعباً . وامتحن السماد الكيماوي في ثلاثة افدنة أُخرى وُضع في الفدان منها ٤ قناطير من أعلى فصفات الصودا وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر . وبلغت نفقات السماد الكيماوي ١٧٠ غرشاً لكل فدان وكانت غلة الفدان المسمَّد بالسباخ البلدي ٨ قناطير و ١١ رطلاً والمسمد بالسماد الكيماوي ٩ قناطير و ٢٢ رطلاً فزادت بالسماد الكيماوي قنطاراً و ١١ رطلاً واذا فرض ثمن القنطار ٢٨٠ غرشاً فقط بلغت الزيادة ٣٠٠ غرش يطرح منها ثمن السماد وهو ١٧٠ غرشاً فيكون الربح الباقي ١٣٠ غرشاً يضاف اليها ثمن السباخ البلدي واجرة نقلهِ الى الاطيان لان ذلك كلهُ توفَّر في الاطيان التي سمدت بالسماد الكيماوي فيكون الربح من السماد الكيماوي وافراً جداً

ولما كانت الآراء متضاربة في كيفية وضع السماد الكيماوى بين ان يذرَّ على الارض قبل تخطيطها للزرع وبين ان يوضع تكبيشاً قبل الزرع وبعد الرية الثانية امتحنت الطريقتان في السنة الماضية في الجيزة وفي ميت الديبة فظهر ان الطريقة الثانية انفع من الاول

وجُرّب تسميد الارض بكبريتات البوتاسا مع تسميدها بالفصفات فلم يظهر للبوتاسا اقل فائدة فيها

نتيجة التجارب في ميت الديبة

كانت نتيجة التجارب في ميت الديبة مفيدة جداً لان تلك الارض ضعيفة وقد اختار المستر فودن اضعفها لزرع القطن وزرعها من القطن الينوفتش وسمده بمخلوط موافق من الاسمدة الكيماوية فبلغ المحصول ٥ قناطير وكانت الارض المخصصة للتجارب ٧ افدنة وقسمت سبعة اقسام متساوية ترك القسم الاول منها بغير سماد

وسمد القسم الثاني بالسباخ البلدي ١٥ متراً مكعباً للفدان

والقسم الثالث بقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر

والرابع بقنطارين من كبريتات النشادر

والخامس باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من كبريتات البوتاسا

والسادس باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر

والسابع سمد مثل السادس واضيف الى سماده قنطار من كبريتات البوتاسا

وعوملت هذه القطع معاملة واحدة في زرعها وريها وخدمتها والسباخ البلدي وضع في الارض قبل آخر حرثة والاسمدة الكيماوية وضعت بطريقة التكبيش والزرع نام فكانت النتيجة هكذا

القطعة	نوع السماد	محصول الفدان
١	بدون سماد	٠٨٨٠ رطلاً
٢	بالسباخ البلدي	١١٣٥ «
٣	قنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر	١٣٢٠ «
٤	قنطار من كبريتات النشادر	١٣٣٥ «
٥	اربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من كبريتات البوتاسا	١٣٤٠ «
٦	٤ قناطير الفصفات الاعلى وقنطار نيترات وقنطار كبريتات النشادر	١٦٠٠ «
٧	مثل السادسة مع قنطار من كبريتات البوتاسا	١٥٣٥ «

ويظهر من هذه التجارب ان تلك الارض الضعيفة كانت محتاجة الى المواد النيتروجينية والفصفورية فلما اضيفت اليها المواد النيتروجينية وحدها في القطعة الثالثة زاد المحصول ٤٤٠ رطلاً ولما اضيفت اليها المواد الفصفورية وحدها في القطعة الخامسة زاد المحصول ٤٦٠ رطلاً

ولما اضيفت اليها المواد النيتروجينيَّة والفصفورية في القطعة السادسة بلغت زيادة المحصول ٧٢٠ رطلاً وهي زيادة بالغة جدًّا ومعلوم ان السماد لا يفيد هذه الفائدة الَّا في الارض الضعيفة التي تحتاج اليهِ واما الارض القوية الكثيرة الخصب ففائدتهُ فيها تكون اقل من ذلك كثيرًا كما ظهر من التجارب في اطيان الجيزة

والزيادة التي حصلت من القطعة السادسة وهي ٧٢٠ رطلاً بلغ ثمنها ٨٠٠ غرش لان القطن من الينوفتش كما تقدَّم وبيع القنطار منهُ بثمنمئة وخمسين غرشًا . وقد بلغ ثمن السماد الكيماوي واجرة نقلهِ ووضعهِ في الارض ١٨٠ غرشًا فبلغ الربح من ذلك ٦٢٠ غرشًا

واجرى المستر فودن تجارب اخرى هناك في ارض كانت مزروعة حنطة فقسم الارض سبعة اقسام متساوية وترك القسم الاول منها بغير تسميد وسمَّد الاقسام الباقية كما سمدها في القطع الاولى

فكان محصول الفدان الذي بغير سماد ٨٠٠ رطل ومحصول الفدان المسمَّد باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر ١١٠٥ ارطال فبلغت الزيادة من استعمال السماد ٣٠٥ ارطال من القطن اليتوفتش بلغ ثمنها ٣٤٠ غرشًا اذا طرح منها ثمن السماد بقيت الزيادة نحو ١٥٠ غرشًا

هذا وقد رأينا بالاختبار ان غلة الفدان في مثل تلك الاطيان لم تبلغ هذا العام اكثر من ثلاثة قناطير فمحصول خمسة قناطير غاية في الجودة واذا كانت الجمعية الزراعية لم تثبت الَّا هذا الامر وهو ان السماد الكيماوي المركَّب من المواد النيتروجينية والفصفورية يفيد الاطيان الضعيفة الى هذا الحد فهو وحدهُ يزيد على كل ما انفقتهُ الحكومة عليها حتى الآن

تجارب في زراعة الشعير

جُرب زرع الشعير في اراضي مدرسة الزراعة في الجيزة ليُعلم الفرق بين انواع التقاوي فأُتي بخمسة انواع من التقاوي الاول من حياض الجيزة والثاني من قليوب والثالث من الجيزة والرابع من المنصورة والخامس من انكلترا فبلغ محصول الفدان من الاول ١٥ اردبًا و ٣ كيلات ووزنهُ ٤٠٨٦ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ١٥ اقة وثمن المحصول كلهِ ١١١٥ غرشًا . وبلغ محصول الفدان من النوع الثاني ١٤ اردبًا و ٣ كيلات ووزنهُ ٣٩٣٧ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ٣ اقات وثمن المحصول كلهِ ١٠٤٠ غرشًا . ومحصول الفدان من النوع الثالث ١٣ اردبًا وكيلة ووزنهُ ٣٥٢٠ رطلاً ووزن تبنهِ ٤ احمال و ١٣ اقة وثمن المحصول كلهِ ٩٢٠ غرشًا . ومحصول

الفدان من النوع الرابع ١٣ اردبًا وكيلة ووزنهُ ٣٥٨٦ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ١١٥ رطلاً وثمن المحصول كلهِ ٩٨٠ غرشًا . ومحصول النوع الخامس ٦ ارادب و ٦ كيلات ووزنهُ ١٩١٤ رطلاً ووزن تبنهِ ٤ احمال و ١٦٠ اقة

وواضح من ذلك ان التقاوي البلديَّة اصلح من التقاوي الاوربية في الاراضي الجيدة وان التقاوي المأخوذة من الحياض اجود من غيرها . وان كانت غلَّة الفدان تبلغ ١٤ او ١٥ اردبًا من الشعير ويبلغ ثمنها اكثر من الف غرش فمستقبل الزراعة العلميَّة يفوق كل تقدير

ويظهر من ذلك ايضًا ان تقاوي الشعير المأخوذة من قليوب اثقل من غيرها وقد قال المستر لنتون ان كل مئة حبة من شعير قليوب تزن مثل ١١١ حبة من شعير الجيزة المأخوذ من الحياض ومثل ١١٦ حبة من شعير المنصورة . وقال ايضًا انهُ أُخذ شيء من تقاوي الشعير المنتقاة وزرع بعضهُ في ارض جيدة وبعضهُ في ارض رديئة فبلغ محصول الفدان في الارض الجيدة ١٦ اردبًا و ٧ كيلات وثمنهُ ١١٩٠ غرشًا وفي الارض الرديئة ١١ اردبًا و ١١ كيلة وثمنهُ ١٠٤٥ غرشًا وزرع شعير غير منتقى في الارض الجيدة والارض الرديئة فبلغ محصول الفدان من الارض الجيدة ١٤ اردبًا و ٨ كيلات وثمنهُ ٨٢٥ ومن الارض الرديئة ١١ اردبًا و ٦ كيلات وثمنهُ ٨٠٠ غرش

المعرض الزراعي

سيفتح المعرض الزراعي في الجزيرة في ١١ فبراير المقبل والايام الاربعة التالية وتعرض فيهِ المعروضات الزراعية على انواعها من الحيوانات والمحصولات الزراعية والآلات والادوات . والحيوانات تشمل البقر والجواميس والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال والحمير والدجاج والوز والبط والبيض والحمام والارانب . والمحصولات تشمل القمح والشعير والذرة والارز والعدس والفول وبزر الكتان والسمسم والحلبة والبرسيم . والقطن على انواعهِ اي الميت عفيف والاشموني والعباسي الينوفتش . وقصب السكر والبنجر والسكر ونباتات العلف وكسب القطن والزيوت والبطاطس والبصل والطماطم والزبدة والسمن والقشدة والجبن والعسل والشمع والصوف والبلح ونباتات الصباغة والاخشاب النامية في مصر

وتبلغ قيمة الجوائز التي يراد اعطاؤُها هذا العام نحو ٢٦٠ جنيهًا وهذا المبلغ قليل جدًّا اذا قوبل بالتعب الذي يتجشمهُ اهل الزراعة في عرض ما يريدون عرضهُ والنفقات التي يتحملونها . وبعضها زريءٌ جدًّا لا يرغّب احدًا في الاعتناء بالزراعة فالجائزة الاولى للجبن البلدي ٥٠ غرشًا

والجائزة الاولى لشمع النحل ٥٠ غرشاً والجائزة الاولى لمجموعة من نباتات الصباغة مدالية من البرنز والجائزة للبطاطس ٧٥ غرشاً وللبصل ٧٥ غرشاً وللدجاج مئة غرش وللاوز ٥٠ غرشاً وللبط ٦٠ غرشاً مع ان هذه الاشياء مما يزيد في ثروة البلاد وقوتها. وعندنا ان تنشيط تربية الدجاج والوز والبط يجب ان لا يقل عن تنشيط تربية الغنم والمعزى والجوائز المعينة لتربية الغنم تساوي ٦٦ جنيهاً ولتربية المعزى ثمانية جنيهات مع ان الغنم لا امل انها تكثر في هذا القطر لانهُ لا مرعى لها فيهِ وليس في الامكان زرع المراعي لها لغلاء الاطيان والمعزى اذا كثرت فيه كانت ضربة قاضية عليهِ لان كل بلاد كثرت فيها جعلتها قفراً

باب التقريظ والانتقاد

ناحية ابي رواش الطباشيرية

The Cretaceous Region of Abu Roash.

اتحفتنا ادارة المساحة الجيولوجية بالجزء الثاني من تقريرها عن جيولوجية الآكام الطباشيرية التي تلي الاهرام من الجهة الشمالية الغربية عند طرف الصحراء على ١٥ كيلومتراً من القاهرة غرباً ومساحتها كلها ٤٨ كيلومتراً مربعاً وفي هذا التقرير وصف وجيز لجغرافية تلك الآكام ووصف مسهب لجيولوجيتها اي شكل بنائها والزمن الذي تكوَّنت فيهِ والطوارئ الطبيعية التي طرأت عليها . ويمتاز هذا التقرير بكثرة الصور والرسوم ودقة صنعها فانها بالغة الدرجة القصوى من الاتقان . وقد وضعهُ المستر بيدنل الجيولوجي بعد بحث دقيق ومقابلة كل ما قالهُ العلماء المتقدمون في وصف تلك الآكام . وفائدتهُ خصوصيَّة لا تتناول احداً من ابناء هذا القطر الآن ولكن قد يستفيدون منها في مستقبل الازمان

الثورة الافرنسية

هاجر السوريون الى اميركا طلباً للرزق او هرباً من الجور ولم ينسوا لغتهم فيها فتراهم يصدرون الجرائد ويؤلفون الكتب باللغة العربية الى ان يشبَّ اولادهم على معرفة اللغة الانكليزية او البورتوغالية فيضطروا الى الاقتصار على لغة البلاد التي نزلوها . ومن مؤلفاتهم

الحديثة رسالة في الثورة الافرنسية لحضرة الكاتب المجيد امين افندي فارس ريحاني قال في مقدمتها انهُ انشأها ليطّلع عليها اخوانهُ الذين لا يعرفون الانكليزية ولا الفرنسوية والحقها بمقالة انتقادية جمع فيها الافكار التي تولدت في نفسهِ حينما قرأ تاريخ الثورة الذي الّفهُ توماس كارليل

وعبارة الرسالة رشيقة ومعانيها دقيقة وهي على ايجازها تصور ما تصفهُ ادق تصوير. قال كاتبها في الكلام على ڤولتر "لم يكن ڤولتر دهريًّا كما زعم البعض بل كان حرًّا في افكارهِ مستقلاً في عقيدتهِ مرتابًا فقط في بعض العقائد الدينية فهو الذي جاهر بحرية العبادة وذاد عنها في كل كتاباتهِ شعرًا ونثرًا وهزلاً وجدًّا . طعن برمح تهكمهِ الخرافات فقتلها وكان اذا تبسَّم من وراء يراعتهِ يهتزّ لهُ الملك الظالم على عرشهِ . اشتغل بالتدمير فدمَّر كل شيءٍ سخيف وعقيم في الهيئة الاجتماعية القديمة ومهّد الطريق للفلاسفة الذين اشتغلوا من بعدهِ بالبناء" وانتقاد الكاتب على كارليل شديد عنيف وليس هنا محل البحث فيهِ

والرسالة مهداة الى حضرة الكاتب البليغ نعوم افندي مكرزل

النخبة

هو قصائد مختارة من ديوان الشاعر المطبوع رشيد افندي مصوبع فيهِ كثير من قصائد الغزل الرقيق والوصف البديع وكثير من الابيات الحكمية اخذ في بعضها مأخذ الاشتراكيين كقولهِ

وتأوي الى اوكارها طير ايكةٍ وجنب فقير لا يلامس مرقدا
ترى في وجوه البائسين تضاؤلاً وفي وجنات الموسرين توردا

ومن احاسن مدحهِ قولهُ

يا خير من حثّت اليهِ ركابنا واليهِ قد زُفّت بنات الخاطرِ

وقولهُ في مدح المرحوم عبده الحمولي

نثر الشمائل لؤلؤءًا متناثرًا فعقدت منها سلكيَ المترصعا

ومن الوصف قولهُ في رحلتهِ الى الترنسفال

ترى البطائح فيحًا فوق ما نظرت عيناك يكلأُها عير وذيّالُ

وقولهُ في حب البوير لوطنهم

ليت ذاك الالماس ما كان لم يرموا بكر من الوغى وعوانِ

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

وقد نقلها الى العربية حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي الخوري الشرتوني . وهي رواية دينيَّة تاريخيَّة أدبيَّة جُعلت وقائعها في جبل لبنان وما يليهِ شمالاً الى جبال النصيرية في القرن الخامس عشر الذي تاريخهُ من اسقم التواريخ. ولم يتحاشَ المؤلف ذكر ما لا يصدقهُ عقل ولا يصح الاَّ اذا اختل نظام الكون. والظاهر انهُ مبتدئ في تصنيف الروايات فلم يفلح كثيرًا في ما استنبطهُ من الحوادث لكنهُ اجاد وافاد في ذكر الامور التاريخية والاستشهاد بالمظان المنقولة عنها وحبذا لو ذكر الفصل او الصفحة من الكتب التي استشهد بها وذكر الاسماء الافرنجيَّة بحروفها الافرنجيَّة ايضاً تسهيلاً للمراجعة

باب الصناعة

الاليومنوم ومركباتهُ

لا يخفى على قرَّاء المقتطف ان الاليومنوم معدن ابيض كالفضة خفيف جدًّا اخف من كل المعادن المطروقة . وهو كثير الوجود في الارض ولم يمنع الناس من كثرة استعمالهِ في الماضي الاَّ صعوبة استخراجهِ حتى ان القدماء لم يهتدوا اليهِ كما اهتدوا الى الحديد والنحاس مع انهُ اكثر منهما جدًّا ولما اهتدوا الى طريقة رخيصة لاستخراجهِ وتحييدهِ منذ خمس عشرة سنة رخص ثمنهُ فصار ثمن الرطل منهُ مئة غرش ثم زاد رخصاً بازدياد طريقة استخراجهِ اتقاناً حتى بلغ ثمن الرطل منهُ الآن نحو خمسة غروش فقط فان نفقات استخراجهِ لا تزيد الآن على اربعة غروش لكل رطل منهُ . وهو نقي جدًّا في المئة رطل منهُ نصف رطل فقط من الشوائب واكثرها من الحديد والسليكون

والهواء يفعل باليومنوم فيكدّر سطحهُ ولا سيما في المدن الفاسدة الهواء لكن الغشاء الذي يعلوهُ حينئذٍ يحفظ ما تحتهُ من المعدن

ولهذا المعدن فائدة كبيرة في سبك المعادن فانهُ اذا اضيف رطلان او ثلاثة منهُ الى الطن من الحديد او النحاس وقت سبكهما وافراغهما في القوالب امتصت ما في المعدن المسبوك

من الهواء ومنعت تكون الابواق فيهِ ولهُ فائدة صناعية اخرى في لحم قضبان الحديد في سكك الحديد فانهُ اذا مزج باكسيد الحديد واشعل بشريط من المغنيسيوم اشتعل وتولَّدت منهُ حرارة شديدة جدًّا تذيب قضبان الحديد وتلصقها بعضها ببعض

قلنا ان الالومنيوم اخف المعادن المطروقة فان ثقلهُ النوعي ٦ و٢ اي ان وزن السنتيمتر المكعب منهُ غرامان وستة اعشار الغرام فقط ولخفتهِ كثر استعمالهُ حيث يراد استعمال معدن خفيف كما في السفن والمركبات . وقد شاع استعمالهُ آنية للطبخ لانهُ من اشد الموصلات للحرارة ولا تتركَّب منهُ مركبات سامَّة مع الطعام كما تتركب من النحاس والرصاص وهذا يدعو الى استعمال مقادير كبيرة جدًّا منهُ لان آنية الطبخ توجد في كل بيت

ولا يعترض على الالومنيوم الاَّ بانهُ قليل الصلابة او المتانة لكن ذلك يُصلَح باضافة قليل من النكل او النحاس اليهِ فاذا كان صرفًا فمتانتهُ ٢٨٠٠٠ رطل لكل عقدة مربعة فاذا أُضيف اليهِ نحو ٣ في المئة من النحاس صارت متانتهُ ٤١٠٠٠ واذا أُضيف اليهِ واحد في المئة من النحاس وواحد في المئة من النكل صارت متانتهُ ٤٥٩٠٠

والفائدة الكبرى التي يمكن ان تكون للالومنيوم هي استعمالهُ بدل النحاس موصلاً للكهربائيَّة على مسافات طويلة بعد ان غلا ثمن النحاس غلاءً فاحشًا فقد استعمل لنقل قوة ١٢٠٠٠ حصان مسافة اربعين ميلاً وزيدت متانتهُ حينئذٍ باضافة ١/٢ ١ في المئة من النحاس اليهِ ولخفتهِ امكن ان يجعل البعد بين كل عمودين ١٥٠ قدمًا فاقتصد في عدد الاعمدة

هذا والذي يهمُّ قرَّاء المقتطف بنوع خاصٍ مما تقدَّم ان آنية الالومنيوم اذا استعملت للطبخ فهي اصلح من آنية النحاس وانهُ يجب ان يكون ثمنها رخيصًا جدًّا فالقدر الذي يكون ثمنهُ اربعون او خمسون غرشًا اذا كان من النحاس يجب ان لا يزيد ثمنهُ على عشرة غروش اذا كان من الالومنيوم لان ثمن الرطل من الالومنيوم نحو نصف ثمن الرطل من النحاس ووزن الالومنيوم نحو ثلث وزن النحاس

التصوير الشمسي الملوَّن

نكتب هذه السطور لا طمعًا بان يطلّع عليها القراء ويستفيدوا منها فائدة عملية فيصوروا صورًا فوتوغرافية ملوَّنة بل لكي يعرفوا الى اي حدٍ وصلت هذه الصناعة التي تعدُّ من ابدع مكتشفات القرن الماضي

ونحن نكتب الآن وامامنا رسم عشر بيضات من بيوض الطيور ملونة بالوانها الطبيعية تمامًا بين ابيض واصفر وبني وقرفي وبنفسجي وملطخ بلطخ مختلفة من هذه الالوان . لكنها مطبوعة

كذلك طبعاً بالحبر في المطابع العادية مع ان الصور صنعت بالتصوير الشمسي

وطريقة هذا التصوير ان تؤخذ ثلاث صور سلبيَّة على ثلاث زجاجات حسَّاسة وحين اخذ الصور عليها توضع بينها وبين عدسيَّة آلة التصوير الواح ملونة تمتص الالوان من صورة الجسم فلا يبقى منها كل مرة الَّا لون واحد من الالوان الاصليَّة وهي الاحمر والازرق والاخضر. ومتى أُخذت الصور الثلاثة على ثلاثة الواح تنقل عنها الى ثلاث صفائح من الزنك او النحاس حسبما تنقل الصور عادة فيكون على الصفيحة الواحدة منها صورة كل ما هو ملوَّن باللون الاحمر وعلى الثانية صورة كل ما هو ملوَّن باللون الازرق وعلى الثالثة صورة كل ما هو ملوَّن باللون الاخضر. وتطبع الصورة على الورق ثلاث مرَّات بحبر احمر وازرق واخضر على التوالي. ولا بدَّ من ان تكون هذه الاحبار الثلاثة على نسبة ما في النور الابيض منها فتظهر الصورة اخيرًا ملوَّنة بالوانها الطبيعيَّة تماماً

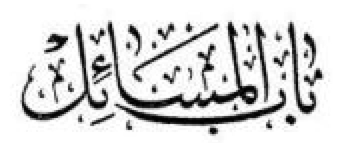
الَّا ان المدة اللازمة لاخذ الصورة على لوح الزجاج طويلة فاللون الازرق يقتضي نحو عشر دقائق والاخضر نحو ثلاثين دقيقة والاحمر اكثر من ذلك وتقول جريدة ناتشر ان هذه المدة يمكن ان تقصر كثيرًا اذا كان النور ساطعاً ولكنها مهما قصرت تبقى طويلة جداً بالنسبة الى الوقت لاخذ الصور العادية فلا تصلح هذه الطريقة لتصوير الناس ولا لتصوير الحيوانات الحيَّة ولكنها تصلح لتصوير المناظر الطبيعيَّة المختلفة والحيوانات المصبَّرة والنباتات على انواعها والآلات والادوات فهي خير معين لعلماء الطبيعة على رسم صورها في كتبهم وعلى ما يكبرونهُ بالفانوس السحري منها

آلة علب السردين

كان العامل الماهر لا يصنع في نهارهِ اكثر من سمئة علبة من هذه العلب باتقن الآلات المعروفة اما الآن فاخترع رجل من اهالي نروج آلة يصنع بها العامل الواحد ثمانية عشر الف صندوق في اليوم

مواقد زيت البترول

لما اشتدَّ اعتصاب العمال مستخرجي الفحم الحجري اتجهت همة المخترعين الى اختراع اساليب جديدة لايقاد زيت البترول بدل الفحم الحجري او استعمال بخارهِ لادارة الآلات فبلغ عدد الذين طلبوا امتيازًا بمخترعات جديدة من هذا القبيل في الولايات المتحدة الاميركية حتى شهر سبتمبر الماضي ٣٩٨٠



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) اول عمل الزجاج

طنطا . الخواجه هارون حسون . هل وجدت قديماً معامل لعمل الزجاج واي بلاد صنعتهُ اولاً

ج يظهر من آثار مصر وسورية وبابل واشور ان الزجاج كان يصنع بكثرة فيهما قبل التاريخ المسيحي . واقدم الزجاج الموجود الآن مصري صنع في مصر قبل التاريخ المسيحي بنحو اربعة آلاف سنة فلا يبعد ان تكون مصر صنعتهُ قبل غيرها من البلدان

---

(٢) النبوّات

باهيا بالبرازيل. الخواجه الياس مارون. ما قول علماء هذا العصر الذين ينكرون صحة النبوّات في ما قالهُ ابو نبوليون الاوّل وهو في حالة النزع فقد قال لا يخيفني من هذه الساعة احد ولا سيف ابني نبوليون الذي سوف يقهر اوربا كلها

ج ان ما يحدث في المستقبل قد يكون مرتبطاً بامور معلومة فيُعرَف منها كما تعرف الامور المجهولة من الامور المعلومة بالاستدلال والاستنتاج وعلى ذلك تبنى اكثر معلومات الانسان ومعاملاتهُ فاننا نزرع البزور في الارض مثلاً ونحن واثقون انها تنبت بعد ايام فتنبت وتنمو وتثمر كاننا نتنبأ بما سيحدث في المستقبل . وبمثل ذلك او بأدق منهُ نعرف اوقات كسوف الشمس وخسوف القمر وحركات السيّارات . وقد يكون غير مرتبط بامور معلومة عندنا فلا نستطيع ان نتّصل الى معرفتهِ . فاذا وُجد احد يعرف ما لا يعرفهُ غيرهُ من الحوادث المستقبلة فيكون قد استدلَّ عليها بدلائل لا يعرفها غيرهُ وما من احد من العلماء ينكر ذلك ولكنهم لا يصدقون كل ما يروى من هذا القبيل الّا اذا ظهرت ارجحيتهُ او ثبت صدقهُ فاذا انبأ واحد مثلاً ان ثمن البن البرازيلي سيصير بعد شهرين ثلاثة اضعاف ما هو الآن لم يصدقهُ احد من تجّار البن الّا اذا عرفوا الدلائل التي بنى عليها حكمهُ ورأوا انها ترجح النتيجة التي استنتجها او عرفوا بالاختبار الطويل ان نبوّتهُ كانت تصحّ دائماً

ولو لم يخبرهم عن الدلائل التي يبنيها عليها . اما الذين يدَّعون انهم يعرفون المستقبل بالهام الهي او شيطاني فاذا اثبتوا دعواهم بادلَّة قاطعة لا ينكرها احد عليهم

(٣) هواء لبنان

ومنهُ . يخال لي ان هواء جبل لبنان اطيب من هواء كل بلاد أُخرى فهل هذا رأيكم

ج نحن ميالون الى هذا الرأي ايضاً ولكن لم يبحث احد في ذلك بحثاً علميًّا حتى الآن. ونريد بالبحث العلمي اولاً ان يعرف مقدار الميكروبات في هواء لبنان على مدار السنة ومقدار الميكروبات المرَضية منها. ثانياً ان يعرف مقدار الاوزون فيهِ ثالثاً ان تقاس درجات حرارتهِ على مدار السنة ويعرف اختلافها نهارًا وليلاً وتأثير ذلك في صحة الابدان . رابعاً ان يعرف مقدار رطوبتهِ على مدار السنة. خامساً ان يعرف مقدار الساعات التي تشرق فيها الشمس في السنة . سادساً ان يقابل بينهُ وبين غيرهِ من البلدان المشهورة في جودة هوائها

(٤) الارجوحة للطفل

مصر . السيدة زينب ابرهيم عزت . هل الاصلح للطفل الرضيع ان يوضع في ارجوحة كما يفعل السوريون او في السرير او غيرها . نرجو افادتنا عن ذلك

ج الفرق قليل بين الارجوحة والسرير سواءٌ كان السرير متحركاً او ثابتاً فانهُ اذا اعتاد الطفل تحريك جسمهِ وقت النوم صار يصعب عليهِ ان ينام من غير ان يحرَّك جسمهُ واذا اعتاد النوم من غير ان يحرَّك جسمهُ صار ينام كذلك . وقد تربى بعض اولادنا في سرير يهزُّ وبعضهم في سرير لا يهزُّ ويظهر لنا ان الذين تربوا في سرير لا يهزُّ كانت صحتهم اجود بنوع عام

---

(٥) مياه الارض

بتكرالين بالبرازيل . الخواجه نقولا ابو عيسى . هل مياه هذا الكون آخذة في الازدياد او التناقص او هي باقية على حال واحدة

ج نظن انكم تريدون بالكون كرتنا الارض وبالماء الماء السائل اي مياه البحار والبحيرات والانهار والينابيع فاذا كان الامر كذلك فمياه الارض آخذة في التناقص لانها تدخل الاجسام المتبلورة وستجف الارض يوماً ما كما جفَّ القمر

(٦) كشف الراس

ومنهُ . يعتقد اهالي برازيل انهُ اذا اقام الانسان خارج الاواء مساء مكشوف الراس اعتراهُ مرض في جسمهِ فهل هذا الاعتقاد صحيح

ج لا يعقل ان يحدث في البرازيل

غير ما يحدث في غيرها فكشف الراس لمن اعتاد كشف رأسهِ غير ضار وكشفهُ لمن اعتاد تغطيتهُ يوقع في الزكام اذا كان الهواء شديد البرد ولا نرى لهُ ضرراً غير ذلك

(٧) الطبيعة الخامسة

مصر. احد المشتركين . ماذا يقصد الناس بقولهم العادة طبيعية خامسة هل ان الانسان ذو طبائع اربع واذا كان كذلك فما هي تلك الطبائع

ج ان الاطباء المتقدمين قالوا باربع طبائع في جسم الانسان الاولى مزاج البدن والثانية هيئتهُ التركيبيَّة والثالثة القوة المدبرة فيهِ ورابعاً حركة النفس. والعلم الطبيعي لا يعرف في جسم الانسان غير المادَّة والقوة فالعظم والعضل والدم والاعصاب والدماغ والجلد والشعر كل ذلك مادة والحركة التي تحركها هذه الاعضاء قوة والمادة والقوة تأتيان من الغذاء والهواء. أَدخل فارتين ذكراً وانثى الى صندوق من الطحين واتركهما فيهِ شهراً من الزمان تجد انهما قد ولدا فيراناً كثيرة وكلها اكتست لحماً وعظماً وصوفاً وصارت تمشي وتسعى في طلب رزقها وتجاهد في طلبهِ وتنفق وتفترق وتتزاوج وتتوالد وكل مادتها وكل قوتها اتت من الدقيق الذي اكلتهُ والهواء الذي تنفستهُ والحرارة التي وصلت اليها . اما قول الناس الطبيعة الخامسة فلعلهم يعنون ان الطبائع الاربع المشار اليها آنفاً تشمل كل قوى الانسان فاذا اعتاد عادةً ما صارت تلك العادة طبيعة خامسة لهُ

(٨) بطء الشيب

صيدا . محمد افندي علي حامد . بماذا تعللون بطء الشيب في بعض الناس فقد شاهدت رجلاً قرويًّا ناهز الثمانين ولم يزل شعرهُ اسود فاحماً

ج الشيب عَرَض سببهُ ضعف في تغذية الشعر يرافق ضعف القوى الحيوية ولذلك يظهر في الشيخوخة غير انهُ يقوى او يضعف بالوراثة اي اذا انهك رجلان قواهما في شبابهما او كهولتهما وتزوج ابن احدهما بنت الآخر فالراجح ان ابناء هذين الزوجين يكونون اميل منهما الى الشيب الباكر . واذا اتفق انهم تزوجوا بنات مولودات من والدين مائلين الى الشيب الباكر قوي هذا الميل في اولادهم ايضاً فصار الشيب يظهر فيهم باكراً جريًا على ناموس الوراثة الذي اوضحناهُ غير مرةٍ وهو ان الولد يرث نصف ما فيهِ جسداً وعقلاً من والديهِ وربعهُ من والديهم وثمنهُ من والدي والديهم وهلمَّ جرًّا . وقس على ذلك عدم الميل الى الشيب الباكر . غير ان الناس لا يقصدون في زواجهم اثبات صفة من الصفات في نسلهم كما نقصد في تربية المواشي والاشجار والازهار فيتفق كثيراً ان الميل

الذي يكون في زيد يكون ضده في زوجتهِ فيتعدَّل في نسلهما . واذا بحثتم عن اصل الرجل القروي الذي اشرتم اليهِ وجدتم الميل الى تأخُّر الشيب كان ظاهرًا في احد والديهِ او فيهما كليهما او في احداجدادهِ لابيهِ او امهِ او لهما كليهما

(٩) تصوير الارواح

ومنهُ . اخبرني بعض الاذكياء انهُ توجد آلة فوتوغرافية تصور الصورة المستحضرة في ذهن المرء كانها محسوسة فهل لذلك صحة وما تعليل هذا التصوير

ج هذه دعوى ادَّعاها بعض المحتالين وصوَّروا بها صورًا خيالية لا وجود لها في الخارج على زعمهم . وقد شاهدنا صورًا مطبوعةً منقولة عن هذه الصور الخيالية ولكن وُجد لدى البحث انهم كانوا مخدوعين او خادعين . قلنا مخدوعين لانهُ ثبت الآن انهُ اذا وُضعت صورة على لوح من الزجاج مباشرة لهُ وبقيت عليهِ وقتًا طويلاً اثرت فيهِ تأثيرًا يظهر بالتصوير الشمسي ولو لم يُرَ بالعين فاذا كان المصور يجهل ذلك ورأى الصورة تصوَّر عن ذلك اللوح ولو لم يكن مصدرها امامهُ فهو مخدوع في حسبانهِ اياها صورة خالية واذا كان يعلم ذلك ويخدع غيرهُ بهِ فهو خادع . ولما كانت هذه الصور غير واضحة فيراها المرء ويتوهم انها تماثل الصورة التي كانت في ذهنهِ

(١٠) كتاب في العمران

ومنهُ . هل يوجد بعد مقدمة ابن خلدون تأليف وافٍ في علم العمران باللغة العربية

ج لا نظن ولم نرَ كتابًا عربيًّا قديمًا في علم العمران غير المقدمة

(١١) فهرس المقتطف

ومنهُ . اقترح عليكم بعض الادباء ان تجمعوا ما نشرتموهُ وتنشرونهُ في المقتطف تحت عنوان تدبير المنزل واقترح ايضًا اديب آخر ان تضعوا فهرسًا هجائيًّا عامًّا لكل مجلدات المقتطف فهل توفقتم الى انجاز هذين الامرين او احدهما

ج وفقنا الى انجاز الامر الثاني فقط فوُضع الفهرس العام للخمسة والعشرين مجلدًا الاولى من المقتطف ولكننا لم نجد فرصةً حتى الآن لطبعهِ

(١٢) النهضة الجديدة

ومنهُ . ما قولكم في هذه النهضة العلمية الاصلاحية هل تنتج ثمرًا في المستقبل

ج هذا الذي نرجوهُ ونسعى لهُ ولكنها قد تختنق قبل ان تنمو النمو الكافي ما دام التضييق على الافكار جاريًا مجراهُ في بلادنا

(١٣) استحضار الارواح

ومنهُ . هل استحضار الارواح امر صحيح او باطل وان كان باطلاً فلماذا صدَّق بهِ جم غفير من علماء اوربا واميركا وانبرى لاثباتهِ مثنا مجلة

ج كنا منذ سنتين راجعين من بيت رجل من المعتقدين استحضار الارواح في مدينة باريس عرَّفنا بهِ صديق قديم من نزلاء تلك المدينة فسألنا وهو يمشي معنا كيف رأيتم الرجل فقلنا ان عقلهُ غير موزون . وانبنى على هذا الجواب جدال طويل لا محل لبسطهِ هنا. وكلما رأينا رجلاً من العلماء الذين يعتقدون اعتقاداً اكيداً باستحضار الارواح نرى شيئاً من الخلل او الهوس في عقلهِ فانهُ قد يكون من اعلم الناس في امور كثيرة يبني احكامهُ فيها على القواعد العلمية ثم اذا حدثتهُ في مسألة استحضار الارواح رأيتهُ يصدق السخائف ويخدع بما لا يخدع بهِ ابسط الناس. وتعليل ذلك ان مراكز القوى العقلية كثيرة مختلفة فيتفق كثيراً ان ينمو بعضها على نفقة البعض الآخر فتختل موازنتها كما يتفق ان تقوى العين الواحدة وتضعف الاخرى او يشتد سمع الاذن الواحدة ويضعف سمع الاذن الاخرى . ولو كانت الارواح تحضر حقيقة لوجب ان تحضر بصورة محسوسة يشعر بها الجميع كما يشعر بها واحد ولوجب ان تفعل افعالاً محسوسة معقولة مفيدة لا الافعال السخيفة التي ينسبونها اليها لانهُ لا يحتمل ان تكون روح الانسان اجهل من الانسان نفسهِ ولا اسخف منهُ عقلاً ومع ذلك فان الارواح التي يدَّعي هؤلاء انهم يستحضرونها لا تعمل الاَّ اسخف الاعمال

(١٤) قدم الرتب والنياشين

ومنهُ . هل كانت الرتب والنياشين معروفة عند الامم القديمة

ج نعم كانت الرتب معروفة عند كل الامم القديمة كاليهود والفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين اما النياشين فاقدم ما عُرف منها مصنوع في عهد اوغسطس قيصر قُبيل التاريخ المسيحي وفي بداءتهِ وهو من نوع المداليا اي قطع من المعدن مضروبة كالنقود تحمل للامتياز

---

(١٥) حفظ البرتقال

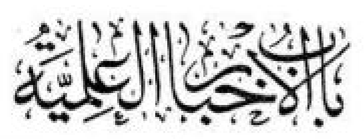
النبطية . احمد افندي رضا . ما احسن طريقة لحفظ البرتقال والليمون الى اواخر الصيف

ج لا بدَّ لحفظ الاثمار من شيء يمنع تبخر الماء منها ومن شيء آخر يمنع دخول جراثيم الاختمار اليها اما جراثيم الاختمار فلا تدخلها اذا كانت قشرتها سليمة من كل شق ورض . واما منع تبخر العصار منها فيتم بلفها بورق خفيف لفّاً محكماً او بوضعها في صناديق محكمة من الصفيح ولحمها او بنحو ذلك من التدابير التي تمنع التبخر او تقللهُ كثيراً

(١٦) وقاية النباتات من الصقيع

ومنهُ . بماذا توقى النباتات من الصقيع

ج بتغطيتها بالقش او التبن او نحو ذلك من المواد التي يتخلل الهواء اجزاءها لان الهواء موصل رديء للحرارة فتبقى حرارة النباتات فيها ولا تنصل منها الى الهواء الجوي



التلغراف الاثيري

التلغراف الاثيري او التلغراف الذي تجري عليهِ الكهربائية من غير سلك استنباط حديث يعلم قرَّاء المقتطف تاريخهُ وتدرُّجهُ ولم يختم العام الماضي حتى نجح نجاحاً يفوق ما قدّر لهُ فانهُ في الحادي والعشرين من شهر دسمبر الماضي بعث لورد منتو حاكم كندا الى ملك الانكليز الرسالة الآتية ترجمتها بواسطة هذا التلغراف وهي

"الى جلالة الملك بلندن . اسمحوا لي ان اهنئ جلالتكم بواسطة هذه الرسالة المرسلة من غير سلك بنجاح الاختراع العظيم الذي اخترعهُ مركوني فوصل بهِ انكلترا بكندا منتو"

وبعث مركوني نفسهُ رسالة برقية بتلغرافهِ الى الملك يقول فيها

"بتلغراف مركوني الذي لا سلك لهُ في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٠٢ الى لورد نولس في قصر بكنهام بلندن . ليسمح لي ان اقدّم عبوديتي بالاكرام التام الى جلالة الملك بواسطة هذه الرسالة المرسلة بغير سلك من كندا الى انكلترا في اول ارسال الرسائل قاطعةً الاوقيانوس الاتلنتيكي من غير سلك مركوني"

فبعث الملك الى لورد منتو حاكم كندا رسالة برقية يقول فيها

"لقد سررت جدًّا بالرسالة التي ارسلتموها اليَّ بغير سلك وابتهجت بنجاح السنيور مركوني في اختراعهِ العظيم الذي يزيد الاتصال بين بريطانيا وكندا ادورد"

وبعث مركوني رسالة برقية من غير سلك الى ملك ايطاليا فيها ٢٥ كلمة قال فيها انهُ جعل ينقل الرسائل التلغرافية من غير سلك بين كندا وانكلترا وقدَّم فيها عبوديتهُ للملك والملكة وابنتيهما واعرب عن شكرهِ لجلالتهِ على موازرتهِ لهُ في بداية تجاربهِ . فاجابهُ الملك مهنئاً اياهُ بنجاحهِ

وبعث وزير كندا الى جريدة التيمس الرسالة التالية من غير سلك وهي

"ان حكومة كندا ترغب بواسطة جريدة التيمس في ان تهنئ الشعب الانكليزي باتمام مركوني لاعظم عمل نتج عن العلم الحديث"

ومعلوم ان لارسال الاشارات الكهربائية مسافة الفي ميل او اكثر من غير اسلاك معدنية شأناً كبيرًا علميًّا وعمليًّا واذا أُنفق على اتقان هذا الاختراع جزء صغير من النفقات التي تنفق على مد الخطوط التلغرافية في البحار فلا يبعد ان يغني عنها في المستقبل القريب

الكسوف والخسوف

يقع في هذا العام كسوفان وخسوفان

الكسوف الاول حلقي يقع في ٢٩ مارس ولا يرى في القطر المصري

والخسوف الاول جزئي يقع في ١١ ابريل يرى في القطر المصري وهذه اوقات رؤيتهِ في القاهرة

	س	د
اول مماسة الظليل	١١	٢٨
اول مماسة الظل	١٢	٣٤
وسط الخسوف	٢	١٣
آخر مماسة الظل	٣	٥٢
آخر مماسة الظليل	٤	٥٨

ومقدار هذا الخسوف ٢/٧ ٩ من قطر القمر

والكسوف الثاني تام يقع في ٢١ سبتمبر ولا يرى في القطر المصري

والخسوف الثاني جزئي يقع في ٦ اكتوبر يبتدئ الساعة ٢ والدقيقة ٢٨ بعد الظهر ويرى بعضهُ في القطر المصري وهذه اوقاتهُ

	س	د
اول مماسة الظليل	٢	٢٨
اول مماسة الظل	٣	٤٠
وسط الخسوف	٥	١٨
غياب الشمس في القاهرة	٥	٣٧
شروق القمر فيها حينئذٍ	٦	٣
آخر مماسة الظل	٦	٥٥
آخر مماسة الظليل	٨	٧

مقدار ما يخسف من القمر ٩,٨٦ من قطره

بناء الكون

ارتأى الاستاذ اوسبُرن رينلدز رأياً جديداً في بناء الكون قال انهُ يفسّر كل الحوادث الطبيعية ومفاد هذا الرأي ان الكون مملوء بالاثير وهذا الاثير مؤلَّف من كرات صغيرة صلبة قطر كل كرة منها جزء من مئة وسبعين مليون من طول موجة من امواج النور البنفسجي. وهذه الكرات منتظمة بعضها مع بعض على ابعاد متساوية ولكن انتظامها غير تام بحيث يكون فيهِ خلل فهناك ما نسميهِ مادَّة اي ان المادَّة خلل في انتظام دقائق الاثير. وقد ألَّف رسالة في هذا الموضوع بيَّن فيها الادلة التي قادتهُ الى هذا الرأي. فاذا استطاع ان يثبتهُ بالبراهين العلمية المقنعة ابقى لهُ اسماً في التاريخ اعظم من اسم الفيلسوف اسحق نيوتن كما قالت جريدة نانشر

متحجرات الحبشة

اكتشفت البعثة الفرنسوية في بلاد الحبش كثيراً من الظرّان ومتحجرات كثيرة على الضفة اليمنى من نهر اومو من ذلك بقايا نوعين من التماسيح ونوعين من الافيال احدهما اكبر من الافيال المعروفة والآخر اصغر منها كثيراً لا يزيد ارتفاعهُ على متر. وثلاثة انواع مختلفة من الخيل وخمسة انواع من الخنازير وثمانية عشر نوعاً من الايائل

اليد اليمنى واليسرى

خطب الاستاذ كننهام بالامس الخطبة التي تتلى تذكاراً للاستاذ هكسلي وكان موضوعهُ اليد اليمنى واليد اليسرى فبيَّن ان استعمال الانسان لليد اليمنى دون اليسرى قديم جدًّا موروث فيهِ كالنطق وسببهُ ان الجانب الايسر من الدماغ اقوى من الجانب الايمن وهو متسلط على اليد اليمنى فتكون اقوى من اليسرى طبعاً ولكن يتفق احياناً ان يكون جانب الدماغ الايمن اقوى من الجانب الايسر فتكون اليد اليسرى اقوى من اليمنى ومن المؤكد ان مركز النطق في الجانب الايسر من الدماغ واذا كان الانسان ايسر فمركز النطق فيهِ يكون في الجانب الايمن من دماغهِ الذي يحرّك يدهُ اليسرى

زلزلة اندجان

اصيبت مدينة اندجان من اعمال فرغانة التابعة لروسيا بزلزلة صباح السادس عشر من شهر دسمبر الماضي خربت ١٦ الف بيت من بيوتها وقتلت ٢٥٠٠ من اهاليها وبلغ عددهم خمسين الفاً

سرعة النور

أُعيدت التجارب لمعرفة سرعة النور بالتدقيق التام فثبت منها ان سرعتهُ تبلغ ٢٩٩٨٨٠ كيلو متراً في الثانية من الزمان او ١٨٦٢٢٥,٥ ميلاً

الثرميت

قلنا في الكلام على الاليومنيوم المدرج في باب الصناعة في هذا الجزء ان هذا المعدن استُعمل حديثاً للحم قضبان سكك الحديد. والظاهر ان الحرارة الحادثة من حرقهِ من اشد انواع الحرارة فتبلغ ٣٠٠٠ درجة من درجات سنتغراد او ٥٤٠٠ درجة من درجات فارنهيت حتى اذا وضعت قليلاً من دقيق الاليومنيوم واكسيد الحديد على لوح من الحديد سمكهُ ربع بوصة واشعلتهُ على اللوح اشتعل واذاب اللوح وخرقهُ في بضع ثوانٍ لان الحرارة التي يذوب بها الحديد تبلغ ١٥٣٠ درجة فقط واما الحرارة التي يشتعل بها الاليومنوم فتبلغ ٣٠٠٠ درجة كما تقدَّم. وقد أُطلق على دقيق الاليومنوم الممزوج باكسيد الحديد اسم الثرميت وصُنعت لهُ بواتق مخصوصة يُصهر الحديد بهِ فيها ويستعمل للحم قضبان سكك الحديد وانابيب الماء فان الحديد الذي يذاب بهِ يكون صرفاً واذا صُبَّ على متَّصل قضيبين او انبوبين من الحديد جمد عليهما حالاً ولحمهما لحاماً متيناً كانهما قطعة واحدة واذا اضيف قليل من الثرميت الى الحديد او الصلب وقت سبكهما زادت سيولتهما

البارابلوم

البارابلوم اسم مسدَّس جديد عزمت

حكومة سويسرا على تسليح جنودها بهِ فان مدى رصاصهِ ١٨٠٠ متر واذا أُطلق على خمسين مترًا خرقت رصاصتهُ لوحًا من الحديد ثخنهُ ربع بوصة ويمكن ان يطلق بهِ مئة طلق في الدقيقة

الانتحار في فرنسا

كان المتوسط السنوي لعدد المنتحرين في فرنسا بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٥ نحو ٧٣٤٠ نفسًا اي ١٩ من كل مئة الف نفس فزاد رويدًا رويدًا حتى بلغ ٩٩٥٢ سنة ١٨٩٩ اي ٢٥ من كل مئة الف نفس وهبط في السنة التالية فبلغ ١٨٩٢٦ اي ٢٢ من كل مئة الف والنساء منهم اقل من الرجال كثيرًا فان متوسط عددهن ٢٠١٧ فقط ومتوسط عدد الرجال المنتحرين ٧٠٦٩

النجاة بالاتوموبيل

قيل ان المستر كارنجي المثري الاميركي كان يكلم المستر غلادستون مرةً في وجوب الاتفاق بين انكلترا والولايات المتحدة الاميركية وفي ما يعود من الضرر على انكلترا اذا نشبت حرب بينهما فقال لهُ غلادستون اذا نشبت الحرب بيننا وبينكم فانتم الذين تضامون لان بوارجنا تحصر كل مرافىء بلادكم وتمنع تجارتكم فقال لهُ كارنجي ان هذا الحصر نفعلهُ نحن بانفسنا ان لم تفعلوهُ انتم لاننا اذا امتنعنا عن اخراج القمح والدقيق من بلادنا الى بلادكم امتنا كم جوعًا في بضعة اشهر. فصمت غلادستون ولم يحرْ جوابًا

ويقول علماءُ الانكليز الآن ان ما كانوا يخشونهُ من المجاعة في بلادهم اذا نشبت حرب بينها وبين اميركا او غيرها من البلدان سيزيلهُ الاوتوموبيل لانهُ سيغنيهم عن الخيل وعددها في بلادهم خمسة ملايين وهي تأكل في السنة غلة ارض لو زرعت قمحًا لكفت الشعب الانكليزي لان ارضهم التي تزرع قمحًا الآن لا تبلغ مساحتها مليونًا وثلاثة ارباع المليون من الافدنة واما ارضهم التي تزرع حبوبًا للخيل فتبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين فدان والارض التي تزرع مراعي للخيل وغيرها من المواشي تبلغ مساحتها نحو ١٩ مليون فدان فاذا قام الاوتوموبيل مقام الخيل حُوّل كثير من هذه الارض لزرع الحنطة

معرض اميركا واليابان

ستشترك دول اوربا الكبيرة في معرض اميركا الذي يقام في سنت لويس سنة ١٩٠٤ وقد خصَّصت فرنسا ٢٥ الف جنيه اعانة للذين يريدون ان يعرضوا فيهِ من الفرنسويين وينتظر ان تضاعف هذا المبلغ في السنة التالية اما اليابان البلاد الحديثة العمران فخصَّصت ثمانين الف جنيه اعانة للذين يريدون ان يعرضوا فيهِ من اليابانيين

الملاريا حيث لا بعوض

اثبت الدكتور كبولين في السويس ان البعوض الذي يسبب الحمى الملارية تحمله رياح الصحراء احياناً مسافة ثلاثين ميلاً فينقل عدوى الملاريا الى حيث لا توجد مستنقعات يتولد البعوض منها وبذلك يعلَّل ظهور الحمّى الملارية حيث لا توجد هذه المستنقعات

سرعة الكهربائية

بيّن الاستاذ فلنغ الكيماوي في كتاب وضعهُ حديثاً انهُ اذا أُلقي حجر كبير في الماء عند ساحل اوربا الغربي ووصل تموّج الماء الى اميركا بلغها في مئة ساعة. واذا اهتزت الارض في اوربا وبلغت هزتها اميركا وصلت اليها في اربع ساعات . واذا حدثت شرارة كهربائية في اوربا وهزّت الاثير بلغت الهزّة اميركا في جزء من ستة عشر جزءا من الثانية وبهذه السرعة الفائقة يجب ان تُنقل الاشارات الكهربائية بتلغراف مركوني

فائدة لبن الوالدة

من المشاهَد ان الاطفال الذين ترضعهم امهاتهم يسلمون من الامراض اكثر من الاطفال الذين يرضعون اللبن المستحضر. وقد اوضح الدكتور ولتش سبب ذلك الآن بان في دم الوالدة ولبنها مواد تقي من جراثيم الامراض كما يكون في دم الانسان عادة فاذا رضع الطفل لبن امهِ وصلت هذه المواد الى دمهِ واما اللبن المعقَّم او اللبن المستحضر فلا تكون فيهِ هذه المواد فيكون جسم الطفل الذي يغتذي بهما اكثر تعرُّضاً لفتك الامراض من جسم طفل يرضع لبن امهِ

الاوربيوم

الاوربيوم اسم عنصر جديد انبأ بوجودهِ السر وليم كروكس منذ سنة ١٨٨٥ ثم وجدهُ المسيو دماركي ووجد ان ثقلهُ الجوهري ١٥١

بركان القمر

يظهر ان ماحدث من الازديادفي ثوران البراكين غير خاص بالارض فقد اتضح الآن ان بركاناً من براكين القمر واسمهُ بركان لينه آخذ في الثوران وقد اتسعت فوهتهُ كثيراً منذ سنة١٨٩٨الى الآن وان الابخرة المائية قد كثرت فوقهُ كثيراً كما تكثر فوق براكين الارض

هبات علمية اميركية

وهبت مسز هرست مدرسة كليفورنيا الجامعة ١١١ الف ريال لدرس الاركيولوجيا والانثروبولوجيا . والدكتور كلارك مدرسة بنسلفانيا الجامعة مئة الف ريال لدرس الآثار الاشورية . وعرض المستر ركفلر انهُ يهب مدرسة المعلمين في مدرسة كولمبيا الجامعة خمس مئة الف ريال اذا وهبها غيرهُ ٤٤٠ الف ريال. ووهب المستر ماسي وزوجتهُ ثلاث

المدرسة ٢٧٤٥٠٠ ريال. وتركت مسز سوسان برون ١٤٠ الف ريال لمدرسة برنستون الجامعة . وتركت لها مس ماريه ونترب مليوناً واربع مئة الف ريال . وترك المستر سوثورث ١٧١ الف ريال لمدرسة يال الجامعة . والمستر فرنسيس لومس ١٥٠ الف ريال لمدرسة اوهيو الجامعة وترك المستر جونس كلارك مليوناً وخمس مئة وسبعة وسبعين الف ريال للمدرسة المسماة باسمهِ وقد اعطيت قبلاً خمس مئة الف ريال من تركتهِ

هذه اكبر الهبات العلمية التي وهبها الاميركيون في خلال الشهور الثلاثة الاخيرة من السنة الماضية ومجموعها نحو خمسة ملايين من الريالات

مقاومة المسكرات في روسيا

اهتمَّ دهوت وزير روسيا بمقاومة المسكرات في بلاد الروس على اسلوب فعَّال فتألفت لجان في كل المدن والقرى الكبيرة لمقاومة المسكرات بتقديم الغذاء الكافي للفقراء وبانشاء المكاتب والمنتديات الادبيَّة حيث يجد الناس ما يسليهم بقضاء ساعات العطلة من غير ضجر فيفضلونها على الحانات . واكثر الاعتماد على الدور التي انشئت للفقراء وهي واسعة نظيفة يجد فيها الفقير كل راحة ويبتاع طعامهُ منها بارخص ثمن لان الحكومة تحمل كل النفقات اللازمة لادارة هذه الدور ولا تأخذ من الفقراء الأَّ ثمن مواد الطعام الاصلية . وفي كل دار منها غرف للراحة وغرف للمطالعة فيقيم الفقير نهارهُ كلهُ فيها اذا اراد ولا يدفع غرشاً . ودار الفقراء في بطرس برج بناء كبير حولهُ حديقة غناء وفيهِ خمسة اقسام مختلفة الاول للجلوس والثاني لتناول الطعام والثالث لاستماع الغناء والرابع لمشاهدة التمثيل والخامس للمطالعة ويتعشى الانسان هناك ولا يدفع ثمن عشائهِ اكثر من غرش

والحكومة تدفع نفقات هذه الدور مما تربحهُ باحتكار بيع المسكرات فانها اغلت ثمنها جدًّا حتى لا يشتريها الاَّ الاغنياء وهي تنفق ما تربحهُ من ذلك على مساعدة الفقراء وهم الجمهور الاكبر لكي يستغنوا عن شرب المسكرات بما يجدونهُ من اسباب الراحة والتسلية في هذه الدور

نفقات التلغراف

يدفع الانكليز كل سنة مليون جنيه عن الرسائل التلغرافية التي يرسلونها الى اميركا و٤١٢ الف جنيه عن الرسائل التلغرافية التي يرسلونها الى اوستراليا و٣٦٦ الف جنيه عن الرسائل التي يرسلونها الى جنوبي افريقية و٣٠٠ الف جنيه عن الرسائل التي يرسلونها الى الهند ومثلها عن الرسائل التي يرسلونها الى الصين وغيرها من بلدان المشرق ومجموع ذلك مليونان و٣٧٨ الف جنيه

بيضة ثمينة

بيعت بيضة من بيض الاوك بالامس في بلاد الانكليز بالمزاد العلني فبلغ ثمنها ٢٥٢ جنيهاً وطائر الاوك قد انقرض من الارض الآن فصار العثور على بيضهِ من النوادر وقد بيعت بيضة قبلها بالمزاد فبلغ ثمنها ثلثمئة جنيه

معرض البراغيث

عند تشارلس روتشليد معرض فيهِ الوف والوف الوف من البراغيث المختلفة الانواع والاقدار لان البراغيث التي تعلق بكل حيوان وطائر تختلف عن البراغيث التي تعلق بغيرهِ واكبر هذه البراغيث برغوث خلد طولهُ خُمس بوصة (عقدة)

النظام العشري

بيَّن المستر مورس في مجلة السلطنة (امبير رڤيو) ان تغيير الموازين والمقاييس في انكلترا وجعلها حسب النظام العشري الفرنسوي يكلف انكلترا مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات واشار بان يبقى الانكليز على مقاييسهم ويجعلوا البوصة وحدةً لها. ومن رأي الاستاذ ريف الاميركي ان النظام الاثني عشري خير من النظام العشري حتى في العد وانهُ لا بدَّ من ان يعدل الناس عن النظام العشري ويعتمدوا على النظام الاثني عشري في كل شيء. ووضع عددين بين التسعة والعشرة فصارت الارقام الاولى اثني عشر رقماً واشار بان يبقى اليرد مقياساً للطول ويقسم الى اثني عشر قسماً ويبقى الريال مقياساً للمعاملة وهلمَّ جرّاً

الامتياز بالمخترعات

جاءنا مهندس قبيل كتابة هذه السطور يقول لقد اخترعت آلة رخيصة الثمن تخرج النار من تحت الاظان في الآلة البخارية اذا قلَّ الماءُ فيهِ وخيف من انفجارهِ وقد سجلتها في المحكمة المختلطة واكتفيت بذلك لانني لا اجد سبيلاً لاخذ امتياز من الحكومة المصرية بهذا الاختراع. فخطر لنا كلام قالهُ احد رجال يابان منذ عهد قريب وكانت حكومة بلادهِ قد ارسلتهُ الى اميركا ليدرس قانون الامتيازات فيها فقال بعد ان درسهُ بالتدقيق

"ان نجاح اميركا وهي ابنة مئة عام نجم عن قانون الامتياز الذي فيها ولذلك سنسنُّ قانوناً للامتياز مثلهُ في بلادنا". ومعلوم ان قانون الامتياز لا يقتصر على المخترعات بل يشمل كل ما يستنبطهُ الانسان وما يؤلفهُ حتى لا يتمتع زيد بتعب عمرو عفواً من غير جزاء يدفعهُ لهُ فحبذا لو رأت الحكومة المصرية سبيلاً لتسهيل اخذ الامتيازات لحفظ حقوق المؤلفين

اكل الذبان

ان اهالي استراليا الاصليين يدخنون الذبان حتى تختنق ويجمعونها ويصنعونها اقراصاً ويأكلونها

مخدّر جديد

يقول اطباء الاسنان في بلاد المجر انهم اكتشفوا مخدرًا جديدًا مثل الكوكايين وفعلهُ في التخدير اطول اقامةً من فعل الكوكايين وهو يستخرج من نبات هندي اسمهُ غاسو باسو. والمظنون ان هذا العقار يغني عن الزرنيخ في تسكين الم الاضراس التي يراد حشوها واذا اذيبت قمحة منهُ في الف قمحة من الماء ودهن باطن الفم بهِ خدَّرهُ جيدًا. وهو من السموم المخدرة فلا يجوز تكثير مقدارهِ

جوائز نوبل

اعطيت جوائز نوبل هذا العام هكذا :

جائزة الطبيعيَّات للدكتور لورنز والدكتور زيمان الهولنديين . وجائزة الكيمياء للدكتور اميل فشر الالماني وجائزة البحث للماجور روص مكتشف بعوض الحمي الملارية وجائزة علوم الادب للمؤرخ ثيودور ممسن وجائزة الطب للدكتور فنسن وقيمة كل جائزة من هذه الجوائز ثمانية آلاف جنيه

بوري الاكسايتيلين

الاسيتيلين غاز معروف اذا مزجت ثمانية اجزاء منهُ بجزء من الاكسجين وحرقت ببوري صالح لذلك تولَّد منها لهب شديد الحرارة جدًا يذيب الحديد والصلب والسلكا والكلسيوم وقد بيَّن ذلك المسيو فوشه في الجمعيَّة الطبيعيَّة الفرنسويَّة

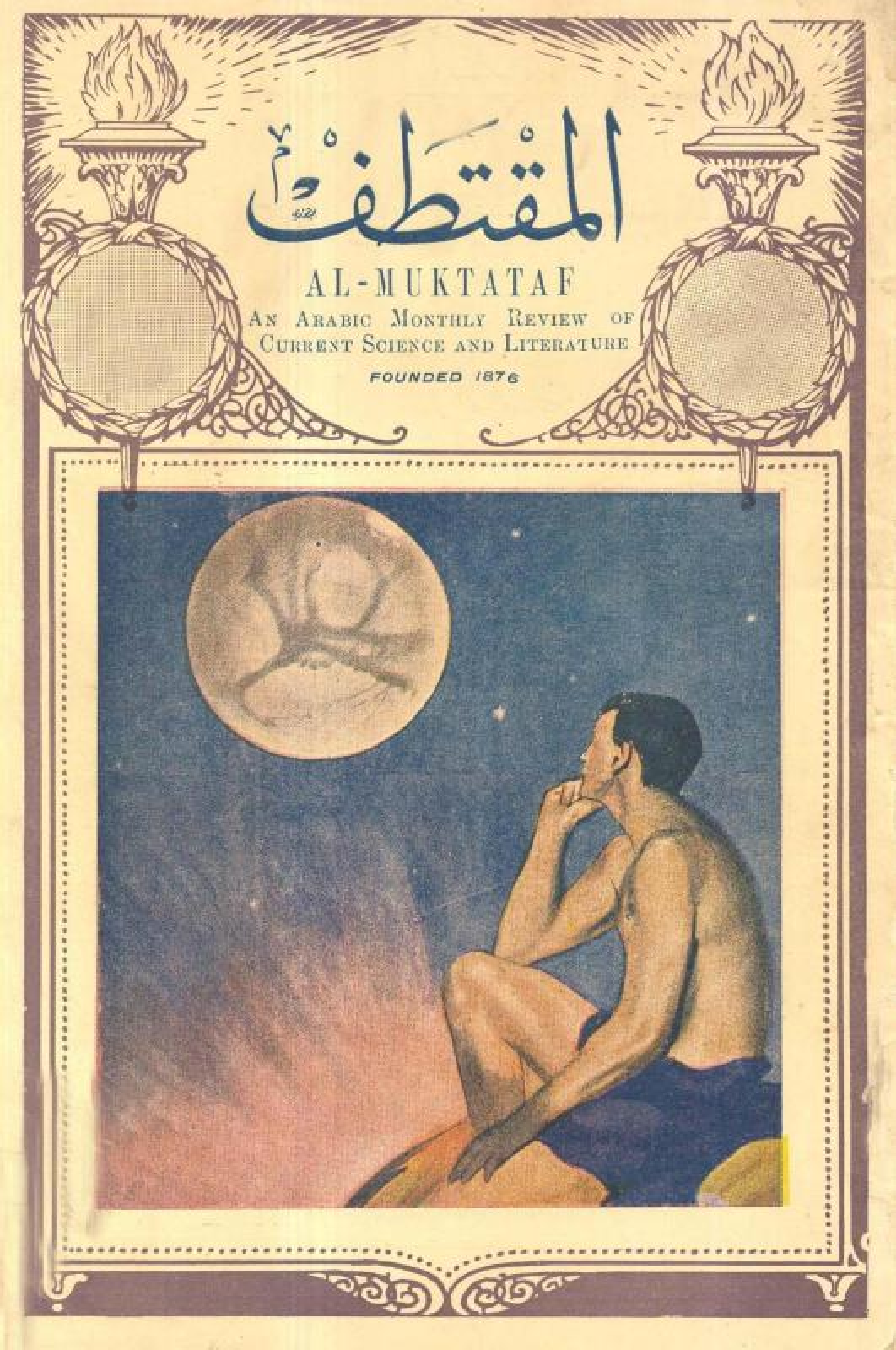
نجاح الولايات المتحدة

قال لدوغ مكس غولدبرجر وزير التجارة في برلين ان سكان الولايات المتحدة وهم اقل من خمسة في المئة من سكان المسكونة امتلكوا ربع الاراضي الزراعية في المسكونة فان مساحة الاراضي الزراعية كلها لا تزيد على ١٦٣٠ مليون فدان وعند الاميركيين منها ٤٠٧ ملايين فدان . وقد بلغت غلة المسكونة من الذرة في خمس سنوات من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٠ اقل من ثلاثة آلاف مليون اردب وغلة الولايات المتحدة وحدها من ذلك اكثر من الفي مليون اردب او نحو ثلاثة ارباع غلَّة الدنيا كلها . ونحو ربع غلَّة القمح في الدنيا من الولايات الاميركية ويستخرج منها اكثر من اربعة اعشار الحديد الذي يستخرج من الدنيا كلها واكثر من نصف النحاس

رواية المقتطف

لم يقع اختيارنا على رواية صالحة للمقتطف الَّا في اواخر الشهر وسنشرع في نشرها في الجزء التالي ونجعلها ملحقة باجزاء المقتطف حتى تجلَّد على حدة

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين



المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١٠ رجب سنة ١٣٢١

قنَّة بركان بيلي



كان المظنون ان بركان بيلي اكتفى بما جرَّهُ من الخراب والدمار على مدينة سان بير والبلاد المجاورة لما ورمي بقطع رأسهِ جزاء قتلهِ عشرات الالوف من بني آدم . لكن ابت القوى الطبيعية ان تقف عند ما هو مألوف من ثوران البراكين وقذف الحمم والصخور ودفع المعادن المصهورة واجرائها كمجاري الانهار فاخرجت من جوف ذلك البركان جبلاً متماسك الاجزاء رفعتهُ في الجو رويداً رويداً حتى صار ارفع من الهرمين الكبيرين معاً . كان ارتفاع هذا

البركان قبل ان ثار في العام الماضي ٤٤٠٠ قدم فلما ثار وانقطع رأسهُ بقي من ارتفاعهِ ٤٢٥٠ قدماً اما الآن وقد نبت لهُ هذا الرأس الجديد فبلغ ارتفاعهُ بهِ ٥٠٧٠ قدماً وكان في اواخر شهر يونيو الماضي لا يزال آخذاً في الارتفاع حتى انهُ ارتفع ٢١ قدماً في اربعة ايام

وهذا الراس من الحمم والصخور الذائبة وقد اجتمعت وتماسكت فصارت جسماً صلباً قبل خروجها من حلق البركان. وشكلهُ مخروطي كما ترى في الصورة فيهِ ميل قليل نحو المدينة وجوانبهُ محززة من فعل الصخور التي في حلق البركان. وعلى هذا الاسلوب تكوّن كثير من جبال الارض

مشاعر المتوحشين

يودُّ المرء ان يعلم هل شعور المتوحشين مثل شعور المتمدنين او هل كان الناس وهم على الفطرة يشعرون بالمحسوسات كما يشعرون الآن فكانوا يشمُّون كما نشم ويذوقون كما نذوق ويسمعون كما نسمع ويتألمون كما نتألم. فان المشاهَد ان الزنوج لا يشعرون بالالم كما يشعر البيض وقد طالما رأينا الواحد منهم يمسك النار بيدهِ ويحمل صحفة الطعام السخن على كفهِ ويدور بها على الآكلين وما منهم من يستطيع ان يلمسها لمساً. وتواترت الروايات ان البدو والبرابرة يرون الى ابعد مما نرى وان الاقدمين لم يكونوا يميزون كل الالوان التي نميزها بدليل ان ليس في لغاتهم اسماء خاصة بها او انهم كانوا يخلطون بين لون ولون آخر فلا يفرقون بينهما بدليل وضع اسم واحد لها كليهما كوصف العرب السماء بانها خضراء وهي زرقاء والخيل بانها زرقاء وهي رمادية. وهذا الرأي الاخير رأي الوزير غلادستون بناهُ على ما وجدهُ في اشعار هوميروس من الخلط في الوان الاشياء

وقد مضى احد العلماء الآن الى جزيرة مري احدى جزائر مضيق ترس وهي جزيرة منفردة بعيدة عن اسباب الحضارة لم يدخلها احد من الاوربيين الاَّ نفر قليل من المبشرين. واهاليها قلال يبلغ عددهم ٤٥٠ نفساً فيمكن ان تمتحن مشاعر كلٍّ منهم فيكون الاستقراء فيهم كاملاً. فامتحن حدَّة بصرهم ورؤيتهم للالوان والمسافات ومقدار شعورهم بالمحسوسات والمدة اللازمة لوصول الاثر الى مراكز الحس في الدماغ وشعور النفس بهِ الى غير ذلك من المباحث التي يهتم بها العلماء الآن والَّف كتاباً مسهباً في هذا الموضوع بناهُ على تجاربهِ

امَّا من جهة حدَّة البصر فاستعمل لامتحانها الطريقة العادية وهي وضع الحرف E على ابعاد متباينة واوضاع مختلفة لتحديد المسافة التي يرونهُ فيها واضحاً بالنسبة الى حرف آخر مثلهُ

يمسكونهُ بايديهم فظهر من الامتحان ان بصرهم احدُّ قليلاً جدًّا من متوسط بصر الاوربيين .
والظاهر انهُ اذا حذفنا من الاوربيين كل المصابين بقصر البصر وخلل تكسير النور تصير حدَّة
بصرهم مثل حدة بصر هؤلاء الناس ولذلك ففي ما يروى عن حدة بصر المتوحشين مبالغة
شديدة وكذلك في ما يُرى عن حدَّة بصر اهل البادية . ولكن لا بدَّ من سبب لاتفاق السيَّاح
كلهم على نسبة حدَّة البصر الى المتوحشين واهل البوادي وهذا السبب هو ان الذين
يسكنون البادية يعلمون ما فيها بالاختبار فاذا رأوا شيئًا بعيدًا تبيَّنوهُ حالاً ولو لم تكن صورتهُ
واضحة في عيونهم فاذا رأوا غزالاً عن بعد شاسع علموا انهُ غزال ولو لم تكن صورتهُ واضحة لان
اقل شيء منهُ يدلهم عليهِ بخلاف الاوربي الغريب الذي لم يعتد رؤية الغزلان في البراري
فانهُ لا يعلم انهُ غزال ما لم يرهُ جليًّا

فامتياز اهل البادية على اهل المدن ليس في حدَّة البصر بل في سرعة الاستنتاج مما اعتاد
اهل البادية رؤيتهُ . واذا أُريت الاثنين صورة فيها رسوم مختلفة فابن البادية لا يدرك ما فيها
كما يدركهُ ابن المدن . ثم ان اهل البادية يدركون رؤية الاشياء التي تهمهم رويتها
كالاعداء والنيران وحيوانات الصيد ولكنهم لا يدركون ما حولها من المناظر الطبيعية ولا
يلتفتون اليها فلا تتجهُ افكارهم الاَّ الى القليل من المنظورات واما اهل المدن فيلتفتون الى كل
ما امامهم ولذلك يتوزَّع انتباههم على منظورات كثيرة فيقل ادراكهم لكلٍّ منها

اما رؤية الالوان فاجلى البحث فيها عن تأييد مذهب غلادستون وهو ان المتوحشين لا
يميزون الالوان الضعيفة التي ليس لها اسم خاص بها واما الالوان الواضحة كالاحمر والاخضر
فيرونها جليًّا مع ان اربعة في المئة من اهالي اوربا لا يرونها لانهم مصابون بما يسمَّى بالعمى اللوني .
واسماء الالوان عند هؤلاء المتوحشين مشتقة من اسماء بعض الاشياء فالاحمر مشتق من اسم الدم
والاخضر من اسم مرارة السلحفاة . ولم يشتقوا من اسماء الازهار الاَّ اسمًا واحدًا على كثرتها في
بلادهم وكثرة الوانها وهم يطلقون الازرق على الاخضر المزرق والاشهب والرمادي كما يُطلق
في العربيَّة على الرمادي وليس عندهم اسم للاسمر . فادراكهم للالوان مثل ادراك اليونان في
عصر هوميروس . واوضح الالوان عندهم الاحمر ويتلوهُ الاصفر واما الازرق فلا يجلى لهم الاَّ
اذا كانت زرقتهُ شديدة وسبب ذلك كثرة المادَّة الصفراء في عيونهم

اما المدى الذي يدركون فيهِ المرئيات فلا يزيد على المدى الذي يدرك فيهِ الاوربيون
المرئيات الاَّ قليلاً وهم يدركونها بالاستنتاج كما تقدَّم لا بأن صورها تكون اوضح في عيونهم منها
في عيون الاوربيين

وادراكهم للاصوات اضعف من ادراك الاوربيين لها . وادراكهم للروائح ليس اشد من ادراك الاوربيين لها . وليس عندهم كلمة للتعبير عن المرارة مع انهم يشعرون بطعم الاشياء المرّة . ولمسهم ادق من لمس الاوربيين فيميزون الفرق الطفيف بين ما يروزونهُ الى حد ٣٢ في الالف واما الانكليز فلا يميزونهُ الاَّ اذا بلغ ٣٩ في الالف . فاذا رازوا حجرين ثقل احدهما ١٠٠٠ درهم وثقل الآخر ١٠٣٢ درهماً ادركوا ان الثاني اثقل من الاول واما الانكليزي فلا يدرك ان الثاني اثقل من الاول الاَّ اذا بلغ ثقلهُ ١٠٣٩ درهماً . لكن شعورهم بالالم اقل جدًّا من شعور الاوربيين

الزرافة ذات الخمسة القرون

قلنا منذ سنتين " للزرافة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما وقد اكتشف السر هري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءها والخمسة خاصَّة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط " (انظر مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١ في باب الاخبار العلمية) ولم يكد هذا الاكتشاف يشيع في اوربا حتى اهتمَّ علماؤها بصيد هذا الحيوان لتحقيق ما قالهُ السر هري جنستن فذهب الماجور بول كتن الى قلب افريقية لهذه الغاية وللتفتيش عن الاكابي الحيوان الآخر الذي اكتشفهُ السر هري جنستن واتينا على وصفهِ في جزء شهر يوليو سنة ١٩٠١ . وقد عاد الماجور بول كتن بالامس منها ومرَّ بالقاهرة فقابلهُ مخبر المقطم وعلم منهُ انهُ قضى اكثر من ٢٠ شهرًا في السياحة في اواسط افريقية فجاء مدينة ممباسا في يناير من السنة الماضية وركب منها سكة الحديد حتى وصل الى بلدة يقال لها كوساموثم سار على ظهر الحمير حتى جاء الجانب الغربي من جبل كينيا وهو ثالث جبل في العلو من جبال افريقية واخترق بعد ذلك سهول ليكيبيا المقفرة حتى جاء الى بحيرة باء نجو وكان غرضهُ من سفرتهِ هذه ان يصطاد الزرافة ذات الخمسة القرون فالتقى في طريقهِ باسراب وآجال كثيرة من الفيلة والزرافة وحمار الوحش والنعام وايائل افريقية ووعولها واسودها وظفر بالزرافة ذات الخمسة القرون بعد ما قاسى كثيرًا من الجوع والعطش والتعب. وكانت قطعان الوحوش تكثر في بعض الاماكن حتى تغطي الارض ولما اتى الجهات الجنوبية من بلاد توبوسا كان يرى الافيال حولهُ من كل جهة حتى لم يعد يعلم كيف يبعد عن طريقها. واوشك الدقيق ان ينفد منهُ فقصد بلاد قبيلة الدورنجة فوجد اراضيها مزروعة وعيون الماء

عندها ثروة غزيرة بخلاف سائر الاراضي القاحلة التي مرَّ فيها واهلها من احسن القبائل في اعتدال قوامهم وحسن بنيتهم وطول قاماتهم فانهم اطول قامة من سائر القبائل التي التقى بها ولكنهم كلهم عراة الابدان من رجال ونساء يعقصون شعورهم في اعالي رؤوسهم وينزلونها على جباههم وآذانهم و يضعون عليها اقراصاً مستديرة من الصدف فتسطع في نور الشمس كأنها خوذ من الفولاذ تلمع على رؤوسهم . و يشدون شعر الزرافة على ساعدهم الايسر ويحملون الحراب والتروس بايديهم . فهؤلاء قابلوهُ بالشر والعدوان هو ومن معهُ ولكنهُ لاطفهم وطيَّب خاطرهم ثم اخذوا منهُ بعض حميرهِ المحملة وحاصروهُ ثلثة ايام وقتلوا اثنين من رجالهِ وجرحوا آخرين فقاتلهم حتى نجا منهم بعد ما اثخن فيهم قتلاً وجرحاً ومرَّ بعدذلك ببلاد قبائل اخرى فكان اكثرها يسالمهُ حتى وصل الى محطة نيموله على النيل وهي آخر نقطة عسكريَّة على حدود اوغندة. وسار منها الى وادلاي وجاء الخرطوم ومنها الى هذه العاصمة . اما ما كتبهُ ورسمهُ عما رآهُ في سفراتهِ وما جمعهُ من جلود الوحوش ومن الاسلحة ونحوها فلا يزال كلهُ على الساحل في شرق افريقية وبينها ما اصطادهُ من الزرافة ذات الخمسة القرون

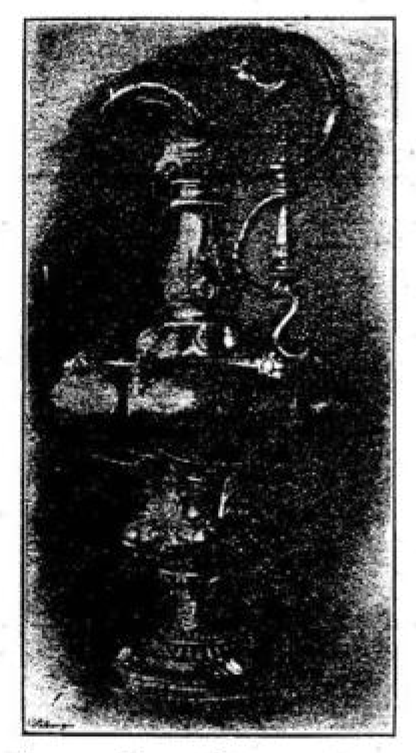
واشد الامراض التي التقى بها في سفرهِ مرض النوم وهو يرى انهُ لا بدَّ ان ينتشر بالمواصلة حتى يبلغ هذا القطر يوماً ومرض الماء الاسود واعراضهُ تشبه اعراض اليرقان فيصير وجه المصاب بهِ اصفر كالذهب ولعلهُ من امراض الكبد التي لا تزال مجهولة

الكاس الاميركية وسباق اليخوت

اهتمت الشركات التلغرافية والجرائد اليوميَّة بخبر السباق بين اليخت الانكليزي شمروك الثالث واليخت الاميركي ريلينس كما تهتم بحرب كبيرة قائمة بين دولتين عظيمتين لا لان لهذا السباق شأناً في سياسة بريطانيا والولايات المتحدة او في نسبة احداها الى الاخرى من حيث الهمة والمقدرة لان امتياز اليخت الواحد على الآخر متوقف على مهارة الذين صنعوها فاذا كان عند اليونان وهي اصغر دولة بحرية رجل ماهر في عمل اليخوت فقد يصنع يختاً يسبق اليخت الانكليزي واليخت الاميركي ايضاً . الاَّ ان اهالي اوربا واميركا اكتفوا من الحاجيات وهم يتبارون الآن في هذه الكماليات وجرائدهم جارية معهم في هذا المضمار ولا جناح على من يقف وقفة "المتفرّج" مثلنا اذا علم حقيقة ما يتبارون فيهِ ولذلك كتبنا هذه السطور في تاريخ هذا السباق منذ اثنتين وخمسين سنة كتب مدير جمعيَّة اليخوت الانكليزيَّة الى مدير جمعيَّة اليخوت

الاميركية بقول بلغنا انكم صنعتم يخناً جديداً سميتموه "اميركا" ظهر انهُ يسير بسرعة فائقة وانتم عازمون ان تأتوا بهِ الى هنا ليشترك معنا في سباق اليخوت فاذا أتيتم بهِ فانتم ضيوف علينا تحلّون على الرحب والسعة

ثم التأمت جمعية اليخوت الانكليزية واجمع اعضاؤها على عمل كاس او ابريق من الفضة تنفق على عملهِ مئة جنيه وتعطيهِ جائزة لليخت الذي يسبق سائر اليخوت في السير حول جزيرة ويط ببلاد الانكليز ويكون السباق لاجل هذه الكاس مباحاً لكل الامم . وقد رسمت هذه الكاس في الشكل المقابل

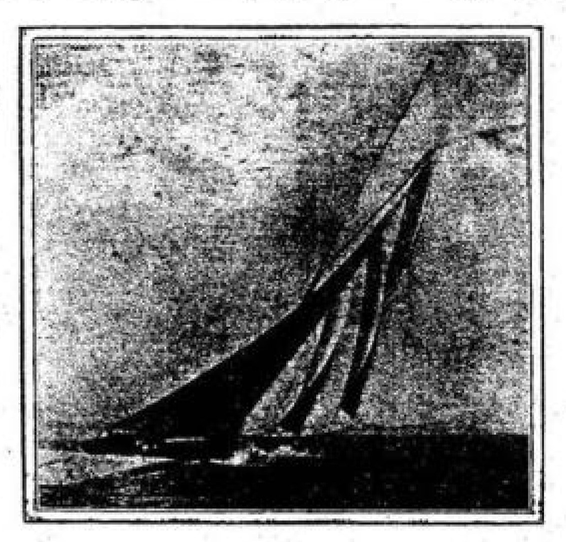

ش ١ الكاس الاميركية

فاتى اليخت الاميركي الى بلاد الانكليز وسابق اليخوت الانكليزية في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥١ فوقف وراءها اولاً ثم جرى معها مجاراها ثم سبقها كلها ووصل الى الغرض قبلها بثلث ساعة. فاخذ الاميركيون الكاس وعادوا بها الى بلادهم واهدوها الى جمعية اليخوت في نيويورك وجعلوها جائزة لمسابقة اصحاب اليخوت من كل الامم وارسلوا يدعون جمعيات السباق في اوربا لمسابقتهم سنة بعد سنة فلبى الانكليز دعوتهم اثنتي عشرة مرة آخرها هذه النوبة باليخت شمروك الثالث الذي صنعهُ السر توماس لبتون لهذه الغاية كما صنع يختين قبلهُ لاسترداد الكاس فلم يفلح ويقال ان هذا اليخت اسرع يخت صنع في اوربا حتى الآن وهو المرسوم في الشكل الثاني على الصفحة التالية

وسابقهُ الاميركيون بيخت اسمهُ رِليَنس (اي الثقة او الاعتماد) ويقال ان صانعهُ امهر رجل في بناء اليخوت في المسكونة كلها وهو المرسوم في الشكل الثالث

وقد انفق السر توماس لبتون ٤٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ على هذا السباق و ٥٠ الف جنيه سنة ١٩٠١ وانفق اكثر من ذلك هذه السنة فلم يعُد بطائل . وينفق الاميركيون نحو

هذا المبلغ في كل سباق للاحتفاظ بكاس فضة تساوي مئة جنيه ولكن ليس الغرض الكاس بل الفخار من حفظها في بلادهم وسبق كل مَن جاراهم في هذا المضمار. ولعلَّ لهم ربحاً ماليًّا من وراء ذلك وهو ان طالبي اليخوت يصيرون يفضلون اليخوت الاميركية على غيرها . اما الشركات التلغرافية والجرائد اليومية فغاية ما تتمناهُ ان تجد موضوعاً يهمُّ الناس ولو قليلاً حتى تزيد اهتمامهم بهِ بكل واسطة ممكنة ترويجاً لبضاعتها وهي تنفق الفاً حتى تربح الفاً ومئة . واهل السعة يشاركونها في البذل ولو لم يجنوا من ذلك غير التسلية . والجمهور من الانكليز والاميركان يحسب ان احراز هذه الكاس دليل غلبة الامة التي تحرزها في بناء السفن وسلك



ش ٢ شمروك الثالث

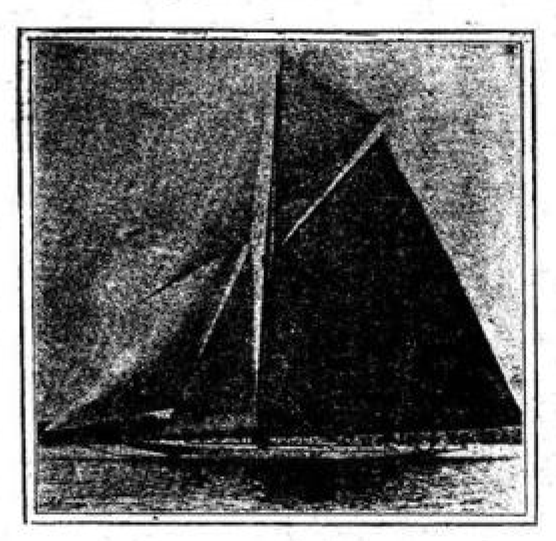
البحار فيراقبون المتسابقين بقلوب خافقة وعيون شاخصة ويتراهنون بالاموال الطائلة . ويبلغ الرهان بين الناس مبلغاً عظيماً جدًّا حتى يصير ضرباً من القمار يغتني بهِ البعض ويفتقر البعض . وهو من معايب كل سباق يقوم بهِ الاوربيون والاميركيون حتى ضاعت مزية المسابقة لكثرة ما يصاحبها من المراهنة

وكان المتسابقون يتناظرون اولاً بشيء من الغيرة والمضاغنة اما الآن فصاروا يحسبون السباق ملهًى من الملاهي حتى ودَّ كثيرون من الاميركيين ان يكون الفوز لليخت الانكليزي جزاء لغيرة صاحبهِ وعلو همتهِ . ثم لما ثبت الفوز لهم عليهِ بعد المسابقة الثالثة قابلهُ رئيسهم مقابلة الصديق الكريم

وشكل الرِليَنْس شبيه بشكل شمروك الثالث من كل وجهٍ ولكنهما يختلفان اختلافاً طفيفاً في الامور التالية

طول الرِليَنس ١٤٥ قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً وعمقهُ الى اسفل قاعهِ ١٩ قدماً و٤ عقد وطول ما يغوص منهُ في الماء ٨٩ قدماً و ٨ عقد ومساحة شراعهِ اذا انبسط ١٦١٦٩ قدماً مربعة

وطول شمروك الثالث ١٣٨ قدماً وعرضهُ ٢٦ قدماً وعمقهُ ٢٠ قدماً و٦ عقد وطول ما يغوص منهُ في الماء ٨٩ قدماً و ١٠ عقد ومساحة شراعهِ اذا انبسط ١٤٣٣٧ قدماً مربعة



ش ٣ الرِليَنس

وهذا الاختلاف الطفيف مع شيء من الاختلاف في شكل اليختين والمواد التي بنيا بها والدهان الذي دُهنا بهِ كفى لجعل السبق لليخت الاميركي. ورجع السر توماس لبتون من هذا المضمار وقد آلى على نفسهِ ان لا يعود الى السباق مرة أُخرى. لكن يبعد عن الظن ان الانكليز يتركون الفوز لغيرهم ويحجمون عنهُ احجام العاجز ولا بدَّ لهم من ان يزيدوا همَّة ويبذلوا كل مرتخص وغالٍ لارجاع هذه الكاس الى بلادهم . وبالهمم تتفاضل الامم

الواحات المصرية

الداخلة والخارجة

الواحة واصلها بالمصرية القديمة "اوت" ارض زراعية مسكونة في وسط الصحراء. والواحات كثير في صحراء افريقية الكبيرة كواحة سيوى والواحة البحرية والواحتين الداخلة والخارجة. الاولى منها في الجهة الشمالية على ثمانية ايام الى ١٥ يوماً من القطر المصري حسب الطريق التي يختارها الذاهب. واقصر الطرق الذهاب بحراً الى مرسى مطروح ثم السير في الصحراء نحو ٥ ايام . وبقية الواحات تابعة لمديريات الوجه القبلي وكلامنا الآن محصور في الواحتين الداخلة والخارجة وهما تابعتان لمديرية اسيوط الخارجة تبعد مسيرة ٤ او ٥ ايام من اسنا والداخلة تبعد عن الخارجة مسيرة يوم غرباً

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل . قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك ينتم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفًى للمجرمين فقد جاء في هذه الكتابة ان ينتم سمح لبقية حزب رعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع . وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر لكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (سنة ١٦٠٠ ق م) على الاقل . وارسل اليها رعمسيس الثاني حامية في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبعد ذلك بنحو قرن ابتدأ سكانها يزرعون الكروم وكانت خمرها فاخرة جداً . وفي ايام الملك منفتاح الذي خلف رعمسيس هجم اهالي ليبية على مصر من طريق الواحات

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامهِ عن التجريدة التي ارسلها كمبيسس ملك الفرس الى واحة سيوى وهلك منها خمسون الفاً فقال "ان عساكر كمبيسس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوَّبين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لمقاطعة طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كاليعقوبي والمقريزي وغيرهم ويستدل من كلامهم عنها انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف . واول من زار الواحة

الخارجة من المتأخرين بونسه سنة ١٦٩٠ وبرون سنة ١٧٩٣ وبروكش سنة ١٨٧٤ وشوينفرت وغيرهم. وزارها حديثاً كثيرون من موظفي الحكومة المصرية وبعض موظفي مصلحة المساحة الجيولوجية فنشروا عنها التقارير الضافية خصوصاً فيما يتعلق بالوجهة العلمية كاقليمها وطبقات ارضها وظواهرها الجوية وحيواناتها ونباتاتها

وفي ما نشروهُ عنها امور كثيرة لا تخلو من لذة وفائدة خصوصاً وان هذه الواحات تابعة لمصر ولا يعرف المصريون عنها الا اسمها مع انها ذات خيرات وفيرة ومعادن كثيرة. فالواحة الخارجة تبعد نحو ١٨٠ كيلومترًا عن اسنا الى جهة الغرب طولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٥٠ كيلومترًا وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ٤٠ كيلومترًا. والطريق اليها من وادي النيل واسعة مطروقة فيها كثير من عظام الحيوانات التي هلكت فيها وعلى جانبيها تلال صغيرة يستدل بها المسافرون على المسافة التي قطعوها. والصحراء بين مصر والواحات صخرية قاحلة وليس فيها ماء مطلقاً ولا ينبت فيها نبت يذكر

والواحات نفسها منخفضات من الارض وسطحها غير مستوٍ او هو صخري قاحل الا حيث توجد المياه. وخصب هذه الاراضي ناتج من المياه التي في طبقاتها السفلى فحيثما وجدت منفذًا طبيعياً او حيثما حفر الناس آبارًا ارتوازية رفعها الضغط الذي عليها الى وجه الارض. وصناعة حفر هذه الآبار في الواحتين الخارجة والداخلة قديمة جدًا منذ ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعدْ الا في هذا القرن والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايمه رأى الاهالي يجهلون حفر الآبار الارتوازية فاذا طوت احدى آبارهم القديمة لم يمكنهم ان يحفروا غيرها فاستحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات. واقام اولاً في الواحة الخارجة وأسس معملاً للنيلة ولاستخراج الشب والشب كثير في تلك النواحي. وفي السنة التالية اخذ معهُ آلة الحفر وانتقل الى الواحة الداخلة. وقد أُرسلَ بعد ذلك الى الواحات خمس آلات لحفر الآبار احداها اهديت من المغفور لهُ الخديوي السابق الى الشيخ السنوسي

واراد سعيد باشا تجنيد العربان فعصت عليهِ بعض قبائل الوجه القبلي كالجوازي وغيرها ورحلوا من وادي النيل الى الواحة الخارجة وقطعوا نخيلها ثم ساروا الى الداخلة وفعلوا كذلك. وارسل اليهم سعيد باشا حملة عسكرية ومعها المدافع وساعدتهُ قبيلة اولاد علي فانكسر العربان وهرب من هرب منهم الى طرابلس الغرب حيث بقوا حتى عُفي عنهم واذن لهم في الرجوع وكان بين زعماء هذه الثورة الشيخ المصري احد رؤساء قبيلة الجوازي فصار اهالي الواحات يدعون تلك السنة بسنة المصري الى اليوم

ومن اسباب تأخر الواحات ابطال مسير القوافل من دارفور الى اسيوط بطريق الخارجة وقت الثورة السودانية ومن المحتمل ان التجارة على تلك الطريق كانت قد قلّت كثيرًا قبل الثورة بسبب الغاء النخاسة

وفي الخارجة قرًى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف وفيها نحو ستين الف نخلة ومئتا بئر . وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام والدجاج والديك الرومي ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . وينبت في ارضها القمح والشعير والارز والذرة والبرسيم والبامياء والملوخيا والشمام والبرتقال . والكرم قليل جدًّا فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمان القديم بجودة خمرها . ويكثر فيها السنط والدوم وسنطها افضل كثيرًا من سنط وادي النيل . ويصدر من حاصلاتها التمر فقط اما الباقي فيستعمل فيها وهو اقل من الحاجة فيضطر الاهالي الى جلب باقي ما يحتاجون اليهِ من القطر المصري . ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وفي هذه الاشهر تكثر المواصلات مع وادي النيل لكثرة تردد تجار التمر . ويصعب معرفة عدد الجمال التي تحمل التمر سنويًّا منها الى الوجه القبلي وقد قدره بعضهم بين الف وخمسماية جمل والفي جمل . واهالي الخارجة فقراء وكثيرون منهم يأتون سنويًّا الى القطر المصري للتعيش ثم يرجعون الى اوطانهم مدة موسم التمر

وتمتد الواحة الداخلة من الشرق الى الغرب وهي اصغر من الخارجة واكثر سكانًا وصادرات وسكانها سبعة عشر الفًا وفيها نحو ١٣٠ الف نخلة وما ينيف على خمسمائة بئر . وحاصلاتها مثل حاصلات الواحة الخارجة وفيها ايضًا الصفصاف والكرم والزيتون . وعدد الجمال التي تنقل منها التمر سنويًّا يربو على الفين ويصدر منها ايضًا البقر الى الواحة الخارجة والى بلاد الريف رغمًا عن بعد المسافة . ويصنع الخزف في بلدة القصر وكذلك عرق البلح وفيها معصرة للزيت وانوال للحياكة . واهالي الداخلة اكثر ثروة من اهالي الخارجة ويعتمدون في معاشهم على مواشيهم وغلات ارضهم اكثر مما يعتمدون على التمر

وهواء الواحات حار جدًّا في الصيف ولاسيما عند هبوب ريح السموم ومعتدل في الشتاء تختلف حرارتهُ من ٧٥ درجة فارنهيت في نوفمبر الى ٥٠ درجة فارنهيت في يناير . وهو جاف جدًّا . وتكثر فيها الحميات في الصيف والخريف فيموت بها كثير من السكان

واكثر الآثار القديمة في الواحة الخارجة وهي هياكل مصرية بنيت مدة حكم الفرس (٥٢٧ — ٣٣٦ ق م) وهياكل أُخرى بنيت في مدة حكم اليونان والرومان (٣٣٢ ق م الى ٦٤٠ بعد المسيح) وقلاع رومانية وكنائس وقبور مسيحية وآبار ارتوازية . وعلى هذه الآثار

كتابات وصور كثيرة قرئ بعضها والبعض الآخر لم يقرأ بعدُ . واهم الهياكل المصرية هيكل هيبس شرع في بنائهِ داريوس الاول ملك الفرس واتمهُ داريوس الثاني في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الوحيد الذي بقي من الابنية العمومية التي اقامها الفرس مدة دولتهم في مصر وطول هذا الهيكل اربعة واربعون مترًا وعرضهُ ١٩ مترًا وحولهُ ثلاثة ابراج لابوابهِ وهو مبني بالحجر الرملي . والهياكل الرومانية عديدة ومتفرقة في الواحة الخارجة واكثرها ينتهي تاريخهُ الى القرن الثاني والثالث بعد المسيح . وحول بعض هذه الهياكل آثار المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكان هناك مدن كثيرة غيرها دُرست وغطت الرمال انقاضها ولم يبقَ منها الّا قطع خزف وآثار مجارٍ قديمة للمياه تدل على انها كانت آهلة بالسكان

وفي الواحة آثار قلاع رومانية وابراج للاستكشاف وكلها في شمالها على الطريق الموصل الى القطر المصري

ومن اهم الآثار في تلك الجهة مدافن المسيحيين القدماء على اربعة كيلومترات شمالي بلدة الخارجة وقد اعجب بجمال بنائها جميع السياح الذين زاروا الواحات ووصفوها وصفًا مدققًا . وفيها نحو مئتي مدفنٍ بهيئة بيوت بينها شوارع منظمة ومجموعها اشبه ببلدة مهجورة منها بمدافن الاموات. وكلها مبنية بالطوب النيء ومختلفة الحجم فالكبير منها يحيط بهِ اعمدة وقناطر والصغير مقبَّبٌ وتحت القبة حفرة مربعة صغيرة يتشعب منها عدة غرف . وداخل هذه المدافن مبيض بالجير وكان اصلاً مزينًا بالنقوش ثم محيت وابدلت بكتابات عربيَّة . وقد سلم احد هذه المدافن من الايدي المخربة فيرى فيهِ الناظر صورًا متقنة حوالي القبة وتحتها اسماؤُها باليونانية منها صورة آدم وحواء وابرهيم واسحق وسارة ودانيال والاسود ونوح في السفينة وصور كثير من القديسين . وقد جاء في التاريخ ان الاسقف نسطوريوس نفي الى الواحات في القرن الخامس للميلاد فلا يبعد ان هذه الجبانة كانت مدفنًا لاتباعهِ . ويستدل من اثواب المومياء التي شوهدت مختلطة بالعظام حوالي هذه الجبانة ان عادة تحنيط الموتى بقيت مدة طويلة بعد التاريخ المسيحي

غير ان اهمَّ آثار الواحات التي يستفاد منها الى الآن الآبار الارتوازية القديمة التي يدعوها الاهالي " العيون الرومانية " فان كثيرًا منها محفور في مرتفعات من الارض حتى يسهل جريان المياه منها الى الاراضي الواطية . وطرق رفع المياه تكاد تكون مجهولة تمامًا في تلك الاصقاع خصوصًا في الواحة الخارجة ولم يشاهد السيَّاح سوى ساقيتين او ثلاث وبعض الشواديف في الواحة الداخلة

واهالي الواحات كسالى على الغالب يكرهون العمل وخصوصاً ما لم يألفوهُ من الصغر وهذا سبب فقرهم . فاذا ردمت بئر قديمة طلبوا من الحكومة ان تحفر لهم بئراً اخرى مع ان تطهير البئر الاولى قد يكون اسهل واقل نفقة من حفر بئر جديدة . ولو اعتنى الاهالي بحفظ الآبار القديمة سالمة من الردم وباستخدام الوسائل لرفع المياه (وهي احياناً على عمق قليل جداً تحت سطح الارض) لزادت اراضيهم الزراعية وتحسنت احوالهم كثيراً

وآلات حفر الآبار التي في الواحات بسيطة جداً اشبه بالآلات المستعملة الآن في القطر المصري ويستعملون عوضاً عن الانابيب الحديديَّة انابيب من خشب السنط متقنة الصنع جداً لا تنفذ المياه جدرانها . ويظهر ان صناعة هذه الانابيب قديمة جداً في الواحات فان الانابيب التي في العيون الرومانية لا تزال في حال صالحة كما لو كانت قد صُنعت حديثاً

وفي الواحات من المعادن الفصفات وهو في الداخلة ولولا بعد المسافة لامكن نقلهُ بسهولة الى وادي النيل والانتفاع بهِ في تسميد الاراضي . وفيها ايضاً الشب والحمرة والملح وقليل من الكوبلت والنكل ولكن الراجح ان هذه المعادن كلها موجودة بكميات قليلة لا تفي بنفقة استخراجها

وقد بحث جيولوجيو مصلحة المساحة في مصر عن اصل الواحات وكيفية تكونها فذهبوا الى ان طبقات الارض تغير ترتيبها هناك في احد العصور الخالية لسبب طبيعي فانكشف كثير من الطبقات اللينة وتعرَّضت للرياح ففتتتها وحملت ترابها وبذلك انخفضت الارض . ولا تزال الرياح في تلك الانحاء تفعل هذا الفعل الى الآن والواحات تزيد اتساعاً

نسيم برباري

منزلة الشعر من التاريخ

٣٣ الحصون والآطام

كان العرب يستخدمون في البناء الشيد والاجر والقرميد قال النابغة الذبياني

او دمية من مرمر مرفوعة بُنيت بآجرٍ تُشاد وقرمدِ

وقد شادوا الحصون المنيعة والآطام الراسخة كالخورنق والسدير وقصر غمدان واحتفروا الآبار وكلُّ ذلك قد جاء في شعرهم قال السموأل المشهور

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيتُ

يشير بقولهِ هذا الى الابلق الفرد الذي دعاهُ لمنعتهِ جبلاً حيث قال

لنا جبل يحتلهُ من نجيرهُ منيع يردُّ الطرفَ وهو كليلُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرع لا يُنال طويلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ يعزُّ على من رامهُ ويطولُ

وقد ذكر الاعشى ميمون باني هذا الحصن فقال

بناهُ سليمان بن داود حقبة لهُ ازج عالٍ وطيءٌ موثقُ (١)

وظاهر هذا القول يناقض قول السموأل ان الحصن من بناء عاديا (ابيهِ) والتوفيق بينهما هو ان سليمان بناهُ وعاديا رمَّهُ فدعا السموأل الترميم بناء احتذاء بالكتاب الذي دعا ترميم سليمان تدمر بناء • وقال احيحة بن الجلاح اليثربي

وقد اعددتُ للحدثان حصناً لو ان المرء ينفعهُ العقولُ
طويلَ الرأس ابيض مشمخرًا يلوح كأنهُ سيف صقيلُ

وقال هذا الشاعر في خطاب عاصم بن عمرو من بني مازن بن النجار الخزرجي

نبئتُ انك جئتَ تسـ ـري بين داري والعبابه
فلقد وجدتَ بجانب الـ ـضحيان شيئاً ذا مهابه

والضحيان الحصن الذي بناهُ واشار اليهِ في ما سبق وقد بنى قبل الضحيان حصناً سمّاهُ المستظل بدليل قولهِ

بنيتُ بعد مستظلٍ ضاحيا بنيتهُ بعصبة من ماليا

وتسمية الضحيان ضاحياً للمناسبة اللفظية • اما الآطام فنستدل عليها بقول الاعشى ميمون بن جندل

فلمَّا اتت آطام جوٍ واهلها انيخت فالقى رحلها بفنائكا

وقال قيس بن الخطيم الاوسي

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونهُ وترك القنا شوركتمُ في الكواعبِ

واما الآبار فقد ذكر احتفارها الفحل اخو بني ام الكهف من طيء قال

فان الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

وبنو طيء من العرب البدو فدل قولهُ على ان البدو فضلاً عن الحضر كانوا يحفرون الآبار لقلة الماء في ديارهم

﴿٣٤﴾ البيوت

وكانوا يتخذون البيوت من أدم قال طرفة

(١) الازج بيت طولاً

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا اهل هذاك الطراف الممدَّدِ (٢)

ومن شَعرٍ قال مضرس بن ربعي الاسدي

كأنّ لنا منهُ بيوتاً حصينة مسوحاً اعاليها وساجاً كسورُها (٣)

وقال عمرو بن قعاس المرادي

وبيت ليس من شعر وصوف على ظهر المطية قد بنيتُ

ومن النسيج قال طفيل بن عوف الغنوي

وبيت تهبُّ الريح في حجراتهِ بارض فضاء بابهُ لم يحجَّبِ

سماوانهُ اسمال برد مفوَّف وصهوتهُ من اتحمي معصَّبِ (٤)

واطنابهُ ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادىءٍ ومعقبِ

﴿٣٥﴾ المدافن

اذا علقت ايدي المنية باحدٍ جعلوا لهُ نعشاً حملوهُ عليهِ الى قبرهِ قال كعب بن زهير

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلة حدباء محمولُ

وكانوا يشيدون على قبور الموتى ابنية ونستدلُّ على ذلك بقول عدي بن ربيعة المعروف بالمهلهل التغلبي حيث قال

سألتُ الحيَّ اين دفنتموهُ فقالوا لي بسفح الحي دارُ

فسرتُ اليهِ من بلدي حثيثاً وطار النوم وامتنع القرارُ

وحادت ناقتي عن ظل قبر ثوى فيهِ المكارم والفخارُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري

وهل هو الأَّ ما ابتنى في حياتهِ اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا

ولا يخالنَّ القارىءُ انهم كانوا يقيمون الحجارة رجمة تقذف على القبر قذفاً كما يلوح من قول لبيد . بل انهم كانوا يشيدون المدافن كما تشيَّد في هذا الزمان وقول لبيد من باب تحقير الشيء والتزهيد . ودليلنا على ما ادعيناهُ قول مسكين الدارمي

---

(٢) غبراء الارض و بنو غبراء الفقراء . والطراف البيت من ادم واهل الطراف المدد الاغنياء

(٣) المسوح جمع مسح وهو الثوب من الشعر او البلاس . والساج الطيلسان الاخضر او الاسود . والكسور جمع كسر وهو الشقة السفلى من الخباء

(٤) برد مفوَّف اي رقيق او فيهِ خطوط بيض على الطول واسمال خلق اي بالٍ فقدم الصفة على الموصوف وجعلها مضافاً ككبير امر

ونابغة الجعدي بالرمل بيتهُ عليهِ صفيح من رخام مرصَّعُ (٥)

وقال البرج بن مسهر الطائي

نطوّف ما نطوّف ثم نأوي ذوو الاموال منا والعديمُ
الى حفر اسافلهنَّ جوف واعلاهنَّ صفّاح مقيمُ (٦)

كانوا يطوّفون القبر بالريحان والازاهير ذات الرائحة الذكيّة و يستمطرون عليهِ الغيث قال النابغة الذبياني

سقى الغيثُ قبرًا بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطر ووابلُ
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاهُ ديمة ثم هاطلُ
وينبت حوذانًا وعوفًا منوّرًا سأُتبعهُ من خير ما قال قائلُ

وكانوا ايضًا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخمر قال حاتم

اماويَّ اما متُّ فاسعي بنطفة من الخمر ريًّا فانضحِنْ بها قبري

وقال نصر بن غالب

اصبُّ على قبريكما من مدامة فالاّ تذوقاها تروِ ثراكما

وكانوا ايضًا يعقرون على القبور الخيل قال الفرزدق في رثاء بشر بن مروان

غضبتُ ولم املك لبشر بصارم على فرس بين الجنازة والقبرِ

وقال حفص بن احنف الكناني

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدَّم وسقى الغوادي قبرهُ بذنوبِ (٧)
نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وَهوبِ
لا تنفري يا ناقُ منهُ فانهُ شرَّاب خمرٍ مسعرٌ لحروبِ
لولا السفار وبعدهُ من مهمهٍ لتركتها تحبو على العرقوبِ (٨)

وقال زياد بن الاعجم يرثي المغيرة بن المهلَّب

فاذا مررت بقبرهِ فاعقر بهِ كوم الجلاد وكل طرف سابحِ

---

(٥) الصفيح وجه كل شيء عريض · والمرصع المحلى (٦) الصفاح حجارة عريضة رقيقة
(٧) الذنوب الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوبًا حتى يكون فيها ماء
(٨) المهمه المفازة · وتحبو من الحبو وهو ضرب من الدبيب · والعرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها · وقوله تحبو على العرقوب كناية عن الذبح لان العرب كانوا يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال ابو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادًا فانك عاقرُ

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح (٩)

وكانت نساؤهم يخمشن وجوههن ويحلقن شعورهن اسفاً على الميت قالت الخنساء

لما استبانت ان صاحبها ثوى حلقت وعلت رأسها بسقاب (١٠)

وربما علقن في رقابهن نعال ازواجهن او انسبائهن قالت الخنساء

هريقي من دموعك واستفيقي وصبراً ان اطقت ولن تطيقي
بعاقبة فان الصبر خير من النعلين والرأس الحليق

وكانوا يؤبنون الموتى بتعديد مناقبهم كما جاء عن عبد المطلب انهُ حينما ايقن بدنو الاجل استدعى اليهِ بناتهِ واستنشدهن ما عزمن على تأبينهِ بهِ فانشدت كل واحدة مرثاة من جيد الشعر والقصة مشهورة والمراثي مثبتة في ديوان شواعر العرب

ولم يكن تأبين الاموات خاصاً بالنساء فكان الرجال يقفون على الجنازة فينشدون الشعر رثاء للميت كما روي انهُ لما وُضع وكيع بن ابي مسوَّر المقراني على نعشهِ جاء الفرزدق والناس قيام حول الجثة فانشد قصيدة مطلعها

ليبكِ وكيعاً خيل حرب مغيرة تساقي المنايا بالردينية السمرِ

الى ان يقول

فلو ان ميتاً لا يموت لعزة على قومهِ ما مات صاحب ذا القبرِ
أُصيبت بهِ عمرو وسعد ومالك وضبة عمُّوا بالعظيم من الامرِ

واما مدة الحداد فهي حول قال لبيد العامري

تمنَّى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الاَّ من ربيعة او مُضَرْ
فقوما فقولا بالذي تعلمانهِ ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا هو المرء الذي لا صديقهُ اضاع ولا خان الخليلَ ولا غدرْ
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

امين ظاهر خيرالله

---

(٩) نضح القبر بالدم رشهُ و بلهُ
(١٠) السقاب قطنة كانت المصابة تحمرها بدمها وتضعها على راسها وتخرج طرفها من قناعها ليعلم انها مصابة

الامير فخر الدين المعني

[المقتطف الامير فخر الدين المعني اشهر من تولّى جبل لبنان والبلاد المجاورة لهُ . وقد وقفنا في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين عند الكلام على ذهابهِ الى ايطاليا ورجوعهِ منها الى لبنان للاطلاع على شؤُونهِ ثم عودتهِ الى ايطاليا . والظاهر انهُ لم يقم فيها طويلاً حتى طلب العودة الى لبنان وهاك ما قالهُ المؤَرخ في هذا الصدد]

لما اراد الامير فخر الدين ان يرجع الى بلادهِ سعى فاجتمع بدوك توسكانا فقال لهُ الدوك في فاتحة كلامهِ — ما وراءك من اخبار الشرق

الامير — وردني كتاب من امي تطلب اليَّ بهِ ان ارجع لتراني قبل موتها

الدوك — وهل انت راغب في الذهاب

الامير — انك ابن وتستطيع ان تدرك عواطفي ولا اكتمك اني لا يسرني الاَّ ذهابي اليها

الدوك — اذًا نحن لا نقف في سبيلك

فلما نال الامير هذه الاجازة تهيأ للرجوع وذهب الى ليكورن واستأجر مركبًا وارسل اليهِ عائلتهُ وفيما هو لاحق بهم عارضهُ جلاوزة الميناء وسألوهُ الجواز واذ لم يكن بيدهِ قالوا لهُ ان يستحصلهُ من الدوك فرجع الى فلورنسا واذا بالدوك يمانع في سفرهِ محتجًّا بان اقامتهُ في ايطاليا اكسبتهُ معرفة شؤُونها بحيث يكون آلةً ضارَّةً لتلك البلاد يستخدمها السلطان اذا شاء غزوها فلما اجتمع الامير بالدوك دارت بينهم المحاورة الآتية

— الى اين انت ذاهب

— الى صيداء

— من يتولَّى حكومة لبنان

— ابني

— كم عمرهُ

— خمس وعشرون سنة

— اما تخاف بأسًا من ابنك وانسبائك ومواطنيك

— لم اتركهم في جملة اعدائي

— فان كنت لا تخشاهم فهلاَّ تخشى السلطان

— اني لا ارغب الاَّ في الطعام والكساء وان ارى امي واهلي فان لم يرحّبوا بي فالجبال

فسيحة امامي فان لم تسعني الجبال فالدنيا رحيبة في وجهي وكيف كان الامر اكون بذهابي قد قمت بالواجب عليَّ من البر بوالدتي . وبعد ان ساد السكوت برهة قال الدوك

— اشور عليك ان تذهب الى القسطنطينية

— لو كنت راغباً في الذهاب اليها ما اتيت الى هنا

وانما اراد الدوك ان يمتحن الامير بهذه النصيحة ليستوثق منهُ بعدم اعانة العثمانيين عليهِ

وبعد مضيّ بضعة ايام اجاز الدوك سفر الامير فرحل وهو لا يكاد يصدق بالنجاة واخذ في السفينة برميلاً من البارود حتى اذا مانعوهُ بعد سفرهِ يحرقهُ فيهلك بهِ مع عائلتهِ

ومن الغريب ما رواهُ اخبار الاعيان من انهُ بينما كان الامير في نابولي وقد ذهب اليها في صحبة والي مسينا ورد اليهِ كتاب والدتهِ تخبرهُ فيهِ بعزل الحافظ واخلاء سبيلها وانها مرسلة اليهِ كتاب الامان ولذلك فهي تسألهُ الرجوع الى وطنهِ كأن هذا الكتاب الذي أُرسل اليهِ سنة ١٦١٤ قضى في طريقهِ ثلاث سنوات. نعم ان الوفد لم يجدوا الامير عند وصولهم الى ليكورن ولكنهُ احاط علماً بفحوى الرسالة وسائر احوال بلادهِ حين زارها سنة ١٦١٥ فلا يصح اذاً ان يحسب مؤدى الرسالة سبباً في رجوعهِ وانما الارجح انهُ علم بما نال ابنهُ من الحظوى لدى الدولة العلية فامن جانبها لاسيما بعد اذ انعمت عليهِ بالعفو والامان فسأل الدوك الاجازة بالسفر فتلكأ حيناً باعطاء الجواز ثم انعم بهِ واحسن وداع الامير فبلغ عكاء سنة ١٦١٧ بعد ان غاب عن بلادهِ خمس سنين واياماً على ما رواهُ العلاّمة الدويهي وصاحب اخبار الاعيان بخلاف ما قال ڤولناي ولامارتين فانهما ذكرا غيابهُ تسع سنوات

فلما وطئت قدماهُ ارض سورية وفد القوم للقياهُ من كل ناحية يحملون الهدايا والتحف ويؤكدون الحب والولاء واغرب ما كان ذلك من الامراء احمد بن يونس الحرفوش واحمد طرباي وحسن بن يوسف باشا سيفا واحمد الشهابي لان هؤلاء كانوا قد ناصبوهُ العداء ايام الشدة فمالوا اليهِ حين رأوهُ عاد الى عزّتهِ فتناسى فعالهم وارتضى من جميعهم وقبل هداياهم الاَّ الجوادين اللذين قدمهما حسن سيفا قائلاً لهُ انهما لا ينسيانهِ حريق دارهِ في دير القمر .

ثم استكتب الامير علي الشهابي رسالة ليوسف باشا سيفا يطالبهُ بها بالاثنين وعشرين الف غرش التي اقترضها جماعتهُ من جماعة الامير في اسلامبول فاجاب الباشا ان هذا القرض لقاء ما ضبطهُ الامير من غلال املاكنا في بيروت وكسروان وانطلياس

وجرى فخر الدين بعد رجوعهِ الى الامارة مجرى الطائعين للدولة الناهضين باوامرها فانهُ لما جاء المحصِّل يطلب بقية مالٍ عليهِ ذهب الى عكاء وشدَّد على القوم في التحصيل حتى اوفى

المحصل وصرفهُ مكرَّماً ومحملاً تقدمةً للصدر الاعظم . والمستفاد من الرواية ايضاً ان عكاء كانت في ولاية المعنيين

ومما ذكر العلاَّمة الدويهي ان في سنة ١٦١٨ قدم طرابلس عمر باشا لبتنجي فضبط المدينة واما بلدانها فكانت تحت ولاية ابن سيفا ولم يعوضهُ عنها شيئاً . وورد في اخبار الاعيان ان الامير كتب الى عمر باشا والي طرابلس يشكو من اعمال يوسف باشا فاجابهُ اذا شئت ان تحاربهُ فانا اكون مساعداً لك واضمن لك ان لا يكون ذلك مغضباً للدولة

وكلتا الروايتين لا تشفي غليلاً الاَّ ان جوانين وڤان كاڤر صاحبي تاريخ تركيا يقولان ان القلاقل التي حدثت في السلطنة السنيَّة عقيب خلع السلطان عثمان الثاني القت حبل الامور على الغارب ومهدت لعسكر الانكجارية سبل الاعتداء والجور حتى على ولاة الامر فاغتنم بعض الولاة الفرصة السانحة ومرقوا من الطاعة يحسبون السلطنة تعجز بشؤُونها عن كبح جماحهم واشهر هؤُلاء الخونة اباظه باشا والي ارض روم ويوسف باشا سيفا والي طرابلس وبدأَ يوسف باشا بان طرد الانكجارية الذين في المدينة معلناً انهُ انما فعل ذلك انتقاماً للسلطان عثمان غير انهُ لم يمضِ عليهِ الزمن الطويل حتى قدم عمر باشا الكتنجي والياً على طرابلس

الاَّ ان تاريخ هذه الحادثة ليس سنة ١٦١٨ لان مقتل السلطان عثمان كان سنة ١٦٢٢ فهي اذاً ليست بالسبب الفعال للغارة المنوه عنها والله اعلم

فكأَن عمر باشا ضبط المدينة ولكنهُ لم يقوَ على كبت يوسف باشا في عكار فاستنهض الامير فخر الدين او رأَى ان يمحو سيئاتهِ الماضية تجاه الدولة بان يخدمها في قمع يوسف باشا وهو عدوهُ اللدود فخابر عمر باشا ولما اجاز لهُ محاربة العدو تحفَّز لهُ وزحف بمن اجتمع اليهِ من الكماة الى نهر ابرهيم ومنها الى اميون فبخعون حتى قبولا في عكار فارتاع يوسف باشا وفرَّ ليلاً الى قلعة الحصن فغنم الامير اثقالهُ ثم التقى بعسكر عمر باشا وتبعا يوسف باشا واضطراهُ الى التسليم

قيل ان شرذمةً من عسكر الامير التقت بجماعة كان فيهم الامير محمد حفيد يوسف باشا وعمرهُ خمس سنوات فلما ابصر الجماعة العسكر المعني خافوا وهربوا تاركين الغلام فحمل الى فخر الدين فبعث يطمئن امهُ عن سلامة ابنها وهي في سير ثم نقلها من هناك الى عكار وقصد الامير عكار فاشتغل عسكرهُ بنهبها اما هو فركب بالف فارس الى الحصن فرأَى آل سيفا واحزابهم متأَهبين للقتال فحمل عليهم وحاربهم فانهزم الاميران محمد وسليمان صوب جبيل وجاء سائر العسكر فاحاطوا بقلعة الحصن فكتب يوسف باشا يستغيث بمصطفى باشا والي الشام ومحمد باشا والي حلب وكتب الامير فخر الدين الى ابنهِ الامير علي يأْمرهُ بالبقاء في غزير وان يبعث عسكرهُ

بامرة الامير علي الشهابي ففعل. وضاق ذرع يوسف باشا فاخرج زوجتهُ ابنة الامير تستغيث بهِ ليكف عن بعلها فطيب قلبها ووعدها باجابة سؤلها واشرط على ذلك ان يؤدّيهُ يوسف باشا مئتي الف قرش وان يعطيهُ صكاً برفع الضبط عن املاك آل عساف من انطلياس الى بيروت

ومما روى تشرشل في تاريخ لبنان ان يوسف باشا لم يكن يعرف الامير فخر الدين شخصياً فلما اصطلحا جاء عكار مسلماً على الامير ولم يكن ابنهُ صهر فخر الدين حاضراً بل كانت معهُ كنتهُ بنت الامير فوجدا فخر الدين نائماً القيلولة وكان صغير الجسم هزيلاً فالتفت يوسف باشا الى كنتهِ قائلاً أليس هذا ابوك قالت بلى قال لو شئت لوضعتهُ في جيبي بين مفاتيحي فسمع فخر الدين هذا الحديث وساءهُ الاستهزاء بصغر جسمهِ فنهض للحال غير مبالٍ بيوسف باشا ولا ملتفت الى واجب التحية بل امر بالخيول فسرجت وبالرجال فتهيئوا وهو لا يصغي الى ما قُدّم من التوسلات والمعاذير لانهُ حسب ذلك المزاح هجواً فخرج من هنالك متوعداً

ولما وصلت النجدة بامرة علي الشهابي رجع فخر الدين بشرذمةٍ الى عكار ونقل حجارة قصر آل سيفا الى البحر ومنهُ الى بيروت فحُملت منها الى دير القمر

واختلفت رواية المؤرخين عن نجدة الوزيرين والي الشام ووالي حلب ليوسف باشا فقد قال العلاّمة الدويهي انهما انجداهُ وجمعا عسكرهما وزحفا حتى حماه وكاتبا الامير فخر الدين وعمر باشا بالكف عن القتال وقال صاحب اخبار الاعيان انهما لم ينجداهُ والذي نرى ان الروايتين صادقتان ولئن تباينتا فان الوزيرين لم ينجداهُ بادىء بدء لانهُ كان ناجماً على الدولة وانما لا يستبعد انهما لما علما بالعفو عنهُ تحفزا لنجدتهِ وزحفا الى حماه لكف القتال وليس لمحاربة اللذين كانا يحاربان عن الدولة . يستفاد ذلك مما روى جوانين من انهُ لما تولى الصدارة العظمى قره حسين باشا في عهد السلطان مصطفى اقرّ يوسف باشا علي ولايتهِ

بيد انهُ ورد صريحاً ان يوسف باشا اعيتهُ الحيلة من تشديد الحصار على قلعة الحصن كأنهُ لم يعلم بتقرير الولاية عليهِ فبعث يطلب الصلح من فخر الدين فطلب الامير ثلثمائة الف قرش نصفها عن قرض اسلامبول وثمن الماشية التي ضبطها الباشا مما اودعهُ الامير عندهُ حين سفرهِ ومن حاصلات بيروت وغزير وبلادهما مدى ثمانية شهور والنصف الآخر لوالي طرابلس لقاء ما ضبط يوسف باشا من اموال المقاطعات. وهنا ايضاً اختلفت رواية العلاّمة الدويهي عما نقلناهُ عن اخبار الاعيان فان ذاك يقول ان المال مئة الف وان فخر الدين اخذ صكاً بمئة الف اخرى وفي اخبار الاعيان ان المئة الف اخذها الباشا والامير زيادة عن المال الاول

وبعد ذلك كتب بين الامير ويوسف باشا وثائق الصلح والمسالمة وانهُ لم يبقَ بين الفئتين

حقٌ ولا دعوى ثم رُفع الحصار ورجع كلٌّ الى مقرهِ اما فخر الدين فكانت قلعتا جبيل وكرجبيل قد امتنعتا عليهِ اثناء مسيرهِ على يوسف باشا فتركهما حتى اذا عاد اخذهما وامر بهدم قلعة جبيل

وعاد بعد هذا الظفر وقد رسخت قدمهُ في الامارة ورنت حصاة قدرتهِ حتى دانت لهُ البلاد واصبح حكَماً يرجع اليهِ في شؤونها لانهُ ظهر بمظهر الطاعة للدولة العلية والعمل على خدمتها والسير على ما تريد متجنباً جهدهُ مناوأة الوزراء القائمين على الولايات المجاورة وهؤلاء كانوا يجلون قدرهُ وكانهم قابلوهُ بالالتفات والقبول جزاء طاعتهِ الظاهرة فكان اذا التجأ اليهِ حاكم معزول ونال منهُ الوعد بالمساعدة يسعى لدى غير واحد من الوزراء حتى ينيلهُ ما اراد ولو تكلف على ذلك الاموال الطائلة جرياً على عادة تلك الايام من تقديم الهدايا للحاكم الاعلى استجلاباً لرضاهُ

الاَّ انهُ يظهر ان القلوب لم تكن قد صفت اوكان ولاة الشام كانوا يشعرون ان ظاهر الامير مموهٌ بالطاعة تمويهاً وانهُ لا يحجم عن شق العصا متى استحسّ من نفسهِ بالقدرة ولذلك كانوا يوجسون خوفاً من تزايد سؤددهِ ويتمنون لو تمكنوا من خضد شوكتهِ اوكان اعداء الامير واهمهم يوسف باشا سيفا واطولهم باعاً في مناصبتهِ كشفوا خفيات امرهِ لباب الدولة حتى اوعزت الى رئيس اسطولها ان يقبض عليهِ ويجيء بهِ الى العاصمة فقدم قبطان باشي الى صيداء في خمسين مركباً فرحب الامير بهِ واكرم وفادتهُ وقدم لهُ مالاً وزاداً فطلب القبطان باشي ان يزورهُ الامير في سفينتهِ فاجاب اني ان جئت السفينة وقبضت عليَّ كان ذلك شيناً عليك وان سرحتني صرت ملوماً فارتضى الربان بهذا الجواب ومضى الى سبيلهِ على انا نتعجب لهذا الربان لانهُ ان كان مأموراً بالقبض على الامير فليس من شأنهِ ان يقبل مثل جوابهِ ولديهِ من القوة ما لا يقوى فخر الدين على التخلص من وباله وان كان ذلك من عند نفسهِ لينال بصيد الاسد ارتضاء ولاة الامر فما معنى قول الامير لهُ انك ان سرحتني تبق ملوماً

وكان عمر باشا الكتخدا قد ولَّى الامير بلاد البترون وجبيل وكسروان التابعات لطرابلس عقيب ظفرها بيوسف باشا فولَّى الامير من قبلهِ رجالاً عليها ولكن لما عاد يوسف باشا الى الولاية بعث سنة ١٦١٩ ابن اخيهِ محمداً يطالب الامير بتسليم المقاطعات اليهِ لانها من ولايتهِ فامتعض الامير من يوسف باشا وارسل مدبرهُ الى اسلامبول واصحبهُ بمركبين محملين صابوناً وامرهُ ان يبيعهما ويدفع المال المرتب على طرابلس مضاعفاً على ان تقرّر ولايتها على الامير فذهب المدبر واتمَّ الامر اذ انعمت الدولة على الامير بولاية طرابلس وعلى مدبرهِ بسنجقية جبلة واللاذقية وامرت ان تهدم قلاع يوسف باشا وتضبط املاكهُ واملاك اصحابهِ ولكن ما قفل مدبر الامير راجعاً حتى زاد يوسف باشا في المال فتقرّرت عليهِ طرابلس

وكان يوسف باشا قد ولّى ابن اخيهِ الامير سليمان بلاد صافيتا الأ انهُ كان يكره منهُ تحيزهُ لفخر الدين حتى اذا تأخر عن وفاء المال ارسل عليهِ شرذمةً من رجالهِ ولم يكن الامير سليمان يقوى على ممانعة عمهِ ففرَّ الى جبلة وبعث يستغيث بالامير فخر الدين فنهض هذا الى البترون ولما علم يوسف باشا بذلك امر رجاله بالاستكانة في تل عباس وبعث الامير موسى الكردي يعتذر للامير بان مقاتلة سليمان لم تكن الاَّ تهديداً لهُ ليدفع المال المتأخر عليهِ وارسل لهُ خلعة الولاية فارسلها فخر الدين الى سليمان فرجع بها الى صافيتا واذ قضى فخر الدين وطرهُ رحل الى بعلبك مخافةً يونس الحرفوش واختبأ منهُ لكن فخر الدين قصدهُ فاجتمع بهِ وامّنهُ وارتحل الى شدرا في عكار فجاءهُ الامير سليمان سيفا وشكا لهُ من عمهِ وما زال بهِ حتى اوغر صدرهُ فحصر الامير سكان يوسف باشا في دارهِ بعكار التي كان الباشا قد جدّد بناءها وظلوا على الحصار شهراً حتى سلموا فهدم الدار وكلّ ما كان قد تجدّد من الابنية وابقى الامير سليمان بجماعةٍ من رجالهِ في دار الامير محمد وعاد الى بيروت

وحدث في غضون هذه الوقائع ان اثناسيوس الدباس البطريرك الارثوذكسي الانطاكي استثار الطائفة عليهِ فعزلوهُ وانتدبوا اغناتيوس مطران صيدا بطركاً فسيم في القسطنطينة ودخل دمشق بطركاً سنة ١٦١٩ م فتملص اثناسيوس من ايدي الحكام وفرَّ الى طرابلس فما لبث ان توفي فيها ودفن في كفتين فلما علم اخوهُ كيرلس مطران حوران اتى طرابلس وبمساعي الحاج سليمان الملكي النصراني مدبر يوسف باشا علم الباشا ان البطريرك اغناتيوس من حزب فخر الدين فهو اذاً من اعدائهِ ولذلك تحزّب الباشا لكيرلس فبعث رجالاً من اخصائهِ واتوا بمطراني حماة وحمص واسقف الحصن قسراً فأمرهم يوسف باشا ان يسيموا كيرلس بطركاً فساموهُ في اميون . واذ لم يكن ذلك برضا الدماشقة ولا سائر ابناء الطائفة انقسمت الجماعة قسمين احدهما على ولاء البطريرك القانوني الذي كان يعضدهُ فخر الدين والآخر على ولاء كيرلس بطاعة ابن سيفا وادّى هذا الانقسام الى التشيّع فالخصام فالخسائر الفادحة وما زال الامر كذلك حتى قضى يوسف باشا ففرّ كيرلس من طرابلس الى حلب ووقعت على اثر ذلك امور جمّة حتى اضمحلّت حال ارثوذكس دمشق لكثرة الخسائر والمتاعب فجاءهم كيرلس فلم يعارضوهُ على ان اغناتيوس كان يخشى من دخول دمشق ان يقبض عليهِ ولاتها لتحزبهِ لابن معن فارسل كيرلس يلتمس من الامير فخر الدين ان يجمع رؤساء الاساقفة كلهم فيعقدون مجمعاً يحضرهُ هو واغناتيوس ويتركان لاعضاء المجمع حق اختيار البطرك فالذي يختارونهُ يكون بطركاً فاجابهُ الامير الى ما اراد وعيّن الاجتماع في قرية الراس من بلاد بعلبك فجاء جميع

الاساقفة المدعوين الأكيرلس فانهُ ندم على التماسهِ فاقرّ المجتمعون على بطركية اغناتيوس واغتاظ الامير من كيرلس فاحضره مقيداً وامر بقتلهِ قبل الدخول عليهِ فقتل ولبث اغناتيوس بطركاً مدى ايام فخر الدين وتوفي سنة الحملة عليهِ

وكان مسلك الامير واذعانهُ قد لقيا قبولاً لدى الباب العالي فانعم عليهِ منذ محاربة يوسف باشا بالشكر على عملهِ ثم زادت ثقة الدولة باخلاصهِ واقتدارهِ على تنفيذ اوامرها اذ ارسل اليهِ حسين باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٠ حوالةً على يوسف باشا بالمال السلطاني بعثها اليهِ مع قبوجي باشي اسمهُ مصطفى اغا فنهض الامير برجالهِ قاصداً طرابلس وبعث يطالب الباشا بالمال فابى الاداء ولكنهُ خاف البقاء حتى اذا وصل الامير الى برج البحصاص ظاهر طرابلس فرّ الباشا منها تاركاً ابنهُ حسناً في القلعة والسكمان في الابراج وكتب الى الدولة يشكو فعلة الامير وانهُ لم يقصد طرابلس لتحصيل المال بل لامتلاك القلعة واسترحم رفع الحوالة عنهُ متعهداً باداء المال ثم بعث لولديهِ عمر وقاسم ان يجمعا الرجال ويزحفا الى جون عكار اما الامير فلبث في برج البحصاص عشرة ايام يراسل الامير حسن بدفع المال وهو يأبى ذلك فعرض عليهِ ان يبيع بالوكالة عن ابيهِ جميع ما اشتراهُ من تركة الامير محمد السيفاف في بيروت وانطلياس وحارة غزير واملاكها وان يؤدي الباقي عليهِ خمساً وخمسين الفاً من مال جبيل والبترون دفعت عنهُ في اسلامبول ولكنهُ اخبر اباهُ فاجاز ذلك ووكلهُ بالبيع فعقد المبيع امام القاضي والمفتي والاعيان بخمسين الف غرش وارسل الحجة الى الامير فخر الدين فارسلها الى قاضي عسكر في اسلامبول ولا نعلم سبباً لارسال الحجة الى باب الدولة اذا كان المبيع لاسم فخر الدين كما صرح بذلك العلامة الدويهي وكذلك لسنا على يقين من شأن هذا الثمن لانهُ لو حُسم من مال الدولة لما ذكر المؤرخون ان بعد استلام صك المبيع الح الامير باستيفاء مال الدولة فالارجح اذاً ان يكون الثمن لقاء المال المطلوب للامير فخر الدين من يوسف باشا وقد ذكر من قبل وبعد استيفاء مطلوبهِ عاد فالحّ بمال الدولة فأبى الباشا وابنهُ الوفاء ثم وقع بين فرسان الامير وسكمان الباشا حفظة الابراج قتال ادى الى مهاجمة المدينة وفتحها عنوة ومحاصرة القلعة ومن فيها من الحامية تحت امرة ابن الباشا وبعث الامير فاستحضر مركبين فرنسويين كانا في ميناء صيداء وعززها بالرجال وجعلهما في ميناء طرابلس ليمنعا وصول الذخيرة اليها من البحر ووقعت بعد ايام موقعة هائلة بين رجال الامير وسكمان الباشا فكانت الدائرة على هؤلاء وكان الامير قد اتخذ دار الامير حسين لهُ منزلاً ورآهُ الامير موسى الكردي حين جاء يطلب الصلح انهُ يجلس في الديوان فاخبر ابن الباشا فرمى الديوان بالمدافع من القلعة

ولم يكن الامير فيهِ فتهدَّم الجدار فقال الامير يريدون ان يهدموا دارهم وانا احق منهم بهدمها فدكها وعقيب ذلك جاءت رسل سليمان باشا والي الشام تسأل الامير كف الحصار عن المدينة وفي ما هم يتذاكرون هجم عسكر الباشا الذي تجمَّع في عكار على البدّاوي وفيهِ عسكر الامير واشتبكت الحرب فتراكض بعض الفرسان من المدينة لنجدة رفاقهم المغنيين فوجدوا عسكر الباشا منهزماً امام رفاقهم فلحقوا بهم لكن تلك الهزيمة كانت خديعة لانهم كانوا كامنين للمغنيين فارتدَّ هؤلاء وكادوا يولون الادبار لو لم يقدم الامير ويريع العدو فيفرَّ هارباً

وبلغت رسل يوسف باشا الى الاستانة فصدر الامر العالي ان يسير قبجي باشي بخمسة سفن مأموراً برفع الحصار عن طرابلس وتحصيل المال من الباشا وان يحمل الى الامير فخر الدين خلعةً سنيةً جزاء طاعتهِ فلما وصل القبجي وبلّغ الامير الامر السامي اطاع ولبس الخلعة واكرم حاملها بعطيةٍ وافرة ولكنهُ حذَّر القبجي باشي من مطل الباشا ونهض بعسكرهِ الى بيروت وارجع رسل والي الشام مكرَّمين جرجي بني

غرائب الشعوذة

يكثر السائلون من سؤالنا عن بعض الغرائب التي يفعلها المشعوذون ويوهمون الناظرين انهم فعلوها بقوة تفوق القوى الطبيعية ونقضوا بها مالوف الحوادث كقطعهم رأس انسان ثم الصاقهِ بعنقهِ واظهارهم انساناً آخر يتكلم وهو راس لا جثة لهُ او راس وصدر لا غير ووضعهم انساناً في كيس يربط ويختم ويوضع في صندوق يقفل بقفل ثم يخرج من الصندوق وهو مقفل ومن الكيس وهو مربوط ومختوم . او ايقافهم انساناً على مائدة ثم جعلهِ يختفي في طرفة عين كانهُ لم يكن موجوداً او وضعهم اياهُ على كرسي وجعلهِ يرتفع في الهواء امام الناظرين

وهم يختارون البنات الحسان المنظر غالباً ليزيد انعطاف الحضور اليهن واشفاقهم عليهن الأ في ما يقتضي مشقة كخروج الانسان من الكيس والصندوق المقفل فانهم يختارون لهُ الرجال في الغالب

من يشاهد هذه الاعمال اول مرة يندهش اشد الاندهاش اذا لم يكن قد عرف تعليلها قبلاً ويقف بين التسليم بقول المشعوذ ان ما يفعلهُ انما هو خفة لا شيء فيهِ من السحر وبين شهادة حواسهِ فان عينهُ ترى الراس يقطع حقيقة وينفصل عن البدن ثم يلتصق بهِ والمرأة تقف امام المرآة فتختفي والرجل يخرج من كيس مختوم في صندوق مقفل ولم ينفض ختام الكيس ولا

فتح قفل الصندوق — يقف بين هذين الامرين حائرًا في امرهِ أيصدّق اعتراف المشعوذ ان كل ما يفعلهُ من قبيل الحيلة والخفة أم يصدق ما يراهُ بعينيهِ ويلمسهُ بيديهِ . وقد قيل اذا ظهر السبب بطل العجب فرأينا ان نشرح هذه الاعمال ونبين اسبابها بما يحتملهُ المقام من الاسهاب

(١) قطع الرأس والصاقهُ

لا بدَّ لاتمام هذا العمل من غرفة مظلمة ارضها وسقفها وجدرانها مغطاة بستائر من القطيفة السوداء لها باب واسع امام المشاهدين تحيط بهِ مصابيح ساطعة النور ينعكس نورها عن مرايا وراءها حتى يقع كلهُ على المشاهدين ولا يدخل الغرفة شيء منهُ فيكون النور ساطعاً في المشهد



الشكل الاول

واما الغرفة فتبقى حالكة الظلام . والذين يدخلون هذه الغرفة يلبسون ثياباً بيضاء اذا أُريد ان يظهروا فيها والاَّ فثياباً سوداء

والغالب ان يدخلها المشعوذ لابساً ثياباً شرقية بيضاء لان هذا النوع من الشعوذة مقتبس عن المشارقة لكنهُ قد يلبس ثياباً اوربيَّة رسمية ويشترط فيها ان تكون بيضاء كما ترى في الشكل الاول . ثم يمد يدهُ طالباً ان يأتيهُ القضيب الذي يحملهُ المشعوذون عادةً فيأتي القضيب اليهِ في الهواء من تلقاء نفسهِ فيتناولهُ ويضرب بهِ ارض الغرفة عن يمينهِ فتخرج منها مائدة صغيرة تقف عن يمينهِ ثم يضرب ارض الغرفة عن يسارهِ فتخرج منها مائدة اخرى تقف عن يسارهِ . ويضرب المائدة الاولى بقضيبهِ فتخرج منها كاس صغيرة تقف عليها و يضرب

الثانية فتخرج منها كاس اخرى تقف عليها . فيرفع المائدتين والكاسين بيديهِ ويدنيها من المشاهدين ويسمح لهم ان يروها ويدققوا نظرهم فيها ثم يعيدها الى اماكنها فيضع المائدتين عن يمينهِ ويسارهِ ويضع الكاسين عليهما ويرفع احدى الكاسين بيدهِ عن المائدة ويديرها في الغرفة فترتفع الكاس الاخرى من تلقاء نفسها وتدور في الغرفة كما اديرت اختها . ثم يعيد الكاس التي في يدهِ الى المائدة اما الكاس الثانية فلا تعود الى مائدتها بل تبقى في الهواء فيمسك اطارًا بيدهِ ويديرهُ حولها ليظهر للحضور انها ليست معلَّقة بخيط او سلك . ثم يمسكها



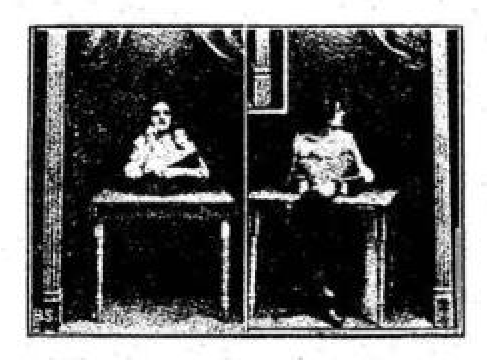
الشكل الثالث الشكل الثاني

بيدهِ ويقلّبها مظهرًا الاستغراب من امرها ويلتفت الى المائدة ليضعها عليها فتسير المائدة اليهِ من نفسها الى ان تقف امامهُ فيضع الكاس عليها فتعود الى مكانها وهي ترقص في سيرها طربًا

ويستعير بعض الساعات والخواتم من الحضور ويضعها في الكاس التي عن يمينهِ فيرونها نازلة فيها ثم يرفع الكاس في يدهِ فلا يرى فيها شيئًا فيريها للمشاهدين واذا هي فارغة ثم يعود الى الكاس التي عن يسارهِ ويأخذها بيدهِ الى امام الحضور فاذا ساعاتهم وخواتمهم فيها فيأخذونها منها

ويحرك قضيبهُ ويتمتم فيظهر في الغرفة برواز كبير مثل براويز الصور فيضع عليهِ ستارة ملونة ثم يرفعها عنهُ فيظهر فيهِ رأس امرأة وصدرها الى حد خصرها فتكلم الحضور ثم يجعل البرواز يهتز فتهتز معهُ كأنها صورة فيهِ وهي امرأة حقيقية تبسم وتتكلم وتغمز وترمز . ويعيد الستار الى البرواز ثم يرفعهُ فتختفي المرأة منهُ

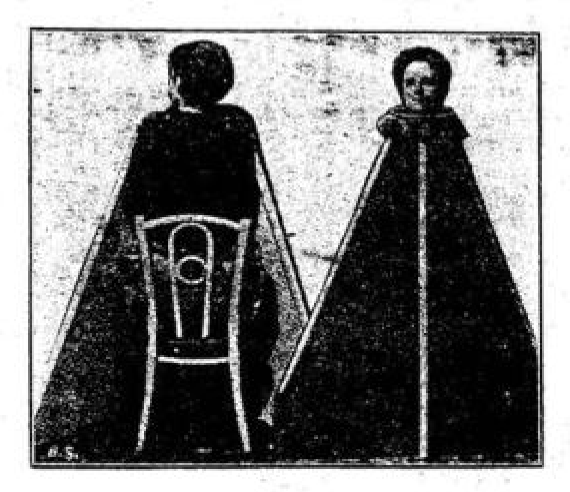
يعمل هذه الاعمال وامثالها تمهيداً لقطع الراس ثم يحرك قضيبهُ فتدخل الغرفة امرأة حسناء وبيدها سيف مسلول يقطر الموت من افرندهِ فيأخذهُ منها ويضرب بهِ عنقها فيطير رأسها عن بدنها وقبل ان يصل الى الارض يستلقيهِ بيدهِ الاخرى ويمشي بهِ في الغرفة الى امام الحضور وتبقى المرأة واقفة امامهم بدناً بلا رأس ثم يرد الرأس الى محلهِ فيصلق بعنقها كما كان . وهاك ايضاح ذلك كلهِ



الشكل الرابع الشكل الخامس

لا بدَّ من ان تكون الغرفة التي تجري فيها هذه الاعمال مجللة بالسواد كلها كما تقدم والغالب ان تكون مبطنة بالقطيفة السوداء ارضها وجدرانها وسقفها وتكون المصابيح عند بابها وفي المشهد ساطعة النور حتى تبهر عيون الناظرين ولا يعودون يرون شيئاً في الغرفة الأ ما كان ابيض . وتكون المائدتان في الغرفة وعلى كلٍ منهما غطاء اسود . ويكون مع المشعوذ مساعد لابس ثياباً سوداء من القطيفة وكفوفاً سوداء ووجههُ مغطًى بغطاء اسود فلا يبين منهُ شيء مطلقاً ما دام في الغرفة مهما كان قريباً من المشاهدين وهو يمشي بجواربهِ من غير حذاء فلا يسمع لمشيهِ صوت فاذا مدَّ المشعوذ يدهُ اتاهُ المساعد بقضيب الشعوذة وهو من معدن ابيض فيظهر للشاهدين كأنهُ اتى في الهواء من نفسهِ . واذا ضرب بهِ عن يمينهِ رفع المساعد الستار عن المائدة اليمنى فتظهر كأنها وُجدت هناك من نفسها ثم يضرب بهِ عن يسارهِ فتظهر المائدة اليسرى

برفع الستار عنها. ويأتي المساعد بالكاسين وهما من معدن ابيض وباطنهما مصبوغ صبغاً اسود فلا تظهر يده وهو ممسك بهما لانهُ يمسك الكاس من الوراء واضعاً اصابعهُ فيها ويأتي بهما الى المائدة وعلى كلٍّ منهما غطاء اسود فيدني الكاس باليد الواحد ويرفع الغطاء عنها باليد الاخرى بخفة فتظهر كأنها وُضعت على المائدة حينما طلب المشعوذ ظهورها . والمساعد هو الذي يرفع الكاس ويديرها في الغرفة حينما يدير المشعوذ الكاس الاخرى ثم اذا جعل المشعوذ يدير الإطار المعدني حولها ليظهر انها غير معلَّقة بشيء ينقلها المساعد من يد الى اخرى فيظهر كأن الاطار مرَّ حولها كلها من جهة الى أُخرى



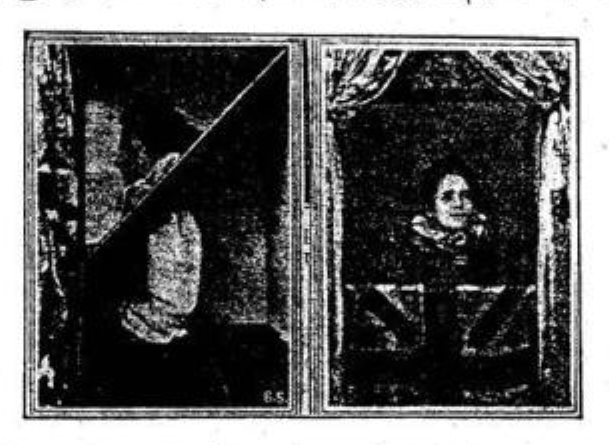
الشكل السادس الشكل السابع

اما الساعات والخواتم فلا يضعها المشعوذ في الكاس كما يظهر للشاهدين بل يضعها في كف مساعدهِ فانهُ يكون باسطاً كفهُ وراء الكاس. والمساعد يضعها في الكاس الاخرى حينما يرفع المشعوذ الكاس الاولى ويريها للشاهدين فارغة

والبرواز يأتي بهِ المساعد فيظهر انهُ وجد في الغرفة من لا شيء ثم يعلقهُ بحبال سوداء في اسفلها خشبة سوداء كالارجوحة وحينما يغطى بالستار تأتي امرأة لابسة اسود من خصرها الى قدميها وتقف في الارجوحة واسفل البرواز عند خصرها فيكون الجزء الابيض الظاهر منها في البرواز والجزء الاسود تحتهُ فترى كصورة فيهِ ومتى وُضع الستار على البرواز ثانية ألقى المساعد ستاراً اسود عليها وخرجت من الغرفة

اما قطع الراس فلا بدَّ فيهِ من امرأتين الواحدة لابسة ثياباً بيضاء ورأسها مكشوف

والثانية لابسة ثياباً سوداء ورأسها مغطًّى بغطاء اسود فتأتي المرأة الاولى والسيف في يدها فيأخذهُ المشعوذ منها ويضرب بهِ كأنهُ ضرب عنقها وللحال يغطي المساعد رأسها بغطاء اسود وينزع الغطاء الاسود عن رأس المرأة الثانية وتكون هذه قد ركعت على ركبتيها لكي ينخفض رأسها فلا يظهر امام المشاهدين الأ المشعوذ ورأس ابيض بيدهِ وامرأة واقفة من غير رأس كما ترى في الشكل الاوَّل وقد زدنا بدن المرأة الثانية وضوحاً ثم يرفع الراس رويداً رويداً الى ان يدنيهُ من عنق المرأة الواقفة فيرفع المساعد الغطاء عن رأسها ويلقيهِ على الراس الذي في يد المشعوذ فيظهر كأن الراس المقطوع عاد الى وضعهِ الاول . ويكرّر هذا العمل مرتين او ثلاثاً حسب رغبة المشاهدين ويتعذَّر عليهم ان يعرفوا كيفيتهُ اذا لم يكونوا قد اطَّلعوا على شرح مثل هذا الشرح



الشكل الثامن الشكل التاسع

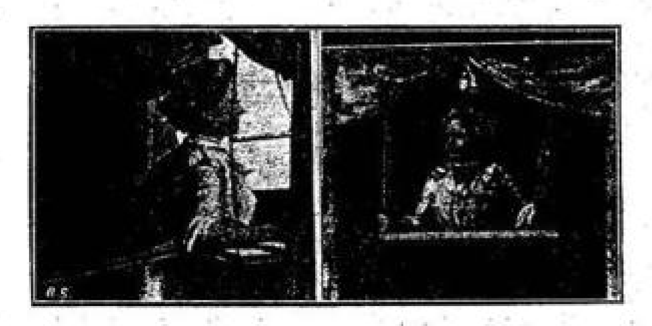
غادة المرآة

هذه لعبة اخرى تظهر على غاية الغرابة لدى الذين لا يعلمون كيفيتها وهي ان توضع في المشهد مرآة كبيرة ارتفاعها نحو ثلاثة امتار يحيط بها برواز او ستار وامامها موقف تقف عليهِ فتاة حسناء كما ترى في الشكل الثاني ويقف المشعوذ معها ويطلب منها ان تلتفت الى الحضور فتلتفت قليلاً حتى يروها ثم تعود الى المرآة وتجعل ترتب شعرها فيكرر المشعوذ الطلب منها لتلتفت الى الحضور فتلتفت لحظة ثم تعود الى المرآة فيتظاهر بالحنق ويخطف ستاراً حاجزاً ويضعهُ امام المرآة كما ترى في الشكل الثالث ويأخذ فرداً بيدهِ ويطلقهُ عليها ثم يرفع الستار فتختفي الفتاة ولا يُوقف لها على اثر . ويندهش المشاهدون من ذلك اتم الدهشة لانهم يرون جوانب المرآة كلها ولو كان الستار قائماً امامها فاين اختفت الفتاة

وتعليل ذلك ان في اسفل زجاج المرآة ثقباً كبيراً تستطيع الفتاة ان تخرج منهُ وهو مغطى بلوح آخر من الزجاج المفضض وآخر هذا اللوح عند حد الموقف الذي تقف عليهِ الفتاة. وزجاج المرآة غير متصل بالبراواز الظاهر بل يمكن رفعهُ وخفضهُ من الاعلى بحبال متصلة بهِ فيختفي ما يرفع منهُ وراء الستائر والبراويز التي في اعلى المرآة فاذا وُضع الستار امامها رفع المساعدون زجاج المرآة الى الاعلى حتى يرتفع الثقب ويصير فوق الموقف الذي عليهِ الفتاة فتخرج منهُ ثم ينزل الزجاج الى وضعهِ الاول حتى اذا رفع الستار بانت المرآة كما كانت اولاً ولا فتاة امامها

الرأس المتكلم

لهذه الظاهرة اساليب مختلفة استعملنا اسلوباً منها في خطبة عمومية في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة وذلك اننا خرقنا لوح طاولة خرقاً مستديراً يسع عنق الانسان وقطعنا اللوح من



الشكل العاشر   الشكل الحادي عشر

وسطهِ واجلسنا ولداً على كرسي تحتهُ وطبقنا اللوح على عنقهِ بعد ان وضعنا حولها صحفة مقوَّرة فظهر كأن رأس الولد وضع في صحفة على مائدة ولكن بدنهُ بقي تحت المائدة فأُخفي بان وضع لوح مرآة امامهُ بين رجلي الطاولة وأُميل قليلاً فظهرت الارض فيهِ وبان كأنهُ جانب من ارض الغرفة بين ارجل الطاولة . وحضر الاجتماع بعض كبار الاساتذة فلم يدركوا كيف وضع الرأس على الطاولة ولم ينتبهوا الى المرآة التي تحتها حتى نبهناهم اليها . وذلك شبيه بما هو ظاهر في الشكلين الرابع والخامس لكن الفتاة ظاهرة هنا الى وسطها كما ترى

ولذلك اسلوب آخر شبيه بهذا وهو ان يُوقف ثلاثة اعمدة من النحاس حتى يكون منها هرم مثلث وفي اعلاها قرص مقوَّر يظهر فيهِ رأس يتكلم بلغات مختلفة كما ترى في الشكل السادس وحقيقتهُ ان وراء المثلث كرسيًّا تجلس عليهِ فتاة كما في الشكل السابع وبين قوائم المثلث لوحان من زجاج المرايا يخفيان ما وراءها ويعكسان ما امامها . واللعبتان الظاهرتان في الشكلين

الثامن والعاشر امرها ظاهر من النظر الى الشكلين التاسع والحادي عشر فالفتاة التي في الشكل الثامن واقفة ولوح المرآة حول عنقها والتي في الشكل العاشر متكئة على لوح يحملها في غرفة مظلمة فلا يبين منها الا رأسها وصدرها ويداها

اما ارتفاع الانسان في الهواء وخروجهُ من الصندوق المقفل فسيأتي شرحهما في الجزء التالي

فلسفة النوم

كيف يحدث النوم — ليس بين الحوادث الطبيعيَّة ما يتكرَّر على الانسان اكثر من النوم فانهُ ينام كل يوم من ايام حياتهِ مرةً على الاقل يقضي فيها بضع ساعات فاذا عاش ستين سنة وكان متوسط نومهِ ثماني ساعات في اليوم فعشرون سنة من عمرهِ يقضيها نائماً ومع ذلك لا تجد واحداً في الالف ولا واحداً في المليون ولا واحداً في مئة مليون من الناس يعلم كيف يحدث النوم او يستطيع ان يعللهُ تعليلاً مؤيداً بالامتحان العلمي لا لان الظنون والآراء قليلة في هذا الموضوع بل لان طريق الامتحان الموصلة الى الغرض عسيرة جداً وحتى الآن لم يجمع كبار العلماء على تعليل واحد . وخلاصة ما وصلوا اليهِ من هذا القبيل متضمنة في المقالة التالية واكثر حقائقها مقتطف من مقالة للدكتور برسي ستيلس نشرت في الجزء الاخير من مجلة العلم العام الاميركية

يقال بنوع عام ان الحاجة الى النوم تعقب التعب سواء كان هذا التعب عاماً للجسم كلهِ او خاصاً ببعض اعضائهِ فان اندثار اجزاء الجسم يزيد وقت اليقظة والعمل على المتوسط فيضطر الجسم ان يبطل العمل مدة يقلُّ فيها الاندثار عن المتوسط . فاذا كان متوسط ما يندثر من الجسم كلهِ عشر دراهم في الساعة وبلغ ١٥ درهماً في الساعة من ساعات العمل الاثنتي عشرة وجب ان يبلغ خمس دراهم فقط في الساعة من ساعات الراحة والنوم الاثنتي عشرة حتى يعود المتوسط العمومي ١٠ دراهم في كل ساعة من ساعات النهار والليل

واذا توالت هذه الحال على الناس عصوراً كثيرة صار الاندثار من اجسامهم يكثر في النهار وقت اليقظة والعمل ويقلُّ في الليل وقت النوم والراحة

واندثار اجزاء البدن بالعمل فعلٌ كيماوي فالتعب نتيجة كيماوية . فاذا بدا التعب في عضلة من عضلات الجسم فهو دليل على شيءٍ من شيئين اما ان مواد العمل التي فيها قد قلَّت او انهُ اجتمع فيها فضول سامَّة تتعبها وتمنعها عن العمل كما ان موقد الآلة البخارية الذي تقلُّ حرارتهُ

حتى لا يعود قادرًا على ادارتها يحدث ذلك فيهِ اما من قلة الوقود او من كثرة الرماد ولذلك ففي سبب التعب الذي يدعو الى النوم والراحة مذهبان مذهب القلة ومذهب الكثرة ويراد بالاول قلة المواد اللازمة للعمل اي قلة الاكسجين وبالثاني كثرة الفضول الناتجة عن العمل والاول مذهب فلوجر والثاني مذهب بريروهما عالمان مشهوران

ويعترض على المذهب الاوَّل اي مذهب قلة الاكسجين في الجسم انهُ لو كان صحيحًا لوجب ان يشعر الانسان بالنعاس كلما عمل ساعةً عملًا شاقًا وان لا يشعر بهِ اذا قضى يومهُ كسلاً من غير عمل . والظاهر ان قلة الاكسجين تدعو الى الشعور بالتعب لا الى الشعور بالنعاس لان الانسان قد ينعس وينام من غير ان يكون تعبًا

اما المذهب الثاني اي مذهب كثرة الفضول بين دقائق الجسم فيراد بهِ ان الفضول التي تتولَّد من اندثار دقائق الجسم بالعمل عضليًا كان او عقليًا تتكاثر اذا لم تنزح من الجسم حال تولدها فتفعل بهِ فعل السم وتخدرهُ فينعس وينام . ومن هذه الفضول التي تتولَّد من انقباض العضلات الحامض اللبنيك فيحمض بهِ الدم ويسبب السبات وكل ما يضعف قلوية الدم يدعو الى النوم

ويعترض على هذا المذهب ان كثيرين يقضون النهار كلهُ في العمل والشاق ولا ينعسون في اواخرهِ بل ان بعضهم يشتغل احسن اشغالهِ العقلية بين الساعة الخامسة والثامنة مساء بعد ان يقضي اكثر النهار في العمل الشاق. وان النوم يحدث فجأَةً في الغالب فلا يتدرَّج اليهِ الانسان تدرُّجًا مع ان الفضول تتراكم في جسمهِ تدريجًا . وان الانسان ينام غالبًا بعد العشاء حينما يكون المضم جاريًا مجراهُ وقلوية الدم على اشدها . والاعتراض الاخير اقوى ما يُعترض بهِ على هذا المذهب ويرد عليهِ ان الحموضة التي توجب النوم لا يلزم ان تكون في الدم بل في بعض المراكز العصبية . ثم ان النوم لا يقع بغتة بل فيهِ شيء من التدرُّج فتنام الحواس بعضها بعد بعض آخرها السمع وكذلك تستيقظ متدرجة واولها السمع فهو آخر ما ينام من الحواس الظاهرة واول ما يستيقظ منها

ثم ان كل ما يهيج الدماغ يمنع النعاس او يؤخرهُ فاذا اراد الانسان ان ينام لجأَ الى ما يمنع تهيج دماغهِ كالظلمة والسكوت والراحة الجسدية والعقلية لان النور والصوت والالم والهم كل ذلك يقلق البال ويمنع النوم من الاجفان . وقد يضطر الانسان ان يبقى مستيقظًا فيقف وقفةً لا تريحهُ او يجلس جلسةً تتعبهُ لكي يقوى على مغالبة النعاس . ولذلك فالنوم يأْتي من تقليل منبهات الدماغ ويُمنع بهذه المنبهات

واذا دنا النعاس رافقتهُ تغيرات واضحة في الاوعية الدموية كأنَّ الدم يحاول تغيير مجراهُ. وتظهر اول دلالة من دلائل النعاس في جفاف العينين اذ يقل ورود الدم الى الغدد الدمعية. وترتفع حرارة الجسم كلهِ وقد تستثني اطرافهُ من ذلك . وهذه ادلة على تمدد الاوعية الجلدية عند اقتراب النوم ثم اذا وقع النوم وفقد الشعور زاد تمددها كثيرًا كما ثبت بالامتحان

واذا اتسعت الاوعية الدموية الجلدية زاد الدم فيها وقلَّ الجاري منهُ الى الدماغ وقد ثبت ذلك بالامتحان والمشاهدة اي ثبت ان الدم الوارد الى سطح الجلد يزيد وقت النوم والوارد الى الدماغ يقلُّ فتحدث فيهِ انيميا الدماغ . وارتأى هل الفسيولوجي ان شرايين القناة الهضمية تتسع ايضاً وقت النوم ويكثر الدم فيها . ويتعذَّر اثبات ذلك بالامتحان والمشاهدة ولكن مبادرة الحيوانات الى النوم بعد الاكل الكثير ونعاس الانسان بعد اكلة ثقيلة مما يؤيد هذا الرأي

الأ ان قلة الدم في الدماغ وقت النوم قد تكون علَّة معيَّنة لا علة سببية واذا تعبت دقائق الدماغ وكلَّت من العمل وقلَّ الدم الوارد لتغذيتها زادت تعباً على تعب وكلالاً على كلال فلا يبعد ان يتولاها الخمول والنوم . وقد بيَّن الاستاذ هوِل ان المركز الدماغي الذي يحرك الاوعية الدموية اذا تعب وكلَّ حدث النوم نتيجة تعبهِ وكلالهِ فان هذا المركز متسلط على الاوعية الدمويَّة وهو الذي يرسل اليها الاوامر لتنقبض اكثر مما لو لم يكن موجودًا وفعلهُ هذا يقتضي اندثارًا دائمًا في دقائقهِ وزد على ذلك ان التأثيرات ترد اليهِ من كل اجزاء الجسم وتنبههُ الى العمل فكل ما تراهُ العين وتسمعهُ الاذن ينقل بعض تأثيرهِ الى هذا المركز ويدفعهُ الى العمل بما يسمَّى بالفعل المنعكس وكذلك كل حركة في اعضاء الجسم وكل وضع من اوضاعهِ ينتقل تاثيرها اليهِ وتنقل اليهِ التأثيرات العقلية ايضاً والانفعالات النفسية

وبديهي ان هذه المؤثرات تتعب دقائقهُ العصبيَّة فاذا تعبت بطول العمل لم تعد تتأثر وتلبي الطلب فتضعف سلطتها على الاوعية الدموية الجلدية وغير الجلدية فيقلُّ تقلصها وتتمدد ويكثر الدم فيها فيقل من الدماغ ويقلُّ ضغطهُ على شرايينهِ ونتيجة هذا الدوار او النعاس فاذا قاوم المرء ذلك ونبَّه نفسهُ ببعض الوسائط انتبه وعاد الدم الى دماغهِ ولكن الى حين فيعود اليهِ النعاس وطلبُ الراحة فيستلقي وحينئذٍ ترتخي عضلاتهُ وتغمض عيناهُ فيزيد ورود الدم الى اوعيتها ويقل ورودهُ الى الدماغ الى ان يقف الحس كلهُ . واذا نبههُ منبه حينئذٍ فانهُ يدفع مقدارًا كبيرًا من دمهِ الى دماغهِ فيوقظهُ ويعيد اليهِ فعلهُ . ولا بدَّ من ان يكون هذا المنبه قويًّا في الساعة الاولى والثانية من النوم واما بعد ذلك فالمنبه الضعيف يكفي للتنبيه

وقد امتحن كثيرون من الفسيولوجيين درجات الاستغراق في النوم فوجدوا انهُ يكون على اشدهِ في الساعة الثانية ثم يقل رويدًا رويدًا . وقال بعضهم ان الاستغراق يشتد ايضًا قبل الصباح

اما الاستيقاظ من النوم في الصباح فسببهُ الغالب المنبهات الخارجية كالنور والصوت وهذه لو حدثت والانسان مستغرق في نومهِ قبل ان يكتفي جسمهُ منهُ ما نبهتهُ . وقد تكون المنبهات من الداخل لا من الخارج من حركة بعض الاعضاء او تكون من تصميم النية على الاستيقاظ في ساعة معلومة كأن الانسان يستهوي نفسهُ استهواء

ومن رأي هول ان حويصلات المركز المحرك للاوعية الدموية تغتذي او تعود اليها قوتها رويدًا رويدًا مدة النوم فتعود اليها قابلية التنبه رويدًا رويدًا الى ان تصير تتنبه لاقل سبب ويسترد المركز قوتهُ قبلما يعود الشعور ولذلك يستيقظ الانسان بسهولة بعد ان يكتفي من النوم لا كما يستيقظ اذا اوقظ في اول نومهِ قبلما يكتفي منهُ

اذا كان الامر كذلك فكيف تكون حالة الدماغ وقت النوم وفقد الشعور وما هو التغيير الميكروسكوبي الذي يحدث فيهِ وقت الانتقال من اليقظة الى المنام . وهنا مذهبان متناقضان الاول مذهب ديفال القائل ان الشعور يتوقف على اتصال حويصلات الدماغ بعضها ببعض او وصول فعل الحويصلة الواحدة الى الاخرى . ولا تصل التأثيرات الى حويصلات المراكز العصبية الأعلى موصل تمرُّ عليهِ فاذا انقطع الاتصال من طريقها انقطع الشعور بها . واذا انقطعت كل الطرق التي توصل التأثيرات الى الدماغ زال الشعور بالمؤثرات وكذلك اذا انقطعت كل الطرق التي تذهب باوامر الدماغ الى اعضاء الجسم المختلفة لتحركها بطلت الحركات الارادية . واذا انقطعت طرق الاتصال بين مراكز الدماغ المختلفة بطلت الافكار والتصورات لان حويصلات الدماغ لا تفعل فعلاً مشتركًا ما لم يكن بعضها متصلاً بالبعض الآخر او ما لم يكن بينها موصلات تصل بين افعالها حتى تؤلف منها فعلاً مركبًا . ويكفي ان يقع هذا الفصل بين بعض الدقائق لكي ينقد الشعور الذي يحدث مدة النوم . وقد قطع ديفال رؤوس بعض الكلاب بغتةً وهي مستيقظة وقطع رؤوس غيرها وهي في حالة الغيبوبة ونزع ادمغتها حالاً ونظر اليها بالميكرسكوب وقال انهُ وجد الحويصلات في ادمغة الكلاب النائمة متقلصة ومفصولة بعضها عن بعض

والمذهب الثاني المناقض لهذا هو مذهب العالم لوغارو الايطالي والمذهبان يفرضان ان الحويصلات تتحرك حركة اميبية اي تمتد منها نتوات تصلها بما حولها كما تمتد النتوات من الحي

المعروف بالاميبا ولكن ديفال يذهب الى ان هذه النتوات تقصر وقت النوم فيمتنع اتصال الحويصلات بعضها ببعض واما لوغارو فيذهب الى ان النوات تكثر وتطول وقت النوم . وقد يُظَن لاول وهلة ان هذا المذهب منقوض من نفسهِ لان كثرة النتوات والتشعبات في حويصلات الدماغ تقتضي كثرة الافعال العصبية وكثرة الافكار وليس الحال في النوم كذلك . ولكن يظهر لدى امعان النظر انهُ اذا كثرت تشعبات الحويصلات الدماغية اختلطت الافعال العقلية واشتبكت فيقل سيرها في الطرق القويمة حتى تحدث الافكار المنتظمة من مجموعها . فعلى مذهب ديفال ينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ وقت النوم ثم يعود وقت اليقظة . وعلى مذهب لوغارو تزيد الصلات بين حويصلات الدماغ وقت النوم فتشتبك بعضها ببعض وتختلط . وتقلُّ وتقصر في اليقظة فتنتظم وتعود الى مجاريها المألوفة

ومن المحتمل ان الامرين يحدثان في وقت واحد فينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ في بعض الاماكن وتزيد الصلات في اماكن اخرى. ففي نوم الاستهواء ينقطع الاتصال بين حويصلات مراكز الارادة فيبطل فعلها ويزيد الاتصال بين حويصلات مراكز السمع والاعصاب التي توصل التأثيرات الخارجيَّة اليها فيقوى السمع جدًّا ولذلك تجد من ينام نوم الاستهواء خاضعاً لارادة منومهِ تمام الخضوع كأَن لا ارادة لهُ وتراهُ ايضاً يسمع الصوت ولو كان همساً بعيدًا ومن المحتمل انهُ يشعر بالمرئيات احياناً ولو كان مغمض العينين . ويحدث مثل ذلك في اليقظة ايضاً فاذا انحصر انتباه انسان في موضوع ما غفل عن غيرهِ حتى لم يعد ينتبه لهُ اما ما انحصر انتباههُ فيهِ فيدركهُ تمام الادراك ويصورهُ لنفسهِ ولو كان خيالياً كأَنهُ صورة مجسمة لكن في نوم الاستهواء يحتقن الدماغ بالدم الكثير الوارد اليهِ واما في النوم العادي فيقل الدم فيهِ حتى يصيبهُ شيءٌ من الانيميا . فان كانت زوائد الحويصلات الدماغية تطول جدًّا في النوم العادي فهي تقصر جدًّا في نوم الاستهواء ويؤيد ذلك كثرة التخيلات في النوم العادي وقلتها في نوم الاستهواء

وخلاصة ما تقدم ان اعتياد الناس العمل والسعي على نور النهار والنوم والراحة في ظلام الليل جعل في نوع الانسان ميلاً طبيعيًّا الى العمل في النور والراحة في الظلمة وفي وقت العمل يزيد الاندثار في دقائق الجسم على التجدد فيحلُّ فيهِ التعب من تراكم الفضول فيهِ وقلة الاكسجين فيضعف عن العمل ويطلب الراحة ويشمل ذلك اعضاء البدن ومراكز الدماغ واخصها المركز المتسلط على حركة الاوعية الدموية الجلدية لانهُ يتعب اكثر من غيرهِ فتضعف قبضتهُ على بعض الشرايين فيكثر الدم فيها ويقل في الدماغ لان مقدارهُ واحد فاذا زاد في

مكان قلَّ في آخر . ومتى قلَّ في الدماغ قلَّ فعل الحويصلات الدماغية فلم تعد تفعل وتنفعل كما في اليقظة اما لانهُ ينقطع الاتصال بينها او لان افعالها ترتبك لتشعُّب المسالك التي تسير فيها فلا تعود تجتمع حتى يحصل من مجموعها افكار منتظمة . هذه غاية ما عُرِف حتى الآن عن فلسفة النوم

هذا وقد ابنا في الكلام على التخيلات والخيالات في المجلد السابع من المقتطف ان سببها اختلال في الدم الدائر في الدماغ اما في كميتهِ او في كيفيتهِ او فيهما كليهما والغالب ان يكون سببها كثرة الدم في الدماغ ولكن قد يكون سببها قلتهُ فيهِ وذكرنا هناك امثلة كثيرة تؤيد الامرين . والرأي المشهور في تعليل التخيلات والخيالات هو انها تحدث من خلل في السريرين البصريين من كثرة الدم او قلتهِ فيهما . ومعلوم ان التخيلات والخيالات تكثر وقت النوم وتتولَّد منها الاحلام وذلك دليل آخر على كثرة الدم او قلتهِ في الدماغ وقت النوم حتى يزيد عن الحد الطبيعي او يقل عنهُ

تركة السلف

كنتُ في هذه الآونة اطالع احدى الصحف العلميَّة الافرنجيَّة وأعجبُ بما ارى من آراء نضجتْ بطول الرويَّة وحركةٍ عقليَّة يجمّلها يُمن النقيبة وقلَّة الانانية تشير الى عراقة في العلم واصالة في حسن خدمتهِ ونجدتهِ وتناغٍ في الكمالات وتطبُّع على تناولها كابرًا عن كابر . فلم أعتم ان جال في خاطري والخواطر جوَّالة شيءٌ من اعصرنا المتوسطة وعلماء العرب في المشرق والمغرب مصابون بمثل هذا الداء دأبهم بث الدعوة الى العلم وإحكامُ الملكات الفائقة الآنقة وهجيراهم إتيان العمل الرافع والكلم الصاعد وقُصاراهم ان ينجلي الحق بلسان اي انسان فلا ترى الأ ريان من العلم المنقح ومناقبهِ طيان من الجهل المركَّب ومثالبهِ . وبينا يسيح الفكر على هذا النحو والنفس تتناغى بضروب الذكرى من قياس الحاضر على الغابر والاسف لبغداد وسمرقند ودمشق وقرطبة والاعجاب ببرلين ولندن وباريس ونيويورك عثرتُ على شذرة صيغت بقلم احد اعضاء المجمع العلمي الباريسي حثَّ فيها بني قومهِ على الترغيب في اقتناء الكتب حتًّا بالغًا النيقة في البيان ملتمسًا لجامعيها الاعذار لعدم تمكنهم من قراءتها كلها ومحسنًا عدم تفريطهم في إعارتها ومذكرًا برجال عندهم كانوا عرفوا بهذه المزية فقال :

لا تصح الاخلاق بمحبة الكتب شرسة البتة والطف الناس في العالم عندنا محبوها . وهل

اجمل في حسن الاحدوثة من ايداع الاسفار في خزانة كما يفعلون . وان صنيعهم هذا ليذكر بما يتغنى بهِ الاولاد من ركم الرمل على شاطىء البحر واشتغالهم عبثاً لما ان ما يركمونهُ من الرمال ينهال للحال و يعفي اثرهُ . وهذا شأن مجامع الكتب والصور فكما ان البحر يودي بكوم الرمل يشتت الدلال تلك الكتب المجمعة اذ يبيعها جملة وافراداً واللوم في ذلك على صروف الدهر وقصر العمر . غير انهُ ما من شيء ازين في العاقبة من جمع الرمل في السنة السادسة والكتب في الستين . وهيهات ان يبقى شيء مما نعملهُ ونجد فيهِ الآن . اذاً فالرغبة في ابتياع الخشار ليست دون الرغبة في غيرهِ

يعيش عشاق الاسفار ممتعين بصيت حميد واثر مجيد قائمين بما يفرضهُ العالم عليهم . فقد تجد نفوساً مائلة الى الكتب بكليتها وما الدنيا عند اهلها الا كناية عن حبر وورق . ومن يحيا بمثل هذه الروح يقضي حياتهُ امام منضدة عملهِ ولا همَّ يعروهُ من جراء الحقائق المثابر على دراستها الملازم لاستبطان سرّ ما خط فيها واستنباط غور ما استخرج منها . ومثلهُ لا يعرف من جمال ربات الحجال الا ما سطر في كتبهِ ولا يدري من المحن واعمال الرجال وآمالهم سوى ما يستطاع ان يحصر في حبك الكتب ويسمَّى في تضاعيف جلودها فهو بهذا على الجملة مضادّ للطبيعة الا انهُ بريء لا ذنب لهُ

ثم قال لنبارك الكتب اذا امكن قضاء الحياة وسطها في شبيبة رابية راضية . وإنَّ من الناس من عرفتهم فما اغنتهم القراءة والكتابة تبصرة ولا سكينة . فان كانت الاسفار تحمل السلم الى المسالمين فبها تضطرب النفوس المهوَّسة المهوَّشة . ما الكتاب الا عبارة عن عمل من السحر يصدر منهُ صنوف من تشويش البال وتبدُّل الضمائر . ما الكتاب الا آلة سحرية صغيرة تقتادنا الى وسط نرى فيهِ صوراً ماضية ونشرف منهُ على ظلال خيالية . وما أشبهُ المستكثرين من تصفح الصحائف الا بالمدمنين تناول الحشيش من كونهم يعيشون في حُلم فما ينفذ الى تلافيف رؤوسهم من سمها الساري يفقدهم الحسَّ بما في العالم الحقيقيّ ويجعلهم عرضة لاوهام مفزعة او مفرحة وما الكتاب الا افيون الغرب وما نحن بهِ الا هالكون

هي الكتب حتى نكلَّف بها لانها تُكلّفنا يسيراً ونتعشقها فنرى فيها خطراً خطيراً . قلت انها تهلكنا وهو كلام رجل شغفتهُ حباً فانكبَّ على التملي بها لا يراقب الرقباء ولا يرهب العواذل وذلك لان لدينا منها العدد الكثير والانواع المنوَّعة ولئن كنا بها نموت فبها نحيا ولها علينا الايادي البيضاء . الكتاب يُشبهُ اللسان من حيث يمكن أن يقال عنهُ انهُ احسن الاشياء واقبحها على انهُ حسنة الحياة المدنية مفتاح العلوم لسان حال الحقيقة والعقل بهِ يعلم

المرء ويمشي من التحقيق على سواء الطريق ويقضي اول الفروض المحتم عليهِ اداؤُها من تسبيح الآلهة . ويصحُّ ان ينعت بانهُ أمُّ كل نزاع ومنبعث كل شقاق . فان قيل فيهِ لسان حال الحقيقة فيقال ايضاً والضلالة . وان شئت زيادةً في قبحهِ فقل بلا اثم ولا حرج انهُ صوت البهتان بهِ تُدمَّرُ البلدان وتَرذُل نفس الانسان . وان كان من وجهٍ يسبح الآلهة فمن آخر يُجدِف ويَطعُن في قدرتهم . وانا اقول ناصحاً لمن سئمت ابصارهم النظر الى كثير من الاوراق المسوَّدة ان لا تعشقوا الكتب ولا تصحبوها كيفما اتفق بل تلطفوا في الانتخاب واجملوا في الطلب

هذا مقال العالم الافرنسي وهو كلام تسوغ تلاوتهُ على رؤُوس كل جيل وقبيل وان كان كثيرون في هذه الديار اسمى من ان يُنصحوا بمثلهِ لانهم لا يحفلون الَّا بما كان موضوعهُ الزهد والحماسة والمجون يقبلون كتبها على علاَّتها ويردون مواردها على كدوراتها . وليس الاستكثار من جمع نافعها بموجود الَّا في مقصورات افراد بيننا يُعدُّون على الاصابع أُولعوا حديثاً بجمعها كما يجمع الغلاة في محبة الطوابع مجاميعهم او يزين الغنيُّ قصرهُ بالعاديات على حين ان المثقفين من موسري الاوربيين يغالون باقامة المتاحف في قصورهم او خزائن الكتب الثمينة في نواديهم فينفعون وينتفعون

ولقد قرأت منذ عهد ليس ببعيد وصف مكتبةٍ لاحد اغنياء بروكسل عاصمة البلجيك يدعى لوفانجول (Lovengoul) وهو رجل خطبتهُ المناصب في مبدإِ امرهِ لغناهُ وغنائهِ فتجافى عن ان يكون سفيرًا او وزيرًا او اميرًا او مشيرًا ورأى منذ اربعين سنة ان سعادتهُ في الاعتلاء عن تطلُّب الدنايا الى النهوض بهذه الاعباء وعلم ان جمع الكتب اجمل صناعة يصرف عليها نهارهُ وليلهُ فاشتدَّ ولوعهُ خاصةً بتآليف كُتبت بخط مُصنفيها او وُشحت على الاقل بتواقيعهم فطاف من اجل ذلك المعالم والمجاهل يطلب وُرَيقة سوَّدتها انامل عالم او كتاباً معتقاً اكل الدهر عليهِ وشرب فاشتهر في الغرب امرهُ وصار غنيًّا بمالهِ غنيًّا بكتبهِ غنيًّا بعلمهِ غنيًّا بانصراف الوجوه اليهِ توقعاً للنفع من اسفارهِ

بوصف هذا الرجل واقرانهِ في الغرب من الاغنياء العلماء ممن لم تعرف قصورهم المنجدة غير الادب تُقام سوقهُ والفضل تُنفق بضاعتهُ يندفع الشكُّ فيما رُوي عن الصاحب بن عبَّاد من علماء القرن الرابع واحد وزراء بني بُوَيه وقد احتجَّ بان كتبهُ يحتاج الى اربعمائة جمل لتحمل الى ملك ارادهُ على المجيء اليهِ

وبعدُ فاننا سكان العالم القديم نحاول التشبه بالمتمدنين ونعمَّا الفعل فعلنا لولا اننا نكتفي

بالقشور من حضارتهم وهم يتلقَّفون اللُّباب من مدنية اسلافنا وها قد تعلم بعضنا مبادئ لغات الاجانب فقاموا يحتقرون كلَّ شيءٍ اصلهُ شرقيّ ومن ذلك ذهابهم الى الاضراب عن الكتب المخلَّفة عن السلف لانها امست بزعمهم كالشرائع المنسوخة لا تصلح الاَّ طعمةً للنار ووقوداً للتنانير او سدائد للبواطي والقوارير وصرراً للنقولات والعقاقير

كنتُ يوماً اقرأُ كتاب الاحكام السلطانية للماوردي المتوفى في الخمسين واربعمائة فدخل عليَّ احد المعارف ممن تخرجوا على الاوربيين ولما رأَى ما انا من الاشتغال بهِ تناول الكتاب من يديَّ وتصفح اسطرًا ودفعهُ اليَّ مزرياً على علماء العرب كلامهم . فقلت لهُ يا هذا ان الحكم على الشيء فرع عن تصوُّرهِ وان شرع الحكمة ليوجب ان لا نقدّس القديم لقدمهِ او نبارك الحادث لحداثتهِ ومن الخرق في الرأي ان نصدر الحكم الاَّ بعد إطالة الروية واعمال الفكر معملهُ في القضية فان رابنا شيءٌ أَنظَرنا ونظرنا والاَّ حكمنا فلا نقبل النقض ولا الدفاع

الماورديُّ من اساطين العلم في عصرهِ اجلَّ الاوربيون مقامهُ كغيرهِ من كبار الرجال حتى لا تكاد مكتبة في بلادهم خاصة او عامة تخلو من بعض تآليفهِ وكتابهُ الاحكام السلطانية طبع فيما نعلم في الغرب وترجم حديثاً الى الافرنسية بقلم المستشرق الكونت اوستروروغ (Le comte Ostrorog) . وهب اننا سلّمنا معك بقلة الفائدة من امثال هذا الكتاب الذي قضت عليهِ الظروف السياسيَّة ان لا يعمل بهِ والسياسة هنا ما برحت متحكمة على العلم اما كنا نطالعهُ لنعرف تاريخ نشوءِ هذا الفن ونأخذ إخذ الاوربيين على الاقلّ في عنايتهم بالبحث واحتفالهم باللغات المائتة كاشتغالهم بالحية وقد تقضي قوانين مدارسهم الجامعة بمدارسة دواوين قدماء شعرائهم مع ما تعاقب على لغاتهم من تغيير اوضاعها فالانكليز مثلاً ما برحوا متعلقين بحلّ ابيات شاعرهم شاكسبير الذي قام في القرن السادس عشر والناشئة منهم اليوم يعتاص عليهم فهم معانيهِ وتصوراتهِ

فان كان هذا حال الاوربيين من انصبابهم على الاخذ من شعرائهم الماضين فما الحال بنا واصحُّ ما كُتب في لغتنا من حكمة وادب يُرَدُّ تاريخهُ في الغالب الى القرون الاولى للاسلام لانتشار نُطاق الفكر على ذاك العهد ورواج سلع العلم رواجها في الغرب اليوم . واني شريكك يا صاح في الأَخذ عن الاوربيين ومعاشرتهم وقراءة مصنَّفاتهم والإعجاب بحضارتهم وما عهدتهم ولا هوادة في الحق ولا إدهان الاَّ متفانين في إنضاء العزائم طلباً للكتب المشرقية من اعطاف البلاد فلمَ كل هذه العناية يصرفونها ولمَ كل هذا الجدّ في عقد المجامع والمنتديات وانشاء المدارس وبذل النفائس لو كان جميع ما الفهُ العرب ناقص الجهاز سخيف الخلقة

وبديهيٌّ ان كل علم او كتاب مهما بلغ من التنقيح لا يبرأُ من اشياء تستدرك على واضعهِ ومع وقوع الاجادة في اغلب مصنفات كبار الفلاسفة باوربا لعهدنا ما خلوا من انتقاد وتنديد. وهل خرج البشر قط عما في طاقتهم فعملوا عملاً لا يحتمل الغلط والتغليط ولا يفترق الناس فيهِ بين مستحسن ومستهجن . هذا سبنسر (Spencer) شيخ فلاسفة العمران في عصرنا على علوّ كعبهِ في الحكمة ما نجا من نقد تآليفهِ وتسفيه رأيهِ في كثير من مبادئهِ فهل قدح ذلك في قدرهِ وعُد غميزة عليهِ . ومن ينكر ارتقاء العلوم بكثرة الاشتغال بها وان واضعها باديء بدء يضع قواعد طفيفة قد تكون مغلّطة ثم يخلفهُ نطاقها ويحسن خَلقها وخُلقها . وضع آدم سمث فن الاقتصاد السياسي في القرن الماضي فتعاقبهُ العلماء يمحون ويثبتون . ووضع ابن خلدون علم العمران في القرن الثامن للهجرة فقفا العلماء اثرهُ يزيدون ويذيلون . وهكذا قل عن الفنون التي وضعت في القرون المتأخرة ولا عهد بها للعرب ولا للروم ولا للفرس ولا للهنود ولا للصينيين فان العقل الانساني لا حدَّ لهُ في الارتقاء

اليك زبدة ما دار بيني وبين من ارتأى ان يُضرَب بكتب العرب عرض الحائط ولو سمع منهُ عالم اوربيٌّ هذا التصريح لأضرب عن اجابتهِ لعلمهِ بان الخوض في مبحث تقرر من الحديث المفروغ عنهُ ولو طالع ما كتبهُ المنصفون من الفرنجة على مدنية قومهِ وحسن بلائهم في خدمة العمران واستعمل قواهُ العقلية وحكَّم ضميرهُ لاعتدل مشربهُ ولحدثتهُ نفسهُ بان خذ ما صفا ودعْ ما كدَر . ولولا ما عمَّ القول لالتمست لهُ عذرًا لكثرة ما في الايدي من كتب لو اعتيض عنها بما خلفهُ المحققون من الآثار لما انحطت المدارك الى هذه الدركات

وانهُ ليقلُّ للاوربيين كل تحميد وتحبيذ فانهم مع ما بلغ اليهِ العلم عندهم من الجلاء ما برح عقلاؤهم متوقفين في كثير من مسائلهِ ريثما يعثرون على ما فقد من الكتب القديمة فقد حسبوا حسابهم فرأوا ان ما لديهم من الكتب العربية مطبوعة كانت او مخطوطة لا تكاد تبلغ ثلث ما ذكر في تراجم المشاهير من المصنفات . حتى ان علم الفلك على ما يعلم الجمهور من ارتقائهِ اليوم بما تهيأ لهُ من الادوات المخترعة الحديثة لم يخلُ من محارات للافهام فقد زعم فريق ان العرب على قلة معرفتهم بالتصوير وعدم الادوات الكافية لم يكونوا دون اهل هذا العصر فيهِ . وكذلك قل عن التاريخ فقد صرَّح احد علماء الغرب بانهُ لم يتخرج عندهم بعدُ الى الغاية التي انتهى اليها وقت ازدهاء العلم في مشرقنا

وكيفما كان الحال فانَّا نرى الفرنجة محتفظين بتركة اسلافنا منذ دبَّت في نفوسهم روح التقدم . واكد بعضهم ان ما يطبع من كتب المشارقة في اوربا كل عام يبلغ نحو الف كتاب

فلو فرضنا ان ما تفضلوا بنشره منذ بدء النهضة هو ربع هذا العدد او ثمنهُ كل سنة فكم تبلغ كتبنا المطبوعة عندهم يا ترى . ومما يُخجل ان احد الاصدقاء اوعز اليَّ منذ مدة ان اكتب نبذة في عمران دمشق فطفقت اتصفح اقوال المتعرضين لذلك من المؤرخين والجغرافيين فلم اظفر من الاسفار المتداولة بطائل ولا نائل ولولا كتب جمة في هذين الفنين طبعت في اوربا بالعربية لخرجت الرسالة بتراء جذماء بالمرَّة لان ما يتعلق بهذه الحاضرة من الآثار قل ان تجد لهُ فيها ذكرًا فقد ألف الحافظ الذهبيُّ الدمشقيُّ من علماء القرن الثامن مثلاً عشرات من المجلدات في التاريخ ومن الاسف انك لا تكاد تجد في هذه البلاد ورقة واحدة منها

ولاغضاضة اذا نودي عقيب ما تقدم انَّ بعيدًا يحسن القيام على هذا التراث الوافر لاحرى بهِ من قريب يبدّدهُ جزافًا وان اقوامًا كالغربيين عرفوا الحق فقال احدهم ان بعض علماء العرب وضعوا من صنوف المصنفات ما لا يستطيع احدنا ان يقراهُ كل عمرهِ لجديرون بارث الشرق في مادياتهِ وادبياتهِ وان الانكليز ليعذرون على قانونهم الذي لا يورث الاَّ بكر الاولاد تفاديًا من ان لا يثمر المال في ايدي غير الاكفاء . وخليق بالعاقل والحكمة ضالتهُ ان لا يسلم ايضًا بان حسنات بغداد بمأمونها فوق حسنات اثينا ببركليسها ورومة باغسطسها الاَّ بعد تمييز الزيوف من النقد العزيز والمفاضلة بين مناجم الفحم وركاز الابريز محمد كرد علي

تربية الاولاد

من كتاب تدبير الاطفال في الصحة والمرض لمؤلفهِ الدكتور اسكندر بك جريديني

التربية علم واسع الاطراف نذكر من اساليبهِ وكيفياتهِ ما يسمح بهِ غرض الكتاب وقد قسمنا الكلام عليها الى قسمين

اولاً : التربية البدنية . وثانيًا : التربية الذهنية و لادبية

فالتربية البدنية او الرياضة الجسدية تقوم بتحريك عضلات الجسم والتنزه في الجنائن البعيدة عن مجامع الناس واقذار المدن . ولا بد للولد من تربية بدنهِ وهذا فرض واجب على الوالدين لان نجاح كل امة موقوف على افرادها والافراد بصحة ابدانهم وشدة بأسهم وجلدهم . ومن كان مسقامًا ممراضًا قصر عن القيام بواجباتهِ نحو وطنهِ ونفسهِ وكان حملاً ثقيلاً على أهلهِ ووقرًا على عاتق الانسانية

وتبتدئُ التربية البدنية من الاسبوع الثاني من الولادة وهو الزمن الذي يشرع فيهِ

الطفل بتحريك يديهِ ورجليهِ ولذلك لا يجوز ان يقمط من رأسهِ الى اخمص قدميهِ او يلبس ثياباً زائدة في طولها عن الحد الذي يطلبهُ قانون الصحة لئلاً يمتنع عن الحركة كما يهوى فيتعوق نموهُ . هذه اول خطوة من خطوات التربية البدنية والخطوة الثانية هي ان يحمل الطفل على اليدين مستلقياً نحو مرتين في اليوم وتحتهُ مخدة من الريش الناعم كأنهُ نائم في سريرهِ . ولا بأس اذا كان يحمل في اثناء الشهر الثاني من غير مخدة على الطريقة التي تقدم ذكرها وبعد ذلك يحمل منتصباً على الذراع الواحدة ويسند ظهرهُ ورأسهُ بالذراع الاخرى . ولا يجوز ان يخرج بهِ الى النزهة قبل الزمن الذي يؤهل جسمهُ لتحمل الهواء . وثمَّ عادة سمجة وهي انهم يعرضون الطفل الصغير للهواء باكرًا بحجة ان ذلك يقوي بدنهُ ويعودهُ تحمل الخشونة وهي حجة واهية لان مس البرد ولا سيما في الطور الاول من الطفولية يؤثر في اجسام الاطفال البضة مهما كان الطقس معتدلاً او حارًّا فيضر بصحتهم ضررًا جسيماً كما ان التأنق والتحفظ الزائدين يورثان الضعف والسقام وخير الامور الوسط

والافضل ان يخرج بالطفل الى الهواء تدريجاً فيؤخذ حينما يصير ابن اسبوعين من غرفة الى غرفة اخرى هواؤها ابرد من هواء الغرفة الاولى بقليل حتى يتدرج على تحمل الهواء من غير ان يلحق بهِ ضرر من التعرض لهُ دفعة واحدة

ويجوز من الشهر الثاني فصاعدًا ان يخرج بهِ الى الخلاء في الايام الصحية فيمكث من ١٠ الى ١٥ دقيقة في الدفعة الاولى واكثر من ذلك في الدفعات التالية . ويحترس من الخروج بهِ في الايام الباردة قبل الشهر الثالث من عمرهِ . واذا صادفت ولادتهُ في فصل الشتاء فالاولى ان يبقى في البيت الى فصل الربيع حتى يدفأ الجو ويكون الطفل في مأمن من مضار البرد . ومع ذلك فان الحكم في هذه الحالة عائد الى تدبير الام وحكمتها وحالة الطفل من القوة والصحة . واذا كانت ولادتهُ في فصل الخريف فيعوَّد الخروج الى النزهة قبل مجيء الشتاء واما في ايام البرد والارياح الشديدة فيكفي ان يلف بملاءة ثم تفتح نوافذ الغرفة التي ينام فيها حتى يتجدد هواؤها ويستنشقهُ نقياً خالياً من الفساد وذلك افضل من الخروج من المنزل في مثل هذه الاحوال . وانما يجب ان يوضع في اثناء ذلك في مكان منحرف عن مجاري الهواء لئلا يبرد وحتى في الايام الحارة يجب ان يعنى بتدفئتهِ في النزهة فاذا بردت رجلاهُ او يداهُ ردَّ الى البيت حالاً

ويحسن ان يخرج بهِ في الدفعة الاولى على ذراع امهِ او حاضنتهِ لان حرارة بدنها تحفظ الطفل دافئاً فضلاً عن ان اسنادها اياهُ بيدها الاخرى يريحهُ راحة كبرى

وبعد الشهر الثالث وذلك حسب الطقس يؤخذ الى النزهة على عربة الاطفال ويجب ان تكون العربة مستوية اي غير مائلة الى جهة من الجهات ورفاصها ليناً وفراشها ناعماً من الريش او الشعر وان يكون لها وسادة يجلس عليها الطفل حينما يبلغ العمر الذي يؤهلهُ لذلك . ومظلة لمنع حرارة الشمس والاخيرة لازمة جدًّا وبدونها لا تنفع العربة شيئاً . وكثيرًا ما نشاهد هذه العربات في شوارع المدن تسوقها الخادمة من غير مظلة والشمس تلفح وجه الطفل فتحرقهُ اوتكون سبباً لاعتلالهِ او هلاكهِ

والافضل ان يكون لون العربة من الظاهر اسود او اسمر وكذلك بطانتها وفرشها لان اللون الابيض ولا سيما الالوان البراقة كالاحمر والاخضر تعكس نور الارض الى العينين فتضر بهما ضررًا جسيمًا

ويتبع العربة سير من الجلد يربط الى جانبيها من الامام لوقاية الطفل من السقوط . على ان وضعهُ على هذه الصورة لا يخلو من الخطر لانهُ اذا اصطدمت العربة اوكان الطفل كثير الحركة وخادمتهُ لاهية عنهُ وقع وتهشم كما حدث ذلك كثيرًا . ولذلك يجب ان نتدارك هذه المخاطر بتركيب السير الى جانبي العربة بعلاقتين من الجلد حتى يحيط بالطفل ويحصرهُ داخل منطقة حريزة تضمن لهُ السلامة من السقوط

ومن الشهر السادس فصاعدًا يميل الطفل الى القعود في العربة عوضاً عن وضعهِ فيها مستلقياً وحينئذٍ يدعم ظهرهُ وجانباهُ بالمخاد الى ان يبلغ الشهر السابع من العمر فيجلس على مقعد العربة وحدهُ . ويناسب ان يوضع من الشهر الثالث فصاعدًا على فراش او ملاءة وثيابهُ مرتبة على طريقة تسهل عليهِ الحركة كما يهوى فيقلب تارةً على جنبهِ وتارة على بطنهِ وظهرهِ وبهذه الواسطة يقوى عضلهُ فيهون عليهِ الحبو (الدبدبة) والمشي حينما يجيء اوانهما . ولا يخفى ان الولد يسر بالحبو ويلذ لهُ كثيرًا واذا رأيتهُ يحبو بكثرة زائدة فلا تمنعهُ لان الحركة تقوي بدنهُ وهي دليل الصحة والعافية . ويجب ان لا يغفل في اثناء ذلك عن مراقبتهِ لئلاَّ يذهب الى مكان مرتفع فيسقط وينكسر عظمهُ او تنسحج بشرتهُ او يلتقط من الارض شيئاً مضرًّا او تحرقهُ نار او يغرز بابرة او دبوس كما يحدث ذلك كثيرًا . وقد تنشغل الام في تدبير منزلها فلا تستطيع مراقبة ولدها وعندئذٍ يوضع ضمن سياج او اطار من خشب مؤلف من اربع اضلاع تتصل بعضها ببعض بواسطة شنا كل من حديد ثم تنفصل وتحزم عندما لا يراد استعمالهُ

والمشي كالحبو يروض الجسم ويجب ان يترك الطفل الى ان يقدم عليهِ من تلقاء نفسهِ ولا يكره على المشي قبل ان تقوى قائمتاهُ وتتصلب عظمهُ لئلا يكون سبباً لاعوجاج ساقيهِ ولاسيما

اذا كان معدًّا لمرض الكساح اي رخاوة العظام

على انهُ يجوز حالما يقوى الطفل ان يسير كل يوم على قدميهِ نحو ١٠ دقائق او اكثر حسب قوتهِ وسنهِ . ويداوم على النزهة في عربة الاطفال الى ان يبلغ السنة الرابعة من عمرهِ وبعدئذٍ يركب عربة يجرها جحش اوحصان صغير (بوني) على نحو ما ترى في شوارع القاهرة وكلما تقدم الولد في السن زاد ميلهُ الى اللعب فلا يمل ولا يكل وهذا من غرائب ما يشاهد في الاولاد . ومن الواجب ان لا يسمح لهُ بترويض بدنهِ الى حد الجهد والاعياء لئلا تكون الرياضة وبالاً عليهِ

واولاد المدارس من احوج الناس الى ترويض ابدانهم لان ازدحامهم في المدرسة واشتغالهم في درس العلوم كثيرًا ما يفضيان الى انحطاط العقل وربما احدثا امراضاً عصبيةً يصعب برؤها واشدها وطأة المرض المعروف برقص القديس انطونيوس الذي يكثر حدوثهُ في اولاد المدارس من اعمال الفكرة والتقاعد عن الرياضة البدنية كما ينبغي

ولا بدَّ للتلميذ من ساعة او ساعتين يروض فيها بدنهُ باللعب في الهواء المطلق . وانفع الالعاب للتلامذة ما يلعبونهُ من تلقاء انفسهم لانهم يغتبطون بهِ ويجدون فيهِ من اللذة ما لا يجدونهُ في غيرهِ من الالعاب التي تقترح عليهم او يكرهون عليها

ومن صنوف الرياضة المفيدة للاحداث ركوب الخيل والحمير والرقص والسباحة وكرة القدم والتنس وركوب الدراجة (البيسكل) كل هذه تحسن آثارها لا في الصبيان فقط بل في البنات ايضاً . ولست أرى مانعاً ادبيًّا ولا غير ادبي يمنع البنت عن ترويض بدنها بجميع الالعاب التي يتمرن عليها الذكور في الهواء وحرارة الشمس وهذا خير لها من الاختباء في بيتها لان الرياضة على الطريقة التي تقدم ذكرها تكسبها صحة وجمالاً وبالتالي فلا تكون من الكاسدات في سوق الزواج

وقد اخترع الافرنج العاباً كثيرة لترويض ابدانهم وأنشأوا النوادي والجمعيات من رجال ونساء للمسابقة في فنون الرياضة الجسدية وقد جرت الحكومة المصرية هذا المجرى في مدارسها وكثيرًا ما يلعب تلامذتها على رهن او جائزة لان ذلك يرغبهم في ترويض اجسادهم وينشطهم على المباراة فيكون لهم نفع صحي يغتبطون بهِ طول حياتهم ولا تجد فيهم من المترهلين والقصعين ما تجدهُ في من سواهم من الذين لا يراعون قانون الرياضة كما ينبغي

❖ التربية الذهنية والادبية ❖ هي ان تنور ذهن الولد وتثقف عقلهُ وتهذب اخلاقهُ وتقوّم سيرتهُ لكي يصير رجلاً بالحق متصفاً بصفات الانسانية

ويزعم اكثر الناس ان التربية العقلية قائمة بتعليم الولد في الكتب ولذلك يسرعون بوضعهِ في المدرسة حالما ينطق ببعض الالفاظ فيكرهونهُ على تعلم قواعد العلوم او بالاحرى على حفظها غيباً كالببغاء من غير فهم ولا لذة ترغبهُ فيها لانهُ لم يترشح لادراك معانيها بالوسائط العملية اي بتقوية ذهنهِ وتنويرهِ بالخطاب قبل الكتاب. ولهذا السبب ينفر الولد من المعلم والعلوم وتصير المدرسة سجناً مطلقاً في عينيهِ

ويبدأ بالتربية من الشهر الخامس وصاعداً وفي هذا الزمن يسر الولد بالاعيب الاطفال وافضلها ما كان من الجلد او الكوتشوك وغيرهما من المواد اللينة لانها اذا كانت من المواد السهلة الانكسار كالجبس والفخار فلا تلبث ان تنكسر فتضطر الام الى ابدالها بلعبة اخرى جديدة. ولا يخفى ان الرزق الكثير يؤدي الى الاسراف والتبذير وهكذا حال الطفل من هذه الالاعيب فانهُ اذا رأى انها تتوارد عليهِ من غير حساب قل حرصهُ عليها وفاتتهُ الفائدة منها. وبناء عليهِ يجب ان يكون للولد لعبة واحدة من المواد الغير السهلة الانكسار حتى تبقى عندهُ مدة طويلة و يتعلم ان يحرص عليها و يعتني بتنظيفها وتدبيرها لان الولد قابل للتعليم والتهذيب مهما كان صغيراً

ومن جملة الملاهي العقلية التي تنور عقل الولد ان يكون في البيت كتب موضحة بصور مشاهير الرجال و بعض اشكال الانسان والحيوان والنبات فتشرح لهُ امهُ او حاضنتهُ شيئاً عنها على مقدار سنهِ وفهمهِ حتى يتهيأ عقلهُ تدريجاً لقبول المعارف التي تلقى عليهِ في المدرسة

ومما يسر الولد كومة من الرمل الجاف يلعب بها في ايام البرد في بيتهِ فتارة يبسطها فيجعل منها سهلاً وطوراً يكومها فيمثل جبلاً او اكمة وبهذه الواسطة يدفع عنهُ الملل والضجر و يتهيأ عقلهُ لقبول العلوم الجغرافية وقس على ذلك سائر العلوم

ولا تخاطب الولد بالفاظ لا معنى لها وهي اللغة التي تستعملها الام في مخاطبة اولادها ومعظمها كلام غير مفهوم يتلقنهُ الولد كأنهُ لغة اعجمية ولكن لا معنى لها ولا وجود سوى في مخيلة الامهات. والافضل ان تخاطبهُ من بدء الامر بكلام واضح وعبارة جلية حتى يتعود من صغرهِ طلاقة الحديث وفصاحة اللسان

ومن عادة الاولاد ان يسألوا عن كل غريب يشاهدونهُ وهذا طبيعي فيهم يدفعهم اليهِ حب الاستطلاع والوقوف على كل شيء يجهلونهُ. يدلنا على ذلك انك اذا ذهبت بالولد الى الجنائن والتقط زهرة او شاهد طيراً الى غير ذلك مما يقع تحت يدهِ او يستلفت نظرهُ أتى اليك يسأل عن هذا وذاك وينتظر الجواب بشوق زائد. على انهُ كثيراً ما تعد الام هذه الاسئلة

ضرباً من التطاول والفضول فتزجره عنها او تجعل جوابها قليل الفائدة . ومن الواجب على المربي كائناً من كان ان يجاوب عن كل سؤال يطرحه عليه الولد ويشرح له كل غوامضه حتى يتشربهُ ويرسخ في ذهنهِ . ولا يخفى ان ما يتعلمهُ الولد من الاسئلة او يسعى في تحصيلهِ من عند نفسهِ اختياراً لا قسراً واضطراراً يكون احب اليهِ وابقى في حافظتهِ مما لو اخذهُ عن الكتب في المدرسة

على انهُ اذا سأل الولد سؤالاً في غير محلهِ او لا يليق بمن كان في سنهِ فيجب ان يمنع عنهُ ولكن باللطف والملاينة لا بالقسوة والمخاشنة

والقدوة من اكثر ذرائع التعليم والتعلم فائدة للاولاد بل هي افضل معلم لهم وذلك لبراعتهم في التقليد والاقتباس وبناء عليهِ يجب ان يكون الوالدون قدوة حسنة لاولادهم في القول والفعل ولا يسمحوا لهم بمعاشرة الاولاد الناقصي التربية لئلاَّ تسوء تربيتهم وآدابهم

ولا بدَّ من تدريب الولد على الطاعة حتى يمتثل لأوامر والديهِ حبًّا بهما لا طمعاً في جائزة او فراراً من عقاب . ولا يخفى ان الطاعة من اكثر ذرائع التربية فائدة ولاسيما في وقت المرض لان الولد الذي لم يتعلم ليطيع والديهِ ويذعن لاوامرهما يرفض الدواء ولا يأخذهُ الاَّ قهراً بعد عراك طويل ربما يتجلى عن اضطراب العليل واشتداد العلة لما يصيبهُ على اثر ذلك من الانفعالات النفسانية

واحذر من معاقبة الولد اذا تكلم بالصدق لئلاَّ يعتصم بالكذب في المرة التالية ولا تعاقبهُ ما لم يرتكب ذنباً . ويجب ان يكون العقاب مجانساً للذنب . وفي اثناء ذلك يحسن ان تخاطبهُ بنغمة محزنة وتبين لهُ السبب الذي من اجلهِ استحق القصاص لكي يعرف غلطهُ ولا يعود اليهِ

ومن أشد انواع العقاب تأثيراً في نفوس الاولاد منعهم من اللعب او ايقافهم في زاوية البيت او حرمانهم من النزهة أو بعض الهدايا والجوائز وما شاكل ذلك واياك ان تعاقبهُ في ساعة الغضب او تلطمهُ على خدهِ او تجذب أذنهُ او تجلسهُ في غرفة مظلمة لان هذا النوع من العقاب يضر بالصحة ضرراً شديداً . ولا يجوز ان تعاقب الولد بالقساوة عند اقل ذنب يرتكبهُ او زلة تفرط منهُ لئلاَّ يفقد الشعور ولا يؤثر فيهِ القصاص او تتربى بسبب ذلك جراثيم الحقد والبغضاء في قلبهِ فينسب اليك القساوة والخشونة وتصير في عينيهِ عدوًّا ظالماً ومنتقماً لا معلماً ومهذباً

ومن الصفات المكروهة حب الذات وهي غريزية في الانسان واشدها قوة في الاولاد ولذلك لا يسهل على المربي ان يحمل الولد على الاقلاع عنها ويجعلهُ يفتكر ويعمل لغيرهِ لاننا

مفطورون على محبة انفسنا وقلما يعمل الانسان عملاً لغيرهِ صغيرًا كان او كبيرًا ما لم يكن لهُ منهُ نفع ولو شيء من اللذة او المسرة

على انهُ لا يصعب على المربي العارف باصول التربية الحقة ان يقوّم ويعدّل هذه الصفة في الولد وذلك بانماء الصفات المضادة لها كحب الخير والشفقة والحنان وامثالها . كل هذه اذا نمت فيهِ تغلبت على صفة محبة الذات وتعلم الولد ان يعمل ويفتكر لغيرهِ ولو حياء . ويجب ان يمنع الاولاد من حضور الافراح والاجتماعات في الكنائس والمراسح لئلاَّ تتهيج اعصابهم فيصابون بالارق في نومهم . ولا بأس اذا كانوا يترددون اليها في اواخر سني الحداثة وذلك قبل وقت النوم بساعات قليلة منعاً للارق

ويمنع الولد ايضاً عن مجالسة الزوار ومحادثتهم لئلاَّ يكون متقولاً عليهم او يتمادى في البذاءة فيقاطعهم في الحديث او يكثر من كلام الفضول الى غير ذلك من الافعال التي يأباها الذوق السليم وتشجبها آداب الزيارة واصول التربية الحقة

وعلى الوالدين ان يكونوا قدوة لاولادهم في آداب الحديث والمائدة . ولا يجوز الاعتماد في ذلك على الخادمة او الحاضنة الاَّ اذا كانت ملمة بأساليب التربية . وحينما يبلغ الولد السنة الرابعة يجلس بجانب امهِ الى المائدة على كرسي عالٍ ولا يسمح لهُ بالجلوس مع الضيوف الاَّ متى بلغ السن الذي يؤهلهُ لذلك

وثمَّ عادة ذميمة وهي ان الام تخوف ولدها بحكايات الجن والعفاريت ومن ايسر مضار هذه العادة ان الولد ينمو وفي قلبهِ اثر من الخوف لا يزول طول الحياة بل كثيرًا ما تفضي بهِ الحال الى الاضطرابات العقلية بسبب ما يعلق على ذهنهِ من آثار تلك الحكايات الخرافية التي تمثل لهُ الوهم حقيقة . وكذلك يجب الاحتراس من تخويفهِ بالمناظر الغريبة الشكل والالعاب التي تحدث فرقعة واصواتاً عالية فجائية لما ينجم عنها من الضرر بالصحة وقد تقتل الطفل . ومن الوسائل التي يحسن اثرها في الولد ان يتعلم لكي يألف الحيوانات غير الضارة كالفيران وبعض الديدان والزيزان وان يألف الظلمة ايضاً كما يألف نور النهار حتى يتساوى الاثنان في عينيهِ ولا يكون ظلام الليل سبباً لخوفهِ

واخيرًا يبلغ الولد السن الذي يخرج فيهِ من ايالة امهِ ويدخل في ايالة المعلم . ويوجد طريقة جديدة لتعليم الاولاد قبل وضعهم في المدرسة وهي الطريقة المعروفة في لغات الافرنج (بالكندرجارتن) والمصطلح عليها في هذه الايام لتنوير ذهن الولد وتهذيب اخلاقهِ وعوائدهِ وذلك باللعب والخطاب قبل الدرس في الكتب

فمن جملة أساليبها انهم يقرنون اللعب بالاغاني والحركات الجسدية التي لا تخلو من معنى يفيد الولد ويلذهُ . فبالاغاني مثلاً يقلد تغريد الطيور وبالحركات الجسدية يقلد طيرانها

ويتعلم حروف الهجاء على قطع خشب مزينة بالصور بحيث يحفظها وتنطبع صورتها في ذهنهِ من غير خوف من المعلم وعقابهِ . وقس على ذلك تعلم الاعداد وتمييز الالوان بعضها من بعض . كل هذه يتمرن عليها الولد وهو يلعب وبهذه الواسطة تترقى معارفهُ شيئاً فشيئاً ويتهيأ ذهنهُ لقبول العلوم التي تلقى عليهِ في المدرسة عند ما يبلغ السن الذي يؤهلهُ لذلك . وقد ألفوا لها الكتب العديدة في اغلب اللغات وساروا على هذا الاسلوب الجديد في تعليم اولادهم فصادفوا نجاحاً عظيماً . وياليت في اللغة العربية كتباً ترشد الوالدين الى كيفية التعليم على هذا الاسلوب الحديث فتكون لهم خير معين على تربية اولادهم وتهذيبهم قبل وضعهم في المدرسة

وبعد ما يتمرَّن عقل الولد على الطرق التي تقدَّم شرحها يوضع في المدرسة ويحترس من وضعهِ فيها قبل السنة السابعة من العمر لئلاَّ تفضي بهِ الحال وهو لم يزل رخص العقل غض العود الى امراض عصبية تضطرهُ الى الاعتزال عن المدرسة وتكون سبباً لاطفاء نور حياتهِ العلمية

ويكفي ان يتعلم الولد اربع ساعات كل يوم حتى يبلغ السنة العاشرة من عمرهِ . ولا يجوز ان يرغم على الدرس في البيت لان ساعات المدرسة كافية ولا ان يضغط المعلم عليهِ ويشغل عقلهُ بمواضيع مختلفة لا قبل لهُ على تحملها لئلاَّ تنحط قواهُ العقلية والبدنية وتتسلط عليهِ امراض عصبية على نحو ما سبق بيانهُ في موضعهِ

ولما كانت البنت قليلة الحركة كان الخوف على صحتها من الامراض المذكورة اكثر منهُ على الذكور . ولذلك يجب ان تروض بدنها ويعنى بصحتها كما يعنى بصحة الذكور

ويمنع الاولاد عن القراءة على نور ضعيف لئلاَّ يكون سبباً لقصر البصر . اما وضع المصباح فالاصلح ان يكون مرتفعاً عن موازاة العين او مائلاً الى جهة الوراء ما امكن حتى لا تقع اشعتهُ على الحدقة مباشرة

ويجب ان يتخلل الدرس فترات من اللعب لترويض ابدان التلامذة وشرح صدورهم وراحة عقولهم من عناء القراءة والحصر في المدرسة

وسواء كان الاولاد في المدرسة او في مدرسة عالية داخلية فهم في خطر من الامراض المعدية كالخناق والجدري والحمى القرمزية والحصبة وغيرها من العلل الخبيثة التي تتفشى في المدارس من ازدحام التلامذة وملامستهم بعضهم البعض ففي مثل هذه الاحوال يجب ان تقفل المدارس منعاً لانتشار المرض

العقل والعمران

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في سوثبورت في التاسع من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ السر نورمن لكْيَر خطبة طنانة كان لها اعظم وقع في نفوس الانكليز جعل مدارها على منزلة العقل من عمران الامم وعلى لوم الامَّة الانكليزيَّة لانها لا تعنى بالتعليم العلمي ولا تنفق عليهِ مثل الاميركيين والالمانيين وان ذلك سيكون علة تأخرها وسَبْق هاتين الامتين لها. وذكر لتأييد قولهِ حقائق كثيرة وادلة عديدة كما سيجيء. فترجمنا خطبتهُ ونحن في ذلك كالمساكين الذين يجلسون حول صحفة من الفول المدمَّس ويتكلمون عن المآكل الفاخرة على موائد جيرانهم الاغنياء. ولكن ان انهضت هذه الخطبة بعض حكامنا او بعض اغنيائنا حتى يهتموا بامر التعليم لا يكون تعبنا في ترجمتها قد ذهب سدًى والاَّ فغاية ما يستفاد منها ان نرى كيف تطلب المزيد امَّةٌ نحسبها في مقدمة امم الارض ونحن نقنع بالخبز والماء وتذكار مجد السلف. وهاك ترجمة الخطبة

تأثير العقل في التاريخ

ان اول فرض عليَّ في هذه الليلة الاشارة الى ما اصاب امتنا وهذا المجمع بفقد السياسي العظيم الذي فقدناهُ منذ عهد قريب. ونحن اعضاء هذا المجمع فقدنا بهِ رصيفاً من اعظم الرصفاء وطالباً غيورًا من طلبة العلم اناالنا الشرف بقيامهِ رئيساً علينا. ولقد كان وهو رئيسٌ للوزارة يعترف بما يجب للعلم وهو الذي جعل الحكومة تعترف بفضل رجالهِ ونفعهم للبلاد اعترافاً عامًّا ولذلك كلهِ تشاركونني في بث التعزية لعائلة لورد سلسبري كما اقرَّت عليها لجنة مجمعكم صباح اليوم

ولما اعتزل صديق العلم هذا رئاسة الوزراء في العام الماضي خلفهُ سياسيٌّ آخر بدت منهُ دلائل كثيرة على اهتمامهِ بالمباحث الفلسفية وصرَّح مرارًا كثيرة بما يدلُّ على انهُ يعرف نسبة العلم الى العمران الحديث ولذلك فنحن واثقون ان ما نالهُ العلم من المكانة في عهد الفقيد يتعزز ويزيد في عهد خلفهِ الذي شرَّف هذا المجمع بقبولهِ رئاستهُ في العام التالي وقبولهُ هذا يزيد هذه الرئاسة فخرًا

فيحق لنا ان نهنئ انفسنا لاسيما وان القرن العشرين الذي دخلناهُ سيكون اعظم من كل القرون التي سبقتهُ وان تاريخ العالم في الزمن الحاضر يتوقف كثير منهُ على تأثير القوى العقلية التي تستخدم نواميس الطبيعة وقواها ونواميس الانسان وقواهُ وان رجال السياسة سيضطرون

ان يزيدوا اهتماماً بالعلم والتعليم كاساسَين تُبنى عليهما المالك وحارسَين يذودان عن حوضها
وسيُذكَر القرن التاسع عشر بانهُ اول قرن اعترفت فيهِ الامم المتمدنة بتاثير العلم فيها . وقد كان التقدم العلمي فيهِ عظيماً جداً حتى لم يجسر احد ان ينبئ ان عصراً آخر من العصور التالية يفوقهُ في ذلك

اشار دزرائلي سنة ١٨٧٣ الى التقدم الذي تمّ الى ذلك الحين فقال . " ما اعظم ما تمّ في الخمسين سنة الاخيرة فان هذه المدة تفوق كل مدة تماثلها في تاريخ الانسان بما تمّ فيها من عظائم الامور . ولست موجهاً فكري الآن الى قيام المالك وسقوطها وانقلاب الدول وتأسيس الحكومات بل الى تلك النتائج العلمية التي اثّرت اكثر من كل الاسباب السياسية وغيرت احوال الناس وستغير مستقبلهم اكثر من كل الفتوحات والقوانين والشرائع "

ومن المحقق انهُ ينتج عن تقدم العلوم وتأخرها نتائج عديدة بالنسبة الى حياة الامة ومن هذه النتائج ان التأخر الصناعي والتجاري يكون على نسبة اهمال التربية العلمية

واول من اشار الى ذلك ابو ملكتنا الحالي لما جاءنا من مدرسة بُن الجامعة ومن ثمّ أُلفت اللجنة المنسوبة اليهِ فكانت سبباً في انشاء مدرسة الكيمياء التي صارت بعدئذٍ ادارة العلم والصناعة ومن ذلك الحين الى الآن وتحذير علمائنا يزيد شدةً سنة فسنة . ولم يقتصر الامر على ذلك لان ليس المسألة متوقفة على ما تصنعهُ البلاد في القرن الواحد بالنسبة الى ما تصنعهُ في قرن آخر بل ان بث الحياة العلمية ومعرفة طرق الانتفاع بقوى الطبيعة لها في تقدم الامم وتأخرها شأن اعظم وتأثير اشد مما يظنّ عادة

ولا شبهة في ان بريطانيا استفادت من تقدم العلم في اواسط القرن الماضي اكثر مما استفاد غيرها لانها كانت تمتلك انفع الخيرات الطبيعية وألزمها للصناعة اي الفحم الحجري والحديد فان استخدامها لعمل الآلات والادوات جعلها اغنى بلدان المسكونة وصيَّرها مقرًّا للاختراع وتاجاً لهُ ودارًا للصناعة والمصنوعات كما قال عنها المستر كارنجي . ولما كنا اعظم الصانعين للمصنوعات واعظم المصدرين لكل نوع منها صرنا بواسطة سفننا اكبر اصحاب المتاجر ولذلك استتبت لنا السيادة على البحار

واول تغيير عظيم نتج عن استخدام النظريات العلمية كان في طرق استخراج المواد ونقلها فلما فتحت المناجم في البلدان الاخرى وصُنعت فيها الآلات وسهلت وسائل النقل ورخصت ضعف شأننا الذي كان قائماً باستعمالنا خيرات الارض قبل غيرنا . والعلم الذي لا يعرف لهُ وطناً بل هو مشاع للجميع اشرك الناس بمزاياهُ فجاب التجار كل بلدٍ وجلبوا كل نفيس نافع ولذلك

فاول نتيجة عظيمة نجمت عن تقدم العلوم ان قلّت سيادة بريطانيا المبنيَّة على استعمالنا خيرات ارضنا وكانت هذه الخيرات مصدر غنانا وقوتنا بين الامم

وقد زاد الخطب لان حكَّامنا واساتذة مدارسنا كانوا عمياناً يقودون عمياناً حين تقوَّضت دعائم سيادتنا المبنية على ما لدينا من الخيرات الطبيعية وأُهملت قوانا العقلية مع ان ترقيتها في بدنا

اما جمهور الساسة عندنا فقلما يعلمون شيئاً عن مقدار ما للعلم من الشأن في ترقية امور الناس في هذا العصر وعن الاساس الحقيقي الذي تبنى عليهِ مصالح الامم ولذلك يحسبون ان لا شأن الَّا للامور السياسية والمالية . ولسنا الآن احسن مما كنَّا قبلاً فلما قامت المناظرة في اقتراح المستر تشمبرلين لم يكد يذكر شيءٌ عن تأثير العلم في الاسعار بل نُسب كل تغير فيها الى وضع الرسوم او عدم وضعها على بعض السلع ولم يخطر على بال المتناظرين ان اسعار الحنطة لم تهبط الَّا بعد الغاء رسوم الحبوب بثلاثين سنة او اربعين . وعندهم ان المخترعات الجديدة والسكك الحديدية والسفن البخارية امور طفيفة لا يعبأ بها وان ثروة الامم تتوقف على شعار رجال السياسة هل التجارة معفاة من الرسوم او غير معفاة منها

ونعلم الآن مما حدث في بلدان أُخرى انهُ لو كان وزراؤُنا اعلم مما هم واحكم وكانت مدارسنا الجامعة اكثر مما هي واكفى لارتقت قوانا العقلية بالتعليم والتهذيب وذلك بادخال العلوم الى المدارس وتعليها بالامتحان والملاحظة والبحث لا بالمطالعة في الكتب . وإهمالنا ذلك هو الذي القانا وراء سائر الامم في استخدام العلم للصناعة حتى صارت تطبيقاتنا العلمية على الصناعة اقل اهمية مما كانت . وهذا ليس كل ما خسرناهُ بل خسرنا تقوية الحياة الامية الناتجة عن بث الذوق العلمي بين كل طبقات الامَّة واستخدام الاساليب العلمية في كل اعمالها . وكثيرون من اولي الامر بيننا يعرفون قليلاً من العلم ولا يهتمون بهِ مطلقاً لاننا لم نتعلَّم انهُ يجب على الحكومة ان تنظم جيوشها للسلم كما تنظمها للحرب وان المدارس ضرورية لخير البلاد كالبوارج والفيالق ولا بدَّ من ان تنظَّم ويُنفق عليها مثلها

وغرض هذا المجمع على ما صرَّح بهِ منشئوهُ منذ اثنتين وسبعين سنة هو " تقوية البحث العلمي وتدريبهُ حتى يزيد انتظاماً وتقريب الصلات بين المشتغلين بالعلم في جهات الامبراطورية البريطانية وبينهم وبين غيرهم من العلماء الاجانب وتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم "

وسلفائي في هذا المنصب الذي اوليتموني الشرف بوضعي فيهِ بحثوا في القسم الاول من

غرض هذا المجمع فاجادوا وافادوا والآن ارى انهُ يجب عليَّ ان اخالف خطتهم واحصر بحثي في القسم الاخير لانهُ ان لم تستخدم الوسائل " لتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ولنزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم " تعذَّرت علينا مناظرة الامم التي تعتمد على العلم اكثر مما نعتمد نحن عليهِ

الجهاد بين امم العصر

قال هكسلي منذ سنوات في البحث عن علاقة التعليم العلمي بالمعامل الصناعية اننا اصبحنا مضطرين الى الجهاد لاجل حفظ كياننا الجهاد الذي لا يسلم منهُ الأ من كان اصلح من غيرهِ للبقاء وهذا جهاد بين الامم المنتظمة بعضها مع بعض لا بين افرادها جهاد يقوم فيهِ العلم والعقل مقام السيف والقوة الوحشية اللذين توقف عليهما تاريخ الامم وكيانها حتى الآن . وميدان هذا الجهاد المدارس الابتدائية والمدارس الكلية والمعامل الكيماوية والمعامل الصناعية

ولكن ان كان هذا صحيحاً فصنائعنا لا تستطيع ان ترتقي وحدها لان العقل لا يمكن ان يقتصر على المعامل ان كانت الامم الاخرى تستعملهُ في كل اعمالها واجراءاتها

والمسألة هامة جدًّا لانها تستدعي تغييرًا عظيمًا . تستدعي ان نضع اساسًا جديدًا نثبت عليهِ الامبراطورية البريطانية بسبب الاحوال الجديدة التي طرأت على المسكونة . وانا واثق ان النداء الذي نادانا بهِ ولي العهد وهو " استيقظوا " يجب ان ينادى بهِ رجال الحكومة كما ينادى بهِ ارباب الاعمال

والذي نحتاج اليهِ هو ان تنتظم قوى الامة كلها لكي تستطيع ان تقابل المطالب الجديدة التي يدعونا اليها تقدُّم العلوم مضافاً اليهِ ازدياد السكان وسائر الفواعل التي تبنى عليها المزاحمة بين الامم . وهذا الامر يشمل كل وزير وكل نظارة من نظارات الحكومة بل يشمل الامة كلها ملكها واعيانها وعوامها فانهُ يجب عليهم كلهم ان يرقوا التعليم العلمي الى درجة تؤهل الامة لمقابلة المستقبل مهما كان . ويخطئ من يظن ان العلم لازم لترقية الصنائع فقط . وان ظن احد ان بريطانيا مقصرة في تعليم صنَّاعها فقط وان رجال حكومتها نائلون من المعارف العلمية والقوى العقلية ما يكفي لما تستدعيهِ احوال الزمان بعد ان انتشرت فيهِ العلوم فليراجع تقرير اللجنة الملكية التي أُقيمت للبحث عن الحرب في جنوب افريقية فانهُ يجد هناك ان الاسلوب الذي جرينا عليهِ في تلك الحرب غير صالح لما تستدعيهِ احوال جيش أُنشئ لنستطيع محاربة غيرنا بهِ . وليقرأ ايضاً خطبة رئيس الجمعية الكيماوية الصناعية وما فيها من وصف الاساليب الفعَّالة التي لجأَت اليها غُرف التجارة ومئتان وخمسون الف عامل لكي يوضع قانون الامتيازات

الصناعية على صورة يمكن العمل بها رغماً عن مستشاري ديوان التجارة وموظفيهِ . وقلَّ مَن يعلم مقدار المسائل العلمية التي تحتاج الحكومة الى حلها لان الامة كلها بمثابة معمل صناعي . واذا صار حكامنا وقضاتنا ومديرونا ورجال التنفيذ فينا من المتعلمين المتنورين واذا بطلت الاساليب التقليدية الاختبارية وأُبدلت بالاساليب العلمية الدقيقة صرنا كفأً لمناظرة غيرنا من الامم من كل وجه ادبيًّا وماديًّا

ومن البيّن ان قوة الامة في الحرب قائمة بجيوشها وبوارجها واسلحتها واما قوتها في السلم ومناظرة غيرها من الامم فليست كذلك بل تعتمد فيها على اشياء أُخرى فاذا وطَّنت نفسها على الفوز في الحرب وجب ان تكون اقوى من خصيمتها بجيوشها وبوارجها وكذلك اذا وطَّنت نفسها على الفوز في حروب السلم وجب ان تكون اقوى من غيرها في مدارسها وادارتها العلميَّة وكل ما يزيد القوى العقلية

لقد خسرت صناعتنا وتجارتنا في المناظرة الحاضرة

ان حالة الامَّة من حيث صناعتها وتجارتها معروفة جيدًا لدى وزرائنا كما هي معروفة عندكم وعندي وحسبي ان اشير الى ما جاء في خطبتين الواحدة للورد روزبري والاخرى للمستر تشمبرلين. قال لورد روزبري

"ان الحرب التي اخشاها هي الحرب التجارية التي أُثيرت علينا . وحينما التفت الى ما حولي لا يمكنني الاَّ وارى انهُ ان استطعنا ان ننبئ بشيء مما يحدث في القرن العشرين الذي دخلنا فيهِ فذلك الشيء هو المناظرة التجارية الشديدة بين الامم . فقد كنا اول امة في هذا العصر اكتشفت ان التجارة لازمة لحياة الامم ولذلك أُطلق علينا لقب " اصحاب المخازن " . اما الآن فصارت كل امة تود ان تكون من اصحاب المخازن . واذا امعنا النظر في احوال البعض من هذه الامم وفي مقدار استعدادهم وما فيهِ من الدربة رأينا انهُ يجب علينا ان لا نخاف بل ان ننطلق احقاءنا استعدادًا لما هو امامنا "

وقال المستر تشمبرلين " لا حاجة بي ان اقول شيئاً عن لزوم التربية العلمية . ولا ابالغ اذا قلت ان كيان هذه الامة كامة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجاريَّة او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعلهُ الآن في بداءة هذا القرن "

ويشار بهذا كلهِ الى صناعتنا وتجارتنا . وقد قصَّرنا لان التجارة لم تعد تتبع الرايات بل صارت تتبع العقول واصحاب معاملنا لا يهتمون بالحصول على ذوي العقول . ان احد المعامل الالمانية

التي تصنع المواد الكيماوية استخدم في السنوات الاخيرة اربع مئة عالم من الذين نالوا رتبة دكتور في العلم من اعلى مدارس المانيا الجامعة . وفي الولايات الاميركية المتحدة يُخطف التلامذة النابغون في المدارس الجامعة خطفاً حالما يتمون دروسهم لكي يُستخدموا في ادارة الاعمال الكبيرة حتى شاع ان الشباب شعار النجاح في المعامل الاميركية. والحقيقة ان المعامل الاميركية لا تفتش عن الشبان بل عن المتعلمين ولما كان المتعلمون العلوم الحديثة شباناً صارت تفتش عنهم لتوليهم ادارتها . فالذي يؤهلهم لذلك ليس صغر سنهم بل اتقان تعليمهم . اما نحن في البلاد الانكليزية فنفضل دافع الرسم على المتعلم ولا نزال نجري على الاساليب الاختبارية التقليدية القديمة ونفضلها على الاساليب العلمية الحديثة وسبب ذلك في الغالب جهل رؤساء المعامل

واني اقصر في ما يجب علي اذا لم اشر الى قصورنا الذي ذكره لورد روزبري والمستر تشمبرلين وخافا من عواقبهِ وابين انهُ ليس الامر الوحيد الذي يجب الالتفات اليهِ فان الشاغل الذي يشغل بالنا ليس مقتصراً على صنّاعنا بل هو شامل حياتنا كلها كامةً لان العلم يجب ان يُحصَّل لذاتهِ ولان حياة الامة سواء كانت من حيث صناعتها وتجارتها او من حيث سائر اغراضها وملابساتها تتوقف على شيوع الروح العلمية فيها

الحاجة الى مجمع يدير نظام العلم

ان الانتباه الحاضر الى حاجات الامة نتج اكثرهُ عن تحريض رجال العلم . ولكن الصورة التي صوَّر بها المستر بلفور حالة التعليم عندنا في خطبتهِ التي تلاها في منشستر تدل على ان كل تحريض رجال العلم منذ خمسين سنة الى الآن لم يكن كافياً . ثم اذا ثبت ما قلتهُ من ان سائر اداراتنا تحتاج الى الاصلاح كما تحتاج اليهِ ادارتنا العلمية واذا شاء رجال العلم ان يقوموا بما يجب على ابناء الوطن نحو وطنهم ويهتموا باصلاح شؤُونهِ وجب علينا ان نبحث عن سبب الاغضاء عن تحريض رجال العلم في الماضي لئلا يكون ناتجاً عن الصورة التي جاء التحريض فيها

لما خطب لورد روزبري امام غرفة التجارة الخطبة التي اقتبست منها العبارة المذكورة آنفاً قال ان الجماعات التي مثل اعضاء تلك الغرفة لا تفعل ما ينتظر منها . ولكن ان كان التجار يلامون لانهم لا يستعملون كل القوة التي يخولهم اياها نظامهم فكيف يكون شأننا نحن رجال العلوم وليس لنا اقل انتظام

وفي رأيي ان هذا هو السبب الحقيقي الذي يضعف رجال العلم ولا يجعل لهم صوتاً تسمعهُ الامة او تبالي بهِ الحكومة . والآن ان طلب احد منا شيئاً فانما يطلبهُ من تلقاء نفسهِ

منفرداً لان ليس للعلم عندنا صوت عام في اكثر مسائل الامَّة وليس في البلاد جماعة منتظمة تتكلم بلسان اهل العلم

وقد فكَّرت في هذا الموضوع مدة سنين كثيرة فوجدت انهُ يجب ان نصرف همنا الاول الى تنظيم جماعة من رجال العلم المهتمين بشؤونهِ مثل الجماعات التي تهتم بسائر الاعمال . وحدثت في السنوات الاخيرة بتأليف مجلس مثل مجالس التجارة او عزوة او عصبة يكون اعضاؤُها كثاراً جداً فقوم بما احسبهُ لازماً لنا اشد اللزوم . ومنذ عهد قريب اخذت اضع نظاماً لهذا المجلس او هذه العصبة فوجدت انني سُبقت الى ذلك والذي سبقني هو منشئ مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قلت في اول خطبتي ان من اول اغراض منشىء هذا المجمع "تعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم"

ويمكن ان يُهنأ كل من انضم الى هذا المجمع من اول انشائهِ الى الآن بان المجمع قام بكل الاغراض الاخرى التي انشئ لاجلها خير قيام . ولكنني ارى ان الغرض الذي اشرت اليهِ آنفاً قد أُهمل تمام الاهمال واني اقول ذلك بناء على ما اختبرتهُ بنفسي مدة اربعين سنة عرفت فيها احوال هذا المجمع

ويظهر من تاريخ المجمع في اول نشأتهِ ان الغرض الذي اشرت اليهِ كان لهُ شأن كبير في اذهان مؤسسيهِ . ومهما يكن من ذلك فاني أُبين لكم كيف ان المجمع موافق للتأثير في الجمهور والجمهور يؤثر في الحكومة اذا كانت تنقاد اليهِ وذلك اولاً ان موضوعهُ غير مقتصر على فرع واحد او فروع محدودة من العلم . ثانياً ان عدد اعضائهِ كثير جداً يشمل قادة العلم ومحبيهِ على تنوُّع فروعهِ ولذلك فاللجان التي تؤلف منهُ تكون قوية جداً . ثالثاً انهُ يعقد اجتماعاً كل سنة في الوقت الذي يسهل فيهِ الاجتماع والبحث على الناس والنشر على الجرائد . رابعاً يسهل عليهِ ترغيب الانصار وانتشار اللجان المحلية في اماكن مختلفة هنا وفي سائر بلدان السلطنة عبر البحار لان محل الاجتماع يتغير من سنة الى اخرى وليس محصوراً في هذه الجزائر

فعندنا اذاً مجلس علمي مستعد للنظر في كل المسائل العلمية التي تهم الامة وهو آلة فعَّالة في كل المجالس واللجان المعدة للبحث في المسائل المحلية التي تزيد اهميتها يوماً فيوماً

وافاض الخطيب في وصف مجمع ترقية العلوم البريطاني وما سيكون لهُ من الشأن الكبير اذا انضمت الجمعيات العلمية اليهِ حتى بلغ اعضاؤُهُ خمس مئة الف نفس واشتغل على مدار

السنة بدلاً من ان يشتغل اسبوعاً واحداً منها ويصدأ في بقيتها لقلة الشغل · واهتم بمصالح الامبراطورية الانكليزية علمية كانت او غير علمية · وانذر بسوء المصير اذا لم يفعل ذلك او لم ينشأ مجمع آخر يعمل هذا العمل . ويجب ان يكون اول اعماله انشاء المدارس الجامعة لتخريج الطلبة في العلوم العالية واستشهد بما قاله المستر تشمبرلين في شهر نوفمبر الماضي وهو

" لا يستطيع كل احد ان يتعلم العلوم العالية ولكن من الذين يتعلمون هذه العلوم ننتظر الرجال الذين يرفعون راية هذه البلاد في مناظرتنا التجارية والعلمية والمالية مع الامم الاخرى. ولا شيء اهمّ لنا الآن من سد الخلل الذي يفرق بيننا وبين مناظرينا الادنين في المانيا واميركا وكندا واستراليا حيث تنفق الحكومات على التعليم العالي اكثر مما ننفق نحن . واود ان ارى الزمن الذي لا يعطى فيه منصب لاحد في ادارة معمل او مصنع او بيت تجاري ما لم يُرِ الادلة الكافية على انهُ تأهل لذلك المنصب في مدرسة جامعة · ما هو قوام المملكة . قد تقولون ان قوامها اخلاق شعبها بنوع عام عقلهم وعزمهم وحزمهم ونحو ذلك من الاخلاق الفاضلة نعم ولكن هذا ليس كل ما تقوم بهِ الامم والممالك العظيمة ولا هو قوام عظمتها وانما قوام عظمتها رجالها العظام. هؤلاء يجب ان نعلمهم يجب ان نفتش عنهم ولو في اوطإ الدرجات لكي يرتقوا الى اعلاها فيحفظوا كيان امتنا . ولذلك لا تستغربوا اذا قلت لكم انهُ حان للحكومة ان تزيد اهتمامها بامر التعليم العالي وتزيد انفاقاً عليهِ "

وذكر بعد ذلك كلام المستر بلفور الذي اثبت فيهِ ان المدارس الانكليزية الجامعة لا تعلّم الآن العلوم التي تقتضيها احوال الزمان وانهُ لا بدَّ من اصلاحها حتى يحفظ بها شأن الامة الانكليزية كما تحفظ بلدانها بواسطة بوارجها. وعاد الخطيب الى تبيين ما في المدارس الانكليزية الجامعة من التقصير وقال ان عندنا ١٣ مدرسة جامعة وعند اهالي الولايات المتحدة الاميركية ١٣٤ مدرسة جامعة . وعند الالمانيين ٣٢ مدرسة جامعة تنفق عليها الحكومة الالمانية وهي تنفق على مدرسة واحدة من هذه المدارس اكثر مما تنفق الحكومة الانكليزية على كل مدارسها الجامعة والكلية في انكلترا وارلندا واسكتلندا وويلس . ولم ينفق الشعب الانكليزي على مدارسهِ الكلية منذ ستين سنة الى الآن اكثر من اربعة ملايين جنيه مليونين منها على انشاء المدارس ومليونين ينفق ريعها السنوي على التعليم فيها . اما الشعب الاميركي فانفق في غضون السنوات الاخيرة على المدارس الكلية والجامعة اربعين مليون جنيه وقد انفق سبعة ملايين من الجنيهات بين سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وانفقت حكومة المانيا على بناء مدرسة ستراسبرج وحدها مليون جنيه وذلك يزيد عما

انفقهُ الشعب الانكليزي على بناء المدارس في منشستر ولفربول وبرمنهام وبرستل ونيوكسل وشفيلد · وكل ما تنفقهُ الحكومة الانكليزية سنويًّا على مدارسها الكلية والجامعة يبلغ ١٥٥٦٠٠ جنيه فقط واما الحكومة الالمانية فتنفق على مدرسة برلين وحدها نحو ١٧٠٠٠٠ في السنة

وبعد ان افاض في هذا الموضوع بيَّن ان الحكومة الانكليزيَّة تنفق ١٣ مليون جنيه في السنة على التعليم الابتدائي ولكنها لا تنفق شيئًا يذكر على التعليم العالي مع انها انفقت على بوارجها ١٢٠ مليون جنيه ولا تزال تنفق الملايين الكثيرة عليها · ثم قال ان انكلترا دون اميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا في عدد مدارسها الجامعة واقتصر على مضاهاة انكلترا بالمانيا المناظرة الكبرى لها الآن في التجارة فقال انهُ يجب ان ينشأ في البلاد الانكليزية ثماني مدارس جامعة جديدة لكي تصير نسبتها فيها مثل نسبتها في المانيا وانهُ يجب على الحكومة ان تنفق على انشاء هذه المدارس ثمانية ملايين من الجنيهات وتساعد كل مدرسة منها بخمسين الف جنيه سنويًّا اي تساعدها كلها باربع مئة الف جنيه في السنة على الاقل

ثم قال ان مدرسة اكسفرد وحدها تحتاج الى ثلاثة ملايين من الجنيهات لكي تصير مثل المدارس الجامعة المناظرة لها . ولا تستكثر هذه المبالغ ولا اضعافها على الامَّة الانكليزية التي قدّرت ثروتها منذ عامين بستة عشر الف مليون جنيه ولا عجب اذا استخدمت ملايين قليلة منها لحفظ باقيها وانمائها · والدولة التي تنفق ١٢٠ مليون جنيه على بناء بوارجها الحربيَّة لا يكثر عليها ان تنفق ثمانية ملايين جنيه على بناء ثماني مدارس جامعة . ثم ان النفقات السنوية ليست شيئًا بالنسبة الى ما تنفقهُ الدول المناظرة لانكلترا على مدارسها الجامعة فان فرنسا تنفق على مدرسة باريس الجامعة وحدها ٢٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

وعاد بعد هذا البيان الى فائدة المدارس الجامعة وما يقوم فيها من البحث العلمي واستطرد الى لزوم مجلس علمي عمومي يهتم بمصالح الامَّة كلها وتعتمد عليهِ الحكومة في حل المشاكل التي يقتضي حلُّها بحثًا علميًّا . وقال في الختام ان المصاعب التي تحول دون اتمام هذه الاغراض يسهل التغلب عليها كلها باليد القوية والمال الكثير

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية هذه الخطبة بالاطراء ونشرتها جريدة التيمس برمتها وانشأت عليها مقالة افتتاحية عقَّبت فيها على الخطيب لانهُ علَّق النجاح كلهُ على التربية العلمية ولم يعلق منهُ شيئًا على التربية الصحيَّة والادبية لكنها اطنبت في مدح خطبتهِ وقالت انها محكمة الادلة وان اجتماع هذا المجمع في سوثبورت سيذكر بها مدى الايام وان الحكومة لابدَّ من ان تهتم بما جاء فيها وتفعل بعضهُ ان لم تستطع فعلهُ كلهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

بيان

انتقد "احد القراء" في العدد السابق قولي في قصيدتي التي عنوانها "مصرع ملك" عن الملكة دراجا انها كانت خادماً وانهُ نما في البلاد السربية حزب أنوف لم يشأْ ان يسوّد الخدماء فقال ان مدام دراجا لم تكن خادماً بل كانت عند ام الملك اسكندر وهي ملكة السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيهِ لما كان ملك السرب. وجوابي على ذلك انها كانت وصيفة من وصائف أمهِ كما ذكر ذلك المقتطف في الصفحة ٥٤١ ولا يخفى ان المراد من ذلك انها كانت في جملة الحاشية والاستخدام لفظة ينطوي تحتها هذا المعنى لانها تعمّ كل موظف ومن خدم شخصاً فقد عمل لهُ كما في القاموس. ثم قال حضرة المنتقد ان نسب الملك اسكندر ليس ارفع من نسب الملكة دراجا وان الحزب الذي اغتالها لم ينقم عليها لان نسبها احط من نسب زوجها. والجواب عليهِ ما ورد في الصفحة ٥٣٨ من المقتطف اذ جاء فيهِ "ان الملك اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبهِ في استعمال حقوقهِ الشخصية كاقترانهِ بامرأة عاقر من بيت وضيع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فتغيرت بذلك قلوب رعيتهِ"

أفلا يرى قارئهُ هذه الفقرة ان الحزب الذي اغتالها نقم عليها لانها ذات نسب وضيع على اني لم اجعل في قصيدتي ذلك السبب هو الوحيد الذي اوجب تلك النقمة بل شفعتهُ ببعض الاسباب الاخرى التي منها ان تلك الملكة ارادت ان يرث اخوها تاج الملك من غير حق لهُ في الارث كما يتبين ذلك في قولي

ثم قامت تريد أن تهب التاج أخاها تحكماً واعتداء

وان الملك استضعف شعبهُ واستبدّ برعيتهِ فتباعدت القلوب عنهُ ونفر ذلك الحزب وغيرهُ منهُ ولذلك

قال هبُّوا بنا فقد آن ان يضعـ ـف ملكٌ يظنكم ضعفاء
علموا المستبدَّ أن الرعايا تحسب الناس والملوك سواء

ومن الجلي ان في هذين البيتين اشارة الى ان ذلك الملك نكث العهد وحنث بيمينهِ التي حلفها لشعبهِ فأوقف الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى وطرهُ ثم اعادهُ والخلاصة ان الخادم هنا بمعنى الوصيفة وان في جملة اسباب نفور الشعب من الملكة نسبها الوضيع ولم يبالِ الشعب بان جدَّ الملك اسكندر كان مقتني خنازير بل هو عرف ملكهُ ملكاً وعرف والدهُ قبلهُ فلا يريد ان يذكر الآن جدهُ قره جورج الذي كان من عامة الناس . والملك اسكندر لو عصى هواهُ واطاع شعبهُ فلم يتزوج بوصيفة امهِ لما اصابتهما تلك النكبة

القاهرة نقولا رزق الله

الحق والخلق

(زاد حضرة منصور افندي الشريف على سؤالهِ عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق المدرج في مقتطف اغسطس الماضي ما يأتي)

وهل كل ما لهُ صورة فهو محدود وكل محدود فهو حادث وكل حادث فلا بدَّ لهُ من اصل حدث منهُ وكل حادث فهو فانٍ وكل فانٍ فانما يفنى بصورتهِ ويرجع بذاتهِ الى اصلهِ كالنبات والحيوان فان كان لاصلهِ صورة فهو فرع لاصل واصل لفرع كالتراب فهو فرع للماء قد تكوَّن من زبدهِ كما تكوَّنت الزبدة من اللبن وكالماء تكوَّن من المياه وكلاهما اصل للنبات والحيوان كذلك المياه فرع منبث باجزائهِ الفردية من صورة النور الاول وهي اصل لصور الارواح ومراتب الاشباح وفرع منبسط من اصل ليس لهُ في نفسهِ صورة وهو غير محدود وهو الروح الكلية وهو الوجود المطلق وهو الحياة فحياتهُ عين روحهِ وروحهُ عين ذاتهِ وهو نور فلا يخبو ولطيف فلا يتكدر وأحد فلا يتجزأُ فهو واجب الوجود لذاتهِ وقيُّوم بها وهو اصل الاصول تصدر عنهُ الحوادث بالانبساط فلا تنقص ذاتهُ وترجع اليهِ بالانقباض فلا تزيد

(ثم قال) : وقد طرحتهُ بالجرائد والمجلات العلمية لعل بصيراً من العلماء يتفضل بالاجابة فتظهر بالدليل الصحيح والقول الرجيح وانتظرتها بضع شهور فلم تحصل واختلف الناس فيهِ فمنهم من فهمهُ جواباً في سؤال واكتفى بهِ بياناً للحقيقة بالاجمال ومنهم من فهمهُ كذلك ولكنهُ طلب التفصيل تقريراً للحق وارشاداً للخلق ومنهم من لم يفهم منهُ شيئاً فكفَّ عن الطلب وليس اختلاف الفهوم باختلاف المفهوم وانما هو بتفاوت الاستعداد

ففهم الشريعة الربانية فهم لاصلها وفرعها فاصلها العلم بوجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق وفرعها العلم بالعبادات والمعاملات ففهم الفرع فيهِ العال والوسط والدون وكل نوع على درجات شتى لا تخرج عنهُ وفهم الاصل ليس فيهِ وسط وانما هو دائر بين تحقيق لنبي وولي وتقليد لمجتهد وطالب وخابط فاذا اوتي المقلد فهماً ذكياً وهدًى ربانياً خرج من التقليد الى التحقيق كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا يشمل الهدى الأ من كان ذكياً ولا يستقل الذكي بالبحث عن الاصل فان استقل ضل فلا يصل الى التحقيق ولا يرضى بالرجوع الى التقليد فيسمي نفسهُ متنوراً وليس هو من النور في شيء بل حاد عن سبيل الرشاد (ومن يضلل الله فما لهُ من هاد)

فاذا تقرر عندك ايها السائل ما تقدم فاعلم ان الجواب التفصيلي لذلك هو الرسالة الخامسة في الحق والخلق من جملة رسائلي الاثني عشرة المطبوعة والمتداولة في ارشاد الافكار الى طريق الابرار فاطلبهُ من محلاته وادخل فيهِ بصيراً تغنم وتحقق بهِ تسلم

المعتمد على ربه

منصور الشريف

أفيد كتاب في التربية

للفيلسوف الكبير هربرت سبنسر الانكليزي

أُبشر قراء العربية في جميع البلاد بانني عربت هذا الكتاب النفيس الذي لم ينشر مثلهُ بين الناطقين بالضاد ويكفي للدلالة على فائدتهِ القول بانهُ مترجم الى جميع لغات المتمدنين . والكتاب مقسوم الى اربعة فصول . الفصل الاول يبحث في اي العلوم انفع للانسان . والثاني في التربية العقليَّة . والثالث في التربية الادبيَّة . والرابع في التربية الجسميَّة . وسأشرع في طبعهِ حالاً لكي انشرهُ قبل نهاية سنة ١٩٠٣ وقد اذن لي بترجمتهِ ونشرهِ في مصر وسوريا مؤلفهُ كبير فلاسفة هذا العصر بحر العلوم الزاخر هربرت سبنسر واصبحت صاحب الحق الوحيد في ذلك بناء على اتفاق خصوصي . وفقنا الله الى ما فيهِ خير الاوطان ونشر العلوم والعرفان

مصر في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٣ نجيب شقرا المحامي

صاحب مجلة الاستقلال

ردٌّ على رد

اطلعتُ على الرد الطويل المبوَّب الذي اتحفنا بهِ حضرة صاحب "منزلة الشعر من التاريخ" فاسفت لانني فتحت باب هذه المناظرة فادَّت الى ما كنت اودُّ الهرب منهُ لضيق الوقت وكثرة المهام

ولا يخفى ان الاشعار التي استشهد بها صاحب منزلة الشعر قيلت كلها او اكثرها في نحو قرن واحد او اقل من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع للميلاد اي بعد ان انقضى عمران بابل واشور وفينيقية ومصر وحميَر واليونان وكاد ينقضي عمران الرومان. او بعد ان نشأ العمران واستفحل حول العرب شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في كل الجهات المسكونة وكان يجب ان يرشح اليهم شيء كثير منهُ لانهم كانوا اصحاب تجارة وقوافل منذ امد بعيد . ولذلك لا ينوَّه بقدرهم الَّا اذا وُجد عندهم كثير من مقوّمات الحضارة التي انتشر رواقها حول جزيرتهم مدة ثلاثة آلاف سنة قبل ان قام الشعراء الذين استشهد باشعارهم . فاذا بحث باحث في تاريخهم من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع واثبت من اشعارهم انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء والتيجان والاساور والدمالج فهو بمثابة من يبحث في تاريخ العرب والشام في القرن الماضي ويثبت من اشعار سكانهما انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء الخ. فما يثبتهُ صحيح ولكنهُ ليس من المكتشفات التي يعنى بها كثيرًا . ولا ينكر ان الاستشهاد عليها بالشعر لا يخلو من الفائدة ولكنهُ ليس ممَّا يستحق عندنا هذا القدر من العناية اذا اردنا تقديم الأهم على المهم . واما اذا اكتفينا من الحاجيات جاز لنا الاشتغال بهذه الكماليات

ولقد استغربت اعتراض حضرة الكاتب على قولي ان العرب لا بدَّ وان يستعملوا النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والَّا فليسوا بشرًا والتجاءهُ الى الحدود المنطقيَّة في بحث تاريخي مدلولهُ ظاهر وهو شدَّة الاستغراب من عدم استعمال العرب للنقود . وقد عجب حضرتهُ ايضاً من قولي ان وزن النقود دليل ضعف العمران ولا غرابة فيهِ لان الامم التي رسخت في العمران قدمها بعد اكتشاف سك النقود وشيوعهِ صارت تعتني بنقودها حتى لا تعود محتاجة الى نقدها بالميزان . وقد بقي الناس يزنون المبالغ الكبيرة وزناً بعد اتقان سك النقود ولا يزالون يزنونها وزناً الى الآن لصعوبة عد الالوف الكثيرة منها ولكنك اذا دخلت اليوم مدينة من المدن ورأيت الناس يزنون كل جنيه يقبضونهُ استنتجت نتيجة من نتيجتين اما ان سطوة الحكومة ضعفت حتى كثرت النقود الزيوف او ان العمران لم يبلغ في تلك المدينة الحد الذي تستعمل فيهِ الآلات

الدقيقة لسك النقود فيضطر المتعاملون ان يضيعوا وقتهم في نقدها بالميزان درهماً درهماً . هذا ولقد قرأتُ فصولاً جليلة للمؤرخ المحقق جورجي افندي يني الطرابلسي ابان فيها بالدليل اللغوي القاطع ان العرب كانوا قُبَيل ان جُمِعت لغتهم وكُتِبت لا يزالون في العصر الحجري والنحاسي وبداءة العصر الحديدي اي ان عمرانهم الذاتي كان في اوائله كما كان عمران مصر قبل المسيح بالفي سنة لانهم كانوا يستعملون الفئران ويقدحون النار بضرب خشبة على اخرى ويشوون لحمهم على الرضف وكانت اكثر آنيتهم من الخشب فاشير على حضرة مناظري الاديب ان يطالع الفصول الثلاثة التي موضوعها العرب قبل التاريخ وهي مدرجة في المجلد الثالث عشر من المقتطف فيجد ان عمران العرب الذاتي لم يكن في المنزلة التي يريد ان يضعهُ فيها

باحث مستفيد

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التيفوس

يظن كثيرون ان التيفوس والتيفويد مرض واحد ولكن الامر ليس كذلك فان التيفويد مرض كثير الشيوع ولاسيما حول المدن واما التيفوس فليس كذلك . والتيفوس اقل مدةً من التيفويد ولكنهُ اكثر منها خطراً

والتيفويد تبتدئ رويداً رويداً ومدة الحضانة فيها عشرة ايام على الاقل . واما التيفوس فيبتدئ بسرعة وتؤخذ عدواهُ في يوم او يومين . ثم ان الحمى تدوم في التيفويد من ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر واما سير الحمى في التيفوس فاربعة عشر يوماً وبعدها إمَّا الشفاء واما الموت . ويظهر في التيفويد نقط قرنفلية اللون على البطن والصدر في اليوم السابع . واما في التيفوس فتظهر مجاميع نقط حمراء توتيَّة اللون على الاطراف والصدر في اليوم الرابع الى الثامن ولا يكون في الامعاء تقرُّح

والتيفوس والتيفويد مرضان مختلفان ولا اطيل الشرح في الكلام على التيفوس لانني لم اشاهد احدًا مريضًا بهِ مدة عشر سنوات مرَّضت فيها المرضى . وعلمت من سيدي الوالد انهُ لم يرَ في حياتهِ كلها الَّا عددًا قليلًا جدًّا من المصابين بهِ

البرداء او الحمَّى الملاريَّة

لا حاجة بي الى وصف البرداء لانها اشهر كل الحميات واكثرها شيوعًا وكل احد يعلم الآن انها تكثر حيث تكثر المستنقعات ونوع من البعوض عُلم حديثًا انهُ ينقل سمها من المصاب الى السليم

وعلى الممرضة ان تراقب المصاب لترى هل تأتيهِ الحمَّى كل ليلة او كل ليلة ثانية او ثالثة او رابعة · واحيانًا تكون الحمَّى خفيفة تطول مدتها نحو اسبوع وتشبه التيفويد ولكن سيرها ليس كسير التيفويد ولا علتها في الامعاء مثل علتهِ بل في الدم ومتى دخل السم في البدن عسر اخراجهُ منهُ حتى ان بعض الاوربيين الذين اصيبوا بالحمَّى في البلاد الافريقية الملاريَّة لازمتهم الحمَّى سنين كثيرة بعد عودتهم الى بلادهم

واقول قبل الختام انهُ يجب على الممرضة ان لا تمنع المحموم من شرب الماء البارد مهما كان نوع الحمَّى ولا تمنع وضع الماء البارد على رأسهِ وقت اشتداد الحمَّى عليهِ

الفصل الخامس

في الروماتزم

الروماتزم او داء المفاصل يقسم عادةً الى حادٍ ومزمن عضلي ومفصلي . وقد يكون وراثيًّا او مكتسبًا . وهو يحدث من رطوبة الفراش والبيت والبلد

والروماتزم الحاد هو حمَّى روماتزمية فيعتري المصاب حمَّى شديدة وألم شديد ويبس في كل مفاصلهِ كركبتيهِ وعقبيهِ ومرفقيهِ ورسغيهِ وتلتهب هذه المفاصل وتصير لينة تحت اللمس . فترى الرجال الاشداء اصحاب الجلد الشديد يصرخون متألمين اذا تحركوا في فرشهم او لُمسوا . ولذلك لا بدَّ من بذل العناية في تمريضهم حتى يقل المهم على قدر الامكان . وهم في الغالب شديدو التهيُّج عسرو التدبير يصيبهم في الليل نوع من الهذيان . وكلما زاد المهم قلَّت حيلتهم وعسر على الممرضة تمريضهم

كم من مرة رأيت المصاب بهذا الداء يؤتى بهِ الى المستشفى محمولًا ووراءهُ امهُ او زوجتهُ ووجهها شاحب وهو يئنُّ متألمًا فتأتيهِ ممرضتان بشوشتا الوجه فتستلمانهِ باللطف والتؤدة وترفعانهِ

الى فراشهِ وتنزعان ثيابهُ الوسخة التي تفوح منها رائحة عرقهِ الحامض . وحموضة العرق من مزايا الروماتزم . ثم تغسلانهِ وتدهنان مفاصلهُ بدهان وتلفانها بلفائف من القطن وتربطانها ربطاً غير شديد فيتغير حال المريض ويشكر الممرضتين

ويتعذَّر عليَّ ان اصف بالقلم كيف يجب على الممرضة ان تعامل المصاب بالروماتزم حتى لا يتألم من تحريكهِ ولمسهِ لان ذلك لا يُعلم الاَّ بعد الممارسة الطويلة ولكن لا بأس بايراد الارشادات التالية وهي : —

يجب ان لا تُرفع يد المصاب بمسكها من الاعلى بل من الاسفل واذا أُريد رفع رجلهِ توضع يد تحت كعبها ويد تحت ركبتها ثم ترفع بهما. وتستريح الذراع بوضع وسادة لينة تحتها وتستريح الرجلان بوضع كيسين طويلين طول كلٍّ منهما ذراع وعرضهُ خمس اصابع يملآن رملاً ويوضعان على جانبي الساق لكي يمنعاها عن الحركة ويسنداها

ولا خوف من غسل المريض بالماء والصابون لان العرق الحامض الذي يعرقهُ كريه الرائحة يؤذيهِ ويقلقهُ .والممرضة التي اتَّبعت ارشادي وصارت تعلم كيف تغسل المصاب بالتيفويد لا يتعذَّر عليها تمريض المصاب بالروماتزم . ولا بدَّ من تدفئة المصاب بالروماتزم فتُلف مفاصلهُ بالقطن ويلبس الفلانلاً على بدنهِ ويغطى باحرمة من الصوف لانهُ يعرق كثيرًا والعرق لا يخفف المهُ ولا يزيل الحمى

وما دامت الحمى يكون طعامهُ من اللبن ومرق الفراخ او الليموناضة او ماء الشعير ومتى بلغ درجة النقه يطعم السمك والفراخ ولحم الضان شواء ويسقى قليلاً من الخمر الحمراء ولكن لا يطعم بيضاً ولا لحم بقر

والروماتزم المزمن ينتج عن الروماتزم الحاد اذا تكرَّر حدوثهُ مرارًا فانهُ يترك المفاصل وارمة والقلب في حالة مرضيَّة . وقد قلت سابقاً ان مرض القلب ينتج تورُّماً في الساقين والقدمين مع ارتشاح فيها فيكون ذلك من مضاعفات الروماتزم المزمن لانهُ يصيب المفاصل والجسم كلهُ . ويمسي العليل قليل الحيلة غير قادر على الحركة . ولا يستطيع الطبيب ان يفعل شيئاً غير اعطائهِ الدواء الذي يقلل المهُ لان شفاءهُ يصير ضرباً من المحال فلا يبقى الاَّ الاعتناء بهِ وتدفئتهُ بالصبر

اما الروماتزم المفصلي والعضلي فغاية ما يمكن ان يقال عنهما للممرضة ان الاول في المفاصل والثاني في العضلات فاذا كان في العضلات فليس فيهِ التهاب ظاهر ولكن يكون المهُ شديدًا وعميقاً ويصف الطبيب لهُ دهاناً عدا العلاجات الدوائية فيفرك بهِ براحة اليد لا بالاصابع

والحمَّام التركي ينفع في الروماتزم المزمن وهو ميسور جدًّا في هذه البلاد

ويتنقل الروماتزم كثيرًا لانهُ ينتقل من الركبة الواحدة الى الاخرى ومن الكتف الى المرفق ومن المرفق الى الكعب واذا كان في الظهر فعلى المصاب بهِ ان يقيم في فراشهِ لانهُ لا يعود يستطيع المشي

وخير الاقاليم للروماتزم الاقليم الحار الجاف فاذا استطاع الانسان المعرَّض لهُ ان يسكن في مكان حار جاف الهواء وجب ان يسكن فيهِ والاَّ فقد تتكرَّر عليهِ نوبات الروماتزم حتى يصير مزمنًا . ومما يفيد فيهِ المكمدات الحارَّة واللزق فانها تخفف الالم غالبًا ويفيد فيهِ ايضًا وضع قبضة من كربونات الصودا في ماء الحمَّام حينما يراد الاستحمام فيهِ

شكوى الامهات من تربية البنات

نقلاً عن مجلة المنار الاسلامي

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهنَّ في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهنَّ في مصر فكُتب اليهِ من بعضهنَّ الشكوى في إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهنَّ لا يحفلنَ بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترفهات . ولم تصادف هذه الشكوى اقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن انفسهنَّ وقد توالى الحث عليهنَّ من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءهُ رسالتان من بلدين قال انهُ لم يرد منهما شكاوى من الامهات احداهما بامضاء " ابنة قبطية " والثانية بامضاء " ابنة شاكرة " وفحوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منهُ الامهات عليهنَّ وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بان التعليم لا يغني عن التربية شيئًا وان كان في نفسهِ نافعًا

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات . ويحرك سواكن همم البنات . ونظن انهُ اذا نثلت الكنائن . وبعثرت الدفائن . وفار في الجدل التنور . وحصل ما في الصدور . فانهُ لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الاَّ ان تفتخر بنت بأنها اصلحت من بيت ابيها ما كان فاسدًا . ونظمت ما كان مختلاً او تفتخر ام بان بنتها كذلك . وسواء كتب هذا او بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات وعلى كون الذنب في ذلك على الآباء والامهات . فان الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بان اكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط . والسوريات لهنَّ اخلاق ووراثية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت هجرتهنَّ الى مصر من زمن بعيد وتربي بناتهنَّ في مصر وتعلمن فيها

واما نساء القبط وبناتهنّ فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقنهنّ في بعضها . ومسافة الخلف في المتعلمات من الطائفتين اوسع فان القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس الرجال في زينتهنّ كنساء الافرنج بلا فرق فلا بد ان يكون لذلك اثر في سيرتهنّ لا يعرف في المسلمات اللواتي هنّ اكثر اهل البلاد

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد التعليم فان من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهنّ من تعلمت في مدارس الجزويت او الفرير ومنهنّ من تعلمت في مدارس البروتستانات الامريكان او غيرهم ومنهنّ من تعلمت في المدارس الاهلية الاسلامية او القبطية . ولكل نوع من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خلفاً كبيرًا في الاخلاق والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير البيوت في البنات . الامة هنالك واحدة وللمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد فاذا شكا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهنّ فلك ان تعتبر شكواهنّ ميزانًا للتربية في الامة وان تقول ان ما يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهنّ فاذا رأيت الشكوى من جميع الطبقات فلك ان تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنتهُ الشكوى حتى اذا استثني بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع افراد الامم والشذوذ فيها مطّرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هنّ قرة عين لامهاتهنّ ام لا فلا بدَّ لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين . والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبر ان تعلُّم البنات في مصر سطحي كما يقولون وانهُ عندهنّ ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلهنّ عن مساعدة امهاتهنّ على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهنّ من تعتقد انها ارفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهنّ فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهنّ مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكنّ ممتازات بمعرفة ما لا يعرفهُ سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في بدع الزينة . ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج . والاسباب الصحيحة للمسرة والابتهاج

واما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يعسر على اصحابها موافاة رغباتهنّ الجديدة التي احدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقصير البنات في مساعدتهن

على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهنَّ يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدينهُ الا لمن يسهل عليهنَّ اطلاعه على عيوبهنَّ . ووقوفهِ على مساويهنَّ

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر بهِ الكاتبتان صاحبتا الرسالتين في المقطم بان الذنب على الوالدين لا على البنات فانهما يعلمان بناتهما الا انهما لا يربيانهنَّ وحسن الحال في المعيشة وكل اعمال الحياة يتوقف على التربية اكثر من توقفهِ على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي اكثرهُ فيما لا عمل فيهِ . اذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل وبالتربية تكوَّن الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي بهِ العلم ويظهر وجه المصلحة فيهِ فمن لا تربية لهُ لا ينفعهُ علمهُ الذي تعلمهُ في مدرسة العلم ولا علمهُ الذي تعلمهُ في مدرسة الوجود لان العلم عندهُ يكون صورًا خيالية تلوح في ذهنهِ ثم تغيب

واقول ان هذا العذر على صحتهِ لم يصب موقعهُ من تبرئة البنات المتعلمات لان القصد من تعليمهنَّ اصلاح البيوت التي افسدها جهل امهاتهنَّ فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ويزيدها اعراضًا عن العمل ويبغض اليها عادات اهلها وقومها نافعة كانت او ضارة ويحبب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان اعجز الوصول اليهما اباها وأمها — فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل . وبلاء نازل . وان تركهُ واجب . ومقاومتهُ ضربة لازب

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلمات وسوء حال غير المتعلمات هو — كما قيل — سوء التربية العامة او ترك التربية الصحيحة النافعة . ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة . وفتك العادات الرديئة . اقل تأثيرًا في نفس المتعلمة منهُ في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليهِ الناس بغير ما يحكم بهِ الجاهل فيميز بين الضار والنافع والصالح والفاسد . أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو افضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف وساوتها في ضعف الارادة والخضوع لسلطان العادة . أليس من المعقول ان يتنازع ما بهِ الامتياز وما بهِ التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيهِ مبدأ دخول الاصلاح المطلوب .

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد بهِ الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على اكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان اخلاق الناس في كل بلاد نعرفها أرقى من اخلاق اهل هذه البلاد كما ان عاداتهم امثل من عاداتهم . على ان التعليم هنا اكثر انتشارًا منهُ في تلك البلاد التي

نعنيها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون بهِ . واعجب من هذا ان اكثر الفساد لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتغلل في احشائها الاَّ بالمتعلمين فكأنهم لم يتعلموا لاجل العمل الاَّ شرب الخمور ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة حاشا نفرًا يعدون على الانامل هم الذين افادهم العلم وحدهم من الوف المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية — سواء كانت للحكومة او للاجانب او للاهلين — لم يقصد بهِ الى اصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء اعزاء. فان مثل هذا القصد لا يأتي الاَّ ممن يغارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزهم بعزها . ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك . والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك . ومنشئو المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيءٌ يعرفهُ كل اهل البصيرة في مصر وربما نشرحهُ في مقالة اخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انهُ لم يقصد بهِ اصلاحهنَّ ولا اعدادهنَّ لاصلاح بيوتهنَّ فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامهُ بايديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوَّام عليها (والمدارس الاهليَّة مقلدة لهذه المدارس تقليد أعمى أصم) وانما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم والتزيي بازياء نسائهم . واستحسان عادات قومهم وتعظيم شؤُونهم ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طعمة لهم . ومن تراهُ انتفع بتعليمهم من ذكرواتني وصلح حالهُ فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي امام ذلك ووراءهُ

والنتيجة انهُ لا يرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح بهِ شأننا وترتقي بهِ امتنا الاَّ اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا اكثر مما وفق المسلمون . فاذا نهضت بهؤلاء الهمة الى انشاء مدرسة كلية تناط ادارتها برجال الجمعية الخيريَّة الذين اثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل . والخير الآجل . والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون لهُ الاَّ بعد فوت الفرصة. ووقوع الغصة والامر لله العلي الكبير

[المقتطف] لقد احسن حضرة صاحب المنار في قولهِ ان العقل المهذب المنوَّر يقوى اخيرًا ويكون من وراء ذلك الاصلاح المطلوب ولكنهُ اخطأَ على ما نعلم في قولهِ " ان العلم الذي يُعلَّم في المدارس المصرية لم يقصد بهِ الى اصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء اعزاء " لان نظار المدارس ومعلميها يشغفون بالتعليم والتهذيب شغفًا حتى يتفانوا

في تعليم التلامذة وتهذيبهم كما يشغف كل عامل بعمله وهذا نعلمهُ بالخُبر مدة تعلمنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائرة جدًّا ولو اختبر اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل النظار وكل المدرّسين ولكنهُ شامل لاكثرهم . ولا شبهة عندنا ان اثر المدارس المصرية وطنيَّة كانت او اجنبيَّة حسن جدًّا وانهُ لم يظهر حتى الآن ظهورًا باهرًا لانها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولان النجاح لا يظهر جليًّا لمن يراقبهُ عن قرب ويرى تدرُّجهُ البطيء ولكن لو قابل حضرتهُ حال هذه البلاد العلمية والادبيَّة الآن بحالها منذ عشرين سنة لرأى بين الحالين بونًا شاسعًا ورآها الآن ارقى مما كانت كثيرًا وسيزيد هذا الارتقاء في العشرين سنة التالية اضعاف ما زاد في العشرين سنة الماضية

نزع آثار الحامض عن الثياب

اذا اصاب حامضٌ ثوبًا فازال لونهُ او غيَّرهُ صبَّ عليهِ قليلاً من ماء النشادر حتى يتعدَّل فعل الحامض بهِ ثم ادهنهُ بقليل من الكلوروفورم فيعود اليهِ لونهُ الاصلي . ويصدق ذلك على كل الحوامض الاَّ الحامض النيتريك اي ماء الفضة فانهُ يتلف النسيج غالبًا وقلما يزول لونهُ عنهُ

وإذا كان النسيج ملونًا لونًا لطيفًا جدًّا واصابهُ حامض فاجبل قليلاً من الطباشير النقي بالماء وضعهُ على مكان الحامض ثم فتَّهُ عنهُ بعد ما يجف

تنظيف الالبستر

اذا اتَّسخت آنية الالبستر تنظَّف بالبنزول او بزيت التربنتينا او توضع في لبن الجير مدةً ثم تغسل بالماء النقي وتجفَّف وتمسح بالطباشير الناعم . او تغسل بالماء والصابون مع قليل من الصودا او الامونيا

صابون لنزع الدهن

امزج اوقية من الصابون اللين باوقيَّة من تراب القصار في هاون حتى يمتزجا جيدًا واصنع قرصًا من ذلك لنزع الدهن ونحوهِ عن الثياب وكيفيَّة نزعهِ ان تبلَّ لطخنهُ بالماء وتفرك هذا الصابون عليها حتى يلصق بها كثير منهُ وتدعها حتى تجف ثم تمسحها بالماء السخن وتنظفها بالماء حتى تنظف

او امزج ثماني اواقي من الصابون باوقية من زيت التربنتينا واوقية من مرارة الثور واصنع من ذلك قرصا لنزع آثار الدهن والزيت عن الثياب

مدارس جديدة للبنات

عزمت نظارة المعارف العمومية على فتح مدرسة عالية لتعليم البنات في بولاق هذا العام . وعزم حضرات المرسلين الاميركيين على فتح مدرسة كلية داخلية لتعليم البنات العلوم العالية وابتاعوا لها ارضاً فسيحة في ملك الكونت سكاكيني باشا تبلغ مساحتها ١٤ الف متر وانفذوا حضرة مس كايل رئيسة مدرسة البنات الاميركية في هذه العاصمة لجمعت الاموال الطائلة لبناء تلك المدرسة وينتظر ان يشرعوا في بنائها قريباً

وقد اتمَّ حضرة القس ناصر عوده رئيس المدارس الانكليزية في هذه العاصمة بناء مدرسة داخلية جديدة للبنات في قصر الدوباره تسع ٢٤ سريراً للتلميذات اللواتي ينمن فيها وتسع نحو ١٥٠ تلميذة داخلية وخارجية وهي مدرسة حسنة الموقع متقنة الهندسة لطيفة الترتيب مستوفية الشروط الصحية والتنظيمات المدرسية وقد جاءها بثلاث مدرسات انكليزيات من اللواتي درسن السنين الطوال في بلادهن وحزنَ الشهادات باتقان صناعة التدريس وجاءها بمدرسة عربية اختبرت صناعة التدريس زماناً طويلاً في بيروت وفلسطين

وفتحت حضرة رئيسة المدرسة الانكليزية في حلوان مدرسة داخلية للبنات اللواتي يشأن ان يدرسنَ ويأكلنَ وينمنَ فيها وعزمت على توسيعها تدريجاً

فهذه اربع مدارس عالية للبنات ثلاث منها تفتح الآن والرابعة بعد برهة من الزمان . وما دام المتسابقون قد نزلوا الى هذا الميدان فتعليم البنات سينتشر ويمتد حتى يعمَّ كل طبقات الاهالي في هذا القطر

تنظيف العاج والعظم

اذا اصفرَّت ادوات العاج والعظم فتنظف وتبيض بوضعها في اناء زجاجي فيهِ روح التربنتينا . توضع فيهِ على شبكة من الزنك حتى تبقى عالية عن قعره نحو نصف عقدة ويوضع الاناء في الشمس ثلاثة ايام او اربعة فتنظف وتبيض

واذا كانت ادوات العاج والعظم كبيرة او تعذر وضعها في روح التربنتينا فاجبل الطباشير وادهنها بهِ بفرشاة ومتى جف عليها فاغسلها منهُ بفرشاة وكثير من الماء واتركها حتى تجف ثم امسحها بنقطتين من السبيرتو

او اذب ملعقة صغيرة من الحامض الاكساليك بستين درهماً من الماء وامسح العاج بالماء ثم بهذا المذوب ونشفهُ حالاً بخرقة امام النار

ويقصر العاج بوضعهِ مدة قصيرة في ماء فيهِ قليل من الحامض الكبريتيك او الكلور

نزع آثار الدم

اذا غرزت ابرة في اصبع الخيَّاطة عرضاً وكان في يدها شيء ابيض تخيطهُ فقد يتلطخ بالدم ويخسر من ثمنهِ ويمكن ان يزال اثر الدم عنهُ بدهنهِ بالنشا المبلول وبقاء طبقة من النشا عليهِ مدة ثم تنزع فيزول اثر الدم معها

وتزول آثار الدم ايضاً بمذوب كربونات الصودا او كربونات البوتاسا ثم بالغسل بماء الشب الابيض

نزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منهُ

تنزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منهُ بالغسل بالسبيرتو القوي او بالغسل بمسحوق القصارة ثم بالسبيرتو

نزع آثار القلويات

اذا اصابت القلويَّات الثياب فلطختها تزال آثارها عنها بحامض الليمون والماء لان الحامض يعدّلها



THE PUPIL'S GRAMMAR.

By M. Obeid & M. Rakha.

يسرُّنا من ابناء هذا القطر اقبالهم على تعلُّم اللغة الانكليزية واجتهادهم في مجاراة ابنائها بتأليف الكتب العلمية فيها فقد رأَينا لهم كتباً حسنة في الجغرافية وهذا كتاب حسن في قواعد اللغة. والظاهر ان اساتذتهم الانكليز يرغبونهم في تطبيق هذه الكتب على احوال البلاد فبدلاً من ان يكون كتاب الجغرافية مسهباً في الكلام على انكلترا او فرنسا وموجزاً جدًّا في الكلام على القطر المصري يؤلفون كتاباً مسهباً في الكلام على القطر المصري . اما كتب قواعد اللغة فلا يكون فيها هذا الفرق ولكن يمكن تقريبها من اذهان الطلبة المصريين بجعل امثلتها مما الفوا سماعهُ او ما من حفظهِ فائدة لهم بنوع خاص وبتحذيرهم بنوع خاص من الخطإ الذي يقعون فيهِ لاعتيادهم اللغة العربية واساليبها. وقد اهتمَّ مؤلفا هذا الكتاب بالارشاد

الى ما يتعرّض لهُ الطلبة المصريون من الخطإ وجمعا ذلك في خمس عشرة قاعدة الحقاها بالكتاب فجاء وافياً بالغرض المقصود منهُ

ومن الامثلة المشار اليها آنفاً ما ترجمتهُ " بنى القاهرة جوهر القائد . تغلب المسلمون على الاسبانيين في القرن السابع . يُصنَع الصابون في كفر الزيات وينقَّى السكَّر في الحوامدية . قهر محمد اليهود في واقعة خيبر . بنيت مدرسة في الخرطوم تذكاراً للجنرال غوردون "

ومن امثلة ما يكثر الغلط فيهِ ذكر الضمير عائداً الى اسم الموصول اذا كان مفعولاً بهِ كقولك This is the man whom I met. فان الغالب على ابناء العربية ان يلحقوا الفعل بالضمير العائد الى اسم الموصول ومنها ذكر ضمير الجر بعد من التفضيلة ويجب ان يكون ضمير الرفع في الانكليزية

وقد احسنا في طبع هذا الكتاب بحرف كبير واضح لان الحروف الدقيقة تتعب نظر غريب اللغة تعباً شديداً فنثني على همتهما ونتمنى لكتابهما الرواج التام

السودان

السودان اسم جريدة انشأناها في مدينة الخرطوم ونطنا تحريرها بالعالم الاديب والكاتب المجيد خليل افندي ثابت وقد صدر العدد الاول منها الآن حافلاً باخبار تلك البلاد وما يهمُّ اهلها الوقوف عليهِ بعد ديباجة مسهبة بُسطت فيها اغراض الجريدة وسياستها . وفي هذا العدد اخبار محلية ملء صفحة ونصف صفحة وتلغرافات روتر السياسية ومراسلات من جهات السودان ومقالتان مسهبتان الواحدة عن مستقبل زراعة السودان بنوع عام والثانية عن زراعة القطن في السودان . اما المراسلات فننقل منها رسالة مكاتب السودان في كردوفان وهي عن مدينة الأُبيّض قال فيها

الأُبيّض عاصمة كردوفان ومركز حكومتها كانت قبل الفتنة محط رحال التجار ومن اسواق السودان الكبيرة فنشبت فيها العمارة وكثر فيها السكان فلما تملكها الدراويش اخربوها فلم يبقوا ولم يذروا ولم يخلفوا فيها اثراً سوى مقصورة مرفوعة على باب كبير معقود بالطوب الاحمر والجير بناهُ احد الباشوات وانما ابقوا عليهِ لعجزهم عن دكهِ ولان احد امرائهم احب سكنى المقصورة حيث كان يصدر اوامرهُ الجائرة الى اتباعهِ قاضية بالنهب والسلب والقتل والشنق ارضاء لشهواتهِ الخبيثة وتهويلاً على من في طاعتهِ من الاهالي والاتباع او بالحري العبيد الارقاء

وبعد ان ضرب سعادة حاكمنا العام الخليفة تلك الضربة القاضية التي اوردتهُ حتفهُ تقدم

مديرنا بطل مفكنج سعادة اللواء ماهون باشا واحتل هذه الديار وقد سأل السائلون عما وجده فالجواب انهُ وجد الابيض قاعاً صفصفاً يأوي اليها الثعالب والضباع خالية من الناس وقد عفت رسومها كانها لم تكن في الوجود وبعد ان اقام هناك بضعة ايام وفد عليهِ بعض القوم وهم بحالة يرثى لها حتى لقد قيل لي ان احسنهم حالاً حينئذٍ كان عمدة مدينتنا الحالي الشيخ نقي احمد كان يملك ثوباً وحماراً اعرج فاحسن سعادة ماهون باشا ملقاهم واكرمهم وشرع يدعو البقية الباقية من اهل الابيض الى العودة اليها بعد ان لجأوا الى الجبال والوعور خوفاً من الدراويش فلبوا دعوتهُ ورجعوا الى مدينتهم بعد طول هجرهم لها فبنوا بيوتهم على خرائب المدينة القديمة وجعلت الابيض الجديدة عاصمة للمديرية فأقبل عليها التجار الاجانب وفي مقدمتهم الحلبيون واليونان. وخير شاهد على تقدمها البون العظيم بين حالتها الحاضرة وما كانت عليهِ يوم احتلتها الحكومة ولا اغالي اذا قلت ان عمار الابيض وتقدمها فاقا المنتظر بسبب بعدها عن مراكز التجارة والعمران وانفرادها ويعتقد القوم هنا ان الفضل الكبير في ما تمَّ الى الآن عائد الى سعادة اللواء ماهون باشا ورجالهِ

اما سائر بنادر كردوفان كباره والنهود فلم يكن نصيبها باقل من نصيب الابيض وتراها تجري حثيثاً في سبيل التقدم والنجاح

بقي هنالك سكان السهول والاودية واهل الارياف البعيدين من مراكز التجارة والاعمال وجل هؤلاء من الرحَّل والزنوج تتألف منهم قبائل عديدة حفظت كيانها الوفاً من السنين وكانوا في ايام التعايشي لا يدنون من المدن والقرى خوفاً من اذىً يلحقهم او بلاء ينزل بهم فلما انس منهم مديرنا هذا النفور اخذ يجول في انحاء البلاد فيقضي اربعة اشهر من كل عام بين هذه القبائل منشطاً ومحرضاً ومتقرباً حتى استولى عليهم بحكمتهِ ولطفهِ فنكبوا عن القطيعة واخذوا يفدون على المدن والمراكز ويتعاملون مع سكانها وتجارها وما دامت الحال على هذا المنوال فمستقبل كردوفان مضمون ولو كان بطيئاً في اول الامر

ولكن جميع ما تقدَّم لا يمنعني من بسط امنية لدى ولاة الامور لعلهم يحلونها محل النظر فيسدوا ثلمة في بقائها ضرر كبير فان الحكومة لم تهتم الى الآن بانشاء مدرسة في الابيض لتعليم مبادىء العلوم وتربية الناشئة على المبادىء القويمة والآداب الصحيحة حتى يشب صغار هذا الجيل على غير ما شب عليهِ اسلافهم فيصبحوا اهلاً لان يقوموا بالاعمال الموكولة الى عنايتهم ولا يخفى ان المهدوية خلفت في كردوفان اثراً سيئاً لا يمحوهُ سوى التعليم والتهذيب ولا ينقرض الاَّ بانقراض الذين نقش على افئدتهم ولا قوة تستطيع احداث تغيير او تبديل

الأ العلم الصحيح هذا رجاؤنا بسطناه لذوي الحل والعقد آملين انهُ لا يخيب "

وتصدر جريدة السودان مرتين في الاسبوع وقيمة الاشتراك فيها ستون غرشاً في السنة في مصر والسودان وثمانون غرشاً في البلاد الاجنبية . وقد اعلنت انها لا تعدُّ احداً مشتركاً ما لم يدفع قيمة الاشتراك سلفاً

ارشاد الالبا ورسالة الف با

الَّف حضرة العالم المحقق الشيخ طاهر الجزائري كتاباً في الحروف العربية وحركاتها واوضاعها جمع فيهِ كثيراً مما قالهُ ائمة اللغة في هذه المواضيع وامثالها كقولهِ في الكلام على الشكل "كان الشكل في اول الامر بطريق النقط قال الفقيه المحدّث يوسف البلوي في كتاب الف با قال عمرو المغري في كتاب المقنع احد تآليفهِ :

"اختلف الرواة لدينا في مَن نقط المصاحف من التابعين فروينا ان المبتدئ بذلك كان ابا الاسود الدؤلي رحمهُ الله وذلك انهُ كان اراد ان يعمل كتاباً في النحو يقوّم الناس بهِ ما فسد من كلامهم اذ كان قرشياً فقال ارى ان ابتدئ باعراب القرآن اولاً فاحضر من يمسك المصحف واحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف اذا فتحتُ شفتيَّ فاجعل نقطةً فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النطقة تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فان اتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غنةً فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى اتى الى آخر المصحف" . وقال صاحب الكتاب نقلاً عن ابي عمرو المذكور قال وروينا ان المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وروينا ان ابن سيرين كان عندهُ مصحف نقطهُ يحيي وان يحيي اول من نقطها وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصرة

ثم قال المؤلف ان اكثر العلماء على ان ابا الاسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات والتنوين ليس غير وان الخليل بن احمد هو الذي بدأ بالمد والتشديد والرَّوم والاشمام وانهُ عمل الشكل الذي على الحروف واخذهُ من صورة الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة في اعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة الف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدّد شبه شين اخذهُ من اول شديد فاذا كان خفيفاً جعل شبه خاء اخذهُ من خفيف

وقال في الكلام على كتابة الاعداد ان لها اربع طرق "الاولى كتابتها بحروفها . . . والثانية طريقة حساب الجمّل واكثر ما يستعمل في الاعمال الفلكية وقد التزموا تقديم الاكثر

على الاول فيكتبون ١٣ هكذا يح بقطع حرف الجيم لئلاَّ يلتبس بالحاء و١٨ هكذا مح و١٩ هكذا ىط و٥٣ هكذا نج بنقط النون لئلاَّ تلبس بالياء . وحيث انهم يحتاجون في الاغلب الى بيان الدرَج والدقائق والثواني ونحو ذلك وقد تخلو بعض المراتب من العدد اضطروا الى اختراع شكل للصفر ليضعوهُ في المرتبة الخالية وقد جعلوا صورتهُ هكذا ° او هكذا ٩ . الثالثة طريقة الحساب بالاشكال الهندية وهي عشرة المعروفة الآن في مشارق الارض ومغاربها ونسبت الى الهند لانها من وضعهم وهي العشرة اشكال تسعة منها للاعداد وواحد منها للصفر وهو على هيئة الدائرة وقد نظمناها فقلنا

للهند ارقام تعدُّ بها وها هي عشرة ولها مزايا باهره
الف وحاجٌ عوٌ وعين هاوصو رة محجن صفران واو دائره

"وقد اخذها العرب عنهم ومنهم انتشرت في سائر الامم غير ان المغاربة حافظوا على صورها الاصلية على قدر الامكان وتبعهم على ذلك من اخذها عنهم من اهل اوربا وتغيرت في المشرق عصرًا بعد عصر حتى صارت الى ما ترى غير انها تلائم من يميل الى السرعة

"الرابعة الطريقة الديوانية وهي كتابة اسماء الاعداد ببعض حروفها التي تشعر بها من طرف خفي"

هذا والكتاب كلهُ على هذا النسق من الابانة والتدقيق الاَّ ان صور الارقام التي ذكرها في البيتين المتقدمين غير سديدة في الاربعة والخمسة والصواب ما ذكرناهُ منذ نحو عشرين سنة في المجلد التاسع من المقتطف وهو

الف وحاء ثم حج بعدهُ عين وبعد العين عوٌ ترسم

وحبذا لو بيَّن الآراء الراجحة والمرجوحة عند ذكر الآراء المختلفة كقول السيرافي في ابجد هوز " لا شك ان اصلها اعجمي لانها كان يقع عليها تعليم الخط بالسريانية " فان هذا القول اصح من قول سيبويه والمبرد

اما رسالة الف با فمستخرجة من كتاب ارشاد الالبا وهي لتعليم القراءة وثمن الكتاب اربعة غروش وثمن الرسالة نصف غرش

تحقيق ناموس موسى

رسالة للاب تاودوروس اسقف حرَّان المعروف بابي قرَّة الذي كان في اواخر القرن الثامن للمسيح واوائل التاسع وقد عُني بنشرها الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص

الباسيليين عن نسخة قديمة وجدها في مكتبة دير المخلص نسخها المطران باسيليوس فينان سنة ١٧٣٥ عن نسخة قديمة تاريخها سنة ٦٥٥٩ لآدم (١٠٥١ للمسيح)

واذا صحَّ ما رجَّحهُ البعض من ان ابا قرَّة كتب بالعربية وتُرجمت كتبهُ الى السريانية فالعربية التي كانت شائعة بين المسيحيين في عصرهِ اي اوائل عصر المأمون تفوق ما آلت اليهِ بعد ذلك كما يظهر من مقابلة الآيات الكتابية التي وردت في هذه الرسالة بالنسخة العربية التي وجدت في دير طور سينا . وتكاد تفوق العربية الشائعة الآن كما يظهر من مقابلتها بالترجمتين الحديثتين كقولهِ من الاصحاح السابع عشر من سفر التثنية " ولا تحيدنَّ عن الامر الذي يوعزون بهِ اليك يميناً ولا شمالاً . والانسان الذي يتعظَّم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الملك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الايام فليقتل ذلك الانسان وابيدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الامَّة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان "

وقد وردت هذه الآيات في الترجمة الاميركية هكذا " لا تحد عن الامر الذي يخبرونك بهِ يميناً او شمالاً والرجل الذي يعمل بطغيان ولا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الملك او للقاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشرَّ من اسرائيل فيسمع جميع الشعوب ويخافون ولا يطغون بعد "

وفي الترجمة اليسوعية " ولا تحد عن الذي يفتونك بهِ يمنةً ولا يسرةً وايُّ رجل كان متجبرًا حتى لا يسمع من الكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الملك او من القاضي فليقتل ذلك الرجل واقلع الشرَّ من اسرائيل فيسمع جميع الشعب ويخافوا ولا يتجبرُوا ايضاً " . والبحث في هذه الرسالة ديني جدلي

ملكة على عرش الفراعنة

رواية تاريخيَّة ادبيَّة عربها عن الفرنسوية حضرة المنشيء المجيد نقولا افندي رزق الله وقدَّم لها مقدمة شعريَّة قال فيها

قصة تنتهي الى عهد فرعون وموسى وآل اسرائيلا

يوم كانت تجرُّ مصر على كل بلاد من الفخار ذيولا

وملوك الزمان تحسب فرعون الهاً بالعالمين كفيلا

قصة تكشف الغوامض عن مصر وتروي عن اصلها المجهولا

فهي تدني اليك عصرًا فعصرًا وهي تطوي اليك جيلاً فجيلا

ومدار القصة على سائح انكليزي ابتاع قبرًا مصريًا في الصعيد فوجدهُ متضمنًا درجًا قديمًا فيهِ قصة تاريخيَّة غرامية عن فتاة مصرية احبت شابًا اسرائيليًا قرب زمن خروج بني اسرائيل من مصر ثم حدثت حوادث الخروج على ما هي مذكورة في التوراة. وقال المترجم في حاشية على الصفحة ١١٦ " ان الوارد عن السحرة وغيرهم في هذه الرواية منقول عن ذلك البردي (الدرج الآنف ذكرهُ في مقدمتها ونرى بينهُ وبين ما جاء في الكتب المنزلة مطابقة اتى عليها واضع هذه الرواية قصدًا الى الاثبات التاريخي " واورد في الخاتمة ما يستفاد منهُ ان الدرج او البردي المتضمن هذه القصة شيء حقيقي . وهذا غير المراد بل القصة موضوعة من اولها الى آخرها. ولم يكشف في الآثار المصريَّة حتى الآن شيء يدلُّ دلالة صريحة على وجود بني اسرائيل في القطر المصري وخروجهم منهُ . والرواية حسنة التعريب والترصيف وثمنها ثمانية غروش صاغ وهي تطلب من حضرة مترجمها ومن كل المكاتب الكبيرة

تدبير الاطفال في الصحة والمرض

هذا كتاب كبير الفائدة يشتمل على اسهل الطرق واحدثها لتدبير الاطفال والاحداث في الصحة ومداواتهم في المرض وضعهُ حضرة الدكتور اسكندر بك جريديني وبدأهُ بتدبير صحة الحامل ثم تكلم فيهِ على نمو الاطفال وغسلهم ولبسهم وطعامهم وتربيتهم الجسدية والعقلية ونومهم وتدبيرهم في المرض وانواع الامراض التي تصيبهم مرضًا مرضًا كالقلاع وخرَّاج اللثة والتهاب اللوزتين وعسر الهضم والمغص والامساك والديدان واليرقان والزكام والتشنج والرمد والآفات الجراحية على انواعها . واوضح ذلك كلهُ بالرسوم والشروح البسيطة

وقد نشرنا فصل التربية الجسدية والعقلية في هذا الجزء للدلالة على اسلوب الكتاب. وثمن النسخة منهُ ١٢ غرشا وهو ثمن زهيد بالنسبة الى فائدة الكتاب وجرمهِ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً ونتمنى لكتابهِ الرواج التام

الكتاب الرابع من مراقي الترجمة

وضع هذا الكتاب حضرات الادباء ابي زيد افندي فايد ورصيفيهِ عبد الحميد افندي الشربيني ومحمود افندي عثمان عطا الله المدرسين بالمدرسة الناصرية وهو دروس توضح ما يشكل على المترجم فهمهُ او ما لا يصل اليهِ من نفسهِ الاَّ بعد طول الدرس كورود فعل الكون بالجمع لماضي المتكلم في الجملة الشرطيَّة وانصراف معنى فعل الملك الى اللزوم . وفيهِ مسائل الترجمة الواردة بين مسائل الشهادة الابتدائية من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣

كتاب الالفاظ المترادفة

للامام ابي الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني النحوي المتوفى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وقد اعتنى بشرحهِ وطبعهِ حضرة الاديب محمد افندي محمود الرافعي بعد ان صححهُ وضبط الفاظهُ على الاستاذ الشهير الشيخ محمد محمود الشنقيطي . وفيهِ ١٤٢ فصلاً من المترادفات وقد ذُكرت مفردات كل فصل من غير ترتيب في الدرجات كما رتبت في فقه اللغة ولكن ذُكر منها اكثر مما ذُكر فيهِ فمترادفات الغنى في فقه اللغة هكذا "الكفاف ثم الغنى ثم الاحراف ثم الثروة ثم الاكثار ثم الاتراب ثم القنطرة" وفي هذا الكتاب "الغنى والسعة والجدة والثروة والميسرة واليسار والزبد والرياش والجدا والاتراب والوفر" فترك الثعالبي السعة والجدة والميسرة واليسار والزبد والرياش والجدا والوفر . وترك الرماني الاحراف والاكثار والقنطرة . فما جمعهُ الرماني اوفى بحاجة الكاتب لكن الثعالبي تناول فصولاً كثيرة لم يتناولها الرماني. ثم ان الثعالبي عاصر الرماني اوكان في اواخر ايامهِ ويبعد عن الظن ان لا يكون قد رأى كتابهُ فاغفالهُ ذكرهُ غريب في بابهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ظهور الانبياء

اسيوط . جورجي افندي خير . لماذا ظهر الانبياء كلهم في بقاع من الارض متجاورة وفي ازمنة متقاربة ولم يظهروا في بقاع متباعدة كشمالي اوربا واوسط اسيا وجنوبي اميركا

ج ان اصحاب الاديان غير اليهودية والمسيحية والاسلامية يقولون بظهور انبياء لاديانهم المختلفة في بلدانهم المختلفة فعند الهنود والصينيين والاميركيين واسلاف الاوربيين انبياء كثيرون . وما من ديانة الاَّ اعتقد اصحابها النبوَّة في بعض دعاتها او معلميها . ولا يزال اصحاب اكثر الاديان يعتقدون ظهور الانبياء الذين ينبئون بالمستقبلات حتى الآن

(٢) العجائب

ومنهُ . لماذا قام اكثر الانبياء بعمل العجائب الخارقة لنواميس الطبيعة . هل كان الوسط الذي قاموا فيهِ بالغاً الدرجة القصوى من الارتقاء ولما لا تصنع العجائب والمعجزات في وقتنا الحاضر

ج لقد عملوا العجائب اثباتاً لصحة دعواهم . اما كون العجائب خارقة لنواميس الطبيعة فشكوك فيهِ والمرجح حتى عند القائلين بصحتها انها لم تخرق نواميس الطبيعة بل جرت على نواميس غير معروفة فظهر كأنها خرقت النواميس الطبيعية ويدَّعي البعض ان العجائب لا تزال تُصنَع الآن كما كانت تُصنَع قبلاً

(٣) قياس الابعاد عند العرب

ومنهُ . كان العرب قديماً يقيسون المسافات بالايام كما جاء ذلك في حدة نظر زرقاء اليمامة من انها كانت تبصر على مسافة ثلاثة ايام فهل لم يكن عندهم وحدة للمقاييس الطويلة يعتمدون عليها

ج كلاَّ بل كانوا يقيسون بالمرحلة او سير اليوم . ثم لما اختلطوا بالروم والفرس اخذوا عنهم الميل والبريد والفرسخ

(٤) البحث العلمي

ومنهُ . كثر بيننا عدد المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحداً منهم قام بامتحان القضايا العلمية وانتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علماً وعملاً فهل ذلك يعزى لنقص في التعليم او اهمال من المتخرجين

ج يعزى الى الاثنين والى ان الاساتذة انفسهم ليسوا من اهل الاشتغال بالعلم ولو كانوا من اهل الاشتغال بهِ لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في اوربا واميركا وفي بلاد اليابان ايضاً

---

(٥) ابعاد النوم

مصر . ص . ج هل من طريقة تبعد النوم الى حين ولا يكون فيها اجهاد للطبيعة لانهُ كثيراً ما يكون المرء في حاجة الى العمل الفكري اثناء الليل فيهاجمهُ النوم على غير قصد اما لحلول ساعة النوم المعتادة او لتأثير الهضم بعد الاكل فهل من طريقة تبعد النوم وتنبه الخ في مثل هذه الاحوال ولا تورث التعب بعد استعمالها خصوصاً اذا لم تتكرَّر الاَّ قليلاً بضع ليالٍ متفرقة او متوالية

ج كُنَّا في زمن الدرس نعتمد على غسل الوجه بالماء البارد او غسل الوجه وسكب قليل من الماء البارد على الرأس فنتمكن من السهر ساعات متوالية بعد ان يحين زمن النوم ويشتد النعاس . وهذه الواسطة سهلة جدًّا ولا ضرر منها ولكن لا يحسن الافراط في السهر لان جودة العمل تستدعي ان يستريح الدماغ بالنوم لتجديد قواهُ كما ترون في مقالة مخصوصة نشرت في هذا الجزء

(٦) هواء راس البر

ومنهُ . ما هو رأيكم في راس البر وما هو سبب ما يجدهُ الانسان من الانتفاع بالاقامة فيهِ

ج لا شبهة في الفائدة من الاقامة حيث تتحرك الامواج وتتنفس كما عُلم بالاستقراء اما السبب الطبيعي لذلك فهو انهُ يتولد من حركة الامواج وازبادها كثير من الاوزون وهو العنصر المطهر في الهواء وهو كثير في هواء الجبال النقي وقليل جدًّا في هواء المدن الفاسد . وزد على ذلك ان الخصاص التي يقيم فيها المصطافون في راس البر يتجدَّد هواؤها دوامًا فكأنهم مقيمون في الخلاء من غير ان يتعرَّضوا لعصف الرياح وحرارة الشمس . وان المدة التي يقيمونها هناك يتركون فيها العمل ويتفرغون للراحة والاستجمام وكل ذلك مفيد للصحة ولاسيما بعد عناء الاشغال

(٧) رطوبة راس البر

ومنهُ . بلغني من بعض الذين قضوا الصيف في رأس البر ان الاقامة هناك مضرَّة بالصحة لكثرة الرطوبة فان المياه تغطي تلك الرمال اكثر شهور السنة واذا انكشفت عنها بقيت تحت وجه الارض على عمق قليل جدًّا فهل ذلك صحيح

ج ان الاماكن الرطبة تضرُّ المعرضين للروماتزم ولكنها لا تضرُّ غيرهم والاَّ لوجب ان يُضَر كل المسافرين بحرًا وكل الذين في السفن الحربيَّة والتجارية والغالب ان تكون صحتهم اجود من صحة غيرهم

---

(٨) الناس والرؤوس الطيارة

مصر . عطا الله افندي فهمي . أَوُجدت اناس ذوو رؤوس طيارة وان كان ذلك صحيحًا ففي اي زمن وجدوا واين كان مقرهم

ج كلاَّ بل كل الناس الذين وجدوا على وجه البسيطة من اقدم عهدهم الى هذا العهد هم مثل الناس الذين فيها الآن واقدمهم مثل المتوحشين منهم او احط قليلاً . واذا صحَّ مذهب النشوء فالانسان ارتقى من حيوان مشابه لهُ وهذا ارتقى من حيوان آخر قريب منهُ في الشبه وهلمَّ جرًّا . ولكن متى بعد الحيوان عن الشكل الذي نسميهِ انسانًا لا يعود انسانًا . وليس في الحلقات التي مرَّ عليها نوع الانسان حلقة كان فيها الراس طيَّارًا

---

(٩) الطب الروحاني

مصر . مصطفى افندي راشد . طالعت اعلانًا تحت عنوان الطب الروحاني لاحد المشتغلين بهِ يذكر فيهِ انهُ يعالج بهِ الامراض العصبية بدون مداواة فالمرجو ان تشرحوا لنا كيفية تأثير هذه الطريقة في شفاء الامراض

ج لا شبهة في ان الوهم يؤثر في الاعصاب وقد ظهر بالاستقراء ان البعض

يشعرون احياناً بمرض ولا يكون لمرض حقيقة فيهم بل يكون شعورهم بهِ من قبيل الوهم كما يتوهم البعض انهم مصابون بخفقان في قلوبهم وقلوبهم سليمة او ان ارجلهم كسيحة ولا يستطيعون المشي وهي قوية مثل ارجل غيرهم فهؤلاء يمكن نزع وهمهم بوهم آخر او بحيلة من الحيل. ومن المحتمل ان يكون المرض العصبي حقيقياً ناتجاً عن خلل في وظيفة بعض الاعصاب فتفعل الوسائط الادبية بهِ حتى تعيده الى وظيفتهِ . وعلى هذين الاسلوبين يكون نجاح المدعين شفاء الامراض العصبية بالوسائط الادبية

---

(١٠) رافعة هوائية

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح .

قد انتهى الينا ما ذاع عن ظهور آلة هوائية تقوم مقام الآلة البخارية في رفع الماء من عمق عشرة امتار لري المزارع فهل وقفتم على شيء من امر هذه الآلة وقوتها وطريقة استخدامها وما تستلزم من العمال

ج وقفنا على شرح آلة من هذا القبيل استنبطها احد نزلاء هذا القطر وهي مثل بعض الآلات التي كانت تستعمل في اوربا قبل الآلة البخارية . والآلة البخارية اصلح منها من كل وجه لكنها لا ترفع الماء عشرة امتار الا اذا كانت رافعة ودافعة في وقت واحد فيفرغ الماء منها على ارتفاع ثمانية امتار الى تسعة امتار ثم يرفع متراً او مترين اما بدفعهِ او بصبهِ في بئر يرتفع فيها الى العلو المراد

باب الاخبار العلمية

علاج السل

يعلم قرّاء المقتطف ان الدكتور بهرنج الالماني اكتشف المصل الذي تعالج بهِ الدفثيريا كما اكتشفهُ الاستاذ رو الفرنسوي . وقد كُتب الى جريدة التيمس من برلين ان الاستاذ بهرنج يشتغل الآن باكتشاف مصل او علاج من نوع المصل لمرض السل وقد قدم مقالة في هذا الموضوع الى المؤتمر الطبي في كاسل وعندهُ ان هذا المصل يقي الاجسام من السل كما يقيها طعم الجدري من الجدري. ولم يحقق كل ما يظنهُ من هذا القبيل حتى الآن ولكنهُ تحقق اموراً كثيرة ترجح لهُ النجاح اخيراً وهو عازم ان لا يبيع شيئاً من مصلهِ لاحد الا بعد ان تثبت فائدتهُ ثبوتاً قاطعاً

وكُتب الى جريدة المورننج بوست من باريس ان الدكتور مرمورك اكتشف مصلاً يشفي من السل وعزم ان يطلع اكادمية الطب عليهِ ويقال ان هذا المصل جُرّب في مستشفيات باريس فشفى كل الذين عولجوا بهِ ولا يبعد ان تثبت فائدة هذين الاكتشافين كما ثبتت فائدة مصل الدفثيريا وتكون مناظرة علماء المانيا وفرنسا خير مناظرة في سبيل العلم والنفع

موتمر الصحيين والبعوض

اجمع اعضاء مؤتمر الصحيين الذي عقد حديثاً في مدينة بركسل على الامور الآتية وهي

(١) على موظفي الحكومة التي بلادها ملارية ان يثبتوا انهم يعرفون علاقة البعوض بالملاريا معرفة تامة وان يعرفوا كيف يتقون البعوض

(٢) على المدارس التي في تلك البلاد سواء كانت للحكومة او للمرسلين ان تعلم تلامذتها علاقة البعوض بالملاريا وكيفية اتقائهِ

فهذا حكم حكم بهِ اكبر مؤتمر صحي والحقيقة التي بنى حكمهُ عليها عرفها طبيب سوري في بلاد سورية منذ عشرين سنة واذاعها على صفحات المقتطف حيث قال " شاهدت امتداد الحمى الملارية في راشيا مرتين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمت ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من المستنقعات البعوض فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمى الملارية ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء وهذا الامر لا ينكرهُ احد في قضاء راشيا فمن اراد ان يقي نفسهُ من هذا الداء فليصنع لسريرهِ كلة تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات " (انظر الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن من المقتطف)

مجمع التعليم وقوة المخيلة

التأم مجمع التعليم في اميركا برئاسة الاستاذ اليوت رئيس مدرسة هارفرد الجامعة الذي زار هذا القطر منذ بضع سنوات فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها تعريف جديد للانسان المتعلم بيَّن فيها ان ابناء القرن العشرين يجعلون المقام الاول للذين تستنبط عقولهم الاعمال العظيمة كالآلات الكهربائيَّة التي تدير الوفاً من العجلات و تنير الوفاً من المصابيح وترسل بها افكار الناس الوفاً من الاميال ولا موصل لها سوى امواج الاثير وان القرن الماضي يدل على ان الناس ذوي المخيلة المركِّبة اي الذين عقولهم تتناول المعارف الجزئية وتركب منها قضايا كلية او تستنبط منها اموراً كبيرة هم الذين اشتهروا فيهِ وافادوا وان مخيلة رجل مثل داروِن وباستور لا تقلُّ توليدًا عن مخيلة رجل مثل دانتي او غيتي او شكسبير

زراعة القطن في السودان

جاء في جريدة السودان ان بعضهم جرَّب زرع القطن في كرري انتقى فدانًا واحدهُ للزراعة وقسمهُ ثلاث قطع متساوية وزرع القطعة الواحدة منها في اواخر يوليو اي في الوقت الذي يزرع فيهِ القطن في السودان وزرع القطعة الثانية في سبتمبر والثالثة في مارس وتعهَّد القطع الثلاث بالخدمة اللازمة فكانت النتيجة كما يأْتي

محصول ثلث فدان ارطالاً	تاريخ زرع القطعة	تاريخ النضج
٣٠٥	٢٥ يوليو	فبراير
٣٧٠	١ سبتمبر	ابريل
٦٥٣	١ مارس	سبتمبر

فيظهر من ذلك ان المزروع في اواخر يوليو كان محصولهُ رديئًا جدًّا وذلك لان زمان نضجهِ وافق فصل البرد وان ما زرع في سبتمبر كان اجود منهُ وان الذي زرع في اول مارس كان حسنًا جدًّا اذ بلغ متوسط محصول الفدان منهُ ستة قناطير وكانت تيلتهُ جيدة جدًّا كما ثبت في معرض الخرطوم حيث عرض منهُ مقدار اقة وشجرتان حفظها لهذه الغاية فنال المعروض منهُ الجائزة الاولى ومجال التحسين في زراعة القطن متسع جدًّا

كراسي الكهربائية

يتذكر الذين زاروا معرض باريس سنة ١٩٠٠ مقدار التعب الذي عانوهُ من المشي فيهِ ساعات متوالية كل يوم . وقد اهتمَّ الاميركيون بما يزيل ذلك من معرضهم فصنعوا كراسي تسير بالكهربائية من نفسها سيرًا بطيئًا كمشي الماشي اي نحو ثلاثة اميال في الساعة ولا تزيد سرعتها على ذلك فيجلس المرء فيها فتسير بهِ من نفسها كيفما وجهها وتبقى سرعتها واحدة سواءٌ كانت الارض منبسطة او مائلة الى الاعلى او الى الاسفل

البعوض والاثمار الحامضة

عُلم منذ مدة ان الحمَّى الملاريَّة لا تتفشى في بعض الاماكن ولو كان فيها البعوض الذي ينقل عدوى الملاريا وكان فيها انسان مصاب بها . ثم اتَّضح بعد البحث ان بعوض الملاريا لا ينقل عدواها ما دام يأْكل اثمارًا حامضة فاذا كان في مكان اثمار حامضة الطعم لم تعد جراثيم الملاريا تعيش في بدن بعوضهِ

هبات اميركية

وعد المستر مرشال فيلد بخمسة ملايين ريال لانشاء متحف في شيكاغو . وجمعت لجنة المدرسة الطبية من مدرسة شيكاغو الجامعة مئة الف ريال فاستحقت تلك المدرسة الهبة التي وعدها بها جون ركفلر ومقدارها ستة ملايين ريال

عنصر الراديوم

لا يزال الراديوم شغلاً شاغلاً للعلماء فلا تكاد تخلو مجلة من مجلاتهم من بحث جديد فيهِ او تلخيص بحث قديم . وبالامس قدَّم السر وليم هجنس وزوجتهُ مقالة الى الجمعيَّة الملكيَّة الانكليزية ضمناها خلاصة بحثهما فيهِ فقالا ما محصلهُ

ان عنصر الراديوم الذي اكتشفهُ الاستاذ كوري وزوجتهُ ظهرت فيهِ خواص جديدة غريبة جدًّا وبان منهُ حتى الآن ما يدلُّ على انهُ سيرشدنا الى معرفة حقيقة المادَّة . ويظهر منهُ انهُ يولّد قوة على اشكال مختلفة وذلك من تلقاء نفسهِ ومن غير انقطاع وتصدر منهُ ثلاثة انواع على الاقل من الاشعة الواحد مؤَلف من دقائق ثقيلة كل دقيقة منها اكبر من جوهر الهيدروجين وهي تتحرك بسرعة وفيها كهربائيَّة ايجابيَّة والثاني دقائق مكهربة سلبًا قوية النفوذ جدًّا وتظهر قوة نفوذها للاجسام غير الشفافة من الحادثة التالية وهي ان السر وليم وضع جزءًا من مئة جزء من الغرام من بروميد الراديوم في الدرج الاعلى من مكتبهِ وكان في الدرج الاسفل منهُ الواح صور فوتوغرافية وبعد اسبوعين فتح هذا الدرج فوجد الواح التصوير فيهِ مغشَّاة كلها كانها عُرضت لنور الشمس (وما ذلك الاَّ لان اشعة الراديوم خرقت الواح الخشب ودخلت اليها وفعلت بها) . والثالث دقائق تنتشر من الراديوم كانها غاز . وزد على ذلك ان المسيو كوري وزوجتهُ وجدا ان حرارة الراديوم تبقى دائمًا اعلى من حرارة ما يجاورهُ درجة ونصف درجة بميزان سنتغراد فهو يشع اشعة حرارة ايضًا . والنور الصادر منهُ في الظلام يدلُّ على انهُ يشعُّ نوعًا خامسًا من الاشعة تنير على درجة الحرارة العادية . وهذا النور ليس من قبيل نور الحباحب ونور الفصفور على الراجح بل هو مسبَّب عن اختلال التوازن في جواهر الراديوم فينتج عن هذا الاختلال تهيج شديد في جواهرهِ فيندفع بعضها منهُ بعنف شديد وحالما يندفع يظهر بعض القوَّة الكامنة فيهِ في صورة حركة والدقائق المتحركة كذلك تظهر منيرة كما يظهر بخار الراديوم اذا وضع في لهب قنديل مشتعل او في متفرّغ مجرَى كهربائي

ووقفنا بعد ذلك على مقالة مسهبة في جريدة الدايلي مايل الانكليزية ابان فيها كاتبها ان الراديوم افاد في علاج الذئب الآكّال والنفرالجيا وجعل بعض العميان يبصرون ما امامهم وظهر ان لها فعلاً شديدًا بالميكروبات وصغار الحيوانات وانهُ أُلّفت شركة في المانيا لاستخراجهِ ولا يزال ثمنهُ غاليًا جدًّا حتى الآن فان الدرهم منهُ يساوي ١٢٥٠ جنيهًا . وبلغنا بعد كتابة ما تقدَّم ان الدكتور حبيب خياط جلب شيئًا منهُ لاستعمالهِ هنا

ثوران يزوف

زاد ثوران يزوف شدَّةً وقذف في الثاني والعشرين من اغسطس الماضي مواد بركانية علت نحو ٦٠٠ قدم في الجو

الكنزيت

اكتشف الدكتور كُنز حجرًا كريمًا بنفسجي اللون وجدهُ في كليفورنيا اذا وقعت عليهِ اشعة رنتجن اضاء بها وبقي الضوء فيهِ اذا وضع في الظلام مدة طويلة وقد سمي هذا الحجر باسم الكنزيت نسبة الى مكتشفهِ

مرشد رجال المطافىء

استنبط المسيو اميل غواديني آلة صغيرة تنبئ رجال المطافىء عن المكان الذي اشتعلت فيهِ نار فان في هذه الآلة ثرمومترًا ترفع حرارة النار زيبقهُ فيقطع اتصال آلة كهربائيَّة فتدور عجلة صغيرة متصلة بهِ وبالدار التي فيها رجال المطافىء بسلك كهربائي ومتى دارت العجلة اشارت اشارات تلغرافية باسم البيت الذي فيهِ تلك الآلة فيهرع رجال المطافىء اليهِ

الدكتور الكسندر باين

توفي الدكتور الكسندر باين استاذ المنطق في مدرسة ابردين الجامعة وكان من اكبر علماء هذا الفن ولهُ فيهِ وفي سائر العلوم العقلية كتابات نفيسة

العرافة الحديثة

كتب السر اوليفر لدج رئيس جمعية المباحث النفسيَّة الى المستر ستد صاحب مجلَّة المجلات الانكليزية كتابًا مفتوحًا دفع بهِ لومةً للجمعيَّة وحجَّةً على الاسلوب الذي حججناهُ نحن بهِ في المقتطف فقال اذا قيل ان انسانًا سرق بيت غيرهِ او وقف على رأسهِ او فعل فعلاً آخر من هذا القبيل فقد يكفي لاثبات ذلك شهادة شاهدين من الذين رأوهُ ولكن اذا قيل ان انسانًا طار في الهواء او استخرج النقود من خزانة حديدية والخزانة مقفلة وجب لاثبات ذلك شهادات أُخرى غير عادية وهذا هو الواجب في امر الانباء بالمستقبلات . ويجب ان تكتب الشهادة بالتفصيل قبل حدوث الحادثة لانها ان كتبت بعدها فلا بد من وقوع التغيير فيها وكذلك يجب ان يكتب كل ما انبأ بهِ المنبئ ليعلم كم يقع منهُ وكم لا يقع

وبعد ان اسهب على هذا الاسلوب لخَّص كتابهُ بهذه الامور الثلاثة وهي اولاً ان انباء العرَّافة لم يكن صريحًا لانهُ لم يؤثر في الذين سمعوهُ تأثيرًا قويًّا ولان بعضهم نسوهُ . وثانيًا انهُ يمكن تعليلهُ بتأثير ما في افكار بعض الحضور بالعرَّافة فاستنتجت منهُ بعض النتائج وصرَّحت بها وهي نائمة . وثالثًا ان ما انبأت بهِ لا ينطبق على ما حدث انطباقًا ينفي الاتفاق

فردَّ المستر ستد على الامر الاول ان انباء العرّافة اثّر في السامعين تأثيرًا شديدًا حتى جعل وزير السرب يكتب يحذّر مولاهُ وعلى الامر الثاني انهُ لم يطلب من الجمعية تعليل ما حدث ولا كان لومهُ لها لانها لم تبحث عن تعليلهِ . وعلى الامر الثالث ان الانباء والحادثة يتفقان في الامور الجوهرية ومع ذلك فهذا لم يكن الامر الذي طلب من الجمعية البحث فيهِ . وقال في الختام انهُ يلوم الجمعية لانها لا تحسب ان الشهادة تستحق ان يُبحث فيها ما لم ترَ انهُ لا يمكن نقضها ويلومها ايضًا لانها تحسب انهُ ما من حادثة نفسيَّة تستحق البحث الَّا اذا ايَّدت نظرية من النظريات المعروفة

ضرر الماء النقي

لا يخفى ان الماء النقي المستقطر تافه الطعم لا يستطيبهُ من يشربهُ وكذلك ماء المطر وماء الثلج الذائب وكان المظنون ان الناس يكرهون هذه المياه كراهة لان ليس لها طعم خاص اما الآن فثبت انها تضرُّ شاربيها ضررًا اكيدًا وسبب ذلك انهُ اذا اتصل سائل بحويصلات الجسم فان كانت فيهِ املاح ذائبة كما في السائل الذي في الحويصلات حدث بين السائلين شيءٌ من التبادل بالدخول والخروج ولكن اذا كان الماء نقيًّا لا شيء فيهِ من الاملاح صار التبادل بينهُ وبين السائل الذي في الحويصلات من جهة واحدة فقط فتنشق جدران الحويصلات من ذلك ويصير الماء النقي سمًّا زعافًا لشاربيهِ

اللبن الجامد

كان في معرض الالبان الذي أُقيم في مدينة همبرج حديثًا ادوات مختلفة من الامشاط ومقابض السكاكين تظنها عظامًا وهي لبن جامد وموائد تظنها رخامًا وهي لبن جامد فان اللبن المخيض الذي نزع سمنهُ وبقيت المادَّة الجبنيَّة فيهِ يمزج بشيءٍ من ماء الصابون والاملاح المعدنية فتتكون منهُ مادة صلبة كالعاج او كالرخام او هي مثل السلولويد ولكنها لا تشتعل مثلهُ

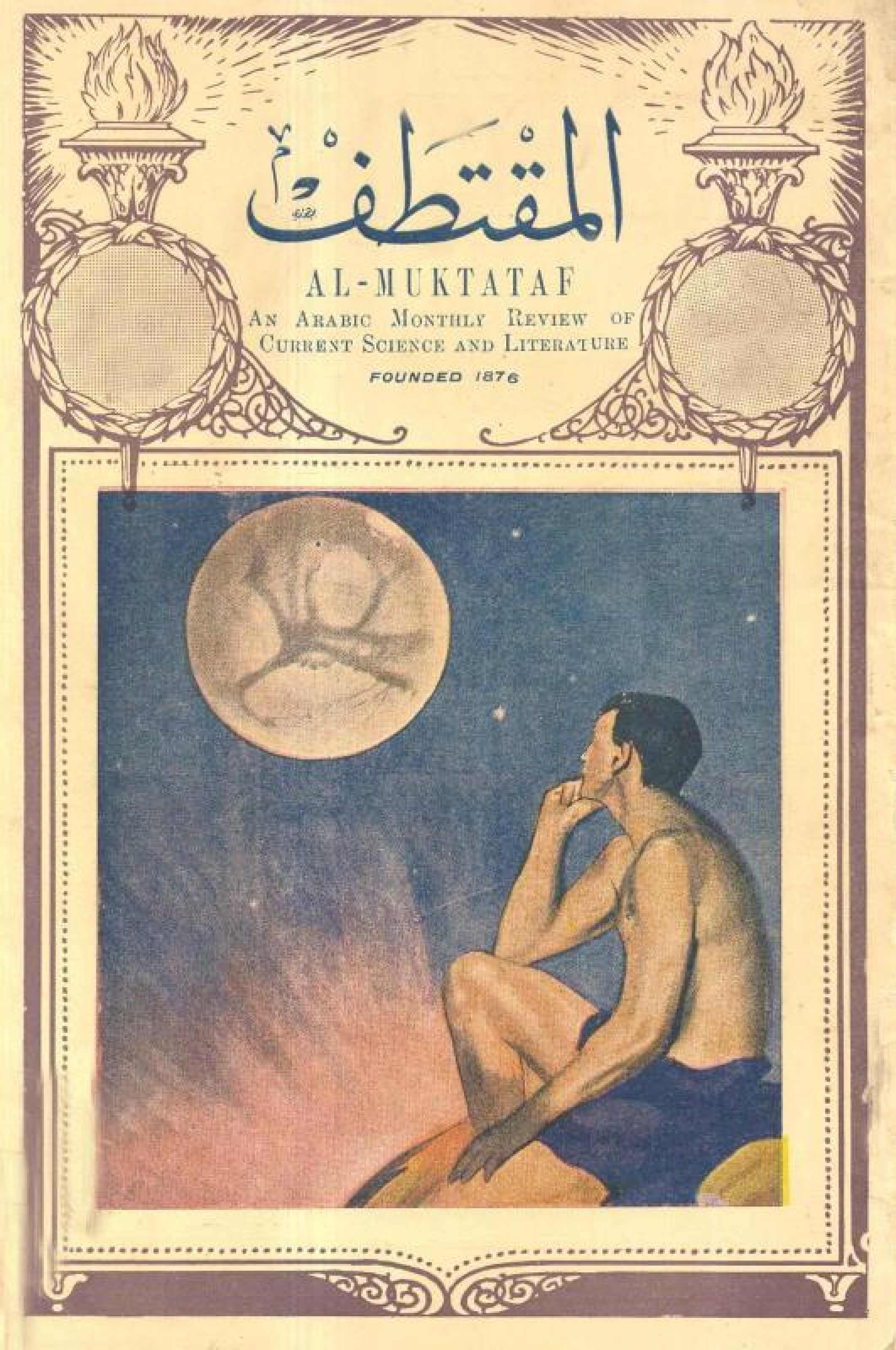
فتك الضواري والافاعي

قلَّ فتك الضواري في بلاد الهند في العام الماضي عما كان في العام الذي قبلهُ وزاد فتك الافاعي فبلغ عدد من فتكت بهم الضواري ٢٨٣٦ نفسًا وكان عددهم ٣٦٥١ سنة ١٩٠١ وبلغ عدد الذين لسعتهم الافاعي فاوردتهم حتفهم ٢٣١٦٦ وكانوا في العام الذي قبلهُ ٢٢٨١٠

مصابيح كالحروف

صُنعت مصابيح كهربائية في اشكال حروف الهجاء الافرنجية واسلاكها ممتدة فيها ترصف بعضها بجانب بعض فتتركب منها كلمات منيرة . وهي من الاساليب البديعة لاظهار اسماء المخازن والاماكن العمومية منيرة في الظلام

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٢١

رباعيات ابي العلاء

THE QUATRAINS OF ABU'L ALA.

اذا ظهر عند الافرنج كتاب وقع عندهم وقعاً عظيماً لقبهُ مقرظوهُ بكتاب الشهر تنويهاً بذكرهِ . والكتاب الذي امامنا الآن يحق ان ينعت هذا النعت فقد وقع احسن وقع عند ابناء اللغة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان الفضل يعرفهُ ذووهُ والمعري في الطبقة العليا بين حكماء الشعراء الذين غاصت عقولهم في بحار المعاني فالتقطت منها الدرر الغوالي وتجلَّت لهم اسرار الحكمة فانارت بصائرهم وفاض شعاعها الروحاني من نفوسهم . ولأن ادباء الافرنج من اوربيين واميركيين يقدرون الفضلاء قدرهم ولو كانوا غرباء عنهم وتتعشّق نفوسهم حِكَم الحكماء حتى تكاد تتعبَّد لها بل قد قام منهم مَن انزل عُمَر الخيَّام الشاعر الفارسي منزلة الانبياء الملهمين وانشأ طريقة يتلو اصحابها اشعارهُ كما يتلون الآيات المنزلة

ولم يكن عُمَر الخيام الاَّ تابعاً لابي العلاء المعري مقتبساً منهُ او ناسجاً على منوالهِ ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية الاَّ الآن حينما هزَّت الاريحية وطنيّنا الاديب امين افندي ريحاني اللبناني مولداً الاميركي داراً فقد برع في اللغة الانكليزية وجلى فيها نثراً ونظماً فوق براعتهِ في لغتهِ العربيَّة فنقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي العلاء نظمها نظماً رائقاً بعد ان الَّف بينها واوجز واطنب وتصرَّف في التعبير عن المعاني كما سيجيء وقدَّم لها مقدمة بليغة قال فيها ما ترجمتهُ

"لما كانت اوربا كلها تعدُّ الاسلحة وتعبِّئ الميرة لحرب الصليب الاولى واهالي الشمال يدوخون الاقاليم الغربية والخلفاء يخنون في الخارجين عليهم كان ابو العلاء يثير حرب الاقلام على

ما في عصره من الشرور والاباطيل تحمل على الخرافات والاحاديث الموضوعة ونادى بوجوب الخضوع لسلطان العقل وطعن كبد الظلم والاستبداد طعنات صادقات ونادى بحرية الضمير وسمو النفس فوق مطامع الحكام . وقال بوجوب المساواة وبيّن معايب الرؤساء ديناً ودنيا

"نشأ هذا الرجل في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر وقد جهل الاوربيون امره كل هذا الزمن ولم يذكره كتاب العربية الا نادراً

"ابو العلاء المعري لقريطيوس الاسلام وديوجنس العرب وڤولتر المشرق[1] ولد في ربيع سنة ٩٧٤ للميلاد ومسقط رأسه قرية صغيرة على مقربة من حلب"

وافاض على هذا الاسلوب في ترجمة ابي العلاء وقال انهُ كان اكبر فلاسفة عصره وفضّلهُ على ابن سينا ووصفهُ بحرية الضمير والانتصار للحق والبعد عن الرياء . وان الاشعار التي ترجمها الى الانكليزية انتقاها من دواوينهِ الثلاثة سقط الزند وضوء السقط واللزوميات واضطرَّ ان يتصرَّف فيها تصرفاً لا يخرجها عن مراد ابي العلاء . ثم اشار الى ما بينها وبين رباعيات عمر الخيام من المشابهة . ومن رأيهِ ان عمر الخيام كان تلميذاً لابي العلاء او نقل عنهُ او اقتدى بهِ. واستدرك على ذلك قائلاً انهُ لا يقصد من تبيان هذا الامر ان يزعزع ثقة مريدي عمر الخيام بهِ ولا هو من اهل الغرور حتى يطمع بذلك بعد ان رسخ الاعتقاد بعمر الخيام في نفوس مريديهِ وانما هو يقصد ان يقوي تأثير الشرق في عقول اهل الغرب لا ان ينقصهُ وان يزيد قدرهُ لا ان ينقصهُ الى ان قال

"على ان الذي يقابل شعر عمر الخيام بما ترجمتهُ هنا يرى ان شكوكهُ وظنونهُ مقتبسة من ابي العلاء . فأبو العلاء فيلسوف شعراء العرب جاهر بآرائهِ الدينية مجاهرة قصر دونها الشاعر الفارسي . ولست اقول ان عمر الخيام انتحل معاني ابي العلاء بل اقول انهُ استعارها منهُ كما

---

(1) [المقتطف] لقريطيوس شاعر روماني نشأ في القرن الاول من التاريخ المسيحي ضمن اشعارهُ فلسفة ديموقريطس وابيقورس في اصل العالم وطعن في الاديان ونفى الخلود وقال ان الموجودات كلها مؤلفة من جواهر دقيقة منبثة في الكون والعقل والنفس والحياة لا تقوم بغير الجسد بل هي اجزاءٌ منهُ كاليدين والرجلين وتنحلُّ بانحلالهِ وان الامراض ناتجة عن ذرَّات صغيرة منتشرة في الهواء وان انواع الحيوان مشتق بعضها من بعض بالنشوء

وديوجنس هو الفيلسوف الكلبي المشهور بالزهد ولد في بنطس سنة ٤١٢ قبل المسيح ونشأ في اثينا وتوفي في كورنثس وهو الذي قابلهُ الاسكندر المكدوني وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ « حد من شمسي » فقال الاسكندر لو لم اكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجنس

وفولتر هو الفيلسوف الفرنسوي المشهور

استعار فولتير معظم آرائهِ الحرة وشكوكهِ في الدين من هوبس ولوك وبايل "

وقد ترجم ونظم مئة وستة وعشرين من هذه الرباعيات وطبع الترجمة الانكليزية والحق بها بعض الحواشي ولم ينشر معها الاصل العربي ليسهل على القارئ والمنتقد المقابلة بينهما. ويظهر مقدار ما تصرف فيهِ او راعى الاصل او زاد عليهِ من الامثلة التالية وقد نشرناها حسب ورودها في ترجمتهِ وقدمنا عليها عدد الصفحة التي نشرت فيها

صاحِ هذه قبورنا تملأ الر حب فاين القبور من عهد عادِ

12 Behold, O, friend, our tombs engulf the land,
Our fathers' corses moulder in the sand;
From Aad's time where and how many are the graves?
Has not this sea of Death a Cliff, a strand?

فتوسع في الترجمة بما لا يخرج عن مراد المعري وما ذكرهُ في اماكن اخرى من ديوانهِ وزاد عليهِ معنًى قلما يخطر على بال اهل البادية وهو ان بحر الموت لا ساحل لهُ ولا صخر يوقف عليهِ

خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الأ من هذه الاجسادِ

14 Tread lightly, for a thousand hearts unseen
Might now be beating in this misty green;
Here are the herbs that once were pretty cheeks,
Here the remains of those that once have been.

وهنا زاد توسع المترجم ولم يكتفِ بجعل اديم الارض من اجساد الناس بل قال ان قلوبهم لا تزال تخفق تحت ثراها وان بقولها تكونت من وجنات الحسان

ربَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الاضدادِ

15 Many a Grave embraces friend and foe,
And grins in scorn at this most sorry show;
A multitude of corses therein pressed—
Alas! Time almost reaps e'er he doth sow!

وزاد المترجم هنا معنى بديعًا وهو ان الدهر يكاد يحصد قبلما يزرع لسرعة ما يختطف النفوس

تعب كلها الحياة فما اعجب الأ من راغب في ازديادِ

16 The warp and woof of Life are woe and gloom ;
The Cup is bitter ; endless pain the doom :
Strange then that he should weave, that he should drink,
Who knows well how to smash both Cup and Loom !

عبَّر المترجم عن معنى المعري تعبيرًا فائقًا في بلاغتهِ فقال ان سدى الحياة ولحمتها ويل وغمٌّ كأسها مرة وقضاؤُها ألم مقيم فاعجبْ لمن ينسج على نولها ويشرب من كاسها وهو يعلم كيف يحطم الكاس والنول معًا

انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او فسادِ
ضجعة الموت رقدة يستريح — الجسم فيها والعيش مثل السهادِ

18 We're only moved from this all battered Tent
To some abode of peace, by accident ;
A night of deep sleep and repose is Death,
While in Life's day this Sleep by Care is rent.

والترجمة هنا قلما تفرق عن الاصل الأ في الشطر الاخير

كل بيت للهدم ما بنت الور قاء والسيد الرفيع العمادِ

19 Every abode to Ruin is addrest,
Be it a palace or a sparrow's nest ;
Let not the mighty build, for they must go,
Like that fair dove, with what they built, to rest.

وقد توسع في الترجمة فزاد المراد جلاء ولكنهُ لم يزدهُ معنى

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان المقابر ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كاننا زجاج ولكن لا يعادلهُ سبكُ

35 I laugh and lo! my shafts of scorn doth leap
On Adam's sons, who all by right should weep ;
Doubt crushes us like glass, and even the hopė
Of restoration lost is in the heap.

والترجمة مطابقة للاصل مطابقة حسنة

افيقوا افيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكر من القدماء

ارادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء

50 Awake, awake, thou pious dupes, awake!
And see how all the creeds and cults do shake:
These are the jades the wily ancients rode
Upon the track of Life, to win their stake.

والترجمة مطابقة الاصل على قدر ما يستطاع

يرتجي الناس ان يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيرًا في صبحهِ والمساء

52 Their vices 'neath the veil of Faith they hide,
And thus parade them, with unbridled pride;
Our reason we abuse, when we believe
Their Lies, and Reason is the only guide.

السطران الاوَّلان تقابلهما ابيات اخرى للمعري والسطران الاخيران مطابقان للبيت الاخير من الاصل ومن المحتمل ان الترجمة لابيات اخرى لم تحضرنا عند كتابة هذه السطور

يقولون ان الدهر قد حان موتهُ ولم يبقَ في الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءهُ فلا تسمعوا من كاذب الزعماء

55 Howbeit these sages say, "The end is here,"
That death will take the worlds, afar and near;
They lie about the universe, and—well,
Heed not their threats, and yield thou not to fear.

والترجمة تكاد تكون حرفية

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت الصحيح اطلت همسي

60 Aye, Wrong forever is proclaimed aloud,
And strongly yoked upon a boundless crowd:
But Truth is only whispered to the few,
Who bury it alive without a shroud.

وفي الترجمة توسع في المعنى وزيادة في الايضاح ولعلها مأخوذة من ابيات اخرى

ونار ان نفخت بها اضاءت ولكن انت تنفخ في رمادِ

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

110 Fan thou the fire and then behold the light!
Fan thou but ashes and bemoan thy sight:
Call thou the living and they will respond,
But whom thou callest are as dead as Night.

والترجمة تكاد تكون حرفية ايضاً ولا نظن البيتين للمعري

هذا وقد اجاد الناظم غاية الاجادة في النظم وسبك المعاني في قوالب انكليزيَّة فصيحة كاحسن الشعر عذوبة وبلاغة . والكتاب كلهُ يشهد لهُ بالسبق في حلبة الانكليزية وجودة النظم فيها وهو غريب عنها . ويدل على ان الشرقي ليس دون الغربي في ذكائهِ وقوة عقلهِ وخيالهِ واستعدادهِ الفطري اذا تيسرت لهُ الوسائط لاظهار مزاياهُ

وقد طبع دبلداي وباج وشركاؤُهم (١) هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا ولا يبعد ان يقبل قراء الانكليزية عليهِ اقبالهم على اشعار عمر الخيام او اكثر لان معاني المعري اوضح بيانًا واعلق بالنفوس وعبارتهُ انزه واعف . وحبذا لو اعاد المترجم الكرة على دواوين المعري فانهُ يجد فيها دررًا أُخرى تعدُّ بالمئات يحسن نظمها مع ما اختارهُ منها الآن

غرائب الشعوذة

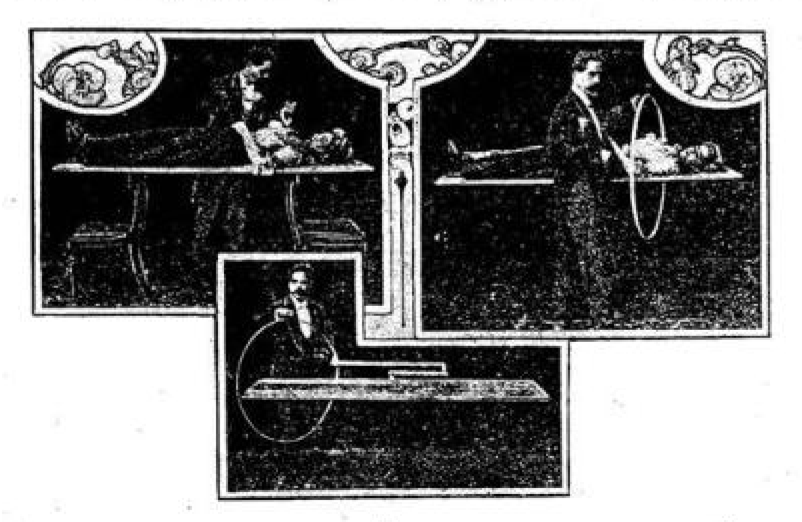
وعدنا في الجزء الماضي ان نتكلَّم على ارتفاع الانسان في الهواء وخروجهِ من الصندوق المقفل وانجازًا لذلك نقول

ان رفع الانسان بغير قوة ظاهرة وتركهُ في الهواء غير معلَّق بشيء وغير مسند الى شيء مما تحار فيهِ العقول لانهُ مناقض لاختبار الناس . وقد رأينا احد المشعوذين يفعل ذلك في هذه العاصمة وشاهدنا الدهشة البادية على وجوه الذين رأوهُ وكانوا يعدُّون بالمئات ونحن نعجب بمهارتهِ ونكشف للجلوس معنا سرَّ صناعتهِ وهم لا يكادون يصدقون

اتى بكرسيين من الكراسي العادية واوقفهما الواحد تجاه الآخر والبعد بينهما نحو متر ووضع عليهما لوحًا عريضاً متيناً ودنت منهُ فتاة حسناء فانهضها بيديهِ والقاها على اللوح فاستلقت عليهِ وجعل يشير بيديهِ فوقها كما يفعل المنوّمون فاغمضت عينيها وتناومت وحسب الحضور

(1) Doubleday, Page & Company 34 Union Square New York

انها نامت النوم المغنطيسي وكان وراء الكراسي ستار اسود فظهرت امامهُ ظهورًا واضحًا فوقف امامها وجعل يرفع يديها ويتركهما فتقعان كانهما يدي فتاة ميتة او مستغرقة في النوم ثم رفع الكرسيين من تحت اللوح فبقي اللوح في الهواء والفتاة نائمة عليهِ . فصفق لهُ الحضور وكرروا التصفيق واكثرهم لا يشك ان اللوح والفتاة معلقان في الهواء لانهم لم يكونوا يرون شيئًا يرفعهما من فوق او يسندهما من تحت. ثم احضر المشعوذ اطارًا من الحديد الصقيل واداره على الحضور فرأوا انهُ متصل لا خلل فيهِ . مثل كل المشعوذين يرونك ما لا حاجة بك الى رؤيتهِ ويخفون عنك ما لو رأيتهُ لا نكشف لك امرهم ثم عاد الى امام الفتاة وجعل يمرُّ الاطار حولها وحول



اللوح من رأسها الى قدميها ومن قدميها الى رأسها ذهابًا وايابًا لكي ينفي كل ظن باعتماد اللوح على شيءٍ غير منظور او تعلقهِ باسلاك غير منظورة فاعاد الحضور التصفيق والاستغراب ثم اعاد الكرسيين الى تحت اللوح وايقظ الفتاة وانزلها عنهُ واستدعى بعض الحضور فصعدوا اليهِ ودققوا نظرهم في اللوح والكرسيين فلم يروا شيئًا يدلُّ على كيفية ثبوتهِ في الهواء والفتاة نائمة عليهِ من غير ان يسندهُ شيءٌ

ويتضح كل ذلك من النظر الى الصور الثلاث المتقدمة فترى في اليسرى منها صورة الفتاة نائمة على اللوح وتحتهُ كرسيان يسندانهِ والمشعوذ واقف وراءها وهو لا يزال يشير بيديهِ وفي الصورة الثانية اللوح في الهواء لا شيءَ يسندهُ والفتاة نائمة عليهِ والمشعوذ يمرُّ الاطار حولها وحولهُ وفي الثالثة طريقة هذه الحيلة

وتعليل ذلك ان وراء الستار آلة تسير على عجل فيها قضيب متين من الحديد لهُ عطفتان كما ترى عند الحرفين ج ود فينفذ من فتحة في الستار ويوضع طرفهُ العريض المدلول عليهِ بالحرفين ا ب تحت اللوح فيستند اللوح عليهِ حتى اذا نزع الكرسيان من تحت اللوح بقي مستنداً على هذا القضيب ولا يظهر شيء منهُ لانهُ يكون وراء النائمة . ثم يجعل المشعوذ يمرُّ الاطار حول اللوح من رأسها الى قدميها الى ان يصل الى النقطة ج ومن قدميها الى رأسها الى ان يصل الى النقطة د فيظهر كانهُ امرَّهُ من جهة الى اخرى واثبت للحضور ان لا شيءَ يسند اللوح من ورائهِ . ثم يضع الكرسيين تحت اللوح و يعاد القضيب الحديدي الى وراء الستار

ا ب ج د

وخروج الانسان من الصندوق المقفل ليس اقل غرابة من هذه الحيلة فان المشعوذ يأتي بصندوق كبير محدَّد ويدعو الحضور ليصعدوا الى الدكة و يمعنوا نظرهم فيهِ فيرونهُ مثل الصناديق العادية من كل وجهٍ لا يفرق عنها الاَّ في ثقوب صغيرة يدخل منها الهواء الى الرجل الذي يوضع فيهِ فلا يموت اختناقاً . ويأتي مساعد المشعوذ بكيس كبير من الجنفيص ويريهِ ايضاً لمن يريد ان يراهُ من الحضور ثم يدخل فيهِ ويربطهُ المشعوذ من فتحتهِ بخيط متين و يعقد الخيط ويختمهُ بالشمع الاحمر بخاتم احد الحضور و يضع الكيس والرجل فيهِ في الصندوق ويقفلهُ ويربطهُ بحبل متين ويختمهُ ايضاً و يستعين ببعض الحضور على ربطهِ وختمهِ. ثم يلقي عليهِ ستاراً كبيراً ويتركهُ بضع دقائق متظاهراً انهُ انشغل عنهُ بغيرهِ ويعود اليهِ ويرفع الستار عنهُ فاذا هو في محلهِ والرجل الذي كان فيهِ جالس عليهِ والكيس الى جانبهِ . فيستدعي الذين ساعدوهُ في ربط الصندوق والكيس ليروهما فاذا الصندوق لا يزال مربوطاً كما كان فيفكهُ ويفتحهُ فلا يجد فيهِ شيئاً والكيس الذي كان الرجل فيهِ يبقى مربوطاً ومختوماً كما كان

وتفسير هذه الحيلة ان يكون مع المشعوذ خابور كبير مغطًّى بالجنفيص فاذا ضمَّ فم الكيس ليربطهُ وضع الخابور بين الطيَّات ولف الخيط عليها حتى اذا وضع الكيس في الصندوق نزع الرجل الذي فيهِ الخابور من بين الطيات فيحل الرباط من نفسهِ ويخرج الرجل من الكيس وفي احد جوانب الصندوق محور قرب وسطهِ يدور ذلك الجانب عليهِ وهو ممكن في احد طرفيهِ بزر مرن فاذا ضغط عليهِ انفتح ودار الجانب على محورهِ فيخرج الرجل منهُ بسهولة ويخرج الكيس معهُ ويرد الرباط الى حول فمهِ ويضع فيهِ الخابور فيظهر كما كان اولاً حينما رُبط . ولا اشكال في ذلك لكن مَن لم يطَّلع على هذا الايضاح يتعذَّر عليهِ ان يكتشف بنفسهِ حيلة المشعوذ

العربية والمدرسة الكلية

اي تاريخ اللغة العربية وآدابها في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت وهي خطبة للاستاذ جبر ضومط تلاها في الاحتفال بتنصيب رئيس المدرسة الجديد في شهر مايو الماضي

ايها الاخوة والرفاق الاعزاء

اشتهرت مدرستنا الكلية اشتهارًا طبق آفاق الشام ومصر وتجاوزهما الى العراقين واسيا الصغرى وجزر المتوسط . اما في الشام ومصر فبلغت فيهما شهرتها مكانًا لا تدانيها فيهِ مدرسة اخرى من بقية المدارس الشامية على قِدم عهدها وبعد شهرتها في العلوم والآداب

ولا يخفى ان معظم هذه الشهرة انما كان في اللغة العربية وآدابها وذلك لما اشتهر بهِ ابناؤها من التقدم في الكتابة والخطابة والتأليف في العربية . على اني وان قلت ان شهرة ابنائها انما كانت في اللغة العربية فلا اعني ان العربية مجرَّدةً عن غيرها من العلوم والمعارف كانت السبب الوحيد في تلك الشهرة انما اعني انها كانت آلةً ظهر بها فضلهم وما عندهم من المعارف والعلوم فظهرت من ثمَّ شهرتهم وشهرة مدرستهم معًا

وبيانهُ ان المعارف والعلوم التي كانت ولا تزال عمدة دروس هذه المدرسة هذَّبت من استعداد ابنائها الشخصيّ وقوَّت من مداركهم العاقلة بما زادتهم من العلم بحقائق الامور فجعلتهم من ثمَّ اكفاء للمراكز التي اشغلوها بعد خروجهم منها . وهذا اي العلم بحقائق الامور هو اساس الشهرة الحقيقية وركنها المتين الذي تستند اليهِ فإن ظهر للناس واستفادوا من من اهلهِ ظهرت شهرتهم والاَّ فان بقي مدفونًا في صدورهم لم يكن لهم من الشهرة الاَّ ما يعلمهُ عنهم معاملوهم من كفاءتهم في الاعمال لاغير . ومما هو معلوم ان علم ابناء هذه الكلية لم يبقَ مدفونًا في صدورهم بل ظهر كتابةً وخطابةً وتعليمًا في المدارس ومن على المنابر وذاع عنهم في البلاد شرقًا وغربًا فذاعت معهُ شهرتهم وعرف الناس فضلهم وفضل مدرستهم لوقتٍ قصيرٍ من تأسيسها . والراجح انهُ لولا العربية لكانت شهرة هذه المدرسة وشهرة ابنائها على غير ما هي عليهِ الآن ولاقتصرت فائدتها على تهذيب تلامذتها الشخصي فقط من غير ان تتعدَّاهُ الى زيادة تذكر في سبيل الشهرة ونشر المعارف في البلاد عمومًا

ايها الاخوة والرفاق ليس من غرضي ان اطريكم الآن ففضلكم اعظم من ان يُشهرهُ إطرائي وكفاءتكم في الاعمال وعلمكم بحقائق الامور والوجود اعلى من ان تذيعهُ كلماتي بل انتم اعرف في بلادكم وامتكم من ان تحتاجوا الى مديحي وتعريفي ومدرستكم هذه التي تفتخرون بها اصبحت

والحمد لله بحيث لا يجهلها الاَّ الغبي الجاهل ولا يختلف في فضلها وتفضيلها على غيرها الاَّ الحاسد والمكابر . وعليهِ فاذا قلت ان اخواني من ابناء هذه المدرسة اشتهروا في الكتابة والتأليف فلا اعني انهُ لم يقم كاتب الاَّ منهم ولا مؤلف الاَّ درس في مدرستهم بل يلذ لي التصريح على مسمع منكم ان هنالك كثيرين من ارباب الاقلام واصحاب التآليف ممَّن درسوا في غير مدرستنا وتعلموا على غير اساتذتنا والاعتراف بذلك لا يقدح في فضلنا ولا ينقص من شهرتنا ولا من شهرة مدرستنا بل نحن اوَّل من يُفاخر بفضل هؤلاء العلماء الاعلام ويشهد ببلاغة يراعهم ويقرُّ بسعة علمهم واطلاعهم كما انهم هم كانوا من الذين عرفوا قدر مدرستنا واثنوا عليها وعلى ابنائها وكانوا ولا يزالون ممن يعجبون بها وبمبادئها وما زالوا ولن يزالوا عضدًا لها واخوانًا لابنائها وجهتهم واحدة وغرضهم واحد السعي في تقدم البلاد ورفع منار العلم والفضيلة . وقد آن لي ان ابدأ بموضوعي وهو

اللغة العربية في مدرستنا الكلية منذ اول نشأتها الى اليوم. وسأتحرَّى فيهِ بسط الحقيقة كما هي على قدر ما يسمح لي بهِ الوقت

ارى ان تاريخ هذه اللغة يقسم الى ثلاث مدات . (الاولى) مدة غلبة اللغة العربية وخمول الانكليزيَّة . (الثانية) مدة غلبة اللغة الانكليزية وخمول العربية . (الثالثة) مدة غلبة اللغة الانكليزية وانتعاش اللغة العربية وذلك باقبال الطلبة عليها ورغبتهم فيها كما هو الحال عليهِ الآن

امَّا المدة الاولى فتبتدئ بابتداء المدرسة سنة ١٨٦٦ وتنتهي سنة ثمانين ويجوز لنا ان نسميها بالعصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية وذلك لانها اي العربية كانت لغة المدرسة وبها كانت تدرَّس كل فروع العلوم في قسميها العلمي والطبي فضلاً عن علوم اللغة الخاصَّة من صرف ونحو وبيان وبديع وعروض وقافية ولم تكن اللغة الانكليزية شيئًا مذكورًا بل قد كان يخيَّر بينها وبين اللغة الفرنساوية وربما تجافى الكثيرون عن درسها واستعاضوا عنها بدرس الفرنساوية

امَّا المدة الثانية فتبتدئ سنة ثمانين وتنتهي على ما ارجح سنة تسعين او حواليها وفي هذه المدة غلبت اللغة الانكليزية على العربية فاخذت محلها واصبحت العربية من ذلك الحين الى الآن فرعًا بعد ان كانت اصلاً فأُهمل فيها تدريس العلوم جملة اولاً في القسم العلمي ثم في القسم الطبي والصيدلي وفي نحو هذا الوقت تمَّ تشكيل الدائرة الاستعدادية باللغة الانكليزية ايضًا فتم لهذه الفوز واصبحت سائدة ترفل في مطارف غلبتها وظهورها وانخنست (وانسحبت) العربية عن مواقف عزّها على منابر العلوم والفنون الى زاوية علومها الخاصَّة بها الصرف والنحو

وما والاها . فلما صارت الى هذه الحالة واديل عنها الى الانكليزية انصرفت النفوس عنها وضجر المتعلمون منها فرأوها طويلة الذيول لكن على غير طائل وكثيرة الشروح ولكن لا تشرح صدراً. ومن نكد طالعها انَّ المتعلمين كانوا قلَّما يفرقون بين علوم اللغة الصرف والنحو والبيان وبين اللغة نفسها فيظنون انَّ العربية في شرح ابن عقيل والخضراوي وحاشية الصبَّان الاَّ الذين وفقهم الله وقليل ما هم . وبذلت عمدة المدرسة جهدها في ارجاع العربيَّة الى رونقها الاول فلم تستطع الى ذلك سبيلاً فان العوامل التي كانت تصرف النفوس عنها كانت اعظم من ان تقاوَم وتغلب لذلك الحين كما سنلمع الى ذلك ان شاء الله . وما زالت الخواطر منصرفةً عنها الى ان تمَّ ما كُتب عليها من ايام الشدة والبؤس. ولما انقضت تلك الايام اخذت تنتعش شيئاً فشيئاً وكانت الخطوة الاولى التي خطتها نحو التقدم في ايام الاخوين الكريمين عزتلو سعيد بك شقير ورفعتلو يوسف افندي افتيموس فانهما اهتمَّا في تعليم هذه اللغة ووضعا كتابهما المشهور طيب العرف في علم الصرف ليدرَّس في الاستعدادية ونسَّقاه تنسيقاً لم يسبقا اليهِ فيما نظن . ومزية هذا الكتاب انهُ يعلم قواعد اللغة واللغة معاً وذلك بما اودعا فيهِ من الالفاظ المختارة والجمل المنتقاة والقطع البليغة التي اخذاها من ثقات المؤلفين المشهود لهم بالبراعة والبلاغة

لكن مع كل ما بذلوهُ ما زالت النفوس نفوس الاهلين عموماً ونفوس التلامذة خصوصاً منصرفةً عن العربية الى ما بعد سنة تسعين فاني جئت المدرسة معلماً في هذه السنة واعلم ان بعض الآباء كتب الى ابنهِ في المدرسة في تلك السنة او في السنة التي بعدها يعنفهُ تعنيفاً شديداً لانهُ كتب اليهِ في اللغة العربية دون الانكليزية. ومع انهُ يمكنني ان اقول ان انتباه التلامذة الى اهمية اللغة العربية ابتدأ من ايام الاخوين المومى اليهما اقول ايضاً انهم اسيء التلامذة كانوا كمن انتبه من سُبات ثقيل وظنَّ ان الفجر لا يزال بعيداً فهو يحاول اليقظة تارةً ويعود الى النوم اخرى وما زالوا كذلك بضع سنين حتى جاءت سنة خمس وتسعين وحينئذٍ كانت الاستفاقة على اتمها فلم يرجعوا بعدها الى النوم . الاَّ ان النهضة الحديثة او تجدد الرغبة في العربية لم تبلغ غايتها الاَّ عند ما انتقلت الاستعدادية الى ابنيتها الجديدة وتولى ادارتها استاذنا الفاضل روبرت وست فانه بذل حينئذٍ غاية الجهد في ترقية شأن العربية في الاستعدادية فصرف ليالي كانت طوالاً يفكر ويروي في المسألة وكثرت اجتماعات معلمي اللغة العربية في بيتهِ يتداولون ويتباحثون في افضل الطرق والوسائل لترقية شأن هذه اللغة الشريفة وما زالت اجتماعاتهم تتوالى حتى استقر رأي جميعهم على طريقة رسموا لها خطةً ما زالوا عليها

الى الآن ولا يزالون ومرمى هذه الطريقة الى اتقان اللغة العربية واتقان الكتابة فيها لا الى اتقان تعليلات اللغويين واستظهار مذاهب النحاة وفوق ذلك زادت ساعات التعليم وهذا من الاهمية بمكان فبدلاً من الاقتصار على تعليمها في السنة الرابعة والخامسة صارت تعلَّم في كل السنين من السنة الاولى فما فوق . وهنا لا بدَّ لي من ان اثني اطيب الثناء على اهتمام استاذنا المشهور روبرت وست واتدرج من ذلك الى الثناء على عمدتنا الموقرة ودائرة مديرينا الكرام فان اهتمام استاذنا الموما اليهِ انما كان عنواناً لاهتمامهم ورغبتهِ مظهرًا لرغبتهم ورغبة دائرة المديرين في ترقية شأن هذه اللغة وتحبيب ابنائها بها . ولا يجوز لي ان اتغاضى عن الاشادة بغيرة ونشاط معلمي هذه اللغة في الاستعدادية في السنين المتأخرة واخص منهم بالذكر الاخوين بولس افندي خولي وانيس افندي رامي ومن قبلهما الاخوة لبيب افندي جريديني ونجيب افندي شاهين وخليل افندي ثابت وفارس افندي الخوري

واراني وصلت الى سؤال لا بدَّ لي من ذكرهِ والجواب عليهِ والسؤال هو " هل اصابت العمدة في استبدال اللغة العربية باللغة الانكليزية " فانهُ لا يصح لمن تصدَّى للخطابة في تاريخ اللغة العربية في مدرستنا من اول نشأتها الى حد هذه الساعة ان يغضي عن هذا الاستبدال المهم وعما اذا كان من قبيل الخطاء والضرر او من باب الاصابة والنفع لهذه المدرسة وابناء هذه المدرسة معاً

ارجح ايها الاخوة والرفاق الاعزاء ان كثيرين منكم يهولهم موقفي الذي انا فيهِ الآن لصعوبة التخلص في جواب السؤال الذي سألتهُ وكأنما اسمع من يقول ما كان اغناك عن هذا السؤال فانك ان قلت اصابت العمدة في هذا الاستبدال كنت كمن يعارض الحقيقة في اعتقاد من يحبون العربية وينتصرون لها وان قلت غير ذلك واجهت اكثر الحضور ان لم يكن كلهم بما يكرهون في يوم عيدهم ومسرَّة قلوبهم

لا يهولكم حرج موقفي ايها الاخوة فاني ما دخلت هذا التيه الا وقد نفضت جوانبهُ ورأيت اني مهتدٍ فيهِ ان شاء الله وسأخرج منهُ بما يسرُّكم ويسرُّني ويزيد في بهجة ليلتنا هذه وسترون اني لا اقول الا الحقَّ الحقَّ الذي اعتقدهُ واستطيع ان اقيم البرهان عليهِ ايضاً

قبل الحكم في هل اصابت عمدتنا الموقرة ودائرة امنائنا ومديرينا في هذا الاستبدال ام اخطأُوا فيهِ لا بدَّ من النظر في غاية المدرسة والغرض الذي أُسست من اجلهِ فان كان الاستبدال يناسبهُ كان الاستبدال صوابًا وان كان يعارضهُ ويناقضهُ كان غلطاً لا مرية فيهِ فلنلتفت اذن الى غرض المدرسة وغايتها وهنا نقول من غير تردُّد انهُ كان من غايتها ان تساعد

على نشر المعارف والعلوم العصرية بواسطة تلامذتها بين ابناء اللغة العربية ولا يزال هذا الغرض غرضها وهذه الغاية غايتها الى الآن والى ما شاء الله . وكون هذا يتم بالاشتغال بالكتابة في اللغة العربيَّة والخطابة والتعليم في المدارس ومن على المنابر امرٌ مقررٌ لا يماري فيهِ ممارٍ لوضوحهِ على انَّ ما ذكرناهُ انما هو من غرض المدرسة لا كلُّ غرضها ولو كان كل غرضها لكان يجب ان تكون قد اقفلت ابوابها منذ عشر سنين على الاقل لان عدد الذين نالوا شهادتها البكلورية لحد سنة ۱۸۹٤ كان نحوًا من مئة وخمسين وعلى فرض انهُ لم يكن ثم مدرسة يخرج منها كاتب او مؤلف الاَّ مدرستنا افتظنون ان سوريا كانت تكفي لتشغل هذا العدد . ان مطابع سوريا وجرائدها في نفس هذه السنة (وتعلمون انها صارت ضعف ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات) ليكفيها خمسون كاتبًا ومنشئًا ومؤلفًا في اللغة العربيَّة فماذا نصنع بالمئة الباقين تقولون ليكونوا معلمين في المدارس ووعّاظًا على المنابر . ايها الكرام الافاضل الذين في ايديكم ادارة المدارس من اميركان وانكليز أعندكم مئة مركز تعليم ووعظ تليق بمئة بكلوريوس يشغلونها ؟ انا اجيب عنكم . ان البكارسة لحد سنة ثمانين كانوا نحوًا من ستين ومن هؤلاء الستين رجع ثلاثون الى المدرسة ليدرسوا الطب فما معنى ذلك ؟ معناهُ انهم لم يجدوا مراكز تعليم ووعظ تناسبهم وبناسبونها ولو وجدوا تلك المراكز ما رجعوا الى طلب الطب على ما فيهِ من النفقات وتعب الدرس اربع سنين ليلاً ونهارًا

اذن ليس كل غرض المدرسة تهذيب تلامذتها لمجرد التعليم والوعظ والكتابة في اللغة العربية بل لها مع هذا الغرض غرض آخر اهم منهُ بمرات وهو غرض تهذيب التلامذة وتوسيع مداركهم واستعدادهم ليكونوا كفوءا للاعمال المتنوعة من صناعة وتجارة وادارة وما شاكل وهذا الغرض بالنظر الى حالة البلاد وحاجتها الى اوربا واميركا يقتضي اتقان لغة اجنبية كما لا يخفى فضلاً عن ان اتقان لغة اجنبية اصبح ضروريًا للمعلم والواعظ والكاتب والمؤلف في نفس اللغة العربية والمشاهد اكبر دليل على صحة قولنا هذا . وعليهِ فلما رأت عمدتنا ودائرة مدبريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكلوريوسًا وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سدّ حاجة البلاد الوقتية من جهة التعليم والوعظ والكتابة والتأليف ولاسيما اذا اضيف اليهم المتعلمون في بقية المدارس الاخرى الانجيلية كمدرسة كفرشيما وسوق الغرب وصيدا وان ما زاد على هذا العدد ما لم يكونوا متقنين لغة اجنبية لا يجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالة على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية لكن

بدون اهمال العربية ولا تقصير فيها فقامت بذلك عظمة المدرسة الكلية الحالية ووصلت الى ما وصلت اليهِ الآن من كثرة عدد التلامذة وتقاطر عدد الطلاب اليها من سائر الجهات . فترون اذن ان استبدال العربية بالانكليزية كان صواباً لانهُ كان موافقاً لحاجة البلاد والتلامذة فضلاً عن انهُ موافق لغاية المدرسة وغرضها ايضاً ولو كان الوقت يسعني لبيَّنت ايضاً ان هذا الاستبدال على عكس ما يظن فيهِ كان وسيكون وسيلة لتقدم اللغة العربية وزيادة غناها في العلوم والآداب

واما ما كان من انحطاط العربيَّة وخمولها في المدرسة ما بين سنة ثمانين وتسعين الى خمس وتسعين فلم يكن لاسباب خاصةٍ قدر ما كان لاسباب عامَّة تناولت البلاد كلها ومدارسها جملةً ومن بينها المدرسة الكليَّة واليكم بعضاً منها

(١) لان استبدال العربيَّة بالانكليزية لم يكن اعتباطاً بل كان عن شعور عمدة المدرسة وفقاً وتبعاً لشعور الاهلين والطلبة باهمية اللغة الانكليزية وشدَّة الحاجة اليها ولذلك فلما تمَّ الاستبدال انصرفت خواطر التلامذة الى الانكليزية على قدر شعورهم بالحاجة اليها وبالضرورة انصرفت خواطرهم عن العربيَّة ونقص من اهتمامهم بها

(٢) ما كان من الحوادث العرابية في مصر وما عقبها من الاحتلال الانكليزي في تلك البلاد وهي من امهات البلدان العربية فان تلك الحوادث وذلك الاحتلال استوقفا الابصار مدة وجفت لهُ في اثنائها قلوب اهل العربية عموماً وكتابها خصوصاً وتخوفوا عاقبتهُ على اللغة واهل اللغة معاً وقضت الحوادث على كثيرين من الكتاب والخطباء والبلغاء فاختبأ بعض ونُفي بعض والبقية اخذهم الذهول فوقفوا حيارى لا يدرون ما يصنعون وظنوا ان قد قضي على اقلام الكتاب في العربية ودارت عليها الدوائر ثم تبع ذلك حوادث السودان والمتمهدي فكثر الطلب على من يعرفون الانكليزية حتى اعوز وجودهم في مصر وكتب معتمد الدولة الانكليزية فيها الى قنصلها الجنرال في بيروت ان ارسل من وجدت ممن يعرفون الانكليزية تراجمة. فأُرسل كثيرون برواتب شهرية كبيرة وفيهم اناس لم ينالوا حظاً كافياً من العلم وانما كانوا يعرفون شيئاً من الانكليزية وتُرك من المتخرجين في العربية وآدابها وعلومها جماعة اماثل يشار اليهم بالبنان وهم يعضون اصابعهم ندماً على ما فاتهم من درس الانكليزية وكل ذلك لم يكن في زاوية ولا خفي عن تلامذة هذه الكلية لان بعضهم تركوا صفوفهم وذهبوا تراجمة الى مصر والسودان وقد قوي اعتقادهم في اهمية الانكليزية ونفعها وضعف على نسبة ذلك اعتقادهم في العربية بل شك كثيرون لذلك الحين في انها تقوى على ان تطعمهم خبزاً

(٣) ان كثيرين من اهالي لبنان وولايتي بيروت وسوريا كانوا قد انتبهوا الى المهاجرة وكثيرون منهم سافروا الى الولايات المتحدة وكندا واوستراليا فعرفوا اهمية اللغة الانكليزية وعدم انتفاعهم في تلك الديار بشيء من اللغة العربية فزهدوا في هذه وحرصوا على اكتساب تلك ورغَّبوا فيها اقاربهم ومعارفهم

(٤) ان كثيرين من شبان اليونان بداعي ما حصل من التبدل في حكومة قبرص ومصر قصدوا المدرسة الكلية ولم يكونوا يقصدونها من قبل ليدرسوا اللغة الانكليزية فقط ورأى منهم شبان سوريا اهتماماً شديداً في درسها فزاد ذلك في توجيه خواطرهم الى اهميتها والى الحرص على اتقانها ونسوا اهمية العربية او تناسوها لكن الى حين ولم يكن والحمد لله طويلاً

ايها الاخوة والرفاق هذه هي الاسباب التي دعت الى خمول العربية وانصراف الخواطر عنها في البلاد ومدارس البلاد عموماً لكن لما كانت تلك الاسباب بعضها مقارن لاستبدال اللغة العربية في مدرستنا وبعضها لاحق بهِ شُبِّهَ على الاكثرين فتوهموا على خلاف الحقيقة ان مصاحب السبب هو السبب دونهُ

لكن الاحتلال الانكليزي لم يبتلع مصر ولا اللغة العربية في مصر ولم يلبث الامر طويلاً حتى انجلت غشاوة الوهم عن اعين الكثيرين فرأوا بعد الاحتلال مجالاً للعربية ولاقلام كتاب العربية اوسع من ذي قبل فاخذت الجرائد تكثر والمؤلفات تظهر وبان لهم اجمع ان العربية لا يستغنى عنها في البلاد العربية بل هي قوام الهيئة والجامع الذي يجمع بين افراد الامة وبها يتكلم المتكلم فيسمع صوتهُ اكثر من خمسين مليوناً من الناس

وزد على ذلك انَّ المهاجر الى البلاد الغربيَّة رأى حين رجع الى نفسهِ وذهبت عنهُ روعة المهاجرة ان العربيَّة هي الواسطة التي تربطهُ بشعبهِ وامتهِ وهي الموصل الذي يوصل افكارهُ واخباراتهِ وهو في الولايات المتحدة او غيرها من بلدان اميركا الشمالية وفي البرازيل او غيرها من بلدان اميركا الجنوبيَّة الى انحاء مصر والشام والعراقين والبلاد المغربيَّة حتى الى قلب افريقيا وبلاد العجم والهند كل هذه الحقائق اخذت تتجلَّى شيئاً فشيئاً لاذهان العقلاء والمتهذبين في العالم العربي ولا سيما في الشام ومصر فعادت الرغبة في العربيَّة الى المدارس عموماً والى مدرستنا الكلية خصوصاً واقبل تلامذتها على انشاء الجرائد العربية تحت مناظرة العمدة واستأذنوها في ذلك فأَذِنت لهم راضية باسمةً ونشطتهم بما استطاعت واول جريدة ظهرت في الكلية ظهرت سنة ١٨٩٥ . ثم توالى ظهور الجرائد من ذلك العهد الى الآن ومنذ سنة ٩٩ الى اليوم لم يقلَّ

عدد الجرائد المدرسية عن ثلاث بعضها اسبوعي وبعضها يصدر كل خمسة عشر يوماً مرة . ومن جرائد هذه السنة الحديقة وهي في سنتها الرابعة والحظ وهي في سنتها الثانية وحسناء الكلية وهي في سنتها الاولى . واعداد بعضٍ من هذه الجرائد لا تزال محفوظة في المكتبة مجلدة في كتاب تجليدًا حسنًا

وكما استأذن التلامذة عمدتنا الموقرة في انشاء الجرائد استأذنوها ايضاً في انشاء الجمعيات فاذنت لهم ونشطتهم حتى بلغ عدد جمعيَّاتنا الثلاث عشرة جمعية منها واحدة في اليونانية وثلاث في الانكليزية وتسع باللغة العربية . ومن هذه التسع اثنتان انشئتا اثناء هذه السنة صدًى لتنشيطات رئيسنا الجديد المحبوب

هذه هي خلاصة تاريخ اللغة العربيَّة في مدرستنا الكلية والذي رأيتموهُ وسمعتموهُ يمثل ما وصلنا اليهِ الى سنتنا هذه

والظواهر كلها تشير الى انَّا في اوائل نهضةٍ تقرُّ لها عيون ابناء الكلية ومحبيها ولا سيما رئيسنا الفاضل وعمدتنا المحبوبة ودائرة مدبرينا وامنائنا الكرام

ايها الاخوة ابناء العصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية كنت أحبُّ ان اقابل بين حالة ذلك العصر والكتابة العربية فيهِ وبين حالة العصر الحالي والكتابة العربية فيهِ لكنَّ المقابلة فيها شيءٌ من الافتخار عليكم لانَّ لنا اشياء نعدّها اليوم لم تكن لكم ولو فعلت وعددت ما يُرى انهُ لنا لاحتجتُ ابقاء لذلك العصر في مقامهِ السامي الى تعليلات كثيرة واعتبارات شتَّى ولذلك تركت المقابلة رأساً فحسب كل عصر انهُ ادَّى ما عليهِ من الواجب وكان فخرًا لمدرستهِ وبلادهِ

كنت لحد هذه الساعة مؤرخاً لا مطريًا ولو اردت الاطراء لوجدتُ مكان القول ذا سعةٍ وحسبي اطراء لرئيسنا المحبوب وعمدتنا الموقرة ما رأتهُ اعينكم في هذه العشية من نواب جمعيَّاتنا واعداد جرائدنا وما سمعتهُ آذانكم من خُطب خطبائنا والسلام

جبر ضومط

السوري

من خطبة تليت في جمعية الشبيبة السورية في المدرسة الكلية ببيروت

يا زمانَ السعودِ والافلاحِ عمرك الله ما اعدتَ الزياره
أبتاتاً طلّقتَ هذي النواحي حين امستْ اخلاقها مستعاره
هل عزمتَ المقامَ في اوربّا حيثُ خِلتَ الهوا اصحّ وانقى
وافتَ المالَ المعظمَ ربّا فوجدتَ الورى هنالكَ أتقى
هل رأيتَ البلاد ثمةَ اخصبْ ووجدتَ السماء ابهى واصفى
هل رأيتَ السكان في الفضل ارغبْ وبذكرِ الجميل والعهدِ اوفى
ايُّ شيءٍ في الغربِ عنّا ثناكا أجمالٌ في الارض ام في البلادِ
كل نفسٍ منا تروم رضاكا فعلى مَ الجفا وطولُ التمادي
يا زمانَ الفلاح بالله قلْ لي من تجنّي عليك حتى ارتحلتا
من رأى فيك غير فضلٍ ونبلٍ مَن توانى عن فعل ما قد امرتا
افساد في الارض ام في بنيها وحؤول في الشمس ام في الكواكبْ
حالةٌ لا أرى التوسّعَ فيها مجدياً واللبيبُ مَن لا يحاسبْ
آنَ يا اهل موطني ان نجانبْ كل ما يجلبُ الخمولَ علينا
غيرُنا شدَّ لمسيرِ الركائبْ وجميعاً بتنا نسيرُ الهوينا
ايُّ فوز للقاصرِ المتراخي ان تبارى مع القويِّ المحنكْ
ايفيدُ الغريقَ كثرُ الصراخِ والايادي لنشلهِ لا تحرّكْ

ايها السادة والسيدات

يعلم الله وبضعة من خلقهِ اني ما اخذت على نفسي الكلام عن السوري في هذه الليلة الأ قياماً بطلب الجمعية . لانهُ مهما كان لهذا الموضوع من الاهمية في نظر التاريخ والسعة في جانب الحقائق فهو تافه مبتذل في نظر الكثيرين ضيّق المجال على الباحثين الصادقين والحالة كما تعرفونها انتم وانا . وفوق ذلك ان في المثول لدى هيئة سورية والتعريض او التصريح ببعض مساويها من خاطب يبغي رضاها لحرَجاً لا يعرفهُ الّا من عاناهُ . يسمع البعض ما لا يروقهم ولا ينطبق على منتظرهم فيتقبّضون ويتهاونون بالاصغاء غير ذاكري القول المأثور "لعل لهُ عذراً وانت تلومُ" والبعض لا يقف عند حد التهاون بالاصغاء بل يتعداهُ الى سهل

المبالغة في التخطئة والتفنيد — وهذه خلة شائعة بين الكثيرين فهم ينظرون الى القائل لا الى المقول ويحكمون كما يوافق اهواءهم لا كما يوافق الحقيقة

وعليهِ فان الداعي الماثل لديكم قد تدبر كل هذه الاشياء فرأى ضيق الموضوع وتفاهتهُ وخطر الخوض فيهِ واقدم بعد كل ذلك عليهِ لا عن هوان تعودهُ فسهل عليهِ بل ثقة بان في الهيئة الحاضرة من يعتبرون الحقيقة وما قالت واملاً بايراد شيء مفيد ولو لم يكن على جانب عظيم من الطلاوة . هذا ولم اتوخَّ في خطابي البحث التاريخي عن السوري ولم المَّ بتفصيل ما كان عليهِ في عهد الفينيقيين والكنعانيين والاراميين والاسرائيليين واليونان والرومان والعرب. ومن شاء ان يطلع على شيء من ذلك فليراجع التواريخ فيرى ما لاينطق بهِ الآن لحرج الموقف وضيق المقام و يقف على ما كانت عليهِ تجارة السوريين وزراعتهم وصناعتهم وامارتهم وما بلغوا من العز والسؤدد وما اوردوا واصدروا وعلوا وعلَّموا و كيف حكموا وحُكموا و بكلمة يرى درجتهم من الحضارة والعمران — احاديث يروقنا سماعها وترقص لها قلوبنا لاننا نرى فيها ما ينطق عن عظمة اسلافنا الغابرين فنتلهى بذكر الماضي ولا نمعن الاَّ في محاسنهِ فيشغلنا عن الاهتمام بالحاضر والنظر في تلافي مساويهِ

ولطالما اسمعنا الخطباءُ والكتاب وصف حالتنا الغابرة وابرزوها بحلة من المعاني وحوك من المباني يعجز عن الاتيان بمثلها الكثيرون حتى اصبح قول بعضهم (بلادنا احسن البقاع تربة وهواء ... كنا اهل السطوة غير معارضين ... الى آخر ما هنالك) مأثورًا تتناقلهُ الالسن والاقلام

فيا ايها العاقلون ما الفائدة من ذكر الغابر اذا كان يزيد الصدر ضيقًا والنفس كمدًا . وما لنا وللماضي ولا مردَّ لهُ . ولمَ نغفل النظر في الحاضر وحسن المستقبل فيهِ . ماذا ينفعنا التباهي بالجدود واصلُ الفتى ما قد حصل. كفانا تبجحًا بذكر الماضي والمباهاة بالسلف فنحن في عصر لا يطول فيهِ رواج البضائع المستعارة ولا تفلح فيهِ الآراء المتقلبة ولا ينفع فيهِ الانقياد الاعمى

سبق القول ان مدار الكلام الليلة سيكون على السوري ابن القرن التاسع عشر وما بعدهُ لا ابن القرون الخوالي وقد اتخذت الموضوع على اطلاقهِ لأُلمَّ بكل مهم من اطرافهِ واظهر السوري في مظهر مجمل تبين فيهِ محاسنهُ ومساويهِ فاحلَّ عنهُ اللوم من جهة واكربهُ من اخرى حتى ينجلي المرمى الذي اتوخاهُ وما هو الاَّ نبيل ان شاء الله

السوري ابن القرن التاسع عشر غريب الاطوار والصفات . ترى فيهِ ما يدل على تسلسلهِ من الشعوب السامية ممزوجًا بما اكتسبهُ قديمًا وحديثًا من مخالطتهِ الشعوب الآرية فهو دين بالطبع يخاف الله حذِرٌ زكن مقراءٌ بكرم الضيف قنوع يميل الى الدعة والراحة ومقدامٌ عند

الحاجة قادر على الكد والعمل يأبى الهوان ويضرب في الآفاق تعيشاً . فلو تيسر لهُ والحالات هذه ان يتربى التربية العلميَّة ويتهذَّب التهذيب الصحيح ويفسح لقواهُ العقلية مجالاً تظهر فيهِ لنال السبقة في كل ميدان وادهش الاقران بمقدرتهِ ومآتيهِ

ولمَّا اصبح السوري منذ الربع الاخير من القرن الماضي الى الآن حلف الاسفار والتغرب والمخاطرة حتى قال فيهِ احد الشعراء المصريين

يضيق على السوري رحبُ بلادهِ فيركبُ للاهوالِ ما هو راكبهْ

قلق الغيور على الوطنيَّة وخاف الدائب في جمع الكلمة وتأفف القيمون على مصالح البلادلانهم رأوا في انتزاحهِ ضياع الوطنيَّة وتفريق الكلمة وتأخرًا في الزراعة والصناعة والتوالد . ثم قام ولاة الامور وشدَّدوا الاوامر على طالبي الانتزاح وضيقوا في وجوههم سبل السفر وتهددوهم بالعقوبات وعاقبوهم ولكنهم كانوا كأنهم يضربون في حديد بارد فواظب السوري على السفر والتغرب وطلب الرزق تحت كل جو من جواء المعمور واصبح السوريون اشتاتاً بين كل امة ولسان حتى كأن نبوة الكتاب شملت الاسرائيليين والسوريين ولا غرو فكلاهما من الاصل السامي

وكان الانتزاح باديء بدء يتناول السوري الذي ضاقت عليهِ موارد الرزق وتهددهُ الاملاق وما زال كذلك حتى كثر عدد الشبان المتخرجين في المدارس العالية الحاصلين على درجات التهذيب الواقفين على حقوق الواجبات وواجبات الحقوق المتأهلين لتولي المناصب ومعاطاة الاعمال فخرجت عن استيعابهم البلاد لا بل حرجت صدورهم عن البقاء فيها وليس لهم من المصالح ما يكفل لهم حسن المعيشة وهناء البال . فسافروا مع من سافر ودأبوا مع مَن دأب وجروا مع من جرى وتوظفوا مع من توظف ودرسوا مع مَن درس وكانت النتيجة انهم سبقوا من جاراهم حتى صار واحدنا يتوق الى السفر تشبهاً بالكرام الذين سبقوهُ ولسان حالهِ ينشد .

بلادي لا ارى فيكِ الاقامه	لمن يهوى التعزز والكرامه
فان ازمعتُ عنك البين يوماً	فقولي لي ترافقكَ السلامه
ابينُ ولا جفاً فيكونُ بيني	مواصلةً تطولُ بلا سآمه
ابينُ ورسمك المحبوبُ يبقى	على لوح الفؤاد الى القيامه
اريد لكِ العلى حتى تصيري	على وجنات هذي الارض شامه
اريد الحق ان يمسي حليفاً	لارباب المكانة والزعامه
اريد العلم ان يجري عيوناً	فيشفي كلنا منهُ أوامه

اريد النور ان يمتد فينا فينسخ من تعصبنا ظلامه
اريد اريد ان تفدى بلاد بها تجلى الجلالة والفخامه
وان طالت نواي فلا تقولي نآني ثم لم يحفظ ذمامه
فنفسي حيثما امضي اراها بسوريا العزيزة مستهامه
أأنسى جوك الصافي ومنهُ كسبت صفاء شعري وانسجامه
فكم راقبتُ فيهِ البدر يجري ولا كدرٌ هناك ولا غمامه
وصنين القديمُ تحوطنهُ غيماتٌ فكانت كالعمامه
وبحر الروم منبسطُ المحيا يحيي البدرَ اذ لاقى تمامه
مظاهرُ تبهجُ الصبَّ المعنى وتذكرهُ بسلمى او بمامه
فيجلو بعضها عنهُ شجاهُ ولكن بعضها يذكي غرامه
وكم احييتُ ساعات طوالاً افكر في الحياة المستضامه
وكان بجانبي خلٌ انيس يماشيني ويمحضني وئامه
يبادلني المنى ويقول صبراً سيرضى دهرنا ونرى ابتسامه

ذريني يا بلادي للتنائي فلا حرجٌ عليَّ ولا ملامه
اسير الى اقاصي الارض وحدي اذا لم تحلُ لي فيكِ الاقامه
لقد غرستْ يمينك بي طباعاً لها من كل مكرمةٍ دعامه
عزيز النفس التي كل صعبٍ ويقلقني الطفيفُ من الظلامه
يهون عليَّ ان القى المنايا ولا القى من الغرِّ احتكامه
يهون عليَّ ان اسعى لرزقي وليس عليَّ الا طاق خامه
ولا من يجتني سعيي اعتباطا وليس بطاقتي الشكوى امامه

ولا مراء ان انتزاح السوري كان باديء بدء بحكم الاضطرار وكلما كان بحكم الاضطرار لا يوجه عليهِ اللوم والتفنيد . وعندي (ان كان لي عند) ان هذا الانتزاح سيطول امرهُ الى ما شاء الله ويعم الكثيرين كما هو مشاهد في ايامنا الحاضرة ولا ينقص معدلهُ الا اذا استغنت البلاد وكثرت فيها موارد الرزق والتعيش وهذا ما لا يعيِّن زمانهُ الا من بيديهِ ملكوت السموات والارض

اذاً سافر ايها السوري النشيط ما استطعت الى السفر سبيلاً وانزح الى اية بلاد اردت على شرط ان تضع نصب عينيك سوريا العزيزة بجبالها وحزونها وهضابها وبطاحها وعيونها

وانهارها واشجارها واثمارها وتحن الى شمسها وقمرها ونجومها وتذكر صيفها وخريفها وشتاءها وربيعها وتشوق الى مسقط راسك الى العود الى مرابع طفولتك وصبوتك وفتوتك الى مقام اهلك وذوي قرابتك . ومتى يسّر لك الله رزقاً واحرزت من تغربك مالاً يسهل لك المعيشة في قومك فعد الى بلادك مكللاً بالفوز والنجاح حاملاً اليها الاختبارات المفيدة وعش فيها واسعَ لتعزيزها فانها في اشد الحاجة اليك ولا تفلح الاَّ بك وبامثالك من رجال المال والاعمال

واما ما ينادي بهِ بعض اهل الدين من ترك المال وترك السعي لهُ فانما يعنون بهِ شدة الولوع بالمال وتضحية قوى النفس جملة لمجرد تحصيلهِ وادخارهِ والاَّ ان كانوا يعنون ترك السعي لتحصيل المال الذي هو خير الذرائع لترقية البلاد فلا شك انهم يتعسفون في اقوالهم تعسفاً والآخذون بكلامهم مخدوعون او مخادعون

فيا ايها السوري يا من يتشكى من ضيق الاحوال ولسان حالهِ يقول

"ايشتكي الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارض من الذهبِ"

دع التشكي من الاحوال واعتقد بحكم بعضهم ان الرجال توجِد الاحوال وجدَّ وادأب وأقم لنفسك حالاً خاصة واملأها بالحركات ومتى ابطلت الحركة فليكن لسكون الليل واسترجاع القوى بالراحة والنومِ واذكر ان الامانة اس النجاح فاتخذها مبدأً راسخاً في اعمالك ومعاملاتك وانا الكفيل لك بحسن الحال وانفراج الضيق

ومن نكد الطالع ان سوريا واقعة في نقطة متوسطة بين الامم التي تغلبت على المعمور بحيث يسهل الوصول اليها والجلاء عنها فكان كلما قويت شوكة قائد شرقيها او غربيها يزحف عليها ويجتاحها وينكل باهلها ثم يضرب عليهم الجزية ويرتحل وهكذا تغلب عليها الاشوريون والبابليون والفرس والمصريون واليونان والرومان والعرب وانتابتها الحروب وثارت فيها الفتن ومع هذا كلهِ حافظ اهلها على لغاتهم وعوائدهم ولم تقوَ امة من الامم الغالبة على ابتلاعهم وتجنيسهم بجنسيتها وما زالوا كذلك حتى ظهرت الدعوة الاسلامية في بلاد العرب وجمعت كلمة القبائل هناك فاندفعوا يفتحون البلدان ويخضعونها حتى افتتحوا سوريا مع ما افتتحوا ونشروا فيها اللغة العربية فامتدت وتأصلت وامتصت اللغات التي كانت شائعة على الالسن آنئذٍ في اقل من قرن وذلك لانها كانت لغة الامة الفاتحة وبنت عم اللغات الأُخر . فامتلك السوريون بتوحيد لغتهم قوة عظيمة من قوى الارتقاء الجنسي

فنحن والحمد لله قوم لهم لغة من اوسع اللغات واتقنها حتى قال فيها استاذ كبير من احدى مدارس اميركا الجامعة انهُ اذا كان من حق لغة ما ان تعيش وتنتشر وتعم المعمور لجودتها

واتقان مشتقاتها بحيث يمكن التعبير بها عن كل معنى دقيق فتلك اللغة هي العربية

ولنا شيء من العصبية ولا ينكر علينا احد اننا اهل سعي وجد ولكن يؤخذ علينا امور كثيرة منها ميلنا الى الترف رجالاً ونساء فقد تشبهنا بالاوربيين في انفاقهم ولم نتعلم منهم طرق الاقتصاد . ومنها ميلنا الى اللهو وقضاء الوقت الثمين في ما لا يجدي فترى الجماعات منا مجتمعين يلعبون بالورق او بالطاولة والزهر او يلهون بالاحاديث الفارغة . ومنها خوفنا من المجاهرة بالحق والتجاؤنا الى المجاملة والاطراء (ومنها التعصب المذهبي الراسخ في نفوسنا حتى غلبت الجامعات الدينية على كل جامعة جنسية او وطنية ولو في الذين لا يفكرون في مطالب الدين يوماً في حياتهم. ولو كان لنا دين واحد لما كان في الامر بأس ولكن لنا اديان كثيرة ومذاهب عديدة ففرقت بيننا الجامعات الدينية اشد تفريق

فاذا تغلبنا على هذه النقائص فابعدنا عن الترف ولم نعد نخشى ان نظهر فقراء ولم نعد نتظاهر بالغنى اذا كنا فقراء واعتدنا طرق الاقتصاد وعرفنا قيمة الوقت حتى صرنا نحرص عليه حرص البخيل على درهمه لا ننفقهُ جزافاً ولا نقتلهُ مجادلة ومساومة او تلهياً بما لا يجدي . واذا صرنا نجاهر بالحق ولا نخدع الحاكم بالاطراء ولو كان لا يستحق الا اللوم . وفوق الكل اذا نزعنا التعصب الديني وحسبنا الناس كلهم اخواناً متساوين ولا يتفاضلون بالتعصّب المذهبي بل بالاعمال الصالحة وصرنا نأبى الاصغاء الى كلام الاب او الام او الشيخ او القسيس اذا كنا نرى فيه تلوياً عن جادة الحق واجحافاً بحقوق الانسانية وتفريقاً في الجامعة الوطنية واضعافاً للهيئة الاجتماعية — اذا صرنا كذلك حق لنا ان ندعى امة من الامم الراقية مراقي النجاح

بقي عليَّ كلمة خاتمة وهي ان البلاد لا تقوى لها قائمة الا بانتشار التعليم والتهذيب على الاصول الصحيحة التي توسع دائرة العقل والتصور وتعوّد الانسان على العمل والاكتساب . ولا ينتشر التعليم بدون انتشار المدارس ولا تنتشر المدارس بدون اقبال الناس عليها ولا يقبل الناس على المدارس ما لم يتجحوا ويرغد عيشهم . وطالما نرى التعليم مقصوراً على الافراد القليلين وليس سوى حفظ مفردات لغوية وحقائق تاريخية او اتقان التكلم بلغة اوربية فما هو بالتعليم المفيد واضرارهُ في بلادنا اكثر من منافعه . اجارنا الله من كل من يزيد في تفريق كلمتنا ويعمل على اضعاف جنسيتنا

بولس الخولي

———

الامير فخر الدين المعني

(تابع ما قبله)

مرَّت اربع سنوات والامير فخر الدين يترضَّى رجال الدولة بالهدايا والاموال فيقرونهُ في ولاية لبنان ويَستعينون بهِ على مَن ناوأَهم من الولاة او يترضَّاهم غيرهُ من مناظريهِ فيتغيرون عليهِ ويولونهم على اطراف ولايتهِ او يرسلون الجيوش للايقاع بهِ الى ان كانت سنة ١٦٢٤ فتعهد وكيلهُ في الاستانة لباب الدولة بمئتي الف ذهب اذا تولى مولاهُ كل ولايات عربستان من حدود حلب الى حدود القدس فصدر الفرمان السلطاني بذلك منعمًا على الامير بلقب سلطان البر الذي احرزهُ جدهُ فخر الدين الاول بانعام السلطان سليم . وجاء سلحدار السلطان بالفرمان العالي فالتقاهُ الامير بموكب عظيم واكرمهُ بثلاثة آلاف ذهب وادَّى الميئتي الف ذهب التي تعهَّد بها وكيلهُ لباب الدولة ثم حشد اربعة عشر الفًا من العسكر وزحف بهم من بيروت الى البترون فعكار وهنالك طالب يوسف باشا سيفا بالخمسين الفًا التي اخذ صكها من عمر باشا فادَّاها يوسف باشا سريعًا فرحل الامير الى جبله فقدَّم اهلها لهُ عشرين الفًا ونفقات العسكر مدى ثلاثة ايام اقامها عندهم ومضى من هناك الى جسر الشغر فوافاهُ اليهِ والي حلب وقدَّم لهُ ثلاثين الفًا ذهبًا والتمس منهُ تأمين الاهلين فاجابهُ على ان يؤدي جزية النصارى فلما ارتضى الوالي بعث الى حلب بعضًا من اعوانهِ لجبايتها

فيستفاد من هذا ان فخر الدين تولى زعامة الولاة ايضًا وان حلبًا ودمشق والقدس من ضمن حكومتهِ الاَّ ان تشرشل يقول في كتابهِ عن جبل لبنان ان ولايتهُ كانت على الجبال من حلب الى اورشليم اما جزية النصارى فليس لدينا من نبإٍ عن مقدارها الاَّ ما ذكرهُ ڤولناي من انها لم تكن ممَّا يدخل في حساب الالتزام بل تُرسل الى بيت المال رأسًا ومعنى هذا ان الدولة العلية كانت تفرض على الولاة مالاً مقررًا ولم تكن الجزية التي يسمونها الخراج من الجملة فكان الوالي يوزع الاقطار على من يوليهِ الحكومات ببدلٍ مسمَّى والدولة لا تعرف الاَّ الوالي مسئولاً لديها بما عليهِ من المال كما ان الوالي يطالب الحكام كلاًّ بما عليهِ . واما مقدار الخراج فقد ذكر ڤولناي انهُ ثلاثة غروش وخمسة واحد عشر ولم يكن يلتزم باداثهِ موارنة لبنان ولا دروزهُ ولا النصيرية . وحسب ڤولناي عدد النصارى المضروب عليهم الخراج مئة وخمسين الفًا وعدَّل ضريبتهم ستة غروش فالجملة تسعمائة الف قرش

ولما استوفى فخر الدين جزية النصارى في حلب اتجه صوب حماه ونادى بالامان فقدَّم

اهلها له خمسين الفاً ثم شنَّ الغارة على عرب الموالي وطالبهم بنفقات عسكرهِ فاطاعهُ الامير مدلج الحياري وخالفهُ عرب الامير فياض فاغار عليهم فانفصلوا عن الموالي واوغلوا في القفر فطاردهم ثلاثاً وعشرين يوماً حتى عبروا النهرين فعاد عنهم واتى طرابلس وجمع نفقة لعسكرهِ من بلادها ثم امر ببناءِ قلعتين الواحدة تجاه حلب والاخرى فوق انطاكية ووضع فيهما عسكراً وزحف صوب بعلبك ففرَّ الحرافشة مشرّقين فاطلق الامان للاهلين فاتوهُ مسلمين متعهدين بخمسة واربعين الف غرش وامر بِرمّة قلعة بعلبك واقام فيها حامية وبنى قلعة في قب الياس وسلمها لجماعةٍ من عسكرهِ وقصد وادي التيم فالتقاهُ الامير احمد الشهابي بالاكرام وقدم لهُ نفقة عسكرهِ وجاءهُ اليها بعض المشارقة وجعلوا على انفسهم ضريبة سنوية سموها رمية ثم اتى حاصبيا فرحّب بهِ الامير علي الشهابي وقدم لهُ نفقة وامر احد رجالهِ المسمى البكباشي احمد الكجك ان يلبث في وادي التيم حتى يقبض عشرين الف غرش خدمة من الامير علي الشهابي ثم شرع يرمّ قلعة بانياس ويبني في صرخد

وفي غضون ذلك حدث غلاءٌ في دمشق فارسل الدماشقة يشكون حالهم للامير ويستغيثون بهِ فارسل اليهم اربعة آلاف جملٍ تحمل غلالاً ثم جمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها ان ينقلوا القمح الى دمشق وامر ان يباع رطل الخبز بقطعتين ولما اتى مرجة دمشق خرج اليها كل الاهلين كباراً وصغاراً يشكرونهُ ويدعون لهُ . ثم استخدم الفاً من الانكجارية وطلب من كبراء البلد جزية النصارى الذين عندهم فاجابوهُ الى ذلك وارتحل عنهم الى قب الياس فدير القمر وشرع يرمّ اسوارها وامر فبني حصنٌ في المسيلحة

ولما رجع احمد الكجك من وادي التيم امر الامير بمحاسبتهِ فاستاء وخرج من خدمتهِ مغاضباً فذهب الى اسلامبول وخدم في باب الدولة وكان مقتدراً فارتقى وما كرَّ عليهِ الزمن حتى صار وزيراً ولكن علياءهُ لم تبعدهُ عن الحقد على الامير بل ظلَّ ينفث ضدهُ سم الوشاية والسعاية حتى اوغر عليهِ صدور رجال الدولة

فما مرَّ يرى اللبيب ان فخر الدين نال اقصى امانيّ نفسهِ اذ اصبح وهو الحاكم الاعلى في بر الشام واليهِ مرجع امورها وقد اعتلى قنة المجد فلم يبقَ لهُ من منازعٍ في طول البلاد وعرضها لان مناظريهِ رأوهُ قد نال رضا الدولة فزاد بذلك منعة وحولاً وغنى ويساراً . ومن تمام حظهِ ان توفي يوسف باشا سيفا الذي ناصبهُ العداء طويلاً فزحف من بعلبك الى طرابلس عن طريق بشري واسرف في الفتك بالاهلين واباح نهب المدينة اربعين يوماً ثم شرع يرمّ الحصون ويبني المعاقل والقلاع ويزيد في الادخار وحشد المال وتكتيب الرجال ومواثقة الكبراء

ورأى تهافت الناس على اعظامهِ وسمع اقوال الشعراء فيهِ فنفخهُ الكبرياء وليس بعيدًا ان يكون عتوهُ قد حمل بعض المنكرين عليهِ من نظرائهِ او دفع الولاة المخلصين الذين في جوارهِ الى رفع تشكياتهم لابواب الدولة فوافق قولهم ما عرضهُ احمد الكجك من الشكاوي حتى رأى ارباب الحل والعقد ما اوجسوا منهُ خيفةً على البلاد لاسيما وانهُ استكثر من التحصين والتجهيز فتحفز للزحف عليهِ خليل باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٦ وقدم حلبًا بالعسكر السلطاني فلما سمع الامير ارسل عبد الله البكباشي اليهِ يعدهُ بمالٍ جزيل وبتسليم قلاع الحصن وصافيتا وسلمية وشميمس والمرقب

هذا ما رواهُ العلامة الدويهي غير ان من قرأ تاريخ السلطنة العثمانية في تلك الاونة يتضح لهُ ان خليل باشا لم يقصد محاربة المعنيين وانما زحف لقتال الفرس سنة ١٦٢٦ فلعلَّ مرور جيشهِ على تخوم بر الشام حمل الامير فخر الدين على ارسال عبد الله البكباشي بالمدية اليهِ جريًا على عادتهِ مع الوزراء وامراء الجيوش

ولقد مرَّ بنا ان احمد الكجك ارتقى في خدمة الدولة والذي علمنا انهُ احرز رتبة بكلربك وعين واليًا للشام سنة ١٠٣٩ هـ المعادلة لسنة ١٦٢٩ ثم عُزل عنها وعاد اليها سنة ١٠٤٢ هـ وفي صدرهِ على فخر الدين اشياء المعنا اليها فرأى على ما يُظن ان الامير لم ينثنِ عن الترميم والتحصين بل زاد في الابهة حتى بنى برج الكشاف في بيروت وخانًا للوحوش تمثلاً بالسلطان وشق عصا الطاعة واخذ كثيرًا من القلاع من ضواحي دمشق وتصرَّف في ثلاثين حصنًا وجمع من طائفة السكمان جمعًا عظيمًا وبالجملة فقد بلغ مبلغًا لم يبقَ بعدهُ الاَّ دعوى السلطنة وذلك ما قالهُ المحبي وزاد المرادي ان بلغ عدد جيشهِ مئة الف. رأى الكجك ذلك فرفع الامر لباب الدولة وهو عارفٌ بما كان عليهِ السلطان مراد الرابع من البطش الذريع بمن يوجس منهُ خوفًا وانهُ لم يبقِ في طول السلطنة وعرضها من يخالف لهُ امرًا او يشذ عن سبيلٍ يرضيهِ فكيف يغض الطرف عن اميرٍ بلغت بهِ الجراَة حدًّا شبَّ بهِ عن طوقهِ. وقد نُقل عن الامير على ما روى جوانين انهُ كان ميالاً للدين المسيحي بل يُبطنهُ ويظهر الاسلام وانهُ اقتدى بالافرنج في اخلاقهم وعوائدهم لا يخشى نكيرًا بين قوم لم يألفوا الاَّ عادات الآباء والجدود. وقال غير هذا المؤرخ انهُ ابتنى قصرًا في بيروت بعد عودتهِ من ايطاليا وزيَّنهُ بمثل ما تحلَّى بهِ قصور هاتيك الديار من التماثيل والصور. كل ذلك زاد في طين تهمهِ بلةً وذكَّر ارباب الامر بما كان من محالفتهِ البنادقة والتجائهِ الى بلادهم فحاكت هذه الامور جميعها في صدر السلطان حتى اذا بلغت شكوى الكجك مسامعهُ صدرت لهُ الاوامر بقتالهِ فبعث يستفز نوالي باشا والي حلب

وحكام طرابلس وغزة والقدس ونابلس والجا وعجلون وحمص وحماه . وجمع اعيان العلماء وكبراء العسكر في دمشق وقرأ عليهم الاوامر السلطانية فقابلها جميعهم بالطاعة وباشروا الاهبة وشرع امراء الاطراف يفدون الشام واحداً بعد آخر حتى اجتمع لفيفهم فخرج بهم سنة ١٠٤٣ (١٦٣٣) ثم استفز الامراء علياً اليمني وحسين سيفا ومحمداً وحسين الحرفوش فلما جاؤه ولّى كلاً منهم على بلادهِ . وبلغ فخر الدين ذلك فجمع رجالهُ فبلغت عدتهم ستة وعشرين الفاً ولكنهُ فرّقهم فاخطأ في تدبيرهِ ذلك انهُ ارسل ستة آلاف مع ابنهِ عليّ الى عجلون وثلاثة آلاف مع ابنهِ حسين للتحصن في قلعة المرقب وثلاثة آلاف اخرى الى بانياس

وفي ابّان هذه الازمة وازورار الناس من الامير واحجامهم عن نجدتهِ وتلكوء حلفائهِ وظهور احقاد خصومهِ وقع في بلاد عجلون خلاف وقتال بين العرب وآل طرباي فاتهم الامير علي المعني بذلك ووقعت الشحناء فالنفرة والقتال فاضطرَّ ان يرحل الى بانياس

وعلم احمد باشا الكجك ان الشهابيين يحتشدون في وادي التيم فارسل عليهم فريقاً من رجالهِ يبلغون الثمانية آلاف فخافهم الاهلون وفروا هاربين فاحرق العسكر حاصبيا وبعض القرى ونزل في صحراء الخان الجديد فلما علم الامير علي نهض من بانياس واسرع الكرة فادرك عسكر الكجك ليلاً بالف مقاتل واشتبك الحرب حتى الصباح فاصابت علياً طعنة رمح القتهُ على الارض ولم يكن القوم عارفين بمن جرحوا الاَّ ان جندياً من اهل دمشق كان من قبل في خدمتهِ فمرَّ عليهِ وهو جريح فنزل ليحزَّ رأسهُ فعرفهُ الامير وقال لهُ خلصني ولك عليّ من المال ما تريد فقال لهُ ان بقاءك بعد هذه الجراح محالٌ ثم قطع رأسهُ واتى مخيم احمد باشا فدخل عليهِ وهو نائم فنبههُ خدمهُ الموكلون بهِ ولما افاق قبَّل يديهِ ووضع الرأس قدامهُ وقال لهُ هذا رأس رئيس القوم فلم يصدقهُ حتى جاء مَن عرفهُ وحقق لهُ الامر وضربت البشائر وارسل الباشا رأس الامير علي الى دمشق في جملةٍ من الرؤوس وادخلوها على اسنة الرماح وجهزوها بعد ايام الى الابواب السلطانية

ثم جاء جعفر باشا بالاسطول السلطاني الى طرابلس فتحفز آل سيفا وجاءوا برجالهم الى بيروت فجاءها الاسطول ايضاً ثم ارسل الباشا عسكراً الى المرقب فاستولى على قلعتها واسر الامير حسين بن فخر الدين وبعث بهِ الى خليل باشا في حلب

اما الكجك فدسَّ للشوفيين قولهُ اني انا كسرت وانا اجبر انظروا كم تؤدون لمولانا السلطان خدمةً وخرج عسكرٍ وبعد ذلك أُولي عليكم من تختارون من ابناء فخر الدين واردُّ العسكر عنكم فانطلى محالهُ على القوم وذهبوا الى الامير يسألونهُ الاجابة فقال لو دفعتم لهُ عشرين كرة لما افادكم شيئاً ولكني ادفع المال لئلاَّ اذا تمنعتُ تقولون لو ارتضى الامير لما وقع علينا حيف

ثم اتفقوا مع الكجك على مئة الف غرش خدمةً للسلطان وخمسين الفاً للكجك وعلى احضار احد ابناء الامير ليتولى مكان ابيهِ فاتوهُ بالامير حسن اصغر بنيهِ فطيَّب قلبهُ وخلع عليهِ واتخذهُ كولدٍ لهُ فبدأ القوم يوردون المال حتى اذا استوفاه وقد علم ان عسكر الامير انفضَّ من حولهِ ولذلك فهو عازم على التحصن في قلعة ثيرون امر بقتل ابنهِ حسن وزحف بجيشهِ الى الشوف فارهقهُ وقتل كثيرين من الاهلين وولَّى عليهِ الامير علي علم الدين اليمني ثم حطَّ الحصار على قلعة ثيرون التي اختبأ فيها فخر الدين واحضر النقابين والقطاعين وامر ان يقطعوا صخرها من فوق الى تحت وكان ارتفاعهُ ثلاثين ذراعاً وافسد ماء عين الحلقوم التي اجراها الامير الى القلعة تحت الارض وذلك بروث البهائم وبالدماء ومعى الحيوان وكان للقلعة اسكف ورفرف من خشب متى رفعت تعذَّر الدخول اليها فكان الفعلة يقطعون الصخر الاعلى والعسكر يرفع الاحجار والكجك ينهض هممهم بالحث والعمل معهم كل ذلك على عزف الموسيقى وضرب الطبول في الليل والنهار حتى اقتربت اصوات الناقبين من سمع الامير وراى الخطر وشيكاً فتدلى من القلعة مع بنيهِ الثلاث ومدبرهِ ابي نادر الخازن وبعض رجالهِ وسترهم ظلام الليل عن العيون حتى اتوا مغارة جزين اما حفظة القلعة فانهم استأمنوا للكجك في الصباح فاطلقهم واستولى على ما فيها من الذخائر وانتقل من هناك الى مغارة جزين وهو لا يدري ان فخر الدين مقيم فيها فعزم ان يترك بعضاً من عسكرهِ على حصارها وان يعود الى دمشق لاقتراب فصل الشتاء فحدث ان في تلك الليلة نزل احد مماليك الامير يتجسس الاخبار فقُبض عليهِ وجيء بهِ الى الكجك فسألهُ عن الامير فاجابهُ انهُ في المغارة ففي الحال امر بتشديد الحصار عليها واستحضر الفعلة ليلغموها من الاسفل فاشتغلوا حتى صاروا على مسمعٍ من القوم فنادوهم وانذروهم بوشك وضع اللغم ان لم يسلموا فلما يئس الامير من النجاة استأمن ومن حولهُ من رجالهِ فامر الباشا بحراستهِ واولادهِ منصور وحيدر وبلك الذين اسروا معهُ . ومما يؤخذ على المرادي انهُ غلط في روايتهِ ان اثنين فقط من ابناء الامير سلما معهُ وكذلك اخطأ بتسمية احدهما مسعوداً وانهُ قتل مع ابيهِ وبتسمية الآخر حسيناً والرواية التي اعتمدناها اصح لان حسيناً اسر عند فتح المرقب كما مرَّ

وكتب احمد باشا يستنزل الامير يونس اخا فخر الدين عن دير القمر على امانهِ فجاءهُ الى صيداء ومعهُ ابناهُ ملحم وحمدان فلما صاروا في حوزتهِ قال للامير يونس كم تدفع من المال فداء عنك وعن ابنيك فاطلقكم آمنين لانهُ لم يصدر بكم امرٌ سلطاني فوعدهُ الامير بمالٍ جزيل لكنهُ قال ان المال مخبأ فاطلق واحداً منا يجيء بهِ اليك فاطلق الامير ملحماً فسار بهِ بعض الشوفيين

الى عجلون نزيلاً على امراء آل طرباي فلما علم الكجك بذلك حسبها خدعة من الامير يونس فحبسهُ مع ابنهِ حمدان وعذبهما حتى ماتا ثم نهض الى الشام فاستصحب معهُ امراءهُ فدخل دمشق بموكبٍ عظيم وفخر الدين مقيد على فرسٍ خلفهُ فانطلقت السن الشعراء في مدحهِ كما انطلقت من قبل بمدح الامير فمما قال الامير المنجكي

وجاءنا بابن معنٍ بعد ما قطعت	صم الصخور عليهِ وهو معتزلُ
لم تغنِ عنهُ الحصون البيض اذ طلعت	سود الرزايا عليهِ اليوم والقللُ
ولا الدلاص ولا ذاك الرصاص ولا	تلك الجياد ولا العسالة الذبلُ
ولا من العرب من كانت جرائرهُ	تأتي عليهم ولا الكتاب والرسلُ

وبعد ايام جهز الكجك رجلاً من اعوانهِ في امرة سرية من الفرسان وبعثهم الى اسلامبول يخفرون الامير فخر الدين وبنيهِ اليها الا ان تشرشل يقول ان الامير لما أسر أرسل من غير تأخير الى جعفر باشا امير الاسطول فوضعهُ ومن معهُ في احدى البوارج وسافر بهم الى الاستانة غير ان هذه الرواية تخالف نص المحبي وما روى من الشعر والله اعلم

وفوق هذا فقد ذكر الرحالتان ميشو وبوجولا في الجزء الخامس من كتابهما في الرسائل المشرقية صفحة ٥١٨ ان فخر الدين كان قد ملأ ميناء صيداء بالحجارة والتراب ليمنع اقتراب سفن الاسطول العثماني منها الا انهُ يظهر ان ذلك لم يمنع تردد الاسطول اليها مدى زمن فخر الدين وبعدهُ. ثم طلب من آل طرباي ان يسلموا الامير ملحماً الملتجئ اليهم ففعلوا فلما سار بهِ جماعة الوزير باتوا في خان الشيخ ففرَّ من على سطوح الخان واختبأ تحت معبر ماء قريب من الخان حتى رجع الجند من التفتيش عنهُ فخرج من مخبإهِ وسار الى قرية عرنا في جبل الشيخ واختبأ فيها

ووصل الامير فخر الدين وبنوهُ الى اسلامبول والسلطان يومئذٍ في اسكدار على ما قال المرادي فأمر بهِ فسجن واخذ ولداهُ الى غلطه سراي وبعد حين حظي فخر الدين بشرف المثول لدى حضرة السلطان فاحتجَّ عن نفسهِ قائلاً اني ما جمعت الرجال الا باوامر الوزراء والنواب ولا قتلت الا العصاة على مولانا السلطان والقلاع التي فتحتها كانت للعصاة والتي بنيتها لدفع الاعداء وانما مهدت طريق الحج ومنعت العربان عن التعدي واديت الاموال الاميرية وايدت الاحكام الشرعية. فسرَّ السلطان بحجتهِ وعفا عنهُ وعن اولادهِ ولما رجع خليل باشا من حلب اصحب معهُ الامير حسيناً الذي أسر من المرقب فاحبهُ واقامهُ في خدمتهِ

اما الامير علي علم الدين اليمني الذي تولى الشوف فقد قبض على بعض وجهاء المعنيين

وقتلهم وسلب مقتنياتهم وذهب الى عبيه ففتك بالامراء التنوخيين ولم يبقِ منهم ذكرًا فهاج القوم من فعالهِ واكبروها واستنفروا الامير ملحماً بن يونس المعني من مخبإه في عرنا حتى اجتمع اليهِ بعض المعنيين فنهض بهم الى الشوف فتقاطر اليهِ المريدون فزحف على الامير علي نجاه هذا بجماعة من عسكر الشام وفيهم كتخدا احمد باشا فواقعهم فوق مجدل معوش وظفر بهم وقتل منهم عددًا من الرجال وفي جملتهم كاخية الباشا وانهزم علم الدين الى طرابلس ومنها الى الشام. وقدم على الامير ملحم الامير عساف سيفا واتفق معهُ على قتال علي سيفا واما علي اليمني فعاد معززًا بجند الشام فقبض على اربعمائة من رجال العرقوب وقتلهم عن آخرهم مخافتهُ الخوازنة والجبشيَّة ونزحوا من كسروان فنهض الامير ملحم وطردهُ وحاربهُ في مواقع جمة ظفر بها كلها فجدَّد احمد باشا الكجك الشكوى الى اسلامبول مدعياً ان اعمال الامير ملحم كانت بايعاز عمهِ فخر الدين وروى جوانين انهُ نسب اليهِ نهب صور وبيروت وصيداء وعكاء فحنق السلطان من فخر الدين اذ صدَّق الوشاية فيهِ فاصدر امرهُ بقتلهِ وقتل اولادهِ فقتلوا جميعاً في ٣ نيسان سنة ١٦٣٤ ولم يبقَ من ابناء فخر الدين الاَّ الامير حسين لانهُ كان في حمى خليل باشا

وممَّا ورد عن مقتل الامراء قول المرادي ان في شهر شوال سنة ١٠٤٣ امر السلطان وزيرهُ بيرام باشا بقتل فخر الدين فاخذهُ الوزير من حبس البستانجي باشي الى تجاه محل الوحوش المسمى ارسلان خان ورمى رقبتهُ ثم طرح جثتهُ في آت ميدان وانهُ قتل ابنهُ مسعودًا خنقاً لانهُ راشد وطرح جثتهُ في البحر

الاَّ انَّ سنة ١٠٤٣ هـ تعادل سنة ١٦٣٣ م والمتفق عليهِ ان قتل فخر الدين كان سنة ١٦٣٤ والدليل على هذا ظاهر من قول العلاَّمة الدويهي ان زحف الكجك لقتالهِ كان في شهر ايلول سنة ١٦٣٣ وبما انهُ قُتل في نيسان فمن الضروري ان يكون ذلك سنة ١٦٣٤ وليس سنة ١٦٣٥ كما قال جوانين

ولا يصحّ بنا ان نبخس فخر الدين حقهُ من الوصف فقد كان شجاعاً باسلاً شهدت لهُ فعالهُ بعلو النفس وطموحها الى العلياء فترى صاحب اخبار الاعيان يذكر من اقدام الامير ما يشهد لهُ بالبسالة واقتحام الاخطار غير متهيب ولكم لهُ من وقعةٍ كان جيشهُ فيها على وشك الادبار فعاد بصولتهِ ظافرًا وناهيك بما رواهُ من ان احمد باشا الكجك كان يخشى شجاعتهُ لما رأى من فعالهِ وكأن الشجاعة كانت حلية هذه الاسرة فقد ذكر المحبي اثناء كلامهِ عن مقتل علي بن فخر الدين انهُ لم يعلم احدٌ ان الامير علي بينهم ولو علموا لما ثبت احدٌ لكبر صبتهِ

ومع ان فخر لدين كان فتاكاً باعدائهِ لم يكن كالكثيرين من رجال الحرب الذين لا تأخذهم

الرأفة بالمساكين والضعاف بل كان يؤاسي المحتاجين ويبرهم ألا تراهُ كيف نهض لاعانة الدماشقة يوم مسَّهم الجوع وكيف كان يقدم على اسعاف المستغيثين بهِ ولو ادَّى بهِ اسعافهم الى القتال

وناهيك بهِ من رجل علَّة التسود في لبنان ان يتخذ من النصارى انصارًا واعوانًا وان يحكم فيهم بالقسط ولا يحيف عليهم في شيءٍ حتى استراحوا في ايامهِ وآمنوا وعمروا الكنائس والاديار وطاب لدعاة الدين حتى من الافرنج السكنى في لبنان ولعلَّ هذا التساهل هو ما حمل السعاة بهِ على رميهِ بالتنصر والمروق من دين آبائهِ

وقد وصفهُ تشرشل بالنشاط والاقدام والذكاء وانهُ لو وافقتهُ الاحوال لاحسن الى قومهِ وقال ان عقلهُ كان كبيرًا وفيهِ حلمٌ يحبب اليهِ قومهُ ويجعلهُ موضع ثقتهم وانهُ لما فوضت الحكومة اليهِ الولاية سعى جهدهُ في مصلحة بلادهِ وعامل الناس بالمساواة والعدل

وكانت لهُ مشاركة في الادب بدليل بيتين من الشعر قالهما فيهِ عطاء الله المسلوني المصري وهما

يراعك ان ابكيتهُ ضحك الندى وعضبك ان اضحكتهُ بكت العدى

فسيمة هذاك اعتدى قطُّ رأسهِ وسيمة هذا قطع رأس من اعتدى

وكأني بهِ اراد نشر المعارف بين قومهِ اهتمامًا بشؤُونهم اذ ورد انهُ اقترح على المطران جرجس ابن عميرة الاهدني وضع كتابٍ في هندسة البناء باللغة العربية فألفهُ ولكننا لسنا على يقين من ان الامير اراد بوضع هذا الكتاب افادة الناس والاَّ لاقترح على علماء ذلك العصر وادبائهِ تأليف كتبٍ اخرى اكثر فائدةً لوطنهِ من الهندسة لان هذي من الكماليات وقبل الاضطرار اليها درجات من الحاجيات وانما يغلب على الظن انهُ اراد الكتاب ليتخذهُ دستورًا في تشييد بناياتهِ من قصورٍ ودور ومعاقل وحسبك ما ذكرنا من اكثارهِ من بناء القلاع وترميم قديمها ولعل قصرهُ الذي بناهُ في بيروت مضارعًا لقصور مضيفيهِ آل مديشي في ايطاليا كان عقيب تأليف هذا الكتاب على ان مؤلفهُ كان من متخرجي مدرسة رومة العظمى والظاهر مما اثر المؤرخون ان اهتمام فخر الدين بالبناء لم يكن مقصورًا على بيروت ودير القمر بل عمَّ مواضع اخرى فمنها القصر البديع الذي شادهُ قرب صيداء وبقي بعد عينهِ اثرٌ نوَّه بذكرهِ الرحالتان الفرنساويان ميشود وبوجولا في كتابهما(١)

ولهُ في صيداء ايضًا خان منسوب اليهِ هو اعظم خاناتها وكان يأوي اليهِ الفرنساويون الذين نزلوا في صيداء في تلك الايام للتجارة ومنهم دارڤيو D'Arvieux. قنصلهم المشهور بمؤلفهِ عن احوال البلاد

(1) Michaud et Paujolat; correspon. d'Orient, Vol. VII, page 331.

اما ما زعمهُ دارڤيو وڤولناي ولامرتين وتشرشل وغيرهم من ان فخر الدين غرس غاب الصنوبر في ضاحية بيروت فلا صحة لهُ بدليل ما آثرهُ العلاّمة المطران يوسف الدبس في كتاب سفر الاخبار (ص٢٥) عن رحلة المسنيوز ميلن وما حققهُ الاب لامنس في السنة الاولى من مجلة المشرق صفحة ٩٣٩ من ورود ذكر هذا الغاب في القصيدة الثانية والاربعين من قصائد الشاعر اليوناني نتوس الذي نبغ في القرن الرابع للميلاد ومن ذكرهِ في جغرافيا الشريف الادريسي المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني عشر ومن التنويه بهِ في مؤلف وليم الصوري وصالح بن يحيي التنوخي صاحب تاريخ بيروت كل ذلك يدل على وجود الغاب قبل زمن فخر الدين ويحمل على الظن بانهُ ربما كان ذلك الامير قد بذل في حفظهِ شيئاً من عنايتهِ او زاد على اغراسهِ بعضاً في المواضع الخالية كما فعلت الحكومة المصرية في زمانها

لجديرٌ بن كانت هذه صفاتهُ من الامراء ان تزدحم على بابهِ الشعراء وان يمدحوهُ بمختارات القصائد فقد آثر المحبي انهُ اطلع على مجموعةٍ من الشعر تبلغ المئة صفحة قيلت كلها في مديحهِ

ولما ضُبطت املاك فخر الدين انعم السلطان بها على احمد باشا الكجك فشرع هذا ينقب عنها ويبحث عن انصار المغنيين لينكل بهم فاختفى كثيرون من الكبراء حتى لم يستطع اساقفة الطائفة المارونيَّة ان يجتمعوا في اليوم التاسع لوفاة البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني على مألوف عادتهم

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

٣٦ الطلاق

وكانت سنَّة الطلاق معروفة في الجاهلية قال زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساي تنطقان على عمـ ... ـدٍ الى اليوم قول زور وهتر [1]

سالتاني الطلاقَ ان رأتا ما ... لي قليلاً قد جئتماني بنكرِ

وقال عبدالله بن العجلان

طلقت هنداً طائعاً ... فندمت عند طلاقِها

فالعين تذرف دمعة ... كالدرِّ من آماقِها

خود رداح عفة ... ما الفحش من اخلاقِها

(١) الكذب

وكانوا في الجاهلية يطلقون المرأة ثلاثاً حتى تبين عن زوجها فلا يعود لهُ رجوع اليها فكان الرجل متى اراد طلاق امرأتهِ قال لها انت طالق واحدة فيكون حينئذٍ احق الناس بها فان طلقها اثنتين فكذلك فان طلقها ثلاثاً كان لا سبيل لهُ عليها

وكان الاعشى قد تزوج امرأة ثم احب اهلها خلعها منهُ فتهددوهُ ان لم يطلقها فقال

ايا جارتا بيني فانكِ طالقه كذاك امور الناس غادٍ وطارقه

فقالوا ثنِّ فقال

وبيني فان البين خير من العصا والّا تزال فوق رأسيَ بارقه

فقالوا لهُ ثلِّث فقال

وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه

ولنا ان نستنتج مما قدمناهُ ما يأتي (اولاً) ان امر الطلاق كان بيد الرجال ولكنَّ النساء كنَّ قادرات على طلبهِ من رجالهنَّ (ثانياً) ان الرجل كان لهُ ان يطلّق لغير علة (ثالثاً) ان الرجل كان يتزوج باكثر من امرأة. على ان من تتبع منثور الكلام والحديث يجد على ما ذكرناهُ زيادات

٣٧ تزوج الرجل امرأة ابيهِ

وكان بعض العرب يتزوجون نساء ابائهم قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلولا اخوتي وبنيَّ منها ملأت لها بذي شطب يميني

وقال زيد بن عمرو بن نفيل مشيراً الى الخطَّاب والد الامام عمر

واخي ابن امي ثم عمـ ـي لا يؤاتيني خطابهُ

وقولهُ هذا يدلُّ على ان اباهُ اخذ امرأة جدهِ فجاء هو اي زيد اخاً لعمهِ وزيد بن عمرو بن نفيل قرشي فهو من الحجاز وعمرو بن معدي كرب زبيدي فهو من اليمن فيكون الزواج بنساء الآباء وارداً في تاريخ الحجازيين واليمنيين وبالتالي في تاريخ القحطانيين والعدنانيين. نقول وارداً ولا نقول جائزاً عندهم جميعاً لما بين الوقوع والعرف من الافتراق فقد ذهب معظم من فسَّر قول عنترة

يا شاة ما قنصٍ لمن حلّت لهُ حُرِمت عليَّ وليتها لم تحرَمِ

الى ان اباهُ كان قد تزوج بها فحرمت عليهِ. وكان من خلف اباهُ على امرأتهِ سمي ضيزناً. ونستنتج من قول اوس بن حجر

والفارسيَّةُ فيهم غير منكرةٍ فكلهم لابيهِ ضيزن سلف

ان هذه العادة اتت الى بعضهم من جوارهم لفارس وانها ليست بمحمودة لان العرب كانوا راغبين عن عادات الامم الاخرى

وللزواج والعائلة في عصر الجاهلية بحث طويل ربما افردت له مقالة خاصة لان تمحيص هذا البحث يحتاج الى الاستشهاد بما ليس بشعر وهو خروج عما تابعته في هذا المقالة (منزلة الشعر من التاريخ)

٣٨ الانفال

وكان الظافر في القتال يبتدر بعد تبديد شمل العدو الى جمع الاسلاب فينزع عن القتلى ما عليهم من الثياب والاسلحة . قال عمرو بن ثعلبة في رسالة له الى الملك عمرو بن هند

ان ابن عجزة امهِ بالسفح اسفل من اوارهْ [٢]
تسفي الرياح خلال كشـ حيهِ وقد سلبوا ازارهْ [٣]

وكان زعيم القوم هو الذي يقسم السلب بينهم قال عنترة

ونشرتُ رايات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفرِ

وكانت قسمة السلب انفالاً قال عنترة ايضاً

انا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفُّ عند تقاسم الانفالِ

وكانت الانفال ليست سواء ولذلك شكا العباس بن مرداس حينما قسمت الانفال بين جماعة كان منهم العباس وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس فاخذ اربعين واخذ كل من عيينة والاقرع مئة فقال

اتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والاقرعِ
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمعِ
وما كنتُ دون امرىءٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفعِ

٣٩ رقة النعل

واتخذوا رقة النعل دليل السعة واليسار بل دليل سمو الشأن قال النابغة الذبياني

رقاق النعالـ طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب [٤]

---

(٢) العجزة آخر ولد الرجل او آخر ولد المرأة وأوارة محل

(٣) سفت الريح الشيء ذرته والمراد هنا انها تهب في خلال كشحه

(٤) قال القتيبي : "رقاق النعال اراد انهم ملوك لا يخصفون نعالهم . والحجزة الوسط اراد انهم يشدون ازرهم على عفة ويوم السباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصارى" آه عن شرح ديوان النابغة

وقال الفرزدق

بنو هاشم قومي ترى حجزاتهم عتاقاً حواشيها رقاقاً نعالها
يجرون هداب اليماني كأنهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

كما استحسنوا التلسين قال كثير عزة يمدح بني امية

اشم من الغادين في كل حلة يميسون في صبغ من العصب متقنِ(٥)
لهم ازر حمر الحواشي بطونها باقدامهم في الحضرمي الملسنِ(٦)

وقال ايضاً

اذا حلل العصب اليماني اجادها اكفُّ اساتيذ على النسج درّبِ
اتاهم بها الجاني فراحوا عليهم توائم من فضفاضهنّ المكعّبِ(٧)
لها طرر تحت البنائق اذ نبت الى مرهفات الحضرمي المعقربِ(٨)

وهذه الاقوال حجة على ان من العرب من كان يستجيد ارسال الذيول في لباس الرجال وقد فاتنا ذكر ذلك في باب اللباس

وجاء لعنترة العبسي في معلقتهِ

بطل كأنّ ثيابهُ في سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأمِ

فقال الشراح انهُ اراد بكونهِ يحذى نعال السبت انهُ ملك او شريف والسبت الجلد اللين او جلد البقر المدبوغ بالقرظ

٤٠ المواثيق

وكانت العرب اوفى الناس ذمة واصدقهم عهداً واخاء قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهمِ شدُّوا العناج وشدُّوا فوقهُ الكربا(٩)

وذكر النابغة الذبياني حلف قومهِ فقال

فلتأتينك قصائد وليدفعنْ جيشاً اليك قوادم الاكوارِ(١٠)

---

(٥) العصب ضرب من البرود

(٦) الحضرمي النعل المنسوبة الى حضرموت · والملسن الذي جعل طرفهُ كطرف اللسان

(٧) الفضفاض الواسع · والمكعب المربع

(٨) البنائق جمع بنقة وهي لبنة القميص · والمعقرب المعوج

(٩) العناج ان تثقل الدلو فيعقد تحتها حبل ثم يشدّ الى الرسن والى العراقي وهي الخشبات الاربع والكرب الحبل الذي يشدّ فوق العراقي · وفي هذا القول استعارة تمثيلية وهو مثل ضربهُ يريد انهم اذا عقدوا عقداً لجارهم احكموهُ

(١٠) قوادم جمع قادمة وهي مقدمة الرحل والاكوار جمع كور وهو الرحل

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذارِ [1]
ولرهط حرّاب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطارِ [2]
وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقلمي الاظفارِ [3]

ثم يذكر بني سواة وبني جذيمة والفاضريين وبني دودان وبني بغيض [4] وقال انهم كلهم حلف واحد

فوجود المواثيق بين القبائل والاحياء دليل على وجودها بين الملوك ايضاً بل قد ورد في خلال شعر النابغة ان ملوك الاقوام هم الذين كانوا يعقدون المواثيق اذ يقول

وبنو سواة زائروك بوفدهم جيشاً يقودهم ابو المظفارِ

وابو المظفار كان ملكاً في قومهِ

٤١ بياض الوجه

كانوا يعتبرون البياض لون السادة لعدم تعرُّضهم للشمس قال امرؤُ القيس الكندي

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم بيض المسافر غُرَّانُ [5]

وقال حسان بن ثابت في مديح الملوك آل جفنة

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاوَّلِ

وهذا البحث كثير الشواهد فاكتفي منهُ بما ذكر . انتهى

امين ظاهر خير الله

الملاريا في حلوان

ليس المراد من هذه السطور ان اشغل بال القراء بما يولد فيهم الاوهام ويحملهم على الظن ان جو حلوان الذي اشتهر بالصفاء وجودة الهواء قد اكفهرَّ بغيوم الامراض لاني اعتقد مثل غيري ان حلوان لا تزال البلد الذي يضرب بهِ المثل في حسن الموقع وجودة الهواء . وانما المراد تنبيه الافكار وتوجيه النظر الى مسألة علميَّة . فارجو ان لا تحمل مقالتي هذه الا على هذا المحمل . ولا ريب عندي ان كل لبيب يقول معي انهُ أيسر للانسان ان يعرف العدو

(١) كوز من بني مالك بن ثعلبة وربيعة بن حذار من بني سعد · والمحقبون ادراعهم هم المتخذوها كالحقائب

(٢) وحراب وقد من اسد · وسورة في المجد اي اعتلاء · ليس غرابهم بمطار كناية عن الخصب وكثرة الخير

(٣) وبنو قعين حي من اسد · وغير مقلمي الاظفار اي مسلحين

(٤) وبنو دودان والفاضريون من اسد وبنو جذيمة من كلب بغيض ابو عبس وذبيان

(٥) اراد بالثياب الاعراض · ومسافر الوجه ما يظهر منهُ والغران جمع اغر وهو هنا الحسن

المجاور لهُ ويتقي شرهُ بابادتهِ من ان يفتك بهِ ذلك العدو من حيث يدري ولا يدري

لما جاء الاستاذ كوخ الشهير هذه الديار منذ اعوام قال انهُ وجد في حلوان الحيوان المسبب للحمى الاجمية (الملاريا) ، وهذا الحيوان يدعى بلاسموديوم ملاريي (Plasmodium Malariæ). فاخذ بعد ذلك اهل العلم في البحث والتنقيب ليتحققوا بانفسهم صحة ما قالهُ الاستاذ كوخ وبقي بعضهم مثابرين على هذا العمل زمناً طويلاً ولكن على غير طائل لانهم لم يعثروا على ذلك الحيوان فاعتقدوا ان حلوان خالية من الملاريا وان الذين يصابون بهذا الداء في المدينة يأتون بهِ من الخارج . وقد اطلعت في هذه الايام الاخيرة على مقالة في جريدة نمسوية يحاول كاتبها ان يثبت ان الملاريا غير موجودة في حلوان ومن ادلتهِ على ذلك انهُ اقام زمناً فيها فلم يعثر على بعوضة واحدة من الجنس المعروف بالانوفيل (Anophele) اي ناقل الحمى رغماً عن كثرة ابحاثهِ فأنا وان كنت لا اشك في صحة ما قالهُ الاستاذ المذكور لا يسعني الأ الاقرار بوجود الحمى الاجمية في حلوان فالاستاذ لا ينفي وجود بعوض الانوفيل في حلوان وانما يقول انهُ لم يعثر عليهِ . ثم ان هذا الاستاذ جاء مصر وبحث في حلوان عن ذلك البعوض في فصل الشتاء ولا يخفى انهُ في هذا الفصل يتناقص عدد بعوض الانوفيل وبالتالي يتناقص عدد الاصابات بالحمى الملارية والامر يكون بالضد من ذلك في فصلي الصيف والخريف وذلك ما يحصل في كل بلاد تحدث فيها الحمى الملارية . ففي فشوده مثلاً ترى ان الحمى الملارية تنتشر على اختلاف شدتها وانواعها في فصلي الصيف والخريف حيث يكثر وقوع المطر وتفيض الغدران والبرك وتتكون المستنقعات ولكن متى دخل الشتاء يتناقص عدد الاصابات كثيراً . وسبب ذلك ان البعوض الانوفيل الذي يجلب الحمى يتناقص عددهُ كثيراً في فصل الشتاء الى درجة يعسر معها وجود بعوضة واحدة من ذلك النوع عند السد قبلي فشوده في اوائل دسمبر . فاذا كان الامر كذلك اي ان عدد البعوض يتناقص في فشوده نفسها المشهورة بكثرة الحميات الملارية الى الدرجة التي ذكرتها فلا عجب اذا كان الاستاذ النمسوي لم يعثر على بعوضة من ذلك النوع في حلوان وفي فصل الشتاء . واليك الآن ما دلني عليهِ الاختبار مدة اقامتي في حلوان

في ١٤ اغسطس ١٩٠٣ اتاني رجل يقطن عزبة حلوان منذ زمن لاعالجهُ من حمى اصابتهُ فلما تفحصتهُ وجدت انهُ مصاب بحمى الغب اي الحمى الملارية التي تعتري المريض يوماً بعد يوم فلم تسمح لي الاحوال بالبحث في دمهِ بحثاً ميكروسكوبياً ولكنني عالجتهُ بمضادات الحمى الملارية فشفي وفي ٢٦ اغسطس جاءني رجل آخر يشكو نفس العلة وهو ايضاً يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد قال لي انهُ لم يصب بمرض آخر من قبل فلما تفحصتهُ وجدت فيهِ اعراض الملاريا

فحصت دمهُ ميكروسكوبيًا فوجدت فيهِ الحييوين المسبب لحمى الغب الذي لا شبهة فيهِ فدعاني ذلك الى البحث عن البعوض الانوفيل ناقل الحمى وبعد ايام عثرت على بعوضة في البيت الذي يقطنهُ المريض واقفة وقفة عمودية تقريبًا بحيث انها تكوّن مع الحائط شبه زاوية قائمة فالتقطت تلك البعوضة وتأملتها فاذا بها من نوع الانوفيل فذهبت بها الى صديقي الدكتور اوربان وهو كثير الاهتمام بهذا البحث ففحصها ايضًا بكل دقة وامعان ووافقني على انها من نوع الانوفيل بلا شك وعثرت بعد ايام على بعوضة ثانية من النوع نفسهِ ولكن هذه البعوضة كانت ذكرًا لا انثى

ولما اخبرت صديقي الدكتور اوربان باني وجدت في دم المريض حييوين الملاريا اظهر رغبتهُ في مشاهدة ذلك الحييوين فوعدتهُ باجابة سؤالهِ متى عثرت على حادثة اخرى . وفي ٢٩ سبتمبر اتتني مريضة تقطن حلوان منذ ثماني سنوات لاعالجها من حمى تصيبها يومًا بعد يوم فاخذت نقطة من دمها ونظرتها بالميكرسكوب فوجدت فيهِ الملاريا فارسلت من دمها الى صديقي المذكور فتحقق وجود ذلك الحييوين كما تحققتهُ فاعطيت المريضة ٢٥ قمحة كينا وذلك كان كافيًا لايقاف سير المرض او تخفيفهِ على الاقل لو اخذ عدة ساعات قبل ظهور الدور ولكني اعطيت الكينا للمريضة صباحًا ظنًّا مني ان الدور يحصل الساعة الثانية بعد الظهر فلم يصح ظني لان الدور غيَّر مواعيدهُ فصار يتقدم و يظهر في الصباح ولذلك لم تؤثر الكينا في الدور الاول ولكنها اثرت في الدور الثاني الذي لم يحدث في ميعادهِ فبحثت في الدم فوجدت حييوين الملاريا في الطور الاول من نموهِ

وفي اليوم الثالث من شهر اكتوبر الجاري ارسل اليَّ حضرة الدكتور صفوت مريضًا كان يشخص مرضهُ بحمى الملاريا فبحثت في دمهِ فوجدت فيهِ حييوين الملاريا مما يثبت تشخيص حضرة الدكتور صفوت وهذا المريض ايضًا يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد اخبرني الدكتور المذكور انهُ شاهد حوادث اخرى كثيرة من الملاريا في حلوان ولاسيما في الجهة الغربية الجنوبية

وخلاصة القول ان الحمى الملارية موجودة في حلوان وهي من نوع حمى الغب التي تأتي يومًا بعد يوم وان البعوض الانوفيل الناقل لهذه الحمى موجود ايضًا في ذلك البلد وهذا امر طبيعي اذ لا بد لكل معلول من علة وعثوري على حييوين الملاريا والبعوض الناقل لذلك الحييوين لم يحدث في حلوان امرًا جديدًا لان الحمى الملارية موجودة في حلوان من قبل

الدكتور يوسف ابكاريوس

من متخرجي المدرسة الطبية الجراحية

الملكية في انكلترا

المادة واحدث المذاهب فيها

من خطبة للسر اوليفر لدج تلاها في مدرسة أكسفرد الجامعة تذكاراً للاستاذ رومانس

يبحث الفلاسفة عن حقيقة المادة من وجوه كثيرة واستُ عازماً ان اتكلّم عنها الآن من وجه فلسفي بل قد عُرِفت حديثاً امور عن جواهر المادة او عمّا كان يسمّى بالجوهر الفرد وهي مما يلذ العلم بهِ سواء ثبتت اخيراً او لم تثبت فاخترتها موضوعاً لهذه الخطبة التي اتلوها عليكم تذكاراً لرجل لو كان حيّاً الآن لاشتغل عقلهُ بهذا البحث الجديد ولم يعفهُ ولو كان بعضهُ من قبيل الظنون

قلتُ ان بعضهُ من قبيل الظنون ولم اقل كلهُ لان البعض الآخر تحققهُ جمهور العلماء الباحثين الذين لهم القول الفصل في هذه المباحث . ولذلك ساقسم الامور التي اتوخّى ذكرها الى قسمين قسم حققهُ العلماء واثبتوهُ بحسب معارفهم الحاضرة وقسم لا يزال في معرض الفرض او الظن . وساطلق على القسم الاول اسم القضايا وعلى الثاني اسم الفروض

والقضية الاولى من هذه القضايا ان في الكهربائية اخص خواص المادة اي الجرم والاستمرار [1] فاذا قلنا درهماً من الكهربائية او قنطاراً منها فقولنا هذا غير بعيد عن الحقيقة ولو كان بعيداً عن المألوف. لكن لا يكون للكهربائية جرم يُشعر بهِ الا اذا كانت كثيرة جدًّا او كثيفة جدًّا وهي تضيع في المادة الا اذا كانت المادة صغيرة جدًّا اصغر من ان ترى بالميكرسكوب وكانت هي (اي الكهربائية) كثيفة جدًّا

وجرم الامتلاء الكهربائي واستمرارهُ يتوقفان على مقدار الكهربائية التي فيهِ وفعلها . فاذا امكن جمع مقدار كبير من الامتلاء الكهربائي في كرة صغيرة جدًّا امكن ان تزيد قوتهُ الى اي حد اريد ما لم يبلغ حدًّا يستحيل فيهِ ان تزاد الكهربائية فوقهُ .

القضية الثانية بسيطة جدًّا وقد علمت من عهد فراداي وزادت ثبوتاً ووضوحاً على توالي الايام وهي ان كل جوهر من جواهر المادة يستطيع ان يتحد بمقدار محدود من الكهربائية او بمقدارين او بثلاثة مقادير وهلمَّ جرًّا ولكن لا يستطيع ان يتحد بنصف مقدار ولا بمقدار ونصف ولا بكسر من المقدار مهما كان . فكأن هذا المقدار جوهر فرد من الكهربائية لا يمكن تجزئتهُ ونقاس نسبة الامتلاء الكهربائي الى وزن الجوهر المادي بالتدقيق في الحل الكهربائي

(١) يراد بالجرم في عرف علماء الطبيعة مادة الجسم وبالاستمرار عدم استطاعتهِ من تلقاء نفسهِ على الحركة اذا كان ساكناً وعلى السكون اذا كان متحركاً

بحسب القوانين المعروفة بقوانين فراداي . وقد عُلم جرم الجوهر المادي فيعلم مقدار الكهربائية الذي يمكن ان يتحد بهِ وذلك كلهُ بالتقريب لا بالتدقيق

القضية الثالثة . لقد وجد جمسن طمسن سنة ۱۸۸۱ ما يدل على ان الامتلاء الكهربائي الذي يتحد عادة بجوهر واحد من جواهر المادة اذا اجتمع على نقطة كروية قطرها جزء من مئة الف جزء من جرم الجوهر الفرد كان منهُ جرم يعادل جزءا من الف جزء من جوهر الهيدروجين الذي هو اخف جواهر المواد المعروفة

وقد أُطلق على هذا المقدار المتكاثف من الكهربائية اسم "الالكترون" وضعهُ لهُ الدكتور جنصتن ستوني واراد بهِ الجوهر الفرد من الكهربائية او اصغر جزء من اجزاء الامتلاء الكهربائي . ففي كل امتلاء كهربائي عدد محدود من هذه الالكترونات . ولا يوجد كسر من الالكترون على ما يعلم حتى الآن ولو حكماً . فما تكهرب الجوهر الفرد من جواهر المادة سوى اضافة الكترون اليهِ . او نزعهُ منهُ فاذا زادت كهربائية الجوهر الكتروناً سمي ايوناً ايجابياً وهو الذي كان يقال عنهُ قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية السلبية . واذا نقصت كهربائية الجوهر الكتروناً سمي ايوناً سلبياً وهو الذي كان يقال قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية الايجابية . فالكهربائية السلبية زيادة في كهربائية الجسم والايجابية نقص فيها

والايون اي الجوهر المكهرب ينتقل من جهة الى اخرى من نفسهِ بالكهربائية التي فيهِ . والسائلات والغازات تنقل الكهربائية بواسطة جواهرها المكهربة . فان هذه الجواهر تتحرك بسبب ما بينها من الالفة فالمكهربة ايجابياً تذهب كلها في جهة والمكهربة سلبياً تذهب في جهة اخرى . وفي كل نوع من المادة سرعة خاصة بما فيها من الايونات اي الجواهر التي زادت كهربائيتها او نقصت وبحسب السائل التي تجري فيهِ فكأن الجوهر مركبة والكهربائية فرس يجرها . والسرعة قليلة في السائلات ولكنها شديدة في الغازات لقلة ما تجدهُ فيها من المقاومة . وقد اشتقوا من الايون فعل أيْوَنَ يريدون بهِ توليد الايون فقالوا ان اشعة رنتجن تؤيْوِن الهواء اذا مرَّت فيهِ فيصير موصلاً للكهربائية

وقد قويت الادلة على ان جرم الالكترون يعادل جزءا من الف جزء من جرم جوهر الهيدروجين ولو كان الالكترون كهربائية لا غير لكان حجمهُ جزءا من مئة الف جزء من قطر الجوهر الفرد . فواضح من ذلك ان جواهر المادة اكبر جداً من جواهر الكهربائية التي تتصل بها فاذا كان قطر الجوهر الفرد من جواهر المادة الف متر فقطر الالكترون اي الجوهر الفرد من جواهر الكهربائية سنتيمتر واحد . واذا كان حجم الجوهر الفرد من جواهر المادة مثل

حجم هذا النادي لحجم الالكترون اي جوهر الكهربائية مثل حجم نقطة الباء . والالكترونات التي في الجوهر الفرد بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً جداً ونسبة اجرامها الى ابعادها كنسبة الكواكب الى الابعاد التي بينها

القضية الرابعة — ان هذه الالكترونات او الجواهر الكهربائية يمكن ان تقوم بذاتها اي يمكن فصلها عن الجواهر المادية في السائلات والغازات ومتى انفصلت جرت من القطب السلبي بسرعة فائقة جداً لانهُ لا يبقى شيء يعوقها عن الجري . واذا كانت جارية في غاز لطيف جداً فهي ما يسمى بالاشعة السلبية وهي التي درسها هتفورد وكروكس ولنارد وغيرهم في الانابيب المفرغة من الهواء وعُلم الآن انها تنبعث من مواد كثيرة . واذا أُوقفت في سيرها تولَّد منها اشعة اكس التي اكتشفها رنتجن . وقد ظُنَّ اولاً ان هذه الاشعة مؤلفة من جواهر مادية لكن اقتدارها على نفوذ الاجسام جعل هذا الظن بعيداً عن التصديق حتى اضطرَّ كروكس ان يقول انها حالة رابعة من حالات المادة أَلطف من الحالة الغازية . ولا شبهة في انها تفعل فعل المادة المتحركة فتدير الاطارات الدقيقة اذا وقعت على فراشها وتحمي البلاتين الى درجة الحمرة وتؤَثر في مقياس الكهربائية وتخرق الصفائح المعدنية الدقيقة وتفعل بما وراءها من الالواح الفوتوغرافية ولكن نفوذها ليس مثل نفوذ اشعة رنتجن

خامساً قد ثبت ان الالكترونات تنبعث من كل جسم تكهرب بالكهربائية السلبية ولاسيما من المعادن المكهربة سلباً اذا وُضعت في النور الذي وراء البنفسجي من الطيف . واذا اصابت الهواء أَيونتهُ مدة وجعلتهُ موصلاً للكهربائية . وقد قاس العلماء الطبيعيون جرم الالكترون على اساليب مختلفة وقاسوا سرعتهُ فكانت النتيجة واحدة فهو شيء محدود يمكن قياس جرمهِ وقياس سرعتهِ بالضبط وقد قام مقام الجوهر الفرد او الجزء الذي لا يتجزأُ وثبت انهُ يخرج من الجوهر الفرد فينفصل عنهُ وتبقى فيهِ خواص الجوهر الفرد . وترجح الظن الآن بان الجوهر الفرد مؤلف من الكترونات ايجابية وسلبية متحدة معاً ولا شيء فيهِ غير ذلك واذا زاد عدد الالكترونات التي يتألف منها الجوهر الفرد الكتروناً واحداً او نقص الكتروناً واحداً صار الجوهر ايوناً اي اختلت موازنة كهربائيهِ فصارت فعالة لانهُ في حال الموازنة يكون مؤلفاً من مقدارين متساويين من الالكترونات الايجابية والسلبية وكل الكترون من النوع الواحد يوازن الكتروناً من النوع الآخر وهي غير متصلة فيهِ لصغرها الفائق بالنسبة اليهِ فكانها فرقتان من الجنود متفرقتان في مملكة واسعة فيقال انهما تحتلانها لان قوتهما منبثة فيها

وفي هذه القضية فرضان الاول ان الالكترون كهربائية محضة لا مادة فيها وهذا الفرض

لم يُجمع عليهِ العلماء بل يذهب بعضهم الى ان في الالكترون نواة مادية والكهربائية مجتمعة حولها. لكن تصوُّر الالكترون خالياً من هذه النواة اسهل من تصورهِ والنواة فيهِ. والثاني وجود الالكترون الايجابي كوجود الالكترون السلبي فان الالكترون السلبي يوجد منفرداً يطاير من المادة وجرمهُ قدر جزء من الف جزء من جوهر الهيدروجين واما الكترون الايجابي فلم يوجد منفرداً حتى الآن ولذلك يبقى القول بان جواهر المادة مؤلفة من الكترونات سلبية وايجابية مرتبطة معاً فرضاً من الفروض. لكن هذا الفرض معقول جدًّا وينطبق على ما يعرف من خواص العناصر فيكون في الجوهر الفرد من غاز الهيدروجين ٧٠٠ الكترون مثلاً ٣٥٠ منها مكهربة سلبيًّا و ٣٥٠ مكهربة ايجابيًّا تتحرك حركات عنيفة تربطها بعضها ببعض حتى يبقى مجموعها في حيز واحد. وفي الجوهر الفرد من الاكسجين ١١٢٠٠ الكترون ومن الصوديوم ١٦٠٠٠ الكترون ومن الباريوم ١٠٠٠٠٠ الكترون ومن الراديوم ١٦٠٠٠٠ الكترون. وتكون العناصر كلها مجاميع نوع واحد من الجواهر او من المادة. ويمكن ان تتألف منها مجاميع اخرى غير المجاميع المعروفة ولكن لا تكون قوة جواهرها متكافئة فلا يثبت اجتماعها بل تتفرق وتزول اما المجاميع التي ثبتت فهي العناصر الكيماوية المعروفة وما هي الا كهربائية في شكل مجاميع مؤلفة من مقادير متساوية من الكهربائية السلبيَّة والايجابية

فاذا ثبت ذلك ثبتت وحدة المادة ووحدة العناصر. الوحدة التي حاول العلماء اثباتها من قديم الزمان الى الآن. واصل هذه المادة ليس مجهولاً كما كان يظن بل معلوم وهو الكهربائيَّة او الامتلاء الكهربائي. وهذا التعليل لا يبيّن ماهيَّة المادة بل يبعدنا خطوة الى الوراء فنصير نسأل ما هي الكهربائيَّة او ما هو الامتلاء الكهربائي وكيف يتألف الالكترون. وما هي علة الفرق بين الكهربائية الايجابية والسلبيَّة وما نسبتهما الى الاثير الذي في الفضاء. وهذه المسائل لا تحل الآن ولكن ستُحَلُّ يوماً ما وقد اخذ العلماء يحاولون حلها على ما فيهِ من الصعوبة

هنا انتهي من القسم الاول من خطبتي ولو تلوتها في اول هذه السنة لكان القسم الثاني منها تخيليًّا كلهُ ولكن كُشفت في هذه الاثناء امور جديدة في فرنسا وكندا ترفع كلامي التالي من مقام الظن والتخيُّل الى مقام الامكان والترجيح وتخوّلني ذكر بعض النتائج الفرضيَّة التي تُنتج عن حسبان الكهربائيَّة اصلاً للمادة

لقد ثبت من امتحان النور بالمغنطيس ان سببهُ حركة الالكترون السلبي فهو الذي يسبب في الاثير الامواج التي نسميها نورًا. والمرجح الآن انهُ لا يحدث نور الا وتكون الكهربائية سبباً لهُ فاذا تحرك الالكترون حركة ارتجاف تولَّد من حركتهِ ما يسمَّى بامواج هرتس التي تستعمل

الآن في تلغراف مركوني . واذا تحرَّك حركة دوَّارة اي دار دوراناً سريعاً تولَّد منهُ نور

وهذا كلهُ من القضايا التي قلتُ ان العلماء تحققوها واجمعوا عليها ومرادي الآن ان اطبقهُ على الفرض الذي فرضناهُ وهو ان الجوهر الفرد مؤَلف كلهُ او بعضهُ من الكترونات متحركة . واذا كانت الالكترونات متحركة فلا بدَّ من ان تؤَثر حركتها في ما حولها فمن اين تأتيها الحركة وكيف تبقى فيها وهي تشع منها دواماً

من المعلوم ان الاجسام الحارَّة تشعُّ حرارة فتبرد اي ان دقائقها تكون في حالة الحركة فتضعف حركتها رويداً رويداً ما لم تأتها حركة جديدة مما حولها . لكن الجوهر الفرد ليس كذلك لانهُ اذا خسر شيئاً من حركتهِ خسر ما هو لازم لقوامهِ فينحل الى الاجزاء المؤلف منها فهو ليس شيئاً عديم التغيُّر كما كان يظن بل فيهِ ما يدعو الى انحلالهِ وتجزئتهِ الى الالكترونات المؤلَّف منها . وهذا الفعل بطيء جداً ولكنهُ واقع حتماً لانهُ ما دام الجوهر الفرد مؤلفاً من دقائق متحركة فلابدَّ من ان تخسر دقائقهُ شيئاً من حركتها رويداً رويداً فتختل الموازنة السابقة وتنفصل الدقائق بعضها عن بعض. وقد ثبت ذلك حديثاً بالامتحان فاكتشفهُ الاستاذ بكرل اولاً في عنصري الاورانيوم والثوريوم ثم اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ في الراديوم . فظنَّ اولاً ان ما يشعُّ من هذه العناصر من نوع اشعة اكس ثم تبيَّن منهُ الكترونات تنبعث من جواهر هذه العناصر كما تنبعث من القطب السلبي في اناء مفرغ من الهواء او كما تنبعث من القطب السلبي اذا وقع عليهِ النور الذي وراء البنفسجي

ثم اثبت الاستاذ رذرفُرد انهُ ينبعث من هذه العناصر ايضاً جواهر مكهربة لكنها ليست صغيرة مثل الالكترون ولا قادرة على نفوذ المواد الكثيفة مثلهُ وهي تؤَيون الهواء الذي تقع عليهِ وكهربائيتها ايجابيَّة وقوتها شديدة وحيثما وقعت ولَّدت حرارة وقد يتولَّد من وقوعها نور كما يتولَّد من وقوع القنابل على صفائح الفولاذ وهي اسرع من القنابل بما لا يقدَّر وتنبعث من الاجسام الشعَّاعة التي مثل الراديوم الى ما شاء الله ثم وجد الاستاذ رذرفرد ان ثقلها الجوهري ليس مثل ثقل الجسم الذي تخرج منهُ بل مثل ثقل الهيدروجين او الهاليوم [1] ومعلوم ان ثقل الراديوم الجوهري ٢٢٥ فاذا خرج منهُ جسم ثقلهُ الجوهري ٢ فلا بدَّ من ان يبقى فيهِ جسم ثقلهُ الجوهري يعادل الفرق بين الثقلين

وقد فحص الجسم الباقي فوجد انهُ طيَّار كالغاز ويمكن وضعهُ في الآنية الزجاجية وهو شعَّاع تشع منهُ دقائق صغيرة من نوعهِ ويبقى منهُ بقية تنبعث منها الالكترونات

(١) [المقتطف] اثبت اخيراً انها هاليوم

واستنتج الخطيب ان ذلك يدلُّ على تحوُّل العناصر من نوع الى نوع وتركُّب بعضها من بعض وتركُّبها كلها من الكهربائية كما تقدَّم. فالمادَّة دقائق كهربائية مجهَّزة بقوتي الجذب والدفع تتركب منها الاجسام كلها من شموس السماء الى الهباء المتطاير في الهواء

اتقاء البعوض

لقد ثبت الآن ان البعوض او البرغش او الناموس سمِّهِ كما تشاء ان تسمي هو الذي ينقل عدوى الحمى الملارية المعروفة بحمَّى الغب او الدورية وينقل ايضاً عدوى حمَّى الدنج المعروفة بابي الركب والحمَّى الصفراء الفتاكة الكثيرة الانتشار في اميركا الشمالية والجنوبية

هذا عدا التعب الذي ينال الناس منهُ نياماً كانوا او قعوداً . واذا استؤصل من بلاد او من مدينة او من حيٍّ زالت معهُ هذه الحميات وزال القلق الذي ينال السكان منهُ . واستئصالهُ من اسهل الامور وهو اسهل من استئصال الفيران والجرذان. ولا يدع الناس الفيران والجرذان تأكلهم بل يحاربونها بالقطط والمصايد والسموم وما اشبه ولكنهم لا يمدون يداً لمحاربة البعوض

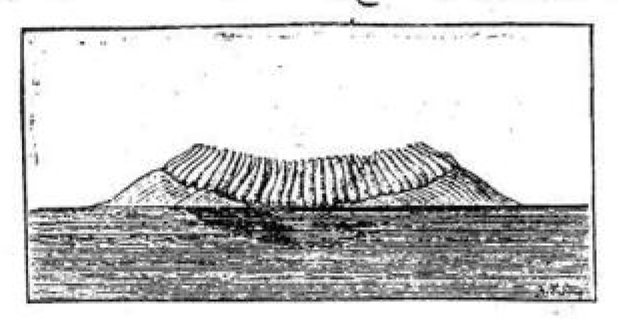
سهرنا البارحة في بيت انفق صاحبهُ على بنائهِ ثلاثة آلاف جنيه وانفق على دهنهِ ونقشهِ خمس مئة جنيه وهو يحسب انهُ افرغ الجهد في اتقانهِ وزخرفتهِ فقضينا نصف الوقت في زجر البعوض والنصف الآخر في مذاكرة الحضور . ولو اطلق صاحب البيت دبراً من النحل على زوَّارهِ ما عرَّضهم للضرر اكثر مما عرَّضهم بعوضهِ . ومعلوم انهُ لم يربِّ البعوض لهذه الغاية ولا اطلقهُ على زوَّارهِ عن قصدٍ منهُ لكنَّ خدمهُ تركوا اناء فيهِ ماء على سطح البيت او في حوشهِ او في مطبخهِ فتولد البعوض منهُ واقلق السكان والزوَّار

الشائع ان البعوض يتولد في الجنائن من اشجارها ورياحينها وكل ما يزرع فيها ولا سيما من شجر الموز . وهذا الاعتقاد راسخ في الاذهان يصعب نزعهُ منها وسببهُ مشاهدة الكثير من البعوض في الجنائن ولاسيما في الصباح والمساء لانهُ يلجأُ الى تحت اشجارها واعشابها اتقاء الرياح التي تعصف بهِ . والواقع انهُ يتولد في الجنائن احياناً كثيرة ولكن ليس من اشجارها ونباتاتها بل من بُرَك الماء التي تكون فيها او من الماء اذا ركد في آنية مكشوفة بضعة ايام . امَّا النبات نفسهُ فلا يولّد البعوض ولا يمكن ان يتولد حيوان من نبات . ولا يتولد البعوض من الماء تولداً بل تبيض الانثى فيهِ ويخرج من البيض دود صغير وهو المعروف بالعوَّم او البراعط

ويسميهِ عامة المصريين علقاً وهو يقيم في الماء بضعة ايام او بضعة عشر يوماً ثم يصير بعوضاً ويطير كما سيجيء

ومن الاوهام الشائعة ايضاً ان البعوض لا يتولد الاَّ في الماء الراكد الآسن . وهذا خطأٌ فان انثى البعوض تبيض في كل ماء راكد آسناً كان او غير آسن . واذا كان في الماء سمك فالغالب انهُ يأكل كل بيضها ولا يبقي منهُ شيئاً. وهي لا تفضل الماء الآسن لانهُ آسن بل لانهُ راكدٌ غير جارٍ فتستطيع ان تقف عليهِ وتضع بيوضها وتنظمها الواحدة مع الاخرى . واكثر ما يتولَّد في البيوت من وضعهِ بيضهُ في آنية الغسل التي يُترك الماء فيها من اسبوع الى اسبوع كما علمنا بالمشاهدة مراراً كثيرة

ومنها ان البعوض لا يتولَّد في الماء الملح وهذا خطأٌ ايضاً فقد شاهدنا عوَمهُ في البرك الصغيرة



(١) بيوض البعوض على وجه الماء مكبرة

التي على شاطىء البحر حيث يصل ماء البحر احياناً ثم ينحسر ولا يعود يصل الاَّ بعد بضعة ايام

والبعوض ينقل عدوى الحمى من المصاب بها الى السليم باللسع . اي ان البعوضة الانثى تلسع المصاب بالحمى كما تلسع غيره ُ وتمتص قليلاً من دمهِ ويكون في هذا الدم قليل من الجراثيم الصغيرة التي تسبب الحمى ثم تلسع شخصاً سليماً ويمتزج لعابها بدمهِ حيث تلسعهُ لانها تخرج شيئاً من لعابها تمزج بهِ الدم ليسهل عليها امتصاصهُ فيتصل بهِ شيءٌ من جراثيم الحمى ويعدي بها

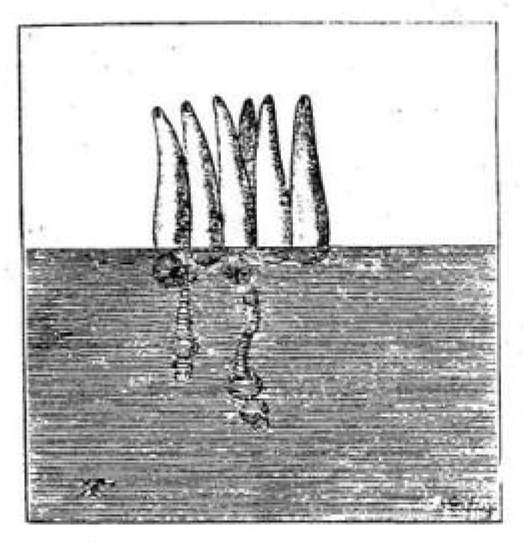
وطعام البعوض من دم الناس والحيوانات ومن عصارة النباتات الطريَّة والظاهر ان الاناث فقط يمتصصن الدم واما الذكور فلا تقدم على ذلك

وحياة البعوض طويلة اطول مما يظن عادة فقد يحيا السنة كلها صيفاً وشتاء ولولا الطيور والخفافيش والحشرات التي تأكلهُ والامراض التي تعتريهِ وتميتهُ لملأ الدنيا لكن حياتهُ في

طفوليتهِ اي وهو في الماء قصيرة جداً من اسبوع الى اسبوعين وهو معرَّض فيها لاشد المخاطر لان السمك يأكلهُ وكذلك كثير من الحشرات الكبيرة التي تكون في الماء واذا تحرَّك الماء وهو في الطور الاخير من طفوليتهِ اختنق ومات

وقد شرحنا كيفية تولد البعوض في الماء غير مرة ولا نرى بأساً باعادة الشرح الآن لاننا لا نزال نرى اكثر الذين نكلمهم في هذا الموضوع يجهلون كيفية تولد البعوض ويجهلون انهُ يتولد في الماء فنقول

البعوض انواع مختلفة ويهمنا منها الآن ثلاثة انواع البعوض العادي الذي اكتشف



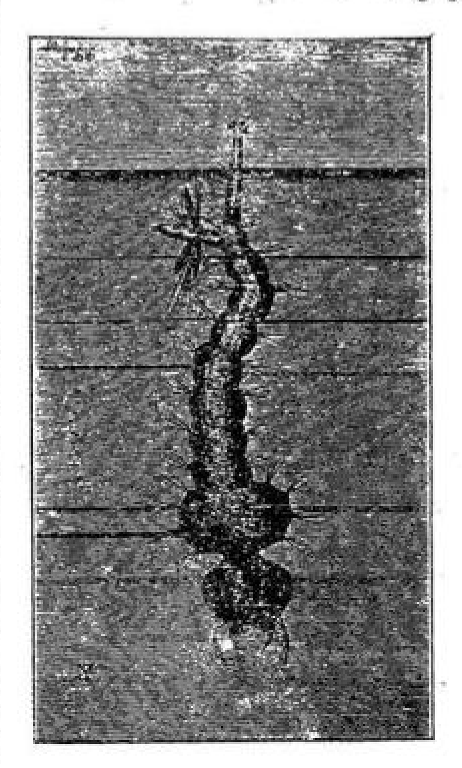
(٢) العوم خارجة من البيض مكبرة جداً

الدكتور غراهم من اساتذة مدرسة بيروت الكلية الاميركية انهُ ينقل عدوى حمى الدنج . وبعوض الانوفيل الذي اكتشف الدكتور روس وغيره انهُ ينقل عدوى الحمى الملاريه . ونوع ثالث اكتشف العالم اندروود الاميركي انهُ يأكل ديدان البعوض العادي

والانواع الثلاثة متشابهة شكلاً ولكن يفرق بينها فروق واضحة تميزها بعضها عن بعض كما سيجيء وكلها تتزاوج في الهواء ثم تبيض اناثها في الماء الراكد

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تفتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماء اكثر من ان يجف في بضعة ايام واقل من ان يعيش فيهِ

السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة الفتحة في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبَّرة فيهِ اضعافاً كثيرة والماء مرتفع معها من جانبيها . و يبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئة بيضة الى اربع مئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

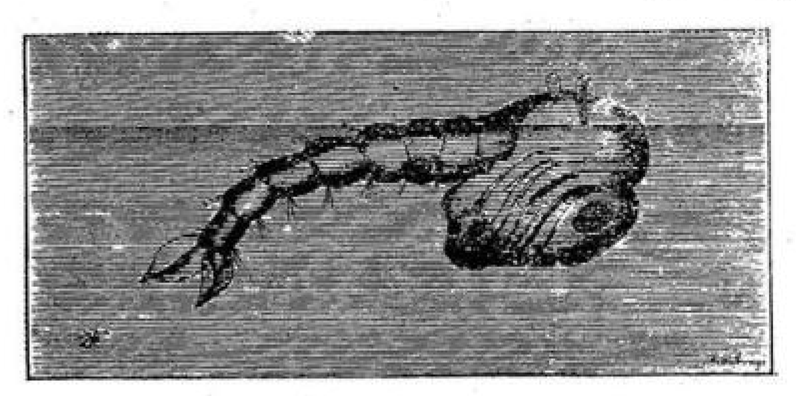


(٢) عومة مكبَّرة كثيرًا

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج الديدان او العوَم او العلق منها كما ترى في الشكل الثاني والبيوض والعوَم او الديدان التي فيهِ مكبَّرة جدًّا . وما من احد الاَّ رأى هذه العوَم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها خمسة ايام او ستة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيرًا من العوَم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى وتكبر يوماً بعد يوم . واذا أراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار. لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماء صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديرًا وعينين سوداوين وصدرًا ضخماً وبدناً كثير المفاصل تنتأ منهُ اهلاب كالشعر

ترى في الشكل الثالث صورة عومة من عوم البعوض الاعتيادي وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة ههنا مكبرة كثيرًا . ولها في طرف رأسها مما يلي فاها اشناب تحرك دواماً فتحرك الماء وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوَم البعوض شرهة مثلهُ تأكل كثيرًا ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الهواء . وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء قبل ذلك . وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تنفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقياً واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء واذا حرك الماء طويلاً حينئذٍ اختنقت فيهِ



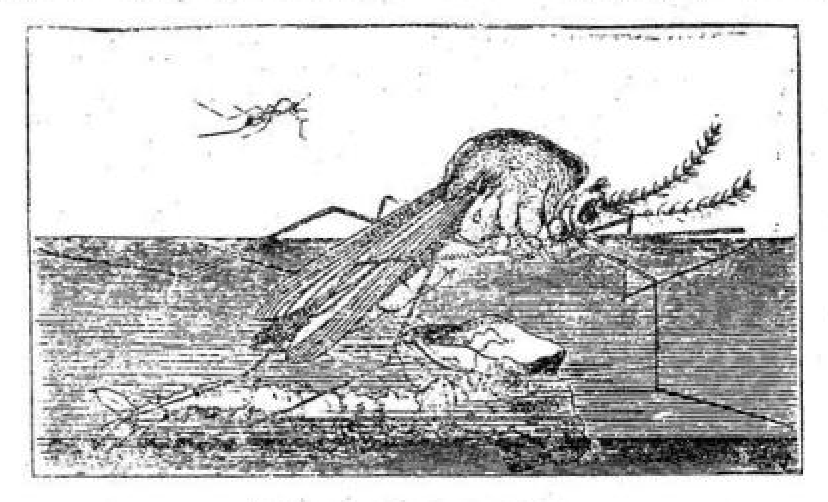
(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

وتحت هذا الذنب او الانف عضوٌ آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي بمثابة المجاذيف والدفة تسير بها في الماء وتنتقل من جهة الى أُخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالجاذيف . ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء

ويمضي على العومة بضعة ايام وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى في الشكل الرابع وهو مكبَّر كثيراً . وتتصوَّر حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح ويسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود تتنفس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل

الرابع . ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم او يومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق الماء صغيرة حسب قدها الطبيعي . ويكون جسمها رطباً حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

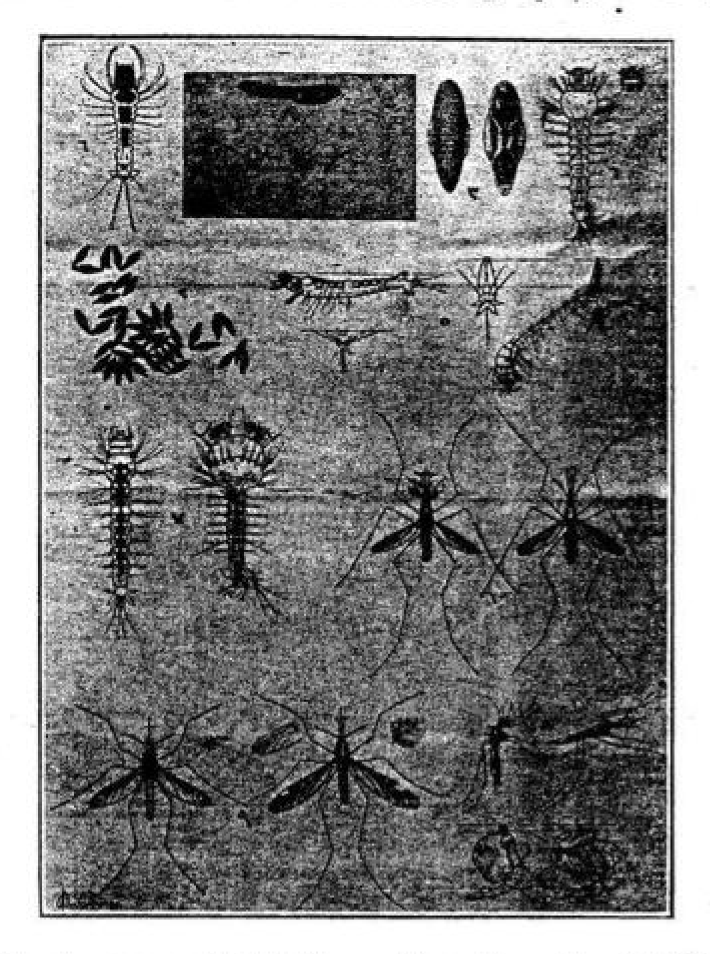
والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأرْي الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا تراها في البيوت الاَّ نادرًا وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها اما الاناث فتكثر في البيوت وتمص الدم من الانسان والحيوان



(٥) البعوضة حال خروجها من غلافها

وبعوض الحمى الملارية لا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض كالبعوض العادي بل يضعهُ على وجه الماء متفرقاً فيدنو بعضهُ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء . ترى هذه البيوض عند الرقم ٢ في الشكل السادس وهي متفرقة مستدقة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم اكبر مما هي في الحقيقة · وقد كبرت واحدة منها ايضاً ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر وواضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحمى عما هو في البعوض العادي اختلافاً كبيرًا جدًا . فاذا رأيت بيوض بعوض الحمى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحمى موجود هناك

والديدان او العوم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحمى



الشكل السادس (١) بيض البعوض العادي وعومة في الماء · (٢) بيض بعوض حمى الربع الملارية (٣) بيضة مكبرة كثيرًا من هذا البيض تظهر من وجهيها · (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء · (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو · (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار · (٨) شكل البعوض في وقوفه فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يساره بعوضة عادية · (٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان · والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران · (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يساره

عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء . فعُوَم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل السادس وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيء تأكلهُ ثم تعود الى وجهِ الماء كل دقيقة او دقيقتين . وكأنها اثقل من الماء فتتلوَّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوَم بعوض الحمى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ ورأس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل . وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجهِ الماء . وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة . والظاهر ان عوَم بعوض الحمى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الاَّ اذا خافت

ورأس عوم البعوض العادي اكبر من رأس عوم بعوض الحمى كما ترى على جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحمى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات . وهذه تختلف ايضاً في النوعين اختلافاً بيّناً كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحمى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط . اما اختلاف شكلهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم ٩ انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسارهِ انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي الخرطوم فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكر البعوض لا يمتص دماً كما تقدَّم فلا ضرر منهُ وريشتا رأسهِ طويلتا الاهداب . وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمى وانثاهُ فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عمودياً على السقف او الحائط كأنها مسمار غرز فيهِ كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او للسقف كما ترى على يسار الرقم ٨ . ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

واذا عرف الانسان عدوهُ لم يتعذر عليهِ اتقاؤهُ فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الاَّ في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نزح ماؤُها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبت فيها مادة تميت عومهُ كزيت البترول

هذا من حيث البعوض العادي الذي تنتشر بهِ حمَّى الدنج وبعوض الانوفيل الذي تنتشر بهِ الحمى الملارية . وقد اكتشف عالم اميركي اسمهُ اندروود نوعاً من البعوض يشبه بعوض الملاريا شكلاً لكنهُ اكبر منهُ قليلاً وليس لهُ خرطوم يمتص الدم بهِ فلا سبيل لهُ الى لسع الناس ونقل الحميات . ولو اقتصرت مزاياهُ على ذلك ما كان لاكتشافهِ شأن ولكن ظهر من امرهِ ان ديدانهُ تاكل ديدان غيرهِ من البعوض وكفى بذلك فائدةً فان مكتشفهُ وجد دودهُ في السابع والعشرين من شهر ينايرالماضي في بركة لم يجد فيها غيرهُ وهو اكبر من دود البعوض العادي ولونهُ يكاد يكون اسود ورأسهُ كبير بالنسبة الى بدنهِ فيهِ مشفران حادَّا الاسنان . وضع خمس عشرة دودة منهُ في اناء ولم يمضِ عليها زمن حتى اخذ بعضها يفترس البعض الآخر فتمسك المفترسة اختها من فوق الانبوب الذي تتنفَّس منهُ وتنفضها وتبتلعها من ذنبها فصاعداً الى رأسها ولما خاف ان لا يبقى عندهُ شيء منها فرَّق بينها ووضع كل دودة في اناء على حدة فبلغت اشدها واستحالت بعوضاً فرأى انهُ مثل بعوض الحمى شكلاً ويزيد عليهِ جرماً. ثم وجد بالامتحان ان دود هذا البعوض يأكل دود غيرهِ من البعوض فان اربع عشرة دودة منهُ اكلت في ليلة واحدة سبعين دودة من دود البعوض العادي. وآخر ما قرأناهُ من قلم المكتشف انهُ لم يكن امتحن فعلهُ بدود بعوض الحمى الملارية

فهذا البعوض اذا ثبت ان ليس منهُ ضرر وانهُ يأكل عوَمِ غيرهِ من البعوض فهو علاج طبيعي لهُ ولكن الوسائل الصناعية التي في طاقة الانسان اوفى منهُ وهذه الوسائل هي

اولاً منع بقاء الماء في الآنية المكشوفة اياماً متوالية من ستة ايام الى ستة عشر يوماً . وكاس ماء تكفي لتوليد ما يملأ بيتاً من البعوض فعلى اصحاب البيوت ان لا يتركوا في بيوتهم ولا حولها اناء يستقرُّ فيهِ الماء بضعة ايام مهما كان نوعهُ

ثانياً اذا كان في البيت او في ما يجاوره بركة ماء وجب ان يربّى فيها السمك فقد رأى بعضهم سمكتين من السمك الذهبي الاحمر في بركة صغيرة أكلتا ٩٨ دودة من دود البعوض في اربع دقائق

ثالثاً على الحكومة والمجالس البلدية ان تردم كل البرك والمستنقعات المجاورة للمدن ولا تدع الماء يركد فيها صغيرة كانت او كبيرة اذا لم يكن في الطاقة تربية السمك فيها

رابعاً اذا وُجد في مكان بركة يتعذَّر ردمها وتتعذر ايضاً تربية السمك فيها فيكفي لاماتة ما فيها من دود البعوض ان يصب فيها قليل من زيت البترول والدرهم منهُ يكفي لاماتة دود البعوض من اناء مساحة سطح الماء فيه قدم مربعة ، وعشرة دراهم تكفي لاماتة دود البعوض من الماء الذي سطحهُ متر مربع . ولا بد من تكرار صب الزيت مرة كل عشرة ايام لان ما يصبُّ منهُ يتبخَّر في هذه المدة

خامساً اذا كثر البعوض في مكان وأُريد الخلاص منهُ فاحرق فيهِ الدقيق المعروف بالدقيق الفارسي حتى يكون دخانهُ كثيراً وذلك بان تضع جمر النار في اناء وتغطيهُ بقليل من الرماد ثم تذر الدقيق الفارسي عليهِ فيحترق بدخان كثير يملأُ الغرفة او الساحة التي تحرقهُ فيها ويبعد البعوض عنها او يخدّرهُ او يميتهُ

سادساً اذا وضعت الشباك الدقيقة في الشبابيك والابواب فالغالب انها تمنع البعوض من دخول البيت واذا وضعت الناموسيات (الكلات) حول الاسرَّة وأُبقيت ذيولها على الفراش فقلما تستطيع بعوضة ان تدخل منها الى النائم

سابعاً اذا أُصيب احد بالحمى الملاربة او حمى الدنج فلا تدع البعوض يلسعهُ لان كل بعوضة تلسعهُ تنقل العدوى منهُ الى غيره

ومن قرأ هذا الفصل بالامعان سهل عليهِ ان يمنع البعوض من التولد في بيتهِ وحوله وان يقي نفسهُ منهُ

هذا وتجد في مقالة سابقة ان بعوض الحمَّى الملارية وُجد في حلوان على مقربة من القاهرة وحالما عُلم ذلك اهتمت الحكومة المصرية ومصلحة سكة حديد حلوان بردم المستنقعات القريبة من حلوان فعسى ان يخرج هذا الاهتمام من القوَّة الى الفعل قريباً . وقد ثبت الآن ان الحميات قلت في الاسمعيلية بعد ردم المستنقعات القريبة منها ولا بدَّ من انها تقل من كل بلاد تردم مستنقعاتها

———

العلاج بالراديوم

لما كُشفت خواص الراديوم الغريبة في غرة هذا العام رأى كثيرون ان سيكون لهُ شأن كبير في المباحث الطبيعيَّة والاعمال الصناعيَّة ولكن لم يخطر على بال احد ان تكون لهُ منافع طبيَّة ليست في غيرهِ من العناصر ولا ينتظر ان تكون في عقار واحد مهما كان . أما من حيث شأنهُ العلمي فقد قال احد العلماء عنهُ منذ بضعة اشهر على صورة الاستفهام التعجبي "ما هو مستقبل الراديوم هذا المعدن الغريب الخواص الذي كانت نارهُ الداخلية تتقد حينما كانت





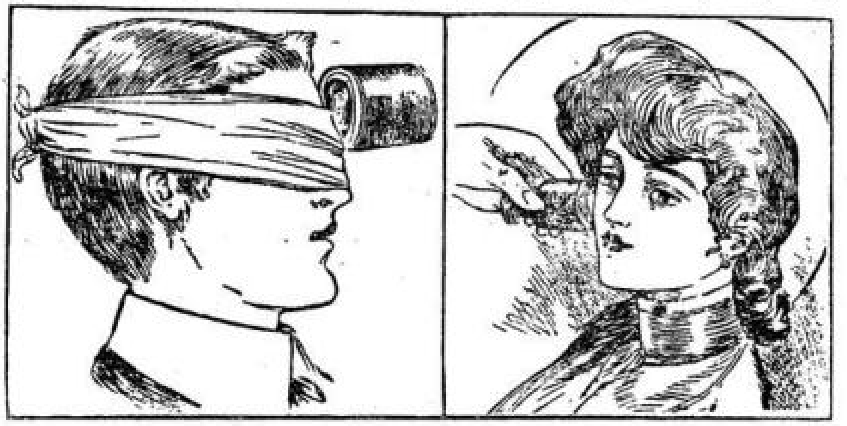
ش ١ عولجت بالراديوم فشفيت من الذئب الاكال ش ٢ امراة مصابة بالذئب الاكال

الارض شمساً من الشموس وستبقى متقدةً بعد ان تنطفئ شموس اخرى وتبرد" . ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في الشهر الماضي كان الشأن الاول فيهِ لخطبة رئيسهِ التي ترجمناها ونشرناها في الجزء الماضي والشأن الثاني للبحث عن الراديوم وخواصهِ وتجارب العلماء فيهِ

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الدكتور حبيب خيَّاط عاد من بلاد الانكليز بقليل من الراديوم لاستعمالهِ طبًّا وعلمنا منهُ ان استعمال هذا العنصر قد شاع الآن في كثير من المستشفيات وانهُ ذاكر الاطباء الذين استعملوهُ هو والنور الذي وراء الضوء البنفسجي واشعتهُ من نوع اشعة الراديوم . واحضر الينا صورًا فوتوغرافيَّة تمثل امرأتين كانتا مصابتين بالذئب الاكال فعولجت احداها باشعة الراديوم والثانية بالاشعة التي وراء النور البنفسجي فشفيتا منهُ

كما سيجيء . فاذا ثبت بالتجارب التالية ان الذئب الآكال يشفى دائماً بهذه الاشعة ولا يعود ثانيةً فمن ذلك نفع عظيم لنوع الانسان لاسيما وان هذا الداء من نوع داء السل ومكروبهما واحد في نوعهِ فيحتمل ان ما يشفي الواحد يشفي الآخر ايضاً . والذئب الآكال قليل الانتشار ولكن السل اشد الامراض انتشاراً وفتكاً

اما المرأة التي اشرنا اليها آنفاً وقلنا انها عولجت باشعة الراديوم وشفيت فعمرها ٤٥ سنة وهي المرسومة في الشكل الاول والثاني اي بعد العلاج وقبلهُ وكانت مدة معالجتها ثلاثة اشهر وقد شفيت من الذئب الآكال تماماً كما ترى في الصورة السابقة وهي منقولة عن صورة فوتوغرافية .



ش ٣ فتاة عولجت بالراديوم من النفرلجيا ش ٤ شاب مغمض العينين يرى بواسطة الراديوم

وقرأنا في جريدة الدايلي مايل ان امرأةً اخرى شفيت في اسكتلندا من الذئب الآكال بعد معالجتها باشعة الراديوم اربعة اسابيع لا غير

ويستعمل الراديوم هكذا توضع ذرات صغيرة منهُ في مقبض اسطواني كالقنينة ويغطى بقطعة من الزجاج ويمسك المقبض ويوضع الراديوم امام العضو المصاب فتخرج منهُ اشعة مؤلفة من ذرات صغيرة سرعتها ١٨٥٠٠٠ ميل في الساعة وتخترق الزجاج وتقع على قرحة الذئب الآكال فتأكلها واذا وقعت على عضو سليم قرحتهُ تقريحاً لا يشفى الاَّ في بضعة اشهر وقد لا يشفى ابداً

والمظنون ان اشعة الراديوم تشفي من السرطان كما تشفي من الذئب الآكال ويقال ان اثنين مصابين بالسرطان عولجا بهذه الاشعة في فينا فشفيا منهُ . ولا يجوز الحكم بان الشفاء تام الاَّ بعد ان تمضي مدة طويلة ولا يظهر السرطان ثانية

واغرب من ذلك ان الاستاذ لوندين الرومي جعل العمي يبصرون في ما قيل فاتى بولدين عمر احدهما احدى عشرة سنة وعمر الآخر ثلاث عشرة سنة كانا قد فقدا بصرهما في السنة الاولى من عمرهما وادخلهما غرفة مظلمة ووضع انبوبًا فيهِ الراديوم على جبينيهما ثم ألقى صور بعض الاجسام على ستار مستنير بنور الراديوم فشعرا بصورها ورأياها منطبقة على الشكل الذي يعلمانهِ لها باللمس فعرفا النقود والمفاتيح وما اشبه ويقال انهما تعلما الآن حروف الهجاء الروسية وصارا يقرآن بعض الكلمات . وقال انهُ عصب عيني شاب بمنديل حتى لم يعد يرى شيئًا ثم ادخلهُ غرفة مظلمة ووضع اناء الراديوم امام جبهتهِ فرأى ما امامهُ من الاشباح كما ترى في الشكل الرابع





ش ٥ شفيت بالاشعة التي وراء البنفسجي ش ٦ امراة مصابة بالذئب الاكال

وعالج بعضهم آفات الانف بالراديوم وعالج غيرهُ النفرلجيا المستعصية بهِ كما ترى في الشكل الثالث . والقى البعض اشعتهُ على ميكروبات التيفويد والكوليرا والجمرة فاماتتها لكنها تميت الاحياء الكبيرة كما تميت الصغيرة فقد وُضعت الفيران بقرب جزءٍ صغير جدًا من ملح الراديوم فاصابها فالج دماغي وماتت . فاذا كان مقدار الراديوم كبيرًا ووضع في غرفة مع أُناس أُغلق عليهم فيها ومنعوا عن الخروج منها فلا يبعد ان يميتهم ولذلك صار العلماء يحذرونهُ في تجاربهم العلمية فلا يمسكونهُ الّا ملفوفًا بلفائف معدنية ويقال ان السر وليم كروكس وضع قطعة صغيرة منهُ في جيبهِ وذهب الى الجمعية الملكية ليظهر خواصهُ فيها فلما عاد الى بيتهِ وجد انهُ فعل بخاصرتهِ فعل الحرّاقة. وهو يحرق الجلد لكن الشعور بهِ كالشعور بالثلج لا كالشعور بالنار

وعرض الدكتور بوهن دعاميص الضفادع لاشعة الراديوم فنمت سريعًا وصارت ضفادع

ولكن تغيرت خلقتها عن الشكل المألوف

ولا يزال المستخرج من هذا العنصر قليلاً جداً وثمنهُ فاحشاً لان ثمن الدرهم منهُ نحو ١٣٠٠ جنيه . ولا بدَّ من ان يكثر استخراجهُ اذا ثبتت منافعهُ فيرخص ثمنهُ

والظاهر ان الاشعة التي وراء البنفسجي من اشعة الطيف تفعل فعل اشعة الراديوم فانها كلها من نوع واحد كما ترى من خطبة السر اوليفر لدج المدرجة في هذا الجزء اي مؤلفة من ذرات دقيقة من الكهربائية السلبيَّة . وترى في الشكل الخامس والسادس صورة امرأة عمرها ٢٨ سنة كانت مصابة بالذئب الآكال في وجهها الايسروجانب انفها مما يليهِ فعولجت بالاشعة التي وراء البنفسجي فشفيت في ستة اشهر . فاذا ثبت ان هذه الاشعة تفعل دائماً فعل اشعة الراديوم فانها تغني عنهُ . وسنرى في العام المقبل من غرائب هذا العنصر وهذه الاشعة ما لم يحلم بهِ ابناء العصور الغابرة

بيروت وحوادثها

بيروت ثغر الشام وزهرة المدائن العثمانية كانت دار المدارس ومرضعة العلوم في عهد اليونان والرومان ثم تعاونت القوى الطبيعيَّة والمشاكل السياسية على تخريبها فهُدمت اركانها ودُرست اعلامها حتى لم يبقَ منها في اواسط القرن الماضي الأ فرضة صغيرة . وعادت الايام فبسمت لها فنمت وانبعت رغماً عن الادواء التي خربتها فزادت عمارتها اضعافاً كثيرة ونشأت فيها خمس مدارس عالية ومدرستان كليتان ومطابع كثيرة لا تفوقها مطبعة في الشرق حتى الآن . وانشأ كتَّابها الجرائد السياسية والمجلاَّت العلميَّة واقام تجارها الدور الصناعية وفتحوا البيوت التجارية في الممالك الاوربيَّة . ثم الجم الاستبداد السنة جرائدها وضيَّقت المراقبة حلقات مطابعها وميزت السياسة بين سكانها لتفريق كلمتهم وجاءها فقراء المأمورين وقد ابتاعوا مناصبهم ابتياعاً بالرشى وغرضهم الاول ابتزاز الاموال لايفاء ما استدانوا ففترت الهمم وضعفت العزائم ونفرت القلوب . وتوالى العفو عن بعض الجناة فزادوا عتوًّا وضُيّق على البعض الآخر فلجأوا الى الفرار وتربصوا بمن عاداهم الشر . وما زالت هذه الخطوب تتوالى الى ان امتلأت كاس الحقد ففاضت وانسدّ حلق البركان فثار . فناوش السكان بعضهم بعضاً يقسمهم الدين ولا يزعهم وازع واضطرت الفئة الكبرى منهم ان تخرج من المدينة وتلجأ الى الجبال لانها غير مسلحة وتمَّ غرض محيي التفريق وزارعي بزور الشقاق

ولقد كنا كما كتبنا فصلاً عن مدائن الشام وخرائبها وما كان لها من العظمة والشأن في القرون الخوالي وما صارت اليهِ في هذا العصر نتذكر قصة البومة التي طلبت صداقاً مئة مدينة خربة فوعدها خطيبها بها ما دام سوء الاحكام والظلم سائدين في البلاد. وهذه الحقيقة يعلمها الجميع ويجاهر بها كلُّ من لم يُغلَّ الاستبداد فمهُ وقد اعرب عنها الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله في قصيدة بعث بها الينا يقول فيها

سلامٌ على بيروتَ لولا التحزُّبُ ... وحكَّامُ سوءٍ أفسدوها وخرَّبوا
همو قلَّدوا جهالها فوق جهلهم ... سلاحاً وهم نادوا بجمعهم اضربوا
يقاتلُ فيها البعضُ بعضاً كأنهُ ... عدوٌّ عليهِ قتلهُ الدينُ يوجبُ
ومن عجبٍ ان يغلب الجهلُ بلدةً ... لها من سلاح العلم ما ليس يغلبُ
إذا ذكروا في الشرق فضلاً لكاتبٍ ... فإنَّ اليها ذلك الفضلَ ينسبُ

الى ان قال

افي كلِّ يوم يارجالُ جنايةٌ ... تساوى بها منكم بريءٌ ومذنبُ
أيرضى بهذا دينُ عيسى واحمدٍ ... وفي كل دينٍ زاجرٌ ومؤنبُ
لكم كل يومٍ عبرةٌ لو أردتمو ... تصانُ بها تلك الدماء وتحجبُ
وحسبكمو من مالكم ما خسرتمو ... وما ترتشي الخوَّانُ منهُ وتكسبُ
لعمري اذا غادرتمو جهلاءكم ... تجرِّرُ أذيالَ الشرور وتسحبُ
فليس لكم مندوحةٌ من ثلاثةٍ ... يجيء بها هذا البلاء ويذهبُ
نوًى او حياةٌ بالمذلة أو ردًى ... وليس وراء الموت للحرّ مطلبُ

ومعلوم انهُ لا يريد بالحكام الاَّ الفريق الطاغي منهم الذي يقصد التفريق بين السكان إمَّا سياسةً وإما طمعاً لاننا واثقون ان ليس كل الحكَّام من هذا القبيل بل منهم فريق كبير يبذل جهدهُ في جلب المنافع ودرء المفاسد وان المدن التي صبرت على نوائب الدهر حتى الآن لا يخشى ان يودي بها سوء الاحكام ولو اضعف جسمها واخَّر نموها . ولا بدَّ لها من ان تتغلَّب عليهِ اخيرًا حين يعلم السكان ان مصلحتهم تقوم باتفاقهم وان الجامعة الوطنية يجب ان تكون فوق كل جامعة اخرى وبها يعلو شأنهم وشأن بلادهم

والذين يهمهم امر بيروت وسائر بلاد الشام ويقابلون حالها الحاضرة بما كانت عليهِ منذ الفي عام او يقابلون حالها وحال القطر المصري الآن بما كانا عليهِ منذ عشرين عاماً لا يسعهم الاَّ الاعتراف بان احوال بلاد الشام على غير ما يرام وان حسن الادارة وانتظام الاحكام

يسعدان البلاد في سنين قليلة . ولا يقفون عند هذه المقابلة وهذا الاستنتاج بل ينتقلون الى الاشارة بالعلاج الذي يعالج بهِ هذا الداء فنهم من يشير بضم ولاية بيروت الى جبل لبنان واشراكها في امتيازاتهِ ومنهم من يتوسَّع ويطلب ان تجعل ولاية سورية وبيروت ولاية واحدة مع جبل لبنان وتعطى نوعاً من الاستقلال الاداري تحت سيادة الدولة العلية

وقد كنا نطالع في هذه الاثناء تاريخ لبنان الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي الشهير الكولونل تشرشل بك فوجدنا فيهِ كلاماً لمحمد علي باشا جد العائلة الخديوية يحلُّ مسألة الشام حلاً يحسبهُ البعض اصح من غيرهِ واحسن عائدة على الدولة العثمانية . فان الامير بشير الشهابي لجأ الى محمد علي عزيز مصر منذ ثمانين سنة هرباً من ظلم والي الشام ووالي عكاء وطمعهما الاشعبي فانزلهُ محمد علي على الرحب والسعة وسعى لهُ في ارجاع صديقهِ عبد الله باشا الى ولاية عكاء وارجاعهِ هو الى ولاية لبنان . وقبل ان برح الامير الديار المصرية استدعاهُ محمد علي اليهِ واطلعهُ على ما ينويهِ فقال "ان بلاد الشام كانت متصلة ببلاد مصر وكانت البلادان تسعدان حينما تكونان لحاكم واحد اما الآن فقد نزفت خيرات الشام وتقوَّضت اركانهُ واوصلهُ جشع الولاة الى الفقر المدقع وصيَّر مروجهُ الخصيبة قفاراً جرداء

"ولبنان لو انتظمت حكومتهُ لصار مقر السعادة والهناء ولم يكن لهُ مثيل في بلاد المشرق ولكنهُ استحال بسوء سياستهم الى دار حرب دائمة . وبلاد الشام كلها تحوَّلت من رغد العيش ورفاه الحال الى الفقر والضيق بل كادت تعود الى حال البربرية ". ثم وصف حال القطر المصري وما بلغ اليهِ من سوء الحال قبل ان تولاَّهُ وما صار اليهِ بسعيهِ اذ اصلح ريهُ واستثمر خيرات ارضهِ وانشأ فيهِ المعامل الصناعية وكل ما يسعدهُ ويرقى بهِ الى درجة ممالك اوربا الفائقة في عمرانها . وان سعيهُ هذا عُرِف لدى جلالة متبوعهِ السلطان الاعظم فشكرهُ عليهِ وامرهُ ان يعد الجنود لاخماد ثورة المورة ولا يبعد انهُ اذا افلح في اخماد تلك الثورة يستدعيهِ لاراحتهِ من عناء الاحكام في بلاد الشام حيث نهب الولاة الرعية وافسدوا حالها واضطروها الى اثارة الحروب والفتن والاستمرار عليها

وقال لهُ اخيراً انهُ مصمم على ضم القطر السوري الى القطر المصري وطلب منهُ ان يكون مستعداً لذلك فينجدهُ برجال لبنان اذا دعت الحال (انظر تاريخ لبنان الفصل ٢٥ من المجلد الثالث)

هذا ما كتبهُ الكولونل تشرشل منذ نحو ستين سنة ولا بد من ان يكون قد سمعهُ من الذين سمعوهُ من محمد علي او من الامير بشير . وهو حلٌّ آخر للمسألة السورية يحلم بهِ كثيرون اما نحن فنستبعدهُ جداً في الاحوال الحاضرة ولم نذكرهُ هنا الاَّ للدلالة على امر نجاهر بهِ

دواماً وهو ان صلاح البلاد بصلاح حكامها ولاسيما ان توفرت فيها الخيرات الطبيعيَّة كبلاد الشام وكان اهلها ذوي همة ونشاط كاهالي الشام . ولو كان الحكام من البلاد نفسها لقلنا ان صلاحها وفسادها انما هو باهاليها لان الحكام منهم ويستحيل ان يكونوا ارق من اخوانهم او احط اما والحاكم من غير الاهالي فيتعذَّر على الاهلين اصلاح احوالهم اذا جرى الحاكم على ضد ذلك ولم يكن في وسعهم اصلاحه ولا عزله . ولكن ما من داء اجتماعي الأ وله دواء بالصبر والتبصر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التمريض الجراحي

الفصل الاول في الميكروبات واتقائها

كثر الكلام على الميكروبات في هذه الايام ولكن قلَّ من يعرف عنها شيئاً غير انها احياء صغيرة جدًّا ولا يعلم مقدار صغرها واختلاف انواعها الاَّ نفر قليل من العلماء . والذين ينظرون الى اجرام السماء بالتلسكوب ويرون عظمتها وكثرة عددها يستصغرون انفسهم وارضهم ويحسبون ان الخالق لا يلتفت اليهم ولكنهم اذا تركوا التلسكوب ونظروا بالميكرسكوب رأَوا من الاحياء الصغيرة ما يعد بملايين الملايين في كل ما حولهم ورأَوا الانسان اكبر واعظم من مخلوقات كثيرة

وهذه الاحياء الصغيرة او الميكروبات تعيش في الاوساخ والاقذار وتدخل الجسم من الجراح او تدخلهُ بالشرب مع الماء او بالتنفس مع الهواء وحيثما جرح الجسم صار فيهِ باب لدخول الميكروبات فتدخل وتسبب الالتهاب والصديد والحمَّى واذا لم تقاوم شملت الجسم كلهُ وسممت الدم وسببت الموت

منذ ٣٦ سنة لم تكن تعمل عملية جراحية من غير ان يحدث فيها تقيُّح قبل شفائها . ولم

تكن المستشفيات نقية . وكانت ادوات الجراحين تغسل فقط وتنشَّف وكان الماء مشحوناً بالميكروبات وكذلك اللفائف والربائط ولم يكن احد يعلم شيئاً عمَّا فيها

وقد ثبت الآن ان لكل مرض ميكروباً خاصًّا بهِ وان الميكروبات كثيرة الانواع ومنتشرة في كل مكان ولكن يمكن تنقية بعض المواد والامكنة منها. ويطلق على المادة التي نزعت الميكروبات منها اسم الاسبتك ومعناه الخالي من الفساد ومن هذا القبيل الماء المعقَّم الذي أُغلي حتى ماتت كل الميكروبات منهُ والآلات الجراحية التي وضعت في الماء الغالي او في محلول الحامض الكربوليك . والقطن واللفائف التي أُغليت في الماء او وضعت في فرن حام او نقعت في سائل مضاد للفساد

والمواد المضادة للفساد (انتسبتك) هي السموم القوية التي تقتل الميكروبات مثل الحامض الكربوليك والسليماني واليودوفورم وهي كثيرة الاستعمال في الجراحة ولكنها اذا كانت قوية فقد تهيج الجرح او تسم العليل ولذلك لابدَّ من الاحتراس في استعمالها. ثم ان المواد المضادة للفساد قد تفسد اي تدخلها الميكروبات ويحدث ذلك اذا عتقت وفقدت قوتها على قتل الميكروبات . ولذلك جرت العادة الآن ان تنفق النفقات الطائلة على بناء اماكن خاصة لعمل العمليات الجراحية وتعقيم كل ما يستعمل فيها من ماء وآلات جراحية واربطة وما اشبه ويجدد هواؤها دواماً بمراوح كهربائية وتعدَّل حرارتها حسبما تستدعي حال المريض

وتختلف هذه الاماكن في بعض المستشفيات الكبيرة حسب اختلاف العمليات الجراحيَّة التي تعمل فيها فبعضها للعمليات البطنية وبعضها لعمليات العيون وبعضها لسائر العمليات وفي كلٍّ منها ما يلزم من الآلات والادوات والاستحضارات اللازمة للعمليات التي تعمل فيها

وهناك غرف مختلفة للبس الثياب النظيفة التي يلبسها المشتركون في عمل العمليات الجراحيَّة واحدة منها للاطباء وواحدة للتلامذة المساعدين وواحدة للمرضات فينزع الاطباء والمساعدون سترهم ويلبسون مراويل كبيرة تغطي ثيابهم كلها . ويلبس الممرضات مراويل كبيرة واكماماً تربط فوق المرفق . ويبتدئ الجميع بغسل ايديهم وتنظيف اظافرهم بالماء السخن والصابون ثم يغطسونها في سائل مضاد للفساد مثل محلول السليماني او الحامض الكربوليك. ومحلول السليماني افضل لانهُ لايخشّن اليدين. ثم يمشي الجميع الى غرفة العمليات ويؤتى بالعليل من غرفة التبنيج على سرير لهُ عجل يسير عليها ويجب ان لا يعلم شيئاً مما أُعدَّ لهُ ويوضع على مائدة العمليات و يقف المبنج فوق رأسهِ والجرَّاح المساعد عن جانبهِ وبالقرب منهُ التلميذ وممرضتان. ثم يدخل الجراح الكبير ويغطس يديهِ ثانية في اناء فيهِ سائل مضاد للفساد و يمسك

السكين ويشرع في العملية ويتم العمل بالصمت التام . فاذا كان كل شيء معدًّا منظمًا فالعملية التي كانت تعمل في ساعة او ساعة ونصف تعمل الآن في نصف ساعة فيقل الم المريض ويقل خطر العمليات جدًّا

وقلما تعمل العمليات الجراحية الآن في اوربا الاَّ في المستشفيات لان الخطر من عملها في البيت كثير جدًّا ولذلك انشئت مستشفيات خاصَّة بالاغنياء يقيمون فيها وقت العمليات الجراحية ولا يستعيبون ذلك . ويكون في هذه المستشفيات غرفة خاصَّة بكل مريض وممرضةٌ خاصة بهِ

الفصل الثاني في العوارض

اذا عرض لانسان عارض ما فالغالب ان الذين يرونهُ يبادرون اليهِ ويحاولون ايقافهُ وهذا خطأٌ لانهُ اذا جُرح يكثر نزف الدم منهُ بايقافهِ واذا كسر فيهِ عظم زاد الكسر المًا ودخلت شظايا العظم في لحمهِ وجرحتهُ وزادت تعبهُ وضررهُ . واذا ايفت سلسلتهُ الفقرية واوقفتهُ فقد يموت حالاً . واذا كُسرت جمجمة رأسهِ واوقفتهُ فقد لا يعود يشفى . واذا أُغمي عليهِ او أُصيب بالفالج فايقافهُ على رجليهِ يزيد ضررهُ

وقد تقول لي ماذا نفعل اذًا فالجواب ان افضل ما تفعلهُ اذا سقط احد او رُمي ان تبادر اليهِ وترى ماذا انكسر او انجرح منهُ فاذا وجدت الآفة وانها ذات خطر فلا تحاول تحريكهُ من مكانهُ الاَّ بعد ان تحضر فراشًا او قطعة متينة من الخيش او بابًا او لوحًا عريضًا ثم ترفعهُ وتضعهُ عليهِ ويجب ان يمسك شخص بالعضو المصاب حتى لا يتقلقل وقت رفعهِ ويحملهُ اثنان او اكثر من عند رأسهِ وقدميهِ

الراحة

يراد بالراحة إبطال العمل الجسدي والشغل العقلي وترك الاهتمام بهما لكي تتجدد قوى الجسد والعقل . والانسان الذي يعوّد نفسهُ الراحة التامَّة والانقطاع عن العناء انقطاعًا تامًّا يستطيع ان يعمل في اوقات العمل مضاعف ما يعملهُ غيرهُ من الذين يقضون ساعات الراحة بهموم العمل

وكل احد يحتاج الى ساعات ينام فيها واوقات ينقطع فيها عن العمل تمام الانقطاع . والنساء ربَّات البيوت احوج الى ذلك من الرجال لان هموم بيوتهنَّ تتبعهنَّ في الغالب نهارًا وليلاً . ولو اقتسم الناس اعمال الحياة على السواء لرأيت انهم كلهم يستطيعون ان يستريحوا

ساعات كثيرة كل يوم ولرأيت ان اشتغال ساعات قليلة يكفي للمعيشة ويزيد عليها ولكن كسل البعض واهمالهم يوجب على البعض الآخر ان يشتغل لهم ويفعل ما يمنعهم كسلهم عن فعلهِ

وان من اقبح الامور ان ترى والدة تنهض باكرًا لتدبير بيتها والاهتمام بما يلزم لزوجها واولادها لاجل راحتهم ورفاهتهم وبناتها نيام او واقفات امام المرآة يرتبن شعورهنَّ او جالسات يطالعنَ القصص والروايات . او ترى والدًا ينام باكرًا لكي يستطيع ان ينهض باكرًا لاعمالهِ ويقضي نهارهُ دئبًا لكي يكتسب ما تعيش بهِ عائلتهُ ارغد عيش واولادهُ يسهرون في القهاوي والمراقص الى ما بعد نصف الليل ثم ينامون الى قرب الظهر . او ترى اخًا يتعب ويدأب واخوهُ يتمتع بجنى تعبهِ عفوًا . كل ذلك من ادواء الهيئة الاجتماعية التي تجب مداواتها والأَ آلت الى هلاك الكسلان واضعاف المجتهد كما ان العشب البري الذي لا ينفع شيئًا ييبس بعد ان يضعف النبات الصالح الذي ينبت معهُ

والنوم اول سبيل من سُبل الراحة واهمها كلها ويختلف المقدار اللازم منهُ باختلاف السن وباختلاف اعمال الانسان وعاداتهِ . فالصغار والشيوخ يحتاجون الى الكثير منهُ اكثر مما يحتاج الشبان والكهول . والذين يشتغلون اشغالاً عقلية يحتاجون الى النوم اكثر من الذين يعملون اعمالاً بدنية . والعليل يحتاج ان ينام اكثر من السليم . والمجتهد في اعمالهِ يحتاج ان ينام اكثر من البطيء فيها

واذا تعب الانسان ساعة بعد اخرى ويومًا بعد آخر ولم يسترح الراحة الكافية انحرفت صحتهُ ولم يعد يستطيع العمل كما اذا كان واقفًا على خشبة وانكسرت الخشبة بهِ فانهُ يسقط لا محالة . واذا انحرفت الصحة وجاء المرض صار الانسان كالشمعة التي تحرقها من طرفيها فان التعب ينهكهُ من جهة والمرض من أُخرى

ومن العادات الحميدة التي يعتادها بعض الناس انهم يستطيعون ان ينقطعوا عن العمل ويصرفوا بالهم عن همومهِ دفعةً واحدة فاذا كانوا مستيقظين لم يعد عملهم يخطر لهم ببال ما داموا منقطعين عنهُ واذا ارادوا النوم فحالما يضعون رؤُوسهم على الوسادة ينامون ولا يستيقظون الاَّ حينما يكتفون من النوم والراحة فينهضون حينئذٍ للعمل حالاً . اناس مثل هؤُلاء يستطيعون ان يعملوا عملاً كثيرًا . اما الذين يتعذر عليهم النوم او يكثر قلقهم وارقهم فقلما تستريح اجسامهم وعقولهم وقلما يستطيعون ان ينجزوا اعمالاً كبيرة

ولما كان النوم خير وسائل الراحة وجب ان يُعتنى الاعتناء التام بجعل ساعاتهِ كافية والرجوع اليهِ في ميعاد محدد لا يقدَّم ولا يؤَخر

ولا بدَّ من منع كل ما يزيل النوم او يؤخره فيجب ان يكون طعام العشاء مغذيًا بسيطًا سهل الهضم وان لا يكثر الانسان منهُ فيتعب معدتهُ ويحرم عينيهِ النوم على غير فائدة . واذا شعرت ان الطعام ثقيل على معدتك نخير لك ان تنهض وتستفرغ لان النوم افيد من الطعام الذي يصعب على المعدة هضمهُ . ومما يسهّل النوم ان يكون الهواء نقيًا في غرفة النوم وان ينام كل واحد في سرير وحدهُ واذا كان استفراغ الطعام عسيرًا عليك وجب ان تقلل طعامك في العشاء حتى لا تضطر الى استفراغهِ وان تمضغهُ جيدًا قبلما تبتلعهُ

والهمُّ من اكبر اسباب الارق وقد قال فيهِ الشاعر العربي .

والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

وقال احد فلاسفة الاميركيين "انهُ تراب يرمى في العيون وابر يدوس الحفاة عليها"

يظن البعض ان اوقات الراحة تضيع سدًى من غير فائدة . ذهبت امرأة لتقضي فصل الصيف في بعض الجبال فاخذت آلة الخياطة معها وقالت لجارتها بعد رجوعها "لا ادري كيف يضيع النساء اوقاتهنَّ اما انا فلم اضيّع ساعة من وقتي بل استغنمت فرصة هذا الصيف اذ لا زيارات ولا مقابلات وخطت ثياب اولادي واعددت ثيابًا جديدة للشتاء ووجدت الاثمار كثيرة رخيصة فصنعت من المربيات كذا وكذا ارطالاً ولم ادع ساعة تذهب سدًى" . هذه المرأة التي قضت فسحة الصيف في الخياطة وعمل المربيات وافتخرت بذلك على اترابها قضت فصل الشتاء التالي طريحة الفراش من الضعف العصبي لانها نسيت ان الراحة من الزم لوازم الحياة

غرف النوم

اول شرط يشترط لصلاحية غرفة النوم لكي يكون النوم فيها منعشًا مردًا للقوى ان تعرَّض كل يوم للهواء النقي ونور الشمس وان يبقى الهواء يتجدَّد فيها ليلاً مدة النوم . ويقول البعض ان هواء الليل رديءٌ مضرٌّ ولكن اذا كانت غرفة النوم مقفلة الكوى فسد هواؤها سريعًا ولم يعد صالحًا للتنفس ولا سبيل لتجدده الاَّ بادخال هواء الليل اليها . والذي يضرُّ من هواء الليل ليس الهواء نفسهُ بل اسلوب دخولهِ وبردهُ فاذا نام الانسان بين شباكين مفتوحين او بين شباك وباب اي في مجرى الهواء وكان هواء الليل باردًا كما هو في الغالب لم يسلم من الضرر ولكن اذا كان السرير موضوعًا في غير مجرى الهواء بحيث يتجدَّد هواء الغرفة من غير ان يبرد جسم النائم فلا ضرر منهُ . ومعلوم انهُ اذا كانت غرفة النوم كبيرة وكان بابها مفتوحًا الى دار كبيرة ايضًا فالهواء الكثير الذي فيها لا يفسد كلهُ مدة النوم ولا داعي حينئذٍ لفتح

الشبابيك وكذلك اذا كان زجاج الشبابيك يُفتح من الاعلى فقط من عند السقف فان الهواء يتجدد رويداً رويداً ولو من فتحة صغيرة من غير ان يبرد بهِ جسم النائم · والخلاصة ان تجديد هواء غرف النوم لازم ولكن لا يجوز تبريده كثيرًا ولاسيما اذا كان النائم نحيف الجسم.

ومعلوم ان الانسان يقضي ثلث عمرهِ في غرفة النوم فيجب ان تكون من البيت بحيث تدخلها اشعة الشمس ساعات عديدة كل يوم ففي هذا الاقليم يكفي ان تكون جنوبيَّة او شرقية او غربيَّة واما اذا كانت شماليَّة فقط فلا تدخلها الشمس الاَّ قليلاً في فصل الصيف حينما تقل الحاجة اليها واما في فصل الشتاء فلا تدخلها الشمس مطلقاً ولذلك لا تكون صالحة للنوم

والحرُّ في غرف النوم خير من البرد والاعتدال في الحرارة خير منهما كليهما . والنوم في غرفة حارة من غير غطاء او بغطاء خفيف خير من النوم في غرفة باردة بغطاء ثقيل

آداب التحية عند الافرنج

الكبير يبادئ الصغير بالتحية ولا يعكس

الرجل يقدّم الى المرأة وقت التحية ولا يعكس

لا تنهض المرأة للرجل الاَّ اذا كان كبير السن او ذا مقام رفيع وتريد ان تكرمهُ لمقامهِ

النساء ينهض بعضهنَّ لبعض حين التعارف

المرأة تبادئ الرجل بالتحية اذا ارادت اما هو فلا يبادئها بها الاَّ اذا كان صديقاً حميماً

اذا التقى الاصدقاء في الطريق مرارًا فلا يحيي بعضهم بعضاً الاَّ في المرة الاولى واما في الثانية والثالثة فالالتفات او التبسم يكفيان

آداب المحادثة

المحادثة صناعة بل ملكة راسخة في النفس يولد البعض بها ويعتاد البعض عليها ويعجز البعض عنها. ومَن خُصَّ بفكاهة الحديث فقد خص بنعمة لا يعرف قيمتها الاَّ الذين حُرِموا منها

المحادثة روح المعاشرة وعلى كل احد ان يمرّن نفسهُ عليها كما يمرّن نفسهُ على الانشاء · وسرُّها ان يراعي المحدّث مقام الذين يحدثهم ويكلمهم حسب افهامهم واذواقهم

وعلى المحدث ان يكون سامعاً فان من لا يهتم بحديث غيرهِ لا يهتم غيرهُ بحديثهِ واذا لم يكن الغير ماهرًا في المحادثة فساعدهُ وهو يحدثك فتجدهُ يصغي الى حديثك

وحسن الاستماع شرط واجب لحسن المحادثة فان من لا يصغي الى حديث غيرهِ ولا يشجعهُ

على الحديث بالتفاته وهيئة وجهه ويغضي عن الهفوات الصغيرة يخلّ بآداب المحادثة . وما من احد يحب ان يُعَد حقيرًا بين عشرائه لا يُلتفت الى كلامه ولا يستمع له

وعلى المحدّث ان يرفع صوته حتى يُسمَع جيدًا وان يوضح الفاظهُ كلها فيرتاح اليه السامع ولا يتعب من استماعه . وان يختار المواضيع التي تلذ سامعيه ولا يعسر عليهم فهمها وان يجتنب كل ما يغيظ سامعيه او يعد نميمة على غيرهم

اذا كنت تحدث آخر ودخل ثالث يسمع حديثك فاخبره بخلاصة ما تقدّم منهُ قبل ان تجري فيه

تجنّب القهقهة والصياح والاكثار من كلمات التعجُّب والاستغاثة والندبة

تجنّب الجدل واقامة الادلة الطويلة في الحديث فانها لا تصلح الاَّ اذا كان المستمعون كلهم يهتمون بها

تجنّب الاحاديث الخاصّة بموضوع شغلك اذا لم يكن المستمعون من الذين يهتمون به

لا تقطع حديث متكلّم



القطن

ذهب المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعيَّة المصرية الى اميركا وبحث عن زراعة القطن فيها لكي يجمع الفوائد المتعلقة بذلك وينشرها في هذا القطر وقد وضع رسالة مسهبة في هذا الموضوع نقتطف منها ما يأتي

القطن الاميركي

يستغل من الولايات المتحدة الاميركية الآن نحو ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار كل سنة وهي نحو ثلاثة ارباع غلة القطن في الدنيا ومساحة الارض المزروعة قطنًا هذا العام ٢٩ مليون فدان وهي تزيد ٧ و٣ في المئة عمّا كانت عليهِ في العام الماضي . ويمكن ان تزاد مساحة الاراضي التي تزرع قطنًا في الولايات المتحدة الاميركية ولكن الاميركيين لا يفعلون ذلك الاَّ اذا ثبت لهم الربح من هذه الزيادة على قلة ما عندهم من العمال . واكثر ولايات اميركا زرعًا للقطن

ولاية تكساس فانهُ يزرع فيها ثلث القطن الاميركي . وهمُّ الاميركيين متجه الآن الى زيادة محصول الفدان لا الى زيادة عدد الافدنة التي تزرع لان محصول الفدان عندهم اقل من قنطارين فلا عجب اذا اتجهت العناية الى زيادة المحصول لا الى زيادة المساحة

ثم ان القطن الاميركي دون القطن المصري في نوعهِ ما عدا النوع المسمَّى بالسي ايلند ولذلك يضطر الاميركيون ان يأخذوا جانباً من القطن المصري الى معاملهم ليمزجوهُ بقطنهم. ويقدَّر ثمن القطن الذي يأخذونهُ الآن سنويًّا من القطر المصري بنحو مليوني جنيه ولذلك يبذلون جهدهم لزرع انواع من القطن طويلة الالياف تقوم مقام القطن المصري وقد اخذوا من تقاوي القطن المصري الميت عفيفي واليانوفتش والاشموني وزرعوها في بلادهم . والخلاصة انهُ ليس من المحتمل ان يزيد محصول القطن الاميركي كثيرًا في المستقبل القريب ولكن يحتمل ان تزيد معامل القطن ويزيد طلب الصنَّاع لهُ ولاسيما في الولايات الجنوبية

القطن الهندي

الهند تأتي بعد الولايات المتحدة في مقدار القطن ومن المحتمل انها اول مواطنهِ وانهُ كان يزرع فيها منذ اربعة آلاف عام . ويزرع الآن في الهند ١٥ مليون فدان يبلغ حاصلها في السنة من ١٢ الى ١٣ مليون قنطار فمتوسط حاصل الفدان اقل من قنطار . والقطن الهندي حقير في نوعهِ كما انهُ قليل في محصولهِ لقلة الاعتناء بزرعهِ ولتقلبات الهواء عليهِ وعدم الاعتناء بحلجهِ ولا يصلح الاَّ للمنسوجات الرخيصة الثمن . وكانت الهند تناظر اميركا في زرع القطن واخيرًا فازت اميركا عليها. ولا يعوَّل الآن على القطن الهندي الاَّ اذا امحل القطن الاميركي. وقد اخذت معامل القطن تزيد في بلاد الهند فكان فيها ٢٧ معملاً منذ ثلاثين سنة وكانت تستعمل ١١٥٠٠٠ بالة ويبلغ عددها الآن ١٥٠ وهي تستعمل ١٥٠٠٠٠٠ بالة سنويًّا واكثر القطن الهندي يصدر الآن الى ممالك اوربا غير انكلترا . وقد بذلت العناية في اصلاح القطن الهندي على غير فائدة ولا ينتظر اصلاحهُ في المستقبل القريب

القطر المصري

"القطن المصري وان كان مقدارهُ قليلاً بالنسبة لبعض أقطان البلاد الاخرى الاَّ انهُ يفضل عليها لجودتهِ ولصفاتهِ الخاصة ولاهميتهِ العظمى في اسواق الدنيا ويقدر محصلهُ سنويًّا بنحو ٦ ملايين قنطار وهو مقدار زهيد جدًّا بمقابلتهِ بمحصول القطن الاميركي البالغ قدرهُ من ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار في حين انهُ يبلغ نحو نصف محصول البلاد الهندية على ان الفضل في وصول القطن المصري الى هذه الدرجة العظيمة والاهمية الكبيرة هو بلا شك راجع الى اتباع

طرق الري المستعملة في البلاد والتي يحق لنا ان نقول عنها انها من احسن واتم طرق الري في جميع بلاد الدنيا . ومن مزايا هذه الطرق ان الاهتمام بزرع القطن على الدوام في ازدياد واننا نعتقد بان سيدوم الحال على ذلك خصوصاً وقد تم بناء الخزانات الجديدة وكادت تنتهي مشروعات الري الاخرى . ويعد قطن القطر المصري بعد قطن سي ايلاند (جزر البحر) الذي ينمو في بعض الجزر عند شاطىء ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وبعض الجهات الموافقة له في بلاد الولايات المتحدة اجود قطن في العالم ولا يمكن حفظ تلك السيادة التي نالها على اقطان البلاد الاخرى الأ اذا دام متصفاً بصفاتهِ العالية . وتوجد بلاد اخرى في الدنيا يمكنها بلا ريب ان تنتج قطناً ولكن تكون مصر حذاءها مطمئنة الخاطر ما دامت تنتج قطناً صفاتهُ اعلى من صفات الاقطان الاخرى

"وزراعة القطن العادي الذي يبلغ طول تيلتهِ عقدة واحدة او اقل امر سهل في البلاد الحارة والمعتدلة بخلاف انتاج القطن الطويل الشعر البالغ طول تيلتهِ عقدة وربعاً او اكثر فانهُ صعب الحصول عليهِ وكلما كان الطلب على المنسوجات القطنية الدقيقة في ازدياد فانهُ لا بد وان يكون الطلب على القطن الطويل الشعر كالقطن المصري في ازدياد ايضاً حتى وقد نرى اليوم ان الطلب يكاد يساوي المتحصل . ويظن بعضهم ان سيقل المتحصل عن المطلوب لتكاثر الطلبات عليهِ . ومما لا شك فيهِ ان المطلوب اخذ في الازدياد وكان يمكن ان يزيد عن ذلك لو امكن الحصول على تلك الاقطان باثمان رخيصة . ويدعي البعض جرياً على قاعدة المتحصل والطلب بانهُ كلما ظهرت الحاجة الى القطن كلما ازداد متحصله وربما يكون ذلك صحيحاً الى حد معلوم غير ان النفقات على انماء المطلوب الزائد في اراضي القطن العادية ربما تزيد كثيراً الى درجة ان لا تساعد حالة الصناعة على دفع اثمان عالية توازي تلك النفقات الكثيرة . والامر المهم الذي يفيد الزارع المصري هو حال ارضهِ وطقسهِ الذي يساعده على انتاج قطن جيد على انهُ لا يتأتى له الطموح الى منافسة بعض البلاد الاخرى لقلة مجموع المتحصل من بلادهِ . وكما قلنا فان اهمية القطن المصري في الاسواق مؤسسة على علو درجتهِ ولا داعي للتذكير بان من الواجب حفظ تلك الدرجة قبل كل شيء لانهُ متى ساء حال القطن قليلاً فان نجاح مستقبلهِ يكاد يقف عند حدهِ . هذا وكان طلب السوق على الاقطان الجيدة جداً محصوراً في القطن المصري ومقدار زهيد جداً من قطن سبقت الاشارة اليهِ ينمو في بعض جهات اميركا الموافقة . وكما ينتظر طبعاً على كل حال فان المساعي بذلت لانماء اقطان جيدة جداً وخصوصاً في الولايات المتحدة كذلك بذلت الهمة لانماء القطن المصري في كثير

من البلاد الاخرى. ومن ذلك نرى ان مركز القطن المصري لا يبقى على حالهِ غير متزعزع. ومن الواجب علينا حينئذٍ بعد ان شاهدنا ذلك التزاحم ان نسعى جهدنا في حفظ درجة قطننا كما كانت في الماضي. وصناعة المنسوجات الدقيقة في الوقت الحاضر قاصرة على قطن البلاد المصرية وبعض الجزر الواقعة بجوار شاطئ ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وكذلك على قطن بعض اقاليم واقعة على طول شاطئ الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي وهو قطن سي ايلاند (جزر البحر) السابق ذكرهُ. ويوجد في وادي نهر الميسيسبي قطن طويل الشعر يعادل القطن المصري في جودتهِ. ولاظهار ازدياد الطلب على القطن الطويل الشعر يمكننا ان نلاحظ انهُ في مدة ١٢ عاماً آخرها موسم ١٩٠١ — ١٩٠٢ زادت انكلترا مقطوعيتها من القطن المصري بنحو ٣٨ في المائة وزادت مقطوعية ممالك اوربا الباقية مقدار ١١٢ في المائة تقريباً والولايات المتحدة نحو ٦٨٠ في المائة وفي اثناء هذه المدة كان ازدياد المقدار المستهلك من قطن سي ايلاند ٩ في المائة في انكلترا و ٢٠٠ في المائة في القارة الاوربية و ١٥٠ في المائة في الولايات المتحدة وبلغ مجموع الزيادة في تلك المدة من القطن المصري ٣٧٤٤٥٣ بالة ومن قطن سي ايلاند ٣٦٠٦٥ بالة

المقادير المستهلكة من القطن المصري وقطن سي ايلاند

(مأخوذ من تقرير جمعية صنّاع القطن في انكلترا الجديدة بقلم المستر كيتردج)

				قطن مصري بالة	قطن سي ايلاند بالة
انكلترا	-	متوسط الموسمين	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠)	٣٢٨٥٨٠٠	٣٢٧٥٣
"	-	" "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢)	٣٢٨٨٨٥	٣٥٩٨٣
قارة اوربا	-	" "	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠)	١٧٣٠٠٥	٣٠٢١
قارة اوربا	-	" "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢)	٣٧٦٥٢٥	٥٩٩٣
الولايات المتحدة	-	" "	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠)	١١٨٤٣	١٨٦٢٨
" "	-	" "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢)	٩٣٤٧٠	٤٩٥٣٦

"والمسألة الآن هي هل يكفي محصل تلك الاقطان لاستيفاء جميع الطلبات عليها اذا دام ازدياد الطلب على هذا الحال عشر سنوات أُخرى؟ اما في مصر فانهُ يؤَمل كثيراً ان تتسع مساحة اراضي القطن ويحصل منها على مقادير اكثر من المعتاد ولكن يظهر ان لا أَمل هناك على الاطلاق في اتساع زراعة قطن جزر البحر في الاقاليم التي ينمو فيها الآن ومن الصحيح ان هناك اراضي يمكنها ان تنتج اقطاناً جيدة ولكن هل يكون في انتاجها ربح مع كثرة النفقات ذلك موضوع يشك فيهِ ومن الممكن ان تحسن طرق الري في الولايات المتحدة فيكون ذلك سبباً لترقي زراعة القطن فيها على ان ذلك بعيد الحصول وتحقيقهُ الآن غير ميسور وقد بلغ اعظم

متحصل في ايّ سنة من قطن سي ايلاند ١٠٤٠٠٠ بالة اي نحو ٤٠٠٠٠٠ قنطار ويظهر انهُ لا يؤمل اي زيادة فيهِ الّا اذا كان هناك باعث شديد غير عادي للاكثار من زراعتهِ والكسب الكبير منهُ. وتوجد اراضي متسعة في اجزاء الولايات الجنوبية يمكن ازدراعها بكلٍ من قطن سي ايلاند الجيد او القطن العادي على ان نفقة زرع الاول تكون كبيرة جدًّا ومتحصلهُ قليل الّا اذا كان هناك طبعًا فرق في الاثمان فيرجح الكسب من زرعهِ اكثر من القطن الاخير (العادي) الذي يكون متحصلهُ كبيرًا وقيمتهُ قليلة ولهذا السبب لا يهتم بزرع قطن سي ايلاند في هذه الاراضي على العموم

"وبتلخيص ما تقدم نقول ان الطلب على الاجناس الجيدة الدقيقة من القطن لفي ازدياد مستمرّ وان العالم كلهُ ينظر الى البلاد المصرية على الخصوص لاستيفاء معظم طلبهِ من ذلك القطن ومن واجب الزرّاع حينئذٍ ان يبذلوا غاية الجهد في حفظ درجتهِ العالية على ما هي عليهِ

"وسنتكلم فيما يلي على المساعي التي يتخذها ديوان الزراعة في الولايات المتحدة في اميركا نحو انتاج اقطان طويلة الشعر على اننا في الوقت نفسهِ بتحسين طرق الزرع العادية واستعمال الاسمدة الموافقة والارواء اللائق واتباع الارشادات القويمة التي تصلنا والانتفاع منها يمكننا ان ننتصر على غيرنا من زرّاع البلاد الاجنبية في انتاج قطن جيد جدًّا يفوق اقطانهم كثيرًا

روسيا

"ينمو القطن الآن بمقدار عظيم في روسيا الاسيوية وتركستان وبلغت زراعتهُ في تلك البلاد اوسعها في زمن نشوب الحرب الاميركية الاهلية عند ما كانت الازمة شديدة في اسواق روسيا وغيرها من ممالك اوربا وما هدئت الاحوال وانخفضت الاسعار الّا وتأخرت الزراعة فيها ثانية ولكنها نشطت من خمولها في السنوات الاخيرة ولم تزل في سبيل التقدم والانتشار

"والروسيا مضى عليها زمن من الازمان اشترت فيهِ من الولايات المتحدة ومصر كل مطلوبها تقريبًا من القطن الخام. والوارد من القطن المصري الى الروسيا لصناعة المنسوجات الدقيقة هو الآن عظيم جدًّا وبلغ ذلك في السنة الماضية ٩٠٠٠٠٠ قنطار تقريبًا والقطن الذي يزرع في بلاد تركستان اصلهُ اميركي وقد اهتمت الحكومة بانشاء حقول للتجارب في زراعة القطن وبنشر المقالات الزراعية عليها مما ساعد على تقدم تلك الزراعة في بلاد تركستان . واراضي القطن التي كانت مساحتها منذ ٢٠ عامًا مضت اقل من ١٠٠٠ فدان اتسعت الآن كثيرًا جدًّا على ان المزارع على العموم صغيرة ومعظم محصول القطن ينتجهُ صغار المزارعين ويبلغ متوسط

محصل الفدان قنطارين وهو ليس بالكثير اما صفاتهُ فتماثل صفات القطن الاميركي اذ يبلغ طول شعرهِ عقدة واحدة ولونهُ جيد منتظم ولكنهُ خشن قليلاً

"ولو ان محصول القطن في الامبراطورية الروسية في ازدياد مستمر الاّ ان ذاك الوقت الذي يكفي فيهِ حاصل بلادها القطني لسد حاجات اهلها منهُ بعيد. ونصف القطن المستعمل في الوقت الحاضر في معامل النسج فيها مجلوب من الخارج كذلك فان بازدياد اراضي القطن ازدادت الطلبات على البضائع القطنيَّة وفي الوقت نفسهِ نقص الوارد من القطن الاميركي الى الروسيا مما جعل الزراع الاميركيين يخشون انهم سيلاقون من بلاد الروسيا منازعاً جديداً في التجارة القطنية وبالعكس فان طلبات الروسيا من القطن المصري تزداد عاماً فعاماً ويظهر من ذلك طبعاً كما سبق الكلام انهُ ما دمنا نحافظ على جودة قطننا المصري فاننا لا نخشى التقهقر في ميدان المزاحمة التجارية كما رأينا الحال مع القطن الاميركي العادي

"هذا وقد بذلت المساعي في بلاد الروسيا لزرع الانواع الجيدة من القطن كقطن سي ايلاند (جزر البحر) ولكنها لم تفلح لعدم موافقة الطقس لها على انهُ يؤمل على كل حال ان تزاد مساحة اراضي القطن في الروسيا اما امكان تصدير القطن الروسي الى الخارج فلا يتأتى وقوعهُ في المستقبل القريب

الصين

"تنتج بلاد الصين مقداراً عظيماً جداً من القطن ويحدو بنا الظن في تقديرهِ وان لم يظهر منهُ شيء في الاسواق الاّ نادراً بانهُ يكون بين ٦ و٧ ملايين قنطار يستهلك على العموم في البلاد الصينية بخلاف بعض آلاف من البالات تصدَّر الى اليابان. اما اوصاف القطن الصيني فشعرهُ ابيض ناصع اشدّ نظافةً من القطن الاميركي او الهندي وهو قصير خشن لا يغزل جيداً كالقطن الهندي ويقتصر على غزلهِ ونسجهِ بالايدي

هذا وطرق زرعهِ في الصين اولية بان تبذر تقاويهِ بذراً على الارض كما تبذر تقاوي القمح او غيرهِ من المحصولات الحبوبية وعلى ذلك تقرب شجيراتهُ بعضها من بعض كثيراً وتكون قصيرة لا تحمل ثمراً كثيراً وتنتج حينئذٍ قطناً قليلاً وقد يحسنون في بعض الجهات طرق زرعهِ ولكن ذلك قليل. وتوجد في الصين معامل قليلة للغزل لا تفي بحاجات الاهالي ولذلك فان الوارد اليها من البضائع القطنية كثير. ويقدر محصول قطن كوريا بنحو مليوني قنطار يستهلك جميعهُ داخل البلاد وشعر هذا القطن الاخير اطول وادق من شعر القطن الصيني

اليابان

"تقدمت الصناعة في بلاد اليابان في السنوات الاخيرة تقدماً يذكر وخصوصاً في صنع المنسوجات القطنية التي لاقت نجاحاً عظيماً وكان اليابانيون يغزلون وينسجون القطن بايديهم او بآلات صغيرة يديرونها بانفسهم ومنذ ١٥ عاماً انشئت في بلادهم المعامل الكبيرة للغزل والنسج بقدر ما يحتاجون . اما مقدار محصل القطن في اليابان فليس بالكبير ويقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ قنطار وشعره قصير جداً وخشن وزراعتهُ ليست آخذة في الازدياد ويظهر ان اهم استعمال لهُ هو خلطهُ بالاقطان الاجنبية الجيدة التي تجلب من بلاد الهند واميركا والصين والنجاح العظيم الذي نالتهُ اليابان في صناعة القطن جعلها في مركز مكين تضارع بهِ انكلترا والهند في مصنوعاتهما في اسواق الصين والبلاد الشرقية . وسوف تزداد صادرات اليابان من المنسوجات القطنية عاماً فعاماً . ومعامل اليابان الى الآن تصنع البضائع القطنية الواطئة وليس هناك سبب للظن ان ستبقى حالتها على ذلك للابد

"ومن المرجح ان اليابان تبقى تبتاع القطن المصري وتزيد منهُ . وبلغ المصدر اليها منهُ في العام الماضي ١١٣٢٢ بالة او ٨٠٠٠٠ قنطار تقريباً" ستأتي البقية



كتاب نهج البلاغة

وهو ما جمعهُ الشريف الرضي في اواخر القرن الرابع على انهُ من كلام الامام علي بن ابي طالب بل من محاسن خطبهِ وكتبهِ وحكمهِ وادبهِ . وقال " ان روايات كلامهِ تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجههِ ثم وُجد بعد ذلك في رواية أُخرى موضوعاً غير وضعهِ الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن فتقتضي الحال ان يعاد استظهاراً للاختيار وغيرة على عقائل الكلام ". وليس الغريب ان يقع هذا الاختلاف في روايات كلام عاش صاحبهُ ومات قبل ان جمع باكثر من ثلاثة قرون بل الغريب ان يحفظ منهُ شيء

وكما وقع لهذا الكتاب ان جمعهُ امام كان في زمانهِ انجب سادات العراق كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني قيض الله لهُ ان شرحهُ ونشرهُ الامام الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً . فطبع مرتين قبل هذه المرة ونفدت نسخهُ كلها لكثرة الرغبة

فيهِ والاقبال عليهِ وطُبع الآن طبعة ثالثة بالشكل الكامل . وقد قدَّم لهُ الشارح مقدمة مسهبة بيَّن فيها مزاياهُ وهو حقيق بها وهي حقيقة بهِ لانها بلغتهُ في بلاغة عبارتها وذكر فيها طرفاً من ترجمة الشريف الرضي اتماماً للفائدة . ولا نرى وصفاً لهذا الكتاب وشرحهِ ابلغ من ان ننشر امثلة منهما . فمن الخطب قولهُ

ألا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بوداعٍ وتنكَّر معروفها وادبرتْ حذَّاء (١) فهي تحفز بالفناء سكَّانها (٢) وتحدرُ بالموتِ جيرانها وقد (٣) امرَّ منها ما كان حلوًا . وكدرَ منها ما كان صفوًا (٤) فلم يبقَ منها الاَّ سملة كسملةِ الإداوةِ (٥) او جرعة كجرعةِ المقلة . لو تمززها الصديانُ لم ينقع (٦) . فازمعوا عبادَ الله الرحيلَ عن هذه الدارِ المقدورِ على اهلها الزوالُ (٧) ولا يغلبنكم فيها الاملُ ولا يطولنَّ عليكم الامدُ . فوالله لو حننتم حنينَ الوُلهِ العجالِ (٨) ودعوتم بهديلِ الحمامِ (٩) وجأرتم جؤارَ متبتلِ الرهبانِ (١) وخرجتم الى الله من الاموالِ والاولادِ التماسَ القربة اليهِ في ارتفاع درجةٍ عندهُ او غفرانِ سيئة أحصتها كتبتهُ . وحفظها رسلهُ (٢) لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابهِ واخافُ عليكم من عقابهِ. والله لو انماثت قلوبكم انمياثاً (٣) وسالت عيونكم من رغبةٍ اليهِ او رهبةٍ منهُ دماً ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية (٤) ما جزت اعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم انعمهُ عليكم العظام وهداهُ اياكم للايمانِ (٥)

---

(١) حذاء مسرعة ورحم حذاء مقطوعة غير موصولة وفي رواية جذاء بالجيم اي مقطوعة الدر والخير (٢) تحفزهم تدفعهم وتسوقهم حفزهُ يحفزهُ دفعهُ من خلفهِ او هو بمعنى تطعنهم من حفزهُ بالرمح طعنه (٣) تحدر بالراء من باب نصر وضرب اي تحوطهم بالموت وفي رواية وهي الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال اي تسوقهم بالموت الى الهلاك فتكون الفقرة في معنى سابقتها موكدة لها (٤) امر الشيء صار مرًّا وكدر كفرح كدرًا وكظرف كدورة تعكر وتغير لونهُ واختلط بما لا يستساغ هو معهُ (٥) السملة محركة بقية الماء في الحوض والاداوة المطهرة (اناء الماء الذي يتطهر بهِ) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون في الماء ثم يصبون الماء فيهِ ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد احدهم عن الآخر في نصيبهِ يفعلون ذلك اذا قلَّ الماء وارادوا قسمتهُ بالسوية (٦) التمزز الامتصاص قليلاً قليلاً والصديان العطشان وقولهُ لم ينقع اي لم يروِ (٧) فازمعوا الرحيل اي عزموا عليهِ يقال ازمع الامر ولا يقال ازمع عليهِ وجوزهُ الفراء بمعنى عزم عليهِ راجع والمراد من العزم على الرحيل مراعاتهُ والعمل لهُ (٨) كل انثى فقدت ولدها فهي واله ووالهة والعجول من الابل التي فقدت ولدها (٩) هديل الحمام صوتهُ في بكائهِ لفقدِ الفهِ

(١) جأرتم رفعتم اصواتكم والجؤار الصوت المرتفع اي تضرعتم الى الله بارفع اصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل والمتبتل المنقطع للعبادة (٢) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ اعمال العباد (٣) انماثت ذابت (٤) ما الدنيا باقية اي مدة بقائها (٥) قولهُ ما جزت جواب لو انماثت وقولهُ انعمهُ عليكم العظام مفعول جزت اي ما كافأَ ذلك انعمهُ الكبار عليكم وقولهُ ولو لم تبقوا شيئاً الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب وقولهُ وهداهُ اياكم عطف على انعمهِ عطف الخاص على العام فان الهداية الى الايمان من اكبر النعم

ومن الكتب قوله

اما بعدُ فان تضييعَ المرء ما وُلّيَ وتكلُّفهُ ما كُفيَ (١) لعجزٌ حاضرٌ ورأيٌ متبرٌ . وان تعاطيك الغارةَ على اهل قرقيسيا (٢) وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يردُّ الجيش عنها لرأيٌ شعاعٌ . فقد صرتَ جسرًا لمن اراد الغارةَ من اعدائك على اوليائك غير شديد المنكبِ (٣) ولا مهيبِ الجانبِ ولا سادٍ ثغرةً ولا كاسرٍ شوكةً ولا مغنٍ عن اهل مصرِهِ (٤) ولا مجزٍ عن اميرهِ

ومن الحكم والادب قوله

قال ع ليس بلدٌ بأحقّ بك من بلدٍ (١) خيرُ البلاد ما حملكَ

وقال ع (وقد جاءهُ نعيُ الاشترِ رحمهُ الله) مالكٌ وما مالكٌ (٢) لو كان جبلاً لكان فندًا لا يرتقيهِ الحافرُ ولا يوفي عليهِ الطائرُ (والفندُ المنفردُ من الجبال)

وقال ع قليل مدوم عليهِ خير من كثير مملول منهُ

وقال ع اذا كان في رجلٍ خلّةٌ رائقة فانتظروا اخواتها (٣)

وقال ع (لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما) ما فعلت ابلك الكثيرة قال ذعذعتها الحقوق (٤) يا أمير المؤمنين (فقال ع) ذلك احمد سبلها

وقال ع من اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم في الرِباء (٥)

والكتاب حري ان يكون في يد كل طالب من طلبة العربية ولا سيما بطبعتهِ الثالثة لان فيها " زيادات في الشرح تزيد الكلام ايضاحاً والمعاني بسطاً "

---

(١) تضييع الانسان الشان الذي تولى حفظهُ وتجشمهُ الامر الذي لم يطالب منهُ وكفاهُ الغير ثقلهُ عجز عن القيام بما تولاهُ ورأي متبر كمعظم من تبره تتبيرًا اذا اهلكهُ اي هالك صاحبهُ

(٢) قرقيسيا بكسر القافين بينهما ساكن بلد على الفرات والمسالح جمع مسلحة مواضع الحامية على الحدود ورأي شعاع كسحاب اي متفرق اما الرأي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد

(٣) المنكب كمسجد مجتمع الكتف والعضد وشدتهُ كناية عن القوة والمنعة والثغرة الفرجة يدخل منها العدو

(٤) اغنى عنهُ ناب منابهُ وقائد المسالح ينبغي ان ينوب عن اهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم واجزى عنهُ قام مقامهُ وكفى عنهُ

(١) يقول كل البلاد تصلح سكناً وانما افضلها ما حملك اي كنت فيهِ على راحة فكأنك محمول عليهِ

(٢) مالك هو الاشتر النخعي والفند بكسر الفاء الجبل العظيم والجملتان بعدهُ كناية عن رفعتهِ وامتناع همتهِ واوفى عليهِ وصل اليهِ (٣) الخلة بالفتح الخصلة اي اذا اعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون اليهِ وانتظر سائر الخلال (٤) ذعذع المال فرقهُ وبددهُ اي فرق الى حقوق الزكاة والصدقات وذلك احمد سبلها جمع سبيل اي افضل طرق افنائها (٥) ارتطم وقع في الورطة فلم يمكنهُ الخلاص والتاجر اذا لم يكن على علم بالفقه لا يامن الوقوع في الربا جهلاً

المقامات العشر

هي عشر من مقامات الحريري انتخبها حضرة الشيخ محمد المبارك الجزائري وشرح الفاظها اللغوية وطبعها في كتاب صغير يباع بثلاثة غروش لكي يسهل على الطلبة اقتناؤه . والشرح حسن وافٍ بالغرض لكنهُ لا يخلو من كلمات قد تخفى على الطالب كقوله في تفسير السمل انهُ ثوب خلق وقوله في تفسير الثج انهُ سفك دماء البدن. لكن الكلمات التي من هذا القبيل قليلة

كتاب تربية الاطفال

وضع هذا الكتاب حضرة الدكتور عبد العزيز نظمي الطبيب الاختصاصي [لامراض العيون والاطفال من كليتي منبيه وباريس جعله على سبيل مذاكرات مع امرأة زارها وهي حامل واوصاها وصايا صحيَّة وزاد في النصح والارشاد فقال للمرأة " اني لا اخالكِ الاَّ عازمة على استحضار مرضعة لولدكِ بمجرَّد وضعهِ ولكني بصفتي حكيماً اقول لكِ انكِ لو اتيتِ هذا العمل تكونين قد اتيتِ ذنباً وجنيت جناية كبرى يعاقب عليها القانون كما سأُبينهُ لكِ". ولا ندري بموجب اي مادَّة من القانون تعاقب من ترضع طفلها من غير لبنها . الاَّ ان المؤلف اصاب في حث الامهات على ارضاع اطفالهنَّ من لبنهنَّ اذا كنَّ قادرات على ذلك لا " مهما كانت حالتهنَّ الصحيَّة " كما قال . والكتاب حافل بالنصائح المفيدة في تربية الاطفال فنثني على همة المؤلف ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

المعاني

وهو الجزء الثالث من كتاب الاعراب عن قواعد لغة الاعراب الَّفهُ حضرة الكاتب الاديب رشيد افندي عطية احد اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت وجعل مزيتهُ على المتداول من كتب المعاني بان اردف كل قاعدة من قواعدهِ بتمرين وكل باب بتمرين عام ثم ذيَّل الكتاب بتمرين مطوَّل و بسط ما كان مشكلاً من المتون وفسَّر الكلم اللغوية التي وردت في متنهِ وشرحهِ وتمارينهِ في جدول في آخر الكتاب، وكل ذلك من المزايا التي تقرب هذا العلم من اذهان الطلبة وتجعلهُ عملياً ونظرياً معاً . مثال ذلك ما ورد تمريناً في قواعد تأخير المسند وتقديمهِ

"اذا اردت اخبار زيد ان عندك صديقين واستزرتهُ فماذا تقول ج عندي صديقان فهل لك ان تزورني بتقديم المسند (عندي) اذ لو قلنا صديقان عندي لتوهم المخاطب لاول الامر

ان الظرف صفة للصديقين وان الخبر في ما يلي والذي يحملهُ على ذلك كون الصديقين نكرة فتحتاج الى وصف لجواز الابتداء بها ونحن نريد الاخبار عن وجود الصديقين لا وصفهما . وهذا التقديم هو مقتضى الحال

اذا اردت تعظيم زيد لعلمهِ فماذا تقول لهُ . ج عالم انت يا زيد بتقديم المسند للتعظيم

لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غيرَ لذيذِ

المسند اليهِ لذة والمسند لكل وقدم ليتقرر انهُ خبر لا صفة فلو اخَّر وقيل لذة لكل جديد لتوهم السامع لاول الامر انهُ صفة لهُ اي لذة كائنة وهو خلاف المقصود لان مراد الشاعر الاخبار عن اللذة لا وصفها

سلام الله يا مطرٌ عليهِ وليس عليك يا مطرُ السلام

المسند اليهِ (السلام) والمسند (عليك) وقدم لان ذكرهُ اهم عند السامع فهو يعلم بوقوع السلام ولكنهُ يطلب ان يقال لهُ على من وقع فلو قيل وليس السلام عليك يا مطر لما كان بليغاً اذ لم يراعَ فيهِ مقتضى الحال التي تدعو الى التقديم

ان في جنوحك عن سبيل الرشاد واتباعك مسالك الضلال لخطأً عظيماً :

المسند اليهِ (خطأ) لانهُ كان مبتدا قبل دخول ان والمسند الجار (في جنوحك) وقدم للتشويق اي ان طول الكلام يبعث في نفس السامع الرغبة في ذكر المسند اليهِ لانهُ ينتظر بفروغ صبر الوقوف على نتيجة الجنوح عن سبيل الرشاد واتباع مسالك الضلال . فلو قلنا خطأً عظيم في جنوحك الخ لما كان بليغاً لعدم مراعاة الحال الداعية الى التقديم لان المعلول الذي توقفت عليهِ تلك العلة الطويلة اذا ذكر اولاً لم يكن لهُ وقع النفس الخ "

وعلى هذا النمط بسطت قواعد المعاني والبيان . وحبذا لو أُتقن تصحيح الكتاب قبل طبعهِ

الكاروز المنير

الكاروز باللغة المصرية الكارز او المبشر وقد سميت بهِ مجلة دينية جديدة انشأها حضرة الفاضل جرجس افندي ياضي وجعل مدارها على المباحث الدينية حسبما هي واردة في التوراة والانجيل على ما يفهمهُ او يفسرهُ علماء الديانة المسيحية كقولهِ في الكلام على سفر دانيال ان تاريخ العالم يشهد بان معظم الحوادث التي تنبأ عنها دانيال النبي قد تمَّ حرفياً في حينهِ وبعضها يتم في عصرنا الحاضر فالبقية ستتم في حينها حتماً . وقد خالف اكثر علماء الكنيسة احياناً في بعض الاحكام كقولهِ " ان دانيال اختار الطعام المناسب الذي اقرَّت عليهِ نطس الاطباء باوفقيتهِ

للصحة الانسانية وهو الطعام الذي عينهُ الله تعالى للانسان منذ البدء". وكقولهِ "ان الانسان لم يخلق ليأكل الحيوان". ومما قالهُ ان دانيال تنبأ عن انقضاء العالم وان جميع البينات تبرهن اننا الآن في وقت النهاية المنوه عنهُ في سفر دانيال. فعسى ان لا يكثر صاحب هذه المجلة من حث اهل وطنهِ على اكل البقول والحبوب والامتناع من اكل اللحم لان الامم التي تبطل اكل اللحم تضعف قواها العقلية والجسدية وتذل لغيرها وان لا يؤكد لهم قرب وقت النهاية لان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما احد ولا ملائكة السماء

رسالة في الطاعون البقري

وضع هذه الرسالة حضرة الدكتور محمد بك صفوت مفتش اول مصالح الصحة سابقاً وتكلم فيها اولاً عن المرض واعراضهِ وطرق علاجهِ ثم استطرد الى الكلام على انواع اللقاح التي استعملت هذا العام في القطر المصري ولام مجلس الصحة البحرية والكورنتينات على دخولهِ القطر وختم الرسالة بالاوامر العالية التي صدرت في صدد اوبئة المواشي

رواية آدم وحواء

رواية تمثيلية تمثل سقوط آدم من الفردوس على ماجاء في التوراة وتزيد عليهِ وصف الشياطين في مجتمعاتهم مما قد يعلق بالعقول ويزيد الوساوس . وفي الرواية شعر حسن وهي تذكر القارئ بشعر ملتون في هذا الموضوع ولكن شتان بين الشعرين فان ملتون بلغ درجة الاعجاز في اختراع المعاني وانتقاء الالفاظ حتى قيل ان شعرهُ ابلغ شعر نظمهُ البشر في كل زمان ومكان (راجع ترجمة ملتن في المجلد العاشر من المقتطف)

مناهج الحياة

كتاب فلسفي الّفهُ حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد جمع فيهِ حقائق كثيرة مما يذكر في باب السعي والعمل والاقتصاد ملأت نحو مئتي صفحة. واكثر الكلام فيهِ مجرَّد خالٍ من الامثلة التي تقرّب المراد من ذهن القارئ وترسخهُ فيهِ كالامثلة المذكورة في كتاب سر النجاح وهو مع ذلك كبير الفائدة لمن يطالعهُ بالتأني ويهذب نفسهُ بما فيهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوّلة

اظهار حقيقة

الى منشئي المقتطف

بعد اهداء ما يليق بمقامكما من التبجيل والثناء الجميل قد اطلعنا على الجزء الثامن من مجلتكم ووقع النظر على المقالة المعنونة بمنزلة الشعر من التاريخ من مقالات الاديب الفاضل امين ظاهر خير الله فرأينا فيها فرائد فوائد وليتهُ اطنب فيها المقال واستوعب جميع ما كان عليهِ القوم من السير والاحوال وغير ذلك من شؤُونهم كمواسمهم واعيادهم واديانهم وعقائدهم وراجع لذلك كتب الائمة المصنفة في اصنامهم وانوائهم ونسيئهم واديانهم ككتاب الاصنام للجاحظ وكتاب الاصنام لابن هشام الكلبي وكتاب الخالع في اديان العرب وكتاب الانواء لابي حنيفة الدينوري وكتاب الميسر لابن قتيبة وكتاب المعمرين للسجستاني ونحو ذلك مما لا تخلو عنهُ خزائن كتب المحروسة وعليهِ ان يدقق النظر ويمعنهُ فيما ينقلهُ وليعرضهُ على النقاد قبل نشرهِ والاَّ فلا يأمن وخز أسنة مواخذات فرسان هذا الميدان فان في كلامهِ مواقع للنظر غير ان منها ما هو سهل يغمض عنهُ ومنها ما يشينه ويحط من فضلهِ مثال ذلك انهُ قال ٢٤ تضمخ الخيل بالخمر وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهم وبايديهن زجاجات الخمر لينضحن جيادهم بها واستشهد على ذلك بقول حسان

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

انتهى . ولا اعدُّ ذلك الاَّ من سهو القلم لا من زلة القدم فان صغار الطلبة لا يذهب عليهم مثل ذلك ومن اين للعرب مثل هذه العادة الرعناء والقوم كانوا من اعقل الناس وهل الخمر من الطيب حتى ينضح بها وجوه جيادهم . وهذا الغلط سرى اليهِ من عدم فهمهِ لمعنى البيت وعدم وقوفهِ على قصتهِ المشهورة . وحسان هذا كان من اجلة اصحاب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم

وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذٍ نجسة الاستعمال ومرادهُ بقولهِ متمطرات مسرعات يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت متمطرة اي مسرعة يسبق بعضها بعضاً وتمطر بهِ فرسهُ اذا جرى واسرع والخُمُر بضم الميم جمع خمار لا بسكونها كما وهم . وهذا البيت من جملة ابيات مذكورة مع قصتها في سيرة ابن هشام وفتح الباري . وقال ابن رشيق القيرواني في باب فال الشعر وطيرتهِ من كتابهِ العمدة في محاسن الشعر وآدابهِ تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليهِ وسلم بفتح مكة فقال في كلمتهِ المشهورة يخاطب بذلك مشركي اهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الاعنة مصغيات على اكتافها الاسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخُمُر النساء

فلما كان يوم الفتح اقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن عنها الغبار بخُمُرهنَّ فقال قائل لله در حسان اذ يقول وانشد الابيات . وروى قوم ان الناس امروا بالمسير الى كداء ليتفألوا بهذا البيت ليصح وكان الامر كما قال . وما جرأني على بيان ذلك الا مزيد حبي للقوم وكراهة ان يلصق بهم ما هم بريئون عنهُ وقد ظهر لنا انتقادات أُخر على مقالات ادرجتموها في مجلتكم لعلنا نرى فرصة فنعرضها في وقت آخر والسلام

مأمور معاينة الكتب

في معارف بغداد

محمد رشيد

سلخ رجب سنة ١٣٢١

الرجال ذوو الرؤوس الطيارة

حضرات الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

لما اطلعت على الجواب المدرج في العدد العاشر من مجلة المقتطف عن السؤال الذي كنت ارسلتهُ اليكم في الشهر التاسع من هذه السنة عثرت على شيء في هذا الموضوع فأحببت ان ارسل الى حضراتكم بترجمتهِ وهو :

ورد في دائرة المعارف الصينية .(San-Sai-tai-hœi) انهُ في داخل بلاد جاوى الكبيرة (Grand yawa). كان يوجد نوع من الرجال وهو هذا الجنس ذوو الرؤوس الطيَّارة

ومن صفاتهم : ليس لهم اجفان — ورأسهم ينفصل من جسمهم ويطير

وفي حكم الملك ڤوتي من عائلة هان الصينية قد ارسل سكان بلدة انج سي (Ing-si)

ارسالية الى الممالك الجنوبية :فوجدوا فيها رجالاً ذوي سوق واذرع تنفصل عن الجسم ورؤُوسهم تطير ثم تعود اليهم : تطير الرؤوس نحو الجنوب والايدي اليمنى نحو المياه الغربية واليسرى نحو المياه الشرقية وفي الصباح تعود الرؤوس والايدي وتتصل بالجسم . وفي حالة ما اذا كانت الريح شديدة تذهب الريح بايديهم الى اقصى مياه المحيط

وورد في الكتاب المسمى " الاشياء الغريبة في الممالك الجنوبية "(Nan-fong-i-wou) ان مقر هذا الجنس في جنوب الجبال الواقعة بهذه البلاد ووسط جبال .(Ki-toung): ومن علاماتهم التي يعرفون بها : وجود اثار جروح حمراء على قفاهم

كيفيَّة طيران الرأس — حينما يأتي الليل يظهر على وجوههم علامات المرض وتصير اذانهم اشبه باجنحة وفجأَةً تطير رؤُوسهم قاصدة شواطىء الانهار باحثة على الحشرات ذات القشرة الصلبة (فقط) ثم تعود وتلتصق بالجسم كما كانت قبلاً فيمتلئ البطن من الغذاء

وورد في الكتاب المسمى .(tai-ping kowang-ki) : بلاد المتوحشين ذوي الرؤوس الطيارة واقعة في شرق بلاد السين السين (اي الصين) وفي الجنوب الغربي لبلدة (لونغ تشنغ) .(Loung-tchung) وعرض هذه البلاد ١٠٠٠ فرسخ صيني وبها ملاحات كثيرة — واما نساء هؤلاء الرجال واطفالهم ففيهم علامة الجرح الاحمر فقط

هذا ما ورد مناسباً لهذا الموضوع فبادرت بترجمتهِ وارسالهِ اليكم لتكرموا بالاطلاع عليهِ ونشرهِ والذي اراهُ ان كل ما ذكر من الخرافات او من الحكايات والقصد منهُ وجود اناس غريبة خلقةً وخلقاً

عطا فهمي

مترجم بدائرة دولة والدة خديو

(المقتطف) لقد اصبتم في قولكم ان كل ذلك من الحكايات الخرافية

اقتراح

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

معلومكم ان راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا يسامتهُ تقريباً في شمال الخريطة الافريقية " راس أدّار " الواقع بتراب المملكة التونسية وهذا الراس يسميهِ الافرنج " كاب بون " اي الراس الطيب وقد بحثت عن اصل هاتهِ التسمية بوجهتيها العربيَّة والافرنجيَّة فلم اعثر على ما يشفي الغليل لاسيما واني لم اوفق لوجود معنى للفظ " أدّار " الموجود في التسمية العربية ولذلك وجهت وجهتي نحو مقتطفكم ملتمساً الاجابة عن تاريخ التسميتين

تونس في ٣ سبتمبر سنة ١٩٠٣ الامضاء — م . ب . خ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مدة الحمل

دمياط . عبد الحميد افندي الجمال . من المعلوم ان مدة الحمل تسعة اشهر وقد يولد الجنين في الشهر السابع او الثامن وقد تتأخر الولادة الى الشهر العاشر او الحادي عشر او الثاني عشر وقيل ان مدة الحمل قد تبلغ ثمانية عشر شهراً فهل ذلك صحيح وما هي اطول مدة الحمل

ج ان مدة الحمل العادية تسعة اشهر وعند التدقيق ٢٧٥ يوماً وقد تزيد على ذلك او تنقص عنهُ بضعة ايام . وذكرت احوال نادرة جداً طال فيها الحمل ٣٣٠ يوماً الى ٣٣٤ يوماً وهي اطول مدة ذكرها الاطباء

---

(٢) كتب فلسفة عربية

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . افيدونا عن اسماء احسن الكتب في انواع الفلسفة باللغة العربية

ج اذا اردتم الفلسفة العقلية فلم نرَ كتاباً افضل من كتاب الدكتور بلس رئيس المدرسة الكلية الاميركية السابق واذا اردتم الفلسفة الطبيعية فكتاب المعلم اسعد الشدودي لا يزال اوسع من غيرهِ ولكن قد اتسع علم الفلسفة الطبيعية كثيراً من حين طُبع الى الآن

(٣) كتب باكون وديكارت

ومنهُ . اي كتب باكون وديكارت تستحسنون مطالعتها

ج مقالات باكون Essays وكتاب ديكارت في النظام Discours de la Méthode

(٤) العلم ووجود الشيطان

ومنهُ . ان كان العلم لا يناقض الدين كما يقولون فباي برهان يثبتون وجود الشيطان ووسوستهُ في صدور الناس

ج ان الذين يثبتون وجود الشيطان يثبتونهُ بادلة كتابيَّة لا يتعرَّض العلم لنفيها ولا لاثباتها ولا علاقة لوجود الشيطان بمناقضة العلم للدين او بموافقتهِ لهُ

---

(٥) الحويلة وفيشون

طنطا . الخواجه هرون حسون اين موقع بلاد الحويلة المذكورة في الاصحاح الثاني من

سفر التكوين وما اسم النهر الذي هناك المسمَّى في التوراة فيشون

ج ظن بعض المفسرين انها بين البحر الاسود وبحر قزبين وظن غيرهم انها بين دجلة والفرات مما يلي بحر فارس. وظن البعض ان نهر فيشون هو نهر الكنج في بلاد الهند وظن غيرهم انهُ نهر السند وظن آخرون غير ذلك ولا نعلم الحقيقة

---

(٦) الدم والدماغ

مصر. امين افندي عمر. استيقظ بعض الاحيان من النوم منزعجاً فاشعر بدوي فوق رأسي كصوت سير المركبات وبعد قليل استيقظ تماماً وانا مندهش مما كنت اشعر بهِ. حدث لي ذلك مرتين وعلتهُ بسرعة استيقاظي من النوم ثم قرأت مقالة فلسفة النوم في الجزء الاخير من المقتطف فتمثلت لي الحقيقة وهي ان الدم قلَّ من رأسي فلما استيقظت استردَّ الراس الدم الذي فقدهُ فسمعت لهُ هذا الدوي وكنت اشعر احياناً بسير الدم من بدني الى رأسي ولذلك فانا اعتقد ان الدم يقل من الراس وقت النوم وان الاتصال بين حويصلات الدماغ ينقطع وقت النوم كما ذهب ديقال فهل تعليلي للصوت الذي سمعتهُ في محلهِ

ج لو كان هذا الصوت ناتجاً عن ورود الدم الى الدماغ لوجب ان تسمعوهُ كل يوم او في اكثر الايام ولذلك نرجح انهُ ناتج عن شيء من الزكام في الاذن الباطنة او عن عرَض مثل هذا. وذلك لا ينفي ورود الدم الى الدماغ وقت اليقظة

---

(٧) الغذاء في السمك

موبيل باميركا. الخواجه ميخائيل الياس نعمان. علمتُ من بعض الاطباء وقرأت في احدى الجرائد ان الاسماك غير مغذية للجسم بل هي مضرة. وقد قرأت في الجزء التاسع من مقتطفكم ان الاسماك من اكثر الاطعمة غذاء فاي القولين اصح

ج لا نتذكر اننا نشرنا شيئاً من ذلك في الجزء التاسع من اجزاء هذه السنة وسواء نشرناهُ هناك او لم ننشرهُ فاننا نشرنا غير مرة ان السمك من الاطعمة المغذية جدًّا ويختلف مقدار ما فيهِ من الغذاء بحسب انواعهِ وكلهُ يأتي بعد لحم الضان والبقر في مقدار الغذاء فان البروتاين فيهِ اكثر مما في لحم الضان والبقر ولكن الدهن فيهِ اقل مما فيهما والماء فيهِ اكثر مما فيهما. وليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام بل بمقدار ما يهضم منهُ وما يغتذي الجسم بهِ. ويقال جملة ان السمك الجيد من اكثر الاطعمة غذاء وقد حُلل لحم البقر السمين ولحم الغنم السمين ولحم السلمون وهو من اجود انواع السمك فوجد مقدار البروتاين في الاول ١٧ في المئة وفي الثاني ١٥ في المئة وفي الثالث ٢٢ في المئة. ومقدار الدهن في الاول ٢٧

في المئة وفي الثاني ٣٨ في المئة وفي الثالث ١٤ في المئة . وعلى البروتاين والدهن يتوقف غذاء اللحم . ولا عبرة بما يقال غير ذلك ولكن اذا فسد السمك صار سمًّا زعافاً

(٨) الثعابين في البيوت

ومنهُ . هل من واسطة لمنع دخول الثعابين الى البيوت وما هي

ج ان القطط وبنات عرس تأْكل الثعابين او تطردها فاذا ربيت في البيوت فالغالب انها تمنع الثعابين من دخولها . ثم ان الثعابين التي تدخل البيوت وتقيم فيها لا تكون سامَّة الاَّ نادرًا جدًّا فلا خوف منها

(٩) اتحاد السوريين

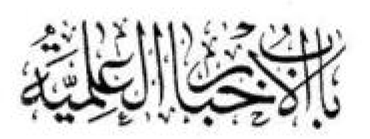
ومنهُ . هل من واسطة لاتحاد السوريين وضم كلمتهم وما هي وهل اذا عُمل باقتراح جريدة الهدى القائلة بوجوب تأليف جمعيات في المدن الكبيرة في مصر واميركا وربطها بعضها ببعض تحصل النتيجة المطلوبة

ج لا تجتمع كلمة قوم ولا فائدة من اجتماعها الاَّ اذا كان لهم غاية محدودة يسعون اليها . واجتماع كلمة السوريين من اصعب الامور لان المذاهب الدينية فرَّقت بينهم منذ مئات من السنين فنشأُوا احزابًا دينية مخالفة متضاغنة ولا يزول هذا التخالف والتضاغن الاَّ اذا اتجهت افكارهم الى امر هام لهم فيهِ مصلحة كبيرة تشملهم كلهم فتقوى المصلحة على الاسباب التي تفرّق بينهم الآن وتدفعهم الى انشاء الجمعيات ونحوها مما تجتمع بهِ كلمتهم وتنال معهُ مصلحتهم

(١٠) التدين الظاهر

القاهرة . ا . ا . لماذا نرى بعض المؤلفين يهتمون بتحشية كتبهم بالآيات الكتابية والعبارات الدينية حتى لا يكادوا يذكرون اسم نبي الاَّ الحقوهُ بقولهم صلى الله عليهِ وسلم او عليهِ الصلاة والسلام ولا اسم كتاب ديني الاَّ الحقوهُ بالفاظ التعظيم والتبجيل ولو كانت كتبهم علمية لا دخل للدين فيها ونرى غيرهم ولاسيما من المتدينين لا يهتم بذلك فلا يذكر شيئًا منهُ في كتابهِ او يكتفي بذكر البسملة والحمدلة في صدر الكتاب جريًا على العادة المألوفة

ج قال بعض الحكماء ان تظاهر الفقير بالغنى ناتج عن خوفهِ من ظهور فقرهِ وكذلك نرى قصير القامة يرفع رأسهُ ويتصدَّر لكي يظهر طويلاً وقبيح المنظر يحسن زينتهُ و بزتهُ لكي يظهر جميلاً . وهذا شأن المطعون في تدينهم او الذين يرون من انفسهم ما يحمل على الريبة فيهم فانهم يستعملون هذا الطلاء اخفاء لامرهم . الاَّ ان هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقهِ بل قد يكون ذكر العبارات الدينيَّة عن تدين حقيقي . واقبح ما في الناس الرياء الديني فهو اشفُّ ثوب يلبسهُ الانسان واكبر بلية على التدين الحقيقي



مباحث جديدة في السل

لما اجتمع مجمع العلماء والاطباء الالماني في مدينة كاسل في اواخر شهر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الاستاذ بهرنج خطبة كان لها وقع عظيم في نفوس السامعين فان لهُ املاكاً واسعة قرب مربرج حيث يجرب التجارب في الحيوانات ليعلم فعل السل بها وكيفية انتقال العدوى منها الى البشر الى غير ذلك من الامور التي يبحث العلماء فيها الآن وقد قال في خطبتهِ انهُ ترجح لهُ ان تلقيح البقر باللقاح المضاد للسل يجعل لبنها واقياً من السل حتى اذا شربهُ الناس وقاهم منهُ . وان الاطفال يُعدَون بالسل من شربهم لبن بقر مصابة بهِ وان ميكروب السل يدخل ابدان الاجنَّة قبل ولادتهم وانهُ اذا غذّي الاطفال بلبن بقر لُقحت بباشلس السل وقوا من السل لان لبنها يكون حاوياً المادة الواقية من السل (انتيتكسين) وارتأى ان البالغين قلما يصابون بالسل ما لم يكونوا قد تعرّضوا لهُ في طفوليتهم الّا ان تعرّض الاطفال لهُ يزول بتغذيتهم لبن بقر لقحت باللقاح المضاد للسل . فهو مخالف للدكتور كوخ في انتقال العدوى

الكهربائية من الريح

استُخدمت الريح لادارة المطاحن من قديم الزمان ولا تزال مستعملة على قلة بعد استعمال المطاحن البخارية . وقد فكَّر البعض في استخدامها لتوليد الكهربائية بادارة المحرك الكهربائي (الدينامو) فلم يتيسر لهم ذلك قبلاً لان حركة الرياح غير منتظمة الّا ان الاستاذ لاكور الدنماركي صنع آلة كهربائيَّة تديرها الريح واذا زاد عصفها عن درجة محدودة تحرَّك فيها مخل اوقع السير عن الاطار وبذلك تعتدل الحركة . وقد مضى على هذه الآلة نحو سنة وهي دائرة بالانتظام وكهربائيتها تنير ٤٥٠ مصباحاً كهربائياً وهي موضوعة في اسكوف ببلاد الدنمارك . وثمن الآلة ٨٠٠ جنيه ويبلغ ثمن الكهربائية التي تتولد منها في سنة ١٤٠ جنيهاً يخرج منها ٤٠ جنيهاً نفقات فيبقى ١٠٠ جنيه للفائدة والاستهلاك

عدوى الطاعون

ثبت بالبحث في هونغ كونغ ان الحيوانات البيتية كالفراخ ونحوها تُعدَى بالطاعون من اكلها مواد ملطخة بميكروبهِ وان ميكروب الطاعون يوجد في البق والبراغيث والعناكب

والصراصير ونحوها من الحشرات التي تكون في بيوت المصابين بالطاعون . وان خمسة في المئة من السكان الوطنيين يوجد ميكروب الطاعون في دمهم فلا عجب اذا بقي الوباء هناك

مدرسة الصحافة

وهب المستر بولتزر الاميركي مدرسة كولمبيا الجامعة مليون ريال لانشاء فرع خاص فيها يتعلَّم فيهِ الطلبة كيفية انشاء الجرائد وادارتها ووعد بان يهبها مليون ريال اخرى لهذه الغاية . ومعلوم ان الاميركيين فاقوا غيرهم في انشاء صحف الاخبار ومجلات العلم من غير ان يتعلموا صناعة الصحافة في مدرسة فلا عجب اذا زادوا براعةً بعد الآن وناظروا الصحافيين الاوربيين في المدائن الاوربيَّة

المركبات الكهربائية في المانيا

نجحت برلين في تجاربها لتسيير المركبات بالكهربائية نجاحاً باهراً حتى بدأت بذلك رسمياً في الخامس عشر من شهر يوليو الماضي وبلغت سرعة هذه المركبات ٦٠ كيلومتراً في الساعة . ويتالف كل قطار من ثلث مركبات اثنتين منها للدرجة الثالثة (وفي كلٍّ منهما محرّك كهربائي) بينهما مركبة للدرجة الثانية وطول كل مركبة من المركبات الثلاث ٦٣ قدماً وعرضها ٩ اقدام . وتسع المركبات كلها مئتي راكب . ويستطيع القطار ان يسير الى الامام او الى الوراء حسب الاقتضاء

قوانين صحية للحلاقين (المزينين)

وضعت ادارة الصحة في ولاية نيويورك القوانين الآتية لدكاكين الحلاقين وهي

(١) على الحلاّق ان يغسل يديهِ بالصابون والماء الحار قبل شروعهِ في حلق شعر احدٍ او قصهِ

(٢) لا يجوز لهُ ان يستعمل الشب او كاوياً آخر لقطع الدم في شكل قلم واذا استعملهُ فليكن مسحوقاً

(٣) لا يجوز لهُ استعمال المذريات التي تذرُّ بها المساحيق

(٤) لا يجوز لهُ ان يستعمل منشفة واحدة لاكثر من شخص واحد قبل غسلها

(٥) لا يجوز استعمال الاسفنج

(٦) يجب ان يغسل البرش والطاس اللذين يستعملان لرغي الصابون كل مرة قبلما يستعملهما

(٧) جميع الامشاط والمواسي والمقصات يجب ان تغمس في الماء الغالي او غيرهِ مما يقتل جراثيم الامراض وذلك كل مرة بعد استعمالها

(٨) لا يجوز لهُ ان يصف وصفة ما لامراض الجلد ما لم يكن معهُ رخصة رسمية

(٩) يجب ان تُكنس ارض الدكان وتنظف كل يوم ويجب ان ينظف كل اثاثهِ من الغبار

(١٠) يجب ان يكون الدكان مجهزًا بالماء الحار والبارد

(١١) تعلق نسخة من هذه القوانين في كل دكان حيث تسهل قراءتها

القطرات الكهربائية

توالت التجارب في القطرات الكهربائية التي تسير بين زوسن ومارينفيلد بالمانيا حتى بلغت سرعة القطار ١٢٧ ميلاً في الساعة

بالون ده لا ڤولكس

اقلع المسيو ده لا ڤولكس ببالونهِ من سان كلود في ضواحي باريس قاصدًا مدينة هل بانكلترا فبلغ بعد ثماني ساعات خليج المانش وقطعهُ في ساعة وخمسين دقيقة . وبعد ساعتين وعشر دقائق بلغ نهر التيمز ولما اقترب من جرفه تغيرت الرياح فاقتضى وصولهُ الى همبر ساعة وخمسين دقيقة . ولما بلغ هلْ رأى انهُ لا يمكنهُ متابعة السير من غير ان يتعرَّض للخطر فنزل في مكان يبعد عنها ستة اميال الى جهة الشمال الشرقي وهذه اول مرة قطع فيها بالون من فرنسا الى انكلترا

مشكلة الطيران

من اعسر الامور التي اشكلت على مخترعي المركبات الهوائية مسألة استمرار الطيور طائرة واجنحتها منشورة موازية للافق وهي لا تتحرك على ان المركبة الهوائية المسطحة الاجنحة لا يمكنها البقاء على تلك الحال طويلاً ما لم تكن مساحة اجنحتها اضعاف مساحة اجنحة الطائر . وقد برهن الاستاذ لنغلي برسوم هندسية الفرق العظيم بين اجنحة الطيور والصفائح التي تطير في الهواء ولاحظ قبلهُ ذلك الفرق جماعة من العلماء فاتفق الجميع على ان السبب في استمرار الطير طائرًا هو تقعر اجنحتهِ وتحدبها وكونها غير مسطحة كاجنحة المركبة الهوائية

اعمال النساء

ظهر بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية ان النساء اللواتي سنهنَّ يمكنهنَّ من تعاطي الاعمال المختلفة نصفهنَّ يعملن اعمالاً يكتسبن منها معيشتهنَّ . وهنَّ يتعاطين كل اعمال الرجال فيوجد منهنَّ في دوائر الحكومة المختلفة وادارة البريد والتجارة والزراعة والصنائع المختلفة ما عدا التعدين . ومن مليون و٧٩ الف عامل الذكور ٧٨٦ الفًا والنساء ٢٩٣ الفًا اي ان النساء اكثر من ربع العمَّال

استعمال الاليومنوم لنقل الكهربائية

كتب بعضهم مقالة اظهر فيها فائدة الاليومنوم في نقل الكهربائية وشيوع استعمالهِ عوضًا عن النحاس . فان السلك الذي ينقل الكهربائية من شلال نياغرا الى مدينة بفلو من الاليومنوم وطولهُ عشرون ميلاً وفي كاليفورنيا سلكان كهربائيان من الاليومنوم طول

احدها مئة ميل وطول الثاني مئة وار بعون ميلاً . ومعلوم ان النحاس افضل من الاليومنوم لنقل الكهربائية ولكن الاليومنوم اخف وزناً وارخص ثمناً . ويقول الكاتب انهُ يمكن ابعاد الاعمدة بعضها عن بعض حينئذٍ اكثر مما يمكن لو استعمل النحاس فينتج من ذلك اقتصاد في النفقات

تأثير المغناطيس في الحياة

ظهر من تجارب كثيرة اجراها العالمان شنيڤو وبون الفرنسويان ان للمغناطيس تأثيراً عظيماً في بعض الاحياء الدنيا فان البعض منها تتوقف حركتهُ بالتدريج والبعض يتوقف عن النمو والبعض يموت . وقد فتح ذلك باباً للبحث عما اذا كان للمغناطيس تأثير في الحيوانات العليا . ويرجح ان تكون النتيجة ايجابيةً

شلالات نياغرا الاصطناعية

سيقام في معرض سنت لويس المقبل شلال اصطناعي كبير يمثل شلالات نياغرا . وينصبُّ منهُ ٩٠٠٠٠ جالون من الماء كل دقيقة من ارتفاع ١٥٩ قدماً ويجلب الماء من ينبوع كبير ويرفع الى الشلال بواسطة طلمبات ومضخات كهربائية قوتها ستة آلاف حصان فهي اعظم طلمبات في الدنيا

النور والازهار

كتب الدكتور جمسن ويرالى جريدة السينتفك اميركان يقول قطفتُ بعض ازهار الشقيق الاسلندي ووضعتها في كاس للزينة وكان الوقت صباحاً فلم تمضِ ساعة حتى رأيتها ذبلت فنزعتها من الكاس لارميها فقالت لي امي اتركها في الكاس ولا ترمها ففي الليل تنتعش وتراها غداً كما كانت لما قطفتها . ففعلت كما قالت فانتعشت في المساء وللحال اخذتُ ابحث عن سبب ذبولها وانتعاشها وعن تأثير النور في الازهار بنوع عام . فوجدت ان ازهار الشقيق (الخشخاش البري) على انواعهِ تذبل سريعاً بعد قطفها اذا قطفت في النهار لافرق في ذلك بين ان يكون اليوم بارداً او حارًّا واما الازهار التي تقطف ليلاً فلا تذبل الاَّ اذا عرضت لنور النهار . ويظهر من ذلك ان للنور يداً في ذبولها او موتها الظاهر واذا كان الامر كذلك فالفعل كيماوي وهو مسبب عن بعض اشعة النور

وقد اكتشفت قبل الآن ان الاشعة البرتقالية والحمراء والصفراء لا تضرُّ النبات ونشرتُ نتائج تجاربي فلم ارَ داعياً لاعادتها وترجح لي ان هذا الفعل الضار ناتج من الاشعة البنفسجية وما وراءها فوجدتُ الامر كذلك لانهُ اذا حُجب النور البنفسجي عن ازهار الشقيق بورق احمر او برتقالي لم تعد تذبل واما اذا وضع الزهر في نور الشمس كلهِ فانهُ يذبل حالاً واذا طال وضعهُ في النور اكثر من اربع عشرة ساعة ذبل ولم يعد ينتعش او ييبس . الاَّ ان الزهر الذي يذبل من وضعهِ

في النور البنفسجي ثم ينتعش بوضعهِ في الظلام لا يعود يذبل ولو وضع في نور الشمس كانهُ يكتسب منهُ مناعة كما تكتسب الاجسام مناعة اذا اصابها مرض معدٍ وشفيت منهُ او كما يكتسب جلد الانسان هذه المناعة عينها من فعل النور بهِ فان الذي يتعرَّض للنور البنفسجي وما وراءهُ اول مرة يتلوَّح جلدهُ وتتولَّد فيهِ بثور ولكنهُ اذا تعرَّض لهُ مرةً ثانية لم يعد يؤثر فيهِ كذلك

وظهر لي بالبحث الميكرسكوبي ان النور البنفسجي يؤثر في حويصلات الزهرة وزندها وورقها وتأثيرهُ سريع فحالما يقع على الحويصلات يجعلها تنكمش ويؤثر في دورة العصارة الى ان يوقفها بعد ساعتين او ثلاث ويوقف حركة الحويصلات حتى تعدم الحركة من بنية الزهر ويموت

الغذاء في الجوز والاثمار

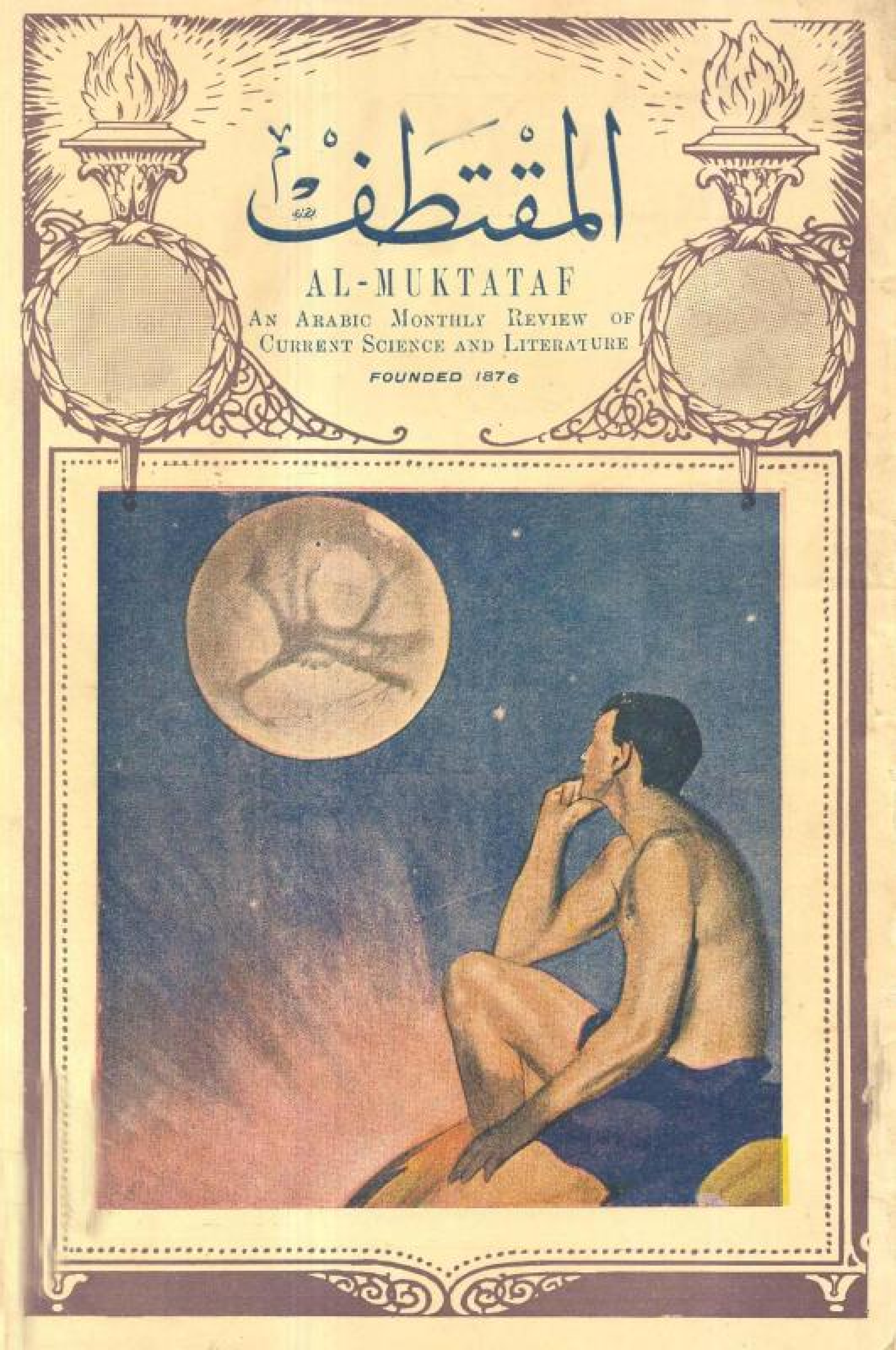
ثبت من تجارب ديوان الزراعة باميركا ان الاثمار والجوز على انواعهِ اطعمة مغذية للجسم. فقد اطعم البعض منها فقط ولم يطعموا من غيرها الاَّ قليلاً من الجبن والبيض فاغتذت اجسامهم جيدًا وزاد وزن بعضها وكانت الاثمار التي جرت التجارب فيها من التفاح والموز والعنب والكمثرى والرمان والبرتقال والشليك والبطيخ والتين وما اشبه . والجوز من اللوز والفول السوداني او من زبدتهِ فقط

وبلغ ثمن طعام الشخص الواحد نحو نصف ما يبلغهُ لو كان كثير اللحم . ومما ثبت بهذه التجارب ان الفول السوداني على رخصهِ يغذي كاللحم فان ما يساوي منهُ خمسة غروش يغذي الجسم مثل مقدار من اللحم يساوي عشرين غرشاً . ولا يفوق الفول السوداني في ذلك الاَّ الخبز والفول هذا من جهة الغذاء الذي يكوّن اللحم اما الغذاء الذي يكوّن الحرارة او القوة فهو في الفول السوداني اكثر مما في الخبز والفول اذا كان الثمن واحداً

تنشيط الزراعة في اميركا

تنفق الولايات المتحدة الاميركية ١٣٢٨٨٤٧ ريالاً كل سنة على مراكز الامتحان الزراعي ولكن البلاد تستفيد منها اضعاف اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها فان الاميركيين يستعملون كل سنة من السماد فقط ما ثمنهُ خمسون مليون ريال ومراكز الامتحان الزراعي ترشدهم الى كيفية استعمالهِ وتمتحنهُ لهم حتى لا يشتروا شيئاً باكثر من ثمنهِ . ويقال انهُ يتلف عندهم من سماد المواشي كل سنة ما ثمنهُ سبعة ملايين ريال لجهل بعضهم كيفية استعمالهِ ومراكز الامتحان باذلة الجهد في تعليمهم ذلك وتلافي هذه الخسارة فلا عجب اذا فاقوا غيرهم زراعة كما فاقوا صناعة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١٢ رمضان سنة ١٣٢١

اقدم الآثار المصرية

للدكتور فلندرس بتري شأن كبير عند علماء الآثار المصرية لانهُ وسَّع تاريخ مصر بمكتشفاتهِ الكثيرة واوضح كثيرًا من غوامضهِ بمباحثهِ الدقيقة · ولهُ انداد من علماء الآثار يخالفونهُ في كثير من النتائج التي وصل اليها ولكنهم لا ينكرون عليهِ مقدماتها ولا يبخسونهُ حقهُ من الاكرام · وقد اطلعنا الآن على مقالة مسهبة لهُ جمع فيها زبدة ما اكتشفهُ حديثًا من آثار ابيدوس او العرابة المدفونة فاقتطفنا منها ما يلي قال

" لقد اظهرنا آثار مقام من اشهر المقامات المصرية يمتدُّ تاريخهُ من ايام الملك الاول من ملوك مصر الملك مينا الذي نشأ قبل المسيح بنحو ٤٧٠٠ سنة الى ايام الملك نختنبورحب الذي كان سنة ٣٧٠ قبل المسيح · وهذه الآثار في طبقات متضدة بعضها فوق بعض كأنها صفحات كتاب مكتوب

" الآن الناظر اليها لا يدرك ما فيها ما لم يتعلَّم العلم الذي يُعرف بهِ مغزى رموزها اي شقف الخزف وحبوب الخرز وقطع الصوان ويعلم في اي عصر صُنع كلٌّ منها والنقب في اطلال المدن القديمة متلفة لتاريخها ان لم ينتبه الناقب لكل ما يجدهُ فيها من هذه الرموز او الدلائل واما اذا انتبه لها حق الانتباه وكان عالمًا بمدلولاتها قرأ فيها تاريخها كما يقرأ كتابًا مسطورًا "

والفضل الاكبر في وضع هذا العلم وتوسيعهِ للدكتور بتري نفسهِ وقد اخذهُ عنهُ صديقنا الدكتور فردرك بلس وقرأ بهِ تاريخ كثير من اطلال فلسطين · ومما يؤسف عليهِ ان الناقبين في الآثار المصرية قلما ينتبهون لذلك · دعانا المسيو ده مورجان لما كان مديرًا لدار الآثار

المصرية لمشاهدة ما اكتشفهُ من الآثار في دهشور فرأيناهُ ينزل الى اعماق الارض ليبحث عمّا في مدافن الاموات من الكنوز والعظامُ والظرانُ مبثوثة على وجهها وهو لا يلتفت اليهافقلنا لهُ في ذلك واسفنا على تركهِ تلك الكنوز العلمية تتلف بالنقب والنقل ويُجهل مكانها فصوَّب قولنا لكنهُ حسب ان الانتباه لها ليس من ولايتهِ . ولو كان الدكتور بتري هناك لحرص على تلك العظام وقطع الصوان اكثر مما حرص ده مورجان على ما وجدهُ من قلائد الذهب والعقيان

وقال الدكتور بتري في المقالة المشار اليها آنفاً " اني آسف كل الاسف لان الناقبين في المقامات الكبيرة مثل هيكل ايدوس لم ينتبهوا لما فيها مما يدل على تاريخها

" والظاهر ان ايدوس كانت اقدم عواصم مصر وكان هيكلها ينهدم ثم يبنى هيكل جديد على اطلالهِ فيتهدم هذا بكرور الايام ويبنى هيكل آخر على اطلالهِ وهلمَّ جرًّا الى ان توالت آثار عشرة هياكل في ما عمقهُ عشرون قدماً من الانقاض وقد بقي قليل من اساس كلٍّ منها وشيءٌ من جدرانهِ

"وفي عهد الدولة الثانية من الدول المصرية جُمع ما في هذا الهيكل من النذور القديمة او المكسرة ووضع في غرفة واحدة كأنهُ نفاية الهيكل وحطام ما فيهِ ثم وقعت عليهِ الانقاض وتراكمت قرناً بعد قرن حتى بلغ ارتفاعها فوقهُ خمسة امتار . وقد وجد كاس الملك مينا قرب هذه الحطام فهي من عهد الدولة الاولى على الاقرب

"بلغتُ هذه الحطام وهي من العاج والخزف المدهون وجعلت ارفعها واحدة واحدة واعجب بما فيها من بديع الصنعة . ورأيت العاج بالياً اذا امسكتهُ بيدك تناثر كالرماد فقطعت قطعة كبيرة من التراب فيها كثير من قطع العاج ووضعتها على طبق ونقلتها الى الغرفة التي احفظ فيها الآثار وتركتها اسبوعين حتى جفَّت ثم مسكتُ قلماً من اقلام الشعر التي يصوّر بها المصورون وجعلتُ انزع التراب عن العاج فاستخلصت قطعهُ كلها ووجدت انها مصنوعة في اشكال الاسود والدباب والسعادين والاولاد . ثم ظهر لي ثوب انسان وبعد قليل وصلت الى رأسهِ ووجههِ فاذا هو من ابدع ما نقشهُ النقاشون . ظهر امامي بعد ان لبث مدفوناً ستة آلاف سنة وعلى رأسهِ تاج مصر العليا وعلى بدنهِ حلَّة موشاة. تمثال ملك من اقدم ملوك العالم واعظمهم شأناً واشدهم بأساً تزري صناعتهُ بصناعة الرومان . تحاكيهُ للطبيعة تامَّة لا يزيد عليها جمالاً ولا ينقص عنها اعتدالاً وهنا عنوان الاتقان في الصناعة وبلوغ الكمال فيها . ولقد انحطت صناعة المصريين بعد ذلك العصر فلم تعُد تبلغهُ

" ولم يكن هذا التمثال مفردًا بل وجدت معهُ تماثيل اخرى من نوعهِ اخصها تمثال امرأة

والمحاكاة فيهِ للطبيعة تامة ايضاً حتى ملامح الوجه لا تفرق عما يرى عادة في النساء . ومنها تماثيل اولاد واقفين او ماشين او جالسين وكلها طبيعية لا تقليد فيها ولا متابعة لشكل مخصوص . وتمثال دب رابض واسود مقعية وكلب كبير وهي تدلُّ على ان الناقشين كانوا في ذلك العصر يدرسون الاشكال الطبيعية ويدققون النظر في اوضاعها وحركاتها وسكناتها ويحاولون مضاهاة الطبيعة كما هي . فعلينا ان نعترف بان صناعة النقش نشأت منذ اكثر من سبعة آلاف سنة وبلغت حدها من الاتقان حينئذٍ ثم تجدَّدت خمس نوبات بعد ذلك ولكنها قلما فاقت الحد الذي بلغتهُ اولاً

"ولم يكتفِ اولئك الصناع بمحاكاة الاشكال الطبيعية بل صنعوا من الآنية والمواعين ما هو في حد الاتقان ايضاً فصنعوا الكؤُوس والقوارير من اصلد الصخور من الحجر الاعبل والحجر السيناني والبرفير والبلور والسبج . ووجدت الآنية التي صنعوها في قبور ملوكهم وهي تدلُّ على مهارتهم وعلى طموح ابصارهم الى ما يعجز الصنَّاع عنهُ مما لم يفقهم فيهِ الذين جاؤُوا بعدهم

"ومهروا ايضاً في صناعة الخزف ودهنهِ بمادة زجاجية وترصيعهِ كما يظهر من كاس الملك مينا التي وُجدت هناك فان عليها اسمهُ بدهان ارجواني وهو اقدم اسم من اسماء الملوك وُجد حتى الآن . ولا بدَّ من ان يكون الملك مينا قد مسك هذه الكاس بيدهِ ورأَى اسمهُ مكتوباً عليها واهداها الى الهيكل الاول الذي اقيم في تلك العاصمة . فقد صُنعت هذه الكاس قبلما حدث شيءٌ من كل حوادث التاريخ التي نعلمها . قبلما بنيت الاهرام وولد تحتمس ورعمسيس وقبلما ظهر اليونان والرومان

"وكان المصريون الاقدمون يصنعون الزجاج الملوَّن ويزخرفون بهِ جدرانهم ويدهنون بهِ الاجر ويجعلون في اجرّهم حفراً تمرُّ فيها اسلاك من النحاس تربطها بعضها ببعض لتوثيقها في البنيان . وعلى وجه الاجر اضلاع تمثل سوق البردي ورؤُوسهُ حتى اذا بنيت بعضها فوق بعض ظهر نبات البردي منقوشاً عليها . والاجر ليس من قدرٍ واحد ولا من شكل واحد بعضهُ مضلَّع كما تقدم وبعضهُ محزَّز وبعضهُ في شكل الحصر وعلى بعضهِ كتابات مرصَّعة فيهِ ترصيعاً

"والكؤُوس في شكل النيلوفر وهي تدلُّ على ان اقتباس شكل النيلوفر لتيجان الاعمدة قديم جداً . ولون دهانها اخضر تخللهُ نقط ارجوانية وهو كذلك في كاس الملك مينا ولعلها كلها من معمل واحد . وهناك اشياء كثيرة مصنوعة من الخزف المدهون كتماثيل الرجال والنساء والاولاد والاسرى والعبيد والقرود والطيور وذوات الاربع واشكال الهياكل وانواع الخرز وما اشبه كأن صانعي الخزف كانوا يطمعون في تمثيل كل الاشياء الطبيعية والصناعية فيصنعونها من طين ممزوج بالرمل ثم يدهنونها بدهان زجاجي

"وقد وجدتُ قرميدة عليها صورة امير من امراء الزنوج واسمهُ واسم بلادهِ وهي حصن الانو . ومعلوم ان اسم الانو وارد مرارًا كثيرة في الآثار المصرية لان الحرب كانت مستمرَّة بينهم وبين المصريين القدماء وبقي المصريون يعيِّدون في مثل اليوم الذي تغلبوا فيهِ عليهم الى آخر عهدهم . فثبت من هذه القرميدة ان الانو من الزنوج سكان السودان وان مسألة السودان قديمة تمتد الى عهد المصريين الاولين

"ووجدنا في غرفة اخرى كثيرًا من التماثيل الساذجة ويظهر انها قديمة جدًّا اقدم من التماثيل المشار اليها آنفًا واقدم من عصر مينا ولعلها وُضعت هناك لانها لم تعد تصلح للبقاء في الهيكل بعد ان ارتقت الصناعة فهي اقدم من عصر التاريخ وبينها تماثيل السعادين ومنها ما هو حجارة طبيعية وجدت تماثل نوعًا من الحيوان فاتخذت عوذة وحُفظت كما هي او أُصلحت قليلاً حتى يتم شبهها بالحيوان الذي تشبههُ . وبعضها من الصوان وهو كبير ارتفاعهُ قدمان او ثلاث وكأنهُ وُجد في الصحراء مماثلاً في شكلهِ لبعض انواع الحيوان فاتي بهِ الى الهيكل رهبةً منهُ او تيمنًا بهِ . والعقل الذي كان يتفاءل بصور الموجودات ويتشاءم بها لا يزال الى يومنا هذا يتفاءل ويتشاءم حتى في ارقى مجامع الحضارة .

"والظاهر ان الناس اتصلوا الى صناعة النقش والتصوير من اهتمامهم باصلاح هذه الاشكال الطبيعية واني لاحسد اول انسان قال بعمل التماثيل من اي حجر كان بدلاً من الاقتصار على الحجارة التي توجد مماثلة لما فانهُ اول من كسر قيد التقليد ووسع المجال للعقل واقنعهُ بانهُ ليس عبدًا للطبيعة بل سيد عليها . وليس هذه باول مبادىء الصناعة لان الانسان وجد في مصر قبل التاريخ بعصور كثيرة

"ووجدنا في تلك الغرفة رأس جمل مع نوعًا من الخزف . ولم يوجد رسم للجمل في القطر المصري قبل عهد اليونان مع انهُ كان معروفًا في بلاد الشام من عهد ابرهيم الخليل . ويستدل من هذا الرأس على ان الجمل كان معروفًا في مصر ايضًا على عهد الدولة الاولى من الدول المصرية . ومما يجري هذا المجرى انا وجدنا قطعةً من الحديد بين قطع من النحاس من عهد الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف واربع مئة سنة . وكان المظنون ان الحديد حديث الاستعمال لانهُ لم يوجد في ما هو اقدم من الف سنة قبل المسيح من الآثار المصرية ولا كثر استعمالهُ الاَّ في عهد اليونان اما الآن فثبت لنا ان المصريين عرفوا الحديد قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة

"ولا تقتصر هذه الآثار على تاريخ مصر القديم بل تتناول تاريخ اوربا ايضًا فقد وجدتُ

منذ مدة قطعاً من الخزف اليوناني القديم في مدافن ملوك الدولة الاولى من الدول المصرية . والآن وجدت في هذا المكان خزفاً اسود ليس من الخزف المصري في شكله بل من الخزف اليوناني . اخذت قطعةً منهُ الى جزيرة كريت فوجدت بين القطع التي اكتشفها الدكتور ايفانس في خرائب قصر كنوسوس قطعاً تشبهها تماماً شكلاً ولوناً ومادةً وصقالاً . والخزف الذي وجد في كريت يمتد تاريخهُ الى العصر الظراني الحديث الذي كان قبل المسيح باربعة آلاف سنة او اكثر فهو ينطبق على تاريخ المدافن المصرية التي وجد فيها هذا الخزف . فمبدأُ العمران الاوربي متصل بمصر حين كان عمرانها في اوج مجدهِ

"ثم عثرنا على اسمٍ خالدٍ في التاريخ اسم الملك خوفو من الدولة الرابعة الذي بنى الهرم الاكبر من اهرام الجيزة وفعل ما غاظ كهنة بلادهِ فابغضوهُ وقالوا انهُ اقفل كل الهياكل ومنع المصريين من تقديم القرابين وامرهم ان ينقطعوا للعمل لهُ . ونقل هيرودوتس عن الكاهن مينثو ان هذا الملك كان مزدرًى في عيني الآلهة . ثم قال بعد ذلك انهُ نسخ الكتاب المقدَّس الذي كان المصريون يحترمونهُ كثيرًا . ويفهم من ذلك ان الرجل كان صالحاً ورعاً لكنهُ استحق اموال الاوقاف فقام الكهنة عليهِ وكفَّروهُ

"وقد اكتشفنا تمثال هذا الملك في خرائب هيكل ايدوس . فقد طُرح في مخزنٍ من مخازنهِ كثير من النذور والتماثيل القديمة طُرحت في عهد الدولة السادسة على ما يرجَّح فوجد الفعلة بينها تمثالاً صغيرًا جدًّا كالاصبع وكسروا رأسهُ وهم ينقبون واتوني ببدنهِ من غير رأس فنظفتهُ من التراب ووجدت عليهِ اسم خوفو ومن ثم استسهلت كل صعب في سبيل الوصول الى رأسهِ المفقود . فسألت العمَّال واحدًا واحدًا عن المكان الذي وضعوا فيهِ التراب وحددت الاماكن التي يجب ان نحصر بحثنا فيها واخذت اغربل التراب غربلةً حتى لا تفوتني قطعة كراس الاصبع . وجرينا على هذا المنوال يوماً بعد يوم حتى مرَّ الاسبوع الاول والثاني والثالث . وفي آخر الاسبوع الثالث وجدنا وجههُ تامًّا لا ينقصهُ شيء وفي اليوم التالي وجدنا قفا رأسهِ فتم الرأس وتمَّ التمثال كلهُ تمثال خوفو باني الهرم الاكبر اعظم ملك قام في المسكونة

"والناظر الى هذا التمثال لا يسعهُ الآن يستدلَّ منهُ على اخلاق صاحبهِ فيرى فيهِ دلائل السيادة والحزم والنظر في العواقب مما لم يتفق فيهِ احد من ملوك مصر ولا من ملوك اليونان والرومان . ولا شبهة في ان ملكاً أُعطي هذه المقدرة وهذه العزيمة يستبدُّ بامرهِ ويفعل ما لا يرضي كثيرين ولكن نظرة واحدة الى وجههِ تنفي عنهُ كل فعل دنيء فلم يستعمل استبدادهُ الا في ما يصلح شؤُون بلادهِ ولذلك احلَّهُ المصريون كلهم المحل الاول بين ملوكهم ولا يزال اسمهُ

منقوشاً على هياكلهم وفي مقالع المرمر وعلى صخور جبل سينا . ومقامهُ الاسمى في الهرم الاكبر الذي بناهُ وابقى فيهِ ادق الاعمال التي عملها البشر في كل زمان ومكان

" لقد ارتاب البعض في ما قيل من ان خوفو اقفل الهياكل وابطل الذبائح ولكن خرائب هيكل ابيدوس ايَّدت ذلك فقد وجدنا فيها انقاض هيكل من عهد الدولة الاولى وفوقها انقاض هيكل آخر من عهد الدولة الثانية والثالثة وليس فوقها انقاض هيكل من عهد الدولة الرابعة وغاية ما وجدناهُ من عهدها موقد عليهِ رماد مواد نباتية وكثير من التقدمات المصنوعة من الخزف لا عظم بينها وهذا دليل قاطع على ان خوفو ابطل الذبائح الدموية وابدلها بقرابين من الخزف لا قيمة لها تحفظ ثروة البلاد من التلف وبعد ايامهِ عاد الاسراف فبنيت الهياكل وقرّبت الذبائح وتوالى ذلك وتزايد الى آخر ايام المصريين . فثبت ما قالهُ هيرودوتس ابو التاريخ عن هذا الملك العظيم

" احتفرتُ آباراً كثيرة في تلك الانقاض الى ان عرفتُ تاريخها كلهُ من اولهِ الى آخرهِ لا من الحجارة المكتتبة لانها قليلة بل من شقف الخزف التي يجهلها علماء التاريخ الآن اعظم محل ولو داسها لصوص الآثار ولم يعبأوا بها . وقد قرأتُ فيها تاريخ اربعة آلاف عام في ما لا يزيد سمكهُ على عشرين قدماً من الانقاض "

برج ايفل وخزان اصوان

تكاد شهرة برج ايفل تفوق شهرة برج بابل ومع ذلك يفكّر الفرنسويون في نزعهِ وبيع الارض القائم فيها لبناء البيوت ومد الشوارع . وهذا الفكر لا يخطر الأعلى بال الفرنسويين الذين يتوخّون المغالاة في كل شيء فاذا ارادوا المجد والابهة بذلوا في سبيلها النفس والنفيس واذا ارادوا النفع المحض سبكوا التماثيل قدوراً وصكّوا النياشين نقوداً . فهم في مقدّمة الملكيين في عهد الملكية وفي مقدمة الجمهوريين في عهد الجمهورية

وقد استشارت حكومة باريس لجنة من كبار المهندسين في امر الرحاب الفسيحة المسماة شان ده مارس التي فيها برج ايفل وهي التي اقيم فيها اكثر المعرض الاخير والمعرض الذي قبلهُ فاشارت بتقسيمها وبيعها لبناء المنازل وقضت بنزع برج ايفل منها كما نُزع قصر الصنائع حين انشاء المعرض الاخير لكي يسهل على المارين في الشارع الكبير شارع الاليزه ان يروا واجهة الانفاليد . والغرض من ذلك ماليّ ويقال انهُ لا يخلو من محبة الجمال لان البعض يحسبون برج ايفل من الشوائب التي تشوّه منظر اجمل مدينة في الدنيا . والناس اذواق

ومشارب فما يروق بعضهم لا يروق غيرهم وهؤلاء كانوا يعترضون عليهِ من اول انشائهِ وحاولوا مرارًا ان يحملوا حكومة باريس على منع اقامتهِ او تقويض اركانهِ مدَّعين ان منظرهُ قبيح يشوه وجه المدينة . وقد قال احد الكتَّاب انهُ لو سهل نقل هذا البرج الى بلاد الانكليز لنقلهُ الانكليز الى عاصمتهم حيث يبقى منفيًا ابد الدهر ولكن تفكيك سبعة عشر الف طن من الحديد ونقلها من باريس الى لندن يقتضي من النفقات ما يكفي لمشتراها في لندن فبناء برج جديد فيها ايسر من نقل برج ايفل اليها

ولما شاع عزم حكومة باريس على نزع برج ايفل كان مجمع ترقية العلوم الفرنسوي ملتئمًا فاجتمع فرع الطبيعيات وفرع الاحداث الجوية وقرَّر اعضاؤُهما باتفاق الاصوات ان يطلبوا من اعضاء المجمع كلهِ الاعتراض على نزعهِ فاجابهم اعضاء المجمع الى ذلك باتفاق الاصوات وارسلوا نسخًا من قرارهم الى محافظ باريس والى كثير من الجمعيات العلمية . فاخذت هذه الجمعيات تبحث عن الفوائد العلمية التي يمكن ان تنال منهُ ومن شان ده مارس اذا بقي خاليًا من المباني . والمظنون ان اكادمية العلوم تحذو حذوها لاسيما وان اثنين من اشهر اعضائها وهما المسيو جنسن والمسيو ماسكار دافعا عن هذا البرج لما اريد نقضهُ قبل اتمامهِ

هذا وقد ابنَّا مرارًا ان علماء الطبيعة ولاسيما علماء الاحداث الجوية استخدموا برج ايفل لرصد حرارة الهواء وتغيرها بالارتفاع عن سطح الارض ولرصد ضغط الهواء واكتشاف ما فيهِ من المياه وما اشبه من الارصاد الميتيورولوجية . وفي النية استخدامهُ لتلغراف مركوني بدل الابراج التي تقام لذلك فتصل اليهِ الامواج الكهربائية من اماكن شاسعة هذا فضلاً عن فائدتهِ كمرقب في ايام الحرب واوقات الحصار لأن الواقف على رأسهِ يرى بلادًا واسعة حولهُ الى امد بعيد جدًّا

وسنرى ما يكون من هذه الحرب بين العلماء والمهندسين كما رأينا ما دار بينهم من الخلاف على هدم مباني انس الوجود وقت اقامة الخزان فان غلب علماء الطبيعة في باريس كما غلب علماء الآثار في اصوان بقي برج ايفل الى ان يتقوَّض من نفسهِ ببلاء حديدهِ كما تبيت مباني انس الوجود الى ان تتقوض اسسها بتعاقب الماء والجفاف عليها رغمًا عمَّا بني تحتها لتقويتها . اما برج ايفل فبقاؤُهُ لا يضرُّ احدًا ولا تخسر بهِ الاَّ خزانة الحكومة وخسارتها لا تزيد على ثمن ارضهِ واما هيا كل انس الوجود فبقاؤُها اوجب خفض سد الخزان وتقليل ما يخزن بهِ من الماء حتى بقي منهُ نصف ما كان يمكن ان يخزن بهِ لو أُعلي حسبما قُدّر لهُ اولاً وحرَّم مليون فدان من الارض كان يمكن ان تحيا وتُروى لو تم بناؤُهُ حسب التصميم الاول ويعيش من ريعها مليونا نفس من السكان . ولعلها اول مرة وقف العلم فيها في سبيل النفع العام

بغال الحيوان

البغل حيوان معروف متولد بين الحمار والفرس ويقرب منهُ النغل وهو حيوان متولد بين الفرس والحمار اي ان اباهُ حصان وامهُ اتان وهو قليل

والظاهر ان العرب كانوا يزعمون حصول التوالد بين انواع اخرى من الحيوان كما تدلُّ عليهِ لغتهم فقالوا ان السِّمع ولدُ الذئب من الضبع وانهُ شديد السَّمع يضرب بهِ المثل في ذلك فيقال هو اسمع من سِمع ومنهُ قول الشاعر

تراهُ حديد الطرف ابلج واضحاً اغرَّ طويل الباع اسمعَ من سِمعِ

والعِسبار ولد الضبع من الذئب . والسِّمع ولد الذئب من الضبع . ولا يعلم في التحقيق هل وُضعت هذه الاسماء لحيوانات متولدة بين نوعين مختلفين من الحيوان او لحيوانات نوعها مجهول . لكن علماء هذا العصر ولَّدوا حيوانات مثلها فولَّد الاستاذ اورت حيواناً بين الفرس وحمار الوحش المخطط المعروف والزبرا سماهُ الزبرول وغرضهُ من توليدهِ ان يقوم مقام البغل في نقل ادوات الحرب لانهُ اسهل منهُ انقياداً واكثر انتباهاً ولا يشمس مثل البغل ولا يبطئ في سيرهِ مثلهُ . ويُظنُّ الآن ان بغال المستقبل ستكون كلها متولدة من الخيل وحمار الوحوش وهي اكبر من البغال العادية ويبقى فيها شيءٌ من خطوط ابيها . ومن غريب امرها انها اليفة جداً اشد الفةً من مهار الخيل واسهل تذليلاً من البغال حتى انها تذلَّل (تطبَّع) من غير مذلل

وولَّد بعضهم حيواناً بين الاسد والفهد وقد رأينا صورتهُ فاذا هو كبير الراس كالاسد مخطط البدن كالفهد ولما كان عمرهُ ثلاث سنوات كان طولهُ من انفهِ الى رأس ذنبهِ عشر اقدام وارتفاعهُ الى كتفهِ اربع اقدام وابوهُ اسد من السنغال وامهُ فهدة من بنغالا فاخذ راسهُ من ابيهِ وبدنهُ من امهِ ويقدَّر ثمنهُ بالفي جنيه لا لفائدة تنال منهُ كما تنال الزبرول المتولد بين الفرس وحمار الوحش المخطط بل لعرضهِ في المعارض العمومية وجمع المال من مشاهديهِ

ويهتم علماء الحيوان الآن بتوليد بعد حيوانات جديدة بين الحيوانات الاهلية والبرية كما بين الغنم الاهلي والغنم البري او بين ما يوجد منها في بلاد وما يوجد في بلاد أُخرى كما بين ديك الغاب الاوربي وديك الغاب الاسيوي و بين الغزال الاوربي والغزال الفارسي والغرض من ذلك كلهِ تقوية ما ضعف في الحيوانات الاهلية بمرور الزمن وذلك بادخال دم جديد فيها

محاربة السرطان

داء السرطان من الادواء التي اعيا الاطباء كشف سببها ووصف علاج يشفي منها . وقد قرأنا في مجلة لندن الانكليزية مقالةً فيهِ لاحد كبار الجراحين فلخصناها بما يأتي

ان داء السرطان من اعسر ما اشكل على الاطباء والجراحين منذ القديم الى هذا اليوم مع انهم لم يألوا جهداً في سبيل البحث للوصول الى الدواء الشافي . على ان قصورهم عن التوصُّل الى ذلك الدواء لا يجب ان يبعث فينا القنوط واليأس لان العالم كلهُ ينتظر اليوم بفروغ صبر وبفؤاد ملؤُهُ الآمال حلَّ هذه المشكلة الغامضة

والعقدة في كل ذلك راجعة الى جهل اسباب العلة فمتى عرف الاطباء تلك الاسباب تمام المعرفة لم يبقَ في سبيلهم ما يعوقهم عن معرفة الدواء . ولقد ادَّعى بعضهم ان الملح اعظم تلك الاسباب وبرهن على ذلك بقولهِ ان السرطان غير معروف بين القبائل المتوحشة التي قلما تأكل الملح . وان اكثر الحيوانات الاليفة التي تأكلهُ تكون هدفاً لسهامهِ بخلاف الخنازير التي لا تأكلهُ فلا تصاب بالسرطان . ويقال ايضاً ان هذا الداء يندر وجودهُ في السجون وفي المعامل حيث يقل اكل اللحم ويكثر حيث يكثر الناس من اكل اللحم المملح ولكن جميع هذه الادلة واهنة غير مقنعة وكل ما يمكننا ان نقولهُ عن اسباب السرطان هو اننا لا نعلمها حتى الآن

وانفع علاج معروف الآن لهذا الداء سكين الجراح . ولكن الجراح والمريض كليهما يعلمان حق العلم ان الجسم عرضة لعودة العلة في المستقبل . فلا يكاد عضو يتخلص منها حتى تظهر في عضو آخر . وهي تفتك بالبشر فتكاً ذريعاً فقد كانت الوفيات خمسة بالمئة من الذين يصابون بها فبلغت الآن عشرة في المئة ومات بها سنة ١٩٠١ في مدينة لندن وحدها ٤٢٥١ شخصاً وفي ذلك زيادة عن كل السنين التي سبقت مما يدل على ان انتشار العلة آخذ في الازدياد . ولكن الاطباء مختلفون في امر تلك الزيادة مع ان الاحصاءات تدل على ان الوفيات بالسرطان اليوم هي ضعف ما كانت عليهِ منذ نصف قرن ويقول جمهورهم ان ذلك لا يدل على ازدياد العلة بل يرجح ان الزيادة ناتجة عن تقدم الطب تقدماً جعل التشخيص الطبي ادق مما كان في القديم حينما كان كثيرٌ من الوفيات بالسرطان ينسب الى غيرهِ من العلل

اما السرطان فهو خراج من نوع الخراجات الخبيثة . واهم خواصهِ النمو المستمر اي انهُ متى ظهر فلا بد من نموهِ نموًّا لا يتوقف عند حد بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي اذا بلغت

حدًّا معلومًا من النمو توقفت . ومن خواصهِ ايضًا انهُ يمتد الى كل الجهات المجاورة ولا شيء يصدّهُ او يحصرهُ. فالسرطان في الشفة مثلاً يمتد الى ما يجاورها كاللثة وغيرها بخلاف الخراجات البسيطة او غير الخبيثة فان لها جدارًا يحصرها في مكان واحد

ومن خواصهِ ايضًا انهُ اذا استؤصل فمن المرجح انهُ يعود ثانية في المستقبل . وانهُ اذا ظهر في مكان من البدن ظهرت خراجات اخرى من نوعهِ في اماكن اخرى وتسمى هذه الخراجات ثانوية . فالسرطان في الثدي كثيرًا ما يسبب سرطانًا في الرئة او الكبد او في غيرها مما لا يظهر بينهُ وبين المكان الاول ادنى علاقة. ثم ان السرطان يتقرح ويصير في درجاتهِ الاخيرة مؤلمًا جدًّا في الغالب . وقد يسبب تسممًا في الدم وفقدانًا في قابلية الطعام الى ان ينتهي الاجل بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي لا تتقرح الاَّ في النادر ولا تكون مميتة الاَّ اذا ظهرت في عضوٍ من الاعضاء الرئيسية اي اللازمة للحياة

قلنا آنفًا ان اسباب هذه العلة مجهولة او لا تزال في معرض الظن واقرب هذه الظنون الى الاحتمال ما يأتي

الاول ان العلة مسببة عن حيّ من الاحياء الصغيرة التي تدخل الجسم وتنمو فيهِ . وبناء على هذا الرأي قام جمهور من الباحثين واجتهدوا في اكتشاف هذا الحي وذهب بعضهم الى انهم عثروا عليهِ ولكن ظهر بعد البحث المدقق ما ابطل دعواهم . على ان ذلك لم يثبط عزيمة غيرهم من الذين لا يزالون حتى هذا اليوم يوالون البحث والتنقيب

والرأي الثاني هو ان السرطان مسبب عن فساد في حيوية الخلايا ناتج عن تهيج محلي

والرأي الثالث هو ان هذه العلة ناتجة عن مواد تؤكل مع الطعام تؤثر في بعض الخلايا تأثيرًا رديئًا فتسبب السرطان . ويقول آخرون ان اجهاد المجموع العصبي يعد الجسم للسرطان ولذلك كثر عدد المصابين بهِ في هذا العصر لكثرة اجهاد القوى العصبية

اما سبب عودة السرطان بعد استئصالهِ فيظن انهُ راجع الى عدم وجود كيس لهُ او حدّ يصدّ امتدادهُ في الجسم وان خلاياهُ او مفرزاتهِ تخترق انسجة الجسم الصحيحة وتؤثر فيها. فاذا استؤصل القسم الظاهر من الخراج بقي قسم آخر غير ظاهر . يؤيد ذلك انهُ اذا اتسعت عملية القطع حتى شملت جانبًا كبيرًا مما حول السرطان ترجح الشفاء منهُ . ثم ان الخراجات الثانوية اي التي تنمو بعد استئصال الخراج الاول مسببة على ما يظهر عن مرور بعض المواد الحاملة جراثيم العلة في الاوعية الليمفاوية او الدموية . ومما يستحق الملاحظة ان تركيب الخراجات الثانوية يماثل تركيب الخراجات الاولية كل المماثلة

لما كانت معرفتنا بالدواء هي على قدر معرفتنا بالداء فاحسن ما يمكننا ان نصفهُ لهذه العلة هو استئصالها بعملية جراحية مع انها قلما تنجح. وقد ذكرنا سبب عدم نجاحها وهو انهُ قد يبقى شيء من الانسجة فيهِ جراثيم العلة او قد تكون جراثيم العلة سرت في البدن الى اماكن اخرى. مثال ذلك اننا نجد السرطان في ثدي امرأة فنستأصلهُ كلهُ فتشفى منهُ حسب الظاهر وتبقى سليمة سنتين او اكثر الى خمس عشرة سنة ثم يظهر السرطان في كبدها او رئتيها او دماغها وهذا السرطان مثل الاول تماماً لان هذه الاعضاء كانت مصابة بهِ وقتما نُزع الثدي المصاب ولكن لم يكن سبيل لمعرفة ذلك ولا داء يختلف في سرعة سيرهِ وبطئهِ مثل السرطان فقد يظهر ويبلغ حدهُ في ثلاثة اشهر وقد لا يتكامل في اقل من عشرين سنة . وافضل نصيحة يُنصح بها من يظن ان بهِ سرطاناً ان يبادر الى الجراح لينزعهُ قبلما ينتشر في بدنهِ. وهذا العلاج على قلة فائدتهِ هو انجع علاج نعلمهُ حتى الآن . وفيهِ مركزا ضعف الاول ان الجرّاح لا يعلم حينما ينزع السرطان انهُ استأصلهُ كلهُ والثاني ان السرطان في درجاتهِ الاولى لا يكون مؤلماً حتى يحمل المصاب بهِ على الالتجاء الى الجرّاح لنزعهِ فتضيع افضل فرصة لاستئصالهِ. وظهور السرطان خفيّ وسيرهُ بطيء حتى لا يشعر بهما المصاب الاّ حينما يتفاقم شرهُ . وفي كل اسبوع يأتينا اناس فيهم سرطان ظاهر ويقولون انهُ لم يكن فيهم قبلاً مع اني متأكد انهُ كان فيهم منذ شهور كثيرة

ومع ان الاحوال الحاضرة تكاد تضعف فينا الرجاء الاّ انها ليست باعثة على اليأس كما قلنا سابقاً لاسيما وان اعظم الثقات يعتقدون ان المستقبل سيكشف لهذا الداء علاجاً ثابتاً افضل من سكين الجراح . وقد انقطع كثير من الاطباء لدرس هذا الموضوع والبحث فيهِ بتدقيق ولا ريب ان اتعابهم لن تذهب سدًى

واحسن الوسائل التي يستعملونها في محاربة هذا الداء هو معالجة المصاب بهِ باشعة النور وافضلها واشهرها اشعة رنتجن التي ظهرت فائدتها في شفاء مرض الآكلة الذي هو نوع من انواع السرطان . وقد عُلم ان لها ايضاً فائدة عظيمة في تخفيف الآلام في بعض انواع السرطان وانها تشفي احياناً الوجوه المتقرحة وانها كثيراً ما تقلل نمو البثور .على اننا لايمكننا ان نجزم بتمام فائدتها الاّ في داء الآكلة . ولما كانت معرفتنا بهذه الاشعة حديثة كان لنا عظيم الامل ان تزداد تلك المعرفة فتزداد فائدتها

ثم ان السرطان قد يشفى من نفسهِ في بعض الاحيان وقد شوهد ذلك حتى في الذين كانت العلة قد تمكنت منهم وهذا يدل على ان شفاءهُ ممكن. فاذا كانت الانفعال الجسدية

الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادرًا فلا يبعد اننا نتمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشفون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثًا بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منهُ فاقام العلماء لجانًا مخصوصة لهذا البحث وجُمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكلترا هذا العمل واقتدت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين يفتشون عن علاج للسرطان ينظرون في كل علاج يُعرَض عليهم مهما كان ويمتحنونهُ وحتى الآن لم يجدوا علاجًا شافيًا . ومما يبحثون عنهُ جغرافية السرطان اي الاماكن التي يكثر انتشارهُ فيها فوجدوا انهُ اكثر في الاماكن الواطئة التي تغمرها مياه الانهر منهُ في الاماكن العالية . ومن الغريب انهُ يتردَّد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصيب غيرهم . ومن المحتمل انهُ من الامراض المعدية اذ قد اصيب بهِ رجل وزوجتهُ . وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصلهِ وعن دوائهِ في انكلترا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتمدنة يقضون الايام في البحث والتنقيب وقد لا يعودون بطائل ولكن اذا وُفِّق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعهِ فائدة لا تقدَّر وينظر اليهِ كاكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سرُّ القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد. وقد رأيت اناسًا تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خُيِّل لهم حصول الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتدَّ فيها الجدال قديمًا وحديثًا بين الالهيين والطبيعيين وقد جوَّد الكلام على القدر استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خُطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمنهُ حلَّ كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تحديد كل مخلوق بحدهِ الذي يوجد عليهِ من حسن وقبح ونفع وضرّ وغير ذلك . والقدَر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معيَّن وسبب معيَّن . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد. فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم فيهِ . فكل مقضيّ مقدَّر وليس كل مقدَّر مقضيًا . فالمقدر ما لم يكن مقضيًا يرجى ان يدفعهُ الله . ومعنى

كونهِ قائماً بالعدل انهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ووفَّى كل ذي حق حقهُ. ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها باسرها خرج عن غلبة الاوهام واسرها

(الاولى) ان كل كائن فهو بمشيئتهِ تعالى وتقديرهِ وخلقهِ. (الثانية) انهُ قدر كل شيءٍ بحسب ما اقتضتهُ الحكمة واستعداد ذلك الشيء. (الثالثة) انهُ يحب الخير ولا يحب الشر وخلق ما خلق من الشر لما تضمنهُ من الحكم والاسرار ولكونهِ تابعاً لخير اوفى منهُ في المقدار واذا قيل اما كان يمكن وجود تلك الحكم والاسرار بدون ذلك قلنا من اين نعلم ان ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة. وقد تقرر باتفاق العقلاء ان القدرة لا تتعلق الا بالممكن وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزاً. (الرابعة) ان الخلق ان اريد بهِ المصدر فهو حسن مطلقاً وان اريد بهِ غيرهُ فمنهُ حسن ومنهُ غير حسن. (الخامسة) ان العبد غير مجبور على فعلهِ وعلم الله في الازل بما يأتي بهِ العبد لا يقتضي كونهُ مجبوراً عليهِ فان العلم بما يفعلهُ المختار لا يوجب الاضطرار ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيهِ كان الحق تعالى غير مختار في افعالهِ لعلمهِ بها في الازل. نعم ليس الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها اهل الاعتزال حتى جعلوهُ في افعالهِ كانهُ ذو استقلال ولا في الدرجة التي تخيلها اهل الجبر حتى جعلوهُ ذا اضطرار في ذلك الاختيار حتى قال قائلهم

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليهِ في كل حين ايها الرائي
القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتلّ بالماء

والحق التوسط بين المذهبين. وجعل اختيار العبد بين بين. وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة. والقائلون بغيرهِ كالسارين في دجنّة. (السادسة) ان الحق سبحانهُ حكَمٌ عدلٌ لا يظلم احداً والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ وانهُ اعطى كل شيء خلقهُ ثم هدى. وانهُ لم يخلق شيئاً سدى. فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ الاَّ نفسهُ. (السابعة) انهُ سبحانهُ ذو قدرة باهرة لا يعجزهُ شيء وهو فاعل مختار وفي جميع افعالهِ حكم واسرار. (الثامنة) انهُ سبحانهُ وتعالى لا ينالهُ نفع ولا ضر وعدم محبتهِ للشر ليس على الصورة التي نتصورها في البشر. (التاسعة) انهُ سبحانهُ اوجد ما اوجد على ابدع صورة واجمل وجه. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. (العاشرة) انهُ يجب على العبد الرضاء بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي ألا ترى ان المريض اذا سقي علاجاً مرّاً تراهُ راضياً بفعل الساقي وان لم يكن راضياً بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها. بقيت مسئلة وهي ادق جميع المسائل وهي ان يقال اذا كان بعض الانواع يلزم وجودها شر وان كان قليلاً فهلاَّ بقيت في عالمها الاول. وقد اجابوا عن ذلك

بان شأن الالوهية يقتضي وجودكل نوع من الانواع الممكنة لطلبها الايجاد بلسان الاستعداد وترك خير كثير لما يتضمنهُ من شر قليل شرٌ كبير. الا ترى ان الغيث يعدُّ نعمة كبرى وان تضمن خراب بعض المنازل. فان قيل فهل في العالم شر محض قلت هذا ينكرهُ كثير من المحققين نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الافراد لا لمجموع العالم

ولطالما رأينا وسمعنا اناساً يعترضون على المقتطف شفاهاً او تحريرًا لظنهم انهُ قد خالف الدين في ذكر القضاء والقدر واسباب إطالة الاعمار وهما المسألتان اللتان دعتا الى خبط كثيرين وعلاقتهما بعضهما مع بعض شديدة. فمن يعتقد بالقضاء والقدر على النحو الذي يعتقدهُ الجهمية القائلون بابطال الاسباب لا يقول بطول العمر اذا استُعملت الاسباب اللازمة لذلك ومن توسط في الامر كما هو مذهب العلامة المشار اليهِ وطائفة من اهل العلم والعقل يحسِّن كل ما يرد على صفحات هذه المجلة من التدابير الصحية المشروعة المعقولة

قال الاستاذ المنوه بهِ ايضاً في طول العمر: قد استفاض في الالسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق وقد وردت آثار شتى تدل على ان بعض الاعمال الحسنة سبب لبسط الرزق وطول العمر. وقد أُورد على ذلك ان العمر والرزق مقدران في الازل فكيف يتصور الزيادة فيهما واجاب بعض من تصدى للجواب بان المراد بذلك زيادة البركة واما نفس العمر والرزق المقدرين فلا يقبلان الزيادة. قال العلامة القرافي[1] في الفروق ان هذا الجواب عندي ضعيف بسبب ان البركة ايضاً من جملة المقدرات فان كان القدر مانعاً من الزيادة فليمنع من البركة في العمر والرزق كما منع من الزيادة فيهما . . .

وكذلك نقول الدعاء يزيد في العمر والرزق ويدفع الامراض ويؤخر الآجال وغير ذلك مما شرع فيهِ الدعاء فهو من القدر ولا يخل بشيءٍ عن القدر بل ما رتب الله سبحانهُ مقدورًا الاَّ على سبب عادي ولو شاء لما ربطهُ بهِ اه

وبهذا ينحلُّ لك الاشكال الذي يتوهم في قولهِ تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا الاَّ ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) فان بعضهم قال

(١) شهاب الدين القرافي المتوفى بمصر عام ٦٨٤ هـ انتهت اليهِ رئاسة علماء المالكية في عصره وكتابهُ الفروق جمع بين صحيح النقل وصريح العقل وقد احسن طابعهُ في تونس بطبعهِ على حاشيتهِ كتاب العلاَّمة ابن الشاط السبتي المتوفى سنة ٧٢٣ وهو في تعقب الفروق والنقد على صاحبهِ وحبذا لو جرت المطابع المصرية على مثل هذه الطريقة في نشر المصنفات النافعة مشفوعة بآراء العلماء فيها وإسقاط التقاريظ التي ألفها المتأخرون وهي لا تني بفضل مها حوت من المدح والثناء

كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدرهُ الله من الخير. وقد افردهُ العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصهُ: ان الله تعالى قدّر الخير والشر في الدنيا وجعل لكل مقدور سبباً يترتب عليهِ ويرتبط بهِ. والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة. فالذي وضع لهُ السمّ فاكلهُ فمات قد قُدّر موتهُ بالسم مع جهلهِ فلو قدر نجاتهُ منهُ قُدّر اطلاعهُ عليهِ فالمقدر على تقدير الجهل نمنع انهُ مقدّر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضدهُ. والرزق المقتر انما قدر لاهلهِ على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من اسباب الرزق اما مع علمهم بهذه الاسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا نسلم انهُ قُدّر لهم ضيق الرزق كما نقول ان الله قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الايمان اما مع عدمهِ فلا نسلم انهُ قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتُّب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب. ثم قال وقد كثُرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسرّ القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن. اقول وهذا السؤال احد الاسئلة الاحدى والعشرين المسماة بالاسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الافكار. وبما ذكرناهُ يظهر لك معنى قولهِ تعالى (وما يُعمَّرُ من معمر ولا ينقص من عمرهِ الاَّ في كتاب) وان الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيهِ ان اطاع عمروٌ فعمرهُ ستون والاَّ فاربعون. ونقل العلامة ابن خاتمة الاندلسي في كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عن عمر رضي الله عنهُ انهُ قال لبيتٌ بركبة[2] احبُّ اليَّ من عشرة ابيات بالشام. ونقل ان الامام مالكاً قال في الموطإ يريد لطول الاعمار والبقاء وشدة الوباء بالشام والله اعلم

محمد كرد علي

غنى افريقية الجنوبية

كتبنا في ما سبق فصولاً كثيرة في غنى الترنسفال الذي جرَّ عليها حرباً عواناً سفكت فيها انهار من الدماء وانفقت بدرات الاموال ولكنها نشرت فوقها لواء العدل والحرية واثبتت فيها حسن الادارة والنظام فصارت مقصداً للذين ضاقت عليهم بلادهم او دفعهم الجور الى هجرانها فيجدون فيها مجالاً واسعاً ومنتجعاً طيباً. وقد عثرنا الآن على فصل في غنى افريقية

(۲) رُكبة بضم الراء وادٍ بالطائف بين غمرة وذات عرق وقيل ارض بني عامر بين مكة والعراق وهي ارض صحراوية سكانها اطول اعماراً واصح ابداناً

بنظارة الخارجية وواظب على العمل بهمة ونشاط · وكان عارفي باشا ترجماناً لباب همايون فكان يأتمنهُ على اهم الاوراق ويستدعيهِ الى منزلهِ مع بعض رفقائهِ ليترجموا ويبيضوا بعض المنشورات الاجنبيَّة. وبعد نحو سنتين انتُخب ترجماناً لمجلس الوالي الذي تشكل في الباب العالي وتعرَّف بضيا باشا وكمال بك الكاتبين الشهيرين وبعطوفتلونوري بك المعروف باخي الحضرة السلطانية في الرضاع فشكلوا جمعية سرية سموها "تركيا الفتاة" وانضمَّ اليها عدد من الشبان الاذكياء. وكان البرنس مصطفى فاضل باشا المصري قد هرب الى اوربا لامور ذات شأن حدثت بينهُ وبين السلطان عبد العزيز والصدر الاعظم عالي باشا واذ كان يحتاج الى كتبة متفننين استدعي نخبة اعضاء تركيا الفتاة الى باريز ومن جملتهم صاحب الترجمة فاقام في باريز ولندن ينشر مع اصحابهِ جريدة "حرّيت" وظهرت اول نسخة منها ممضاة باسمهِ وكان لها شأن عظيم في ذلك العهد وبقي في باريز الى ما بعد الحرب السبعينيَّة واحتمل مع صديقهِ نوري بك الضيق والجوع في حصارها فكانا يشتريان الدجاجة بعشرين فرنكاً وكسَرا خشب البيانو ليطبخا الطعام ودُعي لحمل السلاح مع الغارد ناسيونال لمحاربة الالمان

وبعد ذلك صدر عفوٌ شاهاني عن جميع المهاجرين السياسيين فرجع رشاد الى الاستانة بعد ان درس الحقوق وانشأ جريدة دعاها "عِبرَت" وكان ذلك في عهد صدارة محمود نديم باشا. فاستدعى هذا رشاداً واصحابهُ وخاطبهم قائلاً "عليكم ان تقبلوا احد ثلاثة امور اعرضها عليكم. فاما ان ترجعوا الى اوربا لاني لست عالي باشا لاخاف كتاباتكم. واما ان تقبلوا النفي الى بلاد بعيدة. واما ان تقبلوا بلا تردُّد الخدمات التي تعرضها الحكومة عليكم" فاجابهُ رشاد "ولِمَ لا تطلقون لنا حريتنا فنعيش من اقلامنا" فاجابهُ الصدر الاعظم "انك لاتخلو من الفحة وانا لا اسمح لكم ان تخطُّوا هنا حرفاً واحداً". وفي اليوم التالي استدعاهُ اليهِ وعينهُ قائمقاماً لقضاء بلاجيك ورفع راتبهُ من الفي غرش الى ثلاثة آلاف وخمس مئة وقال لهُ ان هذا المركز وان يكن صغيراً الا انهُ موافق لحداثة سنك وهو اداري وسوف يوصلك يوماً ما الى هذا المسند (قال هذا مشيراً بيدهِ الى كرسي الصدارة). فبقي يتقلب في الوظائف من القائمقاميات الى المتصرفيات كمتصرفية جبل بركات وقوظان (بولاية ادنه) واماسيا وصمصون (بولاية سيواس) حتى اواخر سنة ١٨٨٥ لما ارتقى كامل باشا الى مسند الصدارة وكان بينهما معرفة من قبل فلما ذهب رشاد باشا ليهنئهُ التفت اليهِ الصدر وقال على مسمع من الحضور "يا حضرة الباشا ان عندنا قحطاً في الرجال والذين نظيركم من الزم الرجال لنا". ومنذ ذلك الحين اخذ كامل باشا يسعى بكل واسطة لترقيتهِ الى رتبة والٍ ثم الى

موجود فيها بكثرة . واكتشفت حروف أخرى يكثر الذهب فيها وغيرها مما فيهِ ذهب ولو كان قليلاً يُرجَع اليهِ بعد نفاد الذهب من المناجم الغنيَّة حين تسهل وسائل النقل والعمل . واكتُشف الذهب في رودسيا ايضاً ويستخرج منهُ ١٥٠٠٠ اوقية كل شهر وهي تساوي ٤٠٠٠٠ جنيه

على ان الماس والذهب يحتاجان الى الفحم الحجري لاستخراجهما . وقد كشف في الترنسفال ورودسيا مناجم للفحم غنية جدًّا ولكنها لم تستغل حتى الآن لان الخط الحديدي اللازم لاستغلالها لم ينجز بعدُ . واذا ذكر الفحم الحجري اتجه الفكر الى الحديد ففي ناتال والترنسفال ورودسيا مناجم كبيرة من الحديد ومن المرجح انهُ سيكشف غيرها ايضاً وهي تكفي لان تشغّل سكان افريقية الجنوبية اذا فرغت مناجم الماس والذهب والفحم . وحينما تتم نبوة كارنجي الذي تنبأ بقرب نفاد الحديد من انكلترا واميركا يعلم الناس قيمة مناجم الحديد في افريقية الجنوبية

ويأتي النحاس بعد الذهب والفحم والحديد وقد زاد الطلب عليهِ في هذا الزمن ولهُ مناجم في بلاد الراس يستخرج منها الآن ٢٦٠٠٠ طن في السنة ومناجم اخرى في غيرها ولكن المستخرج منها قليل وقد كُشف لهُ منجم جديد في شمالي رودسيا حيث تمد سكة الحديد التي يراد ايصالها الى القاهرة. ويقال ان النحاس كثير هناك ومعهُ مناجم من الفضة والرصاص والتوتيا والحديد

ومما يكثر في تربة افريقية الجنوبية ايضاً القصدير وكان يستخرج من سوازيلند قبل الحرب وقد اكتشفت حديثاً مناجم واسعة منهُ على مسافة ١٦ ميلاً من مدينة الراس . وكشف هناك تراب الخزف الصيني وهو كثير جدًّا يقدر بمئات الملايين من الاطنان

ويكثر معدن الرصاص الممزوج بالفضة في الترنسفال وفيها معدن الاسبستوس او حجر الفتيلة وهو كثير في بلاد الراس وكان يستخرج قبل الحرب . وكشف فيها معدن الكوبلت ولكنهُ اكثر من حاجة الناس اليهِ. وفيها رخام جيد وكان يستخرج قبل الحرب ويرسل الى انكلترا. ويقال بنوع عام ان جنوبي افريقية اغنى بلدان الدنيا في المعادن ولكن المعادن محدودة في كل بلاد ولا بدَّ من ان تنفد يوماً ما وفائدتها انها تساعد على استعمار البلاد وترقيتها الى ان يتيسر لاهاليها استثمار معادنها التي لا تنفد وهي الخيرات الزراعية

وربَّ قائل يقول هل تربة تلك البلاد غنيَّة تصلح للزراعة وتربية المواشي ونقوم بمن يهاجر اليها في طلب الرزق فاجيب ان البلاد الجديدة التي فيها مراعٍ واسعة لرعي الغنم والبقر لا تدعو الحال فيها الى زرع الحبوب والبقول بل يُفضَّل ان تستخدم لرعي المواشي ولكن اقتناء القدر الكبير من المواشي يقتضي رأس مال كبير جدًّا فهل يستطيع المهاجر الفقير ان يعيش في

تلك البلاد من الزراعة فاجيب نعم اذا كان صحيح الجسم قوي البنية لا يأنف من العمل لان باب الزراعة واسع امامهُ وجميع الحبوب الاوربية قابلة النمو في وادي الفال وما يجاورهُ . واول من شرع في الزراعة هنالك ڤان ربك وكان ذلك في سنة ١٦٥٢ بايعاز من الحكومة فاخذ في زرع بعض الاثمار وغيرها ليجهز بها السفن العابرة فنجح في عملهِ واشترى من الاهالي قطعان غنم وبقر فنمت وكثرت . وقد كانت الخمر تصنع في افريقية الجنوبية قبل قدوم الهيجونوت الذين هاجروا اليها من فرنسا . ثم ان دخولهم كان سبباً لتقدم تجارتها حتى اصبحت اليوم خمور الترنسفال تعادل اجود خمور اوربا . والكنياك الذي يعمل في الكاب من اجود ما عرف . ومما يدلك على ربح تجارة الخمر ان الحكومة اشترت منذ عشرين سنة كرماً مساحتهُ ٣٣٠ فداناً بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وانفقت على اصلاحهِ ٢٠٠٠ جنيه ومنذ اربع سنين عُرض عليها خمسون الف جنيه ثمناً لهُ وفي العام الماضي عُرض خمسة وسبعون الف جنيه فابت ان تبيعهُ اذ هي تربح منهُ المبالغ الطائلة . ويقال انهُ بعد ثلاث سنوات يصير ربحها السنوي من خمرهِ ١٢٠٠٠ جنيه . على ان ذلك الكرم ليس من الكروم المشهورة بخصبها بل ان في البلاد من الكروم ما يربح منهُ اصحابهُ اضعاف ما تربحهُ الحكومة من ذلك الكرم ولكن كرم الحكومة بمثابة مدرسة لتخريج الشبان في فنون زراعة الكرم وعصر الخمر وتدريسهم اياها درساً عملياً . وفي الزنبورج حقلٌ ثانٍ يخص الحكومة وفيهِ نحو سبعين تلميذاً ١٤ منهم من الانكليز وجميعهم يتعلمون فنون الفلاحة والزراعة

وفي مقاطعات الكاب سهول فسيحة جداً يزرع فيها القمح . وكذلك في مستعمرة الاورنج المعروفة بالاقاليم المفتتحة اراضٍ واسعة يزرع فيها القمح بكثرة . اما الذرة فتزرع في المقاطعات الشرقية وفي شمالي الترنسفال . وفي كل هذه الاراضي يزرع الدخن المعروف عندهم "بدخن الكفرة" ويعمل منهُ نوع من البيرة يقال انها من احسن الواقيات من داء الاسكربوط وعملها مباح هناك لنفعها

وقد ابتدئ بزرع الاثمار لتصديرها الى الخارج وبيعها في داخلية البلاد واهتم مستر رودس بترغيب السكان في زراعة البساتين فاشترى بساتين كثيرة وسلمها الى اناس درسوا فن الزراعة في كاليفورنيا فنجحت ولكن ازدياد السكان لم يبقِ شيئاً من الاثمار لتصديرها الى الخارج . وفي تلك البلاد اراضٍ واسعة جداً تصلح لزراعة الاثمار

وقال الكاتب ان قصدهُ في ما كتبهُ هو لكي يظهر للانكليز انهم حيثما توجهوا في المستعمرات البريطانية فابواب الرزق مفتوحة امامهم وان الرزق في بلاد الترنسفال خصوصاً ايسر من الرزق في غيرها وابوابهُ اوسع لمن كان مجداً في عملهِ اميناً في معاملاتهِ صبوراً على معاناة المشاق

بنظارة الخارجية وواظب على العمل بهمة ونشاط . وكان عارفي باشا ترجمانًا لباب همايون فكان يأتمنهُ على اهم الاوراق ويستدعيهِ الى منزلهِ مع بعض رفقائهِ ليترجموا ويبيضوا بعض المنشورات الاجنبيَّة . وبعد نحو سنتين انتخب ترجمانًا لمجلس الوالي الذي تشكل في الباب العالي وتعرَّف بضيا باشا وكمال بك الكاتبين الشهيرين و بعطوفتلونوري بك المعروف باخي الحضرة السلطانية في الرضاع فشكلوا جمعية سرية سموها " تركيا الفتاة " وانضمَّ اليها عدد من الشبان الاذكياء . وكان البرنس مصطفى فاضل باشا المصري قد هرب الى اوربا لامور ذات شأن حدثت بينهُ وبين السلطان عبد العزيز والصدر الاعظم عالي باشا واذكان يحتاج الى كتبة متفننين استدعى نخبة اعضاء تركيا الفتاة الى باريز ومن جملتهم صاحب الترجمة فاقام في باريز ولندن ينشر مع اصحابهِ جريدة " حرّيت " وظهرت اول نسخة منها ممضاة باسمهِ وكان لها شأن عظيم في ذلك العهد . وبقي في باريز الى ما بعد الحرب السبعينيَّة واحتمل مع صديقهِ نوري بك الضيق والجوع في حصارها فكانا يشتريان الدجاجة بعشرين فرنكًا وكسرا خشب البيانو ليطبخا الطعام ودُعي لحمل السلاح مع الغارد ناسيونال لمحاربة الالمان

وبعد ذلك صدر عفوٌ شاهاني عن جميع المهاجرين السياسيين فرجع رشاد الى الاستانة بعد ان درس الحقوق وانشأ جريدة دعاها " عِبرَت " وكان ذلك في عهد صدارة محمود نديم باشا . فاستدعى هذا رشادًا واصحابهُ وخاطبهم قائلاً " عليكم ان تقبلوا احد ثلاثة امور اعرضها عليكم . فاما ان ترجعوا الى اوربا لاني لست عالي باشا لاخاف كتاباتكم . واما ان تقبلوا النفي الى بلاد بعيدة . واما ان تقبلوا بلا تردُّد الخدمات التي تعرضها الحكومة عليكم " فاجابهُ رشاد " ولِمَ لا تطلقون لنا حريتنا فنعيش من اقلامنا " فاجابهُ الصدر الاعظم " انك لاتخلو من القحة وانا لا اسمح لكم ان تخطُّوا هنا حرفًا واحدًا " . وفي اليوم التالي استدعاهُ اليهِ وعيّنهُ قائمقامًا لقضاء بلاجيك ورفع راتبهُ من الفي غرش الى ثلاثة آلاف وخمس مئة وقال لهُ ان هذا المركز وان يكن صغيرًا الَّا انهُ موافق لحداثة سنك وهو اداري وسوف يوصلك يومًا ما الى هذا المسند (قال هذا مشيرًا بيدهِ الى كرسي الصدارة) . فبقي يتقلب في الوظائف من القائمقاميات الى المتصرفيات كمتصرفية جبل بركات وقوظان (بولاية ادنه) واماسيا وصمصون (بولاية سيواس) حتى اواخر سنة ١٨٨٥ لما ارتقى كامل باشا الى مسند الصدارة وكان بينهما معرفة من قبل فلما ذهب رشاد باشا ليهنئهُ التفت اليهِ الصدر وقال على مسمع من الحضور " يا حضرة الباشا ان عندنا قحطًا في الرجال والذين نظيركم من الزم الرجال لنا " . ومنذ ذلك الحين اخذ كامل باشا يسعى بكل واسطة لترقيتهِ الى رتبة والٍ ثم الى

وزارة الداخلية او الخارجية . ولكن عناصر المابين كانت تحبط مساعيهُ لان الجميع كانوا يعلمون ان رشاد باشا لا يملك مالاً ولا عقارًا حتى وان امتلكت يده شيئًا فهو لا يشتري الوظائف شراء.
وذات يوم استدعاهُ كامل باشا وقال له "انت تعلم حق العلم اني اشد الناس رغبةً في ترقيتك ولكن الموانع قد حالت دون ذلك فاطلب اليك ان لا ترفض ما قد دبرتهُ لك وذلك وظيفة قوميسير عالٍ في بلغاريا براتب ١٥٠ ليرة في الشهر غير نفقات الانتقال والاستقبال . وسيعين لخدمتك قطارٌ بخاري يأتي بك الينا كلما مسَّت الحاجة لمخابرتنا في المهام واذا قبلت هذه الوظيفة فانك تخدم السلطان والدولة وتكون الوظيفة افضل واسطة ترفعك الى ما تشتهيهِ (يعني بذلك وزارة الخارجية) فقبل رشاد باشا تلك الوظيفة والحَّ عليهِ الصدر الاعظم ان يستعد للسفر عند اول اشارة . ولكن المابين لم يصادق على تعيينهِ

ولما رأى كامل باشا ان مساعيهُ تقاوم مع انهُ يريد ان ينفخ في جسم المملكة روحًا جديدة ورأى ان الدولة في حاجة الى رجال ذوي عزم ودراية عاد فاستدعى رشاد باشا اليهِ في اواسط سنة ١٨٨٦ وعرض عليهِ متصرفية سرفيجه . وهي متصرفية مستقلة ومخابراتها مع الباب العالي رأسًا . وموقعها في مكدونية على حدود تساليا اليونانية وسالونيك ومناستير ومعظم سكانها من اليونان الروم وفيها جمهور من المسلمين وعدد قليل من الفلاخ وعدد لا يذكر من البلغار . وقال له الصدر الاعظم يومئذٍ ان هذه المتصرفية في مقام ولاية نظرًا الى استقلالها وهي غاية في الاهمية لوقوعها على الحدود اليونانية فبقبولك هذه الوظيفة تخدم مصالح وطنك لان المتصرفية محتاجة الى درايتك ولاسيما في الوقت الحاضر فان لنا جيشًا جرارًا على الحدود تحت قيادة المشير احمد ايوب باشا وقد حصل بيننا وبين اليونان بعض مناوشات ولكن الاحقاد تكاد تزول ومتى وصلت رأيت السبل ممهدة والامور رجعت الى مجراها الاول . فقبل رشاد باشا متصرفية سرفيجه وصدرت له الارادة بفرمان طويل كفرمان الولاة فذهب الى مركز مأموريتهِ وبعد وصولهِ بايام قليلة اخذ يجول في مراكز البلاد ليختبر بنفسهِ احوالها وحاجات اهلها واميالهم فنشر الوية العدل وساعد الضعفاء وانصف المظلومين وضرب على ايدي الظالمين حتى طار صيتهُ واجتذب قلوب الجميع اذ لم يميز بين المذاهب والعناصر . وكانت القلوب لا تزال نافرة من حكم الاتراك والجرائد اليونانية ومكاتبوها يسلقون الحكام العثمانيين بالسنةٍ حداد ولكن عدالة رشاد باشا جعلت تلك الجرائد ومكاتبيها يغيرون لهجتهم حتى صاروا ينشرون كل ثناء عليهِ مذيعين فضلهُ وعدلهُ وعزمهُ الامور التي لم يروا مثلها في الايام الماضية

وقد كنت ايامئذٍ في تلك البلاد فاستطلعت آراء رؤساء الاساقفة وهم اصحاب الكلمة

والقول الفصل فقالوا لي " لو كنا نتأكد ان الحكومة ترسل الينا حكاماً عادلين كرشاد باشا او انها تبقيهِ هنا حتى يثبّت دعائم العدل ويترك للخلف مثالاً ينسج عليهِ لما رأيت احداً من الاهالي يميل الى دولة اجنبية ايًّا كانت " . وهذه افضل شهادة لهُ

وفي اواخر سنة ١٨٨٨ عُيّن متصرفاً مستقلاً للقدس فاتى فيها اعمالاً مشكورة وارضى بحسن سياستهِ جميع الطوائف والبطاركة والقناصل فانهالت عليهِ النياشين من الدول فانعمت عليهِ الحضرة الشاهانية بالمجيدي الاول ومنحتهُ المانيا نشان التاج البروسي غران قوردون وقلدتهُ فرنسا نشان اللجيون دونور من رتبة قومندور . ومنحتهُ روسيا نشان سان ستانيسلاس واقتدت بهنَّ ايطاليا واليونان

وكان عالي الهمَّة ذا مروءة نادرة المثال شاعراً اديباً وكاتباً بليغاً مغرماً بمطالعة التاريخ والمؤلفات البليغة وقد جمع في مكتبتهِ افضل كتب الفرنسويين وبعض كتب العرب والترك . وترجم جزءا كبيرًا من ڤولتاي ولكنهُ لم يطبعهُ . ومن اغرب صفاتهِ ان كل من رآهُ احبهُ وتوسم فيهِ الخير . وكان ربعة ابيض الوجه ذا عينين زرقاوين وراس كبير . صنع لنفسهِ تمثالاً في باريس من شاهدهُ ظنهُ تمثال الملك ادورد السابع لشدة المشابهة بينهما

وهنا اذكر بعض ما جرى لهُ مع سمو البرنس هنري اخي جلالة امبراطور المانيا وسمو البرنسس زوجتهِ لما زارا القدس لاظهر للقارىء ما كان عليهِ من انقاد الذهن وسرعة الخاطر والقوة في اجتذاب القلوب بحسن بيانهِ ولطيف حديثهِ . فانهُ لما اتى البرنس المذكور مع زوجتهِ قصد السياحة في بلاد الشام على صورة غير رسمية اراد جلالة السلطان ان يجعل زيارتهما ذات رونق رسمي فارسل يأمر رشاد باشا ان يذهب الى يافا ليستقبلهما ويلتمس منهما ان يكونا ضيفي الحكومة . فذهب وعرض على سموهما ما أُمر بهِ . فاعتذر اليهِ البرنس بقولهِ لقد وضعت خطةً لسياحتي واريد ان تكون خالية من الابهة والرسميات ويعزُّ عليَّ اني لا اتمكن من قبول دعوة جلالة السلطان . فاجابهُ رشاد باشا على الفور " مولاي ان لسموكم الامر على كل حال ولكني اخشي عدم رضى جلالة مولاي السلطان عني فيظن بي عدم الاهلية لهذه المهمة التي عهد بها اليَّ " . فتبسم البرنس وقال لهُ " يا حضرة الباشا لا يسعني والحالة هذه إلاَّ ان اقبل دعوتك واكون ضيفاً على جلالة السلطان "

ثم جاءا القدس وكان رشاد باشا قد اعدَّ كل لوازم الضيافة متفنناً في اتقانها واكثر من الشمبانيا لان البرنس لا يشرب الماء . واذ كان هو وسمو البرنس يحسنان الرماية ولهما ولع شديد بالصيد كانا يجلسان بعد تناول العشاء مع البرنسس ويتبادلان الحديث عن الصيد وعما اصطادهُ

كلٌّ منهما في ماضي ايامهِ . فذكر البرنس انهُ اصطاد مرة ثعلباً احمر . وفي الليلة التالية قال رشاد باشا انني اصطدت مرة ثعلباً ازرق . فضحكت البرنسس حتى استلقت على كرسيها وقالت "وهل يكون الثعلب ازرق" ؟ فاجابها " انهُ لم يكن ازرق تماماً يا مولاتي ولكنهُ كان مائلاً الى الازرقاق" . فعادت الى الضحك مسرورة من حسن تخلصهِ . فقال لها ثانية "ولِمَ لم تستغربي يا مولاتي الثعلب الاحمر الذي اصطادهُ سمو البرنس فارجو من سموك ان تفسحي لثعلبي الازرق مجالاً يمرُّ بهِ كما مرَّ ثعلب سمو البرنس الاحمر وواحدة بواحدة" فضحك الجميع مسرورين

وحدث بين بطركخانتي الروم واللاتين مشاكل اقامت بطريركيهما وقنصل روسيا وفرنسا واقعدتهم فازال تلك المشاكل على احسن اسلوب ولم يدعها تصل الى الباب العالي او الى السفارتين . وساعد الاسرائيليين كثيراً اذ كانوا مضطهدين حتى انهُ لما زار المسيو ادمون ده روتشيلد القدس وعلم بما اجراهُ شكر لهُ وعاد الى بلادهِ فرحاً مسروراً

ولو اردت ذكر كل مناقبهِ وتعداد اياديهِ على الذين رأَوهُ او عرفهم ما كفاني جزء كامل من المقتطف ولكنني اكتفي بذكر حادثة واحدة وهي انني رأيتهُ ذات يوم في سنة ١٨٩٢ ذاهباً الى البنك العثماني وعلى وجههِ لوائح الاهتمام فسأَلتهُ عن السبب فقال ان صديقي فلاناً في حاجة شديدة الى المال وانا ذاهب لارهن بيتي وامدهُ بالمال

وقد ترك نجلين وهما عطوفتلو علي فروخ بك القوميسير السلطاني في بلغاريا وهو من ابرع الكتبة العثمانيين وابلغ شعرائهم ومن المقربين وقد عيّن سفيراً للدولة العلية في الولايات المتحدة قبل ان تجاوز الثلاثين . والثاني شقيقهُ محمود بك السكرتير الاول للسفارة العثمانية في مدريد وهو شاب على غاية اللطف ودماثة الاخلاق وقد تخرج في احسن مدارس باريس . ولهما والدة وشقيقة وهما من فضليات السيدات عزاهم الله جميعاً واعطاهم الصبر الجميل

كليانتس فيلبيذس

المدفع الكهربائي

اخترع الاستاذ بركلند النروجي مدفعاً كهربائياً مغنطيسياً . وهو مؤلف من سلك كهربائي لولبي الشكل موضوع داخل انبوبة تنجذب الى داخلهِ القنبلة بقوة مغنطيسية كهربائية ثم تقف في منتصف السلك حيث يعاق المجرى الكهربائي الجاذب ويبقى المجرى الدافع . فتستمر القنبلة على سيرها الى ان تخرج من فوهة الانبوب بعزم شديد اذا كانت قوة المجرى الكهربائي شديدة

الارتقاء الفكري في تركيا

من كتاب واقعة السلطان عبد العزيز لمؤلفه احمد صائب بك

لا يخفى على كلّ من طالع اسفار التاريخ العثماني ان الواقعة الخيرية (اي انقراض الانكشارية) كانت اعظم فاعل في احوال الدولة العثمانية . ولو درسناها بالتدقيق لرأيناها اقوى عامل على تنظيم المعيشة العمومية وتنوير اذهان قسم من الاهالي ووضع اساس العلوم والآداب العثمانية . فانهُ بعد حدوث هذه الواقعة قام فينا من الرجال والوزراء من كانوا يقدرون مراكزهم حق قدرها ويقومون بواجباتهم خير قيام ولهم من الخبرة في احوال الدولة والاطلاع على الآداب العصرية ما كان يكفي لحاجاتنا . وكذلك قام فينا من الشعراء والكتَّاب من بلغوا اعلى درجة من آداب الغرب والشرق وتفننوا في اساليب الكتابة وتعلموا الفنون الحديثة ولكنَّ الترقي الادبي عندنا كان يسير سيرًا بطيئًا بالنسبة الى اليابان مثلاً والسبب في ذلك ميل اهل السيادة منا منذ القديم الى الشرّ اكثر من الخير وعدم مبالاة اصحاب المناصب العليا بهذا الامر او عدم قدرهم اياهُ حق قدرهِ . زِدْ على ذلك تمسك الاهالي باذيال القديم ونفورهم من كل ما هو جديد . ولكنَّ روح الآداب لم تلبث ان سرتْ بين الافراد بالرغم عن الموانع والصعوبات الكثيرة التي كانت تعترض في سبيلها . فان الآداب القديمة كانت عبارة عن التعاليم الدينيَّة وقسم من اصول الانشاء ولم تكن طريقة التعليم التي وضعت منذ عهد العباسيين كافية لتوسيع الاذهان اذ ان الطالب كان يحصر همهُ في مطالعة المؤلفات المخطوطة ولا يلتفت الى العلوم الحديثة او بالحري الى الآداب الغربية حتى ان المطبعة التي أُنشئت في الاستانة سنة ١١٣١ هجرية لم تدم كثيرًا لرغبة علمائنا عنها ونفورهم من الاختراعات الحديثة وهكذا لم يهتم اولياء الامور منا بما عليهِ يتوقف توسيع المعارف ونشرها

ولكن بعد الواقعة الخيرية شرع اصحاب الحمية الوطنية في نشر العلوم على قدر الامكان فأُنشئت سنة ١٢٤٢ هجرية مدرسة الطبّ العسكري وأُصلحت مدرسة الطوبجية التي أُسست في عهد السلطان سليم الثالث وانشئت المدرسة الحربية في بداءة ملك السلطان عبد المجيد وعقبها انشاء المدرسة البحرية وفي اواخر ملكهِ انشئت مدرسة المعادن . وعدا عن هذه المدارس العليا انشئت مدارس اعدادية ورشدية في عدة اماكن مهمة فسدَّت بعض حاجاتنا العلمية والمدارس التي أُنشئت على عهد السلطان عبد العزيز لم تكن اقلَّ فائدة من المدارس التي انشئت على عهد عبد المجيد فمن تلك المدارس مدرسة الفنون الملكية التي أُسست بهمة محمد باشا القبرصلي

والمدرسة السلطانية التي انشئت بهمة سفير فرنسا الذي كان نافذ الكلمة في ذلك الحين وهي احسن مدارس الاستانة وقد خرج منها تلامذة خدموا الوطن خدمات تذكر فتشكر ولغة التدريس فيها الفرنسوية وكانت هذه لغة مدرسة الطب العسكري ايضاً ولكنها الغيت وابدلت بالتركية . وفي تلك الايام ايضاً انشئت مدرسة الطب الملكية وهي مستقلة عن الاولى . وكانت الهمة مصروفة الى انشاء المدارس الاعدادية والرشدية التي هي اغزر فوائد من المدارس العليا لنشرها المعارف بين ابناء الطبقة العامة . وازداد شوق الاهالي الى المطبوعات التي لا تقل عن المدارس في تنوير الاذهان وتوسيع دائرة العقول فأنشأ الكسندر بلاك الفرنسوي سنة ١٢٤١ هجرية جريدة في ازمير كانت تصدر باللغة الفرنسوية وكان قد أنشئ قبلها جريدة على عهد السلطان سليم الثالث في سفارة فرنسا في الاستانة ولكن مواضيعها لم تخرج عن حدّ اخبار انتصار الفرنسويين في محارباتهم واذ لم يكن لها ايرادٌ يكفي للقيام بادارتها ابطلت . واجتهد الكثيرون في انشاء المطابع فاخفق سعيهم ولم تدم جريدة مدة طويلة الا الجريدة التي كانت تصدر في ازمير وكان اسمها في الاول (Spectateur de l'Orient) اي ناظر الشرق ولكن أبدل بعدئذٍ " برائد ازمير " (Courrier de Smyrne) . وكانت تنشر الاخبار الصحيحة وتبحث في المواضيع الموافقة لروح العصر وتنقل اخبار الثورة اليونانية من ميادين الحرب بسرعةٍ عجيبة فذاع صيتها حتى في نفس اوربا . وفي سنة ١٢٤٦ هجرية دعا السلطان محمود صاحبها الى الاستانة واحسن اليهِ وامدَّهُ بمالٍ ليصدر جريدة هناك باسم (Moniteur Ottoman.) (الرقيب العثماني) وبعد سنة امر باصدار جريدةٍ اخرى تركية في الاستانة تسمَّى " تقويم الوقائع " وجعلها تحت ادارة محرر " الرَّقيب العثماني " فكانت تنشر اوامر الحكومة الرسمية وترفض المقالات الاخرى بخلاف جريدة الرقيب العثماني التي كانت تنشر مقالات وابحاثاً شتَّى عن الاحوال الداخلية والخارجية حتى عدَّتها اوربا لسان حال الباب العالي . ودامت هاتان الجريدتان على هذا المنوال عدة سنوات . وفي سنة ١١٥٩ هجرية أُنشئت في الاستانة جريدة اخرى تدعى "جريدة الحوادث " وكانت تنشر حوادث خصوصية واخباراً رسمية ووقائع متنوّعة فراجت رواجاً باهراً في زمن قليل وُعدَّت من الجرائد الرسمية للحكومة . ثم أُنشئ في الاستانة وفي غيرها جرائد غير رسمية فكثرت الصحف حتى بلغ عددها في اواخر سلطنة عبد المجيد واوائل سلطنة عبد العزيز ما ينيف على الثلاثين . وكان بينها اربع مجلات فنية بين شهرية ونصف شهرية واسبوعية . وهذا مما يدل على ان الرغبة في بثّ المعارف كانت تزداد يوماً فيوماً عند العثمانيين حتى ان بعض رجال الدولة من ملكيين وعسكريين

بذلوا جهدهم في اواخر ملك السلطان عبد العزيز في تعميم العلوم والمعارف بين ابناء وطنهم ليذوقوا ما ذاقوا هم من حلاوة العلوم

ولكن الحكومة لم تبقَ على ما كانت عليهِ بعد الواقعة الخيرية فان تقليد المأمورين العثمانيين للاجانب في لباسهم تعدى الى كبار الموظفين الذين اصبحوا يقلدونهم ايضاً وهم لا يعرفون كيف يخدمون الوطن او كيف يسعون في اعلاء شأنهِ. على انهُ وُجد بينهم من كانوا يعرفون قيمة الاصلاح في الدولة والانتظام في دوائر الحكومة كما عرفوا منبع الثورات في داخل البلاد العثمانية بدليل ما ورد في آثارهم ومؤلفاتهم العلمية والادبية . ومنذ عهد السلطان عبد المجيد كثرت المطبوعات وازدادت وكان اكثرها خاصاً بامور المسلمين ولكن وجد بينها ما كان معرَّباً عن اشهر المؤلفات الغربية . وفي هذه الاثناء ظهرت مؤلفات في غاية الاهمية من اقلام بعض مشاهير الكتَّاب العثمانيين كاحمد وفيق باشا وجودت باشا ومن شاكلهم من الكتَّاب الذين جمعوا بين الآداب الشرقية والعلوم الحديثة الغربية ووضعوا اصول الانشاء والبلاغة واحيوا الآداب التركية وشجعوا الادباء على السيرِ في كتاباتهم على ما يوافق روح الزمان والمكان وحرَّضوهم على متابعة الآداب العصرية الحديثة .فوقع هذا التغيير لدى الكتبة العثمانيين موقع القبول واجتهدوا في تعميم فوائدهِ لتنوير اذهان الاهالي ولكنهُ لم يلبث طويلاً حتى سقط عن اول درجة عند صعودهِ سلَّم الترقي بسبب ما وضعت لهُ يد الظلم من العقبات في سبيلهِ وما تضعهُ الى يومنا هذا . فقد كانت مطبوعاتنا في بادىء الامر حرَّة بلا قيد ولا قانون معيَّن وكان كلٌّ حرًّا في انشاء اي جريدة او مطبعة شاء . ولكنهُ لما ازدادت الجرائد صارت تنشر الاخبار المحلية والمقالات المختصة بالامور الداخلية وتنتقد احياناً افعال الموظفين في اكبر وظائف الدولة مما امتعض لهُ اولياء الامور واستاؤُوا فاكتسبت تلك الجرائد عداوتهم فعملوا على ايقاف مطبوعاتها عند حدها ونزع حرّيتها اذ كانت على زعمهم تضرّ بالصالح العام فوضعوا سنة ١٢٨٢ هجرية اول قانون للجرائد في البلاد العثمانية وابتدأوا في تطبيقهِ بكل شدة وصرامة. وهذا النظام يقضي على كل من اراد اصدار جريدة بأخذ رخصة رسمية من الحكومة لكي تلجمها ولا تدعها تتكلم كما تشاء وتضعها تحت مراقبتها الدائمية. وعليهِ أُنشىء من ذلك الحين قلمٌ خاص لمراقبة المطبوعات الداخلية في الباب العالي ولا يزال الى يومنا هذا يصب كاس الغضب والنقمة على كل من خالف ذلك النظام من اصحاب الجرائد . ولو دققنا النظر في هذا القانون لرأيناهُ منافياً لمنافع الحكومة والاهالي معاً ومجحفاً بحقوقهم اشد اجحاف وذلك

اولاً لانهُ لم يكن الاَّ نتيجة خوف الحكومة من انتقاد الجرائد اعمالها وهو عيبٌ يحطُّ من قدرها ويدل على قلة ثقتها بنفسها

وثانياً ان الحكومة اظهرت بهذه الواسطة اشتراكها في ما يحدث في داخل البلاد من الامور المباينة للعدل والانصاف اذ صدت في وجه الجرائد منافذ الانتقاد وحرمت عليها ولوج باب الصدق في نشر ما يقع من الحوادث داخل الممالك العثمانية وهكذا هدمت ركن ما بني من قصور آمال لاجل الاصلاح

ثالثاً ان هذا النظام زرع بزور الخصومة والعداوة الشديدة في قلوب اصحاب الحمية الوطنية والغيرة الملية من رجال الدولة ووكلائها وقد ظهرت هذه النتيجة بعد بضع سنوات من وضع هذا النظام اذ تأسست جمعية الاحرار العثمانيين في اواسط ملك السلطان عبد العزيز. واول مؤسس لهذا الحزب اي حزب تركيا الفتاة مصطفى فاضل باشا المصري احد اعضاء عائلة محمد علي باشا الكبير. وكان قد تربى تربية حسنة وتلقى مبادئ العلوم والفنون الحديثة وعندهُ ثروة طائلة كاكثر افراد عائلتهِ ولكنهُ لم يتفق مع اسمعيل باشا بعد ان تبوأ الاريكة الخديوية فذهب الى الاستانة ودخل في عداد الوكلاء ولم يقم هناك طويلاً لعدم اتفاقهِ مع الوزراء المقتدرين كعالي باشا وفؤاد باشا فترك الاستانة وذهب الى باريز لينشر ما لديهِ من الاعتراضات على نظام الدولة في ادارة المملكة ويميط اللثام عن تلك المعايب وهو في تربة الحرية ولم يلبث ان انضمَّ اليهِ اصحاب الاقلام الذين نفروا من ادارة عالي باشا فاصدروا عدة جرائد باللغة التركية وكتبوا فيها مقالات شديدة اللهجة على مساوىء الدولة في ذلك الحين وانتقدوا اعمال فؤاد باشا وعالي باشا الشخصية كعدم توزيع المبالغ التي جمعت لتفرَّق على المنكوبين بحريق الاستانة الكبير وضياع حقوق الدولة في تسليم القلاع العثمانية التي أُقيمت في بلاد الصرب. واخذ الاموال الباهظة من الخزينة لتسكين حادثة الشام. والتساهل في اخماد ثورة كريد. وسوء استعمال الاموال الطائلة المقروضة. وما شاكل ذلك

هكذا ظهرت جمعية الاحرار لاول مرة في البلاد العثمانية ولم تظهر الاَّ بعد ان عيل صبر هؤلاء الرجال واحتملوا ما لا يطاق من الاهوال فاجتمعوا في باريز وارسلوا من هنالك نور الحرية على البلاد العثمانية وهاجوا الافكار العمومية فأقبل الاهالي على منشوراتهم حتى بيعت في الاستانة نسخةٌ من جريدة "حريت" التي طبعت في باريز ودخلت البلاد العثمانية سرًّا بليرة عثمانية. ولكن هؤلاء الاحرار لم يبقوا كثيرًا حتى عاد اكثرهم الى اوطانهم بعد وفاة عالي باشا اذ شملهم العفو الشاهاني وكانت الدولة ترقبهم من طرف خفيٍّ على الدوام ولكنهم شكلوا فرقة الاصلاح فصارت

الحكومة تهتمّ بكل ما يقولونهُ وتعيرهُ اذناً مصغية فازدادت شهرتهم وعدوا في مقدمة الاحرار العثمانيين سواء كانوا من الذين عادوا الى الاستانة او من الذين لم يغادروا اوطانهم . وكان ضيا باشا اشعر شعراء العثمانيين يشغل مركزاً ممتازاً بين افراد هذا الحزب فحثّ على تعلم النظم والنثر واجتهد في اعلاء شأن الوطن كثيراً فخلد في قلوب الامة اسماً يذكر فيشكر . وكان نامق كمال بك اشهر رؤساء هذه الجمعية وهو رجل شريف العواطف والاميال رزين العقل متوقد القريحة محبّ لوطنهِ مشغوف بترقيتهِ يكرهُ الرياء والمداهنة ويحب الحق والحرية وهو من الرجال الذين تندر امثالهم ولكن المامهُ بالسياسة كان سطحياً . فاتحد مع شناسي احد ادباء الترك المشهورين وعملا يداً واحدة على استئصال شأفة الانشاء القديم وغرسا مكانهُ بزوراً جديدة فانعشا الآداب التركية وحركا عواطف الامة باشعارهما حتى استحق نامق كمال بك ان يلقب باستاذ ارباب الفكر والقلم العثمانيين . وصاهر مصطفى فاضل باشا وكان يكتب في جريدة "حريت" ونُفي مراراً بعد عودتهِ الى الوطن لانهُ كان لا يفتأُ يظهر حميتهُ واخلاصهُ حتى داخل الممالك العثمانية . وكان في هذه الفترة مديراً لادارة جريدة "عبرت" التركية التي كانت تصدر في الاستانة

وثاني مشاهير الاحرار كان علي سعاوي افندي . فهذا بعد ان درس الفقه في الاستانة قصد باريز واقام فيها عدة سنوات تعلّم في خلالها اللغة الفرنسوية واطّلع على الآداب الاوربية ووقف على احوال السياسة العمومية ثم ذهب الى لندن ونشر كتباً تختص بالاسلام والعثمانيين واصدر جريدة باللغة التركية اسمها "مخبر" وهو آخر من رجع الى الاستانة من الاحرار فكان يخطب في الجوامع والمحافل الخصوصية ويسعى في تنوير عقول الاهالي وترغيبهم في العلوم وليس من ينكر محبتهُ لملتهِ ووطنهِ وشغفهُ الزائد بهما حتى ذهب ضحية الوطن كما هو معلوم عند الجميع

وكان احمد مدحت افندي المقيم اليوم بالاستانة من الاحرار الذين كانت تحوم حولهم الابصار . ولا ينكر احد خدماتهِ للمطبوعات العثمانية واجتهادهُ في تدريب الاهالي على الانشاء والمطالعة ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اكثر ترجمة وتأليفاً من اسلافهِ . ولقد طالع كتاباتهِ اكثر الناشئة الجديدة من الكتّاب الذين كثر ولله الحمد عددهم وتلقى عنهُ الكثيرون صناعة الانشاء ولكنهُ مع ذلك كلهِ كان متقلقلاً في جميع اعمالهِ غير ثبت في اشغالهِ وهو نفسهُ لا ينكر هذه النقيصة

ومن اولئك الاحرار الذين لا يزالون احياء يرزقون ابو الضيا توفيق بك وليس من ينكر فضلهُ ايضاً على المطبوعات العثمانية وشهرتهُ واسعة كما لا يخفى

هؤلاء هم احرار ذلك العهد ولكن كان ايضاً بين الضباط المتخرجين من المدارس من

كانوا يعدون من حزبهم وكثيرون من تلامذة المدارس العالية حتى الاعدادية كانوا يعضدون هذا الحزب بكل قواهم ويميلون اليهِ ميل الرجال الى غادة حسناء وكلهم كانوا يبتغون الاصلاحات الاساسية لتخليص وطنهم ساعين وراء سعادة الملك والملة وسعادة انفسهم

كلف الشمس

يقول بعض العلماء الباحثين في تاريخ العمران الاوربي ان العلم حُفظ في الاديرة وأُذيع على يد الرهبان ولولاها ولولاهم لما ابقت العصور المظلمة على شيء منهُ . وسواء صحَّ هذا القول على اطلاقهِ او لم يصحّ فكثيرون من الرهبان ولاسيما من طغمة اليسوعيين خدموا العلم خدمةً كبيرة تذكر لهم بالشكر . وقد اطَّلعنا الآن على مقالة لواحد منهم وهو الاب كورتي اليسوعي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تشهد لهُ بغزارة العلم ودقَّة البحث فانتطفنا منها الحقائق التالية

ظهرت كلف كبيرة على وجه الشمس في الخامس من شهر اكتوبر الماضي وغابت عنهُ في الثامن عشر من الشهر وبلغ اتساعها تسعين الف ميل اي كانت مساحة سطحها اكثر من مساحة سطح الارض الفًا وثلثمئة مرة . ولم تظهر هذه الكلف على غير انتظار لانهُ ظهر في الشمس الاضطراب منذ شهر سبتمبر من العام الماضي كأنها ملَّت السكون وارادت العود الى الثوران كما يبين من ظهور الكلف الكثيرة على وجهها وبروز المشاعل والالسنة النارية منها وكلها دليل على ان دور الاضطراب حان عوده والنار المخبوءَة تحت الرماد عادت الى الاتقاد . ويظهر من ارصاد جرينوتش ان مساحة المشاعل التي تظهر على وجه الشمس قد زادت في العام الماضي وهذا العام . واذا حسبنا عدد الكلف دليلاً على اضطراب الشمس فقد كان الاضطراب على اشدهِ اخيرًا سنة ١٨٩٣ لان عدد الكلف التي ظهرت حينئذٍ كان ٢٨٥ ثم نقص حتى بلغ ٧٣ كلفة سنة ١٨٩٩ و٤٥ كلفة ١٩٠٠ و٢١ كلفة سنة ١٩٠١ و٢١ كلفةً ايضًا سنة ١٩٠٢ وكانت الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠١ اضيق مساحة من الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠٢ فسنة ١٩٠١ اقلُّ السنين كلفًا في هذا الدور . ثم عادت الشمس الى الاضطراب من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ والمرجح ان اضطرابها يبلغ اشدهُ في العام المقبل اي سنة ١٩٠٤ لان زمن الانحطاط في عدد الكلف طويل متدرج اقتضى تسع سنوات واما زمن الارتقاء او العود الى الاضطراب فسريع قصير تكفيهِ سنتان . وهذا شأن كل الافعال الطبيعيَّة التي لها ادوار

تدور فيها فان الهبوط يكون بطيئاً متدرجاً واما الصعود فيكون سريعاً قصير المدة

واكتشاف الكلف على وجه الشمس كان من اول اثمار التلسكوب اكتشفها غاليلو سنة ١٦١٠ ورآها غيره في العصور السابقة بعيونهم من غير نظارة ولكن كان يُظَنّ انها اجسام طائرة في الهواء تمرّ امام الشمس فترى كالكلف على وجهها . ورأى الكلف حينئذٍ الاب شينر ويقال انهُ اخبر رئيسهُ بما رأى فقال لهُ الرئيس لعلَّ ما رأيتهُ ناتج عن خلل في التلسكوب او في عينيك لان ارسطوطاليس حتم بان وجه الشمس نقي لا شائبة فيهِ . الأ ان الاب شينر ظلَّ يرقب كلف الشمس وظن في اول الامر انها اجسام بعيدة عنها تدور حولها كالسيارات ثم تحقق انها متصلة بسطحها وعرف منها مدة دوران الشمس على محورها وهي ٢٥ يوماً ونصف يوم بالتقريب وعرف ايضاً اتجاه محور الشمس . وكان يرصدها بتلسكوب بسيط قائم على محور متجه الى نجم القطب فيبقى متجهاً الى الشمس في مدارها وكان يديرهُ بيدهِ كما يدار التلسكوب الآن بآلة الساعة ويلقي صورة الشمس منهُ على ستار وينظر اليها كما يُفعَل الآن في رسم الكلف وغيرها من الظواهر الشمسيَّة

الأ ان الكلف التي ترى احياناً على وجه الشمس ليست سوى تفاقم ما يوجد على وجهها دواماً من البقع والمشاعل فانهُ اذا رُصد وجهها بتلسكوب كبير والقيت صورتها على ستار في غرفة مظلمة ظهر في وجهها دائماً تبقيع كثير . وقد صوَّرها المسيو جانسن صوراً فوتوغرافية ظهر التبقيع فيها ظهوراً واضحاً وظهر فيها ايضاً خطوط ونقط مظلمة ولذلك فوجه الشمس الذي نراهُ بعيوننا بسيطاً صقيلاً مؤلف من بقع او مشاعل (لان المشاعل اذا نظر اليها من الاعلى بانت بقعاً منيرة) واذا زادت هذه المشاعل في جهة تكوَّنت منها الكلف. ثم ان الاستاذ هايل صوَّر الابخرة التي حول قرص الشمس في مرصد يارکس بشيكاغو فوجدها خليطاً من ابخرة الكلسيوم والهيدروجين والحديد وغيرها وهي منتشرة حول الشمس كلها ويزيد اضطرابها واشراقها في جوار الكلف وتماثل ما حول الكلف من البقع فهي تؤيد ما تقدَّم من علاقة الكلف بالبقع او المشاعل

وتتولَّد الكلف هكذا : يضطرب وجه الشمس في المكان الذي تظهر فيهِ الكلف الكبيرة بعدئذٍ وترى فيهِ كلف صغيرة ومشاعل تختفي ثم تعود ثانية . ويظهر من الرسوم التي رسمناها في مرصد ستونيهرست[1] منذ شهر يوليو الماضي انهُ ظهر على وجه الشمس حينئذٍ مجموع صغير من

(١) مدرسة ستونيهرست Stonyhurst. من اشهر مدارس الكاثوليك في البلاد الانكليزية ومرصدها من المراصد الشهيرة ايضاً بلغ معظم شهرتهِ في عهد مديرهِ المرحوم الاب بري

النقط لا تكاد تسمّى كلفاً ظهرت بقرب المكان الذي ظهرت فيهِ كلف اكتوبر وكان ذلك المكان هادئاً منذ عدة اشهر . ولما اتمت الشمس دورتها ظهرت هناك كلفة صغيرة في ١٧ اغسطس . وظهرت هذه الكلفة في الدورة التالية في ١٥ سبتمبر وكان معها نقط صغيرة والظاهر ان هذه النقط اجتمعت معاً وتكوَّنت منها نواة الكلفة الكبيرة التي ظهرت في اكتوبر وهي اكبر كلفة ظهرت منذ سنة ١٨٩٨ وتكاد تقارب الكلفة التي ظهرت سنة ١٨٨٢ [٢]

وتبتدئ الكلفة الكبيرة غالباً ببقعة صغيرة منيرة يظهر فيها نقط سوداء تجتمع معاً بعد يوم او يومين ويصير منها كلفتان كبيرتان يتبعهما كلف اخرى صغيرة وتكون الكلفة المتقدمة من الكلفتين اوضح من اختها واحشك وقد تكون هذه اوسع مساحة من الاولى وحينئذٍ تأخذ الكلفة الاولى تدير في طريقها بسرعة تقدَّر بمئات الاميال في الساعة ويظهر كأن الكلفتين تتدافعان في بعض الاحيان ويملأ الفراغ الذي بينهما بكلف صغيرة ويتم ذلك كلهُ في مدة خمسة ايام الى سبعة من حين ولادة هذا المجموع . والغالب ان تكون كلف المجموع ممتدة في خط موازٍ لقطر الشمس الاستوائي . وبعد يومين او ثلاثة تزول الكلف الصغيرة التي بين الكلفتين الكبيرتين فتبقيان وحدهما

لما ظهرت كلف اكتوبر على الطرف الشرقي من قرص الشمس في اليوم الخامس من الشهر كان عمرها يوماً او يومين وفي السابع منهُ ظهرت فيها الكلفتان الكبيرتان وفي العاشر ظهرت الكلف الصغيرة بينهما وتكاملت بين الثالث عشر والخامس عشر ثم زالت حينما بلغت الكلفة المتقدمة طرف الشمس الغربي في السابع عشر من الشهر . واذا جرى هذا المجموع المجرى العادي فالكلفة التابعة من الكلفتين المتقدمتين تتمزق وتختفي وتبقى المتقدمة وحدها وتصير سوداء مستديرة . وتعود الى الظهور في الحادي والثلاثين من اكتوبر بدوران الشمس على محورها ما لم تتمزَّق وتختفِ قبل ذلك وهذا بعيد الوقوع في كلفة كبيرة مثل هذه فان بعض الكلف التي انفردت كذلك بقيت على وجه الشمس مدة اربع دورات او خمس من دوراتها

وسير الكلف على ما تقدَّم من الظهور والنمو والتقدم والتمزُّق والاختفاء مستنتج من اربعة آلاف رسم رُسمت في مرصد ستونيهرست لكلف الشمس منذ سنة ١٨٨١ وقد اختير منها ٣٠٠ مجموع من مجاميع الكلف ظهرت في ١٢٠ اضطراباً من اضطرابات الشمس ولذلك فهي عامة لاكثر الكلف وتدلُّ على استيلاء النظام والقياس حتى على الاضطراب .

ومن اوضح العلامات على ان الكلفة بلغت حدها من النمو وقاربت الاضمحلال ان

(٢) رصدنا تلك الكلفة في بيروت وكنا نراها بالعين المجرَّدة

المشاعل التي حولها تكون متصلة في اول الامر ثم تتشعب متى شاخت الكلفة وتمتد منها السنة منيرة في فسحات كبيرة وقد تبقى هناك مدة دورتين او اكثر من دورات الشمس بعد ان تزول الكلفة تماماً ولكن يقل اشراقها باتساع سطحها. وقد يحدث فيها انفجار جديد حينما تبلغ الكلف معظمها ولذلك يتكوَّن منها منطقة حول الشمس في دور تكاثر الكلف

واسوداد الكلفة غير منتظم بل بعضها اشد سواداً من البعض الآخر ويقال للقسم الاوسط منها الظل ويظهر شديد السواد ولاسيما في الكلف الكبيرة المستديرة · وحول الظل حلقة كبيرة يمتدُّ منها طرائق مشرقة يفصل بينها خطوط مظلمة وهذه الحلقة تسمَّى الظليل · وقد توجد بقع من الظليل منفصلة عن الظل ولكن لا تكون فيها الطرائق المشرقة وكأنَّ هذه الطرائق مواد منيرة تجري وتنصبُّ في كهف مظلم والظل ذلك الكهف او كأنها انهر منيرة جارية على جوانب جبل مظلم والظل ذلك الجبل

ثم ان الظل نفسهُ ليس من لون واحد في سوادهِ بل فيهِ نقط احلك سواداً من باقيهِ وتسمى بالنوى . وقد اختلف الباحثون في كون الكلفة كهفاً او جبلاً اي في كونها انخفاضاً في الكرة المنيرة المحيطة بالشمس او ارتفاعاً فوقها . وقد امعن بعض العلماء نظرهم في ستمئة كلفة فوجدوا ٤٥٠ كلفة منها ينطبق عليها القول الاول اي انها انخفاض او تجويف في الكرة المنيرة والباقي ينطبق عليهِ القول الثاني اي انها ارتفاع فوق الكرة المنيرة . وامعن غيرهم نظرهم في كلف اخرى فوجدوا اكثرها لا ينطبق عليهِ القول الاول بل الثاني ولذلك فان كان بعض الكلف مجوَّفاً فتجويفهُ سطحيٌّ غير غائر كأنهُ صحاف الطعام

وسواءٌ كانت الكلف مجوفة او محدبة فهي مؤلفة من غازات معدنية اكثرها من القناديوم والتيتانيوم . وهذه الغازات تحت ضغط شديد كما يظهر من البحث بالسبكتروسكوب · والكلف نيرة جداً ولكنها تظهر مظلمة لشدة نور الكرة المنيرة حولها ولان الابخرة التي حولها تمتص نورها

ثم انتقل الكاتب الى الامر العملي الذي ادَّت اليهِ مراقبة كلف الشمس ذلك ان رجلاً صيدلانيّاً من اهالي دسو اسمهُ شواب رصد الكلف خمساً وعشرين سنة فاستنتج انها تكثر وتقل في ادوار محدودة طول الدور منها نحو احدى عشرة سنة . واثبتت الارصاد التالية هذه النتيجة وبيَّن الدكتور لُكيَر ان للكلف دوراً آخر وهو خمس وثلاثون سنة فاذا صحَّ ذلك فنحن الآن في بداءة دور الزيادة العظمى كما حدث سنة ١٨٧٠

ومن المرجح ان تكاثر كلف الشمس يدلُّ على زيادة ما يصدر منها من النور والحرارة ولذلك فكل ما يتعلق على الشمس يزيد بزيادة الكلف وينقص بنقصانها كالتغيرات المغنطيسية

والكهربائية والشفق القطبي وحرارة الهواء وضغطهُ ورطوبتهُ وحركة الرياح ومقدار السحاب والمطر وفيضان الانهار وسير انهر الجليد وعدد ما ينكسر من السفن وما يفلس من البنوك وما يحل من المواسم وما يحدث من القحط والمجاعات والحروب بل عدد ما يطير من الحشرات وما يثور من البراكين وما يحدث من الزلازل ومقدار ما يتكوَّن من الاوزون . ويقال جملة ان الخصب والرخاء يتوقفان على كلف الشمس اكثر مما يتوقفان على غيرها

ولكن لم يثبت من هذه الامور ثبوتًا قاطعًا الا علاقة كلف الشمس بمغنطيسيَّة الارض فاذا زادت الكلف زادت الانواء المغنطيسيَّة ففي هذه النوبة انحرفت الابرة المغنطيسيَّة في الثاني عشر من اكتوبر في مرصد ستونيهرست ٥١ دقيقة من القوس وانحرفت وقت ظهور الكلفة الكبيرة سنة ١٨٩٢ ثماني دقيقة من القوس وعند ظهور الكلف في نوفمبر سنة ١٨٨٢ درجتين و٢٣ دقيقة من القوس . لكن يستحيل ان يكون هذا الانحراف ناتجًا عن كلف الشمس مباشرة كما ابان لورد كلفن بل المرجح ان هناك سببًا آخر يفعل بالشمس وبمغنطيسيَّة الارض في وقت واحد ولعلهُ عصائب من الالكترونات تفعل بالارض فتسبب الانواء المغنطيسيَّة فيها وتفعل بالشمس فتسبب توازنًا كهربائيًا تظلم بهِ الابخرة التي تكوّن الكلف كما ارتأى الاب سدجريفس

اما من حيث علاقة كلف الشمس بالحوادث الجوية فلم يتقرَّر شيءٌ حتى الآن ولكن في مباحث السر نورمن لُكيَر والدكتور لُكيَر عن علاقة الكلف بضغط الهواء ما يقوّي الامل بالوصول الى نتيجة مفيدة من هذا القبيل فاذا استطعنا ان نتنبأ بحدوث القحط في بلاد الهند قبل حدوثهِ بناء على ما علمناهُ من ظهور كلف الشمس نكون قد افدنا فريقًا كبيرًا من نوع الانسان فائدة لا تقدَّر . انتهى

هذه خلاصة المقالة التي كتبها الاب كورتي . وقد حاولنا روية هذه الكلفة بالعين المجرَّدة بعد إضعاف نور الشمس بزجاجة مسوَّدة بالدخان فلم نستطع ولكننا رأيناها بنظارة صغيرة جدًّا من النوع المعروف بنظارة الاوبرا راقبناها بها عند كتابة هذه السطور في الحادي عشر من شهر نوفمبر وكانت قد بلغت اول الربع الاخير من قطر الشمس من الجهة الغربيَّة فرأيناها كما في الشكل التابع لهذه المقالة . ثم رأيناها بنظارة المرصد الخديوي في العباسية فوجدناها موَّلفة من كلف كثيرة رسمناها بالتقريب في الرسوم التابعة لهذه المقالة

ولم ينصرم شهر اكتوبر حتى ظهر تأثير هذه الكلفة في مغنطيسيَّة الارض ظهورًا نادر المثال فقد كتب الاب كورتي من مرصد ستونيهرست الى الدكتور لكيَر يقول " مرَّ بنا

نوء كهربائي شديد جدًّا في يومي السبت والاحد (٣١ اكتوبر و ١ نوفمبر) وهو اعظم نوء رُصد عندنا بلغ فيهِ انحراف الابرة المغنطيسية درجتين و ٤٦ دقيقة "

وجاءتنا الجرائد الاوربية عند كتابة هذه السطور مشحونة باخبار هذا النوء وانقطاع الانباء البرقية بهِ فالرسائل التي أُرسلت الى انكلترا من روسيا واسبانيا وسويسرا وفرنسا والمانيا وبلجكا وغيرها من البلدان يوم السبت وصلت اليها متأخرة ساعة او اكثر عن ميعادها. وقال مدير التلغرافات العام ببلاد الانكليز انهُ لم يشاهد مثل هذا النوء الكهربائي منذ اثنتي عشرة سنة . وشعر اهالي الولايات المتحدة الاميركية بهذا النوء كما شعر بهِ اهالي اوربا فتأثرت منهُ الاسلاك البرقية واسلاك التلفون ودام فعلهُ ثماني ساعات وبلغ مقدار الكهربائية في الاسلاك البرقية ٦٧٥ فلطاً اي ما يكفي لقتل الانسان مع انها لم تكن متصلة ببطرية كهربائية. ثم ان النوء الكهربائي الذي حدث سنة ١٨٧١ بلغت كهربائيتهُ على الخط الذي بين السويس وعدن ١٧٠ فلطاً فقط فنوء هذا العام اشد منهُ كثيرًا

وقال ناظر التلغراف والبريد في باريس ان الانباء البرقيَّة انقطعت بسبب هذا النوء بين فرنسا واميركا واسبانيا والبرتغال وايطاليا والجزائر وتونس

وظهر الشفق القطبي في اماكن كثيرة فرآهُ اهالي نيويورك واهالي ارلندا وسكتلندا في الجهات الشماليَّة ورآهُ اهالي استراليا في الجهات الجنوبية وكان ذلك في يوم واحد اي في غرة نوفمبر

وحدثت الزلازل في اماكن كثيرة فشعر بها اهالي ايطاليا والمانيا واهالي طرشيز في بلاد فارس وغيرهم في اماكن اخرى

وكتب الدكتور لكير في الجزء الاخير من مجلة ناتشر يعلل حدوث هذا الاضطراب الكهربائي ويعلقهُ بالنتوات التي تظهر على وجه الشمس . وقد نُظرت اولاً حينما كُسفت الشمس كسوفاً تامًّا سنة ١٨٦٨ بارزة حول ظل القمر ثم اشار السر نورمن لكير والدكتور نانسن بطريقة لرؤيتها في كل حين وقد رسمناها في الشكل التابع لهذه المقالة وهي تدل على زيادة الاضطراب في الشمس . وقال ان الكلف مهما كبرت لا تعدُّ شيئاً بالنسبة الى هذه النتوات وانبأ بان هذا الاضطراب الكهربائي سيمتد من الآن الى سنة ١٩٠٦ او ١٩٠٧ فيظهر الشفق القطبي مرارًا في هذه الاثناء ثم يعقب ذلك عشر سنوات او احدى عشرة سنة يسود فيها السكون

وغنيٌّ عن البيان ان قلة فيضان النيل في السنوات الاخيرة وقلة الامطار في بلاد الهند موافقتان لزمن قلة الكلف وقد زاد الفيضان هذا العام وزادت الكلف ايضاً فاذا ثبتت علاقة كلف الشمس بفيضان النيل فتكون السنوات الست التالية سنوات خصب ورخاء

مكاتب الاولاد في اميركا

تمتاز مدن الولايات المتحدة بكثرة المكاتب العمومية المجانية حيث يزدحم الناس من كل الطبقات للمطالعة . وكثيرًا ما تكون مجامع علمية يجتمع فيها اعضاء المنتديات الادبية لدرس المواضيع التي يجثون فيها في منتدياتهم مما لا نرى لهُ اثرًا في بلادنا. والاميركيون يحرّمون الاشتغال يوم الاحد تحريمًا دينيًا ولكنهم يبقون مكاتبهم مفتوحة للذين يزورونها فيهِ لان كثيرين لا يمكنهم المطالعة فيها الاَّ في ذلك اليوم

ومن اكبر هذه المكاتب مكتبة بوستن المجانية انشأها رجل اسمهُ يشوع باتس وهو من اهالي مستشوستس وكان قد هاجر الى لندن وصار مديرًا لبنك بارنغ فلم ينسَ بلادهُ مسقط رأسهِ بل ارسل اليها ما يزيد على خمسين الف ريال وخمسين الف كتاب لانشاء مكتبة في مدينة بوستن . فبنيت وتجدد بناؤها سنة ١٨٩٥ وزيد عليها دائرة تحفظ فيها تقارير القناصل الامركيين ونوابهم الذين يعوّل عليهم في نشر التجارة في البلاد الاجنبية فانهم يكتبون تقارير مسهبة عن تجارة البلاد التي هم فيها ويذكرون ما يروج هنالك من البضائع واسباب رواجها والالوان او الاشكال الموافقة لذوق اهاليها ويبدون آراءهم في ما ينتظر من هبوط الاسعار او صعودها وهكذا يتمكن التاجر الاميركي من الوقوف على احوال التجارة في كل اصقاع المعمور

وتلقى في تلك المكاتب خطبٌ في مواضيع شتى مما يوافق ذوق الجمهور وترسل منها الى معلمي المدارس وتلامذتها كتبٌ في المواضيع التي يهمهم البحث فيها والى منتديات الامهات كتب في كيفية الاعتناء بالاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل والصحة وغير ذلك من الكتب المفيدة فيطالعها النساء في بيوتهنَّ لان اشغالهنَّ لا تسمح لهنَّ بالذهاب الى المكاتب . وقد أُنشئ فروع لهذه المكاتب في جهات مختلفة تكفي النساء مشقة السفر الى المكاتب الكبرى لتسليم الكتب المقروءة واستلام غيرها

قلنا ان هذه المكاتب ترسل كتبًا الى معلمي المدارس وتلامذتها وقد دعا هذا الامر الى انشاء مكاتب خصوصية للاولاد يباح لهم ان يختاروا ما يشاؤون من كتبها للمطالعة وليس هنالك ما يخشى منهُ على آدابهم اذ ليس فيها كتبٌ خارجة عن حد الآداب . وقد أُقيم في مدينة بوستن عشرون شخصاً من الرجال والنساء لمطالعة الكتب الجديدة قبل وضعها في تلك المكاتب لئلا يكون فيها ما ينافي الآداب وان اختلف هؤلاء العشرون في آرائهم فيها فلمديري المكتبة

الحق في قبولها او رفضها . ولا نقبل فيها كتب المطاعنات الدينية ولا كتب المجادلات ولا الكتب التي تولد في الانسان روح الزهد والقنوط . وتكثر فيها الروايات الخالية مما يشين الآداب ككتب سِيَر العظماء والسياحات ومبادىء العلوم الطبيعية والتاريخ وكتب الحكايات على انواعها لان الصغار يرغبون فيها . ويحق لكل من كان عمرهُ تحت السادسة عشرة الدخول الى منتدى الاولاد واخذ الكتاب الذي يريدهُ بشرط ان يرجعهُ الى مكانهِ بعد الفراغ من مطالعتهِ . ويُسمح لمن كان عمرهُ فوق الثانية عشرة باخذ كتبٍ يطالعها في بيتهِ بشرط ان لا تُجاوز مدة المطالعة وقتاً محدوداً هو في الغالب اسبوعان . فاذا اساء استعمالها او فقدها او اخَّرها غُرِّم . وهذا قليل الحدوث لدقة الاولاد في محافظتهم على الكتب والاوقات . ويسمح لمن كان فوق العاشرة باستعمال المعجمات وما يماثلها بطلب رسمي من معلمهِ

واذا قربت ايام الاعياد والمواسم عُلّقت في المكاتب صور وشروح تاريخية متعلقة بذلك العيد او الموسم . فاذا احتُفل مثلاً بتذكار واقعة حربيَّة عُلِّقت اخبارها في مكاتب الاولاد ومعها صور القواد والضباط الذين اشتهروا فيها ونحو ذلك حتى يرسخ تاريخها في اذهانهم وشُفع ذلك باشارات الى الكتب التي تحوي اخبار تلك الواقعة . وفي الاحتفال بمولد العظماء كشكسبير وملتون ونيوتن ولابلاس ووشنطون تُنشر صورهم ويُذكر ما عملوهُ من الاعمال العظيمة . ويسمح للاولاد حينئذٍ ان يعرضوا ما عندهم من ازهار ونباتات ورسوم وغيرها فيُمنحون الجوائز عليها

وفي بعض المكاتب يفرض على الاولاد ان يذهبوا اولاً الى بيت الغسيل لينظفوا اياديهم قبل ان يمسكوا الكتب . ويعطون علامات مخصوصة كالشرائط الحريرية ونحوها يضعونها في الكتاب ليتذكروا المكان الذي وصلوا اليهِ في قراءتهم من غير ان يثنوا اوراقهُ . وكثيراً ما يكون مكتوباً على تلك العلامات جملٌ حكمية تتخذها المكتبة شعاراً لها . فالعلامات التي تستعملها مكتبة كلفلند مثلاً مكتوب عليها " قلوب طاهرة وايدٍ نقية وكتب نظيفة "

وقد ظهرت فائدة هذه المكاتب بانها جعلت الاولاد يشبُّون على اللطف والدعة والنظافة والاعتراف بالجميل مع الرغبة في العلوم والمعارف. وعلى هذا النمط يزيد ارتقاء الامة الاميركية لان وسائل التعليم والتهذيب ميسورة لجميع اعضائها حتى الاطفال . فعسى ان يكون في ذكرنا ذلك عبرة لاهالي المشرق الذين اذا قصدوا عمل مبرة اوقفوا اموالهم على اطعام الكسالى والمنقطعين للعبادة فلا تنفعهم ولا تنفع بلادهم

تركيب الانسان

المرء مطبوع منذ حداثته على البحث والتنقيب للوقوف على الاسرار والمخبئات . فاذا اعطيت صبيًا لعبة تراهُ لا يهدأ لهُ بال حتى يعلم كيفية تركيبها وتحركها ولو ادَّى ذلك الى تكسيرها وتخريبها . ومن الغريب ان الانسان لايدع شيئًا حولهُ حتى يتأملهُ ويدرسهُ اما تركيب جسمهِ فقلما يكترث لهُ وقد لا يعرف عنهُ سوى ما يتلقنهُ عنهُ في المدارس من المصطلحات العلمية والمسميات الاعجمية حالة كونهِ من ابدع ما خلق الخالق ودرسهُ من الذّ الدروس واشهاها . ولذا عنيت بجمع طرف مما وصل اليهِ بحث العلماء في هذا الشأن وافرغتهُ في قالب قريب المأخذ تفكرة للذين يودون معرفة انفسهم بغير ان يتكلفوا عناء المطالعة في المطولات

جسد الانسان مؤلف من بعض الغازات والسوائل والجوامد وهو على اختلاف انواعهِ ودرجاتهِ من الزنجي الى القوقاسي ومن الملك الى الصعلوك ومن الحكيم الى الجاهل مؤلف من عناصر متماثلة لا تفرق في الواحد عما هي في الآخر

وهو وان ظهر للعيان جامدًا فاكثرهُ مؤلف من غازات اذا أفلتت منهُ ملأَت وعاء كبيرًا اتساعهُ ٣٦٤٩ قدمًا مكعبةً . والعناصر الرئيسية التي يتركب منها ثمانية خمسة منها غازيَّة. وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكلور والفلور . وثلاثة جامدة وهي الكربون والجير والفصفور . وفيهِ غير ما تقدم كميات قليلة من ستة عناصر اخرى . وهي الحديد والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والسليكون والمغنيسيوم . ومجموع ذلك اربعة عشر عنصرًا . وقد يوجد في بعض الاجسام مقادير صغيرة جدا من عناصر اخرى دخيلة عليها كالنحاس والالومنيوم والمنغنيس والرصاص والزئبق والزرنيخ والليثيوم

وهاك نسبة الاربعة عشر عنصرًا بعضها الى بعض في جسم الانسان المعتدل [1] مرتبة بحسب مقاديرها :—

	قمحة	اوقية	رطل
اوكسجين	٠	٠	١٠٦
كربون	٠	٨	٢١
هيدروجين	٠	٨	١٣
نيتروجين	٠	٨	٤

(١) اطلقنا عبارة الجسم المعتدل هنا على الانسان الذي يبلغ وزنهُ ١٥٠ رطلاً مصريًا

	قمحة	اوقية	رطل
جير	٠	٠	٢
فصفور	٠	٨	١
كلور	٠	٤	٠
صوديوم	٠	٣	٠
كبريت	٢٤٠	٣	٠
فلورين	٠	٢	٠
بوتاسيوم	٠	١	٠
حديد	٤٨	٠	٠
مغنيسيوم	١٢	٠	٠
سليكون	٢	٠	٠
مواد اخرى	١٧٨	٣	٠
والمجموع	٠٠٠	٠	١٥٠

"والاوكسجين" اهم تلك العناصر واكبرها مقداراً ويدخل في تركيب اللحم والعظم. وهو منضغط ضغطاً شديداً في الجسم فان حجمهُ الطبيعي لو أفلت منهُ يملأُ انبوبة زجاجية اتساعها من الداخل قدم مربع وطولها ١١٩١ قدماً اي نحو ربع ميل. واذا افرغناهُ في براميل اقتضى ٢٠٢ يسع كلٌّ منها ٣٦٠ رطلاً

اما "الهيدروجين" فاعظم حجماً من الاوكسجين لكنهُ اخف منهُ وزناً. ففي الجسم المعتدل من الهيدوجين ما يكفي لطيران بالون يحمل ذلك الانسان والمركبة التي يجلس فيها . وحجمهُ يساوي ٢٤٠٠ قدم مكعبة وهو يملأُ غرفة ارتفاعها عشر اقدام وطولها ١٥ ١/٣ قدماً في مثلها عرضاً

"والنيتروجين" لا يزيد مقدارهُ في الجسم على نصف اوقية في كل رطل منهُ . اما حجمهُ عند افلاتهِ فيبلغ عشرين ضعفاً من الجسم اي ٥٨ قدماً مكعبة ومع ذلك فانهُ لا يشغل فيهِ سوى بضعة عقد مكعبة . ومن خواصهِ العجيبة انهُ يكرهُ الاتحاد مع غيرهِ من العناصر ولذلك أُطلق عليهِ اسم الازوت اي العنصر العديم الحياة . امَّا اذا أُكره على الاتحاد فحينئذٍ تظهر قوتهُ وتجلى فعلهُ فيفيق من سكونهِ ويهبُّ بفرقعة شديدة ويصبح اشدَّ العناصر فعلاً . واليهِ ينسب فعل جميع المواد المفرقعة المعروفة كمركَّب النيتروجليسرين او مركَّب كلوريد النيتروجين الذي هو اعظم المتفرقعات فتكاً واكثرها خطراً فانهُ يشتعل بمجرد وقوع اشعة الشمس عليهِ

اما في الجسم فينسب اليهِ فعل الدماغ والاعصاب وذلك بواسطة اتحادهِ مع عناصر اخرى ومنهُ تبدو كل ظواهر الحياة والنشاط مع انهُ في حدّ ذاتهِ مثال الموت وعدم الحياة

"والكربون" — وهو آخر العناصر التي تشغل حيزًا كبيرًا من الجسم — ووزنهُ ٢١ رطلاً ونصف رطل. وهو وقود الجسم فمنهُ نستمد الحرارة وبهِ نستعين على الحركة وعليهِ تتوقف حياتنا الحيوانية

ويتضح مما تقدم ان الاربعة العناصر السابق ذكرها يتألف منها ١٤٥ ١/٢ رطلاً من جسم الانسان المعتدل القامة وتدخل في تركيب الدم واللحم والعظم. اما العشرة العناصر الباقية فلا يزيد وزنها كلها على اربعة ارطال ونصف رطل الاَّ انها غاية من الاهمية للحياة لا غنى للجسم عنها كما سيجيء

ففي الجسم رطلان من "الجير" و ٢٤ اوقية من الفصفور ولولا هذان العنصران لما انتصبت قامة الانسان ولا سار على قدميهِ بل عاش رخو العظام لينها يزحف كالدبابات على وجه البسيطة. وعليهِ فرطلا الجير في الانسان هما علة ايجاد المعامل واصطناع الآلات في العالم وسبب انشاء السفن ومدّ السكك الحديدية وبهما اقيمت الابنية الشاهقة وعمرت الممالك الآهلة. ولو خلق الانسان بدونهما لكان مأواهُ شقوق الارض ومغاير الجبال يخرج منها صباحًا ليلتقط البقول والاثمار واوراق الاشجار ويدبُّ اليها ليلاً للمبيت والالتجاء

اما "الفصفور" فمن غريب امرهِ انهُ رغمًا عن كونهِ سمًّا زعافًا يحوي الجسم منهُ رطلاً ونصف رطل في عظمهِ ولحمهِ وعصبهِ بغير ان يتأثر من فعلهِ السام مع ان كمية كهذه تكفي لقتل سكان قرية من القرى الكبيرة عن بكرة ابيهم اذا هم تناولوهُ. او تكفيهم ليعملوا منهُ ما يلزم لهم من عيدان الفصفور لانهُ يصنع من هذا المقدار الصغير ٨٠٦٤ علبة من العيدان في كل منها ٦٠ عودًا. وفائدة الفصفور للعظام انهُ باتحادهِ مع الجير والاكسجين يكوّن ما يعرف بفصفات الكلس وهي مادة صلبة جدًّا واليها تنسب متانة العظم وصلابتهُ. واما فعلهُ بانسجة الجسم الاخرى فلم يكشفهُ العلم للآن تمامًا لكن هذا الفعل كبير ودليل ذلك انهُ اذا نقصت كمية الفصفور في جسم الانسان انحرفت صحتهُ وفترت همتهُ ولا تعاودهُ قوتهُ الاَّ اذا استردَّ القدر اللازم منهُ بواسطة المداواة والتغذية. وقد ذهب جمهور من العلماء ان من هذا العنصر تتولد القوى العقلية في الدماغ ومما لا ريب فيهِ ان للفصفور فعلاً شديدًا في القوى العصبية

"والحديد" ضروري جدًّا لحياة الجسم فلولاهُ لعجز الدم في دورتهِ عن نقل الاكسجين من الرئتين الى جميع اطراف الجسد. واذا استخرجناهُ من جسم اشد الرجال بأسًا وقع بعد

برهة ميتاً مع ان كميتهُ فيهِ لا تزيد على عُشر اوقية اي ما يعادل اربعة او خمسة من المسامير الصغيرة

والخلاصة ان الحكمة الالهية قضت بان كل عنصر في الجسم يكون ضرورياً للحياة سواءٌ كان مقدارهُ فيهِ كبيراً او صغيراً ولذا يتعذر علينا تفضيل احدها على الآخر . ويطول بنا الشرح لو اتينا على الفوائد الكثيرة التي يجنيها الانسان من كلٍ من بقية العناصر البسيطة الداخلة في تركيب جسمهِ وهي الصوديوم والبوتاسيوم والكبريت والكلور والفلور فنقصر الكلام على المواد التي تتركب من اتحاد عنصرين فاكثر معاً اذ قلما نجد عنصراً بسيطاً يسرح في الجسم مستقلاً عن غيرهِ الاَّ اتفاقاً كبعض آثار من الاكسجين او النيتروجين او قليل من دقائق الكربون في الرئتين . بل نراها كلها متمازجة بعضها مع بعض بكميات مختلفة واشكال متنوعة . وميلها الى الاتحاد شديدٌ طبيعيٌّ لا تنفصم عراهُ الا بفعل كيماوي قويّ . وما قوى الانسان سوى تحويل بعض اشكال تلك المواد المركبة الى اشكال اخرى ابسط منها . ولا يخفى ان تركيب هذه المواد يتمُّ في المملكة النباتية بفعل الشمس ثم تنتقل من النبات الى الحيوان بطريق الغذاء

و" الماء الزلال " اكثر العناصر المركبة في الجسم واهمها . وهو مؤلف من اتحاد جزئين من الهيدروجين بجزء من الاوكسجين . وتبلغ كميتهُ في الجسم المعتدل من ٩٠ الى ٩٦ رطلاً وفوائدهُ للحياة متعددة لكن اعظمها ما يأتي :

من المعلوم ان القسم الاكبر من العظام والدهن يتألف من مادة غير آلية اي لا حياة فيها . اما المادة التي تجعل الجسم حياً فهي " البروتوبلازم " ومنها يتركب الجزء الاعظم من العضل والدماغ والعصب والرئتين والقلب الخ . والبروتوبلازم ملايين من الكريات الصغيرة مرصوفة الواحدة بجانب الاخرى وملتحمة بعضها ببعض على انساب مختلفة . وهي لا تعيش الاَّ في الماء كالسمك واذا أُخرجت منهُ ماتت في الحال . فحيثما يكون البروتوبلازم في الجسم (وهو في جميع اجزائهِ تقريباً) تراهُ غارقاً في مسيل من الماء الجاري يقضي فيهِ كل مدة وجودهِ

والماء فضلاً عما تقدَّم ضروري لكل عمل يأتيهِ الجسم فهو الذي يحلل الطعام ويحمل كريات الدم ويرطب الاغشية المبطنة للفم والانف والحلق وكافة الجدران الداخلية . وهو الذي يتجمع كوسادة حول القلب واعضاء البطن فيصونها من العطب ويخفف حرارة الجسد عند تبخرهِ في شكل العرق الى غير ذلك من المنافع الجزيلة . وكلما غزرت كمية الماء في الجسم زادت الحياة نشاطاً فاليهِ ينسب ميل الاولاد الى كثرة الحركة والى قلتهِ في الشيوخ يعزى بطوء حركتهم

" وملح الطعام " لهُ شأن عظيم في الجسم وهو من جملة المواد المركبة فيهِ ويتألف من امتزاج عنصر الصوديوم الجامد بعنصر الكلور الغازي . ويظهر انهُ ضروري لحياة كل عضو من الاعضاء وهو موجود في الدم والعضل وسائر السوائل والجوامد. وفائدتهُ انهُ يهيئ السوائل لتمرّ في ادق الاوعية ويساعد في تحويل الغذاء من المعدة والامعاء الى مجرى الدورة الدموية وفي انتقال الدم من اطراف الشرايين الدقيقة الى الانسجة المختلفة . وقد دلنا الاختبار على انهُ اذا حُرِم الانسان من ملح الطعام اعتلّ جسمهُ سريعاً وانتهى الى الموت . وكميتهُ العادية في الجسم نحو ست اواقٍ او سبع فقط ومع ذلك فان الانسان لا يحرص عليهِ بل يفرّط فيهِ ويضيع منهُ نصف اوقية يومياً

" والصودا اوكربونات الصودا " مادة مركبة من اتحاد الصوديوم بالكربون والاكسجين ولها فعل عظيم لاغنى عنهُ البتة . فان كمية صغيرة جدًّا منها تدور مع الدم ذائبة فيهِ الى جميع اجزاء الجسد كالكنّاس الذي يسير في الطرق ليجمع الزبالة فتقبض على كل ما تعثر بهِ من ذرّات الحامض الكربونيك السام وتحملهُ الى الرئتين لتطردهُ مع الهواء الى الخارج . وهذا الحامض السام يتولد بلا انقطاع في الجسم كما عمل عملاً شاقًّا كان او طفيفاً فكل خفقة في القلب وارتفاع في الصدر بل كل ثنية اصبع او اغماض عين يفرز جزءا من الحامض الكربونيك. واذا لم يبادَر الى تطهر الجسم منهُ اولاً فأولاً تجمَّع فيهِ سريعاً في بضع دقائق واوردهُ حتفهُ. والصودا من المركبات التي تكوّن العظام والاسنان بامتزاجها مع فصفات الكلس وفصفات المغنيسيا وفلوريد الكلس

وفي الجسم املاح كثيرة غير ملح الطعام تتولَّد باختلاط الصوديوم والبوتاسيوم والالومينيوم مع الهيدروجين والاكسجين . وفائدتها انها تحفظ الدم وبقية السوائل في حالة قلوية دواماً اي انها تقي اجسامنا من احد الاخطار التي تهدد حياتنا لانهُ اذا استحال الدم يوماً الى حامض خمدت انفاسنا في الحال . ومن تلك المركبات ايضاً " كلوريد الامونيوم " وهو للجسد كالبهار للطعام . ومنها " كلوريد البوتاسيوم " " والحامض الهيدروكلوريك " وهذا الاخير من المواد الاساسية لحفظ الحياة فيتركب منهُ كمية صغيرة في المعدة عند اللزوم لقتل اكثر انواع الميكروبات السامة التي تدخل الجوف مع الطعام وهو يمنع الاختمار ويساعد الهضم. وفي اجسام المتمدنين مركَّبات اخرى " كالحامض البوريك " " والحامض السليسيليك " نستخرجها من اللبن والزبدة واللحوم لكنها لا تدوم فيها طويلاً . وكذلك نستخلص الحديد والنحاس والانتيمون والزرنيخ مما يتناولونهُ من الشاي والبيرة والخضر المخللة وما اشبهها

هذا وكل المركبات السابق ذكرها وكثير غيرها مما لم نذكرهُ تعرف بالمواد غير الآلية (اي المستمدَّة من المملكة الجمادية التي لا حياة فيها) . اما المركَّبات الآلية (المأخوذة من المملكتين النباتية والحيوانية) فمتعددة ايضاً وهي تتألف من المركَّبات غير الالية كما تتألف هذه من العناصر البسيطة . واكثر المواد الآلية حوامض توجد في الجسم بكميات صغيرة جدًّا ولولاها لذابت الاجسام كقطعة من السكر

"فالبروتئيد" — او المادة الزلالية وقلما تختلف عن بياض البيض — من المركبات المؤلفة من اتحاد بعض الاملاح والحوامض والعناصر المارّ ذكرها . وهي المادة الحية في الجسم وتدخل في تركيب العضل والقلب والرئة والدماغ والعصب والدم وتوجد في كل جامد وسائل ما عدا الصفراء . والبروتئيد يدخل الجسم من اللبن واللحم والبيض والسمك وبكميات قليلة من الخضر . ومن مميزاتهِ انهُ يحتوي على النيتروجين

وربما كان اقرب تعريف للحياة انها فصل الكربون والنيتروجين من البروتئيد . وما التفكّر وتأليف الكتب والقاء الخطب وابتكار المخترعات والاهتداء الى المكتشفات وغير ذلك من افعال العقل سوى انفصال الكربون عن النيتروجين في دماغ المؤلف والخطيب والمخترع والمكتشف الخ

"والنشاء" "والدهن" يتناولها الجسم من الطعام ايضاً . ويتركبان من كربون واكسجين وهيدروجين على نسب معلومة وتمرّ عليهما بعد دخولها الجسم تقلبات عجيبة . فاغلب الدهن يلتقي في الاحشاء بمادة قلوية جاءت اليها عمدًا من الكبد والبنكرياس لتتحد بهِ ويكوّنان مركبًا اشبه بالصابون وتخلَّف عنهما كمية من الجليسرين ايضاً . ولا يصعب على الجسم ان يصطنع الدهن من نفسهِ اذا قدِّمت اليهِ لحمًا هبرًا او غذاء نشويًا او سكرًا فيحولهُ الى دهن نقي عند الاقتضاء . وكذلك ينقلب النشاء في الجسم الى سكر باتحاد قليل من الماء بهِ لان السكر نشاء وماء متحدان معاً . ومتى بلغ السكر الدم فإما ان يحترق في الانسجة او يظلّ سائرًا الى الكبد حيث يخرج الماء منهُ ويعود نوعاً من النشاء . وعند ما يشعر الانسان بالجوع يتحول هذا النوع من النشاء الى سكر ثانية ويدخل الدم ويحترق فيهِ ويتحول الى حامض كربونيك وماء . فالسكر في الجسم كقطع النقود الصغيرة في الجيب تنصرف سريعاً ولكن كميتها فيهِ تبقى قليلة على الدوام . اما اذا اراد الجسم ان يكون مقتصدًا حوَّل السكر الى مادة تعرف بالإينوسيت وهي حلوة نظيرهُ لكنها لا تذوب في الماء فتبقى طويلاً في الكبد والطحال والرئتين والعضل وتكثر في ابدان المدمنين على الاشربة الروحية

ومن المركبات الآلية الاخرى في الجسم "الكحول" ويوجد في الدم والصفراء والعضل والدماغ . "والصمغ" ويوجد في الغدد التي تفرز اللعاب وفي الرئتين . "والبسين" الذي يهضم الطعام في المعدة . ونوع او نوعان من "الخمير" . وكذلك "الاصبغة" التي تكسب الشعر والعينين الوانها . ومن المقرر انهُ لا قدرة للجسم على اصطناع هذه المركبات من المواد التي تتألف منها بل ترد اليهِ جاهزة . وغاية ما يعملهُ انهُ يحوّل مادة مركّبة الى اخرى ابسط منها

ولا شبهة في ان "الدم" يُصنع داخل الجسم وان كانت طريقتهُ لم تعرف تماماً حتى الآن . واذا خسر المرء رطلاً من دمهِ استعاضت الاوعية عنهُ حالاً برطل من الماء تمتصهُ من الانسجة ثم تشحنهُ سريعاً بالعناصر اللازمة ليقوم مقام الدم المفقود . فمقدار الدم ووزنهُ ثابتان في الانسان الواحد لا يتغيران في حالة الصحة وان اختلفا غالباً باختلاف الاشخاص . ونقدر كمية الدم بجزء من اربعة عشر الى جزء من اثني عشر من ثقل الجسم المعتدل اي بين ٤/٣ ١٠ الرطل و ٢/١ ١٢ رطل . ونسبتهُ اقل من ذلك في جسم المرأة وفي جسم الرجل السمين

ومن غريب اعمال الجسم انهُ يستخلص من المادة الواحدة — وهي الدم — جميع المواد اللازمة لبناء كل عضو من اعضائهِ المختلفة . فينتقي منهُ المركبات المشتملة على الجير والفصفور والاكسجين والهيدروجين والكربون لعمل "الهيكل العظمي" وهو دعامة اعضائهِ وسندها ويبلغ وزنهُ ١٤ في المئة او نحو سبع جسم الرجل و١٣ في المئة او نحو ثمن جسم المرأة اي انهُ ٢١ رطلاً في جسم الرجل المعتدل

ويتناول الجسم مواد اخر من الدم لتركيب "العضل" وهو يحتوي على نصف كمية الماء ونصف مادة البروتيد في الجسم كلهِ ووزنهُ يبلغ ثلاثة اسباع الجسم اي نحو ٦٣ او ٦٤ رطلاً

ويستخرج الجسم "الدهن" من الدم تام التركيب في الغالب ويخزنهُ الى وقت الحاجة ثم يستعملهُ كغذاء . والدهن اكثر المواد تغيرًا في مقدارهِ فيختلف مقدارهُ في الشخص الواحد سريعاً باختلاف الصحة والهواء والطعام والعمل وغير ذلك من تقلبات الحياة . لكنهُ يعدل بين جزء من اربعين وجزء من عشرين من الجسم اي بين ٤/٣ ٣ و٢/١ ٧ من الارطال

وما بقي من وزن الجسم يقدر بنحو ٥٠ رطلاً كما تراهُ في الجدول الآتي على وجه التقريب

الهيكل العظمي	٢١	رطلاً
العضل	٦١	"
الدهن	٥	"

الدم	١١ رطلاً
الكبد والرئتان والقلب والطحال والبنكرياس والكليتان والاحشاء والدماغ والاعصاب والجلد والشعر و الاظافر	٥٠ "
والمجموع	١٤٨ "

والخلاصة ان بناء الانسان لجسمهِ يضادّ على خط مستقيم بناء الاشياء التي يعملها لنفسهِ. فهو يشيد القلاع مثلاً من الصخر الاصمّ لكي تظلّ قائمة اعواماً عديدة ويبني السفن من الحديد الصلب حتى تقاوي الدهر زماناً طويلاً اما جسمهُ فيبنيهِ ليتلف سريعاً فلا شيء ثابت فيهِ بل هو عرضة لتحليل وتجديد مستمرين ما عدا عظامهُ واسنانهُ . يعمّر البيت من الحجر والجير والرمل بغية ان تدوم راسخة فيهِ طالما هو مشيد الاركان ويقيم جسمهُ من مواد كهذهِ وغيرها ولكن لكي تقاتل بعضها بعضاً وتعمل الواحدة منها على هلاك الاخرى . وما الحياة سوى زحام وعراك

يوسف بشتلي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

سباق الكاس الاميركية

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في مقتطف اكتوبر مقالتكم عن سباق اليختين الانكليزي والامركاني في ميناء نيويورك في شهر اغسطس الماضي ولما كنت قد شممت منها رائحة ميلكم الى الظن ان اليخت الانكليزي شمروك الثالث اقلّ سرعة من اليخت الاميركاني جئتكم بهذه الاسطر لاذكر ما علمتهُ عن هذا السباق من ارباب الفن الذين يعوَّل عليهم في هذه الامور

ان هذا السباق لا يدل على ان اليخت الانكليزي اقل سرعة من اليخت الاميركاني . وما دامت الشروط المفروضة على ما هي عليهِ الآن لا يؤمل نجاح يخت انكليزي لسببين مهمين —

الاول لان احد الشروط يقضي بان يبنى اليخت في بلاد الانكليز ويؤتى بهِ الى نيويورك على قماشهِ (كما هو معروف في اصطلاح البحرية) وان لا تجرهُ باخرة الاَّ ان سكنت الريح اياماً محدودة وهذا نادر جدًّا في الاوقيانوس الاتلانتيكي . ولا يخفى على احد ان يخت السباق كفرس السباق فكما ان تكون هذه ضئيلة نحيفة لا تصلح لجر الاثقال او الركض على الارض الوعرة بل على ارض السباق المستوية كذلك اليخت يبنى من موادّ خفيفة يؤثر فيها اقل طارىءٍ يطرأ عليها . فسفر اليخت من بلاد الانكليز الى اميركا على قماشهِ مدةً لا تقل عن خمسة عشر يوماً في الاوقيانوس يضرُّ بهِ ضررًا عظيماً لان امواج المحيط الهائلة تلطمهُ كل يوم الف لطمة والرياح تدفعهُ من جهة الى اخرى فلا يصل الى اميركا الاَّ وقد تغيرت خطوطهُ الاصلية واختلَّ الحساب الذي بني عليهِ . ويعلم القارىءُ مقدار ذلك الخلل مما طرأ على احد هذه اليخوت اذ وصل الى اميركا وقد اعوجَّ كالقوس فاصبح اقل صلاحية للغرض الذي عمل لاجلهِ . فان تغيرت شروط السباق الحالية وسُمح بارسال اليخت الى اميركا على ظهر احدى البواخر ليصل على حالتهِ الاصلية قوي الامل بعودة الكاس الى بلاد الانكليز

والثاني ان ربان اليخت الانكليزي وبحريتهُ هم اقل خبرةً باحوال ميناء نيويورك من سابقيهم الاميركان ولهذا يسهل الفوز لهؤُلاء لانهم ادرى بساعات هبوب الريح والجهات التي تهب منها ومدة دوامها وغير ذلك من الامور التي تتعذر معرفتها على الغرباء غير الخبيرين باحوال ذلك الميناء

وربما كان هناك سبب ثالث وهو ان الاميركان يبنون عدة يخوت يمتحنونها اولاً ويعينون السابق منها لمسابقة اليخت الانكليزي ولا يخفى على اللبيب اهمية ذلك . فترى مما تقدم ان هذا السباق ربما دام الى ما شاء الله ولا يكون فيهِ الفوز للانكليز ما دامت شروطهُ هي هي . على ان ارباب السفن يعلمون ان هذا لا يبرهن عجز الانكليز عن بناء يخت يضاهي اليخت الاميركاني في السرعة

وقد انبأنا البرق حديثاً ان السر توماس لبتون اقترح ان يجري سباق بين اليخت الانكليزي والاميركي من اميركا الى انكلترا لتحقيق افضلية احدهما . فاذا اجيب اقتراحهُ فسيرى العالم ان انكلترا كانت ولا تزال ربة البحر مهما ارتقى غيرها من الامم في علوم البحر . واقبلوا فائق احترامي

الاسكندرية احد القراء

العربية والمدرسة الكلية

طالعت الخطبة الانيقة التي فاه بها حضرة الاستاذ جبر افندي ضومط عن اللغة العربية في المدرسة الكلية ونُشرت في الجزء الاخير من المقتطف فاعجبت بالادلة التي اقامها لتبرير ما فعلتهُ المدرسة من نقلها التعليم الى اللغة الانكليزية ولا اقول انهُ الجبان خلا بارض فانهُ فارس الجدَل وإمام البحث وبعيد عن الظن انهُ لم يفرض قيام المنتقدين والمعارضين ولكن هل ذكر كل ما يُحتمل انهم يعترضون بهِ عليهِ ودفع حججهم باقوى منها حتى لا يبقى سبيل لقائل . لننظر في ما احتجَّ بهِ نظر المنصف قال : "انهُ لما رأت عمدتنا ودائرة مديريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكلوريساً وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سد حاجة البلاد الوقتية . . . وان ما زاد على هذا العدد مالم يكونوا متقنين لغة اجنبية لايجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالةً على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية"

وهذا تعليل حسن لكنهُ اعرج من وجهين الاول ان مديري المدرسة ابدلوا العربيَّة بالانكليزية لانهُ تعذَّر على مَن جدَّ من اساتذتهم الاميركيين اتقان العربيَّة ليعلّموا بها ويؤلفوا ولم يتيسَّر للمديرين ان يتخذوا الاساتذة من الوطنيين . والثاني ان الانكليزية لم تكن شائعة حينئذٍ في سورية ولا في البلاد التي يرجى ان يصل اليها السوريون ولا كانت المهاجرة الى اميركا شائعة ولا كان المديرون انبياء حتى ينبئوا باحتلال الانكليز لمصر وبقائهم فيها وتدويخهم للسودان واستيلائهم عليهِ . ولا أُنكر ان نتيجة هذا الابدال جاءت حسنة جداً ولكنها لم تكن مقصودة حينئذٍ ولو قصدت اليها عمدة المدرسة لابدلت العربية بالفرنسوية لان الحاجة الى الفرنسوية كانت حينئذ امس من الحاجة الى الانكليزية

ثم لو بقيت سورية آخذة في الارتقاء كما كانت في السنين الاولى من عهد انشاء المدرسة ولو بقيت مصر والسودان كما كانتا قبل الاحتلال او لو فاز عرابي وانشأ في مصر مملكة عربيَّة — وكل ذلك كان اقرب حصولاً حين ابدال العربيَّة بالانكليزية مما حصل بعدهُ فماذا كان يفعل ابناء المدرسة الكلية الآن بلغتهم الانكليزية . وغاية ما يقال في هذا الموضوع ان مديري المدرسة اضطروا الى عمل بحكم الضرورة حينما استعفى بعض اساتذتها ثم طرأ على مصر والشام طوارئ غير منتظرة جعلت ذلك العمل صالحاً لتلامذتها ولو خسرت بهِ بلادهم خسارة قد تفوق ما كسبوهُ

احد ابناء العصر الذهبي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

تكسر العظام

نعني بتكسر العظم كسرهُ الى قطعتين او اكثر . والعظام المستطيلة اكثر تعرضاً للتكسر كما في عظام الساق والذراع . ولكن الجمجمة قد تتكسر وكذلك الاضلاع والخطر من تكسرها اشد من الخطر من تكسر السوق والاذرع لانهُ اذا دخلت شظايا العظم الى الدماغ او الرئتين فقد تكون النتيجة مشومة

وقد ينكسر العظم الى قطعتين فقط او ينكسر الى عدة قطع فتخرق اللحم . وشرٌّ من ذلك ان يتحطم العظم فيتحول اللحم حولهُ الى هلام وتنقطع الشرايين وينزف دم المصاب حتى الموت ما لم يكن بقربهِ احد خبير بايقاف النزف

وايقاف النزف في هذه الحوادث يحفظ الحياة ولكنهُ لا يحفظ الاعضاء . لانهُ اذا تحطمت العظام وتمزَّق اللحم وانقطعت الشرايين فلا يبقى الاَّ البتر . وسآتي على كيفية ايقاف النزف في فصل آخر

ويمكنك ان تعرف بسهولةٍ ما اذا كان العظم قد انكسر حقيقةً او لم ينكسر لانهُ اذا انكسر يتغير شكلهُ في محل الكسر ويصير اقصر مما كان ويمكنك ان تسمع صوت اطراف العظام المنكسرة

وحينما يعرض عارض مثل هذا لا يبقى الاَّ ان تمنع الخطب من التفاقم . مثلاً اذا كان الكسر بسيطاً اي اذا انكسر العظم الى قطعتين فقط فيمكنك ان تمنعهُ من ان يصير مركباً . وذلك بان تمنع العظام من التكسر الى قطع متعددة وتمنع شظاياها من خرق اللحم والجلد واحداث الالتهاب . لان ذلك يمنع الجرَّاح من تجبير العظم المكسور . فاول ما عليك ان تفعلهُ اذاً المبادرة الى تثبيت العضو ومنعهُ عن الحركة

هذا هو الوقت الذي يجب على المرء ان يستعمل فيهِ عقلهُ والمواد التي تصل اليها يداهُ

لنفرض ان رجلاً سقط عن جوادهِ وهو يصطاد فكسر ساقهُ . فافضل ما يمكن لرفاقهِ حينئذٍ عملهُ ان يأتوا بقضيبين ويضعوها على جانبي ساقهِ المكسورة ويربطوها بالمناديل . ثم يخلع احدهم رداءهُ ويضع المصاب عليهِ وينقلونهُ الى اقرب منزل او يعود احدهم ويأتي بمركبة فيضعونهُ فيها ويضعون لوحاً من الخشب تحت الساق المكسورة ليسندها ويمنعها عن الاهتزاز ويسيرون بهِ الى البيت

انفرض ايضاً ان رجلاً كسر ساقهُ او ذراعهُ في احد شوارع المدينة . فاقرب شيءٍ يمكن عملهُ استعمال المظلات او العصي او الجرائد السميكة بعد لفها . ولكن مهما فعلت لا تحمل المصاب الاَّ على لوح او ما اشبه . حدث من عهد قريب ان رجلاً مرَّ قطار سكة الحديد على ساقيهِ فسحقهما فحملهُ رجل على ظهرهِ الى المستشفى وساقاهُ متدليتان في حالة يقشعرُّ لها البدن والدم ينزف منهما . ولا خلاف في انهُ كان لا بدَّ من قطع ساقيهِ ولكنهُ كان قد فقد مقداراً وافراً من الدم فمات بعد ساعات قليلة

فلو اعتُني بهذا الرجل من اول امرهِ ونُقل الى المستشفى بطريقة مناسبة لنجا من آلام مبرحة وسلمت حياتهُ

واذا أُعيد العظم الى مكانهِ فيسهل اذ ذاك تمريض المصاب لاسيما اذا وُضع العضو في الجبس او الجبار . فاذا كان العضو المكسور ساقاً وجب ان لا يكون الفراش كثير الليونة وعلى المصاب ان يبقى في الايام الاول مضطجعاً على ظهرهِ مستقيماً واما بعد ذلك فيمكنهُ ان يتحرك في الفراش ويقلب من جانبٍ الى آخر حينما يراد ترتيب فراشهِ وتنظيفهُ وبعد ان تضع يديك تحت الساق المكسورة وترفعها

واذا لم تتخذ الوسائط اللازمة في مداراة المريض فقد تصيبهُ قروح الفراش لان الجبس او الجبار لا ينزعان قبل مضي ستة اسابيع على الاقل . فعليك اذاً ان تتخذ كل التحوطات التي ذكرتها لك لمنع قروح الفراش . واذا لم يمكنك الحصول على وسادة هوائية فاصنع لك وسادةً لينة مستديرة مثقوبةً في وسطها

اما من جهة الطعام فيمكن للمصابين تناول ما يشاؤُون ولكن لانهم لا يكثرون من الرياضة فالافضل لهم ان لا يكثروا من الاطعمة

انكسار الجمجمة

اذا كان من السهل تمريض رجل انكسرت يدهُ او رجلهُ وجُبرت فليس من السهل تمريض رجل انكسر رأسهُ ولا سيما اذا كان المكسور قاعدة الجمجمة وكان هناك نزف دمٍ في الدماغ

ويستطيع الطبيب ان يعرف ما اذا كانت الجمجمة قد انكسرت او لم تنكسر ولكنهُ لا يستطيع ان يتأكد ما اذا حصل عاهة او نزف في الدماغ الأ بعد مضي ٢٤ ساعة . ويبني حكمهُ في ذلك على ما تخبره بهِ من مراقبتك لحالة المصاب . فاسمح لي اذًا ان اخبرك ما الذي يجب ان تراقبهُ وتطلع الطبيب عليهِ

اولاً لاحظ ما اذا كان الدم يخرج من الفم او الانف او الاذن . وقد يدوم خروجهُ ٢٤ ساعة ويتبين وجود النزف الدماغي من طول الوقت الذي يدوم فيهِ خروج الدم ولو كان ينقط نقطاً . فيجب عليك اذًا ان تلاحظ المدة التي يدوم فيها خروجهُ

ثانياً لاحظ ما اذا تبع الدم وهو جارٍ من الانف والفم والاذن سائلٌ ابيض صافٍ

ثالثاً لاحظ ما اذا كان العليل يحاول البلع فان كان كذلك فلا بد من وجود شيءٍ يبلعهُ . فقد يسيل الدم الى الحلق ويجري منهُ الى المعدة فلا يظهر للعين ولكن الملاحظ المدقق يكشف حالاً حركات البلع

وفي كل عوارض الرأس يلقى المصاب على ظهرهِ وتوضع وسادة واطئة تحت رأسهِ ويمال رأسهُ قليلاً الى احدى الجانبين وعليهِ ان يمتنع عن كل حركة

ويجب ان لا تسمح لاحد بدخول غرفتهِ وعليك ان تحاشى الحديث معهُ

ولا يغذى المصاب الأ بالاطعمة السائلة واذا امكن تبريدها فلا بأس . وناولهُ الطعام بالملعقة . والقليل من الطعام خير من الكثير منهُ

وقد يأمر الطبيب بكيس من الثلج فلا تنسَ ان تكسر الثلج الى قطع صغيرة وتغسلها بالماء لتذهب باطرافها الحادة ولا تكثر من وضع الثلج مرةً واحدة لئلا تثقل الرأس . ثم لاحظ الامور التالية وهي

اولاً ما اذا كان المصاب واعياً او كان ثمت شيء من دلائل الشعور

ثانياً الحركات التي يحركها بارادتهِ واي عضو يتحرك وفي اي جانب من جسمهِ

ثالثاً ما اذا اصابتهُ نوب او تشنجات واين وكيف تبدأ وهل هي في الابهام فان هذا يسهّل على الطبيب معرفة النقطة التي اصابها الاذى في الدماغ . واهم هذه كلها الحركة الاولى التي يتحركها المصاب

ولاحظ ايضاً لون المصاب وهل تحول لونهُ الى البياض الشديد او الى الزرقة او غير ذلك

انكسار السلسلة الفقارية

قد ينقطع الحبل الشوكي بسبب حمل ثقيل او سقطة عنيفة او غير ذلك . والفقرة السادسة

من السلسلة الشوكية معرضة للانكسار اكثر من سواها . واذا انقطع الحبل الشوكي بطل الحس في الجزء الاسفل من الجسم بانقطاع الاتصال بينهُ وبين الدماغ فتبطل الحركة

واذا حدث الانكسار فوق الفقرة السادسة فنتيجتهُ الموت العاجل . واذا ابنت لك ان السلسلة الشوكية (وهي الانبوب الطويل الذي يحيط بالحبل الشوكي) قد تنكسر وحدها ويبقى الحبل الشوكي داخلها سالماً اتضح لك انهُ من المهم جداً ان ينقل المصاب بكل تأنٍ واعتناء لانهُ اذا زادت الفقرات انكساراً ودخلت شظاياها الحبل الشوكي فالنتيجة اما الموت العاجل او انشلال الاعضاء السفلى

اما تمريض المصابين بهذه العوارض فانها من اصعب الامور . وقبل ان تضع المصاب على الفراش ضع تحتهُ ملاءة مطوية اربع طيات لكي يمكنك ان ترفعهُ عليها في الفراش ولكن لا لزوم لهذه الملاءة الاَّ اذا مست الحاجة اليها فيقف على كل من جانبي الفراش رجل ويمسك بطرفي الملاءة ويمسك ثالث برجلي المصاب فيرفعهُ الثلثة بكل اعتناء وتأنٍ

ولا بد من ان يوضع المصاب على ظهرهِ مستوياً ويوضع تحت راسهِ اوطأ الوسائد وتجد الممرضة اعظم صعوبة في كيفية وضع الكرمي (المستعملة) تحت المصاب والافضل ان لا يوضع الكرمي تحتهُ ولاسيما في اول الامر بل تضع يديك تحت عجزهِ وترفعهُ بلطف ثم يأتي آخر بخرقة سميكة ناعمة ويضعها تحتهُ حتى يقضي حاجتهُ عليها ولا بدَّ من ان يغسل عجزهُ جيدًا وتتخذ كل الوسائل الواقية من قروح الفراش

امنع المصاب عن كل حركة غير ضرورية واعطهِ في اول الامر غذاء قليلاً وخفيفاً

مرض بُط

ان هذا الداء العياء ويسمَّى مرض بُط نسبة الى الدكتور سيڤل بُط الذي وصفهُ اولاً يكثر حدوثهُ على اثر آفة تلحق السلسلة الفقارية لاسيما في الاطفال والفتيان والفتيات في سني نموهم ولكنهُ قد يصيب ايضاً الاولاد المصابين بالتدرن حتى من غير ان يعرض لهم عارض . فاذا عرض لعظم شيء اضرَّ بها او اذا ضعفت السلسلة الفقارية بسبب مرض حتى لم تعد تستطيع حمل الجسم مستقيماً فان ثقلهُ يدعو الى انحنائها فيشب الولد وهو محدودب الظهر

وفي بداية الامر لا تبدو لهذا الضعف دلائل خارجية ولكن يشكو الولد تعباً والماً حينما يتحرك فاذا سقط منهُ شيء فلا ينحني ليلتقطهُ بل يقعد القرفصاء ويلتقط ما سقط منهُ ثم ينهض . فاذا بدت عليهِ هذه الاعراض فعلى اولي امره ان يبادروا ويدعوا طبيباً لفحصهِ لانهم اذا اهملوا امرهُ تحمل آلاماً شديدة كان يمكن اجتنابها وشب محدودب الظهر

وتقتصر مداواة هذا الضعف غالباً على الادوية المقوية والاطعمة المغذية والاكثار من تناول اللبن والبيض وما شابههما وقضاء الوقت في الهواء النقي ولكن بدون ترويض الجسم على الاطلاق . ومن افضل طرق المعالجة ان يبقى العليل مضطجعاً على ظهره ولا تسمح لهُ ان يجلس في سريره ولا دقيقة واحدة . ويجب ان يكون الفراش مستوياً والوسادة واطئة وان يستلقي على الفراش مستقيماً . وقد يضعهُ الطبيب في جبار فيضطر الى البقاء بغير حركة ولكن يجب ان تنزع الجبار كل يوم ويغسل جسمهُ كلهُ وهذا يقضي عليهِ وعلى والدتهِ او ممرضتهِ بالتعب الشديد لان الولد يجب ان يتسلى ويلهو والاَّ فتكون حياتهُ عبئاً ثقيلاً عليهِ

ويجب ان يخرَج سريرهُ كل يوم الى حديقة او الى شرفة ويوضع في الشمس شتاء وفي الظل صيفاً

وقد يحدث خراجات في اربية الفخذ فيجب ان تُفتح وتنظَّف كل يوم وتضمد . واذا نقل المصابون الساكنون بعيداً عن البحر الى السواحل البحرية والساكنون على السواحل البحرية الى الجبال ينتج عن ذلك نفع جزيل . ولكن افضل العلاجات واحسنها الراحة التامة والصبر الجميل ولا سيما في البالغين الذين اصابهم هذا المرض لعارض عرض للسلسلة الفقارية . وواضح ان ما يكابدهُ البالغون اشد مما يكابدهُ الاولاد لان البالغين يتألمون من اجسامهم ومن افكارهم ايضاً

الحرق والسلق

لقد تعجب من قولي ان السلق الواسع شرٌّ من الحرق الضيق ولو كان الحرق اعمق من السلق . والسبب في ذلك ان من وظائف البشرة مساعدة الكليتين بالافراز فكلما اتسع السطح المتضرر كثر العمل على الكليتين وبالنتيجة زاد ما يكابدهُ الجسم من التعب

اذا رأيت انساناً لعبت النار بثيابهِ فافضل ما تفعلهُ ان تبادر الى ملاءة او سجادة وتلفهُ بها . هذه هي الطريقة الوحيدة لاطفاء مَن علقت النار بثيابهِ بدون ان تسبب لهُ اذًى . واكثر الناس يفقدون رشدهم اذا لعبت النار بثيابهم فيجرون على غير هدًى ولا يعلمون انهم بفعلهم هذا يزيدون اللهيب قوَّةً بتهويتهِ . فاذا لم يكن على مقربة ممَّن اصابتهُ النار احد فعليهِ ان يبادر الى شيء يلف بهِ جسمهُ فتنطفئ حالاً . وهذا العمل يمنع امتدادها ولكنهُ لا يرد ما قد سببتهُ من الاذى . فاذا كان الضرر قد حصل فهذا ما عليك فعلهُ . انزع الثياب عن المصاب بكل تأنٍ واعتناء لكي لا ينتزع الجلد معها ثم لفهُ ولا سيما القسم المحروق او المسلوق منهُ بثياب لمنع الهواء عن مس الجلد المحروق وضع قليلاً من مسحوق الحامض البوريك او ماء الورد في ماء سخن وضع العضو المحروق في الماء واغسلهُ باعتناء وامسحهُ بخرق من الشاش الناعم او

القطن المندوف واغمس خرقة بقليلٍ من زيت الزيتون النقي وضمد بها الجراح ثم ضع فوقها خرقةً ناشفةً واربطها الى ان يحضر الطبيب

وقد يأمر الطبيب بغسل الحروق يوميًّا في محلول البورق الفاتر او زيت اليوكالبتوس او ما شابههُ . فعليك ان تستعمل خرقةً ناعمة نظيفة او نسالة . مُد الدهون عليها بسكين نظيف مدًّا متساويًا واطوها وضعها في علبة نظيفة من التنك لتستعملها عند الحاجة . وتحتاج ايضًا الى قطن مندوف وربائط . ولا تدع الضماد يجف على الجرح فيسبب الماً مبرحًا وضررًا بليغًا . فاذا اردت ابدال الضمادات فبلّ الحرق اولاً لكي لا تنزع الجلد عند نزعها . واذا كانت الحروق كبيرة جدًّا فالمحروق في خطر بسبب وقوف القلب عن العمل . فعلى اولي امرهِ ان يعتنوا بهِ كل الاعتناء ويغذوهُ دائمًا باللبن والشاي . وقد تدعو الحاجة الى المنبهات اذا هبطت درجة حرارتهِ او أُغمي عليهِ

الاولاد ملوك الملوك

مهما علا شأن الملك او الامير او الوزير او العالم الكبير فان الطفل الصغير يملك عليهِ كما يملك هو على اوضع الناس واحقرهم . وقصص الملوك والامراء والوزراء والعلماء مع اولادهم واولاد اولادهم اكثر من ان تحصى ويستدلُّ منها كلها على ان الشأن الذي يكتسبهُ الانسان من سنهِ او مقامهِ او علمهِ واختبار يغفلهُ الطفل الصغير وينظر اليهِ كانسان مجرَّد عن كل هذه الزوائد وهو ينظر الى نفسهِ كذلك في حضرة الاطفال فيخلع ثوب العظمة ويعود الى الفطرة الاولى

اذكرنا هذا الموضوع فصلٌ قرأناهُ الآن في جريدة المرآة اليومية (الدايلي مرور) عن ملكة ايطاليا الشابة فان لها طفلتين وهي تترك ابهة الملك لاجلهما مع ما عندها من الخدم والحشم فلا يتكلم نساء ايطاليا عن حللها الفاخرة ولياليها الراقصة عشر معشار ما يتكلمنَ عن هاتين الطفلتين واعتنائها بهما . واذا زارها نساء ايطاليا فضلت الكلام مع الحديثات السن منهنَّ وكان كلامها معهنَّ على تربية الاطفال . وهي تقضي مع طفلتيها كل الوقت الذي تمتلكهُ وتقوم اليهما في الليل مرتين على الاقل

ملكة ايطاليا

رأينا بعد كتابة ما تقدم ان نلخص هذا الفصل كلهُ لان الملكة شرقية على نوع ما ويود نساء المشرق قارئات المقتطف ان يعلمنَ ما يكون شان اخواتهنَّ الشرقيات اذا تعلمنَ وتهذبن مع بنات الملوك ولبسنَ التاج مثلهنَّ

هي ابنة امير الجبل الاسود وقد صاهر ابوها الملوك مع ان سكان بلاده اقل من سكان جبل لبنان عدداً . ولدت سنة ١٨٧٣ وربيت في بيت ابيها مع مربية سويسرية علمتها اللغة الفرنسوية . وأُرسلت الى مدرسة سمولنا في بطرس برج وعمرها اثنتا عشرة سنة فدرست هناك اللغة الروسية والالمانية وعلوم الادب والتاريخ والموسيقى والتصوير ثم عادت الى الجبل الاسود حيث اتمت دروسها مع ابيها ومع سندسك الشاعر السربي . وقد ورثت من ابيها الميل الى نظم الشعر فنظمت اشعاراً كثيرة بالفرنسوية والروسية نشرتها في المجلة الروسية نداليا وفي غيرها من المجلات الروسية والفرنسوية تحت اسم مستعار معناه " الفراشة الزرقاء "

وهي مولعة بالصيد والرماية والالعاب الرياضية التي تجلو الصدر وتجيد الصحة . وقد سافرت مراراً الى درسدن وفينا وفنيس لدرس التصوير والتقت ببرنس نابلي ملك ايطاليا الحالي في احدى سفراتها وكان راغباً عن الزواج فلما رآها احبها واحبتهُ واقترنا سنة ١٨٩٦ . ونظم لما الشاعر سندسك السربي ابياتاً خاطب زوجها بها فقال ما ترجمتهُ

يا ابن الملوك الصيد سبط الخالد الا — قوال والافعال والآثارِ
يا ابن الكريم ومالك القطر الذي يسمو برونقهِ على الاقطارِ
قد جئتنا فسلبتَ اثمن درّةٍ من تاجنا في اعين النظّارِ

والحق يقال انها درّة ثمينة وهي زوجة ووالدة كما كانت وهي ابنة . وقبل ان تبوأ زوجها عرش الملك كان يقضي اكثر وقتهِ معها وكانت ايامهما كلها نعيماً وحبوراً لاشتراكهما في الاذواق والمشارب فهو يحب بساطة المعيشة ويكره ابهة الملك وهي كذلك مفطورة على حب البساطة وتكره الظهور والابهة فقضيا اكثر اوقاتهما في البحر اما في البحر المتوسط او في البحر الشمالي . ولم تتغير اطوارها بعد ان صارت ملكة ايطاليا . وخلاصة تاريخها من حين تزوجت الى الآن انها زوجة محبة لزوجها وامٌّ رؤوف على ابنتيها

وهي سوداء الشعر والعينين اجتمع فيها لطف امها وهمة ابيها

سلطة المرأة

كتب بعضهم في جريدة المرآة اليومية يقول ان الرجل الخاضع لسلطة المرأة يهزأ به الرجال دواماً وقد يهزأ به النساء ايضاً . ولا شبهة انهُ ليس من الحكمة وسداد الرأي ان يجعل الرجل رأيهُ خاضعاً لرأي زوجتهِ وارادتهُ طوع ارادتها لاسيما وانها غير مسؤولة عما يفعل مثلهُ . فانهُ يجب على المرء ان يكون حرّاً في افعالهِ ما دام هو مسؤولاً عنها لكن كل من ينكر فائدة آراء

النساء ولاسيما اذا تعلمنَ وتهذبن كمن ينكر نور النهار . وتأثير النساء في مصالح الناس للخير لا للشر لانهنَّ اقرب الى الفضيلة من الرجال واذا تعلمن وزاد الاعتماد على آرائهنَّ زاد النفع وقل الضرر

وقد قيل ان التي تهزُّ السرير تهزُّ العالم وهو قول مأثور والادلة على صحتهِ كثيرة لان للمرأة يدًا في كل مصالح الناس واعمالهم . والغالب انها هي التي تدبر اعمال الرجال وتحكّم في نتائجها . وما من رجل استشار امرأتهُ في اشغالهِ وتبع مشورتها ثم ندم على ما فعل . وهذا امر قلما ينكرهُ احد

واذا زاد علم المرأة واختبارها زاد شعورها بانها مسؤولة عما تشارك بهِ زوجها من الآراء والافعال وبانهُ يُطلَب منها ان تكون عضوًا عاملاً في الهيئة الاجتماعية وفي كل مصالح الناس بل ان مستقبل نوع الانسان متوقف عليها وهي التي تفرغ عقول الناس وافكارهم في القالب الذي تختارهُ . فامامها مطلب من اعز المطالب واسماها وقد يعزُّ منالهُ على كثيرات من النساء ولكن مجرَّد النظر اليهِ يرقي آمال المرأة ويشرّف مقاصدها

الحديث على المائدة

يقول علماء الفسيولوجيا ان الحديث على المائدة يسيغ الطعام ويسهل الهضم . ولعلَّ سبب ذلك انهُ يمنع انشغال البال الذي يوجب توارد الدم الى الدماغ وقلتهُ في المعدة . والغالب ان النساء اميل الى الحديث من الرجال حتى قيل ان الله لما خلق آدم وحواء ووضعهما في الفردوس انزل عليهما اثنتي عشرة سلة من الكلام فاسرعت حواء واخذت تسع سلال منها وابقت ثلاثًا لآدم الأ ان الابناء يرثون امهاتهم والبنات آباءهنَّ ومن ثم تساوى الفريقان في الميل الى الحديث رجالاً ونساء

والمرأة التي تولم وليمة في بيتها يكون همها الاكبر اذا ارادت ابهاج ضيوفها ان تفكهم بالحديث . فاذا لم تستطع ذلك ولا كان في بيتها من يستطيعهُ وجب عليها ان تدعو واحدًا مشهورًا بطيب الحديث وفكاهتهِ والاَّ فاذا جلس المدعوون على المائدة ولم يكن بينهم من يسامرهم ويطايبهم بحديثهِ امست وليمتهم وضيمة مأتم اوكان مجتمعهم بمثابة مطعم يأكل فيهِ التجار مسرعين وكلٌّ منهم مهتم بتجارتهِ

قالت السيدة ماري مري في نبذة كتبتها حديثًا في هذا الموضوع ان النساء قد يفقن الرجال في طيب الحديث ويغنين عنهم ولاسيما اذا تكلمن على المواضيع التالية وهي الفنادق

والطبخ والثياب فان الكلام على الفنادق يقود الى الكلام على الاسفار وما يجده الانسان فيها لاسيما وانهُ يكثر ان يكون بعض المدعوين من الذين سافروا فيأخذون يصفون الفنادق التي نزلوا فيها . والكلام على الطبخ والوان الطعام يجعل الالكن فصيحاً فيشترك اكثر المدعوين في الحديث . واذا دار الكلام على انواع اللباس فمدح الرجال ازياء النساء والنساء ازياء الرجال زاد الوفاق والوئام بين الفريقين



واقعة السلطان عبد العزيز

الراسخ في الاذهان ان الترك رجال سيف وسيادة لا يعنون بغير الحرب ولا يرتاحون الاَّ الى الامارة وانهم اذا ذكرت دولتهم اعاجم الغرض فلم يروا لها عيباً . لكن من يطالع نفثات اقلامهم يجد انهم اهل قلم كما انهم اهل سيف وانهم من اقرب الكتَّاب الى الانصاف . ولدينا الآن كتاب تاريخي وضعهُ حضرة احمد صائب بك الذي كان ياور المختار باشا الغازي جعل مدارهُ واقعة السلطان عبد العزيز وتكلم فيهِ عن معايب ولاة الامور بصراحة لم نرَ مثلها في كتاب عربي ولا في جريدة مهما كانت متغالية في انتقاد اعمال الولاة العثمانيين . عرفنا مؤلف هذا الكتاب وهو شهم فاضل يتقد غيرة على دولتهِ وبلادهِ فاذا كان امثالهُ كثيرين بين ابناء الاتراك فلا يعقل انهم يرضون بهذه الحال زمناً طويلاً

والكتاب يبتدئ من عهد السلطان سليم الثالث ويذكر نكبة الانكشارية التي سماها بالوقعة الخيرية ويتدرَّج في وصف احوال الدولة السياسية والاجتماعية الى خلع السلطان عبد العزيز . وقد نقلنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على طريقة بحثهِ وهو مترجم الى العربية بقلم محمد افندي توفيق جانا

الاخاء المتين بين العلم والدين

هو محاورات بين شيخ وفيلسوف وقسيس وضعهُ حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس فرج صفير لكي يثبت ان العلوم الطبيعية لا تناقض الدين المسيحي . وقد سرَّنا ما قرأناهُ في هذه المحاورات وهو ان مجالس التفتيش لم تنشأ بامر الكنيسة الكاثوليكية ولا برضاها ولكن الكنيسة

قبلت ان تعترف بها ثم لما رأت ان ملكة اسبانيا تخترق حرمتها وتسيء استعمالها استرجعت براءتها ونقضتها من اساسها · الاَّ ان ما قرأناه من تاريخ هذه المجالس لا ينطبق على ذلك تمام الانطباق · ومهما يكن من امر انشائها وسيرها فقد أُلغيت والحمد لله · ولا بدَّ من ان يزيد الصلاح ويزيد العلم ما داما نافعين لنوع الانسان جريًا على سنة الخالق في خلقهِ وهي بقاء النافع وزوال الضار · و يظهر لنا ان الجدال لا يُقنع ولا يفيد وان رجلاً يبذل وسعهُ في تهذيب الاخلاق ولو بسيرتهِ يفيد في نصرة مذهبهِ اكثر من مئات يحاولون تعزيزهُ بالادلة والبراهين · فحبذا لو اشتغل كتَّابنا الفضلاء عن الجدل بغيرهِ مما يفيد البلاد والعباد ·



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تاريخ تلماك

مصر · ابرهيم افندي رزق · ذكرتم في الجزء الاخير من رواية كليوباطرة المنشورة في المقتطف ان امرأة ديون كانت تتحدث مع صاحباتها بحوادث تلماك · ومعلوم ان رواية تلماك الفها فنلون في اواخر القرن الثامن عشر (ولو انها مرتبطة بالحوادث المذكورة في ايلياذة هوميروس) ورواية كليوباطرة تشتمل على حوادث وقعت قبل المسيح بزمان اي قبل ان تظهر رواية تلماك للوجود وهو نقص ظاهر في رواية كليوباطرة ربما فات المؤلف

ج لا شبهة في ان الرواية التي صنَّفها فنلون مبنية على القصة المذكورة في هوميروس فقد ذكر في هوميروس ان تلماكس هو ابن اوذسيوس (وباللاتينية اولسس) وبنلوبي وكان طفلاً لما تركهُ ابوهُ ومضى لمحاربة تروادة فشب في غيبة ابيهِ وصار رجلاً لان اباهُ غاب عشرين سنة واتت الالهة اثينا الهة الحكمة وتزيت بزي منطور وسارت معهُ للتفتيش عن ابيهِ فزار بيلوس وسبرطة ثم عاد الى اثيكا حيث وجد اباهُ في زي متسوّل وسار معهُ وقتل خطَّاب امهِ · فالقصة قديمة من عهد هوميروس او من قبل عهدهِ وكان اولاد اليونانيين يستظهرون اشعار

هوميروس ويتسامرون بها واخذ فنلون هذه القصة القديمة وبنى عليها كتابهُ المشهور . ولم يذكر ابيرس مصنف رواية كليو باطرة كلمة تماك بل كلمة اولسس فابدلناها في الترجمة بكلمة تماك لانها اشهر عندنا والمراد واحد

(٢) جبن جرافير

ومنهُ . كيف يصنع الجبن الفرنسوي جرافير

ج رأينا هذا الجبن يصنع في نجابن سويسرا من حيث يشتريهِ الفرنسويون ووصفنا كيفية عملهِ بالاسهاب كما رأيناها مرأى العين . وتجدون هذا الوصف في الصفحة ٧٦٥ من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٣) عملهُ في القطر المصري

ومنهُ . هل يمكن صنع هذا الجبن في القطر المصري

ج لا نظن الاَّ اذا بُرِّد مكان عملهِ تبريداً صناعيًّا وحينئذٍ تكثر نفقاتهُ ويمتنع عملهُ من باب تجاري

(٤) رحلة فرغوسن

ومنهُ . هل رحلة فرغوسن في اواسط افريقية بالبالون وضعية او حقيقية

ج نظن انكم تريدون رواية ذكر فيها رحلة رجل بالبالون في افريقية ولم نطَّلع على هذه الرواية ولكن لا بدَّ من ان تكون موضوعة لانهُ لم يستتب لاحد حتى الآن ان يرحل في بالون يسير بهِ كيفما شاء

(٥) دواء حب الصبا

السنبلاوين . توفيق افندي لولي . ماهو الدواء لازالة حب الصبا من الوجه

ج لحب الصبا ثلاثة اشكال الاول البسيط وهو الدرجة الاولى او هو حب الصبا قبلما يلتهب . ويعالج بعصر الحبوب الصغيرة واخراج المادة الدهنية منها ودهن الاقسام المصابة بمحلول في كلوريد الزيبق وتكرار الغسل بالماء الحار

الثاني الوردي وهو يصيب الانف واكثر ما يصيب المولعين بشرب المسكرات ويعالج بالامتناع عن شرب المسكرات وباصلاح الهضم وغسول اللوز او الغلسرين واذا كانت العلَّة شديدة يوضع على الوجه لزقة من الخبز ليلاً

الثالث المتصلب وهو الحبوب التي تتصلَّب قواعدها وتلتهب وتستعدي وتبقى مدة بدون تقرُّح . وعلاجهُ الغسل بالماء الفاتر مع قليل من الجلاتين ثم يدهن بدهان هيبوكلوريد الكبريت

---

(٦) حمل طويل

دمياط . احد القراء سيدة انقطع املها من الحمل منذ سبعة اعوام وفي شهر نوفمبر الماضي ابتدأ حملها وظهر معهُ مرض شديد في الاحشاء فكان يعتريها نوبات شديدة حتى يكاد يغشى عليها مع برد في الاطراف وصفرة شديدة في اللون وهزال في الجسم . ومرَّت

اشهر الحمل وكانت علاماتهُ ظاهرة بالبحث الطبي وبارتكاض الجنين منذ شهر ابريل الماضي . وعند حلول الشهر التاسع ابتدأ نزف دم شديد وخروج مواد اخرى سائلة ومضى الشهر التاسع والعاشر الى الثاني عشر ولم تضع ولا يزال الجنين يرتكض كالعادة وتشعر احياناً بقرب الوضع ولكنها لا تضع مع انها قبل سبعة اعوام كانت تحمل وتضع بسهولة فما سبب تأخر وضعها الآن او ما هي هذه الحالة

ج يقول الطبيب الذي اطَّلع على سؤالكم انهُ يحتمل امر من ثلاثة امور الاول ان يكون الحمل كاذباً ولو شعرت بالارتكاض الذي تشيرون اليهِ والثاني ان يكون حدث اجهاض فمات الجنين ولم يخرج حتى الآن والثالث ان يكون الحمل الحقيقي حدث بعد التاريخ الذي تشيرون اليهِ . والطبيب الماهر في فن الولادة يستطيع ان يعين الامر الواقع فلا بدَّ من ان يستدعى لها طبيب ماهر في فن التوليد ان لم يكن قد انجلى الغامض منذ ارسال سؤالكم الى الآن

---

(٧) عدوى التثاؤب

جزيرة البحرين . احد المشتركين يقول ابو العلاء المصري

تثاءب عمرٌو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما اعدتني الثؤباء

فما سبب التثاؤب وهل دعوى العدوى صحيحة

ج التثاؤب نوع من التنفس يحدث بفعل منعكس لكي يدخل بهِ مقدار كبير من الهواء الى الرئتين كأنهُ موروث في الحيوانات البرية التي تتثاءب من اسلافها لما كانت بحرية وبرية وتحتاج ان تفتح افواهها وتدخل مقداراً كافياً من الهواء الى رئاتها . اما العدوى فقال بها البعض وحسبوا ان للتثاؤب ميكروباً لكن لا دليل على صحة هذه الدعوى والصحيح ان التثاؤب يحصل بالقدوة اي ان نظر المتثائب يؤثر في الاعصاب تأثيراً يهيجها للتثاؤب كما ان نظر الليمون الحامض يفيض اللعاب من الفم

---

(٨) اللك

الاسكندرية . عبد المتعال افندي نبيه . يوجد حشرة تسمَّى حشرة الراتينج lac insect هل هي من الحشرات النافعة وما هو نفعها

ج نعم من الحشرات النافعة ونفعها انها تفرز صمغ اللك او تصنعهُ من صمغ الشجر الذي تعيش عليهِ . واللك كثير الاستعمال في الصنائع ولاسيما في صناعة الدهان وتقدَّر قيمة تجارتهِ الداخلية في بلاد الهند بنحو مليون جنيه في السنة

(٩) شجرة البقر

ومنهُ . يقال انهُ يوجد في احد اقسام اميركا الجنوبية شجرة تعرف باسم شجرة البقر

cow-tree يستخرج منها لبن صباح كل يوم فهل ذلك صحيح

ج نعم يوجد شجر عصارهُ لبني غزير وهو يستخرج بثقب قشر الشجرة فيتحلّب منها غزيرًا حتى يملأ قنينة عادية في نصف ساعة وطعمهُ مثل طعم لبن البقر ورائحتهُ مثل رائحتهِ ويصفرُّ بعد قليل ويجمد ويصير كالجبن وهو مغذٍ مثل اللبن ولكن تركيبهُ الكيماوي يختلف عن تركيبهِ ويأكلهُ الزنوج وهنود اميركا

(١٠) البابوات وحلق الشعر

دمشق الشام . احد القراء . قرأت في الجزء التاسع من المقتطف مقالة نفيسة في البابوية وانتخاب البابوات اجاد فيها كاتبها وافاد لكنهُ لم يذكر لنا لِمَ يحلق البابوات لحاهم وشواربهم مع ان السيد المسيح كان بلحية وشاربين وكذا الرسل الاطهار فنرجو ان تذكروا لنا السبب الذي حملهم على ذلك ومتى ابتدأت فيهم هذه العادة

وورد علينا مثل هذا السؤال من النبطية ومن الاسكندرية وطنطا

ج ان حلق اللحى والشوارب عادة قديمة في اوربا من عهد الرومانيين وكان بابوات رومية يجرون عليها مرةً ويخالفونها اخرى حسب شيوعها في بلادهم حاسبين ان ليس للشعر شأنًا دينيًا . فالبابا ليبريوس الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٣٥٢ كان يحلق لحيتهُ وشاربيهِ وكذلك البابا بونيفاشيوس الرابع الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٦٠٨ وادريانوس الاول (٧٧٦—٧٩٥) ولكن البابا يوليوس الثاني (١٥٠٣ — ١٥١٣) وبولس الثالث (١٥٣٤ — ١٥٤٩) وسكستوس الخامس (١٥٨٥ — ١٥٩٠) واكليمندس الثامن (١٥٩٢ — ١٦٠٥) لم يكونوا يحلقون لحاهم وشواربهم . ويفضّل الاوربيون حلق اللحى والشوارب في القضاة والقسوس ورؤساء الدين لكي تظهر ملامح وجوههم تمامًا وكان حلق الشعر دليلاً على النقاوة عند المصريين القدماء ولا علاقة بين الشعر والدين

(١١) الترابة الافرنجية

الكورة . الخواجه ميخائيل سركيس . كيف تصنع الترابة الافرنجية واي تربة او صخر موافق لها

ج يظهر لنا انكم تريدون ما يسمَّى بالسمينتو الروماني وهو يصنع من الدلغان (الطفال) الذي فيهِ حبوب كبيرة من الحجارة الكلسية الصلبة او الحديدية والغالب ان يكون تركيبهُ الكيماوي من ٦٦ جزءًا من كربونات الكلس و١٨ جزءًا من السلكا و٧ من الاليومينا و٦ اجزاء من اكسيد الحديد . يكلس هذا الطفال ويطحن حتى يكون منهُ مسحوق ناعم فيكون الترابة الافرنجية التي تجمد سريعًا بعد بلها ولو وضعت تحت الماء

(١٣) الكلس الافرنجي

ومنهُ . كيف يصنع الكلس الافرنجي واي الصخور يوافق لعملهِ

ج نظن انكم تريدون الجص او الجبس فان كان الامر كذلك فهو يصنع بحرق حجارة كبريتات الكلس كما يصنع الكلس العادي بحرق الحجارة الكلسية التي هي كربونات الكلس ثم يسحق ناعماً بعد حرقهِ. والحرق يخرج الماء منهُ فاذا جبل بالماء بعد ذلك امتزج بهِ ورجع صلباً كما كان قبل حرقهِ. ولا بدَّ من ان تكون الحرارة التي يحرق بها واطئة لا تزيد على ٢٥٠ درجة فارنهيت فاذا بلغت ٤٨٠ درجة لم يعد يجمد اذا مزج بالماء



دواء السرطان

ادَّعى الدكتور اوتو شمت الالماني انهُ اكتشف ميكروب السرطان ومصلاً يشفي منهُ وقرأ بعضهم مقالةً في جمعية ابردين الطبية بيَّن فيها ان الدكتور شمت ربَّى ميكروب السرطان الذي اكتشفهُ وقتلهُ وصنع منهُ طعماً يحقن بهِ المصاب بالسرطان فيشفى منهُ . وحتى الآن لم يجرب هذا العلاج احد غيرهُ والباحثون في هذا الموضوع لا يستطيعون ان يبدوا حكماً لا سلباً ولا ايجاباً الاَّ بعد ان تكثر التجارب وتظهر نتائجها

اصل الهكسوس

كتب ثلاثة من مدرسة لفربول الجامعة في جريدة التيمس انهم اكتشفوا ادلة جديدة على ان الهكسوس المعروفين بالملوك الرعاة الذين استولوا على القطر المصري بين سنة ٢٢٣٠ و١٧٠٠ قبل المسيح اصلهم من الحثيين سكان سورية وكذلك اصل الترسكانيين الذين نزلوا ايطاليا فتصدَّى لهم كثيرون من الكتَّاب وقالوا ان هذا الرأي قديم جمع الادلة الكثيرة على صحتهِ الاب ده كارا اليسوعي ونشرها سنة ١٨٨٩

مرض النوم

ظهر من بحث الكولونل بروس الذي أُوفد الى اوغندا للبحث عن مرض النوم ان لهُ ميكروباً تنقلهُ الذبابة المعروفة بالتستس من المرضى بهِ الى الاصحاء ولا خوف منهُ حيث لا توجد هذه الذبابة

الحمى الصفراء والبعوض

خفَّت وطأة الحمى الصفراء في جزيرة

كوبا منذ استولى عليها الاميركيون حتى كادت تُستأصل منها . والسبب في ذلك الاهتمام بقطع دابر البعوض . وقد كان الاعتقاد العام ان الحمى الصفراء داء قتال ينتقل باللمس . اما اطباء جيش الاحتلال الاميركي فبيّنوا فساد هذا الاعتقاد واثبتوا انها تنتقل بواسطة البعوض . وكانت نتيجة اتخاذ الوسائط لابادة البعوض ان خفت وطأتها وتقلص ظلها وصار يُرجى ان تُطهر مدن كوبا الكبيرة منها

ازالة اضرار التبغ

اكتشف الاستاذ هِرجيرولد احد علماء الكيمياء بالمانيا طريقة يستطيع بها ازالة المضار التي تحدث من الافراط في شرب التبغ كالدوار وخفقان القلب وامراض الصدر . وذلك بان تغمس اوراق التبغ قبل تهيئتها في محلول من الحامض التنيك فيتحد هذا الحامض بالنيكوتين ويتولد منهما مادة خالية من الاذى. ولكي تزيد لذة طعم التبغ يعالج بعدئذٍ بنقيع المردكوش فلا يخالف طعمهُ حينئذٍ عن التبغ الاعتيادي. والتجارب التي اجريت في بعض الحيوانات كالضفادع وبنات عرس حتى وفي الانسان نفسهِ برهنت على ان استعمال هذا النوع من التبغ لا يضر . فان ضغط الدم ونبضان القلب يبقيان اعتياديين ويزول الشلل الذي كان يعتري الحيوانات من التسمم بالنيكوتين

التصوير من غير شمس

لا يخفى ان الصور الفوتوغرافية لا تنقل الى الورق ما لم توضع في الشمس وقد استنبط احد اهالي فلادلفيا قنديلاً نورهُ بنفسجي تنقل الصور على نورهِ الى الورق حالاً باسرع مما تنقل في نور الشمس ويمكن ان يصنع بهِ تسع مئة صورة كل يوم

نيازك نوفمبر

لم تحوّل الانظار الى نيازك نوفمبر لئلاً يقلق لها الناس على غير طائل . لكن الذين راقبوها رأوها كثيرة بعد نصف الليل وقبيل صباح السادس عشر من نوفمبر حتى بلغ عدد ما راه راصد واحد من الساعة الرابعة الى الخامسة ١٢٠ ومن الخامسة الى السادسة ١٤٠ وذلك في العروض الشمالية. وبلغ معظم ظهورها في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين فكانت ثلاثة في الدقيقة

اعلى الجبال

اعلى جبال الدنيا جبل افرست وهو قنة من قنن جبال حملايا في اواسط اسيا فان علوهُ تسعة وعشرون الف قدم وعلى مقربة منهُ قنن كثيرة تدانيهِ علوًّا. وليس في قارة اخرى جبل يبلغ هذا الارتفاع . واقرب الجبال اليهِ جبل اكنكاغوى في اميركا الجنوبية فان ارتفاعهُ ٢٣٠٩١ قدماً. وترى في الجدول التالي اسماء ارفع الجبال في اربع عشر من القارات

والجزائر ولم يذكر بينها الاَّ اسم ارفع جبل من كل قارَّة وجزيرة وهي

		اقدام
جبل افرست في اسيا	ارتفاعهُ	٢٩٠٠٠
اكنكاغوى في اميركا الجنوبية	«	٢٣٠٩١
مكنلي في اميركا الشمالية	«	٢٠٤٦٧
كليمنجارو في افريقية	«	١٩٦٨٠
منت بلانك في اوربا	«	١٥٨٠٠
موناكيا في جزائر هواي	«	١٣٨٠٨
كينابالو في جزيرة بورنيو	«	١٣٠٩٤
فكتوريا في غينيا الجديدة	«	١٣٠٢٢
غونغ كورنجي في سمطرة	«	١٢٤٨٠
فوجياما في اليابان	«	١٢٤٠٠
اربوس في فكتوريا لند	«	١٢٣٦٥
كوك في زيلندا الجديدة	«	١٢٣٥٠
بكودي تيدي في جزائر كناري	«	١٢٢٣٤
غونغ سمرو في جزيرة جاوى	«	١٢٠٣٧

الغنى بالاختراع

اخترع رجل الماني فقير كبسولاً ميكانيكيًّا يوضع في القنابل ويشتعل في وقت محدود فاشترى معمل كروب هذا الاختراع منهُ بعشرة آلاف جنيه دفعها لهُ نقدًا وتعهد ان يعطيهُ خمسة غروش عن كل كبسول يصنعهُ

تلغراف ارتوم

يظهر انهُ سيكون للايطاليين شأن كبير في التلغراف الخالي من السلك فقد استنبط واحد منهم اسمهُ الاستاذ ارتوم طريقةً لتوجيه التموجات الكهربائية كيفما يشاء فاذا اضيف استنباطهُ الى استنباط مركوني وفى تلغراف مركوني باكثر مما ينتظر منهُ

الاستاذ ممسن

توفي الاستاذ ممسن المؤرخ الالماني الشهير في غرة نوفمبر وعمرهُ ٨٦ سنة . وكان من اكبر مؤرخي العصر ومن اسلسهم عبارة . نُفي من بلادهِ لانهُ كان شديد الانتقاد على سياستها فلجأ الى سويسرا ثم عاد الى بلادهِ وجُعل استاذًا للتاريخ في مدرسة برلين الجامعة . وكان من اكبر خصوم بسمارك انتقد سياستهُ من الانتقاد وسماهُ مرة "بالنصَّاب" فقبض عليهِ وحوكم بالقذف فبرأتهُ المحاكم ولهُ تآليف جمة تعدُّ بالمئات بين كتب ورسائل

هبة عظيمة

توفي المستر غودون ماكي الغني الاميركي ويقال انه ترك لمدرسة هارفرد الجامعة خمسة ملايين من الجنيهات فان صحَّ هذا الخبر فتكون تلك المدرسة قد صارت اغنى مدارس الدنيا فقد كانت املاكها تساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فصارت بهذه الهبة ثمانية ملايين من الجنيهات

كتاب ثمين

بيعت نسخة من كتاب المزامير الذي طبع سنة ١٤٥٧ بسبعة وعشرين الف ريال

جوائز نوبل

حكمت جمعية العلوم التي يناط بها توزيع جوائز نوبل السنوية ان تعطي جائزة الآداب هذه السنة لابسن وجورنص وجائزة العلوم الطبيعية لمركوني وجائزة الطب لفنسن

جائزة للانتفاع بالعنب

كثر العنب في ولاية كاليفورنيا من ولايات اميركا حتى ضاق اصحابهُ ذرعاً بهِ ورخص ثمنهُ جدًّا فصاروا يبيعون الطن منهُ بعشرة ريالات . وقد وعدوا الآن باعطاء خمسة وعشرين الف ريال لمن يستنبط طريقة لاستخراج حامض الطرطير من العنب حتى يكون رخيصاً تسهل المتاجرة بهِ

طيران الانسان

انشأَت جريدة السينتفك اميركان مقالة في الطيران بيَّنت فيها ان كل الذين حاولوهُ اخطأُوا في تقدير القوة اللازمة لهُ لانهم قدَّروها باكثر مما يلزم . وقالت ان اللقالق تقطع من بلاد المجر الى بلاد الهند مرتين في السنة والمسافة نحو ٢٠٠٠ ميل تقطعها في اربع وعشرين ساعة فتبلغ سرعتها مئة ميل في الساعة على ضعف قوتها والحيوانات البرية القوية لا تقطع مئة ميل في اقل من اربع وعشرين ساعة . واكثر الطيور سريعة الطيران على هذا النمط مع خفَّة اجسامها وضعف قوتها

كرسي الملكة فكتوريا

ارسل ملك الانكليز الى معرض اميركا المقبل كرسيًّا من العاج اهداهُ الى امهِ مهرجا تراڤنكور في يوبيلها . قالت جريدة السينتفك اميركان في وصفهِ انهُ من معجزات الصناعة قوائمهُ في شكل قوائم الاسد ويداهُ منتهيتان برأسي اسدين وظهرهُ في شكل صدفة قائمة على ظهور افيال وفرشهُ من المخمل الاخضر مطرَّز بالذهب والفضة تحيط بهِ عذبات ثمينة وجسم الكرسي كلهُ منقوش بتماثيل الناس والحيوانات

علاج الذئب الاكال

قال الدكتور فنسن في اكادمية العلوم انهُ عالج ٨٠٤ بالنور فشفي ٤١٢ منهم ومن هؤُلاء ١٢٤ مضى عليهم من سنتين الى ست سنوات ولم يعاودهم الداء والباقون احدث منهم عهدًا ولا دليل على ان الداء سيعاودهم

سرعة القطارات

في النية ان تزاد سرعة الاكسبرس بين مصر والاسكندرية حتى يقطع هذه المسافة في ساعتين ونصف ساعة . الاَّ ان زيادة السرعة الى هذا الحد يزيد نفقات الوقود نحو تسعين في المئة فقد ثبت بالامتحان ان القطار الذي سرعتهُ ٣٢ ميلاً في الساعة اذا زيدت سرعتهُ حتى بلغت ٤٨ ميلاً في الساعة زادت نفقاتهُ نحو تسعين في المئة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

فهرس المجلّد الثامن والعشرين

١٧ اشتد الثوران في براكين فيلبين
١٩ توفيت ملكة البلجيك بغتةً بنوبة قلبية حادّة وعمرها ٦٦ سنة
٢٦ ثارت زوبعة هائلة في جهات سراقوسة من جزيرة سيسيليا فافضت الى فيضانات هائلة ودمرت مدينة ميورقة وبلغ عدد القتلى ٤٠٠
٢٧ صادقت الدول على تعيين مظفر باشا متصرفاً لجبل لبنان
٢٩ توفي اميل زولا اختناقاً وعمره ٦٢ سنة

اكتوبر

٨ ظهرت الكوليرا في عدة قرى بين غزة والقدس
١٥ وصل سمو الخديوي الى الاسكندرية

نوفمبر

٨ افتتح اللورد كتشنر كلية غوردون في الخرطوم بحضور السردار
١١ ثار بركان كيلويا في جزيرة هونولولو ثوراناً عنيفاً جداً
١٦ ثار بركان سنتاماريا في جواتيمالا فاهلك مئات من الناس . وبركان سترمبولي
١٨ اضطرمت النار في الجبخانة في العاصمة فالتهب البارود ونسف البناء كلهُ والسور المحيط بالجبخانة نسفاً وشقق الجبل المشرف عليها فخرجت منهُ قلاع الصخور ووقعت على عمال تحتها فقطعتهم تقطيعاً
٢٢ توفي كروب صاحب معامل كروب المشهورة وعمره ٤٨ سنة

ديسمبر

١٠ تم الاحتفال بفتح خزان اصوان بحضور الجناب الخديوي ودوق كنوت وزوجتهِ
١٦ حدثت زلزلة في ولاية فرغانة (اواسط اسيا) فاخربت مدينة انديجان وجزءا كبيراً من سكة الحديد وقتلت ٢٥٠٠ نفس
٢١ ارسلت الرسائل البرقية بتلغراف مركوني من كندا باميركا الى بلاد الانكليز
٢٢ زلزلت الارض في انديجان بتركستان زلزالاً شديداً امات ٢٥٠٠ نفس

٢٤ ثار بركان بيلي ثوراناً هائلاً فانفتحت له فوهة قطرها ٣٠٠ متر ثم حدثت زوبعة هائلة بعد ثوران البركان

٣١ سلمت الترنسفال لانكلترا وامضيت شروط التسليم

يونيو

١١ توفي باي تونس وخلفهُ ابنهُ محمد الهادي

٢١ تولى اللورد ملنر مهام حكومة الترنسفال

٢٤ عملت عملية لملك ادوارد ملك الانكليز في الزائدة الدودية وتأجل احتفال التتويج

٢٨ وصل سمو الخديوي الى الاستانة وقابل جلالة السلطان

يوليو

٤ توفي الاستاذ فاي الفلكي الفرنسوي عن ٨٨ من العمر

١٠ حدث ثوران جديد في مرتنيك استمر اربع ساعات

١٢ عين المستر بلفور وزيراً لانكلترا بدلاً من اللورد سلسبري

١٤ سقط برج البندقية المعروف بالكمبانيل

١٨ توفي سلطان زنجبار

٢٠ عين السيد علي سلطاناً على زنجبار

٢٠ توفي المستر مكي الملقب بملك الفضة

٢٥ ظهرت الكوليرا في القطر المصري وتوفي بها في ٢٥ يوليو ٧٨ نفساً في ٢٤ ساعة

اغسطس

٩ جرى الاحتفال بتتويج الملك ادور ملكاً للانكليز وامبراطوراً للهند

٢٢ حدثت زلزلة في كشغر قتل بها نحو ثلاثة آلاف نفس

٣٠ ثار بركان بيلي فقتل الف نفس

سبتمبر

١ اشتد ثوران بركان بيلي ففاق ثوران الثامن من شهر مايو

٢ وصل الخديوي الى باريس

٥ توفي الاستاذ وركو اشهر علماء الطب في المانيا

٨ حدثت زلزلة شديدة في بنغالا ببلاد الهند

٩ ابتدأ بركان يزوف وسترمبولي بالهيجان

مارس

١ فاضت المياه من ذوبان الثلج في الولايات المتحدة فعطلت السكك الحديدية والطرق والتلغرافات وغمرت جانباً من مدينتي بتسبرج والمجاني

٣ وصلت رسائل برقية بالتلغراف الذي ليس لهُ سلك من كرنوال (انكلترا) الى مركوني وهو على ظهر باخرة في الاوقيانوس الاتلانتيكي على بعد ١٥٥١ ميلاً

٩ ظهرت الكوليرا في مكة والمدينة

دمرت الزلازل في شماخا ٣٤٩٦ منزلاً وصدعت ٥١٧٢

٢٦ توفي المستر سسل رودس وعمره ٤٩ سنة

ابريل

١٧ توفي الملك فرنسوى اسيسي ملك اسبانيا السابق . وخسف القمر خسوفاً كلياً

٢٤ صدر الامر الخديوي بمنع صيد الاسفنج في المياه المصرية بلا رخصة

مايو

١ حدث زوبعة في بنغالا قتلت ٤٠٠ نفس . وحدث حريق هائل في ميت غمر فالتهمت النيران اكثر من خمس مئة منزل

٧ حدث ثوران بركاني في فورت رويال (مارتينيك) فخرب كثيراً من المعامل واختفى بعدهُ ١٥٠ شخصاً . وحدث حريق هائل في عنابر شركة الدائرة السنية في مزلقان خزام في لقصر وقدرت الخسارة بنحو خمسين الف جنيه

٨ ثار بركان بيلي في جزيرة مرتنيك فخرب مدينة سان بير وقتل سكانها وعددهم نحو اربعين الف نفس

١٠ حدث في جزيرة سان فنسان جنوبي جزيرة مرتينيك ثوران بركاني قوي فانقطع خط التلغراف ويقدر عدد الذين ماتوا فيها بالفي نفس

١٢ طار المسيو سفيروس في بالونهِ ثم انفجرت آلة البالون فقتل هو ورفيق كان معهُ

١٥ ابتدأ الاحتفال بعيد جلوس ملك اسبانيا وتم الجلوس في ١٧ منهُ

١٨ ثارت زوبعة مدة خمس دقائق فدمرت جانباً من تكساس ومئات من المنازل في مدينة جوباد حيث قتل ٩٠ نفساً

٢٢ ثار البركان بيلي ثوراناً جديداً فاق ثوران ٨ مايو

تاريخ العام الماضي ١٩٠٢

يناير

يوم

٢ اهدى السر ارنست كاسل مئتي الف جنيه الى ملك الانكليز لاجل انشاء مصح يعالج بهِ المسلولون

٣ هطلت الامطار غزيرة بين لقصر واصوان فخرب السيل جسر سكة الحديد

٨ احتفل بجلوس الحضرة الخديوية

١٧ امطرت السماء مطراً غزيراً في انحاء كثيرة من القطر المصري وكانت الرياح شديدة في الاسكندرية حتى انها قطعت اسلاك التلغراف والتلفون الممتدة الى قصر المنتزه

٢٢ افتتح المعرض الزراعي المصري بحضور الجناب الخديوي

٢٣ امضي الاتفاق لانشاء سكة حديد بغداد

فبراير

٦ توفيت مدام رويه العالمة الشهيرة وعمرها سبعون سنة. وتوفي سدني كوبر المصور وعمرهُ ٩٨ سنة

٧ عاد امبراطور الصين والامبراطورة الى بكين

زار سمو ولي عهد مملكة سيام الجناب الخديوي في سراي عابدين فرد لهُ الزيارة في اوتل سافوى

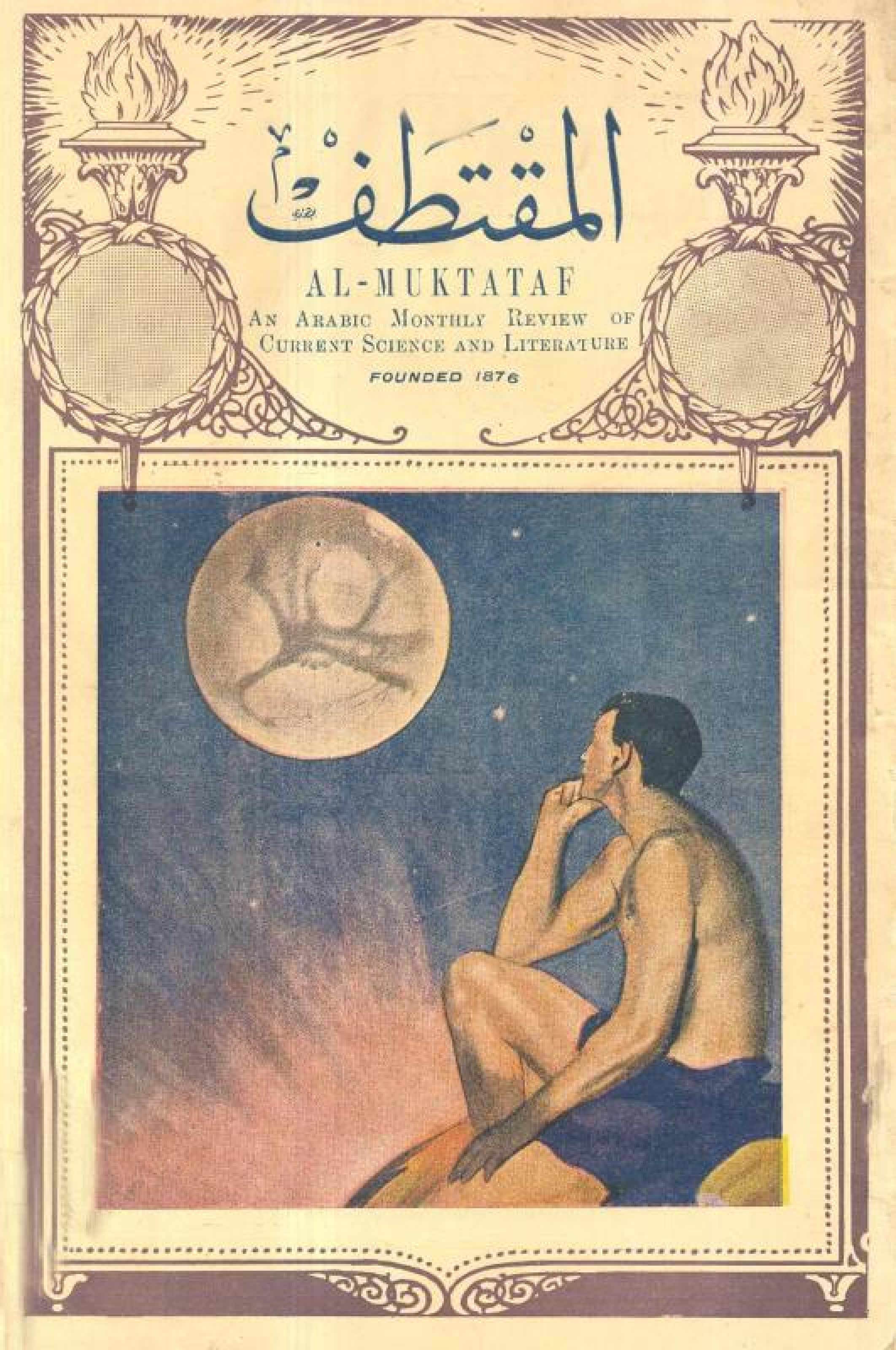
١٢ توفي لورد دفرين عن ٧٥ سنة

١٣ زلزلت الارض زلزالاً شديداً غربي بحر قزبين فاخرب مدينة شماخا وقتل ٥ آلاف من سكانها

٢٥ احتفل في باريس بمضي مئة عام على ولادة فكتور هيغو وكشف تمثالهُ في اليوم التالي

٢٧ عرضت حكومة كندا على مركوني بان تعطيهُ ثمانين الف ريال لينشئ تلغرافهُ بين اوروبا واميركا

٢٨ صدر احصاء بلاد الهند الانكليزية فبلغ عدد سكانها ٢٩٤ ٢٦٦ ٧٠١ نفس


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٠

رجال المال والاعمال

اذا عُدَّ ارباب المال والاعمال الذين دار ذكرهم على الالسنة في الشهر الماضي وكثر تحدث الصحف بهم فتشمبرلين الوزير الانكليزي وكروب العامل الالماني في مقدمتهم . وهذان الرجلان ليسا من العصاميين مثل اغنياء اميركا اي لم ينشأا من حضيض الفقر والذل بل نشأا في نعمة لكنهما انمياها ووسّعاها حتى صارا من ارباب الاعمال الكبيرة وكبار الاغنياء المثرين وهاك ترجمة وجيزة لكلٍ منهما تلائم ما نشرناهُ حتى الآن من ترجمات رجال المال والاعمال

تشمبرلين

المشهور ان تشمبرلين من رجال السياسة لا من رجال المال ولا من رجال الاعمال . ولا شبهة في انهُ من اكبر ساسة العصر ولعلَّ مقامهُ السياسي الآن في انكلترا اعظم من مقام كل سياسي آخر لكنَّ مقامهُ المالي ليس دون مقامهِ السياسي والاول اساس الثاني ودعامتهُ

ولد في اواسط سنة ١٨٣٦ فقد ناهز الآن سن الشيخوخة لكن الناظر اليهِ يظنهُ كهلاً في الخمسين من العمر . ودرس في مدرسة لندن الكليَّة ولم يستطع ان يطلب العلم في مدرسة من مدارس الانكليز الجامعة كاكسفرد او كمبردج او ادنبرج لان هذه المدارس كانت تقفل ابوابها في وجوه الموحدين وكان ابوهُ منهم وهم فئة من البرتستانت لا تعتقد بالوهيَّة المسيح . ومن المحتمل ان اقتصارهُ على الدرس القليل افادهُ ولم يضرَّ بهِ لانهُ لم يغرهِ بالايغال في العلم ومضايقهِ ولو فعل ذلك لصار من العلماء المتجرين الذين يشار اليهم بالبنان ولكن نفعهُ لنفسهِ ولامتهِ لم يكن قدر ما هو الآن

كان ابوهُ يبيع الاحذية بيع تاجر لا بيع صانع واشتهر بعلو الهمة وشدَّة الحزم مع شيءٍ

من الدعة فورث منهُ مقاماً في التجارة ودراية في تعاطيها . ولما صار لهُ ١٦ سنة من العمر اطلعهُ ابوهُ على اسرار صناعتهِ وادخلهُ معمل الاحذية فتعلّم صناعتها ونشأ اسكافاً من الاساكفة وتاجراً من التجار . وقد وقف خطيباً في جمعيَّة الاساكفة منذ بضع سنوات وقال " اني بقيت في مدينة لندن الى ان صار عمري ١٨ سنة وكان يمكنني ان اقول حينئذٍ ما لا يستطيع كثيرون من اعضاء هذه الجمعيَّة ان يقولوهُ وهو ان ابي وجدي وابا جدي من الاساكفة الذين تعاطوا هذه الصناعة على التعاقب في بيت واحد مئة وعشرين سنة وفي هذا المكان وقفت مع ابي وانا فتًى وخطبت الخطبة الاولى "

لكن تعلُّمهُ السكافة واتصالهُ بجمعيَّة الاساكفة لم يطولا الاَّ سنتين فان زوج عمتهِ واسمهُ نتلفورد كان يصنع لوالب الخشب واشترى امتيازاً بطريقة لعمل اللوالب من مخترعها واقنع ابا تشمبرلين أن يأتي الى مدينة برمنهام ويشاركهُ في هذا العمل فاشترك الاثنان ودئبا زماناً طويلاً الى ان تكللت اعمالها بالنجاح وصار لها معمل كبير لعمل اللوالب . وكان يُصنَع في برمنهام سنة ١٨٦٥ نحو ١٩ مليون لولب كل اسبوع ونحو ١٣ مليون لولب منها تصنع في معمل نتلفورد وتشمبرلين (واللولب يعمُّ ما يسمَّى في مصر بالفتيلة والالاووظ والبرمة وما يسمَّى في الشام بالبرغي)

والشائع ان الاباء ينشئون الاعمال الكبيرة مبتدئين من اسسها واولادهم يرثونها قائمة الاركان مشيدة البنيان فيتولون ادارتها وهم يجهلون مبادئها فتضعف في ايديهم رويداً رويداً الى ان تزول اما صاحب الترجمة فشارك اباهُ وزوج عمتهِ في عمل اللوالب وكل ما يتعلَّق بها ولم يقتصر على ذلك بل عني بالقسم التجاري من العمل وهو القسم الاهم اي بيع اللوالب الى التجار وفتح الاسواق لها في اقطار المسكونة . وجرى ابن عمتهِ مجراهُ فتعلَّم صناعة عمل اللوالب مثلهُ وكان يشارك العُمَّال في عملها

ولم تكن اللوالب دقيقة من رؤُوسها كما هي الآن فكان النجار يضطرُّ ان يثقب لها ثقباً تدخل فيهِ واستنبط تشمبرلين طريقة تُصنَع بها دقيقة من اعلاها كما ترى في صورتهِ ونال امتيازاً بذلك فراجت لوالبهُ اكثر من كل اللوالب واتسع معملهُ حتى صار فيهِ اربعة آلاف عامل وجمع من ذلك ثروة وافرة جدًّا . ومصدر ثروتهِ اتقانهُ عمل اللوالب وابتياع المعامل الصغيرة وضمُّها كلها الى معمل واحد وترويج مصنوعاتهِ في المسكونة . وقد تعب في كل فرع من هذه الفروع وبذل اقصى الجهد لنيلهِ واعتمد على الاقيسة الفرنسوية في عمل اللوالب التي ترسل الى البلدان الفرنسويَّة وعلى لفها بالورق الازرق الذي اعتاد التجار ان يروها فيهِ . ولما صارت لهُ ثروة طائلة اعتزل العمل الصناعي والتجاري وعكف على السياسة وامرهُ في السياسة معلوم وهو الآن وزير

لمستعمرات البريطانية وصاحب الكلمة النافذة في سياسة الامبراطورية الانكليزية

كروب

معمل كروب الذي تُصنع فيهِ المدافع اكبر معامل المانيا ان لم يكن اكبر معامل المسكونة وقد كان فيهِ سنة ١٨٩٩ نحو ٤٢ الف عامل وكان المكس الذي يدفعهُ في السنة الى الحكومة الالمانية يزيد على مليون من الجنيهات

اسس هذا المعمل كروب الاكبر في اوائل القرن الماضي وتوفي سنة ١٨٢٦ وعمرهُ ٣٩ سنة فقط وترك عملهُ في حالة يرثى لها لا مال ولا عمال فقام ابنهُ الفرد كروب بعدهُ ورأس مالهِ سرٌّ صناعيٌّ وهو عمل البواتق من الحديد الزهر واذابة الحديد الصلب (الفولاذ) فيها وكان فتىً في الرابعة عشرة من عمرهِ فاعلنت امهُ ان المعمل يبقى مستمرًّا في عملهِ وان الفولاذ الذي يصنع فيهِ يبقى كما كان في عهد زوجها في الصلابة والمتانة. فقام هذا الفتى بعمل ابيهِ واظهر من الضعف قوةً ولم تمضِ عليهِ ست سنوات حتى صار يستخدم عشرة من العمال وبعد عشر سنوات أُخرى صار عندهُ نحو مئة عامل وكان لهُ اخوان اصغر منهُ فلما شبَّا انضما اليهِ وساعداهُ في عملهِ وقد قال بعد ذلك انهُ بقي خمس عشرة سنة لا يربح الا اجرة العمال لكنهُ كان مسرورًا بانهُ احتفظ بالعمل الذي خلَّفهُ لهُ ابوهُ ولم يهملهُ

ثم استنبط ثلاثة اشياء جمع منها ثروتهُ الوافرة وهي طريقة لعمل الملاعق المعدنية وطريقة لعمل الاطُر الحديدية من غير لحام وطريقة لعمل المدافع من الفولاذ (الصلب) . وباع امتياز الطريقة الاولى في بلاد الانكليز بثمن كبير جدًّا واستعمل المال الذي ربحهُ من ذلك للتجارب في عمل مدافع الفولاذ ولعمل الأُطر من الفولاذ لمركبات سكك الحديد . وكانت الاطر تصنع من الحديد الصاج وتلحم لحمًا فتكون كثيرة العطب فنجح النجاح التام في الامرين وحتى الآن لم يزد المخترعون على ما فعلهُ الا قليلاً جدًّا . ونال الامتياز بأُطرهِ في كل مكان فربح منها ربحًا وافرًا جدًّا وصار لها الشأن الاكبر في اصلاح سكك الحديد وانتشارها في المسكونة . فلهُ الفضل الاكبر في ما نشأ عن انتشار سكك الحديد من العمران لكن شهرتهُ العظمى وثروتهُ الكبرى جاءت عن طريق المدافع لا عن طريق سكك الحديد ففي سنة ١٨٤٧ صنع مدفعًا صغيرًا من الفولاذ (الصلب) وامتحنهُ امام لجنة المدافع البروسيَّة فوفى بالغرض . ولما فتح المعرض العام في بلاد الانكليز سنة ١٨٥١ عرض فيهِ مدفعًا وقطعة كبيرة من الفولاذ ثقلها طنَّان ثم اهدى هذا المدفع الى ملك بروسيا فمنحهُ نشان النسر الاحمر . ومن ثم جعل يصنع المدافع من الصلب وحكومة بروسيا تعضدهُ وتجزل عطاياهُ وامراؤُها يزورونهُ في

معملهِ ويضيفونهُ في بيتهِ تشديدًا لهمتهِ. وزاد عدد العمال في معملهِ فبلغ ٣٦٠ عاملاً سنة ١٨٥٤ و ٦٩٠ سنة ١٨٥٥ و ١٠٠٠ عامل سنة ١٨٥٨. وكانت الآلات صغيرة لا تقوم بهذا العمل الكبير فابدلها باكبر منها وصنع المطارق البخارية الكبيرة والاتاتين الضخمة وبنى لاتون منها مدخنة ارتفاعها ٢٣٠ قدماً وقطرها عند قاعدتها من الداخل ٣٠ قدماً. وظل معملهُ يتسع وعدد العمال يزيد حتى بلغ ٢٠٣٧ عاملاً سنة ١٨٦١ اي عشر اهالي مدينة اسن حيث كان المعمل

واي شيء تطلبهُ دول الارض اكثر من المدافع وهي عماد عزها وحامية حوزتها فلما رأت ان مدافع كروب امتن من غيرها وافتك اقبلت عليها ايَّ اقبال حتى الحكومة المصرية فانها ابتاعت ثمانية عشر مدفعاً منها سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧

وزارهُ الملك ولهلم الاول سنة ١٨٦١ ومعهُ ولي عهدهِ فسبك امامهما قطعة من الفولاذ ثقلها تسعة اطنان من ٣٠٠ بوتقة وطرّق قطعةً اخرى ثقلها سبعة اطنان ونصف طن وطولها ١٥ قدماً بمطرقة بخارية ثقلها خمسون طنًا وتحتها سندان ثقلهُ الف ومئة طن فدهش الملك من قوة هذه المطرقة ومن كل ما رآهُ في المعمل وقويت عزيمتهُ من ذلك الحين على مقاومة نبوليون الثالث واحباط مساعيهِ. ومن ثم كثر الطلب على مدافع كروب فصنع مئتين منها سنة ١٨٦٣ وطُلب منهُ ٨١٧ مدفعاً في السنة التالية و بلغ عدد العمال في معملهِ ٤٠٣١ سنة ١٨٦٣ و ٦٤١٣ سنة ١٨٦٤ و ٨٢٥٥ سنة ١٨٦٥ وكان وزن الفولاذ الذي سبكهُ سنة ١٨٦٣ خمسة وعشرين مليون رطل فبلغ سنة ١٨٦٥ مئة مليون رطل

ومما يذكر بالاسف الشديد ان اكثر الاغنياء جمعوا ثروتهم في الحروب كأنها من اسلاب المغلوبين او كأنهم يضرمون نار الحرب بانفسهم لهذه الغاية. والحقيقة انهم يتحينون الفرص ويغتنمونها فمتى طاشت احلام الناس وبادر القائد الى تحلية صدرهِ بوسام الفخار ولو مخضباً بدماء الابرياء والملك الى توطيد دعائم عرشهِ وتوسيع تخوم ملكهِ ولو ضمَّ الى بلادهِ بلادًا لا يضمر لهُ اهلوها غير البغضاء يبادر رجال المال والاعمال الى الكسب وتوسيع الثروة بتقديم الميرة او بتسليف النقود ولم يشذَّ كروب عن هذه القاعدة فلما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا كان متأهبًا لها فابتاعت منهُ الحكومة البروسيةُ ٨٢٦ مدفعاً وصنع لها ٧٣٦ مدفعاً تلك السنة وكان قد اضاف المناجم والمسابك الى معملهِ لكي يكون مستقلاً عن غيرهِ فسبك تلك السنة ١٢٥ مليون رطل من الحديد او اثنين وستين الف طن وخمس مئة طن

وفُتح المعرض العام في باريس سنة ١٨٦٧ فاغتنم تلك الفرصة لعرض مصنوعاتهِ فيهِ لكي يرى نوّاب الدول ما يمكن ان يصنع في معملهِ من الغرائب وعرض مدفعاً ثقلهُ نحو خمسين

طنًّا وقطعة من الصلب ثقلها اربعون طنًّا اما المدفع فكان طوله خمسة امتار وربع متر وقطر فوهتهِ ٣٥ سنتمترًا وفيهِ اربعون حفرة لولبيَّة وقد قضي في عملهِ سنة واربعة اشهر جرى العمل فيهِ كل هذه المدة نهارًا وليلاً وبلغت نفقات عملهِ ٦٥٢٥ جنيهاً ثم اهدى المدفع الى ملك بروسيا فبعث بهِ الى كيل لتحصين مرفإها

ومرَّت السنوات الثلاث التالية وكروب يصنع المدافع للدول ويبتاع اسهم مناجم الفحم حتى يستقل بها ولا يبقى تحت رحمة اصحابها الى ان نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ وكان مستعدًّا لها فاثبتت مزيَّة مدافعهِ فباع منها ٩١٩ مدفعاً سنة ١٨٧١ و٩٨٥ مدفعاً سنة ١٨٧٢ و١٨٤٥ مدفعاً سنة ١٨٧٣ و٢٩٣١ مدفعاً سنة ١٨٧٤ مصداقاً لقول من قال مصائب قوم عند قوم فوائدُ . وبلغ عدد المدافع التي صنعها ثلاثة وعشرين الف مدفع . وانهالت عليهِ سمات الاكرام من الملوك لانهم رأوا في مدافعهِ ما يعزز شوكتهم وزاره امبراطور المانيا وامبراطور برازيل في معملهِ سنة ١٨٧٧ ومعهما كثيرون من الامراء والقواد

ولما اقيم المعرض الاميركي في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ كان لمدافع كروب المقام الاول فيهِ وهي سبعة اكبرها ثقله ٥٦ طنًّا ونصف طن وثقل مركبتهِ ٣٣ طنًّا ونصف طن لكنهُ لم يقتصر على عرض آلات الهلاك بل عرض ايضاً كثيرًا من ادوات سكك الحديد المصنوعة من الصلب فتعادل الضرُّ بالنفع . ثم صنع مدفعاً اكبر من كل ما تقدَّمهُ ثقله ثمانون طنًّا وقطر فوهتهِ اربعون سنتمترًا وقنبلتهُ تخرق لوحاً من الحديد سمكه قدمان على بعد خمسين مترًا

وتوفي فردرك كروب سنة ١٨٨٧ وخلفهُ ابنهُ الفرد كروب الذي توفي حديثاً فسار في خطوات ابيهِ وجدهِ وزاد على اعمالها سبك صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة وابتاع معملاً آخر لعمل هذه الصفائح ولعمل مركبات المدافع وقنابلها واستخدم فيهِ ثلاثة آلاف عامل وتولَّى ادارة شركة الملاحة والهندسة الالمانية في كيل وبرلين وفيها ١٧٧٨ عاملاً وزاره امبراطور المانيا سنة ١٨٩٢ فاطلق امامهُ مدفعاً قطعت قنبلتهُ اثني عشر ميلاً ونصف ميل في سبعين ثانية وبلغ ارتفاعها وهي سائرة ٢١٤٥٦ قدماً

ولما اقيم معرض شيكاغو باميركا سنة ١٨٩٣ بعث اليهِ مدفعاً ثقله ١٢٠ طنًّا وطوله ٤٦ قدماً وثقل القنبلة من قنابلهِ ٢٥٠٠ رطل . وارسال مدفع هذا ثقله من اواسط اوربا الى اواسط اميركا مع ما يقتضي نقله من النفقة والمشقة برًّا وبحرًا لاكبر دليل على علو همَّة الرجل ولم يكن قاصدًا الشهرة مجرَّدة عن كل منفعة بل كان قصده الاول كما كان قصد ابيهِ وجدهِ من قبلهِ الكسب المالي وتعزيز مقام الصناعة الالمانية

واشتهر معمل كروب بعمل صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة كما اشتهر بعمل المدافع لخرق دروعها فكأنهُ يجهز الدول باقوى انواع المدافع فاذا رأى انها اكتفت منها لانها تتلف بها امنع البوارج صنع دروعاً منيعة للبوارج لا تقوى تلك المدافع على خرقها فلا يعود للمدافع قيمة فيصنع مدافع اقوى منها تخرق الدروع الجديدة فتضطر الدول الى ابتياعها ثم يصنع دروعاً امتن من الاولى لا تفعل بها هذه المدافع فتضطر الدول الى استعمالها وهلمَّ جرًّا . وهو ليس منفردًا في ذلك بل لهُ مماثلون ومناظرون من الانكليز والاميركيين والفرنسويين وغرضهم كلهم واحد وهو كسب المال والجاه كأنهم في الدنيا خالدون . ولكن الممالك لا تقوم والامم لا ترتقي الاَّ بهؤلاء الرجال وامثالهم من الذين يوطدون دعائم عزها و يعلون منائر مجدها

والاعمال التي تجري في معامل كروب سريَّة كلها لا يباح لاجنبي ان يطَّلع عليها ولذلك لا يؤذن لاحد ان يراها . اما العمَّال فيعتنى بهم اعتناء خاصًّا حتى يكتموا اسرار العمل ويُعطى كلٌّ منهم معاشاً بعد ان يعمل اربعين سنة واذا عجز عن العمل قبل ذلك أُعطي معاشاً يكفيهِ . وكل ما يحتاج اليهِ العامل يجدهُ في بلد المعامل من مأكل ومشرب ومأوى وملهى فلا يضطر ان يخرج منهُ الى مكان آخر ولذلك لا خوف من افشاء اسرارهِ . وهذه المعامل تستخرج حديدها وفحمها وغازها وتصنع قرميدها وتطبع كتبها وفيها مكاتب للبريد والتلغراف ومطافئ للحريق ومدارس وكنائس ومغاسل ومطاعم واندية ومستشفيات وكل ما يحتاج اليهِ الانسان في المدن الكبيرة

وقد بلغ عدد المدافع التي صنعها معمل كروب قبل وفاة رئيسهِ الاخير اربعين الف مدفع . وهو يحرق في السنة اكثر من مليون ونصف مليون طن من الفحم وفيهِ سكتان حديديتان الواحدة واسعة وطولها ٣٦ ميلاً وفيها ست عشرة قاطرة و ٧٠٠ عربة والثانية ضيقة وطولها ٢٣ ميلاً وفيها ٢٦ قاطرة و ١٢٠٩ عربات وكل هذه العربات لنقل مصنوعاتهِ وفيهِ ٥٩٠ ميلاً من التلغراف و ٣٢٨ محطة للتلفون و ٤٥٨ آلة بخاريَّة قوة بعضها ٣٥٠٠ حصان وقد بلغ عدد العمال فيهِ منذ سنتين ٤٦٧٠٠ عامل

وقد توفي السر كروب في ٢٢ نوفمبر الماضي وعمرهُ ٤٨ سنة فقط وترك ثروتهُ الوافرة لزوجتهِ ولابنتها الكبرى بعدها . ولم يجمع الكتَّاب على مدحهِ لكن امبراطور المانيا نفى عنهُ كل لوم . وقد رسمنا صورة ابيهِ في صدر هذا الجزء لان لهُ اليد الطولى في توسيع معمل كروب وتعزيز شأنهِ وشأن البلاد الالمانية بهِ

المؤتمر الطبي

عقد المؤتمر الطبي المصري جلستهُ الاولى في اقسامهِ الثلاثة في مدرسة قصر العيني الطبية صباح السبت في ٢٠ دسمبر ففتح كومانوس باشا القسم الخاص بالامراض الباطنية الذي يرئسهُ فتلا خطبة رحَّب فيها باعضاء المؤتمر وقال ان البحث في هذا القسم يدور على طب الامراض الخاصة بالاقاليم الحارَّة وهي (١) الدسنطاريا وامراض الكبد (٢) الملاريا وسائر الحميَّات المعروفة في الاقاليم الحارَّة (٣) الكوليرا والطاعون (٤) التدرُّن (٥) امراض متفرّقة

ثم اعلن افتتاح الجلسة وقال ان الاستاذ بوشار يرئس الجلسة الخاصة بالحميَّات الملاريَّة والاستاذ ماريليانو جلسة التدرُّن والاستاذ نتناجل جلسة الدسنطاريا

فاستلم الاستاذ نتناجل كرسي الرئاسة وتلا الدكتور كرتوليس رسالة في اسباب الدسنطاريا والحصى الكلويَّة وقال ان الحصاة الكلويَّة ظهرت على اثر الدسنطاريا في ٨٥ من ١٦٤ حادثة وقعت تحت مشاهدتهِ فهذه النسبة دفعتهُ الى الحكم بان نصف الحصى الكلويَّة مسببٌ عن الدسنطاريا وقال انهُ اذا بذلت العناية في معالجة الدسنطاريا الى ان تشفى أُمن ظهور الحصاة الكلوية

وخالفهُ الدكتور دي سيجون فقال ان الدسنطاريا مسببة عن ضربٍ من الباشلُس لا عن الاميبا التي تسبب الدسنطاريا فقال الاستاذ شوتميس ان الدسنطاريا نوعان احدهما مسبب عن نوع من الاميبا وهذه غير وافدة ولكنها تحدث الخراجات الكبدية والآخر مسبب عن نوع من الباشلس وهي تكون وافدة وميكروبها يشبه ميكروب الكوليرا وميكروب التيفويد ولكن يمتاز عنهما تمام الامتياز

وعقبهُ الدكتور لجراند والدكتور بللي فشرحا طريقتهما في معالجة هذا الداء

ثم طرح الدكتور كومانوس باشا مسئلة التهاب الكبد واحتقانها فلم يكن في الابحاث التي تليت بشأنها شيء جديد

وتداول الاعضاء في المرض المعروف بالبلهارتسيا هيماتوبيا في قسم الجراحة فتلا الاستاذ لوس مقالة في تاريخ هذا المرض الطبيعي وقال انهُ مقتنع بان ميكروبهُ لا يصل الى الدم عن طريق الفم والمعدة لانَّ الحامض الكلوريك الموجود في المعدة يهلكهُ لكنهُ يصل الى الدم عن طريق الجلد . وعقبهُ الدكتور سمرس فتلا رسالةً في وصف هذا المرض وعرض صور اعضاء مصابة بهِ في ادوارهِ المختلفة

وبعد ان ارفضَّت جلسات الصباح زار الاعضاء مستشفى المدرسة ومتحفها ومعاملها

وبعد ظهر السبت عاد المؤتمر الى الجلسة فتلي في القسم الباثولوجي عدة رسائل عن الحمى الملاريَّة وغيرها من الحميات الكثيرة الوجود في البلدان الحارَّة. وبحث اعضاء قسم الجراحة عن معالجة البلهارسيا بالجراحة فوصف الدكتور ويلد انتشار هذا الداء في مصر ولاسيما في الشرقيَّة والبحيرة وقال ان خمس امراض الفلاحين يكون بالبلهارسيا . وانهُ لا يكاد يخلو ذكر من اهالي مديرية البحيرة من هذا المرض. وتلاهُ الدكتور ملتون فقال ان العلاج الوحيد في الحوادث المتقدمة هو العمليَّة الجراحيَّة . ثم تلا الدكتور روبرت بل مقالة في السرطان ومعالجتهِ بغير عمليَّة جراحيَّة

وصباح الاحد جرى البحث في قسم الباثولوجيا عن الكوليرا فوصف الدكتور بتر طرق الوقاية المعتمد عليها في القطر المصري وقال انها وفت بالغرض المطلوب كما يظهر من المقابلة بين فتك الكوليرا هذا العام وفتكها في السنين السابقة . وهذه الطرق هي الحجر الصحي التام في الخارج والتدابير الصحيَّة التامَّة في الداخل. والتدابير الصحيَّة افعل وانفع. ووافقهُ الدكتور روفر على ذلك ودعا اعضاء المؤتمر لمشاهدة محجر الطور . وتكلم الدكتور غوتشلخ عن الطاعون فقال انهُ ظهر في القطر المصري على نوعين ممتازين الواحد عادي وهو النوع الصيفي وهو دبلي غير خبيث وسببهُ الجرذان والثاني غير عادي وهو النوع الشتوي وهذا نادر ولكنهُ خبيث جدًّا وسببهُ الجوهري رئوي. ويعود الطاعون في الربيع بسبب تكاثر الجرذان حينئذٍ . وفصل المصابين والتطهير يمنعان انتشار النوع الرئوي وقال ان على التطهير الاعتماد في استئصال شأفة الطاعون

ويوم الاثنين دار البحث في قسم الباثولوجيا على السل فتلا الدكتور مارجليانو مقالة مسهبة في معالجة السل الرئوي والاستاذ دومر في معالجة السل بالكهربائيَّة اي بمجارٍ سريعة متوالية من الكهربائيَّة وقال انها جاءت بفائدة كبيرة وتكلَّم الدكتور سندوث والدكتور انجل عن داء الجذام في مصر والدكتور ورنوك عن الجنون المسبب عن استعمال الحشيش

ودار البحث في قسم الجراحة على الخراجات الكبديَّة فقرأ الدكتور كرتولس مقالة مسهبة عن اعراض هذا الداء وعلاجهِ الدوائي والدكتور ڤرنوف عن علاجهِ الجراحي . وذكر ١٠٩٤ حادثة عولجت بالعمليات الجراحيَّة فلم يمت منها سوى ثلاثين في المئة . وقال انهُ لا بدَّ من الالتجاء الى العمليَّة الجراحيَّة حالما تدلُّ الدلائل على تكوُّن مادَّة في الخراج وانهُ لا بدَّ من ان يكون الشق كبيرًا وعلى طرفيهِ شقَّان عرضيَّان ولا بدَّ ايضًا من تنظيف البؤرة جيدًا وحينئذٍ يقل عدد الوفيات

وتلاهُ الدكتور لجراند فتكلم على خراجات الكبد في الاطفال . وبعد الظهر تكلم الدكتور هريسن عن استئصال البروستاتا من عنق المثانة ثم دار الكلام على مرض الحصاة

ويوم الثلاثاء تليت مقالات عديدة منها مقالة في الزهري في مصر واخرى في علل القلب واخرى في استخدام اشعة رنتجن في تشخيص الامراض الباطنة كحصى الكبد وما اشبه واخرى في التشنج النفاسي واخرى في اقليم مصر والامراض التي يكثر وقوعها لمناسبة الاقليم لها وختمت جلسات المؤتمر العلمية الساعة الاولى بعد الظهر

واحتفل يوم الاربعاء في ٢٤ دسمبر باقفال المؤتمر في الاوبرا الخديوية فما ازفت الساعة العاشرة صباحاً حتى غص المكان بالاطباء والعظماء وجلس سعادة فخري باشا ناظر المعارف العمومية في صدر القاعة والدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس المؤتمر عن يمينهِ والدكتور اباتا باشا والسر هوراس بنشنج مدير عموم الصحة عن يسارهِ وجلس بقية اعضاء المؤتمر ومندوبو الدول على شكل نصف دائرة ثم فتح فخري باشا الجلسة وخطب الدكتور ابرهيم باشا حسن بالفرنسوية فقال اني بمزيد السرور اقدم الشكر بالاصالة عن نفسي والنيابة عن اهل وطني الى الحكومات الاجنبية والجمعيات العلمية والمندوبين الذين لبوا دعوتنا وشاركونا في مؤتمرنا فقد اعليتم شأن العلم ونبتم عن الامم المتمدنة التي انتدبتكم احسن نيابة واحييتم لارض الفراعنة ذكرى مجدها العلمي فجددتم وكددتم لا نجاح هذا المؤتمر وسيبقى تذكارهُ نصب عيوننا وتكتب اعمالهُ بالتبر في تاريخ مصر

ثم اعاد الشكر والثناء على المندوبين وقال اني لا اقول لكم "استودعكم الله" فقد جاء في الاثر المأثور ان من يشرب ماء النيل مرة فلا بدَّ ان يعود اليهِ اخرى وعليهِ اقول "على الطائر الميمون الى حين اللقاء"

ثم تلا الدكتور فورنوف خطبة مسهبة في المباحث المفيدة التي بحثتها اقسام المؤتمر وشكر المندوبين على الفوائد الكثيرة التي افادوا بها هذا القطر واشار الى ما ابداهُ الجناب العالي من الرعاية والعناية بشأن المؤتمر وقال ان سموهُ سيبلغ اعضاءهُ شكرهُ وسرورهُ عند مقابلتهِ لهم

وخطب الدكتور شخت مندوب المانيا بالالمانية والدكتور تشاجل مندوب النمسا باللغة النمسوية والدكتور كوبس مندوب البلجيك بالفرنسوية فذكر ان جلالة ملك البلجيك انشأ بعنايتهِ وجدهِ مستعمرة لبلادهِ في الكنغو وان كثيرين من ابناء وطنهِ الذين قاموا فيها ذهبوا فريسة لامراض البلاد الحارة ولذلك كانت اعمال هذا المؤتمر من اهم الاعمال المفيدة لبلادهِ لان الغرض منها مقاتلة الامراض التي تتفشى في البلاد الحارة وتخفيف وطأتها عن الاهالي.
ثم ذكر ان حكومة بلادهِ ستعقد مؤتمراً طبياً في شهر سبتمبر من العام القادم ودعا حضرات

المندوبين واعضاء اللجان الى حضوره وختم كلامهُ بالشكر والثناء

ثم خطب الماجور جورجاس المندوب الاميركي بالانكليزيَّة والدكتور بوشار الفرنسوي والدكتور كويس اليوناني بالفرنسويَّة فقال الدكتور بوشار ان الذين استفادوا من هذا المؤتمر حقيقة هم الاطباء الذين قدموا من البلاد الاجنبيَّة فشاهدوا امراضاً لم يكونوا يعرفونها الاَّ بالاسم واطلعوا على المباحث المفيدة التي جمعها لهم اطباء هذه البلاد بعلمهم ومزاولتهم وسيوالون البحث والتوسع فيها في بلادهم خدمة للعلم ولنوع الانسان

وخطب بقية المندوبين بالانكليزية او الفرنسوية الأَّ الدكتور ميرزا محمد مهدي خان مندوب دولة ايران فانهُ خطب بالعربية

وخطب المستر رجينلد هريسون مندوب انكلترا فهنأ الجناب العالي بنجاح المؤتمر وقال ان مصر خدمت بهِ علم الطب خدمة عظيمة انيقة وشكر الدكتور فورنوف ورفاقهُ على تنظيم المؤتمر

ثم تلا الاستاذ نتناجل مندوب النمسا مقالة طويلة في وقاية الصحة من الامراض . وتلا الاستاذ مراليانو مندوب ايطاليا خطبة في اسباب التهاب الكلية

وقد اتفق الخطباء كلهم على شكر الجناب العالي ورجال حكومتهِ ولجنة المؤتمر على ما لقوا من حسن الضيافة ومزيد الاكرام مدة اقامتهم في هذا القطر

واخيرًا قرأ السكرتير العام الاماني التي يبسطها المؤتمر وهي (١) ان يعقد المؤتمر الآتي سنة ١٩٠٧ في اواخر ديسمبر (٢) عقد مؤتمرات جديدة لتحوير ما تقرر في مؤتمر البندقية تحويرًا مطابقاً للمبادىء العلمية الجديدة وتنظيم الحج في المغرب الاقصى وغيرها تنظيماً يزيل ما يقع فيهِ الآن من الخلل (٤) مراقبة شرق القطر المصري مراقبة خصوصية (٥) اتخاذ الوسائط الواقية من الرمد الحبيبي (٦) انشاء محلات خاصة بالحمى التيفويديَّة في المستشفيات

ثم نهض سعادة فخري باشا وختم الجلسة بخطبة فرنسوية قال فيها ما يأتي

"تشرفت بان انتدبني مولاي الخديوي لرئاسة حفلة اختتام المؤتمر الطبي الاول فيسرني ان اقوم بهذه المهمة امام ممثلي الهيئات الطبية في العالم المتمدن الذين عقدوا مؤتمرهم تحت جو مصر الصافي واني اشكر باسم كل مصري الحكومات التي شرفت مؤتمركم بان انتدبت لهُ مندوبين خصوصيين كما اني اشكر الجمعيات الطبية والاطباء الاجانب المقيمين في مصر ولجنة تنظيم المؤتمر واتشرف في الختام ان اعلن باسم الجناب الخديوي اقفال المؤتمر الاول المصري"

هذا وقد تلا البعض من اطبائنا الوطنيين مقالات طبيَّة مختلفة سنأتي على خلاصتها في فرصة اخرى

دربار الهند

الدربار كلمة فارسية معناها بلاط الملك او حفلة استقبالهِ لوزرائهِ ووجهاء بلادهِ استعملها الانكليز اولاً سنة ١٨٧٧ للاحتفال بتلقيب الملكة فكتوريا سلطانة للهند . وقد اقاموا دربارًا آخر في غرة هذا العام بمدينة دهلي احتفالاً بتتويج ملكهم سلطانًا على بلاد الهند وقال الذين شهدوا الاحتفال انهُ اعظم مشهد تجلَّت فيهِ آيات الابهة والفخامة وتمثلت صورة العز والسودد حيث اجتمع الملوك والامراء من جميع انحاء السلطنة الهندية والبلاد المجاورة لها. فان امام المسجد الجامع الذي اقامهُ السلطان شاه جهان في مدينة دهلي على دكة عالية وجعلهُ آية الدهر في فخامة البناء وجمال النقش ساحة كبيرة شهدت كثيرًا من مشاهد المجد والابهة في سالف عهدها . هنا اختار لورد كرزن حاكم الهند ان يقيم الدربار الآن كما اقيم سنة ١٨٧٧ لكن دربار هذا العام كان اعظم من ذاك وافخم لانهُ اشترك فيهِ كل امراء الهند ورؤَسائها . فترك السلّم العريض المؤَدي الى المسجد ليقف عليهِ المسلمون وخصص الرواق الذي امامهُ للاوربيين ونوَّاب البلدان المجاورة كسيام ونبال وغوى والمستعمرات الفرنسوية. والجانب المواجه للمسجد تحت اسوار القصر لامراء الهند واتباعهم حسب درجاتهم ومراتبهم وقفوا فيهِ راكبين على افيالهم وهوادجها الفضيَّة تتألق في شمس الظهيرة وبعدهم الوف الجنود حسب فرقهم وصفوفهم

ولما تكبَّدت الشمس السماء في التاسع والعشرين من شهر دسمبر الماضي أُطلقت المدافع ايذانًا بوصول لورد كرزن الى محطة دهلي وبعد ربع ساعة أُعيد اطلاقها اشارة الى وصول دوق كنوت وزوجتهِ . وبين المحطة وساحة الدربار ميل ونصف فسار موكب اللورد وموكب الدوق وتلتهما مواكب امراء الهند وكان امام موكب اللورد حرس الشرف يقودهُ الجنرال كولنس وبعدهُ النذير ومعهُ اثنا عشر مبوقًا ستة منهم انكليز بخوذ بيضاء وستة هنود بعمائم مذهبة الحواشي وابواقهم من الفضة وحللهم من المخمل المزركش بالذهب وهم راكبون خيولاً دهماء ثم حرس آخر من الهنود على خيول شهب ثم حرس ثالث من الامراء واولاد الامراء الذين يرتفع نسبهم في شجرات الهند قرونًا عديدة وحللهم وحلاهم تبهر الابصار وريش الذهب يلوح فوق عمائمهم وهم على خيول دهم سروجها مغطاة بجلود النمورة. ثم تلامذة المدرسة الحربيَّة وفي مقدمتهم مهرجا إدار السر برتاب سنغ ووراءهُ مهرجا جذبور ومهرجا كشنغار ومهرجا ذلبور ورجا رتلام ونوَّاب جاورا وعشرون نائبًا من اشرف بيوتات هندستان ووراء ذلك الافيال مطايا كل موكب عظيم في بلاد الهند وهي تسير الهوينا سير الجبابرة العتاة كأنها البوارج

المدرعة تمخر بحر ذلك المشهد الوقور . وكان على الافيال الاولى اركان حرب الحاكم العام واركان حرب الدوق ورجال حاشيتيهما ثم جاء بعدها فيلان كبيران يفوقان سائر الافيال ارتفاعاً وضخامة فلما باتا من ساحة الدربار عزفت الموسيقى بالنشيد الوطني والتفت الجمع الى الهودج الذي على الفيل المتقدم فاذا فيهِ الحاكم العام لورد كرزن منتصب القامة طلق المحيا وهو يشير بيدهِ مسلماً على الجماهير المنتصبة لاستقبالهِ والى جانبهِ زوجتهُ تزيد طلعتها المشهد بهجة وجمالاً

وهذا الفيل لمهرجا بنارس وهو الذي اقلّ لورد لتن لما اتى دهلي لمثل هذا الاحتفال سنة ١٨٧٧ وهودجهُ من الفضة الخالصة معلم بالذهب ويتدلَّى منهُ حلساحرير يصلان الى الارض على كلٍّ منهما شمس واسود من الذهب الوهاج وامامهُ وعلى جانبيهِ رماحة رماحهم من الفضة وعذباتها من الذهب . والفيل الثاني يقل الدوق والدوقة وهو كالاول قدرًا وعظمةً هودجهُ من الفضة معلم بشعار مهرجا جيبور وهو فهد ذهب واثب على غزال وحلساهُ معلمان بصورة الشمس والاسود

وهنا ابتدأت مجالي الابهة بما يفوق وصف الواصفين فان الافيال التي تبعت فيلي الحاكم والدوق اقبلت اثنين اثنين تقلُّ اقيال الهند خمسين اميرًا ووراءهم خمسون فيلاً اخرى تقل المهرجات والرجات والنوَّاب . يرى الناظر المطل عليها بحرًا من الحرير والمقصب زبدهُ الذهب والفضة تتلألأ فيهِ فرائد الجواهر من الماس والياقوت والزمرد وتتألق الدرر الغوالي على الحلل والعمائم ولا يُسمع منهُ الأَّ صوت جلاجل الفضة والذهب من اعناق الافيال وحواشي الهوادج

ثم اقبلت صفوف المركبات تقلُّ حكام الولايات ورؤساء دوائر الحكومة . ثم القائد العام لجنود الهند لورد كتشنر بطل السودان والترنسفال منتصباً على ظهر جوادهِ عابس الوجه بادي المهابة كالاسد الرئبال وامامهُ اركان حربهِ من جنود بريطانيا وجنود الهند ووراءهُ رماحة بنغالا وبهم ختام الموكب. ولكنهم لم يكادوا يصلون الى ساحة الدربار حتى دارت الافيال التي كانت واقفة فيها وسارت وراءهم وهي مئة وخمسون فيلاً سارت سيرًا وئيدًا فماجت بها الارض ومادت وهي لاتباع امراء الهند وزينتهم تقلُّ عن زينة اسيادهم لكنها ليست دونها بهاء . وقد اقتضى مرور هذا الموكب من محطة سكة الحديد الى ساحة الدربار ساعتين كاملتين وكانت سطوح دهلي وشرفاتها وكواها وكل مصطبة فيها غاصة بجماهير المشاهدين وهم بابهى الحلى والحلل . ولما وصل الموكب كلهُ الى الساحة وقف لورد كرزن ودوق كنوت واصطف الامراء في اماكنهم ثم تفرقوا الى خيامهم ومنازلهم على ان يجتمعوا ثانية في غرة العام الجديد للاحتفال بالدربار

وفي الوقت المعين اجتمع في ساحة المهرجان اكثر من اربعين الفاً من الجنود والقواد بقيادة البطل الباسل اللورد كتشنر واقبل اللورد كرزن بموكبهِ الحافل وجلس على عرش من الذهب والفضة

ممثلاً ملك الانكليز وجلس دوق كنوت اخو الملك على عرش آخر ووراءهما دوقة كنوت ولادي كرزن ثم حاشية الحاكم وحاشية الدوق وحول الجميع الاقيال والامراء والعظماء حسب مقاماتهم .

ولما انقطع دوي المدفع الاخير من مدافع السلام تقدم ناظر خارجية الهند الى امام لورد كرزن واستأذنهُ في افتتاح الدربار فاذن لهُ في ذلك فاشار الى رئيس فرق الموسيقى فقرعت الطبول ونفخ في الابواق وارتفعت الاصوات الموسيقية ثم دخل النذير ووراءهُ المبوقون ودنوا من العرش وسلموا فامرهُ الحاكم ان يقرأ منشور الملك الذي يعلن فيهِ تتويجهُ امبراطوراً على الهند فقرأهُ بصوت رنان سمع في كل ناحية من نواحي المشهد وهذا تعريبهُ

"حيث اننا ارتقينا الى عرشنا باسم ادورد السابع بنعمة الله ملك مملكة بريطانيا العظمى وارلندا المتحدة حامي الايمان وامبراطور الهند حين وفاة ملكتنا السعيدة الذكر الملكة فكتوريا في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة الف وتسعماية وواحدة لمخلصنا

"وحيث اننا اعلنا رغبتنا الملكية بنعمة الله القدير في الاحتفال بتتويجنا في السادس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٠٢ .... وتمكنا بنعمة الله القدير وبركتهِ من اقامة الاحتفال المذكور يوم السبت في التاسع من شهر اغسطس الماضي

"وحيث اننا نودُّ ونريد ان ذلك الاحتفال يعلن لكل رعايانا المحبوبين في ممالكنا الهندية وان يباح لحكامنا ونوابهم ورؤَساء الادارات وامراء الولايات الوطنيَّة التي تحت حمايتنا ورؤَسائها وشرفائها ولنوَّاب كل الولايات في سلطنتنا الهندية ان يشتركوا في هذا الاحتفال

"فنحن نعلن بهذا المنشور ونأمر ونوصي وزيرنا الامين المحبوب جورج نثانائيل لورد كرزن نائبنا في بلاد الهند ان يقيم في مدينة دهلي في غرة ينايرسنة ١٩٠٣ درباراً امبراطورياً لكي يُعلَن فيهِ اتمام الاحتفال بتتويجنا. ونأمر ان يقرأ هذا المنشور في الدربار المشار اليهِ لكي يعلم بهِ كل من يهمهُ

"صدر من بلاطنا بسنت جمس في غرة اكتوبر سنة ١٩٠٢ في السنة الثانية من ملكنا"

ولما اتمَّ النذير تلاوة هذا المنشور صدحت الموسيقى واطلقت المدافع وهتف الجمهور بالدعاء. ثم نهض لورد كرزن وخطب في الجمهور خطبة طويلة قال فيها

"منذ خمسة اشهر تُوِّج جلالة الملك ادورد السابع في مدينة لندن ملكاً لانكلترا وامبراطوراً لبلاد الهند . ولقد كان من نصيب القليلين من نوَّاب هذه البلاد ان يشهدوا ذلك الاحتفال

"والآن اتاح جلالتهُ لكل اهاليها ان يشتركوا في ذلك الاحتفال فاجتمع الامراء والرؤَساء والشرفاء الذين هم عماد عرشهِ ورجال الحكومة من الاوربيين والهنود القابضين على زمام الاحكام باستقامة وامانة لا مثيل لها والجنود البريطانيون والوطنيون الذين يحمون حمى الوطن

وجمهور السكان من كل الشعوب والامم على اختلاف احوالهم ومذاهبهم اجتمعوا ليظهروا ولاءهم للعرش الامبراطوري . ولقد امرني جلالتهُ ان اقيم هذا الدربار احتفالاً بتتويجهِ في بلاد الهند وبعث اليها باخيهِ دلالةً على ما لهذا المشهد في نفسهِ من سمو المقام

"وفي مثل هذا اليوم منذ ست وعشرين سنة وفي هذه المدينة المشهورة في تاريخ الهند شهرة فائقة وفي هذه الساعة عينها جرى الاحتفال بتسمية الملكة فكتوريا امبراطورة لبلاد الهند اثباتاً لاهتمامها بامر رعاياها الهنود ولاتحاد ممالك الهند تحت العلم البريطاني. والآن لم يقلَّ ذلك الاتحاد عمّا كان بل زاد تمكُّناً والملك الذي اجتمعنا لنعلن خضوعنا لهُ لا تقلُّ محبة رعاياهُ الهنود لهُ عن محبتهم لامهِ لا سيما وانهم قد رأوا وجههُ وسمعوا صوتهُ . وقد رقي الى عرش لا مثيل لهُ في المسكونة في العظمة والثبات ومن اقوى دعائمهِ السلطنة الهندية وخضوع اهاليها الهنود لهُ فان بلاد الهند مشهورة بطاعة شعوبها لملوكهم كما هي مشهورة بتقاليدها القديمة وقد خطب كثيرون من الملوك ودَّها فلم تلقِ قيادها الاَّ الى المملكة التي عرفت كيف تنال ولاءها

"لا يمكن ان يرى مثل هذا المشهد في مكان آخر على وجه البسيطة. ولا اقول ذلك من حيث كبر الحشد مع انهُ لا مثيل لهُ في ذلك بل من حيث ما يمثّلهُ فان فيهِ مئة متسلط يتسلطون على اكثر من ستين مليوناً من النفوس وبلادهم تمتد على ٥٥ درجة من الطول (٣٣٠٠ ميل) ونحن نقدر العواطف التي حملتهم على المجيء الى هذه المدينة قدرها لا سيما وانهم اتوا من بلدان بعيدة جدًّا غير مبالين بالمشاق وساتشرف بسماع التهانيء للملك من افواههم

"والقواد والجنود الحاضرون هنا يمثلون جنود الهند البالغ عددها ٢٣٠ الفاً والتي تفتخر بانها جنود الملك. ورؤَساء الامم الهنديَّة يمثلون ٢٣٠ مليوناً من النفوس . فقد اجتمع في هذا المشهد نوَّاب قوم لا يقلون عن خمس البشر وكلهم خاضعون لملك واحد وواقفون هنا لغرض واحد وهو الاعراب عن ولائهم لهُ. وان قيل كيف يكون لهذه الامم الكثيرة المتباينة المذاهب والمشارب غرض واحد قلتُ ان ولاءهم للسدة البريطانيَّة كناية عن ثقتهم بعدل حكمها ولينهِ فليس هذا الولاء عاطفة من عواطف النفس بل هو نتيجة لازمة عن اختبارهم الطويل واعرابٌ عما هو راسخ في نفوسهم لان حكومة الملك قد نجَّت ملايين كثيرة منهم من الاعتداء الخارجي والفوضى الداخليَّة وضمنت لملايين اخرى حقوقها وامتيازاتها وفتحت امام غيرهم ابواب الكسب الحلال وشملت عامتهم بالرحمة والحنان في اوقات الضنك والضيق وهي تبذل الجهد لتشمل الجميع بالعدل وتدفع عنهم الضيم وتشركهم في نعم العلم والسلم . ان امتلاك هذه الممالك الواسعة الارجاء لامرٌ عظيم جدًّا لكنَّ حكمها بالعدل والانصاف اعظم منهُ والتوفيق بين اممها وجعلهم امَّة واحدةً

بحسن السياسة والادارة لاعظم من الجميع وهذا من الاغراض التي نسعى اليها في هذا الدربار

"وعليَّ الآن ان اقرأ لكم رسالة الملك التي طلب مني ان ابلغها الى شعبهِ الهندي وهي

" يسرني جدًّا ان ابعث برسالة التحيَّة الى شعبي الهندي في الوقت الذي يحتفل فيهِ بتتويجي فقد تمكَّن قليلون من امراء الهند ونوّابها من حضور الاحتفال في مدينة لندن ولذلك اوصيت نائبي حاكم الهند العام باقامة دربار عظيم في مدينة دهلي لكي يشترك امراء الهند ورؤساؤها وشعوبها ورجال حكومتي في تذكار تتويجي. ومنذ زرت بلاد الهند سنة ١٨٧٥ رسخ حب تلك البلاد وشعبها في نفسي. وانا عالم بولائهم لبيتي وعرشي وقد رأيت ادلة كثيرة على ذلك في السنين الاخيرة وكان للجنود الهندية اليد البيضاء والبلاء الحسن في حروب سلطنتي. وارجو ان ابني المحبوب برنس اوف ويلس وزوجتهُ برنسس اوف ويلس يتمكنان قريبًا من زيارة الهند البلاد التي كنت دائمًا اود ان يرياها وهما مشتاقان ايضًا الى زيارتها. وياحبذا لو امكنني ان ازوركم الآن واحضر هذا الاحتفال بنفسي ولكني قد بعثت اليكم باخي العزيز دوق كنوت المعروف في بلادكم لكي يكون نائبًا عن عائلتي في حضور هذا الاحتفال. والغرض الذي اسعى اليهِ منذ خلفت والدتي السعيدة الذكر الملكة فكتوريا امبراطورة الهند الاولى هو ان احافظ على العدل والحنان اللذين اتصف بهما حكمها السعيد فرسّخا حبها واكرامها في قلوب رعاياها. واني اكرر لحلفائي ورعاياي في كل بلاد الهند اني احافظ على حريتهم واحترم حقوقهم واسرُّ بتقدمهم وابذل جهدي في انجاحهم هذا هو غرضي الاقصى وغاية مرادي وسأُوفَّق بنعمة الله القدير الى زيادة نجاح الهند وسعادة شعبها "

"فيا أُمراء الهند ويا شعوبها هذه كلمات ملككم الذي اتينا نحتفل بتذكار تتويجهِ وهي تبثُّ الغيرة في نفوس رجال الحكومة المنتظمين في خدمتهِ وتعرب للجميع عن صدر رحيب ورغبة اكيدة في فلاحهم. واما لي ولاخواني الذين يشاركونني في ادارة الحكومة فهي دليل يرشدنا الى السبيل الذي يجب ان نتبعهُ في سيرنا واعمالنا. ولم يكن وقت من الاوقات كنا فيهِ اشد رغبةً منا الآن في ان تكون ادارتنا متصفة باللين والتؤدة. ولقد عرض علينا امراء الهند رجالهم وسيوفهم في حروبنا الحديثة وبذلوا هذه النخوة وهذه المروءة في تخفيف وطأة القيظ والقحط. ويصعب ان يعطوا اكثر مما نالوا ويتعذر ان يُزاد على الامن الذي هم متمتعون بهِ الآن بعد ان ثبت انهُ موطَّد الاركان ومع ذلك يسرنا ان نشير على الحكومة ان تتجاوز مدة ثلاث سنوات عن ربا كل القروض التي اقترضتها ممالك الهند من حكومة الهند او كفلتها الحكومة لها على اثر المجاعة الاخيرة ونرجو ان يكون ذلك مقبولاً "

وذكر كلامًا آخر من هذا القبيل واستطرد الى ما تمَّ في بلاد الهند من النجاح حتى الآن وما

يمكن ان يتمَّ فيها ايضاً بحسن الادارة وقال ان هند المستقبل ستكون داراً للصناعة الواسعة والعقول المستنيرة والنجاح المتزايد والثروة الوافرة والنعيم المقيم الى ان قال "وانا عالم مقاصد بلادي وواثق بحسن نيتها وعظم مقدرتها ولكن هذا المستقبل السعيد لا ينال الاَّ اذا بقيت السيادة لها وحدها من غير منازع ورجائي الوطيد ان يبقى ذكر هذا المشهد في اذهان شعوب الهند زماناً طويلاً كمعرب لهم عن عواطف ملكهم وان لا يذكر الاَّ بالبهجة والسرور وان يحيا ملك الملك ادورد السابع في تاريخ الهند وقلوب شعبها. ونطلب من الله القدير المتسلط على الكون ان يديم حكم ملكنا سنين كثيرة ويزيد رفاهة شعبهِ يوماً فيوماً وان تمتاز ادارة رجالهِ بالحكمة والفضيلة ويبقى الامن موطَّد الاركان في ممالكهِ ابد الدهر. ليحيَ الملك امبراطور الهند"

وكانت الجماهير تضجُّ باصوات الابتهاج كلما سمعت عبارة تحرّك عواطفها بنوع خاص حتى اذا اتمَّ لورد كرزن خطبتهُ تقدَّم النذير ونادى بالهتاف للملك ثلاثاً فانتصب الجميع على اقدامهم وشاركوهُ في الهتاف واجابهم اربعون الفاً من الجنود باصوات الهتاف تحملها الرياح وتدوي بها الجبال والقيعان وصدحت الموسيقى بسلام الملك. ثم تقدم وزير الخارجيَّة وطلب من الحاكم العام ان يأذن لهُ في احضار امراء الهند بين يديهِ لتقديم التهنئة فقاموا من مجالسهم عن يمين العرش وعن يسارهِ وتقدموا الواحد بعد الآخر اولهم نظام حيدر اباد الذي يتصل نسبهُ الى ابي بكر الصديق وهو متسلط على اكثر من احد عشر مليوناً من النفوس ثم مهرجا بارودا الذي بلادهُ من اغنى بلاد الهند واكثرها سكاناً بالنسبة الى ضيق مساحتها ثم مهرجا ميسور الذي بلادهُ تتلو بلاد النظام في اتساع مساحتها. فمهرجا كشمير الذي في بلادهِ اجمل جبال الارض وبحيراتها وهلمَّ جرًّا الى ٩٨ اميراً اومتسلطاً وهم يمثلون ٢٣١ مليوناً من النفوس التي تحت السيطرة البريطانيَّة مباشرة ويتسلطون على ٦٣ مليوناً من الاهالي المحالفين للانكليز الداخلين في ولائهم. وبينهم اميرة بهوبال وكانت لابسة تاجاً بديع الصنعة فتقدمت وفي يدها سفط من الذهب وضعتهُ امام لورد كرزن فيهِ رسائل تهنئة للملك. وغيرهم من الامراء الموالين للدولة الانكليزيَّة مثل خان خلاط وسلطان لحيج وسلطان الشحر وسلطان المكلاَّ ومهتار شترال. وحلل هؤلاء الامراء والرؤساء تفوق الوصف وحلاهم تفوق التقدير وقد حضروا بمواكبهم العظيمة ومجالي عظمتهم وابهتهم ليشتركوا في اظهار دلائل الولاء للسدَّة البريطانية وواحدة منهم وهي زوجة مهرتا جيور قدمت الى لورد كرزن مئة الف ربيَّة لتوضع في صندوق اعانة الجياع تذكاراً لهذا الدربار

ولما تمَّ مرور الامراء طلب ناظر الخارجيَّة ان يؤذن لهُ في ختم الدربار فخرج لورد كرزن وزوجتهُ والدوق وزوجتهُ بموكبيهما وتبعهم سائر الامراء والنوَّاب بالاحتفال الذي دخلوا فيهِ

قانون القرعة العسكرية المصرية

في الاقتراع السنوي

٦٣ — تعلن نظارة الحربية بواسطة المدير اليوم الذي يبدأ فيهِ مجلس الاقتراع بعقد جلساتهِ في احد المراكز قبل الابتداء بعقدها باربعة عشر يوماً

٦٤ — يعقد المجلس جلساتهِ عادة في ديوان المركز ومع ذلك يجوز لهُ ان يعقدها بصفة وقتية في اي محل آخر في دائرة المركز لفحص كشوفات البلاد التي يسهل الوصول اليها من ذلك المحل

٦٥ — تكون جلسات المجلس علنية مع حفظ الحق لهُ في المداولة سرًّا

وتقرر المسائل كلها باغلبية الاصوات واذا تساوت الاصوات فللرئيس ان يعطي صوتًا ثانيًا قاطعًا

٦٦ — يباشر المجلس في عملهِ بلدًا بعد بلد ويعلن اليوم الذي يحدده لكل بلد قبل حلولهِ بزمن مناسب

ومع ذلك فالاشخاص الذين يطلبون المعافاة لكونهم من الفقهاء يجوز طلبهم لامتحانهم حسب نصوص المادة (٣٩) في الاوقات المناسبة لذلك

٦٧ — يجب على جميع الاشخاص المدرجة اسماؤهم في كشوفات القرعة ان يحضروا امام المجلس مع عمدة بلدهم ومشايخها والصراف في اليوم المحدد للنظر في كشوفات بلدهم . فاذا كان احد الاشخاص المكتوبين في الكشوفة لا يقدر على الحضور بنفسهِ فعليهِ ان يرسل من ينوب عنهُ

٦٨ — ثم يضبط المجلس ضبطًا نهائيًّا كشف الاشخاص الذين لهم علاقة بالبلد وواجب اشتراكهم في الاقتراع لانهم مكلفون بالخدمة العسكرية

وتوصلًا لهذا الغرض يجب عليهِ ان يسمع كل شكوى تختص باسقاط اسماء من كشوفات الاشخاص المكلفين بالخدمة ويضيف الى تلك الكشوف الاسماء التي يثبت لديهِ اسقاطها بدون حق

وعليهِ ان يفحص حالة كل شخص يكون اسمهُ واردًا في هذه الكشوفة ويحكم في جميع طلبات المعافاة التي يقدّمها هؤلاء الاشخاص وفي جميع شكاويهم التي يقدمونها نظرًا لدرج اسمائهم في الكشوفة بدون حق

٦٩ — اذا غاب شخص مدرج اسمهُ في الكشوفة ولم ينب عنهُ احد فعلى المجلس ان

يبحث عن جهة وجوده وعمّا اذا كان في قيد الحياة . فاذا ثبتت وفاته يؤشر بذلك في الكشوفة ولو ان الوفاة غير مقيدة في دفتر وفيات البلد

٧٠ — على المجلس ان يرفض من الاقتراع كل شخص لا يليق للخدمة العسكرية لكونهِ اقصر من الطول الذي تعينهُ نظارة الحربية او بسبب فقد عين او عضو او لأن بهِ عاهة من العاهات التي تجعلها نظارة الحربية في تعليماتها سبباً لرفض صاحبها

٧١ — يجوز لنظارة الحربية ان تصدر تعليمات بان يحذف من الاقتراع الاشخاص الذين ولدوا في بلدة او سبق لهم التوطن فيها ولكنهم ابطلوا الاقامة فيها ولم تبق لهم علاقة بها واختفى أثرهم من مدة تحددها النظارة في تعليماتها وليس لهم أب أو أخ مقيم في البلدة او لهُ املاك فيها وفي امكانهِ ان يدل على محل اقامتهم

وللعمل بهذه المادة يجوز ارسال تعليمات خصوصية للجهات المختلفة تبعاً لعوائد اهاليها واحوالهم

٧٢ — كل شخص مدرج اسمهُ في كشوفة الاشخاص المكلفين بالخدمة العسكرية اذا اثبت للمجلس ان اقتراعهُ قد حصل في جهة اخرى يحذف اسمهُ من الاقتراع

٧٣ — لا يدخل شخص في الاقتراع بعد بلوغهِ سن السابعة والعشرين

٧٤ — على المجلس ان يأمر بكتابة طول كل شخص وارد في كشوفة القرعة امام اسمهِ مع الاوصاف البدنية التي تساعد على معرفة شخصيتهِ وتكون على حسب التعليمات التي تصدرها نظارة الحربية

٧٥ — على المجلس ان يراجع كشف المستجدين في البلد المنصوص عنهُ في المادة (٥٨) وان يبحث عن عمر كل شخص وارد في الكشف المذكور ويدوّنهُ فيهِ

٧٦ — وعند العمل باحكام هذا الفصل يكون للمجلس سلطة عامة بطلب الشهود للحضور امامهُ واخذ اقوالهم بتحليف اليمين او بدونهِ وباكراه الشاهد على الحضور تحت الحفظ اذا لم يحضر حين الطلب

٧٧ — متى دعت الحالة عند العمل باحكام هذا الفصل لمعرفة عمر احد الاشخاص يجب الكشف عنهُ من دفتر المواليد اذا كان ذلك ممكناً والاّ فالمجلس يحدد عمرهُ بناء على افضل البينات التي يمكنهُ الوصول اليها

٧٨ — على المجلس ان يصدر قراراً نهائياً في المسائل التي تعرض لديهِ على قدر امكانهِ . اما المسائل التي لا يمكن اتمام تحقيقها قبل انتهاء المجلس من جلساتهِ فتحال على مجلس قرعة المديرية لاعطاء قرارهِ فيها واذا كان اقتراع الشخص او عدمهُ متوقفاً على المسائل التي تؤجل

على هذه الصفة فذلك الشخص يقترع بصفة وقتية

٧٩ — يجوز استئناف القرارات الصادرة من مجلس الاقتراع في المسائل القانونية الى نظارة الحربية ويجوز للمجلس نفسهُ ان يرفع الى نظارة الحربية المسائل القانونية ويطلب رأيها فيها

ويجوز ايضاً استئناف القرارات الصادرة من المجلس في مسائل السنّ الى نظارة الحربية وذلك عند ما لا يكون قرارهُ مبنياً على دفتر المواليد وفي هذه الحالة تأمر النظارة باعادة الكشف الطبي على الشخص المختلف في عمرهِ بمعرفة حكيمباشي الجيش وضابط آخر ينتدبهُ الحكيمباشي لهذا الغرض

اما باقي المسائل المتعلقة بالوقائع الاخرى فقرار المجلس يعتبر فيها نهائياً الاَّ اذا دعت الحالة الى اعادة النظر فيها لداعي الغش

٨٠ — وبعد الفراغ من ضبط الكشوفة المتضمنة اسماء الذين يدخلون في الاقتراع ضبطاً نهائياً فالترتيب الذي على مقتضاهُ يطلب هؤلاء الاشخاص للتجنيد يكون بحسب القرعة التي تعمل بحضور مجلس الاقتراع . ويجوز للشخص الذي يحضر بنفسهِ امام المجلس او لمن ينوب عنهُ في حالة غيابهِ ان يسحب نمرة بيدهِ

٨١ — ويسحب رئيس المجلس في هذا الاقتراع نمرة وهذه النمرة تكون نمرة كل شخص حذف اسمهُ من جداول الاقتراع لاستحقاقهِ المعافاة او لسبب آخر ثم يصير فيما بعد مكلفاً باداء الخدمة

واذا صار فيما بعد عدد الذين تبطل معافاتهم على هذه الصفة اكثر من شخص واحد فالترتيب الذي يطلبون فيهِ للتجنيد بالنسبة الى بعضهم يكون على حسب التواريخ التي بطلت فيها اسباب معافاتهم

٨٢ — يجوز لنظارة الحربية ان تصدر امرها بضم بلدين او اكثر للاشتراك في اقتراع واحد متى كانت البلاد مجاورة بعضها بعضاً وكان من المناسب طلب شبانها المكلفين بالاقتراع ليحضروا معاً في آن واحد

ويشرع في الاقتراع الذي من هذا النوع حينما تتم كشوفة تلك البلاد نهائياً والاشخاص الذين يشتركون فيهِ يعاملون من حيث تجنيدهم كأنهم تابعون لبلدة واحدة

٨٣ — وعند ما ينتهي الاقتراع يأمر المجلس باعداد ثلاث نسخ من كشف الاشخاص الذين تقدموا اليهِ بصفة انهم مكلفون بالخدمة العسكرية . وهذا الكشف ينقسم الى قسمين

اولهما تكتب فيهِ اسماء الاشخاص الذين تم اقتراعهم مع النمر التي سحبوها لانفسهم وثانيهما تكتب فيهِ اسماء الاشخاص الذين قدّموا امام المجلس بصفة انهم مكلفون بالخدمة العسكرية ولم يقترعوا مع ايضاح الاسباب التي دعت الى معافاتهم او الى حذفهم من الاقتراع ويمضي على كل صورة من هذا الكشف رئيس المجلس وبقيَّة اعضائهِ ثم ترسل احدى الصور الى نظارة الحربيَّة وتحفظ الصورة الثانية في دفترخانة المديرية تحت طلب مجلس قرعة المديرية وتبقى الثالثة عند عمدة البلد او الصراف

٨٤ — وعلى المجلس ايضاً ان يأمر باعداد نسختين من كشف جميع الاشخاص المستجدين في البلد الذين حدد المجلس اعمارهم حسب المادة (٧٥) احداها تحفظ مع دفاتر المواليد في البلد والثانية تحفظ في دفترخانة المديرية تحت طلب مجلس قرعة المديرية

٨٥ — كل مسألة تنشأ بعد الانتهاء من جلسات مجلس الاقتراع عن الزام احد الاشخاص بالخدمة العسكرية او اعفائهِ منها وكل مسألة تؤجل بناء على احكام المادة (٧٨) يحكم فيها مجلس قرعة المديرية مع حفظ الحق باستئنافها الى نظارة الحربية

في التجنيد

٨٦ — الاشخاص الذين اشتركوا في الاقتراع يطلبون للتجنيد بحسب احتياج الجيش

وعدد الانفار اللازم تجنيدهم من الذين اشتركوا في الاقتراع في احدى السنين يقسم على المراكز المختلفة بحسب نسبة عدد الذين تمَّ اقتراعهم في تلك السنة في كل مركز

٨٧ — عند ما يراد طلب انفار من احد المراكز فقبل ميعاد الطلب باربعة عشر يوماً ترسل نظارة الحربية اعلاناً بواسطة المدير الى العدد الكافي من الاشخاص الجائز طلبهم لكي يحضروا الكشف الطبي في بندر المديرية او بندر المركز

وعدد الاشخاص الذين يطلبون من كل بلد يكون على قدر الامكان بالنسبة الى عدد الذين اشتركوا في الاقتراع من اهلهِ في تلك السنة وعند تعيين هذا العدد يستنزل منهُ الانفار الذين أُخذوا من البلد عن تلك السنة. ويؤخذ الاشخاص من كل بلد من الذين تكون اسماؤهم واردة اولاً في الكشف المرتب على حسب الاقتراع

٨٨ — يكشف احد الضباط الطبيين المفتشين المعينين بمقتضى المادة ٩ على الاشخاص الذين يطلبون للتجنيد في اليوم المعين لحضورهم او باول فرصة بعد ذلك اليوم والذين يوجدون منهم لائقين طبيًّا وذوي بنية موافقة للخدمة العسكرية يؤخذ العدد اللازم منهم من كل بلد على حسب ترتيبهم في الاقتراع ويرسل الى ديوان الحربية لتجنيدهِ

والعدد الذي يؤخذ من كل بلد يكون على قدر الامكان بنسبة العدد الذي طلب فالذين يكشف عليهم ويوجدون لائقين طبياً ولا يؤخذون للتجنيد يعادون الى بلادهم ليطلبوا منها عند الحاجة اما اذا وجد اشخاص لم يكشف عليهم فيجوز طلبهم ثانية للكشف

٨٩ — كل نفر يرسل الى ديوان الحربية يكشف عليهِ الادجوتانت جنرال والحكيمباشي او من يقوم مقام كل منهما وتبدأُ خدمتهُ العسكرية من اليوم الذي يصادقان فيهِ على تجنيدهِ

٩٠ — تصدر نظارة الحربية تعليماتها الى المفتشين الطبيين عن الشروط البدنية الواجب توفرها في الانفار وعن الاسباب الصحية التي توجب رفضهم

وتحدد بنوع خاص مقياساً لطول الانفار ولها ان تعين مقياساً خصوصياً لكل نوع من اسلحة الجيش

٩١ — عند ما تدعو الحالة الى طلب انفار لسلاح خصوصي لهُ مقياس معين فالاشخاص الذين يرفضون لعدم توفر المقياس المطلوب فيهم لكنهم من مقياس الجيش العمومي يجوز طلبهم ثانية عند لزوم الانفار لأسلحة الجيش الاخرى

ولنظارة الحربية في حالات التجنيد الخصوصي الذي من هذا النوع ان تطلب فقط الاشخاص الذين يظهر لها من كشوفة الاقتراع انهم يصلحون للغاية المطلوبة مع حفظ الحق بطلب الاشخاص الواردين قبلهم في كشوفة الاقتراع فيما بعد

٩٢ — الانفار الذين تحتاج اليهم البحرية يجوز تجنيدهم تجنيداً خصوصياً من اي مركز يصلح اهلهُ بوجه خاص لخدمة البحرية ولا حاجة وقتئذٍ لمراعاة النسبة المبينة في المادة ٨٦ بين اهل هذه المراكز وبقية البلاد

٩٣ — تحدد نظارة الحربية بصفة نهائية عدد الانفار الواجب تجنيدهم من الذين اشتركوا في اقتراع سنة ما قبل الابتداء بطلب انفار من الذين اشتركوا في الاقتراع في السنين التالية

ومتى تم تجنيد هذا العدد المحدد لا يجوز بعد ذلك تجنيد احد من الاشخاص الخاصين بتلك السنة الَّا في حالات الضرورة الخصوصية وبتصريح من مجلس النظار

في البدل الشخصي

٩٤ — يجوز لكل شاب من شبان القرعة أن يقدم شخصاً بدلاً عنهُ وقتما يطلب للتجنيد او اي وقت في خلال اربعة عشر يوماً بعد طلبهِ للتجنيد

ويجب ان يكون هذا البدل شخصاً لم يبلغ سن الرابعة والعشرين وثبت حقهُ في المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكريَّة وان تصادق نظارة الحربية على قبولهِ

وهذا البدل الشخصي يكون مكلفاً بالخدمة في الرديف او البوليس او خفر السواحل كما هو مكلف بالخدمة في الجيش

٩٥ — اذا فر البدل من الخدمة فعلى الشخص المستبدل ان يجد بدلاً آخر مستوفي الشروط المذكورة في المادة السابقة او يؤخذ بنفسهِ للخدمة الى ان يسلم الفار نفسهُ او يلقى القبض عليهِ

القسم الخامس في الرفت على الرديف وخدمة الرديف وغير ذلك

في الرفت

٩٦ — يتم الرفت من الجيش مرتين في السنة وتكون المدة بينهما ستة اشهر او مقاربة لذلك على قدر الامكان

٩٧ — العسكري المقترع يصير مستحقاً للرفت من الجيش في اول موعد من مواعيد الرفت يجيء بعد انقضاء خمس سنين من بدء خدمتهِ

واذا لم يمكن رفتهُ في الموعد المذكور تماماً بناء على احوال خصوصية فالواجب ان يرفت من خدمة الجيش بعد ذلك الموعد بأسرع ما في الامكان

٩٨ — كل عسكري مقترع رفت من خدمة الجيش يعطى تذكرة سفر على نفقة الحكومة الى البلد الذي اقترع فيهِ او الى اي محل آخر يختارهُ بشرط ان لا تزيد نفقة الوصول اليهِ عن نفقة الوصول الى بلدهِ الاصلي . فاذا اختار الذهاب الى محل تزيد نفقة الوصول اليهِ عن نفقة الوصول الى بلدهِ فيعطى لهُ ما يعادل اجرة السفر الى بلدهِ الاصلي

وفي اي حال كان يبقى معتبراً عسكرياً من حيث حقهِ بماهيتهِ وتعييناتهِ حتى تنقضي المدة التي تلزم في الاحوال الاعتيادية لوصولهِ الى بلدهِ لو توجه اليهِ او لوصولهِ الى المحل الذي يقصدهُ باختيار الزمن الاقصر منهما

٩٩ — كل عسكري مقترع يستغني الجيش عن خدمتهِ قبل حلول التاريخ الذي يستحق الرفت فيهِ يجوز ارسالهُ على نفقة الحكومة الى بلدهِ ويبقى فيهِ بالاجازة الحرة بلا ماهية تحت الطلب للرجوع الى الخدمة في اي وقت كان قبل ما يصير مستحقاً للرفت ويجوز ايضاً رفتهُ من الجيش حالاً عند الاستغناء عن خدمتهِ

١٠٠ — كل عسكري مقترع يكون او يصير غير لائق للخدمة يجوز رفتهُ من الجيش في اي وقت كان بأمر نظارة الحربية بناء على رأي لجنة طبية . والعسكري الذي يرفت لعدم اللياقة يجوز اعفاؤهُ من الخدمة في الرديف متى اشارت اللجنة الطبية بذلك

١٠١ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش رفتاً نهائياً يعطى تذكرة رفت تقرر اركانها ونصها نظارة الحربية

١٠٢ — يجوز ايقاف الرفت من الجيش في اوقات الحرب والطوارىء الاهلية بقرار من مجلس النظار وتستمر مدة الايقاف على قدر ما تقتضيه الاحوال

الخدمة في الرديف

١٠٣ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش يحال على الرديف حالاً الاّ اذا أُلحق بخدمة البوليس او خفر السواحل حسب مواد الفصل السادس عشر او كان معفى من الخدمة في الرديف او مسامحاً منها

١٠٤ — على كل رجل في خدمة الرديف ان يعلن جهة الاختصاص التي تعينها نظارة الحربية كلما غير محل اقامته

١٠٥ — يجوز لنظارة الحربية ان تطلب جميع رجال الرديف او بعضهم لاجراء التمرينات العسكرية مدة لا تزيد عن ثلاثين يوماً في السنة الواحدة

وعند استعمال السلطة المخولة في هذه المادة يجب ان ينتخب وقت مناسب لطلب رجال الرديف بحيث لا تتعطل فيه اشغالهم العادية على قدر الامكان

١٠٦ — يجوز طلب جميع رجال الرديف او بعضهم في اي وقت من الاوقات بقرار من مجلس النظار للمساعدة على حفظ الامن مدة القلاقل العمومية او لاجراء الاحتياطات الصحية اللازمة وقت انتشار الوباء

١٠٧ — يجوز لنظارة الحربية ان تطلب جميع رجال الرديف او بعضهم للخدمة العسكرية في وقت الحرب او الطوارىء الاهلية وذلك باذن من مجلس النظار

ولاجل الوصول الى الغاية المقصودة من هذه المادة يعتبر رجال الرديف انهم منقسمون الى درجات تبعاً لنوع السلاح او المصلحة التي خدموا فيها مدة وجودهم في الجيش

ويجوز قانوناً طلب درجة واحدة من رجال الرديف بدون طلب رجال الدرجة الاخرى ويطلب رجال الدرجة الواحدة حسب ترتيب رفتهم من الجيش ويبدأ بالذين رفتوا آخر الكل

١٠٨ — كل رجل يطلب من الرديف لاحدى الاغراض المصرح بها في هذا الفصل يعتبر من الساعة المعينة لحضوره خاضعاً للاحكام العسكرية بكل نصوصها كأنهُ في خدمة الجيش فاذا تخلف عن الحضور في الوقت المعين يقع تحت طائلة العقاب كأنهُ فارٌّ من الجيش

١٠٩ — عندما يطلب جميع رجال الرديف او بعضهم للاغراض المصرح بها في هذا

الفصل فلا يحتم على نظارة الحربية او على مجلس النظار بحسب ما تكون الحالة ان يطلبوا الذين يكونون حينئذٍ مستخدمين في احدى مصالح الحكومة

١١٠ — كل رجل في الرديف يخرج منهُ بعد مضي عشر سنوات من بدء خدمتهِ في الجيش الَّا اذا كان عند انقضاء هذه المدة قد طلب من الرديف لأحد الاغراض المصرح بها في هذا الفصل ففي هذه الحالة الاخيرة يخرج من الرديف حالما ينتهي العمل الذي طُلب لهُ

ومع ذلك يمكن ايقاف الرفت من الرديف بقرار مجلس النظار وذلك في اوقات الحرب والطوارىء الاهلية ويستمر الايقاف طول المدة التي تستلزمها الاحوال

١١١ — كل رجل من رجال الرديف عند انتهاء خدمتهِ في الرديف يأخذ تذكرة رفت مماثلة للتذكرة المذكورة في المادة ١٠١

الخدمة في البوليس وخفر السواحل

١١٢ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش ولا تحق لهُ المعافاة من خدمة البوليس او خفر السواحل يجوز انتقاؤُهُ للخدمة في البوليس او خفر السواحل إما في وقت رفتهِ من الجيش او في اي وقت آخر في خلال سنة بعد ذلك

١١٣ — الرجال المطلوبون للخدمة في البوليس وخفر السواحل ينتخبون حيناً بعد حين من العساكر المقترعين الذين يجوز اخذهم لها وذلك بالاتفاق بين نظارة الحربية ونظارة الداخلية او نظارة المالية بحسب ما تكون الحالة

وعند انتخاب الرجال للبوليس وخفر السواحل يفضل المتطوعون لتلك الخدمة على سواهم بقدر ما يمكن

١١٤ — كل عسكري مقترع موجود في خدمة البوليس او خفر السواحل يستحق الرفت من الخدمة في موعد الرفت الذي يلي انقضاء عشر سنوات من بدء خدمتهِ في الجيش فاذا مضت ثلاثة اشهر بعد المدة المذكورة ولم يقع فيها ميعاد للرفت يحق للعسكري ان يرفت في نهايتها على كل حال

١١٥ — كل عسكري مقترع يرفت من البوليس او خفر السواحل بسبب انتهاء خدمتهِ يجري تسفيرهُ الى بلدهِ او المحل الذي يريدهُ على حساب الحكومة او يعطى مالاً يعادل اجرة السفر حسب المبين في المادة ٩٨

ويعطى تذكرة رفت تقرّر اورنيكها ونصها نظارة الداخلية او نظارة المالية بحسب ما تكون الحالة

١١٦ — كل عسكري مقترع انتخب لخدمة البوليس او خفر السواحل ووجد بعد ذلك

غير موافق لها او رفت منها لسبب آخر قبل انقضاء زمن خدمتهِ يرسل الى الرديف للمدة الباقية من زمن خدمتهِ

في التجنيد الاختياري وتجديدهِ

١١٧ — يجوز قانوناً لكل شخص بلغ السن الذي تبدأ فيهِ الملزومية بالخدمة العسكرية ان يتجند باختيارهِ لمدة خمس سنوات بعد تصديق نظارة الحربية

وكل شخص تجند باختيارهِ وصار بعد تجنيدهِ مستحقاً للمعافاة لسبب من الاسباب المقررة في هذا الامر العالي يحق لهُ ان يطلب الرفت من الخدمة سواء كان وقتما تجند مستحقاً للمعافاة لسبب آخر او لم يكن مستحقاً لها

ومتى انقضت خدمتهُ في الجيش يعفى من خدمة الرديف اذا وجد عندهُ وقتئذٍ سبب من اسباب المعافاة المقررة في هذا الامر العالي

ويعفى من الخدمة في البوليس او خفر السواحل اذا وجد عندهُ وقت انقضاء خدمتهِ في الجيش سبب من اسباب المعافاة او كان عندهُ ذلك وقت تجنيده

وفيما عدا ذلك فان احكام الخدمة والرفت منها هي واحدة للعسكري المتطوع والعسكري المقترع من كل الوجوه

١١٨ — يجوز قانوناً لكل شخص لم يبلغ السنّ الذي تبدأ فيهِ ملزوميتهُ بالخدمة العسكرية ان يتجند في الجيش ويخدم فيهِ حتى يبلغ سنّ الرابعة والعشرين وذلك يحتاج الى موافقة والد الشخص المذكور او الوصي الشرعي عليهِ وتصديق نظارة الحربية . وأحكام الخدمة لمثل هذا الشخص هي كاحكامها لمن تجند بالاقتراع من كل الوجوه ما خلا الموعد الذي يستحق فيهِ الرفت من الجيش

وكل شخص يتجند على مقتضى هذه المادة يكلف بالخدمة في الرديف بعد رفتهِ من الجيش الى ان تمضي عشر سنوات من يوم تجنيدهِ في الجيش ما لم يكن لهُ حق التمتع بالمعافاة من الملزومية بالخدمة العسكرية لسبب من الاسباب المبينة في هذا الامر العالي ولكنهُ لا يكلف بالخدمة في البوليس او خفر السواحل

١١٩ — وهذا الامر العالي لا يتعرض بوجه من الوجوه لحقوق تجنيد الانفار في السودان للجيش المصري وهؤلاء الانفار يكونون في مدة الخدمة التي اخذوا لاجلها خاضعين لنصوص الاحكام العسكرية من كل الوجوه كأنهم تجندوا بالاقتراع حسب مواد امرنا هذا

١٢٠ — يجوز قانوناً لكل شخص في خدمة الجيش سواء كان قد تجند بالاقتراع او

بالتطوع ان يجدّد الخدمة فيهِ لمدة اخرى لا تزيد عن خمس سنوات بعد انقضاء مدتهِ الاصلية او المجددة وذلك بمصادقة نظارة الحربيَّة

والذين يختارون تجديد الخدمة في الجيش حسب احكام هذه المادة لا يكلفون بان يخدموا في الرديف او البوليس او خفر السواحل زيادة عن المدة التي تبطل من بعدها ملزوميتهم بكل نوع من انواع الخدمة المذكورة

القسم السادس في مخالفات قانون القرعة

١٢١ — كل موظف من موظفي الحكومة لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة اهمل عمدًا في تأدية واجباتهِ المفروضة عليهِ في هذا الامر العالي وقصد بذلك اسقاط اسم شخص من كشوفة القرعة او من الاقتراع بدون حق او تخليص احد الاشخاص من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بدون حق يعاقب بالرفت من وظيفتهِ وبالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

١٢٢ — كل من يقدّم بلاغًا كاذبًا وهو يعلم كذبهُ او يقول عمدًا ما يغاير الحقيقة لموظف لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة قاصدًا بذلك اسقاط اسم شخص من كشوفة القرعة او الاقتراع بدون حق او اثبات المعافاة لشخص ليس لهُ حق فيها او تخليصهُ بطرق أُخرى من الخدمة بدون حق يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

فاذا كان الشخص الذي يبلّغ البلاغ الكاذب او يقول القول المغاير للحقيقة من موظفي الحكومة ولهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة يعاقب فوق ذلك بالرفت

١٢٣ — كل من يتلف عضوًا لشخص آخر او يساعد على اتلافهِ بقصد ان يجعل ذلك الشخص غير لائق للخدمة العسكرية يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

١٢٤ — كل من تعمد اخفاء شخص او تستر عليهِ او ساعد عمدًا على اخفائهِ او التستر عليهِ وكان ذلك الشخص مطلوبًا للكشف الطبي لاجل التجنيد اوكان تحت الطلب للتجنيد وكل من ساعدهُ عمدًا بطريقة اخرى بقصد ان يخلصهُ من التجنيد يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

ولا يسري حكم هذه المادة على المرأة التي تخفي زوجها او تستر عليهِ او تساعدهُ بطريقة اخرى على التخلص من التجنيد

١٢٥ — كل من تسمى باسم شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكرية منتحلاً لنفسهِ شخصيتهُ امام مجلس الاقتراع او امام موظف حكومة له شأن في تنفيذ قانون القرعة يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهاً

١٢٦ — كل من تخلف عن الحضور امام احد مجالس الاقتراع بدون عذر شرعي بعد اعلانهِ بالحضور بصفة شاهد وكل من حضر او أُحضر امام المجلس وامتنع عن تأدية شهادتهِ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة اسهر او بغرامة لا تزيد عن خمسة جنيهات

١٢٧ — كل من كان في خدمة الرديف وقصر في ابلاغ جهة الاختصاص المعينة رسمياً عن تغيير محل اقامتهِ يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد عن شهر او بغرامة لا تزيد عن جنيهين

١٢٨ — الجرائم المعاقب عليها في المواد (١٢١ الى ١٢٧) تفصل فيها المحاكم الاهلية

فاذا كان العمل الذي نشأت عنهُ احدى هذه الجرائم يشمل ايضاً جريمة اخرى لها عقاب اشدّ من هذه العقوبات بموجب القوانين المعمول بها وقت حدوث الجريمة فالمرتكب يحاكم ويعاقب على الجريمة الكبرى

١٢٩ — كل شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكرية حاول بطرق الغش اسقاط اسمهِ من كشوفات القرعة او من الاقتراع او حاول بطرق الغش ان يحصل على معافاة ليس لهُ حق فيها او اخفى نفسهُ او غاب بقصد التخلص من استلام اعلان الطلب الصادر بحضورهِ للكشف الطبي او تخلف عن الحضور للكشف الطبي عند الطلب بدون عذر شرعي او حاول بعد الحضور للكشف الطبي ان يتخلص من التجنيد يجوز ان يقدَّم امام مجلس تحقيق تعينهُ نظارة الحربيَّة تكون لهُ السلطة في طلب الشهود واخذ شهاداتهم بعد استحلافهم اليمين فاذا ثبت لدى هذا المجلس ان الشخص ارتكب احدى الجرائم السابقة وكان لائقاً للخدمة العسكرية يجوز تجنيدهُ في الحال بامر نظارة الحربيَّة ويخدم في الجيش ست سنوات بدلاً من خمسة

وتجوز معافاة هذا الشخص من الزامهِ بخدمة السنة الزائدة اذا سلك سلوكاً حسناً مستمراً

١٣٠ — كل شخص فرضت عليه الخدمة العسكرية اتلف احد اعضائهِ او وافق على اتلافهِ بقصد ان يجعل نفسهُ غير لائق للخدمة العسكرية وكان التلف لا يجعلهُ غير لائق كليَّةً لخدمة الجيش يجوز ان يقدَّم امام مجلس تحقيق تعينهُ نظارة الحربيَّة بالكيفيَّة المذكورة في المادة السابقة فاذا ثبت لدى المجلس انهُ ارتكب هذه الجريمة يجوز تجنيدهُ في الحال بامر نظارة الحربيَّة ليخدم ست سنوات ومدة وجودهِ في الجيش يشتغل في العمل الذي يصلح لهُ

١٣١ — كل شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكرية وارتكب احدى الجرائم المذكورة في

كل من المادتين السابقتين ولم يعامل بمقتضى احكام تلك المواد يحاكم امام المحاكم الاهليَّة ويحكم عليهِ بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهاً

والمدة المقررة للحكومة لتنفيذ احكام هذه المادة لا تبدأُ في الانقضاء حتى يبلغ مرتكب الجريمة سنَّ الاربعين سنة

القسم السابع متنوعات

١٣٢ — كل رئيس او عضو في مجلس القرعة وكل مفتش طبي معين بمقتضى المادة التاسعة يعتبر ضابطاً قضائيًّا في كل ما يتعلق بالجرائم التي يعاقب عليها هذا الامر العالي او الجرائم التي لها علاقة باعمال القرعة المبينة فيهِ

١٣٣ — كل مأمور او عمدة او شيخ او موظف آخر لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة متى علم بوقوع جريمة يعاقب عليها هذا الامر العالي او لها علاقة باعمال القرعة يجب عليهِ ان يبلغ الامر في الحال الى رئيس مجلس القرعة في تلك الجهة بالطريقة المتبعة

١٣٤ — والاحكام الواردة في هذا الامر العالي الخاصة بالتجنيد في الجيش او الخدمة فيهِ او الرفت منهُ تسري على التجنيد بالبحرية والخدمة فيها والرفت منها الاَّ في النصوص التي لا يمكن تطبيقها على البحرية

١٣٥ — عند تطبيق هذا الامر العالي على محافظتي القاهرة والاسكندرية تبدل كشوفات قرعة البلد بكشوفات قرعة عن كل حارة يحررها مستخدمو نظارة الحربية وهذه الكشوفة تعلق في مخفر القسم (القره قول) وتعرض لمراجعتها وتصحيحها بمعرفة مأمور القسم بدل مأمور المركز . ويعين مجلس اقتراع في كل قسم ويدخل في عضويتهِ احد معاوني المحافظة بدل معاون المديرية واثنين من اعيان القسم يعينهما المحافظ بدل العمدتين

١٣٦ — عند تطبيق هذا الامر العالي على المحافظات الاخرى غير القاهرة والاسكندرية تبدل كشوفات قرعة البلد بكشوفات قرعة واحدة عن كل المحافظة يحررها مستخدمو نظارة الحربية وتعلق في المحافظة وتعرض على المحافظ لمراجعتها وتصحيحها بدل المأمور ويعين مجلس اقتراع واحد لكل المحافظة يؤَلف على الشكل المذكور في المادة السابقة لمحافظتي القاهرة والاسكندرية

وللوصول الى الغاية المطلوبة من هذه المادة تعتبر الاسماعيلية محافظة مستقلة ويقوم فيها وكيل المحافظة مقام المحافظ

١٣٧ — بعد مراعاة احكام المادتين السابقتين يسرى مفعول هذا الامر العالي بقدر ما تسمح بهِ الحالة على المحافظات كما يسرى على المديريات من كل الوجوه

١٣٨ — وهذا الامر العالي لا يبطل بوجه من الوجوه نصًا من نصوص قانون الاحكام العسكرية التي بمقتضاها يجوز الرفت من الجيش بسبب سوء السلوك او بسبب آخر

وهذا الامر العالي لا يبطل ايضًا بوجه من الوجوه نصًا من نصوص قانون الاحكام العسكريَّة التي بمقتضاها يجوز ان يفقد العسكري او اي شخص آخر خدمة قضاها في الجيش او في قوّة اخرى خاضعة لقانون الاحكام العسكريَّة

ولمعرفة الوقت الذي يصير فيهِ العسكري المقترع مستحقًا للرفت من خدمة الجيش او الرديف او البوليس او خفر السواحل فالزمن الذي يكون قد فقدهُ من خدمتهِ كما ذكر يزاد على المدة التي كانت مفروضة عليهِ قبل فقد شيء منها

١٣٩ — تلغى الاوامر العالية المذكورة في الكشف الملحق بامرنا هذا ويبطل مفعولها وتلغى ايضًا المادة الاولى من الامر العالي الصادر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٢ عن الخدمة في خفر السواحل من يوم العمل بمواد امرنا هذا الذي حل محل الاوامر الملغاة ومع ذلك فكل جريمة سبق ارتكابها او يحصل ارتكابها مدة العمل بالامر العالي الذي يعتبرها جريمة يجوز تحقيقها والنظر والحكم فيها بموجب نصوص ذلك الامر العالي ولو بطل العمل بهِ بعد ارتكابها

١٤٠ — مواد هذا الامر العالي المختصة بالاعمال الابتدائية لغاية الاقتراع السنوي يبدأ العمل بها بحيث تسري على اعمال قرعة سنة ١٩٠٣ والمختصة بطلب الانفار للتجنيد يبدأ العمل بها من الوقت الذي تطلب فيهِ الانفار المقترعون في سنة ١٨٩٩ وما بعدها الذين لم يسبق طلبهم للتجنيد واما فيما بقي فان العمل بهذا الامر العالي يبدأ بعد نشرهِ في الجريدة الرسمية بثلاثين يومًا

١٤١ — على نظار الداخلية والمعارف العمومية والمالية والحقانية والحربية والبحرية تنفيذ امرنا هذا كل منهم فيما يخصهُ

صدر بسراي المنتزه في ٣ شعبان سنة ١٣٢٠ (٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢)

عباس حلمي

المغرب الاقصى ولغتهُ

اكتسح العرب لهذا المغرب في غابر الزمان فانتزعوهُ من حوزة اهلهِ بعد ان قاتلوهم عليهِ ولما قضوا وطرهم وبلغوا قصدهم استوطنوا البلاد ونزلوا فيها على الرحب والسعة . ثم شرعوا في تشييد ملكهم وبناء قواعدهِ على مقتضى الكتاب والسنة وزاحموا الاهلين ودعوهم الى الدين وتعقبوا المخالفين الى قنن الجبال. وقد كان العرب وقتئذٍ اشد الناس ولعاً بلغتهم واحرصهم على اشعارها وتقاليدها وارغبهم في تصانيفها فثابروا على حفظها وبالغوا في الاعتناء بها . ولما شيدت الحكومة دعائم ملكها جعلت العربية لغتها تباشر بها اعمالها وتخاطب بها عمالها وجعلت للعلماء المقام الاول بين رجالها تصلهم بصلات سنيَّة وتكافئهم على اجتهادهم وتجيزهم على مصنفاتهم تنشيطاً لهم للمثابرة على اعمالهم

ودعا العرب البربر للاسلام وكلفوا المؤمنين منهم تعلم القرآن و بعثوا اليهم الدعاة والفقهاء يعلمونهم قواعد الدين . فتعلم من البربر جماعة ونبغ بينهم العلماء والشعراء والرجال العظام والفوا باللغة العربية التآليف وصنفوا التصانيف

وكان للسلاطين ولوع بالعلوم وعناية بالعلماء يقربونهم اليهم وينزلونهم في مجالسهم منزلة عالية ويرفعون بعضهم على بعض في الدرجات . وكان الشعراء يتقاطرون على ابواب السلاطين وقصور الامراء ينشدونهم القصائد الرنانة ويحظون منهم بالخلع السنيَّة والمال الوافر. وكانت عندهم المواسم والاعياد تجتمع فيها الناس من جميع اطراف البلاد للبيع والشراء والمنافسة في الاشعار . قيل اناخ الدهر على سيد قوم فقصد السلطان في احد المواسم وانتظم في سلك العلماء ولما مثلوا بين يديهِ وقدموا واجب التهانيء والتبريك اخذوا مواضعهم حسب درجاتهم في العلوم ثم اخذوا في المذاكرة وانشاد الاشعار فانشد السيد . ان "الزمانِ الخ" بالخفض. فاعترضهُ السلطان قائلاً ولماذا خفضت الزمان مع وجوب نصبهِ قال والله لاخفضنَّهُ كما خفضني . فاستحسن جوابهُ ورفع مقامهُ واعطاهُ ما اصلح حالهُ . وكانت الناس تنظم الاشعار وتحفظها وترويها لاصحابها وكانت الخزائن مشحونة بالكتب النفيسة والتآليف الفريدة

ثم جاء زمن الفتن وعمَّ الاضطراب فكسدت صناعة العلم واهمل شأن العلماء وضعفت همة المتعلمين وقلت رغبة الدارسين وتلاشت الدواوين ولم يبقَ في خزائن الكتب الاَّ العث والعنكبوت. واصبح العلماء كالكبريت الاحمر وانقرضت علوم شتَّى وتلاشت فنون القدماء. وصار الطب الى الدجالين والكيمياء الى المشعوذين والرياضيات الى المنجمين والحكمة الى المتكهنين

والفلسفة الى المتفلسفين والسياسة الى النمامين والادارة الى المفسدين

هذه هي حالة هذا المغرب والآن ونحن في عصر التمدن والعلم والاجتهاد ليس في مغربنا مطابع ولا جرائد ولا مدارس ولا صنائع . وما ينحلونهُ من بعض العلوم فهو ملتقط من هنا وهناك بعد المشقة وطول العناء ولما لم تكن لهم معرفة باحوال هذا العالم وما هو عليهِ من التقدم ظنوا انهم في غنى عن كل شيء ولا تعوزهم حاجة ولا يبغون تغييرًا او تبديلاً

وصناعة الانشاء استمرت على نمطٍ واحد يتداولها الكتّاب جيلاً بعد جيلٍ وهذه صورة كتاب مرّ عليهِ من الزمان ما يزيد على مئة عام . الحمد لله وحده . من عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله امير المؤمنين عبد الملك بن امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني ايّد الله امرهُ واعزّ نصرهُ واسعد زمانهُ المبارك وعصرهُ وابقى بيمنهِ فخرهُ الى اخينا الاعز الاحظى بَبَ احمد ابن مولانا الوالد حرس الله تعالى كريم اخائهِ سلام كريم ورحمة الله تعالى وبركاتهُ . اما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بتأمسنا ولا زائد بحمد الله تعالى الاّ الخير والعافية والنعم الضافية هذا وانهُ ساعة وصولهِ اليكم تخرجوا من الخدم لعمالة مكناسة وازمور واولاد جلول من تفرض عليهم علف محلتنا المنصورة وتأمرهم بدفعهِ وابلاغهِ لمدينة سلا وقدر ذلك صحيفة شعير وعشرون مدًّا قمحًا لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل اربع نوائب واكد عليهم رعاك الله ان يعنوا بذلك وبايصالهِ للمكان المذكور من غير عطلةٍ هذا ما وجب بهِ الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنهِ والسلام

وهذه القاعدة لم تزل تستعمل حتى يومنا هذا ويتعلمها الكتاب من "كنانيش" الحكومة والجرائد المخزنية . ولما كانت المطابع معدومة من البلاد كانت صناعة النسخ رائجة والكتب الخطيَّة هي المعول عليها حتى انهُ يسهل على المطالعين قراءتها اكثر من قراءة الكتب المطبوعة . والذين تاجروا بالكتب من المشرق خسروا بها لعدم اقبال الناس عليها ليس لغلاء اثمانها وانما لعدم معرفة الاهلين قراءتها . وليس من اختلاف بين اللغتين الشاميَّة والمغربية الاَّ ان حرف الفاء عند المغاربة ينقط من تحت وللقاف نقطة واحدة . واما شكل الحروف الخطية فيختلف والمغربي اشبهُ بالكوفي . واهالي المغرب لا يستطيعون ان يقرأوا الكتابة الشامية

واعترى العلوم اللغوية ما اعترى غيرها من العلوم فاهملت اي اهمال وكسدت بضاعتها وقلّت صناعتها واصبحت وسائط التعليم معدومة وطرقها صعبة واذا توفرت لامرء اسباب النجاح واحرز في خزانة عقلهِ قواعد اللغة لم يستطع تطبيقها والانتفاع بها ولا استفاد شيئًا من الشوارد والضوابط التي جمعها . وكثير من العلوم لا اثر لها ولا هم فيها يرغبون ولم يبقَ من

الرياضيات الأَ بقية من علم الحساب يتداولها بعض الناس حسب القواعد القديمة وارقامهم عربية وهي المستعملة عند الافرنج

ولما حصل ما حصل من الاهمال في شأن اللغة العربية وزاحمتها لغات اخرى كالبربرية والافرنجية على اختلاف شعوبها والعبرانية على انتشار اهلها صار بعض التمازج في الكلام ووقع الاختلال في التراكيب فتغيرت المعاني عن حقيقة وضعها ودخل في لسان العامة الانحلال والنطق بالساكن والاشمام والجزم والترخيم والحقوا لفظة (شي) على آخر الافعال وادخلوا كافًا على صيغة المضارع مثل كنكتب وهو دلالة على الاستمرار . وابدلوا هاء الغائب واوًا مثل كتابو اي كتابهُ وذالهم دالاً وثاءهم تاء وفي بعض المواضع يحسنون النطق بهذين الحرفين . وليس عندهم في احاديثهم او معاملاتهم كلام التبجيل والتعظيم فلا يقال جنابك وحضرتك وسيادتك ولا بك ولا افندي ولا خواجا الاَّ لفظة سي . والوزير عندهم الفقيه فلان والباشا سي فلان ومعلم الاولاد الفقيه فلان والخباز سي فلان

ولغة العامة تختلف باختلاف الاماكن لكنها لا تخرج عن كونها عربية وجميع كلماتها عربية الاصل الاَّ الاعجمي منها . ونحن نورد بعض الكلمات الشائعة التي تظهر غريبة عند اول نظرة من ذلك. بالزاف اي كثير . ياك للاستفهام اي ليس كذلك . وخاَ فيها خير . الّي الذي والتي . ديا لي الذي لي . دابَ الآن . مزيان حسن . للّة سيدة . دغيا حالاً . غاول اسرع . زاخيت فاذًا . ايه نعم . إيوَه زِد . باسل دني·

وعندهم كثير من الامثال المتداولة نذكر بعضها . هدرة تجبد هدرة وكلام يجبد كلام . ايش تعبي الموت من الدار الخاوية . يا مزوق من برّا ايش حالك من داخل . الزين على الدفلة والدفلة مرّة . المرأة بلا ولد بحال الخيمة بلا وتد . العقبة في وجه الاحباب حدورة . الّي بغى حاجتهُ يقضيها يبسط خدهُ عليها . من سبع وكلني وما تكن شي ديب وغرمدني . ما عند القط موضع مشي جاب الجمل ضيف . الشرك في الطعام دليل على المحبة . الضيف ما يشرط شي ومولى الخيمة ما يفرط شي . الجنازة كبيرة والميت فار . عقل الحمارة براس ولدها

هذا ما رأيت ذكرهُ عن لغة هذه البلاد ويا حبذا لو بذلت حكومتها الهمَّة في استعمال الحروف المستعملة في مصر والشام حتى يسهل على اهاليها قراءة الكتب المطبوعة فيهما للاستفادة منها

اسعد كرم

———

خواتم الخلفاء

اخذت منذ اكثر من خمس سنوات في التنقيب عن الخواتم ونقوشها وتاريخ ذلك منذ العصور الاولى ففزت بمعرفة ما كان منقوشاً على خاتم النبي صلى الله عليهِ وسلم وعلى خواتم الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين وبعض ملوك الاندلس وسواهم وقد جمعت ذلك في رسالة حافلة ستطبع قريباً وذكرت في هذه العجالة اكثر تلك النقوش بحسب ما روي عنها. وماجاء منها على صور مختلفة فسببهُ في الغالب انهُ كان للخليفة الواحد اكثر من خاتم واحد كما ذكرهُ المؤرخون

كان خاتم النبي ثلاث كلمات وهي محمد رسول الله في ثلاثة اسطر . محمد سطر . ورسول سطر . والله سطر . تقرأ من الاسفل الى الاعلى فمحمد آخر الاسطر ورسول الوسط والله فوق . قالهُ في السيرة الحلبية ورأيت رسم الخاتم النبوي على هذه الصورة في رسم الكتاب الذي بعثهُ النبيُّ الى المقوقس عظيم القبط في مصر وقد رسمهُ بالفوتوغراف محمد علي افندي سعودي الموظف في نيابة الاستئناف الاهليَّة بمصر سنة ١٣١٩ عن صورة اصلية للكتاب المذكور والاصل عثر عليهِ احد الفرنسيين في كتب قبطية ابتاعها من بعض رهبان القبط في دير ببلدة اخميم من صعيد مصر فتوجه بهِ الى السلطان عبد المجيد فامر بحفظهِ مع الآثار النبويَّة في القسطنطينيَّة

واستعمل الخاتم النبوي بعد النبيّ ابو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) الى ان وقع من يد عثمان في بئر اريس وكان استعمالهم لهُ تبركاً

وكان خاتم ابي بكر (نعم القادر الله)

وخاتم عمر : (كفى بالموت واعظاً) وزادها بعضهم " يا عمر " وقيل (آمنت بالله مخلصاً)

وخاتم عثمان : (لتصبرنَّ او لتندمنَّ) وقيل (آمنتُ بالذي خلق فسوَّى)

وخاتم علي : (الملك لله) وقيل (ربي الله مخلصاً) وقيل (نعم القادر الله) وزادها السيوطي (تعالى)

والحسن : (العزَّة لله عزَّ وجلَّ وحدهُ)

والحسين : (اللهُ بالغٌ امرهُ)

الامويون

وكان خاتم معاوية : (لكل عمل ثواب) وقيل (رب اغفر لي)

ويزيد بن معاوية : (ربنا الله)

ومعاوية الثاني ابن يزيد : (الدنيا غرور)

ومروان بن الحكم : (الله ثقتي ورجائي) وقيل (ثقتي ورجائي بالله)
وعبد الملك بن مروان : (امنتُ بالله مخلصاً)
والوليد الاول ابن عبد الملك : (يا وليد انك ميتٌ) وزادها آخرون (ومحاسب) وقيل (ربي لا اشركُ بهِ شيئاً)
وسليمان بن عبد الملك : (امنتُ بالله وحدهُ) وقيل (مخلصاً)
وعمر بن عبد العزيز : (الوفاء عزيز) وقيل (عمر يؤمن بالله مخلصاً) وقالوا (اغزُ غزوةً تجادل عنك يوم القيامة)
ويزيد الثاني ابن عبد الملك : (فني الشباب يا يزيد)
وهشام بن عبد الملك : (الحكم لله) وقيل (الحكم الحكيم)
والوليد الثاني ابن يزيد : (ياوليد احذر الموت)
ويزيد الثالث ابن الوليد : (يا يزيد قم بالحق)
وابرهيم بن الوليد الاول : (توكلتُ على الحيِّ القيوم) وقيل (ابرهيم يثق بالله)
ومروان الثاني ابن محمد : (اذكر الموت يا غافل)

العباسيون

وكان خاتم السفّاح : (الله ثقة عبدالله) وزادها بعضهم (وبهِ يؤمن)
والمنصور : (عبدالله وبهِ يؤمن)وقيل (اتقِ الله فانك ترد فتعلم)وقيل مثلما ذكر للسفّاح آنفاً
والمهدي : (العزة لله) وقيل (حسبي الله) وقيل (الله ثقة محمد وبهِ يؤمن)
والهادي : (بالله اثق) وقيل (موسى يؤمن بالله) وقالوا (الله ربي)
وهرون الرشيد : (لا اله الاّ الله) وخاتم آخر (كن من الله حذرًا) وقيل (العظمة والقدرة لله عزّ وجلّ)
والأمين : (حسبي القادر) وقيل (لكل عمل ثواب) وقالوا (محمد واثق بالله)
والمأمون : (عبدالله يؤمن بالله مخلصاً) وقيل (الموت حق) ويقولون (المأمون عبدالله بن عبدالله)
والمعتصم بالله : (لا اله الاّ الله محمد رسول الله) وقيل(الحمد لله الذي ليس كمثلهِ شيء) وقالوا (الله ثقة ابي اسحق بن الرشيد وبهِ يؤمن) وذكروا (سلِ الله يعطكَ)
والواثق بالله : (لا اله الاّ الله محمد رسول الله) وخاتم آخر (الواثق بالله) وقالوا (الله ثقة الواثق)

والمتوكل على الله : (على الله توكلت) وقيل (المتوكل على الله) وقالوا (على الهي اتكالي)
والمنتصر بالله : (محمد بن جعفر) وقيل (يؤتى الحذر من مأمنهِ) وخاتم آخر (انا من آل محمد ولي ومحمد)
والمستعين بالله : (استعنت بالله) وقيل (احمد بن محمد (وقالوا (في الاعتبار غنًى عن الاختبار)
والمعتز بالله : (الزبير بن جعفر) وقيل (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء)
والمهتدي بالله : (هداني الله) وقيل (المهتدي بالله يثق) وقالوا (من تعدّى الحق ضاقت مذاهبهُ)
والمعتمد بالله : (اعتمادي على الله وهو حسبي) وقيل (السعيد من كُفي بغيرهِ)
والمعتضد بالله : (احمد يؤمن بالله الواحد) وقيل (توكل تكفَ) وقالوا (الاضطرار يزيل الاختيار)
والمكتفي بالله : (المكتفي بالله) وقيل (علي بن المعتضد)
والمقتدر بالله : (العظمة لله) وقيل (جعفر يثق بالله) وقالوا (الحمد لله الذي ليس كمثلهِ شيء وهو على كل شيء)
والقاهر بالله : (القاهر بالله) وقيل (يا أملي اختم بخير عملي)
والراضي بالله : (الراضي بالله) وقيل (محمد رسول الله) وقالوا (منّ بالرضا)
والمتقي بالله : (محمد رسول الله) وقيل (ابرهيم بن المقتدر بالله يثق) وقالوا (كفى بالله معيناً)
والمستكفي بالله : (المستكفي بالله امير المؤمنين) وقيل (عبدالله بن المكتفي) وقالوا (محمد رسول الله)
والمطيع لله : (المطيع لله) وقيل (بالله المطيع لله)
والطائع لله : (الطائع لله)
والقادر بالله : (القادر بالله)
والقائم بامر الله : (العزة لله وحده)
والمقتدي بامر الله : (من توكل عليهِ كفاهُ)
والمستظهر بالله : (ثقتي بالله وحده)
والمسترشد بالله : (من توكل على الله كفاهُ)

والراشد بالله : (من آمن بالانتقال عمل للمآل)
والمقتدي لامر الله : (كن من الله على حذر تسلم)
والمستنجد بالله : (من احب نفسهُ عمل لها)
والمستغني بالله : (من فكر بالمآل عمل للانتقال)
والناصر لدين الله : (رجائي من الله عفوهُ)
والظاهر بامر الله : (راقب العواقب)
والمستنصر بالله : (العفو بك اولى)
والمستعصم بالله ... لم نجد لهُ نقشاً بعد ان راجعنا كثيرًا من التواريخ

ملوك الاندلس

الحكم بن هشام . (بالله يثق الحكم ويعتصم)
وعبد الرحمن بن الحكم : (عابد الرحمن بقضاء الله راضي) ومما نظمهُ الشعراء في هذا الخاتم

خاتمٌ للناس اضحى حكمةً في الناس ماضي
عابد الرحمن فيهِ بقضاء الله راضي

قال في (نفح الطيب) وهو اول من احدث هذا النقش وبقي وراثة لمن بعدهُ من ولدهِ
ومن النقوش التي ذكرناها يستشف القارئ الكريم خلق كل ملك ومذهبهُ في الملك كما نقرأُ الطباع من الخطوط والازياء والحركات . ومن يكرم عليَّ بروايات غير هذه او يعلم شيئاً من نقش خاتم المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وغيرهِ من الملوك ويتحفني بهِ اسدهِ شكرًا جزيلاً واهدِ اليهِ كتاب تاريخ الخواتم ونقوشها بعد طبعهِ

طرابلس الشام حكمت شريف

المال والقمار

لا الراح آفتهُ ولا الهيفاء مالٌ حداهُ الى القمار عفاء
ناجيتُ فكري حيث تستاء النهى لعلَّ يزالــ وحقها تستاء
ما بال من بالامس يصعر خدهُ في ذلةٍ انفاسهُ الصعداء
وعلامَ يعلو الارض يعلوهُ الاسى بعد المطهم أمَّهُ العداء
ولمَ التنزل عن قصور منازهٍ كانت تطاول هامها الجوزاء

اين التفصح والتشدق بالغنى بعبارةٍ افصاحها اعياه
أعلّهُ اطّرح الرفاهة رغبةً في الزهد عما يقتضي الاثراه
ام كيف ساوى معدماً في حالهِ وثنت اليهِ عنانها اللأواه
وهوى رفيع المجد بعد سنائهِ وتعقبتهُ العزة القعساه
ام ثمّ سرٌّ غامضٌ كلاّ فقد برح الخفاه فما هناك خفاه

* * *

ذهب المغفّل مرةً في رهطهِ حيث ابنةُ الزرجون والنُدماه
ومصارع الاهوال حيث ذهابها تنعى نعيّ عبثت بها الاهواه
ومذابح الآمال حيث مشاهد رفعت بها اعلامها الارزاه
حيث النزال بلا سلاح ينتفي حيث التجارة ربحها الاكداه[1]
حيث استلاب باسم حقٍ لازبٍ يقضي بهِ سبقٌ هو الابطاه
اذ معهدٌ يذرُ البيوت خرائباً في ساعةٍ اضحاكها ابكاه
اذ مسرح الداء الدفين يدبُّ في جسم الكرامة والبوليس وراه
غض الجفون على قذى اهمالهِ خرس بفيهِ من الرقاعة ماه

* * *

فاهتزّ ذا المسكين بشراً ان رأى غُنماً كبيراً ما وراهُ عناه
او انهُ يعتاض عن مفقودهِ باجلّ منهُ اذا عرت اشياه
وانقضّ يلعب دائباً طوراً لهُ وعليهِ آخرُ شدةٌ ورخاه
اذ تبرق الآمال في جنح الشقا اذ تهطلُ الاموال والعلياه
حتى انثنى لا شيء يعدل عقلهُ ضالاً ككيس خف فهو هباه
نضب الحيا باع ماه بهاتهِ بسراب غُنمٍ خيلَ منهُ سراه
بادي الكآبةِ مفلساً كلاً على احبابهِ ترثي لهُ الاعداه
ويلاهُ من لعب يعقبهُ الاسى ومن الألاهي تلوها الدهياه
عجبي وما هو للغني تبددت اموالهُ سفهاً وناب شقاه
بل للمقل تراهُ اعوز اهلهُ ولدى القمار سحابةٌ سحاه
فموظف تودي صُبابة مالهِ او عامل ما عن كراهُ غناه

---

(١) الاكداه الفقر والشدة

ربَّاهُ ان الرزء جلَّ خطورة والخطب عمَّ فما لهُ استقصاه
يا رب قد ضلت عبادك خطةً فتولَّهم بهداك فهو كفاه

دمياط حسن شاكر

منزلة الشعر من التاريخ

٩

انواع الحلى

اما انواع الحلى فمنها (الشنف) اي الحلقة التي تعلَّق في اعلى الاذن قال طرفة

ألا يا بابي الظبي الـ ـذي يبرق شنفاهُ
ولولا الملكُ القاعـ ـدُ قد ارشفني فاهُ

والقرط قال امرؤُ القيس

اتبع الولدان ارخي مئزري ابن عشر ذا قُرَيطٍ من ذَهَبْ (١)

وهذا القول مما نستدلُّ بهِ على ان الذكور ايضاً كانوا يتحلَّون بالشنوف والاقراط حتى ان احد تبابعة حمير دُعي ذا الشناتر اي الاقراط

ومن انواع الحلى (العقد) قال النابغة الذبياني

اخذ العذارى عقدها فنظمنهُ من لؤلؤٍ متتابع متسرِّدِ
والنظم في سلك تزين نحرها ذهب توقَّد كالشهاب الموقدِ

وكانوا يستحسنون العقد المختلط الالوان قال الراعي

كأن مناط العقد حيث عقدنهُ لبان دَخيليّ اسيل المقلَّدِ (٢)

وكثيرًا ما تكون حجارتهُ مختلفة الانواع قال النمر بن تولب

اناة عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كاجواز الجراد مفصَّلُ (٣)

ومن حليهم (الحُبلَة) وهي ضرب من الحلى يصاغ على شكل الثمرة الحبلة قال عبد الله ابن سليم من بني ثعلبة بن الدول

ولقد لهوتُ وكل شيءٍ هالك بنقاة جيب الدرع غير عبوسِ

---

(١) القريط تصغير قرط وهو ما علق في اسفل الاذن
(٢) الدخلة في اللون تخليط الوان في لون · المقلد العنق والاسيل الطويل الاملس
(٣) الاناة ذات الفتور عند القيام

ويزينها في النحر حليٌ واضح وقلائد من حُبلةٍ وسُلُوسِ (٤)

ومن حليهم (الخَدَمة) قال النابغة الذبياني

برز الاكف من الخدام خوارج من فرج كل وصيلة وازارِ

وقد ذكر بعض المعاجم ان الخدمة هي الخلخال والى ذلك ذهب شارح ديوان النابغة والذي يلوح لي من قول النابغة ان الخدمة غير الخلخال بدليل قولهِ برز الاكف ولعلهُ نوع من الحلي يُلبس في اليد ولهُ جلاجل كالخلخال

ومن حليهم (السوار) قالت الخنساء

مثل الرديني لم تنفد شبيبتهُ كأنهُ تحت طيّ البرد أُسوارُ

والاسوار هو السوار . وقال شبرمة بن الطفيل

لعمري لرثّ عند باب ابن محرز اغنُّ عليهِ اليارقانِ عشوفُ

واليارق فارسي معرَّب اصلهُ ياره وهو السوار

ومن حليهم (الدملج والبُرَة) قال طرفة عمرو بن العبد البكري

كأن البرين والدماليج عُلِّقت على عشر او خروع لم يخضَّدِ (٥)

وذكر عنترة العبسي الدملج فقط في قولهِ

وبتُّ وفوقي ساعد فيهِ دملج مضيءٌ وتحتي ساعد فيهِ دملجُ

ومن حليهم (الخاتم) قال عمرو بن العاص في خطاب معاوية

والبستُها فيك لما عجزتَ كلبس الخواتم في الانملِ

ومن حليهم (الخلخال) قال عامر بن جوين الطائي

وجارية من بنات الملو ك قعقعتُ بالرمح خلخالها

وكانت للخلاخيل جلاجل فاذا مشت المرأة سُمع صوت حليها قال الاعشى ميمون

تسمع للحلي وسواساً اذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجِلُ (٦)

والخلخال حلية الساق بدليل قول طرفة

املح الناس اذا ما اشتملت وبدا خلخال ساقٍ وقدمْ

---

(٤) سلوس جمع سلس خيط ينظم فيهِ الخرز

(٥) البرين جمع برة وهي الحلقة تكون في الانف . والدماليج جمع دملج وهو حلي يلبس في العضد ويسمى المعضد ايضاً

(٦) العشرق شجر وقيل نبت والزجل هو الذي للريح صوت في خلالهِ

١٠
الحجارة الكريمة

اما الحجارة الكريمة فقد مرّ معنا ذكر الزبرجد واللؤلوء . واما الدرّ والمرجان فقد ذكرها امرؤ القيس في قوله

فاعزلْ مرجانها جانباً وآخذ من درّها المستجادا

وذكر النابغة الذبياني الياقوت والشذر في قوله

كأنّ الشذر والياقوت منها على جيداء فاترة البغامِ

وذكر الجمان لبيد بن ربيعة العامري في قوله

وتضيء في غلس الظلام منيرة كجمانة البحريّ سُلَّ نظامُها

والمعاجم تعدّ اللؤلوء والدرّ والمرجان والشذر حجرًا واحدًا مختلف الحجم والتعميم

١١
تطيُّب النساء

اما ان النساء كنّ يتطيبنَ فدليله قول امرىء القيس

ألم ترياني كلما جئتُ زائرًا وجدتُ بها طيباً وان لم تطيَّبِ

وكانوا يتطيبون (بالعبير) قال ابو زبيد الطائي

اذا علقت مخالبهُ بقرنٍ فقد اودى اذا بلغ النسيسُ (٧)

كأنّ بنحرهِ وبمنكبيهِ عبيرًا بات تعبؤهُ عروسُ

(وبالمسك) قال عروة بن الورد العبسي

ليالينا اذ جيبها لك ناصح واذ ريحها مسك ذكيّ وعنبرُ (٨)

وقال علقمة بن الفحل ايضاً

يحملن اترجةً نضخُ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشمومُ

كأنّ فارة مسك في مفارقها للباسط المتعاطي وهو مزكومُ

(وبالعنبر) كما ورد معنا آنفاً لعروة . (وبالسنا) قال امرؤ القيس

وريح سنا في حُقّةٍ حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا (٩)

(وباليلنجوج) قال ابو داوُد الايادي

---

(٧) اودى هلك . وبلغ منهُ نسيسهُ مثل اي كاد يموت والنسيس عرقان في اللحم يستبان الخ

(٨) اراد بجيبها قلبها (٩) الحقة وعاءٌ من خشب الطيب

يكتبين اليَنجوج في كبّة المش تى وبله احلامهن وسام [١٠]

(وبالخلوق) قال المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي

انّ امرأ ضرجتمُ ثوبهُ بعانك من دمهِ كالخلوق [١]

(وبالغالية) قال الحارث بن خالد بن العاص

وكأنّ غاليةً تباشرُها تحت الثياب اذا صفا النجمُ [٢]

(وبالكباء) قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

تراها الدهر مقترة كباءً ومقدح صحفةٍ فيها نقيعُ

وصبغ ثيابها من زعفرانٍ بجدتها كما احمرّ النجيعُ

وربما مزجنَ نوعين من الطيب وتطيبن بهما قال ابن مقبل

أناة كأنّ المسك تحت ثيابها يقطبهُ بالعنبر الورد مقطبُ [٣]

وكان الرجال يشاركون النساء في التطيب قال مالك بن اسماء

لو كنت احمل خمراً حين زرتكمُ لم ينكر الكلب اني صاحب الدارِ

لكن اتيت وريح المسك يفغمني وعنبر الهند اذكيهِ على النارِ [٤]

وكانت المرأة اذا تركت الطيب عيب عليها ذلك ودعوها متفالاً . قال امرؤ القيس في صفة حسناء

لطيفة طي الكشح غير مفاضة اذا انتقلت مرتجة غير متفالِ

تحسّن النساء

وكنّ يستخدمن (المرائي) لإحكام تحسنهنّ قال ابن صخر الاسدي

فان لا تكُ المرآة ابدت وسامة فقد ابدتِ المرآة جبهة ضيغمِ [٥]

وقال امرؤ القيس الكندي

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجلِ [٦]

وكنّ (يزججن الحاجبين) بتطويلهما وتدقيقهما قال النابغة الجعدي

---

(١٠) يكتبين يتبخرن • واليَنجوج العود • كبة المشتى اشد البرد . وبله احلامهن اي لهنّ بفطنات الى الشر • والوسام الحسان (١) العانك الاحمر يقال دم عانك اذا كان في لونهِ صفرة

(٣) صفا مال (٢) يقطبهُ يمزجهُ (٤) يفغمني يسدُّ خياشيمي كناية عن كثرتهِ

(٥) الوسامة الحسن (٦) المفاضة المستوية البطن مع الصدر • الترائب جمع تريبة وهي من الصدر موضع القلادة والسجنجل المرآة لغة رومية

اذا ما الغانيات برزنَ يوماً وزجّجن الحواجب والعيونا (٧)

واما (كحلهنّ) بالاثمد فشواهده كثيرة منها قول حسان بن ثابت (كما استشهد النحاة)

تناغي غزالاً عند باب ابن عامرٍ وكحّل مآقيك الحسان باثمدِ

وقال علقمة الفحل

بعينيّ مهاةٍ يحدر الدمع منهما بريمين شتّي من دموع واثمدِ (٨)

اما (تسوّكهنّ) فدليله قول جرير

اتذكر يوم تصقل عارضيها بفرع بشامةٍ سقي البشامُ (٩)

وقال عمر بن ابي ربيعة

اذا هي لم تستك بعود اراكة تُنُخّلِ فاستاكت بهِ عود اسحلِ

اما (الوشم) فكنّ يعرفنهُ ايضاً قال ابو ذؤيب الهذلي

برقم ووشم كما زخرفت عيشمها المزدهاة الهديُّ (١٠)

وهو يكون اما في المعاصم واما في ظاهر اليد واما في الشفاه. قال زهير بن ابي سلمى في وشم المعاصم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصمِ (١)

وقال طرفة في وشم ظاهر اليد

لخولة اطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وقال النابغة الذبياني في وشم الشفاه

تجلو بقادمتي حمامة ايكةٍ برَداً أُسِفَّ لثاتهُ بالاثمدِ (٢)

وفي هذا البيت شاهد آخر وهو جليهن الاسنان بالسواك. ولم يكن استحسان وشم المعاصم عامًّا عند العرب بدليل قول عبيد بن الابرص

مكمورة كمهاة الجوّ ناعمة تدني النصيف بكفٍّ غير موشومه (٣)

وقد علّق الفاضل هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني على هذا البيت شرحاً فعلّل قوله بكف غير موشومه بقولهِ "انما يشم الاكف البغايا" وفي ذلك نظرٌ

---

(٧) زججت المرأة حاجبيها طوّلتهما ودققتهما (٨) البريم الدمع المختلط بالاثمد

(٩) العارضان ما بين الثنايا والاضراس. والبشام شجر عطر الرائحة (١٠) المدي العروس

(١) المراجيع جمع مرجوع واراد بها ما كرّر وجدّد من الوشم. والنواشر عروق باطن الذراع

(٢) أُسف بصيغة المجهول ذر عليه (٣) مكمورة اي ذات بعل كذا في المعاجم وقال البغدادي صاحب خزانة الادب في شرح قول الاغلب العجلي جارية من قيس ابن ثعلبه مكمورة الاعلى رداح الحجبة المكمورة المطوية الخلق ولعلّ هذا المعنى ما يريده عبيد

وكنَّ (يخضبن) الايدي قال النابغة الذبياني

بمخضّب رخص كأنَّ بنانهُ عنَم يكاد من اللطافة يعقدُ

ولا ريب ان التكحل والتخضّب من اشهر ما تصنّعت بهِ نساء العرب حتى كان ذكرهما دالاًّ على استكمال التحسن قال عنترة العبسي

ان الرجال لهم اليكِ وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي

واستعمالهنَّ الطيوب لم يكن للرغبة في طيب الرائحة فقط بل لتطرئة البشرة ولذلك كنَّ يدلكن بهِ وجوههنَّ بدليل شاهد النحاة

ايت ابكي وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

١٣

الشعر

اما (تمشيط) الشعر فدليلهُ قول عمرو بن قعاس المرادي

ترجّل لمّتي وتقمّ بيتي واعطيها الاتاوة ان رضيتُ (٤)

وقد ورد في شعر طرفة قولهُ

وعلى المتنين منها واردٌ حسن النبت اثيث مسبطرّ (٥)

جابة المدرى لها ذو جدَّة تنفض الضال وافنان السمرُ (٦)

وقد قالوا المدرى المشط والجأب الخشن . والمراد بهما معاً (اي بجأبة المدرى) الكناية عن الظبية اول ما طلع قرنها . اقول ان كلام طرفة ليس من هذا الباب فانهُ اراد بالبيت الاول ان شعرها مرسل على متنيها اثيثاً اي غزيراً ثم اراد ان يدلَّ على انهُ متجعد فقال انها جأبة المدرى اي خشنة المشط وذلك لان الشعر الجعد لا يقوم بترجيلهِ الاَّ القويّ الخشن من الامشاط والاَّ تكسّرت اسنانهُ . ولهذا نجد طرفة لم يكتفِ بكون مشطها خشناً حتى جعلهُ جديدًا دلالة على سرعة استبدالها الامشاط لتكسر اسنانها . ووصف الشعر بالغزارة وبالجعودة معاً ابدع صفة يوصف بها

اما ارسالهنَّ الشعر غدائر على المتون فدليلهُ قول طرفة السابق وقول عبد الله بن العجلان النهدي

---

(٤) رجل الشعر سرّحهُ . وقمّ البيت كنسهُ الاتاوة المال الذي يعطى

(٥) متنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم . اثيث كثير ملتف مسبطر ممتد

(٦) الضال شجر والسمر شجر آخر

كأن دمسقاً او فروع غمامةٍ على متنها حيث استقرّ جديلها

وقول ذي الرمّة

واسود كالاساود مسبكرّاً على المتنين منسدلاً جُفالا (٧)

وكان الاعتناء بالشعر وارساله ذوائب غير خاصّ بالنساء فقط فالرجال ايضاً كانوا يتركون شعر الرأس حتى يطول ويرسلونهُ جديلاً قال عمرو بن قعاس المرادي

ارجّل لمتي واجرّ ذيلي ويحمل بزّتي أُفُق كميتُ (٨)

وكانوا اذا وقع بيدهم اسيرٌ وشاءوا ان يمنّوا عليهِ بالاطلاق جزّوا ناصيتهُ وحفظوها عندهم دليل منتهم عليهِ قال زهير بن ابي سلمى المزني

عظمت دسيعتهُ وفضّلهُ جز النواصي من بني بدرِ (٩)

وكان بعضهم يحلق الذفرى وهي العظم الذي يلي الاذن بدليل قول حسّان "محلّق الذفرى شديد الحزام"

امين ظاهر خير الله

ابواب الخزان

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على ما جرى من الاحتفال يوم فتح الخزان وقد رأينا ان نصف الآن بعض غرائبهِ الهندسيَّة وفوائدهِ الزراعيَّة فنقول

ان طول سد الخزان نحو الفي متر وعرضهُ من اعلاهُ سبعة امتار ومن اسفلهِ عند سطح الماء ٢٥ متراً وارتفاعهُ مختلف لان الارض او الصخور التي بني عليها غير مستوية السطح وارتفاعهُ فوق اخفض قطعة منها اربعون متراً ويغور اساسهُ في بعض الاماكن ١٣ متراً ونصف متر وهو مبنيٌّ من حجارة الغرانيت وطين السمنت

ومتوسط ما يجري في النيل من الماء في اعلى الفيضان عشرة آلاف متر مكعب في الثانية من الزمان فاذا كان مقدار الماء كذلك كفت عيون السد لهُ اذا زاد ارتفاع الماء مترين فوق السد عنهُ تحت السد لان سرعة جريانهِ حينئذٍ تبلغ اربعة امتار وثلاثة ارباع المتر. ولكن مقدار الماء يزيد في بعض سني الفيضان الغزير فيبلغ ما يجري منهُ ١٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية وحينئذٍ يزيد ارتفاع الماء فوق السد اربعة امتار وربع متر فيصير يجري من العيون بسرعة

---

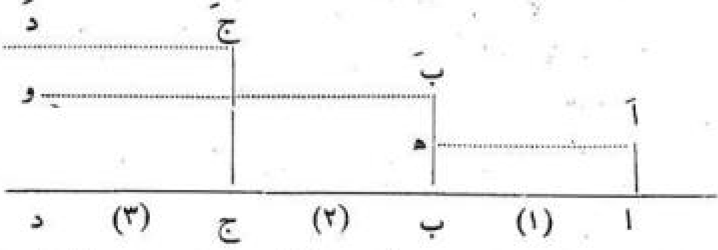
(٧) الاساود الافاعي مسبكر مسترسل. والجفال الكثير

(٨) يقال فرس افق اي رائع (٩) الدسيعة العطية والجفنة

سبعة امتار في الثانية فتكفي العيون لاخراج ماء الفيضان مهما غزر خلافاً لما ادّعاهُ بعضهم من انها لا تكفي

وابواب العيون من الحديد وهي تُرفع وتخفض في ميازيب مصنوعة لها في جدران العيون وضغط الماء عليها شديد جدًّا ولكن وُضع لها بكرٌ في الميازيب لتخفيف الاحتكاك فترفع وتخفض بسهولة . وهي معلقة بحبال من اسلاك الحديد متصلة بمحالة ودواليب مسننة تدار بنوع من المخل فيلتفُّ الحبل على المحالة ويرفع الباب او يخفضهُ

والسد يقف في طريق السفن الماخرة في النيل كما كانت الجنادل تقف فيهِ لكن المهندسين صنعوا الآن طريقاً آخر تعبرهُ السفن في الجانب الغربي من السد وهو المعروف بالهويس[1]. فانهُ اذا كان مجرى الماء منحدراً جدًّا كما هو عند الخزان ولا سيما اذا أُقفلت عيونهُ لا يعود سير السفن ممكناً فتصنع ترعة طويلة في المكان المنحدر وتُصنع لها ابواب متدرجة في علوها وكلما وصلت السفينة الى فوق باب منها أُقفل ما تحتها وفتح ما فوقها فتصبح في حوض مرتفع من الماء فترتفع وتتقدم الى الامام ثم يقفل الباب الذي تحتها ويفتح الباب الذي فوقها فتصبح في حوض آخر اعلى من الاول وهلمَّ جرًّا الى ان تصل الى اعلى مجرى الماء . وايضاحاً لذلك لنفرض ان الخط بين ا و د جزءٌ من نهر منحدر سطح مائهِ عند ا تحت اَ وعند دَ فوق د فاذا بلغت

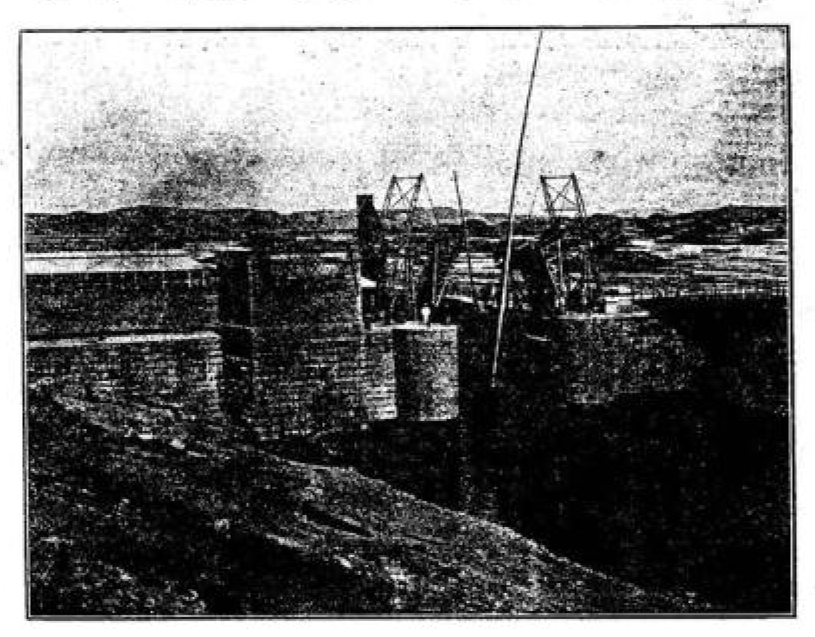


السفينة النقطة ا يسد امامها الباب ب بَ فيجري الماء الى حيث هي ويهبط سطحهُ الى موازاة ا ب فتسير وتقف في الحوض الاول بين ا و ب وحينئذٍ يقفل الباب ا اَ ويفتح الباب ب بَ رويدًا رويدًا فينبسط الماء في الحوضين الاول والثاني بين ا و ج ويصير على ارتفاعهُ على موازاة اَ هـ فتتقدم السفينة على ماء مستوي السطح الى ان تصير في الحوض الثاني بين ب و ج وحينئذٍ يقفل الباب ب بَ ويفتح الباب ج جَ فيجري الماء من فوق ج جَ ويصير في الحوضين (٢) و (٣) على ارتفاع بَ و وترتفع بهِ السفينة وتسير الى الحوض الثالث وحينئذٍ يقفل

(١) اخذ الاتراك كلمة حوض العربية وحرفوها فلفظوها هوظ ثم نقلتها عنهم المدارس المصرية فزادت في تحريفها وجعلتها هويساً

الباب ج جَ فيرتفع الماء في الحوض الثالث حتى يصير على ارتفاع جَ دَ وهو ارتفاع اعلى المجرى

وعلى هذا النسق صُنع هويس اصوان فان الفرق بين سطح الماء تحت السد وسطح الماء فوقهُ اذا بلغ اعلاهُ عشرون مترًا لحفرت ترعة في الصخر وقسمت الى اربعة احواض طول كل حوض منها ثمانون مترًا وعرضهُ تسعة امتار ونصف متر ولكل حوض باب من الفولاذ (الصلب) يفتح بدخوله في الحائط الغربي وارتفاع الباب الاعلى منها ١٨ مترًا وفوقهُ جسر للمرور لهُ عتبتان تفتحان ايضًا الى اليمين واليسار كما ترى في هذا الشكل فتمرُّ السفن بينهما كما ترى فيهِ



اذا كان زمن الفيضان فُتحت عيون السد كلها وتبقى مفتوحة ما دام الماء مشحونًا بالرواسب حتى اذا صفا في شهر اكتوبر او نوفمبر أُقفلت ابواب العيون رويدًا رويدًا مبتدئة من العيون السفلى ثم العيون الوسطى واخيرًا العيون العليا لانها ليست كلها على استواء واحد. والغالب ان يتم اقفال العيون كلها في شهر فبراير او مارس ويترك من العيون ما يكفي الري مفتوحًا الى ان تشتد الحاجة الى المياه في مايو ويونيو ويوليو فحينئذٍ تفتح العيون العليا ثم الوسطى ثم السفلى على ضد الترتيب الذي أُقفلت بهِ. واذا امتلأ الخزان وسع ١٠٦٥ مليون متر مكعب وامتد الماء الراكد فيهِ مسافة ١٦٠ كيلو مترًا فيكون منهُ بحيرة طويلة جدًا

وينتظر ان تعمَّ فائدة الخزان اكثر من اربع مئة الف فدان من اراضي الحياض في

المديريات الوسطى فتصير تروى ريًا صيفيًا ونحو مئتي الف فدان في الوجه البحري والفيوم من الاراضي البور تأتيها مياه الري . وتتضاعف مساحة الاطيان التي تروى الآن ريًا صيفيًا في الفيوم . وفي المديريات العليا فوق اسيوط يباح تركيب الآلات الرافعة لري مئتي الف فدان. ثم ان الري الصيفي في الوجه البحري والمديريات الوسطى غير مأمون الآن في زمن التحاريق الشديدة كما حدث منذ ثلاث سنوات فيصير مأمونًا في المستقبل وفائدة ذلك كله تربو على ما أُنفق على الخزان . وبقليل من النفقات يتضاعف الماء الذي يخزن فيه فيتضاعف نفعهُ

الرتب والاوسمة

شغف القوم في مصر والشام وفارس والروم بالرتب والاوسمة في هذه الاعوام شغفًا بلغ حدّ الهزل وكثر التكالب على الاستكثار منها تكالبًا أثر تأثيرًا سيئًا في الاخلاق مما سينعيه التاريخ ويسجل بهِ على مبلغ عبدتها وعبيدها والمتعبدين بها من العقل. وقد افاضت بعض الصحف السيارة في هذا الموضوع واوسعت المولعين بالسفاسف تنكيتًا وتبكيتًا فرأيت معاودة البحث في ذلك عقيمة الّا اذا كان من الوجهة الاجتماعية والتاريخية على ما ستراه

تاريخها

لم تُعهد الرتب في الغرب الّا في القرون الوسطى ايام كانت تُباع الالقاب العلمية والجندية كما يباع الثور والشاة ويمنحها الملوك القدماء من عند انفسهم الى من يبعثهم الهوى على التعطف عليهم . اما في الشرق فيرد تاريخها الى اواسط الدولة العباسية ايام دخل الفرس والتتار والديلم والترك في خدمة الخلفاء . قال ابن الحاج في المدخل عند ذكر النعوت وبدعها ان سبب الالقاب الترك فانهم لما تغلبوا على الخلافة تسمَّوا هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوفت نفوس بعض العوام ممن ليس لهُ علم الى تلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلاً اليها لعدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا اول ما حدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يكنيهُ بفلان الدين الّا بامر يخرج من السلطنة فكانوا يعظمون على ذلك الاموال حتى يسمّى ولد احدهم بفلان الدين. فلما ان طال المدى وصار الامر الى الترك لم يبقَ لهم بالتسمية بالدولة معنًى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين. ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغير ما لم يعطوهُ على ذلك ثم انتقل اليهِ بعض من لا علم عندهُ ولا عمل ثم صار الامر متعارفًا متعاهدًا حتى انس بهِ العلماء فتواطأوا عليهِ"

اما الاوسمة فقديمة العهد في الغرب اكثر من الرتب وكان الجند الروماني ينال زيادة على المكافآت المالية نقوداً وشيئاً من الغنيمة إعظاماً لقدره فيقف القائد وسط الجيش ويمدح الباسل ويدفع اليهِ سلاح شرف واوسمة تشبه اوسمة اليوم كل الشبهِ كما روى بعض كتّاب الافرنج . وكان للجندي المكافإ بمثل هذه الانعامات ان يتقلّد ما حازهُ ويتوشح بهِ في الاستعراضات وايام المواسم والانتصار والملاعب وغيرها من الاحتفالات الرسميَّة . وانواع هذه الاوسمة كثيرة منها تيجان ينالها الجنديّ في الحرب اذا كان اول الهاجمين على جيش العدو او على قلعة وحصن ومنها ما يُعطى لامير البحر اذا حطّم اسطول العدو او باغت محبساً . ومنها اكاليل من اوراق الزيتون تعطى للجند او الضباط الذين ساعدوا على احراز الظفر لبلادهم . ومنها اكاليل من اغصان البلوط وطلعها توهب لمن ينقذ جيشاً رومانياً ويهلك احد خصوم امتهِ . ومنها غير ذلك من اسورة وقلائد من الذهب والفضة تعلّق في الصدور او في قرون صغيرة تُناط باطراف الخوذ . وقد شُدِّد الخناق على عهد الامبراطوريَّة الفرنسويَّة في اعطاء هذه الاوسمة اما اليوم فيكافأ بالاوسمة في اوربا مَنْ قام بخدمات لمملكتهِ من ترقية العلوم والآداب والصنائع ولكل من يخدم الارتقاء ويعين على توطيد دعائم العمران . اما الاوسمة في الشرق فليست قديمة العهد اخترعها سلاطين آل عثمان في القرن الماضي وما زالوا يبتدعون منها انواعاً بحسب الاحوال

عزّتها

لئن كان شرف الرتب والاوسمة وهمياً فقد احتفظت قديماً بعزتها فكان الناس يتبارون في اخذها مباراة حقيقية ليتأهلوا لها بالقول والفعل وكانت في المشرق بعيدة المنال حتى على أعاظم القوّاد والفاتحين . ورد في منشآت فريدون التركية ان احد مشاهير قوّاد الاتراك واسمهُ بالي بك بعث يوماً الى السلطان سليمان القانوني يستمنحهُ "رتبة امير الامراء" وقضاء بعض مصالح شخصية مقدّماً بين يدي نجواهُ ما قام بهِ من الفتوحات وتمَّ على يديهِ من المغانم للدولة . فأجابهُ السلطان الى قضاء مصلحتهِ ولم يجبهُ الى ترقية رتبتهِ وزاد بأن عنّفهُ على ما تبجح بهِ في كتابهِ ووصفهُ بالغرور لانهُ زعم ان فتح البلاد والحصون كان بدربتهِ ودهائهِ وصدق عزيمتهِ ومضائهِ قائلاً بان الرتبة لم يستحقها بعد ومتى آن اوان اعطائها يمنحهُ اياها بلا طلب منهُ ولا الحاح

ويروى انهُ اقترح مرة تعيين ابن شهاب واظنهُ الامير بشير حاكماً على جبل لبنان فابت المراجع العليا بادئ بدء الاقرار على ذلك مدعية ان منزلة رتبتهِ التي كان يتقلدها وهي "امير الامراء" تسقط بتقلدهِ منصباً لا يليق بدرجتهِ ورتبتهِ . ومثل ذلك ما كان من السلطان سليمان القانوني من إنكارهِ على يباله باشا ترفيع رتبتهِ الى الوزارة عقيب فتح جزيرة جربا الواقعة

على مائتي ميل من طرابلس الغرب واستخلاصهِ لها من الاسبان وقفولهِ الى الاستانة في اربعة آلاف اسير وثلاثة من اشهر امراء البحر عند العدو قائلاً مضى سنتان على رتبة "بكلربك" الموجهة عليهِ فمن العجلة ان تُعطى لهُ الوزارة هذه المرة لئلا يتنازل قدرها وهي من اعظم المراتب الدنيوية . ولا كرامهِ لذاك القائد زوّجهُ من ابنة السلطان سليم واغدق عليهِ الهبات المالية . قال كاتب جلبي بعد ايراد هذه القصة : على هذا المنوال كانت عزة المناصب واعتبارها في تلك العصور فابتُذلت في عصرنا حتى فقدت كل اعتبار ولم يبقَ للوزارة القدر الذي كان لامير اللواء . وعقّب عليهِ جودت باشا مؤرخ الدولة العليّة وعالمها بقولهِ ماذا كان كاتب جلبي يقول لو جاء في عصرنا هذا وكيف كان يبيّن سقوط اعتبار المراتب . اما الكاتب اليوم فليس لهُ ما يقول الآن الاّ السكوت عما هو جارٍ في القرب والبعد من التفاني في الرتب والاوسمة ومنحها عفوًا صفوًا حتى حقَّ لمن تعقّل ورأَى تهوُّس الناس في نيلها ان يتمثل لدى كل شارقة وبارقة بما قالهُ الشاعر الاندلسي في القرون الوسطى ايام تدرَّج الملوك والامراء في الاغراق في النفاق بحيث لم يعودوا يجدون لالقابهم الاَّ الفاظ الربوبية مثل الملك الرحيم وملك الملوك مما انكرهُ عقلاء العلماء اشدَّ الانكار اما البيتان الاندلسيان فهما

مما يزهدني في ارض اندلسٍ القاب معتضد فيها ومعتمدِ
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صورة الاسدِ

وما الطف ما وصف بهِ الراغب الاصفهاني اولئك المولعين بالقاب لا يليقون بها فقال : "ما هذه الالقاب العريضة والرقاب الغليظة ما للفاجر دُعي بالعفيف وما اشبها ولمَ كُني الموت بابي يحيى . وكيف سُميت المهلكة مفازة ولو انصفوا لسموها جنازة . يلقب هذا صدرًا وما اضيقهُ . وذلك بدرًا وما اغسقهُ . ونقيًا وما افسقهُ . ورشيدًا وما اخرقهُ . وامينًا وما اسرقهُ . وشجاعًا وما افرقهُ . ويمينًا وما اشأمهُ . وكريمًا وما ألأمهُ . وسراجًا وما اظلمهُ . وعزيزًا وما اذلَّهُ . وصارمًا وما اكلَّهُ . لئام تسمّوا باحاسن الاسماء واشتهروا بالقاب لم تنزل من السماء . اشباح بلا احلام كتماثيل حمام . واسماء بلا اجسام كالحرث بن همام" . . . . . . ويقرب في الظرف ما قالهُ ابو بكر الخوارزمي مخاطبًا بهِ العباسيين وكان من الحانقين على ترفهم وسرفهم كسائر العلويين

مالي رأيتُ بني العباس قد فتحوا من الكُنى ومن الالقاب ابوابا
ولقبوا رجلاً لو عاش اولهم ما كان يرضى بهِ للحُش بوابا
قلّ الدراهم في كفّي خليفتنا هذا فانفق في الاقوام القابا

هذا وقد ابتُذلت الالقاب والاوسمة في الشرق كلهِ واكثر بلاد الغرب حتى غدا المنوّر

المتعقل يتجافى عن قبولها لو وُهبت لهُ من الملوك رأساً كما فعل سبنسر وباستور وغلادستون وغيرهم بان ردُّوا الاوسمة التي هادتهم بها الملوك اعترافاً بعظيم خدمتهم للمدنية والانسانية . على انهُ مهما بلغ من تفاني بعض الشعوب الاوربيَّة باخذ الاوسمة لا يشقُّون غبار سكان هذه الديار وقد اشبهوا اعيان الروم في القسطنطينيَّة غداة افتتحها السلطان محمد الفاتح العثماني وارادوا المثول بين يديهِ واخذوا يتزاحمون ببابهِ ولا تزاحم الكلاب على عقيرة ليستأثر كل منهم بالتقدم على رفاقهِ في الدخول على الفاتح وفاتهم ان ليس الوقت وقت ترَّهات يحرصون عليها وان كل شيءٍ يهون بعد فقد الاستقلال وفساد الحال والمآل

ومن رأي صاحب تاريخ اشهر مشاهير الاسلام ان توفُّر تلك الالقاب والنعوت في الدول من نتائج التطلع الى المجد الباطل والاعراض عن المجد الحقيقي والشرف الذاتي ومنشأ هذا امران " فقد التربية وانحلال الدول " اما فقد التربية فلانهُ يضعف قوة الارادة ويذهب بآثار العلم ويقضي على حب الفضيلة فيميل بالناس الى الخمول ويتنكَّب بهم طرق الفضائل فيصابون بفتور الهمم وانحلال العزائم فيقعد بهم ذلك عن تناول الشرف الذاتي من طرق الجد والعمل ويدعوهم الى طلب المجد الباطل من طرق الرياء والمداهنة والتحيُّل والكسل وغير ذلك من الامور التي تدلُّ على فقد الشمم وموت العواطف وانحطاط ملكات العمل والعلم وقصاراها ضعف الامم وتدرُّجها في مدارج التدني والانحطاط حتى آخر درجة من الهبوط الى هوَّة الدمار والفناء حيث يبدأ غيرها بالصعود ممن كان ينازعها البقاء . وهكذا كان الشأن مع الفرس والعرب لما نازعهم هؤُلاء البقاء وغلبوهم عليهِ مع حداثة ظهورهم في الدولة والملك

واما انحلال الدول فلانهُ يحل عرى الالفة وتتناكر بهِ القلوب وينفضُّ الناس من حول الامير لضعف امرهِ فيهم او تعسُّفهِ بالحكم عليهم فيحتال لاجتذاب قلوب افرادهم وتأَلُّفهم تارةً بالرشى وطوراً بمنح الالقاب وفخامة التشريف بشارات الدولة فتفسد بذلك اخلاقهم وتغترُّ بمظاهر الفخفخة الكاذبة نفوسهم فيتطلعون الى رتب الدولة والقاب التشريف الباطلة . وهكذا كان الشأن لما انحلَّ امر الخلافة العباسيَّة في بغداد والفاطمية في مصر وابتدع الخلفاء من القاب التشريف الكثيرة ما يتألَّفون بهِ قلوب الناس ويجتذبون اليهم افئدة الامراء المتوثّبين على الملك الغالبين على امر الخلافة ولكن لم يغنِ ذلك عن سقوط خلافتهم وانحلال دولتهم

الغرض منها

جاء في دائرة المعارف الفرنسوية فصل في علاقة علائم الشرف بالاخلاق والعمران هذا تعريبهُ :

يجب المرء ان يعترف باستحقاق المستحق اذا لم تنبعث في قلبهِ نار الحسد ولم يستحكم من جوارحهِ مرض الغرض وتميل الحكومات الى مكافأة من احسن خدمة تنتج عنها فوائد عامة ليتميز عن الجمهور كل اهلٍ للخير من اهل البلاد وتكون افعالهُ مهما كانت قيمتها وجنسها من دواعي الشرف بين الملإ . وفي ذلك من الفوائد الظاهرة ما لا ينكر لبيب محلهُ . فهو من حيث الاخلاق عبارة عن اجراء العدل مجراهُ ومن حيث الاجتماع داعية لاستلفات الرأي العام اذ يصبح المكافأ مثالاً يحتذى وتُستحث بهِ الهمم وتُبعث الكفاءات من مرقدها ويتبارى الناس ليحسنوا القيام على عمل ينيلهم الحظوة والرضى . ولذا شاع استعمال علائم الشرف منذ ازمان متطاولة وقُيِّد منحها بشروط تختلف باختلاف البلاد

لم يُعهَد قديمًا ما يُشبه الرتب والاوسمة المعروفة اليوم عندنا وعند الممالك السائرة مما يمنح بصفة دائمية ويتوشح بهِ المنعم عليهم في الاحايين اثناء الحفلات الرسميَّة ويمتازون بهِ كل وقت في حياتهم . كانت الجوائز التي تمنح في الالعاب الاولمبيَّة تورث الظافرين شرفًا عامًّا يشاركهم فيهِ وطنهم . ولم يكن لتلك الجوائز علامة تدلُّ عليها يظهرون بها امام الناس على الدوام . وكذلك كان حال من يشرَّف في رومة لظفرهِ بالاعداء . فلم تكن لتنقضي ايام نصرتهِ حتى تذهب آثار ذلك عنهُ ذهاب امس الدابر

وكان للوظائف العامة وحدها علائم محدودة معروفة يتقلدها صاحبها عند ممارستهِ عملهُ ويطَّرحها عنهُ في آونة فراغهِ وتخليهِ عن اعمالهِ مما ترى عكس صورتهِ اليوم فيما هو شائع لهذا العهد في فرنسا مثلاً من الدلالة على علائم الشرف بصليب او عقدة او نوط او غصن غار ونحوها اشارةً لوسام جوقة الشرف ووسام الجنديَّة وجوائز المجامع العلميَّة والجمعيَّات الزراعيَّة . ويفهم من تاريخ المظاهر الرسميَّة والالقاب والرتب ان علائم الشرف دامت شائعة بعض الشيوع تنتقل خلفًا عن سلف خلال القرون الوسطى والحديثة . على ان القاب الشرف لم تكن بجملتها وراثية على عهد الملكية بفرنسا اذ كاد ينعم بها انعامًا خاصًّا على من يتقلدون بعض الوظائف وينحصر استمتاعهم بها ما داموا احياء

اتت الثورة الفرنسوية فأتت على الالقاب وشارتها جملة . غير ان نابوليون ارتأى ان يعتاض عنها باختراع ما يقوم مقامها على طريقة دستورية لا اجحاف فيها ولا هضم . فأحدث من ثم القاب شرف وراثية يتمتع بها خواص ملكهِ المتفانون في خدمتهِ. القابٌ خصت بتشريف صاحب الكفاءة الشخصية فغدت اعزَّ من الغراب الاعصم لان نيلها كان متعذرًا الا على من عمل عملاً قدرهُ الناس حق قدرهِ . ثم عاد نخطر بالبال اختراع اوسمة اخرى خاصة بمكافأة

اعمال تستحق الاعتبار دون غيرها

وبعثنا تعرض مسألة ظنيفية فان الحكومات قد تنتفع بمباراة الاهلين بعضهم مع بعض خدمة للخير العام فتستعمل علائم الشرف ذرائع لاحياء ميت الهمم الوطنية : ومن العدل ان يكون لتلك السلطة العامة التي يرجع اليها معاقبة المسيء حق في عمل ما يقابلها من مكافأة المحسن مما هو ولا جرم من حقوقها الجوهرية . الا اذا ارادت الامم ان تعتبر الحكومات محافظة على الضبط والربط فقط

تقضي الحال بان ينظر في التنديدات التي انتجتها حقوق هذه السلطة لان ليس كلها عاريًا عن نصائح ينتفع بها واقل فوائد هذا التنديد انهُ ينبه الافكار الى سوء الاستعمال في منحها وان كان لا يقدم على النقد في الغالب الا من خاب املهُ في الحصول عليها . على انهُ صعب رفع اسباب الشكوى بالمرة لان رضا الناس غاية لا تدرك ولا مندوحة مع هذا عن استعمال ما يتأتى بهِ ارضاء الاشخاص ارضاء عادلاً دون ان يحدث فتور في همم السواد الاعظم من القوم وتحاميا من ان تؤثر فيهم تأثيرًا سيئًا فيربو الضر على النفع كأن يترفع المنعم عليهم بعلائم الشرف من اصحاب الاقتدار الادبي فيزهدون في قبولها ولا يلبث اعتبارها ان يسقط . ومن اللازم اللازب ان يخص بهذه النعمة المستحق الفاضل دون النظر الى ما لا بد ان يقال من نسبة تشيّع المنعِم للمنعَم عليهِ وذلك بان يستند معطيها الى قواعد راهنة تدفع ما يرميهِ الناس بهِ والى عدل يشفع لهُ في انعامهِ

ومن الواجب الاقتصاد في منح هذه الاوسمة والالقاب وان يتوخى المنعِم بها ان لا يهبها الا لمن يستحقها ممن لا ينكر عليهم استئهالهم لها ابعد الناس عن معرفة الحقيقة . ومن الخطإ الفاحش ان يذهب بعضهم الى ان عدد الراضين يزيد بمضاعفة علائم الشرف اذ الامر بخلاف ذلك وكلما خفضت المطالب والقيود درجة زادت الدعاوي الطويلة العريضة وما انت بصاحبها في هذا الطلب الا كأنهُ يتقاضى حقًا او امرًا مشروعًا . وكلما زاد اعطاء الاوسمة وقعت الحكومات في شر اعمالها وهي في ذلك بين امرين اما ان تعطيها لاناس لا خلاق لهم او لمن لهم علم واقتدار ولكنهم معروفون بالاخلاق السافلة . وكلا الحالين قبيح وافبح . وما حال الشعب اذ ذاك الا حال الاطفال في المدرسة يطمحون الى المكافآت المدرسيَّة ويحرصون عليها اكثر من طموحهم الى التقدم الحقيقي مما ليست المكافآت الا اشارات دالة عليهِ فيرغبون في نيلها دون ان يستحقوها اكثر من رغبتهم في استحقاقها دون ان ينالوها

يقال ان بعض النساء يحرّضن رجالهنَّ على اخذ الاوسمة (ومن شنشنة المرأة ان تميل

لان ترى زوجها فائقاً اقرانهُ ولا لوم عليهن في هذا الهوى كما يلام الرجال فالزينة من خصائصهنَّ) فمن ثمَّ ينشط الرجال و يتسلقون كل عقبة كؤود لنيل علائم الشرف دع عنك ما يأتونهُ من طرق غير شريفة مما لا يمكن اجراه العقاب عليهِ . ولا يخفى ما في طلب المرء بنفسهِ علامة الشرف من الغرابة ومخالفة المعقول

سأل سائل عظيم: "يا هذا ايَّ الطرق سلكت لاحراز الوسام — فاجابهُ انني عمدت الى الوسائط اللازمة فقمت بها حقَّ القيام" وليت شعري أليس من الغريب ان تُعتبر تلك الطرق التي لجأ اليها في عرف الكثيرين من الامور الطبيعيَّة في العالم . نعم ليس ثمت من الطرق ولله الحمد ما ينبغي الجري فيهِ ولكنهُ كبُرت اليوم كلمة ظنٍّ تجول في الخوطر لنيل ذلك الشرف ولا يحتمل في الحقيقة ان يطمع انسان على هذا النحو في علائم شرف يستحقها من كل الوجوه . وان اول امر ينبغي العمل بهِ ان يسدَّ باب الاحسان بهذه التشريفات في وجه كل من يطلب الدخول اليهِ اه

هذا كلام العالم الفرنسوي وهو كما تراهُ حقٌّ ولو جروا في منح الرتب والاوسمة على الخطة التي رسمها لاحتفظت بشرفها لا محالة وحصلت الفائدة منها وما احرى مانحيها ان يمشوا على القاعدة المألوفة من ان طالب التولية لا يولَّى . وهنا اختم المقال بما هو مأثور عن عمر بن الخطاب من انهُ اراد يوماً ان يستعمل رجلاً فبدر الرجل يطلب منهُ العمل فقال عمر" والله لقد اردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يُعَنْ عليهِ"

بحَّاث دمشقي

العام الماضي

مضت السنة الثانية من القرن العشرين بعد ان اذاقت الناس الحلو والمرَّ . اطفأت نار الحرب في الترنسفال وحجبت دماء العباد واوقدت نار الارض في جزائر الانتيل فاذابت السكن والسكان . اقيم فيها اثر للصناعة نرجو ان يرسخ في وادي النيل رسوخ اهرامهِ وسقط اثر آخر في البندقية بعد ان قاوى الدهر مئات من الاعوام . واشعلت شعلتين في شرقي افريقية وغربيها شعلة الصومال وشعلة الغرب الاقصى ولا ندري ما يكون من امرها في عامنا الجديد. وفي ما سوى ذلك مرَّ العام الماضي والسلم موطد الاركان نعني بهِ السلم المناقض للحرب بالسيوف والرماح والبنادق والمدافع. واما الحرب الاجتماعيَّة بين العمال وارباب الاموال فاتَّقد سعيرها في اميركا واسبانيا وانكلترا وفرنسا. العمال واكثرهم من مستخرجي الفحم الحجري يطلبون ان تزاد اجورهم

وتقلّل ساعات عملهم وارباب الاعمال يرفضون الامرين مدَّعين قلَّة الربح . ولما تفاقم الخطب في اميركا دعا رئيسها رؤَساء اصحاب المناجم وزعماء العمال اليهِ وبذل جهدهُ في التوفيق بينهم وكاد يفلح في جعلهم يفضُّون الخلاف بواسطة المحكمين ولكن الاخبار الاخيرة تدل على ان الخلاف لم يزل مستحكماً وقد اشتدَّت الحاجة الى الفحم وارتفعت اسعارهُ وجعل الفقراء يموتون برداً

لكن ما عجزت عنهُ الحكومة الاميركيَّة قدرت عليهِ الحكومة الفرنسويَّة فوفَّق وزير فرنسا الاول بين العمال وارباب الاعمال بعد ان اضرب العمال عن العمل زمناً طويلاً . وعسى ان يشيع مبدأُ التحكيم فيلجأ العمال اليهِ كما رأوا غبناً او خافوا ضيماً

ومما يجب ذكرهُ هنا ان شكوى العمال لا تدلُّ على ان حالهم اسوأ مما كانت في العصور الغابرة بل هم يشكون لانهم صاروا يطلبون ان يشاركوا اصحاب الاعمال في شيءٍ من اطايب الحياة فاذا عرف هؤلاء كيف يداورونهم وانصفوا فزادوا اجورهم بزيادة الارباح دام الاتفاق بين الفريقين

وهناك حرب اخرى يثيرها كبار الماليين على صغارهم وتثيرها اميركا على انكلترا وانكلترا على اميركا وهي حرب الشركات الكبيرة التي تبتلع الشركات الصغيرة او تميتها وقد كان الفوز في هذا المضمار للاميركيين فاخذوا الانكليز على غرة لكن الانكليز تحفَّزوا للاخذ بالثار او لحماية الذمار على الاقل . وقد اهتمَّ رئيس الحكومة الاميركيَّة بسنّ قانون يمنع الشركات الكبيرة من الاجحاف بحقوق غيرها ومن الاستبداد بمصالح العباد وسنرى ما يوفَّق اليهِ في عامنا الجديد

واحتُفل في العام الماضي بتتويج ملك اسبانيا وملك الانكليز . مظاهر تدلُّ على ان عقل الانسان لا يزال مقيداً بالزخارف والاعراض وان عصر الفلسفة لا يزال بعيداً

وحدث في الشرق الاقصى والشرق الادنى حادثان كبيران دليلا قوة وضعف وعزة وذلّ . الاول المعاهدة التي ابرمتها اليابان مع انكلترا ووقفت فيها موقف المثيل لاعظم دولة من دول اوربا فدلَّت على ما حازتهُ من القوة والعزة في عشرين سنة اخذت فيها مأخذ الاوربيين واقتفت خطواتهم في العلم والعمل والبر بالرعيَّة . والثاني تحويل شركة المانيَّة مد سكة حديديَّة في بلاد الدولة فوق الشركات التي للاوربيين فيها حتى تزيد مصالحهم وتقوى حجتهم في المطالبة بها ولا يبقى للعثمانيين مورد رزق يردونهُ اذا هبُّوا من سباتهم

ولم يكتشف العلماء في العام الماضي اكتشافاً ذا شأن كبير لكن مركوني تمكن من ايصال الامواج الكهربائية بتلغرافهِ من اوربا الى اميركا فصارت الرسائل تنقل بهِ من غير سلك . ومما

يعدُّ مع الآثار العلمية ان المستر كارنجي المحسن الاميركي الشهير وهب مليوني جنيه لاجل البحث العلمي والسر ارنست كاسل وهب مئتي الف جنيه ليبني بها مستشفى يعالج فيهِ المسلولون واربعين الف جنيه لتستعمل في القطر المصري لمعالجة امراض العيون . اما الهبات العلمية الاميركية فكثيرة وهي جزية الاغنياء للجمهور الذي كان سبب غناهم يكتسبون الالوف من عرق الناس ويجودون عليهم بالمئات لكن ذلك خير من الكسب من غير جود. وسننشر تاريخ العام في الجزء الاخير من هذا المجلد كما فعلنا في العام الماضي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

اقتراح

لعقد مؤتمر المستشرقين في مصر

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ان نجاح المؤتمر الطبي المصري ذلك العمل المجيد الذي قام بهِ اطباؤُنا في الشهر الماضي وما لقيهُ اعضاؤُهُ ومندوبوهُ من الرعاية والحفاوة من سمو الخديوي المعظم ورجال حكومتهِ السنية لما ينعش نفس كل مصري بل وكل شرقي يرغب في نجاح ديارهِ طالباً لها مزيد الارتقاء في معارج الفلاح والاكثار من امثال هذه الاعمال العلمية الجليلة العائدة بأعظم النتائج واجل الفوائد على الامة والموجبة اجزل الشكر واكبر الفخار لكل ساعٍ اليها وعامل على تعضيدها من كبار رجالنا ذوي الهمم العلية والافكار الصائبة

هذا ولما كان مؤتمر علماء المستشرقين الذي يعقد في البلاد الاوربأوية من حين الى حين باحثاً في لغات الشرق ومعارفهِ مستقصياً لاحوال اهلهِ وشؤُونهم الادبية قديمها وحديثها من المؤتمرات المهمة في بابها والاجتماعات المفيدة لطلابها عموماً ولاهل الشرق منهم خصوصاً فلا

جرم اذا كان عقدهُ بين اهلهِ وفي بلد كمصر حافلاً بالكثير من علمائهِ وفضلائهِ من الامور الواجبة التي يلزم الالتفات اليها والاهتمام بها

لهذا كتبت هذه السطور — وانا واثق من تعضيد المقتطف الاغر وجمهور فضلاء قرَّائهِ لي — مقترحاً على اجلاء علمائنا الشرقيين وجهابذة عصرنا اللغويين السعي في هذا المسعى الجليل والعمل العظيم العائد بالفوائد الجلى على ام هذا الشرق

على ان دخول مثل هذه الديار في مصاف البلاد التي يعقد فيها هذا المؤتمر لما يصادف ارتياح جمهور علماء المستشرقين انفسهم اذ يرون فيهِ اثمن الفرص لزيادة البحث والدرس والاستفادة في ربوع الشرق

ولا ريب ان ما صادفهُ المؤتمر الطبي من التعضيد والتنشيط من قبل الجناب الخديوي ورجال حكومتهِ لاعظم برهان واكبر دليل على ما سيصادفهُ هذا المؤتمر من ارتياح الحكومة وعظيم ما تبذل من العناية بشأنهِ والاخذ بيد الساعين فيهِ حبًّا باعلاء شأن البلاد والله الموفق الى الرشاد

مصر صالح حمدي حماد

استدراك غلط تاريخي

نبهني فاضل محقق الى ما وقع لي من السهو في الاستشهاد الذي اوردتهُ في صدر مقالة "التواريخ العربية" التي نشرت في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين بشأن الرسم الذي اظهرهُ يهود خيبر تخلصاً من الجزية ونقضهُ ابن الخطيب البغدادي استنادًا على بعض شهود ذُكرت اسماؤُهم زورًا وذلك ان خيبر فُتحت سنة سبع ومعاوية بن ابي سفيان احد الشهود اسلم بعد ذلك وكذلك سعد بن ابي وقاص وهو مات يوم قُرَيْظة قبل خيبر . قال ذاك المحقق ليس هذا سعد بن ابي وقاص وانما هو سعد آخر من الصحابة لان ابن ابي وقاص شهد وقعة القادسية على عهد الخليفة الثاني . فعمدت الى كتاب "اسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الاثير الجزري فتبين ان سعدًا الذي ذُكرت شهادتهُ هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس الذي حكم في قُرَيْظة ومقاماتهُ في الاسلام مشهورة كبيرة فثبت بهذا غلط من رويت عنهم تلك القصة ومن جملتهم القرماني في مقدمة كتابهِ "اخبار الدول وآثار الأُول" اما سعد بن ابي وقاص ويقال لهُ سعد بن مالك فقد اسلم بعد ستة وقيل بعد اربعة وهو احد سادات الصحابة ومن الستة اصحاب الشورى استعملهُ عمر بن الخطاب اميرًا على الجيوش الذين سيرَهم لقتال الفرس فهزمهم بالقادسية وبجلولا وهو الذي فتح المدائن مدائن كسرى بالعراق

وبنى الكوفة وولي العراق وتوفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل اربع وخمسين للهجرة

هذا هو الغلط الساري والله اعلم بمصدرهِ أمِنَ المؤرخ ام من الناسخ ام من الطابع والى ايّ عصر يُرَد منشأهُ وعلى كم من الناس انطلى من قبل . وقد بادرت الى تصحيحهِ لا لاهميتهِ في نظر القوم بل بيانًا للحقيقة واثباتًا لما ورد من نقد التاريخ العربي وتساهل اكثر كتابهِ

وبعد فقد ذكرتُ ما وقع لي لاحد كبار رجال العلم فلم يعجب بهِ عجبي منهُ وقال ان غالب من ادّعوا العلم تقليدًا او تمويهًا منذ نحو اربعمائة سنة جروا على قاعدة التغرير في العلم والتجوّز في صحة الحكم وقضوا افتئاتًا وجهلاً بان التاريخ علم كذب ملفق لا ينبغي لطالب علم ان يشغل فيهِ وقتهُ ولا ان يبحث في مسألة في مسائلهِ . وان العلم محصور بين دفات الكتب التي تواطأوا عليها ولا يقولون الاّ بالاخذ منها ومعظمها محشو باضاليل شائنة لو لم تتأصل في النفوس لم نصبح اليوم ودرجتنا من العلوم النافعة درجة اهل اوربا في القرون الوسطى مهما ارتقينا لا نتعدى حدود المباحث في المذاهب والمشاعب ومهما اشتغلنا لا نهتم بغير علوم اللسان وما هي الاّ سلَّم الى غيرها

دمشق الشام

محمد كردعلي

الكلمات المعرَّبة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما اطلعت على الكلمات العربية التي جمعها حضرة اقلاديوس افندي لبيب منشىء مجلة عين شمس وقال ان اصلها قبطي على ما ورد في الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين من المقتطف اعظمت بحثهُ لانهُ فتح امامنا بابًا وجدهُ علماؤنا الاولون ثم اقفل مع اقفال باب الاجتهاد . ثم لما رأيت الرد عليهِ في الجزء الاول من هذه السنة بقلم حضرة محمد افندي فاضل خفت ان يكون داعيًا لاقفال هذا الباب ثانية لانهُ لا شيء يخيف الباحثين مثل قولك لهم ان هذا الامر او ذاك على خلاف الشرع او هو مناقض للعقائد بوجه من الوجوه مثل قولهِ ان هذه الكلمة او تلك عربيَّة لا قبطيَّة لانها واردة في قولهِ تعالى وقولهُ هو القديم. هذا واني انقل لقراء المقتطف الكرام فصلاً اثبتهُ علاَّمة الاسلام خاتمة المحققين الامام جلال الدين السيوطي في كتاب الاتقان ذكر فيهِ الالفاظ المعربة الواردة في القرآن وهو بنصهِ

" وهذا سرد الالفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم (اباريق) حكي الثعالبي في فقهِ اللغة انها فارسية وقال الجواليقي الابريق فارسي معرب ومعناهُ طريق

الماء او صب الماء على هينة . (ابٌّ) قال بعضهم هو الحشيش بلغة اهل الغرب حكاهُ شيدلة . (ابلعي) اخرج ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في قولهِ تعالى ابلعي ماءك قال بالحبشية ازدرديهِ واخرج ابو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن ابيهِ قال اشربي بلغة الهند . (اخلد) قال الواسطي في الارشاد اخلد الى الارض ركن بالعبرية . (الارائك) حكي ابن الجوزي في فنون الافنان انها السرر بالحبشية . (آزر) عد في المعرب على قول من قال انهُ ليس بعلم لابي ابراهيم ولا للصنم وقال ابن ابي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان قال سمعت ابي يقرأ واذ قال ابراهيم لابيهِ آزرُ يعني بالرفع قال بلغني انها اعوج وانها اشد كلمة قالها ابراهيم لابيهِ وقال بعضهم هي بلغتهم يا مخطئ . (اسباط) حكى ابو الليث في تفسيرهِ انها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب . (استبرَق) أخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك انهُ الديباج الغليظ بلغة العجم . (اسفار) قال الواسطي في الارشاد هي الكتب بالسريانية واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالنبطية . (إصْري) قال ابو القاسم في لغات القران معناهُ عهدي بالنبطية . (آكواب) حكى ابن الجوزي انها الاكواز بالنبطية واخرج ابن جرير عن الضحاك انها بالنبطية وانها جرار ليست لها عرى . (إلّ) قال ابن جني ذكروا انهُ اسم الله تعالى بالنبطية . (اليم) حكى ابن الجوزي انهُ الموجع بالزنجية وقال شيدلة بالعبرانية . (اناهُ) نضجهُ بلسان اهل المغرب ذكرهُ شيدلة وقال ابو القاسم بلغة البربر وقال في قولهِ تعالى حميم آن هو الذي انتهى حرهُ بهاه وفي قولهِ تعالى من عين آنية اي حارة بهاه . (اواهُ) اخرج ابو الشيخ ابن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة واخرج ابن ابي حاتم مثلهُ عن مجاهد وعكرمة واخرج عن عمرو بن شرحبيل قال الرحيم بلسان الحبشة وقال الواسطي الاواه الدعاه بالعبريَّة . (اوّاب) اخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال الاواب المسبح بلسان الحبشة واخرج ابن جرير عنهُ في قولهِ تعالى اوّبي معهُ قال سبحي بلسان الحبشة . (الاولى) والآخرة قال شيدلة الجاهلية الاولى اي الآخرة في الملة الآخرة اي الاولى بالقبطية والقبط يسمون الآخرة الاولى والاولى الآخرة وحكاهُ الزركشي في البرهان . (بطائنها) قال شيدلة في قولهِ تعالى بطائنها من استبرق اي ظواهرها بالقبطية وحكاهُ الزركشي . (بعير) اخرج الفريابي عن مجاهد في قولهِ تعالى كيل بعير اي كيل حمار وعن مقاتل ان البعير كل ما يحمل عليهِ بالعبرانية . (بيع) قال الجواليقي في كتاب المغرب البيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين . (تنور) ذكر الجواليقي والثعالبي انهُ فارسي معرب . (تتبيرًا) اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قولهِ تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا قال تبرة بالنبطية . (تحت) قال ابو القاسم في لغات القرآن في قولهِ تعالى فناداها

من تحتها اي بطنها بالنبطية ونقل الكرماني في العجائب مثلهُ عن مؤرخ. (الجبت) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال الجبت اسم الشيطان بالحبشية واخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال الجبت بلسان الحبشة الشيطان واخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال الجبت الساحر بلسان الحبشة. (جهنم) قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية اصلها كهنام. (حرم) اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال وحرم وجب بالحبشية. (حصب) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في قولهِ تعالى حصب جهنم قال حطب جهنم بالزنجية. (حطة) قيل معناهُ قولوا صوابًا بلغتهم. (حواريون) اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال الحواريون الغسالون بالنبطية واصلهُ هواري. (حوب) تقدم في مسائل نافع ابن الازرق عن ابن عباس انهُ قال حوبًا اثمًا بلغة الحبشة. (دارست) معناهُ قارأت بلغة اليهود. (درى) معناهُ المضيء بالحبشية حكاهُ شيدلة وابو القاسم. (دينار) ذكر الجواليقي وغيرهُ انهُ فارسي. (راعنا) اخرج ابو نعيم في دلائل النبوَّة عن ابن عباس قال راعنا سب بلسان اليهود. (ربانيون) قال الجواليقي قال ابو عبيدة العرب لا تعرف الربانيين وانما عرفها الفقهاء واهل العلم قال واحسب الكلمة ليست بعربيَّة وانما هي عبرانيَّة او سريانيَّة وجزم القاسم بانها سريانية (ربيون) ذكر ابو حاتم احمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة انها سريانية. (الرحمن) ذهب المبرد وثعلب الى انهُ عبراني واصلهُ بالخاء المعجمة. (الرس) في العجائب للكرماني انهُ عجمي ومعناهُ البئر. (الرقيم) قيل انهُ اللوح بالرومية حكاهُ شيدلة وقال ابو القاسم هو الكتاب بها وقال الواسطي هو الدواة بها. (رمزا) عدهُ ابن الجوزي في فنون الافنان من المعرب وقال الواسطي هو تحريك الشفتين بالعبرية. (رهوا) قال ابو القاسم في قولهِ تعالى واترك البحر رهوًا اي سهلاً دمثًا بلغة النبط وقال الواسطي اي ساكتًا بالسريانية. (الروم) قال الجواليقي هو اعجمي اسم لهذا الجيل من الناس. (زنجبيل) ذكر الجواليقي والثعالبي انهُ فارسي. (السجل) اخرج ابن مردويه من طريق ابي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل بلغة الحبشة الرجل وفي المحتسب لابن جنى السجل الكتاب قال قوم هو فارسي معرب. (سجيل) أخرج الفريابي عن مجاهد قال سجيل بالفارسية اولها حجارة وآخرها طين. (سجين) ذكر ابو حاتم في كتاب الزينة انهُ غير عربي. (سرادق) قال الجواليقي فارسي معرب واصلهُ سرادر وهو الدهليز وقال غيرهُ الصواب انهُ بالفارسية سرابرده اي ستر الدار. (سري) اخرج بن ابي حاتم عن مجاهد في قولهِ تعالى سريا قال نهرا بالسريانية وعن سعيد بن جبير بالنبطية وحكي شيدلة انهُ باليونانية. (سفرة) اخرج بن ابي حاتم من طريق بن جريج عن ابن عباس في قولهِ تعالى بايدي سفرة قال بالنبطيَّة القراء. (سقر) ذكر الجواليقي انها عجميَّة (سجدًا) قال الواسطي في

قولهِ تعالى وادخلوا الباب سجدًا اي مقنعي الرؤوس بالسريانية. (سكرًا) اخرج بن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال السكر بلسان الحبشة الخل. (سلسبيل) حكى الجواليقي انهُ عجمي. (سنا) عدهُ الحافظ بن حجر في نظمهِ ولم اقف عليهِ لغيرهِ. (سندس) قال الجواليقي هو رقيق الديباج بالفارسية وقال الليث لم يختلف اهل اللغة والمفسرون في انهُ معرب وقال شيدلة هو بالهندية. (سيدها) قال الواسطي في قولهِ تعالى والفيا سيدها لدى الباب اي زوجها بلسان القبط قال ابو عمرو لا اعرفها في لغة العرب. (سينين) اخرج ابن ابي حاتم وابن جرير عن عكرمة قال سينين الحسن بلغة الحبشة. (سيناء) اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال سيناء بالنبطية الحسن. (شطرا) اخرج ابن ابي حاتم عن رفيع في قولهِ تعالى شطر المسجد قال تلقاءهُ بلسان الحبش. (شهر) قال الجواليقي ذكر بعض اهل اللغة انهُ بالسريانية . (الصراط) حكى النقاش وابن الجوزي انهُ الطريق بلغة الروم ثم رأيتهُ في كتاب الزينة لابي حاتم. (صرهن) اخرج ابن جرير عن ابن عباس في قولهِ تعالى فصرهن قال هي نبطية فشققهن واخرج مثلهُ عن الضحاك واخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه قال ما من اللغة شيء الاَّ منها في القرآن شيء قيل وما فيهِ من الرومية قال فصرهنَّ يقول قطعهنَّ. (صلوات) قال الجواليقي هي بالعبرانية كنائس اليهود واصلها صلوتا واخرج ابن ابي حاتم نحوهُ عن الضحاك . (طه) اخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قولهِ تعالى طه قال هو كقولك يا محمد بلسان الحبش واخرج ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه بالنبطية واخرج عن سعيد بن جبير قال طه يا رجل بالنبطية واخرج عن عكرمة قال طه يا رجل بلسان الحبشة. (الطاغوت) هو الكاهن بالحبشية. (طفقا) قال بعضهم معناهُ قصدا بالرومية حكاهُ شيدلة. (طوبى) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال طوبى اسم الجنة بالحبشية واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية. (طور) اخرج الفريابي عن مجاهد قال الطور الجبل بالسريانية واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك انهُ بالنبطية . (طوى) في العجائب للكرماني قيل هو معرب معناهُ ليلاً وقيل هو رجل بالعبرانية. (عبدت) قال ابو القاسم في قولهِ تعالى عبدت بني اسرائيل معناهُ قتلت بلغة النبط. (عدن) اخرج ابن جرير عن ابن عباس انهُ سأل كعبًا عن قولهِ تعالى جنات عدن قال جنات الكروم واعناب بالسريانية ومن تفسير جويبر انهُ بالرومية. (العرم) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال العرم بالحبشية هي المسنات التي تجمع فيها الماء ثم ينبثق . (غساق) قال الجواليقي والواسطي هو البارد المنتن بلسان الترك واخرج ابن جرير عن عبدالله بن بريدة قال الغساق المنتن وهو بالطخارية. (غيض) قال ابو القاسم

غيض نقص بلغة الحبشة. (فردوس) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال الفردوس بستان بالرومية واخرج عن السدي قال الكرم بالنبطية واصلهُ فرداسا . (فوم) قال الواسطي هو الحنطة بالعبرية. (قراطيس) قال الجواليقي يقال ان القرطاس اصلهُ غير عربي. (قسط) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال القسط العدل بالرومية. (قسطاس) اخرج الفرياني عن مجاهد قال القسطاس العدل بالرومية واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال القسطاس بلغة الروم الميزان (قسورة) اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الاسد يقال لهُ بالحبشية قسورة. (قطنا) قال ابو القاسم معناهُ كتابنا بالنبطية. (قفل) حكى الجواليقي عن بعضهم انهُ فارسي معرب . (قمل) قال الواسطي هو الدبا بلسان العبرية والسريانية قال ابو عمرو لا اعرفهُ في لغة احد من العرب انهُ فارسي معرب. (قنطار) ذكر الثعالبي في فقهِ اللغة انهُ بالرومية اثنا عشر الف اوقية وقال الخليل زعموا انهُ بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً او فضة (وقال) بعضهم انهُ بلغة بربر الف مثقال وقال ابن قتيبة قيل انهُ ثمانية آلاف مثقال بلسان اهل افريقية. (القيوم) قال الواسطي هو الذي لا ينام بالسريانية. (كافور) ذكر الجواليقي وغيرهُ انهُ فارسي معرب. (كفر) قال ابن الجوزي كفر عنا معناهُ امحُ عنا بالنبطية واخرج ابن ابي حاتم عن ابي عمران الجوني في قولهِ تعالى كفر عنهم سيآتهم قال بالعبرانية محا عنهم. (كفلين) اخرج ابن ابي حاتم عن ابي موسى الاشعري قال كفلين ضعفين بالحبشية (كنز) ذكر الجواليقي انهُ فارسي معرب. (كورت) اخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال كورت غورت وهي بالفارسية. (لينة) في الارشاد للواسطي هي النخلة قال الكلبي لا اعلمها الا بلسان يهود يثرب. (متكأً) اخرج ابن ابي حاتم عن سلمة بن تمام الشقري قال متكا بلسان الحبش يسمون الترنج متكا . (مجوس) ذكر الجواليقي انهُ اعجمي. (مرجان) حكى الجواليقي عن بعض اهل اللغة انهُ اعجمي. (مسك) ذكر الثعالبي انهُ فارسي. (مشكاة) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال المشكاة الكوة بلغة الحبشة. (مقاليد) اخرج الفريابي عن مجاهد قال مقاليد مفاتيح بالفارسية وقال ابن دريد والجواليقي الاقليد والمقليد المفتاح فارسي معرب. (مرقوم) قال الواسطي في قولهِ تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب بلسان العبرية . (مزجاة) قال الواسطي مزجاة قليلة بلسان العجم وقيل بلسان القبط . (ملكوت) اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قولهِ تعالى ملكوت قال هو الملك ولكنهُ بكلام النبطية ملكوتا واخرجهُ ابو الشيخ عن ابن عباس وقال الواسطي في الارشاد هو الملك بلسان النبط . (مناص) قال ابو القاسم معناهُ فرار بالنبطية . (منسأة) اخرج ابن جرير عن السدي قال المنسأة العصا بلسان الحبشة. (منفطر) اخرج ابن جرير عن ابن عباس في قولهِ تعالى السماء

منفطر بهِ قال ممتلئة بهِ بلسان الحبشة. (مهل) قيل هو عكر الزيت بلسان اهل المغرب حكاهُ شيدلة وقال ابو القاسم بلغة البربر. (ناشئة) اخرج الحاكم في مستدركهِ عن ابن مسعود قال ناشئة الليل قيام الليل بالحبشية واخرج البيهقي عن ابن عباس مثلهُ (ن) حكى الكرماني في العجائب عن الضحاك انهُ فارسي اصلهُ أنون ومعناهُ اصنع ما شئت. (هدنا) قيل معناهُ تبنا بالعبرانية حكاهُ شيدلة وغيرهُ. (هود) قال الجواليقي الهود اليهود اعجمي. (هون) اخرج ابن ابي حاتم عن ميمون بن مهران في قولهِ تعالى يمشون على الارض هونا قال حكماء بالسريانية واخرج عن الضحاك مثلهُ واخرج عن ابي عمران الجوني انهُ بالعبرانية . (هيت لك) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال هيت لك هلم لك بالقبطية وقال الحسن هي بالسريانية كذلك اخرجهُ ابن جرير وقال عكرمة هي بالحورانية كذلك اخرجهُ ابو الشيخ وقال ابو زيد الانصاري هي بالعبرانية واصلهُ هيتلج. (وراء) قيل معناه امام بالنبطية حكاه شيدلة وابو القاسم وذكر الجواليقي انها غير عربية . (وردة) ذكر الجواليقي انها غير عربية . (وزر) قال ابو القاسم هو الحبل والملجأ بالنبطية. (ياقوت) ذكر الجواليقي والثعالبي وآخرون انهُ فارسي. (يحور) اخرج ابن ابي حاتم عن داود بن هند في قولهِ تعالى انهُ ظن ان لن يحور قال بلغة الحبشة يرجع واخرج مثلهُ عن عكرمة وتقدم في اسئلة نافع بن الازرق عن ابن عباس . (يس) اخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قولهِ تعالى يس قال يا انسان بالحبشية واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال يس يا رجل بلغة الحبشة .(يصدون) قال ابن الجوزي معناهُ يضجون بالحبشية. (يصهر) قيل معناهُ ينضج بلسان اهل المغرب حكاهُ شيدلة. (اليم) قال ابن قتيبة اليم البحر بالسريانية وقال ابن الجوزي بالعبرانية وقال شيدلة بالقبطية . (اليهود) قال الجواليقي اعجمي معرب منسوبون الى يهوذ بن يعقوب فعرب باهمال الدال

فهذا ما وقفت عليهِ من الالفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا . وقد نظم القاضي تاج الدين ابن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في ابيات وذيل عليها الحافظ ابو الفضل ابن حجر بابيات فيها اربعة وعشرون لفظاً وذيلت عليهما بالباقي وهو بضع وستون فتمت اكثر من مائة لفظة فقال ابن السبكي

السلسبيلُ وطَهَ كُوِّرَتْ بِيَعٌ ... رومٌ وطُوبَى وسجّيلٌ وكافورُ

والزنجبيلُ ومشكاةٌ سُرادقُ مع ... استبرقٍ صلوات سندُسٌ طورُ

كذا قراطيسُ ربَّانيهم وغسا ... قٍ ثم دينارُ القسطاس مشهورُ

كذاك قسورة واليمُّ ناشئة ... ويؤتِ كفلَيْنِ مذكور ومسطورُ

لهُ مقاليد فردوس يعدُّ كذا فيما حكى ابن دُرَيدٍ منهُ تنُّورُ

وقال ابن حجر

وزدت حرم وسُهل والسجيل كذا السريُّ والابُّ ثم الجبتُ مذكورُ
وقطنًا وإناه ثم متكئًا دارست يصهر منهُ فهو مصهورُ
وهيتَ والسكرُ الاوَّاهُ مع حصَبٍ واوِّبي معهُ والطاغوتُ مسطورُ
صرهنَّ إصري وغيضَ الماء مع وزرٍ ثم الرقيمُ مناص والسنا النورُ

وقلت ايضًا

وزدت يس والرحمن مع ملكو تٍ ثم سينينَ شطر البيت مشهورُ
ثم الصراط ودرّيٌّ يحور ومر جان أليمٌ مع القنطار مذكورُ
وراعنا طفقا اهدنا ابلعي ووراء والارائك والاكواب مأثورُ
هود وقسط وكفر زمرة سقر هون يصدُّون والمنساة مسطورُ
شهر مجوس واقفال يهود حوا ريون كنز وسجين وتتبيرُ
بعير ازرُ حوبٌ وردة عرم إلٌ ومن تحتها عبَّدتَ والصورُ
ولينة فُومها رهو واخلد مز جاة وسيدها القيُّوم موفورُ
وقُمّل ثم اسفار عني كتبًا وسجَّدًا ثم ربِّيون تكثيرُ
وحطة وطوًى والرسُّ نون كذا عدن ومنفطرُ الاسباط مذكورُ
مسك اباريق ياقوت رووا فهنا ما فات من عدد الالفاظ محصورُ
وبعضهم عدَّ الاولى مع بطائنها والآخره لمعاني الضد مقصورُ

هذا واذا زاد العلماء بحثًا في اليونانية والسريانية والقبطيَّة والحبشيَّة واللاتينية فلا يبعد ان يجدوا كلمات اخرى كثيرة اصلها غير عربي ولا يحط ذلك من شأن العربيَّة ولا من شأن ما أُنزل بها

باحث مصري

لئلاَّ ننسى

نظم حضرة الكاتب المجيد نجيب افندي شاهين الرثاء الآتي اثر وفاة شقيقهِ ووالدتهِ فنشرناهُ هنا لاننا رأيناهُ قد خالف فيهِ المألوف عندنا وأخذ مأخذ الشعراء الاوربيين

ويحَ قلبي فكم يعاني البؤسا ويلاقي في حومة العمر نُكسا
اعظم الحادثات هولاً وبأسا أن يورَّى خير الاحبةِ رمسا
فأعد ذكرهم لئلاَّ ننسى

اوحشوني وآنسوا الماويات ظلماتٍ كم فوقها ظلماتِ
ساكنَ النور يابهيَّ الذاتِ نظرةً يستنر دجى اوقاتي

كلَّ ليلٍ ارامُ في المنامِ تخلتْ لي بقربهم احلامي
وتمنيتُ أن يدومَ ظلامي فأرى طيفهم يمرُّ امامي

علميني النواح يا ورقاء ورثاء الشقيق يا خنساء
فتراني الأصباحُ والامساء في بكاء ان كان يجدي البكاء

ايهذا الفؤادُ كم انت تتعبْ والورى في نعيمهِ يتقلبْ
قدركبتَ الهوى وبأسَ مركبْ فكسبتَ الهوان بئس المكسبْ

اتقِ الله يا فؤاديَ وارحمْ مهجةً خانها العزاء وسلّمْ
واطلبِ الصبرَ موئلاً لك تسلم انما الصبرُ جنَّةٌ لو تعلمْ

هاتِ لي ايها الحديدُ فؤادا ففؤادي قد كاد يفنى اتقادا
لو اصابت نيرانهُ الاطوادا لأصارتها شعلةً فرمادا

ياالعيشٍ مضى وكان لقلبي كليالي الوصالِ عند الصبِّ
جمعتنا فيهِ أخايا الحبِّ حبَّ أمٍّ يفوق وصف اللبِّ

اي حبٍّ ترى كحبِّ الامِّ متعالٍ عن كلِّ كيفٍ وكمِّ
طافحِ الحوضِ مثل بحرٍ خضمِّ دافقِ النورِ مثل بدرِ التمِّ

ذلك العيشُ ياحنيني الطويلا طول عمري لهُ وصبري الجميلا
يا خليليَّ لي اذكراهُ وقولا أيرجى عودُ العهودِ الأولى

يوم كنّا في فرحةٍ وسلامِ نرشف الأنس رشفهم للمدامِ
فدهانا مشيِّبُ الأيامِ ومبيدُ القرونِ والاعوامِ

كم حبيبٍ يفدى بأكرمِ غالِ من مقامٍ محسَّدٍ او مالِ
ضمَّن اللحدبعدعيش الدلالِ مثل اصدافٍ ضمنتها اللآلي

غيرأن الاصداف تحوي جواهرْ ذاتَ قدرٍ غالٍ وحسنٍ باهرْ
وجسوم الورى غلاف ظاهرْ للذي الفيلسوفُ فيهِ حائرْ

يا زمانَ الاهلين والاحبابِ ليتما يجدي فيك طولُ عتابي
قد أطلت الجفا وعهد الغيابِ جُدْ لنا بعدهُ اذًا بأيابِ

ذكر احبابنا عزيز لدينا وهو فرض اسمى الفروض علينا
وحبيبٌ حتى المماتِ -الينا ذكرُ من ناجوا واشتكوا اذ بكينا
فاذكروهم يا مربعٌ يا أَهل يا ازاهيرُ يا ندى يا طَلّ
يا شذا الصبحِ يا ربى يا سهلُ اذكروهم لنا لئلاَّ نسلوْ
نسيتني اليمينُ ان كنت أنسى ذكر قومٍ ابكامُ ان تأسى
طربوا العمر يوم طبنا نفسا أفنتني حبًّا لهم او أُنسا
لا وعيي الرميم لسنا ننسى

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

غرفة المائدة وغرفة الجلوس

كتبت احدى السيدات تقول : اعتاد كثيرات من النساء ان يجعلنَ غرفة المائدة للجلوس ويضعنَ انخر اثاثهنَّ في غرفة اخرى يبقينها لاستقبال الزوار الذين يندر تردُّدهم على بيوتهنَّ واما الزوار الذين يتردَّدون كثيرًا كالاقارب والجيران ونحوهم ممَّن يرْفَع معهم التكليف فيستقبلنهم في غرفة المائدة . وهذه العادة غير حسنة . واذا كان في البيت غرفتان واحدة للمائدة وواحدة للاستقبال وجب ان تخصَّص اصغرهما للمائدة ولا يوضع فيها الاَّ ما يلزم لتناول الطعام. واكبرهما للجلوس والاستقبال ويوضع فيها كثير من المقاعد والكراسي التي يستريح الجالس عليها والكتب اللازمة للمطالعة والتسلية وطاولة للكتابة وبيانو وخزانة لوضع كتب الانغام . في هذه الغرفة يستقبل الاصدقاء والزوار على اختلاف طبقاتهم فيجدون فيها راحةً وبهجة

واذا كان البيت كبيرًا وصاحبهُ قادرًا على الانفاق فليجعل فيهِ غرفةً للمائدة وغرفةً للاستقبال وغرفة للتدخين وغرفة تجلس فيها ربَّةُ البيت وتستقبل زائراتها وغرفة منامة لكل واحد من العائلة وغرفة كبيرة يلعب فيها الاولادُ عدا دار الخدم والاَّ فاذا كان لا بدَّ من الاقتصاد في عدد الغرف فليبقَ اكثرها للمنامة واقلها للجلوس والاستقبال

ساعة العِشاء

العِشاء من المغرب الى العتمة حينما يقلُّ النور فلا يعود الاولاد قادرين على الدرس ولا تكون الظلمة قد اشتدَّت حتى تدعو الى اشعال المصابيح . في هذه الساعة يقلق الاولاد ويتضجَّرون فيجب على امهم ان تفعل حينئذٍ ما يسليهم ويفيدهم فتجمعهم حولها وتقص عليهم قصصاً ادبيَّة مفيدة او فكاهيَّة مسلية او تذكر لهم بعض ما رأتهُ فيهم من العيوب في اثناء النهار وترشدهم الى اصلاحها بكلمات المحبة واللين . او تعلمهم الشجاعة ونزع الاوهام فاذا كانوا يخافون من الظلمة او من الليل حتى لا يجسروا ان يدخلوا غرفهم اذا لم يكن فيها نور او ان يناموا وحدهم فيها ولو كان فيها نور فلتعلّمهم انهُ لا يوجد في الظلمة شيء يخشى منهُ لا غيلان ولا عفاريت ولا شيء من ذلك على الاطلاق ولترسّخ ذلك في عقولهم وتنفي كل ما يقولهُ لهم الخدم من هذا القبيل . ولا بدَّ لها من ان تكرر ذلك مراراً حتى يرسخ في عقولهم جيدًا . وعليها ان لا تخبرهم بشيء الَّا وهي تعتقد صحتهُ تمام الاعتقاد ولا تقص عليهم قصة فيها اقل ذكر للجن والعفاريت والغيلان لان كل ما يروى من هذا القبيل يبقى اثرهُ في ذهن الصغير الى ان يكبر ويضعف عزيمتهُ ويجعلهُ كثير الاوهام

واذا كان الاطفال صغاراً لا يرسلون الى المدرسة فيمكن تعليمهم اشياء كثيرة في ساعة العشاء هذه . يمكن تعليمهم تلاوة حروف الهجاء غيباً والعد والجمع والطرح وضرب بعض الاعداد . كل ذلك يمكن ان يتعلمهُ الطفل قبلما يتعلّم القراءة

واذا كان الاطفال يذهبون الى المدرسة لاق بامهم ان تجمعهم في هذه الساعة وتسأَلهم عمَّا تعلموا في يومهم وعمَّا سمعوا وعمَّا يسرُّهم وعمَّا يتعبهم ولكن يجب عليها ان تمنعهم عن النميمة بكل انواعها وعن تعديد عيوب غيرهم وعن الكلام على الغير مهما كان اذا كانت تشمُّ منهُ رائحة التنديد او اللوم

تحضير الشاي

كتبت مس استابروك في مجلتها "عالم باريس" انها زارت بيت السفير الصيني ذات يوم ورأَت زوجتهُ تصنع الشاي على الطريقة الصينية وضعت قليلاً منهُ في ابريق الشاي وسكبت عليهِ قدر فنجان من الماء الغالي وهزتهُ قليلاً ثم اراقت هذا الماء عنهُ والمراد بذلك ان يغسل الشاي مما يضاف اليهِ من الاصباغ ومن المواد العفصية التي فيهِ. ثم يسكب ماءٌ غالٍ على اوراق الشاي حسب المعتاد فيكون الشاي لذيذ الطعم خالياً من العفوصة والاصباغ التي تفسد طعمهُ

مدام فلامريون والحرب

المسيو كميل فلامريون من اشهر علماء الفلك في هذا العصر وزوجتهُ مدام فلامريون اختارت لنفسها طريقاً اخرى للشهرة انفع من طريق زوجها وهي انها حرَّكت نساء فرنسا واميركا لانشاء جمعيَّة عامَّة اعضاؤها من النساء وغرضها منع الحروب من الدنيا . وهي تعتقد ان الرجال لا يستطيعون ان يبطلوا الحروب من تلقاء انفسهم ولكنَّ النساء يجبرنهم على ذلك وكأنها جرت على الاسلوب الذي اشار بهِ زوجها في احدى رواياتهِ المشهورة . ومن ادلتها على ان النساء يستطعن ذلك ان النساء يربين الاولاد ويستطعن ان يغرسن فيهنَّ الاخلاق التي يردنها فاذا حاولن غرس الاخلاق التي تضاد الحرب وتجنح الى السلم وثابرن على التنديد برجال الحرب واحتقارهم واقنعن ازواجهنَّ واخوتهنَّ بالابتعاد عنها فلا بدَّ من انهنَّ ينجحن في ذلك لا سيما وان مضار الحروب واقعة اكثرها عليهنَّ . وقد انشأت جمعيتها سنة ١٩٠٠ فانتشرت الآن في كل فرنسا واقتدت بها مس روسلوت في اميركا فانشأت فيها جمعيَّة لمنع الحرب وهي آخذة الآن في الانتشار . ومن رأي مدام فلامريون انهُ لا ينقضي هذا القرن حتى تبطل الحرب من الدنيا كما بطل منها الرق في القرن الماضي . قالت اذا فكَّر المرء في ان فرنسا انفقت في القرن الماضي وحدهُ سبع مئة الف مليون فرنك على قتل الناس وان اكثر ديون الممالك ناتج عن الحرب والاستعداد لها سهل عليهِ ان يقدر النجاح لجمعيات النساء الساعيات في إبطال الحروب . ولو قامت كل النساء ذوات العقول الثاقبة والاموال الوافرة وساعدننا في هذه العمل المبرور لبلغنا النتيجة المطلوبة في وقت قصير ونشرنا لواء السلام والسعادة والحرية في الدنيا ولا بدَّ من ان تنجح المرأة في نشر السلم وابطال التجنيد وتأيد التحكيم انتهى

ولكن الناظر في الاسباب التي دعت الى حرب اميركا مع اسبانيا وحرب انكلترا مع الترنسفال لا يسعهُ الاَّ الحكم بانهُ ما دام الصول والطول للدينار وما دام كبار الاغنياء متعبدين لهُ يستحلون كل شيء في سبيلهِ كما كان اهل السيادة يستحلون كل شيء لتعزيز سيادتهم وازدياد صولتهم فالحروب لا تبطل

مداواة الاطفال

يرى الطبيب الطفل ويصف لهُ دواء ولا يشير على والدتهِ كيف تسقيهِ اياهُ . وكثيراً ما تجبرهُ على شربهِ بكل واسطة ممكنة لديها . قال احد الاطباء انهُ شاهد اطفالاً مصابين بالتهاب الرئة يكادون يختنقون من سد امهاتهم لانوفهم وقت سقيهم الدواء ورأى غيرهم جُرِحَتْ

شفاههم او لثتهم او كُسرت سن من اسنانهم وقت تجريعهم الدواء . والامُّ تُعذَر اذا فعلت ذلك لانها تعتقد ان دواء الطبيب حياة ابنها ولا بدَّ من سقيهِ اياهُ باية واسطة كانت واما الطبيب فلا يعذر اذا لم يصف لها الدواء الذي يسهل اعطاؤُهُ للاطفال ولا سيما بعد ان صُنعت الادوية كلها اقراصاً او حبوباً حلوة الطعم لا يكرهُ طفل ابتلاعها

ساعات النوم

ما دام الولد طفلاً يباح لهُ ان ينام قدر ما يشاء ولكنهُ اذا ترعرع وبلغ الثامنة او التاسعة وصار يرسل الى المدرسة فالغالب ان تضطرهُ امهُ الى القيام باكرًا لدرس دروسهِ ولا تدعهُ ينام اكثر من ثماني ساعات . وهذا خطأٌ فان الولد الذي عمرهُ عشر سنوات او احدى عشرة سنة يجب ان ينام عشر ساعات او احدى عشرة ساعة ويبقى محتاجاً الى تسع ساعات من النوم حتى يصير عمرهُ عشرين سنة و بعد ذلك يصير يكتفي بثماني ساعات . وقلة النوم من معايب العصر الحاضر لانها تضعف الناس جسدًا وعقلاً وتقلل مقدار ما يستطيعونهُ من العمل العضلي والشغل العقلي

الماء وقت الاكل

ظهر من المباحث الحديثة ان شرب القليل من الماء وقت الاكل لا يضرُّ بل يفيد بشرط ان لا يكون شديد البرودة واما الماء الكثير فيخفف عصارة المعدة ويضعف فعلها عن الهضم والماء الكثير الشديد البرودة يخفض حرارة المعدة عن حدها الطبيعي ويضعف فعلها . اما فائدة الماء القليل فتأتي من انهُ يذيب الجزء المهضوم من الطعام فيتعرَّض ما تحتهُ لفعل العصارة المعدية فيهضم وهذا يذيبهُ الماء فيتعرَّض ما تحتهُ لفعل العصارة المعديَّة وهلمَّ جرًّا . والشرب في بداءة الاكل يغسل جدران المعدة مما يلصق بها من المواد المخاطيَّة او البلغميَّة فيسهل افراز العصارة المعديَّة منها ويبتدئ الهضم حالما يصل الطعام الى المعدة

كتابة المكاتيب

حالما يتعلَّم الاولاد القراءة ومبادئ الكتابة يجب ان يرغبوا في كتابة المكاتيب (الجوابات) الى والديهم واصدقائهم ويحسن ان يطلع والدوهم او معلموهم عليها ويعطوا الجوائز الحسنة لكل من يكتب مكتوباً حسن الخط والانشاء فان كتابة المكاتيب والتوسُّع فيها من خير الوسائل للتعليم والتهذيب واعتياد الافصاح عن المراد

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى

قال ناشر هذا الكتاب الاب لويس شيخو اليسوعي انهُ وجد نسخة منهُ في مكتبة باريس فريدة في جنسها لم يعرف لها شبيه في مكتبة غيرها وقد جمع فيها المؤلف كل ما امكنهُ من الحوادث الحربيَّة بالذكر عن بيروت وقدمها وآثارها وفتوحاتها ثم انتقل الى صفة الاحوال الطارئة عليها منذ القرن السادس للهجرة الى التاسع (او الخامس عشر للميلاد) . واهتمَّ بتنقيحها ونشرها وعلَّق عليها حواشي مسهبة ولا سيما في صدر الكتاب وقد لخص في حاشية منها تاريخ بيروت في العصور الغابرة فرأينا ان ننقلها برمتها افادة لقراء المقتطف وهي

" كانت بيروت في اوَّل امرها كبقيَّة مدن فينيقية خاضعة لملوك اشور ونينوى الاوَّلين . والدليل على ذلك انَّ اهلها وحكامها كانوا يتكلَّمون باللغة الاشورية ويكاتبون بها ملوك مصر بعد ان فقد البابليُّون ولايتها . وبقي اللسان الاشوري شائعاً في ظهراني الامة الفينيقيَّة وعنهُ تفرَّعت اللغة الكنعانيَّة ثم الفينيقيَّة . ولما قويت شوكة الفراعنة تولوا على سواحل فينيقية نحو القرن الثامن عشر او التاسع عشر قبل المسيح وكانت بيروت من جملة ما ملكت ايديهم وجعل ملوك مصر لكل بلدة « خزاني » اي ولاة كانوا يختارونهم بين الاهلين تحت مراقبة حكام مصريين يدعونهم « ربيصي » . ولوالي بيروت في ذلك العهد عدَّة رسالات وُجدت بين كتابات تل امرنا يتضح منها جليّاً ان بيروت (وهم يدعونها بِيروتا او بِيرُوتُو) كانت على جانب من الحضارة والعمران في القرن الخامس عشر قبل المسيح فيعدُّونها بين المدن المنيعة الحريزة كصور وصيدا وجبيل ويذكرون كثرة سفنها العامرة بالملاحة

هذا ولمَّا اخذ حبلُ دولة الفراعنة بالانتكاث في القرن التاسع او الثامن قبل المسيح تقلَّبت الاحوال على بيروت فحلَّ بها ما حلَّ بأخواتها من المدن الفينيقيَّة . وتملكها تباعاً بعدهم ملوك بابل ثم ملوك فارس وماداي ثم الاسكندر وخلفاؤهُ من السلوقيين . واستقلَّت مراراً عند استقلال غيرها من مدن فينيقيَّة تشهد بذلك الآثار والنقود التي وجدت بها . وفي سنة ١٤٠ ق م اخربها تريفون لثبات اهلها على طاعتهم للملك انتيوخس السادس . لكنها لم تلبث ان تعود الى

ما كانت عليهِ من رفعة المقام . ودخلها بومبيوس القائد الروماني فرم آثارها واعاد لها رونقها .
ولم تزل مذ ذاك ترتقي في معارج الفلاح الى ان جعلها اوغسطس قيصر مدينة اوَّلية تخوِّل اهلها حقوق الرومانيين وافاض عليهم نعماً عديدة خصهم بها دون سواهم وولى امرها القائد مرقس فسبسيانس اغريبا بعد ان زوَّجهُ ابنتهُ جوليا فدعا بيروت باسمها جوليا فيليكس (اي السعيدة) . فاخذ اغريبا يباري قيصر في رفع شأن المدينة ساعدهُ على ذلك هيرودس الكبير. ولم يدخر كلاهما شيئاً من الوسع ليجعلاها من ابهى مدن الشرق . فشيَّدا فيها الابنية الجليلة الآئلة لمنفعة الجمهور كالهياكل والأروقة والمشاهد والحمَّامات ومخازن التجارة. فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والغرباء فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً. وسكنها طابوران من الجنود الرومانيين المتقاعدين. وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنيهِ اسكندر وارسطابولس فقتلهما ظلماً كما قتل امهما مريمنة وهي من سلالة المكابيين (يوسيفوس الكتاب الاول الفصل ١٦ و١٧)

وبقيت بيروت على ذلك مدَّة الى ان تولى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثم هيرودس اغريبا الثاني فبلغاها من الحسن ما لم يسعهُ قول. فشيَّدا فيها الملاعب والمراسح وزيناها بالتماثيل الى غير ذلك . وفي بيروت بويع بالملك لفسبسيانوس بعد وفاة نيرون فاستقبل بها الولاة والملوك الذين اتوا ليهنئوهُ . وفيها احتفل ابنهُ تيتوس قيصر بانتصارهِ على اليهود يوم مولد ابيهِ بما لا مزيد لهُ من الفخر والابهة

اما العلوم فكانت بيروت قد سبقت غيرها من المدن الفينيقية في الانكباب عليها فراجت فيها اسواق الآداب . وفيها كتب كما زعم اوسابيوس القيصري سنكُنيتن الكاهن القديم تاريخاً ابقى لنا منهُ فيلون الجبيلي فقرات مهمة . وفي ايام اوغسطس قيصر اخذ البيروتيون يدرسون الفقه . وتوسع نطاق هذا الفن بينهم حتى صارت مدرستها الفقهية في ايام الملك اسكندر سيفيروس غرة في جبهة المشرق يتسابق اليها الدارسون من كلّ اوب . فدُعيت بيروت لذلك « محطّ العدل وصوان المشترعين ». وقد اشتهر في بيروت عدَّة من العلماء الاقدمين منهم اوليبان الفقيه صاحب كتب الشرائع الذي ازهر في القرن الثالث . ومنهم فاليربوس بروبوس اللغوي البارع عاش في القرن الرابع . ومنهم ننُّوس المؤرخ الذي كتب في القرن الخامس للمسيح

ولم تبرح بيروت رائعة في منازل السعد الى ان هوى نجمها وطمست محاسنها وذلك في القرن السادس للمسيح فهدمتها زلزلة هائلة خرَّبت قسماً كبيرًا من مدن الشرق . وبقيت على هذه الحالة الى اوائل القرن السابع فاستولى عليها المسلمون دون عائق "

والحق بهِ فصولاً وجيزة من تاريخ ابن سباط وخلاصة تاريخ بيروت من القرن السادس عشر الى الآن وهي جزيلة الفائدة الّا ان استعمال اللغة الاشورية في المكاتبات السياسية والتجارية لا يكفي دليلاً على ان اهالي بيروت كانوا يتكلمون اللغة الاشورية ولا على ان اللسان الاشوري كان شائعاً في ظهراني الامة الفينيقيَّة كما جاء في اول هذه الحاشية

الاسلام في عصر العلم

تأليف محمد فريد وجدي

لا شبهة عندنا ان للدين يدًا في تكوين اخلاق الامة وتكييف حالتها من العمران وهو ليس الفاعل الوحيد في ذلك ولكنهُ من اقوى الفواعل فاذا اختلف حال امةٍ واحدة في عصرين مختلفين فارتقت بعد الانحطاط او انحطت بعد الارتقاء فمن المحتمل او المرجح انهُ يكون قد طرأ على عقائدها الدينيَّة شيءٌ اصلحها او افسدها. الّا ان كثيرين يظنون ان العقائد الدينية فوق الفواعل العمرانيَّة الطبيعيَّة مصدرها الهي لا يؤَثر فيها مؤثر طبيعي ويحسبون انهُ يمكن اصلاح حال الامم بارجاعهم الى عقائد دينهم فقط. ويظهر لنا ان الذين جرَّبوا ذلك لم ينجحوا كما نجح الذين اخذوا باسباب الاصلاح كلها والاصلاح الديني في جملتها فسعى بعضهم في اصلاح التعليم ووضعهِ على اسس علميَّة مبنيَّة على ما عُرف من نمو القوى العقليَّة وسعى غيرهم في اصلاح الزراعة وتعزيزها بكل ما عُرف من طبائع الارض والمزروعات وسعى آخرون في اصلاح الصناعة والتجارة وسائر مقوّمات العمران المادي وسعى غيرهم في تهذيب الاخلاق وتربيتها على الفضائل ونزع الصور القديمة من العقائد الدينية وابقاء ما يطابق العقل السليم منها

ومن الكتّاب النابغين في هذا القطر الساعين في اصلاح حال الامَّة بارجاعها الى عقائدها الدينية وتقويتها في نفوسها بنشر الكتب والمقالات حضرة الباحث المحقق محمد افندي فريد وجدي وقد وضع الآن تأليفاً جديدًا سماهُ الاسلام في عصر العلم قال ان غايتهُ فيهِ اقامة اقوى الادلة العلمية لتقرير "ان الدين عند الله الاسلام" واسلوبهُ في البحث مثل اسلوب علماء الدين المسيحي الذين كتبوا من اول القرن الماضي الى الربع الاخير منهُ كما ترى في الفقرات التالية

"قال الاولون بان للوجود الهاً لا نهاية لحولهِ وقوتهِ وللانسان روحاً خالدة بعد موتهِ ولهُ فضائل مستمدة من دينهِ وعقيدتهِ ولاعمالهِ في هذه الدار صورًا تنتظرهُ في آخرتهِ وان الوجود وما فيهِ مسخر لسيطرتهِ يجول في ضمائرهِ بما تقتضيهِ امور مصلحتهِ وتستدعيهِ مطالب

سعادتهِ . جعلوا هذه العقائد تسلية للانسان في دار محنتهِ وروحاً بنسمها في كربتهِ واملاً يدفع بهِ البأس في شدتهِ

" اما الآخرون فانغضوا رؤوسهم سخرية وهزوءا . وهزُّوا اعطافهم زهوًا وعجباً ثم رفعوا عقيرتهم كبرًا وصلفاً وقالوا هذه آثار الماضين وبقيَّة من بقايا الاقدمين فقد حكم العلم (معاذ الله) بان نواميس الكون كافية في تعليل كل ظواهرهِ وقوانينهُ قد فسَّرت اكثر غوامضهِ فلا داعي لفرض قوى وراء الطبيعة ولا مُوجب لتوهُّم عالم علوي وراء هذه المرائي المحسوسة .....

" كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأت في وسط هذا العلم الاوربي ونبع سمُّها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتاثت اكثر العقول باقذارها وتسمَّمت بسمومها "

هذا ومتى رأيت القاضي يسمع احتجاج خصمين فيصف احدهما بالزهو والعجب والكبر والصلف وكلامهُ بالشبه المتعاصية والسم بين ذرات الدسم عسر عليك ان تنتظر منهُ الانصاف في حكمهِ . ولله درُّ من قال ان الشك اول مراتب اليقين فاذا اقدم كاتب على موضوعهِ اقدام مرتاب في صحَّة كل ما قيل وبحث بنفسهِ عن صحتهِ او فسادهِ ما تعذَّر عليهِ ان يهتدي الى الصواب ويرشد غيرهُ الى الهدى اما اذا دخل باب البحث وذهنهُ مفعم بمسلمات ومعتقدات يتعذَّر عليهِ الريب فيها فقلما يرجى من بحثهِ نفع لنفسهِ او لغيرهِ

وقد وعد حضرة المؤلف بان يجعل هذا الكتاب اربعة آلاف صفحة تصدر اجزاء شهريَّة وجعل قيمة الاشتراك في السنة ثلاثين غرشاً ثمن كل ٧٦٨ صفحة وهي ثمن زهيد جدًّا فعسى ان يقبل القراء عليهِ

الحال بين العامة

تأليف عبد العزيز فهمي الجورجستاني

رسالة تهذيبيَّة فيها فصول كثيرة في مكارم الاخلاق كالصدق والامانة والاقتصاد والصلاح والمعاونة وحسن المعاملة وطاعة اولي الامر اثبت فيها وجوب اتباع الفضائل واجتناب الرذائل بالآيات الكتابيَّة والاحاديث النبويَّة واقوال الائمة . ولا شبهة في فائدة ذلك ولكن الفائدة من العلم بالشيء لا توازي الفائدة من العمل بهِ والتمرُّن عليهِ فاذا وعظ الوعاظ مئة عام في ان الكذب يلقي في النار لا يفيدون امَّةً بقلع الكذب من نفوسها قدر ما يفيدها تعويد الصغار على الصدق وتربيتهم على احتقار الكذب والكذاب بقصص بسيطة وامثلة حسيَّة

الاسلام والنصرانية

مع العلم والمدنيَّة لامام من ائمة الاسلام وحكيم من حكمائهم الاعلام

وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الاسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعهُ لها ما نصهُ

"ينبوع تفجَّر في ارض وفاض ماؤُهُ على غيرها فاحيا الارض بعد موتها ولكن القائمين على حراستهِ وتعاهدهِ وضعوا فوقهُ انقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منهُ صار مستنقعات تجتوي . ولم يلبث بعد ما غاض ان فاض منهُ شيء في مواضع اخرى فانتفع اهلها بهِ وحافظوا عليهِ ولكن الاكثرين منهم لا يعرفون من اين جاءهم كما ان اكثر اهل الينبوع المنتسبين اليهِ بالاسم لا يعرفون ان ذلك الماء الذي تفجَّر في تلك المواضع فانشأ اهلها بهِ حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وانهم لو ازالوا عنهُ تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم بهِ خصبهم ونماؤُهم كاحسن ما كان لانهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع الامم الغربيَّة الحيَّة الراقية اخذ الغربيون من الاسلام كل اصول الاصلاح الذي هم فيهِ"

وحبذا لو بيَّن لنا حضرة الاستاذ الفاضل من اين اتى الماء الذي احيا مدنية اليونان والرومان فانشأوا بهِ الحدائق والجنات والماء الذي احيا مدنية المصريين الاقدمين فبقيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقوَ ملوك العرب على محوها مع ما بذلوهُ في ذلك من العناء وآثارهم الادبية مرسومة في صفائح الصخور تعلّم اسمى الفضائل وافضل الآداب

ولا شبهة عندنا ان للدين يداً في عمران الامم كما قلنا في تقريظ كتاب آخر. وقد اصاب حضرة الاستاذ المؤلف في ما اقامهُ من البينات على ان الاسلام لا يناقض المدنية الاوربية الصحيحة بوجه من الوجوه بل يرغّب فيها ويحث على اتباعها ويوجب الاخذ بكثير من مقوّماتها ولاسيما العلم قال "المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسودد والعزّة والمجد ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الاَّ بالعلم فهم محفوزون اشد الحفز الى طلب العلم وتلمسهِ في كل مكان وتلقيهِ من اية شفة واي لسان فاذا لاقاهم العالم في اي سبيل او عثروا بهِ في اي جيل او ظهر لهم من اي قبيل هشوا لهُ وبشوا وشدوا بهِ اواصرهم وعقدوا عليهِ خناصرهم ولا يبالون ما تكون عقيدتهُ اذا نفعتهم حكمتهُ والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق بها . أَلم يأتهم من ربهم يؤتي الحكمةَ من يشاء ومَن يؤتَ الحكمةَ فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكّرُ الاَّ اولو الالباب الم يسمعوا في وصفهم قولهُ الذين يستمعون القول فيتبعون احسنهُ ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً ...

الى ان قال "خالط المسلمون اهل فارس وسوريا وسواد العراق وادخلوهم في اعمالهم ولم يمنعهم الدين من استعمالهم حتى كانت دفاترهم بالرومية في سورية ولم تغيَّر بالعربية الاَّ بعد عشرات من السنين فاحتكت الافكار بالافكار وافضت سماحة الدين ان اخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع"

ثم وصف المؤلف اشتغال المسلمين وملوكهم بالعلم وانشاءهم المدارس والمكاتب وبيَّن سبب جمودهم الحالي وقال انهُ السياسة ... "اخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلاً الى ما كان يظنهُ خيرًا لهُ . ظنَّ ان الجيش العربي قد يكون عونًا لخليفة علوي فاراد ان يتخذ لهُ جيشًا اجنبيًا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظنَّ انهُ يستعبدها بسلطانهِ ... هناك استعجم الاسلام وانقلب اعجميًا .. — خليفة عباسي اراد ان يصنع لنفسهِ ولخلفهِ وبئس ما صنع بامتهِ ودينهِ اكثر من ذلك الجند الاجنبي واقام عليهِ الرؤساء منهم فلم تكن الاَّ عشية او ضحاها حتى تغلَّب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدُّوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضهُ الاسلام والقلب الذي هذَّبهُ الدين بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم لبسوا الاسلام على ابدانهم ولم ينفذ منهُ شيء الى وجدانهم ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم ومنهم من تولَّى امرهُ . اي عدوّ لهؤلاء اشد من العلم الذي يعرّف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبيح سيرهم"

وعلى هذا النسق من الايضاح والاستدلال بيَّن الاستاذ المؤلف اسباب ما اصاب المسلمين من الجمود ثم بيَّن نتائجهُ وقال اخيرًا ان الجمود علة تزول بتآخي العلم والدين

جغرافية مصر والسودان الحديثة

Modern Geography of Egypt and Sudan

انشأ هذا الكتاب حضرة الاديبين ابو زيد افندي فايد ومحمود افندي عطا الله وضعاهُ باللغة الانكليزية التي اصبحت الآن لغة تعلُّم العلوم في المدارس الاميرية وقالا في مقدمتهِ ان اسم مصر باليونانية اجبتوس من الاصل جب بالسنسكريت ومعناهُ حَرَس وتسمَّى بالهيروغليف كمي اي التراب الاسود من لون تربتها وسماها العبرانيون مصرايم اي المحصنة والاشوريون مصر وانتقل هذا الاسم الى العربية ويطلق الآن على البلاد كلها وعلى عاصمتها القاهرة . وجمعا فيهِ كل ما تهمُّ معرفتهُ طالب علم الجغرافية من احوال القطر المصري وفيهِ ايضاً كلام وجيز عن السودان وهو مطبوع طبعاً متقناً جدًّا في بلاد الانكليز وحبذا لو اضافا اليهِ بعض الخرائط والرسوم اتماماً للفائدة

مطبوعات جديدة

◈ رواية عمر بن عدي ◈ تاريخيَّة غرامية للمرحوم الشيخ نجيب الحداد طبعت بالمطبعة التجاريَّة في الاسكندرية

◈ المجلَّة المدرسية ◈ علمية ادبية مصورة تصدر في اول كل شهر لحضرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد قيمة الاشتراك فيها خمسة عشر غرشاً مصريًّا

◈ مرض النوشة ◈ تأليف سعادة الدكتور حسن باشا محمود عرضها للمؤتمر الطبي المصري

◈ حديث ليلة ◈ رواية ادبية فكاهية غرامية تأليف اسكندر ديماس الكبير معربة بقلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد

◈ رواية اسرار القصور ◈ تبحث عن ماهية الروح ومحلها من الجسد وعن التنويم المغنطيسي وعن الزار والمندل من قلم محمد افندي حسين محرر جريدة البوسطة

◈ متاعب الهوى ◈ الرواية الثانية عشرة من مسامرات الشعب تأليف حضرة صالح افندي جودت

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) صعوبة النطق

القدس . عيد افندي سالم . اصاب الناسور عظم فخذي بقرب الركبة منذ ١٥ سنة وشفيت بعد عمليات جراحيَّة كثيرة ولكنني لا ازال اتضرر في ذلك الموضع من الهواء الرطب ولا يزال جسمي ضعيفاً ولست اتذكَّر اني تكلَّمت خمس دقائق او اكثر الاَّ بلغت النشوفة من حلقي ما يكاد يقيد لساني عن النطق ولاسيما في موقف الخطابة حيث يشتد التهيج ويكون الكلام متتابعاً بلا مهلة فهل لكم في هذه النشوفة وعلاجها رأْي تتكرمون بهِ علينا

ج يظهر لنا ان ما تشعرون بهِ من النشوفة سببهُ عصبي لا علاقة لهُ بما كنتم

مصابين بهِ من الناسور ويمكن ان تتغلبوا عليهِ بتكرير الخطابة في احوال مختلفة وعقد نيتكم على مقاومة هذه العلَّة والتغلُّب على الوهم فاذا جريتم على ذلك مدةً فلا يبعد ان يقوى المركز العصبي المتسلط على النطق اذا كان ضعيفاً او يعتدل في فعلهِ اذا كان ما يصيبكم ناتجاً عن ازدياد في قوتهِ حتى لا يستطيع ان يتصرَّف بها كلها بالاعتدال . فان الناس يصابون بمثل ذلك اذا ضعفت اعصابهم او اذا زاد تهيجها فلم تعد قادرة على التصرُّف بهِ

(٢) كتب الحساب والجبر

ومنهُ . ما هي احسن كتب الحساب التي عرفتموها في الانكليزية وفي العربية غير الروضة للدكتور فان ديك وكشف الحجاب للبستاني

ج لم نقابل قط بين كتب الحساب التي رأيناها حتى نرى التفضيل بينها ولكننا نظن ان كتاب ظاهر افندي خير الله وكتاب شديد افندي يافت من الكتب الوافية في علم الحساب ولم نرَ في العربية حتى الآن كتاباً في الجبر اوسع من كتاب الروضة واما في اللغة الانكليزية فكتب الحساب والجبر عديدة وقد استعملنا منها كتب لومس وكتب روبنصن فوجدناها حسنة جدًّا . ولما زار امبراطور برازيل بلاد الشام كنا ندرّس الرياضيات في كتب روبنصن فقال لنا انهُ وجدها من احسن الكتب الموضوعة في بابها

(٣) الرياضيات في المقتطف

ومنهُ . كان للرياضيات في مقتطفكم باب مخصوص فلماذا اقفلتموهُ

ج رأينا ان درس الرياضيات العالية قد أُهمل في القطر المصري واكثر مشتركينا فيهِ فلم نرَ من الصواب ان ننشر فصولاً لا يقرأها الَّا آحاد يعدون على الاصابع . وقد انشئت فيهِ مجلاَّت مدرسية كثيرة وللمسائل الحسابية والرياضية البسيطة حظٌّ كبير منها فرأينا ان نترك لها هذا الباب

(٤) حياة الجنين

ومنهُ . قيل ان الجنين قد يبقى في بطن امهِ الى ما فوق اربع سنوات وقد يولد كامل الخلقة ويعيش خمسة اشهر من ابتداء الحبل بهِ فهل اثبت العلم العصري ذلك

ج كلاَّ وغاية ما اثبتهُ ان الجنين قد يبقى في بطن امهِ ٣٠٠ يوم وقد يعيش اذا ولد بعد ستة اشهر ونصف شهر من ابتداء الحبل بهِ وتبدو فيهِ علامات الحياة اذا ولد بعد اربعة اشهر ونصف شهر من ابتداء الحبل بهِ ولكنهُ لا يعيش حينئذٍ

---

(٥) شجر التوت

النبطيَّة . سعيد افندي صباح . عندنا بستان توت بعلي في ارض سوداء قوية يبست فيهِ شجرة وتبعتها اخرى ثم ثالثة ورابعة فقصدت التفتيش عن سبب ذلك وعمدت الى شجرة

ذبلت اوراقها وكادت تلحق باخواتها وحفرت حول جذورها فوجدت قشرة الشجرة مما يلي جذورها قد ذهبت عن مساواة سطح الارض ولم يبقَ منها الاَّ شيء قليل على بعض الجذور فما هذا الداء وما دواؤهُ

ج يظهر انهُ تولّد في الارض نوع من الميكروب او الفطر اكل القشرة او ابلاها ولا يعرف ما هو الاَّ برؤيتهِ بالميكرسكوب او بالبحث عنهُ بالاستنبات. اما العلاج فاذا كان ماء المطر يبقى في الارض مدة طويلة ولو كانت بعليَّة فلا بدَّ من تجفيفها بنزع الماء منها واذا كان السماد كثيرًا فيها وجب ان يقلَّل منها لانهُ قد تتولَّد منهُ مواد تتلف قشور الاشجار اذا كان كثيرًا . واذا كان قليلاً او لم يكن موجودًا وجب أن تسمد بالزبل او نحوهِ حتى تقوى وتتغلَّب على هذا الميكروب او الفطر ولا بدَّ من حرثها جيدًا حتى يمر الهواء بين دقائق التراب ويصل الى الجذور

(٦) حفظ العنب

ومنهُ . ما احسن طريقة لحفظ العنب الى ايام الربيع

ج اذا قطفت العناقيد ومعها كثير من الزراجين وعُلقت بزراجينها في مكان بارد جافٍ وكانت كل حبوبها سليمة وقت قطفها واعتُني بها حتى لا يتلف شيءٌ منها وقت نقلها وتعليقها بقيت زمانًا طويلاً ولا يبعد ان تبقى الى الربيع . واهالي لبنان يضعون عناقيد العنب في الدبس الى الربيع ثم يخرجونها منهُ ويغسلونها فيجدونها سليمة لذيذة الطعم على ما قالهُ لنا بعضهم

---

(٧) تعيين السفراء

بيتنوارى بالبرازيل . الخواجه نقولا ابي عبسي . متى ابتدأ تعيين السفراء في عواصم اوربا وما هو الغرض منهم

ج ارسال السفراء من بلاد الى اخرى لغرض خاص قديمٌ جدًا كان متبعاً في عهد الاشوريين والمصريين واليونان والرومان ولكن ارسال السفراء المقيمين كما هو جارٍ الآن حديث ابتدأ في القرن الخامس عشر . وكل سفير يسعى في مصلحة بلادهِ ويخبر حكومتها عن كل ما يحدث في البلاد التي هو سفير فيها. وهو واهل بيتهِ والمتصلون بها محترمون لا تجري عليهم احكام البلاد التي هم فيها الاَّ برضاهُ . وقد جرى الملوك من عهد قديم على حسبان سفرائهم نوّابًا عنهم والاقتصاص ممَّن يعتدي عليهم كأنهُ اعتدى على الملوك الذين ارسلوهم من ذلك ان الاسكندر المكدوني خرَّب مدينة صور لان اهاليها اهانوا سفيرهُ

(٨) امتحان اللبن والماء

ومنهُ . بماذا نمتحن اللبن (الحليب) حتى نعرف هل هو خالٍ من المواد الضارة . وكذلك بماذا يمتحن الماء العذب المستخرج من عمق عشرين مترًا

ج يمتحن اللبن بالميكروسكوب والطرق الكيماوية هذا في المسائل الجنائية اذا اشتبه في كونهِ حاوياً مادةً سامةً واما اللبن الذي يستعمل عادةً للاكل فلا يحتمل ان يكون ممزوجاً بغير الماء ولا بدَّ من اغلائهِ سواءٌ كان ممزوجاً بالماء او غير ممزوج بهِ وسواءٌ كان الماء نقيًّا او مشوبًا بميكروبات مرضية . والاغلاء يميت ما يمكن ان يكون فيهِ من الميكروبات المرضية . اما الماء الخارج من عمق عشرين مترًا فلا يكون فيهِ شيءٌ من المواد الضارَّة الاَّ اذا رميت فيهِ قصدًا او اذا كان الدلو الذي يستقى بهِ ملوَّثًا بها . ولامتحان الماء اساليب كيماوية ومكروسكوبية يطول شرحها

(٩) بولبوس الانف

ومنهُ . شاب في الثامنة عشرة من عمرهِ يشكو تعباً في انفهِ وذلك انهُ يتولَّد فيهِ احيانًا درنة من المخاط فيتضايق منها جدًّا وبعد تعب كثير تخرج منهُ ويشكو ضيقاً في صدرهِ وتعباً في التنفس اذا عمل عملاً يدويًّا فما هو داؤُهُ وما دواؤُهُ

ج نظن من وصفكم ان في اعلى انفهِ ناميًا من نوع البولبوس فليعرض نفسهُ على طبيب فان وجدهُ فيهِ واستخرجهُ فلا يبعد ان يزول منهُ ضيق النفس الذي تشيرون اليهِ

---

(١٠) اغماض العينين وقت النوم

مصر . ح . ح . لماذا لا ينام الانسان ما لم تكن عيناهُ مغمضتين

ج ان فتح الاجفان فعل عضلي يقتضي جهدًا ما فاذا نام الانسان ضعُف الفعل العضلي فيهِ فارتخى كثير من عضلاتهِ التي كانت منقبضة ولذلك تنطبق اجفانهُ واذا انفتحت فالغالب انهُ يقع في عينيهِ ما يوقظهُ فلا يعود يستطيع النوم ما لم يطبقها فيصير اطباق الاجفان عادة ملازمة للنوم ولا يعود يستطيعهُ ما لم يطبقها كما يعتاد البعض النوم والقناديل مطفأة فيصير يتعذَّر عليهم النوم وهي مشتعلة

(١١) البرد وقت النوم

ومنهُ . يشعر الانسان عادة في ايام الشتاء عند توسُّدهِ الفراش قبل النوم ببرودة شديدة فما سبب ذلك

ج لا نرى لهُ سبباً غير ملامسة جسمهِ للفراش والدثار الباردين فاذا سخنا قبل ذلك لم يشعر بالبرد

(١٢) خارطة المريخ

ومنهُ . رأيت في خارطة المريخ التي صدَّرتم بها العدد الحادي عشر من مقتطف السنة الماضية اسماء انكليزية يظهر منها انها اسماء بحور وجبال فعلى ماذا اعتمد صانع هذه الخارطة في تخطيطها ولاي سبب سمَّى هذه البحور والجبال بالاسماء المشار اليها

ج اعتمد على ما يرى بالتلسكوب والاسماء توضع للدلالة على المسمَّيات وتخصيصها فعوضًا عن ان نقول الارض التي في الجانب الشرقي

الاوسط في قسم المريخ الشرقي نقول قارَّة سكي وعوضاً عن ان نقول الارض الواقعة في منتصف المنطقة المعتدلة الشمالية من القسم الشرقي المحدودة بكذا وكذا نقول ارض كبلر اما الاسماء المختارة فاسماء بعض علماء الفلك المشهورين مثل سكي وكبلر ولا بلاس ودلمبر وبكير وكاسيني إمَّا تنويهاً باسمائهم او لانهم اول من راقب ما سمي باسمهم

(١٣) اتصال الارض بالشمس

ومنهُ . يرى من المقالة التي نشرتموها عن المريخ في العدد المشار اليهِ ان الارض كانت متصلة بالشمس ثم انفصلت عنها فهل تصدقون هذا القول واذا كان كذلك فكيف توفقون بينهُ وبين المنصوص بالكتاب المقدَّس الذي يعلم صريحاً ان الارض وجدت قبل الشمس

ج قد فسَّر المفسرون ذلك بان الارض كانت مغطاة بضباب كثيف يحجب الشمس عن الابصار فلما ارتفع عنها بانت الشمس والقمر . وسواءٌ صحَّ هذا التفسير او لم يصحَّ فاذا قامت ادلة قاطعة على صحة شيء وجب تأويل ما يناقضهُ وعند علماء الفلك ادلة كثيرة على ان الشمس اقدم من الارض جدًّا وان الارض وكل السيَّارات مشتقة من الشمس في عصور متناهية في القدم

---

(١٤) تلغراف مركوني

مصر . الخواجه ميخائيل بساراتي . نرجو ان تفيدونا عن كيفية اتصال اشارات مركوني التلغرافية وهل اذا كان الطقس مخالفاً لسير الاشارات يتأخر وصولها واذا كان في البحر نوءٌ عظيم وكانت البواخر قاصدة ان تخاطب بعضها بعضاً فهل يؤثر النوءُ في الاشارات الكهربائية

ج ان اشارات مركوني تنتقل من مكان الى آخر كما ينتقل النور . فان امواج النور التي تاتينا من الشمس على بعد ٩٣ مليون ميل يأتينا معها امواج كهربائية عن هذا البعد الشاسع . وامواج النور لا تخرق الاجسام المظلمة كالخشب والحجر والغيم الكثيف ولكنها تخرق الاجسام الشفافة كالزجاج والهواء واما امواج الكهربائية فتخرق بعض الاجسام المظلمة التي لا تخرقها اشعة النور . لكن ليس كل الامواج الكهربائية قادرًا على قطع الابعاد الشاسعة كذلك وخرق الاجسام الكثيفة بل بعضها فقط ومنهُ الامواج التي يستعملها مركوني وهذه الامواج لا تؤثر فيها الرياح ولا العواصف . فتنتقل من مكان الى آخر في الصحو والمطر والرهو والنوء على حدٍّ سوى

(١٥) جفاف الارض

ومنهُ . قلتم ان مياه البحار والانهار آخذة في التناقص وستجفُّ الارض يوماً ما كما جفَّ القمر . فيا ترى ما يحدث للناس الذين يكونون في ذلك الوقت

ج ان الزمن الذي يجف فيهِ ماء الارض بعيد جدًّا وسينقرض نوع الانسان

عن وجه البسيطة قبل الوصول اليهِ

(١٦) سرعة تلغراف مركوني

ومنهُ . هل تصل الاشارات بتلغراف مركوني بسرعة ولو كانت المسافة ستة آلاف ميل

ج نعم تصل بسرعة البرق

---

(١٧) سكان لندن

مصر . عبد الحميد افندي فهيم . كم عدد سكان لندن حسب الاحصاء الاخير

ج كان عدد سكان لندن وحدها ٤٥٤٣٧٥٧ وعدد سكان الضواحي المتصلة بها ٢٠٦٠٥٣٠ والجملة ٦٦٠٤٢٨٧ هذا كان عدد سكان لندن الكبرى في اواسط سنة ١٩٠١ وهو آخر احصاء وقفنا عليهِ

(١٨) اصل كلمتين

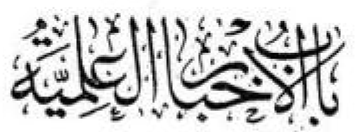
ومنهُ . هل كلمة Cable وكلمة Collège من كلمتين حبل وكليَّة العربيتين

ج كلا بل هما لاتينيتا الاصل الاولى من معنى امسك والثانية من معنى جمع

(١٩) مرض النوم

ومنهُ . تقول المجلات الفرنسية انهُ يوجد الآن في افريقية الغربية مرض يسمَّى مرض النوم وهو كثير في مدينة سان لوي في بلاد السنغال فما اسباب هذا المرض وما هي اعراضهُ

ج اشرنا الى هذا المرض منذ نحو خمس سنوات في جزء يوليو سنة ١٨٩٨ وقلنا هناك "ان الاطباء الفرنسويين في بلاد الجزائر اكتشفوا مرضاً انتشر حديثاً في تلك الانحاء وفتك بالزنوج فتكاً ذريعاً وهو خمول يتولَّى الانسان فينام ويبقى نائماً الى ان يموت فسموهُ مرض النوم . ويقال انهم استخرجوا مصلاً من دم شاب مات بهِ وحقنوا بهِ الارانب فتولاَّها السبات وماتت كأن المرض من الامرض الميكروبيَّة" ثم انتشر هذا المرض في بلاد اوغندا كما ترون في التلغرافات اليومية وبعثت اليها انكلترا جماعة من الاطباء فبحثوا عنهُ وقرروا انهُ مرض فتاك انتشر في اوغندا منذ اربع سنوات وقد اودى بحياة سبعين الفاً من سكانها واكثرهم ماتوا في السنتين الاخيرتين ويظن انهُ جاءها من املاك البرتغال في غربي افريقية حيث يكثر انتشارهُ . والمصابون بهِ الآن من الوطنيين لا يقلون عن ١٥ الفاً وكل يوم يزداد انتشاراً ويخاف منهُ الاهلون فيهربون من مكان الى آخر ويغادرون بيوتهم وحقولهم قفاراً بلاقع . واول اعراضهِ تغير خفيف في حالة المصاب العقليَّة والوطنيون اقدر من الاطباء الاوربيين على ملاحظة هذا التغير الطفيف . وهو يصيب الذكور والاناث على حدٍّ سوى في كل درجة من درجات العمر . وبعد ما يعتري المصاب تغير عقلي يأخذهُ شيءٌ من البلادة وفتور العزم فيبدو الخمول على وجههِ والورم في شفتيهِ ثم يقل نشاطهُ الى العمل ويأخذ ميلهُ الى الطعام يقل شيئاً فشيئاً ثم تأخذهُ غيبوبة وتغشى اعضاءهُ قشعريرة ويعتريهِ سبات ينتهي بالموت



تلغراف مركوني

نشرنا في الجزء الماضي الرسائل التي ارسلت بتلغراف مركوني بين بلاد الانكليز وكندا في اميركا في الحادي والعشرين من شهر دسمبر الماضي . وقبل ان يمضي عليها شهر تراسل رئيس الولايات المتحدة وملك الانكليز من كاب كود باميركا الى كورنول ببلاد الانكليز والمسافة بينهما نحو ثلاثة آلاف ميل اي اطول من المسافة بين كاب برتون في كندا وبين بلاد الانكليز وهذه ترجمة الرسالة التي ارسلها رئيس الولايات المتحدة

الى جلالة الملك ادورد السابع بلندن

اني اغتنم فرصة الفوز العجيب الذي فازهُ البحث العلمي والمهارة العلمية في اتقان التلغراف الذي لاسلك لهُ واقدم لكم ولكل شعب الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة والدعوات الصالحات بالنيابة عن الشعب الاميركي   الامضاء ثيودور روزفلت

فاجابهُ الملك في اليوم نفسهِ تلغرافيًّا

الى الرئيس في البيت الابيض بوشنطون

اني اشكركم بالاخلاص التام على رسالتكم الكريمة التي وصلتني الآن منكم بواسطة تلغراف السنيور مركوني القاطع الاتلنتيكي من غير سلك واردُّ لكم باخلاص باسم الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة ودلائل الصداقة التي اعربتم عنها باسم الامة الاميركيَّة واتمنَّى لكم ولبلادكم كل نجاح   الامضا ادورد

وكان الجواب بالتلغراف العادي لان تلغراف مركوني لم يكن متصلاً الى حيث كان الملك حينئذٍ

لعب الشطرنج بتلغراف مركوني

لعب الشطرنج بالتلغراف شائع عند الاوربيين والاميركيين فيلعبون بين اوربا واميركا باشارات برقيَّة ترسل من المكان الواحد الى الآخر. وحالما تحقق ارسال الرسائل البرقيَّة بتلغراف مركوني اخذوا يستعملونهُ للعب الشطرنج وبالامس كانت سفينة اميركيَّة وسفينة انكليزية تمخران الاوقيانوس والبعد بينهما خمسون ميلاً فلعب من فيهما بالشطرنج على هذا البعد ودام "الدق" ثلاث ساعات الى ان تمَّ الفوز للسفينة الاميركيَّة

تلغراف مركوني في السودان

ان بين اقصى ما وصل اليهِ التلغراف المصري في السودان جنوبًا وبين اقصى ما وصل اليهِ التلغراف الممدود من رأس الرجاء الصالح بلادًا شاسعة يعسر مد التلغراف فيها . ويراد الآن

نصب تلغراف مركوني هناك ليصل بين التلغرافين

اطول المدافع مدًى

صنع الانكليز مدفعاً كبيرًا قطر فوهتهِ ١٦ عقدة وثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ ليبرة والمدى الذي تصل اليهِ عشرون ميلاً

البول الدموي وفقر الدم

ذكرنا غير مرة ان مرض البول الدموي ومرض فقر الدم المنتشرين في القطر المصري مسببان عن نوعين من الميكروبات او الديدان الصغيرة موجودين في ماء النيل وكان المظنون انهما بدخلان الجسم بشرب ماء النيل ولكن اتَّضح الآن انهما يدخلانهِ ايضاً عن طريق الجلد فان الدكتور لوس كان يمتحن ديدان فقر الدم فوقعت نقطة من الماء الذي هي فيهِ على يدهِ فلم تمضِ دقائق كثيرة حتى اخذتهُ حكَّة في يدهِ فبحث عن الديدان التي كانت فيها فلم يجدها لانها كانت قد غارت في جلدهِ ثم وجد بيوضها في امعائهِ. وقد جرَّب تجارب كثيرة اثبتت لهُ ان هذه الديدان تدخل الجسم من الجلد ولذلك فالذين يغتسلون بماء النيل وترعهِ يكونون في خطر دائم من ان يصابوا بفقر الدم وبالبول الدموي

مصل التيفويد

ان المصل الذي اكتشفهُ الدكتور شنتمس لمعالجة التيفويد ووصفهُ في المؤتمر الطبي المصري حاصل من استنبات ميكروب التيفويد في الطحال ونقي العظام . وقد عولج بهِ ١٧٩ فمات منهم سبعة فقط اي ان متوسط الوفيات صار اقل من اربعة في المئة مع انهُ في المعالجة العادية يزيد على ١٩ في المئة

الدكتور شاركو والقطب الشمالي

عزم الدكتور جان شاركو الفرنسوي على السفر الى القطب الشمالي في اواسط شهر مايو المقبل للبحث العلمي في سفينة من الفولاذ بُنيت لهذه الغاية وسيأْخذ معهُ جمهورًا من العلماء وزادًا يكفيهم ثمانية عشر شهرًا

كوخ ووباء المواشي

أُرسل الدكتور كوخ واثنان من مساعديهِ الى روديسيا للبحث عن وباء المواشي الذي انتشر فيها الآن ويخشى ان لا يبقي على شيء منها . وقد قابلهُ مكاتب الدايلي مايل فقال لهُ ان هذا البحث لا يمنعهُ من الاستمرار على جمع الادلَّة التي تؤيد مذهبهُ وهو ان سل البقر لا ينتقل الى البشر

الريحان والبعوض

كتب بعضهم في جريدة ناتشر الانكليزية رسالة مسهبة بيَّن فيها ان الريحان (الحبق) اذا وضع في غرفة منع البعوض من دخولها وكتب غيرهُ ان في بلاد الصين نوعاً من الشجر اذا زرع حول البيوت منع البعوض من دخولها

ارخص الاضواء

استنبط المستر كتسون الانكليزي اسلوبًا جديدًا لقناديل زيت البترول الكبيرة الساطعة النور اذا كانت نفقات القنديل الكهربائي خمسين غرشًا ونفقات قنديل الغاز العادي ١٥ غرشًا فنفقات هذا القنديل ثلاثة غروش فقط

دولاب الهواء والكهربائية

ترى في ايدي الاولاد دولابًا من الورق كالمروحة الكهربائية يسيرون بهِ في الشوارع فيديرهُ الهواء سواء كان متحركًا او ساكنًا . وقد صنع بعضهم الآن دولابًا كبيرًا مثل هذا من معدن يوضع في اعلى قاطرة القطار البخاري فيديرهُ الهواء وقتما يكون القطار سائرًا وتحوَّل حركة دورانهِ الى كهربائية تخزن في مخازن الكهربائية وتستعمل ليلاً لانارة القطار بالنور الكهربائي . فينار القطار من غير نفقة. وقد جُرب هذا الدولاب في قطار سرعتهُ ٤٥ ميلاً في الساعة فتولدت منهُ كل ساعة كهربائية كافية لانارة خمس مركبات سبع ساعات متوالية

زرقة السماء

اختلف العلماء في سبب زرقة السماء والرأي الشائع انهُ من انكسار النور عن دقائق صغيرة منتشرة في الهواء الاَّ ان المسيو سبرنج السويسري بيَّن الآن بالامتحان ان الكهربائية اذا مرَّت في الهواء التي صار لونهُ ازرق فالكهربائية سبب زرقة السماء

اللاك الصناعي

اللاك صمغ معروف يصنع منهُ الورنيش وهو غالي الثمن لانهُ يرد من اقصى المشرق . وقد صنع الالمانيون الآن مادةً مثلهُ تمامًا وتقوم مقامهُ في كل ما يستعمل لهُ وثمنها نصف ثمنهِ

هامورابي ملك البرّ

جاء في النشرة الاسبوعية الصادرة في ٢٩ يناير تحت هذا العنوان ما نصهُ "لم يبقَ ادنى ريب في ان هامورابي هو امرافل ملك شنعار المذكور في سفر التكوين وانهُ كان ساميًا دخل على الترجيح ارض شنعار الخصبة (اوسومر وهي بلاد الكلدان المعروفة بكلديَّة الواطئة) من بلاد العرب . وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم . وكان قد مرَّ على العيلاميين قرونٌ وهم مستولون على بابل . فحارب العيلاميين وطردهم من الارض الكلدانية وملك كل العالم المتمدن في عصرهِ ما عدا مصر . فكان ملكهُ من بلاد الفرس الى البحر المتوسط . واما الحروب المتوالية التي مكَّنتهُ من ذلك الملك فلا نعلم تفصيلها لكن ما في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يدل على انهُ كان في قديم الازمنة وكان يملك حينئذٍ في عصر فيهِ ملك عيلام السائد

وكان لنا قبل اكتشاف شرائع هامورابي العجيبة ما هو كافٍ من اخباره لمعرفتنا انهُ الظافر والباني هياكل الآلهة وانهُ كان من السياسيين المجتهدين في نفع رعاياهُ . قال ناقل هذا النبإ " وقد شاهدت مئات من الاميال المربعة من ارض وادي الفرات العجيبة الخصب فلاةً وعراءٍ يابساً وعلة ذلك انسداد القنوات التي كانت تسقيها . وكان هامورابي بنى سدًّا حيال نهر دجلة دفعاً لاضرار طوفانهِ وانشأ قنوات يجري فيها الماء الى أمدٍ بعيد فيسقي الارضين ويحييها " . قال ذلك الملك في ما تركهُ من مكتوباتهِ " لما اعطاني الاله انو والاله بعل الملك على ارض سومر واكاد (وهي الجنوب والشمال من بلاد بابل) ووضع مقودها في يدي حفرت قناة هومارابي فحملت كثيرًا من المياه الى اراضي سومر واكاد فجعلت الارض على جانبي النهر صالحة للفلاحة والزراعة وجمعت غلة الحنطة واعددت المياه في سومر واكاد للاعقاب وجعلت الارض التي قسمها السكان واحدة واعددت طعاماً وشراباً وسقيتهم بنعم وافرة واسكنتهم في الامن والسلام "

فكان هامورابي سياسيًّا مدرّبًا كما كان بطل حرب ووقف نفسهُ لنفع رعاياهُ . وتبين من الكتابة على العمود الذي اكتشفهُ دي مرغان حديثاً انهُ كان ممن يؤلهون الشمس وادعى انها هي التي اعطتهُ الشريعة . فعلى ذلك العمود ما ترجمتهُ " بامر الشمس حاكم السموات والارض الاعظم ليكن العدل في الارض وباسم ربي ميروداخ انهى عن هدم ما اقمتهُ تذكارًا في هيكل ايساغيل الذي احبهُ فليُرَدَّد اسمي (على الالسنة) ابدًا . وليقف كل مظلوم لهُ دعوى شرعية امام صورتي هذه باعتبار اني " ملك البرّ " . وليقرإِ المكتوب وليفهم كلماتي الثمينة . وهذا المكتوب يبين لهُ دعواهُ فيرى ما هو الحق ويبتهج قلبهُ ابتهاجاً يحملهُ على ان يقول هامورابي ملكٌ كأبٍ لرعاياهُ تمسَّك بكلام ميروداخ بالهيبة والاكرام وانتصر بمساعدة ميروداخ على الشمال والجنوب وابهج قلب ميروداخ ربهِ فوهب منافع دائمة لشعبهِ ووطَّد شريعتهُ في الارض . ومتى قرأ النبأ فليصلِّ بكل قلبهِ امام ميروداخ سيدي وزربانيت سيدتي . وحينئذٍ الارباب الواقية والآلهة الذين كثيرًا ما يترددون في حضرة ايساغيل لا بدَّ من ان يهبوا لهُ بوفور النعمة المشتهيات اليومية امام ميروداخ مولاي وزربانيت مولاتي "

ولقب " ملك البرّ " من احب الالقاب وقد ذكرهُ مؤلف الرسالة الى العبرانيين في شرحهِ حال الكاهن الملكي فقال " ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العليّ الذي استقبل ابرهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركهُ الذي قسم لهُ ابرهيم عشرًا من كل شيء

المترجم اولاً ملك البرّ ثم ايضاً ملك ساليم اي ملك السلام" . ولنا من ان معنى ملكي صادق ملك البرّ وان معنى ساليم السلام أن هامورابي كان وهو ملك سومر اي شنعار اخذ معهُ حليفهُ كدر لعومر ملك عيلام الى فلسطين وتقدم ثم رجع بضعة اميال عن اورشليم حيث كان ملكي صادق اي ملك البرّ ملك مدينة السلام . ولا يمكن ان لقب "ملك البرّ" كان علماً ملكيًا او لقباً عامًا يلقّب بهِ كل ملك متسلط على تلك الارض كما كان فرعون لقباً لكل ملك من ملوك مصر . ولم يكن علماً شخصيًا بل لقب يعطى من يستحقهُ من الملوك وقد ادعاهُ هامورابي لاعتقادهِ انهُ استحقهُ لبرّهِ برعيتهِ كما يظهر من قولهِ على ذلك الاثر "هامورابي ملك البرّ. الذي منحتهُ الشمس حقًا (او شريعة) انا هو. كلماتي تُراعى . اعمالي لا نظير لها لأُوطيء الأَعلينَ وأَضع المتكبرين وانفي العتاة فاذا راعى خَلَفٌ متسلط كلماتي التي كتبتها في رسمي هذا ولم يبطل شريعتي ولا يفسد كلماتي ولا يغيّر ما اقمتهُ تذكارًا قوّت الشمس ملكَ ذلك الملكِ كما قوّت ملكي . فملك البرّ هو الذي يملك بالبرّ رعاياهُ"

ومما كتبهُ هذا الملك "ملك البرّ" و "السلام" يتبين ان بعضهُ كأَنهُ كُتِب بقلم موسى او سليمان ومن ذلك قولهُ "في مستقبل الزمان في كل الاعقاب الآتية ليراعِ الملك الذي يكون في الارض كلمات البر التي انا كتبتها على حجري التذكاري هذا شريعة مملكتي التي قد وضعتها والسنن التي سننتها لا يغيرها . ولا يشوه ما اقمتهُ تذكارًا . وان كان المتسلط حكيمًا وقادرًا ان يسوس الارض بمقتضى الشرع فليراعِ كلماتي التي كتبتها في مرسومي القانون والفرائض والشرائع التي اعطيتها والاحكام التي وضعتها. فهذه كلها تظهرها لهُ هذه الكتابة . فليحكم على رعاياهُ بمقتضاها ويخاطبهم بالعدل وليستقم بالاحكام. ولينفِ الاشرار والمجرمين من ارضهِ وليعد المنافع لرعاياهُ"

وما كتبهُ هامورابي للملوك الذين يخلفونهُ ككتاب وشنتون الوداعي الى خلفائهِ . ولا ريب عندنا ان سيرتهُ واعمالهُ النافعة في الزمن الطويل كانت مما اكرمهُ واحترمهُ خلفاؤُهُ. ثم كان بعد ذلك خمسة قرون سلام وراحة ونجاح ثم جاء الغزاة من جبال عيلام وعاثوا في بابل وسورية

ونعلم من قانون هامورابي انهُ اشتمل على شرائع انتشرت في كل الشرق نحو ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وقد اتفقت شريعة موسى وشريعة هامورابي في امور كثيرة . وهي تدل على قِدَم التمدن والعدل والشرائع النافعة . انتهى

سبب قصر البصر

كتب بعضهم الى السينتفك اميركان

يقول ان السبب الاكبر لقصر البصر هو وضع الكتب وادوات الكتابة على سطح افقي امام التلامذة فلو وضعت على سطح مائل حتى تنتصب امام العينين ما كان البصر يتعب ويقصر. فاذا صحَّ قولهُ كان اسلوب الكتّاب بالعربيَّة الذين كانوا يمسكون الورق بايديهم امام وجوههم اصلح لحفظ البصر من اسلوب الافرنج

طيران الحيوان

ان اكبر الطيور التي تطير الآن طائر الكندر ثقلهُ ١٧ رطلاً والبعد بين طرفي جناحيهِ اذا انبسطا عشر اقدام ومساحة سطحهما اقل من عشر اقدام واما الخفاش القديم الذي كان عائشاً في العصور الجيولوجيَّة فالبعد بين جناحيهِ اذا انبسطا ٢٥ قدماً ومساحة سطحهما ٢٥ قدماً مربعاً وثقلهُ ٣٠ رطلاً

جلَد الجلَد

يظهر من البحث في طبقات الجو ان درجة الحرارة تهبط بالصعود في الهواء الى ما ارتفاعهُ ٣٦ الف قدم عن سطح الارض وبعد ذلك تبقى درجة الحرارة على حال واحدة مسافة عشرين الف قدم او تزيد قليلاً ومتى صار الارتفاع ٥٦ الف قدم تعود الحرارة فتهبط ثانية ولذلك فعلى ٣٦ الف قدم فوق سطح الارض تبتدئ طبقة من الهواء سمكها عشرون الف قدم حرارتها شديدة بالنسبة الى ما تحتها والى ما فوقها فأُطلق عليها اسم جلَد الجلَد

التجارة في العام الماضي

بلغت تجارة القطر المصري في العام الماضي مبلغاً لم تبلغهُ في سنة من السنوات السابقة فكانت قيمة الصادر بتقدير الجمارك المصرية ١٧٦١٧٠٠٣ جنيهات وقيمة الوارد ١٤٨١٤٦٨٨ جنيهاً والجملة ٣٢٤٣١٦٩١ اي نحو ٣٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات المصرية فزادت عمَّا كانت عليهِ في العام السابق نحو مليون ونصف . واذا اعتبرنا الصادر وحده فالزيادة نحو مليونين لان الوارد نقص نحو نصف مليون . ونقص الوارد سببهُ الاكبر رخص الفحم الحجري وقلة الحاجة الى الحنطة والحبوب الاخرى التي اشتدَّت الحاجة اليها في العام السابق بسبب انخفاض النيل فبلغ النقص في ثمن الفحم الحجري نحو مئتي الف جنيه وفي ثمن الحبوب نحو ثلثمئة الف جنيه . اما زيادة الصادر فكلها تقريباً من القطن فقد بلغت الزيادة في ثمن الصادر منهُ مليوني جنيه وبلغ ثمن القطن كلهِ ١٣٩٤٩٩١٢ جنيهاً وثمن بزرتهِ ١٩٠٩٤١٩ جنيهاً والمجموع نحو ١٦ مليوناً من الجنيهات فتكون قيمة كل الصادرات الاخرى نحو مليون وثمانمئة الف جنيه لا غير . وقد قل ثمن السكَّر الصادر من القطر لرخص ثمنهِ ولان جانباً كبيراً منهُ صار يستعمل في القطر

وزادت النقود التي وردت الى القطر

المصري مليوناً وسبع مئة الف جنيه فقد كانت قيمتها ٣٠٨٥٦٧٨ جنيهاً سنة ١٩٠١ فبلغت ٤٧٧٩٢٦٦ جنيهاً سنة ١٩٠٢ وبلغت النقود الصادرة من القطر المصري في العام الماضي ١٨٣٤٤٥٧ جنيهاً اي زاد الوارد على الصادر ٢٩٤٤٨٠٩ او اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات الانكليزيَّة . واكثر النقود التي ترد الى القطر المصري ترد من انكلترا فقد بلغ الوارد منها في العام الماضي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات الانكليزيَّة ولم يُرَدَّ اليها الا نحو مليون من الجنيهات . فاذا كانت النقود لا تخرج من القطر المصري الاَّ بطريق الجمرك والبريد فقد زادت فيهِ زيادة بالغة في العام الماضي

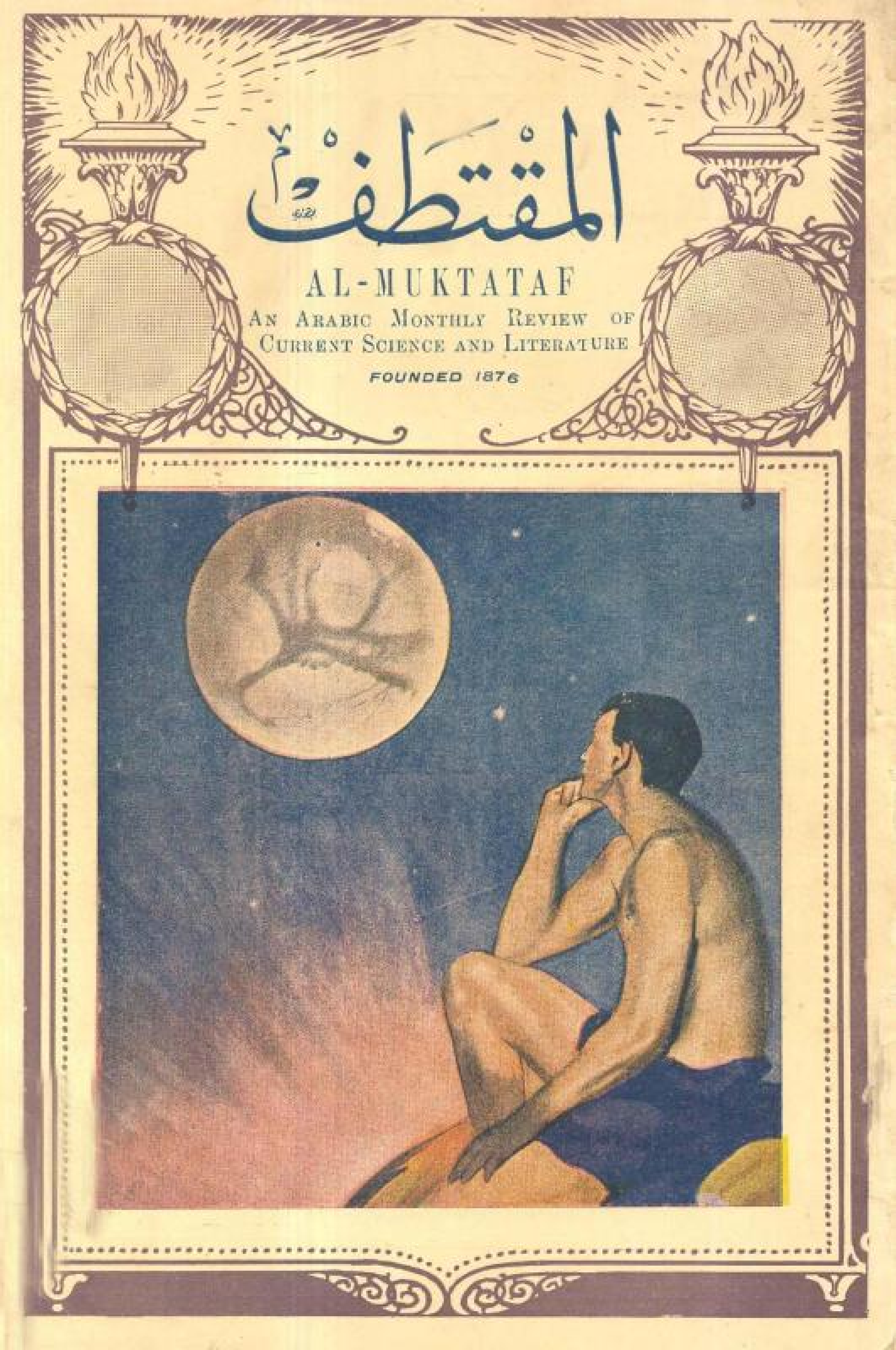
وبقيت علاقتنا التجارية مع البلدان الاوربيَّة على ما كانت اليهِ في الاعوام السالفة فانكلترا اشترت منا ما ثمنهُ اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات وباعتنا ما ثمنهُ نحو خمسة ملايين ونصف. والمانيا اشترت منا ما ثمنهُ نحو مليون جنيه وباعتنا ما ثمنهُ نحو ستمئة الف جنيه. واميركا اشترت منا ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه وباعتنا ما ثمنهُ اقل من مئتي الف جنيه. وبلجيكا اشترت منا ما ثمنهُ نحو مئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ نحو خمس مئة الف جنيه. وفرنسا حسابنا معها على السواء اشترت منا ما ثمنهُ مليون وثلث من الجنيهات وباعتنا ما ثمنهُ مليون وثلث. والنمسا اشترت منا ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ مليون جنيه . وايطاليا اشترت منا ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ ثمانمئة الف جنيه . وروسيا اشترت منا ما ثمنهُ مليون ونصف من الجنيهات وباعتنا ما ثمنهُ نصف مليون. وتركيا اشترت منا ما ثمنهُ ثلثمئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ مليون وستمئة الف جنيه. وسويسرا اشترت منا ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ خمسون الف جنيه فنحن الرابحون في تجارتنا مع انكلترا والمانيا واميركا وروسيا وسويسرا والخاسرون في تجارتنا مع النمسا وبلجكا وتركيا. ولكن هذا الربح وهذه الخسارة نسبيان لا مطلقان لان البلدان لا تشتري منا الاَّ ما تحتاج اليهِ ولا نشتري منها الاَّ ما نحتاج اليهِ ونجدهُ فيها ارخص مما هو في غيرها غير انهُ يهمنا جدًّا تقوية علاقاتنا التجارية مع البلدان التي تشتري بضائعنا والاهتمام بنشرها فيها حتى يزيد طلبها لها ولا شبهة ان تجارنا ولاسيما الاوربيون منهم يفعلون ذلك ويجب على الحكومة ان تساعدهم وتبذل اقصى جهدها في ترويج البضائع المصرية

غرائب الخلق

جاءنا من لبنان انهُ أُتي الى مستشفى الفرندس في برمانَّا بطفلة ولدت بغير عينين لكنها ماتت بعد ان عاشت اسبوعين وبطفل ولد من غير مخرج ففتح لهُ حضرة الدكتور طانيوس منسى مخرجاً جديدًا فنجحت العملية وعاش الطفل

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

رواية كليوباطرة ملحقة بالمقتطف

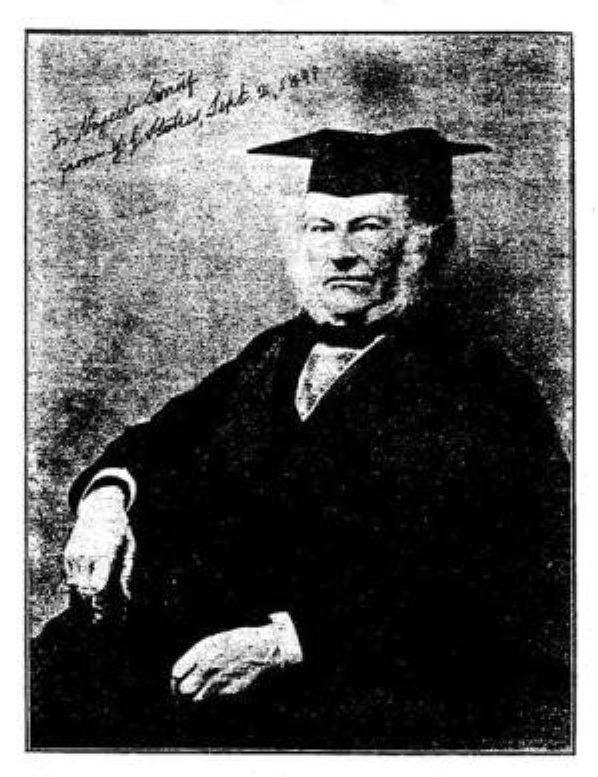

المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠

السر جورج ستوكس



فقدت البلاد الانكليزية اكبر علمائها الرياضيين الذي لهُ الفضل الاكبر في اكتشاف الحقائق الرياضية وما بُني عليها من المعارف الطبيعيَّة خليفة الفيلسوف اسحق نيوتن وقرينهُ في

العلم والتعليم وهو السر جورج غبرائيل ستوكس شيخ علماء الرياضيات توفي في غرة فبراير الماضي في الثالثة والثمانين من عمرهِ

كانت ولادتهُ في الثالث عشر من اغسطس سنة ١٨١٩ وتلقى العلوم العالية في مدرسة كمبردج الجامعة وكان الاول بين الذين احرزوا قصب السبق في العلوم الرياضية فجُعل استاذًا للرياضيات فيها في المنصب الذي كان فيهِ الفيلسوف اسحق نيوتن وذلك سنة ١٨٤٩ وانتخب رئيسًا للجمعيَّة الملكية وعضوًا في البارلمنت عن مدرسة كمبردج ورئيسًا لجمعية فكتوريا الفلسفية. واحتفلت مدرسة كمبردج سنة ١٨٩٩ بمضي خمسين سنة منذ جعل استاذًا فيها فحضر الاحتفال جمهور من نخبة علماء اوربا ونواب المدارس الجامعة والجمعيات العلمية من كل اقطار المسكونة وخطب فيهِ الاستاذ كورني الفرنسوي خطبة ريد التي نشرناها في صدر الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف وقال في ختامها

"قلت في اول خطبتي ان علم البصريات هو المدير للعلوم الطبيعيَّة وان كان قد خامركم ريب في ذلك فقد أُبدل هذا الريب الآن باستعظام النتائج التي نجمت عنهُ ولا تزال تنتج عن درس خواص التموُّجات التي تنتقل بها القوى الطبيعيَّة . هذا هو الدرس الذي امتاز بهِ السر جورج ستوكس موضوع اكرامنا في هذا الاحتفال . ويحق لمدرسة كمبردج ان تفتخر بتدريس الطبيعيات الرياضيَّة لان الاساتذة الذين تولوهُ من السر اسحق نيوتن الى السر جورج ستوكس قد كان لهم النصيب الاوفر في ترقية العلوم الطبيعية وتوسيع نطاقها"

اما اشغالهُ العلميَّة فهاك بعض ما قالهُ فيها لورد كلفن ونشر في الجزء الاخير من جريدة ناتشر مبنيًّا على ما جمع ونشر حتى الآن من مقالاتهِ

"اشتغل ستوكس بكل ما تدور عليهِ الفلسفة الطبيعيَّة ما عدا الكهربائية وغاص في العلوم الرياضية المحضة فانارها بقريحتهِ الوقّادة مثال ذلك ان الاستاذ ملر رأى ثلاثين حزمة من الخطوط المظلمة في الاقواس الاضافيَّة التي تظهر مع قوس قزح فعلَّل الاستاذ اري هذه الحزم بمعادلة رياضية عويصة جدًّا استعمل فيها اللوغارثم الى عشر منازل ولم يعلل الاَّ حزمتين منها . فاخذ ستوكس هذه المسألة ووضع لها قاعدة رياضية بسيطة تعلل بها الحزم المظلمة كلها مهما بلغ عددها على اسهل سبيل اي انهُ وضع النظرية التي يعرَف بها كل ما يتعلَّق بقوس قزح (وكان ذلك في بداءة سنة ١٨٥٠)

"كانت الرياضيات في يدهِ وسيلة لغاية والغاية التي كان يقصدها الفلسفة الطبيعية فكان اشتغالهُ بالصوت والنور والحرارة والكيمياء فوسَّع هذه الفروع الطبيعية بدرس خواص المادة

مستعيناً على ذلك بالامتحانات والرياضيات

" كانت مقالاتهُ الاولى المطبوعة في حركة السوائل وقد ضمَّنها حلاً رياضياً بديعاً للحركة في سائل لا ينضغط داخل صندوق قائم الزوايا . وهذا الحل يصدق على معرفة مقاومة موشور من المعدن او الزجاج للقوات التي تدعو الى فتلهِ او تغيير شكلهِ وقد نشر هذه المقالات سنة ١٨٤١ و١٨٤٢

" ونشر سنة ١٨٤٣ مقالة في لزوجة السوائل ضمَّنها نظريتهُ التي صارت اساساً لعلم حركة السوائل الداخليَّة ونظريَّة اخرى صارت اساساً لما يعلم الآن من امر الاجسام المرنة في حالتي الحركة والسكون

" وبعد سبع سنوات قدَّم مقالة الى جمعية كمبردج الفلسفية موضوعها فرك السائلات الداخلي وتأثيرهُ في حركة الرقاص فحلَّ اربعاً من اعوص المسائل الرياضية التي عجز عن حلها الرياضيون قبلهُ وهي (١) ارتجاج كرة صلبة في سائل لزج موضوع في وعاء كروي مركزهُ متوسط مركز الكرة (٢) ارتجاج اسطوانة مستديرة غير محدودة في سائل لزج غير محدود (٣) معرفة حركة سائل لزج حول كرة متحركة فيهِ بسرعة قليلة (٤) تأثير فرك السائل في تسكين التموجات وعود البحر الى السكون بعد ان تسكن الزوبعة التي اثارت امواجهُ

" ومن اهم المقالات التي كتبها في النور مقالتهُ عن تشرُّفهِ نشرت سنة ١٨٤٩ بيَّن فيها النظريَّة التي يعلَّل بها تشرُّف النور وضمنها نظريَّة انتقال الحركة في موصل مرن متساوي الكثافة وضمنها ايضاً تجارب كثيرة بيَّن فيها ان سطح الاستقطاب هو السطح العمودي لاتجاه التموجات في سطح النور المستقطب.

" واعظم مقالات ستوكس في النور مقالة قدمها الى الجمعية الملكية سنة ١٨٥٢ موضوعها تغيُّر انكسار النور فانهُ وصف فيها اكتشافهُ للنور الفصفوري "

هذا مثال ممَّا كتبهُ لورد كلفن عن اشغال ستوكس العلمية ذكرناهُ ونحن نعلم انهُ غير مألوف عند جمهور القراء . ولا شبهة في ان الحقائق العلمية التي اكتشفها او اوضحها هي اساس لكثير من المعارف الطبيعية التي نتج عنها جانب كبير من الارتقاء العلمي والصناعي في اوربا واميركا وكانت فائدتهُ في التعليم عظيمة كفائدتهِ في البحث العلمي وكثيرون من كبار العلماء والمكتشفين من تلامذتهِ الذين استناروا بنور علمهِ

وقد كان مع علو مقامهِ العلمي من اودع الناس واشدهم اتضاعاً واكثرهم نفعاً لغيرهِ وابعدهم عن الدعوى وحب الاشتهار بالمكتشفات العلمية او الاستفادة المالية منها . رأى ولدنا نجيب

صرّوف في مجمع ترقية العلوم البريطاني فعطف عليهِ كما يعطف الاب على بنيهِ ودعاهُ الى بيتهِ واهدى اليهِ صورتهُ وامضى اسمهُ عليها بيدهِ وكانت ترتجف لشيخوختهِ وعنها نُقلت الصورة التي في صدر هذه المقالة

ودفن باحتفال عظيم جدًّا حضرهُ نواب المدارس والجمعيَّات العلميَّة من كل البلاد الانكليزيَّة وقد اعترضت جريدة ناتشر لانهُ لم يدفن في وستمنستر مدفن عظماء الانكليز قائلة انهُ كان عظيمًا بنفسهِ وعظيمًا باعمالهِ والامة كلها تحبُّ ان يكون لهُ اعظم تذكار عندها فان هو لم يدفن في وستمنستر فمن يستحق ان يدفن فيهِ

السنيور مركوني

ومستقبل تلغرافهِ

لا يذكر الآن اسم السر جورج ستوكس مرةً حتى يذكر اسم السنيور مركوني الف مرة مع ان مركوني تلميذ تلامذة ستوكس ولم يكتشف حقيقة علميَّة واحدة تقابل بالحقائق التي اكتشفها ستوكس لكنهُ اهتدى الى استخدام بعض الحقائق التي اكتشفها غيرهُ على اسلوب بديع نافع تناولتهُ الشركات التجاريَّة فعضدتهُ بالمال واذاعتهُ في الخافقين حتى يتَّسع نطاقهُ وتجني منهُ الربح الوافر

والسنيور مركوني شاب ايطالي ولد سنة ١٨٧٥ من اب ايطالي وام انكليزية ودرس في مدرستي لجهورن وبولونا الجامعتين ووصف كيفيَّة اتصالهِ الى هذا الاكتشاف بقولهِ

"خطر لي نقل الاخبار بواسطة امواج الاثير في ربيع سنة ١٨٩٤ وانا اقرأُ عن اعمال الاستاذ هرتس في جريدة ايطاليَّة تبحث في المواضيع الكهربائيَّة . وكان هرتس قد استعمل حلقة معدنيَّة لاكتشاف الامواج الكهربائية الخارجة من آلتهِ وهذه الحلقة غير متصلة بل لها طرفان يكادان يتماسَّان فاذا وصلت اليها الامواج الكهربائية بانت فيها شرارة بين هذين الطرفين . اي انهُ اثبت بالامتحان ان الامواج الكهربائية تنتشر في الفضاء ويستدلُّ على وجودها بحلقة معدنية . فخطر لي انهُ اذا امكنني ان اغير انبعاث الامواج الكهربائية واجعل بينها فترات طويلة وقصيرة دلَّت الشرارة الكهربائية عليها ايضاً فيكون ذلك بمثابة نقل الاشارات في الفضاء بامواج هرتس الكهربائية من غير موصل معدني فتقوم الفترة القصيرة مقام النقطة في تلغراف مورس والفترة الطويلة مقام الخط وبذلك تنقل اشارات تدلُّ على الكلمات من مكان الى آخر

"ورأيتُ هذا الامر بسيطاً واضحاً جدًّا حتى لم يخطر ببالي اولاً ان احاول اثباتهُ بالامتحان لانني كنت اعلم ان كثيرين من العلماء يبحثون في هذا الموضوع وهم امهر مني جدًّا ولا بدَّ من ان يبحثوهُ ويثبتوهُ . وانتظرت نحو سنة فلم اسمع ان احدًا استعمل امواج هرتس لنقل الاشارات فشرعتُ في الامتحان وكان ذلك في شهر دسمبر سنة ١٨٩٤ فرأيتُ من النتائج ما ادهشني

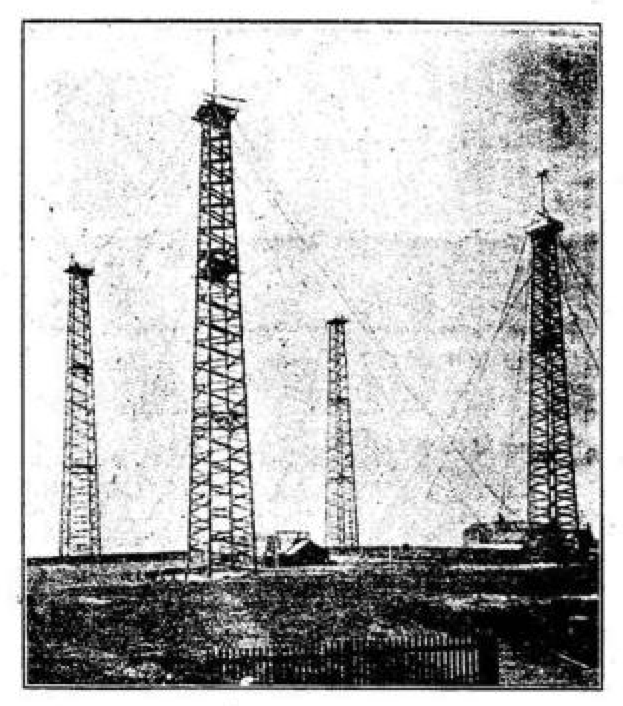


"وكنت قد أُولعت بدرس الكهربائية منذ بضع سنين كاحد الغواة واقمت معملاً كهربائيًّا صغيرًا في بيت ابي قرب بولونا وضعت فيهِ بطريات ونحوها مما يستعمل في درس المواضيع الكهربائية وكنت احاول البحث في قضية اشكل حلها على العلماء وهي تحويل الحرارة الى كهربائية مباشرةً وفي استعمال البخار في الآلات البخارية

"ولا اظن ان احدًا من الباحثين اشار باستعمال امواج هرتس الكهربائية لنقل الاخبار من مكان الى آخر قبلما اشرت بهِ انا فانا اول من اشار باستعمال هذه الامواج وانا اول من استعملها فنقلت الاشارات بها في الفضاء وكان ذلك سنة ١٨٩٤ . والحقائق العلميَّة التي بنيت

عليها آلتي كانت معروفة وغاية ما فعلتهُ فيها اني اصلحتها ونوَّعتها حتى صارت تناسب مرادي .
وغاية العلم الوصول الى النتائج المطلوبة باقل ما يكون من التعب والوقت والعبرة بالنتائج لا بالوسائل "

ولما ارسل الاشارات الكهربائية مسافة عشرة اميال ظنَّ كثيرون انهُ بلغ الحدَّ الذي يمكن ان ترسل اليهِ لان القوة الكهربائية لا تكفي لنقل الامواج الكهربائية الى ابعد من ذلك ولان الجبال والتلال وتحدُّب الارض كل ذلك يضعف قوتها ويمنع انتقالها لكنهُ خيَّب ظنهم وارسل الاشارات الكهربائية مسافة ثلاثين ميلاً وبيَّن ان امواجها تخرق الجبال والتلال



وتسير موازية لسطح الارض في تحدبهِ لا في خطوط مستقيمة وقال حينئذٍ انهُ يستطيع نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا . ولو كانت هذه الاشارات تسير في خطوط مستقيمة من اوربا الى اميركا لوجب ان تخرق الارض وتغور فيها مئة وثلاثين ميلاً في منتصف المسافة بين اوربا واميركا بداعي كروية الارض ولكن يظهر انها تسير في اقواس موازية لسطحها

وقد تمَّ ما قالهُ ونقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا فاطار اولاً طيارات اوصل بها الاسلاك الكهربائية ونقل بها حرفاً واحداً من اوربا الى اميركا ولما ثبت لهُ ذلك نصب اعمدة

طويلة طول كل عمود منها ٢١٠ اقدام ووصل رؤوسها باسلاك معدنية حتى تكون شركًا لصيد الامواج الكهربائية واقام بعضها في طرف اوربا الغربي عند ارلندا وبعضها في طرف اميركا الشرقي امام كندا لكن العواصف عبثت بها وقلبتها فبنى ابراجًا كبيرة من الخشب بدلاً منها كما ترى في الشكل الثاني وهو صورة الابراج الاربعة المنصوبة في كورنول باوربا ارتفاع كل برج منها ٢١٥ قدماً ووصل رؤوسها باسلاك معدنية كما ترى في الشكل

وقد اقام هذه الابراج الآن في ثلاثة اماكن في كورنول ببلاد الانكليز كما تقدَّم وفي راس برتن بنوفاسكوتيا شرقي كندا وفي راس كُد قرب بوستن بالولايات المتحدة الاميركية وكلها متشابهة . ونفقة اقامتها غير قليلة ولكنها ليست شيئاً مذكوراً تجاه النفقات الكثيرة التي تقتضيها اسلاك التلغراف الممدود في البحر

هذا من حيث تلغراف مركوني وكيفية اكتشافهِ اما مستقبلهُ فالناس مختلفون فيهِ يظن فريق انهُ لا يمكن ان يتغلَّب على المصاعب الكثيرة التي تحول دون نجاحهِ فيُهمَل او يبقى استعمالهُ ضيّق النطاق جدًّا فيستعمل لنقل الاخبار بين البوارج في عرض البحار وبين فرق الجيش الواحد حيث لا اسلاك تلغرافية اوحيث العدو نازل بينها . اي يكون استعمالهُ خاصًّا بالدول لا يقوم مقام التلغراف ولا يستفيد منهُ الناس في معاملاتهم . ويظن فريق آخر ان مركوني وغيره من المكتشفين سيزيدون هذا التلغراف اتقاناً حتى يسهل استعمالهُ كما يستعمل التلغراف الكهربائي الآن

اما الفريق الاول فيقول ان تلغراف مركوني لا يشيع استعمالهُ ما لم يستوفِ اربعة شروط الاول ان يثق مرسل الخبر بان خبرهُ أُرسل ووصل المكان الذي ارسلهُ اليهِ . والثاني انهُ يصل كما يرسلهُ بالدقة التامة . والثالث انهُ يصل بالسرعة الكافية . والرابع انهُ يبقى سرًّا لا يطّلع عليهِ كل احد . ويظن المعتقدون نجاح هذا التلغراف انهُ يمكن ان تصنع آلات ترسل امواجاً مخصوصةً ويعطى الامتياز باستعمالها لاصحابها فينحصر استعمالها فيهم ولا يبقى خوف من ان اشاراتهم تسرَق في الطريق . وتستعمل حروف اصطلاحية خاصَّة كالحروف التي يستعملها التجار الآن في اخبارهم التجاريَّة التي يريدون ان تبقى مكتومة وبذلك يتم الشرط الاول والثاني والرابع . اما الشرط الثالث وهو ان ترسل الاشارات بالسرعة الكافية او بسرعة تماثل سرعة التلغراف فامرهُ صعب على ما يظهر بادئ بدء لان اسلاك التلغراف التي بين اوربا واميركا يرسل بها الآن مئة كلمة في الدقيقة ويسهل ان ترسل رسالة برقية من لندن الى نيويورك في دقيقة من الزمان وترسل رسالة برقية ويأتي جوابها في عشر دقائق وهذا امر

عادي واما تلغراف مركوني فسرعة ارسال الرسائل بهِ بطيئة جدًّا ولو كان سير الامواج الكهربائية من جهة الى اخرى على غاية السرعة . ويرد على ذلك بان سرعة التلغراف العادي بين اوربا واميركا كانت عند اول مدهِ اقل من سرعة تلغراف مركوني الآن

هذا ومعلوم ان الشركات التلغرافية اوجست خيفة من تلغراف مركوني وستبذل جهدها في مقاومتهِ ان لم يكن بوضع العراقيل في طريقهِ فبزيادة العناية في اتقان اعمالها وترخيص اسعارها كما فعلت شركات الغاز لمَّا ظهر النور الكهربائي . وقد استولى الخوف على حاملي اسهم شركات التلغراف فتهافتوا على بيعها والحكماء الذين يقدّرون العواقب يشترونها عالمين ان الدنيا تسع التلغرافين كما انها لا تزال تسع نور الغاز والنور الكهربائي. واذا زاد تلغراف مركوني اتقانًا فلا بدَّ من ان يزيد انتشارهُ واستعمالهُ رويدًا رويدًا ولكن ذلك لا يمنع استعمال التلغراف العادي ولو قلل مد خطوط جديدة منهُ

هذا ولم يجمع الكتَّاب الاوربيون والاميركيون حتى الآن على كلمة واحدة للدلالة على تلغراف مركوني فبعضهم يسميهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ وبعضهم يسميهِ التلغراف الاثيري وبعضهم يسميهِ تلغراف امواج هرتس وبعضهم يسميهِ تلغراف مركوني. وحبذا لو اتفقوا على كلمة واحدة يسهل تعريبها ولو كان الامر مفوَّضًا الينا لاشتققنا من اسم مركوني اسم المركَن للدلالة على تلغرافهِ وفعل مَركَن للدلالة على ارسال الاشارات البرقيَّة بهِ وفي ذلك اختصار كثير ودلالة على المراد واضحة

غرض علم الميكروبات

ان وجهة علم الطب قد تغيَّرت في العشرين السنة الاخيرة لان علم الميكروبات غيَّر آراء الاطباء في حقيقة الامراض . وقد لقي هذا العلم اشد المقاومة من جمهور الاطباء بعد ان بيَّن باستور في فرنسا وتندل في انكلترا ان الاحياء الصغيرة لا تتولَّد من نفسها بل تولد ولادة من بزور او جراثيم من نوعها . ولم يقبل الاطباء حقائق علم الميكروبات الَّا منذ عشرين سنة الى الآن وكان للدكتور كوخ اليد الطولى في ذلك حينما بيَّن بادلَّة الامتحان علاقة ميكروب السل بداء السل

ومن اكبر الفوائد التي نجمت عن علم الميكروبات اثبات حقيقة الامراض المشتبه فيها كما يرى في اثبات حوادث الكوليرا والطاعون والدفتيريا والكلَب فان ظواهر هذه الامراض قد

لا تكون واضحة وضوحاً ينفي الريب او قلما تكون واضحة ولاسيما اذا كانت مفردة فيأتي البحث الميكروبي ويثبتها او ينفيها بالدقة التامة ويصير اهل المريض ورجال الصحة على بينة من امرهم في استعمال الطرق العلاجية ووسائل الوقاية والتطهير والفرز . وكذلك في السل فانهُ اذا كان في بداءتهِ وثبت وجود ميكروبهِ في النفث سهل علاجهُ وشفاؤهُ . وقس على ذلك كثيراً من الامراض التي اذا عُرفت في اول ظهورها سهل علاجها وشفاؤها

ثم ان لهذا العلم فائدة اخرى في البحث عن اسباب الوقاية من الامراض . وقد وجد العلماء الباحثون ان الجسم الذي يوقى من مرض بالوقاية الطبيعية او بالتطعيم او نحوهِ تتكون في دمهِ اجسام صغيرة تقاوم ميكروبات ذلك المرض . لكنهم اختلفوا في حقيقة هذه الاجسام فقال الاستاذ متشنيكوف والذين ذهبوا مذهبهُ انها خلايا الدم البيضاء فهي تأكل ميكروبات الامراض وتحمي الجسم منها فسمّوها آكلة الخلايا وقال الاستاذ اهرلخ وانصارهُ ان في الخلايا التي يتألَّف منها الجسم مواد تقيها من فعل السموم التي تتولَّد فيهِ عادةً فاذا دخلهُ سمٌّ مرض من الامراض هيج الخلايا التي يتألَّف الجسم منها فافرزت مادةً تقاوم بها فعل ذلك السم فتكثر تلك المادة في الدم وتقاوم سم المرض وتمنعهُ من البلوغ الى الخلايا وتبطل فعلهُ . وعند الاستاذ اهرلخ ان فعل هذه المادة بالسموم المرضية مماثل لفعل الحوامض بالقلويات او القلويات بالحوامض فكما ان الحامض يتحد بالقلوي ويكوّن ملحاً متعادلاً لا حامضاً ولا قلوياً كذلك تفرَز من خلايا الجسم مادة تتحد بسم الميكروبات المرضيَّة وتزيل فعلها الضار. فاذا سمينا ما تفرزهُ الميكروبات المرضيَّة سمّاً فما تفرزهُ خلايا الجسم ترياق لها واذا تغلب السم على الترياق تغلَّب المرض على الصحَّة واذا تغلَّب الترياق على السم تغلبت الصحة على المرض والاَّ فالحرب سجال . وخلايا الميكروبات المرضية مثل خلايا الجسم اي فيها مادة سامَّة ومادة اخرى تعدّل فعل ذلك السم فالجسم الحي تتولَّد فيهِ مواد سامَّة وتتولَّد فيهِ ايضاً مواد مقاومة لفعل السم وعلى هذا المبدإ بني استخراج المصل المضاد للدفثيريا والمصل المضاد للتتانوس فانهُ اذا دخل ميكروب الدفثيريا بدن حيوان افرزت خلاياهُ المادة التي تضاد سم ذلك الميكروب وكثرت هذه المادة في مصل دمهِ فيصير ترياقاً لسم الدفثيريا

وكان المظنون انهُ يمكن اكتشاف مصل يشفي من السل وغيرهِ من الامراض المعدية كما كُشف مصل يشفي من الدفثيريا ولكن خاب الظن كما هو معلوم وسبب ذلك في ما يقال ان المادة التي تشفي من الدفثيريا سائلة فيسهل افرازها من خلايا الجسم وبقاؤها في مصل الدم واما المادة التي تشفي من السل او تكون في خلايا الجسم لمقاومة السل فليست سائلة او لا تحفظ في

حالة سائلة . فكأنها مثل مادة الاختمار التي ثبت الآن انها مادة خلايا الخميرة نفسها لا مادة حيَّة موجودة فيها. واستخراج هذه المادة من الميكروبات المرضية نفسها اسهل من استخراجها من خلايا الجسم ويؤيد ذلك ان المادة التي يستعملها هفكن لقاحاً واقياً من الطاعون هي نفس ميكروب الطاعون المعقم . والصعوبة قائمة في كيفية سحق الميكروبات المرضية ليصنع اللقاح منها لانها دقيقة جدًّا ادق من ان تؤثر فيها طرق السحق العادية . لكن ثبت الآن للاستاذ مكفادن انهُ اذا بُرّدت الميكروبات في الهواء السائل صارت قصفة سهلة الكسر والسحق . وقد عولجت ميكروبات التيفويد كذلك فوُجد ضمن خلاياها مادة تقاوم فعلها ويُظَن انهُ يمكن استعمالها لقاحاً واقياً من التيفويد او مصلاً شافياً منهُ

تنقية الهواء

اكتشاف جديد

يعلم خاصَّة القراء وعامتهم ان الهواء يدخل الرئتين نقيًّا ويخرج منهما وفيهِ مواد سامَّة حتى اذا اقام انسان في مكان ضيق لا يتجدَّد هواؤُهُ فسد الهواء الذي حولهُ حالاً ولم يعد صالحاً للتنفس فيموت اختناقاً . ويحدث شيءٌ مثل ذلك في الهواء المحصور اذا أُحرق فيهِ الفحم او طال انحلال المواد النباتية فيهِ كما يحدث في الغرف المسدودة النوافذ التي يشعل فيها الفحم وكما يحدث في الآبار التي تطرَح فيها الزبالة فان كثيرين يموتون كل سنة من استنشاق الهواء في غرف أُشعل الفحم فيها او من النزول في آبار فاسدة الهواء . وقد ثبت الآن ان المادة الكيماويَّة المسماة براكسيد الصوديوم التي لم يكن يُعرَف لها اقل نفع تصلح الهواء الذي افسدهُ التنفُّس او اشتعال الفحم او انحلال المواد النباتية لانها تتحد باكسيد الكربون الثاني فيتكون منها كربونات الصودا ويفلت الاكسجين النقي الذي يصلح للتنفس ويصلح الهواء ويكون مقدار الاكسجين كمقدار اكسيد الكربون

ومن المقرر ان مقدار اكسيد الكربون في الهواء الخارج من الرئتين نحو اربعة وثلث في المئة. والهواء الذي يدخل الرئتين او يخرج منهما في الساعة من الزمان يبلغ عشرين قدماً مكعبة فيكون فيهِ نحو قدم مكعبة من اكسيد الكربون . وقد ثبت ان الرطل من براكسيد الصوديوم يمتص قدمين مكعبتين وثلث قدم من اكسيد الكربون الثاني ويطلق قدمين مكعبتين وثلث قدم من الاكسجين النقي ولذلك فعشرة ارطال من براكسيد الصوديوم تكفي الانسان اربعاً

وعشرين ساعة لنزع الغاز السام من الهواء الذي يتنفسهُ فيستطيع ان يقيم في قنينة كبيرة من الزجاج ومعهُ عشرة ارطال من براكسيد الصوديوم ويبقى حيًّا ولو سُدَّت القنينة عليهِ سدًّا محكمًا ولذلك فهذه المادة تفيد في الاحوال التالية

(١) في تنقية هواء المساكن والمعامل والمعابد والمستشفيات ونحو ذلك من الاماكن التي يكثر ازدحام الناس فيها فيخشى من فساد هوائها ولو كان مطلقًا بعض الاطلاق

(٢) في معالجة بعض الامراض التي تستلزم كثرة الهواء النقي من غير تعرُّض للبرد او لمجاري الهواء كما في داء السل

(٣) في المناجم العميقة التي يفسد هواؤُها لقلَّة تجدُّدهِ

(٤) في الحرائق الكبيرة التي يخشى فيها من اختناق رجال المطافىء فانهم اذا وضعوا في الخوذ التي حول وجوهم قليلاً من هذه المادَّة استطاعوا ان يدخلوا بين النيران وكثيف الدخان من غير ان يختنقوا

(٥) في الغوص في البحر فان الغوَّاص يستطيع ان يضع في الخوذة قرب انفهِ قليلاً من هذه المادة فيستغني بها عن الانابيب التي توصل الهواء النقي اليهِ

(٦) في السفن الغوَّاصة حيث يصعب ايجاد الهواء النقي الكافي للذين فيها

اما الغوَّاصون ونحوهم من الذين يعملون اعمالاً شاقَّة ويستعملون مقدارًا كبيرًا من الاكسجين فلا بدَّ من ان يزاد لهم مقدار براكسيد الصوديوم ولعلهم لا يكتفون باقل من رطل كل ساعة والذين لا يعملون عملاً يكتفون باقل من نصف رطل في الساعة

والهواء قلما يفسد في غرف السكن فسادًا يدعو الى استعمال المواد الكياويَّة لتنقيتهِ ولو كانت نوافذها كلها مغلقة لان الخروق الصغيرة التي في خشب الابواب والشبابيك وفي مسام الجدران تكفي لتجديد الهواء وتنقيتهِ غالبًا ولاسيما اذا اختلفت درجة الحرارة بين داخل الغرف وخارجها ولكن اذا خيف من فسادهِ فهذه المادة تصلحهُ اذا سحقت ووضعت في صحاف واسعة. وهي بيضاء مائلة الى الصفرة فاذا اتصل بها الهواء غير النقي صار لونها احمر برتقاليًّا اولاً ثم اذا طال تعرُّضها للهواء صارت بيضاء اللون فيعلم من ذلك انها امتصت كل ما تستطيع امتصاصهُ من اكسيد الكربون

وثمن الرطل من هذه المادة الآن نحو ثمانية غروش ولا بدَّ من ان يرخص ثمنها اذا كثر استعمالها وهي تتولَّد باحماء عنصر الصوديوم في الهواء وتذوب في الماء بسهولة وينحلُّ مذوبها سريعًا فيتولَّد منهُ اكسجين وصودا كاوية

وقد كان اكتشاف فعلها في تطهير الهواء عرضاً والفضل في ذلك للفيران فانها هي التي هدت اليها كما سيجيء

كان رجلان فرنسويان وهما الدكتور دسغره والدكتور بلتيار الكيماويان يجربان بعض التجارب الكيماوية فنسيا بعض الفيران في اناء من الزجاج بعد ان سداهُ سداً محكماً. وفتحا ذلك الاناء بعد ايام فوجدا الفيران لا تزال حية فيهِ مع انها كان يجب ان تموت اختناقاً بعد تنفسها كل ما في هوائهِ من الاكسجين . وكانت نحيفة جداً لانها قضت هذه الايام بغير طعام ولكنها كانت حيَّة تتنفس جيداً. وكان في الاناء قطعة كبيرة من براكسيد الصوديوم فاستنتجا ان البراكسيد هو الذي حفظها من الاختناق ووقاها من الموت. واخذا يجربان بالتجارب ليتحققا صدق هذا الاستنتاج فوضعا الارانب والكلاب في آنية زجاجية كبيرة وسدَّاها سدًّا محكماً ووضعا معها قطعاً من براكسيد الصوديوم ولم يكن هواء هذه الآنية يكفي الحيوانات التي وضعاها فيها اكثر من نصف ساعة ولكنها بقيت اكثر من خمس ساعات ولم تصب بضرر كأنها كانت في الهواء المطلق

حينئذٍ قرَّ قرارهما على امتحان ذلك في الانسان فصنعا خوذة من الخوذ التي يلبسها الغوَّاصون عادة تسع من الهواء ما يملأ خمس اكواب وطلياها من الداخل ببراكسيد الصوديوم ولبسها غواص وغاص بها في الماء فاقام زماناً طويلاً ولم ينلهُ ضرر . وثبت لهما حينئذٍ انهما اكتشفا اكتشافاً جزيل النفع على بساطتهِ وان براكسيد الصوديوم اقدر المواد الكيماويَّة كلها على اخذ الحامض الكربونيك من الهواء وردهِ الى الهواء اكسجيناً صرفاً

وقد راجعنا ما عندنا من كتب الكيمياء والمعجمات قبل كتابة هذه السطور لنرى ما نقولهُ عن فائدة براكسيد الصوديوم فلم نجد انها تعزو اليهِ فائدة من الفوائد ووجدنا سكلوبيذيا تشمبرس تقول انهُ خالٍ من كل فائدة . هذا ما كان يقال عنهُ منذ بضع سنوات اما الآن فكشفت لهُ فائدة من اكبر الفوائد . وظاهر الامر ان اكتشافها حدث عرَضاً ولولا الفيران ما كُشفت وشأن الفيران في ذلك شأن التفاحة التي يقال انها نبهت الفيلسوف اسحق نيوتن الى اكتشاف ناموس الجاذبيَّة فقد رأى الناس كلهم سقوط الاثمار من الاشجار في كل الاماكن والازمنة ولكن لم يستنتج احد من سقوطها تلك النتيجة الجلى الأَّ عقل ذلك الفيلسوف العظيم وكذا هذان الكيماويان اكتشفا ما اكتشفا لان عقلهما كان مدرَّباً على البحث العلمي ورد المسببات الى اسبابها

حلُّ مسألة الاسيتيلين

لما كُشف غاز الاسيتيلين وثبت انهُ رخيص الثمن ساطع النور امَّل كل احد انهُ يقوم مقام غاز الضوء ومقام الكهربائية لانهُ ارخص منهما واسطع نورًا . ولكن كثرت حوادث الانفجار على اثر استعمالهِ حتى ابتعد الناس عنهُ بعد اقبالهم عليهِ . واهتمَّ كثيرون باكتشاف طريقة تمنع انفجارهُ منعاً تامًّا فاهتدى رجل انكليزي اسمهُ اتكنس اخيرًا الى اكتشاف طريقة لاستحضارهِ من غير ماء وتسمَّى طريقتهُ بالطريقة الجافَّة . واستحضارهُ هذا من غير ماء بهذه الطريقة الجافَّة يمنع الانفجار حتمًا ولهُ مزايا أُخرى كثيرة اهمها ان المواد التي تتخلَّف بعد استخراجهِ يساوي ثمنها ثمن المواد التي استُخرج منها كأنَّ مستخرجهُ يضيء بهِ بيتهُ ولا يكاد يخسر شيئًا

لكن مستنبط هذه الطريقة باعها لشركة مالية ولا بدَّ من انها تفرض ثمنًا كبيرًا للآلة التي يستحضر الغاز بها فيصير لنور الاسيتيلين ثمن يقابَل بثمن نور الغاز والنور الكهربائي لكنهُ يبقى ارخص منهما جدًّا فان الرطل الذي ثمنهُ غرش واحد من الكربيد يستخرج منهُ خمس اقدام مكعبة من غاز الاسيتيلين . والآلة التي يستحضر بها رخيصة الثمن صغيرة الحجم وهي اسطوانة كبيرة كالبرميل تدار على محورها بعد ان يوضع الكربيد ومادَّة اخرى فيها فيتولَّد منها غاز الاسيتيلين وكل قدم مكعبة منهُ تنير مثل خمس اقدام مكعبة من غاز الضوء العادي

والطريقة القديمة لاستخراج غاز الاسيتيلين كان فيها نقص من وجوه كثيرة عدا ضرر الانفجار فكان الغاز يتولَّد بسرعة في اول الامر ثم يقلُّ تولُّدهُ بسبب اكتساء الكربيد بالجير . ولا يتولَّد من رطل الكربيد سوى اربع اقدام مكعبة من الغاز . وكانت المصابيح التي يشعل الغاز فيها تنسدُّ احيانًا كثيرة من تكاثف الابخرة الهيدروكربونية فيها . ويخرج من النور ضباب خفيف بسبب ما فيهِ من الهيدروجين المفصفر وهو غاز سام . ولم يكن في الامكان مزج غاز الاسيتيلين بغاز الضوء العادي ليزيد بهِ نورهُ . ولا كان في الامكان استعمالهُ لادارة الآلات ولا ضغطهُ وحفظهُ في آنية ضيقة . وكان لهُ رائحة خبيثة ولا بدَّ من تنقيتهِ وتطهيرهِ قبل استعمالهِ على ما في ذلك من زيادة النفقة . ويبقى في الاناء الذي يستحضر منهُ فضلات لا فائدة منها . اما سبب انفجارهِ وهو المانع الاكبر لاستعمالهِ فكان من وجود الهيدروجين المفصفر فيهِ وهو يشتعل من نفسهِ في بعض الاحوال ومن اشتداد الحرارة من فعل الماء بالجير (الكلس)

اما الاسلوب الجديد فخالٍ من هذه العيوب كلها لانهُ حالما تمتزج المواد بعضها ببعض يتولَّد غاز الاسيتيلين منها بانتظام تامٍ حتى لا يبقى منهُ شيء في الكربيد ولا يتولَّد معهُ

هيدروجين مفصفر ولذلك لا داعي لغسل الاسيتيلين حتى يتنقى منهُ . والحرارة التي تتولد حينئذٍ ضعيفة جدًا فلا تدعو الى تولُّد البنزين ونحوهِ من المواد التي تتولد بالطريقة العادية . والمواد التي تبقى بعد تولدهِ خالية من كل ضرر ولها ثمن يختلف باختلاف المادة التي تضاف الى الكربيد لتوليدهِ . والمواد التي استعملها المكتشف حتى الآن مختلفة واحدة منها يساوي طنها جنيهين والمادة التي تبقى منها في الاناء يساوي طنها ثلاثين جنيهًا على ما قالهُ المكتشف

وتفوح من غاز الاسيتيلين عادة رائحة خبيثة اذا استُحضر بالطريقة العادية اما اذا استُحضر بهذه الطريقة فتتولد منهُ رائحة طيبة ونورهُ ثابت خالٍ من كل دخان

ويقال ان هذه الطريقة صالحة بنوع خاص لانارة مركبات سكك الحديد والمنائر البحرية والاطواف التي توضع في المرافىء وفي مداخلها لهداية السفن . ويسهل على رجلين ان يحملا آلة يتولد منها نور يساوي نور عشرين الف شمعة . ونور هذا الغاز مثل نور الشمس في سطعانهِ وتركيبهِ فيصلح للتصوير الشمسي . والغاز المستحضر بهذه الطريقة يمتزج بغاز الضوء بسهولة فيزيد بهِ نورهُ

هذا ما ثبت حتى الآن من مزايا هذا الغاز . ويرجح انهُ مما يسهل استعمالهُ لادارة الآلات ولاسيما آلات الاتوموبيل فاذا ثبتت لهُ هذه المزية ايضًا زاد نفعهُ اضعافًا مضاعفة

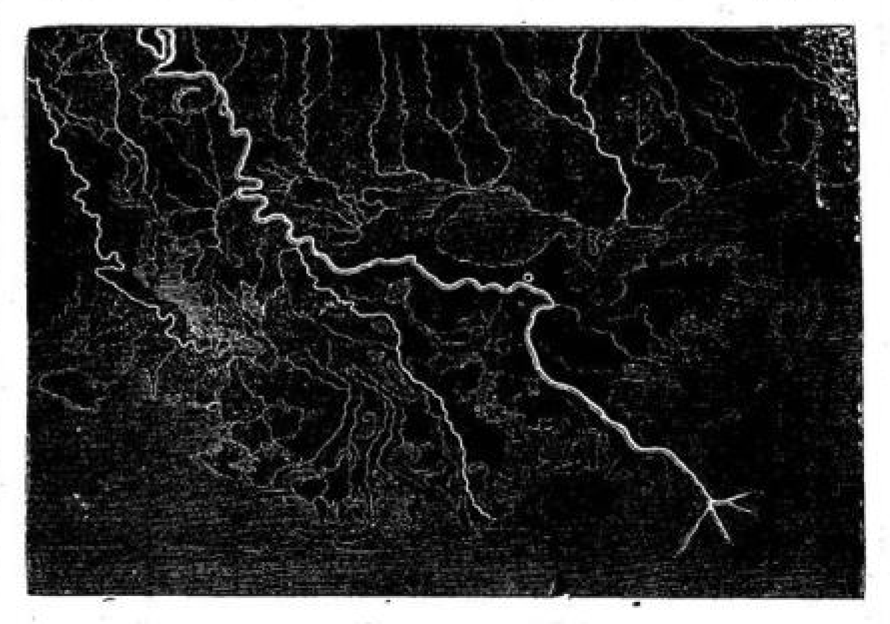
وقد امتحن المجلس البلدي في مدينة لندن الآلة التي يتولد بها وقرر ان استعمالها خالٍ من الضرر

سدود النيل

ان الناظر في الآكام والاراضي المرتفعة على جانبي وادي النيل يرى فيها اصداف الحيوانات البحرية واسنان الاسماك دلالة على ان بحر الروم كان يغمر وادي النيل كلهُ وجانبًا من الاراضي المرتفعة على جانبيهِ . والادلة على ذلك كثيرة جدًا وان لم يوجد الاَّ الدليل المتقدم ذكرهُ وهو وجود الاصداف وبقايا الحيوانات البحرية فكفى بهِ دليلاً

ولا بدَّ من ان يقول قائل كيف انحسر ماء البحر من واديهِ ولمَّا انخفض بعد ارتفاعهِ او ارتفع وادي النيل بعد انخفاضهِ . والجواب ان البحر لم ينخفض لان انخفاضهُ امام القطر المصري يقتضي انخفاضهُ حول الكرة الارضيَّة كلها وهذا لم يحدث ولكن وادي النيل ارتفع عن قاع البحر وعن مساواة سطحهِ بفعلين مختلفين الاول فعل الحرارة الارضيَّة والثاني فعل المياه الجارية في النيل . اما الحرارة فانها رفعت الارض في اعالي وادي النيل وحولهُ في العصور الغابرة كما ترفع الآن بعض الجزائر والجبال والسهول في اماكن مختلفة فارتفعت وعلت فوق ماء البحر

بعد ان كانت تحتهُ وبقيت فيها آثار الحيوانات والنباتات البحرية دالّةً على ان البحر كان غامرًا لها مدة عصور طويلة . وبقيت مياه البحر غامرةً وادي النيل نفسهُ والنيل يلقي فيهِ الاتربة التي يجرفها من مجاريهِ الى ان ملأهُ بالرمل والطمي فانحسر البحر عنهُ ولا يزال النيل يجرف هذه الاتربة ويحمل بعضها الى البحر ويلقي البعض الآخر في واديهِ الى هذا اليوم . ويقدَّر ما يحملهُ الآن من الطمي ويلقيهِ في البحر بمئة وخمسين مليون طن او ثمانين مليون متر مكعب كل سنة وكان يحمل اكثر من ذلك كثيرًا في العصور الغابرة . وهو غير منفرد في هذا



الفعل بل ان من الانهار ما يحمل اكثر منهُ فان نهر الكنج ببلاد الهند يحمل كل سنة ٣٧٨ مليون طن ونهر المسسبي باميركا يحمل كل سنة اربعة ملايين مليون طن وهو آخذ الآن في تكوين دلتا مثل دلتا النيل كما ترى في هذا الشكل فان الخط الابيض الغليظ فيهِ هو مجرى نهر المسسبي وهو يتفرَّع عند مصبهِ في البحر الى ثلاثة فروع كبيرة وسيمتلئ ما بين هذه الفروع يومًا ما وما فوقها ايضًا فتصير منها دلتا مثل دلتا النيل

ويظهر لنا مما قرأناهُ عن سدود النيل التي ترى الآن في اعاليهِ في الفرع المسمَّى بحر الجبل ان سدودًا مثل هذه كان لها اليد الطولى في جمع الرواسب في وادي النيل وتكوين ارض مصر كلها وانهُ اذا تركت هذه السدود الآن في اعالي النيل فلا يبعد ان تسدَّ اكثر فروعهِ الباقية

هناك فيسيح الماء على السهول الفسيحة التي حولها فتمسي بحيرات ومستنقعات يتبخر ماؤها من شدة الحر فيقل الماء الوارد الى مصر ويتغير اقليم بلاد السودان ولذلك فلا بدَّ من ان تتعاون حكومة مصر وحكومة السودان على نزع هذه السدود ومنع تكوُّنها قبلما بعمل عمل آخر في وادي النيل لانها حاجز في الطريق الملاحة ولانهُ يخشى من ان تضرَّ بالري وبلاد الجزيرة كلها

وتبتدئ السدود الآن في بحر الجبل على ٤٣٥ ميلاً من الخرطوم وتمتد جنوباً ٢٥٠ ميلاً فتكون على ٧٥٠ ميلاً من البحيرات الاستوائيَّة التي تجتمع فيها مياه الامطار وتغذي نيل مصر بواسطة بحر الجبل المشار اليهِ . وكان هذا البحر خالياً من السدود قبل سنة ١٨٦٣ فكانت السفن تسير فيهِ من غير عائق ولكن تلك السنة جرف الماء كثيراً من النباتات فانسدَّ بها مجراهُ ولم يفتح الاَّ بعد عناء شديد . ثم عاد في السنوات التالية وبقي خطبهُ يتفاقم الى سنة ١٨٧٨ فكان ماء الفيضان غزيرًا جدًّا تلك السنة فدفع السدود امامهُ ووسَّع نطاقها فاقتضى نزعها عمل سنتين وقد تكوَّن منها عشرون سدًّا بين كير وبحر العرب . وظلَّت السدود تتكوَّن سنة بعد أُخرى بين زيادة ونقصان الى غرَّة هذا القرن فاهتمت الحكومة المصريَّة بازالتها عملاً بقول السر وليم ولكوكس وذهب السر وليم غارستن وكيل نظارة الاشغال العموميَّة الى هناك سنة ١٩٠٠ لينظر في امرها فانحصرت سفينتهُ بينها ثلاثة ايام متوالية في بحر الجبل

وسبب السد ثلاثة انواع من النبات اهمها نبات البردي الذي كان المصريون الاقدمون يصنعون قرطاسهم منهُ فانهُ يطول هناك ويغلظ حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو عشر اقدام وغلظ ساقهِ غلظ الساعد ويكون كثيفًا جدًّا في نموهِ حتى يتعذَّر على الانسان ان يمرَّ بين سوقهِ القائمة . ويتلوهُ نوع من القصب يسمى ام صوف وهو غليظ السوق صلبها. والنبات الثالث تتشعب اغصانهُ بين سوقهما فتكون واياها كالسدى واللحمة في الثوب الصفيق لاسيما وان في هذا النبات شوكًا يمسك سوق البردي وام صوف ويزيدها التحامًا

ويحدث السد في بلاد الهند ويبلغ طولهُ احيانًا مئة ميل في مثلها عرضًا ولكنهُ لا ينمو الاَّ حيث يكون الماء راكدًا او بطيء الجري جدًّا فاذا اندفع الى اماكن مياهها سريعة السير تمزق وضاع فيها بسبب اتساعها العظيم. اما سدود النيل فتدخل مجراهُ قطعًا ولكن الرياح التي ترافق الفيضان تدفعها وتجمعها بعضها مع بعض فتكوّن منها سدًّا كبيرًا

وكأن الاحتلال الانكليزي لهذا القطر وزوال حكم الدراويش من السودان جاءا في وقتهما من حيث الاهتمام بامر النيل لازالة السدود منهُ والاَّ فلو تركت تتراكم سنة بعد أُخرى لتفاقم شرُّها ووقع بالقطر المصري منها ضرر لا يقدَّر

منزلة الشعر من التاريخ

١٣

اسباب المعاش عند العرب

١ً الغزو

اما اسباب المعاش عند العرب فمنها الغزو وشن الغارات فلا يزالون ينهَبون ويُنهَبون . قال عروة بن الورد العبسي

خاطرْ بنفسك كي تصيب غنيمةً ان القعود مع العيال قبيحُ
المال فيهِ مهابة وتجلَّة والفقر فيهِ ذلَّة وفضوحُ

يريد بالمال الابل والشاء والخيل والحبوب فان العرب كانت تعتبرها مالاً بدليل قول سالم ابن قحطان العنبري

فلم أرَ مثل الابل مالاً لمقتنٍ ولا مثل ايام الحقوق لها سُبلا

وقول لقيط بن يعمر الايادي في خطاب لقومهِ

لا تثمروا المال للاعداء انهمُ ان يظهروا يحنوكم والتلاد معا
هيهات لا مال من زرع ولا ابِل يُرجَى لغابركم ان أُنفكُم جُدِعا

ولنعد الى الكلام عن الغزو فمما يستشهد بهِ على اتخاذهِ ذريعة للاعتياش قول عروة ايضاً

ذريني اطوِّف في البلاد لعلّني اخليك اواغنيك عن سوء محضري

وقول قيس بن حصين بن يزيد الحارثي

أكلَّ عام نَعَم تحوونهُ يلقحهُ قوم وتنتجونهُ

وكانت الغزاة لا يلازمون للغزو جهة واحدة بدليل قول عروة

فيوماً على نجد وغارات اهلها ويوماً بارض ذات شث وعرعرِ (١)

٢ً الاتجار

ومن اسباب المعاش عندهم الاتجار قال الاسود بن يعفر

حتى تناولها صهباء صافية يرشو التجار عليها والتراجيا

وهذا دليل ان العرب كانوا يخالطون سواهم من الامم ويقصدونهم الى بلادهم فيبيعونهم

---

(١) الشث شجر والعرعر شجر آخر هو السرو

ويبتاعون منهم ويحتاجون الى التراجم للتفاهم بين الفريقين . وقد جاء النصُّ بالتجارة صريحاً في قول لبيد بن ربيعة العامري

حسبت التقى والجود خير تجارة   رباحاً اذا ما المرء اصبح ثاقلا (٢)

وكانت تجارتهم في الماشية والملابس والخمر والسلاح والحبوب والرقيق. وقد سبق لنا ايراد الشواهد المحققة انهم كانوا يستجلبون بعض ملابسهم من انطاكية ومصر وفارس فضلاً عمّا كان ينسج في اليمن والعراق من الوصائل والبرود

واما الخمر فمنها ما كانوا يجتلبونهُ من اندرين . قال عمرو بن كلثوم التغلبي

ألاَ هبي بصحنكِ فاصبحينا   ولا تبقي خمور الاندرينا

واندرين لم تزل آهلة حتى الآن وموقعها في لواء مرعش من ولاية حلب وهي الآن قصبة قضاء يُعرَف باسمها . ومنها ما كان يجتلب من بصرى وهي قرية من حوران قال النابغة الذبياني

كأن مشعشعاً من خمر بصرى   نمتهُ البخت مشدود الختامِ

نمين قلالهُ من بيت راسٍ   الى لقمانَ في سوق مقامِ

وهذا القول يدل على انهُ كان للخمرة سوق مخصصة بها

ومنها ما يستجلب من بيسان قال حسان بن ثابت

من خمر بيسان تخيّرتها   درياقة توشك فتر العظامْ

ومنها ما يستجلب من بابل قال الاعشى

وسبيئة مما تعتق بابل   كدم الذبيح سلبتها جريالها (٣)

وقال عبيد بن الابرص

ظلتُ بها كانني شارب   صهباء مما عتقت بابلُ

ومنها ما كان يجتلب من الخص وهي بلد في الشام قال امرؤُ القيس

كأنَّ التجار اصعدوا بسبيئة   من الخص حتى انزلوها على يسر (٤)

ومنها ما كان يجتلب من شبام وهو موضع بالشام ومنهُ ما كان يجتلب من عانة وهي قرية على الفرات فوق هيت التي ذكرها المعري في قولهِ "هات الحديث عن الزوراء او هيتا" قال امرؤُ القيس

انف كلون دم الغزال معتق   من خمر عانة او كروم شبامِ

ومن اذرعات وهي قرية في حوران ووادي جَدَر وهي موضع بالشام قال ابو ذؤيب

(٢) ثقل المريض اذا اشتد مرضه (٣) السبيئة الخمرة (٤) بلد في اليمن قطنه امرؤُ القيس

فما ان رحيق سبتها التجا رُ من اذرعات فوادي جَدَر

اما للبيع فكانوا يقصدون مكة واسواقًا يقيمونها لهذه الغاية . ومن الادلة على ذلك قول مخلب الهلالي

وجدتُ لها وجْد الذي ضل نضوهُ بمكة يوماً والرفاق نزولُ[٥]

الى ان يقول

فبيناهُ يشري رحلهُ قال قائل لمن جمل رخو الملاط ذلولُ[٦]

وقال قيس بن زهير ملك بني عبس

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت قلوص بني زيادِ[٧]

ومحبسها على القرشيّ تشرى بادراع واسياف حدادِ

وفي قولهِ دليل اشتراء السلاح بالابل في مكة لأن بني قريش هم سكّان مكة .
وقال النابغة الذبياني

كادت تساقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تحسس بهِ نغما[٨]

من صوت حرمية قال وقد ظعنوا هل في مخفكم من يشتري أَدما[٩]

قلتُ لها وهي تسعى تحت لبّتها لاتحطمنّك ِان البين قد رزما[١٠]

باتت ثلاث ليالٍ ثم واحدة بذي المجاز تراعي منزلاً زيما[١]

فدلّ قولهُ على ان ذا المجاز موضع للبيع بقرب مكة وان العرب كانوا يقيمون سوقهُ اربعة ايام متواصلة

وكانوا يأتون بالبضائع ضمن نطع من جلد ذي سيور تحزم بهِ قال النابغة الذبياني

على ظهر مِبناة جديد سيورها يطيف بها وسط اللطيمة بائعُ[٢]

واللطيمة سوق على ما ذهب اليهِ ابو عمرو كذا في شرح ديوان النابغة . واما لسان العرب فينسب هذا القول الى الليث . وقال ثعلب انهُ انشد ابن الاعرابي لعاهان بن كعب بن عمرو ابن سعد قولهُ

اذا اصطكت بضيق حَجْرتاها تلاقى العسجديةُ واللطيمُ

---

(٥) المهزول من الابل (٦) الملاط جانبا السنام و يشري يبيع (٧) القلوص من الابل الشامية
(٨) الميثرة السرج وذو المجاز احد مواسم العرب الخمسة وهي ذو المجاز والجنة ومنى وعكاظ وحنين
(٩) حرمية منسوبة الى الحرم والادم الجلد (١٠) اللبة الصدر (١) زيمًا اي ذا فرق
(٢) المبناة النطع وهو بساط من جلد

فقال : العسجدية ابل منسوبة الي سوقٍ يكون فيها العسجد . فاذن كان للذهب سوقٌ يباع بها على رؤوس الاشهاد وكذلك كان للطيمة

ويمكننا الاستدلال على شأن التجارة عند العرب من ماجرياتهم التجارية فمن ذلك (الاستبضاع) من ارضٍ الى اخرى قال خارجة بن ضرار المري

وانك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا

(والمداينة) قال عنترة العبسي

اذا خصمي تقاضاني بدَينٍ وفيتُ الدينَ بالرمح الرديني

واوضح من ذلك ما جاء في شعر ابي ذؤيب الهذلي وهو قولهُ

ادان وأنباهُ الأوَّلون بأنَّ المدين مليٌّ وفيٌّ

وقال معن بن أوس

اخذتُ بعين المال حتى نهكتهُ وبالدين حتى ما اكادُ أُدانُ

وحتى سألتُ القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلانُ

وقالت امرأة ابن مية وهو جار للزبرقان قتل في جوارهِ

اجيران ابن ميَّة اخبروني أعينٌ لابن مية ام ضمارُ

والعين النقد والضمار الدين الذي لا يرجَى وفاؤهُ . وقال الراعي

وأنضاء أُنخنَ الى سعيد طروقًا ثم عجَّلن ابتكارا

حمدنَ مزارهُ فأصبنَ منهُ عطاء لم يكن عدةً ضمارا

(والاستقالة) وهي الرجوع في المبيع قال بعض عوف بن سعد "بيع امرىءٍ ليس بمستقيل"

(والدلالة) قال عنترة العبسي

حصاني كان دلاَّل المنايا نخاض غبارها وشرى وباعا

(والتقسيط) وهو دفع الاثمان قسوطًا في اوقات معينة ويسمَّى التنجيم ايضًا قال زهير بن ابي سلمى المزني

تعفَّى الكلام بالمئين فاصبحت ينجّمها من ليس فيها بمجرمِ

ينجمها قوم لقوم غرامةً ولم يهرقوا ما بينهم ملء محجمِ

(والرهن) قال زهير بن ابي سلمى

وفارقتك برهنٍ لا فكاك لهُ يوم الوداعِ فامسى رهنها غلقا

وقال قعنب بن ام صاحب

بانت سليمى فامسى دونها عدنُ وغلقت عندها من قلبك الرُّهُنُ

واستعمالهم (الوزن والمكايلة) دليل اتجارهم بالحبوب وسواها قال زهير بن ابي سلمى

لو يعدلون بوزن اومكايلة مالوا برضوى ولم يعدل بهم أحدُ

وقال الاخطل التغلبي

واذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزانِ

ولا يخفى ان بعض لجان البلديات في عصرنا الحاضر تضع مكساً على ما يؤتى بهِ الى الاسواق ليباع والحكومات ايضاً تضع مكساً على ما يرد اليها من الخارج اوما تنشئهُ معاملها وكأني بملوك العراق قد ادركوا ذلك فضربوا على الاسواق اتاوة كانوا يتقاضونها من المتبايعين بواسطة اتباع لهم قال جابر بن حني الثعلبي

افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كلّ ما باع امرؤٌ مكسُ درهمِ

الا ينتهي عنا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوءِ الدمُ بالدمِ

تعاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرَّمِ (٣)

ولم تكتفِ الملوك بوضع الاتاوة على الاسواق فقد وضعوها على المراعي قال خراش ابن زهير

فاني دليل غير معطٍ اتاوة على نعم ترعى حوالاً وأجربا (٤)

٣ القيام على الماشية

ومن معايش العرب القيام على الماشية كالابل والشاه والماعز قال امرؤ القيس في المعزى

ألا إلاَّ تكن ابلاً فمعزى كأنَّ قرون جلتها عصيُّ

فتملأ بيتنا اقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وريُّ

والاقط مثلث الاول الجبن المتخذ من اللبن الحامض . وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في الابل

فما ابقت الايام ممالـــ عندنا سوى جذم اذواد محذقة النسلِ (٥)

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

---

(٣) ما قصدوا ما عدلوا . وفي البيت إخلال بحذفو ما يجب اثباتهُ لتمام المعنى اي وليس علينا قتلهم بمحرم اذا لم يقصدوا بنا فهو من هذا الباب كقول الحارث بن حلزة اليشكري

والعيش خير في ظلا لِ الجهلِ من عاش كدّا

اي عاش كدّاً في ظلال العقل (٤) حوالاً واجرب محلاّن

(٥) ممال اي من المال وجذم الشيء اصلهُ والاذواد جمع ذود من ثلاث الى الثلاثين

وفي البيت الثاني شاهد على بحث آخر وهو ان قبائل البدو كانوا يستجلبون الحبوب من الحضريين . قال المتلمس

آليتَ حبَّ العراق الدهرَ اطعمهُ والحبُّ يأكلهُ في القرية السوسُ (٦)

لم تدرِ بصرى بما آليت من قسمٍ ولادمشق اذا ديس الكراديس (٧)

والبيتان في خطاب عمرو بن هند احد ملوك اللخميين (المناذرة) وكان عمرو قد اقسم انهُ لا يدع المتلمس يذوق حب العراق اي قمح العراق . فاخبرهُ الشاعر عن قمح حوران وقمح دمشق . ومن هنا نستنتج ان البدو كانوا يجلبون القمح من القطرين العراقي والشامي

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول : لم يكن كل العرب في غنى وسعة فيقتنوا الاماء والعبيد لخدمة البيوت والماشية فكان بعضهم يخدمون انفسهم وبعضهم يستخدمون وبعضهم يخدمون سواهم من ذوي السعة . قال الفرزدق يذكر جريرًا باستخدام انسبائهِ عند ابائهِ (اي اباء الفرزدق)

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

وقال سليك بن سلكه

اشاب الرأس مني كل يوم ارى لي خالة وسط الرحالِ

يشقُّ عليَّ ان يلقين ضيمًا ويقصر عن تخلُّصهنَّ مالي

وقال الاخطل يذكر جريرًا برعيهِ الشاء

فانعقْ بضأنك يا جرير فانما منَّتك نفسك في الخلاء ضلالا

٤ً الصنائع

ومن اسباب المعاش عندهم احتراف الصنائع ولم يكن ذلك مما يمدحونهُ فان اشرافهم كانوا لا يرون مهنة الاَّ الغزو والسلب والنكاية بالعدو او الاقتصاص منهُ كما صرَّح دريد بن الصمَّة في قولهِ

يُغار علينا واترين فيشتفى بنا ان أُصبنا او نغير على وترِ

بذاك قسمنا الدهرَ شطرين بيننا فما ينقضي الاَّ ونحن على شطرِ

اي انهم تارة يغيرون وطورًا يغار عليهم فما يتفرَّغون من الغزو الاَّ لدفع العدو

ولكن قد ورد في الشعر ما دلَّ على ان بعضهم كانوا يمتهنون الحرف فمن حرفهم (النساجة) ودليلنا ما ذكرهُ ذو الاصبع العدواني

---

(٦) اطعمه اي لا اطعمه والمراد بالحب هنا البرّ اي القمح

(٧) الكراديس جمع كردوس وهي القطعة العظيمة

يرى يرفل في بردين من ابراد نجرانا

وكان العراقيون معروفين بالنساجة كما اوردنا لربيعة بن مقروم

على الاحداج واستشعرن ريطاً عراقياً وقسياً مصونا

وكما قال عمرو بن كلثوم التغلبي «مَن بالخورنق من قين ونسَّاجِ»

واشار دريد بن الصمة الى صناعة الحياكة بقوله

فجئت اليه والرماح تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممدَّدِ (٨)

وكانت النساء ايضاً يشتغلن بالنساجة وقد ورد في شواهد لسان العرب

وعليهِ الحمي نسجهُ من نسج هورمْ

غزلتهُ ام حلى كلَّ يوم وزن درهم

وقال سحيم عبد بني الحسحاس

فاصبحت الثيران غرقى واصبحت نساء تميم يلتقطن الصياصيا

فقد ذهب الى ان رجال تميم نسَّاجون فنساؤهم يلتقطن لهم الصياصي ليحفزوا بها الغزل. ولم تكن الحياكة مقتصرة على الملابس فقد اشتهرت الحيرة بحياكة الطنافس وطنافسها تسمَّى رحالاً قال الاعشى

ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليهِ برودها ورحالها (٩)

وقد سفُّوا (١٠) خوص بعض الاشجار كالدوم قال تميم بن مقبل

اذا الامعز المحزوُّ آض كأنهُ من الحرّ في حد الظهيرة مِسْطَحُ (١)

اما نساؤهم فكنَّ ينسجن البرود كما تقدم الشاهد. والنمارق والبسط قال ذو الرمَّة

وبالروض مكنان كأن حديقهُ زرابيُّ وشَّتها اكفُّ الصوانعِ (٢)

والحصر. قال النابغة الذبياني

كأنَّ مجرَّ الرامسات ذيولها عليهِ حصير نمَّقتهُ الصوانعُ

وكنَّ يغزلن الصوف. قال النابغة ايضاً

وعرِّيتُ من مال وخير جمعتهُ كما عرِّيت مما تمرُّ المغازلُ

---

(٨) الصياصي جمع صيصة وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السدى

(٩) الرحل الطنافس الحيرية (١٠) سفوا نسجوا. الخوص ورق بعض الاشجار

(١) المحزو المزجور آض آب والمسطح حصير يسف من خوص الدوم

(٢) المكنان من بقول الربيع الزرابي جمع زربية وهي الطنفسة الخملة او البساط الفاخر والبساط قد يكون من ورق السمر

ومن حرفهم (الصباغة) قال الاعشى

بكأس وابريق كأنَّ شرابها اذا صبَّ في المسحاة خالط بقَّما [٣]

والبقَّم صباغ معروف وهو العندم . وقال العجاج

بطعنة نجلاء فيها ألمهْ يجيش ما بين تراقيهِ دمهْ كمرجل الصبَّاغ جاش بقمهْ

ومن حرفهم (الدباغة) قال ذو الرمَّة

ما بال عينيك منها الدمع ينسكبُ كأنهُ من كلى مغرية سربُ

وفراء غرفية اثأى خوارزها مشلشل ضيَّعتهُ بينها الكتبُ

والمغرية المزادة والوفراء الضخمة والغرفية المدبوغة بالغرف . قال ابو عمرو هو الارطى مع التمر والملح يُدبَغ بهِ. وكان لهم بالجلود عناية واشتغال فضلاً عن الدباغة قال القطامي

ولكنَّ الاديم اذا تفرى بلى وتعيُّباً غلب الصناعا [٤]

ومن حرفهم (النجارة) وقد ذكر الراعي عمل الهوادج بقولهِ

يخيَّلن من أثل الوريعة وانتحى لها القينُ يعقوب بفأسٍ ومبرَدِ [٥]

وقد نسب امرؤُ القيس الى حميرَ عمل الحقاق (وهي اوعية من خشب) حيث قال

وريح سنا في حُقة حِميَرية تخص بمفروك من المسك اذفرا

وكانوا يتخذون التروس من الخشب قال النابغة الجعدي

لُطِمنَ بترس شديد الصفا ق من خشب الجوز لم يُثقَبِ

وهذا دليل اشتغالهم بالنجارة . وجاء ذكر بعض ادوات النجارة في شعرهم قال خداش بن زهير

يحدون اقرانهم في كل معتركٍ طعناً وضرباً كشق بالمناشير

ومن حرفهم (الحدادة) قال عمرو بن كلثوم التغلبي

اذ لا ترجي سليمى ان يكون لها من بالخورنق من قينٍ ونسَّاجِ

وقال النابغة الذبياني في صفة ثور وحشي

مولي الريح رَوقيهِ وجبهتهُ كالهيرقي تنحى ينفخ الفحما [٦]

والهيرقي الحداد وادلّ من ذلك قولهُ

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائلِ [٧]

---

(٣) كذا رواية البيت في معجم لسان العرب مادة بقم وقد فسر المسحاة بالجرفة من حديد

(٤) تفرى انشق . الصناع الحاذق في الصنعة (٥) الوريعة محل . القين الحداد ويطلق ايضاً على كل صانع وهو هنا من ذلك (٦) روقيه قرنيه (٧) النثلة الدرع

والقمصاء الدرع والذائل ذو الذيل (وقمصاء ذائل على الاضافة) فنسبة نسج الدرع الى سليم دلالة على انهم يعرفون الحدادة . ولنا من هنا ان نستخلص ان الثلثة الصموت وهي الدرع المسبوكة وان القمصاء ذات الحلق كما يقرر ذلك المعجم. واحتراف عمل الاولى كان معروفًا في اليمن واحتراف عمل الثانية كان في بني سليم. واشار امية بن خلف الى معرفة اليمنيين بالحدادة في قولهِ

يمانيًا يظل يشد كيرًا وينفخ دائمًا لهب الشواظِ

وذكر لسان العرب ان ابن الكلبي قال . " اول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة وكان حدادًا نُسب اليهِ الحداد فقيل الهالكيُّ ولذلك قيل لبني اسد القيون وقال لبيد

جُنوحَ الهالكي على يديهِ مكبًا يجتلي نُقَبَ النصالِ "

والسيوف المشرفية منسوبة الى مشارف قرى من ارض اليمن تعمل اهلها السيوف

ومن صنائعهم (استخراج المعادن) وقد جاء في تفسير قول عمرو بن قعاس المرادي

الا رجلاً جزاهُ الله خيرًا يدلُّ على محصلة تبيتُ [٨]

ان المحصلة هي التي تحصل تراب المعادن . والتحصيل هو استخراج الذهب من حجر المعدن . وقال ربيعة بن مقروم

هجان الحيّ كالذهب المصفّى صبيحة ديمةٍ يجنيهِ جانِ

قال شارح ديوان الحماسة عند تفسيرهِ هذا البيت : ان معدن الذهب بناحية اليمن اذا اشتد المطر عليهِ جلاهُ فصار لهُ بريق يُرى من بعيد وسهل على ملتمسهِ لقطهُ

ومن صنائعهم (الغياصة) وقد وصف الاعشى الغوص بقصيدة طويلة تعدُّ من بدائع نظمهِ منها

كجمانة البحريِّ جاء بها غواصُها من لجة البحرِ

نصف النهار الماء غامرهُ ورفيقهُ بالغيب لا يدري

وهذه الحرفة لا تكون الاَّ لأمة تركب البحار والامة العربيَّة قد استعملت السفن بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا كذاك البحر نملاهُ سفينا

امين ظاهر خير الله

---

(٨) من شك في البيت فليراجع الصفحة ٤٦٠ من الجزء الاول من كتاب خزانة الادب للبغدادي وصفحة ٦٦ من حاشية الامير على الجزء الاول من مغني اللبيب

ناموس النشوء في تقدم العمران

قد انتهى بنا الكلام الى النظر العام في ناموس التقدم الاجتماعي على ما استخرجناهُ من مجرى الوقائع التاريخيَّة وايدتهُ حقائق علم الحياة . وقد ظهر لنا في خلال البحث صحة القضيَّة السابقة وهي ان التقدم في كلا الدائرتين الاجتماعية والحيوية جارٍ على طريقة التلاؤم والتوازُن بين الحالة الداخلية وبين المحيط . فتعيَّن علينا بعد ذلك النظر الخاصّ في مسألتين الاولى وجوه المطابقة والمشابهة بين النشوئين الاجتماعي والحيوي والثانية الوجوه التي يختلفان فيها

اولاً ان النشوئين كليهما يتفقان في ناموس النشوء الكوني الشامل الذي استخرجهُ الفيلسوف سبنسر وهو ان التقدُّم يقوم بادئ ذي بدء بامرين وهما اجتماع طوائف قليلة بسيطة التركيب وانضمامها قبائل اوسع حدوداً واكثر تركبًا في وظائفها وعلائقها ثم التدرُّج في زوال المبادىء الاخلاقية المائلة الى التفرُّق والانفصال مع تغلُّب المبادىء الآيلة الى الانضمام والتلاحم

ثانيًا ان النشوئين كليهما يشتركان في ان ارتقاء البسيط الى المركب يقوم بالتقدم من الصور المتماثلة المطلقة الحدود الى الصور المختلفة المحددة البناء والوظيفة

وقد اوضح ذلك العلاَّمة السر هنري ماين في بحثهِ الاجتماعي بقولهِ ان العائلة في ازمان التاريخ الاولى كانت هي مركز العقد الاجتماعي لا الفرد كما هي اليوم . فكان كبير كل عائلة في منزلة ملك مستقل على وجه بسيط يجمع في شخصهِ وظائف الملك والكاهن والقاضي ومجلس القضاء . ومع ذلك لم يكن ممتازًا عن اولادهِ وزوجاتهِ واخوتهِ الذين هم رعيتهُ في القيام باعمال المعاش كالحفر والنجارة والنحاتة وما شاكل ذلك . كذلك كان حال الصناعة في امر البساطة والتماثل . ففي القبيلة المتوحشة كانت دوائر الاعمال ضيقة الحدود بحيث كان الفرد يقوم بنفسهِ بكثيرٍ من الصنائع . فكان كل رجل قصابًا وخبَّازًا وخياطًا ونجارًا وحدادًا . ثم في صعود العشيرة في سلَّم التقدم اخذت الاعمال بالتوزُّع فالتنوُّع فالاستقلال فالاستكمال . فانهُ يظهر لكلِ ذي المام من طلبة التاريخ انهُ مع تقدم التمدُّن لم يكن اختلاف الاعمال مقصورًا على امر توزُّعها بين العمَّال الكثيرين بل كان شاملاً لطرق العمل واساليبهِ وادواتهِ . ويتضح من المقابلة بين ادوات القرون الوسطى وآلات العصور الحديثة ان الفارق العام بين الفريقين انما هو التقدم باختلاف الانواع والاشكال والصور وتعيُّن الحدود الفاصلة بين المتماثلات . فكل من عارض الآلة البخاريَّة العصرية بالبكرات والبراغي والاعتال وما شاكلها على ما كانت عليهِ لالف عام تبيَّن لهُ ان تجدُّد الاغراض والحاجات الى مصنوعات جديدة انشأ الاختلافات في اسلوب الصناعة

وادواتها. ولا تبرح هذه الاختلافات وتلك الحاجات المتعاقبة رهينة الظهور والتجدُّد يوماً بعد يوم الى ان تبلغ الحضارة اوجها الاعلى ان قُدِّر لها هذا البلوغ

واسلوب هذا التقدم يتجلى ايضاً في تفرُّع دوائر الاحكام والقضاء وتنوُّعها . فلنا من لسان التاريخ اصرح بيان انهُ حين حصول تنوُّع في حكم القبيل كانت بعض العيال ترتقي منفردةً بالسلطة والسيادة وغيرها ينحطُّ الى طبقة السوقة والرعيَّة. ثم كان الترقي السياسي يصعد متدرجاً من انضمام العيال قبائل الى تكوُّن القبائل المتجاورة شعباً الى اتحاد الشعوب المتناسبة وانضوائها تحت لواء واحد سياسي على ما يشاهد في الايام المتأخرة . ويتلو هذا التقدُّم السياسي التقدم القضائي فقد انقسمت الهيئة الحاكمة اولاً الى سلطة زمنيَّة وسلطة روحيَّة وبجانب كل من هذين القسمين كان ينشأ على وجهٍ غير محسوس سلطة ثالثة تتولى النظر في الامور الاهلية والاجتماعيَّة مما لا تقلُّ اهميتهُ عن تلك وان قلَّت عنها في احكام النظام واجراء القضاء

ثم نرى التقدم واضحاً ايضاً في تنوع الاحكام الدينية والمدنيَّة من المقابلة بين الكهنوت التاريخي القديم وبين الكهنوت في القرون الوسطى بما حدث في هذا الاخير من وفرة تفرُّع الوظائف وتوزعها . وكذا قُل في ما نشأ من انقسام الاحكام الزمنيَّة الى دوائر تشريعية وتنفيذيَّة وقضائية . وانقسام كل من هذه الاقسام الاصلية الى اقسام فرعية يطول بيانها . وحاصل القول ان التقدم الاجتماعي في امور الاحكام لم يحِدْ عن حدّ الناموس العامّ اي تفرُّع فتنوُّع فاستقلال فاستكمال. او نشوءٌ من بسيط متماثل الصور متداخل الحدود الى مركَّب مختلف الاشكال متميز الحدود

ثم ان اسلوب الارتقاء الاجتماعي لا ينحصر في ما ذكر من امر التفرُّع والتنوُّع وتكامل الانواع بل انهُ بينما هو يسير على هذا السبيل يزداد معهُ استعداد الامة لمطابقة الحاجات الطارئة القاضية عليها بدوام التقدم والارتقاء . وهذه المطابقة تشاهد في ارتقاء الامة العلمي والفكري والادبي كما يرى في دوائر الزراعة والصناعة والتجارة . فان عقليات الامة ومدركاتها تلاحق مقتضيات احوالها الخارجية خطوةً خطوةً وكذلك التقدم الادبي في اسمى درجاتهِ فانهُ ليس الاَّ مطابقة رغائب الفرد لمطالب الصادرة من رغائب افراد جيرتهِ وقبيلتهِ الناشئة مع رغائبهِ المشاركة لها في زمان الوجود

من هذه الوجوه رأينا تمام الوفاق بين تقدم الاجتماع وارتقاء الاحياء الى حدٍّ كان خافياً على قدماء الباحثين في المقابلة بين القبيلين من زمن افلاطون الى عهدٍ غير بعيد فنتقدم الآن الى مزيد البيان في العلاقة بين الامة والمحيط مما يلذُّ دارس التاريخ لذةً لم ينلها في سرد

الوقائع ويلقي في تفسيرها نورًا لم تكتحل عيناهُ بمرآهُ في اسفار الاخبار

قد رأينا ان اسلوب التقدم ذو وجهين وهما اشتقاق الانواع من الاجناس البسيطة واستعدادها لمطابقة المحيط المرتقي ويعبّر عنهما بقولنا ان تنوّع احوال المحيط هو علة التقدم الاجتماعي ومقياسهُ . ومن ذلك يُستدلُّ على زيادة السرعة في تقدُّم التمدن الحديث عليها في القديم . قال السر تشارلس ليل " انَّا نرى في ايامنا ان معدَّل التقدُّم في الصنائع والفنون يزيد بزيادة المعارف على نسبة هندسية . وكذلك اذا رجعنا القهقرى تاريخيًّا نرى معدَّل التأخر على تلك النسبة ايضًا . فالتقدم في اثناء الف سنة في الازمنة السالفة يقابل تقدم قرنٍ واحدٍ من القرون الحديثة .... "

وبيانهُ انهُ كلما ارتقى الحيّ في كثرة انواعهِ وتفرُّع وظائفها قوي استعدادهُ لموازنة المحيط المرتقي وازداد معدَّل سرعتهِ فيها . وتاريخ التقدُّم الاجتماعي ينطبق على هذه القاعدة كل الانطباق . ففي اوائل التاريخ البشري كان محيطهُ على شدة البساطة لبساطة الحالة السياسيَّة . ولما كان تمازج الشعوب على قلتهِ في هاتيك الازمان لم يكن اقتباس العوائد والافكار المتبادل الَّا قليلاً . فكان شوط التقدم لذلك على اشدّ البسط . ولكنهُ لما تكاثر التنوُّع في محيط الامم الحديثة اسرع معدَّل لحاقها لهذا المحيط حفظاً للتوازن السابق الذكر . فاليوناني القديم مثلاً لم يكن مديونًا في تقدمهِ لاختراع في بلاد الصين ولا استفادت فلسفتهُ شيئًا من افكار اهل الهند واما في هذه الازمنة المتأخرة فلا يكاد حادث ما يحدث في طرفٍ من اطراف المعمور حتى يذيع امرهُ ويلحق صداهُ سائر الاطراف ويؤثر في محيطاتها الاجتماعية . ولذا نرى الآن ان محيط اوربا الماديّ الحديث ممتد التأثير الى قسم عظيم من الارض . واما محيطها الاخلاقي فاوسع انتشارًا وامتدادًا حتى يوشك ان لا يُعرف لهُ حدٌّ يوقف عندهُ . وكذلك ارتقاء محيطها هي (اي اوربا) لا يخلو من كونهِ مديونًا لحدثات محيط اميركا المتعددة الجهات بل ان كثيرًا من المقاصد والتدابير التي يعزم الاوربي على اتخاذها للاعوام المستقبلة مبنيَّة على تأثير المحيط السابق لقرون عديدة . وعلى هذا الوجه يوضح التأثير العجيب الناشيء عن الحوادث التاريخيَّة السالفة في ارتقاء التمدُّن بواسطة تمازج الأُمم المتباعدة البقاع المتباينة الاخلاق والطباع . وحسبنا شاهدًا على ذلك حروب الاسكندر وامتداد المملكة الرومانيَّة والفتح الاسلامي والحروب الصليبيَّة وسفرات كولمبس ومجلاَّن ودي غاما . ومما يلحق بذلك اختراع الطباعة وسرعة تواصل الافكار والآراء بازدياد سرعة المواصلات وما نشأ عن ذلك من ارتقاء المدنيَّة والحضارة بفضل الكهربائيَّة والبخار

قد ثبت لنا من تطبيق ما مرَّ من المبادئ المستخرجة على مجرى الحوادث التاريخيَّة العامّ امران الاول ان تنوُّع المحيط الاجتماعي هو الباعث على ملاحقة الامة لهُ في الاخلاقيات والعقليات . والثاني ان علة تنوع هذا المحيط هي ازدياد الاختلاط والامتزاج بين الأمم التي كان شأنها الافتراق والانفراد . وذلك يمهّد لنا السبيل لشيء من التفصيل في اسلوب الازدياد في هذا الاختلاط المتبادل مبنيٌّ على المشابهة بين حياة الاحياء وحياة الاجتماع . وهذه المشابهة بين الحياتين هي الضالَّة المنشودة والغرض الاقصى الذي نرمي اليهِ في هذا البحث

اول امرٍ تنبغي ملاحظتهُ في هذا الشأن هو ان الاحياء الدنيا او ما يليها ليست الاَّ حُوَيصلات بسيطة فقد اوضح اهل العلم من تشريح المقابلة ان التقدم التشريحي في مملكتي الحيوان والنبات يقوم اولاً بانضمام هذه الحويصلات البسيطة الى مجتمعات اعلى بناء وتركيباً

وهذه القاعدة هي نفس ما يثبت تاريخ التقدُّم الاجتماعي بلا تخلفٍ ولا شذوذ . واوضح دليل عليهِ ما ثبت للسر هنري ماين في ابحاثهِ عن آراء القدماء في المُلك وصكوك المبايعات وحجج الوصيَّة المتوارثة وشرائع العقاب قال

"لم تكن الامة في قديم العصور كما هي اليوم اي عبارةً عن آحاد مستقلَّة الحقوق الشخصية انما كانت في حقيقة الامر مجموعاتٍ من العيال . واذا رمنا التحقيق في ايضاح الفرق عبَّرنا عنهُ بقولنا ان فرد ذلك المجموع كان عند الامم القديمة العائلة وهو اليوم الشخص الواحد . وفوق ذلك فان حكومة العائلة لم تكن تحظر استقلال الفرد فقط بحقوقهِ الشخصية بل كانت تمنع ايضاً سيادة الجمهور . فالحكم الوحيد كان رئيس العائلة وسيّدها . وبعد ان خطا العمران بعض الخطوات جعلت العيال المتجانسة نسباً تتحد فتصير قبائل او عشائر اذ لم تكن الجامعة لذلك العهد سوى القرابة الدمويَّة . ثم لما تجاوز العمران هذه المرحلة اتَّسع نطاق هذه الرابطة فاخذ أدعياء هذه القربى ينضمون الى العشيرة بما كانوا يدَّعون من اتصال النسب بسالف الاجداد . وان المطالع ليجد أمثلةً لهذه الحال الاجتماعيَّة في انحاء مختلفةٍ من الارض ولا يزال يشاهدها في القبائل المتوحشة الباقية الى هذا العهد"

فمن هذا يظهر ان اسلوب النموّ والتكامل واحد جوهريًّا في ارتقاء الاحياء وتقدُّم العمران . فالدرجة الاولى الواضحة في تكوُّن الامم هي انضمام العشيرة او القبيل ويقابلهُ انضمام افراد الحيوانات الدنيا في مجموعات تزيد عنها بخصائص قليلة في البناء والوظيفة . ففي هذه الدرجة لا يبعد التركيب الاجتماعي الاَّ خطوةً واحدةً عن حال الاستبداد والتشويش الذي كان صفةً عامَّةً في حياة المتوحشين . فالتخوُّف والضغائن والاحقاد والمكايد والانتقام كانت خصائص

العلائق المتبادلة بين الناس في الدور الاول لاجتماعهم اي ان روح العداء كانت القاعدة المطردة والسلام شذوذاً عنها وفقاً لما سبق بيانهُ في بعض اقسام هذه المقالة من ان محبة الذات كانت العنصر المفرّق الغالب على المبدإ المقرّب الجامع

واما الدور الثاني في تقدم هذا الاجتماع فكان انضمام القبائل الى شعوب مدنيّة اوسياسيّة وقد طال أمد هذا الدور الاجتماعي ولم تزل آثارهُ في امتي اليونان والرومان حتى محاها التنوّع والعلائق الداخلية وتكاثر الوظائف وتوزعها على ما عملت بما نشأ من تكامل تلك الفروع كما يعهد في شركات الاجيال المتوسطة ويشاهد على اتمهِ في شركات هذا العصر الصناعيّة التي هي من اشهر مميزاتهِ

ثم ارتقت هذه الحال الاجتماعية الى درجةٍ ثالثةٍ وهي اتحاد الشعوب المتقاربة اما سياسيّة ومثالهُ اتحاد الامة الفرنساوية بعد ان كانت مجموع مقاطعاتٍ مستقلة . وهذه الخطوة الثالثة ضرورية في شوط التقدّم الاجتماعي المستمرّ . فقد اشرنا في خلال كلامنا السابق الى ان التعجّل في اطراح مبدإ الاستقلال النوعي واتخاذ مبدإ الحكومة الشعبيّة العامّة قبل اتمام التهيء لهُ كان يقضي على الامم باضطراب الحال . ونزيد هنا شاهداً على ذلك من تاريخ اليونان فانهُ لما حاولت المدن البحريّة ذاك الاتحاد العام تحت رئاسة اثينا لم يتسنَّ لها إبرامهُ بما اعترضهُ من الحروب البيلوبونيسيّة دلالةً على ان مبدأ الحكم الذاتي كان لا يزال الى ذاك العهد مستحكماً في نفوس القبائل وان روح التمدن الجامع للامة لم يكن بعدُ بالغاً طور القوة والنماء وكان اول ما ظهر من آثار هذا الطور في امة الرومان ذلك ان رومية بضمها جميع القبائل المتفرقة على حدود بحر الروم تحت لواء الوطنيّة الجامعة وبمنحها الامتيازات الرومانيّة تمّت لها الغلبة الاخيرة على روح الاستقلال النوعي حتى اخمدت انفاسهُ ولم يستطع بعد ذلك حراكاً

ثم اخذ عنصر الوطنية الجامعة يتدرّج في معارج القوّة والاشتداد بما رافقهُ من تنوّع النمو الداخلي المارّ الذكر حتى بلغ من النماء طوراً كان من اعظم الممهدات في سبيل انتشار الديانة المسيحيّة على ما مرَّ بك . فما لا مشاحة فيهِ ان العقل البشري لم يكن يحلم بامكان انتشار ديانة عامّة بين الامم فضلاً عن الاقدام عليهِ لو لم تكن حال الاجتماع السياسية حينئذٍ قد اذنت بانقضاء مبدإ التفرّق واعدَّت السبيل لدخول مبدإ الانضمام والاتحاد العام تحت لواء الامبراطوريّة . ولو ان المسيحية ظهرت لاربعة قرون قبل ايامها لكانت بمثابة طريقةٍ اصلاحية منحصرة المكان كديانة البوذيين وكان طموحها الى ما وراء ذلك من ضروب العبث والمحال لوقوع دعوتها حينئذٍ على آذان غير مستعدَّة وقلوب غير معدَّة . ولو ان بولس قام قبل عصرهِ

وزار اثينا في ايام افلاطون وديوجنس لما أغنت بلاغتهُ اليونانية ولا قريحتهُ الشرقية فتيلاً .
ولكن مبدأ الوطنية الجامعة الذي خلَّفهُ التمدن الروماني لعهد المسيحية هو الذي اعدَّتهُ العناية
الفائقة سبيلاً لانتشار كلمتها وقدَّمتهُ رائدًا امام دعوتها . فعلى اساس ذاك المبدإ الشريف
أقامت مبدأ الاشتراك العام في الحقوق والواجبات بدلاً من مبدإ الاختصاص والاستئثار
والامتياز الشعبي . وبفضل هذا المبدإ قام على خرائب الوثنية ذاك النظام الديني الباهر الذي
خوَّل الكنيسة المسيحية ان تلقَّب بلقب الكنيسة الجامعة . هذا هو النظام الانساني الذي نشأ
ودرج وترعرع وترقى في مراقي النموّ والكمال حتى بلغ ما هو عليهِ اليوم. فبعد ان كانت مصالح
الخلق في هاتيك العصور الغابرة تجتمع في دائرة ضيقة الحدود هي القبيلة جعلت تمتد الى ممالك
فسيحة الارجاء متباعدة الاطراف واصبحت طرق الحديد وسفن البخار واسلاك البرق تقرب
المواصلات وتشدُّ اواخي الوفاق والاخاء "وتجعل المصلحة الذاتية عقدة عصبية للمواساة والاشتراك
بالشعور" على ما قالتهُ جورج اليوت. هذا هو النظام الادبي الاعلى منية النفوس وكعبة الآمال
وجنَّة الكمال . فبعد ان كانت الواجبات الادبية مجهولةً فيما سوى الطفيف ولم تكن تتعدَّى
حدود العائلة او القبيلة كما سبق البيان اخذت في الظهور واتساع النطاق حتى صار كل فرد
من اتباع هذا النظام يعترف بحقها عليهِ ازاء بني نوعهِ البشري واخوتهِ في نظر خالقهِ جل وعلا.
فلم يعد متمدن هذا العصر الصالح يحصر دائرة الاخاء في المذهب والمحتد والجنس واللغة وغيرها
من روابط الاجتماع بل يعدُّ اخًا لهُ كل من شاركهُ في الانسانيَّة على الاطلاق فيوجب على
نفسهِ اسعادهُ والعطف عليهِ فرض عين ويعدُّ وقف الذات على اصلاحهِ والاحسان اليهِ وفاء
دين . ذلك هو دستور العمل عند المرتقين في الانسانية اليوم على ما في بعض اهلهِ من بعض
الغفلة عنهُ والتقصير فيهِ لضعف في البشرية وبعدها عن الكمال . هذه هي المحجَّة العليا والطريقة
المثلى لم تعرفها القرون الاولى ولا اعتمدتها الوسطى وانما هي من مفاخر التمدن الحديث

كذا قل عن مآل الصورة الادبية في الانسان اليوم فمثال الكمال الانساني في عصرك
هذا غير ما كان عليهِ في العهد الاول للاجتماع . فبعد ان كان كمال الانسان القديم قائمًا بشدة
بأسهِ وحصر الرفق في شخصهِ وقصر الفخر على نفسهِ كبرًا وعتيًا يغضب لاقل بادرة ولا يصبر
على خلاف لا يرعى حرمةً ولا يعرف رحمة فيغتصب كل ما طمحت اليهِ شهواتهُ وطالت اليهِ
يداهُ اصبح مثال الكمال الحديث وديعًا حليمًا شفيقًا كريمًا يتحاشى اقل مظهر للمباهاة والازدهاء
بطيء السخط صبَّارًا على مضض المناقشة والخلاف يحفظ حقوق الناس ويشاركهم في العواطف
ويسوءهُ ازعاج اقل مخلوق حتى امست هذه الكمالات شرعة الانسانية من يحتذيها عُدَّ ملكًا

كريماً ومن لا يقتفيها بقي حيواناً بهيماً مهما يكن شعار طريقته وايًّا كان نحار حقيقتهِ

وخلاصة القول ان الامور التي يشترك فيها ارتقاء الاحياء وتقدم العمران ثلاثة . الاول تقدم من صور قليلة مشتركة غير معينة الحدود الى صور كثيرة معينتها. الثاني استعداد مستمر في الحي وجسم الاجتماع لمحيط المرتقي . الثالث تكامل متواصل في المرتقي يتقدم بهِ من مبدإ التفرُّق والانفراد الى الانضمام والاتحاد بين اجزاء المركَّب حتى يبلغ بناء واحداً متلاحم الاجزاء

مِتري قندلفت

وصية فؤاد باشا

ازدان تاريخ الدولة العثمانية في القرن الماضي بذكر اربعة رجال عظام كان كلٌّ منهم نبراس الفضل ومصباح الهدى يؤتمُّ بهِ ويقتدى عند تفاقم الخطوب واشتداد الاخطار "كأنهُ علم في رأسهِ نار" وهم رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا . كانوا دعاة الاصلاح وحماة الدولة وسياج السلطنة واركان عزها ومجدها . وقفوا حياتهم على خدمة الدولة والامة والوطن . وكانوا خير مثال يقتدى بهِ في الدفاع المجيد والسعي الحميد والجهاد الحسن

اما احدهم فؤاد باشا فقد قضى سنين طويلة في منصبي الصدارة ونظارة الخارجيَّة على التعاقب واليهِ ينسب الفضل في صدور الامر المسمى "خط همايوني" سنة ١٨٥٦ القاضي بوجوب مساواة رعايا الدولة العلية على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم في الحقوق والامتيازات . ولهُ الوصية المشهورة التي رفعها قبل موتهِ بيوم واحد الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٩ وقد اطلعنا على ترجمة لها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية فعرَّبناها في ما يلي ليسمع منها القراء صوتاً صارخاً من القبر يرنُّ في المسامع والآذان . ويسوق الى صاحبهِ الرحمة والرضوان من كل شفة ولسان

قال المرحوم فؤاد باشا : — "مولاي . لم يبقَ لي في هذه الحياة سوى بضعة ايام وربما بضع ساعات فاردت ان اقضي هذه الدقائق الاخيرة في اتمام فرض مقدس واعرض على جلالتكم افكاري الاخيرة المفعمة غمًّا واسفًا على سوء المصير الذي انتهت اليهِ الدولة بعد التمادي في سياسة الخرق والطيش . وعند ما تبلغ كلماتي مسامع جلالتكم اكون قد فارقت هذا العالم فتصغون اليَّ من غير ان يداخلكم ارتياب في حسن قصدي لان الصوت الذي يتكلم من القبر يتكلم بصدق واخلاص

ان الله قد استودعكم عملاً فيهِ من الخطر بقدر ما فيهِ من المجد والشرف فلكي تقوموا بهِ حق القيام ينبغي ان تدركوا هذه الحقيقة المؤلمة وهي ان السلطنة العثمانية في خطر . فان التقدم السريع الذي احرزهُ جيراننا والغلطات العظيمة التي ارتكبها اسلافنا اوصلتنا اليوم الى موقف حرج الى الغاية فيلزم جلالتكم والحالة هذه ان تخلعوا العتيق وتنهجوا بالدولة منهجاً جديدًا تأمن بهِ المعاثر والمزالق وتنجو من المخاطر والبوائق

يحاول بعض الجهلاء ان يقنعوا جلالتكم بان وسائطنا الحاضرة تكفينا لاسترداد مجدنا الغابر وعزنا الدابر فيالهُ من خطاءٍ فاضح وغرور فادح ! فلو كان جيراننا باقين في الوقت الحاضر على ما كانوا عليهِ في عهد آبائنا لما تعذر على جلالتكم ان تبلغوا شأو اجدادكم وتخضعوا ملوك اوربا لسلطانكم ولكن جيراننا تقدموا كثيرًا عما كانوا عليهِ منذ قرنين . وقد سبقونا بمراحل وتركونا وراءهم ولم يكن تقدمنا اليسير في جنب تقدمهم الكثير شيئاً مذكورًا

لا انكر ان الدولة ارقى في عهد جلالتكم كثيرًا منها في عهد اسلافكم لكن هذا التقدم النسبي اقلُّ من ان يفي بحاجات الزمن الحاضر . قد تكونون يا مولاي من حيث القوة والعظمة كاسلافكم وربما استطعتم ان تفوقوهم في ذلك لكن هذا لا يكفيكم في طلب المحافظة على مركزكم في اوربا بل يجب ان تكونوا عند الحاجة قادرين على مضاهاة جيرانكم والاستخفاف بهم . وبعبارة اخرى ينبغي ان تكون سلطنتكم كانكلترا في الغنى وفرنسا في المعرفة وروسيا في الجيش والاَّ فهي في خطر السقوط العاجل والخراب القريب

وليست مسألتنا الآن محصورة في الحصول على التقدم السريع بل في جعل تقدمنا مساوياً لتقدم الامم الاوربية . ولكم يا مولاي في سلطنتكم جميع الاسباب والوسائط التي تمكنكم من جعل الدولة في مقدمة دول اوربا كلها ولكن الحصول على هذه النتيجة يقضي بتغيير كل قوانيننا السياسية والمدنية . لان كثيرًا منها كان مفيدًا جدًّا في الماضي واصبح مضرًّا في الوقت الحاضر

ولما كان الانسان قادرًا على التقدم الى الكمال وجبت عليهِ مداومة السعي في تحسين شؤونهِ وترقية احوالهِ . وهذه السنَّة الطبيعيَّة تطابق لحسن الحظ كنه دياتنا الاسلامية فالاسلام يتضمن كل التعاليم الصادقة التي من اسمى مقاصدها تقدم العالم وارتفاع منار الانسانية . واما الذين يدَّعون ان ديننا يعارض تقدم دولتنا فهم ليسوا مسلمين صادقين . ولكل دينٍ قواعد وعقائد تحول دون تثقيف العقول وانارة الاذهان ما عدا الاسلام فانهُ مطلقٌ من هذه القيود ومما يفرضهُ على تابعيهِ ان يجاروا العالم في التقدم ويبذلوا جهدهم في ترقية القوى العقليَّة ويطلبوا العلم والمعرفة ليس في بلاد العرب وبين المسلمين فقط بل في البلدان الاجنبية

حتى في الصين وفي اقاصي الارض ايضاً

لا يتوهم احد ان العلم الاسلامي يختلف عن علوم بقية الامم فالعلم واحد في كل مكان. وشمسهُ التي تنير العالم العقلي هي واحدة . والاسلام هو حسب اعتقادنا مجلى كل حقيقة ومظهر كل علمٍ . فكل اكتشافٍ مفيدٍ وتقدم جديد في كل مكانٍ وبين ايَّة امةٍ كانت انما هو للمسلمين . وبناء عليهِ لا شيء يحول دون اقتباسنا ما جدَّ عند الاوربيين من القواعد والقوانين. ولقد تضلعتُ من ديانتنا تضلعاً قدَّرني على فهم كنهها وادراك حقائقها ولستُ بجاهلٍ اهمية الغرض الذي ارمي اليهِ وابني كلامي عليهِ . وما كانت نفسي لتسوّل لي أن أخون سلطاني ووطني ومذهبي في الدقيقة الاخيرة من حياتي عند استعدادي لمفارقة العالم والوقوف في حضرة الديان العادل

فبملء الثقة والاقتناع اقول انهُ ليس بين جميع القوانين الجديدة التي تعرضها اوربا علينا قانون واحدٌ ينافي روح ديانتنا على الاطلاق . وبكل إخلاص اصرّح بأن خلاص الاسلام يقتضي المبادرة الى قبول هذه القوانين التي لا مندوحة عنها لامةٍ تروم حفظ كيانها وسلامتها من التلاشي . وأصرّح ايضاً بان جلالتكم اذا اقدمتم على هذا التغيير الضروري الذي لا يخالف شيئاً من مبادىء ديانتنا المقدسة خدمتم المسلمين اعظم خدمة مشروعة ونفعتموهم نفعاً لم يخطر قط ببال احد من اسلافكم العظام . وهذا العمل العظيم يستغرق عدة مسائل ولم يبقَ لي في هذا العالم من القوة والوقت ما يمكنني من التأمل فيها . ولكنكم قادرون يا مولاي اذا شئتم ان تنتفعوا بخدمة ذلك الرجل العظيم الذي أُتيح لي ان اكون صديقهُ ومشيرهُ . واني اسأل الله ان يطيل بقاءهُ لجلالتكم لانهُ أعرف من غيرهِ بوسائط خلاص السلطنة . ولم أُشر قط بشيء على جلالتكم الاَّ بعد الوقوف على رأيهِ فيهِ واستحسانهِ لهُ . فمكنوهُ من ثقتكم التامة لان ثقة السلطان تشدّد ساعد الوزير. والتمس من جلالتكم فوق كل شيء ان تؤيدوا هذا الخادم الامين الذي لا غنى لكم عن حذقهِ وذكائهِ وفطنتهِ ودرايتهِ ولا تدعوا جهل زملائهِ يثبط عزيمتهُ ويضعف همتهُ . ولا شيء يوهن عزمهُ اكثر من اضطرارهِ الى العمل مع من لا يستطيعون ان يدركوا افكارهُ ويفهموا مقاصدهُ

اما من جهة علاقاتنا الخارجية فلما كنا غير قادرين على محاربة اعدائنا وجب علينا ان نستعين بمصادقة الاجانب ومحالفتهم . ولاجل حماية حقوقنا يترتب علينا ان نبدي من القوة والحذق والشجاعة اكثر جداً مما ابدى اسلافنا في اخضاع الشعوب وتدويخ الممالك . واذا بحثتم عن حلفائنا الاجانب وجدتم انكلترا على الدوام في مقدمتهم . وسياستها وصداقتها متينتان

كقوانينها . وقد خدمتنا في الماضي خدمات جليلة ولا يسعنا الاستغناء عن مساعدتها لنا في المستقبل . ومهما تقلبت الاحوال فالشعب الانكليزي الذي هو اعجب شعوب العالم واجدرهم بالثقة والاعتماد يكون اول حلفائنا وآخرهم ولو خُيِّرتُ لاخترتُ خسارة الباب العالي عدة مقاطعات على خسارته صداقة انكلترا

اما فرنسا فحليفة لنا يجب ان نعاملها دائماً بما نستطيعهُ من التجلة والاحترام ليس لانها قادرة ان تمدنا باعظم مساعدة فقط بل لانها تستطيع ايضاً ان توقع بنا اكبر ضرر. ولها شغف بالعظمة ولو رأتها في اعدائها . فاحسن وسيلة لحفظ صداقة هذا الشعب الكريم ان نجاريهُ على افكاره وتصوراته ونبدي ما يوافقهُ من هذا القبيل. واذا اعرضت فرنسا عنا يوماً ما وجاهرت بعاداتنا كانت من الاسباب المتممة لخرابنا

اما النمسا فقد شغلتها مصالحها الاوربية عن المداخلة في المسألة الشرقية . وارتكبت غلطة كبيرة في حرب القرم وسترى في المستقبل الخطر الذي ينقضُّ عليها من الشمال ويكون شديداً عليها كما يكون علينا نحن ايضاً . وستبقى حكومة فينَّا حليفة طبيعية للباب العالي ما دامت ناهجة في سياستها منهج الحكمة والسداد ولا يمكن صد تيار الشر العظيم الذي انهال على الشرق منذ اكثر من قرن الاَّ بمعونة النمسا ومضافرة حلفائنا في الشرق

اما بروسيا فقد ظلت الى هذا الوقت غير مكترثة للمسألة الشرقية ومن الممكن ان سياستها تقضي عليها بتضحيتنا في سبيل مشروع الاتحاد الالماني وبعد حصول هذا الاتحاد لا تلبث المانيا ان ترى لها في المسألة الشرقية ما لبقية الدول من المصالح وعسى ان لاتكون نتيجة سياستها في النمسا الزام اعدائنا امتلاك بلادنا الاوربيَّة

اما روسيا فهي عدوة دولتنا الطبيعية وامتدادها في الشرق من جملة مبادئها الاساسية . ولو كنت وزيراً روسيًّا لما تركت شيئاً يحول دون تدويخ الاستانة . فلا نعجب اذاً ولا نشكو من جفائها وعدائها وهي تعاملنا الآن كما كنا نحن سابقاً نعامل اليونان. ومن اسخف الامور ان نعتمد في صد غاراتها عنا على مجرد حقوقنا اذاً نحتاج الى القوة ولكن ليس القوة التي استخدمناها قديماً وانقضى امرها ولا فائدة من محاولة احيائها بل القوة الجديدة التي تسلَّح بها شعوب اوربا بواسطة العلوم والمبادىء الحديثة . ان روسيا لم تعد كما كانت في عهد بطرس الاكبر بل خطت خطوات مهمة في سبيل التقدم وعما قليل تزداد قوتها عشرة اضعاف بواسطة سككها الحديديَّة . ومما يخيفني على الخصوص ان اكثر امم اوربا راضٍ من الآن بما تقصدهُ روسيا من الاعتداء على غيرها

ومما يدهشني ايضاً ويخيفني عدم اهتمام انكلترا باحوال اواسط اسيا ويزيد خوفي ودهشتي حينما ارى التغيير العظيم الذي حدث في موقف روسيا على اثر زوال القلاقل من ولايات القوقاس. وعندي ان روسيا ستصوّب غاراتها في المستقبل على املاكنا في اسيا الصغرى فمن الضروري ان لا نكفّ عن التأهب والاستعداد لاننا لا ندري هل يكون حلفاؤنا مستعدين على الدوام للمبادرة الى مساعدتنا عند ما تمس الحاجة. فقد يحدث شيء في اوربا يغل ايديهم ويشغلهم عنا

وعند ما اراجع في ذهني الغلطات التي ترتكبها حكومات اوربا لا ارى اعظم من غلطتها في سماحها لاعظم دولة مستبدة في العالم ان تتألف من مئة مليون وتتسلح بكل معدات التمدن وتفتح فاها لابتلاع الممالك والبلدان. وهي تغشى اسيا بالجيوش وتزعزع اركان اوربا بالنهضة السلافية وتقدم على التخم والتدويخ بحجة محبتها للسلام وعدم رغبتها في تغيير الحالة الحاضرة

ولقد حدا بي ذكر روسيا الى الكلام على ايران ولو بالايجاز. فحكومة هذه البلاد كانت على الدوام منقادة بعامل التعصب الشيعي الى مخالفة اعدائنا. وقد سوّلت لها نفسها في حرب القرم ان تظاهر روسيا علينا ولكنّ رياح السياسة الشرقية هبّت على خلاف مشتهاها وحالت دون تحقيق مناها. وعرش الشاه معتمد في الوقت الحاضر على الوزارة الروسية على ان حكومتهُ بالغة غاية الضعف والجهل والفقر فلا تستطيع مباداتنا بالشر والعداء ما دمنا مطلقي الايدي من المشاكل والعراقيل. ولكن متى نشبت الحرب بيننا وبين روسيا عمدت الينا ايران في مقدمة اعدائنا بالرغم عن شدّة حذرنا منها مدفوعة بعامل استقلالها السياسي وغيرتها العمياء لكن الباب العالي لحسن حظهِ يأمن جانبها بما لديهِ من القوة المادية وهو قادرٌ ايضاً ان يستعين بالوسائط الادبية على ارهاب حكومة زعزع اركانها الاستبدادِ وكثرة الطامعين اليها وهي محاطة باهل السنّة من كل جانب

ولا يجوز ان ننسى اليونان فهي لا شأن لها في ذاتها ولكنها آلة في يد دولة معادية لنا تستخدمها لتعكير مائنا وتكدير صفائنا. وكأَن الشعراء الاوربيين انشأوا هذه المملكة في عالم الخيال لينشروا بها امة طواها الدهر منذ اكثر من الفي سنة. حاولوا احياء بلاد هوميرس وارسطوطاليس فانشأوا مستقر الدسائس والتوغى وقد يبقى اليونان زمناً طويلاً مستعزين بما كان لهم من المجد السالف ولو كانوا قد ابتعدوا عنهُ منذ قرون كثيرة ساد فيها الفساد والجهل ويحاولون اعادة مملكتهم الشرقية لكن اغترارهم بانفسهم وانفصالهم عن غيرهم يكرّهان الامم الشرقية بهم. وقد يسهل على الباب العالي ان يجد بعض الخدام الاذكياء بين اليونان ولكن روح الجنس اليوناني سيبقى على الدوام مضادًّا لمصلحتنا. فمصلحتنا السياسية تقضي علينا ببذل

الجهد في ابعاد اليونان عن باقي المسيحيين الذين في سلطنتنا وفصل البلغار عن سلطة الكنيسة اليونانية ومنع اتصالهم بالكنيسة الروسية او البابوية

وعلى الباب العالي ان يمنع كل دسيسة يراد بها ضم الارمن الى الكنيسة الارثوذكسية . وليكن سعينا لخير المسيحيين مقصورًا على محاولة تحريرهم من سلطة الاكليرس . وافضل سياسة يجب علينا اتباعها هي ان تجعل الحكومة فوق كل مداخلة في المسائل الدينية

اما من جهة امورنا الداخلية فعلينا ان نوجه اهتمامنا الى ادراك غرض واحد وهو مزج شعوبنا بعضهم ببعض ولا سبيل الى وحدة سلطنتنا بغير هذه الواسطة . لا ينبغي ان تكون هذه السلطنة العظيمة يونانية او سلافية ولا لهذه الطائفة او ذلك الجنس لانها انما تقوم باتحاد شعوبها وامتزاج اجناسهم

والبقاء مضمون لدولةٍ مثل المانيا او لامةٍ مثل فرنسا عددها ٤٠ مليون نفس او لبلاد مثل انكلترا عززتها الطبيعة بامنع الحصون اما الجبل الاسود والسرب وارمينية وغيرها من الولايات التي ليس لها شيء من الامتياز الخاص او النفع العام فاذا وجدت كانت عبارة عن حكومات خيالية او بقايا دولٍ من سالف الامد وقد اخنى عليها الذي اخنى على لبد وغادرها فرائس لكل فاتحٍ جديدٍ او حجر عثرة في تقدم الانسان وخطرًا على السلم العام

وأصوب رأي يعوّل عليهِ الآن في تنظيم الحكومات الحاضرة هو جمع القوّة بواسطة المزج والتأليف بين العناصر المختلفة . فافضل وسيلة لدرء الخراب عن حكومتنا تجديد نظامها على اساسٍ متين يجمع العناصر المتفرقة بلا تمييز في الجنس او المذهب . ويربطها كلها برباط المساواة . ومعلوم ان هذا المبدأ يقضي بترشيح رعايانا المسيحيين للوظائف العمومية وفي هذا ما فيهِ من الصعوبة لانهم اذا فتح لهم هذا الباب الذي كان مغلقًا في وجوههم اندفعوا منهُ بملء العزم والحمية وحاولوا سبق الذين تقدموهم من قبل . وهذا الطموح ابداهُ الارمن على الخصوص فمن الحكمة ان تتداركهُ بما يجعل الباب مفتوحًا فقط للرجال الامناء الذين يقبلون مبدأ وحدة السلطنة ويعملون بموجبهِ

ان ديانة رعايانا المسيحيين مؤسسة في الغالب على مبدأين احدهما ادبي والآخر سياسي . وعلى حكومتنا ان تغض النظر عن مبدإهم الادبي وتتجاهلهُ على الاطلاق وتوجه عنايتها الى مراقبة مبدإهم السياسي بعين الحذر والانتباه فلا نبالي بكيفية عبادة احد رجال حكومتنا لله سواء عبدهُ حسب ناموس موسى او بموجب شريعة عيسى اذ ليس في ذلك ما يقضي بحرماننا الانتفاع بخدمتهِ . ولكننا اذا وجدناهُ لا يسعى لوحدة السلطنة وعلمنا انهُ يعلل نفسهُ بانشاء

امبراطوريَّة بيزنطية ثانية او يخدم مصلحة دولة اجنبيَّة وجب علينا عزلهُ حالاً لانهُ خائن للدولة والامة

ووحدة الحكومة والبلاد قائمة على اساس المساواة . والمساواة هي القاعدة الوحيدة التي اطلب من كل موظف عمومي ان يجري عليها . وعلى جلالتكم ان تسعوا اولاً في توطيد اركان العدل حتى تظهروا عظم اهمية هذه القاعدة المفيدة . ولا اجهل ان هذا السعي وعث المسالك صعب المراس ولكن لا بد منهُ ولا غنى عنهُ . وبعد ما تضمنون لرعايانا سلامة حياتهم واموالهم يجب عليكم ان تهتموا بانشاء السكك . وحينما يصير عندنا من سكك الحديد قدر ما عند الدول الاوربية تكون دولتنا اول دولة في العالم . وهنا مسأَلة لا يجوز الاغضاء عنها لانها شديدة الاهمية اعني مسأَلة المعارف العمومية التي هي اساس كل ترقٍ عمومي وبغيرها لا يرجى الحصول على عظامة ادبية او ماديَّة . وهي تشمل الجيش والبحرية والادارة والاَّ فلا قوَّة لنا ولا استقلال ولا حكومة ولا مستقبل . ان التعليم في بلادنا لم يزل منحطاً لاسباب مختلفة مع ان روح دياتنا يأمر بترقيتهِ وتعميمهِ ومدارسنا الكثيرة التي استغرقت نفقات باهظة اعدَّت لنا مع قلة فائدتها اهم مبادىء التعليم العمومي ولم اتمكن من انفاذ هذا المشروع لاني كنت على الدوام مشغولاً عنهُ بالمشاكل الخارجية . فاتركهُ خلفائي واؤكد لهم انهُ اعظم المشروعات اهمية وفائدة . وليس يخافى عليَّ ان بعض المسلمين سيكفرونني ويعدونني عدو الدين ولكنني اعفو عنهم لعلمي انهم لايفهمون كلامي ولا يدركون افكاري . وسيأْتي يوم يتحققون فيهِ اني انا المصلح الكافر كنت اصدق عقيدة واصحَّ اسلاماً من كل اولئك الاغرار الذين صبوا عليَّ جام اللعنات وصوَّبوا اليَّ سهام الاهانات . سيعلمون ولكن بعد فوات الوقت اني جاهدت اكثر من كل شهيد آخر في سبيل حكومتهم ودياتهم اللتين عرضوهما للسقوط والانحطاط . ان الناموس الاول لكل نظام الحيًّا كان او انسانيًّا هو ناموس الحفظ الذاتي افلم يكن حفظ الاسلام غرضي الوحيد من كل اصلاح ابتغيتهُ . ولم اتذرع الى ذلك بالتعصب الاعمى والتحزب الباطل بل بالطرق التي وضعها الله الاسلام امامنا كما وضعها امام كل امةٍ اخرى في العالم

ان يدي الضعيفة المضطربة لم تعد قادرة على الكتابة فاقف عند هذا الحدّ والتمس في الختام من جلالتكم ان توجهوا التفاتكم الى الكلمات الاخيرة التي فاه بها هذا الخادم المنكود الحظ الذي كان بالرغم عن كل ضعفٍ بشريّ محبًّا لبني جنسهِ وباذلاً اقصى جهدهِ في ما يعود عليهم بالنفع والآن يفارق العالم غير آسفٍ عليهِ ويموت مسلماً عانياً لاحكام القدر ومسلّماً نفسهُ للديان العظيم الرحمن الرحيم

فؤاد

من هو المُقَوْقِس

لمَّا نشرنا رواية عروسة النيل في العام الماضي علَّقنا على الفصل الاول منها حاشية قلنا فيها "اختلف الكتَّاب في مَن هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انهُ كان والياً على مصر وقت الفتح وقبلهُ . والمرجَّح الآن انهُ والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جُرَيج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني"

ولم تكن نعلم حينما كتبنا هذه السطور ان عالماً انكليزيًّا[1] من الباحثين في التاريخ المصري باذلٌ همتهُ في تحقيق امر المقوقس . وقد اطَّلعنا الآن على كتاب كبير نشرهُ في آخر العام الماضي موضوعهُ "فتح مصر والاسكندريَّة" الحق بهِ فصلاً مسهباً اقام فيهِ الادلَّة الكثيرة على ان المقوقس هو البطريرك قيرُس الملكي الذي نُصّب على كرسي البطريركية الاسكندريَّة قبل الفتح بعشر سنوات فاضطهد القبط شديد الاضطهاد حتى لم يكبر عليهم ان يعاونوا العرب عليهِ حينما اضطروا الى ذلك . وقد رأينا ان نترجم هذا الفصل ببعض تصرُّف ونعلق عليهِ من الحواشي ما تزيد بهِ الفائدة ونرد ما اقتبسهُ من التواريخ العربية الى اصلهِ العربي حينما يتيسر لنا ذلك . قال المؤلف ما خلاصتهُ

اتَّفق كتَّاب التاريخ على ان المقوقس لقبٌ لرجل كان لهُ شأن كبير عند الروم وقت فتح مصر وانهُ هو الذي سلَّمها للعرب او صالح العرب عليها ولكنهم اختلفوا في اسمهِ وجنسهِ ووظيفتهِ والعمل الذي عملهُ ومعنى هذا اللقب . وقد كثر الجدال في هذه المسائل الآن ولا غرابة في ذلك لان كتَّاب العرب خبطوا في هذا الموضوع خبط عشواء من قديم الزمان

ثم ذكر كلام كثيرين من المؤرخين الاوربيين المحدثين مثل فون رنكي الذي قال ان المقوقس كان والي مصر وانهُ من القبط . ودِه غوجه الذي قال ان بعض مؤرخي العرب خلطوا احيانًا بين المقوقس والبطرك قيرش بطرك الاسكندرية مع انهما شخصان مختلفان . والمستر ملن الذي قال ان المقوقس هو جريج الذي ذكرهُ يوحنا النيقوسي وقال انهُ كان والياً على اتريب. ومال الاستاذ ستانلي لاين بول الى هذا الرأي وحسب انهُ من القبط . وقال الاستاذ بري انهُ كان والي مصر كلها وكان من القبط . اي ان جمهور الكتاب الاوربيين المحدثين على ان المقوقس لقب لوالي مصر كلها من قبَل الروم او لوالي عمل من اعمالها وانهُ كان من القبط لا من

(1) هو الدكتور الفرد بطلر Alfred Butler D. Litt., F. S. A. واسم كتابهِ The Arab Conquest of Egypt.

الروم . ثم انتقل المؤلف الى اقوال مؤرخي العرب في هذا الصدد فذكرهم حسب ازمنتهم قال

قال البلاذري [١] " ان المقوقس صالح عمرو بن العاص فبلغ ذلك ملك الروم فتسخّطهُ وبعث بجمع من الروم فاغلقوا باب الاسكندريَّة واذنوا عمرًا بالحرب فخرج اليهِ المقوقس فقال لهُ اسألك ثلاثًا ان لا تبذل للروم مثل الذي بذلتَ لي وان لا تنقض بالقبط فان النقض لم يأتِ من قبلهم " الخ

وقال الطبري [٢] " فلقيهم هنالك (امام حصن بابل) ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس " وقال عن المقوقس في مكان آخر انهُ صاحب الاسكندريَّة

وقال ابن البطريق [٣] " وكان العامل على الخراج بمصر المقوقس من قبل هرقل وكان يعقوبيًّا مبغضاً للروم الّا انهُ لم يكن يتهيأ لهُ ان يظهر مقالة اليعقوبية لئلاّ يقتلوهُ وكان ايضاً قد اقطع اموال مصر من وقت حصار كسرى للقسطنطينية فكان يخاف ان يقع في يد هرقل الملك فيقتلهُ "

وقال ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين [٤] في كتابهِ سير البطاركة " ولما ملك (هرقل)

---

(١) البلاذري من اقدم المؤرخين ولد سنة ٨٠٦ للميلاد وتوفي سنة ٨٩٢ او ٢٧٩ للهجرة وكتب كتابهُ فتوح البلدان سنة ٨٦٨ للميلاد اي بعد فتح مصر بنحو ٢٣٠ سنة وهو من اقدم التواريخ واوسعها واصحها و يظهر منهُ ان المؤرخين كانوا مختلفين حينئذٍ في امور كثيرة من حيث زمن الفتح وطريقتهِ

(٢) الطبري قال في وفيات الاعيان انهُ محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة وتاريخهُ اصح التواريخ العربية واثبتها . وكانت ولادتهُ سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ ببغداد

وكتب ده غوجه مقالة مسهبة عنهُ في الانسكلوبيذيا البريطانية قال فيها ان تفسيرهُ دعامة كتب التفسير كما ان تاريخهُ دعامة كتب التاريخ . وبيَّن انهُ كان عمدة كل المؤرخين الذين تلوهُ فاختصرهُ بعضهم او اضافوا اليهِ حتى يمتد الى عهدهم كالفرغاني والهمذاني والقرطبي وابن مسكويه وابن الاثير

وقال الدكتور بطلر ان تاريخ الطبري على اتساعهِ اوجز الكلام جدًّا على فتح مصر وخلط بين الاماكن واخطأ في تنسيق الحوادث فذكر فتح الاسكندرية قبل فتح مصر ولعلَّ السبب من النساخ لا من المؤلف

(٣) هو سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية قال في عيون الانبا انهُ من اهل فسطاط مصر وكان طبيباً نصرانياً مشهورًا عارفاً بعلم صناعة الطب وعملهِ ولد سنة ٢٦٣ للهجرة وجعل بطريركاً على الاسكندرية وسمي اوتوشيوس وعمرهُ نحو ستين سنة وبقي في الكرسي والرئاسة نحو سبع سنين وستة اشهر ومات سنة ٣٢٨ للهجرة ولهُ كتب كثيرة في الطب والتاريخ المشهور بنظم الجوهر

(٤) قال الدكتور بطلر انهُ اسقف قبطي كتب تاريخ البطاركة ويوجد من كتابهِ ثلاث نسخ معروفة واحدة في المتحف البريطاني وهي من القرن الخامس عشر وواحدة في مكتبة باريس من القرن الرابع عشر والثالثة اقدم منها وهي عند مرقس بك سميكه في القاهرة . وكان في القرن العاشر للميلاد . وفي نسخة باريس مقدمة لمحبوب بن منصور احد شمامسة الاسكندرية كتبها في النصف الاخير من القرن الحادي عشر

الارض اقام الولاة في كل موضع وانفذ والياً الى ارض مصر يدعى قيرس ليكون بطركاً ووالياً فلما وصل الى الاسكندرية اعلم الابا بنيامين ملاك الرب بهِ وامرهُ ان يهرب هو ومن معهُ هنا لان شدائد عظيمة تنزل عليهم"

ثم قال عن سني الاضطهاد "وهي السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلَّطَين على ديار مصر". وقال ايضاً "فلما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس". وايضاً "خاف الكافر والي الاسكندرية وهو كان واليها وبطركها من قبل الروم"

ثم جاء ابن الاثير (۱) فقال "اخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هناك ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس لمنع بلادهم"..... الى ان قال "فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا ..... ثم سار عمرو حتى بلغ الاسكندرية فوجد اهلها معدين لقتالهِ فارسل المقوقس الى عمرو يسألهُ الهدنة الى مدة فلم يجبهُ الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منهُ ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابهِ صدق فنحن اولى بالاذعان ... وصالح عمراً على اثني عشر الف دينار" الى غير ذلك من الخبط الكثير ولاسيما في ما رواهُ عن اوائل الفتح

وكتب ابو صالح الارمني (۲) في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد فقال "وكان محمد قد سير حاطب ابن ابي بلتعة ابن لخم الى المقوقس صاحب الاسكندرية". وقال في الكلام على دير في الصعيد "كان يأوي فيهِ بنيامين البطرك مختفياً في مملكة هرقل ملك الروم الخلقيدوني وجريج ابن مينا المقوقس بمصر الى انقضاء مدة عشر سنين خوفاً منهما كما وعدهُ الملاك وهي مدة تسلُّطهِ على الارثذكسيين وطلبهِ منهم الاعتراف لهُ بالامانة المخالفة للحق الصحيح ونال النصارى منهم صعوبة شديدة ولم يجحدوا امانتهم". وقال قبل ذلك انهُ وجد في كتاب الجناح "وكان الاسقف من الروم بمصر والاسكندرية يسمَّى قيرس"

وقال ياقوت الحموي (۳) ان امير الحصن كان وقت الفتح "المندفور الذي يقال لهُ الاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية"

---

(۱) ابن الاثير من اشهر مؤرخي العرب ولد بالجزيرة وسكن الموصل ثم رحل الى الشام والقدس وتاريخهُ الكامل يبتدئ من اول الزمان الى آخر سنة ٦٢٨ للهجرة وكانت وفاتهُ سنة ٦٣٠ هـ الموافقة سنة ١٢٣٣ للمسيح

(۲) ابو صالح الارمني كان معاصراً لابن الاثير او سابقاً لهُ فقد قال في اول كتابهِ "نبتدئ بعون الله وارشادهِ ان في حضرتنا هذا في ابتداء سنة اربع وستين وخمس مائة كان بناء الكنيسة التي على اسم ماري يعقوب بناحية البساتين"

(۳) ياقوت الرومي الحموي أُسر من بلادهِ صغيراً وابتاعهُ تاجر ببغداد وعلمهُ وشغلهُ بالاسفار في

وقال المكين [٤] ان المقوقس كان والي مصر من قبل هرقل وانهُ صالح عمرًا هو وكبار القبط
وجاء ابن خلدون بعده [٥] فتابع ابن الاثير في خبطهِ وجعل المقوقس من القبط
وابن دقماق [٦] جعل المقوقس رومانيًا وقال انهُ نائب هرقل. ونقل المقريزي [٧] عن يزيد بن ابي حبيب ان المقوقس كان رومانيًا وتابع ابن عبد الحكم في ابقاء المقوقس الى زمن فتنة مانويل
وتابع ياقوت في وصفهِ المقوقس بانهُ ابن قرقب اليوناني . وقال انهُ كان للقبط بطرك في الاسكندرية اسمهُ ابو ميامن وان المقوقس صالح العرب لكن هرقل لامهُ على تمثّلهِ بالقبط وقال انهُ اقام قيرش بطرك الاسكندريَّة

وقال الواقدي [٨] ان ملك القبط كان يومئذٍ المقوقس بن راعيل

وذكر ابو المحاسن [٩] ان بنيامين كان بطرك القبط في الاسكندريَّة وانهُ كان على قصر الشمع رجل من الروم يقال لهُ الاعرج اميرًا عليهِ من قبل المقوقس وسمي المقوقس في نسختين بجريج ابن مينا وقال في مكان آخر ان الاعرج هو المندفور وكان من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني ونقل عن ابن كثير انهُ لما دخل العرب مصر لاقاهم ابو مريم جاثليق مصر وابو مرتام الاسقف

وقال السيوطي [١٠] انهُ كان على الحصن المندفول المسمَّى بالاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني الذي كان مقيمًا في الاسكندريَّة وان اسم الاسقف اليوناني ابوميامن

متاجرو ثم عتقهُ فاشتغل بالنسخ بالاجرة ثم صار يتجر بالكتب ثم الف كتبًا جمة اشهرها معجم البلدان وكانت وفاتهُ سنة ٦٢٦ للهجرة الموافقة سنة ١٢٢٩ للميلاد

(٤) هو جرجس المكين ابن العميد النصراني بن ابي المكارم اختصر تاريخ الطبري ثم كملهُ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ للهجرة الموافقة سنة ١٢٧٣ للمسيح

(٥) ابن خلدون اشهر من ان يذكر وكانت وفاتهُ بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة الموافقة سنة ١٤٠٥ للميلاد

(٦) كاتب مصري توفي سنة ١٤٠٦ للميلاد وكشف كتابهُ سنة ١٨٩١ وطبع على نفقة الكتبخانة الخديوية

(٧) هو تقي الدين المقريزي البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة ولهُ كتب كثيرة اشهرها كتاب الخطط والآثار توفي سنة ٨٤٥ هجرية الموافقة سنة ١٤٤١ للميلاد

(٨) الواقدي من اشهر المؤرخين واقدمهم فانهُ توفي سنة ٢٠٧ للهجرة الموافقة سنة ٨٢٣ للميلاد والكتاب المشهور بفتوح الشام منقولة رواياتهُ عنهُ وحشاهُ بكثير من الاخبار الموضوعة وقد ظهر من بحث الباحثين ان اكثر ما نقل عنهُ من الاخبار التاريخية صحيح ولا سيما في تاريخ وقوع الحوادث

(٩) هو الامير جمال الدين ابو المحاسن ولد في القاهرة في اوائل القرن التاسع للهجرة وصنف كتبًا كثيرة منها المنهل الصافي وتكملة تاريخ السلوك للمقريزي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وغيرها وكانت وفاتهُ سنة ٨٧٤ للهجرة الموافقة سنة ١٤٦٩ للميلاد

(١٠) هو الامام جلال الدين السيوطي صاحب المصنفات الكثيرة ومنها حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة كانت وفاتهُ سنة ٩١٦ للهجرة الموافقة سنة ١٥٠٥ للميلاد

ويستخلص من التواريخ العربيَّة على ما فيها من قلة التدقيق ان هناك ثلاثة رجال يهمنا البحث عنهم وهم المقوقس وابو مريم والاعرج . وهاك ما يقال عنهم مبتدءًا من الاخير

(١) الاعرج او الأعْرج او الأعَيْرج — ذكر هذا الاسم اولاً على ما يظهر ياقوت الحموي في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد وقال انهُ كان امير الحصن ولقبهُ بالمندفور ولعلها المندتور والتحريف من النسَّاخ والمندتور كلمة يونانيَّة معناها الامير . وتابعهُ ابو المحاسن والسيوطي وزاد السيوطي في تحريف هذه الكلمة فجعلها المندفول . وقال الاستاذ لاين بول ان الاعرج محرف من كلمة ارتاين وهو اسم احد القواد الرومانيين وانهُ كان يكنى بابن قرقب وعندي ان الاعرج تحريف كلمة جريج وان اسم امير الحصن كان جريج او جورج والمرجح انهُ غير جورج الوالي الذي ذكرهُ يوحنا اسقف نيقوس

(٢) ابو مريم — قال الاستاذ لاين بول انهُ جاثليق مصر . ومعنى جاثليق بطرك وقد ذكرهُ اولاً بهذا اللقب الطبري لانهُ لقب لبطاركة الكنائس النسطوريَّة والارمنية وكان مألوفاً عندهُ لاتصالهِ ببلاد الفرس . وقال الطبري انهُ كبير اساقفة النصارى لكنهُ كناهُ بابي مريم ومعلوم انهُ كان في مصر في زمن الفتح بطركان قيرس وبنيامين . فابن مريم لا يصح ان يكون محرفاً من قيرس ولكن يصح ان يكون محرَّفاً من بنيامين وزاد تحريف الاسم في زمن ابن الاثير فصار ابو مريم وسماهُ السيوطي ابا ميامين . وواضح ان ابا بنيامين حُرِّف فصار ابامياميين ثم ابا مريم وعليهِ فابو ميامين هو البطرك بنيامين بطرك القبط اليعاقبة

لكن الطبري وابن الاثير جعلا بنيامين اميرًا على الحصن من قبل المقوقس الذي كان في سلطان هرقل وهذا خطأ ولا يركن الى ما قالاهُ لانهُ ثابت من اقوال غيرهما ان البطرك بنيامين اختبأ في الصعيد مدة سني الاضطهاد العشر ومدة سنوات الفتح الثلاث والظاهر ان مؤرخي العرب رأوا لبطرك الاسكندرية شأناً في زمن الفتح وانهُ هو الذي سلَّم الاسكندريَّة لما عصى مانوئيل فخلطوا بين ما فعلهُ قيرس البطرك اليوناني وما فعلهُ بنيامين البطرك القبطي

(٣) المقوقس — ان المؤرخين الاقدمين الذين اشرنا اليهم كالبلاذري والطبري وابن البطريق وساويرس اسقف الاشمونين وابن الاثير لم يكنّوا المقوقس واول من قال انهُ ابن مينا الشيخ ابو صالح الارمني سنة ١١٦٨ للميلاد وقال ياقوت الحموي انهُ ابن قرقب اليوناني كأنهما نقلا هاتين الكنيتين عن مصدرين مختلفين ويؤيد ذلك ذكرهما معاً بعدئذٍ في مؤلف واحد كما في كتاب ابي المحاسن

ثم خطأ الطبري وفسَّر ما قالهُ سعيد ابن البطريق من ان المقوقس كان يعقوبيًّا مبغضاً للروم

بان "ابن البطريق كان ملكيًا فجعل المقوقس يعقوبيًا لكي لا تقع على الملكيين تبعة ما فعله" ثم قال ولا يكشف امر المقوقس الاَّ ساويرس ابن المقفع القبطي وقد الَّف كتابهُ من كتب كثيرة كانت محفوظة في دير مقاريوس وقد تقدَّم انهُ قال عن قيرس ان هرقل اقامهُ واليًا وبطركًا على ارض مصر وانهُ اضطهد اليعاقبة عشر سنين ثم لقبهُ بالمقوقس قائلاً السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر وقال عن لسان بنيامين ان المقوقس طردني

ويظهر من مجمل هذه العبارات ان ساويرس اسقف الاشمونين كان يحسب قيرس بطركًا وواليًا على ديار مصر من قبَل الروم وانهُ هو المقوقس الذي اضطهد البطرك بنيامين عشر سنين

واقام الدكتور بطلر الادلَّة على ان الاسقف ساويرس مصيب في ذلك واستشهد بما نقلهُ المسيو اميلينو العالم الفرنسوي من السنكسار القبطي وهو "كان المقوقس رئيس الامانة الخلقيدونيَّة واقيم واليًا وبطركًا على مصر". وما نقلهُ السنيور بريرا العالم البرتغالي من السنكسار الحبشي وهو "المقوقس الذي كان واليًا وبطركًا على الاسكندريَّة وكل ارض مصر". فثبت من ذلك ان المقوقس كان واليًا وبطركًا على ارض مصر في زمن الفتح وانهُ هو البطرك قيرس الاسكندري

اما تلقيب صاحب مصر بالمقوقس قبل الفتح بزمن فحسبهُ الدكتور بطلر خطا من كتَّاب العرب الذين رأوا صاحب مصر وقت الفتح يلقب بالمقوقس فظنوا ان هذا كان لقب صاحبها في زمن النبي ايضًا

واما كلمة المقوقس فقال اميلينو وبريرا انها مشتقة من كوكيون باليونانيَّة اسم نوع من النقود لان المقوقس كان على جباية الخراج كما تقدَّم لكن الدكتور بطلر لم يصوّب هذا الرأي بل قال ان اللفظ الحبشي لهذه الكلمة هو المُقَوْقَس بفتح القاف الثانية وان هرقل نقل قيرس الى مصر من بلاد القوقاس فلا يبعد ان يكون لُقّب في مصر بالقوقاسي وهي او قوقاسيوس باليونانيَّة وبكوخيُس بالقبطية ولا يبعد ان تكون الكلمة القبطية حُرِفت في نقلها الى العربية فصارت مقوقس او قُدّمت عليها الميم للنسبة (كالممصّر لمن اقام في مصر) ولكلمة كوكس اليونانية معنى قبيح فلا يبعد ان يكون القبط لقبوهُ بهِ كراهةً لهُ او رأوا في نسبتهِ الى القوقاس تورية عن هذا المعنى فلقبوهُ بهِ كما لقبوهُ بالكافر والدجال وابن الشيطان

هذه خلاصة ما اوردهُ الدكتور بطلر ويظهر لنا انهُ حلَّ عقدة غامضة من عقد التاريخ وابان ان البحث الدقيق يجلو اغمض المسائل

مشاهير الزمان

مدَّ البحث العلمي رواقهُ على كل ما نراهُ في الارض والسماء جمادًا كان او نباتًا او حيوانًا من ذرَّات الهباء المتطاير في الهواء الى الشموس السابحة في جلد السماء. ومن الزوفا النابت على الحائط الى ارز لبنان المتوشح بالعظمة والبهاء . ومن اصغر الميكروبات التي لا ترى الَّا باعظم المكبرات الى الانسان رب النهى وسيد المخلوقات . ولم يقتصر على ذلك بل تناول كلَّ ما عُرف من نواميس الكون وشرائع العقل وملابسات الانسان حتى تاريخهُ وارتقاؤهُ في مراقي العمران خضعا للبحث العلمي كما يرى القارئ من مقالة اخرى في هذا الجزء . وآخر ما وقفنا عليهِ من ذلك بحث مستفيض عن شهرة الناس بيَّن فيهِ واضعهُ انهُ يمكن الاستدلال على شهرة المشاهير ونسبة بعضهم الى بعض بما تشغلهُ ترجماتهم في المعجمات الكبيرة. الَّا ان الباحث (وهو الاستاذ مكين كاتل من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة) اقتصر على بعض المعجمات الاوربية والاميركيَّة اثنان منها انكليزيَّان واثنان فرنسويان وواحد الماني وواحد اميركي وهي اشهر المعجمات واوسعها وقد فتش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت سيرهم اوسع مكان فيهِ فاجتمع معهُ ستة آلاف اسم ثم اختار منها الاسماء التي وردت في ثلاثة من هذه المعجمات على الاقل فبلغ عددها ١٦٠٠ فانتقى منها الالف الذين ترجماتهم اطول من ترجمات غيرهم ورتَّبهم حسب طول ترجماتهم في المعجمات الستة وقال انهُ اكتشف بذلك اشهر المشاهير حسبما قرَّ عليهِ قرار مؤلفي تلك المعجمات. ومعلوم انهُ لو اضاف اليها المعجمات العربية والهنديَّة والصينيَّة لاضطرَّ ان يحذف بعض الاسماء التي ذكرها ويضيف اليها غيرها ويغيّر وضع بعض الاسماء الشرقية . وقد قال انهُ ليس في سائر اللغات الاوربيَّة معجمات يعتمد عليها ومن رأيهِ انهُ لم يقم في اوربا واميركا رجل مشهور الَّا وسيرتهُ مذكورة في المعجمات التي اعتمد عليها ولذلك فهي تمثل كل المشهورين عند الاوربيين والاميركيين ونسبة بعضهم الى بعض

وقسم هؤلاء الالف الى عشرة اقسام كل قسم منها يشمل مئة من المشاهير رجالًا ونساء ولولا ضيق المقام لذكرناهم كلهم ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فنقتصر على ذكر اشهرهم في ظننا حسب الترتيب الذي اوردهم فيهِ اما المئة الاولى فنذكر كل من ذكر فيها ليرى القراء كم يعلمون من اسماء المشاهير

المئة الاولى — نبوليون بونابرت . شكسبير . فولتير . باكون . ارسطوطاليس . غاتي . يوليوس قيصر . لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . بُرك . هوميروس . اسحق نيوتن .

شيشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بت . وشنطون . اغسطس قيصر . ولنتون . رفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . بن . ولتر سكوت . ميخائيل انجلو . سقراط . لورد بيرن . كرومول . غوتاما . كنت . ليبنتز . لوك . ديموستنس . ماري ستورت . كلفينوس مولير . لنكلن . لويس فيلب . دانتي . روسو . نيرون . فرنكلين . غاليليو . جنصن . روبسبير . فردرك الكبير . اورليوس . هجل . بتررك . هوراس . كارلس الخامس الالماني . ميرابو . اراسموس . فرجيل . هيوم . غيزو . جبون . باسكال . بوسيه . هُبس . سوِفت . تيرس . لويس الرابع عشر . وردسورث . لويس السادس عشر . نلسن . هنري الثامن . اديصن . ثيسيديدس . فوكس . راسين . شلُر . هنري الرابع (فرنسا) . هرشل . تاسُّو . جفرصن . بطليموس كلوديوس . اوغسطينوس . بوب . مكياڤلي . سويدنبرج . فيلبس الثاني . ليوناردو ده ڤنسي . جورج الثالث . جوليان . فيثاغورس . ماكولي . روبنس . برنس . موزار . هملت . كونت . كوزن . كيڤيه . يوستينيانُس . يوربيدس . كاموئنس

من المئة الثانية — فنلون . كارلَيل . بيوس التاسع . پت . هنيبال . سبينوزا . شاتوبريان . ايبلارد . داروِن . مازارين . اليصابات ملكة الانكليز . اوڤيد . جان دارك . ليڤي . كورنيل . دالمبر . بطرس الاكبر . ماركو بولو . لينيوس . بالمرستون . لامرتين . تنيصن . فلوطرخس . شارلمان . ارسطوفانيس . رشليه . فكتور هيغو . دزرائلي . يوجنس . تيشيان . البيروني . دكنس . كبلر . تراجنس . قسطنطين الكبير . لافونتين . فان ديك المصور . مدام ده ستايل . ابقراط . ديدرو . نيبر . جورج سند . طيباريوس قيصر . بيل . القيصر نقولا الاول . جون ستورت مِل . صوفقليس . وبستر . دوق ملبرو . سنيكا . كاڤور . بفون غُلدسمث . القيصر اسكندر الاول . لويس الخامس عشر . رجرس باكن . بركليس . هيرودوتس

ومن الثالثة — داڤي . فردرك الثاني (المانيا) . كاترين الثانية (روسيا) . مرقص انطونيوس . لقريتيوس . بيباي . لافايت . كورتز . بيتوڤن . مدام ده سڤنيه . زنيفون . هارفي . جوفنل . الفردوسي . غوتنبرج . غاريبلدي . اريوس . ابيقورس . متردات . ايرونيموس . كانوڤا . غاي لوساك . نيبهر . جمس وط . اراغو . لاغرانج . بنصن . ده فو . ركاردس الاول . بلينيوس الاكبر . ظاشيتوس . باسيليوس

ومن الرابعة — لونغفلو . منتسكيو . زروستر . فكتور عمانوئيل . بندار . فراداي . القيصر اسكندر الثاني . ماريا ثريزا . وغنر . بريستلي . جوزفين . ثكري . كوبرنيكُس . كارنو .

فيلو . ابن رشد . لوبلا ماري انطوانت . وسلي . هملتن . ابن سينا . وشنطون ارقنغ . تيمور لنك . بكستر . همبلت . جنّر . ليبغ . اغاسز . محمد علي . ولسي . صولون . لافوازيه

ومن الخامسة — فيدياس ارخميدس . ارمينيوس . ليكرغس . فرنكلين . جالينوس . السكندر دياس . بلزاك . رشليو . رنان . ثيودوسيوس . ستروس . باخ . كاتو الاكبر . بنيان . انطونيوس بيوس . سترابو

ومن السادسة — اقليدس . محمد الفاتح . غمبتا . السلطان محمود . اكلندس . هيرودس . تمسطكليس . رمفرد . طيطس . مدام رولان

ومن السابعة — صلاح الدين . جنكيزخان . مجلان . يوسيفوس . الامام علي . كرومول . بلينيوس الاصغر . لامارك . ڤولطا . كبريان . ديوكانيان . جون هرشل

ومن الثامنة — صافو . ابامنينداس . جورج اليوت . نيومن . كليوباطرة . زينون . اسبسيانوس . اغريبا . كلبر . ليل . كاميني . لالند . هبرخس . فولنه

ومن التاسعة — نادرشاه . لقنستون . ابكتتس . ملتس . كلود لورين . ثيوقريطس . امبدقليس

ومن العاشرة — السلطان سليمان . ايسوب . البرنس البرت . فردرك وليم (بروسيا) . سمونيدس

وقد اغفل الكاتب ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بان شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر

والناظر في سير هؤلاء المشاهير وغيرهم من الذين لم نذكر اسماءهم يرى انهم قلما يتفقون كلهم في امر من الامور فان بعضهم ورثوا العظمة والشهرة من اسلافهم وبرّزوا فيهما ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر العربي

واني من القوم الذين هُمُ هُمُ اذا مات منهم سيد قام صاحبُهْ
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي اليهِ كواكبُهْ
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبُهْ

او كما قال الآخر

انّا لنبني على ما شيدتهُ لنا آباؤنا الغرُّ من مجد ومن كرَمِ
اني اذا كان قومي في الورى علماً فانني علَم في ذلك العلَمِ

او كما قال الابيوردي

ورثنا العلى وهي التي خُلقت لنا ونحن خُلقنا للعلى والمحامدِ

ابًا فابًا من عبد شمس وهكذا الى آدم لم يتمنا غير ماجدِ

ومنهم العصامي الذي يتغنَّى بقول الطغرائي القائل

وان كرُمت قبلي اوائل اسرتي فاني بمحمد الله مبدأُ سؤددي

ومنهم من تُسنَد اليهِ العظمة وتلصق بهِ الصاقًا فيضفو عليهِ كالثوب الطويل على الرجل القصير. وقد يكون العظيم ذكيّ الفؤَاد وقد لا يكون ذكيّ الفؤاد عظيمًا. وقد يعمل المرء اعظم الاعمال ولا تبلغ شهرتهُ شهرة من يأتي بعدهُ ويبني على اساسهِ كما ترى في السيرتين المنشورتين في هذا الجزء فان صاحب السيرة الاولى شيخ من نوابغ العلماء واذكاهم عقلاً قضى العمر في كشف الغوامض الطبيعيَّة والرياضيَّة ووضع الاساس لكثير من اعظم المباحث العلميَّة والمكتشفات العصريَّة. والثاني شاب استتبَّ لهُ ان يستفيد من اكتشاف عالم آخر ويستخدمهُ لنقل الاخبار والآن لا يذكر اسم الاول مرةً حتى يذكر اسم الثاني الف مرة

وهذه الشهرة التي حازها الثاني وفاق بها الاولَ لم تنتج عن كدهِ وجدهِ ولا عن استعدادهِ الاكتسابي والوراثي بل عن توفيق غريب الى ما منهُ نفع كبير ويمكن ان يكون استعمالهُ واسع النطاق جدًّا. وقس على ذلك كثيرين من الذين اشتهروا فاسروا الالسنة والاقلام حتى تغنَّت بمدحهم وسطَّرت اعمالهم في بطون الاسفار

ومزية الاسلوب الذي اختارهُ الاستاذ كاتل لترتيب المشاهير وتبويبهم انهُ خالٍ من الغرض من حيث اعتبار اصحاب هذه السير في عيون الاوربيين والاميركيين كأن جامع هذه الاسماء قاس شهرة اصحابها بالمتر والشبر ولم يتعرَّض لابناء جلدتهِ ولا تعصَّب على غيرهم وياحبذا لو استتبَّ لهُ ان يراجع بعض المعجمات العربيَّة كوفيات الاعيان او لو لم يكتفِ بالمعجمات بل تناول كتب السير العموميَّة والخصوصيَّة حتى يكون البحث اتم واقرب الى الصواب. لكنهُ اول مَن شرع في هذا البحث على هذا الاسلوب وعسى ان يقوم بعدهُ مَن يجبر نقصهُ

غير انهُ قال ان جمع هذه الاسماء جاء على سبيل العرض وانهُ لا يعلّق عليهِ شأنًا كبيرًا ولكنهُ رآهُ مفيدًا في البحث عن الازمنة التي يظهر فيها المشاهير فوجد ما يراهُ كل مَن ينظر في تاريخ المشاهير وهو انهم ظهروا في ادوار متوالية ظهروا اولاً في دور اليونان فقام هوميروس وهسيود وليكرغس وتبعهم العمران اليوناني بفلاسفتهِ وعلمائهِ وشعرائهِ وصنّاعهِ وابطالهِ ثم انحط بغتةً في القرن الثاني قبل المسيح وقام الرومان وبلغوا اوج عظمتهم في القرن الاخير قبل المسيح والقرن الاول بعدهُ وانحطوا رويدًا رويدًا الى ان دالت دولتهم في القرن الخامس والسادس ثم مضت ستة قرون او سبعة لم يرَ الكاتب في معجماتهِ ما يدلُّ على شيء من الارتقاء في اوربا

وهو مصيب في ذلك ولكنهُ لو فتّش المعجمات العربيَّة لوجد ان هذه المدة التي حسبها انحطاطاً تامًّا في ربوع اوربا كانت زاهية زاهرة في كل الممالك العربية فقام منهم الشعراء والفقهاء والعلماء والفلاسفة والقواد وارباب السياسة والتجارة ثم دالت دولتهم منذ نحو خمس مئة سنة وعادت شمس العلم والشهرة الى ربوع اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولم تختص بامَّة واحدة من اممها بل شملتها كلها تقريباً ومن ثم اخذ عدد المشاهير فيها وفي اميركا يتزايد على نسبة هندسيَّة ولكن ليس على معدل واحد فيها كلها ولا كان هذا التزايد مستمرًّا بل وقعت فيهِ فترات كثيرة كما حدث في اواخر القرن السابع عشر ثم عاد حتى بلغ اشدَّهُ في زمن الثورة الفرنسويَّة لانها مهدت السبيل لاشتهار القواد العظام ولولاها ما بلغوا الشهرة التي بلغوها

ويظهر من النظر في جنسيَّة هؤلاء الالف من المشاهير ان ٢٦٣ منهم من الفرنسويين . ٢٤٤ من الانكليز و ١٠٤ من الالمانيين و ٧٧ من الايطاليين و ٧٤ من الرومانيين و٦٨ من اليونان و٣٢ من الاميركيين ويأتي بعد الاميركيين الاسبانيون فاهالي سويسرا فهولندا فاسوج فروسيا فبقية الامم واذا قصرنا النظر على الخمس مئة الاولين او على المئة الاولى منهم فقط فاق الانكليز الفرنسويين وفاق اليونان الالمانيين

ثم ان الطرق التي اشتهر بها هؤلاء المشاهير مختلفة فبعضهم اشتهر بالعقليات كالعلماء والفلاسفة وهؤلاء كانوا على اقلهم في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة بالغة في آخرهِ ووقفوا او انحطوا قليلاً الى آخر القرن الخامس عشر وزادوا بعد ذلك الى اواسط القرن السادس عشر ثم وقفوا الى اواخرهِ واخذوا بعد ذلك يزيدون زيادة سريعة جدًّا

وبعضهم بالادبيات كالشعراء والمغنين وهؤلاء لم يكونوا شيئاً مذكورًا في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة مستمرة الى اواسط القرن السادس عشر وانحطوا كثيرًا الى اواخرهِ ثم زادوا زيادة سريعة مستمرة

وبعضهم بالحرب والسياسة ونحو ذلك من الاعمال وهؤلاء زادوا في اواخر القرن الرابع عشر ثم نقصوا قليلاً من اواسط الخامس عشر الى اواخرهِ وزادوا بعد ذلك في اواسط القرن السادس عشر وانحطوا في اواخرهِ ثم عادوا الى الزيادة السريعة المستمرَّة حتى بلغوا اعظمهم في اواخر القرن الثامن عشر

وتختلف الامم الاوربيَّة ايضاً في نوع الشهرة التي يشتهر بها رجالها فاكثر مشاهير الانكليز من رجال السياسة واكثر مشاهير الفرنسويين من قواد الجيوش واكثر مشاهير الايطاليين من المصورين ويقال جملة ان انكلترا فاقت غيرها في السياسة والشعر والفلسفة وفرنسا في قيادة الجيوش

والعلم والانشاء وايطاليا في التصوير والمانيا في الموسيقى . والموسيقيون العظام ١٨ عشرة منهم المانيون وستة ايطاليون . ومكتشفو البلدان العظام اربعة عشر خمسة منهم انكليز واربعة اسبانيون

وبلغ عدد الشهيرات في الالف الذين ذكرهم ٣٢ فقط احدى عشرة منهنّ ملكات شهرتهنّ وراثية على نوع ما و٨ اشتهرنَ بجمالهنّ او بما حلّ بهنّ من الرزايا او بنحو ذلك و١٠ اشتهرن بالانشاء ثلاث منهنّ في الخمس مئة الاولى والمشهورون من الرجال فيها بالانشاء ٧٢

وواضح مما تقدَّم ان الكاتب اقتصر على المشاهير الذين لم يكونوا احياء حينما نُشرت الانسكلوبيذيا البريطانية منذ نحو عشرين سنة

هذا ومن المقرَّر ان نوع الانسان مديون لهؤلاء المشاهير بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم بين الامم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعيَّة فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثر مشاهيرها فيزيد بهم تقدُّمها وارتقاؤُها . وقد استطاع الانسان ان يجري على مثل هذا الناموس في تربية النباتات والحيوانات فولَّد منها اصنافاً فائقة في جودتها ولعلَّهُ لا يستطيع ان يتصرف في نسلهِ تصرُّفهُ في النبات والحيوان ولكنهُ يستطيع امراً لا يلام عليهِ بل يلام اذا لم يعتدّ بهِ وهو ان يبسط موائد العلم والعرفان لدى ابناء نوعهِ على حدٍّ سوى اغنياء كانوا او فقراء . ثم يختار النجباء منهم ويمهّد لهم كل سبل العلم والارتقاء حتى يفوز ذوو العقول الثاقبة والاستعداد الفطري للارتقاء كلٌّ في ما اهَّلتهُ الفطرة لهُ فتنتفع بلادهم منهم النفع الاكبر

ثم ان الشرقي الناظر في السطور المتقدمة يرى فيها ما يخيفهُ . يرى ادلَّة واضحة على ان للامم اعماراً كما للافراد يرى ان اليونان الذين دوَّخوا المسكونة في القرن الرابع قبل المسيح ونشروا فيها لسانهم وفلسفتهم وقام منهم اكبر الشعراء والفلاسفة الذين لا نزال نستقي من معين فلسفتهم الى الآن واعظم القواد الفاتحين والساسة المحنَّكين الذين يقتدى بهم في كل زمان ومكان عاشوا كامَّة عظيمة بضع مئات من السنين ثم لم تقم لهم قائمة بعد ذلك . والرومان الذين اقتفوا خطواتهم وملكوا المسكونة ونشروا فيها شرائعهم وقوانينهم وبلغوا من العمران حدّاً قلَّما تعدَّاهُ من تبعهم عمَّروا ايضاً بضع مئات من السنين ثم دالت دولتهم . وقام بعدهم العرب فملكوا الخافقين واحيوا علوم اليونان ونشروا لواء العدل وقام منهم نوابغ الرجال ولكن دولهم عمرت بضع مئات من الاعوام ثم دالت وقامت بعدها الدول الاوربيَّة التي نراها لهذا العهد بين شيخ وكهل وشاب . فهل قضي على الامم القديمة والامَّة العربيَّة في جملتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن ذلك بحث كبير نرجئهُ الى فرصة أُخرى

طبائع الغربان



وقفنا في مجلة القرن التاسع عشر على مقالة لاحد كتّاب الانكليز وصف فيها الغربان احسن وصف فاعتمدنا عليها وعلى ما كتبهُ علماء الطيور في جمع هذه السطور والحقناها بما قالهُ الجاحظ وغيرهُ من الذين كتبوا في طبائع الحيوان من العرب فنقول

الغربان طائفة كبيرة صوّرنا خمسة من انواعها في صدر هذه المقالة . والغراب الحقيقي منها الذي يُضرَب بهِ المثل في السواد الفاحم كقول عنترة العبسي

فيها اثنتان واربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الاسحم

مرسوم في اسفلها في الطرف الايمن وقد افترس ارنباً وهو يمزق لحمها بمنقارهِ

هذا اكبر انواع الغربان واقواها واجرأها واحذرها وامهرها واشرها واعقلها اذا صحَّت نسبة العقل الى الحيوان الاعجم بل هو اعقل انواع الطيور كلها كما يقول كثيرون من علماء الحيوان

نظر اليهِ اهالي الجنوب نظر الشؤم من قديم الزمان من قبل ان عُرف شيء عن العرب وشعرهم من عهد اليونان والرومان فكانوا يتطيرون بهِ و يستدلون بطيرانهِ على ما خُبِّئ لهم في زوايا المستقبل من البلايا. وعلى ضدهم اهالي الشمال فانهم حسبوهُ طائر معبودهم الاكبر ورفيقهم في حلهم وترحالهم . وروى عنهُ الحكماء روايات شتَّى اودعوها اسرار الحكمة كما ترى في كتب

يدنا (كليلة ودمنة) واسوب الحكيم اليوناني وبيريوس ناظم قصصهِ وفدرس مترجمها الى اللاتينية

وهو منتشر في اكثر القسم الشمالي من الكرة الارضية في اربعة اخماس اسيا وفي كل اوربا واميركا الشمالية وفي الجانب الشمالي من افريقية كانهُ حليف العمران فلا يوجد في اميركا الجنوبية ولا في الطرف الجنوبي من اسيا ولا في اكثر افريقية ولا في استراليا والجزائر المجاورة لها . وواضح من ذلك انهُ يحبُّ البرد ويكره الحر فيكثر في اقاصي الشمال حتى الدائرة المتجمدة الشمالية . ونحن نكتب هذه السطور وعش غراب مصري (وهو نوع من الزاغ) امامنا في شجرة تعصف بها الرياح لكن عيدانهُ محكمة الوضع لا تقع ولا تتقلقل وقد مضى عليهِ خمس عشرة سنة يربي فراخهُ فيهِ ويقلقنا بنعيبهِ صيفَ شتاءَ فيذكرنا غربان لبنان وهي تجتمع عصائب وتخالف الفلاَّح الى زرعهِ ثم تحلّق في الجو فتدوي بنعيبها القيعان وواقيها من رصاص البنادق حذرها الشديد وكراهة لحمها فانهُ لا يؤكل ولا ينتفع بهِ حتى قال الشاعر العربي

فما لحم الغراب لنا بزاد ولا سرطان انهار البريصِ

اما حذرها فيروي عنهُ اهالي الجبل قصةً يقولون فيها قال الغراب لابنهِ اذا رأيت ابن آدم انحنى الى الارض ليلتقط حجرًا فاهرب منهُ حالاً فقال ابنهُ انني اهرب حالما اراهُ لانهُ قد يكون الحجر في جيبهِ

والناظر الى الغراب بلونهِ الساحم ومنقارهِ الغليظ يظنهُ من ابلد الطيور وابعدها عن الظرف والفكاهة والفطنة والذكاء وهو ليس كذلك . يحجل حجلاً كأنهُ يرقص رقصاً ويقول العامة انهُ اراد ان يتعلم مشية الحجل فعجز عنها ونسي مشيتهُ الاولى فصار يثب وثباً يضربون ذلك مثلاً لمن يتطاول الى ما فوق طولهِ فيعود بالخسران . ويقول العرب ان مشيتهُ كذلك من قبيل الزهو قال بعضهم

اجمعتُ انكَ انتَ الأمُ من مشى في فحش مومسة وزهو غرابِ

والحقيقة ان رائدهُ في مشيهِ التفتيش عن القوت. قال فرجيل الشاعر الروماني ما ترجمتهُ

ويحجل في رمال البحر يسعى فريدًا شأنهُ عِظَم وكِبْرُ

وعين الغراب صافية على صغرها حتى قالوا اصفى من عين الغراب وفي ذلك يقول الشاعر

اذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدَّرِ

والوقيعة المكان الصلب الذي يمسك الماء فيبقى صافياً فيهِ

ومنخراهُ صغيران لكنهما يكفيانهِ لاسترواح الفرائس من بعيد تعاونهما عيناهُ في ذلك . وهو اسود كلهُ ما خلا عينيهِ اما الغراب المصري المعروف بالزاغ فبطنهُ وجانب من ظهرهِ رماديان

الى الزرقة . وقد بلغ السواد من الغراب الاسود ان منقارهُ اسود ايضاً ظاهرهُ وباطنهُ كأنهُ لم يشأ ان يرتدي غير السواد حلةً . لكن الغراب الذي كان شائعاً في بلاد العرب كان اكثرهُ من نوع الزاغ على ما يظهر وهو الغراب الابقع الوارد في قول عنترة العبسي

ظعن الذين فراقهم اتوقَّعُ وجرى ببينهم الغراب الابقعُ

ولذلك اذا ارادوا التشبيه بالسواد شبهوا بخافيتي الغراب وقلَّما شبهوا بهِ كلهِ . لكن الغراب الاسود كان معروفاً ايضاً عندهم بدليل قول النابغة

زعم العواذل ان رحلتنا غداً وبذاك خبَّرنا الغرابُ الاسود

ولعلَّ لونهُ الاسود هو الجاني عليهِ حتى عُدَّ من طيور الشؤم عند فريق كبير من الناس او عند اهل الجنوب بنوع خاص اما اهالي الشمال فنظروا الى لمعان ريشهِ واتخذوهُ مثال الجمال وشبهوا بهِ غدائر الحسان

من خرافات الرومان ما رواهُ اوفيد عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود ابلون يعشق كورونس وكان الغراب صديقهُ وسميرهُ وهو ابيض كالثلج فاكتشف الغراب ذات يوم ان كورونس تهوى غير عشيقها فنمَّ بها اليهِ فاتقدت الغيرة في قلب ابلو ورشقها بسهم اصاب فؤادها ثم ندم على ما فعل وحاول علاجها فلم يغنِ العلاج شيئاً فدار الى الغراب النمام وحوَّلهُ من البياض الى السواد . فقالوا لسان المرء يسوّدُ عرضهُ

وروى اوفيد عنهُ قصةً اخرى تدلُّ على سوء الظن بهِ قال بعث بهِ ابلون ذات يوم يستقي لهُ ماء يسكبهُ في عيد المشتري فطار الى عين ماء فرأى فوقها تينة والتين غير ناضج فيها فانتظر الى ان نضج وملأ بطنهُ منهُ ثم رأى حية كبيرة فقتلها وعاد الى مولاهُ بقصعة الماء والحية واخذ يعتذر عن سبب غيبتهِ بقولهِ رأيت هذا العدو يمنعني عن الاستقاء فقتلتهُ واتيتك بهِ . فزجرهُ ابلون قائلاً اخسأ يا خبيث ألا تخجل ان تضيف الكذب الى ذنبك من الآن فصاعداً لا تذوق الماء ما دام التين في اشجارهِ . قال اوفيد ومن ثم وُضعت الحيَّة والقصعة والغراب بين كواكب السماء . اساطير وضعوها كناية عن حكمة ارادوها

وظن القدماء ان الغراب الابيض من المستحيلات كالغول والعنقاء والخلّ الوفي ورووا ان فلنتوس لما كان محصوراً في مدينة رودس قال لهُ الوحي ستبقى المدينة لك الى ان يشيب الغراب وبلغ خصمهُ ذلك فامسك غراباً وطلاهُ بالجبس واطارهُ نحو المدينة فلما رآهُ فلنتس خارت عزائمهُ وسلَّم المدينة الى عدوهِ . وقال بعض السيَّاح انهم شاهدوا غرباناً بيضاء في جزائر الهند الغربية وقال الكاتب انهُ رأى غراباً ابيض في دار التحف البريطانية

وطعام الغراب الحشرات والهوام التي يشكو منها ارباب الزراعة فمنهُ نفع كبير من هذا القبيل لكنهُ يسطو احياناً على الحبوب والاثمار وهناك معظم ضررهِ . واحب طعام اليهِ الجرذان لكنهُ لا يعفو عن الارنب وقد يسطو على صغار الحملان. قال بعضهم انهُ رأى غراباً جاء صغارهُ بخمسة خرانق في ساعة من الزمان (والخرانق صغار الارانب) واذا لم يجد صغار الحيوان سطا على عشاش الطيور وسلب بيضها ولكن يقال انهُ لا يسطو على عشاش جيرانهِ بل على عشاش الغرباء. وقد يعفو عن الهوام القريبة من وكرهِ ويقصد ما كان بعيدًا عنهُ . واذا قصد حيواناً كبيرًا كالارنب او الحمل بادرهُ بضربة تفقأ عينيهِ ثم كسر رأسهُ وافترسهُ خلافاً لما قالهُ الجاحظ من "انهُ لا يتعاطى الصيد واذا اصاب جيفة نال منها والاَّ مات جوعاً"

والظاهر انهُ مغرم بالجيف فاذا استروح جيفة او رأى جثة حيوان وقع على بعد منها ونعب والتفت يمنةً ويسرةً فاذا لم يزجرهُ احد دنا منها رويدًا رويدًا وهو ناظر اليها بملء عينيهِ لئلاَّ تكون حيَّة او تكون طعماً وراءهُ فخ او شرك . ثم ينعب ويتقدم الى ان يقع على الجثة فيفقأ عينيها وينزع لسانها او قطعةً اخرى من لحمها ويبتلعها وحينئذٍ يكون غراب آخر قد سمع نعيبهُ واتى يشاركهُ في وليمتهِ وتبعهما غيرهما فتقبل كلها على الجيفة تبقر بطنها وتمزق احشاءها وتتردَّد عليها يوماً بعد يوم وساعة بعد اخرى حتى لا تبقي منها الاَّ العظام وقد يأتي الكلب والثعلب ويشاركانها في وليمتها فلا تستاء منهما

وليس الغراب من الطيور التي تجمَّع عصائب كالوز واللقلق ولا يسمح لاولادهِ ان تساكنهُ بل يطردها حالما تصير قادرة على السعي لنفسها ولكنهُ اذا وقع على جيفة نسي الاثرة وصار اشتراكياً حتى لقد يجتمع مئة غراب على جيفة واحدة الى ان لا يبقى منها غير عظامها

قيل رأى اهل جزيرة صغيرة ان الغربان كثرت في جزيرتهم فامسكوا بعضها ونتفوا ريش ابدانها وتركوا ريش اجنحتها واذنابها واطاروها فلما رأت اخواتها ما حلَّ بها غادرت الجزيرة لا تلوي على شيء كأنها اتعظت بذلك واعتبرت

وقال الكاتب انهُ رأى الغربان تجمَّع معاً في اثينا ورأى نحو سبعين غراباً منها مرة واحدة ولا جيفة امامها وفي ظنهِ انها فراخ اجتمعت لتتزاوج حتى يختار كل زوج زوجتهُ وكل زوجة زوجها ورفيق عمرها لان الغربان لا تعرف الطلاق ولا الهجران بل يعيش الزوج مع زوجتهِ مدى العمر

وقد رأينا مثل هذا المنظر مرارًا في سفوح لبنان وفي حديقة الازبكية في هذه العاصمة حتى يظن من يراها انها اجتمعت لتتشاور في مهامها او لتحاكم احد الجناة من ابنائها على ما يُروى عنها . وسيأتي تتمة الكلام في الجزء التالي

الربو وعلاجهُ

كتب هذه المقالة طبيب انكليزي مشهور في مجلة انكليزية عمومية حتى يستفيد من مطالعتها جمهور القراء فلخصنا منها ما يلي

الربو ويقال لهُ الازما ايضاً (من كلمة يونانية معناها الشهيق) مرض معروف يكثر حدوثهُ بين المتعلمين والمترفهين وهو نوعان اصلي او عصبي وثانوي او عرضي

وكان الدكتور ترسو الفرنسوي الشهير مصاباً بهِ فوصف كيفية نوبتهِ وصفاً بديعاً قال فيهِ . يذهب المصاب الى فراشهِ على جاري عادتهِ غير شاعر بشيء وينام سريعاً وبعد ساعة او ساعتين يستيقظ مقطوع النفس كأنَّ شيئاً ضغط على صدرهِ وطبقهُ يشهق شهيقاً فيهِ صفير وازيز يُسمع عن بُعد. ثم تزيد الحالة شدة فيجلس ويلقي رأسهُ على كفيهِ ويسند مرفقيهِ على فخذيهِ ويحمر وجههُ ويزرق وينتفخ وتجحظ عيناهُ وتتوتر عضلات عنقهِ التي لا يظهر فعلها في التنفس العادي ويندى جلدهُ بالعرق . وقد يريحهُ الهواء النقي ولكن النوبة قد تطول بضع ساعات وحينما تنتهي يعود اليهِ سبات النوم . وتتكرر النوبة ليلة بعد ليلة ولا يشعر بشيء في غضون النهار

❊ سبب الربو ❊ الميل اليهِ وراثي في الغالب بين الخامسة عشرة والثلاثين والنساء اميل اليهِ من الرجال وبعد الثلاثين يصير الرجال اميل اليهِ من النساء . والاصلي او العصبي يكثر قبل السنة العاشرة والخطر منهُ نادر . والثانوي او العرضي لا يرى إلاَّ في البالغين ويزيد بهِ خطر الداء الذي يسببهُ فهو اشد خطراً من الاول

وقد يكون سبب العصبي في الانف او في الحلق ويعلم ذلك بنوم الصغار وافواههم مفتوحة وهم يتنفسون من افواههم او بوجود الخلل في سمعهم

وقد يصاب البعض بالربو من شمهم رائحة بعض الحيوانات كالقطط والفيران والارانب والخيل بل من شمهم رائحة الناس المجتمعين في اماكن مزدحمة . ويصاب بعضهم من شمهم بعض الطيوب كرائحة البنفسج والاقحوان والمسك ومن شربهم بعض الادوية كعرق الذهب والحامض السليسيليك

ويصاب بهِ البعض من اشتغالهم ببعض الحرف التي تستدعي لمس المعادن كالرصاص والزيبق والزرنيخ والقصدير. وتحدث نوبهُ احياناً من الانفعال الشديد. والامراض التي تحدث

الربو كثيرة ومنها البول السكري والنقرس والروماتزم وامراض القلب والرئة والكبد والكليتين والدماغ وسوء الهضم والديدان

وقد تحدث نوبة الربو من اكل بعض الاطعمة كالكبد المقلو والخبز الجديد والبيض ولحم الاصداف البحرية واللحم الذي ابتدأ فيهِ الفساد

ووُجدت ميكروبات مرضيَّة في نفث المصابين بالربو ولكن لا يعلم هل كان وجودها عرضاً او كانت من المهيجات لنوب الربو

وعُلم الآن ان السبب المباشر للنوبة هو تشنج العضلات المبطنة للشعب الرئويَّة الدقيقة فيوجَّه العلاج الى منع هذا التشنج او الى بسط تلك العضلات بعد تشنجها

وقد تلتبس نوبة الربو في الصغار بضيق التنفُّس الناتج عن تضيق الحنجرة او القصبة بمادة دفتيرية فيجب الفرق بينهما فان كان ضيق النفس ناتجاً عن الدفتيريا رأيت الراس مدفوعاً الى الوراء والضيق حادثاً في الشهيق وان كان ناتجاً عن الربو انحنى الرأس الى الامام ويكون ضيق التنفُّس في الزفير اي في اخراج الهواء من الصدر

ويخشى من الربو لانهُ يتعب الرئتين والقلب والكليتين ونحوها من الاعضاء ولذلك تخشى عواقبهُ ولو كان غير قتَّال بنفسهِ هذا اذا كان اصليًّا . واذا كان ثانويًّا زادت شدَّة المرض الذي يسببهُ فزاد خطرهُ

واذا طالت النوبة كثر الحامض الكربونيك في الدم فسمَّت بهِ مراكز الدماغ المتسلطة على التنفُّس فتنبسط عضلات الجسم بعض انقباضها وفي جملتها عضلات الشعب المار ذكرها فيزول انقباضها و يسهل التنفُّس . اي ان اشتداد النوبة يزيلها . ومن ثم تعلم الطريقة التي يمكن ان تعالج بها هذه النوَب حتى تزول

﴿ علاج الربو ﴾ لقد تعدَّدت الادوية التي يعالج بها الربو لتعدد اسبابهِ ولذلك لا يصح الاعتماد على علاج واحد في جميع الاحوال . وتقسم طرق العلاج الى قسمين قسم يستعمل وقت الفترات لمنع النوب وقسم يستعمل وقت النوب لازالتها سريعاً

ومن الاول ازالة الاسباب اذا امكن ومن هذه الاسباب بقاء الطعام في المعدة غير مهضوم فيزال منها بمقيء او بمسهل . ومنها وجود الدود القرعي في الامعاء فيزال بطاردانهِ . ومنها تضخم اللوزتين او غيرها من الغدد او وجود نام في الانف ولا بدَّ من ازالة هذا السبب . واذا لم يظهر السبب وكان في الجسم مرض آخر وجب ان يعالج بسرعة حتى يزول او حتى يخف . ومنها نوع الهواء بين ان يكون جافًّا او رطباً حارًّا او باردًا نقيًّا او غير نقي

فان المصاب بالربو في مكان هواؤهُ رطب قد يستفيد من مكان هواؤهُ جاف والضد بالضد . والمصاب في مكان هواؤهُ كثير الدخان قد يستفيد في مكان لا دخان في هوائهِ والضد بالضد . وكذلك صناعة الانسان قد تؤَثر فيهِ فاذا ثبت ذلك وجب تغييرها

اما من حيث الطعام المناسب للمصابين بالربو فالآراء مختلفة كثيرًا لان الباحثين لم يهتدوا حتى الآن الى ما يثبت افضلية نوع على آخر ولذلك يترك الامر الى اختيار المصاب

﴿ علاج النوب ﴾ اذا خابت الوسائل التي تمنع حدوث النوبة فالوسائل التي تخففها او تقصر مدتها لا تخيب غالبًا وهي على ثلاثة انواع الاول وسائل عمومية والثاني وسائل تمنع التشنج مباشرة والثالث وسائل تأول الى منع التشنج . فمن الوسائل العمومية فك الثياب ولزق بزر الكتان . واذا طالت النوبة فيستعمل للصغار دهان مركب من جزء من زيت العنبر وثلاثة اجزاء من الزيت المكوفر وللبالغين ثلاثة اجزاء من التربنتينا و ٦ اجزاء من مذوب الامونيا و ١٠ اجزاء من زيت الزيتون يدهن بها الصدر والظهر مرارًا

وقد يفيد فنجان من القهوة . ويفيد ايضًا رش باطن الانف بمذوب الكوكايين . وتوجد علاجات اخرى مثل المورفيا والكلورال ويوديد البوتاسيوم وبروميدهِ والفاليريانا . اما المورفيا والكلورال فيترك وصفهما وكيفية استعمالها للطبيب واما يوديد البوتاسيوم فيستعمل من نصف قمحة الى قمحة ونصف والبروميد من قمحتين الى خمس قمحات وصبغة الفاليريانا النشادرية من خمس نقط الى ١٥ نقطة تمزج هذه الادوية معًا وتستعمل مع الماء المحلى بالسكر حتى تصير الجرعة نحو ستة دراهم والجرعة الصغيرة للاولاد من ابن ست سنين فنازلًا والكبيرة لاولاد ١٤ سنة وما بينهما لمن سنهُ بين بين . والذين سنهم اكبر من ذلك الى ٥٥ سنة يمكنهم ان يأخذوا خمس قمحات من يوديد البوتاسيوم وعشر قمحات من بروميدهِ وعشرين الى ستين نقطة من الفاليريانا في ما يكفي من الماء حتى تصير ٨ دراهم مرةً كل اربع ساعات

ويوضع نيترات الاميل في كبسول زجاجي في الكبسولة ٣ نقط الى ٥ وتكسر الكبسولة في منديل ويستنشق بخارها . والصداع الشديد الذي ينتج عنهُ لا يطول بل يزول حالًا باستنشاق الهواء النقي

اما الوسائل التي تأول الى منع التشنج فقاعدتها ملح البارود يستنشق بخارهُ في سكاير او يحرق بالنار ويستنشق بخارهُ رأسًا . او يبل قرطاس نشاش بمذوبهِ ويجفف ويحرق ويطفأ ويترك حتى يشتعل بدخان كثيف ويستنشق دخانهُ . واحسن مزيج منهُ جزءان من مسحوق السترامونيوم وجزء من مسحوق اليانسون وجزء من مسحوق ملح البارود . يجفف كل

نوع منها على حدتهِ ثم تخلط معاً . واذا كان المصاب لا يدخن التبغ فقليل منهُ مع هذه المواد يفيدهُ جدًّا بوضع نحو درهم من المخلوط في صحفة ويحرق ويستنشق دخانهُ

وتدخين التبغ يفيد الذين لا يدخنون ولكن اذا كان التبغ ممزوجاً بالمواد المتقدم ذكرها كانت فائدتهُ اتم

والزرنيخ من الادوية المفيدة جدًّا ولكن لا يجوز استعمالهُ الَّا بامر الطبيب وحسب ما يشير بهِ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

اتحفتنا حضرة السيدة الكريمة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات بمقالات كبيرة الفائدة في هذا الموضوع فعربناها لننشرها في باب تدبير المنزل تباعاً لان تمريض المرضى منوط اكثرهُ بربَّة المنزل فهي التي تسهر على زوجها وولدها اذا مرضا وهي التي تعاون الطبيب في استعمال الدواء الذي يصفهُ لها وعلى درايتها وعنايتها يتوقف نجاح العلاج

تمهيد

التمريض صناعة رائدها الحب لكن الحب لا يفيد بلا علم ولاسيما اذا كانت حياة المريض وموتهُ وراحتهُ وتعبهُ في يد الممرّضة

ولم تتعلَّم النساء في هذه البلاد كيفيَّة تمريض المرضى حتى الآن ولكن جاءتها بعض الممرضات من البلدان الاجنبيَّة وعسى ان يجبّر هذا النقص مع الزمان فتكثر الممرضات اللواتي تعلمنَ صناعة التمريض ومارسنها كما هنَّ في انكلترا واميركا حيث ترى الممرضات الماهرات في المستشفيات وفي بيوت الاغنياء والفقراء يمرّضنَ المرضى ويطببنَ النفوس

ولم اكتب هذه الفصول للمرّضة التي تعلمت صناعة التمريض ومارستها بل لربَّة المنزل التي يدخل المرض بيتها وتجد نفسها مغلولة اليدين لا تعلم ماذا تفعل لراحة الذين تحبهم وتخفيف آلامهم . فقد تكون من الاغنياء تستدعي لمريضها امهر الاطباء فيعودهُ مرةً او اكثر في

اليوم لكنها لا تتعلم منهُ كيف تسوس المريض في غيبتهِ ولا كيف تخفف آلامهُ ولا يطمئن بالها لحظة ما دامت تجهل سير المرض وكيفيَّة استعمال العلاج . كم من امٍ واُخت وزوجة تقف امام سرير مريضها تودُّ لو تفتديهِ بنفسها لتخفيف آلامهِ لكنها لا تستطيع ان تفعل شيئًا لانها تجهل ما تريد فعلهُ فلها اكتب هذه الفصول راجيةً ان يكون منها النفع المراد

سمعت بالامس امرأة تتحسَّر على جارتها وتقول واحسرتاه عليها فقد مات ابنها وهو شاب ويقول الاطباء انهُ لو أُرسل الى المستشفى لشفي من مرضهِ ولكن ماذا كان يمكن ان يفعل لهُ في المستشفى اكثر مما فعلتهُ امهُ . جلست عند رأسهِ شهرًا كاملاً نهارًا وليلاً لم تأكل ولم تشرب ولم تنم ولم تفارقهُ لحظةً . فهل كان في امكانها ان تفعل لهُ اكثر من ذلك

فلم اقل لها شيئًا بل اخذت افكر في حال تلك الامّ وكيف كانت تجهل وصايا الطبيب وتغفل اعطاء الدواء والغذاء لابنها في الاوقات المعينة وكأني كنت ارى ذلك الشاب ويكاد جوفهُ يلتهب من العطش وامهُ واقفة فوق سريرهِ لا تعطيهِ شربة ماء لان امرأةً من جاراتها قالت لها ان الماء البارد يضرُّهُ . ونساء الحي كلهنَّ جالسات معها ولكلٍّ منهنَّ كلام تقولهُ ورأي تبديهِ وقد افسدنَ هواء غرفتهِ بتنفسهنَّ وصممن اذنيهِ باصواتهنَّ . افيعجب احد بعد ذلك من تغلُّب المرض عليهِ . أَفلم ارَ امهات يطعمنَ اطفالهنَّ المرضى من طعامهنَّ بل يطعمنهم اطعمةً اغلظ من ذلك حمصًا ولوزًا ومسكَّرات ثم يقلنَ للطبيب ان دواءهُ لم يفدهم . وكيف يفيد الدواء والطفل يُطعَم هذه الاطعمة الغليظة ولا يعبأ بقول الطبيب ونصحهِ

قواعد عامَّة

اذا دخل المرض بيتًا فلا بدَّ من حفظ هذه الامور الثلاثة وهي

اولاً الهدوء التام

ثانيًا الترتيب التام

ثالثًا النظافة التامة والهواء النقي . وفي كل من ذلك كلام لا بدَّ من بسطهِ

الهدوء التام — لا يسمح لاحد من الاصدقاء والجيران في دخول غرفة المريض ولا يسمح لاحد في دخول البيت للعيادة اذا امكن لان كل صوت وكل لغط يضرُّ بالمريض . واذا تكلم الذين في غرفتهِ فليكن كلامهم همسًا بصوت منخفض ولكن لا يجوز لاحد منهم ان يتكلم في اذن الآخر لئلا يوجس المريض خيفةً فيظن انهم يقولون شيئًا يريدون ان لا يسمعهُ . فاذا كنتَ تريد ان تقول شيئًا لا تحب ان يسمعهُ المريض فلا تقلهُ في غرفتهِ بل اخرج منها وقلهُ خارجًا

﴿ الترتيب التام ﴾ اذا دخل البيت مرض من الامراض التي تطول مدتها كالتيفويد فعلى ربة البيت ان تقابلهُ بالحزم والسكينة وتستعد لهُ حالاً الاستعداد اللازم حسب مقتضى الحال واذا كان عندها اولاد صغار واستطاعت ان ترسلهم ليقيموا مع بعض الاقارب او الجيران فلتفعل ذلك من غير ابطاء

ولا بدَّ من اثنتين لتمريض كل مريض اذا كان مرضهُ شديدًا واحدة للنهار وواحدة لليل ولكن لا يجوز لهما ان تمرّضاهُ معًا نهارًا وليلاً ولا بدَّ للمرضتين من اناس يقومون مقامهما حينما تأكلان وتخرجان للنزهة وعلى الممرضة (او الممرض) ان تراعي شروط النظافة التامَّة لان النظافة لازمة لها وللمريض ايضاً وان تعتني بنفسها الاعتناء التام حتى يبقى فكرها رائقاً يعي ما يقولهُ الطبيب لتعمل بهِ. وحينما يأتي الطبيب فلتقابلهُ ممرضة واحدة وتخبرهُ عن المريض واما العادة الجارية وهي ان يقابلهُ كل اهل البيت ويخبرهُ كلٌّ منهم خبرًا مخالفاً للآخر فليست من الحكمة في شيء. وعلى كل ممرضة ان تخبر الاخرى بما حدث مدة قيامها على خدمة المريض وما فعلتهُ لهُ حتى تكون كلٌّ منهما عارفة بسير المرض وفعل العلاج

ويحسن بالطبيب ان يعلّم الممرضة كيف تستعلم درجة حرارة المريض في اوقات معينة وتكتبها لهُ فان ذلك يساعدهُ في معالجتهِ

﴿ النظافة التامة ﴾ ان القوانين الصحيَّة تمنع المرض واذا عجزت عن ذلك فانها تردُّ الصحة بعد حدوث المرض . ان بعض النساء يكثرن من الغسل والمسح ولكنهنَّ يضعن فضلات الطعام والثياب الوسخة في الخزائن وتحت المقاعد والسرائر ولا يسألنَ عنها . وكثيرًا ما تكون مرافق بيوتهنَّ غير محكمة فتجدها مملوءة بالغازات الفاسدة . وما عسى ان اقول عن الناس الذين لا يغتسلون ولا يعرفون ما هي النظافة فتجد ابدانهم قذرة وغرفهم وسخة ومراضاهم في حالة يرثى لها من القذارة والوساخة . قابل بينهم وبين مرضى المستشفيات فانهُ حالما يؤتى بالمريض الى المستشفى تنزع عنهُ ثيابهُ ويغسل بدنهُ اذا كان مرضهُ لا يمنع ذلك والاَّ أُلقي على مقعد فوق ملاءة نظيفة ومسح بدنهُ جيدًا كما سيجيء في الكلام على غسل المصابين بالتيفويد ثم ينشف بمناشف نظيفة ويلبس ثيابًا نقيَّة ويوضع على فراش نظيف في غرفة هواؤُها نقي ويسقى كاساً من اللبن او المرق فتنتعش قواهُ ويحمد مولاهُ وينام ملء عينيهِ وينسى ما لقيهُ في بيتهِ

ولا بدَّ من ان تخبر الممرضة الطبيب بكل ما جرى للمريض في غيبتهِ او قبل حضورهِ فتخبرهُ عن الامور الآتية

النوم — يخبر كم ساعة نام المريض وهل كان نومهُ متواصلاً او متقطعاً

الطعام — وماذا اكل وماذا شرب ومقدار ما اكلهُ ومقدار ما شربهُ وهل اكل بقابلية او بغير قابلية

الامعاء — تلاحظ مبرزاته لِيُرى لونها وكم مرةً خرج واذا كان مصاباً بالامساك فمنذ كم يوم لم يخرج واذا كان مصاباً بالاسهال فكم مرةً خرج في اربع وعشرين ساعة

الدواء — يلاحظ ما اذا كان المريض يعرق او ينام او يدوخ بعد اخذهِ الدواء

البول — يلاحظ لونهُ ومقدارهُ

والممرضة رقيبة على المريض من قِبَل الطبيب وكثيرًا ما يتوقف علاجهُ على ما يسمعهُ منها. ويجب عليها ان تدقق في اعطاء الطعام والدواء للمريض ولكن لا يجوز لها ان توقظهُ لتطعمهُ او لتسقيهُ الدواء ما لم يأمر الطبيب بذلك صريحًا لان النوم انفع للمريض من الطعام والدواء

ولا بدَّ من اجراء اوامر الطبيب حرفيًا فاذا كان اهل المريض لا يثقون بهِ فلهم ان يبدلوهُ بآخر ولكن ما دام هو القائم على معالجة المريض وجب التسليم التام لهُ

اذا جئت المريض بالطعام فجئهُ بكميات قليلة منهُ واذا امكن فضع الصحفة او الفنجان على طبق نظيف عليهِ فوطة بيضاء نظيفة . وكلما سقي الدواء في فنجان او ملعقة وجب غسل الفنجان او الملعقة جيدًا وكذلك يغسل الفنجان الذي يشرب منهُ اللبن او المرق . ولا يجوز هز سرير المريض ولا الجلوس عند رأسهِ بل امامهُ حتى لا يضطر ان يرفع رأسهُ كلما اراد ان يرى الجالس معهُ

وعلى الممرضة ان تمشي في غرفة المريض بالهدوء التام لابسةً خفًّا ناعمًا لا يسمع لهُ صوت

الفراش والغطاء

ان اعداد الفراش والغطاء والوسائد حتى تكون كلها مناسبة لحال المريض ليس بالامر السهل فاذا كان المريض مصابًا بالتيفويد مثلاً توضع لهُ وسادة واحدة ويغطى بملاءة واحدة واذا كان مصابًا بالاستسقاء يجب ان يغطَّى جيدًا وتوضع تحتهُ الوسائد الكثيرة وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ . وفراش المصاب بالفالج يجب ان يكون لينًا جدًّا واما فراش من كسرت ساقهُ فيجب ان يكون غير لين وسيأتي الكلام على ذلك بالاسهاب . ولا بدَّ هنا من تنبيه القراء الى ان الغطاء الذي يدفئ لا يلزم ان يكون ثقيلاً وغطاء المريض بنوع خاص يلزم ان يكون خفيفًا ولو دعت الحال ان يكون مدفئًا ايضًا لان جسمهُ ضعيف لا يحتمل الغطاء الثقيل . والملاءة (الشرشف) والاحرمة تكفي لذلك

ولا بدَّ من ان يكون السرير بعيدًا من الحائط فان ذلك انفع للصحة واسهل على المريض والممرضة اذ يسهل عليها الوصول اليهِ من كل جهة . واذا كان المريض كبيرًا وسريرهُ ملاصقاً للحائط تعذَّر عليها تمريضهُ كما يجب

ويجب ان لا يكون في غرفة المريض كثير من الاثاث . واذا كان المرض معدياً وجب ان تنزع منها السجادات والستائر وكل ما يمكن الاستغناء عنهُ

العوارض البيتية

كان شابٌ جالساً على كرسي هزَّاز يقرأ ويهزُّ الكرسي والى جانبهِ مائدة عليها قنديل كبير من قناديل البترول . واشتدَّ هزُّهُ للكرسي فمال الى الوقوع بهِ فامسك بالمائدة من غير انتباهٍ فوقعت ووقع القنديل فانكسر وانصبَّ الزيت منهُ واشتعل وكانت ارض الدار التي هو فيها من الخشب وحولها غرف النوم وليس فيها الَّا ابنة عمرها نحو تسع سنوات وكان ابوها وامها واخوتها قد خرجوا من البيت للسهرة . وحاول الشاب اطفاء النار برجليهِ فسمعت الابنة صوتهُ ونهضت من سريرها وفتحت الباب ورأت الزيت مبسوطاً في الدار ومشتعلاً فيها فاسرعت الى سجَّادة كبيرة القتها عليهِ فانطفأ حالاً ونجت البيت وما فيهِ من الاشتعال

هذا عارض من العوارض الكثيرة التي اذا قوبلت بالتعقُّل والوسائط المناسبة دُفع شرُّها والَّا فنها ضرر لا يقدَّر . وقد يستطيع الولد الصغير ان يدفع شرًّا كبيرًا اذا عرف السبيل لدفعهِ فان تلك الابنة سمعتنا نقول ان القاء السجَّادة او البساط على النار يطفئها فبقي ذلك في ذهنها وانقذت بيتنا وادارتنا كلها من النار . وسنذكر في الفصول التالية الوسائل التي يمكن الالتجاء اليها للنجاة من هذه العوارض

﴿ النجاة من النار ﴾ اذا نهض الانسان من سريرهِ ورأى بيتهُ يحترق فليلبس ثيابهُ اولاً اذا استطاع ذلك والَّا فليلتف بحرام من الصوف او سجادة او بساط ويحاول الخروج من اقرب باب يمكن الخروج منهُ من البيت . ويجب ان لا يفتح ما لا داعي لفتحهِ من الابواب وان يقفل كل باب فتحهُ لان كثرة الابواب المفتوحة تسهل احتراق البيت فكلما فتح باب اندفع الدخان في جهتهِ واندفعت النار وراءهُ

ويبقى الهواء نقياً قرب ارض الغرف فاذا خفت من الاختناق بالدخان فازحف على يديك ورجليك لكي تتنفس الهواء الذي عند الارض او اربط وجهك بمنديل من الحرير او قطعة من الفلانلا بعد ان تبلهما بالماء فيمتنع وصول الدخان الى فمك وانفك . ولا تحاول الهرب من الشباك

بالوثب منهُ ما لم يكن رجال المطافىء تحتهُ ومعهم شبكة يستلقونك بها . واذا لم تجد واسطة للنجاة ادخل غرفة نوم واقفل بابها وراءك جيدًا واربط الملاءات بعضها ببعض واربطها بشيءٍ ثقيل من الاثاث وتدلَّ بها من الشباك . والمروءة تقضي ان ينجي الانسان اولادهُ قبلما يهتم بنجاة نفسهِ

﴿ احتراق الثياب ﴾ قلما يمضي شهر الاَّ ونسمع عن امرأة او ابنة احترقت ثيابها فماتت . ويحدث ذلك للنساء والبنات اكثر مما يحدث للرجال والصبيان لان ثيابهنَّ كثيرة تشتعل بسهولة . فاذا اشتعلت ثياب امرأة او ابنة فلتعلم ان اشتعالها يشتدُّ ما دامت واقفة فلتلقِ نفسها على الارض حالاً ولتتمرَّغ عليها تمرُّغًا كما تتمرَّغ الدابَّة واذا وجدت قربها بساطًا او سجَّادةً او حرامًا من الصوف فلتلتف بهِ . واذا اشتعلت ثياب ولد فلا تدعهُ يركض لان الركض يزيد اشتعال ثيابهِ بل القهِ على الارض حالاً ولفَّهُ بما تجدهُ امامك من المواد الصوفية ثيابًا كانت او احرمةً او بسطًا او سجادات والاَّ فبما تجدهُ من الثياب والملاءات بشرط ان تسكب عليها ماء حتى تبتل . واهم ما يجب الانتباه لهُ ان الوقوف يزيد اشتعال النار ويوصل اللهب الى الراس فيزيد الخطر ولا بد لمن تشتعل النار في ثيابهِ من ان ينطرح على الارض حالاً

﴿ الاغماء ﴾ اذا اغمي على شخص فالقهِ على ظهرهِ في مكان مطلق الهواء وفك ثيابهُ وافرك يديهِ ورجليهِ وشممهُ روح الكافور او الامونيا

﴿ لسع النحل والزنابير والعقارب ﴾ انزع الحمة اذا امكن وصب على اللسع من روح الامونيا واذا لم توجد فضع عليهِ لبخة من زيت الزيتون او من العجين . واذا امكن مصُّ الجرح بالفم خفَّ الالتهاب والالم

آداب المائدة

اجلس على مائدة الطعام منتصبًا لا تحنِ عليها ولا تحنِ الى الوراء

ابسط الفوطة على حضنك . وقد أُهملت الآن العادة القديمة وهي تعليق الفوطة بالعنق حتى تغطي الصدر ولم تعد تستعمل الاَّ للاطفال

شارك الذين تؤاكلهم في الحديث ولا تبدِ اقلَّ ضجر اذا لم يُقدَّم لك الطعام قبل غيرك

خذْ من كل الالوان التي تقدَّم لك ولو لم تأكل منها الاَّ قليلاً اذ ليس من الظرف ان يأكل غيرك وان تتفرج عليهِ

كُلْ متمهلاً من غير صوت اذا امكن ولا تملأْ فمك ولا تفتح شفتيك

لا تتناول الطعام بالسكين بل بالملعقة والشوكة لا غير ولا تحنِ على الصحفة حينما تأكل

اشرب الشوربا من جانب الملعقة لا من رأسها

السرور يساعد على الهضم فلا تتعرّض لموضوع يكدر احدًا وانت تأكل معهُ

لا تضع على غطاء المائدة شيئًا من فضلات الطعام كالعظام وبزر الزيتون وقشور الفاكهة بل ضعها على جانب صحفتك او في صحفة خاصةٍ بها

اكسر الخبز كسرًا بيدك ولا تقصهُ بالسكين

لا تضع اصابعك في فمك ولا تتخلَّل وانت تأكل

لا تقم عن المائدة والطعام في فمك او في يدك

لا تأكل فوق الشبع واذا اعتدتَ ذلك سمنتَ وساءَت صحتك او قلَّت راحتك

لا تنتهر الخدَم الذين يخدمونك على المائدة ولكن ليس من اللياقة ان تشكرهم على شيءٍ لان خدمتك واجبة عليهم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

قراءة الصحف

قد اولعت بقراءة الصحف والمجلات وحصلت لي بذلك لذة زادتني رغبة وولوعاً حتى اذا مرَّ عليَّ اسبوع ولم اطالع بعض ما ظهر فيهِ من اعداد الصحف الاسبوعية شعرت بالاستيحاش ومسَّت قلبي حرارة الشوق الى المطالعة واذا انقضى شهر ولم اطالع ما الفتُ مطالعتهُ من المجلات العلمية انقبض قلبي واصابني ما يصيب المدخن اذا اعوزهُ الدخان . ولقد رأيت هذه المطالعة من افيد المطالعات لمن يدخل في الاعمال ويخالط الانام ويجالسهم اذ تقفهُ على احوال البلاد وتريهِ ما بين الدول من الوفاق او الشقاق واذا اعرض عن مطالعتها رأى نفسهُ عند مجالسة الاصحاب غريباً عن الدنيا ليس عندهُ شيءٌ من اخبارها ومنحطاً معرفة عن طبقة من يحسنون مطالعتها

كيفية مطالعة الصحف

ان من اراد ان يستفيد من مطالعة الصحف ولا يلحقهُ اذى من بعض منشوراتها فلا بدَّ لهُ من اربعة امور الاوَّل ان يقرأ كل ما كتب فيها لا يدع مطلباً من مطالبها ولا خبراً من اخبارها ولو من اخبار قدوم رجل من العوام او سفرهِ ممن لا يتوقف على معرفة قدومهِ او سفرهِ امر من الامور جرياً على القول المشهور "العلم بالشيء ولا الجهل بهِ" وهذا الامر قلَّ من يوفيهِ حقهُ ممن نراهم يطالعون الجرائد بل كثيراً ما نرى الشخص يأخذ الجريدة فاذا لم يجد فيها خبراً يلذ لهُ القاها من يدهِ او نبذها نبذ شيء يعلوهُ قذرٌ حالة كونهِ لا شاغل يشغلهُ عن استتمام القراءة بل قد يعرض عنها الى ما يتلهى بهِ من ضروب اللعب ويستقرئ الحوادث واسبابها وسيرها ونهاياتها

الثاني ان يتتبع المطالب عدداً فعدداً حتى يكون عارفاً في كل مسئلة كمن يسير من منبع النهر الى منصبهِ بحيث لو اراد ان يكتب تاريخ حادثة جرت او مسئلة وقعت لصوَّر لك دواعي وجودها واراك طرق سيرها وبيَّن لك المصاير وعِلَلها . وقد عرفت بعض من يلتزمون ذلك ويراعونهُ وكانت احاديثهم في أذني الذَّ من الصهباء في ذوق الاخطل

الثالث ان يستدعي انتباههُ ويستنجد عقلهُ حتى لا يذهب عليهِ شيء مما لا صحة لهُ وكي لا يستحسن ما لا وجه لاستحسانهِ . فان اكثر اصحاب الجرائد العربية انما يأثرون ما عدا الاخبار المحلية عن جرائد اوربا وهذه قد تذكر اموراً يحسن هناك ذكرها ويفيد ويقبح نشرها هنا ويضرّ وما يتصدى لها اصحاب صحفنا ارادة الاذى لكنَّ كثرة الشواغل وتراكم المهامّ عليهم قد يغفلانهم عن رعاية ما تقتضيهِ حال المطالعين وحالة البلاد التي تجوبها جرائدهم . ومن احبَّ الالتفات الى ما اقول فلينظر جرائد كل مملكة كيف تخبر عن جيوشها في الحرب يرَّها تكتم اخبار الانكسار او تفرغها في اضيق قوالب الايجاز ويرَّها تبادر الى نشر اخبار الانتصار على غاية ما تصل اليهِ الاقلام من الاطناب فعند الانكسار تكاد المحابر تجفّ وعند الانتصار تمد المحابر اليراع كأنها برك تدفق بالمداد وهل يلامون على ذلك كلاَّ بل انما هو تلقين الحكمة وارشاد الفطنة وهو السنَّة المتَّبعة عند البشر مذ كانوا

الرابع ان يعذر الجرائد اذا نوَّهت ببعض الناس تنويهاً عالياً وغالت في مدحهم. واني لكثرة ما قرأت وسمعت من الانتقاد من هذه الجهة اعملت الفكر في ذلك فتبين لي وجه للعذر وجيه وهو ان هذه الجرائد انما تحيا بمال المشتركين وهؤلاء شأنهم في ان يكونوا معروفين بالصفات العالية والمناقب الشريفة شأن سائر البشر فهم يؤاخذون اصحاب الجرائد التي يشتركون

فيها ان عرض ذكرهم ولم يتبعوا اسماءهم بالنعوت النبيهة وربما ادى ذلك الى مصارمة الجريدة وقطع رزقها . ولو نزّل المنتقد نفسهُ منزلة من يخسر مالهُ وعناءهُ ان لم يراعِ خواطر القراء لعدل عن الانتقاد على ان اصحاب الجرائد الذين يؤاخذون في ذلك لا يصفون المرء بصفة لا اثر لها فيهِ وغاية ما هنالك انهم يكبرون تلك الصفة وهذه سنة الناس في المدح وانهم يشمئزون من بعض ما يكتبون من هذا القبيل فوق ما يشمئز غيرهم منهُ ولكن الضرورات تبيح المحظورات

مما يضرُّ نشرهُ

مما يضر نشرهُ اندفاع الجرائد بالطعن على ذي منصب غير مستوجب الطعن واطراؤها من هو جدير بان يُتظلَّم منهُ لمخالفتهِ ما يوجب عليهِ منصبهُ فان كانت ذات غيرة على مصلحة العباد ومحبةٍ لعمران البلاد فسبيلها ان تنتقد اعمال من يشذّ عن مقتضيات منصبهِ وتذكر ذلك بعبارة خالية مما يحقرهُ ويشوّه اسمهُ والاَّ عرَّضت نفسها للاستخفاف والامتهان لا اقول ذلك كمَنْ لا يعتقد ان الجرائد تقدر ان تخدم الآداب والشعوب افضل خدمة وتستطيع ان تكون اقرب وسيلة لجرّ المنافع ودفع المضارّ ولا سيما اذا كانت حرّةً يديرها الحكماء ويدونها الفضلاء . ومن تتبع مطالعة الصحف يرَ ان بعض الجرائد والمجلات قد صارت ذات مكانة في النفوس وأحرزت اقوالها التكريم عند الخواص والعوامّ وذلك لترفعها عن مجاراة الاهواء والتزامها الانقياد للبرهان وتعمد المنفعة العامة والمحافظة على كرامة الصيت فعلى الجريدة اذا رأت ان من وراء الانتقاد على بعض الاعمال فائدة ان تفعل ولكن على وجه يليق بقدرها وقدر الحق الذي تودّ المحافظة عليهِ واما الذمّ الأليم والطعن الموجع فأحرِ بها أن تتكارم عنهما وتقيم نفسها مقام المهذب او مقام الجرَّاح المداوي فليس توبيب المهذّب كذم العدوّ ولا مدية الجرَّاح كسيف القاتل فهما وان جمعهما الايلام يفرقهما الباعث فتوبيب المهذب يبعثهُ صفاء الود وجرح الجرَّاح يدعو اليهِ طلب الشفاء واما ذمُّ الذامّ وجرح العدو فلا باعث لهما الاَّ الضغينة

بيروت عفيفة سعيد الشرتوني

منزلة الشعر من التاريخ

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

اراكم تنوهون بالفصول التي جمعها حضرة الكاتب المجتهد المجيد امين افندي ظاهر خيرالله فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأنها من المكتشفات العصرية والمبتدعات المفيدة . ولا

انكر على حضرة جامعها اجتهادهُ المفرط وانهُ تصفح مئات من الدواوين حتى جمعها ولكن يُرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها

ولديَّ الآن الجزء الاول من اجزاء هذه السنة من سني المقتطف وفيهِ كلام على ان العرب استعملوا الدنانير في زمن عنترة العبسي وربيعة بن المكدَّم والاعشى ونحوهم من الشعراء الذين كانوا في آخر زمن الجاهلية او قُبَيْل ظهور الاسلام اي في القرن السادس والسابع بعد الميلاد . ومعلوم ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد الاسكندر وكان اهالي سورية ومصر وفارس المتاخمون للعرب يستعملون النقود قبل الاسلام بمئات من السنين وكان العرب يخالطونهم تجارًا او اصحاب قوافل لنقل البضائع التجارية من عهد يعقوب ابي الاسباط فلا يعقل الَّا انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والَّا فليسوا بشرًا . واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام ويلبسون الثياب . نعم لو اثبت حضرة جامع هذه الفصول ان العرب الجاهلية كانوا يصكون النقود لكان في ذلك دليل على عمرانهم اما اثبات تعاملهم بالنقود فغاية ما فيهِ ان العرب كانوا يدخلون البلاد المجاورة لهم تجارًا او كانوا يؤجرون جمالهم لتجار البلاد المجاورة او كان تجار البلاد المجاورة يدخلون بلادهم للاتجار وليس في شيء من ذلك دليل على العمران الباذخ

اما استعمال الوزن للنقود وللفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران لان العمران يكثر النقود الصحيحة ويغني الناس عن استعمال الميزان لها او للفضة والذهب

وقد اوردتم في المجلد الرابع من المقتطف الذي صدر منذ ثلاث وعشرين سنة فصلاً طويلاً في تاريخ النقود قلتم فيهِ " ان اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس وقد ضربها اقتداء بداريوس ". وكان ذلك قبل زمن الشعراء الذين ذكرهم امين افندي باكثر من الف سنة . وقلتم ايضًا ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي ومعلوم ان نقود الاسكندر المكدوني الباقية الى الآن والتي وجد منها مبالغ وافرة في صيداء منذ ثلاثين او اربعين سنة كانت اجمل من النقود التي تصك الآن في اوربا واميركا فقولنا ان العرب كانوا يستعملون النقود بعد الاسكندر باكثر من ثمانمئة سنة لا يعود بكبير فخر عليهم

ولقد احسن في ما جمعهُ من الابيات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساء ولكن

كل ما ذكرهُ من هذا القبيل لا يدلُّ على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمراناً من الاحباش او من اهالي السودان اليوم ولا ان عمرانهم كان يقابل بعمران مصر واشور وفينيقية قبل العهد الذي اشار اليهِ باكثر من الفي سنة فان المنسوجات المصرية التي توجد الآن لفائف للمومياء القديمة قد نسج بعضها منذ اكثر من خمسة آلاف سنة او قبل العهد الذي ذكرهُ بنحو اربعة آلاف سنة. والمنسوجات التي ذكرت في اسفار موسى لتغطية خيمة الشهادة نسجت قبل العصر الذي ذكرهُ باكثر من الفي سنة . وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان وداود بل من قبل ايام ابرهيم الخليل من ايام ملوك اشور و بابل وملوك مصر الاولين فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون فليس كثيرة لذلك شأن يذكر

هذا ويعلم الله ان ليس من قصدي الحط من قيمة ما جمعهُ صاحب هذه الفصول ولا بخسهُ حقهُ من الشكر على اجتهادهِ فانهُ والحق يقال حريٌّ بكل مدح لانهُ بيَّن لنا ان شعراء العرب كانوا يصفون احوال زمانهم ولا يكتفون بوصف الازمنة الغابرة كاكثر شعراء عصرنا ولكن الاستدلال على عمران العرب بابيات يقال فيها انهم كانوا يأكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون و يشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه بقدرهم وغاية ما فيهِ ان البدو ليسوا في هذا العصر بارقى من اسلافهم الذين كانوا منذ نحو الف واربع مئة سنة . وهو استنتاج موجب للخجل لانهُ ان كان سكان بلاد العرب لم يرتقوا عمَّا كان عليهِ اسلافهم منذ الف واربع مئة سنة ولم يرتقِ من العرب الاَّ الذين استوطنوا البلدان الاخرى كمصر وسورية وفارس التي كان عمرانها رائعاً قبل عهدهم فهناك مجال للظن او للترجيح ان الارتقاء الذي اتصفوا بهِ مقتبس من غيرهم لا ناشىءٌ منهم وهو بالنسبة اليهم ثوب عارية

بيروت باحث مستفيد

مؤتمر المستشرقين

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعت ما كتبهُ حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في هذا القطر . ولعمر الحق انهُ اقتراح حلٌّ محلهُ لان هذا القطر اصبح في مقدمة البلدان العربيَّة ولا يجد العلماء في غيرهِ ترحيباً . لكن عهدنا ان هذه المؤتمرات تلتئم بدعوة من حكومات البلدان التي تلتئم فيها بنقلها اليهم المندوبون الذين ينوبون عنها فكان الواجب على الحكومة المصريَّة ان تظهر رغبتها في ذلك وان هذه الرغبة يعرب عنها النوَّاب الذين ترسلهم

الحكومة المصريَّة الى مؤتمرات المستشرقين . الاَّ اننا قد الفنا في هذا القطر ان لا نعمل عملاً نحن ولا حكومتنا ما لم يدفعنا اليهِ رجل اجنبي . والمؤتمر الطبي لم يكن ليجتمع في بلادنا لو لم يقم الاطباء الاجانب ويطلبوا اجتماعهُ. ولو كان من الاجانب نزلاء هذا القطر رجل وجيه لهُ اهتمام شديد باللغة العربيَّة او باللغات الشرقيَّة وحث الحكومة المصريَّة على دعوة المستشرقين رأيناها تلبي طلبهُ حالاً . اما وقد جاءنا مؤتمر الاطباء باربعين الف جنيه التي وهبها السر ارنست كاسل على اثر ما سمعهُ في ذلك المؤتمر فلا يبعد ان تقوى العزيمة على عقد مؤتمر للمستشرقين عسى ان يأتينا بكريم آخر يهبنا مبلغاً طائلاً من المال نطبع بهِ ما يجب نشرهُ من الكتب العربيَّة القديمة على اسلوب يسهل مراجعتها كما تطبع في مطابع اوربا . وعسى ان تتناول الجرائد اليومية هذا الموضوع وتكثر من الكتابة فيهِ الى ان تنال الغرض المطلوب

محمد حمدي

باب الزراعة

المعرض الزراعي

فتح دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الخديويَّة المعرض الزراعي في ١١ فبراير بحضور جمهور غفير من امراء العائلة الخديويَّة وصاحبي الدولة الغازي مختار باشا ورياض باشا وحضرات النظار واكابر موظفي الحكومة ووكلاء الدول وحضرات المحافظين والمديرين واعيان الوطنيين والاجانب واكابر المزارعين في القطر كلهِ . وقد سرُّوا جميعهم بما رأوا من اتساع هذا المعرض وانتظامهِ ولاسيما انتظام عرض المواشي في الحظائر الجديدة التي بنيت لها من الحديد والآجر فان الناظر يراها في لمحة ويستسهل مقابلتها بعضها ببعض احسن مقابلة . وقد زاد كل عارض اعتاد العرض في الاعوام السالفة اتساع دائرة معروضاتهِ وعدد انواعها . وزاد عدد العارضين في اصناف وقل في اخرى

وقد عرض في سراي المعرض ما اعتيد عرضهُ من الحاصلات الزراعية المختلفة من قطن وحبوب وقصب وغيرها والطيور الداجنة كالدجاج والحمام والبط وما اشبه

ومما استوقف الابصار خصوصاً بين هذه المعروضات القطن السوداني وقطن المستعمرة الايطالية على البحر الاحمر اما القطن السوداني فمن معروضات حكومة السودان وهو اربعة

اصناف العفيفي والعباسي واليانوفتشي والاميركاني وقد جرَّبت الحكومة السودانية زرع هذه الاصناف في مديريَّة الخرطوم وهي وان تكن ادنى من اصناف الاقطان التي تزرع في القطر المصري فقد ثبت منها ان السودان تصلح لزرع القطن . واما قطن المستعمرة الايطالية فقد ظهر لنا ان شعرتهُ اطول من شعرة القطن السوداني ونوعهُ اجود

وقد عرضت الخاصَّة الخديوية كثيرًا من مواشيها وحاصلاتها وهي مثل معروضات الحكومة السودانيَّة خارجة عن دائرة الجائزة ولكننا علمنا ان الجمعيَّة الزراعيَّة ستضع مدالية ذهبية خاصة بمعروضات الحضرة الخديويَّة

وقد عرض معظم الآلات البخارية والزراعيَّة غربي سراي المعرض هذه السنة وعرض معظم المعروضات الصناعية شرقيها

واول معروضات الآلات معروضات المسيو ماروني ومعروضاتهُ من صنع ايطاليا وهناك آلة لحلج القطن عرضها حضرة حنا بك باخوم وهي من صنع الانكليز ومن طرز جديد وتتلوها معروضات حضرة الخواجه انطون قلاده وهي تشبه معروضاتهِ في السنة الماضية . وبعدها معروضات محل الخواجات الن والدرسن وهي كثيرة الاشكال عديدة الانواع على جاري العادة ولكن بينها طرزًا جديدًا من رستن بروكتور الشائعة في هذا القطر وهي تمتاز على كل ما تقدمها من نوعها بشدة اقتصادها في الفحم

ويتلو هذه المعروضات معروضات المستر كنجسفورد وهي درابزونات مختلفة الاشكال والانواع وبيوت وعنابر حديديَّة وامثلة آلات بخاريَّة تسير بها السفن في الماء وغير ذلك

وبعد هذه معروضات محل اورنستين وكوبل — ووراءها بقليل معروضات ارثر كوبل وكلا المحلين مشهور بسكك الحديديَّة الزراعية ولا تختلف معروضاتهُ هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة السابقة

وبينهما معروضات محل كوك من عدد وطلمبات وآلات زراعية . ومعرضات محل ستيمان ومباردي وهي مثل معروضات الاعوام السالفة ولكن بينها عدة من طرز جديد قيل لنا ان قوتها ١٦ حصانًا ولا يوقد فيها من الفحم غير قنطار في الساعة . وتدار باحراق الشرارة الكهربائيَّة للغاز الذي يتكوَّن في العدة

وتتلوها معروضات حضرة حسبو بك محمد وبينها الآلات الزراعية التي يصنعها اهل هذا القطر . ومقابل هذه المعروضات معروضات عدد سنجر للخياطة والتطريز وكل اشغال الابرة وقد عرض هذا العام عدة عدد جديدة للتطريز والخياطة منها عدة لطيفة تدار بالكهربائية

والى شمال السراي معروضات الزبدة الالمانية التي يديرها حضرة فؤاد افندي في سراي الجزيرة . ومعروضات بيرا الاهرام وكان الناس يتقاطرون اليها لشرب بيراها . ومعروضات السباخ الكفري والى شرق السراي زحافة عظيمة اخترعتها شركة البحيرة وهي تدار بالبخار ومعروضات الفصنات ويرى الانسان هناك حجارة الفصفات ومسحوقها وتتلوها معروضات شركة السمنت حيث يفهم الانسان كيف يصنع السمنت المصري في لحظة من الزمان . وبعد هذه معروضات الصابون الكاربوليكي والعلاج المهلك للحشرات عن الغنم والمواشي ثم معروضات شركة الملح والصودا وهي ابدع معروضات هذا العام يجد فيها الانسان ما يشاء معرفتهُ عن ملح الطعام وكيفية عمل الصابون الذي تصنعهُ هذه الشركة ومحلاً لطيفاً مصنوعاً كلهُ من الكسب . وبعد هذه معروضات شركة تكرير السكر وهي تشبه معروضاتها في السنة الماضية ويجد الانسان غير ذلك معروضات شركة السباخ ومعروضات مصلحة السجون من سروج ونحوها ومعروضات محمد عمر الحصري المشهور في الزقازيق وقد اعجب الناس بحسن منظرها واتقان صنعها كما اعجبوا بابداع المصنوعات الدمشقية من الخزائن والموائد وغيرها الموصوفة بدقة صنعها ومحكم تنزيلها وعجيب فسيفسائها

وقد اثنى الناس عموماً على ما بذل جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية من الهمة والعناية في تنظيم هذا المعرض كما اثنوا على جناب المستر كاري الذي لهُ اليد الطولى في انجاح هذه المعارض النافعة برئاسة دولة البرنس حسين باشا كامل وحسن رغبة القائمين بامر الجمعية الزراعية

موسم القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى ٢٧ فبراير ٥٤٤٢٠٨٦ قنطاراً يقابلها في العام الماضي ٥٩١٤٦٠٣ قناطير فالنقص في الوارد هذا العام نحو نصف مليون قنطار والمظنون ان الموسم كلهُ ينقص كذلك عن موسم العام الماضي لكن الاسعار الحاضرة جبرت نقص الموسم . وهذا النقص ليس السبب الوحيد لارتفاع الاسعار الاَّ انهُ ساعد كثيراً على ارتفاعها حتى لو بقي الموسم ستة ملايين قنطار فقط لبقي سعره* ثلاثة جنيهات اوحواليها ولو بلغ الموسم الاميركي اثني عشر مليون بالة . واذا ثبت ذلك بالبحث المدقق فمن مصلحة هذا القطر ان تسعى حكومتهُ ومجلس شوراهُ لوضع قانون يحصر زرع القطن في ثلث الاطيان التي تروى الآن ريّاً صيفياً فان هذا الحصر يعود حينئذٍ بالفائدة الكبيرة على المزارعين

انفسهم لانهُ يغلي ثمن القطن ثم ان الاطيان التي لا تزرع قطناً بهذا الحصر تزرع زراعة أُخرى فتكون فائدتهُ مزدوجة

مستقبل ثمن الاطيان

لم نرَ اقبالاً مثل اقبال الناس الآن على مشترى اطيان الدائرة السنيَّة مهما غالت بها حتى ارتفعت اسهم الشركة التي تبيعها من خمسة جنيهات الى اكثر من خمسة عشر جنيهاً بعد ان بقيت مدة طويلة تتراوح بين سبعة جنيهات وثمانية. ولم تزد هذه الزيادة الاَّ لان الاسعار التي بيعت بها اطيان الدائرة فيها ربح كبير للشركة يعادل هذه الزيادة

لكن المشترين لم يُغبَنوا اذا اعتُبِرَ امرٌ لا يلتفت اليهِ الاَّ قليلون وهو ان ثلثي الثمن او ثلاثة ارباعهِ تقسَّط على خمس عشرة سنة بفائدة خمسة في المئة ومعلوم ان الذهب سيكثر كثيرًا بين ايدي الناس في السنوات التالية حتى ان الارض التي تساوي الان مئة جنيه تصير تساوي مئة وخمسين جنيهاً اذا كثر الذهب ورخص بالنسبة الى ما يُشترى بهِ ولذلك فالذي يشتري الآن شيئاً بمئة جنيه ويدفع ثمنهُ بعد عشر سنوات حينما تصير المئة الجنيه بمقام ستين جنيهاً الآن يكون كأنهُ دفع ثمنهُ ستين جنيهاً لا مئة جنيه

ومن المحتمل ان تهبط اسعار الحاصلات كثيرًا فتهبط اسعار الاطيان ايضاً او يضطر كثيرون من الذين استدانوا واشتروا طيناً ان يبيعوا الطين الذي اشتروهُ لانهم يعجزون عن ايفاء الدين لكن الاحتمال الاول بعيد فلا يؤْخذ بهِ والاحتمال الثاني لا يهبط بهِ سعر الاطيان زمناً طويلاً لو صحَّ لانها تأول اخيرًا الى اناس من اهل الثروة يكتفون بالربح القليل منها فيعود سعرها الى الارتفاع

وهناك احتمال ثالث وهو ان ينتشر اتقان الزراعة في القطر فيزيد غلَّة الفدان ثلاثين او اربعين في المئة يسدُّ بها ما يمكن ان يحصل من النقص في اسعار الحاصلات

الجمعية الزراعية

اجتمعت الجمعية الزراعية في ١٢ فبراير برئاسة دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقررت ان تتوسع في توزيع بزرة القطن على صغار المزارعين وان توزع اربعة عشر الف اردب منها هذا العام على تسعة آلاف مزارع وكانت لا توزع قبلاً سوى خمسة آلاف اردب . وقررت ايضاً ان ترجع الى اقامة المعارض الزراعية وان تشرع في اقامة معارض صغيرة لصغار الفلاحين

في جميع المديريات . وقررت ايضاً ان تخاطب الحكومة في منع ذبح العجول الصغيرة وان توضع ثيران قوية في المراكز لتحسين نتاج البقر وان تسعى في تقصير مدة المناوبات الى زمن التحاريق. وكل ما اقرَّت عليهِ غاية في الاجادة الاَّ ذبح العجول كما سيجيء

ذبح العجول

لا ندري كيف يطمع اعضاء الجمعية الزراعية في ان يحملوا الحكومة تمنع الاهالي من ذبح العجول . وهبْ ان الحكومة سنَّت قانوناً لذلك فمن يكفل ان الاجانب يخضعون لهُ . ثم ان الاهالي الذين يذبحون العجول يظنون ان ذبحها اربح لهم من تربيتها ولولا ذلك ما اقدموا على بيعها للذبح فلا يكون من العدل ان تمنعهم الحكومة عما يظنون ان لهم منهُ نفعاً خاصاً ولو كان من هذا المنع نفع عام للبلاد . وهم يقولون كما قال لنا كثيرون منهم انهم يبيعون العجل الذي عمرهُ من اربعين يوماً الى ستين بجنيهين الى ثلاثة ويكسبون زيادة اللبن الذي كان يرضعهُ لو بقي عندهم . واذا صار عمرهُ سنة وارادوا بيعهُ لم يبع باكثر من جنيهين الى ثلاثة وقد لا يبلغ ثمنهُ الاَّ جنيهين ونصفاً على الاكثر فيكون الاربح لهم بيعهُ وعمرهُ اربعون يوماً الى ستين. وكذلك اذا صار عمرهُ سنتين لا يباع باكثر من ستة جنيهات مع انهم يكونون قد انفقوا على علفهِ نحو اربعة جنيهات نعم انهُ اذا صار عمرهُ خمس سنوات يصير يساوي اربعة عشر جنيهاً او اكثر ولكنَّ الفلاَّح لا يستطيع ان يربي ما يزيد على حاجتهِ من المواشي وينفق عليها على امل ان يبيعها بعد ذلك بثمن غالٍ لا سيما وانهُ يضطر كل سنة ان يستدين الجنيه بجنيه وربع لكي يدفع بعض اقساط المال. فاذا كان لا بدَّ من تربية المواشي في هذا القطر فهي تجارة رابحة اذا اقتصرت على تربية العجول فقط فيرخص ثمنها قليلاً ولا يعود الفلاَّح يرغب في بيعها كما يرغب الآن . اما تربيتها حتى تكبر فلا يكون منهُ ربح في هذا القطر الاَّ حيث يمكن تشغيلها لغلاء العلف فيهِ حتى يكون من تشغيلها ربح يقابل نفقة علفها

لكن ما لا يتيسَّر في هذا القطر يتيسَّر في الاقطار السودانية لكثرة المراعي فيها فاذا تسهلت وسائل النقل من السودان ورخصت فلا يبعد ان يأتينا منهُ اللحم والمواشي بعد سنين قليلة

وقد اشار البعض بابتياع المراعي الواسعة في جنوبي سورية حيث تكثر المياه وتربية المواشي فيها وجلبها الى القطر المصري وهو رأي حسن ولكن العمل بهِ صعب ما دام الامن غير مستتب في تلك الجهات . ومن المحتمل ان يكثر استعمال الآلات البخارية في الزراعات الواسعة فتقل حاجة القطر الى المواشي

باب الصناعة

تذهيب الزجاج

طريقة اولى . نظف الزجاج جيدًا واذب غراء السمك في الماء حتى يكون المذوب خفيفاً جدًا وسخنهُ قليلاً وادهن بهِ الزجاج حيث تريد ان يلصق الذهب بهِ ثم ارفع ورقة من ورق الذهب بقلم المذهّب وضعها فوق الغراء ودعهُ حتى يجف واذا لم يظهر الذهب جيدًا ضع ورقة اخرى فوق الورقة الاولى

طريقة ثانية . اذب كلوريد الذهب ورسّبهُ بالبوتاسا او الزاج الاخضر فيرسب مسحوقاً بنيًّا ناعماً فاغسلهُ وجففهُ وامزجهُ بالبورق بعد شيءٍ حتى يطير الماء منهُ واضف الى المزيج روح التربنتينا او ماء الصمغ العربي وضعهُ على الزجاج بفرشاة واشوهِ في فرن خاص بذلك فيطير روح التربنتينا ويحترق الصمغ . والبورق يذيب الذهب ويلصقهُ بالزجاج الذي تحتهُ

طريقة ثالثة . ضع قليلاً من غراء السمك في الماء على نار خفيفة قدر ساعة من الزمان حتى يذوب ثم ارفعهُ عن النار واضف اليهِ قليلاً من الروم واتركهُ حتى يبرد . ونظف لوح الزجاج وصب عليهِ من هذا السائل ثم الصق بهِ ورق الذهب واوقفهُ على حرفهِ حتى ينضح عنهُ ما زاد من السائل وحينما يجف امسحهُ بقطنة . ثم ارسم الكتابة التي تريدها على ورقة وخرّمها بدبوس وضع الورقة فوق الذهب ورش عليها غبار الطباشير الناعم فيدخل من الخروم ويلصق بالذهب ويرسم عليهِ صورة الكتابة فان شئت ان تكون ذهبيةً وما حولها اسود فانزع الذهب عن غير الكتابة وادهن قفاها بدهان اصفر وما حولهُ بدهان اسود . وان شئتَ ان تكون الكتابة سوداء وما حولها ذهبيًّا فانزع الذهب من محل الكتابة وادهن قفا اللوح بدهان اصفر على ظهر الذهب وبدهان اسود فوق محل الكتابة

الطريقة الرابعة . اذب كلوريد الذهب النقي في الماء ورشح المذوب حتى يكون في كل اوقتين من الماء قمحة من الذهب واضف الى المذوب قليلاً من الصودا حتى يصير قلويًّا ثم نظف لوح الزجاج الذي تريد تذهيبهُ وصب عليهِ من مذوب الذهب بعد ان تضيف اليهِ قليلاً من الالكحول المشبع بغاز الضوء فيرسب الذهب من السائل على اللوح ويلصق بهِ في نحو ثلاث ساعات

تذهيب الحديد

اصنع ملغماً من الزيبق والصودا وافرك بهِ سطح الحديد ثم اكتب عليهِ او ادهنهُ بمذوب كلوريد الذهب الثقيل واحمهِ قليلاً فيطير الزيبق ويبقى الذهب لاصقاً بالحديد

تذهيب العاج

ضع العاج في مذوب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) ثم في مذوب نيترو مريات الذهب فتلصق بهِ قشرة ذهبيَّة جميلة

تذهيب الصلب (الفولاذ)

اذب قليلاً من الذهب في ماء الذهب وبخّر المذوب حتى يجف اي حتى تزول منهُ زيادة الحامض ثم اذبهُ في الماء واضف اليهِ ثلاثة اضعاف جرمهِ من الايثر الكبريتيك واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة في زجاجة مسدودة سدًّا محكماً فيطفو مذوب الذهب الايثري على سطح السائل واذا غطس فيهِ الصلب الصقيل اكتسى قشرة ذهبيَّة حالاً ويمكن ان ترسم عليهِ رسوم بمادة غروية فيلصق الذهب بما بقي مكشوفاً من سطحهِ

حفظ الازهار

ان المشتغلين بجمع النباتات للمنابت لم يكونوا يعرفون طريقة لحفظ الازهار غير كبسها بين صفيحتين من الورق فيتغير شكلها و يزول لونها او يتغيَّر . وقد انتبه بعضهم الآن الى الطريقة التي استعملتها الطبيعة وقت خراب بمباي وهركولانيوم وهي طمر النبات بالرمل الناعم جدًّا فانهُ يجف وهو مطمور كذلك ويبقى على شكلهِ ولونهِ . وكيفيَّة ذلك ان يوضع الرمل الناعم في اناء لهُ ثقوب دقيقة كالاناء الذي يرش منهُ البهار على الطعام و يوضع النبات في صندوق ويذرّ عليهِ من هذا الرمل الناعم رويدًا رويدًا حتى يغطيهُ كلهُ و يعلو عليهِ نحو شبر و يترك كذلك من ستة ايام الى ثمانية حتى يجف جيدًا ثم ينزع الرمل عنهُ بلطف فيوجد تحتهُ جافًّا بشكلهِ ولونهِ الطبيعيين . ويحسن ان يدهن حينئذٍ بفرنيش خفيف مصنوع من اللك المذاب في مذوب كربونات الصودا او الامونيا يغطس النبات فيهِ بعد تجفيفهِ وينفض فيكتسي قشرة لامعة من الفرنيش

العاج الصناعي من البطاطس

لما خيف من نفاد العاج صُنع السلولوس فقام مقامهُ في كل ما يستعمل لهُ . والآن صنعت مادة تقوم مقام السلولوس وتفضلهُ في كونها تقبل النشر والخرط والثقب وتستعمل في كل ما يستعمل لهُ العاج او العظم . وهي تصنع بمعالجة دقيق البطاطس او فضلات دقيقهِ بمذوب فيهِ حامض وغليسرين فيكون من ذلك مادة غروية تجف حالاً ثم تطحن وتمزج بالماء وتفرغ في قوالب كما يمزج الجبس بالماء ويفرغ في القوالب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تاريخ الصحافة

بيتنكرباس بالبرازيل . الخواجه نقولا عبسي . نرجو ان تذكروا لنا شيئاً من تاريخ الصحافة وفي اي وقت كان ظهورها

ج أُنشئت الجرائد اليومية في عهد الرومانيين وكانت تكتب فيها اخبار الجيش وترسل الى قوَّادهِ وتكتب اوامر القوَّاد وترسل الى الضباط الذين تحت امرهم . اما الجرائد العمومية فانشئت اولاً في المانيا في القرن الخامس عشر . وكانت اوراقاً صغيرة تكتب فيها الاخبار العمومية وتنشر . وسنة ١٥٦٦ انشئت اول جريدة في البندقية بامر حكومتها مستوفية شروط الجرائد المعروفة اليوم وكانت تنسخ نسخاً وتعلَّق في الاماكن العمومية ويباح لكل احد ان يقرأها اذا دفع قطعة صغيرة من النقود اسمها غازطة ومن ثمَّ سميت تلك الجريدة غازطة وأُطلق هذا الاسم على الجرائد . ثم كثر نشر الجرائد وصارت تطبع طبعاً وتنشر في الاقطار . ونشرت اول جريدة في بلجكا سنة ١٦٠٥ وفي المانيا سنة ١٦١٥ وفي انكلترا سنة ١٦٢٢ وفي فرنسا سنة ١٦٣١ وفي اسوج ونروج سنة ١٦٤٢ وفي اميركا سنة ١٦٩٠

(٢) اصل الكلاب والحمام

ومنهُ . قرأنا في بعض المجلات ان الكلاب والحمام من اصل واحد فهل ذلك صحيح وكيف تفرعت الكلاب والحمام من اصل واحد

ج يقول اصحاب مذهب النشوء ان الحيوانات كلها مشتقة من اصل واحد او من بضعة اصول وانها تنوَّعت وصارت كما هي الآن لاسباب طبيعيَّة كما صار الورد البريّ الذي ليس في الزهرة من زهرهِ الا خمس ورقات بستانيًا في الزهرة منهُ اوراق كثيرة او كما يصير الجنين طفلاً ورجلاً . ومن هذه الاسباب الطبيعيَّة الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي وبقاء الانسب وتغيُّر الاحوال الذي يدعو الى ظهور تغيُّر في الفرد يحفظ بالوراثة . راجعوا ما كتبناهُ عن مذهب دارون في المجلدات السابقة تجدوا فيهِ كثيرًا من التفصيل . اما كون الكلاب والحمام مشتقة من اصل واحد فيصحُّ اذا نظرنا الى اصلهما البعيد الذي يقال ان الوحوش والطيور مشتقة منهُ

---

(٣) سر النجاح

مصر . عبد الحميد افندي فهيم . ما هي اهم النصائح التي يجب ان يُنصَح بها شاب قادم على صناعة او تجارة يريد النجاح

ج لا ينجح احد في عمل ما لم يصر فيهِ ولوع بذلك الامر اوهوَس . ومتى تمكَّن منهُ الولوع حتى صار يحلم بعملهِ ويسهر عليهِ وينهض لهُ عند الفجر يكتشف الطرق التي تنجحهُ فيهِ ويجد السبُل التي تكفل لهُ النجاح . فاذا كانت الصناعة او التجارة من الاعمال المحلَّلة الشريفة فاهمُّ ما ينصَح بهِ طالبها ان يعكف عليها حتى يصير لهُ ولوع بها فانهُ يفلح حتمًا ولكن يخشى ان هذا الولوع يسهّل عليهِ ارتكاب ما لا يحلُّ او السير في سبل يأباها الذوق السليم او ينكرها جمهور الفضلاء او يقيدهُ بعملهِ فيمسي اسيرًا لهُ ولا يبقى لهُ شأن الا كآلة ميكانيكية تقضي العمل الذي اديرت لاجلهِ كما امسى كثيرون من جامعي الثروة . قال لنا واحد منهم بالامس لقد اصبح دخلي السنوي الآن ثمانين الف جنيه في السنة وانا يكفيني منها مئة جنيه ولا انفق على نفسي اكثر من مئة جنيه ومع ذلك اذا سمعت عن باب يزيد بهِ ربحي ارى نفسي مدفوعًا اليهِ بقوة لا استطيع ردَّها فانا مسيَّر لا مخيَّر . هذا هو الرجل الذي تملَّكهُ الولوع حتى صار فيهِ هوَسًا او نوعًا من الجنون . ويجب ان يساعَد من خيف عليهِ الوقوع في مثل ذلك حتى لا يعطي نفسهُ هواها . واذا لم تكن التجارة او الصناعة من الاعمال المحللة او الشريفة فاهم ما ينصح بهِ العدول عنها الى غيرها

(٤) اعظم اكتشاف

ومنهُ . ما اعظم اكتشاف افاد العالم اكثر من غيرهِ

ج نظن ان اكتشاف الطباعة افاد الناس اكثر من اي اكتشاف آخر ويدانيهِ في ذلك اكتشاف الكتابة بالحروف الهجائية ثم استنباط الآلات البخارية ثم استنباط الآلات

الكهربائيَّة ومن هذا القبيل اكتشاف باستور وكوخ لميكروبات الامراض

(٥) احسن مجلة فرنسوية

ومنهُ . ما هي احسن مجلة ادبيَّة فرنسويَّة

ج ان مجلة العالمين اوسع المجلات الادبيَّة وكتَّابها من اشهر كتَّاب العصر

(٦) اشهر مؤلفي الروايات

ومنهُ . من هو اشهر مؤلفي الروايات في هذا العصر

ج من المرجح ان تولستوي وكبلنغ اشهر مؤلفي الروايات في هذا العصر وقد كان زولا في طبقتهما

(٧) مروان الحمار

ومنهُ . ما السبب في تلقيب مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية بالحمار

ج قال الامام السيوطي في تاريخ الخلفاء انهُ "لُقب بالحمار لانهُ كان لا يجف لهُ لبدٌ في محاربة الخارجين عليهِ كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان اصبر من حمار في الحرب فلذلك لُقب بهِ . وقيل لان العرب تسمي كل مئة سنة حمارًا فلما قارب مُلك بني امية مئة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك" . فترون من هذا ان تلقيبهُ بالحمار يفيد الرفعة لا الضعة

---

(٨) ابن تيمية

مصر . احمد افندي الاسحاقي . طالعت ما نشرتموهُ في الجزء العاشر عن ترجمة لوثيروس وابن تيميَّة فوجدت ارقام تاريخ مولدهِ ووفاتهِ تخالف ما كنت احفظهُ فراجعت تاريخ ابن خلكان فرأيت فيهِ ما يلي "ومولدهُ في اواخر شعبان سنة اثنتين واربعين وخمسماية بمدينة حرَّان وتوفي بها في حادي عشر صفر سنة احدى وعشرين وستماية" فكيف اتت تلك الارقام التي في المقتطف عن ميلاد شيخ الاسلام ومتوفاهُ

ج ان ابن تيميَّة الذي ذكرتم تاريخ ولادتهِ ووفاتهِ هو محمد بن تيميَّة الملقب بفخر الدين الخطيب وقد كانت ولادتهُ ووفاتهُ كما ذكرتم .واما المذكور في المقتطف فهو تقي الدين احمد ابن تيمية وهو ولد بحران ايضاً وكانت ولادتهُ في ربيع الاول سنة ٦٦١ وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٢٨ كما ذكر في المقتطف

---

(٩) قص الشعر والهلة

المنيا . فضول افندي زرعوني . حينما تقص المرأة شعر ابنتها تجعل ذلك في ايام معلومة من هلَّة القمر لينمو شعر الابنة سريعاً . وامثال ذلك عند العامَّة كثيرة فيزرعون النباتات ويصنعون المخللات في ايام معلومة من الشهر القمري لكي تجود فهل لذلك صحَّة او هو من الخرافات المنقولة عن الاقدمين

ج لم يبحث احد حتى الآن عن

صحَّة ذلك بالامتحان كأن يصنع المخللات مثلاً في كل يوم من ايام الشهر القمري على اسلوب واحد تماماً ثم يقابل بعضها ببعض ويكرر ذلك مرارًا حتى يقف على نتيجة قاطعة بالاستقراء. فان ثبت ان للقمر تأثيرًا فلا يتعذر تعليل تأثيرهِ فان جذبهُ يؤثر في ما على الارض كما يؤثر في المد والجزر ولا بدَّ من ان يكون لنورهِ شيء من التأثير في حياة الاحياء الارضية. واذا لم يثبت لهُ تأثير فيكون المنقول من جملة الخرافات القديمة

(١٠) علاج الحصة

ومنهُ . ما هو احسن علاج لمنع الحصَّة من شعر النساء

ج اذا ابتدأت الحصَّة اي التشقُّق في رؤُوس الشعر فلابدَّ من قص تلك الرؤُوس ويدهن الشعر بدهان يقويهِ لان التشقق المذكور علامة ضعفهِ . والادهان التي تقوي الشعر كثيرة والغالب ان تكون فيها صبغة الزرّاح لتهييج الاوعية الدموية حتى يرد بها دم كثير يغذي الشعر



كرم ركفلر وداء السل

بينما كان الاطباء يتجادلون ويتشاحنون في ما قالهُ كوخ عن عدوى السل ويبحثون عن اساليب منعهِ وشفائهِ قام الدرارنست كاسل وجاد بمئتي الف جنيه لتنفق على انشاء مصاحّ يعالج بها المسلولون فظننا ان ذلك منتهى الكرم ولكن جاءتنا الجرائد العلمية الآن تعلن ان ركفلر المثري الاميركي الشهير جاد بمليون واربع مئة وخمسين الف جنيه لاجل البحث عن دواء يشفي من داء السل وادوية تشفي من غيرهِ من الامراض العقيمة وناط البحث عنها بالمدرسة الطبيَّة في شيكاغو

هبات كارنجي

بلغ ما وهبهُ كارنجي لانكلترا ٣٧٦١٠٠ جنيه ولارلندا ١٠٠٦٠٠ جنيه ولسكتلندا ٢٤٧٩٢٥٠ جنيهاً ولكندا ٩٥٤٠٠٠ ريال اما هباتهُ للولايات المتحدة الاميركية فكثيرة جدًّا اكبرها عشرة ملايين ريال لمدرسة وشنطون الجامعة وسبعة ملايين ريال لمدرسة بتسبرج الجامعة ومليونا ريال لمدرستها الصناعية

مصل ذات الرئة

اكتشف الاستاذ تزوني الايطالي مصلاً يشفي من ذات الرئة وقد جرَّبهُ اولاً في الحيوانات فوجدهُ وافياً بالمراد فجرَّبهُ في

المصابين بذات الرئة في مستشفى رومية فافاد فائدة كبيرة

بقعة المشتري

يظهر على وجه المشتري بقعة حمراء كبيرة نظرت اولاً منذ اربع وعشرين سنة وبلغ طولها سبعة آلاف ميل وزادت وضوحاً ثم اخذ وضوحها يقلُّ رويدًا رويدًا حتى كادت تختفي تماماً سنة ١٨٩٢ وعادت بعد ذلك الى الظهور والوضوح . وكانت حركتها على وجه المشتري قد اخذت تقل منذ سنة ١٩٠١ والآن عادت الى الزيادة . ومن اغرب ما شوهد ان بقعة سوداء ظهرت على سطح المشتري سنة ١٨٩٠ وكانت تسير على سطحهِ في الجهة التي تسير فيها البقعة الحمراء ولكن سرعتها اشد من سرعة البقعة الحمراء فادركتها ولما وصلت اليها لم تمتزج بها بل حادت عنها وسارت عند حاشيتها الجنوبية . ولا تعلم حقيقة هاتين البقعتين حتى الآن

ضربة الارانب

مُنيت بلاد اوستراليا بالارانب الكثيرة حتى ضاقت بها ذرعاً وعجزت عن التخلص منها بكل طرق العلاج وهي تمرُّ فيها الآن كالسيل الجارف فلا تبقي على عشبة خضراء . واشتدَّ القيظ فيها منذ ست سنوات الى الآن فاهلك الزرع والضرع لكنهُ لم يهلك الارانب ولا خفَّف وطأتها . وقد اشار بعضهم الآن باسلوب طبيعي لاهلاكها وهو ان تقتل الاناث مما يصاد منها وتطلق الذكور فمتى زادت الذكور على الاناث قلَّ نسلها حتى ينقرض . وقال ان الذكور كانت تصاد دون الاناث وتقتل وهذا الذي زاد عدد الارانب لانهُ اذا نقصت الذكور عن الاناث زاد النسل واذا نقصت الاناث عن الذكور قلَّ النسل كثيرًا الى ان ينقرض

الاوتوموبيل في الزراعة والنقل

يظهر ان الاوتوموبيل سيحل مشكلة الآلات الزراعية فيستعمل لحرث الارض وحصدها ويغني عن المواشي . وقد بلغنا ان بعض كبار المزارعين ساعٍ الآن في جلب محاريث بخارية يجرها الاتوموبيل فاذا وفت بالمراد تخلَّص كبار المزارعين من المواشي وخدمتها وعلفها

ثم ان مركبات الاتوموبيل استعملت الآن في اوربا للنقل بدل العربات العادية التي تجرها الخيل والبغال . ونحن نكتب هذه السطور وامامنا صورة مركبة اوتوموبيل كبيرة فيها اكثر من مئة برميل يسوقها رجل واحد . ولا بدَّ من ان سرعتها تفوق سرعة الخيل وليس لها صوت يصمُّ الآذان ولا تتلف الطرق من سيرها عليها لان أُطر عجلها من الكاوتشوك وتبقى الطرق نظيفة من روث البهائم والهواء نقياً من نفسها

مدرسة البنات الاميركية

احتفلت مدرسة البنات الانجيلية الاميركية الداخلية في السابع والعشرين من فبراير بمنح الشهادات للمنتهيات من تلميذاتها وعددهنَّ اثنتا عشرة تلميذة فغصت القاعة بجماهير المدعوين من الوطنيين والاجانب يتقدمهم جناب المكرم جدج لنج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال وجناب اللادي كرومر وكانت القاعة مزينة بالرايات والاعلام والرياحين والازهار زينة تأخذ بمجامع القلوب وتبهر الابصار فرنم التلميذات الترنيمات الشجية وانشدن الاشعار وخطبن الخطب العربية وتلون المقالات الانكليزيَّة والعربية اما الخطب العربيَّة فاحداها في الآثار التي لا تمحى للتلميذة المنتهية حنونه سعد. واخرى في حياة هلن كار للمنتهية هانم فهمي . واخرى في الموسيقى للمنتهية ليزه شنوده . واخرى في كيف نرتقي للمنتهية مريم سليمان. واخرى في الشمعة للمنتهية زكية حنا . واخرى في الميكروب . للمنتهية روز فرازلي . واخرى ارجوزة طبية للمنتهية فريدة نخله واخرى وهي الوداعية في المرساة للمنتهية مرتا اسرافيل

ومن ابدع ما جرى في هذا الاحتفال باللغة الانكليزية ان المنتهيات مثَّلن شهيرات النساء في كل العصور فأقامت واحدة منهنَّ في بيت لاستقبالهنَّ فدخلت اولاً فتاة تمثل المرحومة الملكة فكتوريا وتلتها اخرى تمثل جان دراك وهي لابسة مثل لباسها وبيدها رمح وشعرها مسدول على ظهرها فقصت مختصر سيرتها ودخلت بعدها ملكة اليابان لابسة لباس اليابانيات وبيدها مظلة . ثم ملكة سبا وعلى رأسها اكليل من الازهار ووراءها جارية تحمل لها مروحة فقالت انها اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان . وتلتها المصلحة الاميركية مسز ستانتون واخبرت بما فعلت لانالة النساء حقوقهنَّ فوضعت الملكة فكتوريا اكليلاً من الآس على رأسها واتت بعدها استير الملكة وقالت مهما كانت حياة الانسان قصيرة فهي طويلة بالنظر الى الاعمال التي يعملها وان انقاذها لشعبها كان بعون الله وارشاده . وافتقد الحضور كليوباطرة فقيل لعلها مشغولة بتزيين نفسها ولكن لم يطل انتظارها حتى حضرت بعظمتها وقصت مختصر سيرتها . ثم غنى هؤلاء الشهيرات أُغنية مطربة وانصرفنَ

ومن محاسن هذه الحفلة ايضاً ترتيل المنتهيات بالايماء فكانت حضرة مسز كوبر تغني بالانكليزية والمنتهيات يرافقنها بالاشارات حسب معنى الغناء فاطرب ذلك السامعين جداً

وبعد الخطبة الوداعية وزع جناب جدج لونج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال الشهادات على المنتهيات وخاطبهنَّ احدنا بما يناسب المقام وتلاهُ آخرون في الختام

ثم دخل المدعوون الى الغرفة التي عرضت فيها اشغال التلميذات بالابرة وخطوطهنَّ فاعجبوا بجمالها واتقانها كثيرًا واثنوا على حضرة مس كايل رئيسة المدرسة وحضرات معلمات المدرسة ثناء عظيمًا لما رأَوا من دلائل تقدم التلميذات في هذه السنة تقدمًا عظيمًا جدًّا وانصرفوا وهم يتحدثون بفضل حضرات المرسلين الاميركيين على ما يبذلون من الجهد في تثقيف العقول وتقويم الاخلاق وخدمة هذا القطر خدمة جليلة يذكرها لهم اهلهُ دومًا بالدعاء والشكر

زورق زبلن

لما حبطت مساعي الكونت زبلن في عمل بالونهِ المشهور استنبط ما هو انفع منهُ زورقًا بخاريًّا رقَّاصةُ في الهواء لا في الماء فهو يصلح لانهار البلدان الحارة وبحيراتها حيث تكثر النباتات المائية وتعلق برفاص السفن وتمنع سيرها ويصلح ايضًا لركوب النيل في ايام التحاريق لانهُ لا يغوص الاَّ ٢٥ سنتمترًا وهو يقطع من ١٤ الى ١٦ ميلاً في الساعة

زوبعة تهيتي

ثارت زوبعة شديدة في جزائر تهيتي او جزائر الشركاء بين الرابع عشر والسادس عشر من يناير الماضي فشملت ثمانين جزيرة وقتلت الف نفس من سكانها . ويقال ان امواج البحر علت حتى بلغ ارتفاعها نحو اربعين قدمًا وهجمت على الجزائر فغرَّقت المنخفض منها

زلزلة اندجان

من اخبار بطرس برج ان زلزلة اندجان التي حدثت في ١٦ دسمبر قتلت عشرة آلاف نفس لا ٢٥٠٠ فقط كما قيل قبلاً وقد تكرَّرت الهزات في التاسع عشر والعشرين من يناير الماضي

قنابل الرصاص

صُنعت قنابل جديدة تحشى بالرصاص ومادة اخرى تشتعل بسرعة وتذيب الرصاص فاذا أُطلقت هذه القنابل ذاب الرصاص في جوفها وانفجرت فيتطاير الرصاص الذائب منها ويصيب الناس فيحرق ثيابهم وابدانهم ويجرحهم جراحًا مبرِّحة تمنعهم عن مداومة القتال فهو شرٌّ من القنابل الرشاشة ومن كل وسائل الهلاك والتدمير وعسى ان يخاف الجنود شر هذه القنابل فيعصوا حكامهم ويمتنعوا عن النزول الى ميادين القتال

المنغاليوم افيد المعادن

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة فوائد الاليومنوم وامزجتهِ وأَبنَّا انهُ يعترض عليهِ بعدم متانتهِ وقد كشفت طريقة جديدة لجعلهِ صلبًا متينًا ويبقى ابيض كالفضة ويصقل مثلها ولا يتكدر سطحهُ من تعريضهِ للهواء وهي ان يمزج بقليل من المغنيسيوم . ويبقى بعد مزجهِ بهِ خفيفًا بل يصير اخف مما كان فيصير ثقلهُ النوعي ٢٫٤٠ مع ان ثقل

الاليومنوم الصرف ٦ و٢ لان ثقل المغنيسيوم النوعي ٧ و١ . وكلما زاد المغنيسيوم زاد المزيج خفةً وصلابة . وهو موصل جيد للحرارة والكهربائيَّة ومتانتهُ مثل متانة الحديد الصاج اي ١٦ طنًا لكل عقدة مربعة وهو يُبرد مثل الحديد ويُخرط مثلهُ ويصهر ايضًا مثلهُ ويلحم بعضهُ ببعض ويمكن افراغهُ في القوالب وسحبهُ اسلاكًا دقيقة وتعمل منهُ البراغي والانابيب وما اشبه فيصلح لعمل النظارات بنوع خاص ولا بدَّ من ان يفيد في عمل الآلات الطيارة لخفتهِ ومتانتهِ وفي بناء المراكب لان ماء البحر لا يؤثر فيهِ . ولكنهُ لا يزال غالي الثمن فان ثمن الاقة منهُ تساوي اربعين غرشًا الى خمسين ولكنهُ ارخص مما كان ثمن الاليومنوم منذ عشر سنوات فاذا رخص من الآن الى عشر سنوات كما رخص الاليومنوم قام مقامهُ ومقام النحاس والفضة ايضًا وقد أُطلق عليهِ اسم المنغاليوم

آلة لغسل الثياب

اخترع رجل مجري آلة كهربائية تغسل الثياب من غير صابون فان كهربائيتها تزيل ما على الثياب من وسخ وقذر وتنظفها جيدًا من غير ان يلمسها انسان

اللغم المائي

وهبت جمعية الفنون في بلاد الانكليز المستر جمس تونغ وسامها الذهبي لانهُ استنبط لغمًا مائيًّا تلغم بهِ مناجم الفحم الحجري بدل البارود فيفعل فعلهُ من غير صوت ولا دخان وليس منهُ اقل خطر كما من انفجار البارود وكيفية استعمالهِ ان يثقب الحجر او الفحم الحجري كما يثقب لوضع البارود تمامًا ويدخل فيهِ اللغم دخولاً محكمًا وهو انبوب من الحديد طولهُ ١٨ عقدة وقطرهُ ٣ عقد وفيهِ ثمانية ثقوب جانبيَّة يخرج منها ثمانية مسامير مزدوجة وفيهِ ثقب على طولهِ قطرهُ ثمن عقدة ويوصل بهذا اللغم انبوب متصل بطلمبات مائية صغيرة فيها نحو رطل من الماء . ويسند الحجر او الفحم الذي يراد اقتلاعهُ باللغم ثم يدفع الماء بالطلمبا في الانبوب فيدفع المسامير الجانبية ويفعل فعل البارود ويمزّق الحجر ويقتلعهُ من موضعهِ ويعلم ذلك من اصوات الانكسار التي تخرج منهُ ثم ترفع الدعامة من تحتهِ فيقع من مكانهِ

خزّان الكهربائية

يقال ان المستر اديصن يصنع الآن خمسة اتوموبيلات كهربائية يستطيع كلٌّ منها ان يسير خمسة آلاف ميل بالخزان الجديد الذي استنبطهُ لخزن الكهربائية . وعندهُ انهُ كلما ملئ هذا الخزّان مرَّة امكن تسيير الاتوموبيل بهِ مئة ميل

الكهربائية ونمو النبات

امتحن الدكتور لمسترُم فعل الكهربائيَّة

بنمو النبات فزرع نباتات مختلفة ووصل ترابها بالمجرى الكهربائي خمس ساعات كل يوم وزرع نباتات اخرى من نوعها ولم يوصل ترابها بالمجرى الكهربائي فوجد بعد تكرار الامتحان ان الكهربائية تزيد نمو اللفت ١٠٧ في المئة ونمو البطاطس ٧٦ في المئة ونمو الفجل ٥٩ في المئة ونمو الكرفس ٥٤ في المئة ونمو الكراث ٤٢ في المئة ونمو الكرنب ٤٣ في المئة وتسرع نضج الشالغ فينضج في ٢٦ الى ٣٣ يوماً حيث لا ينضج عادة الَّا في ٥٤ يوماً بعد زرعهِ

حركة سطح الارض

الراسخ في الاذهان ان سطح الارض ثابت لا يتحرَّك ولو كانت الارض كلها تدور علي محورها وتدور حول الشمس . لكن ظهر الآن من آلة دقيقة صنعها الاستاذ ملن الانكليزي ان سطح الارض يتحرك دواماً فيرتفع في بعض شهور السنة وينخفض في البعض الآخر كأن صدرها يخفق خفقان صدر الانسان . ويتحرك ايضاً ذات اليمين وذات اليسار حتى ان الابنية العالية تميل الى جهة الغرب خمسة اشهر من شهور السنة ثم تعود الى وضعها العمودي وتميل بعدهُ الى جهة الشرق وهلمَّ جرًّا وتحرك غير ذلك حركات تابعة لثقل الهواء وخفتهِ عليها حتى لقد يعرف بهذه الآلة ما اذا حدث نوءٌ على سطح الارض في مكان بعيد عنها . وفي نيتهِ ان يستعمل آلتهُ للدلالة على حدوث الانواء والانباء بها قبل وصولها

قناديل الأُسميوم

الأُسميوم معدن كالبلاتين لكنهُ لا يصهر الَّا اذا زادت الحرارة عن الحرارة اللازمة لصهر البلاتين وقد وجد اور صاحب الشبكة التي توضع في القناديل وتسمَّى باسمهِ انهُ يمكن استعمال هذا المعدن بدل اسلاك الكربون للقناديل الكهربائية فيصير نورها اضعاف ما هو الآن فانهُ جرَّب قناديل اسلاكها من الأُسميوم وقناديل عادية اسلاكها من الكربون فوجد انهُ اذا كان نور القنديل الثاني قدر نور ست شمعات فنور القنديل الاول قدر نور عشرين شمعة مع ان الكهربائية واحدة في الاثنين . ويمكن عمل قناديل الأُسميوم حتى تكون قوتها من شمعتين الى مئتي شمعة واذا اسودَّ القنديل منها امكن تجديدهُ بدون تغييرهِ . لكن معدن الاسميوم غالي الثمن جدًّا فعسى ان تكشف طريقة لاستخراجهِ بكثرة وترخيص ثمنهِ

سبب تلف الاسنان

بيَّن احد الباحثين ان الذي يتلف اسنان اهالي اوربا واميركا هو مادة حامضة موجودة في نخالة القمح فتتحد بمينا الاسنان وتتلفها وقد كان الناس قبلاً يطحنون قمحهم بالارحية المبسوطة فصاروا يطحنونهُ الآن بارحية اسطوانية

لان دقيقها اشد بياضاً لكنهُ يبقي في الدقيق جانباً من هذه المادة الحامضة التي تنخر الاسنان وتتلفها

عدو بعوض الملاريا

ذهب الدكتور دمبولف الى بلاد غينيا الجديدة التابعة لالمانيا للبحث عن الحمَّى الملارية بدلاً من الدكتور كوخ فاكتشف في مياهها حشرة مائية تأكل دود البعوض الذي ينقل ميكروب الملاريا وهو يظن انهُ يمكن ان تربى هذه الحشرة في المياه التي يتولد فيها بعوض الملاريا فيستأصل بهِ منها . ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

تلغراف مركوني

احتفل نادٍ من اندية لندن بمركوني احتفالاً حضرهُ كثيرون من عظماء الانكليز فتكلَّم فيهِ وعدَّد المصاعب التي لقيها في سبيل تلغرافهِ وقال انهُ لا صحَّة لما قيل من ان ملك الانكليز لم يساعدهُ فقد استدعاهُ الى يختهِ وابقاهُ عندهُ ثلاثة اسابيع يجرب تلغرافهُ فيهِ وان حكومة كندا عضدتهُ بالمال وحكومة ايطاليا اقرَّت على انشاء اكبر مركز في الدنيا لتلغرافهِ حتى تخاطب بهِ اميركا وانهُ اتَّفق الآن مع جريدة يومية من جرائد لندن على موافاتها بالاخبار اليومية من بلاد كندا باميركا وذلك بتلغرافهِ

مقدرة المال

قال بعضهم ان المستر ركفلر والمستر مورغان يدير كلٌّ منهما مئتي مليون من الجنيهات او الف مليون من الريالات فيستطيع ان يفعل بها الامور التالية في الولايات المتحدة وهي

(١) يتسلط على بنوك البلاد كلها بمئتي مليون من الريالات فتصير طوع امرهِ

(٢) يتسلط على سكك الحديد كلها بمئتي مليون من الريالات

(٣) يتسلط على كل المناجم ودور الصناعة الكبيرة بمئتين وسبعين مليوناً من الريالات

(٤) يتسلط على كل الجرائد الكبيرة في البلاد بمئة مليون من الريالات

(٥) يتسلط على كل الوكالات التجاريَّة بخمسة ملايين من الريالات

(٦) يتسلَّط على الكنائس والملاجيء بعشرين مليوناً من الريالات

(٧) يتسلط على الخطباء والمحامين بخمسة ملايين من الريالات

(٨) ويبقى معهُ مئتا مليون ريال يودعها خزائن الحديد

فتصير لهُ السلطة التامة على البنوك وسكك الحديد ودور الصناعة والجرائد والخطباء والمحامين ورجال الدين ويبقى معهُ مئتا مليون ريال او اربعون مليون جنيه

يفعل بها ما يشاءه فيرفع الاسعار ويخفضها ويغني التجار ويفقرهم وتمسي الحكومة كلها طوع بنانهِ

البالون وحرارة الجو

تناظر ركاب البالون من الفرنسويين والالمانيين والنمسويين والايطاليين والروسيين والاميركيين فكان اعظم ارتفاع بلغوهُ في اتفل قرب باريس ١٤٨٢٣ مترًا وكانت حرارة الجو على هذا الارتفاع ٥٢,٩ تحت الصفر وكانت على سطح الارض هنالك ٤,٨ تحت الصفر وفي ستراسبرج ١٦٥٠٠ متر وكانت حرارة الجو هناك ٦٢,٢ تحت الصفر وعلى الارض ٦,٨ تحت الصفر. وفي برلين ١٤٤٦٥ مترًا وكانت حرارة الجو هناك ٣٥ تحت الصفر وعلى الارض ١١,٥ تحت الصفر. وفي باقلوفسك ١٧٧٠٠ متر وبلغت الحرارة اخفضها حين كان الارتفاع ١٢٢٠٠ مترًا فقط وكانت هناك ٦٣,٥ تحت الصفر وكانت على الارض ٢٠,٧ تحت الصفر

الفلك عند الاقدمين

ان قطع الاجر التي اكتشفها الاستاذ هلبرخت في خرائب نبور وعددها نحو مئة وخمسين الف قطعة على كثير منها كتابات فلكيَّة والمظنون انها ستكشف امورًا كثيرة مما كان يعلمهُ الكلدانيون عن علم الفلك قبل المسيح بالفين وثلثمئة سنة

قوة النمل

رأى بعضهم نملة صغيرة تجرُّ جندبًا ميتًا فرفعها ووزنها ووزن الجندب فوجد وزنها ثلاثة مليغرامات وخمس المليغرام ووزن الجندب ١٦٠ مليغرامًا وظاهر الامر انهُ لو كانت قوة الانسان مثل قوتها لاستطاع ان يجرَّ جسمًا ثقلهُ نحو مئة قنطار مصري

كيف مات اهالي سان بير

اختلفت آراء العلماء في كيف مات اهالي سان بير لما ثار بركان بيلي في الصيف الماضي وقتل خمسة وثلاثين الفًا في دقيقتين من الزمان قال الاستاذ فسيل ان السبب الاكبر لموتهم انفجار الغازات المدفوعة من البركان فان الحرارة كانت كافية لحل الماء الى عنصريهِ الاكسجين والهيدروجين ولحل غاز الكلور من الملح الذي في ماء البحر فاندفعت هذه الغازات الثلاثة بغتةً بقوة شديدة وانفجرت في الهواء فوق قمة الجبل فمات اكثر الناس من هذا الانفجار الحادث من اتحاد الاكسجين بالهيدروجين وبذلك يعلَّل احتراق لحمهم وثيابهم واحتراق المباني والسفن واتحد الكلور ببعض الهيدروجين فتكوَّن من ذلك غاز سام قتل الذين لم يقتلهم الانفجار

وقال الدكتور نيكولس انهُ انشق جانب البركان بغتة فوق سان بير وانفجرت منهُ الحمم والبخار والغازات الشديدة الحرارة وانهالت

على المدينة ومزّق البخار الحمم فصيَّرها رمالاً ورماداً فوصلت الى المدينة وحرارتها الف درجة فعصف من امامها عاصف شديد الحمو يقتل الانسان والحيوان في لحظة من الزمان ويحرق كل ما يقبل الاحتراق . هذا الذي اظن انهُ حدث ولم يقتل الناس بالكهربائية ولا بالغازات السامة

وقال المسيو لاكروى والمسيو جيرو امام اكادمية باريس انهُ كان بين الغازات البركانية كثير من اكسيد الكبريت الثاني وهو كافٍ لاماتة الناس وقالا ان اناساً كانوا في زورق لما ثار بركان السوفرير فرموا بانفسهم الى البحر لينجوا من الحمم التي انهالت عليهم ولما عادوا الى وجه الماء وجدوا الهواء مشحوناً بغازات كريهة لا تطاق فغاصوا في الماء ثانية وظلوا يتردَّدون بين الهواء والماء الى ان صار يسهل عليهم تنفس الهواء وكانوا قد صاروا على آخر رمق

ويقال انهُ وجدت بعض الجثث في سان بير في حالة تدلُّ على ان اصحابها ماتوا فجأة من ذلك جثة واقفة تدل على ان الموت ادرك صاحبها وهو راكض

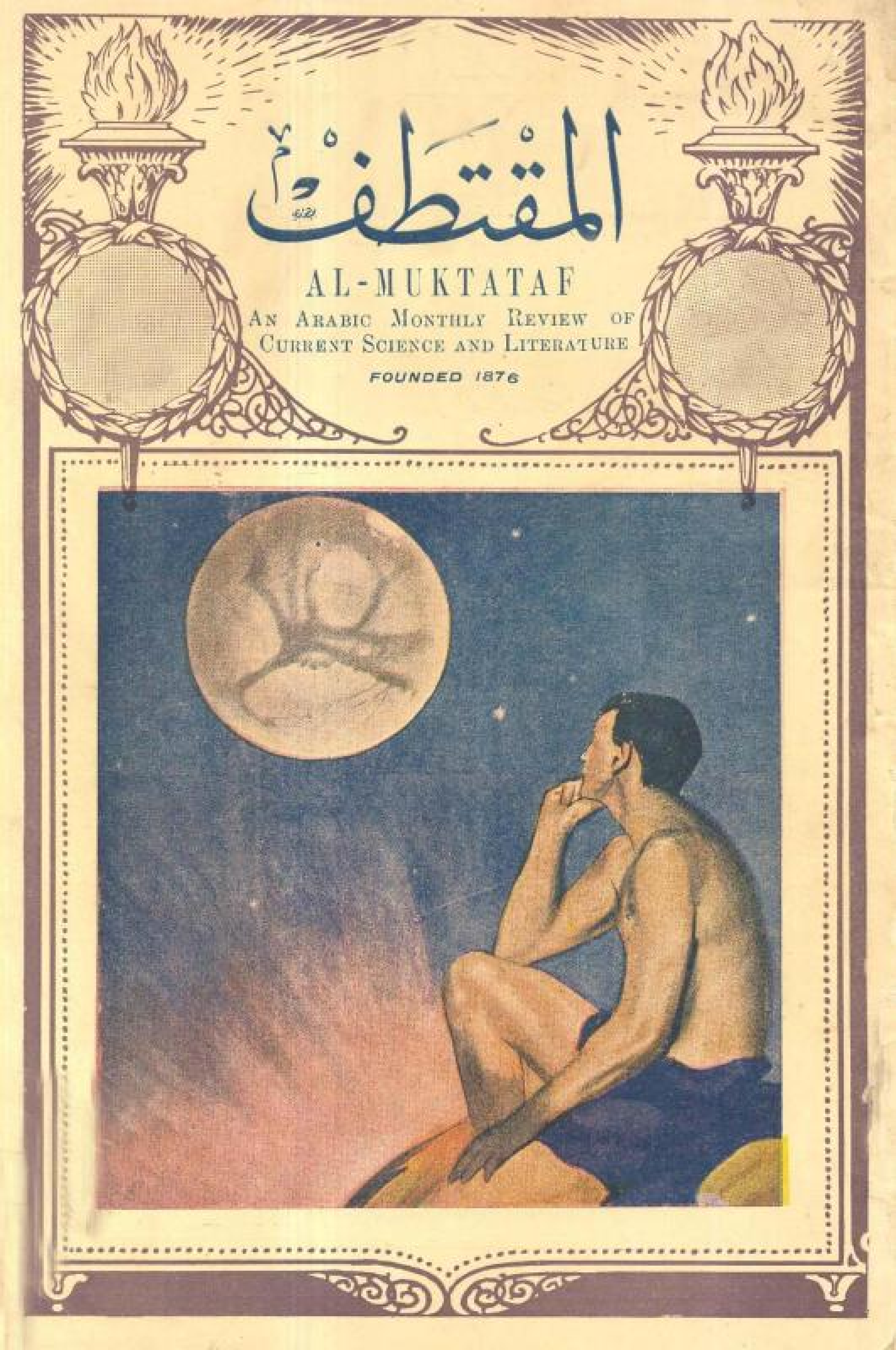
اللون الخفي

تحاول النظارات الحربيَّة الباس الجنود ثياباً لا يظهرون بها عن بعدٍ وقد اختار الانكليز في حرب الترنسفال لوناً رمادياً ضارباً الى الصفرة ظنّاً منهم ان الجنود اللابسة كذلك لا تبين للاعداء وهذا خطاء لانها تبين كخط لهُ لون واحد مخالف للون ما حولهُ . ولو اختلف لبسها فلبس واحد منها ثياباً حمراء وواحد ثياباً زرقاء وواحد ثياباً صفراء وهلمَّ جرّاً لامتزجت هذه الالوان بعضها ببعض وخير من ذلك ان يلبس كلُّ جندي الواناً مختلفة فلا يعود يُرى عن بعد . وقد امتحن الانكليز تلوين المدافع ومركباتها بخطوط حمراء وزرقاء وصفراء فلم تعد تظهر عن بعد ويقال انهُ اذا لونت كما تلوَّن الحيوانات كان ذلك اصلح لها فيجعل اسفلها ابيض كما يكون بطن الغزال والوعل حتى اذا وقع الظل عليهِ لم يبن بهِ

قنابل الذهب

وجد رجل هندي قنبلة سوداء في أجمة من آجام الهند فظنها حديداً ولكنهُ وزنها فوجدها اثقل من الحديد جدّاً فحملها الى بيتهِ وخدشها بسكين فاذا هي ذهب صرف ووزنها نحو ثمانية ارطال . وثبت من التحري انها من القنابل التي اطلقتها الملكة كندى لما حاصرها السلطان جلال الدين محمد اكبر فانها يئست من النجاة ولم تشأ ان تقع كنوزها في يدهِ فامرت بسبكها قنابل واطلقتها الى الآجام المجاورة وكان ذلك في اواخر القرن السادس عشر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٢١

حروف الطبع العربية

في الكون ناموسان او اسلوبان يجري الارتقاء على حسبهما الاول التغيُّر الجزئي التدريجي من البسيط الى المركَّب ومن الساذج الى المتقن ومن الصعب الى السهل. والثاني التغيُّر الكلي الفجائي الذي يقلب الاشياء قلباً ويحوّلها من حال الى حال. ولكلٍّ منهما شأن كبير في ارتقاء الموجودات جماداً كانت او نباتاً او حيواناً ومادية كانت او ادبيَّة . وعليهما جرى الناس في فلاحتهم وصناعتهم وتجارتهم وامارتهم وسائر اعمالهم

والغالب ان الارتقاء الجزئي التدريجي يسير سيره زماناً طويلاً ثم يأتي الارتقاء الكلي الفجائي فيقلب الاشياء قلباً ويبدل حالها بحال اخرى لم تكن في الحسبان . مثال ذلك ان المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الناس والبضائع جرت في سبيل الارتقاء التدريجي حتى كادت تبلغ اقصاهُ وحينئذٍ ظهرت الآلات البخارية والسكك الحديدية فأُبدلت اساليب النقل القديمة باساليب جديدة كما هو معلوم . والسفن الشراعية تدرَّجت في سُبل الارتقاء والاتقان حتى كادت تبلغ حدها وحينئذٍ ظهرت السفن البخارية فانقلبت بها الحال فجأةً وصارت اكثر السفن بخارية الكبيرة منها والصغيرة . واساليب نقل الاخبار تنوَّعت وارتقت حتى كُشف التلغراف الكهربائي ففاقها كلها وقام مقام اكثرها . والآن قد بلغ حداً يفوق التصديق من السرعة والدقة ولكن ظهر التلغراف الذي لا سلك لهُ ولا يبعد ان يتغلب عليهِ ويقوم مقامهُ . وقس على ذلك امثلة كثيرة من هذا القبيل

ومعلوم ان اهمال الشيء المتقن وابدالهُ بغيرهِ اصعب من اهمال الشيء غير المتقن وابدالهِ

بغيره . اي ان الاشياء التي تكون غير متقنة يسهل تركها وابدالها بغيرها واما الاشياء التي يفلح الصناع في اتقانها يكثر استعمالها فيصعب تركها على مستعمليها

وقد جرت الطباعة مجرى غيرها من الاعمال . وكان من نصيب العربيَّة ان صُنعت لها حروف الطباعة قبلما صُنعت لاكثر اللغات لا لان اهلها اهتمُّوا بذلك بل لان اهالي اوربا كانوا يهتمون بكتب العرب وعلوم العرب فلم يكادوا يستنبطون الطباعة و يشيعونها في بلادهم حتى صنعوا حروفاً للغة العربية وطبعوا بعض كتبها العلمية الكبيرة . ونحن نكتب هذه السطور الآن وامامنا بعض هذه الكتب منها قانون ابن سينا طُبع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ في دار الطباعة الطبيَّة وطبعهُ واضح جدًّا ولو لم يُعَدَّ جميلاً وحروفهُ متصلة بعضها ببعض احسن اتصال وهي على استواء واحد في سبكها فلا يظهر بعضها غائرًا في الورق وبعضها غير غائر فيهِ كما ترى في الكتب المطبوعة بمطبعة بولاق . والحروف المستعملة في طبعهِ على ثلاثة اقدار كبير ومتوسط وصغير . والكتاب ضخم فيهِ نحو الف صفحة بقطع كبير في الصفحة منها ٥٤ سطرًا ونسق طبعهِ واحد من اولهِ الى آخرهِ . وامامنا ايضاً كتاب تحرير الاصول الهندسية لاقليدس الذي حرَّرهُ نصير الدين الطوسي وقد طبع في رومية سنة ١٥٩٤ وحروفهُ مثل حروف كتاب القانون تماماً وقد صوَّرنا قطعةً منهُ في الشكل الاول المقابل للدلالة عليهِ

وكان الطبع العربي معروفاً في اوربا قبل ذلك فطُبع كتاب المزامير في مدينة جنوى سنة ١٥١٦ وطبع الانجيل العربي في رومية سنة ١٥٩١ وانتشرت الطباعة العربية في كثير من المدن الاوربيَّة فطبع الانجيل العربي في هولندا سنة ١٦١٦ والتوراة العربية في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ ووصلت المطبعة وحروف الطباعة العربية الى جبل لبنان فطبع المزامير في مطبعة الشوير سنة ١٦١٠

ثم اهتمَّ الاوربيون بتجميل الحروف العربيَّة فبلغت اولاً ما تراهُ في اشكال مطبعة مالطة التي انشأها المرسلون الاميركيون منذ نحو سبعين سنة كما ترى في الشكل الثاني وهو قطعة منقولة عن تاريخ الكنيسة المطبوع في مدينة فالته سنة ١٨٤١ وبلغت اعلى درجات الاتقان الصناعي في حروف مطبعة باريس كما ترى في الشكل الثالث فان كل حرف منها مرسوم رسماً جميلاً من حيث الجزء الغليظ منهُ والدقيق والطبع بهِ على غاية الوضوح يبين بهِ الفراغ في رأس الفاء والميم وهو في الاصل على ورق صقيل يصعب الطبع عليهِ عادةً ومع ذلك لا ترى حرفاً ناتئاً ولا حرفاً غير واضح ولا نظن انهُ استتبَّ لاحدٍ حتى الآن ان صنع حروفاً عربيَّة ادق صناعة من حروف مطبعة باريس هذه ولو كان بعضها غير جميل

الَّا ان الذين صنعوا حروف الطباعة العربية حاولوا تقليد الخط تماماً وكان الخط قد ارتقى كثيرًا وعلِقت حروفهُ بعضها ببعض فلم يخطر لهم انهُ يمكن فصلها وتبقى مقروءةً ولو فعلوا وصنعوا حروفاً منفصلة خالية من الزوائد لكانت الفائدة اتم

وقد رأى اصحاب المطابع العربيَّة من قديم الزمان انهُ يسهل اهمال بعض الاشكال التي تستعمل في الخط ويبقى الطبع العربي واضحاً فاهملوا كثيرًا منها رويدًا رويدًا حتى صار الطبع على ما تراهُ في الحروف التي نطبع بها المقتطف الآن . الَّا ان مطبعة بولاق الاميرية بقيت محتفظة باشكالها الاولى لا تحيد عنها حتى دعت الحال ان انتدبت الحكومة المصرية لجنة تنظر في امرها وفي كيفية اصلاحها برئاسة صاحب السعادة ابرهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية وعضوية حضرات شيلوبك مدير المطبعة الاهلية والجريدتين الرسميتين والشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية في نظارة المعارف العمومية وامين سامي بك ناظر المدرسة الابتدائية ومدرسة المعلمين الناصرية واحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار . وليس منهم مَن اشتغل بالطبع العربي او بعمل الحروف العربيَّة ولكنهم بحثوا بحثاً دقيقاً فاجلى بحثهم عن فائدة كبيرة كما سيجيء وقد نشروا نتيجة بحثهم في رسالة وجيزة قال رئيسهم في مقدمتها ما نصهُ

"كان استنباط الطباعة العربية بمدينة البندقية فيما بين سنتي ١٥١٠ و١٥١٤ ميلاديَّة . فقد ثبت ان اهل هذه الجمهورية هم اول من حفر الحروف اللازمة لطبع الكتب العربية ثم استخدموها في طبع كتب الادعية والصلوات . ولا تزال نسخ قليلة جدًّا من هذه الكتب محفوظة الى الآن باشهر المكاتب العمومية بديار اوروبا

"في ذلك العصر كثرت العلائق والمخالطات بين اوروبا واقطار المشرق فمست الحاجة الى تعميم المعارف الشرقية بين الافرنج واضطرتهم الاحوال الى استخدام المطبعة لنشر آثار العرب في العلوم والآداب . فنهضت رومية العظمى واقتفت الخطة التي سلكتها البندقية في هذا الموضوع . وفي تلك المدينة الجليلة التي كانت عاصمة للحضارة الغربية في قديم الزمان تم حفر الحروف العربية على قاعدة النسخ في سنة ١٥٩٦ وهي المعروفة الى اليوم بحروف عائلة ميدسيس

"وقد استعارت باريس من رومية هذه الحروف النسخية ولا تزال بأكملها محفوظة فيها وفي مدرسة نشر الديانة برومية الى الآن . وفي سنة ١٥٩١ اهتم الموسيو سفاري ده بريف سفير فرنسا لدى الباب العالي بحفر جملة اقلام (آباء) في الاستانة العلية على قاعدة النسخ وهي محفوظة ايضاً في باريس لصب الحروف واستخدامها في مطبوعاتها العربية

"ثم ازداد اشتغال العلماء المعروفين بالمستشرقين باللغات والعلوم الشرقية فاستعارت المدارس الجامعة في انجلترة والمانيا حروف الطباعة العربية بعد تحسينها واتقانها في رومية

"وكان تقدم الطباعة العربية بطيئاً في بلاد اوروبا لأن اشغالها كانت بالطبع قاصرة على اعمال معينة قليلة . فلذلك لم يكن لها نصيب كبير من حركة الارتقاء التي نالتها الطباعة الافرنجية إذ ما برحت من عهد ظهورها سائرة الى يومنا هذا نحو الارتقاء والكمال

"ومع ذلك فقد بقيت الطباعة مجهولة في بلاد المشرق ما عدا الاستانة العلية وبعض الاديرة ببلاد الشام حتى اذا اغار بونابرت على مصر اضطرَّ في اول الامر للاستعانة بمطابع الحجر على نشر منشوراتهِ واوامرهِ باللغة العربية . ثم انشأ مطابع الحروف فيما بعد بالقاهرة والجيزة والاسكندرية . ولكن ادوات هذه المطابع تلاشت مع الاحتلال الفرنساوي"

واستطرد حضرة الرئيس بعد هذا المختصر التاريخي الى ذكر مطبعة بولاق التي انشأها محمد علي باشا سنة ١٨٢٠ فقال

"قامت هذه المطبعة باكبر خدمة للغة العربيَّة والآداب الشرقية فانها اصبحت في مصر وفي بلاد المشرق كلهِ واسطة لتعميم ثمرات التقدم الحديث ونشر لواء الحضارة العصرية . اذ تيسر لنا بسببها ان نشترك في الحركة العظيمة التي ارتقت بها الافكار والمعارف في ديار اوروبا . وما زال المرحوم محمد علي الخالد الآثار في هذه الديار يبالغ في العناية بشأن هذه المطبعة ويواليها باهتمامهِ الفائق حتى انها منذ انشائها ضارعت اعظم المطابع في عصرها بل فاقت عليها كلها بجمال مطبوعاتها وكثرة اعمالها . ولكنها بعد هذه النشأة الجيدة وبعد توالي نجاحها الظاهر الباهر وقفت في طريقها بل انحطت عن المكانة السامية التي بلغتها في ايام محمد علي

"بقيت مطبعة بولاق منذ تأسيسها الى سنة ١٨٨٠ قاصرة على الطباعة الشرقيَّة فصارت في تلك السنة مختلطة بانضمام المطبوعات الافرنجية الى اعمالها وفي هذه الايام الاخيرة تمَّ تجديد بنيانها على نظام جميل واستوفت كافة المعدَّات الجديدة البالغة اعلى درجة من الاتقان والكمال . ولكن حروفها العربية التي اخنى عليها الزمان بقيت على حالتها العتيقة مع ما فيها من التعقيد والسقامة

" لا مُشاحَّة في ان الطريقة التي روعيت في ابتكار الطباعة العربية تدعو الى صعوبات كثيرة منشأها تعدد اشكال كل حرف من حروف الهجاء بحسب موقعهِ من الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وتداخلها في بعضها

" وهذه الصعوبات تستوجب حتماً ان يكون عمل المطابع جسيماً لا تعادلهُ النتيجة التي

يؤدي اليها . وفي ذلك مالا يخفى من مخالفة قواعد الاقتصاد التي يجب التعويل عليها في ايامنا هذه في كل مشروع صناعي . فلهذه الاعتبارات اضطرت اكبر المطابع في اوروبا للبحث عن الدواء الوحيد المعقول الذي ينبغي استعماله في مثل هذه الحالة الا وهو تسهيل الطباعة العربية . فما زال اصحابها يواصلون السعي وراء هذه الغاية حتى لقد توصل بعضهم الى تخفيض عدد الحروف لدرجة يغبطون عليها . وكانت السابقة في هذا المضمار الى الآن مطبعة المدرسة الجامعة باكسفورد من بلاد الانكليز فانها تمكنت من اختصار الحروف الى ٢٨٢ فقط . اما مطبعة باريس الاهلية (وعدد حروفها لا يقل عن ٨٠٠ حرف)ومطبعة بولاق (بحروفها التي اوجدها محمد علي وعددها ٩٠٠ حرف) فقد بقيت كلتاهما الى اليوم في معزل عن هذا التيار محرومتين من ثمرات ذلك التقدم والاختصار "

ثم قال ان اللجنة انتدبت اثنين من اعضائها وهما حضرة شيلو بك وحضرة احمد زكي بك ليدرسا في اشهر مطابع اوربا التقدم الذي وصلت اليه الى ان قال

" وكانت مأمورية حضرة احمد زكي بك متعلقة على الاخص بالنظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل جمع الحروف . وقد توصل بعد البحث والتدقيق الى تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة الى ١١٢ بدلاً من ٢٨٢ المستعملة الآن في اكسفورد . ولزيادة الوثوق كلفتهُ اللجنة بعمل تجارب واختبارات يومية في مطبعة بولاق استمرت مدة ثلاثة شهور وكانت نتيجتها ناطقة بافصح بيان على ان الطريقة التي اختارها تكفي من كل وجه لجمع اي عبارة عربية او تركية او فارسية مهما كانت صعوباتها الخطية او المطبعية

" ثم قررت اللجنة ان تعهد عما قليل الى جماعة من مشاهير الخطاطين البارعين بكتابة الحروف تحت مراقبتها بحيث تجيء مطابقة من كل الوجوه لما تستدعيه صناعة الخط ومقتضيات الطباعة . وسيقع اختيارها على من يلزم من الخطاطين ليتعاونوا على هذا المشروع ويكملوه طبق المرام . واذا دعت الضرورة فان اللجنة لا تتأخر عن الاستعانة بمهارة النابغين من اهل الفنون في الديار الاجنبية لتتميم مقاصدها "

ويتلو ذلك مذكرة تفصيلية لحضرة زكي بك اشار فيها بالاقتصار على ١٣٢ حرفاً و٤٦ علامة بدلـــ الحروف التسع مئة التي تستعمل في مطبعة بولاق . ولو عاني حضرتهُ الطباعة العربية لرأى انها لا تستغني عن بعض الحروف الممدودة مثل ـن وكـ وسيـ حتى تكمل بها السطور الناقصة والاَّ اضطررنا احياناً ان نقسم الكلمة الواحدة قسمين في آخر السطر كما يفعل الاوربيون . ولا بدَّ ايضاً من جمع الشدَّة مع الضمَّة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح

ومن سبك الحروف والارقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسابيَّة والكميات الجبرية اذا اريد ابقاه علم الحساب والجبر في العربية . ولا بدَّ من تجويف كل الحروف التي ذكرها من طرفين او من الاطراف الاربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ولا بدَّ ايضاً من انواع مختلفة من الفروق فاذا تمَّ ذلك كلهُ زاد عدد الاشكال مئة او مئتين عما قدّر لها عدا العلامات المستعملة في التعاليم

وقال " ان اعتماد الطريقة الجديدة في مطبعة بولاق سيعود بفوائد كثيرة اقلها حصول وفر في المصنعيَّة نقول من الآن انهُ لا يقل عن ٢٥ في المئة " . وفسر المصنعيَّة قبيل ذلك بانها " اجرة الجمع والتوضيب والطباعة ونحو ذلك " " وانهُ يترتب عليها تعميم المعارف وترقية الافكار بسبب رخص اثمان الكتب "

والحقيقة ان اجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠ في المئة من نفقات طبع الكتب اذا كان المطبوع منها من الف الى الفي نسخة كما هي الحال الآن واذا زاد المطبوع حتى بلغ خمسة آلاف نسخة الى عشرة آلاف كما ننتظر اذا انتشرت المعارف نقصت نسبة اجرة ترتيب الحروف وتفريقها الى نفقات الطبع كلها وصارت عشرة في المئة او خمسة في المئة فاذا كان الوفر ٢٥ في المئة في ترتيب الحروف وتفريقها (ولا يكون في غيرهما) لم يزد هذا الوفر على اثنين في المئة من نفقات طبع الكتب

وحبذا الوقت الذي يصير فيهِ للاثنين في المئة من نفقات طبع الكتب شأن يذكر حتى تعم بهِ المعارف وتترقى الافكار . اما الآن فان اكثر الكتب التي تطبع تأكلها الجرذان ومع ذلك فان الاصلاح الذي اشارت بهِ اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتماً ولو لم تنق بهِ بعض مطابع العاصمة ولا بلغت بهِ مطابع بيروت

وقد قدَّمنا في فاتحة هذه المقالة ان الارتقاء الجزئي التدريجي لا يغني عن الارتقاء الكلي الفجائي بل ان الاول قد يؤخر الثاني او يحول دونهُ سنَّة طبيعيَّة لا مردَّ لها وهي تتمشَّى على حروف الطباعة كما تتمشَّى على غيرها . ولا يخفى ان الغاية التي يرمي اليها طالبو الاصلاح والارتقاء هي ابعد من ان يُجعَل حرف الجيم وحرف الميم امام اللام لا تحتها . هي ان نجعل حروف الطباعة منفصلة بعضها عن بعض كحروف الطباعة في اللغات الاوربية او ان نترك الحروف العربية ونقتبس الحروف الاوربية دفعةً واحدة كما ترك اسلافنا الحرف الكوفي وكتبوا بالحرف النسخي . فان كانت الحكومة المصرية تنوي حقيقة ان تُصلح اصلاحاً كبيراً وتنفق عليهِ النفقات التي لا يستطيعها الفرد من افراد الامة فلتفعل ذلك دفعةً واحدة والاَّ فهذا الترقيع لا يغني ولا يشبع

بل يؤخر الاصلاح الحقيقي او يحول دونهُ . وقد فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك لما ادخلت سكك الحديد والتلغراف والمحاكم الاهلية الى بلادها لانها لو حاولت اصلاح ما كان عندها حتى يصير مثل ما ادخلتهُ لقضت الاعوام الكثيرة من غير ان تدرك الغرض المقصود

هذا ونكرر الشكر لحضرات اعضاء اللجنة الكرام على الهمة التي بذلوها والمشقة التي كابدوها حتى قرَّروا على ما قرَّروا عليهِ من الاصلاح وحبذا لو كان رأيهم مثل رأينا وهو الاصلاح الكلي دفعةً واحدة فاننا نرجح انهم لو اشاروا على الحكومة بذلك لتبعت مشورتهم وعملت بها فافادت بلادها فائدة لا تقدر

السكة الهوائية

قلنا في المقالة السابقة ان الارتقاء الجزئي قد يحول دون الارتقاء الكلي ولم يخطر لنا حين كتابة تلك الكلمات ان نعود الى موضوعها في هذه النبذة فان الترامواي الكهربائي الذي شاع في هذه العاصمة وفي الاسكندرية فاتلف شوارعهما وقتل كثيرين من عابري السبيل كان يمكن ان ينشأ ما هو اصلح منهُ كثيرًا لو تأخر انشاؤهُ الى الآن فقد رأينا صورة ترامواي كهربائي ينشأ في المانيا بين مدينة بارمن ومدينة البرفلد خطوطهُ ممدودة في الهواء قائمة على دعائم من الحديد كقوائم القناديل التي تكون في الشوارع والمركبات تجري على هذه الخطوط مدلاَّة منها فلا تزدحم بها الشوارع ولا تدوس احدًا في سيرها ولا يقع منها نار ورماد كما يقع من المركبات البخاريَّة المعلقة في اميركا لانها لا تسير بالبخار بل بالكهربائية. ولا خطر من انقطاع اسلاكها ووقوعها على الناس والبهائم لانها لا تعلَّق بالاسلاك بل بقضبان من الحديد متصلة بعوارض متينة جدًّا . وتعلو المركبات عن ارض الشارع خمسة امتار فقط فيسهل الصعود اليها من المحطات بسلَّم قصيرة ولا تعيق المارَّة في سيرها ولو كانت جمالاً محمَّلة

وطول المركبة من هذه المركبات ١٢ مترًا وعرضها متران وتسع خمسين نفسًا وفيها محرّك كهربائي قوتهُ ٣٦ حصانًا يأخذ الكهربائية من قضبان الحديد المتصلة بهِ. والمسافة من مدينة بارمن الى مدينة البرفلد ثمانية اميال وربع وسير المركبات المعلقة بينهما على غاية السهولة فقد وُضعت فيها آنية مملوءة ماء وهي سائرة فلم ينصبَّ شيء من مائها

فاذا ارادت مدن هذا القطر ان تستعمل الترامواي الكهربائي او غيرهُ من وسائل النقل فلتنظر اولاً في هذا النوع من الترامواي لانهُ اصلح ما صُنع حتى الآن

طبائع الغربان

يقول الذين ربّوا الغراب وعلّموهُ النطق ان جعبة حيلهِ لا تنفد ومهارتهُ في تقليد اصوات الناس تفوق مهارة الببغاء . وهو يتعلَّم دواماً مما يراهُ ويسمعهُ ويمرّن نفسهُ على ما يتعلمهُ حتى يتقنهُ ولا ينساهُ . وصوتهُ مثل صوت الناس حتى لقد يلتبس بهِ . روى بعضهم ان غراباً تعلم الجمل التي تقال في التعليم العسكري وكان يمشي مع الضابط صاحبهِ ويشاركهُ في تعليم الجنود او يكرر ما يقولهُ حرفاً حرفاً حتى كان الجنود يحسبون صوتهُ صوت ضابطهم ويأتمرون بهِ

والغراب ودود الوف يقيم الزوج مع زوجهِ مدى العمر لا طلاق ولا ضرار بخلاف اكثر الطيور. وقد يتودَّد الى غير نوعهِ تودُّداً غير مفصوم العرى . روى بعضهم ان غراباً انثى عمَّرت ستين عاماً وعاشت اكثر هذا العمر مع قنفذة عمياء ثم أُعطيت لرجل من المعتنين بدرس طبائع الطير فافتقدت القنفذة ولم تتعزَّ عن فقدها الى ان أُتيت بطائر اليف من طيور البحر فانست بهِ وكانت اذا قُدّم اليها طعامها من اللحم تطمر بعضهُ في الارض حتى تأكلهُ اذا جاعت فلما انست بطائر البحر صارت تضيفهُ على هذا اللحم ولو كان منتناً وهو يتقزَّز منهُ ثم يضطر الى اكلهِ بسبب لجاجتها حتى فسد هضمهُ وساءت صحتهُ واعتراهُ المرض. فحسبت ان واجب الصداقة يقضي عليها بان تحرم نفسها من لحمها المنتن وتطعمهُ اياهُ تزاد مرضهُ مرضاً ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يعتد اكل الجيَف مثل الغربان فامتنع عن الاكل بتاتاً ولما رأت منهُ ذلك يئست من سلامتهِ ولم تشأ ان تطول ايام بلواهُ فعجَّلت عليهِ قتلتهُ ومزقت لحمهُ واكلت نصفهُ وطمرت النصف الثاني كأنها حسبت غاية الحب ان تمزج جسمهُ بجسمها . كما ان بعض الحيوانات تأكل صغارها اذا خافت عليها من الاعداء ولم تجد سبيلاً لنجاتها. وظلت هذه الغراب حيَّة حتى صار عمرها سبعين سنة وبنت حينئذٍ عشاً على الارض وباضت فيهِ ثم اكلت بيضها

والشائع ان الغربان تسرق الحلى وهذا صحيح لانها تخطف كل شيء لامع وتذهب بهِ الى عشها او مخبإها. روي ان طباخاً كان يرى ملاعقهُ تقل يوماً بعد يوم وهي من الفضة الصقيلة فراقبها يوماً واذا بغراب اتى خلسة وخطف ملعقة منها ومضى بها الى وكر فتبعهُ اليهِ فوجد فيهِ الملاعق المفقودة وغيرها مما خطفهُ الغراب من بيوت الجيران

وقال المستر بوزورث سمث الذي اعتمدنا عليهِ في نقل كثير مما تقدَّم انهُ كان عندهُ غراب اليف كثير الاذى لا ينجو حيوان من شرهِ لقي منهُ الحمام والدجاج والبط الامرَّين وكان يهاب الديوك الاَّ اذا وقفت تتهارش فانهُ يأمن شرها حينئذٍ ويهجم عليها ويعمل منقارهُ في اذنابها

ثم ينعق نعيق الظافر المسرور وكان لهُ مخابئ كثيرة في اماكن مختلفة يخبئ فيها العيدان والازرار والمسامير والكشاتبين والنقود . وبعض هذه المخابئ لم يُكشف الاَّ بعد موتهِ وجدها غراب آخر قام مقامهُ فاستولى على تركتهِ كأنهُ الوريث الشرعي لهُ . وكان الغراب الاول لصاً من الطبقة الاولى اذا رأى بستانياً يزرع بزرة ويهتم بطمرها واخفائها رصد لهُ الى ان يبعد عنها ثم اتى واحتفرها واكلها او اخذها الى وكرهِ . واذا رأى فلاحاً اعتنى بزرع بعض الحبوب غافلهُ واستخرجها وجمعها في حفرة واحدة . واذا رأى واحداً من المتأنقين وقع كفٌّ من يدهِ خطفهُ وهرب بهِ ومزقهُ تمزيقاً كأنهُ يؤنب الرجال على لبس الكفوف كالنساء

لا يخلو بلد من رجل ظريف او مهرّج يُضحِك الناس او يضحكون عليهِ وكان في البلد الذي فيهِ هذا الغراب رجل من هذا القبيل فكان الغراب يعرفهُ ويتبعهُ وينقر ساقيهِ كأنهُ يداعبهُ . وكان هذا شأنهُ كلما وجد ولداً او رجلاً سخيف العقل فانهُ كان يتبعهُ ويحتال عليهِ كأنهُ من اترابهِ او ممن تجوز عليهم حيَل الغربان . ولم يكن يعبأُ بالبرد ولا بالمطر والثلج بل كثيراً ما كان يتمرَّغ في الثلج كما تتمرَّغ الدواب في التراب . وقضى نحبهُ غرقاً فانهُ وقع في برميل فيهِ من العقار الذي تدهن بهِ الخنازير فتعذرت عليهِ النجاة

وقال المستر سمث ايضاً انهُ اقتنى غراباً آخر ولم يكن حيث يستطيع ان يطلق سبيلهُ فوضعهُ في قفص كبير فمُنع عن الاذى ولكن اتسع لهُ مجال النطق فتعلَّم كثيراً من الكلمات والجمل التي كان يسمعها وصار يتلوها على اساليب شتّى بين ترخيم الصوت وتخشينهِ وكان يقلّد الناس في ضحكهم. قال المستر سمث وأُصبت بسعال شديد فصار يسعل مثلي حتى كان المارُّون يظنون انهُ سعال البستاني ويلومونني لانني اتركهُ مصاباً بهذا السعال ولا اداويهِ. وكان ماهراً في تلقي ما يرمى اليهِ فاذا رماهُ الاولاد بالاثمار الصغيرة امسكها كلها من الهواء من غير ان تقع واحدة منها . واذا اطعمتهُ اشياء كثيرة دفعةً واحدة اخذها كلها منك غير متمهل واخفاها في فكهِ الاسفل حتى يبرز كالجراب ثم ينظر اليك مستفهماً كأنهُ يقول احزر اين وضعتها ثم يخرجها من جرابهِ ويخفيها في اماكن اخرى في قفصهِ تحت الرمل او تحت الحجارة ويستخرجها ويخفيها مرة اخرى كما يفعل الاولاد وهم يلعبون. واذا تُرِك مفتاح قفصهِ في الباب سهواً خطفهُ واخفاهُ ووقف ينظر الى حيرتك وانت تفتش عنهُ

والناس على طرفي نقيض من حيث آرائهم في الغراب فبعضهم يكرمهُ اكراماً دينياً ويفضلهُ على الطيور اجمع وبعضهم يقول انهُ اشأم الطيور واقبحها. فكان الرومانيون يقولون انهُ اذا طار عن يسار انسان انبأ بالشر وجلبهُ عليهِ واذا طار فوق بيت فلا بدَّ من ان يموت واحد

فيهِ . وانهُ يسبق المقاتلين الى دار الحرب ينتظر وقوع القتلى واذا وقع بهِ اذى انتقم ممَّن اذاهُ ولو بعد موتهِ . ويقول اهالي اسوج ان الغربان التي تنعق في المستنقعات ليلاً هي ارواح القتلى الذين قُتلوا غيلة ولذلك حمي الغراب من الاذى في كثير من البلدان الشمالية . لكن بعض الذين لا يستحلون قتلهُ رمياً بالرصاص يطرحون لهُ البيض المسموم بالاستركنين حتى يأكلهُ ويموت ممَّا زاعمين انهم لم يقتلوهُ بل هو قتل نفسهُ . وكثيرون من الانكليز يعتقدون ان نجاحهم في الدنيا نتج عن حمايتهم لغراب عشش في بستانهم وانهُ اذا قتل قصداً فلا بدَّ من ان يموت واحد من العائلة على اثر ذلك

ويقال ان الغراب يعمّر مئة سنة الى ثلثمئة . هذا كان رأي الاقدمين مثل بلينيوس وشيشرون وارستوفانيس وهوراشيوس واوفيد واوسونيوس . والظاهر انهُ لا يخلو من الصحة فقد تقدَّم ان غراباً اهليًّا عمَّر سبعين عاماً

هذه خلاصة ما قالهُ المتكلمون في طبائع الحيوان من الاوربيين اما العرب فقال الجاحظ شيخهم انهم يسمون الغراب ابن داية لانهُ اذا وجد دبرة اي قرحة في ظهر البعير سقط عليها ونقرهُ وعقرهُ حتى يبلغ الدايات ومنهُ قول عنترة

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقوري غربان البعير المقيَّدِ

ضرب ذلك مثلاً للبعير ذي الدبر اذا وقعت عليهِ الغربان . واذا كان في ظهر البعير دبرة غرزوا في سنامهِ اما قوادم نسر اسود واما خرقة سوداء لتفزع الغربان منهُ ولا تسقط عليهِ . قال الشاعر

كأنها ريشة في غارب جرب في حيثما ضربتها الريح ينصرفُ

ويقال ارض لا يطير غرابها اي خصيبة حتى بلغ من خصبها انهُ اذا دخلها الغراب لم يخرج منها لان كل شيء يريدهُ فيها قال النابغة

ولرهط صوات وقرّ سورة في المجد ليس غرابها بمطار

ويقال وجد فلان ثمرة الغراب كأنهُ يتبع اطيب الثمر . وقالوا ان الغراب ينقر العيون وفي ذلك يقول الشاعر

اتوعد اسرتي وتركت حجراً يريغ سواد عينيهِ الغراب

وان كل غراب يقال لهُ غراب البين اذا ارادوا بهِ الشؤم لسقوطهِ في مواضع منازلهم اذا بانوا (اي بعدوا) عنها

ويقال نغق الغراب نغيقاً ونعب نعيباً فاذا مرَّت عليهِ السنون الكثيرة وغلظ صوتهُ قيل شحج شحيجاً وقال ذو الرمَّة

ومُستَشحِجات بالفراق كأنها مثاكيل من صيابة النوب نوَّحُ

والنوب اهل النوبة

وعلل الجاحظ تطيُّر العرب من الغراب بقولهِ "واصل التطيُّر انما كان من الطير اذا مرَّ بارحاً او سانحاً (اي عن اليمين او عن اليسار) او رآهُ المتطير يتفلَّى او ينتتف ثم صاروا اذا عاينوا الاعور من الناس او البهائم او الاعضب او الابتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير فكان زجر الطير هو الاصل منهُ اشتقوا التطيُّر ثم استعملوا ذلك في كل شيء. والغراب لسوادهِ ان كان اسود ولاختلاف لونهِ ان كان ابقع ولانهُ غريب يقطع اليهم ولانهُ لا يوجد في موضع خيامهم يتقمم الأ عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ولانهُ ليس شيء من الطير اشد على ذوات الدبَر من ابلهم من الغربان ولانهُ حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينيهِ الاعور كما قالوا غراباً لاغترابهِ وغراب البين لانهُ عند بينونتهم يوجد في دورهم

قال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشَّروا (اي نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار. والغراب اكثر من جميع ما يتطيَّر بهِ في باب الشؤْم. لكنهم لم يكونوا في ذلك سواءً بل نفى بعضهم التطيُّر قال سلامة بن جندل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُوم

وقال غيرهُ

يا ايها المزمع ثمَّ انثنى لا يثنك الحادي ولا الشاحِجُ
بين الفتى يسعى ويُسعَى لهُ تاح لهُ من امرهِ خالجُ

وزعم الاصمعي ان النابغة خرج مع زبان بن يسار يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة اذ نظر النابغة واذا على ثوبهِ جرادة فتطيَّر فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالماً غانماً قال

تخبر طيرةً فيها زيادٌ لتخبرهُ وما فيها خبيرُ
اقام كأن لقمان بن عاد اشار لهُ بحكمتهِ مشيرُ
تعلم انهُ لا طير الأ على متطير وهو الثبورُ
بلى شيء يوافق بعض شيء واحياناً وباطلهُ كثيرُ

وكان زبان هذا من دهاة العرب وساداتهم فقال ان الذي يجدونهُ انما هو شيء من طريق الاتفاق

وقال الجاحظ اخبرني ابو اسحق ابرهيم بن سيَّار النظام قال جعتُ حتى اكلت الطين وما صرت كذلك حتى قلبت قلبي اتذكر هل من رجل اصيب عندهُ غداء او عشاء فما قدرت

عليهِ وكان عليَّ جبة وقيصان فنزعت القميص الاسفل فبعتهُ بدريهمات وقصدت الى فرضة الاهواز اريد قصبة الاهواز وما اعرف بها احدًا وما كان ذلك الاَّ شيئًا اخرجهُ الضجر وبعض التعرُّض . فوافيت الفرضة فلم أُصب فيها سفينة فتطيَّرتُ من ذلك ثم رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت من ذلك ايضاً واذا فيها حمولة فقلت للملاح تحملني قال نعم قلت ما اسمك قال داود وهو بالفارسيَّة الشيطان فتطيَّرت من ذلك . ثم ركبت معهُ تضنك الشمال وجهي وينشر الليل الصقيع على رأسي فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمَّال ومعي لحاف سمل ومضربة خلق وبعض ما لا بدَّ لمثلي منهُ فكان اول حمال اجابني اعور فقلت لبقار كان واقفاً بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما ادناهُ من متاعي اذا الثور اعضب (مكسور القرن) فازددتُ طيرةً الى طيرة فقلت في نفسي الرجوع اسلم لي ثم ذكرت حاجتي الى اكل الطين فقلت ومن لي بالموت فلما صرت بالخان وانا جالس فيهِ ومتاعي بين يديَّ وانا اقول ان انا خلَّفتهُ في الخان وليس عندهُ من يحفظهُ فُشَّ الباب وسُرق وان جلستُ احفظهُ لم يكن لمجيئي الى الاهواز وجه. فبينا انا جالس اذ سمعت قرع الباب قلتُ من هذا عافاك الله . قال رجل يريدك . قلت ومن انا. قال انت ابرهيم . فقلت ومن ابرهيم . قال النظام. قلت هذا خنَّاق او عدو او رسول سلطان . ثم اني تحاملت وفتحت الباب فقال " ارسلني اليك ابرهيم بن عبد العزيز يقول نحن وان كنا اختلفنا في بعض المقالة فانَّا قد نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق الحريَّة وقد رأيتك حين مررت على حال كرهتها منك وما خبَّرني عنك الاَّ بعض من كان معي وقال ينبغي ان يكون قد نزعتهُ حاجة فان شئتَ فاقمْ بمكانك شهرًا او شهرين فعسى ان نبعث اليك بعض مايكفيك زمنًا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً فخذها وانصرف وانت احقُّ من عذر" . فهجم والله عليَّ امرٌ كاد ينقضني اما واحدة فاني لم اكن ملكت قبل ذلك ثلاثين دينارًا في جميع دهري. والثانية انهُ لم يطل مقامي ولا غيبتي عن وطني وعن اصحابي الذين هم على حال اشكل بي. والثالثة ما تبيَّن لي من ان الطيرة باطلة وذلك انهُ قد تتابع عليَّ منها ضروب والواحدة منها كانت عندهم معطبة

الاَّ ان جمهور العرب كان يعتقد الطيرة مثل اليونان والرومان قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى قال ابو الفرج المعافي بن زكريا في كتاب الجليس والانيس كنا نجلس في حضرة القاضي ابي الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابهِ واذا اعرابي جالس كانت لهُ حاجة اذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار فقال الاعرابي ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام . قال فزجرناهُ فقام وانصرف . ثم خرج الاذن من القاضي

الينا فدخلنا فوجدناهُ متغير اللون مغتمًّا فقلنا لهُ ما الخبر قال رأيت البارحة في النوم شخصاً يقول

منازل آل عبَّاد بن زيدٍ على اهليكِ والنعَمِ السلامُ

وقد ضاق صدري لذلك . فدعونا لهُ وانصرفنا فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دُفِن . قال القاضي ابو الطيب الطبري سمعتُ هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابي الفرج المذكور

وقال يعقوب بن السكيت كان اميَّة بن ابي الصلت في بعض الايام يشرب فجاء غراب فنعب نعبةً فقال لهُ امية بفيك التراب ثم نعب اخرى فقال لهُ اميَّة بفيك التراب ثم اقبل على اصحابهِ فقال اتدرون ما يقول هذا الغراب زعم اني اشرب هذه الكاس فاموت وامارة ذلك انهُ يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظمًا فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظمًا فمات ثم شرب اميَّة الكاس فمات من حينهِ

والحكايتان من اقاصيص العرب وامية بن ابي الصلت شاعر مسيحي مشهور من فحول شعراء الجاهلية ويقال انهُ مرض قبل موتهِ وسُمِع يقول

ان تغفر اللهمَّ فاغفر جمًّا وايُّ عبدٍ لك لا المَّا

ثم قال

كل عيش وان تطاول دهرًا منتهي امره الى ان يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

إجعلِ الموت نصب عينيك واحذرْ غَولة الدهر ان للدهر غُولا

وقال الجاحظ وبالبصرة من شان الغربان ضروب من العجب لو كان ذلك بمصر او ببعض الشامات لكان عندهم من اجود الطلسم وذلك ان الغربان تقطع الينا في الخريف فترى النخل ونصفها مصرومة (اي مقطوعة عناقيدها) وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة من النخل الذي لم يُصرَم ولو لم يبقَ عليها الّا عذق (عنقود) واحد . وترى على كل نخلة مصرومة الغربان الكثيرة ولا ترى على التي تليها غرابًا واحدًا حتى اذا صرموا ما عليها تسابقت الغربان الى ما سقط من التمر في جوف الليف واصول الكرب تستخرجهُ كما يستخرج الشاك الشوكة

ومنقار الغراب معول وهو شديد النقر يصل الى الكمأة المدفونة في الارض بنقرة واحدة وهو ابصر بمواضع الكمأة من اعرابي يطلبها . والاعرابي يحتاج الى ان يرى ما فوقها من الارض فيهِ بعض الانتفاخ والانصداع وما يحتاج الغراب الى دليل

والغربان تسقط في الصحاري تلتمس الطعم ولا تزال كذلك فاذا غابت الشمس نهضت الى

اوكارها معاً وقلما تخالط البقع بالسود . ومنها اجناس كثيرة عظام كامثال الحدإ السود ومنها صغار وفي مناقيرها اختلاف في الالوان والصور . ومنها غربان تحكي كل شيء سمعتهُ حتى انها في ذلك اعجب من الببغاء . وما اكثر ما يختلف (يتردد) منها عندنا في البصرة في الصيف فاذا جاء القيظ قلّت جدًّا واكثر المختلفات من البُقع فاذا جاء الخريف رجعت الى البساتين لتنال مما يسقط من التمر في كرب النخل وفي الارض ولا تقرب النخلة اذا كان عليها عذق واحد . واكثر هذه الغربان سود ولا تكاد ترى فيهنَّ البُقع . انتهى كلام الجاحظ . ولم تحقق ما ذكرهُ من امر الغربان والنخل فان كان احد من القراء يعلم ما يثبتهُ او بنفيهِ فليتحفنا بهِ

وقال القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات "الغراب طائر كثير الاسفار بعيد التطواف اول ما يطير يسرع الطيران بعد ابتلاج الفجر يحبُّ الجوز يجمع منهُ كثيرًا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالجمل والفرس وكذا الآدمي ويقصد قلع عينيها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدَّة جوعهِ . وينقر ظهر السلحفاة فيأكلها . والبعير اذا عقر وحدث في ظهرهِ لحم ميت فلا بدَّ من اخذ اللحم الميت من ظهرهِ فيرسلونهُ الى الصحراء تجتمع عليهِ الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهرهِ . وقال خلف الاحمر رأيت فرخ الغراب فلم ارَ صورة اقبح منهُ ولا اقذر ولا انتن رأيتُ رأساً كبيرًا ومنقارًا طويلاً وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو امرط منتن الريح . ومن الغربان ما يأتي بالفاظ فصيحة افصح من الببغاء"

وزاد الدميري في حياة الحيوان الكبرى في مشي الغراب قول الشاعر

" ان الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاة ورام يمشي مشيها فاصابهُ ضرب من العقّالِ
فاضلَّ مشيتهُ واخطأ مشيها فلذاك سموهُ ابا المرقالِ

" وهو اصناف الغداف والزاغ والاكحل وغراب الزرع والاورق (اي الرمادي) وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعهُ . والغراب الاعصم عزيز الوجود قالت العرب اعزُّ من الغراب الاعصم اي الاحمر المنقار والرجلين وغراب الليل وهو غراب ترك اخلاق الغربان وتشبَّه باخلاق البوم وقال ارسطوطاليس في النعوت الغربان اربعة اجناس اسود حالك وابلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب واسود طاووسي برَّاق الريش ورجلاهُ كلون المرجان يعرف بالزاغ . وفيهِ حذر شديد وتنافر . والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكلهُ" . ويلي ذلك كلام كثير منقول اكثرهُ عن الجاحظ

هذا ما عنَّ لنا جمعهُ من اوصاف هذا الطائر وقد اقتصرنا على ما تلذ مطالعتهُ

خرائب الشام

مدينة بيسان

نستغفر الله ليست مدينةً بل قريةٌ حقيرة ولوكانت في سالف عهدها عاصمة المدائن العشر (ديكابوليس) يسكنها الآن جالية مصرية اتى بها اليها ابرهيم باشا سنة ١٨٤٠ . وهي مدينة بيت شان التي حمل اليها الفلسطينيون اجساد الملك شاول و بنيهِ بعد ان قتلوهم في واقعة جلبوع على ماهومذكور في التوراة وارسلوا رأسهُ الى هيكل داجون وسلاحهُ الى هيكل عشتاروث

وسميت هذه المدينة سكيثوبوليس اي مدينة السكيثيين لان قبائلهم سكنتها لما نزلت على بلادالشام ومصر في اواخر القرن السابع قبل المسيح. والاسم يوناني كما لا يخفى اطلقهُ عليها اليونان بعد ان تغلّب الاسكندر على بلاد المشرق اما لانهم وجدوا السكيثيين فيها او لانهم وجدوا حولها اقواماً رحّلاً كالسكيثيين فسموها بما معناهُ مدينة الاقوام الرحَّل . ولم تكن من مدن اليهود في عهد يهوذا المقابي مع ان اليهود كانوا كثارًا فيها

وتغلّب القائد بمبايوس الروماني عليها وهو ذاهب من دمشق الى اورشليم ثم اعاد اهاليها اليها بعد فتحهِ اورشليم وجعلها من المدن الحرَّة . ولما اوقع الرومانيون بيهود قيصارية وذبحوهم قام اليهود وهجموا على يسان لينتقموا من اليونانيين سكانها فانضم اليهود الذين فيها الى اليونانيين وغيرهم من السكان وحاربوا اليهود الهاجمين عليها وابدوا من الحماسة والشجاعة في محاربة اخوانهم ما جعل باقي السكان يسيئون الظن بهم على ما رواهُ يوسيفوس فطلبوا منهم ان يتنحوا عن المدينة الى غاب خارجها فخرجوا اليهِ هم وعيالهم الأ ان اهل المدينة غدروا بهم وبيتوهم وقتلوا منهم ثلاثة عشر الف نفس . فما قولك بمدينة يقتل من فريق صغير من اهلها ثلاثة عشر الف نفس وكان ذلك سنة ٦٥ للمسيح

واطلق عليها الرومانيون اسم مدينةالقصور لكثرة قصورها ومبانيها الفخيمة وكانت لا تزال في عزها في اوائل القرن الرابع بعد المسيح وقد ذكرها يوسيبيوس وايرونيموس وقالا انها كانت مدينة عظيمة. وحضر مطرانها المجمع الذي عقد في فلسطين سنة ٣١٨ والمجمع النيقاوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥ . وناب نائب عن رهبانها في المجمع القسطنطيني الذي عقد سنة ٥٣٦ وفيها ولد باسيليدس زعيم طائفة الغنسطيين المصرية وكيرلس بطريرك الاسكندرية الذي قُتلت في عهدهِ هباشيا العالمة الوثنيَّة

ولما فتح العرب دمشق ارسل ابو عبيدة شرحبيل وجنوده الى بيسان فقاتلوا اهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم صالحهم من بقي على صلح دمشق. ولا يذكر اسم هذه المدينة بعد ذلك الاَّ نادراً فانها انحطت عن عظمتها الاولى بعد فتوح الشام ولم تزل تنحط حتى الآن . ويمر فيها جدولان يقسمان خرائبها الى ثلاثة اقسام القسم الجنوبي حيث قرية بيسان الحالية والميدان والملعب واثار اسوار قديمة والقسم المتوسط وفيهِ اكمة كان فيها الحصن الذي علق عليهِ رأس شاول ورؤُوس ابنائهِ والقسم الشمالي وفيهِ آثار كنيسة نخيمة وحمامات وحصون وحول الاقسام الثلاثة آثار السور القديم

والميدان او المشهد مطمور كلهُ تقريباً الآن وقد كان طولهُ من الشرق الى الغرب ٢٨٠ قدماً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ١٥٢ وهو بناءٌ مستطيل مستدير الطرفين جدرانهُ من الحجارة السود الصلبة ومقاعدهُ من الرخام الابيض

والملعب شمالي الميدان وهو يزيد على نصف دائرة قطرها ١٨٠ قدماً وهناك استشهد كثيرون من المسيحيين في عهد يوليان المرتد . ولا تزال العرن التي كانت توضع فيها الضواري حتى الآن. وكان فيهِ نقر بيضيَّة الشكل توضع فيها انابيب من النحاس لتقوية الصوت . وبناء الملعب مثل بناء المشهد من الحجارة السود ومقاعدهُ من الرخام الابيض وتحتها عقود من الحجارة السوداء ولذلك يسمَّى بالعقد

وجنوبي الملعب جامع الاربعين فوق محرابهِ كتابة يقال فيها انهُ بني سنة ٨٠٦ للهجرة وقد كان كنيسة قديمة تحوَّلت جامعاً

وفي المدينة اكمة طبيعيَّة يقال لها تل الحصن تطلُّ على البلاد المجاورة هناك بنى الصليبيون القلعة المسماة بقلعة الربوض وتحتها آثار سور كبير كان يحيط بالتل

وكان بعض البستانيين يحفرون في ما يسمَّى بستان السلطان فعثروا على آثار كنيسة فيها سبعة وعشرون عموداً بتيجانها وقواعدها وهي من الشكل الكورنثي وكلها من الرخام الابيض

وفتح الصليبيون بيسان وقالوا انها كانت كثيرة الخرائب في خرائبها كثير من الرخام وقاوم اهلها صلاح الدين سنة ١١٨٢ لكنهم هربوا منها في السنة التالية فنهبت وحرقت . وذكرها ابو الفداء فقال هي مدينة صغيرة بلا سور ذات بساتين وانهار وهي على الجانب الغربي من الغور وهي كثيرة الخصب ولها من جملة انهرها نهر صغير من عين تشق المدينة وبينها وبين طبرية ثمانية عشر ميلاً وهي في الجنوب عن طبرية

هذا ما بقي من عاصمة المدن العشر ومن مدينة من اكبر مدائن الشام

منزلة الشعر من التاريخ

٥ً الزراعة

ومن اسباب المعاش عندهم الزراعة قال زهير بن ابي سلمى

فتغلل لكم ما لم تغل لاهلها   قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ومنهُ نستدلُّ ان عرب العراق كانوا يتعاطون امور الزراعة على مثال ما ورد في شعر المتلمس "آليت حب العراق الدهر اطعمهُ" وقول امرىء القيس "كجرمة نخل او كجنَّة يثرب" وقول خارجة بن ضرار المري "كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا". واوضح من هذا قول جرير بن عطية في هجاء الصلتان

اقول لعيني قد تحدَّر ماؤها   متى كان حكم الله في كرب النخل

وقد اجابهُ الصلتان بقوله

تعيّرنا بالنخل والنخل مالنا   وودَّ ابوك الكلب لو كان ذا نخلِ

وقد ذُكرت اوائل الزراعة فمن ذلك المعول قال الحطيئة

ما كان ذنبي ان فلَّت معاولكم   من آل لاي صفاة اصلها راس

والمنجل قال عنترة العبسي "واظافر يشبهن حد المنجل" وقال الاخطل

يخطر بالمنجل وسط الحقل   يوم الحصاد خطران الفحل

والمنجنون وهي آلة تديرها البقرة. قال المتلمس

هلمَّ اليهِ قد ابيثت زروعهُ   وعادت اليهِ المنجنون تكدسُ

وابيثت نبتت وتأصلت وقد ذكر الزرع الاعشى بقوله

ألم ترَ ان العرض اصبح بطنهُ   نخيلاً وزرعًا نابتًا وفصافصا [١]

وكانت اياد ذات اهتمام بالزرع وذلك يستنتج من قصيدة للقيط بن يعمر الايادي وكان كاتبًا في ديوان كسرى ارسلها الى قومهِ لما رأى صاحبهُ مجمعًا على غزو قومهِ منها

ابلغ ايادًا وغلّل في سراتهم   اني ارى الرأي ان لم أُعصَ قد نصعا

اني اراكم وارضًا تعجبون بها   مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا [٢]

---

(١) الفصافص جمع فصفصة وهي نبات تعلفهُ الدواب تسمى بذلك ما دامت طرية

(٢) الوعث ارض مسترخية رطبة والطبع صدأ يكثر على السيف والطبع ايضًا تدنس العرض وتلطخهُ استعارةً للغناء

ألا تخافون قوماً لا اباً لكمُ ... أمسوا اليكم كامثال الدَّبى سرعا[٣]
لا الحرث يشغلهم بل لا يرَون لهم ... من دون بيضتكم ريّاً ولا شبعا
وانتمُ تحرثون الارض عن سفه ... في كل معتمرٍ تبغون مُزدرَعا

ومما يدلُّ على اشتغالهم بالزراعة قول عروة بن الورد

لست لمرَّة ان لم اوف مرقبة ... يبدو لي الحرث منها والمقاضيب[٤]

وقول لبيد

اذا أروَوا بها زرعاً وقَضباً ... اداروها على خورٍ طوالِ[٥]

وقول عوف بن مالك النضري

تعرَّض ضيطارو خزاعة دوننا ... وما خير ضيطارٍ يقلّب مسطحا[٦]

وقول جندل بن المثني "يفرك حبَّ السنبل الكُنافجِ"[٧] وقول ابي ذؤيب

وما حمّل البختيُّ عام غيارهِ ... عليهِ الوسوقُ برُّها وشعيرها[٨]

وكان بعضهم يعلفون ركائبهم من الشعير قال الاعشى في صفة ناقتهِ

بناها الغواديُّ الرضيخ مع الخلا ... وسقيي واطعامي الشعير بمحفدِ

وهذا مما يدلُّ على غزارة وجودهِ غزارة لا يفي بها اجتلابهُ
وكانوا يتداولون الحبوب مكايلة قال الاخطل

والخبز كالعنبر المندي عندهمُ ... والقمح سبعون اردبًّا بدينارِ

وقال ابو جندب الهذلي

فلهف ابنة المجنون ان لا تصيبهُ ... فتوفيهُ بالصاع كيلاً غذارِما[٩]

وقال مزرِّد

خلطتُ بصاع الأقط صاعين عجوة ... الى صاع سمنٍ وسطهُ يتربَّعُ

ومما يستدلُّ على اشتغالهم بالزراعة عصرهم الزيت وبيعهُ . اما عصر الزيت فدليلهُ قول الفرزدق

ولكنَّ ديافيٌّ ابوهُ وامهُ ... بحوران يعصرن السليط اقاربه[١٠]

---

(٣) الدبى صغار الجراد (٤) المقاضيب جمع مقضبة وهي منبت القضب
(٥) القضب الرطبة . والخور جمع خوارة وهي الناقة الكثيرة الحمل [illegible]
(٦) الضيطار الضخم الذي لا غناء عندهُ والمسطح الخشبة المعرضة على دعامتي الكرم بالاطر
(٧) الكنافج المكتنز من السنابل (٨) البخت الابل الخراسانية واحدها بختي
(٩) غذارم جزاف (١٠) ديافي نسبة الى دياف من قرى الشام . والسليط الزيت

اما بيعهُ فدليلهُ قول ابن احمر الباهلي

لها رطل تكيل الزيت فيهِ وفلاَّح يسوق بهـا الحمارا

ونعود الى بيت الفرزدق فقد قال صاحب خزانة الادب الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي اراد يعصرن الاشارة الى ان عصر الزيت عمل النساء خاصة لا عمل الرجال

واذا نظرنا بامعان وجدنا ان الطبابة والصياغة وتحصيل الذهب ونسج الثياب والبسط والحصير وعصر الزيت والبيع وغزل الصوف ورعاية الماشية والغناء مما احترفتهُ نساء العرب وكفى بذلك دليلاً على انهنَّ كنَّ عضوًا عاملاً في الهيئة المدنية عند العرب

٦ً الصيد

والصيد عند العرب ضربان ضرب لتحصيل المعاش وهو من ابحاثنا هنا وضرب من انواع اللهو عند الامراء . اما الاول وهو الصيد للتعيش فدليلهُ قول امرىء القيس

ربَّ رامٍ من بني ثعلٍ مُتلج كفَّيه من قترهْ (١)

عارض زوراء من نشمٍ غير بانات على وترهْ (٢)

قد اتتهُ الوحش واردة فتنحى النزع في يسرهْ (٣)

فرماها في فرائصها بازاء الحوض او عقرهْ (٤)

برهيش من كنانتهِ كتلظي الجمر في شررهْ (٥)

راشهُ من ريش ناهضة ثم امهاهُ على حجرهْ (٦)

فهو لا تنمي رميتهُ مالهُ لاعُدَّ من نفرهْ (٧)

مطعم للصيد ليس لهُ غيرها كسب على كبرهْ

وهذه الابيات في بابها غاية فقد ذكر مواقع الصيد وصفة الصياد الحاذق وكيفية الصيد ومن اي شيء تؤخذ القسي والسهام. وصرَّح باتخاذ الرماية مهنة للمعاش كل ذلك بايجاز غريب

واما الصيد للهو بالكلاب فقد ذكر ذلك كثار من الشعراء كالنابغة في قصيدتهِ "يا دار مية بالعلياء فالسند" وكامرىء القيس في قصائدهِ "خليليَّ مرَّا بي على ام جندبِ" والا

(١) متلج مدخل والقتر جمع قترة بيت الصائد الذي يكمن فيهِ للوحش

(٢) الزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر يعمل منهُ القسي والبانات هو الذي ينحني اذا رمى فيذهب سهمهُ على وجه الارض وذلك عيب (٣) تنحى تحرف . يسر جمع يسرى

(٤) العقر مقام الشاربة (٥) الرهيش سهم ضامر

(٦) الناهضة التي وفر جناحها وامهاه ارقه

(٧) انميتُ الصيدَ فنمى ينمي وذلك ان ترميهُ فتصيبهُ ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب

انعم صباحاً ايها الربع فانطقِ " و " أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوص " و " اعني على برق اراهُ وميضِ ". وهو اكثر الشعراء وصفاً للصيد والتصيد. وكذلك قد المَّ زهير بن ابي سلمى بالصيد في قصيدتهِ " صحا القلب عن سلمى واقصر باطلهُ ". وذكر علقمة الفحل الصيد في قصيدتهِ " ذهبتِ من الهجران في كل مذهبِ ". ونكتفي بالاشارة الى هذه القصائد خوفاً من ملل القارىء الكريم

وممن اشتهر بالصيد رجلان يقال للاول ابن مرّ وللثاني ابن سنبس وكانا بارعين في تربية كلاب الصيد قال امرؤُ القيس

فصبَّحهُ عند الشروق غديةً كلاب ابن مرّ اوكلاب ابن سنبسِ

وكذلك كانوا يعرفون القنص بالطيور الجوارح . قال طرفة وهو عمرو بن العبد البكري في وصف القنص بالطيور في خلال ابيات هجا بها عمرو ابن هند اللخمي واخاهُ قابوساً

لعمرك ان قابوس ابن هند ليخلط ملكهُ "حمق" كثيرُ
قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصداو يجورُ
لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا تطيرُ (٨)
فاما يومهنَّ فيوم سوءٍ تطاردهنَّ بالحدب الصقورُ (٩)

وكانوا يتصيدون (بالفخ) ايضاً كما قال طرفة

يالكِ من قبَّرة بمعمرِ خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري
لا بدَّ من صيدك يوماً فاصبري

٧ تربية النحل

وكان البعض يعنون بتربية النحل لاشتيار عسلهِ قال تميم ابن مقبل يصف نحلاً

كأنَّ اصواتها من حيث تسمعها صوت المحابض ينزعن المحاريناَ (١٠)

وقال الشنفرى

او الخشرم المبثوث حثحث دبرهُ محابيض ارساهنَّ شارٍ معسلُ (١)

---

(٨) الكروان طائر معروف وهو طويل العنق والرجلين اغبر لهُ صوت حسن

(٩) الحدب حدود في صبب والغلظ المرتفع من الارض

(١٠) المحابض هي عيدان يُشار بها العسل والمحارين ما تساقط من الدبر في العسل فمات فيهِ

(١) الدبر جماعة النحل

١٤

اعزاز الخيل

ولما كانت غارات العرب متواصلة كان للخيل عندهم معزَّة كما نستدل من قول لحيف العجلي

ابيتَ اللعنَ ان سكاب علقٌ نفيس لا يُعارُ ولا يُباعُ
مفدّاة مكرَّمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاعُ
سليلة سابقين تناجلاها اذا نُسبا يضمّهما الكراعُ
فلا تطمع ابيت اللعنَ فيها ومنعكها بشيء يستطاعُ

وفي البيت الثالث اشارة الى ان العرب كانوا يحافظون على انساب الخيل وهو امر حقيقي.

قال النابغة الذبياني في صفة خيل قومهِ

فيهم بنات العسجدي ولاحق ورقًا مراكلها من المضمارِ

وقال ايضاً

قعوداً على آل الوجيه ولاحق يقيمون حولياتها بالمقارعِ.

١٥

العقل والقود

ومن سنن العرب اذا قُتِل قتيل اما ان يقبل اهلهُ بعقلهِ اي باخذ ديتهِ او انهم يصرُّون على القوَد وهو قتل القاتل . اما اخذ الدية فواضح من قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا واقواتنا وما نقود الى القتلِ

وكان بعضهم قبل الاسلام يجنف عن اخذ ثار القتيل الواحد من قومهِ بالقتيل الواحد من اعدائهِ كما يُعرَف ذلك من حكاية المهلهل التغلبي وقتلهِ ابن اخيهِ بجير ابن ام الاعز وهو بجير بن الحارث بن عباد اليشكري وقولهِ اذهب بشسع كليب . وعلى التفضيل بين القتلى قال جميل بن معمر العذري

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعة قتلوني
وكيف ولا توفي دماؤهم دمي ولا مالهم ذو ندهة فيدوني (٣)

وقال عبد الله بن الزبير

قضى الله ان النفس بالنفس بيننا ولم نك نرضى ان نباوئكم قبلُ (٢)

وقالت ليلى الاخيلية في رثاء توبة بن الحميّر

---

(٢) باوأه الشيء بالشيء جعلها سواء (٣) ندهه سعة

فان تكن القتلى بواءً فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ

وكان العقلُ غير محمود عندهم بدليل قول كبشة اخت عمرو بن معدي كرب تحرّض قومها على اخذ ثار شقيقها عبد الله وكان اخوها عمرو يتظاهر بقبول الاتداء

وارسلَ عبدالله اذ حان يومهُ الى قومهِ لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم افالاً وابكرًا واترك في بيت بصعدة مظلم (٤)

فان انتمُ لم تقتلوا واتديتمُ فمشّوا بآذان النعام المصلَّمِ

والمشهور في الدية ان كانت دية ملك فألف بعير كما احتملت بنو فزاره دية ابن الاسود ابن المنذر قال قراد بن حنش الصاردي

ونحن رهنّا القوس ثمّت اوديت بالف على ظهر الفزاري اقرعا

بعشر مئين للملوك سعى بها ليوفيَ سيَّار بن عمروٍ فاسرعا

واما ان كانت دية احد العامة فمئة قال سالم بن دارة

ابلغ ابا سالم عني مغلغلة فلا تكونن ادنى القوم للعارِ

لا تأخذَنْ مئة منهم مجلّلة واضرب بسيفك منظور بن سيَّارِ

وكانوا يختارون الدية من الابل الصغار الموسومة بزنمة . قال زهير بن ابي سلمى

فاصبح يُحدَى فيهم من تلادكم مغانم شتى من افالٍ مزنَّمِ

وكان المزنَّم من كرام الابل . ودليل ذلك افتخار المتلمس باقتناء قومهِ لها قال

وان نصابي ان سألتَ وأسرتي من الناس حيٌّ يقتنون المزنَّمَا

وبيتا سالم بن دارة المورّدان سابقًا يوكّدان انفة العرب من الاتداء حتى تراهُ قد عدَّ قبولهُ عارًا وهكذا قال الاخوص اليربوعي وقولهُ

وليس بيربوع الى العقل حاجة سوى دنس يسودُّ منهُ ثيابها

وربما كانت الدية من غير الابل . قال زهير بن ابي سلمى

فكلاً اراهم اصبحوا يعقلونهُ غلالة الف بعد الف مصتَّمِ

تُساقُ الى قوم لقوم غرامة صحيحات مال طالعات بمخرمِ

يريد بالآلاف الف درهم . وقال الحرث بن زيد الخيل

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة كرامًا ولم نأكل بهم حشَفَ النخلِ (٥)

---

(٤) الافال جمع افيل وهو الصغير من الابل

(٥) الحشف اردأ التمر اي انهم لم يقبلوا الدية التي قد تكون من التمر او من امثال ذلك ما يؤكل

وكان اخذ الثار عزيزًا عندهم يتطلَّبونهُ بكل قواهم حتى كانوا يستحبون الموت في سبيل الحصول عليهِ قال الفرزدق يحرّض قومهُ

فاستشعروا بثياب اللؤم واعترفوا ان لم تروعوا بني افعى بغاراتِ
وتقتلوا بفتى الفتيانِ قاتلهُ او تُقتلون جميعًا غير اشتاتِ

وكان العزيز المنيع الجانب هو الذي ان قتل احدًا لا يطالب بدية ولا بقوَد قال حسان ابن ثابت مفتخرًا

ما للقتيل الذي اسمو فاقتلهُ من ديةٍ فيهِ يعطاها ولا قوَدِ

وكان اذا قُتِل رجل من قبيلة يُطالَب القاتل بدمهِ فتجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألون العفو عن الدم فان كان وليهُ قويًا حميًا ابى اخذ الدية وان كان ضعيفًا شاور اهل قبيلتهِ فيقول للطالبين ان بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي فيقول لهم الآخرون ما علامتكم فيقولون نأخذ سهمًا فنركبهُ على قوس ثم نرمي بهِ نحو السماء فان رجع الينا ملطخًا بالدم فقد نُهينا عن اخذ الدية ولم يرضوا الاَّ بالقوَد وان رجع نقيًا كما صعد فقد أُمرنا باخذ الدية وصالحوا . فما رجع هذا السهم قطُّ الاَّ نقيًا ولكن لهم بهذا عذر عند جهالهم قال الاشعر الجعفي

عقُّوا بسهمٍ ثم قالوا صالحوا يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى (٦)

وقال المتنخل الهذلي

عقُّوا بسهم ولم يشعرْ بهِ احدٌ ثم استفاقوا وقالوا حبذا الوضحُ (٧)

وكان يسمي السهم الذي يرمى العقيقة ولهذا قال الشاعران عقوا بسهم

امين ظاهر خير الله

(٦) مسح اللحى علامة الصلح (٧) الوضح اللبن كناية عن الابل اي قبول الدية

رأي ابن خاتمة في الوباء

جرت عادة اهل كل علم في الغرب ان يرجعوا الى اصل العلوم التي يشتغلون بها للاحاطة بتدرجها ودرس تاريخ رقيتها والوقوف على ابحاث من قبلهم من الرجال . وقد ظفرت خلال الوباء الذي انتقل في العام الماضي من مصر الى الشام بكتاب اسمهُ "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" تأليف العلامة ابي جعفر احمد بن خاتمة الاندلسي فاحببت ان احدث القراء ببعض ما قرأتهُ فيهِ لعلمي بما في مقابلة الطب الحديث بالطب القديم من الفوائد الجمة التي لا ينكرها باحث في العلم منها معرفة ما انتهت اليهِ حالة الطب في ذاك الزمن وما يوافق منها القديمُ الحديثَ مثل مسألة ثياب الموبوئين وعدوى لابسيها ومسألة الفصد الذي ذكر المقتطف فائدتهُ في تخفيف الضغط عن القلب وبرء المصاب احياناً على ما سيجيء ومنها الاطلاع على ما لعلماء الاندلس من العناية بكل شيء حتى ان مثل هذا الفاضل وكان معدوداً من الطبقة العالية في بلادهِ لم يستنكف من الانتساب للطب وكان يعنى بتمريض المرضى ومداواتهم و يعد هذه الصناعة شريفة مثل ما كان يدرس في الجامع الاعظم ببلدهِ ولا عجب فالطب كالفقهِ في الاعتبار كما صرح بذلك الغزالي واحزابهُ

اما المؤلف فقد ترجمهُ لسان الدين بن الخطيب في كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة فقال : هذا الرجل صدر يشار اليهِ طالب متفنن مشارك قويّ الادراك سديد النظر قويّ الذهن موفَّر الادوات كثير الاجتهاد معين الطبع جيد القريحة بارع الخط ممتع المجالسة حسن الخُلق جميل المعاشرة حسنة من حسنات الاندلس وطبقة في النظم والتربيع المرقى في درجة الاجتهاد واخذه بطرق الاحسان عقد الشروط وكتب عن الولاة ببلدهِ وقعد للاقراء ببلدهِ مشكور السيرة محمود الطريقة في ذلك كلهِ

وقال وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة . وقد ذكر المقري في نفح الطيب طرفاً صالحاً من كلام ابن خاتمة وترجمتهِ

شرع المصنف وضع مؤلَّفهِ سنة سبع واربعين وسبعمائة في خلال وباء ظهر في المَرِيَّة احدى بلاد الاندلس قال وكان ظهورهُ في اول شهر ربيع الاول بموافقة اول شهر يونيه "فاستمر تمامهُ فصل الربيع وجمع فصلي الصيف والخريف وطائفة من فصل الشتاء الى تاريخ كتب هذا وهو منتصف شهر ذي العقدة بموافقة شهر فبراير"

وقسم كتابهُ على عشر مسائل وجزَّأهُ على بضعة فصول ففي المسألة الاولى كلام على سبب

تسمية هذا المرض بالوافد قال "فظاهر كلام الاطباء انها (اي الامراض) وان كان عنها موت فانها لا تعد وباء لان اسبابها متفرقة والامراض الكائنة عنها مختلفة بالنوع وكونها في موضع واحد مما هو بالاتفاق وان اطلق عليها وباء فبحكم الشبه الظاهر وعلى جهة التوسع والمجاز وهذا النوع من المرض هو احد نوعي الامراض التي سمّاها بقراط بالامراض الوافدة قال جالينوس وهي الامراض التي تعم كثيرًا من الناس في وقت واحد فمتى كانت مهلكة سميت موتانًا ومتى كانت سهلة خصت باسم المرض الوافد ومتى كانت خاصة ببلد دون بلد سميت بالامراض البادية وقد قلنا ان الموتان في اصل وضعهِ خاص بالبهائم لكن على ذلك جرت الترجمة

وفي المسألة الثانية قال ان للوباء اسبابًا خاصة واسبابًا عامة وسببهُ العام ينقسم الى قسمين قريب وبعيد فالقريب تغير الهواء المحيط بالانسان الذي فيهِ تنفسهُ وهذا التغير يكون في الكيف ويكون في الجوهر وشرح ذلك ثم قال ان هذا البخار لا يتقد فيهِ مصباح بل ينطفئ اذا هو أسرج وأُدخل فيهِ من ساعتهِ واشد ما يستحيل الهواء الى التعفن والفساد اذا بلغ هذه الدرجة

ونسب السبب البعيد الى تغير الهواء من جهة اتصال الاشعة الفلكية والانوار السماوية والنُصُب العلوية وعلى التحقيق من قبل الامر الالهي الذي لم يحصل اسبابهُ للبشر تحصيلاً يركن اليهِ اذ الوقوف على حدود الاحكام النجومية لم يحصل بعد ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة الزمان والوقت بان يتغير الفصل من فصول السنة عن كيفيتهِ الطبيعية الى ضدهِ وذلك كأن يكون الربيع باردًا يابسًا على طبيعة الخريف لعدم الامطار في الشتاء قبلهُ وهبوب الرياح الشمالية او يكون الصيف مستويًا لغزارة الامطار فيهِ وهبوب الرياح الجنوبية او يكون الخريف على طبيعة الربيع او الشتاء على طبيعة الصيف لعكس تلك الاسباب. ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة المكان والموضع وما يتصل بهِ منهُ وذلك بان ترتفع ابخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والاحافير السرية الراكدة الهواء والنبات والبقول المتعفنة واقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي اصابها الموتان ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفنة

وهنا ذكر كيف تدرج الوباء وانتقل الى المرية وانهُ حل" اولاً في منازل الضعفاء والمساكين وذكر ان عدد وفياتهِ اذ ذاك كان دون وفيات تونس وتلمسان وبلنسية وانهُ هلك في جزيرة ميورقة في يوم واحد ١٠٠٢٥٢ . وخمّن من بقي من ناسها بعد الوباء بربع الجميع وكذلك كان الامر بسائر بلاد المسلمين والنصارى ثم قال ما لفظهُ :

"وقد اختلف في مبدإ هذا الحادث من اين ابتدأ ظهورهُ فذكر لي الثقة عن بعض تجار

النصارى القادمين علينا بالمرية ان ابتداءهُ كان ببلاد الخاد وبلاد الخاد بلسان العجم هي بلاد الصين على ما تلقيتهُ عن بعض الواردين من اهل سمرقند وكان ثقة صدوقاً . وبلاد الصين هي من اول المعمور من الارض في جهة المشرق وانهُ ما زال ينتشر من بلاد الخاد ويتصل بما والاها الى ان اتصل بعراق العجم وببر التركية . وذكر لي ايضاً عن آخرين من النصارى القادمين علينا انهُ بلغهم ان ابتداءهُ كان بارض الحبشة وانهُ انتشر من هنالك فيما يليهم من الاقطار حتى انتهى الى ديار مصر واتصل بالشام . واختلاف هذا النقل يدل على ان هذا الحادث عام لجميع الاقاليم وكافة الاقطار .

"وسبب اختلاف النقل والله اعلم انهُ لما ظهر بجهة في الجهات التي هي اوائل المعمور ظن ناسها ان مبدأ هذا الحادث منها وانتشر الخبر بذلك ثم ترادفت الاخبار بنزوله بحصن قنا من معاقل الجنويين وهو الذي كان محاصرًا في التاريخ القريب قرطبة (كذا) بجند المسلمين من الترك والروم ثم بارض بيره وبالقسطنطينية العظمى وجزر الرمانية من سواحل البحر الرومي وبلاد جنوه وارض افرنسه آخر ريف الاندلس فسهل بلاد ارغون وبرطونه وبلنسية وغيرها وعمَّ أكثر مملكة قشتالة حتى انتهى الى اشبيلية من اقصى المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسردانية وميورقة وبلنسية وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من ارض افرنقية الى ما يلي المغرب"

وتكلم في المسألة الثالثة على اختصاص الوباء قوماً دون آخرين على قرب الجوار فاجاب عن ذلك بانهُ يتفق من وجه وهو كالاستعداد ويختلف من وجه آخر وهو الخصوصيَّة وان البلاد ليست احوالها متفقة من كل الجهات فتختلف من جهة قربها وبعدها من البحر ومن جهة اوضاعها ومن قبل اماكنها في السهولة والحزونة ومن قبل مآكلها ومشاربها. وشرح ذلك شرحاً مستوفى يصح ان يتخذ دستورًا في حفظ الصحة في كل زمان ومكان وقال ان المرية من المدن الساحلية التي تستعد للوباء اكثر من غيرها ووصف مركز تلك المدينة ومآكلها ومشاربها وصفاً لم يبق مجالاً لواصف

ثم قال " اعلم ان الناس ليسوا على طبيعة واحدة ولا مزاج واحد ولا احوالهم في مطاعمهم ومشاربهم وتحفظهم وتفريطهم على وتيرة واحدة بل امورهم في ذلك كلهِ مختلفة جدًّا فمن كانت الحرارة والرطوبة غالبتين على مزاجهِ وهو في سن الشبيبة وكان بطبعهِ نهماً مسترسلاً في شهواتهِ كثير التملي من الطعام والنوم عليهِ لا يبالي باختيار مأكول ولا مشروب ولا بادخال طعام على طعام واكثر من استعمال المطاعم الرديئة السريعة الاستحالة ولم يُعْنَ بحفظ صحتهِ ولا النظر

لنفسهِ فان استعداده لنزول هذا المرض بهِ يكون اعظم لهُ وانفعالهُ عن هذا الحادث الحالّ اتم ولم يلبث ان يحلّ بهِ ويشمل ضرره اهل بيتهِ ومساكنهُ لسيرهم بسيرتهِ وذهابهم على مهيعتهِ. فقلما اجتمع اهل بيت وتخالفت طبائعهم وسيرهم . ولو فرضنا لعلةٍ انها تختلف فان من نزل بهِ منهم هذا المرض لتمام استعدادهِ يؤذي غيرهُ ويسري اليهِ ضررهُ"

وافاض المصنف في المسألة الرابعة المتعلقة بعدواه فقال " الظاهر الذي لا خفاء بهِ ولا غطاء عليهِ ان هذا الداء يسري شرهُ ويتعدى ضرهُ شهدت بذلك العادة واحكمتهُ التجربة فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابستهُ في الحادث الأ ويتطرق اليهِ اذايتهُ ويصيبهُ مثل مرضهِ عادة غالبة اجراها الله تعالى". ثم قال " ولقد شهدت اهل سوق الخلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم مات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الى الآن الاَّ الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس. واطلعت في حال البلدان التي حرص اهلها على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك ان استصحبوا السلامة زماناً حتى غُلبوا على ذلك . وان اكثر اهل الحصون التي تلي المرية ونزل بها هذا الحادث ليؤرخون زمن نزوله بهم بقدوم فلان او فلانة عليهم من بلاد الوباء وموتهِ بين اظهرهم ولهم في التحفظ من ذلك والتورط فيهِ حكايات تواترت بانتشارها فلا معنى لانكارها"

وانكفأ المؤلف في المسألة الخامسة يبين كيفية التحفظ والاحتراز من الوباء فحصر الامور التي تدعو اليها حاجة الانسان في بقاء حياتهِ في ستة اقسام اولها الهواء المحيط بالانسان وما يرجع اليهِ وثانيها الحركة والسكون وثالثها الاطعمة والاشربة ورابعها النوم واليقظة وخامسها الاستفراغ والاحتقان وسادسها الاعراض النفسانية وفسر كلاً من هذه الانواع بما معناه: فاصلاح الهواء يكون باتخاذ البيوت الشمالية وفرشها بالرياحين الباردة ومسح الوجه والاطراف بذلك والمواظبة على شمهِ وشم الاترج والليم والازهار الباردة كالورد والبنفسج والتبخير بالصندل مع يسير من العود الرطب ويحذر التعرض للشمس والسموم وموقد النيران وما يشعل حرارة الابدان . وينبغي ان يمال الى السكون ما ساعد الامكان . واصلح الاطعمة والشراب ما نشأ الانسان عليهِ من البر والشعير اذا حسن اختمارها وان كان يتناول الذرة فالاصلح الانتقال الى الشعير ومن الاطعمة حسو من فتيت خبز البر وطبيخ الارز الرقيق واصلح اللحوم ان استعملت ودعت الحاجة اليها لحوم الفتيان من الدجاج والحجل ولحوم الحملان ورضيع البقر يعصر عليها خل الليمون او خل الحصرم ويستعمل بيض الدجاج النيمبرشت وتستعمل البقول المزورات واصلح الفواكه الكمثرى والرمان الحامض والموز والاجاص على خلاء المعدة واصلح المياه ما عذب طعمهُ

وصفا وخف وزنهُ وانحدرت جريتهُ من ماء العيون وما قرب من ذلك فصلاحيتهُ بحسب قربهِ ولا بأس باستعمال ماء الشعير المحكم وتناول شيء من شراب السكنجبين وشراب التفاح ممزوجين بالماء كل صباح على الريق وكذلك شراب الرمان والسفرجل والحصرم وربوبها وشراب الليم وحماض الاترج ونحو ذلك لما يكسر سورة الدم . واصلح النوم ما كان ليلاً على المعتاد ولا بأس بهِ نهارًا في الصيف وليعدل بهِ في الصيف الى الاماكن الشمالية الندية التي تخترقها الرياح . وان تصرف العناية الى تسهيل الطبع دائمًا ووصف لها كثيرًا من الاشربة المباحة ووصف القيء لمن اعتادهُ ورأى ان الحجامة هي النكتة في حفظ الصحة عند حلول هذا الحادث. ورأى النفع في الفصادة قال وكلما توفرت الموجبات في المتطببين عندهُ واحتاجت حالتهم للدم اطلقة لهم ولما الف الناس الانتفاع بهِ صاروا يفتصدون من تلقاء انفسهم . واصلح الاستحمام ما كان في ديماس معتدل الهواء بماء عذب فاتر بحيث يستلذ صبهُ على الجسد ولا تطال مدتهُ . واصلح الاعراض النفسانية التعرض للمسرات والافراح ويستدعى ذلك بما امكن في الامور المباحة ومجالسة من تبتهج النفس بحديثهِ ومطالعة الكتب وليحذر التعرض للغمّ واتعب الناس في هذه النازلة ارباب العقول واروحهم البُله واصحاب الفراغ ويجتنب ما يعود على النفس بروع او فزع او انزعاج . وختم هذا الباب بقولهِ انهُ لا ينبغي للعبد ان يفرط فيما انعم الله بهِ عليهِ من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة ولا ينبغي للعبد ان يحل يدهُ من التوكل طرفة عين فلا يكون توكلهُ على الله تعالى سبحانهُ الاَّ بعد استفراغ جهدهِ في التحفظ والاحتراز وهذه حقيقة العبودية

وبسط في المسألة السادسة علاج الوباء الذي عرف الى عصرهِ " بحسب ما اعطاهُ العلم وشهدت لهُ التجربة ومحنةُ المعاناة والممارسة " ووصف علاجهُ قبل تمكنهِ وعلاجهُ بعد ذلك واتى على مشاهداتهِ في اناس لا يأخذهم الحصر اثر فيهم إطلاق الدم . قال واما اذا استحكم المرض فالمداواة في الغالب قليلة الجدوى . وقسم الطواعين الى ثلاثة انواع وذكر اعراضها وتشخيصها وعلاجها . وهنا انتهى القسم الطبي من الكتاب وبدأ القسم الديني

بعد ان ذكر ابن خاتمة ما تقدمت الاشارة اليهِ من القوانين الطبيَّة بادب بادٍ للعيان اثرهُ ودين لا حشو فيهِ ولا شوب عليهِ انشأ يبرهن على الاخذ بذلك من وجهة دينيَّة فقال ما محصلهُ : لاجدال بين الائمة في جواز التداوي عند نزول الداء ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع ثم فصَّل ذلك تفصيلاً واستند في النقل الى ثقات المؤرخين مثل مروان بن حيَّان وابي الفرج الجوزي

وعاد في المسألة الثامنة بتوسع في شرح النهي عن القدوم الى ارض الوباء او الخروج عنها فراراً منهُ وذكر قصة عمر بن الخطاب لما رجع بجيشهِ من سُرّغ احدى بلاد الشام وقد بلغهُ وقوع الوباء فيها وبعد ان اورد نصوص العلماء في هذا المعنى من "الاخذ بالحذر والحزم الذي امرنا الله تعالى بهِ وطلب الاسباب التي هي سوابق القدر واسرار القضاء كما امرنا باتخاذ الحصن من العدو وتجنب المخاوف والمهالك" انتهى الى المسألة التاسعة وهي كالمسألتين السالفتين في لزوم الوقاية وتدبير الصحة عملاً بما رسمتهُ الشريعة فذكر ما ورد في الحديث (لا عدوى ولا طيَرة ولا صفَر ولا هامَة) وحديث (لا يورِدُ ممرضٌ على مُصحٍ) وصرّح ان لا تعارض بينهما(1)

وخلص في خاتمة الكتاب اي في المسألة العاشرة الى الاجابة عن كيفية الجمع بين حديث لا عدوى وحديث النهي عن القدوم على ارض الطاعون او الخروج عنها فراراً منهُ وغيرها من الاحاديث مثل حديث المرأة التي اتت الشارع الاعظم فقالت يا رسول الله دارٌ سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال فقال دعوها ذميمة . وحديث العرنيين الذين استوخموا المدينة اذ قالوا يا نبيَّ الله انَّا كنا اهل ضَرع وشكوا اليهِ بانهم استوخموا المدينة فامر لهم بذَوْد وراعٍ واذن لهم في الخروج عنها . كل ذلك على وجه يرتضيهِ علماء العقل والنقل

هذا ما ساعدت المكنة على اقتباسهِ من هذا التأليف النفيس ولم ارَ لمؤلفهِ ما ينتقد عليهِ في الفاظهِ ومعانيهِ بحسب ذوق اهل العصر الحاضر ولم اشبههُ الَّا بعالم عامل عاقل يكتب الآن في صميم قارة اوربا . والنسخة التي امامي تقع في مائة وخمسين صحيفة منصَّفة القطع فيها شيءٌ من التحريف ربما يهتدى الى حقيقتهِ وقد كتب في آخرها (قابلها وصححها بقدر الامكان وتم ذلك في ليلة الخميس رابع رجب سنة ٩٩٥ عليُّ بن غانم المقدسي) وهو عالم معروف . وبلغني ان بالقدس نسخة اخرى من هذا الكتاب ورأيت بعد تحرير هذه الرسالة مقالة لبعض علماء تونس من اهل عصرنا ينقل فيها عن هذا الكتاب مما يظهر ان نسخهُ كثيرة . وحبذا لو تصدت احدى المطابع لنشرهِ تعميماً لفائدتهِ دمشق محمد كرد علي

(1) قال الامام النووي جامعاً بين حديث لا عدوى وحديث لا يورد ممرض على مصح قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان قالوا وطريق الجمع ان حديث لا عدوى المراد بهِ نفي ما كانت الجاهلية تزعمهُ وتعتقدهُ ان المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى واما حديث لا يورد ممرض على مصح فارشد فيهِ الى مجانبة ما يحصل الضرر عندهُ في العادة بفعل الله تعالى وقدرهِ فنفى في الحديث الاول العدوى بطبعها ولم ينفِ حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعلهِ وارشد في الثاني الى الاحتراز مما يحصل عندهُ الضرر بفعل الله وارادتهِ وقدرتهِ فهذا الذي ذكرناهُ من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليهِ جمهور العلماء ويتعين المصير اليهِ

رجال المال والاعمال

هنري فرِك الفحّام

لا نرى مثل تحريك الهمم لنيل المعالي ممهدًا لارتقاء الامم ولا مثل سيَر العظماء ولاسيما العصاميون منهم مكبّرًا للنفوس ومشدّدًا للعزائم ولذلك نجد قرَّاء المقتطف يطالبوننا بالمزيد من هذا الباب ونجد من انفسنا ارتياحًا الى اجابة طلبهم

والرجل الاول الذي اخترنا ترجمتهُ لهذا الجزء المستر هنري كلاي فرِك الفحّام مدير معامل كارنجي

كان هذا الرجل فقيرًا جدًّا في صباهُ مثل اكثر العصاميين الذين اغتنوا بجدّهم فكان يعمل في الحقول وعمرهُ عشر سنوات يجمع اغمار الحنطة في ايام الحصاد ويشتري ثيابًا باجرتهِ وذلك في ولايات اميركا بلاد الحرية والاجتهاد حيث ولد سنة ١٨٤٩ . ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة كان قد تعلَّم القراءة والكتابة والحساب فجُعل كاتبًا في احد المخازن الصغيرة وبقي فيهِ خمس سنوات ثم سلَّم اليهِ جدُّهُ دفتر حساباتهِ وكان عندهُ مطحنة ومعمل لاستقطار الخمور

وبعد قليل اشركهُ رجل في منجم فحم حجري وفوَّض اليهِ مسك حسابهِ وكان عَمَل فحم الكوك من الفحم الحجري في بداءة شيوعهِ فاهتمَّ ببناء افران كثيرة لعمل الكوك ولما اضطربت الاحوال الماليَّة سنة ١٨٧٣ وباع اصحاب الاسهم اسهمهم باثمان بخسة فاشترى كثيرًا منها و بعد اربع سنوات اشترى حصص شركائهِ في المنجم واستقلَّ بهِ وبما يصنع منهُ من فحم الكوك . وبعد ست سنوات صار اكبر صانعي الكوك في ولاية بنسلفانيا وصار كارنجي المثري الشهير يحسب حسابهُ لان سبك الحديد والفولاذ يتوقف على فحم الكوك فضمَّهُ اليهِ . ولما اتحدت الشركات التي ألَّفها كارنجي في شركة واحدة جُعل صاحب الترجمة رئيسًا لها ولهُ اليد الطولى في انجاح معامل كارنجي وتوسيع نطاقها حتى صارت اوسع المعامل كلها واغناها . وكان رأس مالها خمسة ملايين ريال سنة ١٨٨٦ فصار خمسة وعشرين مليون ريال سنة ١٨٩٢ ومئة وستين مليون ريال سنة ١٨٩٩ . وصار جامع حزم الحنطة رئيسًا لمناجم يخرج منها في السنة ستة ملايين طن عدا السفن والمرافئ اللازمة لنقل الحجارة المعدنيَّة منها وعدا سبعين الف فدان من الاراضي التي يخرج الغاز الطبيعي منها وعدا تسعة عشر اتونًا لسبك الحديد لا مثيل لها في المسكونة وخمسة مسابك كبيرة يخرج منها كل سنة ثلاثة ملايين طن من الصلب . هذا ومعاملهُ التي يصنع فيها فحم الكوك كانت تصنع خمس مئة طن في السنة فصارت تصنع مليون

طن وصار عنده اثنا عشر الف فرن لشي الكوك واربعون الف فدان من الارض لاستخراج الفحم الحجري واحد عشر الف رجل لاستخراجهِ منها وصار اسمهُ يُكتَب على الوف من مركبات النقل في سكك بنسلفانيا

ولما اعتصب العمَّال اعتصابهم الكبير سنة ١٨٩٢ دنا منهُ واحد من الفوضويين واطلق عليهِ الرصاص مرتين فاصابهُ في عنقهِ وطعنهُ بخنجر ست طعنات وحاول نسف المعمل الذي كان فيهِ بالديناميت حاسباً انهُ اذا قتلهُ خرب عمل كارنجي كلهُ. واسرع اصدقاؤُهُ اليهِ وقبضوا على الفوضوي وسدَّد واحد منهم مسدَّسهُ الى رأسهِ وقال لمسترفرك هل اقتلهُ فقال لهُ كلاَّ بل دعني انظر وجههُ

وكان سبب الاعتصاب على معامل كارنجي انها استخدمت آلات جديدة ووسائل جديدة واشركت العمال في بعض الربح فزاد المسبوك من الحديد والصلب فيها زيادة بالغة فضاعفت اجور صناعها ورخَّصت مصنوعاتها . وغاظ ذلك بقيَّة المعامل المناظرة لهُ لان رجالهم ثاروا عليهم طالبين زيادة الاجرة فدسُّوا الى بعض الفوضويين ليقتلوا رئيس معامل كارنجي زاعمين ان ذلك يخربها فتزول شكوى العمال . وحاول كثيرون من رجال السياسة حمل المسترفرك على موافقة غيرهِ من ارباب المعامل بمنع اشراك العمال في الربح فلم يقبل بل اصرَّ على عزمهِ . والناس اجمع يعترفون الآن انهُ كان مصيباً وقد اقتدى بهِ غيرهُ من اصحاب المعامل اي انهم جعلوا الاجور على نسبة العمل فزاد العمل وزادت الاجور

ثم لما صارت معامل كارنجي اسهماً بلغ نصيب فرك ستة عشر مليوناً من الريالات اخذ بها اسهماً صار ثمنها الآن ثمانية وعشرين مليوناً اي نحو ستة ملايين من الجنيهات

وهو مع هذه الثروة الوافرة التي نالها بجدهِ واجتهادهِ وانال غيرهُ اكثر منها بعيدٌ عن الدعوى والظهور بسيط في اطوارهِ واعمالهِ يفضّل ان يقيم في الارياف على الاجتماع مع العظماء في الحفلات والولائم . يخفي مبرَّاتهِ حتى لا يدري بها احد فيشكرهُ عليها . وبلادهُ مديونة له بجانب كبير من نجاحها الصناعي في هذه السنين الاخيرة . وقد لقَّبناهُ بالفحَّام لان الفحم كان عماد ثروتهِ

السر هنري دُلتُن الخزَّاف

اذا اراد الشرقيون ضرب المثل بالصنَّاع الذين لا يكتسبون من صناعتهم قالوا "مثل الفواخره لا دنيا ولا آخره". وقد عرفنا كثيرين من صانعي الفخار في هذه البلاد وفي بلاد الشام وبعضهم على جانب كبير من ذكاء العقل حتى لما قرأوا ما كتبناهُ في سر النجاح عن

الخزافين الثلاثة العظام انقدت غيرتهم وحاولوا اكتشاف دهان شفاف للخزف السوري والمصري واكتشاف تراب يصنع منهُ الخزف الابيض وجرَّبوا تجارب كثيرة في هذا الباب ولكننا لم نرَ انهم نجحوا حتى الان

وههنا سيرة رجل كان خزَّافًا فقيرًا في صباهُ ولكنهُ لم يمت حتى صار يملك اكثر من مليون من الجنيهات من صناعة الخزف

شرع في عمل الخزف وعمرهُ خمس عشرة سنة فتعلَّم حالاً كيف يدير الدولاب برجلهِ ورأى مشقَّة هذا العمل وان البخار قد قام مقام العمَّال في كثير من الاعمال فاستخدمهُ في ادارة دواليب الخزف . وكان قد قرأ مبادئ العلوم والعمل لابيهِ فسهل عليهِ ادخال الاصلاح فيهِ

وانفصل عن ابيهِ سنة ١٨٤٦ وانشأ معملاً خاصًّا ليصنع فيهِ برابخ المصارف من الخزف فانهُ رأى ببصيرتهِ انهُ لا بدَّ من ان يشيع انشاء المصارف في كل المدن لان قوانين الصحَّة تقتضي ذلك فاذا اعدَّ لها برابخ متينة راجت رواجًا عظيمًا. وكان المهندسون وجمهور الاهالي لا يستنسبون استعمال برابخ الخزف فلجأ الى كبار رجال الصحَّة فامتحنوها وقالوا انها صالحة للاستعمال فشاعت برابخهُ وكثر استعمالها في مدينة باريس فربح منها ربحًا وافرًا واخذ ينفق ما ربحهُ على اتقان عمل الخزف واستنباط الاشكال البديعة منهُ فاستنبط النوع المعروف باسمهِ وعرضهُ في معرض باريس سنة ١٨٦٧ فاعجب بهِ الفرنسويون واشتروا كل ما عرضهُ منهُ . ثم استنبط الخزف الذي يدهن بواسطة الملح فشاع استعمالهُ كثيرًا ونال ٢٢٠ نيشانًا من المعارض التي عرض فيها مصنوعاتهِ حتى جُعل فوق المناظرة في معرض باريس الاخير

وكان معملهُ صغيرًا جدًّا حينما انشأهُ اولاً فوسعهُ رويدًا رويدًا حتى صارت مساحتهُ ستة افدنة وانشأ معامل اخرى في اماكن مختلفة ومنها معمل يصنع في الاسبوع من البرابخ ما طولهُ ثلاثون ميلاً يقتضي صنعها الفي طن من طين الخزف كل يوم وبعض هذه المعامل في برسلم وبازلي وباريس ومعاملهُ تصنع كل انواع الخزف المختلفة من البرابخ البسيطة الى ادق المصنوعات الخزفية . وعندهُ في معامل برسلم وحدها ١٥٠٠ عامل وهي تصنع من صحاف الطعام وحدها ٩٠٢٠٠٠ صحفة كل اسبوع ونحو خمسة ملايين صحفة كل سنة

ولما شرع في عمل الخزف كان الخزافون لا يعبأُون بفن النقش حتى تكون مصنوعاتهم جميلة في شكلها ونقشها والوانها فاستعان بمهرة النقاشين واتقن هذه الصناعة وانفق مبالغ طائلة على اتقانها حتى قيل انهُ كان ينفق كل ما يربحهُ من عمل البرابخ على نقش الخزف لكن نفقاتهِ الكثيرة جاءتهُ اخيرًا بربح وافر جدًّا ولا سيما لما تمكَّن من عمل الاجر المدهون الذي تبنى بهِ

البيوت او تبطَّن بهِ جدرانها من الداخل وتصنع منهُ الفساقي الجميلة فانهُ ناب مناب الحجر الصلب ومناب الرخام ايضاً

واستخدم كثيرين من المصورين والنقاشين لزخرفة الآنية التي صنعها وكان ينشط هؤُلاء الصنَّاع بكل واسطة ممكنة وانشأ لهم داراً علمية ومكتبة واسعة فيها نفائس الكتب وجمع لهم مجموعةً كبيرةً من تحف الصناعة زيَّن بها غرف المائدة

ولما توفي حُوِّل عملهُ الى شركة مساهمة رأس مالها مليون ومئة الف جنيه وظهر من دفاترهِ ان ربحهُ السنوي كان ٦٧ الف جنيه

السر فيليب مانفيلد السكاف

السكَّاف كالخزَّاف من احقر الصنَّاع عند المشارقة لكن من يولد سكَّافاً لا تمنعهُ حرفتهُ عن ان يصير رئيس السكافين ويعلو فوقهم فيصير من وجوه بلادهِ اذا كان عالي الهمَّة صادق العزيمة

تعلَّم صاحب الترجمة القراءة والكتابة وعمرهُ سبع سنوات علَّمتهُ امهُ في البيت وكانت من الموحدين فلم تشأ ان يتعلَّم في مدارس الكنيسة فينشأ على عقائد لا تسلّم بها وكان ابواهُ فقيرين جداً حتى كانا يضطران ان يرهنا ثيابهُ فلم يكد يحسن القراءة حتى خرج يطلب الخدمة فدخل صانعاً عند حلاَّق ثم عند غيرهِ من اصحاب الحرف الصغيرة الى ان صار عمرهُ اثنتي عشرة سنة وجمع حينئذٍ جنيهاً واحداً من اجرتهِ وهذا كل ما كان يملكهُ في الدنيا فدخل صانعاً عند سكَّاف وبقي عندهُ اربع سنوات الى ان صار عمرهُ ست عشرة سنة وكان قد مهر في صناعة السكافة فانتقل الى مدينة برستول ودخل في خدمة رجل صاحب معمل لعمل الاحذية وبيعها ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار مديراً لذلك المعمل وتزوج حينئذٍ وكان يعتني بلباسهِ وترتيب بيتهِ فظهر كأنهُ من الخاصة فاستأجر "شقة" في حي يسكنهُ اواسط الناس مثل الكتَّاب وصغار التجار وقبل ان يمضي عليهِ بضعة اسابيع جاءهُ صاحب البيت وقال لهُ ان سكان بيتي اعترضوا عليَّ لانني اسكنتك فيهِ وانت من الصنَّاع فإما ان تخرج منهُ او يخرج منهُ كل السكان . فشعر كأنَّ الارض ابتلعتهُ ولكنهُ كظم الغيظ وخرج من البيت لئلاَّ تقع الخسارة على صاحبهِ بخروج السكان كلهم منهُ . وهي غطرسة عند الانكليز لا يعهد لها مثيل عندنا ولقد سمعنا مرة زوجة احد المستخدمين تقول "كيف اجتمع مع فلانة في مكان واحد وزوجها صاحب دكان" . وصاحب الدكان هذا تاجر كبير من تجار هذه العاصمة والعائلة مديونة لهُ بمبلغ كبير من المال

هذا ولنعُد الى السكاف او صانع السكاف فنقول انهُ خرج من مدينة برستول كلها وذهب الى مدينة لندن ومنها الى نورثمتن وهناك معمل صغير لعمل الاحذية فجُعل مديرًا لهُ وكان عمرهُ حينئذٍ ٢٤ سنة وكان يملك ١٥٠ جنيهاً جمعها بجدهِ واقتصادهِ ولم يقم طويلاً حتى بلغهُ ان صاحب المعمل عازم على اقفالهِ فعزم على السفر منها الى غيرها وانثهُ زوجة صاحب المعمل وجعلت تحثهُ على اخذ المعمل والاشتراك مع اخيها فيهِ فابى ذلك لانهُ كان يريد ادخال الاساليب الجديدة في الصناعة واخوها لا يميل الى ذلك ولما رأَت انهُ لم يجبها الى طلبها ودعتهُ وخرجت ثم التفتت اليهِ قبل ان سارت وقالت لهُ ان كنت لا تريد ان تشترك مع اخي فلماذا لا تأخذ المعمل وحدك . وذهب تلك الليلة الى فراشهِ وهو يفكر في كلامها ولم ينم الليل كلهُ وقام في الصباح وقد صمم على ان يعمل حسب اشارتها ويدير المعمل بنفسهِ وكان يقول بعدئذٍ ان اشارتها كانت سبب نجاحهِ . فشرع في العمل ورأس مالهِ مئة وخمسون جنيهاً وكان ذلك سنة ١٨٤٤ ولم تأتِ سنة ١٨٥٩ حتى انشأَ اول معمل حديث في تلك المدينة ومن ثمَّ اخذ نجاحهُ يزيد زيادة بالغة جدًّا سنة فسنة الى سنة ١٨٩٠ فتنحَّى عن ادارة العمل بعد ان سلمها لابنهِ وصار على جانب كبير من الثروة ثم بنى معمل جديد لاعمالهِ سنة ١٨٩٢ شغل من الارض ما مساحتهُ اربعة افدنة

وتوفيت امرأَتهُ الاولى فتزوج غيرها سنة ١٨٥٣ امرأَة من فضليات النساء ذكية الفؤَاد كريمة الاخلاق تكره الابهة والظهور وتميل الى المنافع العمومية وبسعيها واعتنائها انتظم في سلك الطبقة العليا من اهالي بلادهِ ورغب في المعارف فجمع مكتبة كبيرة فيها خمسة آلاف مجلد من نخبة الكتب فحصَّل ما لم يحصلهُ في صغرهِ من مبادىء العلوم والمعارف وتعلم اللغة الفرنسوية ايضاً حتى صار يتعذر على من يراهُ ويسمعهُ ان يحسب انهُ شبَّ سكافًا يطرّق النعال بيديهِ . واتقن الكتابة والانشاء وكان غاية في الظرف وحسن البزة وطلاقة الوجه وعذوبة المنطق كأنهُ ربي بين اهل الوجاهة فسهل عليهِ الدخول في مصافهم . وهو الذي انشأَ جمعيةَ السكافين او صانعي الاحذية فانتخب رئيساً لها واكرمهُ اصحاب معامل الاحذية اكراماً عظيماً واهدوا اليهِ هدية نفيسة علامة اكرامهم

وكان من حزب الاحرار ومن زعمائهم في بلادهِ فتقلَّب في مناصب كثيرة استشارية وقضائية وسنة ١٨٩١ انتخب عضوًا في مجلس النوَّاب باكثرية لم ينلها غيرهُ وقبلهُ ونظمت جريدة بنتش لهُ ابياتًا ذكرت فيها انتخابهُ لمجلس النواب وقالت انهُ يستحق صوتين فيهِ لنكتة في اسمهِ فانهُ يبتدىء بالحرفين اللذين يضافان الى اسماء اعضاء مجلس النواب فيصير M.P. Manfield M.P.

واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٢ وأُعطي لقب سر سنة ١٨٩٤ ثم استعفى من مجلس النواب في السنة التالية بسبب الشيخوخة وتوفي سنة ١٩٠٠ وعمرهُ احدى وثمانون سنة وخرج في جنازتهِ خمسة عشر الف نفس. ولم نقف على مقدار ثروتهِ ولكنها كانت طائلة لان هبة واحدة من هباتهِ بلغت سبعة آلاف جنيه غير انهُ لا يذكر بثروتهِ بل بنجاحهِ في تنظيم عمل كان يعدُّ حقيرًا وايصالهِ اياه الى درجة عالية من المكانة وبانهُ كان مثالاً في الرقة وبعد النظر وسرعة الخاطر وهو معدود عند قومهِ من نخبة ارباب الاعمال الذين يشار اليهم بالبنان حتى لما جمعت سيَر نحو خمسين منهم مثل روشيلد وكارنجي وركفلر وورنصن وسسل رودس ذكر صاحب الترجمة بينهم

داود موفات الصرَّاف

كان هذا الرجل خادمًا في بنك من بنوك نيويورك وذلك منذ خمسين سنة وهو الآن صاحب اكبر بنك في كولورادو باميركا ومدير لبنكين كبيرين من بنوك نيويورك ولشركة من اغنى شركات ضمانة الحياة في الولايات المتحدة الاميركية . ولهُ كثير من المناجم الغنيَّة وتقدَّر ثروتهُ بخمسة وعشرين مليونًا من الريالات او خمسة ملايين من الجنيهات

والذين نجحوا في جمع الثروة الطائلة جمعوا ثروتهم اما بسلب غيرهم ولو بالوسائل التي يقال انها محلَّلة او بايجاد وسائل جديدة للكسب فربحوا منها وربح غيرهم معهم وصاحب الترجمة من هذا الفريق الاخير فانهُ جمع ثروتهُ من مشروعات استفاد منها ابناء وطنهِ كما استفاد منها هو فانتفع ونفع واهالي كولورادو يقولون انهُ هو الذي عمَّر ولايتهم لانهُ ما من احد استثمر خيراتها الطبيعيَّة مثلهُ فلهُ الفضل الاول في انشاء كل السكك الحديديَّة فيها ولهُ اليد الطولى في تدبير امورها الماليَّة ولولاهُ لأُغضي عن مد سكك الحديد في تلك البلاد القاصية الى ماشاء الله

و يظهر مقدار الرجل وعلو همتهِ من الحادثة التالية . زار مدينة نيويورك في الشتاء الماضي طالبًا ان ينشئ سكة جديدة من مدينة دنڤر الى سلت ليك تقطع الجبال الصخرية بين خطين من خطوط سكك الحديد فلقي اشد المقاومة لان الخط الذي يريد انشاءهُ يغيِّر مجرى التجارة في وسط اميركا و يضاد مصالح اصحاب ذينك الخطين. وكان مقتنعًا بفائدة مشروعهِ لانهُ درسهُ درسًا مدققًا فثبت لهُ امكانهُ ونفعهُ لكنهُ يقتضي نفقات طائلة جدًّا لان الخط الذي يريد انشاءهُ يجب ان يصعد فوق اعلى جبال اميركا ويمر في قفار قاحلة ولما رأى الاعراض من اغنياء نيويورك قال لهم لا بأس فانا انشئ الخط وحدي ونحن في كولورادو لم تبل علينا الثعالب عندنا قليل من المال نجمعهُ ونتعاون وعاد من ساعتهِ الى مدينة دنڤر والف شركة لانشاء هذا الخط وشرع فيهِ حالاً ولم تمض بضعة اشهر حتى اتمَّ منهُ عشرين ميلاً وسيكون اعظم

سكك الحديد التي انشأها واكثرها نفقة ويحصل منهُ ربح وافر لهُ ولشركائهِ

وغرضهُ الاكبر من مشروعاتهِ تعمير الولاية التي اتخذها وطناً لهُ منذ بلغ اشدَّهُ وحمل الاغنياء على استثمار اموالهم في سبُل تنفعهم وتنفع غيرهم لان الاموال المجموعة في الصناديق لا ينتفع بها احد فهي كالمعادن المطمورة في الارض واما اذا أُخرجت وعُملت بها الاعمال العمومية كالسكك الحديدية والترع والمصارف والمعامل انتفع بها جمهور الناس وقلَّت متاعبهم وسهلت مواصلاتهم وزاد انتفاعهم من خيرات الارض . واذا تمَّ مشروعهُ الاخير الذي يحسبهُ غرض حياتهِ وغاية ما يرمي اليهِ اتصلت مدينة دنفر بالاوقيانوسين الاتلنتيكي والباسيفيكي توًّا وقصرت بهِ المسافة من شيكاغو الى سان فرنسسكو عشر ساعات على الاقل وفتحت الجهات الشمالية الغربية من ولاية كولورادو للاستعمار وهي اغنى اقسام كولورادو كلها ولا تزال على حال الفطرة حتى الآن لصعوبة الوصول اليها . وهو يعتقد ان خيرات تلك البلاد الواسعة ستصبُّ في مدينة دنفر فلا يمر ثلاث سنوات حتى يصير عدد سكانها ثلثمئة الف نفس اي مضاعف عدد سكانها الآن . والله يعلم كم يترتَّب على ذلك من وفور الخيرات واتساع الثروة

وقد ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٩ وكان خادماً في بنك في مدينة نيويورك رسولاً يتردَّد على زبائن البنك يقدم لهم التحاويل ونحوها ثم جُعل مساعداً لصراف البنك وبعد اربع سنوات نقل الى بنك في ولاية ايوى وجُعل صرَّافاً فيهِ واقتصد في ما ينفقهُ من اجرتهِ حتى جمع قليلاً من المال فاشترى بهِ كتباً ودفاتر وسار الى مدينة دنفر فوصلها في ١٦ مارس سنة ١٨٦٠ واقام فيها يبيع الكتب والدفاتر وادوات الكتابة سبع سنوات فنجح في ذلك ولما انشيء فيها اول بنك سنة ١٨٦٧ جُعل صرَّافاً لهُ ثم صار مديراً لذلك البنك سنة ١٨٨٠ ولا يزال مديرًا لهُ حتى الآن . ولهُ الجانب الاكبر من اسهم شركة المياه في دنفر ومن اسهم شركة الترامواي وادارة هاتين الشركتين في يدهِ . وفي يدهِ ايضاً ادارة شركة ضمانة الحياة المعروفة بالاكويتابل وادارة البنك الوطني الرابع والبنك الوطني الغربي

وهو ساكن في مدينة دنفر في بيت قديم لا دليل عليهِ من دلائل الثروة التي يمتلكها الآن . ولما حدثت الضيقة المالية سنة ١٨٩٣ واوقفت بنوك دنفر الدفع اخذ بنكهُ يمدُّ التجار بنقود الورق ويمهلهم في الدفع ويقال ان مئات من اغنياء دنفر نجوا من الافلاس بسببهِ ثم لما اشتدَّت الازمة كثيراً كان عندهُ مليونا ريال من سندات الحكومة فصرفها نقوداً ومدَّ البنك بها فتمكَّن من انقاذ كثيرين من الافلاس

ومن مزاياهُ الغريبة انهُ يشتغل لاصدقائهِ ولا يخبرهم الاَّ حينما يتحقق الربح لهم مثال ذلك

انهُ لما انفرجت الازمة بعد سنة ١٨٩٣ اشترى اسهماً من اسهم بعض المناجم باسم صديق لهُ في نيويورك ولم يخبرهُ بذلك ثم ارتفت قيمة تلك الاسهم حتى بلغ الربح منها خمسة وسبعين الف ريال فاخبرهُ بذلك وقال لهُ ان الدراهم تحت امرك فحوّل صديقهُ عليهِ بخمسين الف ريال وجاء الصراف الى المستر موفات وقال لهُ ان فلاناً حوّل علينا بخمسين الف ريال وليس لهُ درهم عندنا فقال موفات لا بأس ادفع المال الذي طلبهُ فقد يكون مضطرًّا اليهِ ليساعد بهِ احدًا ويعلم اني لا اطالبهُ بمال يُنفق في هذا السبيل

وقد يظهر بادئ بدء ان الفُرص اعانت هذا الرجل ولها اليد الطولى في جمع ثروتهِ الطائلة ولكن الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ هو سبب نجاحهِ فانهُ من اقدر الماليين واقواهم فراسة يعرف اخلاق الناس وينظر في الامور فيحكم فيها حكماً صائباً ولذلك افلح في اختيار مساعديهِ والذين يعتمد عليهم في ادارة اعمالهِ وافلح ايضاً في اختيار المشروعات الناجحة اضف الى ذلك شجاعة ادبيَّة ولطفاً وحناناً فلا يحجم عن عمل يحقّق نفعهُ مهما لقي فيهِ من المصاعب ولا يمنع خيرهُ عن مستحق ولو لم يطلب ذلك منهُ

ظاهر العمر

رجل من نوابغ القرن الثامن عشر نشأ في فلسطين من اسرةٍ يُقال ان جدَّها ابا زيدان كان من اهل المدينة وقد هاجر بقومهِ الى ضاحية الشام واقام على ضفاف الاردن وبحيرة طبريَّة حتى انقرضت الاسرة المعنية في اواخر القرن السابع عشر وانعمت الدولة العلية بولاية لبنان على الامير بشير الشهابي فنهض سنة ١٧٠٠ لنجدة والي صيداء ارسلان باشا على مشرف ابن علي الصغير صاحب بلاد بشارة فلما ظفر الباشا بهِ ولّى الامير على بلاد صفد وما اليها فعهد الامير بحكومتها لنسيبهِ الامير منصور وجعل تحت يدهِ الشيخ عُمَر ابن ابي زيدان فشرعا يسددان الامور حتى توفي الامير منصور سنة ١٧٠٢ فاقرَّ الامير بشيرٌ الشيخَ عُمَر والياً بدلاً من نسيبهِ

وليس في ما لدينا من التواريخ نبأ آخر عن الشيخ عمر الاَّ ما كتبهُ المرادي في سلك الدرر في ترجمة عمر الظاهر وهو يريد بهِ الكلام عن ظاهر العمر لا عن ابيهِ

وقد اختلف الرواة في تاريخ مولد ظاهر فقال المرادي انهُ ولد سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٥) وان اسمهُ ظاهر اذا حُسب بالجمَّل وافق ذلك التاريخ وقال قولتاي ان مولدهُ كان سنة

١٦٨٦ وذلك انهُ روي ان في سنة ١٧٤٩ كان عمرهُ ٦٣ سنة وفي سنة ١٧٧٦ بلغ التسعين. وقول قولناي هذا اقرب الى الحقيقة لما عرفنا من ان ظاهرًا تولّى مكان ابيهِ حوالي سنة ١٧٠٦ وهو في السنة العشرين من عمرهِ

قيل ان اعداء ظاهر كانوا يعيرونهُ برعي الجمال وسوقها ايام حداثتهِ مع ان الرجل من بيتٍ عريق في الوجاهة والحكم في تلك الديار وكانت لابائهِ من قبلهِ الصولة والمكانة في طول فلسطين وعرضها ولكن هب صدق القائلون بضعة منشإهِ فليس من العار بل من الفخر ان ينهض العصامي بنفسهِ الى ذروة السؤدد . وان صحَّ ما رموهُ بهِ من سوق الجمال فتلك احدى خصال العرب الأَّ تشغلهم الامارة ببهارجها عن النظر في شؤونهم الخاصة وليس غريبًا ان يكون ظاهر قد اخشوشن في صباهُ ولم يسترسل الى نعيم الحضارة والترف الا تراهُ كيف ظلَّ متمتعًا بالقوة والحنكة حتى قُتل في التسعين من عمرهِ

والمستفاد من رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المخطوط ان ظاهرًا تولى عكاء في حياة ابيهِ عمر ومما يؤيد ذلك عبارة للمرحوم نوفل في تاريخهِ المخطوط ايضًا حتى انهُ اذا صحَّ القول بذلك كان بدء استعمالهِ منذ حداثتهِ بحيث كان قد قضى ايام الصبا متأهبًا للظاهر الفخيم الذي برز بهِ ايام ولايتهِ

ولسنا في موقفٍ نستطيع الجزم بهِ في تاريخ بدء استعمالهِ ولكننا نخمن ذلك تخمينًا ربما يقرب الى الواقع فقد علمنا ان الامير بشيرًا اقرَّ عمر على عمالة صفد سنة ١٣٠٢ (او سنة ١١١٤ على ما قال المرحوم نوفل) فلا غرابة ان يكون الشيخ عمر قد استعمل ابنهُ ظاهرًا على عكاء وهي يومئذٍ من تابعات صفد فاقرَّهُ الامير بشير عليها لانها من عمالة ابيهِ وبما ان الامير بشيرًا توفي سنة ١٧٠٦ فابتداء استعمال ظاهر واقع بين سنة ١٧٠٢ وسنة ١٧٠٦ فلما مات ابوهُ في خلال تلك السنين بقي ظاهر ناهضًا بشؤون العمالة يشاركهُ في ذلك عمهُ واخواهُ مشاركةً قال بها قولناي صراحةً ونوَّه بها المرادي تنويهًا الأَّ انها ليست على الارجح من قبيل الاشتراك على العمل الواحد بل ربما هي اشتراكهم جميعًا على اقتسام الحكم في البلاد التي كانت لعمر بل لا يبعد ان يكونوا قائلين بذلك الاقتسام والحكم في زمن عمر ذاتهِ بدليل وجود الظاهر يومئذٍ في عكاء

غير ان صفد كانت ام البلاد والحكم فيها لكبير الاسرة ولذلك افضت حكومتها بعد موت عمر لابنهِ ظاهر فاقام ثمة يديرها وقضى حينًا من الدهر في تسديد شؤونها الأَّ انا لم نعثر على شيء من اخبارهِ فيها منذ تولاَّها ولا عرفنا شأن اخويهِ وعمهِ في عمالاتهم ولا موضع تلك

العاملات وانما عرفنا ان احد ولاة الشام قبض على الشيخ مصطفى الزيداني اخي ظاهر وشنقهُ في دمشق وان الباشا تجهز للزحف على ظاهر العمر ولذلك اهتمَّ هذا بتحصين طبرية وقد رآهُ الرحالة بوكوك Bococke يحصنها سنة ١٧٣٧

فكأن آل زيدان كانوا قد بدأوا في استعداء عمال الدولة واستحقوا بنشوزهم التنكيل بهم والاّ لما اقدم الوالي على قتل احدهم والتحفز للاخر بيد انَّا لم نعثر على شيء نستكشف منهُ حقيقة الحال فان المرادي يقول في سلك الدرر ان الوالي سليمان باشا العظم جهز عليهِ عسكرًا وركب عليهِ بعد ان قبض على اخيهِ مصطفى الزيداني وشنقهُ بدمشق فلما وصل الوزير المرقوم الى قرب عكاء بقصد حصارهِ رشا عليهِ بعض اتباعهِ فادخل عليهِ السم في طعامهِ فمات وجيء بهِ الى دمشق ميتاً شهيدًا . اما ڤولناي فيذهب الى ان والي الشام (ولم يسمهِ) قتل الشيخ مصطفى وتجهز على ظاهر العمر فحصن هذا مدينة طبرية . قال وفي سنة ١٧٤٢ حاصرهُ فيها سليمان باشا العظم واطلق على المدينة القنابل فاندهش السوريون وانهم حتى اليوم لا يعرفون القنابل الاَّ قليلاً اما ظاهر فلم تجدهِ شجاعتهُ نفعاً ولكن فاجأ الباشا قولنج شديد افضى الى موتهِ بعد يومين وقيل ان ذلك كان باسباب مدبرة فنجا ظاهر منهُ اه . قلت ان الروايتين تختلفان في اسم الوالي والموضع والذي نعرفهُ ان سليمان باشا العظم تولى دمشق مرتين الاولى سنة ١١٤٦هـ الى سنة ١١٥١ والثانية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٥٦ اما سنة ١٧٤٢ التي ذكر ڤولناي وقوع الحرب فيها فتعادل سنة ١١٥٥ وهي آخر سني ولايتهِ فروايتهُ اصح والله اعلم

ورأى ظاهر بعد نجاتهِ من مخالب القوة ان الجوَّ قد خلا لهُ بوفاة سليمان باشا العظم لاسيما وان اسعد باشا الذي خلف اخاهُ على ولاية الشام لم يقدم على عدائهِ ولا تحل سبباً لقتالهِ برأي ظاهر فعزم على ترسيخ قدمهِ في حكومتهِ

وكان يشاركهُ في السيادة والامر اخواهُ وعمهُ كما قلنا ولم يكن اتفاقهم محكماً ولا حالت القربى القريبة دون اختلافهم ونهوضهم المرة بعد الاخرى لامتشاق الحسام ولذلك عزم ظاهر بعد مقتل اخيهِ مصطفى ان يتخلص من عمهِ واخيهِ الآخر بحيث يخلو لهُ جوُّ الامارة فقتلهما واصبح الآمر الناهي في طول بلادهِ وعرضها وكان ذلك مدعاةً لطموح نظرهِ الى البعيد

ولقد كان من عادة الكثيرين من الامراء والحكام في الشرق ان يتخذوا امارتهم سبيلاً لحصر التجارة بين ايديهم وحظر مواردها عن محكوميهم فجرى ظاهر العمر على نهجهم واتسعت لذلك موارد ثروتهِ الاَّ انهُ رأى ان مقامهُ في داخلية فلسطين مقلّ من استثمار تجارتهِ فرغب في احد الثغور مركزًا يستطيع منهُ الاتجار بحرًا وبرًّا حيث يزدحم تجار الوطن والافرنج وتروج سوق بضائعهِ

وعكاء واقعة في جوارهِ وقد كانت في بدء حكومتهِ من عمالتهِ وهي ذات سوق تجارية كبيرة وقد كان فيها جماعة من التجار الفرنسويين ولهُ معهم صلة تجاريَّة فاختارها مركزًا

ولرب معترضٍ يقول عهدنا عكاء من قبل في ولاية ظاهر العمر فما بالهُ الآن يتطلبها وكيف خرجت من حكمهِ اقول ان ليس في ما لدينا من التواريخ من نبإٍ صريح عن ذلك انما علمنا ان والي صيداء كان قد انعم بحكم تلك البلاد على الامير بشير الشهابي وهو الذي اقرَّ ظاهرًا واباهُ من قبلهِ على حكمها فلما عُزل ارسلان باشا عن صيداء وتولاَّها اخوهُ بشير باشا عزل الامير الشهابي عن المقاطعات المضافة اليهِ بامر اخيهِ فخرج بذلك حكم عكاء من يد ظاهر العمر ولكن عينهُ بقيت طامحةً اليها كما مرَّ

وكان والي صيداء قد اقام في عكاء حامية ضعيفة تحت امرة احد رجالهِ والمدينة يومئذٍ ليست بذات منعةٍ ولا هي غير قريةٍ حقيرة لا يسكنها الاَّ قليل من الناس اما جوارها فكان كالبادية القفراء مسرحًا لقبائل البدو ولم يكن حولها شيءٌ من الحدائق الغناء التي تزدهي بها لهذا الحين لان الاهلين لم يكونوا يجسرون على الخروج منها ولا كانت حاميتهم ذات قوة اتذود عنهم ولذلك كانت المياه التي حواليها تذهب ضياعًا وتتسرب في جوارها مفسدةً هواءها اما ميناؤها فكان معطلاً بتراكم التراب فيهِ انما ظل ميناء جارتها حيفا اللاحقة بها صالحًا للتجارة

وكان ظاهر يتحيَّن الفرص للاستيلاء على عكاء لا بالوسائل المشروعة من استمالة والي صيداء والتزامها بل اغتصابًا حتى ارادت الحكومة الزحف عليهِ لكبتهِ وانزلت الذخائر والمؤَن الى البر من ميناء حيفا فرأَى ان الوقت قد حان لامتلاك عكاء وما اليها فسار نحوها وكتب الى حاكمها يتهددهُ فلما علم الحاكم بزحفهِ ولم يكن مقتدرًا على الثبات تلقاء حملتهِ خرج من المدينة بسريتهِ ولم يلوِ على شيء فدخلها ظاهر ظافرًا بها من غير قتال سنة ١٧٤٩

الاَّ انهُ لم يفتهُ العلم بعجزهِ عن مناوأَة الوالي فرأَى ان يسترضيهُ بالهبات الوافرة وان يثبت لديهِ ان عملهُ لم يكن خروجًا وانما هو من قبيل العداء الشخصي للاغا الذي كان على حامية عكاء واسترحم في خلال ذلك ان يقرَّهُ الوالي على عكاء وهو يؤَدي مالها اليهِ فارتضى الوالي منهُ بذلك وانهى لباب الدولة وما عتَّم ان وردت الاوامر السلطانية بتقريرهِ

الاَّ ان ظاهرًا لم يستنم للايام بل احتسب للدهر واذ رأَى ان عكاء لا تصلح للحصار اراد تحصينها ولكنهُ خاف من ظهور فعلتهِ فعدل الى الحيلة والتمويه اذ بدأَ سنة ١٧٥٠ في بناء عظيم سماهُ قصرًا لسكنهِ ولكنهُ جعلهُ حصنًا منيعًا عند البحر الى شمالي المدينة ثم ملأَهُ بالمدافع والذخائر ولما لم يجد في سبيلهِ عثرة بدأَ ببناء الابراج على شاطيء البحر وعززها بالسلاح ثم و

احاط المدينة بسورٍ ولم يترك لها الاّ بابين فيهِ

ولما استوثق من مناعة مركزهِ رأى ان يصلح شؤون بلادهِ فبدأ في ابعاد العربان من جوار عكاء ولقي في ذلك اشد العناء الاّ انهُ كان يسعى لغرضهِ تارة بالهبات والصلات وطورًا بالغارات والغزوات حتى فاز بما اراد وانقذ الحضر من اعتدائهم وامَّن البلاد فاصبح الفلاّح يزرع ويحصد من غير ان يلحق بهِ حيف وما مضى على هذا الامن الزمن الطويل حتى ذاق القوم طعم الخصب والنماء فتكاثر الاهلون وازدحموا مهاجرين الى تلك الارجاء من اقصى بلاد الشام وفيهم المسلم والمسيحي فاقاموا ثمة يعملون آمنين لانهم لقوا منهُ اهتمامًا بشؤونهم وتساهلاً في مراعاة عقائدهم ما لم يكن مألوفًا في ذلك الحين

وكانت قبرص في تلك الآونة تشكو الاضطراب والخلل وجور الحاكم القاسي فبرحها جمهور من ابنائها واخص منهم اليونان وقصدوا عكاء وما اليها واقاموا ثمة على الرحب والسعة فشرعوا يغرسون حوالي عكاء الحدائق الغناء وما عتَّم ان توافد الى البلد بعض تجار الفرنجة فاقاموا فيها وبهذه الوسائل الفعّالة تحسنت البلدة وجوارها ونفضت عنها غبار الاهمال الذي لحق بها عقيب زهوها القديم

ورأى الشيخ ظاهر ان يسعى في زيادة قوتهِ فازوج بنيهِ من بنات امراء العربان الذين في جوارهِ فاشتدَّ ازرهُ بهم حاسبًا ان ولاة الشام يهابونهُ لما يرون من اشتداد ساعدهِ بمحالفة البدو وانهُ اذا حارب وانكسر لقي بين اولئك الابطال ملجأً امينًا

وليس هذا فقط بل رأى ان قوتهُ تزداد كثيرًا بانضمام المتاولة اليهِ وكانوا يومئذٍ في سمت عزهم يبلغ جيشهم زهاء العشرة آلاف فارس من الابطال المجربين ولهم حكم بلاد بشارة ومدينة صور وقد ارتفعت عنهم طاعة ولاة لبنان فتمادوا في سلطتهم حتى كانوا يغيرون على اطراف ولاية الشام ويمسكون المال السلطاني عن والي صيداء فوقع بينهم وبين الواليين منافرة كادت تفضي الى القتال لو لم يتدارك الشيخ ظاهر ذلك ويضمن اداء المال مما ارضى الوزيرين وكان سببًا لمصادقة المتاولة وحلفتهم

الاّ ان هذه المحالفات وتوثيق عرى المودة والوئام بين ظاهر ومجاوريهِ لم تكن لتأتيهُ بما يريد من الراحة ورغد العيش لانهُ لما انس من بنيهِ الاقتدار على الحكم شرع يعهد اليهم بالعمالات في داخلية البلاد وكأني بالابناء رأوا عزة ابيهم وكثرة مواردهِ فاسرفوا في البذل حتى عجزت مواردهم عن وفاء نفقاتهم فعدلوا الى الجنف على الاهلين لابتزاز اموالهم واذا شكى هؤلاء الى ظاهر ونَّب اولادهُ على اسرافهم وجورهم

ولا يعدم اهل الامارة قوماً من المقربين اليهم يسعون بالزلفى فلا يجدون سبيلاً اسهل عليهم من ايغار صدورهم ذلك ما وقع لابناء ظاهر فانهم اصاخوا سمعاً لمن زيّن لهم عداء ابيهم والنشوز عليهِ فناهضوه وناهضهم ولكن ما لبثت الفتنة ان خمد اوارها لاشتغالهم عن مناوأة ابيهم بالتحاسد في ما بينهم ولانهم كانوا يتوقعون وفاتهُ واقتسام ميراثهِ ولكن اباهم رأي الحكمة في التمويه عليهم بعزمهِ على العهد بالولاية بعدهُ لمن يرضيهِ منهم فشرعوا يتقربون اليهِ بالطاعة والاستكانة وكأنهُ خاف مغبة اجتماعهم عليهِ فلم يسعَ لرفع الضغائن من بينهم بل تركهم في تحاسدهم

ومما قرأنا عن عقوق هؤلاء الابناء ان احدهم الشيخ عثمان لما عصى اباهُ غلبهُ هذا واعتقلهُ حيناً من الدهر حتى رأى لهُ مهرباً ففرَّ الى حمى الامير منصور الشهابي حاكم لبنان (سنة ١١٨٠ هـ الموافقة سنة ١٧٦٦ م) وكان عثمان هذا شاعراً لبيباً فانشأ قصيدةً عامرة الابيات يعارض فيها معلقة عنترة العبسي ومطلعها

كم غادر الشعراء من متردمِ	وعرفتَ ربع الدار قبل توهمِ

ومنها

فسيعلمون اذا اصطلى لهب الوغى	يوماً واحجم عنهُ كل مقدمِ
وسيفقدونني ان تعاظم حادثٌ	فقد الهلال بصدر ليلٍ مظلمِ

الاَّ ان ظاهراً لم يكتفِ بما نال من العظمة والسؤدد بل حدثتهُ نفسهُ ان يضرب صفحاً عن الالتزام الذي يحتاج الى تجديدهِ في كل سنةٍ من ولاة الدولة بان ينال من الباب السلطاني لقب شيخ عكاء وامير الامراء والحاكم في الناصرة وطبريَّة وصفد وكل الجليل فالتمس ذلك سنة ١٧٦٨ واستعمل لنيل بغيتهِ كل الذرائع الممكنة في ذلك الحين ففاز بما اراد

غير ان الدولة العلية لم تنعم عليهِ باجابة سؤلهِ الاَّ وهي تقصد امهالهُ ريثما يتسنى لها التفرغ لمعاقبتهِ على غرورهِ لا سيما وانها كانت واجدةً عليهِ اشياء كثيرة منها ان انصارهُ عرب بني صخر كانوا قد اغاروا على الجردة وسلبوها وقتلوا كثيرين من الحجاج وهم راجعون الى الشام ايام ولاية حسين باشا ابن مكي وحملوا اسلابهم فباعوها في عكاء حيث لم يجدوا من ظاهر مانعاً ومنها ان بعض قرصان مالطة كانوا يأتون بسفنهم الى البحر المتوسط فينهبون ويسلبون ويجيئون بغنائمهم الى عكاء فيبيعونها وهم آمنون فلما اتصل ذلك بعلم الدولة العليَّة سألت ظاهراً فتنصَّل من الامر ثم اعرض ان ميناء حيفا عاطل من السلاح فلو بني بها حصن لامنت الدولة جانب البحر هنالك وامتنع المالطيون عن النزول الى البر منهُ فصدر امر الدولة ببناء الحصن على نفقتها وتعزيزهِ بالمدافع والذخيرة فلما تمَّ بناؤهُ عاد ظاهر فهدمهُ وحمل المدافع التي كانت فيهِ الى عكاء وحان عند الدولة وقت الاقتصاص من ظاهر ورأت برجلها الباسل صادق عثمان باشا

مناظرًا عنيدًا للشيخ الشجاع فولتهُ دمشق سنة ١٧٦٠ (١١٧٤ هـ) وزادتهُ صولاً باستعمال ولديهِ في طرابلس وصيداء وضم القدس وفلسطين الى عمالتهِ فما قبض على ازمة الولاية حتى شرع يناوئ ظاهرًا اذ امر ان تكون بعض المقاطعات من ملحقات ولايتهِ فلما عارضهُ ظاهر توعدهُ هذا بالقتال ولبث الامر بينهما مستورًا كالنار تحت الرماد

وكأن ظاهرًا لم يدرِ بما خبأ لهُ القدر فانشغل بمحاصرة اثنين من بنيهِ في احد المعاقل وفي ما هو باذل قصاراهُ لكبتهما وردهُ كتاب من احد جواسيسهِ بدار السعادة ينذرهُ بقرب الحرب لان الدولة انما انعمت عليهِ بما طلب تغريرًا وان عثمان باشا يخرج من دمشق متظاهرًا بطوافهِ في عمالتهِ (الدورة السنوية) لتحصيل المال من بلاد نابلس وهو انما يقصد اخذهُ على غرةٍ وكان ظاهر قد علم بخروج الباشا من دمشق فعلم ساعتئذٍ ما وراء الاكمة وكفَّ عن الحصار وبعث برسولٍ الى ولديهِ المحصورين يأمرهما بالاهبة لجيشهِ للعشاء معهما فلما اجتمعوا اطلعهما على ما كان فائتمروا مليًا واقروا على السير جميعًا للقاء الباشا الا ان ابنهُ الاكبر الشيخ عليًا اعترض على ذلك بتعذر كتمان مسيرهم جيشًا واحدًا وان اخبارهم اذا اتصلت بالوالي سعى للحال في التهيؤ لهم ففاتهم ما يريدون من مفاجأتهِ ولذلك فهو يرى ان يسير عليهِ في خمسمائة فارس يأتونهُ على غرةٍ فيفتكون بهِ ويكون سائر الجيش من وراء ظهرهِ فصدَّق ظاهر على ذلك وافرز لهُ السرية التي طلبها فركب بها من ساعتهِ ومشى طول ذلك الليل حتى اذا لاح النهار اختبأ بمن معهُ ولما جنَّ الليل نهض بهم مجدًا حتى ادركوا عسكر الباشا عند الفجر فاغار علي عليهم وهم نيام لا حراس عليهم وشرع يفتك بهم ذريعًا حتى وقع الهرج في العسكر فولَّى الادبار وخرج الباشا من مضربهِ بلباس النوم فدخلهُ القوم ونهبوا ما فيهِ من المتاع ومن جملة ذلك الفرمان الصادر لظاهر العمر واولادهِ

هذه كانت بدء شعلة الحرب الهائلة التي طالت وامتدت وكانت نتائجها على الاكثر ظفر ظاهر العمر وقومهِ حتى دبت عقارب سعايتهِ الى بعض المدائن المجاورة اوكان بنجاحهِ بمحاربة الوالي محرضًا لغيرهِ على الثورة فصادفت تلك البواعث موجودةً في نفوس الاهلين على الوالي لانهُ احرجهم باستنزاف اموالهم فاخرجهم عن الطاعة جملةً فكانت الرملة اول بلدةٍ خرجت عن طاعتهِ وتلتها بعد سنتين مدينة غزة ثم يافا وما لبث روح الثورة ان امتدَّ في كل انحاء فلسطين

ورأى ظاهر ذلك فعزم ان يغتنم الفرصة السانحة ليس بالاعتماد على قوة الاهلين لانهم لم يكونوا اكفاء للوالي سيما بعد ان حشد جيشًا جرارًا من العربان والعشائر واتفق مع امراء الشوف بل بمخابرة امراء مصر ورأسهم لذلك العهد الامير علي بك كما سيجيء

جرجي يني

نوادر التزوير

ينمو الشر حيث ينمو الخير وينبع الطلاح حيث ينبع الصلاح كالاعشاب البريَّة اذا تُركت بين الاعشاب البستانيَّة . لكن العمران متجه الى استئصال الشرور كما ان الفلاحة متجهة الى استئصال الاعشاب الضارَّة . وقد اطلعنا الآن على نوادر في التزوير جرت في فرنسا وانكلترا وفي عاصمتيهما على غفلة من العيون والارصاد مع ما هو مشهور من مهارة البصَّاصين في تينك المدينتين وعن ارتقاء المدنيَّة فيهما فعرَّبناها عن مجلة لندن التي قرأناها فيها عسى ان يزيد من يطالعها حذرًا فلا يقع في اشراك المزورين

(١)

اعلنت صحيفة الماتن وصحيفة البتي جورنال منذ بضع سنوات ان جلالة ماري الاول ملك سدانج عزم على زيارة باريس وان سدانج جزيرة شرقي بلاد الصين حفظ ملكها استقلالهُ رغمًا عن جشع الشعب الانكليزي ولذلك سيلقى مزيد الحفاوة في عاصمة الامة الفرنسويَّة

ثم اقبل جلالتهُ الى مدينة باريس ومعهُ حاشية كبيرة من الوزراء والخدم والحشم ونزل في احد فنادقها الشهيرة

وبعد ايام اخذت الرسائل ترد اليهِ من بلادهِ وعليها طوابع غريبة الشكل والنقش فاهتمَّ بها جامعو طوابع البريد ورشوا خدَّام الفندق ليجمعوها لهم فارتفع ثمنها حالاً بانتقالها من واحد الى آخر حتى صار الطابع منها يباع بالف فرنك . وذُكر ذلك في جرائد باريس وانتشر امرهُ في البلاد فجعل جامعو الطوابع في كل انحاء فرنسا يطلبونها بكل مرتخص وغالٍ . وطلب رجل من كبار الجامعين مقابلة الملك فقابلهُ بالاحتفاء ولما خرج من لدنهُ قابلهُ احد وزرائهِ وقال لهُ انهُ يمكننا ان نحصر بيع طوابعنا بك اذا دفعت الينا مبلغًا كافيًا من المال فرضي الرجل بذلك وتمَّ الاتفاق بينهما على المبلغ المطلوب فدفعهُ . ثم اسرَّ الوزير في اذنهِ قائلاً ان عندي مجموعًا كاملاً فيهِ من كل طوابع بلادي احضرتهُ معي سرًّا وانا ارضى ببيعهِ على شرط ان لا يدري مولاي بذلك والاَّ ضرب عنقي . فابتاعهُ الرجل ايضًا بمبلغ طائل من المال . وكثرت طوابع سدانج بين ايدي الناس وتدفَّقت منها الاموال الى خزينة ملكها . ثم كتب ولد من اولاد المدارس الى احدى الجرائد يسألها اين موقع سدانج فانهُ لم يجدها في الخرائط ولا في كتب الجغرافية واتَّضح حينئذٍ ان البلاد غير موجودة وان النملة كلها تزوير في تزوير من

اولها الى آخرها افتعلها بعض المزورين واشركوا الجرائد فيها . ووقف الناس حيارى يضحك بعضهم على بعض وامثال ذلك كثيرة في بلادهم

(٢)

قام جماعة من المزورين من اميركا سنة ١٨٧١ قاصدين مدينة لندن ليسلبوا بنكها بتزوير اوراقهِ او بتزوير التحاويل عليهِ فطافوا اولاً في مدن اوربا ومعهم مكاتيب تواصي (كردت) مزورة وسلبوا منها مبالغ طائلة واتوا الى لندن وفتح رئيسهم واسمهُ بدول محلاً تجاريًا وجعل رفاقهُ يرسلون التحاويل عليهِ ويقطعونها من فرع من فروع بنك لندن. وهو يدفع قيمتها ثم تمكن من اخذ تحويل بمبلغ ٤٥٠٠ جنيه بامضاء رشيلد وصرفهُ من البنك زاعمًا انهُ جاء انكلترا ليصنع فيها كثيرًا من مركبات سكك الحديد المعروفة بمركبات بلمن. وتلا ذلك تقديم التحاويل المزورة الى البنك والبنك يصرفها حتى بلغت قيمتها ١٠٢٢١٧ جنيهًا وكانت الاموال تسحب اوراقًا وتصرف ذهبًا ثم تبدل اوراقًا حتى يتعذَّر اقتفاؤها

واتفق ان هذا الرجل نسي ان يضع التاريخ على تحويلين من تلك التحاويل المزورة باسم رشيلد فأُرسل التحويلان الى بنك رشيلد ليوضع التاريخ عليهما فعلِم انهما مزوران وأُخبر رجال البوليس بذلك حالاً فاهتدوا الى واحد من اولئك المزورين واستدلوا منهُ على بقيَّة رفاقهِ فحكم عليهم كلهم بالاشغال الشاقة مدى العمر

(٣)

أُشيع في اواخر سنة ١٩٠٠ ان بلاد فنلندا الخاضعة لروسيا انفت من زوال استقلالها وعزمت ان تظهر اول علامة من علامات الاستقلال وذلك بعمل طوابع بريد خاصَّة بها. وانتشرت هذه الاشاعة اولاً في جرائد طوابع البريد ثم انتقلت منها الى غيرها من الصحف فصدقها الجامعون وانتظروا انتشار الطوابع بذاهب الصبر فانتشرت وتداولتها الايدي وكانت سوداء اللون وعليها شعار فنلندا وفي اعلاها كلمة سومي وفي اسفلها كلمة فنلند بحروف بيضاء . ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى ظهر ان تلك الطوابع مزورة كلها وان فنلندا لم تصدر شيئًا منها ولا كانت تدري بها لان روسيا منعتها من اصدار طوابع البريد منذ عهد طويل

(٤)

ان اوراق البنك الانكليزي تصنع على اسلوب خاص بها لا يزال سرًّا غامضًا وهي ارق من احد طرفيها منها من الطرف الآخر وعليها علامات شفَّافة يتعذَّر تقليدها . وحبرُها الاسود

يصنع على اسلوب سري فيعسر تقليده ايضاً وتطبع عليها علامات تتغير من وقت الى آخر لا يعلمها الّا صرّاف البنك . ورأى احد الجناة في اواسط القرن الماضي واسمهُ برنت انهُ اذا استطاع ان يختلس الورق من معمل البنك سهل عليهِ تزويرها فمضى وسكن قرب المعمل وجعل يتودَّد الى العمال واستمال واحدًا منهم وتسلَّط عليهِ كانهُ بالاستهواء حتى مكَّنهُ من نقل صورة مفتاح الرئيس فصنع مفتاحاً مثلهُ ودخل الغرفة التي تكون فيها الاوراق قبل طبعها ونهب جانباً كبيرًا منها ولكنها لم تكن قد صُقلت

وافتُقدت هذه الاوراق حالاً وأُخبر البصاصون وأُلقيت العيون على بُرنت فظهر انهُ كان يتردَّد على جزّار اسمهُ بنتشر والاثنان يترددان على بيت رجل ثالث . فأغرى البصاصون هذا الرجل الثالث ليخفيهم في بيتهِ حينما يدخلهُ برنت والجزار فاخفاهم فيهِ واتى برنت والجزار ووقع الخلاف بينهما وكثر الحجاج واللجاج فقال الجزار لبرنت انك لا تقدر على شيء بدوني لان الورق كلهُ عندي . فخرج البصاصون معهُ حينما خرج من البيت واقتفوا اثرهُ فوجدوهُ يتردَّد على رجل مشهور بالنقش فدخلوا بيتهُ ووجدوا فيهِ مطبعة وقوالبها واوراقاً مطبوعة مثل اوراق البنك تماماً وكان قد زوَّر بعض الاوراق وتداولتها ايدي الناس وعُرفت العصابة التي اقدمت على هذا التزوير وعوقب رؤساؤها بالاشغال الشاقة

(٥)

قد يفلح المزورون في التزوير والتقليد حتى تروج مصنوعاتهم اكثر مما تروج المصنوعات الصحيحة مثال ذلك ان بعض المزورين صنعوا طوابع بوسطة سنة ١٨٥٨ مثل الطوابع التي كانت تستعمل في نابلي حينئذٍ فلم تفطن لها الحكومة بل كانت تمر في مكاتب البريد كما تمر الطوابع الصحيحة وظلت كذلك سنين كثيرة الى ان مرَّ منها الوف والوف الوف ثم كُشف امرها وهي الآن اغلى من طوابع نابلي الصحيحة لانها اقل عددًا منها

ومن قبيل ذلك طابع البريد الانكليزي الذي قيمتهُ شلن الصادر سنة ١٨٧٠ فان بعض الصنّاع تمكنوا من تقليدهِ وانتشرت الطوابع المزورة من ذلك الحين الى الآن ولم يكشف انها مزورة الّا منذ عهد حديث فوقع الجامعون في حيرة ولا حيرة الضب

هذا وفي مجلة لندن المذكورة آنفاً نوادر كثيرة من هذا القبيل تدلُّ على ان جانباً كبيرًا من الطوابع التي يتجر بها تجار طوابع البريد مزور فليحذر الجامعون لئلاَّ تضيع اموالهم في ابتياع الطوابع المزورة

———

المدارس الجامعة

اخبرنا احد الكبراء في هذا القطر ان الهمة متجهة الآن الى انشاء مدرسة جامعة في القطر المصري تعلّم العلوم والفنون على انواعها وان رجلاً من كبار الاغنياء سيتبرع باكثر نفقاتها . وقد قابلنا ذلك الرجل وقلنا لهُ في ذلك فتبيَّن لنا منهُ انهُ عدل عن عزمهِ فسألناهُ عن سبب عدولهِ فقال اني رأيت المتعلمين شرًّا من غير المتعلمين . لكنهُ قد يعود الى عزمهِ الاول او قد يفعل غيرهُ ما كان ناويًا فعلهُ . وقد طلب الينا ذلك الكبير أن نصف حال المدارس الجامعة وما يُعلَّم فيها من العلوم وما ينفق عليها من الاموال فجمعنا السطور التالية اجابةً لطلبهِ

التعليم في المدارس الجامعة يقتضي نفقات طائلة جدًّا ولكن لا بد منهُ بعد ان صار للعقل المقام الاول في مناظرة الامم بعضها لبعض ولذلك صارت درجة الامم في السيادة والعمران بحسب ما تنفق على التعليم العالي في مدارسها . ففي الولايات المتحدة الاميركية ٤٨٠ مدرسة جامعة يبلغ ما ينفق فيها سنويًّا من ميزانية الحكومة ومرتبات التلامذة واوقاف المدارس نحو ٢١ مليون ريال او نحو اربعة ملايين وربع من الجنيهات . وينفق في تلك البلاد على المدارس الابتدائية والثانويَّة ٢١٣ مليون ريال في السنة اي نحو ٤٣ مليون جنيه ومجموع ذلك ٤٧ مليون جنيه . ولو انفق اهالي القطر المصري على تعليم اولادهم على نسبة ما ينفقهُ اهالي الولايات المتحدة على تعليم اولادهم لوجب ان تبلغ نفقات التعليم في هذا القطر ستة ملايين من الجنيهات كل سنةٍ اي اضعاف اضعاف ما ينفق عليهِ الآن

وينفق الانكليز على تعليم اولادهم في المدارس الابتدائية والثانويَّة والجامعة اكثر من ستة عشر مليونًا من الجنيهات ويبلغ ما تنفقهُ الحكومة وحدها على التعليم الابتدائي نحو اثني عشر مليونًا من الجنيهات

وتنفق المانيا على التعليم الابتدائي اثني عشر مليونًا من الجنيهات وعلى مدارسها الجامعة نحو مليون جنيه فنفقات مدرسة برلين نحو ١٢٤ الف جنيه في السنة ومدرسة هال ٦٣ الف جنيه ومدرسة غوتنجن ٥٧ الف جنيه ومدرسة بون ٥٦ الف جنيه ومدرسة برسلو ٤٨ الف جنيه . واكثر هذه النفقات اجرة اساتذة فاجور الاساتذة في مدرسة برلين ٤٤ الف جنيه وفي مدرسة غوتنجن ٢٤ الف جنيه وكذا في مدرسة بون وهلمَّ جرًّا

وتنفق حكومة فرنسا على التعليم العمومي ٢٠٩ ملايين فرنك كل سنة او نحو ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات عدا ما ينفقهُ الاهالي على تعليم اولادهم

ونفقات نظارة المعارف في ايطاليا وهي افقر ممالك اوربا الكبيرة مليونان وسبع مئة واربعون الف جنيه ولو انفق القطر المصري على نسبتها لوجب ان تكون ميزانيَّة نظارة المعارف تسع مئة الف جنيه في السنة

اما العلوم التي تعلَّم في المدارس الجامعة فهي في الغالب عشرون علماً اصليَّة عدا العلوم الفرعية وهاك بيانها مرتبة على حروف المعجم

(١) الاركيولوجيا وهو علم الازمنة الغابرة كما يستدلُّ عليها من آثار الانسان الباقية الى الآن في اطلال مدنهِ واشكال مبانيهِ

(٢) الاقتصاد السياسي وهو البحث عن حقيقة المال وشرائع تحصيلهِ وتوزيعهِ واستثمارهِ وكيفيَّة نجاح الامم

(٣) والتاريخ وهو معرفة اهم الحوادث الماضية وما يستفاد منها من الاختبار

(٤) والتشريح وهو علم بناء اعضاء الجسد وما تتألَّف منهُ كما يعلم من تشريحها

(٥) وعلم التعليم وهو علم الاساليب والوسائل الذي يجري عليها المعلمون لتثقيف عقول التلامذة ومساعدتها على ادراك الحقائق العلميَّة

(٦) والجيولوجيا وهو علم طبقات الارض اي تاريخ الحوادث التي حدثت فيها بالنسبة الى حالها الحاضرة واسباب تلك الحوادث ونتائجها

(٧) وعلم الحيوان وهو درس طبائع الحيوان من ادنى انواع الاميبا الى اعلى انواع ذوات الثدي

(٨) وعلم الرياضيات وهو يشمل علم الجبر والهندسة وحساب المثلثات ومبادىء المساحة والقطوع المخروطية وحساب التفاضل والتكامل

(٩) وعلم الطبيعات وهو يبحث عن خواص الاجسام الطبيعيَّة من حيث البناء والثقل والمرونة وعن القوى الطبيعيَّة اي النور والحرارة والكهربائيَّة وعن كل شيء طبيعي ما عدا الحياة والعقل

(١٠) والفسيولوجيا وهي علم وظائف اعضاء الجسد

(١١) والفلسفة الادبيَّة والسياسية وهي تبحث عن اخلاق الانسان الادبيَّة ونسبتهِ اي غيرهِ من ابناء نوعهِ من حيث ما يطلب منهُ لهم وما يطلب لهُ منهم

(١٢) الفلسفة العقلية وهي اسمى فرع من فروع البيولوجيا اي علم الحياة تبحث عن العقل وقواهُ وافعالهِ . وعليها يتوقف نجاح علم التعليم

(١٣) الفلك وهو يبحث عن نسبة الارض الى الاجرام السموية ونسبة هذه الاجرام بعضها الى بعض

(١٤) والفيلولوجيا او علم اللغات وهو يبحث عن كيفية اشتقاق اللغات بعضها من بعض ويتطرَّق الى حل رموز اللغات القديمة كالمصرية والاشورية

(١٥) والكيمياء وهي تبحث عن عناصر الاجسام وتراكيبها وخواصها وفعلها بعضها ببعض

(١٦) وعلم المعادن وهو يبحث عن معادن الارض واماكن وجودها وكيفية اكتشافها واستخراجها

(١٧) المتيورولوجيا وهي تبحث عن اسباب الاحداث الجويَّة كعصف الرياح ووقوع المطر وحدوث البرق والرعد وما اشبه

(١٨) والمنطق وهو علم الاستدلال او صناعة الاستدلال بالمقدمات على النتائج

(١٩) والنبات وهو علم بناء النباتات وطبائعها ووظائف اعضائها

(٢٠) والهيجين وهو علم حفظ الصحة وما يلزم لهُ

هذا عدا اللغات والعلوم اللغويَّة وعدا التمرُّن على الانشاء والخطابة والمذاكرة والرياضة البدنية وما اشبه

هذه علوم القسم العلمي ولكن المدارس الجامعة لا تقتصر عليهِ بل تضيف اليهِ الاقسام التكميلية العملية كالطب والحقوق والهندسة والزراعة والتجارة ولكلٍّ منها فروع شتى وعلوم مختلفة لا بدَّ منها . فاذا اريد انشاء مدرسة جامعة في هذا القطر وجب ان تعدَّ لها نفقات سنويَّة لا تقلُّ عن عشرين الف جنيه لكي تكون مثل اقل المدارس الالمانية الجامعة

واذا وجد المال اللازم بقي ما لا يقلُّ عنهُ لزوماً وهو وجود الاساتذة الاكفاء وفي اي لغة يعلمون . اما الاساتذة فلا بدَّ من ان يكونوا مختلطين في اول الامر من الاجانب والوطنيين واما لغة التعليم فلا بدَّ من ان تكون العربيَّة اذا اريد ان تبقى حيَّة وان تجاري لغات الاوربيين لان العلم من اقوى دعائم اللغة . وهذا لا ينفي تعلُّم اللغات الاوربيَّة وتعلُّم بعض العلوم بها اذا كان اساتذتها لا يستطيعون القاءها بالعربيَّة

التصوّف

قال افلاطون الحكيم " عالَم الكون والفساد شبيه بمغارة مظلمة بعيدة المهوى وفي اعلاها طاق يدخل اليها منهُ شيء من الضياء فما قرب من الطاق اضوأ مما بعُد عنهُ . وفيها جماعة يبيعون ويشترون ويتعاشرون قد انسوا بظلمتها واستعملوا مقاييس لنقودهم اكثرها فاسد فتطلعت نفس واحد من تلك المغارة الى الصعود الى موضع الضوء والتماس ما يبعثهُ فصعد حتى قرب من الطاق وكانت معهُ دنانير ودراهم مما يستجيدونهُ في المغارة ويجري عندهم مجرى ما ارتفع الريب فيهِ فتأملها حيث انتهى بهِ الصعود فوجد بعضها جيدًا وبعضها رديئًا فميز رديئها من جيدها ونزل الى المغارة فعرض الجياد على نقاد المغارة فاعترفوا بجودتها فاخرج اليهم الرديئة وسألهم عنها فاستجهلوهُ وقالوا ما بين الاولى والثانية فرق" . فضحك منهم وقال لهم ما اشك في انها رديئة فقالوا كيف هذا وما دليلك عليهِ فقال رأيتها في هذا الضياء واومأ بيدهِ اليهِ . فاستثقل المستوطن للمغارة مقالهُ واخذ في الردّ عليهِ وكذَّبهُ ونازعهُ قوم فشرعوا يصعدون الى الضياء فمنهم من شق عليهِ الصعود فرجع ومنهم من صار معهُ الى موضعهِ فصدَّقهُ فصاروا فيما يتعاملون بهِ ثلاثة اصناف رجل لم يُفكر فيما جاءَ بهِ الصاعد واقام على ما جرى عليهِ سلفهُ غير مرتاب بشيءٍ من تلك النقود وهم اصحاب التقليد الساكنون الى ما أُمروا بهِ وآخرون ينازعون الصاعد وهم اصحاب الجدَل الذين ضعفوا عن الرياضة وقووا على المنازعة وآخرون قد وافقوا الصاعد بما شاهدوهُ معهُ وهم خدم العقل الذين رقوا اليهِ بالمقدمات والنتائج وهاجروا في طلب المعقولات ولم يستثقلوا البحث عن الحقائق "

هذه الحكمة تنطبق على كثير من حقائق العلم والعالَم وما اقلَّ اهل الفئة الثالثة من خدمة العقل الذين ركبوا كل صعب وذلول للوقوف على الحقائق اما الفئتان الاوليان فهما كالانعام السائمة وما حظهم من إمتاع النظر بنور الحق الاّ حظ اتباع ايقورس اليوناني القاضي بان لا عمل للانسان في هذه الحياة الاّ الاكل والشرب والنوم والملاذ اما العقل فلغو لا فائدة فيهِ

ومن العجيب انك قلما ترى فئة من الخلق الاَّ راضية بما أُتيح لها من اقتباس قبس من هذا النور واهل التصوُّف لم يخرجوا في ادعاءِ الوصول اليهِ عن الحد الذي جرى عليهِ جميع اهل الملل والنحل قديمًا وحديثًا . ولقد اختلفت الآراءُ في الحكم على اهل هذه النحلة لما رأوا ان معظم كتبهم ضرب من المعميات والطلسمات مبنية على ما يخالف الحسّ ويناقض القواعد المألوفة حتى سماهُ بعض الافرنج " العلم الخفي " لان اقوالهم تفسر بالاذواق وهي مما لا جدال

في اختلافها وهاءنذا آتي على طرف من تاريخ التصوّف واهلهِ استمدها من اسفار الثقات

قال السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ " ان سبب تسميتهم بالصوفية لبسهم الصوف او لأنهم لما آثروا من الانكسار كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية او لانهم في الصف الاول بين يدي الله عزَّ وجل او ان الاصل في اسمهم صفوي او نسبة الى الصُّفة — وهو موضع مقتطع من مسجد النبي مظلل عليهِ كان الاوفاض والاخلاط من الفقراء يأوون اليهِ — قال ولم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية ..... ثمَّ لما تقادم زمان الرسالة ونأى عهد النبوة وكدر شرب العلوم شوب الأهواء وتزعزعت ابنية اليقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفردت طائفة بأعمال صالحة واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة بأهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب "

وقال السيد عبد الحميد الزهراوي من المتأخرين " التصوف لفظ ينتحلهُ اسمًا لمعارفهم ناس خلطوا اذ بحثوا في الفلسفة الالهية بين ايراد كلام الفلاسفة الالهيين من القدماء وبين الشواهد القرآنية وامثالها من الكلم النبوية . واخترعوا اصطلاحات صرفوا بها الالفاظ اللغوية عما وضعت لهُ صرفًا لم يراعوا فيهِ العلاقة العربية والقرائن الدالة . ولا نقدر ان نعين اول من كتب بهذه اللغة على هذا النحو ولكننا نعلم انهُ بعد ان دونت فيهِ الكتب غلا فيها اهلهُ واغرقوا في التأويل وصرف الالفاظ فعبثوا بالفلسفة والدين معًا . وكذلك ينتحلهُ اسمًا لعاداتهم وعباداتهم المخصوصة ناس آخرون اقتبسوا شيئًا من كلام الذين سلف ذكرهم وشيئًا من كتب السير والمناقب واخترعوا اشياء أُخر وأطلقوا هذا اللفظ على الملتفق من الجميع وربما أحبَّ هؤلاء ان يُطلقوا على انفسهم اسم الفقراء ثم ابدلوا هذا الاسم باسم دراويش لغلبة العجمة على القوم "

وانت ترى بين كلام المتقدم وكلام المتأخر فرقًا طفيفًا في التعبير عن حال المتصوفة وان كان الاول معتقدًا والثاني منتقدًا على ما يظهر . ويمكن ان يقال على الجملة ان التصوف نشأ عقيب ما ثار ثائرهُ من الفتن بين اهل الاسلام في القرن الاول والثاني وغلبت المطامع على رجال سياستهِ وعندها تجافت فئة من اهل التقوى عن الدخول في غمار هذه المطامع والاشتراك في اذكاء نار الشرور فآثروا العزلة وانقطعوا الى العبادة والزهادة مثل ابي القاسم الجنيد والحسن البصري وابرهيم بن ادهم وابي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري

وبشر الحافي واضرابهم ممن صدقوا في نسكهم وكانوا على جانب من علم السنة فلم يتعدوا مراسيم الشريعة وكانوا احسن قدوة اهتدى بها كثيرون . وما برحت الاعوام تنقضي الى ان أُلحق بهذه الفئة كل مهوّس كسلان ويظهر ان اجزاء التصوف تكاملت في القرن الخامس

ولما رجعت الامة الاسلامية القهقرى وفسدت آدابها وعلومها بتوالي الحكومات التي حكمتها بسلطان الجهل أُخذ بعض الحكام خصوصاً ملوك الطوائف يتذرعون بالمتصوفة تمويهاً على الناس واستعانة بالعامة على الخاصة بدعوى الاحتياط بالدين وعندها اخذ القوم يضعون التآليف في هذا الفن وتوسعت دائرتهُ بعد ضيقها والعلم كما قال ابن سينا نقطة كثَّرها الجاهلون . ثم تعددت المناحي والمنازع وان لم ينكر بعضهم على بعض شيئاً وتقاسموا بينهم المقامات السنية وادَّعوا الوصول الى العلوم اللدنية والكسبية

واختلفت الآراء في منشإ التصوف او الفلسفة الالهية قبل الاسلام فقال قوم انهُ نشأ في الدين واقتبسهُ مجوس الهند وعنهم اخذهُ الفرس فادخلوهُ في الاسلام لمَّا اعتنقوهُ وصبغوهُ بصبغة دينية كما دسوا كثيراً من البدع التي لم تقرّها الشريعة . على ان التصوف لا تخلو منهُ أُمة مهما كانت نحلتها وملتها وان لم تسم نفسها بهذا الاسم واليك ما قالهُ الزهراوي في هذا المعنى مخاطباً :

"يا هؤلاء اقرأُوا شيئاً من تاريخ الامم عامة ثم تاريخ هذه الامة المحمدية خاصة يظهر لكم ان كل امة قام منها افراد قليلون صادقون بالتنسك على ما تعلموا في دينهم وتعظمهم العامة لتخليهم عن دنياهم ثم قلدهم جماعات كثيرة في الزي والاصطلاح ابتغاء رضوان العامة ورجاء ثوابهم لديهم . واقرب شاهد لديكم رهبان النصارى المتبتلون في الصوامع ففيهم الصادق في نسكهِ النظيف قلبهُ وفيهم المائن المحتال الملوَّث قلبهُ وكذلك رهبان مجوس الهند والصين ويظهر لكم ان هذه الحال لا يخلو عنها زمن من الازمنة ولا امة من الامم وان هذه الامَّة المحمدية طرأ عليها ما طرأ على غيرها من كل شيء"

وجاء في مجلة المنار الاسلامي "ان بعض المؤرخين عدوا الصوفية من الفرق المشتقة من الاسلام المخالفة لسائر الفرق في الاصول كالمعتزلة والشيعة واهل السنة . وكيف لا وقد عاملهم فقهاءُ اهل السنة وحكامهم بأشد ما عاملوا بهِ سائر الفرق فحكموا ببدعة بعضهم وكفَّروا كثيراً من اكابر شيوخهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم غلوا بعد ذلك في تعظيمهم والتسليم الاعمى لهم غلوَّا كبيراً . قال ولهم علوم كثيرة جدًّا تعلم اسماؤُها من كتاب الفتوحات المكية وانما جاءهم ذلك من الرياضات والمجاهدات النفسية والعناية بمعرفة ما انطوى عليهِ الروح الانساني من الخواص

والمزايا والقوى الادراكية والتأثيرية ومن ذلك ما يسمونهُ الكشف والامداد والتصرف بالهمة . وكل هذا من علم اسرار الكون وطبائع الخلق كالعلم بنواميس النور الكهرباني وخواصهما ولكنهُ لما جاء بصبغة دينية من رجال الدين حدث عنهُ من حط الفقهاء والحكام على اهلهِ وتكفيرهم وسفك دمائهم كما فعلوا مع الفلاسفة الذين بحثوا في بقية اسرار الخلق وصبغوا علمهم بصبغة الدين وخلطوهُ بعلم العقائد الذي سموهُ علم الكلام وكان اضطهادهم للصوفية اشد من اضطهادهم للفلاسفة كما يعلمهُ من قرأ التاريخ وما ذلك الأ لان علم الصوفية الغريب عن فهم الفقهاء امسّ بالدين بل هو ثمرة التمسك بفضائل الدين وآدابهِ كما يقول عامة اصحابهِ ولذلك مزجوهُ بالقرآن والسنة مزجاً ولكن جاء بعضهُ مخالفاً لظاهر الشرع " اه

اما الدين المحمدي فلا يقرّ شيئاً مما يقوم بهِ المدّعون للتصوّف من الاذكار والاوراد المصطلح عليها والتبتل والسماع والرقص ورفع الاعلام وضرب الطبول واظهار الكرامات التي يزعمون مثل مسك الثعابين والحيّات ودخول النار واكلها وبلع قطع الحديد والزجاج والآنية واستعمال السلاح لضرب البطون وإدخال المُدى والادوات الجارحة في الافواه والحلوق اضف الى هذا ما يأخذون انفسهم بهِ من التوكل وترك السعي والعمل للمعاش والتساهل بالفروض والواجبات والوقوع في الاباحة والقول بالحلول او إجهاد النفس في التريُّض والتقشف الى غير ذلك من الحالات التي انكرها حجة الاسلام الغزالي في كتابهِ احياء علوم الدين وسماها الطامّات وانكرها انكار كثير من علماء الاسلام وقوعَ الكرامات من الاولياء

ومن درس تاريخ الصدر الاول يتضح لهُ جليًّا انهذه الاعمال التي يأتيها اكثر المتصوفة لم تعهد زمن الرسول ولا زمن اصحابهِ وتابعيهم الى ما بعد القرن الثالث وقد رأيناخاصة المسلمين في ذينك القرنين عالمين عاملين بعيدين عن الخيالات متدينين بما رسمتهُ الشريعة بقلب سليم. عهدنا ابا ذرّ الغفاري من كبار الصحابة منفيًّا زمن الخلفاء الراشدين الى الرَّبذة من اعمال المدينة لانهُ كان يميل الى قلة العمل والانصباب جملة واحدة على التعبد وترك الدنيا ولما شرع يدعو الى مذهبهِ أُبعد مخافة ان تسري دعوتهُ الى غيرهِ من عامة المسلمين فيصبحوا آفة على العمران والانسان

وغير نكير ان علم التصوّف لو وقف فيهِ اهلهُ عند حدّ ادب النفس ولم يخلطوا فيهِ الفلسفة الالهية وطرفاً مما وراء الطبيعة لكان فيهِ فائدة تجمع في تهذيب الاخلاق . وقد ذهب اناس من عقلاء المسلمين والباحثين في ادوائهم ان التصوّف على هذا الطرز المعهود اليوم هو من جملة عوامل التخريب في جسم الامة الاسلامية وان رؤساء هذه الطائفة يقدرون ان ينفعوابريديهم

الاسلام كثيرًا وقد سمعت واحدًا منهم يتلهف على إدخال الاصلاح الى هذه الطبقة من الناس ويعلق عليها آمالاً كبيرة وشواهده من التاريخ انهُ لم يعهد في المسلمين جمعيات منظمة يعمل مرؤوسوها باوامر رؤوسها الاَّ هذه الطرق وان بعض الملوك قديمًا تذرعوا بمشيخة الطرق على عهدهم فاستخدموهم ومريديهم في اقامة حكومات كبيرة وتوفقوا الى ذلك كل التوفيق. هذا ما سمعتهُ مرارًا من فم ذاك العلامة اثبتهُ للقراء غير جارح ولا معدّل. ولعلَّ فئة من الكتاب تتفضل بنقد ما سطرتهُ والله حسبي بحّاث دمشقي

الحياة كلها جهاد

تعب كلها الحياة وما اعجب الامن راغب في ازديادِ

ليس هذا معنى مخترعًا انشأهُ التخيل وانتجهُ الغوص في تطلاب المعاني وانما هو معنى لا تغيب عن العين شهاداتهُ ولا تتوارى عن الحس حالاتهُ ولكنها نفثة اختلجت في صدر ناظمهِ حين رأى الحياة ظلاً زائلاً وسنادًا مائلاً راحتها عناء ونعيمها شقاء شغلت بجهادها ابناءها فسعوا دائبين وسروا جاهدين يتطلبون الراحة من التعب والنعيم في النصب. وهذه سنة الكون جهاد قائم ونزاع دائم لم يقم لولاهُ هذا الكون العظيم ولم ينتظم هذا السمط البديع بل لولاهُ لم ترتقِ الكائنات ولم تسمُ المخلوقات ولا عُرِف الحقير من العظيم ولا الفضيلة من الرذيلة

تصوَّرِ الانسان في فلاة القدم وصحراء الازل عاري الجسد منبوذًا في العراء خاوي الوفاض بادي الذلة لا سلاح يقيهِ ولا ناصر يحميهِ يتطلب مسكنًا يسكنهُ وملبسًا يسترهُ ومطعمًا ومشربًا حواليهِ حيوانات سبقتهُ بوجودها وباهتهُ بعديدها. هي مستورة وهو عاري وهي شاكية انيابًا واظفارًا ومناسر وهو اعزل يراها بين فاتكٍ يحدد نابهُ ويدلُّ بمخلبهِ وفاتنٍ يمرح بطرفهِ ويتباهى بحسنهِ ويدلُّ بجمالهِ وسادر في خيلائهِ وسادل ثوب كبريائهِ وسانح وبارح ومقيم وسارح. وطائر يطير بين مستعظم كبير ومتضائل صغير وهو بينها ضعيف القوى بادي الضنى. الاَّ ان ارتقاء عقلهِ بطرق تخيلهِ وتحيلهِ وقاهُ منها وسوَّدهُ عليها

ثم اعد اليهِ نظرًا وهو يسمو كبرًا ويختال عجبًا يشيد القصور ويبني الصروح ويقيم البروج تضاءل لهُ كل متجبر وذل لديهِ كل عاتٍ وملك اقطار الارض وآفاق السماء فسخر الحيوان ووطئ ظهر الماء وركب متن الهواء حتى اذعن التيار لسلطتهِ وذل البخار لقوتهِ وخضعت الكهربائية لسطوتهِ سخرها لطاعتهِ واقامها لخدمتهِ وطئ اكنافها فانقاد ابيُّها واطاع عصيُّها. فهل هذا

الطائر في الهواء الممتطي غارب الماء المالك ناصية الكهرباء الباني الصروح العالية والقصور الشامخة هو ذلك البائس العابس الضارب في حيرته التائه في هواجسه المسكن الاعشاش والكهوف — هو هو — لما اعوزته الحاجة واضطر بحكم الفاقة جاهد قدر الطاقة بالتعقل وطرق التحيل فبلغ ما بلغ مع الدهر الطويل والزمن المديد . ولو لم يقف صداً لارتقائه ما هو غير صالح من طرق الجهاد ومقاوم النزاع لكان له شان يفوق التصور وتهوى دونه العقول

تكامل الموجود الى هذا الوصف المشهود وارتقى هذا الاوج بعد ان كان سائماً سائحاً الليالي تجاذبه والساعات تتناهبه تعتوره الحوادث والكوارث يغالبها وتغالبه في نزاع بين ابناء جلدته وحيوانات مستقره يصطرع معها وكل يجر النار الى قرصه وصل الى ما وصل بعد جهاد طويل غالب فيه الطبيعة وسلب ما حوله مما تضطره اليه حاجته لتقوية ركنه وحفظ كيانه واستمرار بقائه

لا بدع اذا قام بالجهاد وثبت في مجال التنازع اذ كان الجهاد ركنه وقوامه . فالجهاد سنة العالم وناموس الكون الاعظم . اعتبره في الجاذبية ام النواميس الكونية بل اهمها تجد انها جهاد عنيف وشوق بين الجاذب والمجذوب وهي تقوى على قدر ما فيها من المادة . يعني ان قوة الجذب تزيد بازدياد المادة الموجودة ونقصانها وان كليهما متجاذبان مهما عظم احدهما وصغر الآخر . فالارض كما تجذب الحصاة الواقعة عليها تجذبها الحصاة اليها والفرق بين الجذبين كالفرق بين المتجاذبين

علمنا ان هذا الفضاء الشاسع كان ولم يزل مملوءا بالجواهر السابحة والايثير المنتشر وان ذلك مادة العالم بتسلط الجذب والدفع عليه يتنازعان على قوته ويتغالبان على استرقاقه. ومن ذلك تكوَّنت العوالم الارضيَّة وتألفت الكواكب العلويَّة والاجرام السمويَّة . وبجهاد حركتي الجذب والاستمرار سارت السوائر ودارت الدوائر ووجد الليل والنهار والعشي والابكار وفصلت الفصول وارتقت الحياة والعقول ونبت النبات وعاشت الحيوانات وقامت الارضون والسموات

نرى النبات يجاهد غيره لتقويم حياته وينازع جاره لبقاء ذاته فاذا نظرت مزروعاً بسق او خصب تجد بين نباته نبتاً ضئيلاً ضعيفاً بطيء النمو مجاوراً للباسق الخصب وهما من صنف واحد في مزدرع واحد يسقيان من ماء واحد وما ذاك الاَّ ان العالي علا بفوزه على الضعيف في معترك الجهاد وغلبة على القوت فنقع غلته وذلك اضناه الجوع يتبلغ بالتافه من غنيمته ان كان فيه بقية والاَّ هلك

عُد نظراً الى الانتخاب الطبيعي تجده قائماً على اركان اهمها بقاء الانسب والوراثة الطبيعية

وكلتاهما قائمتان بالجهاد الحيوي فان الاصلح الذي ناسب زمانهُ ومكانهُ انما ثبت لوجود الاستعداد فيهِ للبقاء من صلاحية اثبتها فيهِ جهادهُ بعد فناء ما اختلت فيهِ من افرادهِ مناسبات حالتهِ فلم تصلح لجهادهِ. فالزرافة انما طال عنقها لمَّا الجأها جهاد الحياة الى التطاول الى باسق الاشجار. فما كملت فيهِ هذه الصفة قوي على عدوهِ الجوع وما لم توجد فيهِ صرعهُ عدوهُ في جهادهِ وفشا فيهِ الفناء. وكذلك قل في افلائها ما ولد طويل العنق عاش عيش ابيهِ والذي قصر عنقهُ قصر عمرهُ الى ان ثبتت هذه الصفة بالوراثة وتأصلت واصبحت من الصفات اللازمة المقومة. وجهاد الحياة اساس ذلك فهو اساس وجودها على تلك الحال وامتياز هذه الصفة دون غيرها لمكان اعوازها

هذه اسراب الحيوان في مغاديها ومراوحها متهارشة متحاربة متنازعة جهادها بينها على ساق. هذه تغالب تلك وتلك تطرد هاتيك اذا انست مرعى خصيباً وروضاً معشوشباً. وبعضها يفترس بعضاً والبعض ينهش الآخر وهي في حرب عوان. فالجهاد سنَّة بين الاحياء قامت عليها الاكوان ونشأت بها المنشآت وتكملت بها الطباع وارتقت بها المخلوقات

كلما اتسعت مدارك المرء وزاد ترفهُ عيشهِ كثرت حاجياتهُ فيكثر جهادهُ وذلك لانهُ في حالتهِ الحيوية يحتاج الى ما يحفظ بهِ كيانهُ ويستجلب بهِ الفوز في جهادهِ فاذا ارتقى في سلم العيش وصاغ الارتقاء انفت نفسهُ بما الفتهُ من النعيم خسائس الحالات فعانق ما هو ارقى من حالتهِ الاولى حتى اذا تأصلت فيهِ صار لا غنى لهُ عنها فاصبحت حاجة بعد ان كانت كمالاً. وكلما زاد نعيمهُ انفسحت امامهُ باحة الكماليات يعانقها عناق مشتاق ويألفها الف من يخشى الفراق حتى تلزمهُ وتصبح من حاجياتهِ الهامة وخصائصهِ اللازمة. ولنفرض ذلك والانسان في اول امرهِ قد دفع عنهُ صبارة الشتاء وحمارة القيظ بتفيئهِ ظلال الاشجار والتحافهِ اوراقها او اكتنانهِ مغاور الجبال مرتدياً اهابات صيودهِ من الحيوانات التي تغلَّب عليها طلباً لقوتهِ. ثم ترقى وانتقل من ظلال الشجر الى افياء الاعشاش. ولا شك ان اول استعمالهِ الاعشاش ليس كآخرهِ اتقاناً ووفاء بالغرض فلو كلفتهُ والحال هذه لم تجدهُ مطيعاً ترك كنّه راجعاً الى حالتهِ الاولى لما الفتهُ نفسهُ من هذا النعيم. ثم ارتقى في ملبسهِ من اوراق الشجر الى اليافها ومن الجلود الى اوبارها يحوكها برودًا ومآزر واصبحت من لوازم عيشهِ ومن اهم حاجياتهِ بعد كونها كماليات وهكذا كلما سما في سلم النعيم كثرت حاجياتهُ فيعظم جهادهُ وعلى قدر الغاية يكون العمل

قلنا فيما سبق ان المرء مفطور على الجهاد في حياتهِ فهو في ذلك يتوخى ما بوسعهِ للفوز في هذا الجهاد وكأنهُ كان لا يقف عند حدّ في الجهاد يتتبع كل طريق ويطرق كل باب

وراء الغاية حتى عرف النافع والضار وادرك اللذة والالم ولا يبعد انهُ ادرك ان كثيرًا من التعب يعقبهُ الراحة فتوخاهُ تبعاً لغايتهِ وعلم ان الاخلاد الى السكون والاستسلام للراحة والهوى والبطالة مطلقاً للشهوات العنان غير مقيدة بقيود الاختبار والتعقل يرمي المرء في مهاوي المهالك حيث تهمل آلات الجهاد الصالحة ويقف نموُّ ما حصل بالتوارث من اعصاب قويَّة وهمة عليَّة واخيرًا ينتهي بضعفها وعدم مناسباتها للجهاد فيقف صاحبها في معترك الاسنة وسلاحهُ مخرب ويهوي في هوة الردى

بقاء الانسب هو في الصفات كما هو في الماديات بل اظهر اثرًا فما كان من الصفات انسب للنجاح واصلح للبقاء ثبتت اصولهُ ونمت فروعهُ وطاب وزكا ولو كانت حلاوتهُ مبدوءة بالحنظل وراحتهُ مسبوقة بالتعب وما كان غير صالح للنجاح ذوت فروعهُ وخبثت ثمرتهُ ولو كان في اولهِ شهياً جنيًا . ولا شك ان هوى النفس يتطلب اللذة العاجلة ولو كانت العاقبة مردية لكن العقل الصحيح والاختبار الصادق يمنعان من هذا التهور . فاذًا اعمال الانسان اما مسوقة بسايق الهوى او سارية تحت قيادة العقل او هما يتعاقبان عليها ويتنازعان زمامها والنفوس منطبعة بطبع قائدها سالكةً منهاج تعاليمهِ سائرةً تحت ارادة سائقها . فان ولي العقل زمامها قادها الى الاصلح والانسب فيما يؤهلها للمناضلة والمدافعة في معترك الحياة فتفوز فوزًا مبينًا ويرتفع شأن صاحبها ويحسن امرهُ ويعلو ذكرهُ لان النهج الذي سرى عليهِ نهج سهلهُ الاختبار وحسَّن عاقبتهُ التأمل مما يستجاب ثقة قومهِ ومحبتهم يحفظ بذلك نفسهُ وقومهُ وجنسهُ باتباعهِ الاخلاق الصالحة المناسبة لحفظ كيان المجتمع

ثبت الجنرال ده ويت البويري امام صدمات الانكليز القوية بفئتهِ القليلة العدد والمدد بثبات جيشهِ . ومن اهم اسباب الثبات حب الجيش لقائدهم حبًا يفدونهُ معهُ بالارواح وليس ذلك الاَّ لاتصافهِ بالصفات التي تليق بالمجاهد في معترك الحياة من حب القريب والوطن والشفقة على الضعيف وغيرها من مقومات الهيئة الاجتماعية فهو كان بينهم غير متميز عن واحد منهم طعامًا ولبسًا واذا رأى جنديًا رثًّ لباسهُ قاوضهُ ثيابهُ

ونابليون الاول ما ثبتت معهُ جنودهُ في اقتحام سعير الحروب وخوض غمرات الردى في برد روسيا وحر مصر ومحاصرة عكا الاَّ لاخلاصهم في حبهِ لما رأوهُ فيهِ من الاقدام والحب لوطنهِ وقومهِ

هذا اذا قاد الارادة العقلُ واما اذا سارت تحت لواء الجهل والهوى قيدت الى العسف والخبط على غير هدى وآبت بالفشل كما نرى في جهاد كثير عموا عن اكتناه العالم واستجلاء غوامضهِ وصمُّوا عن داعية الهدى والرشاد

واما اذا تعاقبت عليها سلطتا العقل والجهل وغلبت احدى السلطتين الاخرى سارت الارادة مع الغالبة وان تساوت قوتاها سارت طريقاً وسطاً شأن المنفعل بحركتين متساويتين في جهتين فانهُ يكون بين بين. فالمساعي مختلفة واسباب الجهاد متفاوتة عرف ذوو العقول الثاقبة الذين تأملوا العالم فاحسنوا فيهِ التأمل نافعها وضارّها وانشأوا الحكمة الاخلاقية فلاحسن الاَّ ما يحسن للجهاد في حياة لا تقوم الاَّ بهِ ولا قبيح الاَّ غير الصالح لهُ ولا شبهة في نجاح سالك النهج القويم واهتدائهِ وشطط السائر في غير قويم وضلالهِ

اربعة سائرون في مضمار واحد مختلفو الصفات احدهم مخلد الى الراحة لا يرفع يداً لعمل ولا يبعث عزماً للجهاد تناهبهُ الضرورات وهو متبلد امامها والثاني مجاهد بطرق ليست مشروعة يتتبع طرق التحيل والمكر ويعتنق الكذب والرياء والثالث جاهل رأى الناشئة في مهد العلم والعقل فاحبَّ اتباعهم عن غير ما يكفيهِ فتطلع الى الغاية ولم يحسن المقدمات ولم يخمد نار جهلهِ بالعلم ولم يرجع في سيرهِ الى اختبار صادق وسار الرابع في النهج الاقوم فمهد لديهِ الصعوبات بعلمٍ علمهُ واختبار القهُ وحكمة استضاء بمشكاتها . فاذا نظرنا النتيجة رأينا الاول عليهِ لبوس الذلة وضَرَع الاستسلام والاهمال قد انحطت رتبتهُ الى ما دونهُ من العجماوات كلٌّ على عاتق الحياة ورأينا الثاني قد كرهتهُ القلوب ونبذتهُ العيون ونبت عن ذكرهِ الاسماع لا يثق باحد لسوء ظنهِ ولا يثق بهِ احد لسوء فعلهِ ورأينا الثالث بعيداً عن النجاح تكلف مشاق شاقةً دون بلوغهِ ما يريد وما ظنك بمن طلب شيئاً وسار بغير طريقهِ واما الرابع فهو الذي يصافح النجاح يملك غايتهُ ويحصل على بغيتهِ يسير في طريق ممهد لا عوج فيهِ

وقفت الصين واليابان موقف الحرب وشبت بينهما نارها والصين اكثر ناصراً ونفيراً فلما التقى الجمعان وكانت اليابان قد اعدَّت معدات الجهاد التي اتقنها لها التمدن والتعقل وسلكت سبيل الاختبار غير مرتبطة بتقاليد قومية او جهل قديم حيث كانت الصين تجر اذيال التيه وتفخر بعادي مجدها وقديم عزها مستمسكة بالتقاليد القومية والجهلات التعصبية ذلك اخلدها الى السكون فاهملت آلات جهادها فزلت بها القدم ولم ينفعها ما حولت اليهِ نظرها من المجد الفارغ والزخرف الباطل ولا بطؤها عما اسرعت اليهِ جارتها فكانت جنود اليابان اكثر دربة واحسن سلاحاً والصين اكثر عديداً ونفراً فحطمتها اليابان وهي لا تبلغ عشرها وفازت عليها وهتكت سترها

وترى الامة العربية حين كانت دائبة في جهادها قائمة بدعوتها امتدت في آن قصير وتغلبت في وقت قريب على الدولتين العظيمتين اللتين اقتسمتا العالم وتنازعتا قوتهُ الرومان والفرس حيث كانت آلات الجهاد عندها من الدربة والانتظام ومحبة القريب وحفظ كبار

الامة والدين كاملة ثابتةً وكانوا لا يعرفون الراحة فالتقشف ومجانبة الترفه في اكابرهم كاصاغرهم كان ذلك والفرس والرومان يتقلبون في الراحة حتى ساقتهم الى التباغض والتحاسد فهدم ذلك مع مهاجمة عدوهم صروح مجدهم وثل عروش عزهم . فالجهاد الصادق ما نظر فيهِ مجاهدهُ الى الى مستقبلهِ وتأمل في عاقبة امرهِ ولم يموه عليهِ ظاهر الحال فالسم في الدسم. والجهاد الكاذب الفاشل ما قنع ناظرهُ بما هو فيهِ ولم ينظر في عواقبهِ فما هو الأ حبالة الشرك قد اخذت بمخنقهِ واوردتهُ حتفهُ . فليتأمل العاقل وليختبر الحكيم فالتاريخ مرآة الحوادث وهو المدرسة الكبرى والمختبر العظيم

احمد رضا

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم أهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المدارس السورية الانكليزيَّة

لئن تعددت المدارس السوريَّة على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السوريَّة الانكليزيَّة فائدة وفضلاً ولذلك رأيت ان اثبت على صفحات المقتطف الاغر لمحة من تاريخ هذه المعالم وفضل القائمين بها فاقول

اتت السيدة المبرورة مسز بوين طمسن الى بيروت عام ١٨٦٠ فرأت وتثبتت من سوء حال الارامل واليتامى النازحات من الشام وحاصبيا وغيرهما ما هاج في قلبها عاطفة الحنان والشفقة فاخذت تمدهنَّ بما يسدُّ رمقهنَّ ويصلح حالهنَّ ولما لم يكن في الالف منهنَّ من تحسن القراءة وكانت ترى في تثقيف عقولهنَّ وتهذيب اخلاقهنَّ وعوائدهنَّ خدمة للبشريَّة عمدت الى تعليمهنَّ مبادئ العلوم والآداب فالتمست من الدولة العليَّة فرمانًا يخوّلها حق انشاء مدارس للاناث في بيروت والشام ووادي التيم وبقاع العزيز وجبل لبنان

وبعد ان ظفرت ببغيتها سافرت الى انكلترا حيث حضَّت ذوي الايادي البيضاء والمولعين بعمل البرّ على معاضدة مشروعها فالّفت لجنة لجمع المال اللازم لنفقة المدارس حتى اذا ضمنت لها الثبات على خطة التقدم عادت الى بيروت وابتاعت قطعة ارض في ناحية منها حسنة

الموقع جيدة الهواء بنت فيها المدرسة الداخليَّة وهي الاولى في سوريَّة ومتوسط الطالبات المقيمات فيها بين ٦٠ و٧٠ وقد تدرَّب وتهذَّب فيها عدد من الفتيات ليس بقليل منهنَّ اليوم ربَّات منازل ومعلمات وممرّضات وطبيبات ومهذبات في انحاء شتى من المعمور يحسن الاقتداء بهنَّ والتأسي بفضائلهنَّ

وبعد أن اكملت معدَّات هذه المدرسة ووفَّرت فيها كل اسباب التقدم والنجاح انشأت فروعاً خارجيَّة في احياء المدينة وفي دمشق ووادي التيم ولبنان حتى بلغ عدد الطالبات في وقت قصير ثلاثة آلاف او يزيد

فكان هذا النجاح السريع محرّكاً لغيرة سائر الطوائف على تثقيف البنات وتهذيب اخلاقهنَّ ففتحت لهنَّ المدارس في اكثر مدن سوريَّة واتسع بذلك نطاق التمدن في البلاد

ولم تكفَّ تلك الفاضلة عن الكد والسعي في الخير الذي ذكرناهُ ولم يقطعها عن ادارة المدارس التي انشأتها بكل همة ونشاط الاَّ انصرام الاجل فتوفاها الله عام ١٨٦٩ ونابت عنها في ادارة تلك المهمة شقيقتاها مسز سمث ومسز موط فاخذتا تزيدان المدارس اتقاناً وتوسعان حلقة العلوم التي تُدرَّس فيها وتمكنتا بمعاونة مستر موط السخي من ابتياع الابنية اللازمة للمدارس المذكورة ومكثتا ثابتتين في موقف الكد والاجتهاد الى ان توفيت احداهما مسز موط عام ١٨٩١ فانفذت اللجنة مس جيمس لتقوم مقامها فلم يكن من ولايتها ادارة المدارس نحو سنتين حتى اضطرَّت الى الاستقالة لاسباب صحية

ولما كانت السيدة كرولين طمسن قد قامت مدة برئاسة المدرسة الداخلية لعهد ادارة مسز موط ووقفت على احوال المدارس كلها فضلاً عما كانت عليهِ من الاختبار في تنظيم شؤُون المدارس واسلوب التدريس وما استفادتهُ من هذه المزايا في مزاولتها المدارس الالمانية دعتها اللجنة الى ادارة تلك المدارس فحسرت عن ساعد الجهد في خدمتها بهمة لا يدركها كلل ولا تعرف الملل حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨٠

ومما يخلق بنا ذكرهُ هو ان السيدة المذكورة سمعت بطريق الاشاعة ان النساء السوريات مع فرط ذكائهنَّ وتوقُّد ذهنهنَّ وقابليتهنَّ للعلم والآداب في اسرع مدَّة لا تستطيع الواحدة منهنَّ كتابة صفحة واحدة في اللغة العربية خلوًّا من الغلط مع ان اكثر من واحدة منهنَّ قادرة على تحبير عدة صفحات بلغة اجنبيَّة وان هذا التقصير لم يدرك الطالبات في اثناء الطلب بل اللواتي احرزنَ الشهادة المدرسية سواءٌ كان من مدارسها او من سواها فدعت الاستاذين

سليم افندي كسّاب وابرهيم افندي عطية اللذين زاولا صناعة التدريس نحوًا من اربعين سنة لتدريس الصفوف العالية في المدرسة الداخلية وتدريب الطالبات فيها على اصول اللغة العربيَّة والوقوف بهن على آدابها بحيث يتوصلن الى ازالة ما تبادر من الوهم الى افكار كتَّاب العصر في تقصير المرأة عن ادراك شأوهم في الكتابة ويؤيدن رأي القائل ان المرأة الشرقية اذا تلقت العلم على اصوله بارت الرجل في مضمار العمل المفيد شأن المرأة الغربيَّة وكل آتٍ قريب

ولما رأت العصر يطالب المرأة بالقيام ببعض الامور الضروريَّة ولاسيما بفن تدبير المنزل قضت باهمال الكماليَّات في مدارسها كالبيانو واللغة الفرنسويَّة وصرفت الهمة الى اتقان القراءة والكتابة والحساب والجغرافية والخياطة واعمال اليد فاقترحت على الاستاذ سليم افندي كسَّاب وضع كتاب في الاقتصاد المنزلي فلبَّى الطلب وجمع كتبًا عديدة في هذا الباب من اميركا وانكلترا ولخص منها ما يلائم البلاد الشرقية واضاف اليهِ ما استفادهُ بالاختبار في اثناء تدريسهِ الاعوام الطوال فجاء كتابًا وافيًا بالمقصود والكتاب ممثَّل للطبع وقريبًا تتناولهُ ايدي الطلبة

ومما يجدر بنا الاشارة اليهِ اقرارًا بالفضل هو ان السيدات اللواتي اخذنَ على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزيَّة لم يبذلنَ ما بذلنَ من العناية والاهتمام في شؤون الفتيات الَّا ابتغاء وجه الله الكريم وحبًّا بالقريب ولا نجازف اذا قلنا انهنَّ لم يقتصرنَ على الكد والتعب في هذا السبيل بل هان عليهنَّ دون خدمة بنات الوطن بذل النشب فلا غروَ اذا خطَّ اليراع على صفحات الصحف من مجلَّات وغيرها كلمة في شكرهنَّ وتخليد ذكر افضالهنَّ لان لمثلهنَّ وجب الاقرار بالفضل والاعتراف بالجميل

بيروت س . خ

تمريض المرضى

الفصل الاول في الولادة

الموت في الدرجة الاولى من الرهبة والولادة في الدرجة الثانية فتكاد رهبتها توازي رهبتهُ . وهي اذا جرت مجراها الطبيعي ولم يعقها عائق فلا شيء ابسط منها ولكن اذا لم تجرِ مجراها الطبيعي وعاقتها العوائق فلا شيء اصعب منها . ومع ذلك يقدم بعض القوابل على التوليد غير موجسات شرًّا ولا مباليات بما قد يحدث من سوء العواقب

وليس من غرضي الكلام على التوليد بالاسهاب فاكتفي بذكر بعض الامور التي تفيد الوالدة واللواتي يردن ان يساعدنها وقت النفاس

وقبل الدخول في الموضوع احبُّ ان اوجه نظر القراء الى امرٍ كثير الوقوع في بلاد المشرق فقد رأيت بالامس رجلاً يحمل كرسي التوليد ووراءهُ كثير من الاولاد يتبعونهُ . وحمل هذا الكرسي من مكان الى آخر امرٌ شائع فيحمل معهُ جراثيم الامراض . ومن الغريب ان النفاس لا يصبن بالامراض القتّالة اكثر مما يصبنَ الآن وهذا الكرسي ينتقل من بيت الى بيت ولكن اذا سبَّب كل كرسي من هذه الكراسي موت امرأتين فقط فذلك كافٍ للعدول عن استعمالهِ مطلقاً

ويجب ان تولَّد المرأة على فراشها وتبقى عليهِ ثلاثة ايام على الاقل بعد ما تلد . واذا كانت لا تستطيع ان تشتري مشمَّعاً من الكاوتشوك فلتضع تحتها ورقاً اسمر فوق ملاءة عتيقة نظيفة وينزع ذلك كلهُ من تحتها حينما يولد الطفل

والولادة ليست مرضاً ولكن لا بد من تمريض الوالدة اي من الاعتناء بها كما يُعتنى بالمريض لانهُ اذا لم يعتنَ بها الاعتناء الواجب فقد تفقد صحتها وتقضي بقيَّة عمرها في حالة الضعف والمرض . وما من احد يعلم كما يعلم الاطباء والممرضات عدد النساء المصابات بآلام مستمرَّة لانهنَّ لم يُعتنَ بهنَّ الاعتناء الواجب في نفاسهنَّ . والولادة لا تأتي فجأة فعلى المرأة مهما كانت فقيرة ان تستعدَّ لها على قدر طاقتها

اذا لم تستطع ان تهيّئ الملابس الفاخرة والامتعة المزركشة فهي تستطيع على الاقل ان تعدَّ لنفسها بقجة فيها ثياب الطفل والملاءات النظيفة لطفلها ولنفسها مع القمصان النظيفة لنفسها. ولا داعي لان تكون هذه الثياب والامتعة جديدة بل يجب ان تكون نظيفة جداً ولو كانت عتيقة وان توضع كلها معاً في بقجة واحدة او مكان واحد حتى يسهل الوصول اليها . وهذا يصدق على الاغنياء كما يصدق على الفقراء اي ان الثياب والامتعة المختصة بالنفاس يجب ان توضع معاً في مكان يسهل الوصول اليهِ

ولتلبس الحامل حينما يأتيها الطلق قميصاً تحتانياً وقميص نوم وتنورة. ولا بدَّ من ان يكون كل لبسها نظيفاً جداً ويشمر القميص وقميص النوم الى الوسط ويقطبان هناك او يمكّنان بدبوسين من الدبابيس الموقاة اي التي حول رأسها شيء يقي منهُ . حتى اذا ولد الطفل لا ينزع من الولادة الاَّ التنورة فتنزع ثم يحل رباط القميص وقميص النوم وينزلان لتغطية البدن

والفراش الذي تولَّد عليهِ النفساء لا يحسن ان يكون تحتهُ سلك . ولا بدَّ من ان يغطى بملاءة نظيفة وتوضع المخدَّة في كيس نظيف ايضاً ويوضع مشمع فوق النصف الاسفل من الفراش يطفُّ على جانبيهِ ويوضع ملاءتان قديمتان نظيفتان فوق المشمع تطوى كلٌّ منهما

اربع طيات وتوطأ المخدة وتغطى الحامل بحرام الى ان ينتهي الطلق

ويجب ان لا يوضع شيء تحت السرير وان تكون غرفة الولادة نظيفة جدًّا مطلقة الهواء

واذا حضر طبيب لتوليد المرأة طلب ان توضع لهُ طاولة ليضع ادواته عليها فيجب ان تغطى بملاءة نظيفة وتستحضر لهُ مناشف كثيرة نظيفة ايضًا وفرشاة للاظافر وماء سخن وصابون وجردل وقليل من الفازلين وبودرة نقية وكاس ماء

وحينما يولد الطفل يغسل ما بين ساقي النفساء بقطعة نظيفة جدًّا من الفلانلا وتنشف بمناشف نظيفة جافة . واذا شعرت بقشعريرة وارتفعت حرارتها فهي مصابة بتسمم الدم اتاها بالعدوى من احد من الذين لمسوها او زاروها او من امتصاص مواد قذرة فاستدع لها الطبيب حالاً واذا كان مكانهُ بعيدًا او تعذّر حضورهُ فاعطها حالاً شربة من زيت الخروع .

ولا بدَّ لكل حامل من ان تتناول مسهلاً لطيفًا قبل الولادة وتستحم

ومتى ولدت واخذت ترضع طفلها يجب عليها ان تغسل ثدييها بالماء الحار مرتين في النهار في الصباح والمساء فان ذلك يمنع تولد الخراريج في الثدي ويمنع القلاع الذي يصيب الاطفال . واذا ظهر اقل تصلب او احمرار في الثدي وجب ان يعالج حالاً بالنطولات الحارة هكذا : توضع منشفة في طست حتى يتدلى طرفاها عن جانبيهِ وتوضع فوقها قطعة فلانلا ويصب عليها ماء غالٍ ثم ترفع المنشفة بطرفيها وتعصر الفلانلا وتنفض وتوضع على الثدي وتغطى بمنشفة ناشفة ويكرر ذلك مرارًا . واذا لم تحصل النتيجة المطلوبة فاستدع لها الطبيب والاَّ ظهر خرَّاج في الثدي

يجب على النفساء ان تتناول مسهلاً لطيفًا في اليوم الثالث بعد الولادة وبعد ذلك يصير يمكنها ان تأكل الاطعمة الجامدة مثل السمك والفراخ والكستلاته واما قبل ذلك فيجب ان تكتفي باخف الاطعمة مثل اللبن والمرق والشوربا والشاي والقهوة والبيض والرز باللبن وقليل من الخبز المحمص او البسكوت

ويجب ان تبقى في سريرها اسبوعًا او عشرة ايام . ويمكن اصلاح الفراش وتغيير الملاءات بسهولة وهي نائمة فيهِ باصلاح النصف الواحد ثم النصف الآخر فتنزع الملاءات الوسخة وتوضع غيرها . ولا بدَّ من الاعتماد على رأي الطبيب في اليوم الذي تقوم فيهِ النفساء من سريرها . ومهما كانت قوية وصحيحة الجسم لا تسترجع قوتها قبل اسبوعين او ثلاثة

اذا دعت الحال الى ابطال الرضاع فاستحضر مقادير متساوية من الغليسرين والبلادونا وخذ خرقة تغطي الثدي وقصها من دائرها حتى تصير مستديرة واجعل فيها خرقًا صغيرًا في

وسطها لتبرز منهُ الحلمة وغطها بمزيج الغليسرين والبلادونا وضعها على الثدي وضع فوقها قطناً مندوفاً واربط الثدي جيداً

وهذا الدهان اي دهان الغليسرين والبلادونا يصلح لدهن الفخذين اذا التهبتا او اصابهما شيء من التسميط وحينئذٍ لا يشد الرباط عليهما بل توضعان على شيء ليّن وترفع القدمان قليلاً

ويجب ان يكون الحزام (الزنار) عريضاً يمتدُّ من البطن الى العجز حتى لا يبرز الحقوان ويتسعا

هذا واكرر القول ان النظافة الزم الامور. وهي سهلة جدًّا ما دام الماء والصابون موجودين ويجب ان يكون الماء سخناً ويغسل ما بين فخذي النفساء كل يوم صباحاً ومساء وتوضع لها فوط جافَّة دافئة

ويجب ان لا يدخل غرفتها احد من الزوار في الايام الاولى ومهما اهتمَّ الذين يخدمونها بتنظيف اياديهم وثيابهم لا يبالغون (ستأتي البقية)

تنظيف الفرو

خذ ملءَ صحفة كبيرة من الرضَّة (النخالة) وابسط ورقة كبيرة على مائدة وابسط الفرو عليها وافركهُ بنصف الرضَّة جيداً وضع النصف الثاني في فرن حتى يسخن ثم افرك الفرو بهِ وامسحهُ بفرشاة ناعمة وانفضهُ فتجدهُ قد نظف

واذا كان الفرو على بطانة من الاطلس واتَّسخت فبلَّ اسفنجة بالماء واعصرها جيداً وامسح الاطلس بها ثم امسحهُ بخرقة ناعمة جافَّة وعلّقهُ في مكان حار

واذا كان الفرو من فرو استرخان فامسحهُ باسفنجة كما تقدم ثم صب قليلاً من الكولونيا على خرقة بيضاء ناعمة وامسحهُ بها فتنسج حالاً فارمها وامسحهُ بخرقة اخرى بعد ان تصب عليها من ماء الكولونيا وهلمَّ جرًّا الى ان ينظف جيداً فانفضهُ وعلقهُ حتى ينشف ثم امسحهُ بفرشاة ناعمة

واذا لم يكن الفرو مبطَّناً امكن تنظيفهُ على اسلوب آخر وهو ان تضع فنجاناً كبيرًا من الرضَّة في خرقة رقيقة وتصب عليها قليلاً من الماء الغالي وتتركها فيهِ نصف ساعة . ثم تقص قطعةً من الصابون قطعاً صغيرة جداً وتصب عليها ماء غالياً ستين درهماً من الماء لكل ملعقة من الصابون وتحركهُ حتى يذوب ثم تصب الماء الذي نقعت فيهِ النخالة في اناء واسع وتصب فوقهُ ماء حتى تقل حرارتهُ. وتذيب فيهِ من الصابون حتى تكثر الرغوة عليهِ وتنفض الفرو وتمسحهُ برغوة الصابون وتضغطهُ بين راحتيك ضغطاً ولا تعصرهُ عصرًا بفتالهِ وتكرر ذلك حتى ينظف

ثم تغسلهُ بماء فاتر وتعلقهُ في مكان جافٍ ولا بدَّ من نفضهِ مراراً كثيرة حتى يبقى ناعماً ولا يلصق شعرهُ بعضهُ ببعض

ولا بدَّ من تنظيف الفراء دائماً قبل حفظها في زمن الصيف . واذا اردت حفظها من العث فرش عليها من الفلفل الحار واصنع كيساً من الجرائد المطبوعة والصق جوانبهُ لصقاً بالغراء وضع الفرو فيهِ والصق الجانب المفتوح فان العث يبعد عن حبر المطابع والصاق جوانب الكيس يمنع دخولهُ الى الفرو حتماً

آداب المعاشرة

لا يحيّي الرجلُ المرأة عند الانكليز اذا التقى بها في السوق برفع برنيطتهِ الاَّ اذا حيتهُ هي اولاً باحناء رأسها لهُ واما عند الفرنسويين والالمانيين فالرجل يحيي المرأة اولاً برفع برنيطتهِ لها

اذا انتهى الطعام فالنساء يخرجنَ من غرفة المائدة اولاً عند الانكليز ويتركنَ الرجال فيها. وفي سائر اوربا يخرج الرجال والنساء معاً

في غرف الاستقبال عند الالمانيين مقعد يجلس عليهِ اهم الزوار واعلاهم قدراً . واذا دخل زائر عند الالمانيين احنى رأسهُ لكل الذين يراهم في غرفة الاستقبال حالما يدخل واما عند الانكليز فيسلم على صاحبة البيت ويحني رأسهُ للذين يعرفهم فقط

النساء لا يخلعن برانيطهنَّ في الزيارات الاَّ اذا طُلب منهنَّ ان يشاركنَ ربة البيت في استقبال الزوار . وقت الزيارات عند الانكليز من العصر فصاعداً الى السهرة وعند الاميركان في السهرة لان الرجال هناك مشغولون في النهار عادة فلا يزورون الاَّ ليلاً

عض الاظافر

يعتاد بعض الاولاد عض اظافرهم ولا يقلعون عن هذه العادة مهما لمتهم ووبختهم ولا بدهن اناملهم بالمواد المرّة والحريفة . وخير اسلوب لجعلهم يقلعون عنها ان تتركهم حتى يكبروا ويصيروا يهتمون بحسن منظرهم وتبيّن لهم قبح الاصابع المأكولة اظافرها اذا قوبلت بالاصابع التي لم تؤكل اظافرها فيهتمون بابطالها من تلقاء انفسهم ويبطلونها

انحناء القامة

هذا الداء يعجز الكلام عن مداواتهِ قبلما يبلغ الفتى او الفتاة سن الرشد فاذا بلغاهُ فأبن لهما بُعد انحناء القامة عن الجمال وانصحهما برفع الراس ومحاولة توسيع الصدر بالرياضة التي توسعهُ وتحط الكتفين وتدفعهما الى الوراء فتجد ان قامتهما تستقيم بعد مدة قصيرة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

رد على ردين

الى المحترمين صاحبي المقتطف الاغر

كان لما كتبتهُ في الجزء الاول من المقتطف الاغر هذه السنة عن العربيَّة والقبطيَّة حديث يذكر بين حضرات قراء المقتطف ولكن ما عتمت ان اتهمني حضرة صديقي الفاضل صاحب مجلة عين شمس باني اظهرت للعالم اجمع ان ما ذكرهُ من الكلمات والجمل المستعملة في العربية والتي اصلها قبطي خبر مشكوك في صحتهِ ثم طالبني بان ابرهن على دعواي هذه ببرهان تاريخي يدل ان هذه الالفاظ استعملتها العرب قبل العائلة الثانية عشرة المصريَّة سنة ٢١٦٠ قبل التاريخ المجري وهو طلب عادل لا يستغرق الاَّ القليل من الزمن للبحث في ذلك العصر الجاهلي ومعرفة دقائقهِ ومقارنتهِ بتاريخ العرب القديم لاستخراج المجهول المطلوب. على اني ارجو ان اذكر لحضرتهِ بياناً بسيطاً غير محتاج الى بحث كثير وهو

ورد في التاريخ ان لغة مصر القديمة كانت هيروغليفية تثبت ذلك كتاباتهم وان العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة كانت عائلات عربية او عمالقة او هكسوس او رعاة نزح رجالها الى مصر تحت قيادة الوليد بن دومع قادمين من اسيا من جهة الشمال الشرقي واستولوا على الوجه البحري ثم على الوجهين اذ خضعت لسلطانهم دولة الفراعنة وفي عهد احد ملوكهم الريان جاءت السيارة بيوسف الصديق عليهِ السلام الى آخر ما هو معلوم. وقد حكمت هذه العائلات الثلاث على مصر نيفاً وخمسماية سنة وشهدت لهم ثقات المؤرخين بالاعمال الحسنة في عمارة البلاد المصريَّة وزيادة ثروتها

وورد في التاريخ ما كان من استيلاء الامم والشعوب الاجنبية على مصر كاليونان والفرس الخ

اذا عرفنا ذلك نقول ان اللغة الهيروغليفية ليست هي اللغة القبطية كما هو مشاهد من رسم حروف الاثنتين . وان هذه الامم الاجنبية التي فتحت مصر ومنهم العرب واخضعت اهلها ابتدأت تبث فيها لغتها اذ لا شيء يخطر على فكر الفاتح الظافر قبل اي عمل الا بث لغته في البلاد المفتتحة ولا شيء يخطر على فكر المغلوبين الا معرفة لغة الغالبين للتقرب منهم والتحوط فكانت مصر كلما حكمتها عائلة وطنية انقلبت الى لغتها الاصلية وكلما فتحتها اخرى اجنبية انقلبت الى الرطانة الغريبة بمزيج من الاولى وابناء مصر تخرج كل ناشئة منهم بلغة جديدة حتى تكونت اللغة القبطية او المصرية الحديثة فجمعت من كل هذه اللغات لغة شابهت في بعض اصواتها الهيروغليفية والعربية والحبشية والفارسية وفي بعض شكلها اليونانية الخ . فاذا اثبت لي حضرته ان هذه الكلمات المستعملة الآن بالعربية وواردة في اللغة القبطية لم تكن اصولها من لغة من لغات اولئك الفاتحين كما قدمنا اثباتاً يقنع السائل المستفيد مثلي رضخت لبرهانه واعظمت امر كتابه كما اعظمه حضرة الفاضل الباحث المصري الذي اتهمني ايضاً انني انما هاجمت صاحب الكتاب بالدين وانه يخشى ان اكون السبب في اقفال هذا الباب ثانية كما أُقفل باب الاجتهاد سابقاً على انه لو انصفني لاكتفى بايضاح ما يعلمه دون ان يحمل ما كتبته على ذلك المحمل الخشن على ان ما اورده حضرته برسالته هو قول بعض الناس لا كلهم وقد خالفهم في رأيهم هذا كثيرون كما يظهر لمن يطلع على كتاب الاتقان في علوم القرآن للعلامة جلال الدين السيوطي الذي منه اورد حضرة الباحث المصري ما اورده

ويرى من ذلك انه اذا قال قوم بدخول كلمات اجنبية على القرآن فقد نفت ذلك اقوام شأن افراد كل لغة ولا بأس بذلك اذ الحقيقة بنت البحث . وقد اورد كل ذلك العلامة جلال الدين في كتابه حتى يرى العالم الحديث كيف كان يتباحث السلف الصالح لكي يهتدي الى الحقيقة . فمن الظلم ان نبتر الكتاب فنذكر ما يوافق مصلحتنا ونتجاهل ما يناقضها فنخبط في ديجور ظلمات النقص والبتر فتضيع الضالة المنشودة — والحاصل انه لا يمكن اثبات دعوى حضرة المناظر الا باثبات امور (١) ان يثبت لنا ان العرب ما تكلمت بهذه الالفاظ قبل ظهور اللغة القبطية ولا في عهد الظهور بل تكلمت بها بعده (٢) بعد اثبات ذلك يثبت لنا ان المصريين ما اخذوا هذه الالفاظ من الامم المتغلبة على مصر كالفرس واليونان والعرب العمالقة فاذا اثبت ذلك ثبتت صحته وسلمنا له والا فالحكم على بعض الفاظ من لغة بانها مستعارة من لغة اخرى بلا دليل لا تطمئن اليه النفس ولا يسلم به عاقل

حلفا محمد فاضل

باب التقريظ والانتقاد

حريق مكتبة الاسكندرية

رسالة وضعها حضرة الخوري بولس عويس شرح فيها تاريخ مكتبة الاسكندرية او مكتبتيها واقام الادلَّة على ان البطريرك تيوفيل لم يحرق المكتبة التي كانت في السيرابيوم خلافاً لما زعمهُ البعض وعاد الى ما رواهُ عبد اللطيف وابو الفرج من ان مكتبة الاسكندرية حرقها عمر بن العاص باذن الخليفة عمر بن الخطاب واستدلَّ على صحة ذلك بما رواهُ صاحب كتاب كشف الظنون وهو ان العرب كانوا في صدر الاسلام يحرقون ما يجدونهُ من الكتب في فتوحات البلاد وبما قالهُ ابن خلدون في مقدمتهِ وهو

"ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر ابن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا"

وخطأً من استدلَّ على حرق ثيوفيل لمكتبة السيرابيوم بما اوردهُ اوروسيوس الاسباني لان اوروسيوس انما قصد مكتبة المتحف التي حرقها الرومانيون. وقد ايَّد الدكتور بطلر ذلك في كتابهِ الحديث عن فتح مصر والاسكندرية فقال ان اوروسيوس لم يذكر السيرابيوم وانما كان يتكلم عن المكتبة الاصلية التي كانت في الميوزيوم واورد نص عبارتهِ اللاتيني. لكن الدكتور بطلر يعتقد ان مكتبة السيرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح واقام ادلة كثيرة على ذلك ربما اتينا على ذكرها في فرصة اخرى. والمسألة تستحق البحث من وجهتها التاريخية اما الاستدلال بها على اخلاق الناس في الحروب والثورات فسقيم واسقم منهُ الاستدلال بها على صحة معتقدهم او فسادهِ لان الذين يرون موجباً لامتشاق الحسام وقتل اخوتهم وحرقهم لا يكبر عليهم حرق ما يمتلكون لاقلّ موجب. وحبذا لو خلت هذه الرسالة من قوارص الكلم لانها لا تزيد حجة كاتبها تاييداً ولا تنقض حجج خصمهِ

مجلة السيدات والبنات

وهي مجلة نسائية للعائلات تصدر في اول كل شهر لصاحبتها السيدة روزة انطون ناظرة

مدرسة البنات الاميركية بالابرهيمية . غرضها نشر كل ما يفيد نشرهُ للسيدات والبنات وهي لا تبحث في غير مباحثهنَّ ولا تنشر رسائل لغيرهنَّ . وقد استعانت حضرة صاحبة هذه المجلة بشقيقها الكاتب البليغ فرج افندي انطون منشئ مجلة الجامعة الغراء

وفي الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة ترجمة امرأة من شهيرات النساء وكلام عن التربية الادبية والتربية الجسدية وواجبات ربة البيت . ومراسلات بين بنات وسيدات شرقيات واخبار عن نساء الغرب ونساء الشرق وقصة شهرية وجيزة وكلام عن موضة الشهر مع رسوم وتفاصيل لها . فنثني على حضرة السيدة صاحبة المجلة ونتمنى لمجلتها النجاح

المباحث العصرية

هو مجموع مباحث ادبية اجتماعية قضائية الفهُ حضرة الباحث المجتهد ناشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية واهداهُ الى حضرة عمهِ القاضي الفاضل عزتلو يسى بك عبد الشهيد وقد اعرب المؤلف عن سعة اطلاع كما يظهر من استشهادهِ بكثير من الكتب والمجلات الاوربية الحديثة . اما المواضيع التي طرقها فمنها حقوق المجرمين والتنويم المغنطيسي والسكر واضرارهُ والاحسان وحقوق الانسان الطبيعية . ومن يقرأ الفصول كمن يقرأ مجلة من المجلات الاوربية الشهيرة كمجلة العالمين ونحوها

تهانئ الدكتور بلس

كراسة جمعت فيها بعض التهانيء التي رفعت الى استاذنا الفاضل الدكتور بلس عند استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي بالعربية خطبة لحضرة مراد افندي بارودي الصيدلاني وخطبة لحضرة الاستاذ جبر ضومط ورسالة من اميركا من ثلاثة من تلامذتهِ وهم نعمة افندي يافث وسليم افندي ابرهيم الخوري والدكتور سعيد ابو جمره وقصيدة للاستاذ ابرهيم الحوراني . وبالانكليزية كتاب من استاذنا الفاضل الدكتور ورتبات وكتاب آخر من حضرة قسطنطين افندي خوري ترجمان قنصلاتو اميركا في بيروت وخطبة لحضرة الدكتور هنري جسب . ونشر في اول هذه الكراسة ترجمة الدكتور بلس ورسمهُ منقولين عن المقتطف . واقد احسن جامعوها وناشروها لان سيَر الفضلاء واعمالهم خير ما تزدان بهِ الصحف وللدكتور بلس فضل على السوريين خصوصاً والشرقيين عموماً لا يقومون بشكرهِ مهما تكرَّر نشرهُ

حادثة المنشاوي

حادثة المنشاوي معروفة في هذا القطر لا تحتاج الى التعريف وقد نظمها حضرة الشاعر المشهور احمد افندي محرَّم في ارجوزة بديعة سماها ارجوزة محرَّم او قول الراوي في حادثة المنشاوي . وهو شاعر مطبوع يطيعهُ القريض كيف شاء وكنَّا نظن انهُ يتحامى في هذه القصيدة اموراً ينكرها غيرهُ او لم تقم الادلَّة على اثباتها بالوضوح الذي اثبتها بهِ كقولهِ ناسباً الفعل الى المأمور

فامر الخدَّام والعبيدا ومَن رآهُ بطلاً صنديدا
ان يحضروا العصي والحبالا ويفعلوا بامرهِ الاهوالا
فعذبوا اللصوص حين ذاكا وقيل ذوقوا الموت والهلاكا

وكقولهِ ناسباً الفعل الى رئيس النيابة حينما بُلِّغ شكوى المدعين انهم عذّبوا

فاهتزَّ من فرط السرور والطرب وقال يا بشرى بادراك الارب
اليوم اشفي غلة الفؤادِ وادرك الثار من الاعادي
لا بدَّ من اذلال ذاك الرجلِ لينقضي نفوذهُ ويمحي
لا بدَّ من هذا ليدري الكلُّ ان العزيز عندنا يذلُّ
ويعلم الجميع ان الامرا للانكليز منذ جاؤُوا مصرا

فاذا اطَّلع على هذه الارجوزة مَن لا يعرف احوال القطر المصري حسب اننا عدنا الى عصر المماليك . لكن قد يغتفر في الشعر ما لا يغتفر في النثر

المكتشفات المصرية

اجتمعت جمعية النقب عن الآثار المصريَّة ببلاد الانكليز في ٧ نوفمبر الماضي وخطب رئيسها السر جون اڤانس خطبة الرئاسة فذكر اولاً الذين توفوا من اعضائها في غضون العام الماضي ثم انتقل الى الآثار التي كشفت في ذلك العام فقال :

ان من النتائج التي نتجت في العام الماضي اضافة امم الى اسماء الملوك الذين حكموا القطر المصري قبل عصر الدولة الاولى من الدول المصريَّة فصارت هذه الاسماء خمسة كا ورو وزِزَر ونارمار وسما . ومما وُجد من الآثار القديمة قطع من الصوان في شكل الشفار والفؤوس والمقاشط والسكاكين . ووجدت قطعة من الصوان في شكل رأس ثور وقطعة اخرى في شكل تمساح وقطع مسننة الحد يظن الاستاذ بتري انها كانت مستعملة لنزع حراشف السمك

وقطعٌ هلالية وهي غريبة الشكل . ووجدت آنية كثيرة من الحجر ولكنها مكسَّرة كلها وآنية الحجر والخزف كثيرة وادوات من البرونز مختلفة الاشكال وعظام منقوشة نقشاً بديعاً . وقد وجد كثير من الخرز والعوذ وصفائح التقادم فاغنت المتاحف التي اضيفت اليها وطُبعت هذه الخطبة في كراسة اهديت الينا نسخة منها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تُدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) نقصان مياه الارض

بغداد . يوسف افندي يعقوب مسيّح .

وقفنا على ما جئتم بهِ من الجواب في الجزء الاول من مقتطف هذه السنة من ان مياه الارض آخذة في النقصان لدخولها في الاجسام المتبلورة وعليهِ فستجف الارض يوماً ما كما جفَّ القمر . ولا مشاحة ان جوابكم صادر عن يقين بميزانية المياه الارضيَّة التي منها استدللتم على نقصانها وقررتم على جفافها يوماً ما فما دليلكم على ذلك مع تحديد المدة التي تجف فيها الارض

ج ان القول بنقصان مياه الارض وجفافها مبني على الاستقراء والتمثيل اما الاستقراء فيدلُّ على ان الاجسام الذائبة او المصهورة تتبلور حينما ترسب او تبرد فيحبس فيها ماءُ التبلور ولما كانت حرارة الارض آخذة في الاشعاع فلا بدَّ من ان يزيد بردها فيزيد التبلور . وكذلك ترسب الذوائب منها مع الزمان والتمثيل يدل على ان القمر قد جفَّ الآن او قرُب من الجفاف ويعلم من بعض الادلة انهُ شاخ ولو كان احدث من الارض عهداً لانهُ اصغر منها جرماً فاذا شاخت الارض مثلهُ فمن المرجح انها تصير مثلهُ خالية من الماء . اما مقدار الماء الذي يدخل سنويًّا في الاجسام المتبلورة فلا سبيل لمعرفتهِ بالتدقيق ولا لمعرفة الزمن الذي تجفُّ فيهِ مياه الارض . لكن علم بالبحث ان سمك قشرة الارض في القارات كلها نحو عشرة اميال وان الماء في صخور الارض نحو ٢/١ ٢ في المئة فمقدار الماء الذي في صخورها طبقة عمقها ٤٠/١ من العشرة الاميال او ١٣٠٠ قدم ويوجد

الماء ايضاً في الصخور التي تحت البحار لكن سمك هذه الصخور قليل ولذلك قدَّر الاستاذ دانا خسارة ماء البحر من حين اخذت الصخور تتكوَّن الى الآن بما سمكهُ ٨٠٠ قدم من ماء البحر فاذا قدَّرنا عمر الارض من حين شرعت صخورها بالتكوُّن الى الآن مئة مليون سنة وظلت المياه تدخل في تركيب الصخور على معدل ما دخلت في العصور الغابرة وحسبنا متوسط عمق البحر ١٦٠٠٠ قدم فلا تزول المياه كلها الا بعد مئتي مليون سنة

(٢) انتقال جبل

ومنهُ . نقل الينا احد معارفنا انهُ طالع في احدى مجلات لقربول منذ اربع سنوات عن انتقال جبل عظيم في فرنسا يبلغ ارتفاعهُ ٣٨٠ مترًا وان هذا الجبل ظلَّ يسير ثلاثة عشر يومًا حتى وقف بالقرب من جبل آخر تجاههُ فهل لذلك من صحة

ج فيهِ شيءٌ من الصحة فان جانبًا من جبل انقدَّ ومال رويدًا رويدًا الى ان انهدم على قرية فخربها وقتل كثيرين من سكانها وامثال ذلك كثيرة في البلدان الجبليَّة ولاسيما التي تقع فيها الامطار الغزيرة والثلوج الكثيرة فان المياه تنخر سفح الجبل حتى يميل ثم يتدهور بثقلهِ ويسرع فعلها بتراكم الثلوج عليهِ

---

(٣) السيمياء

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . ما هو علم السيمياء وبماذا تعللون المناظر التي يراها الانسان كأنها حقيقيَّة

ج جاء في كتب اللغة ان السيمياء إحداث مثالات خياليَّة لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحس . ويظهر من هذا التعريف انها نوع من الاستهواء فيؤَثر انسان في آخر ويقنعهُ بانهُ يرى خيالات فيراها كما يقنع المنوّم المنوَّم بانهُ يرى ما لا وجود لهُ فيراهُ . وتعليل ذلك ان للمحسوسات كلها صورًا في ذهن الانسان فللتفاحة صورة وللبرتقالة صورة وللفرس صورة وهلمَّ جرًّا فاذا ذُكر اسم شيءٍ من هذه المسميات فالغالب ان يلتفت العقل الى صورتهِ الذهنية كما يلتفت اليها اذا رآهُ فان كانت عيناهُ مفتوحتين تريان ما امامهما وكان ذهنهُ مشغولاً بما يراهُ لم تتمثَّل لهُ الصورة العقليَّة جيدًا ولكن ان كانت عيناهُ مغمضتين وكان ذهنهُ غير مشغول بما يراهُ بل بما يشعر بهِ في الداخل تمثَّلت لهُ الصورة الذهنيَّة واضحة فيراها كأنها في الخارج . ويكثر حدوث ذلك في الهواجس والحميات . ثم اذا ضعفت القوة المميزة بالنوم او بالتنويم او بالمرض تعذر على المرء ان يحكم بان ما يراهُ صورةٌ عقليَّةٌ لا وجود لها في الخارج فيبقى على شعورهِ الاول وهو انها صورة شيءٍ حقيقي ولذلك يحسب النائم انهُ يرى ما يحلم بهِ حقيقة ويحسب المحموم ان الصور الخيالية التي يتصورها اشباح حقيقية

(٤) الحسد

ومنهُ . هل الحسد حقيقي او هو اشبه بالحب

ج الحسد شعور حقيقي في النفس فيتألم الحاسد من نعمة غيرهِ ويتمنَّى زوالها . وهو متولّد اصلاً من الجهاد وطلب الكسب والشعور بالالم عند الخيبة . فاذا قوي هذا الخُلق في انسان ولم يُصلَح بالتربية وتهذيب النفس بقي يشعر بالخسارة كلما رأى ربحاً لغيرهِ . وهو خلق في النفس مثل الحب والكرم ولكنهُ خلق رديء يضرُّ ولا ينفع

(٥) فعل الحشيش

ومنهُ . هل الحشيش يذكي العقل كما يقولون

ج قد يحدث عنهُ شيء من التنبُّه اولاً ولكن يعقبهُ خمول ونتيجتهُ ضعف العقل واختلال قواهُ ولذلك فاكثر المجانين في بيمارستان المجانين في هذه العاصمة من مستعملي الحشيش

(٦) لبس الصوف

ومنهُ . ايهما افيد أإستعمال الصوف ملاصقاً للبشرة او منفصلاً عنها بقميص من القطن مثلاً

ج ملاصقاً للبشرة لانهُ يمتص المواد الدهنية من البدن ويحفظ حرارتهُ ويقيهِ من الحر والبرد

(٧) عدوى الزهري

ومنهُ . يقولون انهُ توجد اجسام لا تتأثر من الداء الزهري ولا تصاب بهِ مطلقاً فهل ذلك صحيح

ج يقول الباحثون في هذا الموضوع ان الامم التي تصاب بهذا المرض ويستمرُّ فيها زماناً طويلاً يتطعَّم دمها بهِ حتى يضعف فعلهُ بها وحينئذٍ قد يتعرَّض لهُ بعض افرادها ولا يصابون بهِ او تكون الاصابة خفيفة يتغلَّب عليها دمهم من غير ان تظهر اعراضها فيهم

---

(٨) العلم والتعصب

سان باولو بالبرازيل . الخواجه ابرهيم شحاده فرح . لقد اكثرت مجلاَّتنا العلمية وجرائدنا العمرانية من البحث عن اسباب انحطاط الشرق واجمعت على ان الاسباب الرئيسة لانحطاطهِ هي الجهل والتعصُّب الديني وقالت ان الاول اصل والثاني فرع فمتى زال الاول زال الثاني. غير اننا نرى اكثر المتعلمين من الشرقيين اشد تعصُّباً من غيرهم واكثر تأييداً للجامعة الدينيَّة فاذاً ما هو الدواء الناجع لازالة التعصُّب الديني من الشرق والمشارقة

ج اننا اذا ذكرنا فائدة العلم في هذا المقام اردنا بهِ التربية العقلية والادبية فاذا أُحسنت تربية الناس حتى تهذَّبت اخلاقهم ورسخ في نفوسهم ان الدين من وسائط تهذيب النفس لا من وسائل الكسب ونفوذ الكلمة زال منهم الجهل الذي يؤدي الى التعصب الديني . اما الذين يتعلمون ولا تتهذب اخلاقهم

فيكتفون باتخاذ العلم وسيلة للكسب واذا وجدوا في التعصب الديني مغنمًا التمسوهُ وتذرعوا بهِ للكسب

(٩) التعصب الجنسي

ومنهُ . نرى التعصُّب الجنسي او الوطني بالغًا مبلغًا عظيمًا في هذه البلاد وكذلك نقرأ عن البلدان الاوربية حتى اصبح الاجنبي مهضوم الحقوق غالبًا وقلما تبرئ الحاكم اجنبيًا اعتدى على وطنيٍ. فهل ترون ان هذا التعصب من واجبات الامم الحية المرتقية ومن لوازم العمران او هو وهم يزول في مستقبل الايام كما زال قبلهُ التعصُّب الديني في اوربا

ج هذا التعصُّب الجنسي كان لازمًا في اوائل العمران لما كانت اسباب المعيشة قليلة او صعبة المنال اما الآن فلم يبقَ لهُ موجب عند الامم المرتقية بل صارت هذه الامم تسرُّ بمن يضاف اليها وتعدهُ كسبًا كما تسرُّ بزيادة مواليدها ولذلك نجد الانكليز يكرمون الالمانيين الذين نزلوا بلادهم واستوطنوها مثل عائلة بارنغ ومثل مكس ملر وتجد الناس من كل الامم تهاجر الى الولايات المتحدة الاميركية وتستوطنها ولا يشكو الاميركيون الا من البُهْل والكسالى الذين يعيشون من تعب غيرهم ولا تكتسب البلاد منهم . فالعمران آيل الى ازالة التعصُّب الجنسي من الذين يستوطنون بلادًا واحدة ولكنهُ لم يصل حتى الآن الى ازالة هذا التعصب من بين الامم المختلفة مثال ذلك ان الامة الانكليزيَّة لا ترضى بنجاح الامَّة الالمانية لانها تعدها مزاحمة لها ومناظرة اياها في الجهاد العام . وسيزول هذا التعصب ايضًا اذا كثرت الخيرات وسهلت اسباب المعيشة جدًّا وقلَّ العائشون على اكتاف غيرهم من اهل السيادة الذين يقسمون الامم ليسودوها

---

(١٠) الجنين او الوالدة

بيروت . ج . ز . دُعي طبيب لتوليد امرأة حامل فوجد انهُ لا يستطيع ان ينقذها وينقذ جنينها معًا ولابدَّ لهُ من المجازفة في واحد من الاثنين لتخليص الآخر فاي نفس اولى بالتخليص

ج تخليص المرأة اولى لانها اثمن عند الامَّة بما أُنفق على معيشتها وتربيتها ولان الحياة مقدورة لها اكثر مما هي مقدورة للطفل فان الاطفال يموت نصفهم قبل السنة الرابعة او الخامسة واما النساء فلا يموت نصفهنَّ في خمس سنوات ولا في عشر سنوات

---

(١١) شرب الماء السخن

اخميم . مرقس افندي ميخائيل اعتدت شرب الماء السخن قبل الفطور قدر نصف فنجان شاي فرأيت انهُ مفيد في تقليل كمية شرب الماء نهارًا فهل من ضرر يحتمل حصولهُ في المستقبل من شرب الماء السخن

ج ان شرب الماء السخن لا يضرُّ بل ينفع ولاسيما قبل الاكل لانهُ يغسل جدران المعدة من المادة المخاطية التي تكون لاصقة بها فيقوى فعلها على هضم الطعام سريعاً . ولا نرى وجهاً لحصول الضرر منهُ في المستقبل الّا اذا اعتادتهُ معدتكم ثم اضطررتم ان تبطلوهُ . ولذلك لا يحسن بالمرء ان يعوّد جسمهُ شيئاً وهو لا يستطيع ان يستمر عليهِ

(١٢) الماء والطلمبا

ومنهُ . اذا غرزت طلمبا في ساقية عمقها ستة امتار وانزلت الطلمبا ستة امتار أُخرى فهل يصعد الماء فيها بدون آلة رافعة

ج لم يتضح لنا مرادكم ولكن ان كنتم تريدون هل يصعد الماء في انبوب الطلمبا اثني عشر متراً فالجواب انهُ لا يصعد اذا كانت المروحة او الاسطوانة التي تحدث الفراغ عالية ١٢ متراً عن سطح الماء . لان الماء يرتفع في الطلمبا بضغط الهواء الجوّي وهذا الضغط يساوي نحو ٣٤ قدماً من الماء فاذا حصل فراغ فوق الماء ارتفع فيهِ نحو ٣٤ قدماً لا اكثر ولكن اذا وضعت المروحة على علو تسعة امتار فوق الماء وارتفع الانبوب فوقها ثلاثة امتار اخرى او اكثر ارتفع الماء فيهِ حسب قوة الآلة الرافعة

باب الاخبار العلمية

عجائب الراديوم

الراديوم عنصر من عناصر الارض اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ منذ نحو خمس سنوات كما ذكرنا في جزء فبراير سنة ١٨٩٩ وقد ثبتت لهُ الآن خاصة جديدة لم تثبت لغيرهِ من العناصر وهو انهُ تتولَّد منهُ الحرارة من غير ان يحدث فيهِ اقل تغير كيماوي او نحوهِ وتشع منهُ هذه الحرارة الى ما حولهُ ثم يتولَّد غيرها فيهِ وهلمَّ جرّاً كأنهُ يجمع بعض القوة من الاثير المحيط بهِ ويحولها الى حرارة .

اكتشف هذه الخاصة المسيو كوري وزوجتهُ واطلع عليها اكادمية العلوم بباريس فانهُ وجد ان حرارة ملح الراديوم تكون اعلى من حرارة الهواء المجاور لهُ درجةً ونصف درجة بميزان سنتغراد وتبقى كذلك دائماً فاذا وضع في الثلج اذابهُ وتبقى حرارتهُ اعلى من حرارة الثلج درجة ونصف درجة ولو استمرَّ وضع الثلج حولهُ اشهراً

وقد ثبت قبل الآن انهُ يخرج من الراديوم اشعة اذا وقعت على لوح مدهون بپلاتينو سيانيد الباريوم او كبريتيد التوتيا جعلت ذلك اللوح ينير كأن فيهِ مادة فصفورية .

وامتحن السر وليم كروكس ذلك امام الجمعية الملكية ببلاد الانكليز في اواخر الشهر الماضي (مارس) فبيَّن للحضور انهُ يصدر من الراديوم ذرات صغيرة جدًّا تقع على اللوح المشار اليهِ فتنير حالما تصيبهُ كما تنير قنابل المدافع حينما تصيب الغرض . ويختلف النور البادي على اللوح باختلاف نوعهِ كما ان المطر الواقع على لوح قد يبللهُ كلهُ وقد يتجمع نقطاً منفردة . وكان مع السر وليم كروكس مقدار قليل جدًّا من ملح الراديوم وهو بضع ميليغرامات لكنهُ ابان ان كل جسم يلمسهُ ينير بهِ اللوح المذكور آنفاً كأنهُ دهن بالفصفور ومع ذلك يبقى ملح الراديوم على حجمهِ ووزنهِ ولا يظهر فيهما اقل نقص

اما انارة الراديوم للاجسام المتصلة بهِ فلها شبيه في الاجسام الفصفورية وفي الفصفور نفسهِ ولكن إشعاعهُ الحرارة من غير ان تقل حرارتهُ لم يكشف لهُ مثيل في الطبيعة حتى الآن وهو اغرب اكتشافات العصر. وقد ابان المسيو بكرل قبلاً ان عنصر الاورانيوم يشع اشعة تؤثر في الواح التصوير الشمسي كما ذكرنا غير مرة الآن المسيو كوري وزوجتهُ بيّنا الآن ان الراديوم اقوى من الاورانيوم من هذا القبيل خمس مئة الف ضعف . واشعة الراديوم هذه شديدة الفعل فسيولوجيًّا فاذا وُضع في زجاجة ووضعت الزجاجة قرب جلد الانسان بضع ساعات قرَّحتهُ لانها تتلف بشرتهُ وادمتهُ اي الجلد الظاهر والباطن ولكن لا يتصل فعل الراديوم الى النسيج الخلوي الذي تحت الجلد فلا يغور الجرح في الجسم بل يبقى سطحيًّا . واذا كانت الاعصاب قريبة من سطح الجلد اماتها .وهذه الافعال كلها من الغرائب التي لم يعهد لها مثيل

رئاسة المدرسة الكلية السورية

يحتفل في العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر مايو المقبل بتنصيب الدكتور هورد بلس رئيساً للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت. وقد أُرسلت اوراق الدعوة الى هذا الاحتفال بامضاء المستر مورس جسب رئيس لجنة وكلاء المدرسة في اميركا والمستر ستورت ضدج سكرتيرها. فتتلى في اليوم الاول وهو يوم الاحد خطب موضوعها اسس الايمان الديني وتجتمع في اليوم الثاني جمعيات المدرسة العلمية والادبيَّة وتُلعَب فيهِ الالعاب الرياضية ويسمَّى يوم التلامذة . وتتلى في اليوم الثالث خطب من التلامذة المنتهين والذين تخرَّجوا في المدرسة وتولم لهم وليمة ويستقبل الرئيسُ السابقُ الرئيسَ الجديدَ والاساتذة وزوجاتهم في النادي الجديد المسمى بنادي بوست . وتقام في اليوم الرابع مذاكرات ومحاورات علميَّة

هبات اميركا لسوريا

بينا نرى اهالي القطر المصري يبذلون

الجهد في جمع المال لانشاء مدرسة عالية في الاسكندرية فلا يجتمع لديهم عشرة آلاف جنيه نرى لجنة وكلاء المدرسة الكلية السورية تجمع لها المال من محسني اميركا بمئات الالوف فقد اتصل بنا حين كتابة هذه السطور ان اللجنة المشار اليها عزمت على جمع نصف مليون ريال اي مئة الف جنيه وقد جمعت منها حتى اوائل الشهر الماضي ١٢٧ الف ريال اي اكثر من خمسة وعشرين الف جنيه ولا بدَّ من ان تنجح في جمع المال المطلوب ولكن تبقى فائدة تلك المدرسة لبلاد الشام قليلة جداً ما دامت حكومة البلاد تأبى الانتفاع بها

كيف تعشب الارض

مَن ينظر الى الاراضي القاحلة في هذا القطر وليس فيها نبات اخضر يعجب من نمو انواع مختلفة من النبات حيث لا يزرعها الانسان ولكن لو وقع المطر في هذا القطر كما يقع في غيره من الاقطار ما رأيت شبرًا من الارض خالياً من النبات سواء زرعهُ الانسان فيهِ او لم يزرعهُ فان الرياح والطيور تنقل البزور من مكان الى آخر وتفرّقها على وجه الارض . مثال ذلك انهُ لما ثار البركان في جزيرة كراكاتوى سنة ١٨٨٣ لم يبقَ فيها حيًا لا حيوانًا ولا نباتاً ثم زار الدكتور ترب تلك الجزيرة بعد ثلاث سنوات فوجد بعض الطحالب اخذت تنمو على الحمم البركانية فغطتها بمادة غروية حللت الطبقة الظاهرة منها وجعلتها تربة صالحة لنمو الاشنان فنمت وبلغت انواعها حينئذٍ اثني عشر نوعاً ونمت معها نباتات اخرى من ذوات الازهار

وسنة ١٨٩٧ زار الجزيرة جماعة من علماء النبات فوجدوا انواع النبات قد كثرت فيها حتى بلغت ٥٣ نوعاً ورجحوا ان اربعة انواع منها حملتها الطيور الى الجزيرة و ١٨ نوعاً حملتها الرياح و ٣٢ حملتها امواج البحر والقتها هناك . والجزيرة تبعد عشرين ميلاً عن جاوى وعشرين ميلاً عن سمطرة ولا يعلم ان انسانًا نقل اليها بزرة واحدة من بزور النباتات التي نبتت فيها

جواهر المادة

كان المظنون منذ بضع سنوات ان جواهر الاجسام هي اصغر جزء يمكن الوصول اليهِ منها . ولا شبهة في انها صغيرة جداً لا ترى بالعين ولا باقوى انواع الميكرسكوب ولكن قد ثبت الآن وجود جواهر اصغر منها جداً سُميت بالالكترون او الايون (الشوارد) وقد قال السر اوليفر لدج في خطبة خطبها حديثاً ان قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين اكبر من قطر الشاردة من هذه الشوارد مئة الف ضعف . والشوارد تكون في الجوهر الفرد كالنمل في المدن واوضح ذلك بمثل قائلاً هب

اننا كبَّرنا الجوهر الفرد حتى صار مثل كنيسة كبيرة طولها ١٦٠ قدماً وعرضها ٨٠ قدماً وعلوها ٤٠ قدماً وكان فيها الف شاردة لا يكون جرم الشاردة منها اكبر من جرم النقطة التي توضع على الحروف المنقوط في هذه الصفحة . وبهذه الشوارد يعلل النور والكهربائية والجاذبيَّة والاستمرار وسنأتي على خطبة الخطيب في جزءٍ تالٍ

هبات اميركية جديدة

وهب المستر ركفلر جون مئتي الف جنيه لمدرسة شيكاغو الجامعة ووُهبت تلك المدرسة هبات اخرى حديثاً يبلغ مجموعها ١٠٥٢٠٠ جنيه . وستنال مدرسة تولاين الجامعة مئتي الف جنيه من تركة المستر هتشنصن . ونالت مدرسة بنسلفانيا من الهبات في غضون السنة ما مجموعهُ ١٨٧٣٧٠ جنيهاً . ووهب المستر كجايت مدرسة كجايت الجامعة عشرين الف جنيه بعد ان وهبها مئتي الف جنيه . والهبات التي مقدار الهبة منها عشرون الف جنيه وعشرة آلاف جنيه كثيرة فلا نتعرَّض لذكرها

ثوران بزوف

ثار بركان بزوف في اوائل الشهر الماضي واشتدَّ ثورانهُ في الحادي عشر من الشهر فقذف اعمدة كبيرة من البخار وقطعاً من الحمم الملتهبة ارتفع بعضها الف قدم في الجو

مصباح البكتيريا

يتذكر الذين زاروا معرض باريس ودخلوا قصر البصريَّات انهُ عرضت عليهم هنالك قناني صغيرة فيها سائل ينير في الظلام ولاسيما اذا حرّك . وسبب الانارة وجود احياء صغيرة تنير في الظلام كالاحياء التي ينير بها ماء البحر احياناً . وقد جاء من ڤينَّا الآن ان الاستاذ مولش صنع مصباحاً ينير بهذه الاحياء او الميكروبات فيبطَّن من الداخل بالهلام وملح البارود وتزرع فيهِ الميكروبات المنيرة فلا يمرُّ يومان حتى يأخذ المصباح ينير بنور ساطع ويبقى نورهُ ساطعاً اسبوعين او ثلاثة

الاستاذ هركنس

توفي الاستاذ هركنس مدير مرصد الحكومة الاميركية في مدينة وشنطون وكان من علماء الفلك المعدودين تولَّى ادارة ذلك المرصد وتدريس علم الفلك منذ سنة ١٨٦٣ وبهمتهِ صار لمرصد وشنطون الشان الاول بين المراصد الكبيرة

رئيس المجمع البريطاني

انتخب المستر بلفور وزير انكلترا الاول رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعهِ التالي سنة ١٩٠٤ في مدينة كمبردج . ومتى صار وزراء بلاد رؤَساء مجامعها العلمية عن اهليَّة تامة فبشرها بالفلاح التام

الكتابة الافرنجية القائمة

اثبت بعضهم ان الكتابة الافرنجية المائلة الحروف تجعل الكاتب ينحرف ويحرف عموده الفقري فتتشوه قامته واشار ان يتعلم الاولاد الكتابة القائمة الحروف فيسلموا من هذه الشائبة

شركات الترنسفال

في جنوبي افريقية ٣٥٠ شركة من الشركات الصناعية التجارية لاستخراج الماس والمعادن وما اشبه رأس مالها نحو ١٢٥ مليون جنيه

جرائد تلغراف مركوني

انشأت ست من السفن البخارية التي تسير بين اوربا واميركا جرائد اخبار تجمع الاخبار بتلغراف مركوني وهي في عرض الاوقيانوس وتطبعها وتنشرها على الركاب

امتلاك بركان

اشترى جماعة من الاميركيين بركاناً في بلاد المكسيك بمليون جنيه لكي يستخرجوا منهُ الكبريت الراسب حول قنتهِ

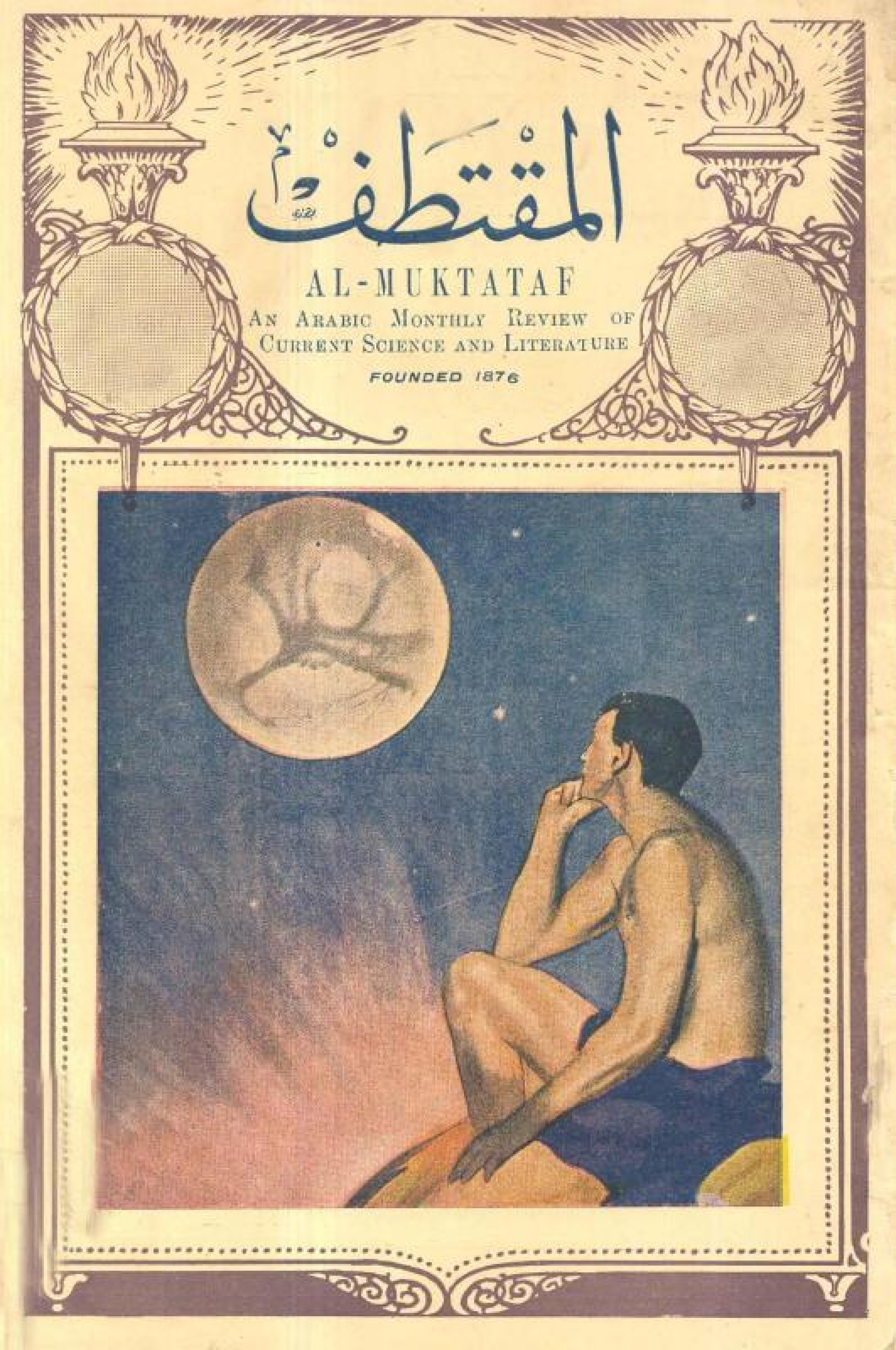
عاصفة بلاد الانكليز

ثارت عاصفة شديدة على البلاد الانكليزية في السابع والعشرين من شهر فبراير الماضي بلغت سرعة الريح فيها ٩٢ ميلاً في الساعة فقلبت قطاراً من قطارات سكة الحديد واقتلعت ما لا يحصى من الاشجار وقطعت اسلاك التلغراف ويقال انهُ لم تصب تلك البلاد بعاصفة مثلها منذ ٦٤ سنة الى الآن

مركبة مصرية قديمة

اضيف الى المتحف المصري في هذين اليومين الجانب الامامي من مركبة الملك تحتمس الرابع من ملوك الدولة الثامنة عشرة الذي كان قبل المسيح باكثر من الف وخمسماية سنة . وهو صفيحة من الخشب ملبَّسة بالمقوَّى من الداخل والخارج شكلها كنصف اسطوانة مجوفة خطوطها كلها منحنية انحناء جميلاً وسطحاها الظاهر والباطن مغطيان بالنقوش البديعة وعلى السطح الظاهر صورة واقعة حربية رمزيَّة فترى على الجانب الايمن الملك واقفاً في مركبتهِ يجرها جوادان وقد اوتر قوسهُ وقتلى الاعداء وجرحاهم تحت عجل المركبة ومركبات جنودهِ سائرة امامهُ وعلى الجانب الايسر تراهُ واقفاً في مركبتهِ وقابضاً على نواصي اعدائهِ . والاعداء كلهم من شمالي سوريَّة شم الانوف قصار اللحى كالاكراد او كالحثيين . وفي الوسط بين الجانبين صورة الآلهة بشت برأس لبوة وبدن صقر والشمس ذات الصلين فوق رأسها وتحتها الاسرى او امم الشمال مقيدين بالحبال بمصر العليا والسفلى . وعلى الظاهر والباطن كتابات ورموز كثيرة ربما اتينا عليها بالتفصيل في فرصة اخرى

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين



المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ صفر سنة ١٣٢١

عمران العراق

(١) شرائع همورابي

سننشر في مكان آخر من هذا الجزء خطابة للسر وليم ولككس عن العراق وما يمكن ان يفعل فيهِ حتى يعود العمران اليهِ وتتدفق الخيرات منهُ كما كانت تتدفق على عهد سكانهِ الاولين من البابليين والاشوريين. وقد كُشف في تلك البلاد منذ عهد قريب كتابات قديمة فيها شرائع احد ملوكها الاقدمين المسمَّى همورابي كما ذكرنا في الجزء الثاني من هذه السنة . ورأينا الآن في جريدة التيمس مقالة مسهبة عن هذه الشرائع فلخصناها واضفنا اليها ما تتم بهِ الفائدة

قال همورابي في فاتحة شرائعهِ . " انا همورابي الملك المجيد عابد الهي سننتُ شريعةً لنشر العدل في البلاد للشاهد والمدعي والمدعى عليهِ لكي يبيد الظالم ويُنصف المظلوم ". هكذا بُدئت اعجب كتابة تاريخية كُشفت حتى الآن في اطلال المدن القديمة . وحينما نقرأُ ما كتبهُ هذا الملك الذي يجب ان يحسب ابًا للشرائع والقوانين في كل زمان ومكان يعسر علينا ان نصدّق ان شرائعهُ هذه على ما فيها من الدقة سُنَّت قبل زمان موسى بالف سنة وقبل شرائع مانو وغيرهِ من المشترعين الاقدمين بل هناك ادلة كثيرة على ان بعض الشرائع التي جمعها كانت معروفة قبل زمانهِ

والاثر الذي وجدت هذه الشرائع مكتوبة عليهِ عمود من الصوان الاسود طولهُ ثماني اقدام اكتشفهُ المسيو دو مورجان في خرائب السوس في غرّة العام الماضي فصوّرهُ وقرأ الدكتور شيل الكتابة التي عليهِ وترجمها ثم نُشرت بامر نظارة المعارف الفرنسويَّة . وعلى العمود صورة هذا الملك واقفًا امام معبودهِ والمعبود جالس على عرش واللهب منتشر من منكبيهِ في

شكل جناحين وهو يملي على الملك هذه الشرائع . وفي رأي الدكتور شيل ان هذه الصورة هي صورة اله الشمس ولكن المرجح انها صورة الاله بل او اللو رب الجبل العظيم ويلقَّب في فاتحة الشرائع بالاله العظيم ملك الارواح ورب السماء والارض ويسمّى هيكلهُ بيت الجبل . وكان البابليون يعتقدون ان الاله "بل" يسكن جبل الارض و يعطي الشرائع للناس ويلبس على صدرهِ لوحاً فيهِ علم الغيب

والكتابة منقوشة على العمود في تسعة واربعين حقلاً فيها نحو ثلاثة آلاف سطر وهي سفينيّة متقنة جدًّا من الكتابة التي بقي ملوك بابل يستعملونها الى ما بعد اختراع الخط المعلَّق بزمن طويل كما يرى في كتابة الملك سرجون الثاني التي تاريخها سنة ٧٢١ قبل المسيح وهي الآن في متحف برلين

وتبتدئ الكتابة بذكر القاب الملك وتنصيب الآلهة لهُ ورفع بابل الى مقام العاصمة ونحو ذلك من الاخبار التي لولا مايتلوها من نص الشرائع لعدَّت وحدها من اهم الكتابات التي كُشفت حتى الآن لكثرة ما فيها من الاخبار التاريخيَّة كقولهِ " انا مسكّن القبائل ومرشد الشعوب الذي ردَّ الى مدينة اشور صنمها الكريم وجعلهُ يشرق ببهائهِ الملكُ الذي جعل حلى الالهة استار تشرق في هيكل نينوى " . فتبيَّن من ذلك ان اشور ونينوى كانتا معاصرتين لهُ

والشرائع تملأُ تسعة عشر حقلاً مقسومة الى ٢٨٠ فصلاً وقد قال في مقدمتها " اقمت شريعة العدل في البلاد فاسعدتُ بها العباد " . هذا هو الاساس الذي بنى عليهِ الناس شرائعهم وبهِ نجحت الامم وسارت الممالك . ويجب ان يبدل القول القائل " العدل اساس الملك " بقول اصحّ منهُ واعمّ وهو العدل اساس العمران . العدل عمَّر بلاد العراق وقد خربت لما زال منها . ثم بيَّن السبب الذي دعاهُ الى كتابة هذه الشرائع على عمود فقال انهُ كتبها عليهِ ليراها المظلومون ويطلبوا الانصاف من الظالمين ونصبهُ في هيكل مُردخ في بابل ليراهُ الجميع . ويظهر من رسائلهِ التي وجدت هناك وهي الآن في دار التحف بمدينة لندن ان قولهُ هذا ليس من قبيل الدعوى بل كان ينصف المظلوم من الظالم حقيقةً ويهتم باضعف رعاياهُ كما يهتم باعظمهم. وقد كتب شرائعهُ بلغة بسيطة جدًّا خالية من كل تعقيد وابهام حتى يفهمها الفقراء والضعفاء ولذلك حقَّ لهُ ان يقول " اني كنت لشعبي كالاب لبنيهِ "

والشرائع تتناول كل معاملات الناس من الفرائض الدينية الى اجور العمال . ولها ثلاثة اصول تبنى عليها الاصل الاول مسئولية الانسان فيجازى بمثل ما فعل مع تخفيف الجزاء بالفدية . والثاني الاعتماد على القسم بالله كما في الشريعة الموسوية . والثالث لزوم المستندات المكتتبة . فان كل المعاملات التجارية والحقوقية كانت تقتضي صكوكاً مكتوبة ومختومة فلا يسلّم احدٌ

مالاً او بضاعة لغيرهِ ما لم يأخذ منهُ وصلاً مختوماً بختمهِ تذكر فيهِ كمية المال ومفردات البضاعة

والشرائع المختصة بالارض على غاية الاسهاب كما هو الواجب في البلدان الزراعية . من ذلك ان الارض يجب ان تزرع واذا اهمل صاحبها زرعها بقي مضطراً ان يدفع المال عنها كما يُدفع المال عن الاراضي المجاورة لها . واذا تلف الزرع بسبب آفة جوية أُعفي صاحبهُ من ربا ما استدانهُ عليهِ من المال . ومن اتلف ارضاً بسبب ترعة حفرها لجر الماء الى ارضهِ وجب عليهِ ان يدفع لصاحبها قيمة ما اتلفهُ

وشرائع التجارة على غاية الاهمية كما ينتظر من بلاد راجت فيها التجارة ولاسيما ما يتعلَّق منها بالعملاء والذين يجولون من مكان الى آخر لبيع البضائع . ومن البنود التي وردت في شأنهم ما يأتي : اذا ادَّعى بائع من هؤلاء الباعة ان العدو هجم عليهِ وسلب منهُ البضاعة واكَّد دعواهُ بقسم يطلَق سراحهُ واذا سلَّم تاجر بضاعة الوكيل يتَّجر بها وجب على الوكيل ان يكتب ما يستلمهُ من النقود ويسلمها للتاجر ويستلم منهُ وصلاً مختوماً بختمهِ . واذا وقعت خصومة بين اثنين او اكثر وجب على كلٍّ من المتخاصمين ان يبرز كل ما عندهُ من الشهود والمستندات

وكان بيع الخمر عندهم خاصاً بالنساء ولا يجوز لهنَّ بيعها الاَّ في مكان خاص بذلك ومن خالفت هذا الامر فعقابها الموت . وهذا عقاب بائعة الخمر اذا اسكر عندها الناس واختصموا ولم تسلمهم للقضاء

وكان للمرأة شأن رفيع عندهم كما يظهر من البنود التالية . اذا اشار رجل بيدهِ الى امرأة غيرهِ ولم يبرر نفسهُ يكوى في جبينهِ . لا يتم عقد الزواج الاَّ بتسجيلهِ . يجوز للرجل ان يطلق زوجتهُ اذا كانت عاقراً والاَّ لزمتهُ نفقتها ونفقة اولادها وان يعطيها من ميراثهِ نصيب ابن من ابنائهِ ويجوز لها ان تتزوج رجلاً آخر . يجوز للمرأة ان تطلب طلاقها من زوجها فان طلقها فبهِ والاَّ فلا واذا كانت مريضة جاز لهُ ان يتزوج غيرها ولكن لا يجوز لهُ تطليقها

وشرائع الملك كثيرة وهي مبنيَّة على نظام المساواة وحفظ حقوق الضعفاء . مثال ذلك ما جاء في الكلام على الارملة التي تتزوج وهو

اذا ارادت ارملة اولادها قصَّر ان تتزوج وجب عليها ان تستأذن القاضي واذا اذن لها وجب عليهِ ان يسلم زوجها الثاني بيت زوجها الاول وممتلكاتهِ كلها ويأخذ عليهِ صكاً بها مشترطاً عليهِ ان يعتني بها وباولاد زوجتهِ من زوجها الاول ويحفظ لهم املاكهُ ولا يجوز لهُ ان يبيع شيئاً منها وان باع يلزم المشتري رد ما اشتراهُ ويخسر ثمنهُ

وكانت المحكمة في الهيكل العظيم وهو في قلب المدينة وهناك كانت خزينة الحكومة التي تدفع منها فدية الاسرى من رؤساء الجند

ثم قابل الكاتب شريعة همورابي بشريعة موسى وبيَّن وجوه الاتفاق بينهما مثال ذلك في شريعة همورابي اذا ضرب انسان آخر في خصام وجرحهُ واقسم انهُ لم يضربهُ عن قصد يدفع اجرة الطبيب . وفي شريعة موسى "اذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الآخر بحجر او بلكمة ولم يقتل . . . يكون الضارب بريئاً الاَّ انهُ يعوض عطلتهُ وينفق على شفائهِ" . ومن يشتم اباهُ يعاقب في الشريعة البابلية بقطع يديهِ وفي الشريعة الموسويَّة بالقتل . واذا نطح ثور رجلاً او امرأةً فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمهُ في شريعة موسى واما صاحبهُ فيكون بريئاً ولكن اذا كان ثورًا نطاحًا من قبلُ وقد أُشهِدَ على صاحبهِ ولم يضبطهُ فقتل رجلاً او امرأةً فالثور يرجم وصاحبهُ ايضاً يقتل ان وُضعت عليهِ فدية يدفع فداء نفسهِ كل ما يوضع عليهِ . وكذلك في شريعة همورابي يكون صاحب الثور بريئاً اذا نطح انساناً وقتلهُ واما اذا نطح انساناً وعرف صاحبهُ بذلك ولم يكسر قرنيهِ او لم يربطهُ لكي لا يخرج من دارهِ ثم نطح انساناً آخر وقتلهُ وجب عليهِ ان يدفع ثلاثين شاقلاً من الفضة

ومن رأي الكاتب ان الشريعة الموسوية استمدَّت بعض اصولها من الشريعة البابليَّة لاسيما وان سلطة ملوك بابل كانت منتشرة في فلسطين قبل كتابة الشريعة الموسوية وعندهُ ان اسرة همورابي عربيَّة الاصل . فالعرب هم الذين وضعوا تلك الشريعة

(٢) اصل اهالي بابل

بابل او العراق على ضفاف الفرات ودجلة في الدلتا المكوَّنة من طينهما وسننشر رسم البلاد كلها مع خطبة السر وليم ولككس . وقد كان بحر فارس في قديم الزمان ممتدًا شمالاً وحسب بعضهم انهُ يتأخر جنوباً اكثر من مئة قدم كل سنة بدليل ان مدينة المحمرة كانت على ميل واحد من البحر في زمن الاسكندر المكدوني فصار بعدها عنهُ سنة ١٨٣٥ سبعة واربعين ميلاً اي بلغ انحسار ماء البحر ٤٦ ميلاً في ٢١٦٠ سنة او نحو ١١٥ قدماً كل سنة . والمرجح ان متوسط انحسار الماء لم يزد على مئة قدم في السنة من السنين الغابرة . ويعرف الآن ان مرفأ المملكة الكلدانيَّة القديمة كان مدينة اريدو حيث الخرائب المعروفة بالنواويس وهي الآن على مئة وثلاثين ميلاً من شاطئ البحر . او ٦٨٦٤٠٠ فقد كانت مرفأ لبلاد الكلدان قبل المسيح بستة آلاف وثمانمئة واربع وستين سنة اذا صحَّت القاعدة المتقدمة وهي ان انحسار الماء نحو قدم كل سنة

وعلى ثلاثين ميلاً من اريدو شمالاً خرائب مدينة اور المذكورة في التوراة باسم اور الكلدانيين ولا تزال انقاض هيكلها الى الآن واسمهُ المقيَّر اي المشيد بالقار ويظن الدكتور

يترس ان قوماً من اهالي (نبور) نفار شمالي بابل هاجروا اليها وبنوها على رمال الصحراء قبلما صارت الارض التي بين الفرات ودجلة صالحة للسكن . ومن نبور واريدو نشأ العمران البابلي وانتشر في المسكونة . قال الاستاذ سايس ويسمّى سكانها الاصليون باسم السماريين وكانوا يتكلمون لغة ممزوجة من لغات مختلفة وهم اوجدوا عمران بلاد بابل انشأوا مدنها وبنوا هياكلها واستنبطوا كتابة صورية جُزِمت الكتابة السفينية منها وعلّموا جيرانهم الساميين مبادئ العلوم والفنون . ويدلُّك على قدم عمرانهم ورسوخ قدمهِ ان عمران غربي اسيا كان جارياً بلغة السماريين وكتابتهم . ومهما كانت قبيلة الكاتب وامتهُ لم يكن يعبّر عن افكارهِ اذا اراد التعبير عنها كتابة الأ بلغة السماريين وحروفهم

ومن السماريين تعلّم الساميون سكن المدن فان الكلمة التي معناها مدينة في اللغة العبرانية وهي الو او أهل معناها الاصلي خيمة . والكلمة التي معناها قصر وهي هيكل مأخوذة من السمارية فانها فيها اكل اي بيت كبير

ثم كثر الساميون في العراق وامتزجوا بالسماريين سكان البلاد الاصليين وامتزجت لغتهم بلغتهم فصاروا شعباً واحداً وصارت لغتهم واحدة اي مزيجاً من اللغتين الاصليتين . واصلح الساميون ما ورثوهُ من السماريين واختزلوا كتابتهم . وبلغت الكتابة حدها من الاتقان على المرجح في بلاط الملك سرجون وهو اول ملك انشأ مملكة سامية في اسيا . ويستدل مما قالهُ عنهُ المؤرخون البابليون انهُ كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وثمانمئة سنة وامتدت سطوتهُ الى بحر الروم غرباً او الى جزيرة قبرص . وخلفهُ ابنهُ نرام سن ووصل في غزواتهِ الى جبل سينا واستخرج النحاس منهُ وكانت بلاد الشام خاضعة لهُ

وكثر الساميون في العراق وجاءهُ العرب وتغلبوا عليهِ وكان ملوكهُ منهم في زمن ابرهيم الخليل كما يظهر من اسمائهم المحفوظة الى الان . وكان الكتّاب البابليون يسمونهم باسمائهم العربيّة ويترجمونها الى اللغة البابليّة . وفي ذلك الزمن جاء امير اسمهُ كلدة ونزل في بطائح الفرات ونشأ من نسلهِ الملك مردخ بلادان ملك بابل فسميت البلاد باسم قبيلتهِ بلاد الكلدانيين لانهُ حارب الاشوريين ومنعهم من التسلّط على العراق

ثم جاء على البلاد اقوام من جبال عيلام وملكوها وهم الذين سمّاهم استرابون المؤرخ باسم الكوسان فصار اهالي بابل اخلاطاً من السماريين والساميين والكوسانيين ومتى اختلطت الامم قوي نسلها ولذلك فاق عمرانُ بابل عمران نينوى . ووجد البابليون في ارضهم في خصبها الطبيعي وموقعها الجغرافي ما حملهم على اتقان الزراعة والتجارة والعلوم والفنون فكانوا

اهل زراعة وتجارة ووضعوا الهندسة والحساب لكي يحسنوا ري ارضهم وحفظ تجارتهم وركبوا بحر فارس وداروا حول بلاد العرب . وكانت بلادهم سهلاً لا حجارة فيهِ فبنوا بيوتهم باللبن المجفف في الشمس او المحروق بالنار وسقفوها بجزوع النخل وطلوها بالشيد ونقشوها وزوقوها فنشأَت عندهم صناعة البناء وصناعة النقش

ولقلة الحجارة في بلادهم صاروا يحتفظون بكل حصاة يجدونها وينقشونها ويصنعون منها ختماً يختمون بهِ ما يريدون توقيعهُ اما كتاباتهم فكانوا يكتبونها على اللبن والاجر فكانت ابقى من القرطاس

(٣) معاملاتهم المالية

لو أُرسل رجل مثل لورد كرومر سفيرًا الى مدينة بابل في عهد ملوكها الاولين وطُلب منهُ ان يخبر دولتهُ عن احوالها وانشأ في ذلك تقريرًا مسهبًا كما ينشئ الآن عن القطر المصري لبدأ تقريرهُ بوصف احوالها المالية لان المال المقياس الحقيقي لتقدم الممالك . وها نحن نجري مجراهُ ونلخص هذا الفصل عن احوال البابليين المالية لانهُ يُستدلُّ منها على تقدمهم في العصور الغابرة وعلى ما تحتملهُ بلادهم من التقدم لو أُصلحت ادارتها

وهذا الفصل نلخصهُ عما كتبهُ الاستاذ سايس حديثاً في كتابهِ عن بابل واشور قال

كان لاقراض الدراهم المقام الاول بين الاعمال المالية التي كان البابليون يتعاطونها فانهُ كان من اربح اعمالهم ولم يكن احد يأنف من تعاطيهِ مهما كان مقامهُ رفيعاً حتى اولاد الملوك كانوا يدينون المال بربًا فاحش ويرتهنون املاك المديون وكانوا يفعلون ذلك على يد وكلائهم ولكن اذا وقع خلاف بينهم وبين المديون فهم المطالَبون لدى القانون لا الوكلاء

والسبب الاول للدين في ما يظهر اضطرار الملوك الى جمع الضرائب للانفاق على جيوشهم قبلما تباع غلة الارض فكان المموّلون يضطرون ان يقترضوا ما يوفوا بهِ مال الحكومة كما يفعل الفلاحون في مصر الآن

ونشأَت عندهم بيوت مالية دامت مئات من السنين مثل بيت اجيبي فانهُ نشأ قبل ايام سنحاريب ودام الى ايام داريوس فكان مثل بيت روشيلد في هذا العصر . كان يقرض المال للمملكة وللتجار ويوكّل عن الناس في الاشغال والدعاوى وتودع عندهُ الصكوك والعقود ولا يزال كثير من صكوكهِ وسفاتجهِ وحججهِ محفوظاً الى الآن. وكان اهل بابل يوفون اصل الدين ورباهُ في زمن الموسم او يقسطونهما اقساطاً شهريةً او يقسطون الربا ويتركون الاصل حتى يدفع كلهُ دفعةً واحدة. واختلف مقدار الربا عندهم فكان اولاً عشرين في المئة ثم قلَّ رويدًا رويدًا

حتى بلغ في عهد نبوخذنصر عشرة في المئة ثم قلّ عن ذلك حتى بلغ اثنين في المئة لكن كان هذا في زمن ضعف بابل وقلة الطلب على النقود حتى ان واحداً من يت اجيبي اقرض رجلاً وامرأته نقوداً من غير ربا مشترطاً عليهما ان يوفياه الاصل حينما تسود السكينة على البلاد وكان الدائن يرتهن املاك المديون ضماناً لدينهِ ويُشهد عليهِ الشهود مثال ذلك صك كُتِب



صورة صك مكتوب بالقلم السفيني على قطعة من الاجر تاريخها اليوم الثامن من شباط في السنة التي ارتقى فيها نريغلاسر ملك بابل الى عرش الملك وعلوه اسماء الشهود

في زمن الملك نبونيدس عن مال استدين من واحد من يت اجيبي وهذه ترجمته "منا من الفضة مُلْك ندين مردخ بن اقصى بعل بن نورسن استلمهُ نبوبلادان بن ندين سمي وبودهرت بنت سمس ابوس في شهر تسري وتعهدا بدفع المال ورباهُ ورهنا عند ندين مردخ بستانهما الاعلى المجاور لبستان سم يكين بن سانبوسو وبستانهما الاسفل المتاخم يت سير

وهو مزروع نخلاً واذا عجزا عن ايفاء هذا الدين فلنديين مردخ الحق الاول في هذين البستانين لا يحق لاحد ان يمتلكهما قبلما يستوفي الدين ورباهُ . وفي شهر تسري يثمن التمر الذي في النخل بسعره الجاري في مدينة سخرين ويأخذهُ ندين مردخ بدل الربا . والمديون استدان المال لايفاء الضريبة المفروضة عليهِ لاجل ابتياع الاسلحة لجنود الملك . شهد بذلك نبويل سونو بن بواخي بن داهق ونبودني ابوس بن كنونة ونبوزيرا اوسابسي بن سمس بن بزوزو ومردخ ابرا بن ندين والكاتب بعل الدين بن بعل يخير بن دبيبو كتب في مدينة سخرين في الثامن والعشرين من شهر ايار في السنة الثالثة لنبونيدس ملك بابل"

وكانت نقودهم من الذهب والفضة كانوا يتعاملون بها وزناً في اول الامر وكانت نسبة الذهب الى الفضة عندهم في عهد نبوخذنصر كنسبة ١١ الى ١ اي ان المثقال من الذهب يساوي احد عشر مثقالاً من الفضة ثم زادت نسبة الذهب الى الفضة قليلاً في السنة الحادية عشرة من ملك نبونيدس خليفتهِ فصارت مثل ١٢ الى ١ . وكانت معايير الذهب والفضة واحدة وهي الوزنة وتساوي ٦٠ مناً والمنا يساوي ستين شاقلاً . وقيمة الشاقل من الفضة ١٥ غرشاً مصرياً فقيمة المنا تسعة جنيهات وقيمة الوزنة ٤٥٠ جنيهاً . واستعملوا النحاس ايضاً في معاملاتهم ولكن استعمالهُ لم يكن قديماً بل حدث في آخر زمان بابل . وكان اعتمادهم في المعاملات على الفضة وعلى المنا لا على الوزنة ولا على الذهب فهو كان المقياس وقد حُدّد وزنهُ في زمن الملك دنجي سنة ٢٧٠٠ قبل المسيح ووجدت قطعة من الحجر الصلب كُتب عليها ان وزنها منا وانها معايرة مع منا نبوخذنصر ملك بابل بن نبوبولصّر ملك بابل على المعيار الذي وضعهُ الملك دنجي . ووزن هذا المنا فاذا هو ٩٧٨ غراماً واذا فرض انهُ خسر غرامين بالاستعمال فوزنهُ الاصلي ٩٨٠ غراماً هذا هو المنا الاصلي او السلطاني وكان عندهم مناً آخر وزنهُ نحو ٥٦١ غراماً

وكانت قطع النقود توزن وزناً في اول الامر كما تقدَّم ثم صار وزنها محدوداً ولكنها بقيت تعاير وقت التعامل بها خوفاً من الغش . ثم صار ينقش عليها زنتها وقيمتها . والظاهر ان البابليين فعلوا ذلك من عهد ابرهيم الخليل وكان عندهم نقود مختلفة في زمن نبوخذنصَّر قيمة الواحد منها شاقل او خمسة شواقل او خمسة اسداس المنا او ثلثاهُ او ثلثهُ او نصفهُ او ربعهُ او ثلاثة ارباعهِ . ومن رأي الاستاذ سايس ان البابليين هم اول من استنبط سك النقود وان الليديين واليونانيين تعلموا ذلك منهم

وقد ظهر من المكتشفات الحديثة انهُ وجد في بابل بيت مالي آخر مثل بيت اجيبي قبل المسيح بالفين وسبع مئة سنة ولكن كانت التجارة في ايامهِ مقتصرة على حاصلات البلاد كالغنم والبقر والصوف والحبوب والتمر والقار . وسيأتي الكلام على اشياء اخرى من مقومات العمران البابلي

الاوقاف الاسلامية

الامم من حيث كيانها متشاكلة وفي وجوه مرافقها ومصالحها متشابهة تتبع المتأخرة منها سنن المتقدمة وقلما تخالفها الأ فيما هو من طبيعة الارتقاء الطبيعي والتدرج الحيوي. كان الانسان في اول دوره لا يعرف الشفقة وربما أكل لحم أخيه حياً او ميتاً ولم يكرهه فلما قضى زمن الهمجية الاولى بدأت تدبُّ الشفقة فيه ديب الحياة في الاجسام وأخذت اذواق البشر تلطف وعواطفهم ترقّ فيتعارفون ويتآخون ويتآسون بالمعروف فأصبح الكبير والغنيّ يشعران بان وراءهما مُطالبٌ من الدين او الانسانية يستحثهما على العناية بالصغير والبائس وإطعام القانع والمعترّ ومن هنا كانت مشروعية الصدقات والزكوات. والوقف هو من جملة الحسنات المتكفلة بهذه الغاية الشريفة. سنّت الاوقاف في الاسلام على عهد صاحب الرسالة ذلك ان أحد شهداء وقعة أُحُد واسمهُ مخيريق عهد الى الرسول قبل قتله ان يضع امواله حيث اراد فحبسها على سبعة حوائط وهي كروم النخل في المدينة فاصبحت الاموال المحبوسة من ذلك العهد لا تشرى ولا تورث ولا توهب وأخذ بعض الناس يحبسون اموالهم على أعقابهم واعقاب اعقابهم

قال في الاسعاف تصدّق النبيّ (ص) بسبعة حوائط في المدينة وقد وقف الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهذا اجماع منهم على جواز الوقف ولزومه ولان الحاجة ماسة الى جوازه لقول زيد بن ثابت لم نرَ خيراً للميت ولا للحيّ من هذه الحُبس الموقوفة أما الميت فيجري أجرها عليه وأما الحيّ فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها

هذا مبدأ الوقف الاسلامي قال الشافعي لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمت وانما حبس أهل الاسلام [1] وما برحت الاوقاف تنمو بنمو الثروة والتبسط في مناحي الملك

(1) من احب التوسع في معرفة الوقف وما تفرّع منهُ فليرجع الى كتب الفقه خصوصاً كتاب الوقف في الجزء الثالث من حاشية ابن عابدين والاسعاف في احكام الاوقاف لبرهان الدين الطرابلسي واحكام الوقوف والصدقات للخصاف ومجلة الاحكام العدلية

وامتداد السلطة بامتداد الفتوح حتى تكاملت اجزاؤهُ وتكاثرت موادهُ في صدر الخلافة العباسية وخصوصاً على عهد المأمون فانهُ وقف هذا الموقف المحمود ووقف الاوقاف الكثيرة في العراق وغيرها على العلماء ودور العلم والجوامع والمباني العامة لتبقى دائمة الانتفاع على الدهر وتكفي العلماء مؤونة قرع ابواب الملوك والامراء والمحاويج واصحاب الزمانات والعاهات من التكفف والاستجداء فمن ثمَّ كثرت الاوقاف النافعة كثرتها في الولايات المتحدة الاميركية لهذا العهد ومعظمها على دور العلم والبائسين

من احسن القوانين الصريحة عند المسلمين احكام المواريث فانها تقضي على الموارث ان لا يوصي بغير الثلث من مالهِ في وجوه المبرَّات وان يبقي الثلثين لوارثيهِ يستمتعون بهِ استمتاعهُ من قبل. ولذا لم يكن الاَّ في الوقف مندوحة في خرق هذه القاعدة فتوسَّع القوم فيها لاسيما ما كان منها اهلياً حتى كاد ينقلب ما هو خير الى شرّ. على انهُ محال إيجاد الخير المحض. يقف الواقف اموالهُ او شطراً منها لتكون من بعدهِ وسيلة للتعارف والتعاطف بين الذراري والاعقاب فما هو الاَّ جيل حتى تغدو اوقافهُ ذريعة للتقاطع والتدابر فتقوم ثائرات الخصومات بين الاسرات للاستئثار بادارة الوقوف واقتسام غلَّتهِ خصوصاً عند كثرة المستحقين وقلة الانصبة وربما تكاثرت ذرية الواقف بعدُ حتى يصيب الفرد من الدَّخل بضعة غروش. ولا تسلْ كيف تكون حال تلك العقارات والاراضي الموقوفة من العمران في تعدُّد الموقوف عليهم تعدُّد للمناحي وتباين في الآراء. وربما استأثر بالوقف فردٌ واحد يكون اشدَّ المستحقين مراساً فيغصب حقوق الآخرين من اجل هذا ترى الغاصبين وفي مقدمتهم المتولي او الناظر يقضون حياتهم على دكات المحاكم الشرعية مدافعين ذوي الحقوق بالباطل حتى جرى في حكم الامثال قولهم « نصف الاوقاف موقوفة على الحكام »

بالغ المتأخرون في احترام الاوقاف اهلية كانت او عمومية حتى قالوا ان شرط الوقف كنص الشارع ولو كان فيما هو ظاهر ضررهُ ومكروهٌ عند العارفين. وعدَّت الاوقاف على طول الزمن من أعظم القربات حتى قالوا ان مَن لم يمت عن وقف فكأنهُ مات ميتة جاهلية. ومن مضحكات ما يروى ان رجلاً قارب الموت وهو لا يملك شروى

نقير فأشار الى ابنهِ وهو في النزع ان يهبهُ بعض حوانيت لهُ ليقفها باسمهِ تقرباً بها الى جوار ربهِ اذ شقَّ عليهِ ان يغادر دنياهُ دون ان يجري على يدهِ مثل هذه المحمدة ولو على حساب ابنهِ الذي ربما لم يجب الطلب الأَّ حياء . وليست هذه القصة بأعجب ممن يجمع اموالاً من السُّحت البحت والحرام الذي لا يوافق عليه عقل ولا نقل ويتطالُ الى وقفها زاعماً أنها تُنيلهُ الزلفى من مولاهُ وتبرّر ما قدمتهُ يداهُ في اولاهُ

كان اكثر العمال وأصحاب الاموال في عصور المصادرات يقفون الاوقاف على الجوامع والمدارس والمستشفيات وغيرها فراراً بأموالهم من مصادرات الملوك اذا غضبوا عليهم ونحّوهم عن وظائفهم او قضوا نحبهم فطمعوا في وَفْرهم . ومن الاوقاف ما منحهُ الملوك بعض عمالهم وحاشيتهم ليستمتعوا بها ما داموا احياء على سبيل الاقطاع فما عتم المنعم عليهم ان جعلوا ذاك العقار او تلك القرية بواسطة القضاة وأهل الحكم اوقافاً شرعية يتناولها أعقابهم من بعدهم فتنوزع عليهم بعد ان يكونوا ألفوا الاتكال او انقطعت ايديهم عن كل عمل الأَّ من بسطها لتناول واردات اوقافهم الحقيرة

ولقد تفنَّن القوم في انواع الاوقاف حتى لا يكاد يخطر ببالك خاطر في الوقف الأَّ وتجد مَن سبقك اليهِ مما أوشكت معهُ ان تكون نصف بلاد الاسلام موقوفة . خذ مثالاً لذلك مدينة دمشق فقد روى ابن بطوطة ان انواع اوقافها ومصارفها لا تحصر لكثرتها فمنها اوقاف على العاجزين عن الحج لمن يحج عن الرجل منهم كفايتهُ ومنها اوقاف على تجهيز البنات الى ازواجهنَّ وهنَّ اللواتي لا قدرة لاهلهنَّ على تجهيزهنَّ ومنها اوقاف لفكاك الاسرى ومنها اوقاف لابناء السبيل يُعطون منها ما يأكلون و يلبسون و يتزودون لبلادهم ومنها اوقاف على تعديل الطرق ورصفها ومنها اوقاف لمن تكسر لهُ آنية او صحاف في الشارع ومنها اوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير

ومما هو مستفيض على الالسنة اليوم بدمشق ان بعضهم كان وقف اوقافاً كثيرة يصرف ريعها لجرف الثلج من جبل سنير في الشعبة المطلة على الغوطة لكثرة تراكمهِ عليها أيام الشتاء والربيع حتى لا يضر هواؤهُ بأنوار الاشجار فتصاب بالجمد والصقيع وتقل الثمار والازهار . وان عند بني القاري وهم من الأُسر المعروفة بالشام حجة هذا

الوقف ولهُ آثار الى يومنا هذا . و يزعمون ان الاشجار اخذت تتناقص اثمارها منذ تقاصرت الهمم عن رفع الثلوج في إبانها وضاعت اوقافها فان صحت فائدة هذا العمل فيكون وقف الثلج حسنة من حسنات الاوقاف تدلُّ على بعد نظر الواقف في الابداع والاختراع

ومن العادة في معظم البلاد الاسلامية ان يشرط الواقفون في اواخر صكوكهم شروطاً منها ان الوقف اذا انحلَّ بفقد الذرية وانقراض المستحقين يعود بجملته الى الحرمين الشريفين . ومن الناس من يقفون عليهما مباشرة فلهذا كثرت اوقافهما كثرة زائدة . قال احد الفضلاء بشأن هذه الاوقاف : " لم تزل يتولاها أناس ينصبهم القضاة من اهل الامانة حتى سنة ١٢٤٢ وقد أنشئت خزينة الاوقاف السلطانية واستلمت اوقاف الحرمين للسلاطين السلجوقيين والغوريين والصفويين والقرمانيين والعثمانيين وغيرهم. وسنة ١٢٥٦ ضبطت الاوقاف الشاغرة(٢) بموت المتولين او باعتزالهم وجعل النظر عليها الى نظارة الاوقاف العمومية . وتقسم هذه الاوقاف الى ثلاثة أقسام يطلق على الاول اسم « مستغلات » وهي القرى والمزارع وعلى الثاني اسم « مسقفات» وهي العقارات والحوانيت وعلى الثالث اسم « نقود موقوفة » وهي كمية من النقدين . وألفت خزينة خاصة لاستلام النقود الموقوفة ثم أُلغيت وأُضيفت الى املاك السلاطين العظام وهي تبلغ سبعة ملايين من الليرات العثمانية أُخذ ما يقرب من نصفها واختصت نظارة المالية بالنصف الآخر على سبيل القرض وتصرفت فيهِ . ثم ضبطت نظارة المالية قسماً من اوقاف المستغلات وهي تبلغ نحو مليون ونصف ليرة سنوياً مع ان قسماً من هذه المستغلات لجوامع ومدارس وصارت نظارة المالية تدفع للاوقاف تسعين الف ليرة مسانَاة وتدنَّى هذا المبلغ حتى نزل الى ستة وثلاثين الف ليرة

"اما قسم المسقفات وهو أهم انواع الاوقاف فاستصعبت نظارة الاوقاف ادارتهُ فباعت ما هو موقوف منها على الحرمين الشريفين اما المسقفات الموقوفة على غير الحرمين فباعت منها قسماً يساوي خمسة ملايين ليرة فبقي لنظارة الاوقاف دخل يبلغ نحو مليونين ونصف الى ثلاثة ملايين ليرة في السنة يصرف منها على الجوامع والمساجد

(٢) الارض الشاغرة التي لم يبقَ لها احد يحميها و يضبطها

واحداث الجوامع وانشاء التكايا "

وقال عبد الرحمن شرف في كتابهِ تاريخ الدولة العثمانية وهو مما يدرَّس في المدارس العالية بالسلطنة ما ترجمتهُ

" منذ نشأت الدولة اخذ السلاطين العظام ووزراؤها ورجالها ونخبة من اهل الثراء يشيدون في جميع اطراف المالك المحروسة ما لا يقع تحت عد ولا حصر من الخيرات والمبرات كالجوامع والمساجد والمكاتب والخانات والحمامات والمنازل والتكايا والزوايا والفساقي والطرق وغيرها ويقدرون لبقائها وادارتها مقدارًا كافيًا من الاوقاف على امل ان تستمطر عليهم الرحمة من الخلف وتنيلهم الزلفى والقربى

" ومضى زمن انقرضت فيهِ سلالة الواقفين فولي عليها أناس من ذوي الكفاءة وكان يطلق على امثال هذه التوجيهات اسم تولية الصدقة ويتصرف فيها بأمر السلطان بمعنى انها كانت نوعًا من الوظائف اما اليوم فتدعى امثال هذه الاوقاف بالاوقاف المضبوطة وتدير شؤونها توًّا نظارة الاوقاف السلطانية

" وغير نكير ما قامت بهِ الاوقاف من المنافع العظيمة في عمران البلاد وبهائها ونشر المعارف وتسهيل الصادرات حتى ان ما صرفهُ على خيراتهِ الصدر الشهير سنان باشا الكبير يربو على مليوني ليرة . وعليهِ فصار من اللازم في نظر الادارة المدنية ان يدقق ابدًا في تنفيذ شرط الواقفين ولما انتشرت فوضى المتولين ومشوا على هواهم اشرف كثير من المباني الخيرية على الخراب وبعبث المتولين وعَيث الجباة تغيرت شروط تلك الاوقاف وتبدلت اعيانها

" ولما بدئ بالاصلاح العام على عهد محمود خان الثاني ألفت نظارة للاوقاف سنة ١٢٤٢ وعين الحاج يوسف افندي ناظرًا عليها على ان يكون لهُ حقُّ النظارة على المتولين وان لا يتداخل في اوقاف الحرمين والسلاطين العظام . وسنة ١٢٥١ احيلت اوقاف الحرمين الى مدير ثم انفصلت بالمرة عن نظارة اغوات دار السعادة فاحدثت لها نظارة اوقاف الحرمين مستقلة وجعل ناظرًا عليها الحاج ادهم افندي . واتحدت النظارتان سنة ١٢٥٢ زمن موسى صفوتي افندي وتقرر سنة ١٢٦٠ ان يعدَّ ناظر الاوقاف من نظار الدولة

ويكون له حق الدخول في المجلس الخاص وضمت الى نظارتهم كل الاوقاف السلطانية واستثني من ذلك سبعة اوقاف مثل وقف اورنوس بك وميخال بك وغيرهما فحظر على نظارة الاوقاف التداخل في ادارتها اه"

هذا ما انتهى اليهِ حال الاوقاف في السلطنة العثمانية وهي في كل البلاد تابعة لمقتضيات الزمان والمكان بل لما تقضي بهِ حكوماتها فمصر ضبط اوقافها وكانت كثيرة جداً محمد علي الكبير وتصرف فيها بما شاء واعطاها لمن اراد على انهُ لا يزال منها كمٌّ غير قليل لهُ نظارة خاصة تدير شؤُونهُ

ولا جرم ان الاستكثار من الاوقاف أخر سير الشرق في محجة العمران ولا يزال مؤخراً لها وكم في البلاد من آثار ودور وقصور ومحال عامة هجرت وتعطلت بضياع اوقافها وكثرة المتنازعين عليها . وقد علم بالاستقراء ان المسلمين كانوا احسن حالاً ايام لم يكن يُعهَد الوقف عندهم بهذه الكثرة فكانوا يستعمرون البلاد وتجري قاعدة تنازع البقاء مطردة على اصولها يغنى الفقير باعمالهِ ويفقر الغنيّ باهمالهِ

ولقد عبثت ايدي المطامع بالاوقاف المسبلة على المصالح العامة فلم تفد الفائدة التي كان يتوقعها لها واقفوها ولم يسلم من الآثار والعاديات الاَّ ما عرضت لهُ اسباب أخرى أخرت القضاء عليهِ وهاك المثال : انت تعلم ان لصلاح الدين يوسف بن ايوب رنة في تاريخ الشرق والغرب وأن بيض اياديهِ على المسلمين وغيرهم لا تنسى على المدى ومع هذا فقد بلغت القحة باهل جوار قبتهِ والمتولين عليها ان استولوا على معظم دارهِ فصيروها مساكن وحجراً ولو لم يرفع عنهُ الاذى المرحوم ضيا باشا احد اعاظم ولاة سورية منذ سبع وعشرين سنة لاستصفيت الدار جملة واحدة اليوم ولو كان البرُّ والبحرُ وقفاً عليها .

زار غليوم الثاني امبراطور المانيا في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٦ ضريح السلطان صلاح الدين بدمشق وقال فيهِ عشية دُعي لتناول الطعام في دائرة المجلس البلدي من خطاب ارتجلهُ : (انني ابتهج من صميم الفؤاد بانني وطئت بلداً عاش فيه من كان اعظم ابطال الاعصر السالفة بأسرها من كان بافعالهِ يعلِّم اعداءهُ كيف تكون الابطال السامي المقام السلطان صلاح الدين الايوبي الشهير) ثم بعث في العام التالي

باكليل من الذهب عنواناً على احترامهِ لهُ وتذكاراً لزيارتهِ قبرهُ . وفي غضون تلك المدة جرى لي حديث مع احد افاضل الافرنج فقال لو كان قبر صلاح الدين في بلادنا لصيغ بالاحجار الكريمة وقيمت لهُ التماثيل والهياكل وبنيت على اسمهِ المعابد والمدارس وسميت بهِ الشوارع والساحات . فقلت لهُ ان الاسلام لا يسمح باقامة القبور على هذا النحو ولا يبيح وضع التماثيل والنصب للاحياء ولا للاموات ولكن احباب صلاح الدين يقنعون ولو بالمحافظة على قبرهِ بسيطاً غير مزخرف ثم سردت عليهِ ما كان ينويهِ القائمون على ضريحهِ من تعفية اثره عرضاً او عمداً فأخذ منهُ العجب

هذا ما وصل اليهِ العلم القاصر من حال الاوقاف العامة والخاصة وقد حذت الدولة العلية حذو الممالك المتمدنة في ضبط الاوقاف على امل تعميرها . وللاوقاف بمصر طريقة حسنة فان نظارتها تتعهد باصلاح الاوقاف الاهلية من خزائنها ثم ترجع الى العقار تستوفي ما اسلفتهُ اياهُ من ايرادهِ على ان الخراب لم يبرح منتشراً في معظم العقارات الموقوفة على اختلاف ضروبها . واذا كانت الاوقاف احدى علل التقهقر في المشرق كان على الباحثين في علم الاجتماع ان يفيضوا في هذا البحث والمريض اذا برّحت بهِ العلة يتوقع من طبيبهِ شفاء عاجلاً او آجلاً والامم اذا انزل بها الهرم يبحث أساتها في عللهِ وكذلك يفعلون بحَّاث دمشقي

ظاهر العمر

(تابع ما قبلهُ)

كان بين عثمان باشا والي الشام وبين علي بك والي مصر منافرة واحقاد ناهيك ان علياً لما رسخت قدمهُ في مصر حدثتهُ نفسهُ بالتوسع حتى بغداد وكان يتحيَّن الفرص لذلك فارسل ظاهر العمر اليهِ بالهدايا واستنجدهُ على والي الشام ووعدهُ انهُ اذا ظفرا بهِ كان ظاهر برجالهِ في خدمة علي بك كيف شاء

وكانت الدولة العلية في ابَّان ذلك تحارب الدولة الروسية لعهد القيصرة كاترينا فراسلها علي بك وحبَّب اليها ارسال بضعة سفن من اسطولها مشحونةً بالرجال وهو يمكنهم من الاستيلاء على الثغور الشامية

فلما جاءتهُ رسالة الشيخ ظاهر سرَّ بها جدًّا وللحال جهز عشرة آلاف فارس وعقد عليهم لاسماعيل بك الكبير واردفهُ بستة امراء من السناجق وجعلهم تحت امرتهِ وامر الجميع ان يطيعوا الشيخ ظاهر واكثر لجيشهِ من المؤَن والذخيرة فخرجوا واتوا غزة وكان عثمان باشا والي الشام في القدس يجمع اموالها فارسل يسألهم عن خبرهم فلم يجيبوهُ بشيء فاوجس منهم شرًّا وارتحل الى دمشق اما الشيخ ظاهر فارسل اولادهُ للقاء الغزاة فساروا بهم في موكبٍ جليل الى عكاء حيث التقاهم ظاهر بالاعزاز والاكرام

واما عثمان باشا فانهُ تجهز بعد رجوعهِ للذهاب الى الحج الشريف حتى اذا دنا وقت ذهابهِ برزت العساكر المصرية وجماعة ظاهر العمر من عكاء وعدتهم جميعاً نحو عشرين الفاً وقصدوا المزيريب

وكان اسماعيل بك قد رأى من خشونة اولاد ظاهر العمر ما ساءهُ فتلكأ عن اتمام العمل المعهود اليهِ من علي بك حتى اذا سألهُ ظاهر ان يقصد دمشق ابى وقال لا يجوز ان نقاتل زوار بيت الله وانما نرسل الى عثمان باشا ان يبرز الينا بعسكرهِ لانهُ هو المطلوب فلما راسلوهُ اجابهم اني عازمٌ على الحج ولست لا تأخر عن ذلك فان كنتم تريدون حرب رجال الله فقد استعنا عليكم بهِ فاجاب اسماعيل حاشا لله ان نقاتل زوَّار بيتهِ ونقع تحت غضبهِ فلما رأى ظاهر امتناعهُ لوى الاعنة وعاد ادراجهُ صوب يافا وفي اثرهِ العسكر المصري وكتب بما وقع لعلي بك شاكياً ما فعلهُ قائد عسكرهِ وملتمساً استبدالهُ فاستاء علي بك من ذلك وجهز فريقاً آخر من جندهِ وعقد اللواء على البعثة لرجلهِ المشهور محمد بك ابي الذهب وسيرهُ في بدء سنة ١١٨٤ فلما وصل الى غزة التقاه اسماعيل بك ومن معهُ من السناجق والشيخ ظاهر وحلفاؤُهُ من المتاولة وغيرهم حتى بلغ عدد الجيش ستين الفاً او يزيدون فزحف ابو الذهب بهم صوب دمشق وقد عاد واليها من الحج وعلم بمسير ابي الذهب اليهِ فارتاع ولكنهُ تجلد وباشر الاهبة لدفع الطارئة حتى اذا جاءت العساكر ونزلت بداريا الكبرى من ارباض دمشق برزت للقائهِ الجنود الشامية وبينهم عبد الرحمن باشا والي حلب وخليل باشا والي كلِّس ومحمد باشا والي طرابلس الذين امرتهم الدولة العلية بنجدة عثمان باشا وذلك ان عثمان باشا لما علم بما كان من بعثة علي بك ومراسلتهِ بعض اعيان الشام في طلب تسليم البلد اليهِ كتب الى باب الدولة فصدر امرها للولاة المذكورين بمساعدتهِ

فلما تلاقى الجيشان في سهل داريا اقتتلا ساعة فانكسر العسكر الشامي وفرَّ كل من خليل باشا وعبد الرحمن باشا هارباً بعسكرهِ بعد ان قُتل منهم شرذمة ولكن ثبت عثمان باشا وابنهُ

محمد باشا والي طرابلس ودام قتالهما بالعسكر الشامي والطرابلسي ثلاثة ايام الآ ان كثرة العدو غلبت شجاعتهما فهربا لا يلويان على شيء فاحاطت العساكر المصرية واحلافها بدمشق ثم بعث اليهم ابو الذهب بكتابٍ كان معهُ من علي بك يستدعيهم فيهِ للتخلف عن عثمان باشا لظلمهِ وبخشهِ ويسألهم التسليم فلما وصلهم الكتاب خرج بعض الاعيان الى ابي الذهب فدعاهم الى تسليم المدينة وتوعدهم ان هم تمنعوا بالاستيلاء عليها عنوةً وحرقها واسر اهاليها فاستمهلوهُ الى اليوم التالي وفي تلك الليلة فرّ عثمان باشا وابنهُ مع كثيرٍ من الاعيان والجند حتى خلت دمشق من الحامية وارتاع الاهلون لذلك وازدحموا في الجامع الاموي حيث كان قد اجتمع اهل القرى المجاورة بمالهم وهاج الاهلون وماجوا اذ خافوا على انفسهم وما يملكون وسألوا العلماء والاعيان ان يسلموا المدينة فسلموا بان خرج منهم نفرٌ الى ابي الذهب وسألوهُ الامان فدخل المدينة وجلس في دار الوزارة

وبعد ايام كتب ابو الذهب الى اهل دمشق يقول اننا جئنا الشام في طلب عثمان باشا فلو خرج الينا لما مسسناكم بسوءٍ ثم ظنناهُ في القلعة فلما تحققنا انهُ ليس فيها وليس لنا بحضرتكم ارب لاسيما وان المدينة لمولانا السلطان فرفعنا القتال عنكم فادعوا لمولانا السلطان واذكرونا بالخير ثم رحل عن دمشق ورحلت على اثرهِ عساكر ظاهر العمر واحلافهُ وفي صدورهم على فعلة ابي الذهب حزازات ودخل ابو الذهب مصر واعتذر الى علي بك عن عودتهِ بشكاسة اخلاق ظاهر وعشيرتهِ وقال انهم قوم لا يعرفون الوفاء ولا يشكرون الجميل وانهم كانوا كلما ظفروا منا برجلٍ قتلوهُ واخذوا اسلابهُ تخشينا العطب ورأينا انا قد فزنا بطرد عثمان واخرجناهُ من الشام فرجعنا ادراجنا فلما سمع الامير علي ذلك كاد يتميز من الغيظ فكتب الى الشيخ ظاهر يلومهُ فاجابهُ بتكذيب مقال ابي الذهب وسألهُ ان يأمر باستكتاب اسماء القتلى من عسكرهِ ليرى في الامر وقال لهُ ان ابا الذهب تيسّر لهُ امتلاك البلاد غنيمةً باردة ولكنهُ دان لرأي اسماعيل بك في عدم الخروج على السلطان لان في ذلك مساساً بالدين وان ابا الذهب تمنع في بادىء الامر عن قبول هذا الكلام من اسماعيل بك ولكنهُ عاد فاقتنع اذ ان امين الصرة ساعد على اقناعهِ ووعدهُ ان عاد ادراجهُ بالحصول على رضا الدولة والانعام عليهِ باحدى ولاياتها وقال لهُ انهُ مرسل ابنهُ عثمان رهناً على صدق كلامهِ فان وجد في مقال ابي الذهب ذرةً من الصدق فدم ابنهِ مباحٌ لهُ واحتال ظاهر على ابنهِ فحملهُ على الذهاب الى مصر وهو لا يدري بما كتب ابوهُ فلما وصل جواب ظاهر الى علي بك فحص القضية فعلم صدق مقال ظاهر العمر فوقعت الشحناء بينهُ وبين ابي الذهب وفرّ هذا من وجههِ الى الصعيد فالتفّ عليهِ جمهور

من اصحابهِ فارسل علي بك اليهِ عسكرًا مع اسماعيل بك فانحاز اليهِ وكان عثمان باشا قد رجع الى دمشق وجمع عسكرًا جرارًا وبرز الى الحولة يريد غزو ظاهر العمر والمتاولة فلما علموا جمعوا رجالهم وبيّتوا الباشا فما افاق رجالهُ الاَّ والاعداء محيطة بهم من كل جانب وقد المبوهم بضرب السيف والنار فذعروا وتشتتوا وولوا الادبار والقوم يضربون في اقفيتهم تحت جنح الليل حتى بلغوا شاطىء البحيرة فالقى كثيرون منهم انفسهم في الماء نجاةً من المنيّة ففروا اليها وفرَّ عثمان باشا بنفرٍ من رجالهِ فغنم الظافرون اسلابهم وعادوا فكتب ظاهر بذلك مبشّرًا علي بك الاَّ ان هذا كان قد راعهُ انضمام بعثتهِ الى ابي الذهب واخبار زحفهِ عليهِ بمن اجتمع اليهِ فخرج من مصر هاربًا بسريةٍ من فرسانهِ وما عندهُ من الاموال والذخائر قاصدًا حمى ظاهر العمر مستصحبًا معهُ الشيخ عثمان الظاهر فلما بلغ الديار الشامية التقاهُ ظاهر بالتجلة والاكرام وذهب بهِ الى عكاء فكتب منها الى الدولة الروسية يطلب المدد البحري الذي كان قد سألهُ من قبل وتعهد بتسليمها الثغور من مصر الى صيداء فتستطيع حينئذٍ ان تمدَّ فتوحاتها ما شاءَت واقتدرت فوافقهُ ظاهر العمر على هذا الطلب والوعد

وكان على ولاية صيداء ابنٌ آخر لعثمان باشا اسمهُ درويش باشا فهذا كان جبانًا وقد راعهُ قرب المتاولة منهُ ففرَّ من صيداء الى دمشق وحاول الامير يوسف الشهابي ان يشدّد عزائمهُ فما استطاع ولذلك طمع المتاولة فيهِ وفي بلاد الشوف ومرج عيون والحولة فاستاء الامير يوسف وتجهّز عليهم بعشرين الفًا من المقاتلة فاكتسح بلادهم واحرق منها حتى جاع حيث وردهُ كتاب منهم عن يد ابن ظاهر يسألونهُ الصلح ويتعهدون بالبقاء على خاطرهِ فلما استشار الذين معهُ في ذلك اشار عليهِ عبد السلام العماد بحربهم وانما قصد ذلك لينكسر الامير يوسف ويعود خائبًا فتعلو منزلة صديقهِ الامير منصور فسلَّم الامير يوسف لرأيهِ فكتب عبد السلام الى المتاولة يشدّد عزائمهم ويعدهم بالانهزام فكان كما قال وارتدَّ الامير يوسف منكسرًا وخرج الدروز الذين كانوا على خفارة صيداء فارسل اليها ظاهر العمر متسلمًا من قبلهِ كان رئيسًا للمغاربة الذين في خدمتهِ يقال لهُ احمد اغا الدنكزلي

وتوفي عثمان باشا والي الشام وخلفهُ على الولاية عثمان باشا المصري الذي كان سردار العساكر في عرب استان وتجهز للاغارة على المتاولة وكتب بذلك الى الامير يوسف الشهابي وزحف بجيشٍ عدتهُ عشرون الفًا فيهم احمد بك الجزار الذي نال بعد ذلك الشهرة الذائعة في سوريا وبلغوا صيداء وحصروها حتى ضايقوا حاميتها وكاد احمد اغا يسلمها لو لم يكن قد تراجع اكثر عسكر الامير يوسف الى بلادهِ وجاء الخبر بمجيء السفن الروسية الى عكاء وكانت خمسة

من الطرز الكبير المسمى يومئذٍ غليون يصحبها قطع عدة من صغيرات الحجم فاوعز اليها ظاهر العمر ان تقلع الى صيداء فلما وصلتها شرعت تضرب القنابل على عسكر الامير يوسف فرحلوا عن مواقفهم الى حارة صيداء وفي خلال ذلك كتب ظاهر العمر الى الامير ان يقوم الى جسر صيداء للاجتماع والاتفاق والاّ فهو آتٍ اليهِ فلم يرضَ بذلك فنهضت عساكر ظاهر ومن جاء مع علي بك من مصر حتى بلغت ضواحي صيداء وهناك وقع القتال فاسفر عن انكسار عسكر الوالي والامير يوسف وانهزامهم واما السفن الروسية فانها ذهبت من صيداء الى بيروت وفتحتها وظلّت في مياهها حتى ادّاها الامير يوسف مالاً عنها وكتب الى والي الشام فارسل الى محافظ بيروت نائبهُ محمد اغا ومعهُ احمد بك الجزار وبعض المغاربة

ثم وقع الخلاف بين الامير يوسف والجزار على امتلاك بيروت الامير فاتفق يوسف مع عمهِ الامير منصور وكتب الامير منصور الى ظاهر العمر يسألهُ استحضار السفن الروسية لاستخلاص بيروت من يد الجزار فاجابهُ ظاهر الى ذلك واستدعى السفن المذكورة فجاءت واتفقت مع الاميرين على ثلثمئة الف درهم واسترهنت لوفائها الامير موسى بن الامير منصور واطلقت السفن النار على المدينة حتى تضايق الجزار فطلب التسليم عن يد ظاهر العمر ايضاً فارسل ظاهر رجلاً من اخصائهِ يقال لهُ يعقوب الصيقلي فجاء بالجزار الى عكاء واقام هذا بها ايلماً حتى سنحت لهُ الفرصة فسرق بعض بغال للشيخ ظاهر وفرّ بها هارباً بل قيل ان ظاهراً ارسلهُ لجباية الاموال السلطانية فجمع منها شيئاً وفرّ

هذه زبدة رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ الاّ انا رأينا في تضاعيفها مواضع تحتاج الى التمحيص منها تاريخهُ بدء تحالف ظاهر العمر وعلي بك سنة ١١٨٣ والعهد بالامارة على الجيش المصري لابي الذهب سنة ١١٨٣ مع ان المرادي يذكر زحف ابي الذهب سنة ١١٨٥ ويوافقهُ على ذلك ڤولناي بقولهِ ان علي بك انفذ السريّة الاولى سنة ١٧٧٠ م والثانية سنة ١٧٧١ م ومنها ان ظاهراً وعلي بك هما اللذان خابرا الدولة الروسية لارسال اسطولها الى الثغور الشامية مع ان عبارة ڤولناي تدل على ان الاسطول المذكور كان في البحر المتوسط فلما علم بثورة ظاهر على الدولة جاء ميناء حيفا لاخذ المؤونة منها حين كانت جنود والي الشام واحلافهُ تحاصر صيداء فاستأجرها ظاهر بستمئة كيس لاسعافهِ على رفع الحصار فكان منها ما كان وهذه الرواية اقرب الى الواقع لانهُ لو كانت الدولة الروسية تقصد نجدة العصاة على الدولة لما اقتضى اسطولها منهم اجرة عملهِ والحال انا رأينا الاسطول يتقاضى الاجور في كل حركة يبديها بايعاز ظاهر . ومنها ان عثمان باشا المصري كان قد تعيّن والياً على الشام مع انهُ يظهر

من اسماء ولاة الشام المدرجة في سلنامة ولاية سورية ان صادق عثمان باشا تولَّى من سنة ١١٧٤ الى سنة ١١٨٤ وخلفهُ محمد باشا العظم وليس عثمان باشا المصري

ومما روى ڤولناي من اعمال ظاهر ان بعضاً من المخلصين في طاعة الدولة العلية في يافا ونابلس تملصوا من طاعتهِ حين بلغهم ان نصيرهُ علي بك المصري هارب من وجه ابي الذهب وقادم اليهِ وان عساكر الدولة تحتشد في حلب للزحف عليهِ وشاع هذا القول بين القوم حتى حسبوا ان ظاهرًا لا يبرح عكاء خوفًا عليها وفيما هم يظنون كذلك خرج ظاهر برجالهِ صوب نابلس فلقي الخارجين عليهِ فيها وضربهم ونكَّل بهم واقرَّ الامور في نصابها ثم سار من هنالك فالتقى بعلي بك ونجاء بهِ آمنًا الى عكاء اما يافا فانهُ امهلها حتى قضى امر صيداء فعاد اليها في صحبة علي بك واحطَّ عليها فحُصرت حصارًا شديدًا سنة ١٧٧٢ ثم عاد الى عكاء يدبر شؤُونها تاركًا علي بك على امرة الحاصرين فظلَّ عليها ثمانية شهور الى سنة ١٧٧٣ حين ملكها ونظَّم شؤُونها وجعل عليها متسلمًا يحكمها باسم ظاهر العمر ثم عاد عنها الى عكاء

وحدث في خلال ذلك ان ابا الذهب احتال على علي بك بان دسَّ اليهِ ان يعود الى مصر فيلقى خيرًا فاعتزَّ علي بك بذلك وسعى الى الرجوع في كل سبيل وكان الروس قد وعدوهُ بالنجدة فما لبث حتى تجيء اليهِ الشرذمة التي ارصدوها لمرافقتهِ بل الحَّ علي ظاهر بالذهاب فارسل معهُ الفًا وخمسمائة من فرسانهِ تحت امرة ابنهِ عثمان فلما وصلوا بهِ الى غزة غُدر بعلي بك فقُتل مع جماعةٍ من رجالهِ وفرَّ الباقون فأُسقط ظاهر في يدهِ لمصرع حليفهِ القوي وحاك ذلك في نفسهِ ولكن ما لبث ان فرجت كربتهُ بما رويناهُ من التجاء الامير يوسف الشهابي الى معونتهِ على اخذ بيروت من الجزار

وكأَني بالدولة العليَّة رأَت انها اذا عفت عن ظاهر العمر عاد الى طاعتها فاراح ولاتها من حربهِ ولهذا كتب عثمان باشا الى الامير يوسف الشهابي يعالنهُ بصدور الامر السلطاني بالعفو عن ظاهر اجابةً لاسترحام الوالي وان الدولة العلية قد انعمت عليهِ فوق ذلك بولاية صيداء على وجه المالكان على ان يؤَدي خمسمائة الف درهم عن بقايا المال المتراكم عليهِ ومئتي الف مسانهة عداء عن خدمة الجردة . فعظم وقع هذا الخبر على الامير يوسف لما فيهِ من الامر بطاعة ظاهر العمر ولكنهُ لم يبدِ اعتراضًا على موَّادهُ حرصًا على مودتهِ

وفي سنة ١١٨٨ ورد الفرمان العالي صحبة قبجي من باب الدولة مؤذنًا باحالة ولاية صيداء لعهدة الشيخ ظاهر فطابت نفسهُ بهذه الولاية لثبوت حكمهِ على صيداء وعكاء وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد اربد وصفد والمتاولة ولان رسوخ قدمهِ في حكمها كان من اماني نفسهِ

غير ان في خلال ذلك عرض ابو الذهب لباب الدولة عمّا يعلم من امر ظاهر العمر وعلي بك وافشى اسرارهما واستأذن الدولة العلية في الحملة على الشام وكبت ظاهر وقومهِ فوقعت عريضة ابي الذهب من الدولة موقع القبول سيما لان العفو عن ظاهر كان في عهد السلطان مصطفى فلما توفي الى رحمة ربهِ وتبوأ الاريكة اخوهُ السلطان عبد الحميد الاول اجاز لابي الذهب الحملة على الشام للاقتصاص من ظاهر العمر جزاء اتفاقهِ مع علي بك وخروجهما على الدولة

جرجي ينّي

الراديوم ومزاياهُ

اشرنا في باب الاخبار العلمية في الجزء الماضي الى خطبة السر وليم كروكس التي تلاها في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز واظهر فيها بعض مزايا الراديوم . وقد رأينا ان نلخص تلك الخطبة الآن لانهُ سيكون لهذا العنصر شأن كبير بين مكتشفات القرن العشرين فيليق بقراء المقتطف ان لا تفوتهم فائدة تتعلق بهِ . قال الخطيب :

جُفِف قليل من مذوَّب ملح الراديوم (النيترات) وترك حتى تبلور ووُضع في غرفة مظلمة فانار بنور ضعيف . ثم أُدني من لوح مدهون ببلاتينوسيانيد الباريوم فانار اللوح بنور باهر ضارب الى الخضرة وكان نورهُ يزيد بتقريب الملح منهُ ويقلّ بتبعيدهِ عنهُ الى ان يزول تماماً . ويحدث مثل ذلك اذا أُدني ملح الراديوم من لوح مدهون بكبرتيد التوتيا ويبقى النور على اللوح مدةً بعد ابعاد الملح عنهُ . والآنية التي وضع فيها ملح الراديوم ثم أُخرج منها اذا أُدنيت من لوح مدهون ببلاتينوسيانيد الباريوم او بكبرتيد التوتيا تجعلهُ ينير ولو كانت قد غُسلت جيدًا بعد اخراج الراديوم منها (كأنهُ يبقى فيها منهُ شيء قليل جدًّا لا يزول بالغسل وهو كافٍ لينعل فعل الراديوم باللوح) . واللوح المدهون بكبرتيد التوتيا ينير اذا خُمش بسكين او ضُرب برأسها او برأس قلم كأنهُ مدهون بمادة فصفورية

واذا أُدني حجر ماس من ملح الراديوم انار نورًا ضاربًا الى الخضرة والزرقة واذا أُبعد عن الملح انطفأ نورهُ حالاً لكنهُ اذا وُضع حينئذٍ على اللوح المار ذكرهُ يبقى على اللوح هنيهةً بعد ابعاد الماس عنهُ . واتفق ان حجر الماس لمس ملح الراديوم ثم وُضع على اللوح فتطاير الشرر من اللوح . ونُظر الى الشرر بالميكرسكوب في غرفة مظلمة فاذا في كل شرارة مركز مظلم وحولهُ هالة منيرة وينبعث من المركز المظلم اشعةٌ منيرة تنتشر في كل الجهات فيظهر في اللوح حول

الهالة شهب من النور تروح وتجيء بسرعة فائقة جدًّا حتى لا تدرك العين انتقالها

واذا أُدني نيترات الراديوم من اللوح تغيَّر اشراق النور عليهِ حسب بعد الراديوم عنهُ كما تقدَّم واذا نُظِر اليهِ بزجاجة مكبِّرة والراديوم بعيد عنهُ ونورهُ ضعيف. ظهر فيهِ نقط برَّاقة متفرقة وكلما قُرِّب الراديوم من اللوح زادت هذه النقط عددًا ولمعانًا حتى اذا صار الراديوم قرب سطح اللوح تمامًا كثرت النقط وتوالى بريقها بسرعة فائقة فيصير اللوح بها كبحر من النور المتموّج . فاذا كان الراديوم بعيدًا بانت هذه النقط البرَّاقة كالنجوم المتفرقة في جلد السماء وتظهر وتنطفئ ولا يبقى نور مكانها ولكن اذا زاد قرب الراديوم من اللوح زاد عددها وبقي شيء من نورها حيث كانت فينتشر النور على اللوح من غير ان يمنع بريق النقط اللامعة فيهِ

واذا غطِّس طرف سلك من البلاتين في مذوب نيترات الراديوم وجُفِّف وقُرِّب من اللوح كثر بريق النقط اللامعة وزاد عددها ولكنها تزول تمامًا حالما يُبعَد السلك عن اللوح . واذا لمس السلك اللوح فالنقطة التي يلمسهُ فيها تصير مركزًا تنبعث منهُ الاشعة اللامعة كالشهب الثواقب ويبقى النور في تلك النقطة وما حولها اسابيع كثيرة

والبلونيوم (وهو عنصر آخر شبيه بالراديوم) يفعل فعل الراديوم ولكن هذه النقط المنيرة تكون قليلة في نورهِ

وتلوَّثت الانامل بالراديوم فصار اللوح ينير بها كلما أُدنيت منهُ . والنور الذي يظهر بالعين متصلاً مستطيرًا يظهر بالميكرسكوب نقطًا منيرة يشعُّ النور منها ويفيض على ما حولها . واذا كانت الانامل نظيفة لم يظهر شيء من النور حولها ولكن اذا لمست الراديوم يصير النور يظهر حولها حيث تمس اللوح ولو غُسلت بعد ذلك مرارًا

ووصف السر وليم كروكس تجارب اخرى من هذا القبيل واستنتج منها كلها انهُ ينبعث من الراديوم دقائق صغيرة جدًّا تقع على اللوح كما يقع رصاص البنادق على الغرض وسرعتها مثل سرعة النور في سيرهِ فهي اشد من سرعة رصاص البنادق بما لا يقدَّر ولذلك لا عجب اذا انارت حينما يصدُّها اللوح ويوقف حركتها . وهذه الدقائق لا ترى لصغرها ولكن يرى فعلها على اللوح كما ترى الدوائر الكبيرة في الماء الصافي اذا وقعت عليهِ نقط المطر الصغيرة

هذه خلاصة ما قالهُ السر وليم كروكس وقد بقيت اشياء كثيرة ذكرها في خطبتهِ من حيث المشابهة بين اشعة رنتجن واشعة الراديوم ومن حيث اشراق نور الراديوم في الهواء اكثر من اشراقهِ في الفراغ . ولم يشر الى حرارة الراديوم لان امرها لم يكن معروفًا يومئذٍ اما الآن فصار لها شأن كبير كما تقدَّم في الجزء السابق

منشأ علم الجبر

ان أكثر العلوم الرائجة اليوم تعسر نسبتها الى رجل بعينهِ كأن يُقال فلان وضع العلم الفلاني . وجلّ ما يقال في هذا الباب هو ظنون راجحة مسندة الى القرائن التي تجعل البعض منها يقينيًّا . والسبب في ذلك هو ان أكثر العلوم ان لم نقل كلها نشأت عن حاجات الناس واخذت تنمو بالتدريج الى ان وصلت الى حدها الحاضر وكلها ترجع الى مبادئ اولية يدركها الانسان بالبداهة وهذه المدارك الجزئية عرفها الناس وبلغوها منذ امد بعيد وقبل عهد التاريخ المعروف . فالعد من الحساب والاشكال من الهندسة وحركات النجوم من الهيئة والتبخير والعوم والحرارة والمرونة والاحتراق الخ من الطبيعيات وانواع الصخور والتربة من الجيولوجيا والجهات والاقاليم من الجوغرافيا والنمو والتوليد من النبات والحيوان والاستنتاج من المنطق وغير هذه من اساس العلوم الحاضرة كلها عرفها الانسان وادركها قبل ان صارت فروعًا مستقلة تؤلف فيها الكتب او المقالات

واكثر هذه العلوم توغلاً في الابهام العلوم الرياضية اي الحساب والجبر والهندسة والهيئة اذ يتعذر الوصول الى معرفة الرجل الاول الذي عرف الجمع والطرح وعيَّن مراتب الاعداد . وهي من الامور التي احتاج اليها البشر وهم بعد في ظلام الهمجية فالصياد يعدُّ سهامهُ والراعي يفرق قطعانهُ والزارع يمسح ارضهُ والكاهن يرصد نجومهُ ويتعقب حركاتها وهذه الحاجات هي مما صاحبت الانسان منذ انفرادهِ في حلقات النمو وظهورهِ على الارض مناضلاً للحيوان ومداركًا للطبيعة

وان كنا اليوم نجهل تاريخ العلوم الرياضية منذ نشأتها فهذا الجهل لا يضرُّ بها لانهُ لا ينقص شيئًا من موسوعاتها وهي منذ ظهرت الى اليوم لم تزل تتقدم رويدًا رويدًا فما مرَّ عليها عهد رجعت فيهِ الى الوراء او ضاع فيهِ شيءٌ من حلقاتها فتقدمها ثابت وان كان بطيئًا

مرَّ بعض الادوار على العلوم الطبيعية والفلسفة واللاهوت جهلت فيها حقيقتها وضاع جوهرها وفقدت المؤلفات منها وحظر على علمائها الانتساب اليها اما الرياضيات فلم تقاسِ ما قاساهُ غيرها من صنوف الاضطهاد ولا قامت امامها العقبات التي امسكت سير العلوم زمانًا طويلاً الاَّ ما اختصَّ بالهيئة منها وكان لهُ احتكاك بالدين فهي ما زالت تسير الى الامام دائبة في كشف الحقائق والجهر بها على رؤوس الملاءِ

الحاجة ام الاختراع والام التي الجأتها الحاجة الى نوع من الفنون دأبت في تلك الجهة

ووضعت اساساً بنى عليهِ غيرها من خلفائها او معاصريها فالفينيقيون اشتدَّت حاجتهم الى الحساب في تجارتهم والمصريون احتاجوا الهندسة والمساحة في زراعتهم وري اراضيهم واقتسام حقولهم والكلدان اضطرتهم عبادتهم الى معرفة مطالع الاجرام ومغاربها احتفاظاً باحوال آلهتهم وقياماً على رعاية معبوداتهم . ومثل هذه القرائن تبعثنا الى القول بان هذه القبائل هي التي وضعت اساساً لهذه الفنون

من الاقوال المأثورة " ان الشرائع نامية غير مصنوعة " وهذا القول يطابق على سائر العلوم بجميعها نامٍ من جرثومة صغيرة الى جسم كبير منتقل من البساطة الى التركيب ومن القلَّة الى الكثرة شأن كل مادة تفعل بها القوَّة وشأن كل منزع من منازع العقل . اوَّل رجل قسم اربع ثمراتٍ مع رفيقهِ فاعطاهُ اثنتين واخذ اثنتين هو واضع علم الحساب لان العلم هو المعرفة الصحيحة في الاشياء . يكون بهذه الصورة من البساطة والسهولة ثم يأخذ بالنمو والمعاظلة الى ان يصير مضاعاً للعقول ومحيّراً للمدارك . يكون بذرة صغيرة تزرى لحقارتها وتمتهن لصغر شأنها ثم لا تمهل حتى تصبح شجرة كثيفة او غابة غيباء

لم يبلغنا في الرياضيات نموٌّ يستحق الذكر حتى قام بها اليونان فاظهروا فيها غرائب الاكتشاف وكان لهم فيها الفضل الذي لا يجارى . وعند ذكر علمائهم لا يبقى محلٌّ لذكر غيرهم من القدماء في ترقية هذه العلوم . ولا يسعنا الاَّ ان نشعر بالاحترام والاجلال عند ما نذكر طاليس وفيثاغورس وهپارخس وبقراط وافلاطون وارسطو وارخميدس واقليدس وبطليموس وابولونيوس والعدد العديد غيرهم ممن لهم في الرياضيات القدح المعلَّى والكعب الارفع

الحساب والهندسة والفلك كانت تعتمد بعضها على بعض في الارتقاء والنمو اما الجبر فلم يعدّ بين العلوم ولا ظهر مستقلاً الاَّ بعد ان كان غيره قد بلغ درجة سامية من الاتقان والاحكام

واول ما ظهر فجرهُ على ما يظن في كتاب الفهُ اقليدس وسماهُ معاصروهُ حساب اقليدس لانهم لم يفهموهُ وقد فقد هذا الكتاب تماماً انما اشار اليهِ كتبة اليونان في بعض مؤلفاتهم بما يفهم منهُ ان اقليدس الف كتاباً غير مفهوم في الحساب العالي والراجح الآن ان مؤلفهُ هذا كان في الجبر اذ انهُ يعسر التصديق ان مبادئ الجبر كانت خافية وهو يستعملها في هندستهِ التي من مراجعتها يظهر ان اقليدس استخدم الجبر في حلّ المسائل الهندسية

واقدم ما انتهى الينا من امر الجبر مؤلَّف وضعهُ ديوفنطوس (Diophante) المتوفى سنة ٤٠٩ بعد المسيح في ثلثة عشر كتاباً لدينا منها ستة فقط والسبعة الباقية مفقودة. ومباحث الستة الاولى هي في المعادلات البسيطة والسيَّالة من الدرجة الاولى لمجهولين فقط يتبعها مسائل

منشورة مع حلها والمجهول في جميعها دليلهُ واحد ثم كتاب في المعادلات المفردة من الدرجة الثانية اي ما كان المجهول فيها مربعاً فقط مع حل بعض المسائل من هذا القبيل . ولعلَّ السبعة المفقودة فيها مسائل اكثر صعوبة مما ذكر لان درجة الكتب ترتفع بالتدريج في الستة الموجودة . ولم يسبقهُ احد لاستعمال العلامات بل هو اول من نبَّه اليها باستخدام الخط القصير علامة للطرح

وقد اشتغل الهنود والعرب في الجبر غير انهم لم يضيفوا الى موضوعات اليونان فيهِ شيئاً يذكر ولم يستعملوهُ الا في حلّ المسائل العددية وبقي عندهم مسلكا متوعراً وهم يعتبرونهُ حساباً عالياً

وفي سنة ٥٩٨ مسيحية نشر براهماغوبتا الهندي (Brahmegupta) كتاباً في الحساب والجبر يلحقهما ذيل في الهندسة وهو كتاب نفيس في بابهِ حمل الكثيرين على القول ان علم الجبر كان راقياً درجة سامية بين الهنود قبل براهماغوبتا ودعا آخرين الى القول ان هذا الهندي هو واضع علم الجبر دون غيره . ولعلهُ اطلع على كتاب ديوفنطوس اليوناني فان كان ذلك فالواضع هو ديوفنطوس وحدهُ والاَّ فيكون براهماغوبتا قد نازعهُ الشرف والفخر في وضع هذا الفن . اما كتاب الرياضي الهندي فيشبه كتاب ديوفنطوس في كثير من الوجوه ولا يزيد عنهُ شيئاً وهذا حمل البعض على القول بانهُ منقول عنهُ ويعزّز هذا الزعم قصر باع الهنود في سائر العلوم الرياضية كالهندسة والهيئة عمَّا لليونان فيهِ المبلغ الاعلى والخطة المثلى . فلوكان الهنود اهل اكتشاف في الرياضيات لاكتشفوا في الهندسة وهي اقرب الى الحاجة من الجبر

وفي اواخر القرن الثاني عشر نشر بهسكارا (Bhascara) الهندي كتاباً شرح فيهِ كتاب براهماغوبتا مع بعض اضافات تناولها من العرب او من نفسهِ وبهذا الشرح عظم امر الجبر الهندي وارتفع شأنهُ بين الامم فترجم هذا الكتاب الى الانكليزيَّة بصورٍ شتى ترجمة عدد ليس بقليل من الراغبين في نشرهِ

ثم بعد براهماغوبتا بزمنٍ طويل اي في الربع الاول من القرن التاسع نشر محمد بن موسى الخوارزمي قيّم خزانة كتب المأمون كتاباً بامر المأمون في الجبر والمقابلة وهو اول كاتب كتب بالعربية في هذا الفن فهو واضع الاصطلاحات الجبريَّة وهو الذي اعطاهُ هذا الاسم العربي الذي نقلهُ الافرنج بلفظهِ عن عرب الاندلس وعرب المشرق حتى خيل للكثيرين ان العرب هم واضعو الجبر وانهُ لم يسبقهم اليهِ احد

وقد اشتهر هذا الكتاب في الشرق والغرب وطار ذكرهُ في جميع الاصقاع وكثرت

شروحهُ وترجماتهُ الى لغاتٍ كثيرة في ازمنة مختلفة وكان هو المعوَّل عليهِ في هذا الفن مدة طويلة ولا يشكُّ الاوربيونُ اليوم ان محمد بن موسى اخذ هذا العلم عن الهنود واليونان فهو كان قيم خزانة الكتب في بغداد ولهُ الاستطاعة ان يستنبث ركازها ويقف على محتوياتها

اما ابحاث الكتاب فهي الجمع والطرح والضرب للكميَّات الحاوية مجهولاً واحداً او جذر المجهول او مربَّعهُ. وطرائق الجمع والطرح موضَّحة بخطوطٍ يعبَّر بها عن القيم وفيهِ بعض امثلة على المعادلة المفردة من الدرجة الثانية محلولة بعد ايضاحات طويلة مبهمة وفيهِ باب عن التجذير والترقية للكميات ذات الحد الواحد

وقام بعدهُ تلميذهُ ثابت بن قرَّة فالف كتاباً بيَّن فيهِ كيفية استخدام الجبر في الهندسة وجمع بين الاثنين. وكثرت بعدهما كتب العرب في هذا الفن غير ان جميع ما أُلّف بعدهما لم يخرج عما وضعهُ محمد في كتابهِ الاول فكلهم نقلوا عنهُ كما نقل هو عمَّن سبقهُ من الهنود واليونان

ودامت العلوم الرياضيَّة مزدهرة عند العرب مثل غيرها اكثر من سبع مئة سنة في الشرق والغرب الى ان دالت دولتهم وسلَّموا ما في ايديهم الى الاوربيين بعد ان زادوا فيهِ شيئاً كثيراً في الفلك والمثلثات وقليلاً في الهندسة والجبر

اما بين الافرنج فلم يظهر بعد ديوفنطوس احدٌ الى اواسط القرن العاشر حين قام جربرت الافرنسي (٩٣٠ — ١٠٠٣) (Gerbert) وكان راهباً شبَّ في احد الاديرة وتلقن فيهِ من الرهبان العلوم التي كانت بين الافرنج في عهدهِ ومهر في الطبيعيات مهارةً اطارت صيتهُ في البلاد وجعلت الناس يتهمونهُ بالسحر ثم ترك الدير ورحل الى الاندلس التي كانت في ذلك العهد مقصداً لطلبة العلم ومحبي الحكمة من الافرنج وتلقَّى في احسن مدارسها العلوم الرائجة بين العرب في تلك الايام وقصد اشهر علمائها واخذ عنهم في جميع الفنون وكان شديد الذكاء قويَّ الحافظة فرجع الى بلادهِ بغنائم وافرة واسس مدرسة كبيرة اتسع ذكرها وطارت شهرتها . ثم رقي العرش البابوي باسم سلفسترس الثاني

واهم المسائل التي اشتغل بها وحلَّها ايجاد ساقي المثلث القائم الزاوية اذا عيّن الوتر والمساحة اي انهُ استخرج قيمة ك وقيمة ى في هاتين المعادلتين وهي مسألة كان لها في زمانهِ شأن كبير حتى حارت بها عقول العلماء واليوم تعد من اسهل المسائل الجبرية التي يحلُّها صبيان المكاتب.

$$\left\{ \begin{array}{l} ك^{٢} + ى^{٢} = ب^{٢} \\ \frac{ك ى}{٢} = ت \end{array} \right.$$

واستخرج عدةَ عبارات هندسية تتعلق باقواس المضلعات ووضع عبارة لمجموع السلسلة الهندسية ولهُ غير ذلك كثير من الاكتشافات والاوضاع مما جعلهُ يعد في مقدمة ابطال الجبر

وفي اوائل القرن الثالث عشر قام ليونارد دي بيز الايطالي (Leonard de Pise) وكان لهُ في الرياضيات شهرة واسعة اكتسب جلّها من رحلتهِ الى الشرق حيث امتزج بعلمائهِ واخذ ما عندهم من علم وادب وعاد الى مواطنيهِ يدهشهم بما لم يكن لهم بهِ عهد

واقترح عليهِ فريدريك امبراطور جرمانيا مسائل كثيرة اكتشف وهو يحلها عدَّة قضايا في الجبر والهندسة واليهِ يعزى حل المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة اذ ان ذلك كان غير معروف الى عهدهِ . ولم يقم بين الافرنج في القرون المتوسطة غير هذين الاثنين من اهل الشهرة الذين اضافوا الى الجبر شيئاً يؤرخ . اما حرصهم على ترقيتهِ وفعال ابطالهم فيهِ بعد القرن الخامس عشر فسنأتي على تفصيلهِ في فرصةٍ اخرى

دمشق فارس الخوري

الحرارة الحيوانية

من المسائل العويصة التي لم يهتدِ العلماء الى حلها حتى الآن حلاً مقنعاً كيفية تولُّد الحرارة في جسم الانسان والحيوان وبقائها على درجة واحدة تقريباً سواء كان في الاقاليم الحارة حيث تبلغ حرارة الهواء الدرجة الاربعين والخمسين فوق الصفر او في الاصقاع القطبية حيث تبلغ الدرجة الاربعين والخمسين تحت الصفر

ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة بلفست في اواخر الصيف الماضي قرأ فيهِ العلاَّمة الطبيعي الشهير لورد كلفن رسالة وجيزة موضوعها الترموستات الحيواني قال فيها ما معرَّبهُ

" الترموستات آلة تبقي الحرارة على درجة واحدة فما هو الترموستات الذي يبقي حرارة جسم الانسان على الدرجة ٩٨ واربعة اعشار بميزان فارنهيت فقد عُلم منذ عهد طويل ان الحرارة التي يعتمد عليها هذا الترموستات هي من اتحاد طعام الانسان بالاكسجين ان كانت حرارة الهواء اوطأ من حرارتهِ . وقد اكتشف لافوازيه ولابلاس ومنغس ان محل القسم الاكبر من هذا الاتحاد في انسجة تحيط بالانابيب الدقيقة التي يدور فيها الدم ويجري في الجسم كلهِ كما ان محل القسم الاصغر منهُ في الاعضاء الباطنة كالقلب والرئتين وما يتصل بهما . ولا يبعد ان يكون محل تعديل الحرارة حتى تبقى على درجة واحدة تقريباً هو في القلب او في ما حولهُ . هناك الترموستات الذي يعدّل حرارة الانسان ويمنع انخفاضها

" ولكن اذا علَت حرارة الهواء وزادت على حرارة الجسم وكانت الرطوبة كثيرةً فيهِ حتى

تعذّر تبخّر العرق فكيف يفعل هذا الترموستات في تعديل حرارة الجسم ويمنع ازديادها مع انها مستمرّة التولّد فيهِ واذا كان النفس يخرج وحرارتهُ مثل حرارة الجسم وفيهِ الحامض الكربونيك المتولّد من الجسم فاين تذهب الحرارة التي تتولّد من احتراق الكربون الذي في الطعام . فان الطعام يؤْكل حينئذٍ وحرارتهُ مثل حرارة الهواء المحيط بالانسان ثم تزيد باتحادهِ بالاكسجين داخل الجسم فاين تذهب الحرارة الزائدة التي تتولّد من هذا الاتحاد

"لا بدَّ من اجراء التجارب الكثيرة ليُعلَم كم تزيد حرارة الانسان اذا اقام في هواء حار رطب واذا اقام في ماء حرارتهُ ١٠٦ درجات مثلاً وكانت حرارة الهواء حولهُ على هذه الدرجة ايضاً وهو مشبع بالبخار المائي اذا لم يكن من ذلك ضرر . ولا بدَّ من امتحان حرارة الفم حينئذٍ كل دقيقتين ومن امتحان حرارة النفَس ومعرفة مقدار ما فيهِ من البخار والحامض الكربونيك"

ثم كتب في الخامس من شهر دسمبر الماضي يقول نبهني البعض بعد كتابة ما تقدم لما كتبهُ الدكتور ادير كروفرد سنة ١٧٨١ عن تجارب جرَّبها فاكتشف بها مقدرة بعض الحيوانات على احداث البرد فانهُ وضع الضفادع الحيَّة والضفادع الميتة في مكان حرارتهُ ١٠٦ درجات بميزان فارنهيت وكانت حرارة الضفادع الحيَّة ٦٧ وحرارة الضفادع الميتة ٦٨ وابقاها في ذلك المكان ٢٥ دقيقة وكان يقيس حرارتها في كل دقيقة فوجدها على ما في هذا الجدول

	حرارة الهواء	حرارة الضفدع الحيَّة	حرارة الضفدع الميتة
في آخر الدقيقة الاولى		٦٧ ١/٢	٧٠ ١/٢
" " الثانية	١٠٢	٦٨	٧٢
" " الثالثة	١٠٠	٦٩ ١/٢	٧٢ ١/٢
" " الرابعة	١٠٠	٧٠	٧٣
" " الخامسة والعشرين	٩٥	٧٨ ١/٢	٨١ ١/٢

وكانت حرارة باطن الضفادع مثل حرارة ظاهرها . ويتضح من ذلك ان الضفدع الحيَّة تقاوم حرارة الهواء اكثر من الضفدع الميتة فلا بدَّ من ان يكون الفضل في ذلك لاعضائها الحيويَّة

وقد يُظن لاول وهلة ان التبخُّر من جسم الحيوان الحي يمنع وصول حرارة الهواء اليهِ فجرب التجربة التالية ليعلم ما اذا كان هذا الظن صحيحاً او غير صحيح ووضع الضفادع الحية والميتة في ماء حرارتهُ ٩٨ درجة حتى يمتنع التبخُّر من ابدانها وكانت حرارتها ٧٥ درجة فوجد انها تغيرت في ثماني دقائق كما ترى في هذا الجدول

	حرارة الضفدع الحية	حرارة الضفدع الميتة
في آخر الدقيقة الاولى	٨١	٨٥
" " الثانية	٨٥	٨٨ ١/٢
" " الثالثة	٨٧	٩٠ ١/٢
" " الخامسة	٨٩	٩١ ١/٢
" " السادسة	٨٩	٩١ ١/٢
" " الثامنة	٨٩	٩١ ١/٢

وكانت حرارة الماء قد هبطت الى الدرجة ٩١ ١/٢ بسبب برد جسمَي الضفدعين وبسبب تحريكهِ فصارت حرارة الضفدع الميتة مثل حرارتهِ في خمس دقائق واما حرارة الضفدع الحية فبقيت اقل من حرارتهِ درجتين ونصف درجة دلالةً على ان في جسمها شيئاً يقاوم اشتداد الحرارة وهو غير التبخُّر لان التبخر لم يكن ممكناً وهي غائصة في الماء . ويظهر من تجارب الدكتور فورديس ان في جسم الانسان قوةً مثل هذه على تعديل حرارتهِ سواءٌ كان في هواء رطب او جاف فمن المحتمل ان هذه القوة فيهِ لا تتوقف على تبخر العرق من جسمهِ

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الضفدع الحيَّة اذا وضعت في هواء حرارتهُ فوق ٧٠ درجة بميزان فارنهيت تبقى حرارتها اوطأ من حرارة الهواء ولكن يكون باطنها اسخن من ظاهرها فانهُ حينما بلغت حرارة الهواء الدرجة ٧٧ كانت حرارة ظاهر الضفدع التي فيهِ ٦٨ درجة وحرارة باطنها ٧٠ ١/٢ ووضعت ضفدع في ماء حرارتهُ ٦١ درجة فصارت حرارة ظاهرها ٦١ ١/٢ وبقيت حرارة باطنها ٦٦ ١/٢

وأُتي بكلب حرارتهُ ١٠٢ بميزان فارنهيت وغطِّس في ماء حرارتهُ ١١٤ درجة وترك انفهُ فوق الماء ليتنفس وترك في الماء ٣٠ دقيقة فتغيرت حرارتهُ كما ترى في هذا الجدول

	حرارة الكلب	حرارة الماء
بعد ٥ دقائق	١٠٨	١١٢
" ٦ "	١٠٩	١١٢
" ١١ دقيقة	١٠٨	١١٢
" ١٣ "	١٠٨	١١٢
" ٣٠ "	١٠٩	١١٢

واسرع تنفسهُ عند الدقيقة الحادية عشرة وانحطت قواهُ عند الدقيقة الثلاثين

وأُخرج قليل من دمهِ حينئذٍ فاذا حرارتهُ لم تزد عن الدرجة الطبيعيَّة الاَّ قليلاً جداً . الاَّ انهُ حدث تغير غريب في لون دمهِ فان لون الدم الوريدي قاتم ولون الدم الشرياني فاتح ولكن لما اقام الكلب في الماء السخن نصف ساعة صار لون دمهِ الوريدي فاتحاً مثل لون دمهِ الشرياني وصار يصعب التمييز بينهما . وكُرِّرت هذه التجربة ست مرات فكانت نتيجتها واحدة وهي صيرورة الدم الوريدي مثل الدم الشرياني

ووُضع كلب حرارتهُ ١٠٢ في هواء سخن حرارتهُ ١٣٤ درجة ليُرى هل فعل الهواء السخن مثل فعل الماء السخن في ازالة الدكنة من الدم الوريدي وصيرورتهِ مثل الدم الشرياني . ثم فُصد في وريدهِ الوداجي واستُخرج بعض دمهِ فاذا جانب كبير من دكنتهِ قد زال منهُ

ويعلم الآن ان الحامض الكربونيك الذي يصل الى الدم الوريدي هو الذي يلوّنهُ باللون القاتم . ثم يخرج الحامض الكربونيك من الدم الوريدي حينما يصل الى الرئتين فيطهر ويفتح لونهُ ويصير شريانيًّا . فاذا كان الكلب الذي يوضع في الماء السخن يصير دمهُ الوريدي مثل دمهِ الشرياني كما اثبت الدكتور كروفرد بالامتحان فذلك دليل على ان الحامض الكربونيك يُنفَث منهُ حينئذٍ . وعسى ان يُمتحن ذلك في الانسان ويُمتحن ايضاً تنفسهُ وهو قائم في الماء السخن . واذا ثبت انهُ يحدث في دمهِ ما حدث في دم الكلب اتضح من ذلك سبب بقاء جسمهِ بارداً ولو احاط بهِ الماء الحار ولكن اذا وُجد في نفسهِ حينئذٍ كثير من الاكسجين فمن المحتمل ان يكون سبب البرودة انحلال المواد التي فيها اكسجين وخروج الاكسجين منها . واذا كانت المادة المنحلّة ماء وجب ان يكون في النفَس حينئذٍ شيء من الهيدروجين اذا لم يتصرف الجسم بالهيدرجين على اسلوب آخر . انتهى

هذا وقد بلغنا بعد ترجمة هذه السطور ان العلماء ولا سيما الاطباء جرَّبوا التجارب الكثيرة في هذا الباب فوجدوا ان حرارة الجسم تزيد درجتين او ثلاثاً . ومعلوم ان الانسان يستطيع ان يدخل فرناً حرارتهُ مئتا درجة او اكثر وكان المظنون ان البخار الخارج من بدنهِ يمنع فعل الحرارة الخارجية بهِ حينئذٍ لانهُ يشملهُ بغلالة غير موصلة للحرارة . فان كان فيهِ فاعل كيماوي يبرّد جسمهُ فيكون قد كُشف سبب آخر لاحتمالهِ الحر الشديد والاَّ فخروج البخار من جسمهِ كافٍ لذلك . ولا بدَّ من ان تجلو التجارب العلمية هذا الامر ونقرّهُ على قرار مكين وسنوافي القراء بما نقف عليهِ من هذا القبيل

اصلاح القطر المصري

اصبح المال عماد الدول واساس تقدُّم الامم ولذلك يُنظرَ الآن في اصلاح مال البلدان قبلما يُنظر في اصلاح حالها . وهذا ما فعلتهُ الدولة المحتلَّة في هذا القطر

صدر الآن تقرير اللورد كرومر السنوي مبدوءًا بفصل مسهب موضوعهُ السياسة المالية وهو يبحث عن مالية هذا القطر وما تمَّ فيها من الاصلاح في العشرين السنة الماضية اي منذ ابتدأ الاحتلال الانكليزي الى الآن . فرأينا ان ننقلهُ الى المقتطف لانهُ خلاصة تاريخ الاصلاح الذي تمَّ في القطر المصري على عهد الاحتلال ولان فيهِ فائدة للبلدان المجاورة اذا ارادت ان تنسج عن منوال هذا القطر . قال جناب اللورد بعد ذكر حساب الحكومة المصرية في العام الماضي وحسابها التقديري لهذا العام ما ترجمتهُ

مرادي ان اراجع الآن ببعض الاسهاب اهم الحوادث المالية التي حدثت في غضون العشرين سنة الاخيرة لانهُ قد حان الوقت لذلك

فاولاً يظهر لي من كثرة المقترحات التي تقتضي النفقات الطائلة ان حال المالية المصرية غير معروف تماماً . نعم ان حالها الآن مقارن للنجاح ولكن هذا النجاح لا يستمرُّ اذا فعلت الحكومة دفعةً واحدةً عشر ما يُطلَب منها بالمقترحات التي اشرتُ اليها مع ان كثيرًا من هذه المقترحات معقول ويستحق ان يُعمَل بهِ اذا نظرنا اليهِ لذاتهِ

ويحسن ان يتذكر سكان هذا القطر اوربيين كانوا او وطنيين ان ما يطلبونهُ الآن مرةً بعد اخرى ويتهمون الحكومة بالبخل لانها لا تجيب طلبهم فيهِ كان يعدُّ من الطفائف منذ عهد قريب لان الحاجة كانت ماسة الى امور اخرى اهم منهُ جدًّا فلم يكن يذكر معها . لما التأمت لجنة التحقيق التي كنتُ عضوًا منها سنة ١٨٧٨ والتي جُعل تقريرها مبدأً للاصلاحات التي تمَّت بعدها لخَّصتْ وصف حالة البلاد حينئذٍ بقولها " والمراد انشاء ادارة مالية يتولاَّها عدد قليل جدًّا من الموظفين اما الآن فلا يكاد يوجد شيءٌ مما يجب ان يكون " . وقد وجدتْ تلك اللجنة الداء مستحكمًا في كل فرع من فروع الحكومة المصرية حتى يتعذر برؤُهُ مهما كان العلاج . ولم يكن ذلك الجسم مصابًا بعلة واحدة بل بعلل كثيرة في كل عضوٍ من اعضائهِ . مثال ذلك ان مال الحكومة الذي هو اقوى الوسائل لاصلاح شأن الامة ادبيًا وماديًا كانت نظارة المالية تستخدم اقبح الوسائل واحرمها لابتزاز كل ما يمكنها ابتزازهُ منهُ ثم تنفقهُ غالبًا في سُبُل لا تفيد الامة مطلقًا

كتبت لادي دف غوردون سنة ١٨٦٧ تصف حال مصر والمصريين وصفاً منطبقاً على الحقيقة فقالت "ان قلمي يعجز عن وصف الشقاء النازل بهذا القطر . تجد كل يوم ضريبة جديدة فتؤخذ الضرائب على البهائم كلها على الجمال والثيران والغنم والحمير والخيل ولم يعد في طاقة الفلاحين اكل الخبز فهم يعيشون الآن على دقيق الشعير يجبلونهُ بالماء ويأتدمون بالفول والبقول . ويتعذَّر على المرء ان يعيش مع ما يُطلَب منهُ من الاموال فانهُ مضطرٌّ ان يدفع الضرائب عن كل ما يزرعهُ وما يقتنيهِ وما يملكهُ حتى عن الفحم والملح . وقد اخذ الناس يهربون جماعات من الصعيد لعجزهم عن دفع الضرائب الجديدة وعن عمل الاعمال التي يسخَّرون لعملها حتى في القاهرة تجد الناس يُجلَدون بالسياط جلداً مبرحاً ليدفعوا ما يطلب منهم من المغارم" (١)

ولم يتهيأ لي ان اقول في تقريري "ان الحالة المالية قد اعتدلت بعد جهاد طويل وبعد الريب الكثير في استطاعة البلاد على القيام بما يُطلب منها وثبتت الموازنة بين الدخل والخرج" الاَّ سنة ١٨٩٠ اي بعد ما قالت لجنة التحقيق قولها المشار اليها آنفاً باثنتي عشرة سنة

نعم انهُ في السنوات الاولى من سني الاحتلال زُرعت البزور التي اتت بثمر صالح اخيرًا ولكن لم يزل الخوف من افلاس الحكومة المصريَّة الاَّ منذ عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة فصارت قادرة على الاهتمام باعمال الاصلاح اما قبل ذلك فلم يكن المال ميسوراً لها وهو اساس كل اصلاح . ومن ثمَّ فلا عجب اذا كان الاصلاح قد اقتصر على الضروريات ولم تتناول يد المصلح حتى الآن اشياء كثيرة ممَّا يجب اصلاحهُ او لم تصلحهُ الاصلاح الكافي

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان السياسة المالية التي أُتُّبعت منذ بدء الاحتلال البريطاني الى الآن غير معلومة عند البعض العلم الكافي على ما يظهر . وقد تختلف الآراء في كونها اصلح سياسة مالية لهذا القطر في الاحوال التي استُعملت فيها . وسأبين قريباً انهُ كان يمكن ان تتبع سياسة اخرى ولهذه السياسة ادلَّة قويَّة تؤيدها لكنها محدودة في رأْيي ولا شبهة في ان السياسة المالية التي أُتُّبعت كانت جليَّة واضحة سواءٌ كانت حكيمة او غير حكيمة . وقد جرت الحكومة عليها سنوات عديدة مع انها اضطرَّت ان تتوقف في عملها احياناً بسبب بعض الطوارىء الطبيعية والعوارض الوقتية ؛ اهمها استرجاع السودان . واجسر واقول زيادة على ذلك ان هذه السياسة وفت بالغرض المقصود منها تماماً كما هو ثابت بالدليل القاطع

والامر الثالث ان اغراض هذه السياسة المالية لم تتم كلها حتى الآن ولكنها قاربت التمام وسأُبيّن الاماكن التي يحسن ان يحدث فيها تغيير متدرّج

(١) مكاتيبها الاخيرة من مصر صفحة ١٠٨ و١٦٦ ثم زادت الخطوب تفاقماً بعد ذلك

وهذه الاسباب كافية على ما اظن لذكر الملخص التاريخي التالي في هذا التقرير . فان معرفة الماضي بوجه عام لازمة لادراك الحالة الحاضرة وللاستدلال على الجهة التي يحسن ان يتجه فيها الاصلاح في المستقبل . وهاانذا اشرح حقيقة السياسة المالية التي كان العمل بها

لما أُخمدت الثورة العرابية اتضحت ثلاثة امور في وسط التشويش والاضطراب اللذين كانا سائدين حينئذٍ

الاول . ان الضرائب كانت فوق الطاقة وان النظام المالي كان كثير الشوائب مع ما تمَّ فيهِ من الاصلاح في زمن المراقبة (من سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٢)

والثاني . انهُ لا بد من انفاق اموال كثيرة على الري والصرف بنوع خاص اذا اريد ان يستفيد اهالي هذا القطر من خصب ارضهم واستعدادها الزراعي الذي جادت بهِ الطبيعة عليهم

والثالث . انهُ لا بدَّ من الاصلاح في كل فرع من فروع الحكومة وكل ذلك يقتضي نفقات طائلة

وكان من البيّن ان بلوغ هذه الغايات كلها معاً دفعةً واحدة ضرب من المحال لاسيما وان بعضها كان مناقضاً للبعض الآخر في ذلك الحين فكان لا بدَّ من الاختيار بين الاصلاح المالي والاصلاح الاداري

وقد قلتُ سابقاً انهُ كان في الامكان اتباع سياسة اخرى يصعب اثباتها جدلاً ومن ادلتها الجائزة ان الضرائب كان يجب ان تبقى على الحال الذي كانت فيهِ سنة ١٨٨٢ لكي يسهل اجراء الاصلاحات وبعد ذلك تخفض عن عاتق الاهلين

اما الادلَّة التي تغلَّبت على هذا الدليل وعُمِل بها فمدارها على ان جمهور الاهالي يهمهُ تخفيف الضرائب اكثر مما تهمهُ الاصلاحات الادارية مهما كانت هذه الاصلاحات مطلوبة لذاتها في عيون الاوربيين . ثم ان تخفيف الضرائب يبقي جانباً من المال في جيوب الاهالي فيستثمرونهُ وتزيد بهِ ثروة البلاد ويأول ذلك اخيراً الى زيادة المال في خزينة الحكومة فيسهل عليها اتمام الاصلاحات الادارية ولو تأخرت في اجرائها الى ذلك الحين وتلقى من الامة حينئذٍ معاضدة في اجرائها اكثر مما كانت تلقى لو شرعت فيها قبل غيرها

اما الانفاق على الاعمال العموميَّة ولاسيما اعمال الري فشأنهُ غير شأن الانفاق على الاصلاحات الادارية لانهُ يأتي بالربح الكثير فضلاً عن كون جمهور الاهالي يدرك فوائدهُ حالاً ويرضى عنهُ اكثر مما يرضى عن غيرهِ . وقدِّر انهُ يمكن الحكومة اخيراً من الحصول

على الاموال الكافية للاصلاحات الادارية والاصلاحات الصحيَّة ايضاً ولو لم يكن ذلك بالغرض الوحيد منهُ

وعليهِ يمكن وصف السياسة المالية التي أُتبعت حينئذٍ بما يأتي : الاصلاح المالي مع تخفيف الضرائب عن عاتق الاهالي قُدّم على غيرهِ وجعل اولاً . ويتلوهُ انفاق الاموال التي تستطيع الحكومة الاستغناء عنها على الاعمال العمومية التي منها ريع وبنوع خاص على الري والصرف . واما الاصلاحات الادارية التي تقتضي نفقات طائلة فجُعلت في الدرجة الثالثة وأُخرت عن غيرها . وبقولي ان هذه الاصلاحات جعلت في الدرجة الثالثة وأُخرت عن غيرها لا اعني انهُ لم يتم شيء منها وانهُ أُهمل كل ما لا يدخل في القسم الاول والثاني من الاصلاح كلاَّ فقد ابنت في تقاريري السنوية الماضية انهُ تمَّت اصلاحات كثيرة في القضاء والتطبيب والتعليم اقتضت نفقات طائلة فان نفقات نظارة الحقانية بكل فروعها كانت ٢٥٥٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٢ فبلغت ٤٠٧٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ . ونفقات السجون كانت ٢٠٠٠٠ ج . م فبلغت ٦٠٠٠٠ ج . م ونفقات مصلحة الصحة كانت ٧٠٠٠٠ ج . م فبلغت ١٠٥٠٠٠ ج . م الاَّ ان الاموال التي أُنفقت على هذه المصالح وغيرها كانت ثانوية بالنسبة الى النفقات الضرورية التي اقتضاها القسم الاهم من السياسة المالية وهو تخفيض الضرائب والانفاق على الاعمال العمومية ذات الريع

واتقدم الآن الى بسط الكيفية التي جرت عليها الحكومة المصرية لادراك غايتها من السياسة المالية التي اتبعتها

فاولاً انها الغت السخرة وهي تنفق على الغائها ٤٠٠٠٠٠ ج . م كل سنة . والسخرة لا تخلو مبدئياً من ادلة تبيحها ولكن العمل بها دعا الى كثير من المنكرات وكانت البلاد تئنُّ من وطأتها . وكان الاغنياء والذين يلوذون بهم معفين منها فيقع كل ثقلها وحيفها على الفقراء

وخُفضت اموال الاطيان ٥٧٠٠٠٠ ج . م في السنة مع ان ريعها زاد كثيراً بواسطة اصلاح الري والصرف . وحينما يتمُّ تعديل الضرائب الجاري الآن تصير توزَّع بالقسط اكثر مما توزَّع الآن

وأُلغيت رسوم البطانطة فرفع عن الاهلين ١٨٠٠٠٠ ج . م في السنة . وهي من الرسوم العادلة ولكنها لا توافق هذا القطر لان حملها كان واقعاً على الاهالي الوطنيين واما الاوربيون نزلاء مصر فكانوا معفين منها

وأُلغيت رسوم الشعاري (رسوم الغنم والمعزى) وهي ٤٠٠٠٠ ج . م في السنة وكانت

وظأتها ثقيلة على الفلاحين ويقع في جمعها كثير من الحيف

وأُلغي رسم القبانة وكان ايراده ٢٨٠٠٠ ج . م والمرجح ان الاهالي كانوا يدفعون اكثر من ذلك كثيرًا لسهولة التلاعب فيهِ

وأُلغيت رسوم اخرى صغيرة يبلغ مجموع دخلها السنوي ٥٣٠٠٠ ج . م وكلها مما يتألم الناس منهُ

وأُطلقت حريَّة الملاحة في النيل فخسرت الحكومة بذلك ٤٦٠٠٠ ج . م كل سنة

والغيت الدخوليات من كل مكان وكان دخلها السنوي نحو ٢٠٠٠٠٠ ج . م

وأُصلح الاسلوب الذي تُستغلُّ بهِ مصايد الاسماك فرُفع عن عاتق الصيادين ٤٠٠٠٠ ج . م كل سنة وأُنقذت هذه الحرفة من شوائب كثيرة كانت فيها

وقُلِّلت رسوم الفنارات ٣٣٠٠٠ ج . م كل سنة خفت عن التجارة الخارجية

وخُفض ثمن الملح ٤٠ في المئة فزادت المقطوعية كثيرًا فانها كانت ٢٤٠٠٠ طن سنة ١٨٨٦ فبلغت ٥٠٠٠٠ طن سنة ١٩٠١

وأُنقصت أُجور البوسطة كثيرًا وكان عدد الرسائل التي مرّت في البوسطة المصرية ٤٣٥٤٠٠٠ سنة ١٨٨٢ فبلغ ١٧٢٥٦٠٠٠ سنة ١٩٠١ ورغماً عن نقص الاجور زاد ربح الخزينة فان صافي الايراد من مصلحة البوسطة كان ١٣٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ فبلغ ٢٦٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١

وحدث ما يشبه ذلك في مصلحة التلغراف فأُنقصت اجرة التلغرافات خمسين في المئة وكانت النتيجة ان زاد عدد التلغرافات كثيرًا فقد كان عددها ٤٨٩٠٠٠ سنة ١٨٨٢ فبلغ ٤٢٥١٠٠٠ سنة ١٩٠١ . والنقص الذي حدث من تنقيص الاجرة استُرد من زيادة عدد المراسلات . وبلغ صافي ربح هذه المصلحة ١٢٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ وكان ١١٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٢

وخُفضت اجور سكة الحديد ايضاً ولكن زيادة البضائع سدَّت مسدَّ النقص الحاصل من ذلك. كان عدد الركاب ٢٧٦١٠٠٠ سنة ١٨٨٣ ووزن البضائع ١١٧٦٠٠٠ طنًا سنة ١٨٨٣ فبلغ عدد الركاب ١٣٠٤٠٠٠٠ ووزن البضائع ٢٩٧٥٠٠٠ طنًا سنة ١٩٠١ وزاد صافي الايراد في هذه المدة من ٦٩٣٠٠٠ ج . م الى ١١٦٥٠٠٠ ج . م

وعوائد الاملاك التي كان دفعها مقصورًا على رعايا الحكومة المحليَّة عمَّ الآن جميع السكان من غير فرق وكانت هذه العوائد ٦٠٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٣ فبلغت ١٤٥٠٠٠ اسنة ١٩٠١

ولم يُزد الاَّ رسوم التبغ كانت ١٤ غرشاً على الكيلو فصارت ٢٠ غرشاً على الكيلو

وجملة القول ان الضرائب خفضت ١٦٠٠٠٠٠ ج . م سنوياً[٢] في غضون العشرين سنة الماضية عدا التخفيض في ثمن الملح واجور البوسطة وسكة الحديد والتلغراف فنقصت الضرائب عن كل نفس من سكان القطر من ١٠٣ غروش سنة ١٨٨٢ الى ٧٨ غرشاً و٩ مليمات سنة ١٩٠٢

وعندي انهُ لا شيء يثبت باجلى بيان مقدرة القطر المصري على استرجاع قوتهِ مثل هذين الامرين الاول ان تخفيض الضرائب قد تمَّ رغماً عن تحمُّل المالية المصريَّة ٣٠٠٠٠٠ ج . م كل سنة بسبب استرجاع السودان والثاني انهُ رغماً عن تخفيض الضرائب زاد ايراد الحكومة المصرية من ٢٠٠٠٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠٠٠ ج . م في السنة فقد كانت الايرادات العادية منذ عشرين سنة ٩٠٠٠٠٠ ج . م وكانت تُحصَّل بالصعوبة وكثيراً ما كانت الاطيان تحجز وتباع لعجز اصحابها عن ايفاء مالها . وكان يتأخر جانب كبير من الاموال الاميرية من سنة الى سنة . وفي بدء زمن الاحتلال تجاوزت الحكومة عن مبلغ مليون جنيه من المتأخرات دفعةً واحدة والآن تبلغ الايرادات العادية من ١١٠٠٠٠٠ ج . م الى ١١٥٠٠٠٠ ج . م وقلَّ حجز الاطيان وبيعها بسبب عدم دفع اموالها . فان الاطيان التي تدفع الاموال عنها الآن تبلغ مساحتها ٥٥٤٠٩٠٠ ولم تبع الحكومة منها بالحجز سنة ١٩٠١ الاَّ ٥٩٢ فداناً . وبلغ مال الاطيان ٤٦٩٨٠٠٠ ج . م ولم يتأخر منهُ في آخر السنة الاَّ ١٨٢٧٨ ج . م

ولنعُدْ الى الغرض الثاني من اغراض هذه السياسة وهو انشاء اعمال عمومية ذات ريع فاقول انهُ أُنفق نحو ٩٠٠٠٠٠٠ ج . م[٣] حتى آخر سنة ١٩٠٢ على اعمال الري والصرف وفوائد ذلك ظاهرة في كل مكان . فمُنع الضرر الجسيم الذي كان يحصل حتماً من وطوء النيل سنوات متوالية . ووثق الناس بري اطيانهم واستغلالها وعادت الثقة المالية الى القطر ورغب الماليون الاوربيون في ارسال اموالهم اليهِ ولم تعد الموازنة المالية تابعة لتغيرات الفصول. وارتفعت اسعار الاطيان ارتفاعاً باهظاً وزادت مساحة ما تُدفَع عنهُ الاموال الاميرية من ٤٧٥٨٤٧٤ فداناً سنة ١٨٨٢ الى ٥٥٤٠٩٠٠ سنة ١٩٠١ وزادت قيمة الواردات من نحو ٨٠٠٠٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ الى ١٥٠٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠١ رغماً عن رخص اسعار

---

(٢) اعتبر في هذه الارقام الغاء الدخوليات من العاصمة الذي تمَّ حديثاً

(٣) ومن ضمن ذلك نفقات الخزان

البضائع (٤) وزادت قيمة الصادرات في هذه المدة من نحو ١٢٠٠٠٠٠٠ ج . م الى نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ج . م وزاد محصول القطن المصري من ٢٥٠٠٠٠٠ او ٣٠٠٠٠٠٠ قنطار الى ٥٠٠٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠٠٠ قنطار . وكان مقدار السكّر الصادر من القطر يختلف بين ٢٠٠٠٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام فبلغ ٧٣٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٨٩٦ ثم انخفض قليلاً ولكنهُ لم يقلّ في سنة من السنين التالية عن ٤٩٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام

واجسر واقول ان هذه الحقائق وهذه الارقام مقنعة تمام الاقناع وتدل دلالة قاطعة على ان السياسة المالية التي أُتبعت بعد تمام التروي انجحت النتائج المقصودة منها . فخُفّفت اثقال الضرائب عن عاتق الاهلين وأُنشئت اعمال عمومية كبيرة جاءت باعظم المنافع

واني استلفت نظر القارىء الى الجدول التالي زيادة في ايضاح هذا الموضوع الهام فقد كان مجموع ايرادات الحكومة المصرية في العشرين سنة الماضية من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠١ هكذا

	ج . م	ج . م
١ ايرادات اعتيادية		٢٠٤٨١٦٤٢٠
٢ سلف من قروض ومصادر اخرى		
(ا) الدين المضمون الذي استدانتهُ سنة ١٨٨٥ لدفع تعويضات الاسكندرية وغير ذلك	٩٤٩٥٩١١	
(ب) دين سنة ١٨٨٨ بفائدة ١/٢ ٤ في المئة لاستبدال المعاشات وقسم من مرتبات العائلة الخديوية ثمَّ جعل من الدين الممتاز	٢١٥٨٣٠٤	
(ج) اسهم أُصدرت من الدين الممتاز سنة ١٨٩٠ لاجل الري واستبدال المعاشات ونفقات التحويل	٢١٦٢٥٦٧	

(١) متوسط الاسعار سنة

	١٨٨٢	و ١٩٠١
القطن	٢٫٩٠٠	٣٫١٣٧
القمح	١٫٠٤٥	٠٫٨٠٤
الشعير	٠٫٥٨٣	٠٫٤٨٣
السكر العال	١٫١٠٣	٠٫٤٧٧

(د) من مصادر أُخرى واكثرها مما كان في اليد في ابتداء المدة	٩٨٢٩٢١	١٤٧٩٩٧٠٣
٣ وفر من تحويل دين الدائرة والدومين وفوائد الوفر		١٥٨٤٠٢٠
٤ من ثمن اراضي وفوائد المال الاحتياطي العمومي		١٩٤٨٤٨٤
٥ متفرقات دُفعت للمال الاحتياطي الخصوصي اهمها مبلغ ٧٧٩٠٠٠ ج . م دفعتهُ الحكومة البريطانية لمساعدة حملة السودان سنة ١٨٩٨		١٠٥٧٥٢٤
والمجموع		٢٢٤٢٠٦١٥١

ويحق للسكان الذين يدفعون الضرائب ان يسأَلوا كيف أُنفق أُمناؤُهم هذه الاموال الطائلة . اقول امناؤُهم لان رجال الحكومة امناه من قبل الامة على اموالها ولو كان هذا المعنى لا يدركهُ دافعو الضرائب تماماً حتى الآن في هذه البلاد ولا في كل بلاد الشرق . واذا نظرنا الى تاريخ الماضي لم نستغرب اعتقاد السكان ان مصلحة الحاكم ومصلحة المحكوم مختلفتان بل متضادتان . ولا يزول هذا الخطأُ من اذهان المصريين عموماً الَّا بمرور الازمان

وهاك بيان الكيفية التي أُنفقت بها هذه الاموال

ا المصروفات العادية	ج . م
١ مرتبات العائلة الخديويَّة	٥٩١٩٩١٧
٢ الحقانية	٧٠٥٤٥٠٣
٣ الاشغال العمومية	١٠٤١٩٨٠٧
٤ المعارف العمومية	١٨٢٢٥٤٧
٥ مصلحة الصحة	١٨٥٢٥١٥
٦ مصاريف ادارية اخرى	٢٢١٥٢٣١٠
٧ المصالح ذات الايراد	٢٠٧٦٩٠٣٦
٨ الحربية	١٢٣٦٨١٠٩
٩ المعاشات	٨٦٥٥٧٤٥
١٠ ويركو مصر	١٣٣٩٣٩١٠
١١ فائدة الدين	٧٩٤٤٨٧٨٦
١٢ الغاء العونة	٠٥٩٧٧٤٥٤

١٣ السودان ٣٦٧٨ ٨٨٩

مجموع المصروفات العادية ١٩٣٥١٣ ٥٢٨

٣ المصروفات غير العادية مأخوذة من المال الاحتياطي العمومي والخصوصي والسلف ومصادر اخرى

(ا) مصروفات انتهائية

١ تعويضات الاسكندرية	٤١٤٣ ٩٥٦
٢ للري والصرف (٥)	٤١٢٠ ١٣١
٣ اصدار السلف	٠٩٨٨ ٠١٤
٤ استبدال المعاشات	٣٦٣٣ ٦١٢
٥ مباني عمومية	٠٩٤٣ ١٨٣
٦ بواخر البوسطة	٠٢١٠ ٥٦٩
٧ سكك الحديد	٠٩٦٦ ٧٢٧
٨ السودان	٢٦١٨ ٨٢٧
٩ متفرقات	٠٧٥٩٩٤٣
	١٨ ٣٨٤ ٩٥٢

(ب) سلف مأخوذة من المال الاحتياطي العمومي وستوفيها الحكومة

١ للمباني العمومية	٣٨٢٠٩
٢ لسكك الحديد	٩٠٧٦١٨
٣ متفرقات	٢٤٣٦٧
	٩٧٠١٩٤

وجملة المصروفات غير الاعتيادية ١٩٣٥٥١٤٦

٣ المدفوع لاستهلاك الدين ٨٩٦٧٤١

جملة المصروفات الاعتيادية وغير الاعتيادية والاستهلاك ٢١٣٧٦٥٤١٥

وقد تقدم ان مجموع الاموال التي قبضتها الحكومة في غضون السنوات العشرين الماضية هو ٢٢٤ ٢٠٦ ١٥١ ج . م ومجموع الاموال التي انفقتها ٤٤٥ ٧٦٥ ٢١٣ ج . م فالباقي عندها ٧٣٦ ٠٤٤٠ ١ ج . م وهذا بيانه

(٥) عدا الاموال التي صرفت على الخزانات

		ج م
١	مبلغ يرحّل من سنة الى اخرى منذ سنة ١٨٩٠ بسبب تغيير ميعاد رصد الايرادات المخصصة للدين	١٢٥٣٩١٤
٢	رصيد وفورات التحويل	٤٤٩٠٥٠٠
٣	رصيد المال الاحتياطي العمومي	٣٧٩٤٧٨٥
٤	رصيد الاحتياطي الخصوصي بعد طرح ٣٨٥٨١٥ وهي وفر سنة ١٨٨٠ — ١٨٨١	٩٠١٥٣٧
	والجملة	١٠٤٤٠٧٣٦

واول شيء يستحقُّ الالتفات في امر هذه الارقام ان كل غرش دخل خزينة الحكومة المصرية في السنوات العشرين الماضية يعرَف كيف صرف . وغني عن البيان ان هذه الارقام التي ذكرتها جملة يمكن ذكرها بالتفصيل التام . وهذا امرٌ لم يكن معروفاً في هذا القطر فان لجنة التحقيق قرَّرت سنة ١٨٧٨ ان مبالغ وافرة أُرسلت الى الاستانة "ولم يقدَّم عنها حساب". وهذا الخلل قد زال تماماً

ويمكن ان تدار الاموال ادارة سيئة جدًّا ومع ذلك تكون دفاترها وحساباتها على تمام الضبط ولكن يستحيل على السياسي او المالي ان يشرعا في الاصلاحات الادارية او المالية قبلما ينظمان اسلوب الحسابات لكي يعلما كل ما يتعلق بايرادات الحكومة ومصروفاتها. ومن الاسباب الجوهرية التي احبطت المساعي التي بذلت اولاً لاصلاح المالية المصرية كون الحسابات كانت على اتم الارتباك . وقد نُظم قلم المحاسبة الآن جيدًا واهمية ذلك لا يبالغ مهما أُطنب فيها . ومن رجال الانكليز الذين لهم اليد الطولى في اعمال الاصلاح في هذا القطر من غير دعوى قلَّ من لهُ فضل اكبر من فضل السر جرلد فتزجرلد الذي تولَّى هذا العمل الشاق اولاً وبجدهِ واجتهادهِ ودأْبهِ تغلَّب على كل المصاعب التي اعترضتهُ . نعم انهُ لم يعمل كثيرًا من اعمال الاصلاح نفسها لكنهُ عمل الاعمال التي كان لا بدَّ منها لسير الاصلاح والعمل الذي عملهُ هو وخلفاؤهُ لا تجهاليهِ الانظار كثيرًا ولكن الذين يرجع اليهم في امور الحكومة يعرفون قيمتهُ

ومرادي الآن ان آخذ ابواب المصروفات العادية بابًا بابًا واعلق عليها شيئًا من الشرح لانها اهم ابواب المصروفات

مرتبات العائلة الخديوية

بلغت الاموال التي أُعطيت للعائلة الخديوية في العشرين سنة الماضية ٥٩١٩٩١٧ ج.م او نحو ٣ في المئة من مجموع المصروفات العادية

وكان اهم اصلاح نتج من تعيين لجنة التحقيق سنة ١٨٧٨ قبول الخديوي حينئذٍ بمرتبات بدل ايراد ما كان يسمى بالاملاك الخاصة (وصحة تسميته بذلك لا تخلو من الريب). ثم جُعلت تلك الاملاك رهناً لدين مقداره ٨٥٠٠٠٠٠ وهو دَين الدومين. وقد ساءت احوال بلدان كثيرة ولاسيما في الشرق من عدم التمييز بين اموال الحكومة واموال الحاكم الخصوصية ولذلك كان تعيين مرتب خصوصي لخديوي مصر اساساً بُنيت عليهِ كل الاصلاحات التالية

وسنة ١٨٨٢ بلغت هذه المرتبات ٣٨٤٠٠٠ ج. م في السنة وبقيت كذلك تقريباً الى سنة ١٨٨٩ وحينئذٍ استُبدلت بعض معاشات العائلة الخديوية بمبلغ ١٣١٠٠٠٠ ج.م وبعد ذلك اختلفت هذه المرتبات من ٢٧٥٠٠٠ الى ٢٥٥٠٠٠ وهي ليست فائقة الحد اذا اعتبرت كل الاحوال المتعلقة بها

الحقانية

لا يصح ان يقال ان الحكومة بخلت على نظارة الحقانية فقد بلغ ما انفقتهُ عليها في العشرين سنة الماضية ٧٠٥٤٥٠٣ ج. م او نحو ٣٫٦ في المئة من مجموع مصروفاتها

وقد نقصت نفقات ديوان الحقانية قليلاً فانها كانت ٣٥٠٠٠ ج. م سنة ١٨٨٢ فصارت ٢٩٠٠٠ ج. م سنة ١٩٠١ ولكن زادت النفقات على كل ما سوى ذلك

فزادت نفقات المحاكم المختلطة من ١٣٢٠٠٠ ج. م سنة ١٨٨٢ الى ١٥٨٠٠٠ سنة ١٩٠١ واشغال هذه المحاكم متزايدة دائماً. وزادت ايضاً الايرادات من رسوم القضايا والتسجيل والتمغة من ٢٠٠٠٠٠ ج. م الى ٥٢١٠٠٠ في السنة

وزادت نفقات المحاكم الشرعية من ٣٥٠٠٠ ج. م سنة ١٨٨٢ الى ٤٧٠٠٠ ج. م سنة ١٩٠١ اما ايرادتها فبقيت على حال واحدة او انخفضت قليلاً فانها كانت ٩٦٠٠٠ ج. م سنة ١٨٨٣ فصارت ٧٣٠٠٠ ج. م سنة ١٩٠١

اما الزيادة البالغة فكانت في نفقات المحاكم الاهلية وهذا كان منتظراً. فانهُ لم يكن في البلاد قبل سنة ١٨٨٢ ما يستحق ان يسمَّى محاكم اهلية ولذلك كان لا بدَّ من انشائها جديداً. وكانت نفقاتها ٥٤٠٠٠ ج. م فقط سنة ١٨٨٢ ثم زادت زيادة مستمرة حتى بلغت ١٧٣٠٠٠ سنة ١٩٠١ والايرادات السنوية من رسوم القضايا زادت في هذه المدة من ١٠٠٠٠ ج.م الى ١٤٨٠٠٠ ج. م

ولا ريب عندي انهُ متى وجدت الاموال اللازمة تزاد نفقات المحاكم وتزيد الفائدة بزيادتها

وان تكن هذه النفقات قد زيدت قبلاً . وسأعود الى هذا الموضوع قريباً[٦]

الاشغال العمومية

ان المبلغ الذي أُنفق على الاشغال العمومية من المصروفات العادية بلغ ١٠٤١٩٨٠٧ وجانب كبير منهُ انفق على اعمال جديدة . وانفق على الاشغال العمومية من المصاريف غير الاعتيادية ما يأتي

للري والصرف	٤١٢٠١٢١ [٧]
للمباني العمومية	٠٩٨١٣٩٢
لسكك الحديد	٠١٨٧٤٣٤٥
والجملة	٦٩٧٥٨٥٨

وجملة ما انفق على الاشغال العمومية من كل نوع ١٧٣٩٥٦٦٥ ج . م او نحو ١٨,١ في المئة من مجموع المصروفات كلها الاعتيادية وغير الاعتيادية . وانفاق هذه المبالغ نتج عن السياسة المالية التي فصلتها آنفاً

المعارف العمومية

والتفتُ الآن الى ادارة التعليم فأقول ان الاموال التي انفقت في هذا الباب في غضون السنوات العشرين الماضية بلغت ١٨٢٢٥٤٧ ج م او اقل من ١ في المئة من مجموع المصروفات العمومية ولكن هذا المقدار لا يدل على كل النفقات التي انفقت في هذا الباب كما سترى

كانت نفقات نظارة المعارف العمومية ٧٦٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ وكان عندها خمس مدارس عالية واثنتان وعشرون مدرسة ابتدائية وكان فيها ٥٦٤١ تلميذاً و٣٥٤ معلماً ولم يكن يصرف شيء من اموال الحكومة على الكتاتيب

وقلما التُفت الى امر التعليم في السنوات الخمس الاولى من سني الاحتلال . وقلّت النفقات المعينة للمعارف في ميزانية الحكومة حتى بلغت ٦٣٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٧ ولكن اصلح ذلك حال تحسن مالية الحكومة وقد بلغ المال المعين للمعارف في ميزانية الحكومة ١٠٨٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ وبلغت المرتبات التي دفعها التلامذة ٤٥٠٠٠ ج . م والتي دفعها ديوان الاوقاف ٢٠٠٠٠ ج م والجملة ١٧٣٠٠٠ ج . م يقابل ذلك ٧٦٠٠٠ ج . م وهي كل ما كان

(٦) انظر ما كتب تحت فصل الجبايات

(٧) هذا ما صرف على الخزانات فان القسم الذي دفعته الحكومة من ذلك لم تذكرهُ في حساباتها الا بعد اقفال حسابات سنة ١٩٠١ ثم ان الاموال التي صرفت على الغاء السونة يمكن ان تحسب من مصروفات نظارة الاشغال العمومية

يدفع للمعارف سنة ١٨٨٢ . ويبلغ عدد المدارس العالية الآن ٩ والابتدائية ٤٠ وتتولى نظارة المعارف ايضاً ادارة ٨٧ كتّاباً وعندها ١١٩٣١ تلميذاً و٧٦٠ معلماً

فقد عُمل كثير لاجل التعليم ولكن لا ينكر انهُ بقي شيء كثير يجب ان يُعمَل . وقد بحثتُ في هذا الموضوع باكثر تفصيل في قسم آخر من هذا التقرير . وانما اقول ههنا انهُ اذا توفَّرت الاموال اللازمة فمن المفيد ان تزاد المساعدات المالية للكتاتيب وللمدارس الصناعية ومدارس البنات ولكنني لا ارى لزوماً لان تزاد كثيرًا او بسرعة في هذا الباب بل ان زيادتها كذلك ليست ممكنة اذا اريد انفاقها بالحكمة حتى تنتج منها كل الفوائد الممكنة للبلاد اذ لا يخفى انهُ يجب تعليم المعلمين كما يجب تعليم التلاميذ وزد على ذلك ان التعليم الثانوي والابتدائي العالي يجب ان يكونا على نفقة المتعلمين كلهما او اكثرهما

التطبيب والاحتياطات الصحية

ان الاموال التي انفقت على مصلحة الصحة العمومية في السنوات العشرين الماضية بلغت ١٨٥٢٥١٥ او اقل من ١ في المئة من مجموع المصروفات الاعتيادية وكان المبلغ الذي يصرف سنويًّا يتغير مقدارهُ كثيرًا حسب تفشي الاوبئة وزوالها . ولكن يقال جملة ان المال المقطوع لمصلحة الصحة كان ٧٠٠٠٠ ج . م في بدء عهد الاحتلال فبلغ ١٠٨٠٠٠ ج.م سنة ١٩٠١

والجانب الاكبر من هذا المبلغ صرف على التطبيب لا على التدابير الصحية . ثم ان المبلغ الذي ذُكر انهُ أُنفق على المباني العمومية في المصروفات غير الاعتيادية ومقدارهُ ٩٤٣٠٠٠ يتضمن مبالغ كبيرة أُنفقت على المستشفيات والمرجح انهُ ستنفق نفقات اخرى من هذا القبيل وبنوع خاص على البيمارستانات

اما من حيث التدابير الصحية فيخطئ من يظن انهُ لم يفعل شيء حديثاً لاصلاح حالة البلاد الصحية لان هذا القول بعيد عن الحقيقة . فقد اختيرت اماكن مناسبة للمدافن في كل قرى القطر المصري تقريباً وبذلت الهمة في جعل الجوامع في حالة صحية منذ سنوات كثيرة الى الآن . وأُوجد الماء النقي للشرب في كثير من مدن الاقاليم والصعوبة الكبرى قائمة الآن في جعل الاهالي يستعملونهُ . ورُدم كثير من البرك التي تحيط باكثر القرى وأُنفقت النفقات الكثيرة على مكان الكورنتينا في الطور . ومع ذلك بقيت اشياء كثيرة يجب عملها . وعندي انهُ يخطئ من يظن ان التدابير الصحية التي هي علم حديث يمكن ان تنتج في هذا القطر النتائج التي انتجتها في اوربا قبلما يتسع نطاق التعليم وتتغير آراء الناس وعاداتهم تغيرًا جوهريًّا ومع ذلك اسلِّم تمام التسليم ان الحكومة يجب ان تتقدم الامة في ما كان من هذا القبيل

ولا بدَّ من ان تُنفَق الاموال اللازمة على التدابير الصحية حالما تتوفر لدى الحكومة [٨]

مصاريف الادارة

ان مجموع مصاريف الادارة بلغ ٢٢١٥٢٣١٠ اي ١١٫٥ في المئة من مجموع المصروفات العمومية. ومن الجدول التالي تظهر المقابلة بين ما أُنفق سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٠١ في هذا الباب

	١٨٨٢	١٩٠١
مجلس النظار	٦٧٣٨	٤٧٢٤
مجلس شورى القوانين	١٢٨٦٧	٨٤٠٢
نظارة الخارجية	١٠٧٢٨	١١٣١٣
نظارة المالية	١٠٧١٣٢	٩٣٢٧٥
نظارة الداخلية (ومعها السجون)	٢٥٨٢٣٣	٣٤١٢٢٥
الاقاليم وادارة تحصيل الاموال	٥٣٠١٥٦	٥١١٣٩٨
خدمات متنوعة	١٢٨٤٩٣	١٣٩٠٦٠
والجملة	١٠٥٤٣٤٥	١٠٩٩٣٩٧

ويظهر من ذلك ان الفرق قليل جدًّا وفي بعض الابواب كانت المصروفات سنة ١٩٠١ اقل مما كانت سنة ١٨٨٢ والزيادة الكبيرة في مصروفات نظارة الدخلية وسببها الاكبر انشاء ادارة مناسبة للسجون لم تكن موجودة قبلاً . وهذه الارقام تدل دلالة واضحة على الاقتصاد الاداري

ومصروفات البوليس داخلة ضمن مصروفات نظارة الداخلية والشكوى من البوليس سببها الاكبر قلة رواتب رجالهِ فاذا وجد المال الكافي فلا بدَّ من اصلاح هذا الخلل

المصالح ذات الايراد

بلغت الاموال التي انفقت على المصالح ذات الايراد في العشرين سنة الماضية ٢٠٧٦٩٠٣٦ج م او نحو ٧٫٠١ في المئة من مجموع المصروفات العمومية وزادت المصروفات السنوية من ٧٠٨٠٠٠ سنة ١٨٨٢ الى ١٢٩٩٠٠٠ سنة ١٩٠١

والانتقاد الوحيد الصحيح الذي يمكن ان ينتقد بهِ على هذه النفقات هو انها قد تكون غير كافية . وقد اشرت في كثير من تقاريري السابقة الى الخطإ في محاولة تحديد نفقات التشغيل في سكة الحديد بخمسة واربعين في المئة من مجموع الدخل ولحسن الحظ اصلح هذا الخطأ الآن

(٨) انظر كلامًا آخر في هذا الموضوع في فصل الكوليرا

الجيش

ان الاعتماد على السياسة المالية التي اوضحتها سابقًا لم يمنع تقديم الاموال اللازمة لبقاء الجيش في حالة الكفاءة . وقد بلغت الاموال التي أُنفقت على الجيش المصري في السنوات العشرين الماضية ١٢٣٦٨١٠٩ ج . م او نحو ٦٫٣ في المئة من مجموع المصروفات العمومية

وقد تغيَّر مقدار المبلغ الذي كان يصرف سنويًا حسب مقتضى الحال كما هو الواجب في مثل ذلك اي حسب ما تستدعيهِ الاحوال السياسية والحربية . ففي سنة ١٨٨٢ التي تسلَّط عرابي فيها بلغت مصروفات الجيش ٨٦٤٠٠٠ ج . م ولم تبلغ هذا الحد بعد ذلك . وأُنقصت المصروفات الحربيَّة بُعَيْدَ الاحتلال وهبطت سنة ١٨٨٦ الى ٣٣٦٠٠٠ ج . م ثم لما نجت الحكومة من خوف الافلاس زيدت مصروفات الحربية رويدًا رويدًا بعد ان بلغت حدًّا لا تكفي فيهِ لحاجة البلاد . ثم لما عُقِدت النية على استرجاع السودان زيدت هذه النفقات كثيرًا حتى بلغت ٨٢٦٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٩ ثم خففت بعد ذلك قليلاً وجُعِلَت ٧٤٥٠٠٠ ج.م (٩) سنة ١٩٠١ ويمكن حسبان هذا المبلغ عاديًا كافيًا ولا يخفى ان جانبًا كبيرًا منهُ لازم عن الاضطرار الى بقاء حامية في السودان

المعاشات

بلغت الاموال التي صرفت معاشات في العشرين سنة الماضية ٨٦٥٥٧٤٥ ج . م اي نحو ٤٫٤ في المئة من مجموع المصروفات

وهذه النفقات الطائلة اقتضاها نظام المعاشات الذي كان قبل الاحتلال فان لائحة المعاشات التي وضعت على عهد سعيد باشا مسرفة جدًّا ولم تظهر كل نتائجها الاَّ بعد وضعها بزمن طويل . فان المعاشات السنوية التي كانت ٢٠٨٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٠ بلغت ٣٤٣٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٢ و ٤٦٠٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٤ وبلغت اعلاها سنة ١٨٨٨ اي ٥٣٦٠٠٠ ج.م ثم جعلت تقل والسبب الاكبر لقلتها استبدال المعاشات الذي استغرق ٣٦٣٣٦١٢ ج . م (١٠) من المصروفات غير الاعتيادية في العشرين سنة الماضية . وتبلغ المعاشات الآن نحو ٤٣٠٠٠٠ م.ج في السنة والمرجح انها لا تقلُّ عن ذلك كثيرًا من الآن الى سنين كثيرة الاَّ بالاستبدال . وحتى الآن لا تزال لائحة المعاشات المصرية حاتمية بالنسبة الى لوائح اكثر الدول الاوربية .

---

(٩) ومن ذلك مبلغ ٨٥٠٠٠ ج . م لجيش الاحتلال

(١٠) دفع من ذلك مبلغ ١٣١٠٠٠٠ لاستبدال معاشات العائلة الخديوية . انظر الكلام على مرتبات العائلة الخديوية

وكل تغيير فيها يراد بهِ الاقتصاد يدعو الى التذمر الشديد حتماً لان الناس في هذه البلاد يدافعون عن مصلحة الفرد اكثر مما يدافعون عن مصلحة الامة. بل لا يدافع عن مصلحة الامة التي تدفع اموال الحكومة الاَّ رجال المالية كما هي الحال في كل مكان ولو على قلة بالنسبة الى القطر المصري

ومما يساق ذكرهُ هنا ان ثلث المعاشات كلها يدفع لاناس معاش الواحد منهم اقل من ٦٠ ج . م في السنة ونحو ثلاثة اثمانها لاناس معاش الواحد منهم من ٦٠ جنيهاً الى ٢٠٠ جنيه في السنة

الويركو والدين

بلغ مجموع الويركو الذي دفعتهُ مصر في العشرين سنة الماضية ١٣٣٩٣٩١٠ ج . م ومجموع فوائد الدين المصري ٧٩٤٤٨٧٨٦ ج . م[1] وجملة ذلك ٩٢٨٤٢٦٩٦ ج . م او ٤٨ في المئة من مجموع المصروفات العادية . وغنيٌّ عن البيان ان مصروفات الحكومة في كل ابوابها قليلة جداً بالنسبة الى هذه المبالغ الطائلة ولكن لا يخفى ان الحكومة لا تستطيع ان تصرف الاَّ ٥٢ في المئة من ايراداتها وجانب كبير من هذا المبلغ لا تستطيع صرفهُ بل تضطر ان تدفعهُ الى صندوق الدين حسب اتفاقها مع الدول الاوربية

ومال الويركو وهو الآن ٦٦٥٠٠٠ ج . م ثقيل على مصر ولكن دفعهُ مربوط بمسائل سياسية لا اريد التعرض لها الآن. ومعلوم ان ويركو مصر زاد كثيرًا على عهد اسمعيل باشا مقابلة لامتيازات نالها من الباب العالي

اما الدين فبعضهُ كان لمقاصد نافعة افادت اهالي القطر ولكن اكثرهُ اقتضاهُ الاسراف وسوء الادارة

لما تنصَّب اسمعيل باشا سنة ١٨٦٣ كان دين مصر ٣٢٩٣٠٠٠ ج . م وبعد ثلاث عشرة سنة بلغ ٩٤٠٠٠٠٠٠ ج . م وحينئذٍ قابل المستر كايف بين الايرادات والمصروفات من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧٦ وكتب يقول

"ان في هذه المقابلة امرين حريين بالالتفات الاول ان الايرادات بلغت ٩٤٢٨١٤٠١ جنيه انكليزي اي اقل قليلاً مما صرف على ادارة البلاد والويركو للباب العالي والاعمال التي لا شك في نفعها واعمال اخرى يشك في نفعها فان مجموع هذه النفقات ٩٧٢٤٠٩٦٦ جنيه

(١) ودفع ايضاً ٨٩٦٧٤١ ج . م لاستهلاك الدين

انكليزي . اما مبالغ الدين الطائل فلم يذكر لها سبب غير ترعة السويس (١) وقد انفقت السلف كلها والدين السائر على دفع الفوائد والاستهلاك عدا ما انفق على ذلك العمل العظيم "

ثم أجلي البحث بعد ما أتمّ المستر كايف عمله عن السبل التي ذهبت فيها الاموال المستدانة فان جانباً كبيراً منها أُرسل الى الاستانة وجانباً آخر بنيت به القصور الكبيرة التي لا فائدة منها وهي الآن تشغل الارض في القاهرة والاسكندرية وحولها

ثم ان الاسراف كان بالغاً حدهُ في كل جهة . اذا سمع مدير المدفعية انهُ اختُرع مدفع جديد لم يطلب مدفعاً واحداً يمتحنهُ بل طلب عشرات من المدافع لكي لا يقال ان مصر دون غيرها من الامم في الامور الحربية كما أُوضح ذلك للجنة التحقيق سنة ١٨٧٨ . وقد ظهر من حساب الدين السائر ان اسمعيل باشا كان يرشو بعض الجرائد الاوربية بالاموال الطائلة لتطنب في مدحهِ . وكان لخياطة واحدة في باريس دين مقدارهُ ١٥٠٠٠٠ جنيه انكليزي . وكان بين الحسابات حسبة كاد الباحثون يعجزون عن حلها وظهر منها ان اسمعيل باشا كان يضارب في البورصة هو وناظر ماليتهِ قاصداً ان يخفض اسعار القراطيس المصرية . وكانت مبالغ باهظة تدفع اجرة لبعض الاعمال او ثمناً لبعض البضائع مثال ذلك ان نفقات مينا الاسكندرية بلغت ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ويظهر من تقدير الثقات ان نفقات ذلك المينا كان يجب ان لا تزيد على ١٤٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي . الاّ ان هذا العمل نافع وقد عمل جيداً ولو زادت نفقاتهُ عما يجب ان تكون . وصرفت مبالغ كثيرة والحكومة لا تعلم كيف صرفت . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ضاعت ملايين كثيرة بالربا الفاحش وبما كان يدفع لتجديد الصكوك وللفرق بين قيم الضمانات الاسمية والحقيقية ونحو ذلك من الحيل المالية . وايضاحاً لذلك اذكر هذا المثل وهو ليس من اغرب ما حدث : ارادت الحكومة مرة ان توفي جانباً من الدين لبنك من البنوك المحلية فاعطتهُ سندات من الموحد قيمتها ٢٣٠٠٠٠ جنيه انكليزي بسعر ٣١ ٨/° اي انها ارادت ان توفيهُ ٧٣٠٠٠ جنيه انكليزي فاعطتهُ من سنداتها ما يساوي ٢٣٠٠٠٠ جنيه انكليزي وفائدة هذه السندات السنوية ١٣٨٠٠ جنيه انكليزي حسب معدل الفائدة حينئذٍ وهو ٦ في المئة

ويحسن بابناء الناشئة الجديدة من المصريين الذين يسمعون احياناً اقوالاً بعيدة عن محجة الصواب ان يتذكروا هذه الامور . ولا بدَّ من دفع فائدة الدين لان دفعها واجب لاسباب منها ان ليس من مصلحة مصر مطلقاً الامتناع عن دفع هذه الفائدة ولكن يحسن

(١) المبالغ التي دفعت لترعة السويس تبلغ نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ج انكليزي

بالمصريين ان يعرفوا الآن كيف حصل هذا الدين وتراكم ولماذا يجب عليهم ان يحملوا اثقالهُ ويورثوها لاولادهم . وان يعلموا ايضاً ان الاوربيين الذين اثقلوا كاهلهم هم في الغالب غير الاوربيين الذين استطاعوا بمساعدة الوزراء المصريين المتنورين ان يشيروا بالوسائل التي خففت اثقالهم ومتعتهم بنجاح لم ترهُ هذه البلاد قبل الآن

الغاء العونة

بلغت الاموال التي صرفت لالغاء العونة منذ سنة ١٨٧٦ (اي منذ الغيت الْسخرة) ٥٩٧٧٤٥٤ ج . م او نحو ٣ في المئة من المصروفات الاعتيادية وهذا المبلغ يُذكر في باب المصروفات وهو في الحقيقة من قبيل تخفيف الضرائب. والمبلغ الذي يصرف سنوياً على الاعمال التي تُعمل بالعونة هو ٤٠٠٠٠٠ ج . م وصرفهُ في محلهِ

السودان

بلغت مصروفات السودان من المصروفات الاعتيادية ٣٦٧٨٨٨٩ ومن المصروفات غير الاعتيادية ٢٦١٨٨٢٧ وذلك في العشرين سنة الماضية وجملتها ٦٢٩٧٧١٦ ج . م او نحو ٣ في المئة من مجموع المصروفات الاعتيادية وغير الاعتيادية

اما المصروفات الاعتيادية فصرف منها نحو ٢٤٠٠٠٠٠ بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٥ اي في زمن اخلاء السودان. وكل المصروفات غير الاعتيادية صرفت بين سنة ١٨٩٦ و١٨٩٩ اي مدة استرجاع السودان

وقد ذكرت النفقات التي تنفقها الحكومة المصرية الآن على السودان في فصل آخر من هذا التقرير

السياسة في المستقبل

قلت في اول هذا الفصل ان البروجرام المالي الذي وضعتهُ الحكومة المصرية منذ سنوات قد تمَّ الآن او قارب التمام . ويحسن ان ابين الآن حقيقة الحالة الحاضرة باكثر تدقيق

انهُ بالغاء الدخوليات زالت آخر شائبة كبيرة من شوائب النظام المالي الذي كان في هذا القطر وقت الاحتلال البريطاني . ولا اقول ان هذا النظام خلا الآن من كل شائبة ولكن بلوغ الكمال عسير جدًّا في الاصلاح المالي كما هو عسير في غيرهِ وانما مرادي ان بلوغ الكمال في النظام المالي يجب ان لا يبقى لهُ بعد الآن المحل الاول في نظر الحكومة

اما الانفاق على اعمال الري فامرهُ غير ذلك لان اعمال الري لم تتم حتى الآن ولو قاربت التمام وسينفق في سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ مبلغ ١٥٠٠٠٠٠ ج . م على اتمام الاعمال التي

اقتضاها انشاء خزاني اصوان واسيوط وحينما تتم هذه الاعمال تكون قد تمت الاعمال الجوهرية التي قصدت الحكومة عملها (١٢)

ومن الممكن وضع بروجرام آخر مداره على استخدام مياه البحر الابيض او البحر الازرق او كليهما ولكني سأبين قريباً ان ذلك ليس مما تمس الحاجة اليهِ الآن . فاننا الآن في دور الانتقال فعلى الخزينة المصرية ان تتحمل في سنة ١٩٠٣ نصف القسط الذي يجب دفعهُ من نفقات انشاء الخزانات . ومن سنة ١٩٠٤ فصاعداً تصير مضطرة ان تدفع القسط السنوي كلهُ وهو نحو ١٥٤٠٠٠ ج م ولا تستفيد الخزينة من زيادة الايراد بسبب انشاء الخزانات قبل سنة ١٩٠٥ ومن ذلك الوقت فصاعداً يصير للاصلاحات الادارية المتوقفة على المال المقام الاول في نظر الحكومة اكثر مما كان لها حتى الآن . وعندي ان الادارات التي تحتاج ان توجَّه العناية اليها اكثر من غيرها هي البوليس والحقانية والصحة

واثق اني لم اطل الكلام في هذا الفصل على غير طائل لان كل ما فيهِ هامٌّ جداً فان انتظام المالية هو اساس انتظام الحكومة في مصر كما هو في غيرها من البلدان . اذ لا بدَّ من وجود مالٍ كافٍ لاصلاح فروع الحكومة من غير الالتجاء الى ضرب ضرائب جديدة يأباها الناس ويستثقلونها . وهذا كان اساس السياسة العمومية في القطر المصري في العشرين سنة الماضية . ومن المحتمل انهُ وقع شيءٌ من الخطإ في العمل بهذه السياسة . وقد تختلف الآراء في افضليتها او في بعض ما نتج عنها . وزد على ذلك ان انفاق اكثر من ٢٢٤ مليون جنيه قد يقع فيهِ بعض الخطإ الطفيف ولكني اقول بثقة ان ادارة هذه الاموال كانت على تمام الاقتصاد وواثق ان ما ذكرتهُ يقنع المصريين الذين يدفعون الضرائب ويقرأُون هذا التقرير ان اموالهم التي دفعوها لم تبذَّر كما كانت تبذَّر قبلاً وان السياسة المالية التي جرت عليها الحكومة المصرية وُضعت بأمانة واخلاص لخيرهم واسعادهم . انتهى

[المقتطف] استعملنا المصطلحات المصرية في تعريب هذا الفصل لكي لا تفوت فائدة من فوائدهِ احداً من القراء . ومعلوم ان المراد بما عرَّبناهُ بالنظام المالي هو اموال الحكومة اي ما يرد عليها من ضرائب وما اشبه وكيفية جمعها وانفاقها

---

(١٢) اشرت في الكلام على مشروعات الري في اعالي النيل الى انهُ من الممكن انشاء خزان او اثنين جنوبي اصوان واذا قرَّ القرار على انشائهما فيمكن تدبير المال اللازم لهما من غير ان يقلل المال اللازم للاصلاحات الادارية حينما يراد اتمامها

توقيعات الخلفاء

كان لرسالتي المدرجة في الجزء الثاني من المقتطف الاغر عن خواتم الخلفاء قبول لدى القراء فرأيت ان اتبعها بتوقيعات الخلفاء ومنها يستشف القارئ الكريم شيئاً من اخلاقهم . وقد رأيت في كتب التاريخ كثيراً من هذه التواقيع فاخترت منها ما قلَّ ودلَّ

توقيعات الخلفاء الراشدين

❋ عمر بن الخطاب ❋ كتب اليهِ سعد بن ابي وقاص في بنيان يبنيهِ فوقع في اسفل كتابهِ "ابن ما يكنُّك من الهواجر واذى المطر" . ووقَّع الى عمرو بن العاص "كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك"

❋ عثمان بن عفان ❋ وقَّع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا انهُ امر بوجء اعناقهم "فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون" . ووقع في قصة رجل شكا عيلةً عليهِ "قد امرنا لك بما يقيمك وليس في مال الله فضل للمسرف"

❋ علي بن ابي طالب ❋ ووقع في كتاب جاءهُ من الحسن بن علي "رأي الشيخ خيرٌ من جد الغلام" . ووقع في كتاب سلمان الفارسي وسألهُ كيف يحاسَب الناس يوم القيامة "يحاسبون كما يُرزقون" ووقع في كتاب الحصين بن المنذر بعثهُ اليهِ يذكر ان السيف قد كثر في ربيعة "بقية السيف انمى عدداً" وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسألهُ في شيء "قيمة كل امرىء ما يحسن"

الخلفاء الامويون

❋ معاوية بن ابي سفيان ❋ . كتب اليهِ عبدالله بن عامر في امر عاتبهُ فيهِ فوقَّع في اسفل كتابهِ "بيت امية في الجاهلية اشرف من بيت حبيب في الاسلام فانت تراه" . وفي كتاب لعبدالله المار ذكرهُ وقد سألهُ ان يُقطَع مالاً في الطائف "عش رجباً ترَ عجباً" . وفي كتاب زياد يخبرهُ بطعن عبدالله بن العباس في خلافتهِ "ان ابا سفيان وابا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحلهُ سوء رأيك" . وكتب اليهِ ربيعة بن عسل اليربوعي يسألهُ ان يعينهُ في بناء دارهِ بالبصرة باثني عشر الف جذع "ادارك في البصرة ام البصرة في دارك"

❋ يزيد بن معاوية ❋ وقَّع في كتاب عبدالله بن جعفر اليهِ يستمنحهُ من خاصتهِ "احكم لهم بآمالهم الى منتهى آجالهم" فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليهِ مسلم بن عقبة

المري بالذي صنع اهل الحرَّة فوقّع في اسفل كتابهِ " فلا تأسَ على القوم الفاسقين " . وفي كتاب مسلم بن زياد عاملهِ على خراسان وقد استبطأهُ في الخراج " قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيرهُ يقطع اواخي الانتساب " . والى عبد الله بن زياد " انت احد اعضاء ابن عمك فاحرص ان تكون كلها "

✲ عبد الملك بن مروان ✲ وقع في كتاب اتاهُ من الحجاج " جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطلب " . ووقع لهُ ايضاً عندما اخبرهُ بسوء طاعة اهل العراق وما يقاسي منهم ويستأذنهُ في قتل اشرافهم " ان من يمن السائس ان يأتلف بهِ المختلفون ومن شؤمهِ ان يختلف بهِ المؤتلفون " وفي كتاب الحجاج ايضاً يخبرهُ بقوة ابن الاشعث " بضعفك قوي و بخوفك خلع " . ووقع في كتاب ابن الاشعث

فما بال من اسعى لاجبر عظمهُ حفاظاً وينوي من سفاهتهِ كسري

ووقع ايضاً في كتاب

كيف يرجون سقاطي بعدما شمل الرأس مشيبٌ وصلع

✲ الوليد بن عبد الملك ✲ كتب اليهِ الحجاج لما بلغهُ انهُ خرق فيما خلف لهُ عبد الملك ينكر ذلك عليهِ وانهُ غير صواب فوقع في كتابهِ " لاجمعنَّ المال جمع من يعيش ابداً ولافرقنَّهُ تفريق من يموت غداً " ووقع الى عمر بن عبد العزيز " فقد رأب الله بك الداء واوذم بك الشفاء "

✲ سليمان بن عبد الملك ✲ كتب اليهِ قتيبه بن مسلم يتهددهُ بالخلع فوقّع في كتابهِ

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً ابشر بطول سلامة يا مربعُ

ووقّع في كتابهِ ايضاً " العاقبة للمتقين " . والى قتيبة ايضاً جواب وعيدهِ " وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً "

✲ عمر بن عبد العزيز ✲ كتب اليهِ بعض العمال يستأذنهُ في مرمَّة مدينتهِ فوقّع اسفل كتابهِ " ابنها بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم " . والى بعض عمالهِ في مثل ذلك " حصنها ونفسك بتقوى الله " . والى رجل ولاهُ الصدقات وكان دميماً فعدل واحسن " ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيراً " . وكتب اليهِ صاحب العراق يخبرهُ عن سوء طاعة اهلها فوقع لهُ " ارضَ لهم ما ترضى لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك " . والى عدي بن ارطاة في امر عاتبهُ عليهِ " ان آخر آية انزلت واتقوا يوماً ترجعون فيهِ الى الله " . والى عاملهِ على الكوفة وكتب اليهِ انهُ فعل كما فعل عمر بن الخطاب " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " . والى عاملهِ بالمدينة وسألهُ ان يعطيهُ موضعاً يبنيهِ فوقع " كن من الموت على حذر "

وفي قصة متظلم " العدل امامك " . وفي رقعة محبوس " تُبْ تطلق " . وفي رقعة رجل قتل " كتاب الله بيني وبينك " . وفي رقعة منتصح " لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك " . وفي رقعة رجل شكا اهل بيتهِ " انتما في الحق سيان " . وفي رقعة امرأة حبس زوجها " الحق حبسهُ " . وفي رقعة رجل تظلم من ابنهِ " ان لم انصفك منهُ فانا ظلمتك "

✻ يزيد بن عبد الملك ✻ وقع الى صاحب خراسان " لا تترك حسن رأيي فانما تفسده عثرة " . والى صاحب المدينة " عثرت فاستقل " وفي قصة متظلم " سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون " . وفي قصة متظلم شكا بعض اهل بيتهِ " ما كان عليك لو صفحت عنهُ واستوصلتني "

✻ هشام بن عبد الملك ✻ وقع في قصة متظلم "اتاك الغوث ان كنت صادقاً وحلَّ بك النكال ان كنت كاذباً فتقدمْ اوتأخر " . وفي قصة قوم شكوا اميرهم " ان صح ما ادعيتم عليهِ عزلناه' وعاقبناه' " . وفي رقعة مجوس لزمهُ الحد " نزل بحدك الكتاب " . والى جماعة يشكون تعدي عاملهم عليهم " لنفوضنكم فاني خصم دونكم " . وفي كتاب عامل يخبره' بقلة الامطار في بلدهِ "مرهم بالاستغفار " . والى سهل بن سيار "خف الله وامامك فانهُ يأخذك عند اول زلة "

✻ يزيد بن الوليد ✻ وقّع الى مروان " اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت " . والى صاحب خراسان " نجَمَ امر انت عنهُ نائم وما اراك منهُ او مني بسالم "

✻ مروان بن محمد ✻ كتب الى نصر بن سيار في امر ابي مسلم " نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان " . ووقّع الى هبيرة امير خراسان " الامر مضطرب وانت نائم وانا ساهر " . والى الحويرة بن سهل لما وجههُ الى قحطبة "كن من بيات المارقة على حذر " . ووقّع حين اتاه' غزو قحطبة وانهزام ابن هبيرة "هذا والله الادبار والاَّ فمن رأى ميتاً هزم حياً " . وفي ابيات نصر بن سيار اذ كتب اليهِ

اری خلل الرماد ومیض جمر ويوشك ان يكون لهُ ضرامُ

" الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول " فكتب نصر " الثؤلول قد اشتدت اعضاؤه' وعظمت نكايتهُ " فوقّع اليهِ " يداك اوكتا وفوك نفخ "

الخلفاء العباسيون

✻ السفاح ✻ كتب اليهِ جماعة من اهل الانبار يذكرون ان منازلهم أُخذت منهم وأُدخلت في البناء الذي امر بهِ ولم يعطوا اثمانها فوقع " هذا بناء أُسس على غير تقوى " . ثم امر بدفع قيم منازلهم اليهم . ووقّع في كتاب ابي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط " ان حلمك افسد

عملك وتراخيك اثر في طاعتك نخذ لي منك ولك من نفسك " . ووقع اليهِ في ابن هبيرة بعد ان راجعهُ فيهِ غير مرة " لستُ منك ولستَ مني ان لم نقتله " . ووقع في كتاب جماعة من بطانتهِ يشكون احتباس ارزاقهم " من صبر في الشدة شورك في النعمة " . ثم امر بارزاقهم . والى عامل تظلم منهُ " وما كنت متخذ المضلين عضدًا "

☼ ابو جعفر المنصور ☼ وقع في كتابهِ الى عبدالله بن علي عمهِ " لا تجعل للايام فيَّ وفيك نصيبًا من حوادثها " . ووقع اليهِ ايضًا " ادفع بالتي هي احسن السيئة الى قولهِ وما يلقاها الاَّ ذو حظ عظيم فاجعل الحظ لك دوني يكن لك كلهُ " . ووقع الى عبد الحميد صاحب خراسان " شكوت فاشكيناك وعتبتَ فاعتبناك ثم خرجتَ عن العامة فتأهب لفراق السلامة " . والى اهل الكوفة وقد شكوا عاملهم " كما تكونوا يؤمَّر عليكم " . وفي قصة رجل شكا عيلة " سل الله من زرقهِ " . وفي قصة رجل شكا الدَّين " ان كان دَينك في مرضاة الله قضاه " . والى رجل سأل الحج " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليهِ سبيلاً " . والى عاملهِ على حمص وجاءه كتاب فيهِ خطاء " استبدل بكاتبك والاَّ استبدل بك " . والى صاحب ارمينية " ان لي في قفاك عينًا وبين عينيك عينًا ولها اربع آذان " . والى رجل استوصله " لا مانع لما اعطاه الله " . وفي كتاب اتاهُ من صاحب الهند يخبره ان جندًا شغبوا عليهِ وكسروا اقفال بيت المال فاخذوا ارزاقهم منهُ " لو عدلتَ لم يشغبوا ولو وفيتَ لم ينتهبوا "

☼ المهدي ☼ . ووقع الى صاحب ارمينية عند ما شكا سوء طاعة رعاياه " خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين " . والى شاعر مدحهُ " اسرفت في مديحك فقصرنا في حبائك " . وفي قصة رجل من الغارمين " خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي بهِ دينك وتقر بهِ عينك " . وفي قصة رجل شكا الحاجة " اتاك الغوث " . والى صاحب خراسان في امر جاءه " انا ساهر وانت نائم " . وفي قصة قوم اصابهم القحط " يُقدَّر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها " . والى رجل من بطانتهِ استوصل " ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك " . وفي قصة رجل حبس في دم " ولكم في القصاص حياة يا أُولي الالباب " . والى صاحب خراسان وكتب اليهِ يخبره بغلاء الاسعار " خذهم بالعدل في المكيال والميزان " . والى يوسف الرومي حين ظفر بهِ في خراسان " لك اماني ومؤكد ايماني "

☼ هرون الرشيد ☼ وقع الى صاحب خراسان " داوِ جرحك لا يتسع " . والى عامل على مصر " احذر ان تخرب خزانتي وخزانة اخي يوسف فيأتيك منهُ ما لا قبل لك بهِ ومن الله اكثر منهُ " . ووقع في قصة البرامكة " انبتتهُ الطاعة وحصدتهُ المعصية " . والى عامل على

فارس "كن مني على مثل ليلة البيات". والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليهِ انهُ وضع السيف حين دخل ارض ارمينية "لا ام لك تقتل بالذنب من لا ذنب لهُ" . وفي قصة محبوس "من لجأ الى الله نجا". وفي قصة متظلم "لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف". والى صاحب السند "اذا ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية" . وفي رقعة متظلم من عامل وكان بالمتظلم عارفاً "قد وليناك موضعهُ فتنكب سيرتهُ" . والى محفوظ صاحب خراج مصر "يا محفوظ اجعل فرح مصر فرحاً واحداً وانت انت". والى صاحب المدينة "ضع رجليك على رقاب اهل هذا البطن فانهم قد اطالوا ليلي بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد" . ووقع الى السندي بن شاهد "خفِ الله وامامك فهما نجاتك" . وكتب اليهِ يحيي بن خالد من الحبس حين احس بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وانت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم فوقع فيهِ الرشيد "الحكَم الذي رضيتهُ في الآخرة لك هو اعدى الخصم عليك وهو من لا يرد حكمهُ ولا يصرف قضاؤهُ"

✻ المأمون ✻ . وقع الى ابن هشام في امر تظلم فيهِ "من علامة الشريف ان يظلم من فوقهُ ويظلمهُ من دونهُ فايّ الرجلين انت" . والى الرستمي في قصة من تظلم منهُ "ليس من المروءة ان تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ" . وفي قصة رجل متظلم من عمرو بن مسعده "يا عمرو عمّر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها" . وفي قصة رجل متظلم من ابي عباد "يا ثابت ليس بين الحق والباطل قرابة" . وفي قصة متظلم من ابي عيسى اخيهِ "فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون". وفي قصة متظلم من حميد الطوسي "يا ابا غنم لا تغتر بموضعك من امامك فانك واخس عبيدهِ في الحق سيان" . والى طاهر صاحب خراسان "احمد ابا الطيب اذا احلك خليفة محل نفسهِ من نفسهِ فمالك موضع تسمو اليهِ نفسك الاَّ وانت فوقهُ عندهُ" . وفي كتاب بشر بن داود "هذا امان عاقدت الله في مناجاتي اياهُ" . وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي "قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك للرعية فانَّا لا نحتملهُ" . ووقع الى بعض عمالهِ "طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من اقاصيك بما فيهِ استصلاحها" . وكتب اليهِ ابرهيم بن المهدي في كلام لهُ ان غفرت فبفضلك وان اخذت فبحقك فوقع في كتابهِ "القدرة تذهب الحفيظة والندم جزءٌ من التوبة وبينهما عفو الله" . ووقع في رقعة مولى طلب الكسوة "لو اردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك اثرت الرقاد فحظك الرؤيا"

طرابلس الشام حكمت شريف

ري العراق العربي

أتنفض بابل واشور عنهما غبار العصور الغابرة . ويعود الى بغداد عصر الرشيد والمأمون . ويرتع الامن في ربوع العراق وتفيض الخيرات من دجلة والفرات . كل ذلك محتمل وقد صار على قاب قوسين بعد ان اعتمدت الدول الاوربية على مد سكة الحديد الى بحر فارس . ولكن كم يبقى للسكان من خيرات بلادهم بعد ان تتمكن فيها اقدام الاوربيين وتُعطى لهم الاراضي الواسعة مع الامتياز وكيف يجاري ابناء المشرق الذين ضعفت هممهم من طول ما لقوا من الذل والامتهان ابناء المغرب الذين نشطوا للعمل منذ مئتي عام وهم لا يرون غير مثيرات النخوة ومقويات العزائم حتى من ملوكهم وامرائهم . هذه مسألة يصعب النظر فيها من الآن

اما تلك البلاد فكانت مهد العمران وخصبها الطبيعي مما لا يختلف فيهِ اثنان وقد كان ريها منتظمًا في العصور الغابرة انتظامًا لا يفوقهُ انتظام الري في القطر المصري الآن . ومن رأي السر وليم ولككس المهندس المشهور في هذا القطر انهُ يسهل اعادتها الى ما كانت عليهِ فتصير مثل القطر المصري من حيث سهولة الري والصرف وتدفُّق الخيرات . وقد انشأ خطبة مسهبة في ذلك تلاها في الجمعية الجغرافية فلخصنا منها ما يلي لعلَّهُ يكون محرّضًا لابناء الشام والعراق على ترك المهاجرة الى البلدان القاصية وانتظار ما يمكن عملهُ في بلادهم . قال ما مفادهُ

ان مدينة بغداد تعلو عن سطح البحر (بحر فارس) ٦٦ مترًا وتبعد عنهُ ٥٥٠ كيلو مترًا على خط مستقيم او ٨٠٠ كيلومتر اذا قيس البعد على مسير دجلة . وحولها الآن قفار قاحلة ولكنها كانت في سالف الزمن تاج ما تملكهُ الدول التي دان لها المشرق . هذا كان شأن البلاد على مئة ميل حول بغداد من كل ناحية

اذا نزلت في دجلة من الشمال الى الجنوب تصل اولاً الى دورا مأخذ ترعة نهروان والسهل الذي نصب فيهِ نبوخذنصر التمثال الذهبي ولعلَّهُ نصبهُ تذكارًا لتجديد هذه الترعة . ثم تل البج حيث مات الامبراطور يوليانوس من جراحهِ حينما أُخرج الرومانيون من تلك الاقطار واستولى عليها ملوك الفرس فدان لهم المشرق كلهُ . ثم تصل الى اوفيس التي كان فيها اغنى اسواق المشرق التجارية ومنها الى بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين . فالمدائن عاصمة آل ساسان ملوك الفرس فسلوقية عاصمة المكدونيين في المشرق واخيرًا تصل الى بابل سيدة المدائن وهي على الفرات لا على دجلة

والبلاد بين ترعة نهروان وبين دجلة شرقاً وغرباً عجزت قبائل العرب عن العيث فيها فظلّت اخصب بلدان المشرق وكأن ملوك الكلدان انشأوا تلك الترعة وغيرها من الترع لكي يمنعوا الغزاة عن بلادهم كما فعل مينا ملك مصر لما حوّل مجرى النيل الى الجهة الشرقية امام منف لكي يكون فاصلاً بينها وبين القبائل التي كانت تغزو بلاده آتيةً من بلاد العرب

ويقع المطر في تلك البلاد لكنهُ قليل جدًّا لا يكفي للزراعة . يقع في السنة من اربعة سنتيمترات الى ٢٤ سنتمترًا لا غير فلا بدَّ من ري الارض من الانهار والترع اذا اريد ان تزرع شيئًا

ودجلة من بغداد الى بحر فارس قليل التحدُّر لا يزيد تحدُّرهُ على $\frac{١}{١٢٠٠٠}$ فهو مثل النيل من هذا القبيل ويفرق عنهُ في ان الدلتا التي يرسب فيها طمي دجلة بعيدة عن مصبهِ وليست مثل الدلتا التي بين فرعي النيل

ويبتدئ دجلة من الآكام التي الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ويمر من عند مدينة نينوى القديمة ويقطع تلالاً حجرية ويعمق مجراهُ حتى يصير نحو ٢٥ مترًا وسرعتهُ مترين ونصف متر في الثانية من الزمان ثم يخرج منها ويدخل واديًا منبسطًا فتقل سرعتهُ وتصير مترًا في الثانية وهناك يلقي ما كان يحملهُ من الطمي فتكوَّن منهُ سهل خصيب حول بغداد . وعلى ثمانين كيلومترًا من بغداد جنوبًا تصير الرواسب التي ترسب منهُ ناعمة جدًّا مخلوطة بالملح وتستمرُّ على ذلك الى البحر فلا تصلح للزراعة مثل الاراضي التي حول بغداد . ويفيض كما يفيض النيل ويغمر الاراضي التي حولهُ من بغداد الى البحر ويصبُّ فيهِ نهران من الجهة الشماليَّة الشرقيَّة احدهما فوق بغداد والآخر تحتها ويتفرَّع من ثانيهما ترع كثيرة

ويبتدئ فيضان دجلة في اواخر فصل الشتاء حتى اذا اشتدَّ الحرُّ واذاب الثلج عند مصادرهِ ومصادر نواصرهِ زاد فيضانهُ فصلح للري الصيفي مثل انهار الهند . وكلما زاد الحرُّ شدَّةً وزادت حاجة المزروعات الى الماء زادت مياههُ فيضانًا

وفي رأس دلتا دجلة خرائب مدينة اوفيس وهي مثل القاهرة في مصر ومنها تبتدئ الترع العظيمة التي تروي دلتا العراق

وكان للري هناك سبيلان كبيران الواحد بترعة نهروان والثاني بترعة دجيل جنوبيهُ وكان الاقدمون قد اقاموا سدودًا في الاماكن العالية ترتفع بها المياه ويقال ان الاسكندر المكدوني خرب بعضها ليغزر الماء في دجلة ويسهل عليهِ ركوبهُ بسفنهِ ولا بدَّ من ان يكون بناها بعد ذلك وترعة نهروان في العراق مثل احد الرياحات الكبيرة في القطر المصري طولها اربع مئة

كيلومتر وقد بلغت اعلى درجة من الانتظام على عهد بني ساسان ملوك الفرس ثم على عهد هرون الرشيد. ولها مأخذان من دجلة حتى اذا ملأ الطمي احدهما ولزم تطهيره جرى الماء اليها من المأخذ الثاني. وبعد المأخذ الاول عن الثاني ستون كيلومترًا وعند ملتقى المأخذين قنطرة موازنة تسمى القنطرة الكسروية وعند مأخذ الفرع الاعلى قنطرة اخرى للموازنة تسمى قنطرة الرصاص لان الرصاص مصبوب بين حجارتها وكذلك عند المأخذ الثاني قنطرة موازنة اخرى وهي الآن خراب

ثم اسهب في وصف الاعمال الهندسية التي كانت على دجلة من ترع وقناطر وسدود وما اشبه لتسهيل الري وبيّن ذلك كلهُ بالرسوم وقال في وصف ترعة نهروان ان ترع مصر لا تقابل بها لان اكبر ترعة في القطر المصري لا يزيد عمقها على عشرة امتار وعرضها على ستين مترًا واما ترعة نهروان فيبلغ عمقها احيانًا خمسة عشر مترًا واتساعها ١٢٠ مترًا. هذا من حيث نظام الري الاول واما نظام الري الثاني بترعة دجيل فداره على ترعة طولها مئة كيلومتر وعرضها خمسون مترًا

وبيّن كيف خربت تلك البلاد وعفت آثار مدنها بطغيان دجلة على ترعتيهِ وتخريبهِ سدودها وجرفهِ كل ما في البلاد من مدن وقرى ومزارع وانسان وحيوان فانتشر الخراب في بلاد طولها اربع مئة كيلومتر وعرضها ثلاثون كيلومترًا كانت اعمر بلدان المسكونة واكثرها سكانًا. وعندهُ ان تلك البلاد تعود الى مجدها السابق باصلاح ترعة نهروان واصلاح ري العراق بها. ثم شرح الاعمال الهندسية اللازمة لذلك وقدَّر ما يلزم لها من النفقات وما ينتج عنها من الفوائد فقال ان النفقات تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات يصلح بها مليون و ٢٨٠ الف فدان من اجود الاراضي الزراعية فيصير الفدان منها يساوي ٣٠ جنيهاً على الاقل فتساوي كلها ٣٨ مليون جنيه ولا يقلُّ صافي ريعها في السنة عن مليوني جنيه فيكون المال الذي ينفق على اصلاحها قد جاء بفائدة ٢٥ في المئة سنويًا

هذا من حيث الارض العالية التي في بداءة دلتا دجلة اما البطائح التي تحتها ولاسيما بين دجلة والفرات فهي قاحلة الآن ولكن الدلائل كثيرة على انها كانت تروى وتستغلُّ في قديم الزمان كما يظهر من آثار الترع والاعمال الهندسية التي فيها. وهناك ارض مساحتها مليون ونصف مليون من الفدادين بين بغداد وبابل يمكن اعادة ريها وزرعها وقد تلفت منذ عهد طويل وصارت مستنقعات لان الترع التي فيها أُهملت لما تولَّى البلاد اناس لا يحسنون امرها فامتلأت مجاريها طميًا وحشائش وتهدَّمت جسورها فلم تعُد تكفي لاحتواء ما يجري فيها من الماء ففاض على الارض التي حولها واغرقها فصارت مستنقعات وبطائح

وقابل تلك البلاد بالقطر المصري وقال ان مجرى النيل لم يمتلئ بالطمي مع ما مرَّ عليهِ

من القرون لان ري الحياض كان من مقتضاهُ اجراء ماء الفيضان الى الحياض على جانبي النيل فيرسب ما فيهِ من الطمي ويعود اليهِ صافياً ولكن اذا بطل ري الحياض في القطر المصري خشي ان يرسب الطمي كلهُ في مجرى النيل فلا يعود كافياً لاحتواء ماء الفيضان كلهِ فيطغى على البلاد ويغرقها وحثَّ على الانتباه لذلك من الآن . ثم عاد الى ري العراق فقال ان نجاح مصر ابتدأ يوم صمم مهندسو الملك مينا اول الفراعنة على اعلاء جسر النيل الغربي وترك الجانب الشرقي من غير جسر حتى يمتنع طغيانهُ على الجانب الغربي فيصلح للزراعة ومثل ذلك يمكن ان يفعل في العراق فيقام جسر لدجلة على الضفة الغربية وجسر للفرات على الضفة الشرقية ويمد جسر الفرات الى ما تحت بابل وجسر دجلة الى عند منعطفهِ . وتصلح الارض التي بين هذين النهرين وتفتح فيها الترع وتزرع

وقد ثبت لي من اعمال الري في مصر ان كل النفقات اللازمة للسدود والترع والمصارف وما اشبه تبلغ خمسة جنيهات ونصف جنيه عن كل فدان والنفقات اللازمة لهُ من تقصيب وتلويط وما اشبه تبلغ ثلاثة جنيهات ونصف جنيه والجملة ٩ جنيهات فيصير يساوي ثلاثين او اربعين جنيهاً وقد قدرنا ثمن فدان الارض على ترعة نهروان في بلاد العراق بخمسة وثلاثين جنيهاً بعد اصلاحهِ واصلاح ريهِ لان الفدان الذي مثلهُ في مصر يساوي الآن من ستين جنيهاً الى مئة فنقدر الفدان الذي يصلح بين دجلة والفرات بخمسة عشر جنيهاً اي بنصف ما يساويهِ الفدان الذي مثلهُ في مصر وهناك مليون وخمس مئة الف فدان يمكن اصلاحها كذلك ينفق على اصلاحها وريها وصرفها ١٣ مليون جنيه فتصير تساوي ٢٢ مليون جنيه

وباضافة الاراضي التي في رأس ذلتا دجلة الى البطائح التي تحتها تصير المساحة ٢٨٠٠٠٠٠ فدان والنفقات اللازمة لاحيائها ٢١ مليون جنيه فتصير تساوي ٦٠ مليون جنيه على الاقل

وفي ذلتا الفرات ودجلة خمسة ملايين فدان اي قدر مساحة الاراضي الزراعية في القطر المصري كلهِ واذا ابتدأ العمل في اصلاحها سهل جلب المال من اوربا لاتمامهِ فان الفدان في مصر يحمل من الدين عشرين جنيهاً ومع ذلك لا يجد الحمل ثقيلاً . ثم اذا مُدَّت سكة الحديد وكثرت فروعها في البلاد زاد السكان وزادت الخيرات وارتفع ثمن فدان الارض المصلحة في اعالي البلاد من ٣٥ جنيهاً الى ثمانين وفي اسافلها من ١٥ الى ٣٥

وختم خطبتهُ بكلام بليغ قال فيهِ

ان امامنا الآن إحياء بلاد قديمة كان اسمها مرادفاً للخصب والفلاح والعظمة مدة قرون كثيرة فقد كان هناك سهول خصبة ومدن عامرة وملوك اعزاء وقوَّاد اشداء ورجال حكماء

تداولوها الوفاً من السنين كما تشهد كتب الاخبار ونقوش الآثار وهي لا تقلُّ عن اخبار مصر وآثارها قدماً وصحة. وهناك أدلة كثيرة على غنى تلك البلاد وانها كانت مطمح انظار الفاتحين والتملك عليها غاية ما يفاخرون به فان الدولة التي كانت تملك تلك البلاد في العصور الغابرة كانت تملك المشرق والدولة التي تفقدها تفقد المشرق. بلاد مثل هذه جديرة بأن تُحيا من مواتها وان عرفنا السبب الذي افقرها سهل علينا ان نعيد اليها خصبها السابق. والارض التي اجابت داعي العلم القديم فتدفقت منها خيرات كفت بلاط ملوك الفرس معما يؤثر عنهم من الانغماس في الترف والملاذ لا بدَّ من ان تجيب داعي العلم الحديث وتردَّ المال الذي ينفق عليها اضعافاً كثيرة. ولا بدَّ الآن من الاستعانة بمعارف الغرب على هذه الاعمال كما استعين سابقاً بمعارف الشرق. وقد كانت تلك البلاد تروى وتزرع بواسطة معارف حكماء الكلدان ومهندسيهم ومراقبي الاحداث الجوية منهم وصار احياؤها وزرعها الآن اصعب مما كانا قبلاً ولكن علوم ابناء هذا العصر صارت ارقى من علوم الاقدمين ولا يصعب معها رد تلك البلاد الى سالف مجدها فتعود جنة الشرق كما كانت قبلاً ويقصدها الناس من مشارق الارض ومغاربها

وتسمَّى بغداد دار السلام وقلما وجدت السلام من حين بنيت الى الآن لما حلَّ بها من تيمور لنك وهولاكو وخلفائهما الذين اضروا بالبلاد اكثر مما اضرَّ بها تحوُّل دجلة عن مجراهُ. ولكنها ستجد السلام الذي اضيفت اليهِ تيمُّناً وستجمع الوف عشرات الالوف من العمَّال من الهند ومن مصر ايضاً يجتمعون في ذلتا دجلة يمدون سكة الحديد من الكويت الى الشمال ويفتحون ترعة من اوفيس الى الجنوب

وستشرع السكة الحديد بنقل العمَّال والادوات من خليج العجم لحفر الترع واحياء الموات وانشاء المدن ولا يتم مدها واتصالها باسيا الصغرى حتى يكون جانب كبير من الارض قد أُصلح وكثرت خيراتهُ لتنقلها السكة شرقاً وغرباً. وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي دجلة لزرع الحبوب ولقد سمعت الدكتور شوينفرث رئيس هذه الجمعيَّة السابق يقول فيها ان من هناك اصل القمح وانهُ كان ينبت بريًّا في تلك البطاح ومنها نقل الى اربعة اقطار المسكونة. ويخصب هناك القطن والذرة وقصب السكر وكل الحاصلات المصرية التي تنبت صيفاً وهناك وطن المزروعات الشتويَّة كالحبوب والقطاني والبرسيم والافيون والتبغ. وليست بي حاجة الى الكلام على فراديس بابل وبغداد القديمة. والارض التي اقليمها يزكي المزروعات زكاءها في الاقاليم الحارَّة وانهارها تسقى من ثلج الجبال فتروي ملايين الفدادين وقت اشتداد

الحرو الظمإ لا يعقل انها تبقى قفرًا قاحلاً بعد ان تخرقها سكة الحديد وتسعى عاصمتها بغداد وراء موارد الثروة . ولا بدَّ من ربح وافر لتلك الطريق ممَّا تنقلهُ من بضائع الشرق والغرب ولكن اذا عاد الى البلاد سابق خصبها وتدفقت منها الخيرات زاد ربحها ربحًا وتحققت فيها آمال الذين انشأُوها وخالج نفوسهم احياء البلاد لما اشاروا بها

انتهى كلام السر وليم ولككس ملخصاً وقد الحق خطبتهُ برسوم كثيرة نقلنا واحدًا منها لكي يتضح للقارىء مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليهِ اسماء اماكن أُخرى اتمامًا للفائدة

شياطين تولستوي

تولستوي فيلسوف روسي من اشهر كتَّاب العصر كما لا يخفى وقد كتب الآن في ذم التمدُّن الحاضر وعدَّ اركانهُ كلها اضاليل وحبائل نصبها ابليس لاقتناص نفوس الناس . ومفاد ما كتبهُ ان ابليس جلس يومًا في دركات جهنم آسفًا لانهُ اضاع ملكهُ في هذه الدنيا بمجيء السيد المسيح وتخليصهِ لبني آدم . ومرَّت عليهِ السنون واليأس يمزق احشاءه لكن اعوانهُ لم ييأسوا يأسهُ فطافوا في الارض يكيدون المكايد للناس ثم عادوا وبشائر الظفر في وجوههم فقال واحد منهم انني زرعت بين الناس بزور الشقاق الديني واقنعت كل فريق منهم انهُ على هدًى وغيرهُ على ضلال ولا بدَّ لكل فريق من ان يحارب الفريق الآخر ويقتلهُ لكي يقنعهُ بفساد معتقدهِ وقد تركتهم والحيلة ناجعة فيهم على ما يرام ولكنني خشيت ان ينتبهوا لها فيفسد عليَّ قصدي ولذلك اخترعت لهم ما يسمَّى بالكنيسة او الجماعة حتى اذا القوا اعتمادهم عليها اطمأنَّ بالي من قبلهم . فقال لهُ ابليس ماذا تعني بالكنيسة او الجماعة . وكأَنهُ استاء لان بين اعوانهِ واحدًا يعرف ما لا يعرفهُ هو . فقال ذاك اني اعني بذلك الناس الذين يستشهدون بالله على صدق ما يقولون اذا علموا ان الناس لا يصدقون أكاذيبهم . ثم اخذ يشرح ما فعلتهُ الكنائس والجماعات من اضطهاد بعضها بعضاً . فاستغرب ابليس ذلك وقال لهُ ولكن ماذا فعلوا بالوصية القائلة كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم . فقال سمعت منهم قصَّة يتداولونها وهي ان ساحرًا اراد ان ينقذ رجلاً من شر ساحر آخر فحوَّلهُ الى حبَّة حنطة فحوَّل الساحر الآخر نفسهُ الى ديك واسرع اليها ليلتقطها فسبقهُ الساحر الاول وافرغ عليها اردبًّا من الحنطة فتعذَّر على الديك الاهتداء اليها وتعذَّر عليهِ ان يأكل حبوب الحنطة كلها لكي يأكلها في جملتها . وقد نصحتُ للناس ان يفعلوا مثل ذلك فغطُّوا هذه الوصيَّة بالوف من الوصايا والتعاليم حتى

تعذّر عليهم اكتشافها بينها وتعذّر عليهم حفظها كلها

فتبسّم ابليس وقال له احسنت واجملت وضجّ الابالسة كلهم ضحكاً وطرباً

ثم قال اذاً لا يزال حال الارض على ما كان عليهِ جرائم ومنكرات ولصوص وقتلة . فصعد اليهِ شيطان كبير الهامة في رأسهِ قرنان اعقفان وقال نعم ايها المولى وقد اعدناها كما كانت لما القينا في قلوب بني اسرائيل ان يملّكوا شاوول عليهم وقلنا لهم خير لكم ان يسلبكم رجل واحد من ان يسلب بعضكم بعضاً فسنّوا الشرائع والقوانين التي يسود بها اهل البطالة والكسل وهم الفئة الصغرى على اهل الجد والاجتهاد وهم الفئة الكبرى واغرينا كل امة بانها افضل من غيرها فوقع بينهم العداء والبغضاء ونشبت الحروب وتفاقمت الخطوب

فسرّ ابليس بهذا الخطاب والتفت الى مخترع فن الاجتماع (السيسولوجيا) وسمع شرحه له وتعديده شروره ومنكراته فاثني عليهِ جميلاً ووعده بالجزاء . وحينئذٍ ضجّ جمهور من الابالسة قائلين يظهر انك نسيتنا ولم تفطن لنا . فقال لهم هاتوا اخبروني بما فعلتم

فقال واحد منهم انا شيطان الصناعة وقال آخر وانا شيطان تقسيم الاعمال . وقال آخر وانا شيطان الطرق والمواصلات . وقال آخر وانا شيطان الطباعة . وقال آخر وانا شيطان الفنون الجميلة . وقال آخر وانا شيطان الطب . وقال آخر وانا شيطان التهذيب وهلمّ جرّاً . وحاولوا الكلام كلهم معاً فانتهرهم وقال تكلموا واحداً واحداً . فقال شيطان الصناعة اني علّمت الناس ان يكثروا المصنوعات ويسرعوا في عملها فصاروا يقضون العمر في عمل ما لا يستطيع مبتاعه استعماله ولا يستطيع مستعمله ابتياعه

وقال شيطان تقسيم الاعمال اني جعلت الناس كالآلات الصماء لا يستطيع الواحد منهم ان يعمل اكثر من عمل واحد فبقوا عبيداً لاصحاب المعامل

وقال شيطان الطرق والمواصلات لقد علّمت الناس ان لذة العيش بالتنقّل فصاروا يباهون بمسابقة الطيور في الانتقال من مكان الى آخر

وقال شيطان الطباعة اني علمتهم ان ينشروا اسخف الآراء على العدد الاكبر من القراء

وقال شيطان الفنون الجميلة اني علمتهم ان يزوّقوا الرذائل حتى تغري النفوس وتختلب الالباب

وقال شيطان الطب اني علمتهم ان غايتهم الكبرى صحة ابدانهم فتركوا نفوسهم ونفوس غيرهم

وقال شيطان التهذيب اني رسّخت في اذهانهم ان التهذيب يقوم باستحسان آثار الصناعة وتقسيم الاعمال والطرق والمواصلات والطب والطباعة ومن نال هذا التهذيب فقد بلغ الكمال ولم تعد بهِ حاجة الى شيء

فشكرهم ابليس واثنى على همتهم ثم بسط جناحيهِ ونهض فاجتمعوا حولهُ وامسك كلٌّ منهم بذنب الآخر وجعلوا يطوفون بهِ راقصين وهم يطفرون ويضحكون وهو يرقص في وسطهم طرباً والناس على الارض يبكون وينتحبون ويصرّون باسنانهم . انتهى ملخصاً

وفلسفة تولستوي على ما فيها من الغلو في تقبيح اعمال الناس لا تخلو من الحقائق ولكن مَن قرأ تاريخ العصور الخالية ورأى مقدار الضنك الذي احتملهُ الانسان من الانسان . مَن نظر في الصورة المنقوشة على هياكل مصر وبابل واشور ورأى الملوك تدوس الاسرى بسنابك خيلها وتمزق مفاصلهم بالدهق . مَن قرأ تاريخ المماليك وما كانوا يفعلون منذ اقل من مئتي عام . مَن قرأ تاريخ ديوان التفتيش وما فعل من الفظائع باسم الدين . مَن رأى ذلك كلهُ لا يسعهُ ان ينكر ان ظلَّ مملكة ابليس قد تقلَّص من هذه المسكونة وان الناس لم يكونوا في عصر من العصور ارغد عيشاً منهم الآن . ولا بدَّ من ان يزيدوا تعقّلاً فيطرحوا كثيراً مما هم في غنًى عنهُ ولا فائدة منهُ سوى تكثير التعب والضنك . وتبقى الحروب من آثار القرون الغابرة لكن وطأتها تخفُّ رويدًا رويدًا وشرورها تقلُّ الى ان تزول . وسيرى صغار القرَّاء ذلك قبل انقضاء عشرين او ثلاثين عاماً . وما حسبهُ تولستوي من اعمال الشيطان انما هو السبيل الطبيعي الذي سار فيهِ الانسان حتى تمكن من الوصول الى ما وصل اليهِ الآن . وفي هذا السبيل كثير من المعاثر والمخازي ولكن مصدرها ليس من الشيطان بل من الجهاد العام الذي تشترك فيهِ الاحياء جمعاء نباتاً كانت او حيواناً او انساناً . الجهاد الذي لا بدَّ منهُ للارتقاء فتجد نبات الحقل يزاحم بعضهُ بعضاً ويخاطف القوت من التراب والهواء ويعتدي بعضهُ على بعض حتى يبقى القوي ويهلك الضعيف . وانواع الحيوان من الميكروبات الصغيرة الى الانسان سيد المخلوقات جارية هذا المجرى تتسابق وتتساجل ويأكل بعضها بعضاً ولا تشفق على ضعيف ولا ترحم متألماً . تدخل الميكروبات بدن الانسان وتبتليهِ باشد الآلام ولا تبالي لان معيشتها غرضها الوحيد من الحياة . ويصطاد الباشق العصفور ويمزق بدنهُ ويأكلهُ ولا يسمع صراخهُ ولا يرحم فراخهُ . ولا يقلُّ فعل الانسان عن ذلك فيذبح الخروف امام امهِ ويصطاد السمك ويشويهِ حيًّا ويدوس النمل والدود كانهما من تراب الارض . سنة الله في خلقهِ بل سنة الكون التي سنها موجود الكون واخضع لها كل ما فيهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الطفل

يجب ان تستعد الحامل لولادة الطفل وتهيئ لهُ كل ما يلزم من الثياب ونحوها وتضعهُ جانباً. ويحسن ان تضع لوازمهُ في سلة واسعة قليلة العمق يوضع فيها بذلة وفوط وعلبة بودرا وعلبة حامض بوريك وقليل من التسالة وحنجر فاسلين وابر وخيطان ومقص

وحينما يأتي الطبيب توضع الطاولة التي اشرت اليها قبلاً ويوضع عليها والخيطان وحنجر الفاسلين وكاس من الماء الفاتر اذيب فيهِ ملعقة صغيرة من الحامض البوريك

وحالما تربط سرَّة الطفل يوضع في ملاءة دافئة من الفلانلا ويفرك كلهُ بالفاسلين وتغطس خرقة نظيفة او قليل من القطن في مذوب الحامض البوريك ويغسل بها عيناهُ كل عين على حدة وترمى الخرقة التي تغسل بها العين الواحدة وتغسل عينهُ الثانية بخرقة اخرى . وتلف خرقة حول الاصبع ويغسل بها فم الطفل مراراً ويقلب على وجههِ ويضرب صدرهُ وكتفاهُ باليد بلطف ثم يلف جيداً كلهُ حتى رأسهُ ووجههُ ويوضع في مكان دافىءٍ ثم يلتفت الى امهِ

وقد قلت سابقاً ان ليس من غرضي التطويل في الكلام على النفساء وانما اقول بالاختصار انهُ حينما تتم الولادة يغسل منها كل ما تلطخ بالدم وتلف بثيابها وتغطي وتسق قليلاً من اللبن (الحليب) السخن او المرق او فنجاناً من الشاي او القهوة وتترك ويوجه الالتفات الى الطفل

الحمَّام

على القابلة او المرأة الموكلة بالاعتناء بالطفل ان تستحضر اناء كبيراً وتملأهُ ماء فاتراً وتضع فيهِ اسفنجة وتضع قربهُ كرسياً تضع عليها سلة الطفل التي فيها ثيابهُ ثم تجلس على كرسي واطيءٍ وتضع على ركبتيها مربولاً من المشمع وفوقهُ مربولاً من الفلانلا وتضع الطفل في حضنها وتغسل عينهُ الواحدة بخرقة ثم عينهُ الاخرى بخرقة ثانية ثم فمهُ بخرقة ثالثة وتغسل بدنهُ بالاسفنجة وتنشفهُ جيداً ثم ترغي على الاسفنجة بالصابون وتمسح بها رأسهُ وتغسلهُ بالماء من الصابون وتنشفهُ

ومتى تمَّ غسل رأسهِ ووجههِ بالماء والصابون وتنشيفهما ترغي على الاسفنجة وتمسح بها بدنهُ كلهُ ولاسيما تحت ابطيهِ وبين فخذيهِ وتقلبهُ على بطنهِ وتغسل ظهرهُ ثم تضعهُ في اناء الماء الفاتر ويدها اليسرى تحت رأسهِ وظهرهِ وتأخذ الاسفنجة بيدها اليمنى وتغسل بدنهُ من الصابون. وتضع منشفة على حضنها وتضع الطفل فيها ووجههُ الى الاسفل وتنشفهُ جيدًا بمنشفة اخرى ولاسيما تحت ابطيهِ وفي طيات مفاصلهِ وتبودرهُ وتقلبهُ على ظهرهِ وتنشف صدرهُ وساقيهِ وتضع خرقة ناعمة على سرتهِ وقليلاً من الفاسلين بين طيات فخذيهِ اذا لزم الامر وتبودرهُ جيدًا وتلبسهُ

ولا بدَّ من غسل الطفل كذلك كل صباح ومن غسل وجههِ ويديهِ وساقيهِ كل مساء . وغسل عينيهِ يمنع الرمد وغسل فمهِ يمنع القلاع والبودرة تمنع التسميط والربَّة

لباس الطفل

يختلف لباس الاطفال باختلاف العادات . ولكنني اشير على الامهات ان يقللن ثياب الطفل ويجعلنها مما يدفئ . ويحسن ان يمنطقنهُ بقطعة من الفلانلا تلف حول صدرهِ وبطنهِ مرتين وتمكن خياطةً لا بالدبابيس ولا يجوز استعمال الدبابيس العادية مطلقًا وانما يجوز استعمال الدبابيس الموقية لتمكين الحفاض . ولفائف الفلانلا تمنع البرد والمغص ولكن لا يجوز شدها كثيرًا . وهذا يطلق ايضًا على الثياب التي ينام الطفل فيها

السرير

ان السرير الذي يربط بهِ الطفل مضرٌّ جدًا وخير منهُ الارجوحة التي تعلق في السقف ويجب ان لا ينوَّم الطفل بالهزّ لان نومهُ حينئذٍ من قبيل الدوران . واذا بكى كثيرًا ولم ينم ففيهِ سبب يمنع نومهُ ويجب ان يفتش عن هذا السبب وهو اما الجوع او الالم من دبوس او ما اشبه او القلق من بلل فوطهِ . ولا شيء يُبكي الطفل مثل بلل الفوطة

الرضاعة

اذا كانت الوالدة قويَّة صحيحة الجسم فخير لها ان ترضع طفلها بنفسها والَّا فلتأتِ بمرضع صحيحة الجسم . واذا لم تستطع ذلك لم يبقَ امامهما الَّا قنية الرضاعة . والقنينة خير من لبن المرأة السقيمة وكثيرون ربوا عليها وهم على اتم الصحة . ولا بدَّ من ان تنظف القنينة جيدًا حتى تبقى على تمام النظافة . وخير القناني المسطحة القصيرة العنق . واما القناني الكثيرة التراكيب التي فيها فلينة وانبوبة من الزجاج وانبوبة وحلمة من الكاوتشوك فلا تصلح للرضاعة واذا كانت القنينة غير نظيفة حمض اللبن فيها واضرَّ بالطفل وسبَّب لهُ المغص . ويجب ان يكون عند الوالدة قنينتان ترضع الطفل بواحدة منهما وتنظف الاخرى ثم ترضعهُ بهذه وتنظف تلك وهلمَّ جرًّا

واذا بقي في القنينة شيء بعد ان يشبع منها يطرح ما فيها ولا يترك من وقت الى آخر وتغسل جيداً وتوضع في وعاء كبير فيهِ ماء نقي ولا يوضع فيها اللبن الاّ حالما يراد ارضاعه منهُ

واللبن القريب من لبن المرأة يصنع بمزج لبن البقر بالماء الثلثين من لبن البقر والثلث من الماء السخن وملعقة صغيرة من السكّر وملعقة ملح صغيرة من الملح ويجب ان يرضعهُ الطفل فاتراً

واذا اريد اختيار مرضع للطفل وجب ان تكون صحتها جيدة وعمر طفلها يقارب عمر الطفل الذي يراد ان ترضعهُ وحلمتا ثدييها غير صلبتين ولا كبيرتين جداً ويجب ان يكون الطفل قادراً على مص اللبن منهما بسهولة

ويرضع الطفل اولاً مرة كل ساعتين بالانتظام التام ولا يحسن ان يرضع كلما بكى والاّ مرض وفسدت معدتهُ . واذا كان يرضع من القنينة وجب على والدتهِ ان تمسكها بيدها وتمنعهُ من الاسراع في الرضاعة ويجب ان لا تضع في القنينة الاّ ما يكفيهِ مرةً واحدة

وتمريض الاطفال صعب جداً لانهُ لا يعلم مما يشكون . والقاعدة العمومية انهُ اذا كان الطفل يفتح عينيهِ ويشدها فالالم في رأسهِ واذا كان يتنفس شديداً وسريعاً ومنخراه واسعين فمحل الالم في صدرهِ ورئتيهِ . واذا كانت شفتاه مطبوقتين طبقاً شديداً فالالم في معدتهِ واذا كان يلبط ويصرخ فهو مصاب بالمغص . واذا كان الالم في رأسهِ فالامر هام ولا بدَّ من استدعاء الطبيب .وكل ما يمكن ان يفعل لهُ حينئذٍ الى ان يحضر الطبيب هو لبخ الماء البارد على رأسهِ هذا اذا كان سخناً . واذا كان التعب في صدرهِ فافركهُ بقليل من الزيت او الفاسلين وضع عليهِ خرقة سخنة من الفلانلا ويستعمل هذا العلاج البسيط في الشهقة والمغص .ويجب ان تراقب مرات الخروج ومادتهُ ولونهُ . ويجب ان يخرج الطفل مرتين كل ٢٤ ساعة وان يكون خروجهُ ليناً ولونهُ خفيفاً .واذا اصابهُ قبض فيسقى من المغنيسيا او ملعقة صغيرة من الزيت

وفي الشهر السادس او السابع يشرع في اطعام الطفل اطعمة نشوية وهي مختلفة الاشكال والانواع فاذا جرّب نوع منها ولم يوجد صالحاً يجرَّب غيرهُ.

وحينما تشرع الاسنان في الظهور وذلك في نحو الشهر السادس تلاحظ الامعاء جيداً ويمنع القبض . واذا تألم الطفل من لثتهِ فاغسلها لهُ بماء الورد والغليسرين بعد ما يأكل وفي الصباح والمساء حينما يقوم وقبلما ينام . واذا اصيب بهزة الحيط وهو يسنّن وجب ان يستدعى لهُ الطبيب حالاً ويوضع في مغطس من الماء السخن الى حين حضورهِ

ويجب ان يقيم خارجاً في الهواء النقي كل ما يمكن من النهار . ويشرع في اخراجهِ وهو ابن اسبوعين . وتكون المدة اولاً نحو عشر دقائق ثم تزيد رويداً رويداً

فن التمريض
وذوات الشفقة على المريض

يظهر لكل من لازم مطالعة المقتطف منذ نشأتهِ الى اليوم ان من اسمى رغائبهِ واقصى امانيهِ ترقيتهُ شؤُون المنزل الشرقي بحاجياتهِ وكالياتهِ واعلاءِ شأن القائمات على ادارتهِ وخدمة العيال بتلقي التهذيب القلبي والعقلي والاداري حسبما انتهى اليهِ ارتقاءُ العلم وادركتهُ حاجات المجتمع الانساني بجهد النظر والاعتبار على مرّ الزمان وطول الاختبار . ومن اسطع الادلة على فضل المقتطف وتوخيهِ الاصلاح الحقيقي في فتح هذا الباب مع ما يعانيهِ من النصب في متابعة الابحاث العلميَّة والشؤُون الزراعيَّة والفنون الصناعية انهُ كان ولا يزال القدوة الاولى في ذلك لسائر المجلاَّت التي قامت بعدهُ في هذه البلاد فانها بمثالهِ اقتدت وبانوارهِ اهتدت وما احسن الاقتداء مع الاهتداء

ونحن على يقين بالنظر الى احوال الشرق اليوم ان خدمة المقتطف هذه في اصلاح شؤُون العائلة الشرقيَّة قد لا تقلُّ اعتبارًا عند الحكماء المتبصّرين عن انارة الاذهان بضروب المعارف العلمية والفلسفية وصنوف الابحاث الفنيَّة حتى لقد علمنا ان اقوى البواعث على دخول المقتطف كثيرًا من البيوت ما يُدرَج في ابوابهِ من الامور المنزليَّة فتجد فيهِ ربَّة المنزل وكريمتهُ ما يُبصّرها بحقيقة مقامها النسائي الخطير ويدرّبها على ما يعود على عائلتها بالنفع الماديّ والادبي مقرونًا بلذة وفاء الواجب التي هي بهجة الحياة

وفي جملة ما قرأناهُ بمزيد الارتياح والامتنان في هذا الباب ما جاء في الجزء الثالث من مقتطف هذا العام في تمريض المرضى بقلم السيدة الكريمة ادلا وربات وما قدَّمهُ المقتطف في ضرورة تعلُّم ربَّات المنزل وذوات الرحمة هذا الفن الانساني المحض مجلى ارقّ العواطف من الحب والحنان . والذي استوقف نظرنا على الخصوص من اقوال تلك السيدة الشريفة الاصل والفرع عبارةٌ يحقُّ ان تكتب بماء الذهب بل تنقَش بقلم من ماس على القلب وهي

" التمريض صناعة رائدها الحبُّ "

ومن المشهور ان الميل الى تمريض المريض من اخصّ مفاخر الجنس الرقيق اللطيف واطيب محامد النساء في كل قطر وفي كل عصر لتولُّدهِ عن عاطفة الشفقة والعطف على كل متألم كئيب . والحنوُّ لا شكَّ الى قلب المرأة اقرب جوارًا واسرع صدورًا وظهورًا منهُ في الرجل الغليظ الكبد الشديد الفؤاد . بل ليس اقتحامهُ الصفوف وهزهُ السيوف يوم القراع ولا الهجوم على الحصون والقلاع باحقّ فخارًا من ذات خدرٍ تجلس الى فراش عليل ذليلٍ بقلبٍ

كما اذابهُ الوجد عليهِ شدَّدهُ الصبر وطرف ما اذبلهُ السهر الاَّ ايقظهُ الحذَر . بل يكاد من يشهد غرفة المريض لا يُفرّق أمن قلبها الجريح تَصعَّد هاتيك الأنَّات ام من ذاك الفؤاد السقيم . فمن هناك يعلم حقيقة الصلاة والصيام وهناك يعلم كيف يكون السهر والقيام لا من اوراقٍ تسوّدها المحابر ولا من اصواتٍ تعجُّ على المنابر

وعلى الجملة فقلَّ من عاقل منصف لم تمرَّ بهِ ليال وايام كانت المرأة فيها هي ملاك الرحمة وكمال الاحسان وعنوان الرأفة ومثال الحنوّ من بني الانسان

غير ان العواطف وحدها لا تكفي في ميدان الاعمال كما اشارت تلك السيدة النبيلة بقولها " الحبُّ لا يفيد بلا علم " . والظاهر ان الشرق نفذت فيهِ سنَّة الارتقاء فمرَّ عليهِ الطور الاول الابتدائي من اطوار التعليم وهو الاندفاعي التقليدي وكاد يدخل الطور الثاني الاختياري الرزين اريد بهِ اندفاعنا في تعليم البنات العقلي الخارجي مما يعدُّهُ بعض المحققين مقصرًا عن حاجيَّات الاصلاح وضروريَّات العيال واغفالنا معنى التهذيب الحق الشامل لعلوم الادارة البيتيَّة وفنون التربية فضلاً عن اسعاد الحياة الزوجيَّة بتبادل الحبّ وحكمة الاخلاص حيث تستكمل راحة مالك القلب وفلذة الكبد وشقيق الفؤاد . الاَّ ان سنَّة الدهر حكمٌ مبرم لا مفرَّ منهُ فقد قضي على كل مجتمعٍ انساني كما قضي على كل فرد منهُ انهُ لا يصيب النافعَ حتى يذوق الضارّ ولا يقع على الصواب الاَّ بعد ان يؤدبهُ الزمان بعواقب الغرور والاوهام

ولذلك فقد اصبح (تدبير المنزل) وفي جملتهِ فن التمريض من العلوم المستقلَّة المبنيَّة على القواعد والاصول . وقد انشئت لتدريسهِ المدارس وفتحت للتدريب عليهِ ابواب المستشفيات فيندرج في سلكهِ اليوم العدد العديد من ذوات النبل والفضل من كل من اوحى اليها الحبُّ الانساني وتهيأت لها الاحوال

وكان ممن عثرنا على تراجمهنَّ من ذوات الانسانية المنكرات للذَّات والاذَّات لَمَّة من طلائع الممرّضات الانكليزيات كنَّ في مقدمة من درسن هذا الفن وخدمن بهِ الوفا من ذوي الاسقام ففرّجن الكروب وأحيين القلوب فرأينا ان الالماع الى حياة بعضهنَّ على صفحات المقتطف بعد ما قدَّمنا في هذا الشان قد لا يخلو من حسن الوقع عند كثيراتٍ من اخواتنا الشرقيَّات ولا سيما السوريَّات منهنَّ عسى ان يكون ذلك تذكرةً لغافلةٍ وتنشيطاً لراغبةٍ او راهبة لا سيما وان المقتطف قد صرَّح برغبتهِ في متابعة نشر تراجم فضليات النساء

مس نيتنگال Nightingale

واول من نقش تاريخ الانكليز اسماءهنَّ باقلام من نور على صفحات الدهور من اولئك

الباسلات الممرّضات صاحبة هذا الاسم ذلك انهُ قبل ان قامت هذه الفاضلة الكريمة لم يكن يؤخذ لتمريض المرضى الاَّ الخوادم العاديَّات فأيقن الناس مِمَّا اتتهُ تلك الشريفة المحسنة في خدمة الجرحى وتمريض المرضى ان التمريض ينبغي ان يكون فنًّا قائمًا بنفسهِ يستحق الدرس الخاص والانقطاع للحذق فيهِ والدربة عليهِ . ومما قالتهُ صاحبة الترجمة بعد شهادة الاختبار "لقد طالما قيل ان كل امرأَة تصلح ان تكون ممرضة بالطبع . الاَّ اني اقول بالخلاف ان اصول التمريض تبقى مجهولة كل الجهل قبل اخذها بالعلم والتمرين"

وملخص ما جاء في حياة المترجمة الممرّضة الاولى في بلاد الانكليز على ما نقلناهُ انها كانت من صبايا القرن الماضي حلاَّها مولاها الباري بمحاسن الخُلُق والخَلْق وقد ولدت في بيت الثروة والجاه ونشأَت على مهد الدلال وبساط الرغد والرفاه . الاَّ انهُ ولد بين اضلاعها حبٌّ غريب للقريب وخدمة الذليل المسكين . ومع ما كان في محيطها من جواذب المسرات ونعيم الصبا انكرت على نفسها تلك اللذات الزائلات وعقدت العزم على السلوك في ذلك المسلك المكرب الثقيل على نفوس ذوات الدلال . وكانت فاتحة اعمالها التطوُّع في تعليم اطفال الفقراء وزيارة المساكين وخدمة المرضى منهم باشباع الجوف والتمريض

ولما اتسع لديها مجال الاعمال شرعت تطوف المستشفيات وتغشى السجون وتزور ملاجئ المساكين وفيما كانت تعلَّم في المدارس لم تكن تصرف اشهر العطلة كما تُصرَف عادةً في منازه سويسرا وجبال سكوتلاندا وسواحل البحار بل كانت تقصد بعض مستشفيات المانيا ومدارس التمريض فتعلَّمت غسل الثياب والمسح (بالفرشاة) وتنظيف الاثاث ثم جعلت تترقى في فن التمريض القانوني علمًا وعملاً والسهر على المرضى حتى بلغت فيهِ شأْوًا أهلَّها لخدمة قانونية في المستشفيات

ولما عادت الى وطنها انكلترا دخلت مستشفى فيها في احد الازقة الضيقة التي تضيق فيها الصدور والانفاس بعد ان غادرت سكنى منزلها الفخيم في ضواحي مدينتها بما فيهِ من طيب الهواء واسباب الهناء . واكبَّت على تمريض المرضى المعلوم الحال مما لم تنشأْ عليهِ من سوالب الراحة ومتلفات الصحة ومقرّبات الآجال

وبعد ان اضطرَّت الى الراحة اياماً استردَّت بها نشاطها وقواها وكانت حرب القرم يومئذٍ يضطرم سعيرها ويعلو زفيرها بلغها استغاثة المستغيثين طلباً للممرضات المحسنات . فلبَّت صوتًا يُناديها من اعماق ذلك الفؤَاد وخفَّت الى ساحة الدمار ومصرع الاهوال تنعش الصريع وتداوي الجريح ولم تألُ جهدًا حتى ألَّفت هيئة للتمريض كانت تديرها بعين الرقيب وقلب الحبيب

وما القارئ في حاجة الى تمثيل عواطف اولئك الجرحى من الجنود حين كانت تطوف عليهم ساعات الظلام وبيدها المصباح بل بوجهها شمس الصباح تخفف الآلام وتأسو الجراح . فلا حرج علينا اذا قلنا ان تعلق قلوبهم بها كاد يُعدّ عبادة الانسان للانسان — وما ذلك ببعيد فلا يستعبد القلوب الا الاحسان حتى كانت شمس رشادهم وصلاحهم . ولم ينحصر احسانها اليهم في شأن التمريض بل كانت تُعنى باسعاد احوالهم الشخصية فتراسل ذوي قرباهم في متفرق البلدان وتختزن لهم ما كانوا يقتصدون من المرتبات

وعلى مثل ذلك انفقت تلك الحياة العزيزة المثال وقد استفزّ مثالها وهمم غيرها من امثالها الانكليزيات نظير مسس ستانلي ومسس فلورنسن ليز فاقتفوا آثارها وتحدّوا طريقتها في الاستعداد لفن التمريض مجاهدات مخاطرات يهجرن الاوطان ويقصدن اقصى البلدان لخدمة الاعلاء البائسين

ومن مأثور اقوال مترجمتنا في حياة الجندي الامين " ان الشجاعة الصادقة والذوق السليم وقوة الاحتمال بالاذعان والسكوت وسائر ما عسى ان يقول الناس عن المفاخر الانسانية والفضائل الدينية كل ذلك لا يوجد على التحقيق الا في من يضحي الاوقات والمواهب حتى الحياة من اجل شيء — هو غير ذاته — سواء كان وطنهُ او ملكهُ او ذويهِ لا في تقشف الزهاد وانقطاع العباد الى تكرار الادعية والاوراد " وكان في رأيها " ان فضائل الغيرية وانكار الذات اشد رسوخاً واظهر أثراً في صلاح الشعب الانكليزي من شعوب الارض "

هذا ولقد ذكرنا من محفوظنا ما قرأناه منذ زمن غير بعيد عن شكوى بعضهم من قلة رغبة السوريات في خدمة التمريض في المستشفيات حتى حسبوا ذلك من الجنس السوري نقصاً فطرياً يستحق التشهير في الآفاق . ولسنا ندري علة هذه الشكوى على التحقيق اهي نقص في الاستقراء وتحكّم قبل التجربة الكافية ام هي من قبيل الاحجام عن كل امر حديث اذا لم تكن نتيجة التمييز والتفريق الكافة في روح الاجنبي ظهرت في بعض المستشفيات كما تشاهد في سائر دوائر الاعمال حتى الخيرية مما يثبط الهمم ويغلّ الايدي ويسوق الزهد في النفوس . والا فان التاريخ اصدق شاهد على ان السوريات بل الشرقيات اجمع مؤهلات بالطبع لاظهار كل ما توحيهِ الرقة واللطف وتبعث عليهِ الشفقة والعطف فاذا بلغن من العلم الحقيقي ما يجنى لهنّ المنصف الكريم فلا نعدم منهنّ من يسطّر لهن التاريخ حياة من المجد والفخر ما يبقى ابد الدهر

دمشق — احد القرّاء

———

الاعتناء بالوجه

جاء في كتابٍ للدكتورة فلونس درسلر الفتة حديثاً كلام مسهب في هذا الموضوع تودُّ كل ربَّة بيت ان تطلع عليهِ قالت

ان جمال الوجه يتوقف على شفافية الجلد وصحتهِ وحالة الدم ونوع الطعام . واذا بقي الجسم نظيفاً داخلاً وخارجاً بقي الجلد شفافاً صحيحاً وبقي دمهُ نقياً

والاغتسال ينظف ظاهر الجسم ولكنهُ لا ينظف باطنهُ . ولا ينظف الباطن الاَّ اذا كان الطعام جيداً معتدلاً في كميتهِ وكان الماء نقياً ايضاً

والعيوب التي تذهب بنضارة الوجه كثيرة وهي الصفرة والبزور والنقط السوداء والكلف والنمش والغضون . وبعضها يحدث من التعرّض للشمس والريح وبعضها يحدث من الاهمال

اما الصفرة فسببها اضطراب وظيفة الكبد او قلة التغذية ودواؤها حسن الغذاء واعتدالهُ والاغتسال والرياضة التي توجب التنفُّس العميق . واذا كان التعب في الكبد فلا بدَّ من الاكثار من اكل الاثمار والخضر . ويحسن ان تشرب المصابة بذلك كأساً من الليموناضة غير محلاة بالسكر قبلما تنام . واذا ساء هضمها فلتقتصر على الاكل مرتين في النهار الساعة العاشرة صباحاً والساعة الرابعة بعد الظهر فيعود الهضم الى انتظامهِ ويعود الى الوجه لونهُ الصحي

والبزور والنقط السوداء سببهما انحباس المادة الشحمية من قلة فرك الوجه وغسلهِ وعلاجهما ان يعتنى بالطعام وتوضع على الوجه خرقة ناعمة مبلولة بلبن سخن جداً وتترك عليهِ مدة ثم يغسل بماء بارد وتنزع المادة الشحمية بالعصر ويغسل الوجه بماء سخن ثم بماء بارد دواليك حتى تتقلص مسامهُ ويغسل بعد ذلك بغسول مؤلف من اوقية من مذوب البوتاسا واوقيتين من الكولونيا واربع اواقٍ من العرق . ولا بدَّ من الاعتناء بالامعاء حتى لا يحدث فيها قبض

واذا أُضيف الى الماء الذي يغسل بهِ الوجه نقط قليلة من الحامض الكربوليك شفاهُ من البزور في الغالب ولاسيما اذا استعمل مع الرياضة وسائر التدابير الصحية

ويتم غسل الوجه بالماء السخن او تنطيلهُ هكذا . تخاط قطعة من الفلانلا السميكة حتى تغطي الوجه كلهُ ويخرق فيها خرقان صغيران للمنخرين ثم تبل بماء سخن وتوضع على الوجه وتترك عليهِ حتى تكاد تبرد ثم تبلَّل بالماء السخن ثانية ويكرَّر ذلك مراراً كثيرة . ويغسل الوجه بعد ذلك بالماء البارد الذي اذيب فيهِ قليل من كربونات الصودا المستعملة في عمل الكعك ويغسل الوجه اخيراً بالماء البارد الصرف وينشف جيداً ويدهن بالزيت او الفاسلين او الزبدة. وخير الادهان لهُ زبدة جوز الهند

اما النمش فالتعرُّض للشمس يزيدهُ دكنةً وخير ما يستعمل لهُ عصير الليمون الحامض يدهن بهِ الوجه ويترك عليهِ بضع دقائق ثم يغسل بماءٍ بارد . وقبل وضع عصير الليمون يغسل الوجه جيداً بالماء السخن والصابون

والغضون يظن لاول وهلة انها من لوازم التقدُّم في السن ولكن البعض تتغضن وجوههم وهم في سن الشباب او الكهولة والبعض لا تتغضن وجوههم ولو بلغوا سن الشيخوخة لانهم يعتنون بها وبصحتهم عموماً . ويمكن ان تزال الغضون من الوجه هكذا ينطَّل اولاً بالماء السخن كما تقدَّم ثم يدهن جيداً بزبدة جوز الهند ويفرك بها حتى يتورد الدم الى مكان الغضون . وعند المعتنيات بوجوههنَّ كاس مثل الكاس التي يمص بها اللبن من الثدي لها كرة من الكاوتشوك فتوضع فوق الغضون وتضغط حتى يفرغ منها بعض الهواء فتجذب الجلد والدم . وبتكرير ذلك على طيات جلد الوجه المختلفة يأْتيها الدم و يغذيها فتزول الطيات في وقت قصير . واذا لم توجد هذه الكاس فالفرك بالاصابع يقوم مقامها ولا بدَّ من فرك الغضون وقرص الجلد حتى يعلو المنخفض منهُ ويكرَّر ذلك مقدار ربع ساعة او نصف ساعة كل يوم قبل النوم

واذا تلوَّح الوجه من الشمس فامزج زيت الزيتون بماء الجير اجزاءً متساوية وادهنهُ بهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كفن المسيح

حضرات منشئي المقتطف الاغر المحترمين

ذكرتم في باب الاخبار العلمية في الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين (مايو سنة ١٩٠٢) ما ملخصهُ ان في كنيسة تورين الكبرى كفناً قديماً يقال انهُ كفن السيد المسيح وان عليهِ صورتين يقال انهما صورتا وجه المسيح وظهرهِ وانهما ارتسمتا فيهِ من مجرد لفهِ بهِ . وان

المسيو فنيون رأى بعد امعان النظر وعمل التجارب الكثيرة انهُ اذا دهن نسيج بالمركما دهن كفن المسيح ولف بهِ الجسد ترتسم صورة الجسد في النسيج بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي . الى ان ختمتم بالقول — " فمن المحتمل علميًّا ان تكون هاتان الصورتان حقيقيتين "

فما ادق هذه النتيجة وما الطف هذا الاحتمال الذي ذكرتموهُ وما اصوبهُ وحسب فكري القاصر ارى ايضًا احتمالاً آخر مبنيًّا على الاحتمال المذكور منكم وهو انهُ " يحتمل علميًّا " ايضًا ان جسد المسيح قام من الاموات بدون ان يرى فسادًا . لانهُ من الواضح انهُ لو انحل جسد المسيح كبقية الاموات لكانت المواد المنحلة منهُ اعدمت تلك الصورة المرتسمة على ذلك الكفن او لوثتها بالكلية حتى لا يمكن ان يرى على ذلك الكفن شيء يقال عنهُ انهُ صورة انسان مرتسمة " بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي " (الفوتوغرافية)

وبما ان الاحتمال العلمي صادق على ما هو مقرر بكل وضوح في كتب التوراة والانجيل وموت المسيح وقيامتهُ هما اساس الديانة المسيحية كانت لدينا نتيجة اخرى وهي " من المحتمل علميًّا " ان اساس الديانة المسيحية حقيقي . وبالمحافظة على لفظ العبارة التي ذكرتموها اقول اخيرًا — " فمن المحتمل علميًّا " ان كل مكذب لاساس الديانة المسيحية هذا يكون قوله ليس حقيقيًّا نجيب ضعون

[المقتطف] لما كثر الجدال في امر هذا الكفن كتب الاب هربرت ثرستن اليسوعي في جريدة التيمس في ٢٤ ابريل من العام الماضي يقول " ادَّعى الاب شفاليه انهُ اثبت بالدليل ان الكفن المعروض في تورين هو اثر مزور مصنوع في القرن الرابع عشر وانهُ صُنع قصد الغش . ونحن غير مضطرين الى الاعتقاد بان الذين اكرموا هذا الاثر بعد ذلك كانوا يعرفون انهُ مزور بل يصح ان الذين صنعوهُ اولاً لم يقصدوا ان يغشوا بهِ احدًا ومثلهُ مثل الصور الكثيرة المنقولة عن المنديل (الذي يقال ان المسيح مسح وجههُ بهِ وارسلهُ الى ملك الرها) فان الصور التي صنعت اولاً لاغراض تقوية صارت تحسب صورًا اصليَّة وتولَّد الاعتقاد من الميل اليهِ ولكن من غير قصد الخداع على الراجح "

ثم ألَّف الدكتور فنيون كتابًا حاول ان يثبت فيهِ صحة هذا الكفن ونشر فيهِ صورًا كثيرة من صورهِ فعادت المناظرة بين العلماء في شأنهِ حديثًا واثبتوا من شكل الصور التي نشرها الدكتور فنيون في كتابهِ انها لا يمكن ان تكون الصورة ارتسمت على الكفن من لف جسد الميت بهِ بل انها مصنوعة باليد وصانعها غير ماهر لانهُ اخطأ في تمثيل ما يمكن ان يحدث لو كانت الصورة حادثة من لف الكفن حول جسم انسان ميت وفي نسبة الاعضاء بعضها الى بعض فضعفت دعوى الدكتور فنيون وقوي ما قالهُ الاب شفاليه

رد على ردود

سيّدي الفاضلين صاحبي المقتطف الاغر

امعنت النظر في الرد الذي نشرهُ المقتطف البهي في جزئهِ الرابع من هذه السنة مذيلاً بامضاء حضرة صديقي وزميلي محمد افندي فاضل على ردين نشرهما المقتطف الازهر ومجلة عين شمس البهية بما كان من مناظرة حضرتهِ مع حضرة صاحبها بشأن "القبطية والعربية" وبعد ان راجعت ما نقلهُ من عبارات التاريخ في ردهِ المذكور على اصلهِ وجدت مباينةً لا تغتفر بالاستشهاد وحيث يجب تنزيه عبارة التاريخ من التحريف والتأويل لغير المقصود منها فلذلك قد راجعت حضرة زميلي في شأن الخلل مراجعة شفاهية اراجع بها الآن حضرات القراء الكرام الذين لا ريب انهم يؤثرون متابعة ما يكون بشأن هذا المبحث الجلل فقد قال حضرتهُ

اولاً — ان برهانهُ على استعمال الالفاظ العربية المذكورة قبل العائلة الثانية عشرة" اي في سنة ٢١٦٠ ق . هـ (هكذا) لا يستغرق الأ القليل من الزمن للبحث في ذلك العصر لمعرفة دقائقهِ ومقارنتها بتاريخ العرب القديم لاستخراج المجهول" . والحق يقال ان العائلتين الحادية عشرة والثانية عشرة حكمتا من سنة ٣٦٨٦ — ٣٤٧٣ ق هـ او من سنة ٣٠٦٤ — ٢٨٥١ ق م فلو اراد بعد ذلك تطبيق حوادث تاريخ العرب القديم على حوادث سنة ٢١٦٠ ق هـ المذكورة لوقع تطبيقهُ على العائلة الثامنة عشرة التي حكمت من سنة ٢٣٢٥ — ٢٠٨٤ ق هـ او من سنة ١٧٠٣ — ١٤٦٢ ق م وليس على العائلة الثانية عشرة كما حصل التوهم لان بين حكم العائلتين المنوه بهما مدة طويلة تجاوز حدود الالف وخمسماية سنة كما يتضح بادنى تأمل وحكم العائلة الثانية عشرة كان سابقاً لحكم العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة "المعروفة بدول الرعاة" بمدة تجاوز حدود الثانماية وخمسين سنة اي من سنة ٣٦٨٦ المذكورة الى سنة ٢٨٣٦ ق هـ بداية حكم دول الرعاة ومن المسلم عقلاً ان دول الرعاة المنسوب اليها نشر لغتها العربية في مصر ما تيسر لها قط نشر لغتها في مصر في زمن سبق زمن وجودها فيها بمدة تزيد عن الثانماية وخمسين سنة كما تبين

ثانياً — قال حضرتهُ انهُ ورد في التاريخ ان لغة مصر القديمة كانت هيروغليفية وان ذلك ثابت في كتاباتهم — مع ان الهيروغليف هو نسبة الى القلم المصري القديم وليس الى اللغة المصرية القديمة كما ان الديموتيقي كان نسبة للقلم العامي وليس الى اللغة العامية ولا يغرب عن ذوي الالمام في اللغات ان التفنن بكتابة الفاظها باقلام وباشكال متنوعة لا يدل على نوعيتها ولا على جنسيتها لجواز كتابة "القبطية والعربية" وسواها بقلم الهيروغليف كما تكتب التركية

بالارمنية وتلفظ تركية فلا ينجم من ذلك امكانية اثبات اقدمية احدى اللغتين المذكورتين على الاخرى خصوصاً وان الكتابة الهيروغليفية كانت مستعملة حتى في زمن حكم الدولة اليونانية التي تقدمتها دولة الرعاة بالفي سنة تقريباً ويثبت ذلك الحجر الرشيدي الموجود الآن بمتحف لندن الذي كتب في سنة ١٩٤ قبل المسيح

ثالثاً — قال حضرتهُ ان العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة كانت عائلات عربية او عمالقة او هكسوس او رعاة نزح رجالها الى مصر فخضعت لسلطانهم دولة الفراعنة وان في عهد الريان احد ملوكهم جاءت السيارة بيوسف الصديق الى مصر الخ فمن يمعن النظر في جملة التاريخ الاصلية المنقول عنها الاستشهاد المذكور يجدها كالآتي "اما منشأ ملوك الرعاة ويدعوهم اليونانيون هيكسوس فقد اختلف المؤرخون في حقيقتهِ والاظهر انهم اخلاط من العرب واهل الشام واكثرهم من الحبشيين الخ " ومن يعطف النظر على ما رواهُ العلاَّمة ابن خلدون عن العرب في الفصل الخامس والعشرين صفحة ١٣٠ من مقدمتهِ يجد "انهم كانوا اهل انتهاب وعبث ينتهبون ما قدروا عليهِ من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة والمحاربة الاَّ اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوهُ الى ما يسهل عنهُ ولا يعرضون لهُ . والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة من عيثهم وفسادهم لانهم لا يتسنمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر الخ " ثم بيَّن بعد ذلك باسهاب ان العرب اذا تغلبوا على اوطانٍ اسرع اليها الخراب وان الملك لا يحصل لهم الاَّ بصبغة دينيَّة من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين وانهم ابعد الامم عن سياسة الملك الى غير ذلك مما تضمنتهُ الفصول السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون من مقدمتهِ المذكورة التي ثبت فيها ان العرب اكتفوا من لبس المخيط شعارًا ومن لبس العمائم تيجانًا على رؤُوسهم ولا صلة نسبية بينهم وبين العمالقة اصحاب فلسطين يضاف اليهِ عدم وجود نسبة اتحادية او اتفاقية تجمع بين العرب والعمالقة لاختلاف الدارين واللغتين والاخلاق والعادات والاستعداد والدين بين القومين اما العمالقة واهل الشام والحيثيون فكانت تجمعهم اللغة والاتحاد ومجاورة البلاد وتناسب الاخلاق واتفاق الدين والمصالح وهم الذين لقبهم اليونانيون بالهيكسوس او الرعاة

رابعاً — قال حضرتهُ انهُ ثبت من براهينهِ ان اللغة الهيروغليفية هي غير اللغة القبطية وان ذلك يعلم من حروف الاثنتين . فان كان يقصد بذلك اللغة التي كان يتكلمها المصريون القدماء فقد اثبتنا لحضرتهِ ان الهيروغليف ليست بلغة بل هي علامات خطية استعملها المصريون

القدماء لاظهار افكارهم كما نظهر افكارنا في هذه الايام باصطلاحات الارقام الهندية او اللغة التلغرافية لانها رموز فقط لمدلولات معلومة وان كان يقصد اللغة القديمة بذاتها فلماذا فرَّق بينها وبين اللغة القبطية فان اعتبر هذه محدثة فلماذا لا يبين تاريخ احداثها حتى نقابلهُ بتاريخ وجود اللغة العربيَّة الواجب ايضاً بيان اصل اشتقاقها وزمنهِ لمقابلتهما باصل وزمن اشتقاق اللغة القبطية لعلهما يتفقان مصدرًا ويكون مصدر تلك الكلمات واحدًا كما هو الحال في اللغات اللاتينية وفروعها وبمثل هذه المقابلة يزول الاختلاف من نسبة استعارة الواحدة كلمات الاخرى . فاذا ساعد الاجتهاد والتنقيب على اثبات ذلك وعلى كون العمالقة والحثيين واهل الشام قد تكلموا اللغة العربية او اتحدوا مع العرب (مع اختلاف اللغات) على فتح مصر من سنة ٢٨٣٦ الى ٢٣٢٥ ق . ه او من ٢٢١٤ الى ١٧٠٣ ق . م كما رواهُ تاريخ مصر صفحة ٤١ او على الرواية الاخرى من سنة ٢٠٠٠ ق . م كما نقلها تاريخ حقائق الاخبار عن دول البحار صفحة ١٥٨ فيمكن الحكم عندئذٍ بتاتًا او استنتاجاً اما الآن فليس بالامكان الاَّ الوقوف عند حد الانتظار لاظهار تلك الحقائق المدفونة من قديم الزمان التي لا يبعثها الاَّ اجتهاد العلماء ولا يحيي رميمها الاَّ الفضلاء

معسكر حلفا السودان سمعان عارج

العربية والقبطية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما اطلعتُ على رسالة حضرة الاديب محمد افندي فاضل المدرجة في الجزء الاول من هذه السنة رأيتهُ ينفي فيها قول مَن قال بقبطيَّة بعض الكلمات مستدلاً على انها عربية بورودها في القرآن الكريم كقولهِ ان ادهى "عربية الاصل والمبنى قال تعالى وقولهُ القديم والساعة ادهى وامرّ" . وكقولهِ ان "يم بالعربية البحر قال تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيهِ في التابوت فاقذفيهِ في اليم فليلقهِ اليم في الساحل" . نخفتُ ان يكون الرد على ما قالهُ حضرة اقلاديوس افندي لبيب بمثل ذلك داعياً الى اقفال هذا الباب فاستشهدت بما قالهُ السيوطي من ان ورود الكلمة في القرآن لا تقطع بعربيتها لدى جمهور من العلماء المحققين ونقلت الالفاظ التي قال انها ليست عربية الاصل ولو وردت في القرآن ليكون قولهُ انموذجاً يتبع في هذا البحث ويشدّد عزائم المجتهدين . فحمل قولي على غير ما قصدتُ وليس من غرضي ان اجادلهُ في ذلك ولكنني ارى ان لا بدَّ من ايضاح حقيقة اخرى يخطئ الباحثون في اغفالها

وهي انهُ اذا تضارب قولان في موضوع قول رجل عالم بهِ وقول آخر غير عالم بهِ وجب ان نأخذ بقول الاول ونهمل قول الثاني فاذا قال العارف باللغة القبطية والعربية ان كلمة يم قبطية وبيَّن اصلها فيها ومشتقاتها واثبت ان ليس لها مشتقات في العربية لزمنا ان نأخذ بقولهِ وكذا اذا قال العارف بالرومية والعربية ان كلمة قلم رومية الاصل ومعناها القصبة وهي مقحمة في العربية لا اشتقاق لها فيها ولا كان القلم معروفاً عند العرب لما كان معروفاً عند الرومانيين وجب ان نأخذ بقولهِ . وكذلك اذا قال العارف بالانكليزية والعربية ان كلمة قاضي الانكليزية عربية لان لها مشتقات كثيرة بالعربية وليس لها شيء من المشتقات في الانكليزية

اما الادلة التاريخية التي لجأ اليها فيؤخذ بها متى عُرف للعرب تاريخ موثوق بهِ اما الآن فلا يعرف من تاريخهم وتاريخ لغتهم شيء موثوق بهِ يمتدُّ الى ما قبل الهجرة بمئة سنة

هذا ولا ازال اعجب بالفصل الذي كتبهُ السيوطي ولا يهمني اختلاف العلماء في كيفية حسبان تلك الكلمات عربية وهي عجمية الاصل لان اختلافهم من قبيل الرأي واما قولهم ان ابريق مثلاً " فارسي معرب ومعناهُ طريق الماء او صب الماء على هينة " فليس من قبيل الرأي بل هو ذكر حقيقة وقس عليها غيرها من الكلمات التي قالوا انها معربة. ولو عرف السيوطي العبرانية والسريانية والقبطية والحبشية واليونانية كما يعرفها اهلها لوجد في العربية كلمات كثيرة منها غير ما ذكر مصر باحث مصري

باب التقريظ والانتقاد

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها

تصفحنا هذا الكتاب فرأيناهُ مرشداً الى ما بقي من كنوز العلم في مكاتب دمشق وضواحيها وضعهُ حضرة الكاتب الفاضل حبيب افندي زيات بعد بحث طويل وتنقيب كثير يوجبان لهُ الشكر من كل ناطق بالضاد. ولو نُشر مثل هذا الكتاب منذ مئة عام لنجت مكاتب الشام من سلب السالبين ولرأيناها الآن حافلة بكتب كثيرة تفرقت في مكاتب اوربا واميركا. وعسى ان يؤول نشرهُ الآن الى حفظ ما بقي فيها واهتمام اولي الحميَّة بطبع ما من نشره فائدة كبيرة كبعض كتب التاريخ والادب والحساب

والكتاب اربعة اجزاء في الجزء الاول منهُ كلام على الخزانة الظاهرية بدمشق ذكر ما

فيها من كتب الفرائض والتوحيد والتصوُّف واللغة وعلومها والطب والكيمياء والرياضيات . وقد ذكر من كتب الطب شرح كليات القانون لفخر الدين الرازي وكتاب الكافي في طب العين للصوري وتقدمة المعرفة لابقراط وتفسيرهُ لعبد اللطيف البغدادي وشرح فصول ابقراط لابن ابي صادق ومجموعاً لابن عبد الهادي في ادوية القلاع واللثة واللسان والعين والقلب والاذن واليرقان. وكتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجَر العسقلاني وكتاب شاناق الهندي في السموم نقلهُ للمأمون العباس بن سعيد الجوهري

ومن كتب التعاليم مرشد الطالب لابن الهائم وكتاب المقالات لابن البنّا والحساب الهندي لعبد اللطيف البغدادي ونزهة النظار في قلم الغبار لابن الهائم . وكشف القناع في رسم الارباع لمحمد ابن العطار ووسيلة الطلاّب لمحمد سبط المارديني في استخراج المسائل الجيبيَّة بالحساب

وقدَّم لهذا الجزء مقدمة مسهبة دلت على واسع علم ودقيق بحث وسننشر خلاصتها في جزءٍ تالٍ

والجزء الثاني عن صيد نايا ومكتبة دير الشاغورة التي حُرِق اكثرها لكي لا تكون كتبها حجة بيد السريان يتقوَّون بها على اثبات حقوقهم على الدير

والجزء الثالث عن معلولا ولهجتها السريانية وما وجد فيها من الكتب القديمة . والرابع عن يبرود ومكتبة المطران غريغوريوس عطا وفيهِ بحث دقيق وانتقاد اليم

وجملة القول ان كتاب "خزائن الكتب" من نفائس الكتب وحبذا لو اسهب المؤلف في وصف بعض الكتب المفيدة التي يحسن طبعها ونشرها ونقل عنها بعض ما منهُ فائدة كما نقل عن نسمات الاسحار عسى ان يكون في ذلك مرغب للساعين في نشر الكتب العربيَّة حتى يسعوا في استنساخها ونشرها فوق ما فيهِ من الدلالة على حقيقة تلك الكتب عند الذين يجهلونها لان قولنا ان في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق "كتاب مرشد الطالب الى اسنى المطالب لابن الهائم" لا يستفيد منهُ مَن لم يرَ ذلك الكتاب في مكان آخر او من لم يقرأ عنهُ ما تُعرَف بهِ حقيقتهُ . وكذلك كتاب مفرح النفس للمارديني لا يكفي في وصفهِ قولهُ ان اوَّلهُ "اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء" الاَّ الدلالة على انهُ في الطب . وغنيٌّ عن البيان ان الاسهاب على النحو الذي نريدهُ يستغرق وقتاً كثيرًا ويملأ صفحات عديدة ولكننا لا نظن ان الكتب التي تستحق ان ينوَّه بها كثيرة وعلى كل حال تكون الفائدة اتم . ويتلو ذلك في الفائدة تحقيق الزمن الذي الِّف فيهِ الكتاب اوخط اذا كان الى ذلك سبيل

وخلاصة القول اننا نعترف لحضرة المؤلف بالفضل في جمعهِ هذا الكتاب ونشرهِ وكنّا نودُّ ان تكون فوائدهُ اتم بالاسهاب في وصف الكتب النادرة التي يحسن طبعها ونشرها

المنتحل

للامام الثعالبي

وقد نظر فيهِ وصحَّح روايتهُ وترجم شعراءهُ وشرح الفاظهُ اللغويَّة حضرة الكاتب الفاضل احمد افندي ابو علي امين مكتبة الاسكندرية البلدية

طالما وددنا لو نُشر في العربية كتاب مجموع من نخبة اشعار العرب مبوب حسب المواضيع التي يدور الشعر عادةً عليها ولذلك نرحّب بهذا الكتاب شاكرين لحضرة ناشرهِ عنايتهُ في تصحيحهِ وشرح لغويهِ وترجمة شعرائهِ اتماماً للفائدة. وحبذا لو قام من ابناء هذا العصر من حذا حذو الثعالبي وابي تمام فجمع ما يستحق الجمع والحفظ من اشعار الذين نبغوا بعد زمانهما الى الآن ولو جاء ذلك في مجلدات . ويجب ان لا يقتصر على ما اقتصرا عليهِ من الابواب بل يذكر ايضاً ما يدخل في باب الوصف الطبيعي كوصف المدن والمباني والبلدان والرياض والحيوان والنبات والشمس والقمر والغيم والمطر ونحو ذلك مما تلذُّ مطالعتهُ ويودُّ المنشئ ان يرصّع منشآتهِ بهِ. ويحسن ايضاً ان يرتّب هذا الكتاب ترتيباً آخر كما فعل الثعالبي في كتابهِ الايجاز والاعجاز اي يذكر الشعراء حسب ازمانهم ومع كل شاعر ما يصحُّ ان يستشهد بهِ من نظمهِ

وفي المنتحل خمسة عشر باباً كالبلاغة والتهاني والتعازي والمدح والشكر والعتاب والهجاء وشكوى الزمان ونحو ذلك مما يكثر دورانهُ في الشعر العربي

وقد اجاد حضرة ناشرهِ في ما علقهُ عليهِ من الحواشي والحقهُ بهِ من التراجم وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد وثمنهُ عشرون غرشاً

تقويم المؤيد

يتحفنا حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود في بداءة كل سنة هجرية بتقويم يزيد اتقاناً وفائدة على مر السنين . في التقويم الاخير لسنة ١٣٢١ فصول كثيرة في علم الفلك وتاريخ العرب واحوال الممالك واحوال مصر والسودان وهذان الفصلان منقولان عن تقرير اللورد كرومر لسنة ١٩٠١ بالحرف الواحد من غير اشارة الى ذلك وهو عيب نود ان يجل هذا التقويم عنهُ . وفيهِ ايضاً فصول في المعاهدات الدولية والمسائل السياسية وتراجم المشاهير والاكتشافات والاختراعات وتدبير المنزل ونحو ذلك من الفوائد الكثيرة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) زمن خلق الشمس

بيتانكيراس بالبرازيل . الخواجه نقولا ابو عسلي . قلتم ان الشمس اقدم من الارض جدًّا والتوراة تقول ان جميع الكائنات تكونت في ستة ايام فقط فكيف هذا التناقض الصريح

ج يقول علماء التفسير ان تأويل الكتاب اولى من مناقضة الامور العلمية المقررة . ومن المقرَّر علميًّا ان الارض مشتقة من الشمس وقد مرَّ عليها من حين انفصلت عن الشمس الى الآن ملايين كثيرة من السنين وتأويل التوراة سهل عندهم فانهُ يقال فيها "في البدء خلق الله السموات والارض" فيراد بالسماوات الشمس والنجوم ولاحدَّ لقدم البدء الذي تشير اليهِ التوراة اما قولها ان النورين الاكبر والاصغر وجدا في اليوم الرابع فسروهُ بان الارض كانت مغطاة بالضباب فلما ارتفع عنها ظهرت الشمس نهارًا والقمر ليلاً . واستدلوا على ذلك من قولهِ فعمل الله النورين او النيرين العظيمين وقولهِ في الاول خلق الله السماوات والارض ويقولون ان الفعل "عمل" ليس معناهُ خلق مثل معنى الفعل

(٢) ثمن الميكرسكوب

ومنهُ . كم يساوي ثمن الميكرسكوب ومن اين يطلب وهل يمكن ارسالهُ بالبريد

ج يختلف ثمنهُ من نحو مئة فرنك الى الف فرنك او الفي فرنك حسب كبرهِ ودقتهِ وهو يطلب من كل باعة الآلات البصرية ويمكن ارسالهُ بالبريد

---

(٣) ضرب النقود

الاسكندرية . موسى افندي واصف . ما هو نوع العملة التي كان الناس يستعملونها قبل سك النقود ومن سك النقود اولاً

ج كانوا اولاً يتعاملون بقطع الذهب والفضة موزونة وزنًا ثم صاروا يسكونها . وقد وُجدت في الصين نقود ضربت فيها قبل المسيح بنحو الفين ومئتي سنة . واول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس قبل المسيح بنحو خمس

مئة وعشرين سنة . واليهود ضربوا النقود في عهد شمعان المقابي قبل المسيح بنحو مئة واربع واربعين سنة . وضربت النقود اليونانية اولاً في ليديا قبل المسيح بنحو سبع مئة سنة والرومانية ضربت اولاً سنة ٢٦٩ قبل المسيح

(٤) قياس محيط الارض

ومنهُ . ما هي الطريقة لقياس محيط الكرة الارضية

ج يقسم محيط الارض مثل محيط كل الدوائر العظيمة الى ٣٦٠ درجة فاذا عين طرفا درجة من هذه الدرجات وقيس البعد بينهما وضرب في ٣٦٠ فالخارج محيط الارض . لنفرض ان اثنين وقفا في سهل فسيح طولهُ سبعون ميلاً او اكثر ووقفا في طرفيهِ حتى يكون البعد بينهما من الشمال الى الجنوب ٦٦ ميلاً تماماً ورصدا نجم القطب معاً في دقيقة معلومة من ليلة واحدة فاذا وجد الشمالي منهما نجم القطب مرتفعاً عن الافق ٤٠ درجة فالراصد الآخر الذي الى جنوبيهِ يجد نجم القطب مرتفعاً عن الافق ٣٩ درجة او نحو ذلك فيكون البعد بين الراصد الاول والراصد الثاني درجة واحدة . وقد تقدم ان البعد بين الراصدين ٦٦ ميلاً فطول الدرجة على سطح الارض ٦٦ ميلاً وطول الثلاثمئة والستين درجة ٢٣٧٦٠ ميلاً او نحو اربعة وعشرين الف ميل . وقد استطاع الاقدمون ان يعرفوا محيط الارض بالتقريب من قياس مثل هذا وذلك ان احد علماء الاسكندرية في عهد اليونان راقب الشمس وقت الظهر في اصوان فوجد نورها يقع عمودياً تماماً في بئر هناك وكان نورها في الاسكندرية حينئذٍ مائلاً سبع درجات و١٢ دقيقة والمسافة من اصوان الى الاسكندرية نحو ٥٥٠ ميلاً في خط مستقيم فالدرجة منها نحو سبعين ميلاً وهذا اكثر من الحقيقة قليلاً . ثم قيس طول الدرجة في عهد بطليموس وعهد العرب مع قلة وسائطهم وهاك ما نشرناهُ في هذا الصدد في المجلد السابع من المقتطف

"في حدود سنة ٨٢٨ للميلاد امر الخليفة ابو جعفر المأمون بقياس درجة من الهاجرة لاستقراء جرم الكرة الارضية وقام بهذا العمل اربعة من علماء الهيئة مدوَّنة اسماؤهم في صفحات التاريخ وهاك ما قالهُ ابو الفداء في هذا الشأن . قد قام بتحقيق حصة الدرجة طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيرهِ فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلثي ميل . ثم قام بتحقيقهِ طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المامون وحضروا بامرهِ في برّية سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منهُ واخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكنهم من الاستقامة

حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوهُ فكان مع احداهما ستة وخمسون ميلاً وثلثا ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فاخذ بالاقل وهو ستة وخمسون ميلاً اه. ولم يذكر ابو الفداء الأ عملاً واحداً والحال انهما عملان جريا في آنٍ واحد احدهما في برّية سنجار من بلاد ما بين النهرين والآخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلافة العباسية وكانت وفاتهُ سنة ١٠٠٨ للميلاد. قال سناد بن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجةً من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار عليُّ بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحتري في طريق اخرى اما نحن فتوجهنا الى ان وصلنا بين فامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً ووجدها كذلك علي بن عيسى وعلي بن البحتري وبعثنا بالخبر فوصل في آنٍ واحد. وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبدالله الملقب بحبش في كتابهِ مطالع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في برية سنجار وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل من اميالهم". والطرق المستعملة الآن لقياس طول الدرجة الارضية دقيقة جداً اعتمادها على قياس المثلثات

(٥) مستعمرات الدول

طنطا. الخواجه جوزف دهان ما رأيكم في المستعمرات التي للدول الاوربيَّة هل تنهض وتطالب بحقوقها وتتولَّى ادارة نفسها

ج يختلف ذلك باختلاف الحاكم والمحكوم من حيث القوة والضعف وحسن السياسة وسوئها. فالممالك الضعيفة كاسبانيا لا يحتمل انها تبقى متسلطة على مستعمراتها زماناً طويلاً والممالك القوية كانكلترا لا يحتمل انها تفقد مستعمراتها في زمنٍ قصير. والمستعمرات القوية كاستراليا لا يحتمل انها تبقى خاضعةً لغيرها ابد الدهر والمستعمرات الضعيفة كجامايكا لا يحتمل انها تفوز بالاستقلال بعد زمن قصير. والظاهر ان الممالك القوية صارت ميَّالة الى التساهل مع مستعمراتها ومسكها بربط المصالح المتبادلة حتى اذا تعلَّم ابناؤها وثقفوا وصار الاستقلال سهلاً عليهم لا يرون فيهِ مصلحةً لهم بل يرون مصلحتهم في بقائهم متصلين بالمملكة المتسلطة عليهم اقلَّة ما يخسرون بهذا الاتصال وكثرة ما يربحون منهُ. ولكن المتسلط ميَّال الى استضعاف من ليس من جنسهِ ولاسيما اذا وجدهُ اضعف منهُ حقيقةً وسيكون ذلك آفة الاستعمار ومقوّضاً لدعائمهِ واذا لم تسعَ الامم الكبيرة المستعمرات في تلافيهِ من الآن فلا يبعد ان تتربص بها مستعمراتها الى ان تقع في ورطة فتقلب لها ظهر المجن وتخلع نيرها وتستقل

(٦) الاصمعي

بيروت . مارون افندي عنيق . هل للشاعر المعروف بالاصمعي كتاب يحتوي على كل اقواله او ما يروى عنهُ شذرات غير مجموعة

ج يقال ان لهُ كتباً كثيرة وهي كتاب خلق الانسان وكتاب الاجناس وكتاب الانواء وكتاب الهمزة وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفرق وكتاب الصفات وكتاب الاثواب وكتاب الميسر والقداح . وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب الاخبية وكتاب الوحوش وكتاب فعل وافعل وكتاب الامثال وكتاب الاضداد وكتاب الالفاظ وكتاب السلاح وكتاب اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب اصول الكلام وكتاب القلب والابدال وكتاب جزيرة العرب وغير ذلك. والظاهر ان ما يروى عنهُ منقول من هذه الكتب لا من كتاب واحد

(٧) الجرد

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . لي صديق عمرهُ ٢٤ سنة تقريباً لحيتهُ غزيرة الشعر ولكن ليس لهُ شنب الاَّ في الجانبين طول شعرهما نحو مليمترين وقد استعمل علاجات كثيرة فلم تفدهُ شيئاً فهل من علاج ينبت شعرهُ

ج ان هذا النوع من الجرد نادر ولا علاج لهُ

(٨) استئصال الشعر

ومنهُ . أصحيح ما يقال ان الابرة الكهربائية تميت الشعر من اصولهِ حتى لا يعود ينبت وهل من واسطة أُخرى تزيل الشعر وتمنعهُ من ان ينبت ثانية

ج نعم ان كي اصل الشعرة بالكهربائية يميتها ويمنع نموها ثانية. والمرجح عندنا انهُ اذا قلعت الشعرة مراراً كثيرة جدًّا لا تعود تنبت اما العلاجات التي تزيل الشعر من ظاهر الجلد فلا تميت اصولهُ ولا تمنع نموَّهُ

(٩) زمان انقراض الانسان

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح . جاء في الجزء الثاني من المقتطف ان الزمن الذي يجف فيهِ ماء الارض بعيد وينقرض نوع الانسان عن وجه البسيطة قبل الوصول اليهِ . وهذا ما يدلُّ اعتيادياً على انتهائكم الى معرفة زمن انقراض البشر فهل لكم ان تبينوا لنا كيفية توصلكم اليهِ مع تقييد الزمن الذي ينقرض فيهِ الانسان بتة

ج ابنا لكم في الجزء الماضي من تقدير الاستاذ دانا الجيولوجي ان ماء الارض يجف بعد نحو مئتي مليون سنة ومعلوم ان هذا الجفاف يكون تدريجاً فمتى قلَّ الماء على سطح الارض حتى لم تعد صالحة لسكن الناس انقرضوا منها اما ذلك الزمن فلا يمكن تقييدهُ. ومتى كان الكلام على العوالم فالف سنة مثل

يوم او مثل ساعة ولذلك لا ينتظر من العلماء الباحثين في هذه المواضيع ان يصلوا الى تحديد الازمنة بالسنين ولا ان يصلوا الى نتائج ثابتة مقرَّرة لانهُ قد توجد فواعل اخرى تغير استنتاجهم كل التغيير وهم لا يعلمون بها الآن . وغاية ما يقال ان معارف البشر الحاضرة تدلُّ على ان الكرة الارضيَّة ستجف وقتاً ما وتصير مثل القمر وان ذلك الوقت بعيد يقدَّر بنحو مئتي مليون سنة . ولا تستغربوا وجود افعال تقتضي ملايين من السنين فاننا نحن البشر نرى بالميكروسكوب مخلوقات حية تولد وتعيش وتموت في ساعة من الزمان فنسبة العمر الذي تعيشهُ الى عمر الانسان الذي يعيش مئة سنة كنسبة واحد الى مليون فلا عجب اذا وجدت مخلوقات نسبة عمرنا الى عمرها كنسبة واحد الى مليون فاذا كنا نعمَّر مئة سنة تعمر هي مئة مليون سنة وهلم جرًّا الى ما شاء الله

(١٠) الكمأة

طرابلس الشام . احد المشتركين كيف تنمو الكمأة وهل صحيح ما يقال من ان لكثرة الرعد تأثيرًا في نموها

ج الكمأة نبات فطري لهُ بزور صغيرة تقع منهُ وتنتشر في الارض فيتولَّد منها وان كان للرعد تأثير في نموها فيكون لانهُ يكثر مركبات النيتروجين في الهواء فتذوب في ماء المطر وتقع على الارض غذاء للكمأة لانها كثيرة المواد النيتروجينيَّة. وقد وصفنا كيفية زرعها في الصفحة ٢٨٩ من المجلد الثاني عشر

(١١) شجر الظل

ومنهُ . في دارنا قطعة ارض صغيرة تحيط بها الجدران فلا تشرق فيها الشمس الَّا قليلاً ونحب ان نتخذها حديقةً فما هي الاشجار التي لا تحتاج في نموها الى نور كثير ويمكن ان ننتفع من ثمرها وهوائها

ج يتعذَّر وجود شجر طيب الثمر والهواء وهو يعيش في الظل ايضاً فالموز مثلاً يعيش في الظل ويثمر ولكن لا ينتظر ان يكون هواؤُهُ طيباً لكثرة ما يحتاج اليهِ من الماء . والليمون هواؤُهُ طيب لانهُ عطري الزهر والورق ويعيش في الظل ولكنهُ لا يثمر الَّا قليلاً او لا يثمر ابدًا . والتوت يعيش ويثمر في الظل ولكن هواءهُ غير جيد. والدراقن يعيش في الظل ويثمر وهواؤُهُ حسن ولكنهُ لا يعيش طويلاً . ولو كنا مكانكم لاخترنا الاشجار او الرياحين الجميلة المنظر الطيبة الرائحة ولو لم تثمر شيئًا

(١٢) حرارة القمر

مصر . امين افندي حنا . هل توجد حرارة في نور القمر

ج نعم ولكنها قليلة جدًّا وقد ظن الفلكي بيازي سميث ان الجلد يمتصها فصعد على جبل يعلو اربعة آلاف قدم عن سطح البحر وقاسها هناك فوجد ان الشمعة البعيدة عنهُ ١٥ قدماً حرارتها الواصلة الى آلته اشد من حرارة

القمر الواصلة اليها ثلاثة اضعاف . ثم قاس الاستاذ لنغلي حرارة القمر فوجدها جزءًا من مليون جزء من الدرجة ولم يقطع بانها آتية من القمر اذ يحتمل ان تكون من الشمس



رسوب الغبار

اكتُشف امر غريب جدًّا في رسوب الغبار على سطوح الاجسام اذا كانت حرارتها ارفع قليلاً من حرارة الهواء فقد كتب الدكتور رسل في جريدة نانشر مقالة في هذا الموضوع بيَّن فيها انهُ اذا أُحمي لوح من الزجاج قليلاً حتى صارت حرارتهُ ارفع من حرارة الهواء نحو عشر درجات ووضع في غرفة انتشر الغبار الدقيق فيها رسب الغبار عليهِ بعد عشر دقائق في اشكال هندسيَّة منتظمة تمام الانتظام فاذا كان لوح الزجاج مربع الشكل انتظم الغبار عليهِ في شكل صليب تبتدئ فروعهُ الاربعة من زوايا المربع وتنتهي في مركزهِ ويكون شكل كل فرع منها مغزليًّا . واذا كان اللوح مثمن الزوايا اجتمع الغبار عليهِ في شكل نجم مثمن وتبتدئ فروعهُ من زوايا المثمن واذا كان شكل اللوح مثلثًا اجتمع الغبار عليهِ في شكل مثلث وهلم جرًّا . واذا لمس اللوح بقطعة من الزجاج او بدبوس زاد تجمع الغبار فوق النقطة التي لمست . هذا اذا كان اللوح افقيًّا واما اذا كان مائلاً فالغبار المجتمع عليهِ يزيد اجتماعهُ على الجانب المنخفض . ولا فرق بين ان يكون اللوح زجاجًا اوحديدًا او نحاسًا اومعدنًا آخر

هبات كارنجي

جاء من اخبار اميركا ان المستر كارنجي وهب الدار العلميَّة التي انشأها في بتسبرج باميركا ٣١٠٠٠٠ جنيه فصار مجموع ما وهبها اياهُ ١٥٧٠٠٠٠ جنيه عدا ٤٠٠٠٠٠ جنيه وهبها للمكاتب الفرعية المرتبطة بها وللبحث عن الاحافير ووعد بان يهبها هبات اخرى تبلغ ٦٠٠٠٠٠ جنيه الى ١٠٠٠٠٠٠ جنيه لانشاء دار للصناعة . وجاء من اخبار اوربا انهُ وهب حكومة هولندا مليونًا ونصف مليون من الريالات الاميركية اي ثلثمئة الف جنيه لكي تبني بها قصرًا يجتمع فيهِ مجلس التحكيم وتنشئ مكتبة تابعة لذلك المجلس

هبة اوسيرس

ذكرنا غير مرة ان المسيو اوسيرس الفرنسوي وقف مالاً ريعهُ مئة الف فرنك توهب لمن

يكتشف اكتشافاً علمياً اوصناعياً او ادبياً يفيد نوع الانسان فائدة كبيرة واناط الانستيتو الفرنسوي بتعيين من يستحق الهبة فاقرَّ هذه السنة على اعطائها للدكتور رو مكتشف علاج الدفثيريا

وزن الدماغ

اثبت العالم مارشند ان متوسط دماغ الرجل من سن ١٥ الى سن ٥٠ الف واربع مئة غرام ومتوسط دماغ المرأة في هذا السن ١٢٧٥ غراماً . وهذا الفرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة اعظم من الفرق بين جسم الرجل وجسم المرأة

النور الازرق والالم

زعم احد اطباء الروس ان النور الكهربائي الازرق يزيل الالم وقت العمليات الجراحية ويقال انهُ القى كثيرًا من النور الازرق على مريض فغاب كما يغيب بالكلوروفورم وصنع لهُ عملية جراحيَّة اقتضى عملها ثلث ساعة فلم يشعر بالم

آثار كريت

لم تنتظم حكومة كريت حتى اخذ العلماء يبحثون عن آثارها القديمة ويستجلون غوامض تاريخها . وقد قرأنا الآن في الجرائد العلمية ان الباحثين الايطاليين اكتشفوا فيها خرائب فايستوس القديمة قرب هيرا كليون ووجدوا فيها آثار قصر فاخر

الجذام والسمك

يذهب الدكتور يوناثان هتشنصن الى وجود علاقة بين مرض الجذام واكل السمك وقد مضى الى بلاد الهند وبحث في احوال المجذومين فيها بحثاً دقيقاً وعاد مقتنعاً بوجود هذه العلاقة كأن مرض الجذام ينتج من اكل السمك الفاسد

الراديوم واعمدة التلغراف

يظن الاستاذ اڤرت ان صدور اشعة النور والحرارة من عنصر الراديوم شبيه بطنين اعمدة التلغراف فان اعمدة التلغراف واسلاكهُ تلتقط الاضطرابات التي تحدث في ما يجاورها وتردّد صداها وكذا عنصر الراديوم يلتقط الاضطرابات الحادثة حولهُ في الاثير ويردّدها فتصدر منهُ كأنها صدى صوت يرتد من برج او جانب جبل

لندن اسيا

سار احد الانكليز واسمهُ لندور من بلاد فارس الى بلوخستان ومرَّ في طريقهِ على خرائب مدينة زيدان وقال انهُ وجدها منتشرة في ارض طولها خمسة وثمانون ميلاً فسماها لندن اسيا لاتساعها الفائق الحد لكن الماجور سيكس رأى تلك الخرائب قبلاً وقال انها ليست خرائب مدينة واحدة بل خرائب قرى كثيرة كانت منتشرة على ضفتي ترعة ماء طويلة

اكبر خيارة

نمت خيارة في بلاد بنسلفانيا باميركا حتى صار طولها سبع اقدام وثقلها اربعين رطلاً (ليبرة)

دماغ الالبانيين

قال الدكتور وركو ان جماجم الالبانيين تدلُّ على انهم اذكى الشعوب الاوربيَّة عقلاً

ما تستحسنهُ المرأة في الرجل

القي هذا الموضوع على كثيرات من نخبة الكاتبات الانكليزيات فكتبت سارة تولي تقول ان المرأة تعجب بشجاعة الرجل واستقلالهِ وتودُّ ان يكون زوجها متسلطاً عليها ولقد كان ذلك شأنها منذ العصور الغابرة وان كان العمران الحاضر قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق لكن الاعجاب بقوة الرجل لايزال ديدن المرأة ولذلك تراها تعجب بالجنود لانهم يمثلون القوة البدنيَّة وبخدمة الدين لان لهم سلطة ادبيَّة ودينيَّة

وكتبت للياس داقدصن ان المرأة ضعيفة فتعجب بقوة الرجل سواء كانت جسديَّة او عقليَّة او ادبيَّة وهي تطلب رجلاً يسود عليها فاذا وجدتهُ خضعت لهُ . وقد غُرس هذا الخلق في فطرتها ولذلك تصف الرجال بما ينقصها وتعبدهم ولا يعبأُ النساء بالوجه الجميل ولا ينفرنَ منهُ اذا لم يكن جميلاً لان ليس فيهن ذوقاً خاصاً بالجمال كما في الرجل وقد خصَّت الطبيعة الرجل بحسب الجمال وخصَّت المرأة بالجمال لكي يكون جاذباً لهُ اليها وكذلك خُصَّ الرجال بالقوة فصارت قوتهم جاذباً للنساء اليهم . وهنَّ يُعجبن بالشجاعة والقوة والصبر على المكاره هذه هي الفضائل التي تود المرأة ان يكون زوجها متصفاً بها وهي لا تسامحهُ اذا فقد هذه المزايا ولكنها تسامحهُ اذا فقد غيرها

وكتبت ادلين سرجنت . ان القوة الجسدية تجذب المرأة والقوة العقلية تسحرها والقوة الروحيَّة تتسلَّط عليها وسبب ذلك واضح وهو ضعف المرأة . فلا شيءَ يستولي على قلبها مثل الاعتقاد بان زوجها قوي الارادة او قوي الذراع

وكتبت سارة دودني ان المرأة تعجب بقوة الرجل . ونظرة واحدة الى رجل قوي تنسينا مئة وجه جميل وخطابٍ فصيح الاَّ اذا كانت لنا عيون لا تبصر . واقول بالاختصار ان الشيءَ الذي نعجب بهِ اكثر من غيرهِ هو القوَّة والعظمة مع الميل الى الحلم

وكتبت ماري كنور ليتن انهُ اذا كان في رجل دليل على انهُ يفعل فعل الجبابرة حينما تدعو الحال الى ذلك فهو الذي تعجب بهِ المرأة اكثر من غيرهِ وتفضلهُ على غيرهِ وما من امرأة تعجب بجبان او مخنث . وليس لجمال المنظر شأن كبير في عيون النساء

وكتبت مس اليصابات بنكس ان

الشجاعة والحلم اسمى مناقب الرجال في عيون النساء وكل امرأة تحب ان يكون زوجها سيدًا عليها

وكتبت السيدة ميد ان المرأة تتبع الرجل اذا كان قويًا وتعبده اذا كان مع قوتهِ كريم الاخلاق

وكتبت مس اثل هدل ان كرم الاخلاق خير الصفات التي يتصف بها الرجل

والكاتبات خمس عشرة من اشهر كاتبات الانكليز وقد كدن يتفقنَ كلهنَّ على ان المرأة تفضّل الشجاعة على غيرها من اوصاف الرجال

الوشم في اوربا

شاعت صناعة الوشم في اوربا وصار الغواني يستخدمنها لتجميل وجوههنَّ فيشمنَ شفاههنَّ ووجناتهنَّ بلونٍ احمر فيظهر كاللون الاحمر الطبيعي ويشمن اذرعهنَّ بصور جميلة يروق العين منظرها . ومهر الصناع في الوشم حتى صاروا يصورون بهِ الصور الفوتوغرافية على جلد الانسان ويقال ان اليابانيين امهر الامم في هذه الصناعة

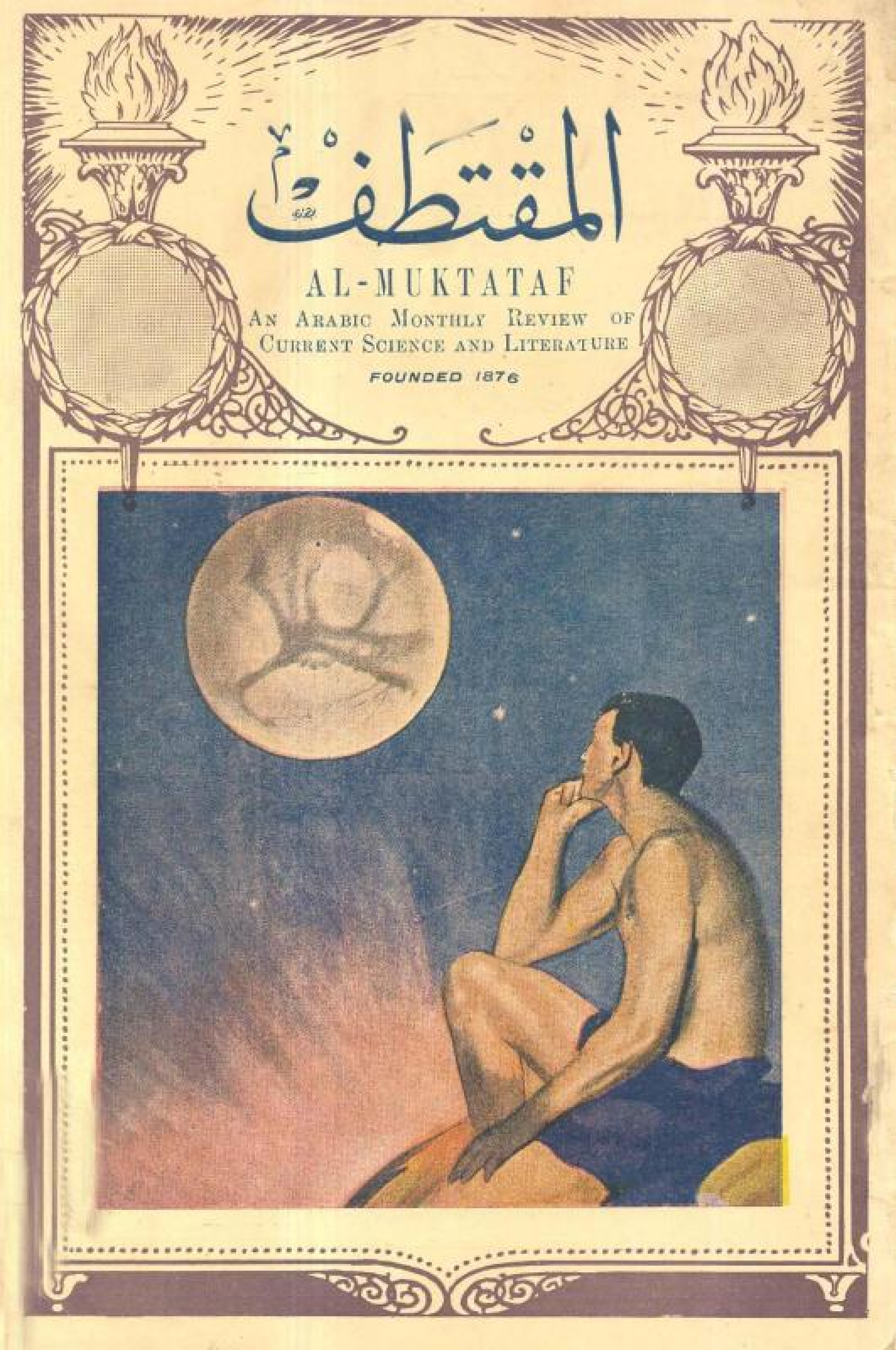
الحياة في الكواكب

كتب الدكتور رسل ولس العالم الشهير مقالة في مجلة المعاصر الانكليزية اقامت الناس واقعدتهم حتى اضطرَّ اصحاب تلك المجلة ان يعيدوا طبع الجزء الذي ظهرت فيهِ ثلاث مرات لكثرة طلب القراء لهُ . وموضوع مقالتهِ ان الكون كلهُ خُلق لاجل الانسان . فاعاد مذهب القدماء وخالف علماء العصر الذين اثبتوا بالدليل ان الكرة الارضيَّة ليست الاَّ نقطة صغيرة في هذا الكون الواسع . ومدار دليلهِ على ان الحياة لا تكون في اطراف الكون بل في مركزهِ وعندهُ ان الارض في مركز الكون ولذلك فالحياة محصورة فيها . والعلماء يخالفونهُ في ذلك وينكرون وجود الارض او النظام الشمسي في مركز الكون ويقولون انهُ ان كان النظام الشمسي الآن في مركز الكون فهو غير ثابت في مقرهِ بل سائر في هذا الكون بسرعة فائقة ولا بدَّ من ان يكون قد مرَّ بعوالم كثيرة من حين وجدت الاحياء على الارض اي منذ خمسين مليون سنة او مئة مليون سنة الى الآن . واذا كان العالم محدودًا كما يدَّعي الدكتور ولس فتكون الشمس وسيَّاراتها والارض في جملتها قد قطعتهُ من طرف الى طرف في هذه المدة فلم تبقَ في مركزهِ الاَّ وقتًا قصيرًا . ويقال ان الدكتور ولس آخذ في تأليف كتاب كبير في هذا الموضوع

رئيس المدرسة الكلية

يُحتفل بتنصيب الدكتور هورد بلس نجل الدكتور دانيال بلس رئيسًا للمدرسة الكلية السوريَّة الانجيليَّة في بيروت في العاشر من هذا الشهر والايام الثلاثة التي تليهِ وقد ارسلت اوراق الدعوة الى ابناء المدرسة الكلية في كل الاقطار

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثامن والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢١

تعاون النبات والحيوان

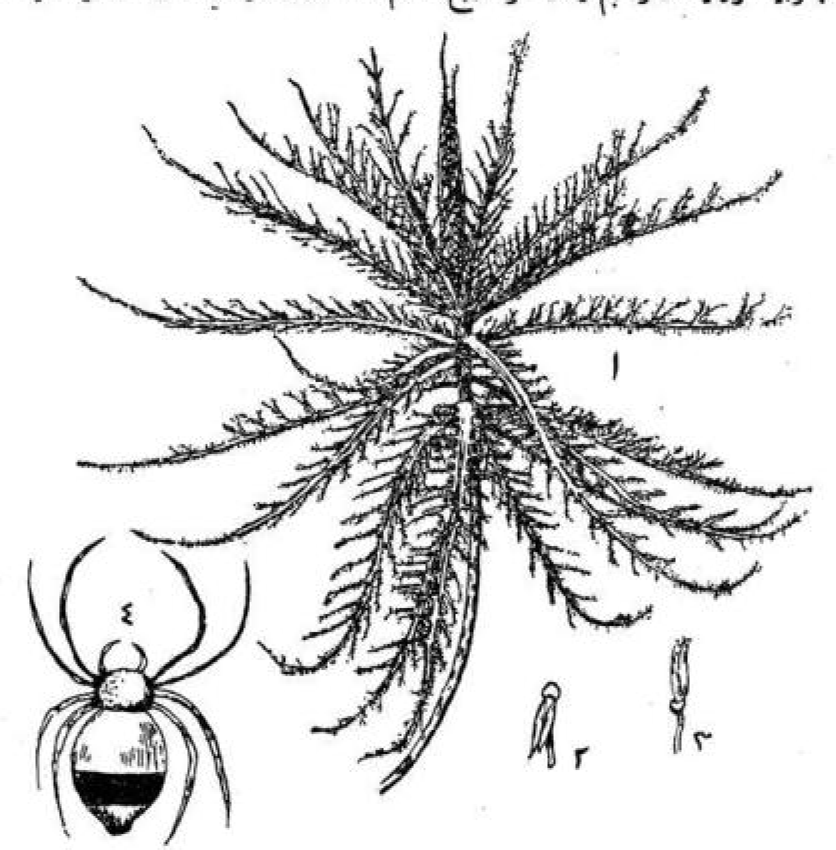
الخصام والوئام ناموسان تخضع لهما الاحياء كلها فتراها تتزاحم وتتخاصم ويسلب بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر او تراها تتآلف وتتحالف ويعاون بعضها بعضاً على مبدإ الاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة

وقد يُظَنّ لاول وهلة انهُ ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع واقتناص وافتراس فهو بين طوائف الحيوان واما النبات فوديع سليم يُعتَدى عليهِ ولا يعتدي على احد وليس له معيشة الَّا من عناصر التراب التي لا تشعر بالم ولا تشكو من مصاب . لكنَّ هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقهِ فقد بيَّن الشهير دارون ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها . وبديهيٌّ انهُ لا يحاول افتراس الوحوش الكبيرة بل الحشرات الصغيرة . لكنَّ من النبات انواعاً اصغر من كل صغير لا تراها العين لصغرها وهي هذه الميكروبات التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسل والجذام ونحو ذلك من الامراض المعدية التي تفتك بالالوف من الناس والبهائم كل عام فهذه من انواع النبات ولذلك فالنبات ليس كلهُ بالوديع السليم ولا يكتفي بمعاداة الحشرات بل منهُ ما هو اشد عداء للانسان نفسهِ واكثر فتكاً بهِ من الاسود الضواري

غير ان الميكروبات النباتية لا تُرى بالعين كما تقدَّم فلا يندهش العقل من افعالها كما يندهش من رؤية نبات كبير يبسط اوراقهُ كانها بُسُط وثيرة موشاة بالديباج حتى اذا لمستها ذبابة مجذوبة اليها بجمال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيقت خناقها الى ان تميتها ثم تمتص دمها وتغتذي بلحمها . او من رؤية زهرة بديعة المنظر ينتشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات وتغرى بمنظرها او تشم رائحتها فتنخدع بها وتظن فيها اربياً طيباً او لحماً منتناً

فتقع عليها ولا تعود تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الآكل أُكلاً والمفترس فريسةً

وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . لكن من النبات ما يفعل ذلك مسخرًا للحيوان اي انهُ يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الراس في جنوبي افريقية وهو نجم يعلو نحو اربع اقدام ولهُ اوراق دقيقة متشعبة كما ترى في هذا



الشكل مغطاة بهلب عليهِ مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعملهُ الاهالي هناك لمسك الذباب ولا ترى نباتًا منهُ الأَّ وترى الحشرات الصغيرة من البعوض ونحوهِ لاصقة باوراقهِ

هناك نوع من العناكب وهو المرسوم تحت الرقم ٤ في الشكل ابطل نسج البيوت واعتاض منها هذا النبات حاسبًا انهُ نشأ لاجلهِ . والمادة الدبقة التي تلصق بها الحشرات لا تلصق بها هذه العناكب فتبني لها عشاشًا صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتأوي

اليها تترصد فرائسها كأنَّ اوراق النبات خيوط البيوت التي تنسجها العناكب مصائد للذباب حتى اذا قاد ذبابةً حتفها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها هجمت العنكبوت عليها وافترستها غنيمة باردة كأنَّ هذا النبات مسخَّر لخدمة هذه العناكب

وفي بلاد بورنيو نبات آخر من النوع الذي يزهر ازهاراً كبيرة كالاباريق ويكون فيها سائل تقع فيه الحشرات فيرصد لها نوع آخر من العناكب حتى اذا وقعت هجمت عليها العناكب وافترستها. ويقال ان هذه العناكب اذا شعرت بخطر دنا منها غاصت في ذلك السائل واختفت عن الانظار

وهناك غريبة اخرى متعلقة بالنبات الذي صورناهُ آنفاً وهي ان من الذباب الذي يقع عليهِ ذبابة لا يلصق دبقهُ بها ولا تخشى منهُ شرًّا بل تتوقع منهُ خيرًا لان في ازهارهِ اربًا سكريًّا فتقصدهُ لاجلهِ ولها حمة تخرق جوف الزهرة بها وتمتص الاري (العسل). ولكن النبات لا يسلِّم عسلهُ عفوًا ولا الذبابة تنتفع منهُ وتحجم عن نفعهِ بل علمت سنَّة الاخذ والعطاء وجرت عليها. فان سمات الزهرة اي الخيوط الدقيقة التي فيها او اعضاء التلقيح تكون اولاً نازلة الى الاسفل كما ترى عند الرقم ٢ فاذا وقعت الذبابة على رأس الزهرة لتثقبها وتمتص العسل منها ارتفعت السمات حالاً واجتمعت في الاعلى كما ترى عند الرقم ٣ فيطير اللقاح منها حينما تحرك هذه الحركة السريعة ويقع على الذبابة وينتقل بها من زهرة الى اخرى فتتلاقح الازهار بواسطة هذه الحشرات ولو لا ذلك لضعف نسلها وذوت نضارتها

وجملة الكلام انهُ يقصد هذا النبات نوع من العناكب ونوع من الذباب لغاية معاشية الاوَّل يتخذهُ مصايد لما يلصق بهِ من الذباب والثاني يجني العسل منهُ ويحمل لقاحهُ من زهرة الى اخرى فيستفيد منهُ ويفيدهُ

الهمَّة بعد الستين

يظنُّ الكثيرون انهم اذا بلغوا الاربعين فقد جازوا العمر كلهُ ولم يبقَ امامهم مجال للعمل والسعي وطلب المزيد وتراهم ولسان حالهم يردد ما قالهُ الشاعر العربي

وما ذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعينِ

غير ان هؤُلاء ليسوا كل الناس بل لا يزال هناك بقيَّة باقية تحسب ان العمر مهما طال واستطال فالعمل والسعي لا ينفدان منهُ وان فرص النجاح مبثوثة في ساحة العمر وجوانبهِ بثَّ الصيد في جوانب الصحراء فان لم يصب المرء صيدًا في اوائل يومهِ اصابهُ في اواخرهِ ولا بدَّ

لقانص الفرص من السعي والصبر والمثابرة على العمل كما لا بدَّ منها لقانص الوحش والطير . وكأن قد كُتب على جبين الزمان ما قالهُ ابن الوردي

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كلُّ من سار على الدرب وصلْ

واعظم شاهد على صحة هذا القول بين معاصرينا المستر مورغان الغني الاميركي الشهير الذي لم تنقطع الشركات البرقيَّة عن ذكر مشروعاتهِ التجاريَّة العظيمة وخصوصاً ما يتعلق منها بضم شركات البواخر الاميركيَّة بعضها الى بعض وضمّ معظم الشركات الانكليزيَّة اليها فانهُ حصَّل معظم غناهُ بعد ان جاز سن الكهولة ودخل سن الشيخوخة اي بعد ان صار عمرهُ خمسين سنة . واعظم عمل عملهُ ونجاح بلغهُ انما كان بعد ما بلغ الستين

لما كان ابن خمسين سنة كان صرّافاً معتدل الثروة فلم يكن يُعبأ بهِ بالنسبة الى كبار الاغنياء الاميركيين مثل غولد وفندربلت واستور وغيرهم بل كان يملك نحو ١٥ مليون ريال او عشرين مليوناً . ولكنهُ لم يقل في نفسهِ اني جاوزت الخمسين من عمري فلا فائدة لمن بلغ هذا السن مثلي من السعي والجدّ بل ثابر على العمل ونسي او تناسى عدد سنيهِ ولم يبالِ بشباب غيرهِ ولا هالتهُ رؤوس اموالهم الكبيرة . فانشأ الشركة الكهربائية العمومية في الولايات المتحدة وكثيراً من المشروعات المالية الكبيرة . فجعل مالهُ يزيد زيادة بالغة دفعات متوالية لا تقلُّ الواحدة منها عن ثلاثة ملايين ريال او اربعة

وبعد بلوغهِ الستين — وهو السنُّ الذي ينقطع معظم الناس عندهُ عن السعي والعمل الشاق شرع في مشروع اعظم من كل ما تقدَّم فضمَّ شركات الحديد الاميركية كلها وجعلها شركة واحدة رأس مالها ١٥٠٠ مليون ريال . وضمَّ شركات البواخر في بلادهِ ومعظم شركات البواخر الانكليزية وجعلها شركة واحدة فعلَّم الانكليز انهُ لا يجوز لهم ان يتغنوا في ما بعد باغنيتهم المشهورة التي مطلعها " بريطانيا سلطانة البحار "

ولا يعلم الاَّ الله ما اذا كان يبقى في الولايات المتحدة شركات لا يوحّدها قبلما يبلغ السبعين او الثمانين من العمر ما دام هذا اقدامهُ وهذه همتهُ واذا صدقت ظواهر الحال فانهُ يعمّر طويلاً

وقد وجَّه همتهُ الآن الى جعل الانتخابات التالية لرئاسة الجمهورية مطابقة لاهوائهِ فاذا نجح في ذلك ونُصب في الولايات المتحدة رئيس من صنائعهِ يسمح بانشاء الشركات العمومية التي تبتلع الشركات الخصوصيَّة اتسع لهُ المجال لانشاء شركات اخرى من هذا القبيل فيقبض على مقاليد الصناعة والتجارة ويصلي اوربا حرباً عواناً لم ترَ مثلها ولا ينفعها فيها ماعندها من العَدَد والعِدَد والبوارج والمدافع فتزيد ثروتهُ وثروة بلادهِ ويكون المستقبل للاميركيين

العمي يبصرون والصمُّ يسمعون

ان لم يكن للتمدن الحالي حسنة يمدح اهلهُ عليها ومأثرة يحمدون لاجلها غير سعي الانسان في تخفيف بلايا الانسان فكفى بها حسنة تذكر ومأثرة تشكر. وان لم يكن هناك دليل على ما يستطيع الانسان عملهُ بالصبر والمثابرة والثبات غير الحكاية التي نحن بصددها فكفى بها دليلاً على ان هذه المناقب قد تفعل العجائب. فان كان العمي قد ابصروا والصم قد سمعوا قديماً بيد غير منظورة امتدت مما وراء الطبيعة وخرقت حجابها فهم يبصرون الآن ويسمعون بوسائط طبيعيَّة واسباب منظورة رائدها الصبر ومحورها طول الاناة

هلن كلر فتاة اميركيَّة ولدت سنة ١٨٨٠ وما استكملت سنة ونصفاً من عمرها حتى منيت بمرض ذهب ببصرها وبسمعها وبقيت حاستا الذوق والشم فيها طبيعيتين وصحتها حسنة. وبفقد بصرها وسمعها فقدت كلَّ واسطة للتفاهم والتخاطب بل فقدت المقدرة على النطق وهي اخصُّ ما يميز بهِ الانسان على الحيوان. ولو فقدت بصرها فقط لكان تعليمها الكلام بسيطاً كتعليمهِ لسائر العميان ولكنها فقدت معهُ السمع ولذلك لم تسمع كلاماً حتى تقلدهُ وتتعلم النطق فباتت عمياء طرشاء خرساء وبات التخاطب معها امرًا مستحيلاً او في حكم المستحيل

على انها تعلمت التفاهم بالاشارات فقامت مقام الكلام فصارت تَفهم وتُفهِم بالاشارات واللمس. واغرب من ذلك انها صارت تكتب وتتكلم. ومن جملة ما كتبتهُ قصة عنوانها "حكاية حياتي" قصَّت فيها الوسائل التي استعملت لها منذ طفوليتها حتى الآن فقالت في وصف ما تعلمتهُ بين اهلها "هزُّ الرأس ذات اليمين وذات الشمال يقوم مقام الكلمة لا وإنغاضهُ الى الامام مقام نعم. وجذب المخاطب باليد مقام تعال ودفعهُ مقام اذهب. وكنت اذا أردت ان اطلب خبزًا وزبدةً لآكل أُقلد حركات قطع شرائح الخبز ودهنها بالزبدة. واذا اردت ان يصنعوا لي شيئاً من الدندرمة للعشاء كنت اقلد حركات صانع الدندرمة وحركات الذي تأخذهُ القشعريرة من البرد. ولما بلغت الخامسة من عمري تعلمت طي الثياب النظيفة بعد غسلها وكنت اميز ثيابي من ثياب غيري"

ولما بلغت العاشرة من عمرها كتبت تقول "لما كنت طفلة صغيرة كنت اجلس في حضن امي واكره ان اترك وحدي وكنت اضع يدي على وجهها وامرُّ بجسّ شفتيها وهي تتكلم فلم اكن اعلم حينئذٍ ما ذا كانت تفعل لاني كنت اجهل كلَّ شيءٍ"

وقصت قصصاً اخرى عما تذكرتهُ من امور طفوليتها نجتزئ بما تقدَّم منها ونذكر بعض الشيء عن طرق تعليمها: وذلك ان اهلها اتوها بمعلمة في ٣ مارس سنة ١٨٨٧ اي بعد ما بلغت السابعة من عمرها. وهاك ما قالتهُ المعلمة في وصف اجتماعها بها المرة الاولى قالت: —

" استعملت لتعليمها في بادىء الامر لعبة صغيرة وكعكة لانها كانت مولعة باللعب واكل الحلويات شأن الصغار. فاعطيتها اللعبة ورسمت اشارات حروف اسمها باصبعي في كفها. فابدت الحيرة ومسَّت يدي فأعدت ذلك لها فقلَّدت حركات يدي واشارت الى اللعبة. وبعد ذلك اخذت اللعبة منها على نية ان ارجعها اليها بعد ما تتعلم رسم حروف اسمها جيداً ولكنها ظنت اني اريد سلبها اياها فغضبت وحاولت استرجاعها مني فلم اعطها اياها بل قدمت لها الكعكة ورسمت حروف اسمها في كفها فمدت يدها لأخذها ولكني ترددت في اعطائها اياها واعدت رسم الحروف في كفها فقلدتني حالاً فاعطيتها الكعكة "

وبقيت المعلمة نحو اسبوعين على هذه الحال وهي ترسم اسماء بعض الاشياء والافعال في كف الفتاة مثل اللبن والماء والاب والام ومشى وجلس فتعلمتها ورسخ في ذهنها ان جميع الاشياء يعبَّر عنها بالحروف والاشارات فجعلت تسأل عن اسم كلِّ شيء عثرت عليهِ منذ ذلك الحين اي عن الاشارات الكتابيَّة التي تدل على ذلك الشيء حتى تعلمت مرةً ثلاثين اسماً جديداً في ساعات قليلة. وفي ٢٢ مايو بلغ ما تعلمتهُ نحو ٣٠ كلمة. وفي ١٩ يونيو ٤٠٠ كلمةوفي آخر اوغسطس ٦٢٥ كلمة. وفي آخر السنة الاولى من تعليمها ٩٠٠ كلمة

ولم تطل الحال عليها حتى اخذت تتعلم الجمل بعد الكلمات. وكانت قد كتبت مكتوباً مؤلفاً من ٣٠ كلمة بعد اربعة اشهر من شروعها في تعلم الكتابة. وسنة ١٨٩٠ بلغت السنة العاشرة من عمرها وكانت قد اتقنت التخاطب بالاشارات اليدوية مع من يفهمها ولكنها ابدت رغبتها في التلفظ والنطق باللسان بدلاً من الاشارات باليد وقد قالت في ذلك " وكنت أُحدث اصواتاً واضع يداً على عنقي واخرى على شفتيَّ. وكنت اسرُّ بكل شيء يحدث صوتاً حتى اني كنت التذ بوضع يدي على عنق القط وهو يموء والكلب وهو ينبح والمغني وهو يغني ". وسألت معلمتها يوماً " كيف تستطيع بنت عمياء ان تبلغ السامعين مرادها بواسطة فمها " فاخذت المعلمة يدي الفتاة ووضعتهما الواحدة على عنقها والاخرى على شفتيها وجعلت تتكلم فشعرت الفتاة بحركات الحنجرة والشفتين ثم جعلتها تقلد تلك الحركات على قدر الامكان فتعلمت بذلك احداث الاصوات. وبعد صبر طويل ومشقة كثيرة وسنين من التمرين تعلمت كيفية النطق ولكن جاء نطقها ناقصاً غير مفهوم جيداً بعيداً عن النطق الطبيعي

ولم تزل تتقدَّم شيئًا فشيئًا حتى دخلت كلية ردكلف واخذت تتعلم مبادئ الفلسفة كل ذلك وهي لا تسمع ولا تبصر. فاذا اراد رجل غريب محادثتها وضعت اصابعها على شفتيهِ وعنقهِ وقرأت الاصوات عند خروجها من فيهِ ولكن يقتضي ان يكون التكلم معها بطيئًا واضحًا . وبهذه الطريقة تعلمت التكلم بالفرنسوية والالمانية والايطالية

وهي شديدة التأثر باهتزازات امواج الهواء حتى يخيل للناظرين اليها انها تسمع الاصوات سمعًا. وقد كتبت في هذا الصدد تقول اذا امسكتُ يد انسان شعرتُ بما يدور في نفسهِ وايدي الذين التقي بهم فصيحة ولو كانت لا تنطق فملمس بعض الايدي يدعو الى الاشمئزاز وملمس غيرها يدل على ان قلوب اصحابها خالية من كل مسرَّة فكنت اشعر حينما المسها كأني اصافح زوبعةً في القطب الشمالي . وايادي غيرهم كانت تفيض بنور كنور الشمس فاذا لمستُها شعرت بحرارة دبَّت في قلبي ولذلك كنت اسرُّ بمصافحة الاصدقاء المحبين كما اسر بتلاوة مكاتيبهم وكنت اقف وسط الكنيسة عند اللعب على الارغن الكبير فاشعر بصدمات امواج الصوت لجسمي كما تصدم امواج الماء السفينة الصغيرة في البحر . قالت معلمتها في وصف تجربة جربوها معها وهي في الثامنة من العمر ليعلموا ما اذا كانت تسمع او لا " فكانوا يصفرون لها ويحدثون اصواتًا اعتيادية فتدير رأسها وتبتسم كأنها سمعت ما جرى حتى دهش الحاضرون وكنت واقفة بجانبها وماسكة يدها فظننت ان التأثيرات كانت تنتقل مني اليها فوضعت يديها على مائدة كانت امامها ووقفتُ بعيدة عنها وجعل الحاضرون يصفرون ويحدثون اصواتًا ولكنها لم تبدِ حراكًا ولم يظهر عليها انها علمت بما كان يجري "

وكانت تطمح منذ صغرها الى دخول المدرسة ولما دخلتها اظهرت اقتدارًا خصوصيًّا في اكتساب اللغات ودرس التاريخ والادب وقد نشرت كتابها المشار اليهِ وهي لم تتمّ السنة الثالثة في كلية ردكليف المتقدم ذكرها

وكانت تدرك خطب الاساتذة باشارات ترسم لها في كفها وهاك ما قالتهُ في هذا الصدد "كانت كلمات الخطيب تكتب حروفها في يدي بما يمكن من السرعة فاشعر بها واقرأها بسرعة فائقة فتمر المعاني في ذهني سباقًا لحاقًا ولا اظن ان اللواتي كنَّ يسمعن الخطيب ويكتبن ما يسمعنهُ كنَّ يدركنَ من معانيهِ اكثر مما ادرك"

اي انها كانت تسمع بكفها ما يسمعهُ غيرها باذنهِ وقد ذكرنا ذلك لبعض النبهاء حين كتابة هذه السطور فاستغربوهُ واستبعدوهُ ولم يصدقوهُ ولا ندري كيف يصدقون ان الاذن تتأثر من تموُّجات الهواء تأثرًا يكفي لجعل العقل يدرك معاني الالفاظ او ان العين

تتأثر من امواج النور المنعكسة عن الكتابة تأثُّرًا يكفي لجعل العقل يدرك معناها ولا يصدقون ان الكف تتأثر من كتابة الكلمات فيها بالاصبع تأثُّرًا يكفي لجعل العقل يدرك معانيها. واي واحد من المبصرين يغمض عليهِ ويضع يدهُ على كتاب ولا يعلم انهُ كتاب او يضع يدهُ على تفاحة ولا يعلم انها تفاحة او يضع انامله على كتابة كبيرة بارزة الحروف ولا يقرأها اذا كان يستطيع القراءة. وعلى هذا النحو كانت هذه الفتاة تدرك ما تلمسهُ بانامِلها او ما يكتب في كفها الاَّ انها مرَّنت شعورها فصار ادراكها سريعًا جدًّا وقامت فيها حاسَّة اللمس مقام حاستي السمع والبصر

اما حاسَّة الشم فليست من الحواس التي يكثر الاعتماد عليها ولكن اذا فقد الانسان حاسَّة او حاستين فلا عجب اذا مرَّن الحواس الاخرى وقوَّاها ولذلك قويت حاسة الشم في هذه الفتاة كما يستدل ممَّا جاء في كتابها . من ذلك قولها "مشينا الى العريش ،رتشدين اليهِ برائحة الميعة التي كانت تغطيهِ واذا بتغير عظيم حدث في الجو لاني شعرت بانخفاض حرارة الشمس فعلمت ان الغيم حجب وجهها .وشممت من الارض رائحة غريبة وهي التي كنت اشمها منها قبيل العواصف الكهربائيَّة" . وقولها "كنت يومًا من ايام الربيع جالسة في المصيف اقرأ فشممت رائحة عطرية لطيفة ثم تبينتها فاذا هي رائحة زهر السنط" . وقولها "كنا نسرُّ بالخروج الى الغابات في عصر النهار واستنشاق الرائحة العطرية التي تعبق من الارض في اواخر النهار" وقولها "شعرت بسعال الريح من حركات عيدان الذرة واوراقها وبشخير الفرس لما امسكناهُ ووضعنا اللجام في فمهِ . ولا انسى رائحة نفَسهِ النفليَّة" . وقالت في وصف زيارتها للدكتور هلمس "لما دخلت غرفتهُ شممت رائحة الجلود وحبر الطباعة فعلمت انها مملوءة بالكتب"

وقال الاستاذ جسترو الذي نقلنا عنهُ ما تقدَّم انهُ سواءٌ سار الانسان بالاكسبرس او بمركبة عادية او سار ماشيًا على قدميهِ فالوصول الى المكان المقصود هو واحد كيفما كان السير اليهِ الاَّ ان الطريقة الاولى سريعة والثانية بطيئة والثالثة متعبة وهذه الفتاة فقدت الحاستين اللتين يكون الاعتماد عليهما عادةً في اكتساب المعارف ولكنها استخدمت حواسها الاخرى فبلغت الغرض المطلوب ولو بمشقة . وقد قالت في هذا الصدد "اني لما رأيت نفسي محرومة السير في السبيل المطروق لنيل المعارف اضطررت ان اسير اليها في طرق غير مطروق" .
ومن رأي الاستاذ جسترو ان قواها العقلية فائقة جدًّا ولا سيما في تعلم اللغات وكتابها يدل على انها ممتازة بتوقد الذهن وقوة الذاكرة ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر ومحبة الادب واتساع المدارك ومحبة الطبيعة والكتب هذه هي الصفات التي اشتركت في تكييف حياتها ومطالبها

منزلة الشعر من التاريخ

﴿١٧﴾ الطب

الطبُّ من ادلّ البينات على المدنية وقد سبق لنا الاتيان بالشواهد العديدة على سمو مكانة العرب في الهيئة الاجتماعية فكان من المحتم علينا ان نورد شواهد الطب عندهم. قال عنترة العبسي في صفة جس الطبيب العليل

يقول لك الطبيب دواك عندي اذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داءٍ يردُّ الموت ما قاسى النزاعا

وقال النابغة الذبياني

وقد حال همٌّ دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيهِ الاصابعُ (١)

وقال جرير بن عطية الخطفي من ابيات "غمز الطبيب نغانغ المعذور" (٢) وقال ايضاً "غمز الطبيب مكان عظم الفائق" (٣). وذكر المداواة سعيد بن عريض بن عاديا في قولهِ

لباب داويني ولا تقتلي قد فضل الشافي على القاتلِ

فمن امراضهم الحمّى وقد ذكروا منها اربعة انواع الصالب والنافض والورد والربع فشاهد الصالب قول الاخنس بن شهاب التغلبي

وقفتُ بها ابكي واشعر سخنة كما اعتاد محموماً بخيبرَ صالبُ (٤)

وقال المتلمس يصف جارية

فلو انَّ محموماً بخيبر مدنفاً تنشّق رياها لاقلع صالبُهْ

وشاهد النافض قول طهمان بن عمرو

ألا حبذا والله لو تعلمانهِ ظلالكما يا ايها العلمان
وماؤُكما العذبُ الذي لو شربتهُ وبي نافض الحمّى اذن اشفاني (٥)

وشاهد الوِرد قول مزرِّد اخي الشماخ

(١) الشغاف غلاف القلب ويروى داخل دخول الشغاف فيكون الشغاف اسم داء يدخل تحت الشراسيف في البطن
(٢) الغمز الجس او الغمس . والنغغ اللحمة في الحلق عند اللهازم ج نغانغ . والمعذور من اصيب بالعذور وهو داء في الحلق (٣) الفائق موصل العنق والراس
(٤) يريد الحمى التي معها حرٌّ شديد وليس معها برد (٥) النافض حمى الرعدة

اذا ذكرت سلمى على النأي عادني ثلاجي قعقاع من الورد مُردِمِ (٦)

وحمى الرّبع اوحمى ربع هي ان يحمّ العليل يوماً ويترك يومين قال اسامة بن حبيب الهذلي

من المربعين ومن آزلٍ اذا جنّهُ الليل كالناحطِ

والآزل من اصيب بشدةٍ . والناحط من صات من الاعياء

ومن امراضهم السلّ قال عروة بن حزام

بيَ السلُّ اوداء الهيام اصابني فاياك عني لا يكنَ بك ما بيا

وقال يزيد بن الحكم

وقال النطاسيون انك مشعر سُلالاً ألا بل انت من حسد جوِي (٧)

ومن هذا القول نستدل انهم كانوا يستدلون على السل بالنحول . وعرفوا السقي وهو ماء يقع في البطن قال ابن احمر الباهلي

ارانا لا يزال لنا حميم كداء البطن سلاً او صُفارا (٨)

والطاعون قال عروة بن حزام

فما لكما من حاوبَين رميتما بحمى وطاعونٍ الا تقفانِ

وقالوا بان الامراض العضالة تنشأ عن بعض الامراض الخفيفة الوطأة قال مسلم ابن سعيد الوالبي

وكنت لهم كداء البطن يؤذي وراء صحيحهِ داء عياء

وذهبوا الى ان بعض الامراض لا دواء لها قال قيس بن الخطيم

وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس لهُ دواء

وبعض الداء ملتمس شفاء وداء الحُمق ليس لهُ شفاء

ولعلّ هذين الشاعرين يريدان بداء البطن داء الزحير

واما المداواة فكانوا تارة يحمون المريض من بعض الاطعمة قال كعب بن سعد الغنوي

تقول سُليمى ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعامَ طبيبُ

وذلك لانهم كانوا يقولون بتولد الامراض من الطعام قال شمير بن الحارث الضبي

أَمِطْ عنا الطعام فان فيهِ لآكلهِ النقاصة والسقاما

وكانوا في مداواتهم تارة يستخدمون بعض الاعشاب او بعض الثمار قال رؤبة

(٦) القعقاع الحمى التي تقعقع الاضراس والثلاجي الشديد والورد قيل هي الحمى وقيل يوم الحمى اذا اخذت صاحبها . واراها نوعاً من الحمى والمردم الدائم

(٧) الجوي مَن بهِ الجوى وهو داء القلب (٨) الصفار الماء الاصفر يجتمع في البطن

ان كنتَ من دائك ذا اقلاسِ فاستقئنْ بثمر القسقاسِ (٩)

وقد ذكر النابغة الذبياني مداواة السليم (الملسوع) بقوله

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقعُ

يسهَّدُ في ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديهِ قعاقعُ

اي انهُ كانوا يسهدونهُ الى الصباح واضعين في يديهِ الحليَّ ذات القعاقع فيمتنع عنهُ النوم ويجفوهُ الكرى وعملهم هذا نجم عن ذهابهم الى ان السم يدبُّ فيهِ اذا نام بخلاف ما لو كان مسهَّدًا وعلى هذه الحكمة جاء قول ابي تمام الطائي

وليلٍ بتُّ اكلأهُ كأني سليم او سهرتُ على سليمِ

وكانوا يداوون المكلب بالكي قال النابغة الجعدي

وقوم يهينون اعراضهم كويتهمُ كيَّة المكلَبِ

واستعملوا الكي ايضاً لغير المكلب قال يزيد بن الحكم

فما برحتْ نفس عدوٍّ حُشيتَها تذيبك حتى قيل هل انت مكتوي

واستعملوا الذرور للجراح قال عبيد الله بن عتبة بن مسعود

شققتِ القلب ثم ذررتِ فيهِ هواكِ فليم فالتأمَ الفطورُ (١)

واستعملوا للجراح الفتائل ايضاً كما جاء في التهذيب " تردُّ على السابريِّ السبارا " والسبار الفتيلة . واستعملوا الجبائر للكسر كما اورد ابو تمام في ديوانهِ الحماسة

بني اسدٍ الاَّ تنحوا تطأكمُ مناسمُ حتى تحطموا وحوافرُ (٢)

ضممناكمُ من غير فقر اليكمُ كما ضمتَ الساقَ الكسيرَ الجبائرُ

وكانوا يعالجون المصفور بقطع النائط وهو عرق مستبطن الصلب تحت المتن قال العجاج يصف ثور وحش ضرب الكلب بقرنهِ فخرج منهُ دم كدم المفصود او المصفور

وبجٌ كلِّ عاندٍ نعور قضب الطبيب نائط المصفورِ (٣)

وهذا الشاهد نستأنس بهِ ان العرب عرفوا البزل من باب دلالة البعض على الكل

ومن طرق المداواة عندهم ان يستقطروا من دماء الملوك والشرفاء فيستعملوهُ دواء للكلب

---

(٩) القلس ما خرج من الحلق ملء الفم او دونهُ وليس بقيء والقسقاس بقلة تشبه الكرفس

(١) جمع فطر وهو الشق (٢) مناسم جمع منسم وهو خفّ البعير

(٣) بج شق وكل عاند اي كل عرق عاند والعاند الذي لا يرقأ لهُ دم ونعور ينعر بالدم اي يفور والقضب القطع والمصفور الذي يخرج من بطنهِ الماء الاصفر

وللجنّة (الجنون) وللخبل . قال الكميت الاسدي في مديح آل البيت

احلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماؤكم تشفي من الكَلَب

وقد علق العلاّمة الدسوقي في الجزء الثاني من حاشيتهِ على مختصر التفتازاني على التلخيص كلاماً نوردهُ بحروفهِ وهو " قيل بشرط كون ذلك الدم من اصبع من اصابع رجلهِ اليسرى فتؤخذ منهُ قطرة مع تمرة وتطعم للمعضوض يجد الشفاء باذن الله تعالى . وقيل دم الملوك نافع لذلك الداء مطلقاً اي من اي محل كان ولهذا كانت الحكماء توصي الحجامين بحفظ دم الملوك لاجل مداواتهم هذا الداء بهِ ". وقال المتلمس في مداواة الجنة والخبل (افساد الاعضاء والفالج)

من الدارميين الذين دماؤهم   شفاء من الداء المجنة والخبلْ

ودعي المشتغل بمداواة الجراح طبيباً كما مرَّ معنا في شعر العجاج وآسياً قال الحطيئة

حتى اذا ما بدا لي غيب انفسكم   ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي

ولربما كانت دعوة المداوي الجراح بالطبيب تجوزاً والصحيح ان يدعى آسياً وقد ذكر الاثنين معاً الحطيئة في قولهِ

هم الآسون امَّ الرأس لمَّا   تواكلها الأطبّة والإساه

وكانت النساء يتعاطين معالجة الجراح قال قيس بن الخطيم

يهون عليَّ ان تردَّ جراحها   عيونَ الاواسي اذ حمدتُ بلاءها(٤)

وقد روى ابو الفرج الاصبهاني في اغانيهِ ان احد الاعراب زار بني اود لتكحلهُ امرأة من رمد اصابهِ فقالت لهُ اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجع وتمثل بقول الشاعر

امخترمي ريب المنون ولم ازرْ   طبيب بني اود على النأي زينبا

فضحكت وقالت اتدري بمن قيل هذا البيت قال لا قالت فيَّ فانا زينب طبيبة بني اود . وكانت هذه المرأة مشهورة بين العرب باحكام العلاج وطب العيون

وقد ضرب المثل في الطب بابن حذيم قال اوس بن حجر

فهل لكمُ فيها اليَّ فانني   طبيب بما اعيا النطاسي حذيما(٥)

يريد ابن حذيم واما معالجة الحيوان الاعجم فقد ذكر النابغة الذبياني مداواتهُ بالكي قال

لكلّفتني ذنب امرئٍ وتركتهُ   كذي العرّ يكوى غيرهُ وهو راتعُ(٦)

وبالطلي بالقار قال

---

(٤) الاواسي جمع آسية   (٥) وجاء في نطاسي نطيس قال رؤبة وقد اكون مرةً نطيسا . طَبًّا بادواء الصبى نقريسا . والنقريس الماهر النظار المدقق   (٦) العرّ الجرب

فلا تتركنّي بالوعيد كأنني الى النار مطليٌّ بهِ القار اجربُ

وبالقطران ايضاً قال القُلاّخ المنقري " اني انا القطران اشفي ذا الجَرَب " وقال دريد بن الصمة

متبذلاً تبدو محاسنهُ يضع الهناء مواضع النُّقْبِ (٧)

وبالفصد قال النابغة الذبياني

شكَّ الفريصة بالمدرى فانفذها طعن المبيطر اذ يشفي من العَضَدِ (٨)

وبالبزل قال مرَّة بن محكان

اقبٌ لم ينقبِ البيطار سرَّتهُ ولم يَدِجهُ ولم يغمز بهِ عصبا

ذكر هذا الشاهد صاحب معجم لسان العرب في مادة نقب واتبعهُ بما يأتي

" وفي حديث ابي بكر رضي الله عنهُ انهُ اشتكى عينهُ فكره ان ينقبها قال ابن الاثير نقب العين هو الذي تسميهِ الاطباء القدح وهو معالجة الماء الاسود الذي يحدث في العين " وفي هذا الكلام دليل على ان العرب كانوا يلمُّون بجراحة العيون . ولنرجع الى طب الحيوان فاقول ان الراعي ذكر الجبار في تطبيبهِ قال

وقلتُ لهُ أَلصِق بايبس ساقها فان يجبر العرقوبُ لا يرقإِ النَّسا (٩)

وكان معالج الحيوان الاعجم يدعى مبيطراً كما مرَّ في شعر النابغة و بيطاراً كما ورد في شعر مرة وكما جاء في شعر حميد الارقط يصف فرساً

ولم يقلب ارضها البيطارُ ولا لحبليهِ بها حَبارُ (١٠)

وكانت بعض ادويتهم لا تخلو من خرافة كما مرَّ معنا في شعر النابغة في معالجة الملسوع وكما جاء في شعر عروة بن الورد العبسي عن مداواة حمَّى خيبر قال

وقالوا احبُ وانهق لا تضيرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوعُ

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير انني لجزوع

اي ان من اراد السلامة من حمى خيبر عليهِ ان يحبو نظير الحمار و ينهق عشر مرات و بما ان الطب عندهم كان لا يخلو من الخرافات والشعوذة كانوا يسمون الطبيب عرَّافاً قال عروة بن حزام

وقلتُ لعرَّاف اليمامة داوني فانك ان ابرأتني لطبيبُ

وقال ايضاً جعلتُ لعراف اليمامة حكمهُ وعرَّاف نجد ان هما شفياني

---

(٧) الهناء القطران والنقب الجرب (٨) المدرى هنا القرن . والعضد داء في اعضاد الابل فتشق (٩) النسا عرق من الورك الى الكعب (١٠) الحبار الاثر

فما تركا من حيلة يعرفانها ولا سلوة الاَّ بها سقياني
وقالا شفاك الله والله مالنا بما تشتكي منك الضلوع يدان

والعرافة ضرب من الخرافات كما لا يخفى امين ظاهر خير الله

ظاهر العمر

(تابع ما قبلهُ)

ولما اجازت الدولة لابي الذهب الزحف على سورية تجهز لذلك بما استطاع اليهِ سبيلاً من جمع الجند وعقد الالوية وحشد الذخائر والمؤَن وخرج من مصر بستين الفاً على قول الامير حيدر فارتجت لهُ البلاد وهلعت القلوب. اما ظاهر العمر فانهُ بعث الى يافا ابن اخيهِ الشيخ كريم الايوب بجماعةٍ من عسكرهِ مع سهام المرادي بالفداوية فاقاموا في قلعتها حتى جاءهم ابو الذهب وحاصر المدينة وضربها بالقنابل ستين يوماً فملكها واسرف في قتل حاميتها ورجالها وكان ظاهر قد لبث في عكاء يزيدها تحصيناً ويذدخر فيها الاقوات ومهمات الحرب فلما وردهُ نبأ امتلاك يافا انقبضت نفسهُ وبعث يستحضر الامير يوسف الشهابي وهو يومئذٍ في بيروت فعقد الامير ديواناً من عظماء لبنان واستشارهم في الامر فلم يروا من السداد اسعاف الشيخ ظاهر خشية من بأس ابي الذهب الاَّ ان الامير يوسف تلطَّف في الجواب وضمَّنهُ رسالة لابي الذهب استعطافاً لخاطرهِ على الشيخ ظاهر فابى هذا ان يقدمها لابي الذهب لانهُ علم انها تذهب صرخةً في واد

وتابع ابو الذهب زحفهُ حتى صار في ضواحي عكاء فخرج ظاهر منها باولادهِ وعيالهِ وما يملكون وصحبهُ في فرارهِ الى صيداء احمد هاشم القبجي الذي كان قد حمل اليهِ فرمان العفو والولاية واقام عندهُ مكرَّماً حتى وقعت هذه الغزوة ولما علم الناس بفرارهِ هلعت قلوبهم وفرَّ الشهابيون من بيروت الى لبنان اما الامير يوسف فارسل الى ابي الذهب كثيراً من الهدايا وكتب اليهِ يستعطف خاطرهُ ويطلب منهُ الامان فاجابهُ الى ذلك

واراد ظاهر الاجتماع بالامير يوسف لعلهُ يقنعهُ على مواثقتهِ فكتب اليهِ بموافاتهِ الى جسر صيداء فخاف الامير غائلة هذا الاجتماع فاباهُ معتذراً

وكان من الشيخ علي بن ظاهر العمر بعد ذهاب ابيهِ الى صيداء وقبل وصول ابي الذهب الى عكاء انهُ قصدها واخذ ما فيها من السلع والبضائع لاسيما ما كان منها في خان الافرنج فاغتاظ ابو الذهب من جراء ذلك وسعى في القبض عليهِ فما نال منهُ اربًا وقال قولناي ان

عليًا حسب ابا الذهب من اصدقائهِ لما كان بينهما من العهود اثناء امرتهِ على جيشِ علي بك ولذلك تخلَّف عن ابيهِ حين برح عكاء واقام فيها حتى اوجس من ابي الذهب خيفةً فرحل

اما الشيخ ظاهر فلما رأى انفرادهُ وان حلفاءهُ الذين كان يشدّ بهم ازرهُ قد ابتعدوا عنهُ في ابان هذه الشدة ولم يجد من نفسهِ قدرةً على موافقة ابي الذهب خرج بعشيرتهِ من صيداء الى صفد فحوران ونزل ضيفاً على عرب عنزة ولما برح ظاهر صيداء بقي على حكومتها متسلمةُ احمد اغا الدنكزلي رئيس فرقة المغاربة فخاف هذا غائلة عصيان ابي الذهب فاسرع بعد فرار مولاهُ الى مراسلة ابي الذهب في قيامهِ على طاعتهِ فسرَّ بذلك وامَّنهُ وارسل متسلماً من قبلهِ الى صيداء ومعهُ مئتان من الغز

واما المتاولة فانهم كانوا في جملة الذين خذلوا ظاهراً ولم يجسروا على مخالفة ابي الذهب حتى ان زعيمهم الشيخ ناصيف النصار لحق بهِ وقدَّم لهُ عشرين جواداً فقبلها ابو الذهب وطيب خاطرهُ ولكنهُ لم يسمح لهُ في الرجوع الى بلادهِ او يأتي سائر مشايخ المتاولة و يؤدوهُ الطاعة

وخلت البلاد لابي الذهب فاستولى على صفد وما اليها وهدم قلعة دير حنا ومار الياس الكرمل وقتل رهبانهُ وبعث رجالهُ حكاماً وحاميات الى البلاد المسلَّمة لهُ

ولكنهُ بينما كان في طغيانهِ وجبروتهِ خرَّ مغشيًا عليهِ ثم افاق وقد جحظت عيناهُ وجعل يزمجر ويصيح ردوا عني الشيخ المغضوب وما زال كذلك حتى قضى نحبهُ فتناقل الناس بشائر موتهِ وسرّوا ايما سرور حتى نظم السيد احمد البربير شاعر العصر بيتين قال فيهما

لما دنا نيل المنى والهم عنا قد ذهب
والسعد اقبل نحونا ارخت مات ابوالذهب

واختلف الناس في سبب موتهِ فذهب قومٌ الى انهُ اصيب بمرض فجائي وقال آخرون ان ظاهراً بعث من دسَّ لهُ السم في طعامهِ

ولما مات ارتدَّ جيشهُ ورجالهُ من مواضعهم وحملوهُ الى مصر واغتنم الشيخ ناصيف النصار فرصة الاضطراب في جيش الغز فنهب كثيراً من الاموال والذخائر وحملها الى بلادهِ وكانت رسل الامير يوسف قادمة لابي الذهب بهدايا وتحف فلما عرفت بموتهِ رجعت الى مرسلها وطمع المتاولة بالغز قبل رحيلهم من صيداء فحملوا عليهم واوقعوا فانكسر المتاولة ورجع الغز من المتاولة سالمين

وما لبث ظاهر ان عاد بعشيرتهِ واسترجع بلادهُ واقام فيها احكامهُ ورجالهُ على ما كان من امرهِ فيها قبل فرارهِ الاَّ ان ذلك لم يكن طويل الامد لان الدولة كانت قد صممت من قبل على كبتهِ فلما علمت بمصرع ابي الذهب وارتداد عسكرهِ جهزت اسطولها تحت امرة حسن

باشا الجزائري فلما بلغ مدينة صيداء ارسل ظاهرًا في اداء المال السلطاني الباقي عليهِ فيبقى على عمالتهِ

على ان ظاهرًا كان قد ملَّ الحرب لبلوغهِ التسعين من عمرهِ ولانهُ رأى ان الروس صاروا على وشك مصالحة الدولة العلية بحيث تنقطع امالهُ من مساعدتهم وتتفرغ الدولة لاقتناصهِ ومعاقبتهِ فرغب في موادعة رجال الدولة واجابتهم الى الاخلاص في الطاعة غير ان لكل شيءٍ آفة من جنسهِ ذلك ان بنيهِ كانوا ما برحوا ينقمون عليهِ ما سبق الالماع اليهِ من امهالهِ تعيين خلفهِ منهم وامساك التوسعة عليهم في المال حتى انهُ كان لا يتخذهم للاستعانة بهم في القتال دون ان يصغي الى مشورتهم او يعمل بما يريدون وانما كان موضع سرهِ ومشيرهُ رجل اسمهُ ابرهيم الصباغ وقد اتخذهُ قيمًا على اموالهِ وارزاقهِ ومدبرًا لتجارتهِ وازدادت ثقتهُ بهِ بنسبة ابتعاد ابنائهِ عنهُ في آرائهم واعمالهم فكان كلما انس منهم استيحاشًا ازداد للصباغ اقترابًا وبهِ ثقة ورأى الابناء ذلك من ابيهم فزادوهُ جفاء فاصبحت ثقة ظاهر محصورةً بالصباغ وصار الاستيحاش منهُ عامًا بين رجالهِ واخصائهِ وزاد الحال شدةً حين حسدوا الصباغ على تزايد ثروتهِ المستترة تحت ثوب الفقر المدقع

فلما وردت مراسلة امير البحر جمع ظاهر ابناءهُ ورجالهُ وتلاها عليهم فدارت المذاكرة واحتدم الجدال اذ ان بعضهم رأوا السداد في وجوب اداء مال الدولة العلية وفاء للعهود وابقاء على ما بايديهم من البلاد فمال ظاهر الى قولهم ولئن قال بعضهم بمناهضة امير البحر وقتالهِ

فلما سمع ابرهيم الصباغ بما كان من رأي مولاهُ انكر وجود مال يكفي مطلب الدولة فانبرى لمحاجتهِ احمد اغا الدنكزلي الذي كان متسلمًا في صيداء وقال اعطني مئة الف درهم احملها الى حسن باشا ولا ارجع الاَّ بعهد الامان وتقرير الولاية وفوق ذلك اعلم يا ابرهيم ان سيف الدولة طويل والخروج عليها عسير وليس مما يستطيعهُ كل انسان ولا يرضى بهِ الناس فاجاب الصباغ ليس عند الشيخ الاَّ سيف يلمع ونار تسطع وقام من المجلس وانصرف

فلما رأى الدنكزلي ان ظاهرًا مال الى الصباغ ورأيهِ خرج مغضبًا واذ كان رئيس المغاربة الذين في خدمة ظاهر وبايديهم القلاع والحصون قصد اتباعهُ وابناءهم بغرور القوم وان الخروج على الدولة حرامٌ في الاسلام واوعز اليهم ان يعطلوا المدافع فلا تُضرب سفن الدولة بايديهم واذا جاءهم احدٌ من رجال ظاهر لا يمكنوهُ من الدخول اليهم وكتب الى حسن باشا يخبرهُ بما كان وكان الباشا قد استبطأ الجواب من ظاهر فاقلع بسفنهِ نحو عكاء فلما اقبل عليها واطلق القنابل اراد ظاهر ان يقابلها بمدافعهِ واوعز الى المغاربة ان يفعلوا فاجابوهُ حاشا للهِ ان نقاتل سفن الدولة فامرهم ان يخرجوا من الابراج فابوا واخبروهُ انهم عطلوا المدافع حتى لا تصلح

للضرب فلما علم بذلك وهت عزائمهُ فرأى ان يولي الادبار فركب وقصد باب المدينة واذا بمغربيّ صوب النار عليهِ واطلقها فاصابهُ ورماهُ ميتاً

اما اولادهُ فكان قد ارسلهم لحشد العساكر من البلاد فلما علموا بقتلهِ فرّوا الى جبل عامل ملتجئين الى الشيخ ناصيف النصار زعيم المتاولة

واراد ابرهيم الصباغ ان يفرّ كمولاهُ فما استطاع بل اختبأ في منزل رجل يقال لهُ علي درويش حتى اذا فاز حسن باشا بدخول عكاء واستولى على اموال ظاهر وتحفهِ من مستودع الصباغ وقيمتها على ما قال الامير حيدر زهاء اربعين الف الف درهم نقوداً غير الخيول والسلاح والتحف وغير الحدائق والبساتين والدور والحوانيت التي ضبطها طلب الصباغ فسلمهُ مضيفهُ علي درويش فعذّبهُ كثيراً حتى اعترف بكل ما يعلمهُ من اموال ظاهر ثم امر بهِ فشُنق في احدى السفن

ولقد مرّ بنا خبر مقتل ظاهر العمر ولم نقل في وصفهِ شيئاً مع انهُ جديرٌ بالوصف اذ كان من افراد الرجال في الشجاعة والفروسيّة ومعرفة ابواب الحرب حتى قال فيهِ فولناي انهُ مرّ على سورية زمنٌ طويل لم ترَ لهُ مثيلاً

وقد كان مقتدراً في السياسة وفيهِ حكمةٌ والمام ولولا اطماعهُ الزائدة وتشوّفهُ الى ما فوق قدرتهِ لما خابت مساعيهِ على انهُ كان يكره التحيل والدهاء ويختار الاجهار بنوياتهِ ولو تكلّف ما لا يُطاق وكانت العدالة ضاربةً اطنابها في بلادهِ لا فارق عندهُ في شمولها اهل المذاهب المختلفة

اما اولادهُ الذين التجأوا الى جبل عامل فقد راسلهم حسن باشا للرجوع اليهِ وامّنهم على ارواحهم وما يملكون واوعز اليهم انهُ يقلّدهم مناصب ابيهم تحت طاعة السلطان فاجابوهُ الى ذلك ونزلوا اليهِ وهم عثمان وسعيد واحمد وصالح اما اخوهم الاكبر علي فكان في دير مار يوحنا آمناً اذ لحق بهِ مغاضباً اباهُ قبل وقوع هذه الحوادث فلما وصل ابناء ظاهر الى الباشا امر بتوقيفهم واذ فرط من احدهم سعيد كلام ضد الدولة العلية امر بهِ فقُتل ثم اخذ اخوتهُ في السفن ونقلهم الى الاستانة الاَّ عثمان فانهُ جعلهُ شيخ البلد في عكاء

وتولى عكاء بعد ذلك احمد باشا الجزار المشهور فرأى ان يتعقب علياً كبير ابناء ظاهر العمر فزحف عليهِ والتفّ حول عليّ كثير من الجند والاتباع فلم يقتدر على الثبات طويلاً تجاه عسكر الجزار لا سيما بعد ان قُتل ابناهُ الحسن والحسين فتخلّص عن الحرب وقصد العزلة في بلاد الشوف لكنَّ الامير يوسف الشهابي منعهُ من سكناها فقصد بلاد نابلس وهنالك اجتمع عليهِ كثيرون من الناس فكتب الجزار الى باب الدولة يشكو والي الشام محمد باشا العظم بانهُ

اجار علي الظاهر في بلادهِ فلما علم محمد باشا بذلك بعث رجلاً من اخصائهِ اسمهُ علي اغا القيصرلي متظاهرًا بعداء الوالي فلما وصل اليهِ قتلهُ اغتيالاً فبعث الباشا برأسهِ الى دار السعادة

اما عثمان بن ظاهر فاقام في عكاء سنة بمنصب شيخ البلد ثم عزلهُ حسن باشا واخذهُ الى الاستانة فاقام ثمة على خدمة الدولة نحوًا من ست سنين على غير منهاج ابيهِ فسرَّت الدولة بهِ وارسلت من قبلها مباشرًا مخصوصاً سنة ١١٩٦ الى صيداء فاخذوا عيالهُ منها الى بروسه وكانت عدتهم ثلاثين نفرًا ونال رتبة ميرميران ومنصب خداوندكار مؤبدًا على ان يقوم باود عياله واخوتهِ وان يخصص من دخلهِ ثلاثة آلاف غرش في السنة لاخيهِ الشيخ احمد (روى ذلك جودت باشا ونوفل نوفل)

وخلَّف علي طفلين نبغ احدهما شاعرًا مشهورًا اسمهُ فاضل بك وكذلك نبغ من ابناء الشيخ احمد شاعر مجيد اسمهُ يوسف خالص بك ذكرهُ جودت باشا ايضاً

ثم تبعثرت الاسرة بكرور الايام وتقلبات الدهور واحط الدهر على بعضهم حتى اضطرت بعض مخدرات هذا البيت الى التسوُّل على ما قال الامير حيدر في تاريخهِ فسبحان من بيدهِ الامر . انتهى

جرجي يني

الاخصاء

اذا اجال المستبصر طرفهُ فيما انتهى اليهِ ارتقاء العلم على اختلاف ضروبهِ في بلاد الغرب وقاسهُ بما وصل اليهِ في بلاد الشرق من الاضمحلال بعد ان كان في اعلى درجات الارتقاء على عهد الخلفاء الأُمويين بالاندلس والفاطميين بمصر والعباسيين ببغداد لا يُعتِم في الغالب ان ينسب ذلك التميُّز للاخصاء وهو تعلم علم واحد واختصاص كل طائفة من الناس بما تنصرف وجهتهم اليهِ ويرون الخير في خدمتهِ من اسباب العلم ومقوّمات الحضارة . وقد يظن بعض من لا يعرف دروس الغرب واساليب القاء العلوم في مدارسهِ المتنوّعة ان كل من اشتهروا وتميَّزوا بفن ونالوا حظاً وافرًا من علم نافع لا تتعدَّى معارفهم حدود ما هم بسبيلهِ فالفيلسوف لا يحسن بزعمهم الانشاء والمنشئ لا يعرف التاريخ والطبيعي لا يحسن الرياضيات والالهي لا يذوق الاجتماعيات والسياسي لا يدرك الاقتصاد ولكن ليس الامر على ما يذهبون اليهِ

سألتُ يوماً احد المبرّزين في علوم الاوائل والاواخر من المشارقة لِمَ كان الاخصاء في الغرب نافعاً ولا يتأتى الانتفاع بغيرهِ ولِمَ لا نجد في بلادنا اهل إخصاء فقال التخصيص لا يظهر

الاَّ بعد التعميم فان الناس في اوربا يقرأُون علي ترتيب خاص يقضي على الداخل الى المدارس ان يتعلم كل العلوم اللازمة لهُ في حياتهِ حتى اذا وافق بعضها مزاجهُ او ميلهُ ينصرف اليهِ جملة فيمهر فيهِ فالاختصاص باقٍ من ترقي العلم ليس الاَّ

قال وهكذا كان شأن سلف هذه الامة العربية ايام كانت دروس العلم حافلة وحلقات المعارف منظمة فقد رأينا مثل ابن السرَّاج المتوفَّى سنة ٣١٦ نحويًّا فيلسوفًا مع انهُ لا علاقة بين العلمين والسيرافيّ المتوفى سنة ٣٦٨ من ائمة النحو وشارح كتاب سيبويه ذا يد طولى في الفلسفة وكان الفلاسفة يرجعون اليهِ في علمهم . ورأينا الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ يستدعي الى بغداد ابا عليّ الفارسي من مشاهير النحاة ليزورهُ فيستفيد منهُ مع ان الصاحب عالم كبير من اهل العلم . والرمانيّ المتوفى سنة ٣٨٤ احد فلاسفة العراق كان نحويًّا متكلمًا وهكذا شأن كثير من اضراب هؤُلاء ممن نقل عنهم ابو حيان التوحيدي المتوفى على رأس الاربعمائة مذاكراتهم في مقابساتهِ

ثم قصَّ عليَّ ما رواهُ ابن ابي اصيبعة في ترجمة الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ احد فلاسفة الاسلام وهو الذي كتب المجلدات الممتعة في الطبيعيات والرياضيات والالهيات والطب قال كان الرئيس جالسًا يومًا من الايام بين يدي الامير علاء الدولة من امراء ما وراء النهر وابو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسئلة تكلم الشيخ فيها بما حضرهُ فالتفت ابومنصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ولكن لم نقرأْ من اللغة ما يرضي كلامك فيها فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف ابي منصور الازهري فبلغ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها وانشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظًا غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب احدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب وامر بتجليدها واخلاق جلدها ثم اوعز الامير فعرض تلك المجلدة على ابي منصور الجبائي وذكر انا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب ان تتفقدها وتقول لنا ما فيها فنظر فيها ابو منصور واشكل عليهِ كثير مما فيها فقال لهُ الشيخ إن ما تجهلهُ من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر لهُ كثيرًا من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ الرئيس حفظ تلك الالفاظ فيها وكان ابو منصور مجزّفًا فيما يوردهُ من اللغة غير ثقة فيها ففطن ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حملهُ عليهِ ما جبههُ بهِ في ذلك اليوم فتنصَّل واعتذر اليهِ . ثم صنف الشيخ كتابًا في اللغة سماهُ لسان العرب لم يُصنَّف في اللغة مثلهُ ولم ينقلهُ الى البياض حتى توفي

فبقي على مسوّدتهِ لا يهتدي احد الى ترتيبهِ

قلت ولو لم يكن الرئيس درس اللغة في صباهُ حقَّ دراستها ما تعذَّر عليهِ ان يكون في ثلاث سنين من اعلم الناس بها . واذا راجعنا سِيَر الرجال قديمًا وحديثًا نرى مثلهُ افرادًا ليسوا بقلائل في كل امة وبلد فقد كان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ عالمًا في كل فن وكان الحجة الثبت في كل ما كتب . وكان فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ عالمًا بالادب والطب والشريعة والفلسفة " يهاجر اليهِ الناس من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون بهِ فكان كل منهم يجد عندهُ الغاية القصوى فيما يرومهُ منهُ " . وكان ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ اوحد في علم الفقهِ متميزًا في الطب اوحد في الفلسفة ولخص كتب ارسطاطاليس وجالينوس . وكان عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ فردًا في العلوم العقلية والنقلية كافة غلب عليهِ الادب اولاً ثم الفلسفة والطب تشهد لهُ بذلك تآليفهُ

فاق مثل هؤلاء الاعلام بما تهيأ لهم من النظام المتَّبع والاسلوب الحميد الذي يتسنَّى لكل شعب عرف معنى العلم وطرق تحصيلهِ . وربما كان ميل الفرد لعلم دون آخر على درجات تختلف باختلاف التلقي والبداءة فيهِ . ومن حصلت لهُ ملكة في فن او صناعة ومرن عليها واشتد ساعدهُ فيها يصعب عليهِ ان يتقن غيرها الاَّ قليلاً اما الاخصاء في فرع من فروع العلم فلا يتأتى الاَّ بعد النظر بالجملة في اكثر الآلات والادوات التي لا غنية لمن يريد ان يوسم بالعلم بدونها . والتَّنَفة وهو الذي ينتف من العلم شيئًا ولا يستقصيهِ قلَّ ان ينجح في البلاد الراقية وهو مقبول عند المشارقة الآن لضعف العلوم بين ظهرانيهم وقد يستفيد صاحبهُ في الماديات اكثر مما يستفيد المخصي اي المتعلم علمًا واحدًا مثال ذلك الكاتب في العربية فانهُ لا يرتزق الاَّ اذا كتب في كل موضوع قليلاً او كثيرًا واذا اراد الاخصاء فقد لا يعيش من صناعتهِ وما اشبههُ بالشمعة تحرق نفسها لتضيء لغيرها . قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة من اراد ان يكون عالمًا فليطلب فنًا واحدًا ومن اراد ان يكون اديبًا فليتفنن في العلوم

نعم لا يطلب من العالم بالنحو والصرف والبيان والمنطق مثلاً ان يكون من النوابغ في الانشاء وانما يعاب عليهِ كثيرًا ان يملأ رأسهُ بالقواعد حتى اذا جاء ليطبقها ويستعملها ينقطع ولا يحير جوابًا ولا يكتب كتابًا كما لا يُرجى من الباحث في الاديان ان يكون راسخًا في سير الافلاك وانما يراد منهُ ان يكون لهُ نوع من المشاركة في هذا العلم حتى يعرف ما يقول في التوقيت والاهلة ولا يطالب المؤرخ ان يكون متمكنًا من العلم الطبيعي والرياضي بل عليهِ ان تحصل لهُ ملكة قليلة في معرفتهما وهكذا الحال في علوم البشر كافة

قال ابو حاتم السجستاني قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ارَ في عمّال السلطان ابرع منهُ فدخلت عليهِ مسلّماً فقال يا سجستاني مَن علماؤكم بالبصرة قلت الزيادي اعلمنا بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بعلم النحو وهلال الرازي افقهنا والشاذكوني اعلمنا بالحديث وانا أُنسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكتبنا للشروط . فقال لكاتبهِ اذا كان غداً فاجمعهم لي فجمعنا فقال ايكم المازني فقال ابو عثمان انا فقال هل يجزى في كفارة الظهار عتق عبد اعور فقال المازني انا صاحب عربية لست بصاحب فقه فقال يا زياد كيف تكتب بين رجل وامرأة خلعها زوجها على الثلث من صداقها فقال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني فقال لهُ ياشاذكوني من قرأ الا انهم يثنوني صدورهم فقال ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم فقال لي يا ابا حاتم كيف تكتب الى امير المؤمنين تصف فيهِ خصاصة اهل البصرة وما اصابهم في الثمرة من الجوائح وتسأل النظر لهم فقلت انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة . فقال اقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف الا فناً واحداً حتى اذا سئل عن غيرهِ لم يجز فيهِ لكنَّ عالمنا بالكوفة الكسائيُّ لو سئل عن هذا لاجاب

ومثل هذا الاخصاء يقع في ايامنا لطائفة كبيرة من العلماء والفضلاء في بلاد الافرنج فقد صحبتُ احد علماء الحقوق من الالمان وكان هبط مصر لتعلم العربية فكنت اذا حدثتهُ في الموضوعات الاجتماعية يتبرّم ويجيب اجوبة منقطعة لا تنبئ بتبحر ولا بقلة وقوف مع انهُ درس في اعظم كليات المانيا على الاصول الحديثة وناهيك بمن يدرس في مدارس هذه المملكة فانهُ لا يُعد متعلماً في الغاية عند اهل اوربا انفسهم الا من قضى اعواماً في مدارس الالمان كما لا يُعدُّ متمدناً عندهم الا من زار باريز ورأى حضارة اهلها وازياءهم واهواءهم . واجتمعت مراراً كثيرة باحد اهل الاخصاء في الآثار من الفرنسيس فكنت كلما باحثتهُ في احوال الشعوب والممالك يناقش مناقشة مَن لا يعلم الا ما هو آخذ نفسهُ بهِ من دراسة آثار الشام

وقصارى القول ان الاخصاء يتأتى حصولهُ اذا نظمت طريقة العلم وساعدت البيئة والمحيط على انتفاع المشتغِل والمشتغَل لهم بثمارهِ الغضة . وقد جمع بعض الحكماء سرّ الاخصاء في قولهِ إقصد من اصناف العلم الى ما هو اشهى لنفسك واخفّ على قلبك فان نفاذك فيهِ على حسب شهوتك لهُ وسهولتهِ عليك . وقال يحيى بن خالد لابنهِ عليك بكل نوع من العلوم فخذ منهُ فان المرء عدوٌ ما جهل وانا اكره ان تكون عدوَّ شيءٍ من العلم وانشد

تفنَّ وخذ من كل علم فانما يفوق امرؤٌ في كل فن لهُ علمُ
فانت عدوٌّ للذي انت جاهل بهِ ولعلم انت تتقنهُ سلمُ

وقال آخر يشكو صعوبة التحقيق في العلم

برَّح بي ان علوم الورى   شيئان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها   وباطل تحصيلهُ لا يفيد

دمشق الشام   محمد كرد علي

احدى غوامض التاريخ

من يطالع تاريخ اوربا في القرن السابع عشر والثامن عشر ويطلَّع على ما بزغ فيها من نور العلم والفضل ثم يراجع على ما كان يجري في قصور ملوكها وامرائها من المنكرات لا يعجب من قيام كرومول في انكلترا وحدوث الثورة في فرنسا بل يعجب من احتمال النفوس للقهر قرناً بعد آخر من غير ان تزهق . ثم اذا قاس الامم الغربيَّة بالامم الشرقيَّة لم يتوقع ان يرى في اوربا عشر ما يراهُ فيها الآن من الارتقاء فاننا نحن ابناء المشرق كانت حالنا منذ الف عام اصلح من حال اوربا منذ مئتي عام وقد كرَّت القرون ولم نرتقِ قيد شبر بل المرجح اننا زدنا انحطاطاً حتى ماثلت حال كثير من ممالكنا الآن حال اوربا في القرن السابع عشر . ولعلَّ كاتب تاريخ القرن التالي يكتب من سجون الاستانة عاصمة مملكتنا ما كتبهُ الفرنسويون من سجن باريس عاصمة مملكتهم وهاك طرفاً من ذلك

في الثامن عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٩٨ فتح باب الباستيل سجن باريس المشهور في التاريخ ليمرَّ عليهِ المحافظ الجديد سان مارس وكان راكباً مركبة ستائرها مدلاَّة وحولها ثلة من فرسان الحرس الملكي والى جانبهِ كهل تلوح عليهِ لوائح النبل ولكنَّ وجههُ كان مغطى ببرقع من المخمل الاسود مثبت حول رأسهِ بابازيم من الحديد . وكانا قادمين من سجن سان مرغريت في جنوب فرنسا الذي كان سان مارس محافظاً لهُ مدة سنين طويلة

وكان الملك لويس الرابع عشر يعدُّ سان مارس هذا مقدام السجانين في مملكتهِ فانهُ وقف نفسهُ على اتقان خدمتهِ منذ كان عمرهُ خمساً وثلاثين سنة فنال نعمة في عيني مولاهُ وصار من اخصّ المقربين اليهِ . وقد ضاعف همتهُ الآن في المحافظة على السجين وبالغ في الاحتياط عليهِ فكان ينام بجانبهِ ويجلس معهُ على الطعام وبجانبهِ فردان . اما السجين فلم يكن ينبس ببنت شفة بل كان يجلس دائماً وظهرهُ الى جهة النور ولم يحاول مكالمة انسان ولا بالى باهتمام الحرس والناس بمشاهدتهِ في المحطات التي كان يقف ليبيت فيها

وبعد ما عبر السجان وسجينهُ الجسر الذي امام باب الباستيل رُفع الجسر ولم يعد السجين يمرُّ عليهِ حيًّا . وسير بهِ الى غرفة في احد ابراج السجن حيث عاش خمس سنوات ولم يعرف الناس من امرهِ شيئاً ولم يرفع البرقع عن وجهه نهارًا ولا ليلاً . لان سان مارس كان قد امر بقتلهِ اذا حاول رفع البرقع عن وجههِ. وقلما كان يتكلم ولم يشك امرهُ البتة الى احد ولا قال لاحدٍ من هو

وكان يعامل بالتجلة والاكرام ويُقدَّم اليهِ فاخر الطعام والشراب . ويُلبَس افخر الملابس ويلعب على الرباب ولم يألُ سان مارس جهدًا في مراقبتهِ كلَّ يوم وارسال التقارير الطويلة الى الملك عنهُ . فدلَّ ذلك على انهُ كان اعظم سجين في فرنسا كلها

وقد حاول مرة وهو في سجن سان مرغريت ان يبوح بخبرهِ . وبيان ذلك ان الطعام كان يقدَّم اليهِ في صحاف فضيَّة فتناول ذات يوم صحفة منها وكتب عليها شيئاً بسكين ثم القى بها من نافذة السجن على قارب صياد رسا بقاربهِ عند اسفل السجن فتناول الصياد الصحفة ولكنهُ كان امياً فظنَّ انها سقطت من البرج اتفاقاً فاخذها الى محافظ السجن وهو لا يدري شيئاً من امرها . فلما قرأ المحافظ ما كتب على الصحفة اخذتهُ الرعدة والتفت الى الصياد مذعورًا وسألهُ " هل قرأت ما كتب وهل رآهُ احد غيرك " فاجابهُ الصياد انهُ اميٌّ لا يستطيع القراءة ولا الكتابة وانهُ لم يرَ احد الصحفة غيره. ولكن المحافظ لم يطلقهُ حتى وثق من صحة حكايتهِ فخلَّى سبيلهُ قائلاً " ان جهلك القراءة وقاك من المهالك "

وبعد هذه الحادثة وُضع السجين تحت المراقبة الشديدة وهو على المائدة فكانوا يفحصون كلَّ صحفة يرفعونها من امامهِ ليكونوا على ثقة من انهُ لم يكتب عليها شيئاً وكانوا يفعلون مثل ذلك بملابسهِ التي كان يخلعها حتى انهم كانوا يفحصون الشموع التي توقد في غرفتهِ خشية ان يكون قد انتزع الفتيلة ووضع مكانها ورقة مكتوبة . وكان المحافظ يفتشهُ كلَّ يوم . فتمَّ بذلك مراد الملك لويس وهو القضاء على ذلك السجين بالموت مجهول الاسم والنسب

هذا ولم يعرف احد كم كانت مدة سجنهِ ولكن البعض يقول ان امر المحافظة عليهِ وُكل الى سان مارس في سجن بنيارول اولاً ثم في سان مرغريت فالباستيل وتقدَّر مدة سجنهِ بخمس وعشرين سنة على القليل وخمس واربعين على الكثير . ولا غرابة اذا لم يحاول الافلات من سجنهِ بعدان زُجَّ في اعماق الباستيل فان الملك كان شديد القسوة على سجنائهِ كثير الاكرام لسجانيهِ مغرماً بقراءة التقارير المفعمة باخبار العذابات المبرحة التي كان المسجونون يسامونها وهم في السجون فتودي بهم الواحد اثر الآخر . وقد كان هذا نصيب كثيرين من رعاياهُ بعد

دخولهم ابواب السجون

وفي طليعة اولئك المنكودين فوكه اغنى اهالي فرنسا ووزير ماليتهِ في اوائل ملكهِ فان غناه أثار الحسد والحقد في قلب الملك فطرحهُ في سجن بنيارول حيث بقي ست عشرة سنة يذوق غصص الموت ويسام من العذاب الالوان ثم مات ولم يعلم عنهُ شيءٌ . ويقال انه مات ودفن سنة ١٦٨٤ ولكن بعض الذين يعوَّل على رأيهم قالوا انهُ هو نفسهُ هذا السجين المبرقع

ومنهم افديك بطريرك الارمن في القسطنطينية فانهُ احتقر الجزويت وازدراهم وكان لويس ناصرًا لهم فسعى حتى تمكن من خطفهِ واحضارهِ الى فرنسا حيث زجهُ في اعماق السجون فمات بعد ان فقد بصرهُ وانقطع حبل رجائهِ من الخلاص ويذهب بعضهم الى انهُ السجين المبرقع نفسهُ

ومنهم الجنرال دي بولوند الذي اخفق في حصار مدينة كون وكان مطلعًا على بعض اسرار الملك فخشية ان يبوح بها سجنهُ فاختفى خبرهُ بعد ذلك وظن البعض انهُ السجين المبرقع

ومنهم ضابط اسمهُ مار يشيل كان رئيسًا لمؤامرة كبيرة دبرت ضد الملك فألقاهُ الملك في السجن ولم يسمع عنهُ شيءٌ بعد ذلك . وقد رجح آخر باحث في هذا الموضوع ان هذا الرجل هو صاحب الوجه المبرقع

ومنهم الكونت متيولي مستشار الدوق منتوى وهو الذي باع لويس حصن كازال مفتاح بيدمونت باعهُ اياهُ سرًّا وكان لويس يطمع في الحصول عليهِ منذ زمن طويل ولكن متيولي اطلع اسبانيا والنمسا وسافوى على ذلك قبل تسليم الحصن الى الفرنسويين تخلصنهُ وصيرن لويس بذلك اضحوكة في اوربا كلها فاوفد من خطف متيولي واحضرهُ اليهِ فسجنهُ ولم يجسر احد ان يسأَل عنهُ وهكذا انطفأ خبرهُ . وقد زعم كثيرون انهُ هو ذو الوجه المبرقع ولكن ذلك لم يثبت بالبرهان

على ان ذلك كلهُ لا يميط النقاب عن وجه الحقيقة ولا يزيح الستار عن صاحب الوجه المبرقع ولا ينبئُ بسبب وضع البرقع على وجههِ لان كل انسان من معاصري لويس علم بسجنهِ للذين تقدم ذكرهم ولم يحاول احد تخليصهم فلا بدَّ ان يكون هناك باعث آخر حملهُ على فعل ما فعل. وعليهِ قام المذهب المشهور الذي هو اقرب الى الخيال منهُ الى الحقيقة وبنى فولتير ودوماس وغيرهما من مشاهير الكتاب كتاباتهم عليهِ ومآلهُ ان صاحب الوجه المبرقع هو اخو الملك لويس الرابع عشر من امهِ فقط او من ابيهِ وامهِ او ابن غير شرعي لهُ وعلى الراي الاول هو ابن الملكة حنة من دوق بكنهام او من الكردينال مازارين وعلى الثاني ان بعضهم تنبأ

للويس الثالث عشر بانهُ سيولد لهُ توأمان يتنازعان الملك بعدهُ ويفضي تزاعهما الى حرب اهلية في فرنسا. فلما ولد التوأمان ارسل اصغرهما الى فلاح يربيهِ كأنهُ ابنهُ حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمرهِ رأى صورة شقيقهِ الملك واطلع على كتاب من والدتهِ الى مربيهِ تلمح فيهِ الى سرّ مولدهِ ففطن الى دخيلة الامر وصرّح بعزمهِ على الذهاب الى البلاط الملكي للمطالبة بحقوقهِ فصدرت الاوامر من باريس حالاً بسجنهِ مدة الحياة فوضع البرقع المذكور على وجههِ وجُعل سان مارس سجّاناً لهُ. وقد وجد كتاب من ماري دي مورينا بين اوراق الكردينال ريشليه وزير لويس وفيهِ حكاية ذلك السرّ من اولها الى آخرها ولكن معظم المحققين المحدثين يعتقدون ان الكتاب المذكور موضوع لا حقيقة لهُ. وعلى القول الثالث انهُ دوق ڤرمندوى ابن للملك لويس الرابع عشر من المداموازل ده لاڤاليه لطم اخاهُ ولي العهد مرةً فحكم ابوهُ عليهِ بالسجن مدى الحياة

ومهما يكن من سرّ المسألة فقد ثبت انهُ في ليلة من ليالي نوفمبر سنة ١٧٠٣ أُنزل جسر الباستيل ومرّت عليهِ جنازة ضئيلة سارت بالميت الخفيّ الى مدفن القديس بولس. وكان يسير خلف النعش رجلان من حفظة السجن حتى اذا بلغت الجنازة المدفن دفن الميت ثانية في التراب بعد ما دفن اولاً وراء الحجاب. ولم يعلم احد خارج السجن بموتهِ ما عدا الملك. وكأنهُ اراد ان يمحو ذكر وجودهِ من صفحات الاذهان فامر ان تحرق ثيابهُ وتذاب صحون الفضة التي كان يأكل منها وان تكشط جدران غرفتهِ وسقفها وارضها ثم ترمم ويمحى كل اثر باقٍ منهُ. وكتب عنهُ في سجل الموتى ان اسمهُ مرشيالي وعمرهُ ٤٥ سنة. وفي سجل المسجونين "مسجون من الداخلية"

وظن لويس ان القصة برمتها تمسي في زوايا النسيان قبلما تنحل رفات ضحيتهِ في قبرها مع ما ضمها من الاكفان على ان السرّ باح بنفسهِ واثار حبّ استقصاء الحقائق من مكامنهِ. فما نسي الفلاحون السجين المبرقع ايام مرّ في مزارعهم بحرسهِ سان مارس ولا انقطع ذكرهُ عن السنة اهل البلاط همساً في الآذان ان لم يكن نداء عن السطوح. ولا عن السنة حرس الباستيل في مجالساتهم ومسامراتهم ومرّت السنون على ذلك حتى زجّ بعض رجال الادب في الباستيل فسمعوا عن تلك القصة ما اسال قرائحهم واجرى مدامع اقلامهم فكتبوا ما ينيف عن خمسين كتاباً في هذا الموضوع. على ان تلك الكتب لم تهتك ستاراً ولا كشفت مخبأً بل كل ما كشفتهُ انما هو ظلم الملك لويس الرابع عشر وقسوتهُ. والمظنون ان السر المكنون مدفون في سجلات الفاتيكان برومية اذ يرجح ان السجين اخبر الكاهن الذي كان يعرّفهُ بحقيقة امرهِ ومن المحتمل ان يكون الكاهن قد اخبر رؤساءهُ بذلك فاذا استطاع احد ان يطلع على تلك السجلات وجد فيها الخبر اليقين

ركفلر ومقدرة المال



لما هلَّ القرن الماضي كانت اوربا واقفة ترقب بونابرت القائد العظيم الذي نبغ من مصاف الجنود فقاد الفيالق وساد الممالك بعلو همتهِ وصدق عزيمتهِ ومهارتهِ في فنون القتال ودرايتهِ في اختيار الرجال . وقد هلَّ القرن الحاضر واميركا ترقب رجالاً نبغوا من صفوف العامَّة فبلغوا بعلو همتهم وصدق عزيمتهم ومهارتهم في ادارة الاعمال واستخدام الاكفاء من الرجال مقاماً لا ينحط عن مقام بونابرت ولا هو اقل منهُ خطراً ولكنهُ اسلم منهُ عاقبةً واقل ضرراً . وفي مقدمة هؤلاء الرجال جون ركفلر صاحب الملايين الوفيرة والمبرَّات الكثيرة . وقد ذكرنا ترجمتهُ منذ عهد قريب فلا نعود اليها ولكننا اطلعنا الآن على وصف بديع لهُ في جرنال نيويورك وعلى ما يستطيع عملهُ باموالهِ تحت عنوان " شلالات من المال والقوة " فاقتطفنا منهُ ما يأتي

جون ركفلر اعظم رجل على وجه البسيطة من حيث قوتهُ وما يستطيعهُ . فليس في الناس رجل مثلهُ ولا وجد قبلهُ شبيه لهُ . وقوتهُ متنوعة فهو شجاع مثابر صبور قادر على ترتيب الاعمال وتنظيمها زكين في الدرجة القصوى يعرف طباع الناس واخلاقهم . يملأ الزمن الذي هو فيهِ كأنهُ خُلق لهُ . بعيد النظر في العواقب ينظر الى المستقبل البعيد ويراهُ واضحاً جلياً ولو خفي على غيرهِ ويصرّف الامور ويعدها حتى توافقهُ بينما غيرهُ يستعد ويتهيأ حتى يوافقها . معدتهُ المالية على غاية المرونة فتكتفي بالارنب الصغيرة وتستطيع ان تبتلع الجاموس الكبير . عندهُ الآن اكثر مما يحتاج اليهِ هو والف الف نفس مثلهُ ولا يزال يغترف الاموال اغترافاً كالحوت لا يرويهِ شيء يلهمهُ . تراهُ رابضاً في ربوع اميركا كالتنين الكبير واعضاؤهُ واصلة الى اوربا واسيا وقد فغرفاهُ ليبتلع ما يمكن ابتلاعهُ منهما . تظنهُ قد شبع واتخم فنام ولم يعد يستطيع النهوض ولكنهُ في الحقيقة فاتح عينيهِ واذنيهِ فلا تدنو فريسة منهُ الاَّ ابتلعها

لو كان من ذوي المطامع والآمال الكبيرة كما كان بونابرت للقي الناس منهُ الامرّين لانهُ يستطيع كل شيء في هذا الزمن زمن الدينار يستطيع ان يستأجر مليون رجل ويجعلهم طوع امرهِ ويحكم بهم وباموالهِ على خمسين مليوناً من النفوس لكن العناية حرمتهُ من هذه المطامع وجمتهُ كما تلجم مياه البحر حتى لا تتعدى ساحلهُ ولم تعطهِ الاَّ الرغبة في جمع المال وعمل بعض المبرات

ولو كان من ارباب العلم واهل الغيرة الشديدة على نوع الانسان لاستطاع ان يعمل العجائب بمالهِ لكنهُ قانع بان يكتب على قبرهِ كان فلان اغنى الاغنياء لا ان يقال انهُ انفق غناهُ كلهُ على نفع ابناء نوعهِ

كما امتاز الاسكندر بقوتهِ الحربية امتاز ركفلر بقوتهِ المالية . الاسكندر قهر الفرس وتسلّط عليهم بحفنة من الجنود المكدونية وكذلك ركفلر تغلّب على الاميركيين وتسلط على الملايين من اموالهم بالمال القليل الذي كان معهُ اولاً فاصبح سلطان المال واغنى مَن على وجه البسيطة وكل ريال من اموالهِ بمثابة رجل يعمل نهارًا كاملاً فقوتهُ قوة ملايين من الرجال

ان الذين حفظت اسماؤُهم من ملوك مصر الاولين هم الذين استطاعوا ان يستخدموا الرجال ويديروهم فجعلوهم يبنون لهم الاهرام والهياكل . جمعوا بين القوة الحربية والدينية والجهل الذي كان متسلطاً على الناس واستخدموا هذه القوى الثلاث للتسلط على الالوف من بني الانسان وتسخيرهم في الاعمال . هذا كان شأن الملوك في الزمن الغابر . اما ملوك المال في هذا العصر فاموالهم تعمل لهم ما يشاءون وهي في خزائن البنوك لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتعب

لكن كل ريال منها يعمل ما يعملهُ العامل في يومهِ · وهي ليست مثل جنود الملوك تعمل وقت الحرب وتنام او تتفرَّق وقت السلم بل تعمل دواماً نهاراً وليلاً صيفاً وشتاء وتتوالد وتتكاثر من غير زواج ومن غير مخاض · ولا هي مثل عمال المعامل تعتصب وتتآمر وتشكو من قلة الاجور وطول ساعات العمل · ولا موضوعة حيث يفسد السوس والصدأ وينقب السارقون ويسرقون

على ان الناس عموماً لا يدركون حقيقة قوة ركفلر وربما لا يدركها هو ايضاً تماماً لانها فاقت تصوراتهِ ومطامعهُ . فان لهُ جميع منابع زيت البترول في الولايات المتحدة والبترول لا يفيد شيئاً الاَّ اذا كان ملك ركفلر لان سكك الحديد لا تجسر على نقلهِ من مكان الى آخر الاَّ برضاهُ وموافقتهِ . ويقال ان عندهُ الآن الف مليون ريال (٢٠٠ مليون جنيه) لكن ثروتهُ اكثر من ذلك فان ثمن منابع البترول وحدها يبلغ خمسة آلاف مليون ريال على اقلّ تقدير وهي إما لهُ او مآلها اليهِ .وهو يستطيع ان يزيد ثمنها قدر ما يشاء بزيادة ثمن البترول وقد ضاعف ثمن الكازولين بكلمة واحدة حالما عرف ان طلبهُ سيزيد باستعمال مركبات الاوتوموبيل لهُ فزاد ربحهُ منهُ اضعافاً مضاعفة

ومما لا ريب فيهِ انهُ لو شاء ان يبيع كلَّ ما يمتلكهُ الآن باسعارهِ الحالية ما وُجد في الولايات المتحدة كلها بل في العالم باسرهِ ذهبٌ كافٍ لدفع الثمن نقداً . فتضطر البنوك ان تعمل اوراقاً مالية غير التي فيها لدفع المال المطلوب لهُ

ولهُ كثير من سكك الحديد ملكاً وجميع سكك الحديد الاميركية تحت سلطتهِ فهو سلطانها الذي يُجاب ولا يُعانَد. وقد اخذ يدرب الآن احد ابنائهِ على ادارة سكك الحديد حتى اذا مات خلفهُ من يستطيع احتكارها كما احتكر هو زيت البترول . وهو صاحب شركات الكهربائية والغاز التي تنير مدينة نيويورك وغيرها من مدن اميركا الكبيرة. ولهُ اكثر الاسهم في سكك الحديد الممتدة في شوارع نيويورك ومدن كثيرة غيرها

ومن العبث ان يفكر احد في تقدير ممتلكاتهِ كلها فيقال بالاختصار ان المال مَلِك وهو مَلِك المال وتحت امرهِ نحو مليون من العمال الذين لهم حق الانتخاب . ولو اراد ان يزيد اجورهم ضعفين او ثلاثة لاستطاع لانهُ يتقاضى الزيادة من الجمهور باضافتها الى ثمن ما يشترونهُ او يستعملونهُ . وهم طوع امرهِ فيستطيع ان يتسلط بهم على كل الانتخابات من انتخاب رئيس الجمهورية الى انتخاب شيخ القرية فتصير حكومة البلاد في يدهِ ولكن مطامعهُ لا تتجه الى تلك الجهة فان التجارة والامارة لا تجتمعان في شخص واحد وركفلر تاجر لا امير فلا يمكن ان يحذو حذو نبوليون ولا يهمهُ التسلُّط على الممالك مثلهُ

وهو لا يميل الى الفخفخة والابهة الخارجية ولا يُعَدُّ من المسرفين ولا يستخدم احدًا من الخدم الذين لا عمل لهم مثلما كان يفعل الاغنياء من اهل الجاه والترف فهو من الوجهة الاقتصادية اقلُّ ضررًا من امير او من وجيه يقوم الغلمان في بابهِ من غير عمل بعملونهُ . وهو خيرٌ وصيٌّ يمكن تعيينهُ لادارة اموالهِ . لا ينفق على نفسهِ من ثروتهِ الطائلة سوى النزر القليل لضعف معدتهِ ولا يتمتع من الملاهي بسوى لعبة "الجولف" ولا يراهن فيها على اكثر من ريال . وقد عمَّر بيوتًا كثيرةً فاغتنى كثيرون بالاتصال بهِ او بالانتفاع منهُ ولا يبعد ان يكون قد خرب بيوتًا اخرى من الذين تضاربت مصالحهم ومصالحهُ ولكن يقال بالاجمال انهُ هو وامثالهُ قوة عظيمة في الدنيا لتكثير الراحة وتقليل التعب

توحيد الدين العثماني

رغمًا عمَّا ينتاب الدولة العثمانية من المتاعب في الزمن الحاضر نرى المتمولين من الاوربيين لاهين عن حوادث مقدونية ودائبين وراء توحيد الدين العثماني الذي تتولى ادارتهُ لجنة دولية منذ ٢٢ سنة . وهذا التوحيد ليس بحديث العهد اذ ان الدولة العثمانية حاولت منذ سنوات تغيير الهيئة التي عوَّل عليها دائنوها لاستيفاء ديونهم . فالارادة السنية التي صدرت في شهر محرم سنة ١٢٩٩ قاضية بنوعية دفع فوائد القروض التي عقدتها الدولة حتى سنة ١٨٧٥ واقساطها لم تكن مستوفاة الشروط من حيث التقسيط على الاخص . لهذا ارتأت الدولة ان تحوّر بعض البنود من تلك الارادة آملة اصابة بعض الفوائد المالية من وراء التحوير . وآخر ما عولت عليهِ هو ان تكل الى المسيو روفيه قبل توليهِ وزارة المالية الافرنسية تحقيق امانيها. وقبل شروعنا في الكلام عن كيفية توحيد الدين العثماني يجدر بنا ان نبين اصلهُ

في ٢٠ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٨١ صدرت ارادة سنيَّة دعاها الماليون ارادة محرَّم وبها جمع شمل القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٥ اي الى اليوم الذي فيهِ توقفت الدولة العثمانية عن دفع اقساط الدين وفوائدهِ . وهذه القروض مع فوائدها المتأخرة واضافة ١٠ بالمائة اليها عوضًا عن الفوائد التي لم تدفع في اوقاتها بلغت ١١٦١٣٥٠٦٢ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١

ولما كانت اكثرية الدائنين من الاجانب تشكلت لجنة بالنيابة عن الدائنين غرضها استيفاء هذه الديون من بعض الايرادات كالملح والتبغ والمشروبات الكحولية ومصائد الاسماك

واعشار الحرير والدخان الخ . وهذه اللجنة لا تزال حتى اليوم صاحبة الحل والعقد في جباية تلك الايرادات وصرفها في استهلاك الدين . وقد نهضت بهذا الحمل نهضة كانت الداعية الى عقد الدولة قروضاً جديدة تحت شروط لا تحسب مجحفة بثقة المالية العثمانية لان الفرق بين اسعار القروض القديمة وفوائدها وبين اسعار القروض الجديدة وفوائدها ظاهر لا يحتاج الى اعمال الفكرة

وقد اتخذت اللجنة طريقة حسبتها مصيبة في البداءة وهي تقسيم الديون الى اربعة ابواب لقبتها A. B. C. D وهذه الابواب لا تختلف الاَّ في نوعيَّة الاستهلاك اذ ان الفائدة واحدة للكل على السواء وهي ١ في المائة والفرق الذي نراهُ في اسعار هذه الابواب تسببهُ سرعة الاستهلاك واما الباب الاول A فانهُ قد استهلك تماماً ولم يبقَ منهُ شيء

وكيفيَّة الاستهلاك هي هذه : تشترى القراطيس في البورصة بسعر لا يتجاوز ٦٦ ٢/٣ في المائة اذا كانت الفائدة ١ في المائة واما اذا زيدت هذه الفائدة الى ١ ٢/١ في المائة يكون المشترى بسعر لا يتجاوز ٧٥ في المائة . وهذه الطريقة لا تزال جارية حتى اليوم اي ان الفائدة لم تتعدَّ ١ في المائة . وهذا ما دعا الى زيادة الاموال الاحتياطيَّة في آخر كل عام وعجَّل في الاستهلاك الى حد ان الدين العثماني قد استُهلك منهُ حتى الآن ٢٤ مليونًا من الليرات العثمانيَّة . ومما زاد في سرعة الاستهلاك تخصيص ١٥٩٥٠٠ ليرة عثمانيَّة كل سنة لهذه الغاية وهذه الكمية حصلت من تحويل الدين الممتاز سنة ١٨٩٠ اذ ان فائدة هذا الدين اصبحت منذ ذاك الحين ٤ في المائة بدلاً من ٥

اقتراح المسيو روفيه

لما انتدبت الحكومة العثمانية المسيو روفيه كما قلنا سابقاً للبحث عن طريقة توحيد الدين رأى ان لا بدَّ من اصدار قرض جديد قدرهُ ٣٢ ١٧٥ ٠٠٠ من الليرات العثمانيَّة بفائدة ٤ في المائة يتم استهلاكهُ في مدة ٤١ سنة ويكون مضمونًا بالايرادات الحالية التي جُعلت منذ اواخر سنة ١٨٨١ ضمانًا للقروض القديمة . والايرادات المشار اليها تبلغ نحو ٢ ٢٩٠ ٠٠٠ ليرة عثمانيَّة سنويًا . فاذا اسقطنا منها ٤٣٠ ٥٠٠ ليرة للدين الممتاز و ٢٤٠ ٠٠٠ ليرة للسكك الشرقية بقي ١٦١٩ ٥٠٠ ليرة وهذه الكمية تكفي لاقساط الدين الجديد وفوائده اذ ان المبلغ اللازم لذلك هو ١ ٥٢٨ ٠٠٠ ليرة . واما كيفية التحويل فهي هذه : يعطى من القراطيس الجديدة لحاملي القراطيس القديمة B ما يعادل ٦٦ في المئة ولحاملي القراطيس C ٤١٫٦٢ في المئة ولحاملي القراطيس D ٣٧٫٥٠ في المئة وهذا التحويل يكفل الفوائد الآتية :

لحاملي القراطيس B ٦٤ ٬٢ في المئة ولحاملي القراطيس C ٣/٢ ١ في المئة ولحاملي القراطيس D ٣/١ ١ في المئة

غير ان المسيو روفيه اصبح بعد عودتهِ الى الوزارة المالية الفرنسيَّة غير قادر على متابعة البحث في ما انتدبتهُ اليهِ الحكومة العثمانية فاخذ البنك العثماني في المخابرة مع الباب العالي بهذا الشأن وقدَّم اقتراحين احدهما مطابق في كثير من الوجوه لاقتراح المسيو روفيه والثاني يختلف عنهُ بعض الاختلاف

اقتراح البنك العثماني

يرتئي البنك العثماني في الثاني من اقتراحيهِ اصدار قرض يبلغ ٤١ مليونًا من الليرات العثمانيَّة ويضم الدين الممتاز الى الدين المقصود توحيدهُ . فهذا القرض الاخير يقتضي استهلاكهُ ٤٠٠٠٠ ليرة سنويًّا زيادة عن القرض الاول ويتعين اذ ذاك للسكك الشرقية ٣٠٠٠٠٠ ليرة في السنة

اقتراح المستر سمث

عدا الاقتراحين السابقين نرى اقتراح المستر سمث وكيل الدائنين الانكليزيين ورئيس ادارة الدين العثماني حاليًا . وهذا الاقتراح يختلف اختلافًا تامًّا عن الاقتراحين اللذين ذكرناهما . فالمستر سمث لا يرتئي اصدار قرض جديد بل يذهب الى زيادة الفائدة السنويَّة من ١ الى ٤/١ ١ في المئة طبقًا لرغبة فريق كبير من حاملي السندات واكثرهم من الانكليز . ومن مدة سنوات كثيرة كان هؤلاء قد طلبوا هذه الزيادة ولم يجب طلبهم خوفًا من ان الزيادة لا يستطاع ادامتها حتى منتهى استهلاك الدين ثم يصعب العود الى الفائدة القديمة اي الى ١ في المائة . فاقتراح المستر سمث فيهِ بعض الافضلية من حيث الفائدة المالية الممكن حصولها للخزينة العثمانية حالاً فضلاً عن اتقاء المصاريف التي لا بدَّ منها عند كل تحويل جديد لكن فيهِ بعض الغبن على حاملي قراطيس السكك الحديد الشرقية وربما لقي معارضة منهم . وخلاصة اقتراحهِ ان يدفع للخزينة العثمانية ثلاثة ارباع الزائد عن المبلغ اللازم للفوائد والاقساط بعكس ما هو جارٍ الآن اذ ان كل الايرادات تبقى في قبضة ادارة الدين الى ان يتم استهلاك كل الديون التي شملتها ارادة محرَّم

يرى مما تقدم ان كل قرض من القرضين اللذين اشار بهما المسيو روفيه والبنك العثماني لا يتم استهلاكهُ قبل ٤١ سنة وفي آخر هذه المدة يتم ايضًا استهلاك الدين العثماني الحالي اذا ظلت الحال كما هي الآن وذلك لان القراطيس B تستهلك في مدة ٩ سنوات والقراطيس

C في مدة ٣٠ سنة والقراطيس D في مدة ٤٠ سنة على الاقل

ولنبحث الآن عن الفرق بين الاقتراحات التي ذكرناها والطريقة الحالية

(١) اقتراح المسيو روفيه واقتراح البنك العثماني :

لا تأمل الدولة اصابة فائدة مالية عاجلة من وراء اقتراح المسيو روفيه لان الايرادات تقدر بـ ٢٢٩٠٠٠٠ ومن هذا المبلغ يفيض ٩٠٠٠٠ ليرة تقريباً بعد دفع مخصصات الدين الممتاز والسكك الشرقية وبما ان التوحيد يتطلب مصاريف غير قليلة لا يبقى للخزينة العثمانية سوى قسم طفيف لا يفي اتعاب الدولة ومشاغلها مدة سنوات طويلة فضلاً عن بقاء ايراداتها مرهونة لمدة ٤١ سنة وخاضعة لسيطرة الادارة الدولية . وهكذا قل عن اقتراح البنك العثماني (وهو الاقتراح المعول عليهِ اليوم) وان نجم للدولة عنهُ قبض ١١٠٠٠٠٠ ليرة معجلاً بداعي زيادة مبلغ القرض الجديد لاشتمالهِ على الدين الممتاز الذي لم يشملهُ اقتراح المسيو روفيه

(٢) اقتراح المستر سمث : لم يصادف هذا التقرير قبولاً عند الحكومة العثمانية لانها ترى فيهِ بقاء الايرادات مدة طويلة تحت سيطرة ادارة الدين وان اصابت بعض الاموال من وراء هذا الاقتراح الذي يحتم بتسليمها ثلاثة ارباع الزائد عن مخصصات الدين

فاذا تأملنا في حالة الحكومة العثمانية رأيناها الآن مرتبكة البال بشأن توحيد دينها . فهي من جهة لا ترضى بزيادة الفائدة الحالية الى ½ ١ في المئة كما عولت عليهِ اكثرية دائنيها وربما جرت هذه المسألة الى التحكيم . ومن جهة اخرى لا تجد سبيلاً الى قبض كمية طائلة من وراء اقتراحي المسيو روفيه والبنك العثماني فضلاً عن بقاء ايراداتها الكافلة لديونها القديمة في قبضة دائنيها . فبعد رؤيتها انها قبضت من وراء تحويل دين الجمارك ١٩٠٠٠٠٠ ليرة ومن وراء تحويل دين مصائد الاسماك ١١٠٠٠٠٠ ليرة رغماً عن كون هذين القرضين لم يبلغا معاً سوى ٦١٠٠٠٠٠ ليرة تقريباً عند تحويلهما مع ان الباقي من القراطيس D,C,B. هو مبلغ ٧٧١٠٠٠٠ ليرة لا تجد بدّاً من متابعة المخابرات علّها تبلغ امنيتها هي قبض مبلغ اعظم اما بزيادة مبلغ القرض الجديد واما باطالة مدة استهلاكهِ لان حالتها الحاضرة تستدعي بعض المصاريف التي لا مهرب لها منها . وعلى كل لا نظنها الأ راضية باقتراح البنك العثماني اذ ان مماطلتها ربما جرت عليها بعض الخسارة بداعي زيادة الفائدة كما يشتهيهِ فريق كبير من حاملي قراطيسها استناداً على المادة الحادية عشرة من ارادة محرم

ثم باي سعر يصدر القرض الجديد . فاذا تصفحنا الجداول المنشورة عن قيم القراطيس في بورصة باريز وجدنا ان القراطيس العثمانية التي فائدتها ٤ في المائة يساوي الواحدُ منها ٤٨٠

فرنكاً اي بنسبة ٩٦ في المائة لان سعرها الاسمي هو ٥٠٠ فرنك . ومعلوم ان هذه القراطيس تتعلق رأساً بوزارة المالية العثمانية ويحسب حاملو القراطيس ان ضمانتها لا تعادل ضمانة القرض الجديد لان الكافل لهذا القرض هو الايرادات الحالية الممنوحة للدائنين القدماء منذ سنة ١٨٨١ وهذه الايرادات ستبقى تحت سيطرة اللجنة الدولية كما هي الآن . فلذلك لا نزال في غلط اذا قلنا ان سعر القرض الجديد لا يقل عن ٩٦ في المائة

فمن هذه الملاحظة يصح الاستدلال على ان الدائنين القدماء سيجنون من وراء القرض الجديد ارباحاً لم يكونوا لينتظروها وهذه الارباح تتراوح بين ١٨ و ٢٤ في المائة ويسبق كدليل صادق على الكسب ارتفاع اسعار القراطيس العثمانية في هذه الآونة الاخيرة

بنك باره بالبرازيل يوسف ضاهر

ربّات التحرير وربّات الخدور

دع ابناء المشرق يتجادلون في وجوب الحجاب وحبس النساء في الخدور ويوجبون ما لم يوجبهُ اسلافهم الاولون[1] ولا شاع في بلاد الأُمم مال نجم سعدها الى الافول وهلمَّ بنا الى ربوع اوربا واميركا حيث يشارك النساء الرجالَ في كل الاعمال لا في الحرث والزرع والحِرَف الحقيرة فقط كما يفعل نساء الفلاحين والفقراء عندنا بل في الاعمال الكبيرة ايضاً التي تقتضي علماً ودراية كالطب والتجارة والتحرير والمحاماة

اطّلعنا الآن على مقالة في مجلة كاسل الانكليزية وصف فيها كاتبها النساء محرِّرات الجرائد في مدينة لندن ويظهر من وصفهِ ان اولئك الكاتبات يحررنَ جرائدهنَّ او جرائد غيرهنَّ اسماً وفعلاً فيبحثنَ عن المواضيع وموادها وينشئنَ المقالات فيها ويحررنَ ما ينشئهُ غيرهنَّ كما يفعل كبار المنشئين والمحررين. من هؤلاء المحررات مسز بير وهي صاحبة الجريدة المسماة صندي تيمس وقد كانت مساعدة في تحرير الجريدة المسماة بالابزرفر لما كانت تلك الجريدة لزوجها . ثم انشأت الصندي تيمس واشتغلت بتحريرها فصيّرتها من الجرائد ذات الشأن

---

(١) قال الامام الرحالة شرف الدين بن بطوطه في رحلته المشهورة انه دخل دمشق وسمع في جامع بني امية على جلة علمائها فاجازوهُ كلهم وفي جملتهم الشيخة الصالحة ام محمد عائشة بنت محمد بن مسلم الحرَّاني والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين احمد المقدسي وكان ذلك سنة ست وعشرين وسبعماية للهجرة الموافقة سنة ١٣٢٦ للميلاد

ومنهنَّ مس هلدا فردركس وهي لغوية مشهورة تتكلم بكل اللغات الاوربيَّة . تعرَّف بها المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزيَّة حينما كان عازماً على تحرير البال مال غازت فطلب منها ان تكون سكرتيراً لهُ فقبلت ذلك وصارت تكتب في جريدتهِ ايضاً وكان ينظر الى مقالاتها كما ينظر الى مقالات الرجال تماماً ويعطيها اجرة ما تكتبهُ كما يعطي الرجال الذين يكتبون مثلها . ثم لما ترك تلك الجريدة كانت قد صارت من المحررين فيها فتركتها هي ايضاً وانضمت الى محرري الوستمنستر غازت . ثم عرض عليها تحرير الوستمنستر بدجت فقبلتهُ وجرت في تحريرها على خطتها وهي خطة الاحرار ويقال انها من النابغات في انشاء المقالات السياسيَّة

ومنهنَّ مسز بدفُرْد فنِك صاحبة جريدة التمريض . اخذت في تحرير هذه الجريدة لكي تبين نفع الممرضات وتنقل اليهنَّ الفوائد التي يحتجنَ اليها وتحث الامَّة على تعليمهنَّ والاعتماد عليهنَّ . ورأست فرع التمريض في معرض شيكاغو وكان لها شأن كبير في المؤتمر الذي تلاهُ . وانشأت مؤتمر التمريض في مدينة لندن. ولمَّا نشبت الحرب بين تركيا واليونان جمعت مايكفي من المال ومضت الى ساحة الوغى ومعها ثلاثون من الممرضات الانكليزيات لتمريض الجرحى

ومنهنَّ مس جوبت هيل وقد ربيت في قصر الملكة فكتوريا لان اباها كان خزنداراً لهُ ودرست في مدرسة الملكة.وعُرض منصب مساعدة في تحرير جريدة ميرا على احدى صديقاتها فوجدت نفسها غيرقادرة عليهِ واشارت على الذين عرضوهُ عليها ان يعرضوهُ على مس هيل فعرضوهُ وقبلت بهِ من غير تردُّد وكان ذلك منذ خمس عشرة سنة وهي الآن المحررة الاولى لتلك الجريدة ولها في هذا المنصب سبع سنوات

ومنهنَّ مس رنا شل محررة جريدة السيدة (لادي) والذي ينظر اليها وما على صدرها من الحلى وما في غرفتها من فاخر الاثاث يظنها من الغواني ذوات الغنج والدلال ولكنهُ اذا تكلم معها رأى علماً وذكاء وهمةً عالية . وقد ابتدأت من الدرجة السفلى في تحرير الجرائد وارتقت رويداً رويداً الى ان صارت رئيسة التحرير

ومنهنَّ مسز هركورت وليمصن وقد انشأت جريدة اسبوعية منذ سنة ونصف فابلغتها الدرجة العليا بين الجرائد الاسبوعية لانها كثيرة التردد على بلاط الملك وعلى قصور الامراء والعظماء فتقف على اخبار يتعذر على غيرها الوقوف عليها . وهي بارعة في التحرير لانها مارست هذه الصناعة عند رجل من كبار المحررين وكانت تكاتب جريدة العالم (الورلد) وتكتب فصول الجمعيَّة في الدايلي مايل ثم في الدايلي اكسبرس

وذكرت مجلة كاسل كثيرات غير هؤلاء المحررات اجتزأنا عن ذكرهنَّ بمن ذكرنا

هذا وكثيرات من النساء الاوربيات والاميركيات يؤلفن الكتب المختلفة الانواع ولاسيما الروايات وقد جارين الرجال في هذا المضمار او فقنهم فيهِ وهنَّ يكتسبن من رواياتهنَّ كما يكتسب الرجال او اكثر وبعضهنَّ يكاتبن المجلاَّت الكبيرة. وقد ذكرنا غير مرة انك اذا رأيت في المجلة خمس عشرة مقالة فالغالب ان ثلاثاً منها باقلام النساء . واكثر كتابتهنَّ في المواضيع الادبيةْ والاجتماعيةْ مثال ذلك الجزء الاول من مجلة القرن التاسع عشر الصادر في غرة هذا العام فيهِ خمس عشرة مقالة ثلاث منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي غندولين رمسون وموضوعها هل الآداب احط الآن مما كانت عليهِ قبلاً

والثانية بقلم مس اني غلادستون وموضوعها نظرة اخرى الى روايات جنة اوستن . وجنة اوستن هذه كاتبة انكليزيةٌ شهيرة قال ماكولي الكاتب الثقة انها في مقام شكسبير وفضَّلها هولس على سكوت وبلوَر ودكنس وثكري وجورج اليوت وكلهم من نخبة كتَّاب الانكليز بل هم اشهر مؤلفي الروايات

والثالثة بقلم مسز كليفورد وهي رواية تمثيليةٌ صغيرة

وفي الجزء الصادر في فبراير ست عشرة مقالة اربع منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي بنسنبي عن بورت رويال وبسكال وقد ابدعت في وصف ذلك الدير وذكرت من اوصاف بسكال وشدة تدينهِ ما قلما تراهُ في ترجماتهِ . والثانية بقلم السيدة مود بونسفرت عن مدينة وشنطون عاصمة جمهورية اميركا . والثالثة بقلم مسز فردرك هريصن زوجة فردرك هريصن الفيلسوف الشهير وموضوعها الخادمة ومولاتها استهلَّتها بقولها ان جماعة من السيدات كنَّ مجتمعات في بيت وجعلنَ يذكرن ما يمكن ان يفتخرنَ بهِ لو عشنَ سبعين سنة اخرى في مدينة لندن مما يتمتعنَ بهِ الآن فقالت الواحدة اني اقول كنت ساكنة في بيت وحدي وكلهُ لي وقالت الثانية وانا اقول انهُ كان لي مركبة تجرها خيولي . وقالت الثالثة وانا اقول اني كنت اكتب مكاتيبي بقلمي . وقالت ربة البيت اني اقول انهُ كان عندي خدم يخدمنني . ثم اخذت الكاتبة في تفصيل ذلك كلهِ وسرعة انتشارهِ في تلك المدينة حتى تصير البيوت شققاً يسكنها الناس ويقدَّم لهم فيها ما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب باقل ما يكون من النفقة . ثم ابدت النصائح الكثيرة للبنات لكي لايحتقرنَ الخدمة في البيوت بل يفضلنها على غيرها من الاعمال التي يستطعنَ عملها والنصائح لربات البيوت ليعاملنَ الخادمات كبناتهنَّ فيخدمنهنَّ بامانة ونشاط وتصير الخدمة البيتيةُ من الاعمال الشريفة التي يُرغب فيها . والرابعة بقلم مسز بارنت عن كيفيةُ انشاء توينبي هول وهي دار في افقر احياء لندن ينزل فيها اهل الفضل لكي يستطيعوا

ان يعاشروا السكان ويعلموهم ويساعدوهم وقد سميت كذلك نسبة الى المستر توينبي الذي اشتهر بعلمهِ وفضلهِ ومبراتهِ الكثيرة وكان لهُ اليد الطولى في انشاء هذه الدار ثم توفي شابًّا وعمرهُ احدى وثلاثون سنة واقترحت مسز بارنت الكاتبة ان تسمي باسمهِ فانشأَها زوجها القانون بارنت وسميت باسم توينبي . ووصفت في هذه المقالة كيفية اهتمام جلة القوم من الانكليز ولاسيما من تلامذة اكسفرد وكمبردج باصلاح شأن الفقراء

وقد طالعنا كثيرًا مما يكتبهُ نساء الافرنج في مواضيع مختلفة فرأَيناهنَّ يطرقن في الغالب المواضيع الادبيَّة التي من هذا القبيل ولا يكتفين بالاقوال والآراء بل يدرسنَ ويبحثنَ ويحققنَ ثم يستخلصنَ نتيجة بحثهنَّ وينشرنها والغالب انهنَّ يكتسبنَ باقلامهنَّ كما يكتسب الرجال لانهنَّ يتأهلنَّ للكتابة مثلهم ويجتهدنَ اجتهادهم

سدني كوبر المصور

اذا صحَّ للناس ان يكرموا الذين فاقوا في اتقان الفنون المادية التي تقضى بها حاجات الجسد العرضيَّة فما اخلقهم ان يبالغوا في اكرام الذين اتقنوا الفنون الجميلة التي تقضى بها حاجات النفس الجوهرية كالشعر والموسيقى والتصوير

على ان الناس لم يقصروا في اكرام الشعراء والموسيقيين والمصورين في كل عصر وقطر فان كان اليونان قد اكرموا ارسطو وسقراط وافلاطون وغيرهم من كبار فلاسفتهم فهم قد الهوا هوميرس شاعرهم المشهور من قبلهم وفيدياس النحات الشهير . وان كان الرومان قداقاموا التماثيل لفلاسفتهم فهم قد رفعوا اسم فرجيل شاعرهم فوق كل اسم . وذكر رفائيل وانجلو ودانتي وروسيني احلى في مسمع كل ايطالي من ذكر غليليو . والالماني يطرب لذكر جيتي وبيتهوفن اكثر مما يطرب لذكر هجل الفيلسوف الكبير . وذكر هيجو عند الفرنسوي اطيب من ذكر لافوازيه وديماس . وكل انكليزي يرى في صور كوبر الحقيقية من المعاني ودواعي انبساط النفس وانشراح الصدر ما لا يراهُ في صور الفيلسوف هربرت سبنسر الخيالية

وكوبر الذي نحن في صدد الكلام عليهِ من اعظم مصوري الانكليز في القرن التاسع عشر واعظم ما اشتهر بهِ صورهُ عن قطعان الغنم والبقر السائمة في مراعيها الرابضة في مراتعها فوصف بقلم المصور قناعة البقر ووداعة الغنم وصفًا يعجز ابلغ الكتَّاب عن المجيء بمثلهِ لانهُ مثَّل بهِ الطبيعة كما ترى في الصورة التالية

ولد صاحب الترجمة سنة ١٨٠٣ ايام كان الانكليز يحاصرون عكاء بقيادة الاميرال السر سدني سمث وكان لهُ عم من ضباط بارجتهِ فلما انتهى الحصار سألهُ السر سدني سمث عما اذا كان عندهُ اخبار من عائلتهِ في انكلترا فاجابهُ ليس عندي اخبار تذكر سوى انهُ ولد لشقيقي ابنٌ آخر منذ غادرنا انكلترا فقال لهُ السر سدني قل لهم اذا ان يسموهُ باسمي. ولكن لم يبلغهم ذلك حتى كانوا قد عمَّدوا الطفل وسموهُ توماس فاتخذ لنفسهِ اسم سدني فيما بعد فصار اسمهُ توماس سدني كوبر

ولد فقيرًا وعاش كدودًا . وشغف بالتصوير وهو طفل صغير ولما بلغ التاسعة من عمرهِ لم يكن في جيبهِ درهم ففي ذات يوم تأبط لوح حجر وسار الى المروج يشئاً منقبض النفس لفقرهِ وكان قد لقي رفيقاً لهُ في اثناء الطريق فاخبرهُ رفيقهُ ان اباهُ سيرسلهُ مرتين في الاسبوع الى معلم يعلّمهُ الرسم والتصوير فزاد وجهُ كوبر اكتئاباً ونفسهُ انقباضاً على ذلك الخبر. فسار الى المروج المذكورة وجعل ينتقل فيها من مكان الى مكان حتى قاربت الشمس الزوال واخذت تتوارى في الحجاب وسالت بفيض شعاعها الذهبية الاودية والهضاب فأثر ذلك المنظر تأثيرًا عظيماً في نفسهِ وصورهُ بعد اربعين سنة فجاءت صورتهُ بديعة المثال بعيدة الشهرة فسماها "انقشاع الغيوم عند المغيب" وكانت رائد اشتهارهِ واول معارك انتصارهِ

ولما بلغ الحادية عشرة من العمر كان بونابرت يتهدد اوربا بحروبهِ فرأى بلوخر في لندن قبل اشتراكهِ مع دوق ولنتون في معركة ووترلو الشهيرة ورأى الجنود تجمع استعدادًا للذهاب الى محاربة بونابرت بعد هربهِ من جزيرة ألبا وكان اذ ذاك تلميذًا في المدرسة

قلنا انهُ كان فقيرًا فلم يستطع الانفاق على نفسهِ لتعلُّم التصوير ولكن صديقاً لاهلهِ استخدمهُ لدهن المركبات وتلوينها فتعلَّم التلوين وتمرَّن عليهِ مدة واهدى اليهِ بعض المصورين رزمة من اقلام الرسم والتلوين ولكن لم يكن معهُ مبراة ليبريها بها فرأى ذات يوم كاهناً يتمشى على الطريق وبداهُ خاف ظهرهِ فتقدم منهُ وسألهُ عما اذا كان معهُ سكين فأجابهُ بالايجاب وقال ماذا تريد بها فاخبرهُ بمرادهِ فرقَّ لهُ وبرى اقلامهُ كلها وكان كوبر قد اراهُ بعض صورهِ فاعجب بها واطنب في مدحها ثم سار في سبيلهِ ولم يكد يغيب عن بصرهِ حتى علم انهُ رئيس اساقفة كنتربري وكان في طليعة الذين جرَّأوهُ على عملهِ فانهُ اشترى صورة من صورهِ بخمسة جنيهات وكان قد طلب بها خمسة شلينات

ولم يعدم نصراء آخرين غير رئيس الاساقفة فان طبيباً في الجيش رثى لهُ وكان بارعاً في التصوير فعلَّمهُ بعض الشيء منهُ . وما زال يكدُّ ويجدُّ حتى استخدم في جمعية تمثيل لتصوير

المناظر وكانت تعطيهِ جنيهاً في الاسبوع . ولكنهُ عاد بعد ذلك الى دهن المركبات وتلوينها حتى اسعدهُ الحظ بدخول مدرسة التصوير فدرس فيها بعض المبادىء الى ان اضطرهُ اعوازهُ ان يعود الى وطنهِ حيث اخذ في تعليم مبادىء الرسم والتصوير لبعض الاولاد فكان يقطع نحو ١٥٠ ميلاً في الاسبوع وهو يجول من مكان الى مكان لتعليم صناعتهِ



منقولة عن صورة من صور كوبر الشهيرة

ولما بلغ الرابعة والعشرين اتفق هو وصديق لهُ على السفر الى اوربا والاشتغال بفن التصوير هناك فسافرا الى فرنسا ولم يكونا يعرفان الفرنسوية ولكن كوبر كان يحسن اللعب على الفلوت فقال لصديقهِ اذا لم استطع كسب رزقي بالتصوير كسبتهُ باللعب على الفلوت . ثم سافرا الى دنكرك فبروكسل عاصمة البلجيك وجعلا يعملان اولاً في كتابة آرمات الحوانيت ودهنها . ووجد كوبر تلاميذ من كبراء القوم فتعرف باحدمشاهير المصورين بواسطتهم

ولم تمضِ على ذلك سنتان حتى تزوج ابنة رجل انكليزي ساكن في بروكسل ثم عاد الى انكلترا بامراتهِ وكان في جيبهِ ثلاثة عشر جنيهاً لا غير فاقام في كنتربري ثم في لندن حيث اتفق هو ورجل آخر ان يرسم لهُ رسوماً على ان يأخذ خمسة شلينات ثمن كلٍ منها فنجا بذلك من مخالب الموت جوعاً هو وزوجتهُ

وذات يوم جال في خاطره ان يصوّر البقر والغنم التي في الحديقة المعروفة برجنت بارك وكان ذلك بدء عمله الحقيقي فجعل يذهب كلَّ يوم الى المكان المذكور وفي جيبه برتقالة وقليل من الكعك ثم يجلس يرسم ويصوّر البقر والغنم حتى الساعة الرابعة مساء وكان يصورها في جميع حركاتها وسكناتها ولفتاتها وجثاتها · وكان بين تلك الانعام بقرة اراد تصوير حركاتها وهي تقضم العشب وتمضغهُ ولكنها كانت كثيرة الحركة لا تستقر على حال فاتعبتهُ جدًّا وقد قدر انهُ مشى نحو مئة ميل في اثرها حتى استطاع تصويرها

وقضى العمر وهو يعود الى تصوير قطعان الغنم والبقر وما يتّصل بها من مناظر المزارع والحقول والرعاة والفلاحين حتى بلغ فيها حد الابداع وصار لصوره المقام الاول في معارض الصور وتهافت المصورون على نقلها اكثر مما تهافتوا على نقل غيرها . وقد انتقدوا عليهِ في اول الامر هذا التكرار بل هذا الاختصاء لكنهم عادوا فاعترفوا لهُ بالفضل وبانهُ اجاد في اتقان شيء يتعذر على المرء اتقانهُ ان لم ينقطع لهُ . وقد خالف مقتضى طبعهِ مرارًا لكنهُ ما لبث ان عاد اليهِ حالاً وقد قال في صدد ذلك ما ترجمتهُ

"لقد حاولت مرارًا ان اعلو فوق المناظر العادية مناظر الحقول والقطعان لكنني كنت كمن يخالف طبعهُ فلا يقر لي قرار حتى اعود اليها"

ولم يكن قويّ البنية ومع ذلك عاش تسعًا وتسعين سنة . ولما بلغ الخمسين من عمره اصابتهُ تخمة شديدة وكان طبيبهُ يظنُّ انهُ لا يعيش الى الستين فهجر سكن المدن وفرَّ الى الجبال للاستشفاء من دائهِ ولكن صحتهُ لم تتحسن في بادىء الامر حتى ان طبيبهُ قال لهُ "كل ما استطيع عملهُ لك هو ان اخفف عنك آلامك لا ان اشفيك لانني لا استطيع ان اخلق لك معدة جديدة" فاجابهُ كوبر "اذًا انا اشفي نفسي" وهكذا فعل . فانهُ انقطع عن مآدب لندن وولائمها وهوائها المتكاثف بالدخان الى عيشة الجبال باكلها البسيط وهوائها النقيّ · وهاك ما كتب في وصف معيشتهِ حينئذٍ قال :—

"بذلت جهدي في استعادة صحتي فكنت انهض باكرًا وانصب لوحة التصوير قبل الفطور ثم اتناول الطعام الساعة الثامنة وكنت غالبًا ابدأُ العمل قبل الطعام · ولم اصوّر داخل المنزل بعد الساعة الثالثة · وكنت امشي خمسة اميال او ستة كلَّ يوم قبل العشاء ولكنَّ ذلك لم يشفني من التخمة والاضطراب العام الذي المَّ بي · ولقد عشت عيشة حرَّة غير مقيدة بقيود الهيئة الاجتماعية وروابطها حتى بلغت الثلاثين من العمر فلم اشرب كاسًا من الخمر لاني لم اعاشر الذين يشربونها ولا كانت دنياي تمكنني من شربها · وسأعود الآن الى

عيشة البساطة فاترك شرب الشاي واكتفي بالطعام الساذج في الصباح من مطبوخ الدقيق والملح بلا لبن . واعتني بمضغ طعامي جيداً فلا احمّل اسناني ما يجب ان تحملهُ السكين ولا احمّل معدتي ما تستطيعهُ اضراسي . ولا آكل اكثر مما اظنهُ كافياً لي لانني لا اريد ان انبش قبري باسناني وقد عزمت ان اسيّر حياتي في المستقبل على الخطة التي اتبعتها في صباي وهذا استطيعهُ في القرى اكثر مما استطيعهُ في المدن"

فكانت نتيجة السير على هذه الخطة انهُ عاش تسعاً وتسعين سنة . ولما بلغ السنة الثامنة والثمانين كان يستطيع القراءة بلا نظارات ويحسن التصوير بالالوان اكثر مما كان يحسنهُ وهو ابن ستين سنة وهذا ما قالهُ وهو يناهز التسعين :—

" اؤكد ان الرياضة اليومية وانتظام المعيشة وخصوصاً انتظام ساعات الطعام خير مساعد للانسان على مداواة عسر الهضم . فقد كنت امشي خمسة اميال او ستة كل يوم اما الآن فامشي ثلاثة او اربعة ولكن بانتظام وفي سرعة واحدة . واصوّر كلَّ يوم من الساعة السابعة صباحاً في فصل الصيف والساعة السابعة ونصف في فصل الشتاء حتى الساعة الثامنة وهي وقت تناول الطعام وبعد الطعام اعود الى التصوير حتى الغداء الساعة الثانية عشرة فآكل جيدًا واشرب قليلاً ثم اصوّر حتى الساعة الثالثة وحينئذٍ اخرج للنزهة واعود قبيل الساعة السادسة فاغتسل ثم اجلس للعشاء الساعة السادسة وكنت اشرب كأساً من الخمر مع العشاء ولكنني هجرتها وهجرت سائر انواع الخمر بعد مرضي الاخير. ثم اقرأ الجرائد . وفي الساعة التاسعة ادخن سيجاراً ثم انام الساعة العاشرة "

وعاش كذلك الى ان توفي في السابع من شهر فبراير سنة ١٩٠٢ وعمرهُ تسع وتسعون سنة وكانت شهرتهُ في تصوير المناظر الطبيعية قد طبقت البلدان وجمع من ذلك ثروة طائلة فانشأ مدرسة للتصوير في بلدهِ ووقف عليها ما يقوم بنفقاتها

هذا ومَن طالع فصل المصورين العظام في كتاب سر النجاح يجد ان كثيرين منهم نشأوا في الفقر وقاسوا شظف العيش وتحملوا اشد المشاق قبلما عرف معاصروهم قيمة اعمالهم وقدروهم قدرهم . ومنهم من مات ولم يُقدَّر قدرهُ الاَّ بعد موتهِ وكان يبيت على الطوى وتمرُّ الايام وهو لا يكاد يجد كفافهُ من الطعام . فلم يكن كوبر من الشواذ التي لا يبنى عليها حكم بل كان شأنهُ شأن كثيرين غيرهِ من كبار المصورين . فعسى ان يكون ذلك مشدداً لعزائم الذين تعاطوا هذه الصناعة من ابناء المشرق ولم يروا من مواطنيهم الاقبال الذي ينتظرونهُ

———

عمران العراق

العائلة

عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهباً للكلام على العائلة عند البابليين القدماء فاقتطفنا منهُ ومما كتبهُ غيرهُ في هذا الموضوع السطور التالية

اول شيء ينظر فيهِ عند البحث عن العائلة لمن من الزوجين كانت السيادة في البيت . فان الناس اختلفوا في ذلك والغالب ان السيادة كانت للزوجة اولاً ثم صارت للزوج الاَّ ان انتقالها من الزوجة الى الزوج لم يقع في وقت واحد ولا في درجة واحدة من درجات ارتقاء الامم . والامم التي عمَّرت بابل كانت من اصلين مختلفين احدهما يجعل السيادة للزوج والآخر يجعل السيادة للزوجة فالشعوب السمارية كانت من الاصل الثاني اي الذي يجعل السيادة للزوجة والشعوب السامية من الاصل الاول الذي يجعل السيادة للزوج كما يظهر من الاناشيد القديمة المحفوظة في لغتيهما

وبقي للمرأة شأن كبير عند البابليين فكان نساؤهم يشاركن الرجال في اعمالهم التجاريَّة يبعنَ ويشترين ويقترضنَ ويداعينَ في مجالس القضاء ويشهدنَ على الخصوم ويهبن املاكهنَّ . وقد وُجد عقد من عهد الملك نبونيدس الذي كان قبل المسيح بخمس مئة وخمس وخمسين سنة وفيهِ ان رجلاً كتب كل ما يمتلكهُ لابنتهِ وتعهَّدت الابنة ان تقوم بكل ما يحتاج اليهِ من مأكل ومشرب ومأوى . وصك من عهد قورش يقال فيهِ ان امرأة اسمها نبطة (اي نخلة) استأجرت عبدًا مدة خمس سنوات على ان يتعلم صناعة الحياكة ويحيك لها على نولها وهي تعطيهِ اجرة معلومة من الحبوب كل يوم . ويستدلُّ من ذلك انهُ كان عندها معمل للنسج وكانت تستأجر العبيد ليعملوا فيهِ . ويقال في نسبتها انها ابنة رجل سوري تبناهُ سوري آخر واستوطن بابل ولما مات المتبني ادَّعت زوجتهُ انها كانت تتجر مع زوجها بعد زواجهما واشتريا بيتاً دفعا ثمنهُ من صداقها وبلغ الثمن ١١٠ امناء و٥٠ شاقلاً او نحو ٦٢٥٠ غرشاً ولكن قام اخو زوجها وادَّعى انهُ من ممتلكات اخيهِ ورُفعت الدعوى الى ستة من القضاة في السنة التاسعة من مُلك نبونيدس فحكموا لها . وفي عقد من عهد ابرهيم الخليل ان رجلاً وهب زوجتهُ جارية لتكون ملكاً لها هي واولادها سواءٌ بقيت الزوجة في عصمتهِ او طُلّقت منهُ او مات عنها . وفي عقد من اول عهد نبونيدس ان رجلاً مصريًا استوطن بابل فاعطي الرعويَّة البابليَّة ومات عن ابن وابنة يورثاهُ معاً على السواء . ويقال في كتابة أُخرى ان رجلاً استدان مالاً من كمبيسس بن قورش

في السنة الرابعة لابيهِ ورهن عنده بيتهُ ثم توفي فرفع كبيسس الدعوى على ورثتهِ فأوفت زوجتهُ الدين واستفكَّت الرهن . ووجدت صكوك يقال فيها ان الرجال ونساءهم كانوا يستدينون الاموال معاً بالتضامن والتكافل وان النساء كنَّ يبعنَ العبيد او يشتربنها ويتاجرن ويداعين ونحو ذلك مما يدلُّ على ان المرأة كانت مساوية للرجل تماماً في كل الحقوق والمعاملات سواء كانت متزوجة او ايماً

وكان النساء مثل الرجال في الحقوق الدينيَّة كما في الحقوق المدنية فكان منهنَّ الكاهنات والنبيَّات والمترهبات في خدمة الآلهة وكان الملوك يستشيرونهنَّ كما يستشيرون الكهان . ومن هؤلاء المترهبات ابنة الملك امي صادق وهو الرابع بعد حمورابي

وكانت شرائع بابل تُطلق على كل مَن يستوطنها من الامم المجاورة وقد كشفت عقود وصكوك كثيرة من هذا القبيل مثال ذلك ان امرأة امورية رفعت دعوى على رجل وضع يدهُ على حقل كان لابيها فحكم لها بهِ ثم قام رجلان واختهما وادعوا على هذه المرأة واخيها بيت وحقل وعبيد فرفض القضاة دعواهم . ووجد في الكتابات التي كشفت في تل الامرنة بمصر رسالة بابليَّة من امرأة كنعانية تخاطب بها ملك مصر في بعض الشؤون السياسيَّة

والظاهر ان شرائع بابل كانت مرعيَّة في سوريَّة على عهد ابرهيم الخليل كما يظهر من اقتناء سارة لهاجر امتها ومن توريث بني اسرائيل بناتهم كما يرث ابناؤهم عند اول دخولهم بلاد كنعان

وكانت الزوجة تأتي بالصداق من بيت ابيها ويبقى صداقها ملكاً لها توصي بهِ لمن تشاء بعد موتها واذا طلِّقت من زوجها عادت بصداقها الى بيت ابيها . وكثيراً ما كان الزوج يلزم بنفقتها بعد طلاقها اذا كان ذلك مشروطاً في عقد الزواج مثال ذلك عقد تاريخهُ السنة الثالثة عشرة لنبوخذنصر فيهِ انهُ اذا تزوج الرجل امرأة اخرى فذلك بمثابة تطليقهِ زوجتهُ الاولى فيلزم بان يرد اليها صداقها ويعطيها ايضاً مناً من الفضة (اي تسع مئة غرش)

وكانت مفردات الصداق تذكر في عقد الزواج فالنقود يذكر وزنها والعبيد والجواري والمواشي والعقارات تذكر اعيانها وقيمتها فيقال مثلاً عبد ثمنهُ كذا شاقلاً وبيت ثمنهُ كذا مناً . وقد لا يدفع الصداق كلهُ فيتعهد الاب بدفعهِ بسند او برهن

وهذه العادة اي دفع صداق الابنة من ابيها لا من زوجها بابليَّة محضة مخالفة لعادة الاسرائيليين وغيرهم من الساميين فان الزوج منهم يدفع صداق زوجتهِ

واذا توفي ابو الابنة قبل زواجها تقوم امها بصداقها ولو كانت مطلقةً والاَّ قام بهِ اخوتها

مثال ذلك عقد تاريخهُ السنة السادسة عشرة للملك نبونيدس يقال فيهِ ان اخوين زوَّجا اختهما من رجل واعطياها صداقًا ارضًا موروثة من امها وعبدًا وثيابًا واثاثًا

وكان الزوج يهتم بصداق زوجتهِ ولهُ حق الانتفاع منهُ ما دامت الزوجة في عصمتهِ وكثيرًا ما كان يستعين بصداقها في عملهِ او تجارتهِ فقد وجدت صكوك يقال فيها ان الزوج والزوجة تشاركا في تجارة رأس مالها صداق الزوجة . ولكن الغالب ان الزوجة كانت تقوم بنفسها على استغلال صداقها او الاتجار بهِ

واذا توفي رجل واقترنت زوجتهُ برجل آخر اخذت صداقها معها . ويرث اولادها من زوجها الاول ثلثي صداقها عند موتها . وكذلك اذا تزوج رجل زوجة ثانية فلاولادهِ من زوجتهِ الاولى ثلثا ميراثهِ ولاولادهِ من زوجتهِ الثانية الثلث فقط . هذه هي الفريضة الشرعيَّة ويجوز تغييرها بوصية يوصيها الرجل ويشهد على صحتها شهودًا عدولاً

ولا يجوز للمرأة ان تهب صداقها او تبيعهُ في حياة والديها الَّا برضاهما فقد وجد صك بيع من عهد الملك نرجلشامر وفيهِ ان امرأة باعت عبدًا كان في صداقها ولم يصح البيع حتى امضى ابوها وامها على صحتهِ

والصداق لا يقطع الميراث فكانت الابنة ترث نصيبها من والديها غير صداقها وتتصرَّف باملاكها وكل ما تكتسبهُ تصرُّف المالك بملكهِ ولا تُسأل عن دين يستدينهُ زوجها او ذووهُ

ومجيء المرأة بالصداق من بيت ابيها جعل لها المنزلة المساوية لمنزلة الرجل وحفظ استقلالها ورفع مقامها في عيني زوجها وابقى لها حق التصرف المطلق بنفسها وممتلكاتها وجعلها شريكة لزوجها يتعاونان على اخلاف النسل وتربية الاولاد وقضاء مهام الحياة . ولو كان الصداق من زوجها لعُدَّ ثمنًا لها او قيمة تسليمها نفسها لهُ كما يقول الفقهاء عندنا فانحطَّت منزلتها كما انحطت في كل البلدان التي يكون فيها الصداق من الزوج

وقبل ذلك كان الزوج يعطي الصداق للزوجة والظاهر ان هذه العادة قديمة جدًّا واصلها سامي ايضًا وبقي منها حق الزوج في تطليق الزوجة وتشديد العقاب عليها اذا تركتهُ وتخفيف العقاب عليهِ اذا تركها . وبقيت هذه الشريعة من ايام ابرهيم الخليل الى امام نبوخذنصر فقد جاء في عقد زواج كتب في ايامهِ بين رجل وامرأة مغنية انهُ اذا طلقها فعليهِ ان يعطيها ستة امناء (٥٤٠٠ غرش) واما هي فاذا تركتهُ وصارت لآخر فعقابها القتل . والمرجح ان هذه المرأة لم تكن من مقام زوجها فهُدِّدت بالعقاب الشديد ردعًا لها عن البغاء ولم يكن معها صداق فكانت كاحدى السراري

وكان التسري شائعاً عندهم والسراري زوجات يشتريهن الازواج الاغنياء ويستولدونهنَّ ويعقدون عليهنَّ عقداً شرعياً واذا طلقوهنَّ وجب عليهم ان يعطوهنَّ ما يصير الاتفاق عليهِ في عقد الزواج مثال ذلك عقد كتبهُ رجل تزوج ابنة فاعطى امها مناً ونصفاً من الفضة (اي نحو ١٣٥٠ غرشاً) وعبداً ثمنهُ نصف منًا (٤٥٠ غرشاً) وتعهَّد انهُ اذا تزوج بأُخرى يطلق ابنتها ويعطيها مناً من الفضة (٩٠٠ غرش) ويردها الى بيت امها . فكأنهُ اشتراها بمالهِ ثم يضطرُّ ان يطلقها اذا تزوَّج باخرى لان الجمع بين زوجتين معاً لم يكن مباحاً . وكان يباح للاغنياء في الزمن الغابر ان يجمعوا بين زوجتين معاً فقد جاء في كتابة قديمة من عهد حمورابي ان رجلاً تزوَّج امرأَةً ثم تزوَّج ابنةً تبناها ابوها واشترط في عقد زواجها ان تخدم زوجتهُ الاولى فتهيئ طعامها وتحمل كرسيها الى الهيكل لتجلس عليهِ حينما تذهب الى العبادة . ويستدل من ذلك ان الزوجة الثانية كانت في مقام جارية مشتراة لانها لم تأْتِ بصداق ولانها قبلت ان تخدم الزوجة الاولى ولذلك يمكن ان يقال ان الاضرار لم يكن مشروعاً عند البابليين لا قديماً ولا حديثاً واما الطلاق فكان مشروعاً وكان يجوز للمطلقة ان تتزوَّج كما يجوز للارملة ولكن اولادها من زوجها الاول لا يرثون من زوجها الثاني . فقد جاء في كتابة تاريخها السنة التاسعة من ملك نبونيدس ان رجلاً اسمهُ بعل قصير تبنَّاهُ عمهُ وتزوج ارملة لها ولد ولم تلد لهُ اولاداً فطلب من عمهِ ان يسمح لهُ بجعل ابن زوجتهِ وريثاً لهُ فابى عمهُ ذلك وقرَّ القرار اخيرًا على انهُ اذا لم يولد لبعل قصير اولاد وجب عليهِ ان يتبنَّى اخاهُ حتى ينتقل ميراث عمهِ اليهِ ويبقى الارث في العائلة ولا ينتقل الى غيرها

ولم يكن الزواج عندهم شرعياً الاَّ اذا كتب بعقد شرعي وَقَّع عليهِ القاضي والشهود . وكان للزواج صفة دينيَّة ايضاً فتجري فيهِ بعض الرسوم ويقول الزوج للزوجة لقد صرتِ زوجتي وصرتُ زوجك ليمتلئ حضنك ذهباً وفضةً ولتثمري كما تثمر اشجار البساتين . ثم تشدُّ الاحذية على اقدام الزوجين ويعطيان كيساً فيهِ ذهب وفضة . واقتصرت الخدمة الدينيَّة في عهد نبوخذنصر على وضع يد العروس في يد العريس

وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ كلاماً مفادهُ ان البنات البابليات الجميلات كنَّ يقمن في هيكل الزهرة يتجرنَ بعرضهنَّ لكي يدفعن صداق الشنيعات لكن الآثار البابلية التي كشفت حتى الآن لا تؤيد هذا الخبر مطلقاً نعم كان في البلاد مومسات تعترف بهنَّ الشريعة وتحميهنَّ لكنهنَّ كنَّ فئة معلومة لا اتصال بينها وبين بقية النساء وكان للعفة والصيانة شأن كبير عند البابليين حتى انهم كانوا يعاقبون الزانية بالقتل . والظاهر ان ما ذكرهُ هيرودوتس كذب اختلقهُ

اليونان لتحقير البابليين

وكان الاولاد يرثون والديهم على السواء ذكورًا واناثًا الاَّ اذا اوصى والدوهم بغير ذلك والظاهر ان الوصية من مخترعات البابليين . وكان لا بدَّ من عقود شرعية لاثبات الملكيَّة مهما كانت فكل معاملات البابليين كانت بعقود مكتوبة يكتبها الكاتب ويوقعها القاضي حتى انتقال الاملاك من المورِّث الى المورَّث صار بعقد شرعي ومن ثم نشأت الوصيَّة اي انها كانت اولاً لتمليك الوريث حسب الفريضة الشرعية ثم صارت لتمليك العين سواء كانت ارثًا حسب الفريضة الشرعية اوهبةً حسب اختيار الموصي

من ذلك ان رجلاً اوصى بكل امواله لابنتهِ وكتب في رأس الوصية انهُ حرم ابنهُ لانهُ عقهُ . وكان مسَّاحًا ولهُ ثلثا مكتب للمساحة ولاخيهِ الثلث فاوصى لها ايضًا بما يخصهُ منهُ

ومما عُثر عليها من آثار اشور وصيَّة الملك سنحاريب فانهُ اوصى لابنهِ اسرحدون بخواتم من الذهب ومقادير كبيرة من العاج وكؤوس من الذهب وصحاف وقلائد وثلاثة حجارة كريمة زنتها منا ونصف وشاقلان ونصف

وقُتل سنحاريب في هذه الوصية لأنَّ ابنيهِ الاخرين تربصا الى ان مضى اسرحدُّون مع الجند الى ارمينية فقاما على ابيهما وقتلاهُ واغتصبا الملك . ووصيَّة سنحاريب غير مصدَّق عليها من المحكمة كأَن ملوك اشور كانوا فوق الشريعة اما في بابل فان معاملات الملوك كان يصدق عليها مثل معاملات الرعايا . وقد كشف عقد زواج ابنة الملك نرجل شرزر باحد قوَّاد جيشهِ وهو مثل سائر عقود الزواج وفيهِ شهادات الشهود

وكان التبني قديم العهد عندهم واساسهُ ان ملوكهم لا يحقون التسلُّط على المسكونة الاَّ بتبني الاله مردخ لهم. وكانت حقوق التملُّك مقرَّرة عندهم كما في كل البلدان التجارية فاذا كان لانسان ملك ولم يكن لهُ وارث رأَى من حقهِ ان يتبنى مَن يرثهُ حتى لا يضيع ملكهُ . وكان النساء يتبنَّين كالرجال لانهنَّ يمتلكن ويرثنَ ويورثنَ مثلهم

ولم يقتصر تبنيهم على الاحرار بل كانوا يتبنون العبيد ايضًا ومتى تبنَّوا العبد عُتِق ولم يعد استعبادهُ ممكنًا لانهُ يصير حرًّا الاَّ اذا نقض المتبني عهدهُ واعادهُ عبدًا ولذلك كان يقال ـــ في عقود بيع العبيد انهم لم يُتبنَّوا . وقد كشفت وقائع دعوى اقيمت على عبد اسمهُ براشيل ادَّعى انهُ تبني وعتق فبيعهُ فاسد وحكم في هذه الدعوى على العبد امام المحكمة الابتدائيَّة فاستأنف الى محكمة الشيوخ واستمرَّت المحاكمة زمانًا طويلاً في عهد نبوخذنصر ونبونيدس وذكرت المستندات التي تدل على ان الرجل عبد رقيق وقد بيع ورهن مرارًا وكانت عقود البيع

وعقود الرهن يذكر فيها انهُ لم يعتق ولم يتُبَنَّ واعترف العبد اخيرًا بانهُ لم يعتق قط فسلِّم لاسيادهِ

اما إبطال التبني فمثالهُ عقد قيل فيهِ ما ترجمتهُ " ان اقصى ابلا بن نورسن امضى عقدًا تبنَّى بموجبهِ عبدهُ رماني بل المسمى عادة رموت مقابل تقديمهِ الطعام والكساء لسيدهِ لكنهُ لم يقم بهذا العقد ولم يقدم لسيدهِ طعامًا ولا زيتًا ولا ثيابًا واما اساجل رمات بنت زيريا بن نبا زوجة ندين مردخ بن اقصى ابلا بن نورسن فآوت حماها وقدَّمت لهُ الطعام والزيت والثياب فلذلك الغى اقصى ابلا بن نورسن عقد التبني وامر رماني بل بعقد شرعي ان يخدم اساجل رمات وابنتها نبتا ويطيعهما . ومن يغير هذا العقد او ينقضهُ ليكن الاله مردخ والآلهة زرفانت خصيمهِ " ويلي ذلك اسماء اربعة شهود والكاتب وحاشية يقال فيها ان العقد كتب امام بسا بنت اقصى ابلا

ومن مزايا التبني عند البابليين منح الرعوية البابليَّة للاجانب فاذا نالها احدهم صار بابليًا ولو كان قبل ذلك عبدًا رقيقًا

وخلاصة ما تقدم عن نظام العائلة في بابل ان الإضرار كان نادرًا جدًا وانهُ كان للنساء الحق المطلق في امتلاك الاملاك وبيعها وفي كل المعاملات المدنيَّة . وانهنَّ كنَّ يأتين بالصداق من والديهنَّ او اقاربهنَّ فيصرفنَ بهِ مستقلات عن ازواجهنَّ . وان الصبيان والبنات كانوا يرثون على حدٍّ سوى ويحق للمورث ان يوصي بمقتنياتهِ لمن يشاء حتى صار التوريث نوعًا من الوصيَّة لدفع النزاع . وكان التبني شائعًا عندهم

وقد تقرَّر عندهم الاستقلال الشخصي وكانت حقوق الفرد مرعيَّة تمام الرعاية يحميهِ القانون ويطالبهُ كشخص مستقل . وقد بقي عندهم شيء من آثار حقوق الجماعة فاذا كُتب كتاب فتاة سمَّاها والداها او اخوتها او اقاربها الادنون الى زوجها واذا بيع ملك قديم شهد اقرباء البائع على صحة البيع وهذا وذاك من آثار الايام التي كانت فيها للجماعات حقوق مشتركة قبلما تتقرر حقوق الفرد ويتقرر استقلالهُ

وكان الميراث يقسم على الورثة من غير وصيَّة هكذا : الميراث كلهُ للزوج او للزوجة وبعدهُ او بعدها للاولاد على السواء حظ الذكر مثل حظ الانثى وحظ المتبنَّي مثل حظ الولد الحقيقي ويزاد حظ البكر مقابل اعتنائهِ بالتركة . ولما رأوا ان الورثة يختلفون احيانًا انشأوا مجلسًا حسبيًا يستلم الميراث الى ان تفصل بينهم محاكم القضاء ثم اعتمدوا على الوصيَّة دفعًا لكل نزاع وقلما كانوا يحيدون عن فريضتهم الشرعيَّة في وصيتهم

هذا ركن آخر من اركان العمران البابلي وسيأتي الكلام على بقيَّة الاركان التي ساد بها البابليون

حمّى الدنج (ابو الركب) [1]

بحث في باثولوجيَّة المرض وطرق انتشارهِ

لم يعرف شيءٌ أكيد عن باثولوجيَّة هذا المرض وعن طرق انتشارهِ رغماً عما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنهُ منذ انتشارهِ في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندريَّة سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرَّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظنُّ سابقاً انهُ مرض ناشيءٌ عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفشيهِ سنة ١٨٩٩ عمَّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيهِ بانهُ مرض معْدٍ. وقد ذكر الاستاذ الدكتور لخنستَرن (في باثولوجية نوتناجل) قولاً جمع فيهِ ملخص ما كُتب عن هذا الداء وهو " انهُ ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا ينتشر الأَّ حيث توجد المستنقعات او المتصعدات الميازمية " ومما يثبت انهُ مرض معْدٍ سرعة انتشارهِ من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقالهِ من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجمل ذكرهُ ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادَّى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انهُ ليس من الامراض المعدية بل انهُ مرض ميازمي ينشأُ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة. والادلة كثيرة على عدم انتشارهِ في غير الاماكن الواطئة التي تطيب لهُ الاقامة فيها . فقد ظهر من تفشيهِ في كوبا وجاميكا والهند الشرقية وريُنيون ومارتينيك ومدغسكر انهُ لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيرًا ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت عليهم وطأة الحمَّى ولا يصاب بهِ احدٌ من اهلهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة بهِ في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًّا غامضاً الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهَّد السبيل الى درسهِ درساً دقيقاً ومعرفة الاحوال التي تصيرهُ معدياً في بعض الاحيان وغير معْدٍ في الاخرى . فان لبيروت مزايا طبيعيَّة ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنهُ

---

(١) وهي مقالة للدكتور جرام استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت قدمت الى المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة في شهر دسمبر الماضي

عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل تتاخمهُ قمم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنهُ

وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السير ولكنهُ اخذ يشتدُّ بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منهُ واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواه . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انخفاضها يظهر نفاط جلدي يختلف في كثرتهِ وقلتهِ . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المئة من السكان حسب اختباري — يصابون بهِ ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و ١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويشكون في اثناء ذلك ضعفاً عمومياً . وقد عرفت قليلين اصيبوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقات مختلفة وكان يعقب كلَّ دفعة نفاط جلديّ وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أرَ فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون وغيرهُ من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى ان البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعديمها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شمالهِ بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يغشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجودهُ او يقل في قرى سفح لبنان فلا يسلم منهُ الاَّ قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها اثرٌ لنوع البعوض المسمى انوفو ليس (بعوض الملاريا) مع اني دققت في التفتيش عنهُ انا وغيري ولكن النوعين المسميين كولكس فاتجنس Culex fatigans وستغوميا فاسياتا Stegomyia fasciata يغشيانها بكثرة ووجدت نوع كولكس فاتجنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع ستغوميا فاسياتا ولكنهُ اقل من الاول

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لا تحقق ما اذا كان البعوض المسمى كولكس فاتجنس ينقل العدوى من شخص الى آخر. واول تجربة جربتها كانت في امٍ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها أُعدم البعوض كلهُ من غرفتها بواسطة غاز الكلور وكانت تنقل كلَّ يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت

الحمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنهُ لم يصب بمكروه البتة

والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذت جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبيًّا عمرهُ احدى عشرة سنة ولهُ ثلاثة اخوة دونهُ سنًّا وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعتني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يومًا

والتجربة الثالثة جرت لرجل لهُ ثلاثة اولاد قد اصيب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحمي زوجتهُ واولادهُ منهُ فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقتين . وكانت الحمى معهُ شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر نفاط على الجلد وتساقطت منهُ قشور . وطرد البعوض من الغرف مدة ١٧ يومًا فلم يصب احد غيرهُ من افراد عائلته بالمرض

وقد اعدت هذه التجارب في حوادث اخرى ولكني عدت فعدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فاني كنت أرى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على العزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المتقدمة كانت سلبية وعليهِ جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتلقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوى هو ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بدَّ ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًّا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم اكن اختار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاءهُ التام باحتمالها مقابل دراهم يُنقَدها . ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصلحهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض وكنت آخذ كلَّ مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تلقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب احدهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيته بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع فمضى عليهِ اسبوع ولم يصب بسوء فجئت ببعوضات اخرى مكان البعوضات الاولى فاعدت الكرة عليهِ وعدت خائبًا . وقد اخبرني هذا الشاب انهُ اصيب بالمرض مدة تفشيهِ سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نفاط على الجلد وسقوط قشور منهُ . ولعلَّ ذلك كان السبب في عدم قبولهِ للعدوى هذه المرة

وقد اصبت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأتهُ عليَّ ولكني لم اصب بهِ هذه المرة مع اني تعرضت لهُ على الدوام ولم أُعنَ بوقاية نفسي منهُ . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم فلا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كلهِ لم اثق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظرًا الى كثرة انتشار المرض وشدتهِ في مدينة مثل بيروت . فلتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت بهِ الى قرية على سطح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغتسلت وغيرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهواؤها جافٌ موافق للصحة جدًّا . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كلٌّ منهما منزلاً بعيدًا عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فأُصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقيا ينامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقها وكنت قد اعدمت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما بالمرض. فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كلهِ مع انني لم آلُ جهدًا في البحث والتحقيق

وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر ومعظم منازلها يغشاهُ البعوض (كولكس فاتجنس) . وهناك قرية اخرى اسمها بحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقلما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها ببعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت عدة اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقلُّ جفافاً من هواء بحمدون وبعوضها كثير اما عاريا والشويفات وغيرها من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

وفي ابتداء المرض سنة ١٨٨٩ قضيت ليلة في بيروت ثم مضيت انا وجماعة من اصحابي الى مكان في جبال طورس يعلو ٤٦٠٠ عن سطح البحر وكان اثنا عشر شخصاً منَّا ينامون في مكان واحد بين شجر الصنوبر حيث لم يكن للبعوض اقلُّ اثر . وفي الليلة السادسة من خروجي من بيروت أُصبت بنوبة شديدة من الدنج دامت خمسة ايام واختلفت درجة الحرارة فيها بين ١٠٣ و ١٠٥ بمقياس فارنهيت وعقِبَ ذلك ظهور طفح على الجلد وسقوط قشور منهُ كمن اصيب بالحمى القرمزيَّة ولم يصب احد من الاحد عشر شخصاً الذين كانوا يقيمون معي في مكان واحد .

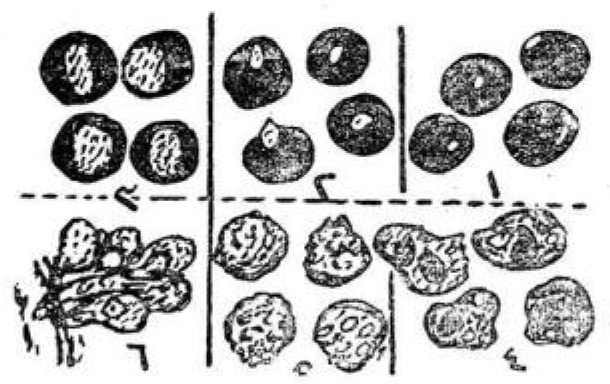
فيلوح لي من التجارب المتقدمة ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المسمى كولكس وهو ما كنّا نعدّهُ عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شكّ ولا ارتياب

والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء بمنع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدلُّ ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمَّ العدوى

ولما تقرَّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدللت طبعاً ان سبب المرض او سمّهُ انما هو في الدم وعليهِ فحصت دم اكثر من مئة شخص اصيبوا بحمّى الدنج املاً بان اجدهُ فيهِ . فاخترت لتجاربي الاشخاص الذين كانت درجة الحمّى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيرهُ قانونيًا ولم أُبالِ بالاصابات الخفيفة التي دامت يوماً او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المئة . واستعملت في تحضير الانموذجات وفحصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحتوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديداً اما الانموذجات فكنت احضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق المتيلين او بهِ مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأتِ بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث. واخيرًا رأيت في كريات الدم الحمراء جسماً ذا حركة يشبه مكروب الملاريا المسمّى بلازموديوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياتهِ لانهُ بطيءُ النموّ جداً حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتنحلُّ في الانموذجات التي احضرها للفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما اتمكن من معرفة شيءٍ يذكر عن ادوار حياتهِ . وكانت الحمى تستمرُّ في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراهُ في ادوارهِ المختلفة استحضرت عدة انموذجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادوّن تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصهِ . وبعد تمرين قليل على العمل صرت أرى هذا المكروب في كلِّ اصابة . وقد صوَّرت ما كنت اراهُ بالميكرسكوب في فحص الانموذجات ورتبت الاشكال ترتيباً طبيعياً على قدر ما امكن

الشكل الاول يمثل ما رأيتهُ في عدة كريات حمراء عند فحص الدم مدة الاربع والعشرين ساعة الاولى من الاصابة . ولون المكروب اخفُّ من لون الكريات الحمراء وهو يرى احياناً في وسط الكرية واخرى في طرفها ولكنهُ يغيّر مركزهُ في الكريَّة على الدوام والكريات التي يوجد فيها اقلُّ كثيراً من الكريات التي يوجد فيها مكروب الحمى المثلثة ولكن الذي يدقق الفحص يجدهُ على الدوام

الشكل الثاني يمثل المكروب في الادوار المتقدمة من حياته ورؤيتهُ اذ ذاك اسهل مما هي عليهِ في سائر الادوار ويظهر انهُ يبقى كذلك حتى اواخر الحمى . ومن الاسباب التي تجعل اكتشافهُ في الدم اصعب من اكتشاف مكروب الملاريا فقد اللون منهُ خلافاً لمكروب الملاريا فان اللون الذي يكوّنهُ اسهل رؤية تحت المكرسكوب من المكروب نفسهِ . وهو حيوان من فصيلة البروتوزوا ولكنهُ بلا لون وبهذا يختلف عن مكروب الملاريا



الشكل الثالث والرابع يمثلان المكروب في ادوار اكثر تقدماً مما في الشكل الثاني . ومن نحو اليوم الرابع الى السادس من ابتداء الحمى ترى قطع كثيرة من كريات الدم المتكسّرة تحت المكرسكوب وفي هذه الانموذجات يرى غالباً وهو خارج من قطع الكريَّة او محاط ببقاياها . وبعد خروجهِ منها يدركهُ الانحطاط . ولم أرَ كريَّة بيضاء تهاجم مكروباً وتبتلعهُ وهو في دور النمو والحركة بل كنت اراها غالباً تفعل ذلك بعد ما يدركهُ الانحلال وينقطع عن الحركة

وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت أرى الكريات البيضاء متفخمة مما ابتلعتهُ من المكروب الميت . وقد دققت كثيراً في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيتهُ في الاصابة الاولى . ولما كانت هذه المكروبات اقل عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نموًّا وغير ملوَّنة كانت ايضاً اقل ظهوراً منها واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعوَّد رؤية مكروب الملاريا لا يخطئ اكتشافهُ مرةً واحدة

فيستنتج اذاً من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهتهِ لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبب الحميات وانتقالهِ من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمى الدنج

هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها .

وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الاّ اصيب بها . ولما زالت واخذ الهواء يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين شرَّها . ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل ديسمبر . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أُصيبوا بها — وهم يبلغون ٧٥ الى ٨٥ في المئة — ان السبب في زوالها ليس برودة الهواء بل كون القابلين عدواها قد أُصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عالجت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن للدنج اثر فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يقم احدهم في بيروت سوى ايام قليلة قبل اصابتهِ . فيستدلُّ من هذا ان حمَّى الدنج قد تكمن مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهرًا

ومما يجب ذكرهُ اني لم اختر لتجاربي في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر " ابو الركب " فكلُّ اصابة بالحمى يعسر استقصاؤُها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواءٌ كان ابو الركب منتشرًا او لا فتطمئنّ بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائرنا لا تطمئنُّ بهِ . فاذا كانت الاصابة في الشتاء ولا اثر لحمَّى الدنج قلنا انهُ " ابو الركب الشتوي " وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائهِ على الاطمئنان وسكون البال من جهتهِ . على ان قسمًا عظيمًا من امثال هذه الحوادث لا علاقة لهُ بالدنج البتة فيجب ان يسمَّى اسمًا آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراء . فان بعض المشاهير من الاطباء يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشاهير الاطباء ايضًا فيقولون انهُ مرض ينشأُ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوهُ حيث لا وجود للبعوض او حيث وجودهُ قليل

اما التجارب الاولى التي عملتها في صيف سنة ١٩٠٠ فقد جمعت البعوض فيها بلا تحرٍّ ولا اختيار فجاء معظمها من نوع الكولكس ولكني كنت أَجد بعوضًا من النوع المسمى ستكوميا في كل مرة تقريبًا

وفي صيف سنة ١٩٠٢ عملت عدة تجارب لتتبُّع سير المكروب وتقلباتهِ في اجسام البعوض واخترت لذلك نوع الكولكس فاتجنس لاني وجدتهُ اسهل للتجارب من جميع الوجوه نظرًا الى شراهتهِ وبعض عوائدهِ الاخرى . ولكني وجدت صعوبة عظيمة في الاهتداء الى اصابات واضحة بالدنج . فانهُ رغمًا عن ان الدنج قد يصيب الشخص الواحد مرارًا وجدت ان معظم الاصابات

الواضحة انما هي اصابات الذين قدموا المدينة من الخارج او الذين لم يصابوا بالمرض في السنة السابقة وكنت اذا اهتديت الى الاصابة آخذ ثلاثين او اربعين بعوضة جائعة واضعها داخل سرير المصاب . وفي المساء التالي كنت آخذ ربعها او ثلثها وقد امتلأت معدها دماً وأضعها في قفص فيهِ ماء وقشور موز او عنب واكتب ورقة فيها تاريخ وضع البعوضات في القفص وغير ذلك من المعلومات والصقها عليهِ . وهكذا حتى صار عندي من الاقفاص بقدر عدد الاصابات . وكنت كلَّ يوم اقتل بعوضة وافحص محتويات معدتها وجدرانها والغدد اللعابيَّة تحت قوتي المكرسكوب الواطئة والعالية واشرّح جدران المعدة والغدد اللعابية تحت المكرسكوب فكان هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً وتعباً كثيرًا وكنت افحص الدم في محلول ملحي فوجدت المكروب فيهِ وشاهدت تقلباتهِ في ادوارهِ المختلفة فاذا هي تشبه تقلباتهِ التي شاهدتها في الدم المستخرج من العليل في صيف سنة ١٩٠١

على انهُ ظهر لي ان نموَّ المكروب في معدة البعوضة كان اسرع واكثر وضوحاً مما هو عليهِ في دم العليل . وقد وجدت المكروب في كلِّ تجربة من التجارب التي عملتها حتى بعد امتصاص البعوضة للدم بخمسة ايام وظهر لي ان وجود المكروب اسهل واكثر تحقيقاً في معدة البعوضة منهُ في دم الانسان وان نموَّهُ ابطأ في الدم الذي امتصهُ البعوض في اوائل المرض منهُ في اواخرهِ . ولكن التغيرات التي كانت تطرأ من يوم الى آخر على الميكروب الذي في معد البعوض لم تكن تختلف بشيءٍ جوهريّ عن التغيرات التي كانت تطرأ على ما كان منهُ في جسم الانسان

وقد فحصت بعوضاً امتصَّ دم مريض في اليوم الرابع من مرضهِ فوجدت البزور بين خلايا الغدد اللعابية في مدة اربع وعشرين ساعة. وذلك يدلُّ على ان البعوض يستطيع نقل العدوى بعد امتصاص الدم من جسم المصاب بوقت قصير

اما عدد البزور التي تقذف من كيس مكروب واحد فيختلف باختلاف الاحوال ولم يمضِ سوى وقت قصير على خروجها من الكيس الاصلي حتى وجدت في جدران المعدة وبين خلايا الغدد اللعابية . ولا ريب عندي ان هذه البزور تدخل الجسم مع لعاب البعوض عند امتصاصها لدم الانسان ثم تنمو في الدم وتسبب حمى الدنج

وقد اتفق ذات يوم ان قرينتي كانت تحضر لي بعوضة من القفص المعدّ لتربية البعوض فما شعرت الا وبعوضة اخرى تلسعها وفي اليوم الثالث من تلك الحادثة اصابها غثيان شديد وقيءٌ ثم حمى شديدة مثلما يصيب المحموم بالدنج . وكانت هذه اول مرة اصيبت فيها بحمى الدنج ولم يكن احدٌ من سكان منزلنا قد اصيب بها في الصيف ولا ذهبت الى مكان تعرضت

فيهِ لهذه الحمى . وكانت البعوضات التي في القفص قد امتصت الدم من العليل المصاب بالحمى قبل لسعها لقرينتي بخمسة عشر يوماً

وقد تمكنت من حفظ بعض البعوض التي في القفص حيةً مدة شهر بعد امتصاصها للدم ووجدت في آخر تلك المدة بزور المكروب في الغدد اللعابية . وحقنت البعض بالغدد اللعابية بعد ما مزجتها بمحلول الملح المعقَّم وكنت قد اخذت الغدد اللعابية من بعوضة دخلها المكروب منذ ٢٧ يوماً . وفي اليوم الثالث من الحقن تحت الجلد اصيب المحقون بقشعريرة وحمى شديدة واعراض اخرى تشبه اعراض المصاب بالدنج وكانت الحمى شديدة الى حدّ ان احجمت عن عمل تجارب اخرى من هذا القبيل . وعملت تجارب اخرى لأعلم ما اذا كانت بيوض البعوض تحتوي على هذه البزور ولكني لم اهتدِ الى الحقيقة بعد

هذا وقد نشرت المجلة الطبيَّة الانكليزيَّة مقالة في ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ عن حمَّى الدنج من قلم الدكتور ستدمان في هنغ كنغ . ومن جملة ما قالهُ فيها انهُ وجد مكروب الملاريا في دم بعض الذين عاودتهم الحمّى وسمع ان آخرين ايضاً وجدوهُ مثلهُ وذلك يدلُّ على ان حمَّى الدنج اما انها تثير الملاريا الكامنة في الجسم او تعد المصاب لقبول عدوى جديدة قد تعرض لهُ

وعندي ان الدكتور ستدمان لم يشاهد مكروب الملاريا بل مكروب الدنج . نعم ان مكروب الدنج يكون اكثر عدداً في نكسات الحمى مما يكون عليهِ عادة في الاصابة الاولى ولكنهُ يرى في الاصابة الاولى ايضاً بعد الفحص الدقيق . وكثيرون من الذين عاودتهم حمَّى الدنج لم يصابوا بالملاريا قبل اصابتهم بالدنج ولا بعدها ومعظمهم في سورية يسكنون اماكن لا اثر لنوع البعوض المسمى انوفليس فيها لينقل الملاريا اليهم . وميكروب الدنج يشبه مكروب الملاريا تحت المكرسكوب ولكن نموَّهُ في معد البعوض واجسامها وادوار حياتهِ وتقدمهِ تختلف كثيراً عن صفات المكروب الذي اكتشفهُ ماركيافافا وسلّي فلا يقع التباس بينها . ولست اعلم نوع المكروب الموجود في هنغ كنغ ولكني اعتقد ان المكروبات التي رآها الدكتور ستدمان هي نفس الميكروبات التي وصفتها في مقالتي هذه وهي تعيش وتنمو مثلها كما يظهر للباحث المدقق

ويستدلُّ من اكتشاف سبب حمى الدنج انها من نوع الحمى الملارية وان العلاجات المستعملة لمنع الملاريا يجب ان تستعمل ايضاً لمنع الدنج . فالمسألة اذاً مسألة حرب مشهورة على البعوض . وعندي انهُ متى ابدنا جيوش البعوض العادي المسمى كولكس فانجنس من بيننا باتت حمَّى الدنج في خبر كان

[المقتطف] توسعنا في كلمة ميكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الاَّ بالميكروسكوب سواء كان من انواع الباشلس او من غيرها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الدكتور سليمان الخوري

رزئت مدينة حمص في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ ش بوفاة احد اركانها وكبار اعيانها المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري ولد سنة ١٨٣٠ وبرع في كثير من المعارف وحصل الطب اولاً بنفسهِ ثم درسهُ على بعض الاطباء المصريين وكان قد تعلم العربية والتركية والفارسيَّة

وفي سنة ١٨٤٩ انفذ الباب العالي طبيباً من قبلهِ لامتحان الاطباء والجراحين والصيادلة في ولايات الاناضول وسورية فلما وصل حمص لم يجد فيها من يحسن التطبيب سوى صاحب الترجمة ووالدهِ فاعطاهما اجازتين بذلك وصدر امر سامٍ من نظارة الداخلية سنة ١٢٩٤ هجرية يعترف بهِ طبيباً قانونياً . وقد اشتهر بغيرتهِ على صناعتهِ ومعالجة الفقراء مجاناً وخصوصاً في سني تفشي الكولرا في حمص فانها ظهرت ست مرات فيها من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٩٥

وبعد وفاة والدهِ عين وكيلاً للبطريرك الانطاكي في ابرشية حمص سنة ١٨٦٥ ثم نائباً لمطران حمص واعطي لقب المحامي عن حقوق المسيحيين وعين وكيلاً لاوقاف طائفتهِ. ولما كان المطران لا يحسن العربية كان صاحب الترجمة ينشيء عظةً كلَّ اسبوع ويدفعها الى كاهن من الكهنة فيقرأها على جماعة المصلين

ولم تقتصر اعمالهُ على خدمة طائفتهِ بل خدم الدولة خدمة تذكر فعيّن عضواً نائباً من المسيحيين في مجلس ادارة حمص سنة ١٨٦٥ حين ابتدأ تشكيل الولايات الشاهانية ثم انتقل مركز المتصرفية الى حماه فأُعيد انتخابهُ ولكنهُ رفض ذلك حبّاً بخدمة مدينتهِ ومسقط رأسهِ . وعين عضواً في محكمة البداية سنة ١٨٨٠ ثم مستنطقاً في السنة التالية وبقي كذلك الى سنة ١٩٠٠ فاستعفى لطعنهِ في السن

وقد كافأَتهُ الدولة على خدمتهِ الصادقة فمنحتهُ الرتبة الثانية المتمايزة . ولما فشت الكولرا في حمص سنة ١٨٩٠ ارسلت الولاية اليها وفداً من الاطباء العسكريين ليوّلفوا هم واطباء المدينة لجنة صحية لمقاومة الوباء فعين صاحب الترجمة رئيساً لتلك اللجنة



وكان وديعاً لين الجانب كارهاً للتعصب ثقياً بارعاً في الانشاء والخطابة اميناً في خدمة الدولة متضلعاً من قوانينها ونظاماتها وكان يحب المطالعة فاقتنى مكتبة جامعة لانفس الكتب القديمة والحديثة وعُرف بميلهِ الى المجلات العلمية وخصوصاً المقتطف اقدمها وقد خدمهُ خدمة غيرة واخلاص منذ اول انشائهِ . وكان ولاة الامور يكرمونهُ ويجلونهُ ولما توفي اقيم لهُ مأتم

حافل وابنةُ العلماء ورثاهُ الشعراء ونعتهُ الجرائد السورية وبعض المصرية . اكثر الله من امثالهِ وجعل من نجليهِ الدكتورين البارعين خير خلف لخير سلف

حمص رزق الله نعمة الله عبود

المدارس السورية الانكليزية

قرأتُ في المقتطف الاغر في الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين مقالة لحضرة صاحبة الامضاء س . خ . بعنوان " المدارس السورية الانكليزية " فوجدت فيها بضع هفوات احببت ان انبه صاحبة المقالة اليها لتجتنب الوقوع في مثلها ولكي يزول اثرها من النفوس

قالت حضرتها " لئن تعددت المدارس السورية على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السورية الانكليزية فائدة وفضلاً الخ " الى ان قالت " حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها (اي السيدة كارولين طمسن) ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨ "

مجال الانتقاد هنا هو تفضيلها المدارس الانكليزية على غيرها فبناء على اي شيء فضلتها؟ فان كان الفضل بعدد الطالبات فما هو عدد ٤٦٨ طالبة من عدد الطالبات في سوريا ؟ او بالفائدة التي تنالها الطالبة فاين اضاعت فضل بقية المدارس كالبروسيانية ومدرستي الاميركان في بيروت وصيدا ؟ وقد اخذت حضرة الكاتبة المدرسة الداخلية الكبيرة في بيروت اساساً لكلامها عن المدارس الانكليزية وتفضيلها على غيرها فهذه المدرسة هي مصب كل المدارس الانكليزية الاخرى على اختلاف طبقاتها ولا يخرج منها في السنة اكثر من ٨ طالبات الى ١٢ طالبة من الحائزات شهادتها وكل من المدارس الثلاث السابق ذكرها تخرج عدداً يفوق هذا . ثم ان كانت فضلتها في نوع التعليم فمدرسة الاميركان في صيدا تفوقها في تعليم تدبير المنزل ومدرسة الاميركان في بيروت تفوقها في تعليم مبادىء العلوم ومدرسة القديس يوسف (في بيروت) تفوقها في تعليم الاشغال اليدوية والمدرسة البروسيانية في بيروت تفوقها في تعليم العلوم الابتدائية والتكميلية . فلو فضلت المدارس الانكليزية على المدارس الفرنسوية وحدها او الاميركية وحدها او البروسيانية لكان من الممكن ان يصح قولها ولكن تفضيلها اياها على الكل معاً خطأ وحضرتها لا تجهل ذلك . وهي حرة ان تمدح المدرسة التي تعلمت فيها ما شاءت ولكن لا يحسن بها ان تغض من كرامة غيرها من المدارس

ثم ختمت مقالتها بما يأتي قالت " ومما يجدر بنا الاشارة اليه اقراراً بالفضل هو ان السيدات

اللواتي اخذن على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزية لم يبذلن ما بذلن من العناية والاهتمام في شؤُون الفتيات الاَّ ابتغاء وجه الله الكريم وحبًّا بالقريب الخ "

فاني اسلّم بان الاقرار بالفضل واجب ولكن لماذا خصصت حضرة الكاتبة السيدات اللواتي اخذن على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزية بابتغاء وجه الله الكريم وحب القريب دون غيرهنَّ ؟ أَوَ هل لبقية السيدات المهذبات والمعلمات والمؤدبات قصد غير هذا ؟ وانا واثق انها لا تقصد الغض من كرامة سائر المعلمات المهذبات ولو تضمَّن كلامها ذلك فعسى ان تجلي الحقيقة دفعاً لما يتبادر اليهِ الوهم وارجو منها المعذرة على هذا التعقيب الذي لا اقصد منهُ الا جلاء الحقيقة

بيروت تاجر

توجيه نظر

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى ان كثيرين ممن يلبسون الطربوش يشكون من عدم ملاءمتهِ ووفائهِ بالغرض الذي يلبس من اجلهِ لانهُ لا يقي الرأس الحرَّ والبرد وقايةً تامةً واذا تبلل من العرق او المطر انكمش وتقلّص واذا اصابهُ الغبار ظهر عليهِ وان سافر لابسهُ في بلاد ليس بها مكواة (كما يتفق للمسافرين في اوربا واميركا او الجبال والارياف) اضطر ان يحمل معهُ المكواة او يلبس الطربوش على علاتهِ مجعدًا متقلصاً ينفر منهُ الذوق السليم . هذا وانهُ لا يمضي عام او شهر الاَّ ونسمع فيهِ باختراع جديد للاوربيين والاميركيين او اصلاح للمخترعات الموجودة فنوجه انظار الاذكياء من الشرقيين بواسطة مقتطفكم الاغر الى اختراع طربوش وافٍ بالغرض خالٍ من العيوب او اصلاح الطربوش الموجود واخذ امتياز بهِ وفي ذلك من الفائدة للمخترع او المصلح ما لا يخفى على احد

دمشق الشام احد المشتركين

الغربان والنخل

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف

ذكرتم في ما كتبتموهُ عن طبائع الغربان قولاً للجاحظ طلبتم من القراء ان يطرفوكم بما يثبتهُ او ينفيهِ . فرأيت ان اكتب اليكم بما اعلمهُ وهو انهُ اذا سقط الغراب على نخلة بحث عن ثمرة طيبة واخذ في نقرها وهو يلتفت ذات اليمين وذات اليسار او ينقرها ويطير عنها من شدة خوفهِ فاذا لم يجد زاجرًا يزجرهُ رجع اليها واكلها كلها وفتش عن غيرها الى ان يشبع . ولا يتساقط التمر الى جوف الليف بل يقع على الارض لان الاعذاق تكون بعيدة عن الليف . ولم ارَ قط غراباً التقط ثمرة من جوف الليف

اسكندر نيه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسز هكفورد

هي الكاتبة الفاضلة المتوقدة ذكاء الجريئة التي لا تعرف الخوف العاطفة على بني الانسانية والمخففة للآلام لم يدفعها الى ذلك عوز ولا اقتادتها فاقة بدليل انها ولدت في بيت شرف عريق في النسب . وانما وجدت من جنانها حناناً ومن عواطفها انبعاثاً سارا بها الى احمد المساعي واشرف الاعمال. خمدت انفاسها الطاهرة وهي تجاهد الجهاد الحسن في خدمة الانسانية وحسبنا ان نقول فيها ما اوردتهُ جريدة التيمس في تأبينها . قالت

"وقع نعيها وقع الصاعقة في نفوس معارفها العديدين ولا غروَ فان السامعين بعُشر اعمالها العظيمة ومساعيها المشكورة يشعرون ان بلادها مفتقرة اليها اشدَّ افتقار ولا نبالغ اذا قلنا انها من النساء القليلات اللواتي تحتاج البلاد اليهن" ثم ذكرت طرفاً من تاريخ حياتها فآثرنا تلخيصهُ ليكون قدوة تقتدي بنات الشرق بها

ولدت الفقيدة عام ١٨٣٦ ولم يذع فضلها ولا سار في البلاد ذكرها الاَّ عام ١٨٦٦ حين دخول الهواء الاصفر الى انكلترا فانها تركت القصور وما فيها من رخاء وصفاء مفضلة عليها تمريض المصابين بالوباء وتحمل العناء ومعاناة الشقاء غير طالبة من الناس شكراً وانما راجية في الآخرة اجراً . وكان هناك طبيب ذو ثروة واسعة يجاهد مثلها ويحذو حذوها فلما زال الوباء اقترنا واشتركا في حلو الحياة وصابها . ونمت عاطفة الحنان في ذينك الصدرين المملوئين شهامةً ومروءة وزادها الارتباط الزوجي تحركاً وحياةً فاستفزتهما الى استئجار بناء جعلاهُ مستشفى لتمريض النساء والاولاد وسكنا في الطبقة السفلى منهُ وانهمكا في عملهما الشريف انهما كاً لم يعرفا معهُ طيب نعيم ولا ذاقا لذة وسن فتضوع طيب ذكرها وسمت منزلتهما وكثر الزائرون لهما من علية الانكليز

ثم افتقدها الله بقرينها الصالح وبقيت هي قائمة على قدم الهمة في العمل لم يقعدها التقدم في السن ولا اوهن عزمها الحزن . ثم شيد بناء فخيم لذلك المستشفى وتولت ادارتهُ لجنة من ذوي العزم الثابت وسافرت هي ومعها وحيدتها الى نابولي حيث اقامت عدة سنين وتزوجت

ابنتها بحمام فيها وسافرت هي الى اصقاع كثيرة في الهند ولازمت مستشفى هناك نحو سنتين ثم آبت الى انكلترا . ولما ضمّت الترنسفال الى انكلترا اول مرة سافرت اليها فلاقت من شظف المعيشة ما أوهن قواها الاّ ان عوامل الحياة في قلبها لم يضعف خفقانها بل بقيت حية نشيطة . وقدر لها السكنى مع عائلة احد النواب فكانت تعلم اولاده ثم اشترت ارضاً واعتنت بها الاّ انها نكبت مع الذين نكبوا من الرعايا الانكليز لما ثار البوير عام ١٨٨٠ ولسوء بختها انها كانت من الذين حوصروا في بريتوريا عامئذٍ . ولما القت الحرب اوزارها قفلت راجعة الى انكلترا الاّ ان حنينها الى الترنسفال جعلها تسافر اليها ثانية فتاجرت فيها واتسع نطاق تجارتها ووضعت كتاباً بليغ العبارة دعتهُ " تجارة سيدة في الترنسفال " ولقيت من رجال الحكومة الترنسفالية اضطهاداً شديداً لانها كانت تكشف الحجاب عن مساوئهم وتراسل جريدة التيمس وغيرها من الصحف الانكليزيَّة ذاكرة ظلمهم للانكليز القاطنين في جوارهم

وعند ما شبّت الحرب الانكليزية الترنسفالية الاخيرة كانت مستوطنة بلاداً تبعد اربعين ميلاً عن بريتوريا فلما سمعت ان الانكليز ملكوها امتطت جواداً منطلقة اليها وابلغت اللورد روبرتس كل ما تعلمهُ من احوال البلاد . ثم رجعت الى انكلترا منذ ثمانية عشر شهراً لتساعد على سن لائحة لانشاء مدرسة لابناء البوير الفلاحين ووضع كتب لهم في التاريخ والجغرافية ووقفت على ذلك ما تملكهُ من مال وعقار . وكانت تنوي العودة الى الترنسفال في الخريف القادم مؤمّلة انها اذا لم يطل الله في اجلها خلفها من يقوم بعملها مكانها الاّ ان صحتها اخذت تضعف وتنحط حتى قُبضَت الى رحمة ربها وهي في السادسة والسبعين من عمرها . هذه سيرة امرأة فاضلة وقفت نفسها على نفع بني الانسان وحب الوطن وبذل الاحسان وسيحفظ الشعب الانكليزي ذكرها الطيب على توالي الاعوام "

اسحق صرّوف

تمريض المرضى

امراض الاطفال

امراض الاطفال الاعتيادية اربعة وهي الشهقة والحصبة وجدري الماء والتهاب الغدد النكفية المسمى عند العامة " ابو كعيب " . وليست هذه الامراض ذات خطر ولكنها معدية فقد تنتقل من ولد الى آخر في العائلة الواحدة حتى يصابوا كلهم . وتتصل بهم غالباً من المدرسة

الشهقة

اذا اصيب الطفل بالشهقة فلا يعمل لهُ شيء الاّ اذا رافقها التهاب الشعب فيجب حينئذٍ

ابقاؤهُ في الفراش الى ان يزول الالتهاب واعطاؤهُ طعاماً خفيفاً مغذياً خشية ان تأخذهُ نوبة الشهقة بعد الطعام الثقيل . واذا ظهر عليهِ الضعف والاعياء فليعطَ ملعقة صغيرة من زيت السمك ثلاث مرات في النهار بعد الطعام . فاذا لم يستفد من هذه المعالجة ودامت الشهقة فيجب ان يؤخذ الى مكان عالٍ يكون هواؤهُ جافاً

الذبحة

الذبحة مرض آخر من امراض الجهاز التنفسي وقد تصيب الطفل وعمرهُ سنة . واعراضها سعال يشبه صياح الديك وعسر في التنفُّس وازرقاق في الوجه . وهي مرض يخشى منهُ فيجب استدعاء الطبيب حالاً . وبعض الاطفال معرضون للذبحة فتصيبهم مراراً متعددة وتكون كلها ذات خطر على السواء فيجب من ثمَّ ان يكون في المنزل الدواء الذي وصفهُ الطبيب في المرة السابقة وابريق من المعدن لهُ حلمة طويلة فيغلى الماء فيهِ على السبيرتو ويتنشق الولد البخار المتصاعد من الحلمة

التهاب الغدد النكفية او ابو كعيب

وهو ورم الغدد التي تحت الفكين وفي الحلق ولما كانت الحمَّى ترافقهُ عادة في اوائلهِ فالاحسن ان يبقى الولد في الفراش وتلفّ عنقهُ بشمع يوضع فوقهُ لزقات من الفلانلا المغموس بالماء الحار فيخفّ الالم كثيراً . وهذا المرض معدٍ وقد تستمرُّ عدواهُ ستة اسابيع واذا دخل منزلاً او مدرسة فمنهُ تعب كثير

جدري الماء

وهو مرض خفيف الوطأة تصحبهُ حمّى خفيفة تميزهُ عن الجدري الحقيقي لان الجدري الحقيقي يبتدئ بقشعريرة وحمى شديدة جداً وتظهر البثور اولاً على الجبهة والوجه وتكون صلبة اما جدري الماء فيبتدئ ظهور البثور فيهِ على الصدر والكتفين وتكون البثور لينة وتزول سريعاً . فيجب ابقاء الولد في الفراش اياماً قليلة واعطاؤهُ طعاماً خفيفاً وملاحظة امعائهِ . وهذا المرض معدٍ جداً

الحصبة

اول اعراضها سيلان الدموع والمخاط والحمى ثم ظهور البثور في اليوم الثالث . فيجب ابقاء الطفل في الفراش حفظاً لحرارتهِ واعطاؤهُ طعاماً سائلاً وقليلاً من الخبز المغموس في اللبن او من الرز المطبوخ باللبن ومسهلاً خفيفاً اذا دعت الحال

الفصل الرابع

امراض الجهاز التنفسي

تندرج الذبحة والشهقة تحت هذا العنوان وقد تقدم الكلام عليهما فلا حاجة الى الاعادة بل نبحث الآن في الدفثيريا او الخانوق وهي تصيب الاولاد والبالغين

الدفثيريا

هذا المرض ناشئ عن عدم ضبط المصارف والكنف او السكن في منازل رطبة مضرَّة بالصحة . واول اعراضهِ فقد الشهية والم في الحلق والراس وقفا العنق . ويقال بالاختصار ان الدفثيريا هي تسمُّم الدم في الحلق حيث تظهر رقع بيضاء فيجب دهنها مرارًا في اليوم بالسائل الذي يصفهُ الطبيب بواسطة فرشاة. ولكن يجب على الذي يفعل ذلك ان لا يتنفس والمريض فاتح فاهُ لان الدفثيريا تعدي بالنفس

ويجب نقل كل ما يمكن نقلهُ من اثاث غرفة المريض الى مكان آخر مثل السجادات وغيرها حتى الستائر الاَّ اذا كانت مما يغسل اذ لا بدَّ من تطهير الغرفة وجميع ما فيها بعد انتهاء المرض . ويجب فرز الفناجين والكؤوس والصحون التي يستعملها العليل عن غيرها وغسلها على حدة ثم اتلافها او غليها او نقعها في محلول قويّ من الحامض الكربوليك . ومتى شفي العليل وخرج من غرفتهِ يجب تطهيرها باحراق الكبريت فيها بعد سدِّ جميع منافذها سدًّا محكمًا

وقد استعمل اللقاح المضاد للدفثيريا في السنوات الاخيرة بنجاح بفائدة عظيمة ولكن الاعراض قد تشتدُّ احيانًا حتى يضطر الامر الى عمل عملية جراحية فاذا كان لا بد من العملية فلتعمل باسرع ما يمكن لان الحلق يأخذ في الورم حتى ينسدُّ فينقطع التنفس ويموت العليل اختناقًا . ولكن اذا دعي الطبيب في حينهِ فانهُ يفتح فتحة في العنق ويضع فيها انبوبة تؤدي الى القصبة فيتنفس العليل منها بدلاً من انفهِ

على انهُ يجب اعداد الامور الآتية قبل حضور الطبيب تسهيلاً للعمل . وهي زجاجة فارغة وريش دجاج وخرق صغيرة بقدر الكف ومقدار كافٍ من الماء الحار والفوط النظيفة وغيرها

اما الزجاجة فلتوضع تحت عنق العليل مدة العملية حتى تثبت العنق موضعها ويرتفع الراس ويبرز الحلق . ويجب ان يقف شخص عند راس العليل ويمسكهُ بين يديهِ وآخر مع الطبيب لمساعدتهِ

واما الريش فلتنظيف الانبوبة من المواد الغريبة ،واما الخرق فلتنظيف ما حول الانبوبة

وبعض الاطباء يضع قطعة من قطن الكربوليك على فم الانبوبة فلا تدخلها مواد غريبة تعيق العليل عن التنفس ولكن يجب الحذر حتى لا يسد القطن فم الانبوبة وهذا اهم شيء يجب الانتباه اليهِ في مثل هذه الحوادث . وعليهِ فان رجلاً واحداً لا يكفي لتمريض عليل مصاب بالدفثيريا لان الانبوبة عرضة لان تسدَّ في كل دقيقة فاذا تمَّ ذلك وانقطع تنفس العليل مات بالاختناق او بتوقف عمل القلب . فيجب من ثمَّ ان يتناوب عدة اشخاص على حراستهِ ومراقبتهِ وخصوصاً في الليل لانهُ يكون اسوأ حالاً حينئذٍ فيحتاج الى زيادة الاعتناء . ثم انهُ لا يجوز ان يسمح لعليل مصاب بالدفثيريا ان يجلس البتة بل يجب ان يطعم بفنجان خاصٍ بذلك او بملعقة وهو مستلقٍ . ويسيَّر وهو مستلقٍ ويصلح سريرهُ من جانب ثم يوضع عليهِ ويصلح من الجانب الآخر حتى لا يجلس

وليكن طعام العليل خلاصة لحم البقر القويَّة او الحليب مرة كل ساعتين حفظاً لقوتهِ ومنعاً لفعل سم الدم ولكنهُ اذا كان ميالاً الى النوم فيجب ان لا يوقظ . اذ لا يعرف الالم الشديد الذي يشعر بهِ المصاب بالدفثيريا في حلقهِ الا الذي اصابتهُ الدفثيريا وكذلك ألم الراس يشتد حتى يخيَّل للمريض ان اخفَّ صوت يسمعهُ يكاد يشقُّ راسهُ

ذات الرئة

هو التهاب احدى الرئتين او كلتيهما . يبتدئ بنوبة قشعريرة تعقبها حمَّى عالية جداً فيشكو المريض المًا في جنبهِ ويعسر التنفس عليهِ وينفتح منخراهُ ويئن عند التنفس

اما تمريض المصابين بهذا المرض فيقتضي حذقاً عظيماً وعناية شديدة لان المرض ذو خطر وتغيراتهِ سريعة فيجب الانتباه اليها ومراقبتها

وهناك ثلاثة امور يجب تذكرها في هذا الصدد وهي

اولاً يجب ان يسند راس المريض بالمخدات لان ارتفاع رأسهِ عن مساواة بدنهِ يسهّل التنفس عليهِ

ثانياً اذا امر الطبيب بوضع اللزقات فيجب ان تكون حارة وخفيفة ومستوية اي ليست متكتلة في مكان ورقيقة في آخر لانها اذا كانت كذلك كان ضررها اكثر من فائدتها ويجب تغييرها كل ٣ او ٤ ساعات حتى لا يبرد مكانها

ثالثاً ليكن طعام المريض من المواد المقوية مثل المرق واللبن . ولما كان المصابون بهذا المرض يشعرون بعطش شديد بسبب ارتفاع درجة الحمَّى فلا بأس ان يسقوا شراباً بارداً اذا ارادوا كالماء مثلاً او ماء الشعير

ويجب تذكر اليوم الذي بدأت القشعريرة فيهِ اذ السؤَال عنهُ من اول المسائل التي يسألها الطبيب وذلك لان التحسن يبدأ غالباً في اليوم السابع من المرض . ويجب ايضاً ان تراقب التغيرات عند حدوثها ومعرفة ذلك سهلة على من تعوَّدهُ فان المريض يشعر بنعاس ويعرق ويسهل تنفسهُ وتهبط درجة حرارتهِ بغتة عدة درجات . فاذا تمَّ ذلك يجب ان تنزع الملاءات المبللة ويوضع مكانها ملاءات نظيفة بعد تدفئتها بالنار وتنزع اللزقة عن صدر المريض اذا كان هناك لزقة ويفرك صدرهُ وظهرهُ بفوطة ناشفة مسخنة على النار ويوضع مكان اللزقة قطعة من الفلانلا الناشفة السخنة ويسقى ماء حارًّا وتخفف اغطيتهُ ويترك لينام فلا تمضي ايام قلائل حتى يتمتع بالصحة بشرط ان يحافظ عليهِ محافظة تامة

والممرضات الخبيرات يرغبن في تمريض المصابين بهذا المرض لانهنَّ يعلمنَ ان الشفاء منهُ متوقف على شدة عنايتهنَّ بهم وحذقهنَّ في تمريضهم . فاذا لم تحسن احوال المريض في اليوم السابع او التاسع او الحادي عشر من ابتداء المرض على الاكثر فذلك دليل على ان مرضهُ شديد وانهُ يجب ان يضاعف الاعتناء بهِ ولكن لا يجوز لوم الطبيب على ذلك لان اشتداد المرض ينشأ اما عن جهل في التمريض او عدم عناية بهِ واما عن علة متأصلة في جسم المريض

وقبل الختام لا بدَّ من ذكر شيء عن بصاق المريض اذ فحصهُ من اهم واجبات الطبيب فيجب ان يؤْتى بفنجان فيهِ قليل من محلول الحامض الكربوليك ويبصق المريض فيهِ ليرى الطبيب البصاق . وبعد ذلك يجب القاه ما في الفنجان بحيث لا يمسهُ احد خشية العدوى وكذلك يجب اجتناب المناديل التي يستعملها المريض وعدم مسّها . وفي درجات المرض الاولى يكون البصاق مشرباً بالدم دائماً

التهاب الشُّعب

قلنا ان ذات الرئة هو التهاب الرئتين وانهُ يبتدئ بنوبة قشعريرة وحمى عالية جدًّا وان المريض يحسن بغتة . اما التهاب الشعب فعلى ضدّ ذلك فانهُ التهاب شعب الرئتين وهو يبتدئ تدريجاً وينقضي كذلك والحمى فيهِ ترتفع وتهبط ببطوء . ثم ان ذات الرئة مرض شديد الوطأة فاما ان ينتهي بالصحة او بالموت . واما التهاب الشعب فقد يصير مزمناً ويعيش المصاب بهِ طويلاً هذا هو الفرق بين المرضين . واما طريقة التمريض فيهما فواحدة في ما سوى ان الطبيب قد يصف في التهاب الشعب تنشيق المريض البخار فيجب من ثمَّ استحضار الادوات اللازمة لذلك كما تقدم وصفهُ في الكلام عن الدفثيريا ويجب ان ينقط في الماء المعد للاغلاء

نقط من الدواء الذي يصفهُ الطبيب ويضاف بعضها كما زيد الماء ولكن يجب ان يبقى الماء على النار دائماً حتى لا ينقطع التبخُّر البتة . ويفعل في بصاق المريض كما تقدم في الكلام على ذات الرئة واذا انحطت قوى المريض بذات الرئة او بالتهاب الشعب واخذ وجههُ يزرقُّ ولم يكن الطبيب حاضرًا فيحلن اعطاؤُهُ قليلاً من الكنياك او العرق

ذات الجنب وهو التهاب البليورا

هو التهاب غشاء الرئتين الرقيق ويبتدئُ فجأَة بقشعريرة وحمَّى مرتفعة والم حادٍ مثل الشكَّة تحت الثدي وتنفُّس عسر سريع . فاذا صار التنفس شاقًا وتفتَّح المنخران كان ذلك دليلاً على ان الرئتين مصابتان

وقد يتكوَّن هناك سائل احياناً فيضطرُّ الطبيب ان يعمل عملية جراحية بسيطة وهي انهُ يغرز ابرة مثقوبة فيجري السائل فيها الى الخارج ويستريح المريض حالاً . غير ان السائل يتحوَّل احياناً الى صديد فيقتضي الامر عمل عملية اصعب قليلاً . فيفتح الطبيب فتحة ويضع فيها انبوبة لاستخراج الصديد . على انهُ يجب الاستعداد لهذه العملية وان تكن صغيرة في نفسها لان كمية الصديد تكون كثيرة فيجب احضار عدة آنية كبيرة ومقدار من الماء بعد ما يغلى ويوضع في اناء نظيف وفوط نظيفة وماء حارّ وصابون ودلو (جردل) لماء القذر ولفافة عرضها نحو نصف ذراع وطولها يكفي لان تلف حول الصدر مرتين . والغرض منها حفظ الضمادات في اماكنها . ويجب ان يوضع حول الانبوبة بعض القطن المضاد الفساد (قطن الكربوليك) وتغطَّى بالقطن ويحضر اناء من الحامض الكربوليك لتوضع الانبوبة فيهِ عند ما يخرجها الطبيب احياناً وتغسل جيدًا وتنظف من الصديد داخلاً وخارجاً . ويجب ان تلف الضمادات بفوطة نظيفة وتوضع في درج نظيف او علبة من الصفيح (التنك) كعلبة الكعك المعروف بالبسكت مثلاً

السلّ

هو اشدّ امراض الرئتين هولاً وقد يصيب الانسان عن طريق العدوى او الوراثة . وهو اما حادٌ ينتهي بالموت واما مزمنٌ يقاسي صاحبهُ الآلام مدى الحياة . ولقد طالما كتب مؤَلفو الروايات عنهُ في رواياتهم وبحث العلماء فيهِ شفاهاً وكتابة وقضوا اعمارهم وانفقوا اموالهم وبذلوا قواهم كلها في اكتشاف دواء لهذا الداء العضال فلم يظفروا منهُ بطائل . وكلُّ ما ثبت لهم الى الآن عنهُ ان الهواء النقي والوسائط الصحية خير العلاجات لهُ ولكنها لا تضمن السلامة منهُ . وعليهِ بنيت المستشفيات الخاصة بهِ وفتحت فيها منافذ وشبابيك وابواب كثيرة بلا مصاريع

ولا دروفات تفتح وتغلق طلباً لتجديد الهواء واطلاقهِ . ولوقاية المرضى من الريح والشمس والمطر بنيت قناطر حول الغرف التي يقيمون فيها

وعند ما ينامون يغطّون جيدًا ويلبسون قبعات تحفظ حرارة رؤوسهم ولكنهم يتنفسون الهواء النقيّ مهما كان باردًا . ومتى جاء وقت الطعام يحضر الطبيب على الدوام فيزن لكلّ مريض طعامهُ بحسب ما يلزمهُ منهُ . وعلى كلّ مريض ان يأكل كلّ ما يصفهُ الطبيب لهُ . والممرضون يقيسون حرارة المرضى كلّ اربع ساعات او في الصباح والمساء على القليل تبعاً لاوامر الطبيب . والغالب ان الحمّى ترتفع ليلاً وتعود فتصير طبيعيَّة صباحاً فيشعر المريض بالراحة حينئذٍ . واذا بلغت درجة الحرارة ١٠٠ بميزان فارنهيت او ٣٨ بميزان سنتغراد أُرسل المريض الى الفراش

وهذه المستشفيات خاصةٌ بالمسلولين . ولكن هناك كثيرين من المسلولين لا يرون انفسهم مضطرين الى دخول تلك المستشفيات لخفة وطأة المرض فامثال هؤُلاء يستطيعون معالجة انفسهم بالسكن في الخلاء والرياضة واكل الطعام المغذّي والاعتدال في المعيشة وتنظيم اوقات الطعام والرياضة والنوم واجتناب اتعاب الدرس والعمل والهموم العائلية سواءٌ كان المريض فتًى او فتاة او تاجرًا او ربة منزل . ثم ان السفر والصعود الى الاماكن العالية الجافة الهواء خير طرق المعالجة للذين يستطيعون الانفاق على انفسهم . فان كلّ ما في هذه الدنيا فدى الصحة والحياة

والسلّ قد يكون اكتسابيًّا ولكنهُ وراثيّ بلا خلاف ومعدٍ في بعض الاحوال ولكن ليس الى الحدّ الذي يتصورهُ الناس فقد روي عن رجل ان زوجتهُ اصيبت بالسلّ ولزمت الفراش فكان يكلمها وهو واقفٌ في الباب ومنديلهُ على فمهِ وانفهِ

فمكروبات السلّ ورئات الناس اشبه بالبذور التي تسقط على التربة الصالحة او الارض الصخرية فان رئات بعض الناس صخرية لا تقبل العدوى ورئات البعض الآخر ضعيفة تقبلها وتعريضها للبرد واهمال امرها بعد الاصابة بذات الرئة او غيرهِ من الامراض الرئوية يفضيان الى السلّ . وقد ثبت من الجهة الاخرى ان الممرضات القويات البنية الجيدات الصحة اللواتي مرّضن المسلولين سنين طويلة لم يصبنَ قط بالسلّ . على ان اهمّ ما تجب معرفتهُ حتى في الامراض المعدية ماهية الاحتياطات التي يجب اتخاذها في كل مرض وكيفيتها . ففي السل لا يجوز النوم في فراش المسلولين ولا لبس ملابسهم ولا استعمال مناديلهم . بل يجب ان تغسل ملابسهم على حدةٍ ولا يسمح لهم بالبصاق الَّا في علب مخصوصة فيها محلول الحامض

الكربوليك او السليماني او الزمل . واذا مات المسلول فلا بأس من استعمال فراشهِ ودثارهِ بعد غسلهما بمضادات الفساد القوية ويجب تبييض غرفتهِ وطلاء ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيش . اما الملابس التي لا يمكن غسلها وغليها فالاحسن ان تعطى للفقراء المصابين بالمرض نفسهِ وخصوصاً الفلانلا فانها اعظم ما يحتاجون اليهِ في السل ولكنهم لا يستطيعون شراءها لارتفاع اثمانها . ويجب على جميع المسلولين ان يلبسوا الفلانلا مباشرة لابدانهم حفظاً للحرارة ومنعاً للبرد بعد العرق الذي ينتابهم عند زوال الحمى مساء

باب التقريظ والانتقاد

نهاية الاحكام في بيان ما للنية من الاحكام

لحضرة الحسيب النسيب السيد احمد بك الحسيني آثار علمية جمعها في ساعات الفراغ ولم يسمح ان تبقى في بطون دفاترهِ فهو يطبعها ويتحف بها القراء مجاناً ومن هذه الآثار العلمية الدالة على فرط اجتهادهِ كتاب جمعهُ في بيان ما للنيَّة من الاحكام . اورد فيهِ اقوال العلماء في حقيقة النيَّة والمقارنة والاستحضار المطلوبين في نيَّة الصلاة وسائر ابواب العبادات . وكلامهُ في هذه الابواب يدلُّ على انهُ طالع مئات من كتب الفقه وجمع ما فيها ممَّا يتعلَّق بهذا الموضوع. والحق ذلك بفوائد في تحقيق مقدار المد والصاع والدرهم وقد حقق ان اختلاف الائمة في وزن المد ناشئ عن انهم لم يراعوا نوع المكيل فيهِ اي لم يراعوا الثقل النوعي ولذلك فالاختلاف بينهم لفظي فاذا قيل ان المد ثمانية ارطال بالعراقي فذلك من الماء واذا قيل خمسة ارطال وثلثا رطل فذلك من الشعير . وقال في خاتمة هذا البحث ان المد من الشعير والتمر ٢/٣ ١٧٣ الدرهم ومن الذرة الدقيقة ٢/٣ ١٩٥ الدرهم ومن الذرة الشامية ٢/٣ ٢٠٢ ومن القمح والحمص ٢١٦ درهماً ومن الفول والحلبة ٢٢٤ درهماً ومن العدس ٢٢٧ درهماً ومن الماء العذب الصافي ٢٦٠ درهماً . والقدح المصري يبلغ مدين الا ثمن مد

هذا ويسمح لنا حضرة المحامي الفاضل ان نقول كلمة كانت تتردَّد على لساننا كلما نظرنا في صفحة من كتابهِ وهي ما اثمن الفرص التي اضاعها اولئك الكتَّاب الذين استشهد بهم في ما لم تستفد الامَّة الاسلامية منهُ فائدة تذكر . فان الانكليزي اذا افتخر قال اننا نحن معاشر الانكليز ندخل بلاداً فنجعلها تنبت عشرين سنبلة من سنابل الحنطة حيث كانت تنبت عشر

سنابل اما علماؤنا الاعلام فاعطاهم الله الجدل ومنعهم العمل دخلوا مصر والشام والعراق وهي مهد العمران وفيها زهاء اربعين مليونًا من السكان فبارت اكثر سهولها وليس فيها الآن ثلث سكانها الاولين · ويصعب علينا ان نعيّن كم من هذا الانحطاط ينسب الى اغفال اولئك العلماء مصالح دنياهم وكم منهُ ينسب الى فساد الاحكام وتسوُّد الظلام ولكن ان كنا نجد تسعة اعشار اعياننا فقهاء وشعراء كما يظهر لمن يطالع وفيات الاعيان ولا نجد عالمًا واحدًا يهتم باتقان الزراعة او الصناعة او تسهيل طرق التجارة فلا نخطئ اذا نسبنا الى تهاونهم في امر الدنيا كثيرًا من الانحطاط الذي اصاب هذه البلاد

وهذا الاستطراد لا يحط من شأن عمل المؤلف لانهُ انما جمع هذا الكتاب وامثالهُ في ساعات الفراغ ولم ينقطع للاشتغال بهِ بل ان اشتغالهُ الاهم بعمل شريف نافع مدارهُ حفظ الحقوق لاصحابها ولم يقصر كتابهُ على تحقيق مسألة فقهية نظرية بل اضاف اليهِ تحقيق مسائل اخرى علمية عملية

وحبذا لو شغل امثالهُ كل اوقات الفراغ بما يزيد قوة الامة عقليًا وجسديًا واديًا ومادیًا

القصائد الهاشميات

اذا كانت هذه القصائد اصلية وقد وصلت الينا كما هي من غير تغيير ولا تبديل فالشعر العربي في القرن الاول بعد الهجرة مثل الشعر في هذا العصر وقد نسج الشعراء على منوال واحد مع اختلاف الازمنة والامكنة والمؤثرات

والهاشميات للكميت بن زيد الكوفي المتوفى سنة ست وعشرين ومئة مدح بها بني هاشم فنسبت اليهم وهي ميمية ولامية وعينية واربع بائيات وكلها من فحل الشعر وبليغهِ · وقد روى بعضهم ان الكميت اتى الفرزدق فقال لهُ يا ابا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكميت بن زيد الاسدي قلت شعرًا فاحببت ان اعرضهُ عليك فان كان حسنًا امرتني باذاعتهِ وان كان قبيحًا امرتني بسترهِ فقال لهُ الفرزدق اما عقلك فحسن واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلك فانشدني ما قلت فانشدهُ بائيتهُ التي مطلعها طربت وما شوقًا الى البيض اطربُ فقال لهُ الفرزدق اذع ثم اذع فانت اشعر مَن مضى ومَن بقي

وقد اعتنى بتصحيح هذه القصائد وضبطها بالشكل وبيان معانيها ورواياتها حضرة محمد افندي شاكر الخياط النابلسي الازهري بعد ان تلقاها عن العلامة اللغوي المشهور الشيخ محمد محمود الشنقيطي

الصحراء الشرقية

تخطيطها وجيولوجيتها

Topography and Geology of the Eastern Desert of Egypt, by T. Barron A.R.C.S., F.G.S. and W. F. Hume D. Sc., A.R.S.M., F.G.S.

كنا بالامس نشكو من ان المحتلين لهذا القطر قصروا اهتمامهم على اصلاح ماليتهِ وريهِ ولم يعنوا بالمباحث العلميَّة كما عني الفرنسويون لما احتلوهُ في زمن بونابرت · لكن هذه الشكوى قد زالت الآن او كادت بهمة جناب الكبتن ليونس ورجال قسم المساحة الذين معهُ فان مباحثهم العلميَّة متواصلة وكتبهم متوالية واماننا الآن كتابان نفيسان منها اكبرهما هذا الكتاب عن القسم الاوسط من الصحراء التي شرقي القطر المصري وهو كتاب ضخم فيهِ ٣٣٠ صفحة وكثير من الصور والخرائط . وقولنا الصور والخرائط لا يؤدي المعنى المراد الى ذهن القارىء فان الصور التي في هذا الكتاب مطبوعة في المانيا طبعاً بالغاً حد الاتقان حتى تظنها صوراً فوتوغرافية مصنوعة بالبلاتين وقد تزيد على الصور الفوتوغرافية وضوحاً ورونقاً . والخرائط مطبوعة في مطابع ادارة المساحة الجيولوجيَّة وفي بعضها اربعة عشر لوناً مختلفة واتصال الالوان بعضها بعض على غاية الدقة والاحكام حتى اننا لم نرَ شيئاً يفوقها في كل ما وقفنا عليهِ من مطبوعات الحكومات الاوربيَّة

والكتاب قسمان في الاول منهما وصف البلاد الطوبوغرافي وما فيها من الجبال والوهاد والسهول والادوية والآثار القديمة ويتلو ذلك كثير من الفوائد التاريخية ووصف ما في البلاد من النباتات والحيوانات وما يحدث فيها من الآثار الجوية كالحر والبرد والضباب والرياح والعواصف

وفي هذا القسم كلام مسهب عن جيولوجيَّة البلاد وما فيها من المعادن والمواد المعدنية والحجارة الثمينة . ويظهر منهُ ان كل ما قيل حتى الآن عن وجود معادن غنية من الذهب والفضة والرصاص غير قرين الصحة وانما يوجد انواع من المرمر الثمين ولاسيما البرفير السلطاني ولكن لا سبيل للكسب من استخراجهِ الآن لغلاء اجرة العمل والنقل اما في الازمنة الغابرة فكان يُستخرَج لان ملوك مصر كانوا يسخرون الاسرى في استخراجهِ ونقلهِ . ويظهر لنا ان مطالعة هذا التقرير تقي الناس من انفاق الاموال على غير طائل للحصول على ما لا يأتي بنائل من المعادن ونحوها · ولو وقفت عليهِ شركة الزيت ما انفقت اموالها على استخراجهِ من جبل الزيت ولا اهتمَّ غيرها باستخراج الفحم الحجري ولا غيرها باكتشاف معادن غنيَّة من الذهب بين قنا والقصير . وحبذا لو نشر بالعربيَّة ايضاً مترجماً او ملخصاً

تقرير الاحداث الجوية

A Report of the Meteorological Observations.

هو تقرير مسهب عن رصد الاحداث الجوية في مرصد العباسية سنة ١٩٠٠ ولا ندري ما السبب لتأخير نشره الى الآن

ويظهر منهُ ان عرض مرصد العباسيَّة ٨٣ و٣٥ َ ٤ َ ٣٠° وكان يجب قبلاً ان عرضهُ ٤٠ ً ٤ َ ٣٠°. وان متوسط الحرارة في العباسية عن خمس سنوات من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ كان ٢٠ درجة و٥٨ في المئة اقلها في يناير اذ كان المتوسط ١٢ درجة و٣ في المئة . واكثرها في يوليو اذ كان المتوسط ٢٧ درجة و٨٢ في المئة

وان الحرارة هبطت سنة ١٩٠٠ الى الدرجة ٣ وعشرين في الساعة السادسة صباحاً من اليوم الرابع عشر من شهر يناير وارتفعت الى الدرجة ٤٠ وثمانية اعشار في الساعة الاولى بعد الظهر من اليوم الثاني عشر من شهر مايو وهذا الحد معظم ما بلغتهُ في العباسية تلك السنة

ووقع تلك السنة ٥٢ مليمترًا من المطر وفي شهر فبراير ٢٨ مليمترًا و٤٥ في المئة ووقع في يوم واحد منهُ وهو الخامس والعشرون نحو ٢٥ مليمترًا ووقع في يوم من دسمبر اكثر من ثمانية مليمترات وفي الذي قبلهُ سبعة مليمترات

وفي هذا التقرير خلاصة رصد الاحداث الجوية في الاسكندرية وبورت سعيد واسيوط وام درمان . وكان اقل متوسط للحرارة في الاسكندرية في السنوات العشر من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ في شهر يناير وهو ١٤ درجة وعشر واكثر متوسط في شهر اغسطس وهو ٢٦ درجة وستة اعشار والمتوسط العام ٢٠ درجة و ٦ اعشار . واقل ما وصلت اليهِ الحرارة في الاسكندرية ٥ درجات وخمسة اعشار واعلى ما بلغت اليهِ اربعون درجة

وكانت اقل السنين مطرًا سنة ١٨٩١ فبلغ ما وقع من المطر فيها ١٠٨ مليمترات وعشرين واكثرها مطرًا سنة ١٨٩٨ فبلغ ما وقع من المطر فيها ٣٠٧ مليمترات و٩٣ في المئة واكثر الشهور مطرًا شهر دسمبر ويتلوهُ شهر يناير

وفي التقرير رصود اخرى عن الرطوبة وثقل الهواء وحركات الرياح وا تجاف الارض ومغنطيسيتها ونحو ذلك مما لهُ آلات دقيقة في مرصد العباسيَّة وبعضها قديم وبعضها حديث او مجدد وقد بلغ بها هذا المرصد درجة عالية بين المراصد الكبيرة

الري في وادي البو

Irrigation in the Valley of the River *Po*, by Ismail Sirry Bey.

لو قام عشرة من ابناء هذا القطر كل سنة وقضوا شهرًا في البحث عما فيهِ فائدة عمومية كما فعل واضع هذا التقرير حضرة المهندس الشهير اسمعيل بك سري لبلغ القطر اعلى درجات الارتقاء

وقد كنا ونحن نطالع مقدمة تقريره نتصوره يصل الليل بالنهار وهو يجول من مكان الى آخر في بلاد ايطاليا يبحث عن اساليب الري المتبعة فيها ويكتب ما يراه ويسمعهُ ويشغل المهندسين والرسامين بمساعدتهِ حتى جمع ما ملأ كتابًا كبيرًا من المباحث العويصة والرسوم الدقيقة في اقل من شهر من الزمان. ولا بدَّ من ان تظهر نتيجة بحثهِ ودرسهِ في اعمال الري العظيمة التي يعملها الآن في المديريات المتوسطة لان مهندسي ايطاليا الذين لقيهم ورأى اعمالهم من اشهر المهندسين في اعمال الري

ومن الفوائد التي نؤثرها عن تقريره انهُ يمكن عمل الكباري الصغيرة التي يبلغ طول الكبري منها ثمانية امتار وعرضهُ ثلاثة من السمنتو والخرسانة في ثماني ساعات ولا تزيد نفقة الكبري منها على اربعين جنيهًا

ومنها ان تكسية الحجر تغني عن الرؤُوس في وقاية الجسور عند منعطفات الانهر

ومنها سهولة استخدام القوة المائيَّة لتوليد الكهربائيَّة فانهُ رأى في مكان عشرة تربينات ارتفاع الماء النازل فيها ٢٨ مترًا وايرادهُ ٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية وتحصل من انحدارهِ قوة تساوي ١٤٠٠٠ حصان . ورأى في مكان آخر ثمانية تربينات ينزل فيها الماء على ٢٨ مترًا وهو ٤٥ مترًا مكعبًا في الثانية فتتولَّد منها قوة تساوي ١٢٠٠٠ حصان يستعمل عشرة آلاف حصان منها لانارة مدينة ميلان بالكهربائية ولتسيير ما فيها من مركبات الترامواي ولبعض معاملها . ومن رأيهِ انهُ يجب ابدال الآلات المائية المستعملة الآن في الفيوم بآلات مائية متقنة مثل المستعملة في ايطاليا

وقد لقي حضرة مهندسنا الفاضل مزيد الحفاوة والاكرام من وزراء ايطاليا ومهندسيها . ولا بدَّ من ان يكونوا قد اعجبوا بعلمهِ وسعة اختبارهِ وتدقيقهِ في المباحث الهندسيَّة كما اعجب هو بمهارتهم وتسارعهم الى اكرامهِ

وفي التقرير ١٨ من الرسوم والخرائط الكبيرة عدا الصور الصغيرة وهو مكتوب باللغة الانكليزيَّة وحبذا لو نُشر بالعربيَّة ايضًا

جامع بيان العلم وفضله

تأليف الامام المجتهد حافظ المغرب ابي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية وقد اختصره وطبعهُ حضرة احمد بن عمر المحمصاني البيروتي الازهري وجعل ثمنهُ خمسة غروش فقط تسهيلاً لاقتنائهِ. والكتاب نفيس فيهِ ابواب شتّى معززة بالآيات والاحاديث واقوال الائمة والشعراء . ولا ندري كيف كان القدماء يستطيعون جمع هذه الكتب مع قلة وسائل الاهتداء الى ما يطلبون من الفهارس ونحوها فتجد في بعض فصول هذا الكتاب مئات من الآيات والاحاديث والاقوال المأثورة والاشعار التي يستشهدبها في كل باب من ذلك قول محمود الوراق

الفقر في النفس وفيها الغنى ... وفي غنى النفس الغنى الاكبرُ
مَن كان ذا مال كثير ولم ... يقنع فذاك الموسر المعسرُ
وكل مَن كان قنوعاً وان ... كان مقلاًّ فهو المكثرُ

وقول ابي فراس الحمداني

غنى النفس لمن يعـ ... ـقل خير من غنى المالِ
وفضل الناس في الانفـ ... ـسِ ليس الفضل بالمالِ

وقول خلَف الاحمر

خيرُ ما ورَّث الرجال بنيهم ... ادب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والاو ... راقِ في يوم شدّة ورخاء

وقول ابي العتاهية

وانما العلم من عيانٍ ... ومن سماع ومن قياسِ

وقولهُ

واعظم الاثم بعد الشرك نعلمهُ ... في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقد عني حضرة ناشرهِ بضبط الفاظهِ الغريبة وايضاحها مع ترجمة كثيرين من الاعلام المذكورين فيهِ اتماماً للفائدة فاجاد وافاد

تراجم مشاهير الشرق

لرصيفنا العالم المحقق جرجي افندي زيدان فضل كبير على ابناء العربية بما ينشئهُ في

هلالهِ وبما ينشرهُ من الكتب في كل المواضيع العلميَّة والتاريخيَّة والادبيَّة . وقد اتحفنا الآن بالجزء الثاني من تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وفيهِ تراجم كثيرين من الذين لا يختلف اثنان في شهرتهم وفي انهم افادوا ابناء العربية كالشيخ ناصيف اليازجي ورفاعه بك الطهطاوي والمعلم بطرس البستاني وعلي باشا مبارك والدكتور كرنيليوس ڤان ديك . وتراجم غيرهم من الذين لا نعلم انهم افادوا البلاد فائدة كبيرة حتى يذكروا بها او لا نرى شهرتهم في شيء نافع . لكن مقياس الشهرة غير محدود فلا ندَّعي ان مقياسنا لها اصح من كل مقياس غيرهِ . وقد اجاد حضرة المؤلف بذكرهِ بعض النابغين من الهنود والاتراك كالسيد احمد خان الهندي ومحمد نامق كمال بك التركي. واحسن في اقتصارهِ على ذكر المتوفين وفي نشرهِ بعض ما جادت بهِ اقلامهم. وحبذا لو اطال في هذا الباب لان الفائدة من آثار المرء كالفائدة من ذكر اوصافهِ

والكتاب ٢٤٤ صفحة بقطع كبير وثمنهُ اربعة فرنكات وهو يطلب من مكتبة الهلال في مصر

ديوان الرافعي

مصطفى افندي الرافعي شاعر مطبوع فتح لهُ الشعر ديوانهُ فجنى من رياضهِ ثمار الجنان وعرض عليهِ درر بحورهِ فنظم من فرادها قلائد العقيان . ترى قريحتهُ الوقادة في باب الوصف والنسيب وبعض المقاطيع كقولهِ في الخيام والقصور

قصور تدلُّ باياَّمها دلالَ الرياض بآذارها
وقد سامحتها خطوب الزمان وضنَّت عليها باكدارها
ودارت بمعصمها كالسوار رياض تسامت باسوارها
تحاكي المجرَّة انهارها وتحكي النجوم بازهارها

وقولهِ في القمر

زهتهُ الملاحة حتى سفر وخلَّى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر اهل الهوى وقد طاب للعاشقين السمَر
يحدثنا عن بني عذرة ويروي لنا عن جميل خبَر

وابلغ من ذلك وصفهُ لحريق ميت غمر . ومن مستحسن شعرهِ ما نظمهُ في صدد اعلان نشرتهُ غانية يابانيَّة حيث قال

فما العز في حجرات الكعاب ولا في الرياض وريحانها

ولا في الشعور كموج السحاب اذا ما تراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال ولا في العيون واجفانها
ولا في جمال زهور الرياض اذا اختلنَ في ثوب نيسانها

وما قالهُ في خمول البعض من قومهِ

وقد اراني في قوم اولي كسل كانما انتفضوا من تحت ارماسِ
فبعضهم بين اخفاف الهوان هوى وبعضهم ضلَّ بين الكاس والطاسِ

وقولهُ

الشرق سوق الغرب لكنها لا يشترى منها سوى البائر
باع بنوها بعضُهم بعضَهم فالويل للرابح والخاسر

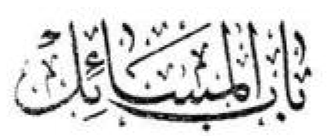
وقد شرح هذا الديوان حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي اخي الناظم

الفضيلة

مجلة ادبيَّة عموميَّة تصدر في اول كل شهر لحضرة منشئها الاديب سليم افندي العضم فيها قسمان الاول المقالات الادبية المفيدة والقصائد العصرية الشائقة والثاني تاريخ حوادث الشهر الداخلية والخارجية . وفي الجزء الاول الذي صدر منها قصيدة في مدح صاحب السعادة ادريس بك راغب واخرى في مدح صاحب السماحة السيد ابي الهدى الصيادي ومقالة في الجمعيات ومقالة في الجرائد والمجلات وتاريخ حوادث فبراير ومارس . وقيمة الاشتراك فيها اربعون غرشاً فنتمنى لها النجاح

البلهارسيا والنواصير البولية

خطبة لحضرة الفاضل الدكتور علي لبيب القاها في المؤتمر الطبي المصري بيَّن فيها ان النواصير البولية مسببة في الغالب عن مرض البلهارسيا الكثير الانتشار في القطر المصري وقال انهُ وصل الى هذه النتيجة بعد بحث اربع عشرة سنة . وقد شرح مرض البلهارسيا شرحاً مسهباً وبيَّن سبب انتشارهِ في الوجه البحري وقال ان الذين يصابون بهِ وينتقلون من حيث تكثر ديدانهُ الى حيث لا توجد زالت منهم من نفسها كبعض الشبان الذين كانوا مصابين بها ثم مضوا الى اوربا لاتمام دروسهم فانها زالت منهم من غير علاج . والخطبة مسهبة وفيها فوائد جمَّة



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) زمن آدم

مصر. الخواجه ميخائيل بساراني. قرأت في احدى المجلات المصرية ان وكيل كليَّة كمبردج قضى ١٥ سنة في البحث عن تاريخ مولد آدم ابي البشر واخيرًا قال انهُ ولد في ٢٣ اكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح. وايضًا كنا نطالع في مقتطفكم الصادر في الشهر الحالي عن عمران العراق وشرائع حمورابي فذكرتم ان مدينة اريدو كانت مرفأ للمملكة الكلدانية قبل المسيح بستة آلاف وثمانماية واربع وستين سنة فكيف توفقون بين قولكم هذا وقول وكيل كلية كمبردج

ج لا نقدر ان نوفق بين القولين. وغاية ما يُقال ان العلماء الذين يؤخذ بقولهم في هذه المواضيع يقولون ان الانسان وُجد على وجه هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين. ومعلوم ان صور الامم المنقوشة على الآثار المصرية منذ نحو خمسة آلاف سنة او اكثر تدلُّ دلالة واضحة على ان الفروق التي نراها الآن بين الزنوج والمصريين واهالي البلدان الشمالية كانت حينئذٍ كما هي الآن تمامًا وهذه الفروق لا تتكوَّن في الامم اذا كانوا من اصل واحد الا اذا مرَّت عليهم قرون كثيرة. ومعلوم ايضًا ان العمران المصري قديم جدًّا وبعض المباني التي لم تزل قائمة الى الآن كاهرام الجيزة بني قبل المسيح باربعة آلاف سنة او اكثر وذلك العمران لم يبلغ ما بلغهُ حينئذٍ الا في مئات او الوف من السنين اذا فرضنا ان نواميس العمران جارية على سنن واحد. وقد وجدت عظام من عظام الناس وآثار من آثارهم في امكنة رسبت فيها رواسب الانهر واختلطت بها عظام حيوانات انقرضت في زمن العصر الجليدي الذي عمَّ البلدان الشمالية منذ اكثر من عشرة آلاف سنة كما يستدلُّ من بعض الادلَّة الفلكيَّة والجيولوجيَّة فلا مهرب من القول بان اصحاب تلك العظام وتلك الآثار عاشوا وماتوا منذ اكثر من عشرة آلاف سنة. وهذه الادلة وامثالها اقنعت جمهور العلماء الذين اطَّلعنا على كتبهم بان الانسان وُجد على وجه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين

(٢) قدم العالم

ومنهُ . نؤكد ان حضرتكم لا تعتقدون انهُ وجد آدم واحد الذي يقال انهُ ابو البشر بل وُجد اوادم كثيرون حيث تقولون ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين فلماذا لا يوجد كتب تدلُّ على ان العالم مخلوق من مدة هذه الملايين حتى يؤمن الجميع بما تقولون

ج من اين عرفتم اننا لا نعتقد بوجود آدم واحد فاننا لم نقل هذا القول ولا كتبناهُ كأنهُ معتقدنا . وقولنا ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين لا ينتج انهُ وجد اكثر من آدم واحد . اما سؤالكم عن وجود كتب تدل على ان عمر الارض ملايين من السنين فالجواب ان كل كتب الجيولوجيا والبلينتولوجيا تدل على ذلك حتى ان التوراة وهي اقدم الكتب الدينية تقول " في البدء خلق الله السموات والارض " ولم تحدد زمن هذا البدء فيحتمل ان يكون منذ ملايين كثيرة من السنين وقد اتفق الشرَّاح الذين اطلعنا على تفاسيرهم على ان المراد بالبدء هنا زمن قديم جدًّا او هو اول الزمن اذ لم يكن كائن الاَّ الله. فالزمن الذي خلقت فيهِ الارض قديم جدًّا حسب نص التوراة وفهم العلماء لها

(٣) زوال التباغض

ومنهُ . هل يزول التباغض يوماً ما عن وجه الارض او يبقى مكتوماً في صدور الامم

ج ان مصير الناس اخيرًا الى نزع الرذائل وتمكن الفضائل جريًا على الناموس العام وهو ناموس بقاء الاصلح ولذلك ينتظر ان يزول التباغض ايضاً اما الزمن الذي يزول فيهِ فبعيد جدًّا اذا بقي ارتقاء الناس في الفضائل سائرًا سيرًا بطيئاً كما هو الآن

---

(٤) احوال السودان

طنطا . حبيب افندي فهمي . كم انفقت انكلترا حتى الآن على بلاد السودان وما هو الرأي في مستقبل السودان وهل يمكن ان يتجاوز عدد النزلاء الاجانب فيهِ عددهم في مصر

ج انفقت على الحملة التي قصدت بها تخليص غوردون باشا نحو ثلاثة عشر مليونًا من الجنيهات وانفقت على جيشها الذي عاون الجيش المصري في استرجاع السودان ولا تزال تنفق على الحامية التي هناك وردت الى الحكومة المصرية الخمس مئة الف جنيه التي اخذتها الحكومة من صندوق الدين . ويظهر لنا ان مستقبل السودان حسن جدًّا فيستتب فيهِ الامن والعدل وتقوى الزراعة والتجارة بكل الوسائل الممكنة وهذا يدعو الى ازدياد النزلاء فيهِ ولكن يبقى حرّهُ مانعاً من استيطانهم لهُ هم وابناؤهم فيذهب اليهِ اكثرهم للارتزاق ثم يعودون منهُ ولا يقيم فيهِ الاَّ قليلون منهم ولكن لا يبعد ان تتيسر طرق

السفر جداً بعدئذٍ وتستنبط وسائط جديدة لتخفيف وطأة الحر فتزول الموانع التي تمنع النزلاء الآن من استيطان تلك البلاد

(٥) منشأ زي النساء

ومنهُ . ما هي اول مملكة نشأ فيها زي النساء الاوربي الحالي وهل كان منذ بدئهِ يشبه الزي الحالي

ج المشهور في اوربا ان ازياء النساء تبتدئ في باريس ومنها تنقل الى غيرها من المدن . واننا لنستغرب سؤالكم هل كان الزي منذ بدئهِ يشبه الزي الحالي وانتم ترون الازياء تتغير تغيرًا تامًّا كل سنة او كل بضع سنوات

(٦) ولاية العهد في تركيا

البرازيل . الخواجه الياس مارون . لمن ولاية العهد في تركيا

ج للارشد من العائلة السلطانية

(٧) النمل

ومنهُ . ماذا يزيل النمل اذا كان كثيرًا في البيت

ج ان تبل اسفنجة بقليل من سائل حلو الطعم وتوضع حيث يجتمع النمل عليها ثم توضع في الماء السخن حتى يموت النمل منها ويكرر ذلك مرارًا ما دام النمل كثيرًا . ونحن نضع ما نخشى عليهِ من النمل في خزانة كبيرة تحت قوائمها الاربع اربع صحاف فيها رماد ومسحوق سام يكرههُ النمل فلا يصل اليها

(٨) البرغش

ومنهُ . وماذا يزيل البرغش

ج منع ركود الماء في اناء في البيت او خارجاً عنهُ وتجفيف كل المستنقعات الصغيرة القريبة من السكن وتربية السمك في البرك الكبيرة فان البرغش يبيض ويتولد في الماء الراكد ولكن اذا كان في الماء سمك اكل بيض البرغش

(٩) تحريك الاطراف

مصر . مصطفى افندي رشيد . المشاهد ان اغلب الناس في السير الاعتيادي يحرك الطرف العلوي الايمن مع الطرف السفلي الايسر والعكس بالعكس فما سبب ذلك

ج المشاهد غير ذلك بل يحرك يدهُ اليمنى مع رجلهِ اليمنى ويدهُ اليسرى مع رجلهِ اليسرى وسببهُ واضح وهو اشتراك اعصاب كل شق بعضها مع بعض

(١٠) مراكز قوى العقل

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . كيف استدلَّ علماء التشريح على مواضع التصوُّر والذاكرة والحافظة في الدماغ واذا كان لكلٍ منها محل مخصوص فهل هي محدودة واذا كانت محدودة فهل العقل ايضاً محدود

ج انهم استدلُّوا على مراكز بعض القوى بالبحث والاستقراء فتتبعوا مثلاً سير الاعصاب الممتدة من العين الى مراكز محدودة في الدماغ

ثم وجدوا انهم اذا نزعوا تلك المراكز بطل الابصار . وتتبعوا الاعصاب الممتدة من اللسان الى مراكز اخرى في الدماغ ووجدوا انهُ اذا اتلفت تلك المراكز بطل النطق او اختلَّ وهلمَّ جرًّا فاستدلوا بمثل ذلك على مراكز بعض القوى . والظاهر ان هذه المراكز محدودة في نصفي الدماغ . ثم ان مراكز القوى العقلية محصورة في الدماغ فلا يفتكر الانسان بيدهِ ولا بمعدتهِ واذا ازيلت مراكز العقل من الدماغ او اصابها مرض او قلَّت تغذيتها بطلت الافعال العقلية او ضعفت جدًّا وكذلك اذا فعل بالدماغ مخدّر يخدره كالمسكر والبنج لم يعد الانسان يعقل وهو تحت سلطة ذلك المخدّر

(١١) مشابهة الولد لوالديهِ

ومنهُ . لماذا يشبه الولد والديهِ في الخلقة والاخلاق والميل الى الامراض

ج لان كل جزء من اجزاء بدنهِ مكوَّن اصلاً من جسمي والديهِ فكأنهُ قضيب كرمة قطع وزرع في الارض فينبت ويحمل ورقًا وعنباً مثل الكرمة التي قُطع منها

(١٢) ولادة التوأمين

ومنهُ . كيف تعلّلون ولادة المرأة لطفلين معاً

ج يعلَّل ذلك بان بيضتين تُلقحان معًا في وقت واحد او في وقتين قريبين فتنميان معًا الى ان تصيرا جنينين

(١٣) اصل الانواع

ومنهُ . يقول دارون ان مرجع الانسان والحيوان الى خمسة اصول ومرجع النبات الى سبعة فهل ظهرت او ينتظر ان تظهر خلقة جديدة في العالم صادرة عن اصول الانسان والحيوان والنبات

ج اين رأيتم ان دارون يقول بان للحيوانات خمسة اصول وللنباتات سبعة اصول فاننا لا نتذكر اننا قرأنا لهُ قولاً مثل هذا لكنهُ قال ان البحث والاستقراء يدلانهِ على ان للموجودات الحيَّة اصلاً واحدًا او اصولاً قليلة . وكرَّر هذا القول مرارًا وهاكم ترجمة عبارتهِ الاخيرة في كتابهِ اصل الانواع " اذا نظرنا الى الحياة من هذا القبيل رأينا فيها مجالي العظمة رأينا ان الخالق بثَّها اصلاً في شكل واحد او اشكال قليلة فتولَّدت منها اشكال لا تحصى تفوق الوصف جمالاً وتدهش العقول بناء. حدث ذلك والارض دائرة في مدارها حسب ناموس الجاذبية المقرَّر " . ونظن انكم تريدون بالقسم الثاني من سؤالكم هل ينتظر ان تتولَّد انواع جديدة من الانواع الموجودة الآن والجواب على ذلك ان هذا الامر محتمل ومن الناس من يقول ان ميكروبات بعض الامراض التي لم تكن معروفة قبلاً كالكوليرا هي انواع جديدة تولَّدت من غيرها . ومعلوم ان ميكروبات الامراض نفسها تربَّى الآن على اساليب مخصوصة فتتغير طبائعها وتفقد كثيرًا

من خواصها حتى ان ما كان منها مميتاً لا يعود مميتاً بل يصير ينجي الجسم من الموت كما ترون في الجدري فانهُ اذا ربي في جسم البقر ضعف فعلهُ وصار ينجي الانسان من خطر الجدري البشري

اما الحيوانات والنباتات الكبيرة فلا ينتظر ان يتولّد نوع جديد منها الاَّ في الوف كثيرة من السنين ولكن يسهل تغيير النوع الواحد في مئات او الوف من السنين حتى يبعد عن اصلهِ كثيرًا كما ترون في كثير من الحيوانات والنباتات الاهلية والبرية فالورد الاحمر او الاصفر الذي في الزهرة منهُ مئات من الاوراق وقطرها عشرة سنتمترات او اكثر بعدت عن الورد البري المعروف بالنسرين الذي في الزهرة منهُ خمس اوراق فقط بعدًا شاسعاً. ولولا وجود الحلقات المتوسطة بين الورد الاول والورد الثاني لعُدَّا نوعين مختلفين مع ان الواحد متولد من الآخر

(١٤) اولاد السود والبيض

الاسكندرية . حسين افندي رسمي . لماذا يولد اولاد السود سودًا واولاد البيض بيضاً مع ان البيضة التي يتكون منها الجنين يضاهِ في السود والبيض على حدّ سوى

ج ان هذه البيضة على صغرها وبساطة تركيبها وكون لونها الظاهر ابيض ضارب الى الصفرة تحتوي جراثيم كثيرة من الوالدين واسلافهما الى اجيال كثيرة ولذلك يظهر في الطفل كثير من مزايا اسلافهِ الجسدية والعقلية لانهُ يكون فيها اصول او جراثيم من الشعر والاظافر والاسنان والاذنين والعينين والعظام والعضلات والرئتين والقلب والكبد والطحال والكليتين وكل اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة . ولا بدَّ من ان يكون فيها ايضاً جراثيم من الجلد والمواد التي تلونهُ باللون الابيض او الاسمر او الاسود حتى اذا كان ابوهُ وامهُ اسودين جاء اسود مثلهما واذا كانا ابيضين جاء ابيض واذا كان احدهما ابيض والآخر اسود فاذا تغلبت المادة المكونة للون الجلد الآتية من احدهما كان لون الطفل مثلهُ واذا تساوتا قوة كان لونهُ بين بين

(١٥) فقد السمع

صدفا . احد المشتركين . لي صديق أُصيب بالحمى منذ ثلاث سنوات وبعد شفائهِ من المرض شعر بطنين في اذنيهِ بغير الم ثم اخذ سمعهُ ينقص شيئاً فشيئاً حتى صار الآن نصف ما كان اولاً ولا يزال الطنين موجودًا فهل يحتمل ان يفقد سمعهُ تماماً

ج نعم ونشير عليهِ ان يري نفسهُ لطبيب من اطباء الاذن قبلما يتسع الخرق على الراقع . اما ما اصاب صديقكم الاول فلا يقطع النسل



الراديوم

اهم ما تتذاكر فيهِ الدوائر العلمية الآن الراديوم العنصر الذي تتولَّد منهُ الحرارة ويصدر النور وهو باقٍ على حالهِ . واهتمامهم بالبحث عنهُ ليس لانهم يرجون منهُ ان ينير ظلمة المستقبل او يزيل برد الشتاء بل لانهم رأوا فيهِ امرًا غريبًا غير مألوف وهم يودون تعليلهُ وردهُ الى النواميس الطبيعيَّة المعروفة او اكتشاف الناموس المجهول الذي يجري عليهِ . اما استخدامهُ كمصدر للنور والحرارة فممَّا لا مطمع بهِ لانهُ اندر العناصر المعروفة واغلاها . وقد مضى على المسيو كوري وزوجتهِ ثلاث سنوات يهتمان باستحضار مركباتهِ فلم يستحضرا مئة وخمسين درهمًا منها ولذلك فهو غالٍ جدًّا وثمن الدرهم منهُ الآن اكثر من الف جنيه فهو اغلى من الذهب واللؤلوء والماس والياقوت والزمرُّد ومن كل حجر كريم او معدن من المعادن . والمظنون انهُ نادر على نسبة غلاء ثمنهِ . وهبْ انهُ اكثر ممَّا يظن الآن فلا يحتمل ان يكون كثيرًا مثل الذهب . وهو اغلى من الذهب ثلاثة آلاف مرة فان ثمن الاوقية من الذهب اربعة جنيهات واما ثمن الاوقية منهُ فاثنا عشر الف جنيه اي ان الدرهم منهُ يساوي ثلاثة آلاف درهم من الذهب . فعنصر ثمين مثل لا يحتمل ان يكثر استعمالهُ حتى يشيع

قدم علوم الهنود

الَّف الدكتور برافولا شندرا راي استاذ الكيمياء في مدرسة كلكتا الجامعة كتابًا في تاريخ الكيمياء عند الهنود بيَّن فيهِ ان علم الكيمياء كان قديمًا جدًّا في بلاد الهند وان العرب اقتبسوهُ منهم واقتبس اليونان قبلهم شيئًا كثيرًا من معارفهم في الطب والكيمياء والرياضيات : وهم الذين برهنوا القضية السابعة والاربعين من قضايا اقليدس التي يقال فيها ان مربع وتر المثلث القائم الزاوية يعدل مربعي ساقيهِ وكان ذلك قبل ميلاد فيثاغورس بمئتي سنة . وعرفوا فائدة بعض النباتات في علاج الامراض قبل المسيح بالفي سنة وعرفوا من ذلك الحين الذهب والرصاص وعلَّقوا عليهما بعض الفوائد العلاجيَّة فقالوا ان ان الذهب اكسير الحياة والرصاص يبطل فعل السحر . ومشت الكيمياء عندهم مع الطب فتقدمت بتقدمهِ وكانوا يستعملون مستحضرات الزيبق وبعض المعادن الاخرى قبل براسلسوس بقرون كثيرة واستعملوا اكسيد

الزيبق الاسود علاجاً داخلياً في القرن العاشر قبل المسيح وعرفوا قبل ذلك ان لهب النحاس ازرق ولهب الرصاص اصفر وقالوا ان المعدن النقي الممحص هو الذي يُصهر في البودقة فلا يخرج منهُ شرار ولا فقاقيع ولا صوت ولا يطرش ولا تظهر خطوط على سطحهِ . وقد صبوا عمود الحديد الذي قرب دهلي وثقلهُ عشرة اطنان او نحو ثمانية آلاف اقة منذ الف وخمس مئة سنة وصنعوا سقف رواق الهيكل في كنوراك وهو من الحديد

واستنتج الدكتور راي من شواهد كثيرة اقتبسها من كتب الهند القديمة انهم سبقوا امم الارض كلها ما عدا الصينيين الى كثير من العلوم والمعارف

اكرام العلماء

احتفل الايطاليون في اوائل هذا الشهر بمنح السنيور مركوني حرية مدينة رومية . فعقد اجتماع عظيم في رومية في السابع من الشهر وادبت مأدبة شائقة في مسائهِ اكراماً لهُ وجاءتهُ رسائل التهانيء تترى من جميع جهات المملكة الايطالية . ولا يزال مقيماً في رومية يكرر تجاربهُ وامتحاناتهِ ويقال انها جاءَت بالنتائج الحسنة

واحتفل الانكليز في اواخر الشهر بمرور مئة سنة على اعلان دلتون العالم الانكليزي الشهير لمذهب الجوهر الفرد المعروف باسمهِ فانهُ خطب سنة ١٨٠٣ في جماعة من العلماء والفلاسفة عن امتصاص الماء وسائر السوائل للغازات واشار في عرض كلامهِ الى ذلك المذهب

النبات الواقي من البعوض

ارسل الكبتن لاريمور كتاباً الى التيمس يقول فيهِ انهُ جاء بنبات من بلاد النيجر في غرب افريقية الى بلاد الانكليز واهداهُ الى حدائق كيو في لندن ليراهُ كلُّ من شاء . ومن خصائصهِ على ما يعتقد الوطنيون انهُ اذا أُغلي وشرب ماؤُهُ شفى من الحمى الملارية . وكانت جريدة نانشر الانكليزية قد نشرت خبرًا في اوائل السنة نقلاً عن الكبتن نفسهِ مؤَداهُ ان في بلاد النيجر نباتاً من فصيلة الريحان (الحبق) يقي من البعوض كما ذكرنا في حينهِ

وارسل السر جورج بردوود كتاباً آخر الى التيمس يقول فيهِ ان الهنود يعرفون مزايا هذا النبات وانهُ على نوعين بريّ واهليّ . واستشهد على ذلك بالقصة الآتية وهي انهُ بينما كانوا ينشئون حديقة فكتوريا في بومباي اصيب الفعلة بالملاريا من شدة فتك البعوض فزرعوا النبات المذكور في جوانب الحديقة بناء على اشارة ناظر الحديقة الهندسي فأثر ذلك تأثيرًا ظاهرًا نخفت الحمى وقلَّ البعوض

الميكروبات المنيرة

عقدت جمعية العلوم في فينا جلسة قرأ الاستاذ موليخ فيها مقالة عن الميكروبات الفصفورية . ومما قالهُ انهُ صوَّر جماعات منها بمجرَّد نورها وانهُ اذا ملئت زجاجات كبيرة تسع لترًا الى لترين سائلاً ملائمًا لنموها ووضعت كمية منها في ذلك السائل تكون من ذلك "مصباح" يستطيع الواقف امامهُ ان يقرأ الترمومتر او يرى الوقت في الساعة الصغيرة وهو على بعد متر او مترين عن المصباح . واذا كان الليل حالكًا امكن رؤية المصباح على بعد ستين خطوة . وقد اشار باستعمال هذا المصباح في مخازن البارود حيث يحظر ادخال النار خوف الانفجار وفي صيد السمك فان السمك اذا رأى النور تهافت عليهِ فسهل صيدهُ ويبقى المصباح منيرًا اسبوعين او ثلاثة اسابيع اذا وافقتهُ الاحوال

انهيار عظيم

انهار جرف عظيم من الصخور في مدينة فرنك غربي كندا فسدَّ الوادي الذي تحتهُ على تمامهِ وغطت قطع الصخور المتناثرة خط سكة الحديد على مسافة ميل ونصف شرقي المدينة وارتفعت اعمدة كثيفة من التراب والغبار على اثر الانهيار ظنها الناس مسببة عن انفجار بركاني في اول الامر واشاعوا ذلك ولكن ثبت انهُ ليس للبراكين يدٌ في تلك الحادثة

تلغراف مركوني

أجاب احد وزراء الانكليز في مجلس النواب على سؤال أُلقي اليهِ فقال ان مجلس التجارة وجد مصاعب جمة في استعمال تلغراف مركوني بين السفن والبرّ بخلاف استعمالهِ بين سفينة واخرى في عرض البحر وقال آخر ان متوسط نفقات نظارة البحرية على استعمال التلغراف المذكور بين بوارجها يبلغ الآن نحو ٢٠٠٠٠ جنيه سنويًا

ونشرت احدى الجرائد النمسوية رسالة برقية وردت عليها من احد مكاتبيها بالتلغراف الذي بلاسلاك وكان راكبًا قطار سكة الحديد بين مدينتين نمسويتين والقطار ينهب الارض نهبًا فلم يؤخر ذلك وصول الرسالة

تاريخ الحديد

اجتمعت جمعية المهندسين الميكانيكيين في انكلترا في اواخر ابريل الماضي فخطب رئيس الجمعية في الحديد وتاريخ استعمالهِ لحاجات الانسان فقال انهُ ثبت ان الحديد كان معروفًا في مصر منذ اربعة آلاف سنة قبل المسيح وكانوا يسكُّون منهُ الاسلحة ويطبعون الادوات والآلات المختلفة . ثم أُسدلت الحجب عليهِ ولم يعد يعرف من امرهِ شيءٌ مدة ثلاثة آلاف سنة ولكنهُ عاد فاشتهر في عصر هوميروس اي في نحو القرن العاشر قبل المسيح ولم تعرف طريقة صهر الحديد حتى

اواخر القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي اي منذ نحو ٤٠٠ سنة والآلات التي لم يكن عملها بالمطرقة ممكناً كانوا يصنعونها قبل ذلك من البروز

الله والعلم

خطب الاستاذ هنسلو في غرة الشهر الماضي خطبة موضوعها "المذهب العقلي وفحص مذهب دارون" وكان اللورد كلفن اكبر علماء الانكليز حاضراً فنهض لما اتمّ الخطيب خطبتهُ وقال ما ترجمتهُ "اني موافق على كل الامور الجوهرية التي قالها الاستاذ هنسلو ولكنني لا اوافقهُ على ان العلم يقف موقف المرتاب من حيث الايمان بوجود الخالق لا يثبتهُ ولا ينفيهِ بل هو يثبت وجود القوَّة الخالقة حتماً لاننا لا نحيا ونتحرك ونوجد بالمادة الميتة بل بالقوة المحيية المدرّبة . ولا نقدر ان نتخلص من هذه النتيجة حينما نرى المواد التي حولنا حيَّة كانت او غير حيَّة وندرس خواصها الطبيعيَّة وسيعود علماء الحياة الى الاعتراف بوجود الاهل الحي المجهول وبانهُ غير القوى الطبيعيَّة والكيماوية . يضع العلم امامنا شيئاً مجهولاً اذا فكَّرنا فيهِ قصد ادراكهِ رأينا اننا كلنا من اللاادريين وانما نعرف الله باعمالهِ ويضطرُّنا العلم الى الايمان والثقة بقوة مدبّرة بفاعل وراء القوى الطبيعيَّة والكهربائيَّة لقد انكر شيشرون ان الناس والنباتات والحيوانات يمكن ان تكون قد وجدت من انضمام الجواهر الفردة بعضها الى بعض بالصدفة ومن لا يؤمن ايماناً علميًّا راسخاً بوجود الخالق يضطر ان يؤمن بان الجواهر تجتمع من نفسها بالصدفة وتكوّن الكائنات لانهُ لا يوجد فرض ثالث. ومن يتصوَّر انهُ يمكن ان تتألَّف الجواهر من نفسها فتكوّن بلورة او نباتاً او ميكروباً او حيواناً حيًّا . ان انضمام الجواهر بعضها الى بعض بالصدفة على ما ذكر شيشرون لا يبعد عن تكوُّن البلورات ولكن رجال العلم في هذا العصر يوافقونهُ على القول باستحالة ذلك في تعليل وجود الدقائق في الاجسام الحيَّة او نموها او استمرارها . وهنا لا بدَّ للفكر العلمي من الاعتراف بوجود القوَّة الخالقة

منذ اربعين سنة كنتُ ماشياً مع ليبغ في بعض الحقول فقلتُ لهُ هل تعتقد ان النباتات التي حولنا نمت بالقوى الكيماويَّة . فقال "كلاّ الاّ اذا اعتقدتُ ان كتاب النبات الذي يصفها أُلِّف بمجرَّد القوى الكيماوية" وكل فعل من افعال الارادة اعجوبة بالنسبة الى العلوم الطبيعيَّة والكيماوية والرياضيَّة

واني أُعجب بما في خطبة الاستاذ هنسلو من الفكر الحر الخالي من كل ضرر . ولا ضرر من حريَّة الفكر لان مَن يُعمِل فكرتهُ مليًّا يضطرهُ علمهُ الى الايمان بالله وهذا الايمان هو اساس الدين فيجد العلم عوناً للدين لا عدوًّا لهُ

الغاز المنير من الماء

بيّن الاستاذ طمس ان الماء الخارج من الآبار الارتوازية ونحوها يكون فيهِ غاز منير انارة كهربائية كالراديوم وهو يخرج منهُ بالاغلاء او بجعل الهواء يمرُّ فيهِ فيحمل الغاز معهُ . وهذا الغاز كثيف جدًّا وتسييلهُ اسهل من تسييل الهواء ورائحتهُ مثل رائحة غاز الفحم وقد امتحن مياهاً مختلفة فوجد هذا الغاز في كل المياه الخارجة من آبار عميقة ولم يجدهُ في ماء المطر ولا في مياه البرك ولا في المياه الخارجة من آبار غير عميقة

جبال القمر

حقق الرحالة مور ما ذكرهُ مئات من السيّاح قبلهُ وهو وجود جبال عالية في الجهة المتوسطة من شرقي افريقية تمتد من الشمال الى الجنوب وترتفع قننها حتى تصير فوق حد الثلج الدائم فيغطيها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء . وقد وجد ان الحد الذي يدوم عندهُ الثلج هناك ارتفاعهُ ١٣٥٠٠ قدم عن سطح البحر وارتفاع بعض تلك القنن ١٦٥٠٠ قدم لكن السر هري جنستن قدَّر ارتفاع بعضها اكثر من ٢٠٠٠٠ قدم وهي التي كان القدماء يسمونها جبال القمر قال ابو الفداء "وجبل القمر في الخراب الجنوبي عرضهُ احدى عشرة درجة جنوبي خط الاستواء ومنهُ منابع نيل مصر ولم يثبت وصول احد اليهِ بل شاهدوهُ من بُعد . قال النصير الطوسي في التذكرة انهم شاهدوهُ من بعد وهو ابيض من الثلج الذي عليهِ" . واستبعد ابو الفداء ذلك لشدَّة الحرارة هناك لكن ما استبعد صحتهُ صحيح لا شبهة فيهِ

هبة علمية

وهب المستر كارنجي مئتي الف جنيه لجمعيات المهندسين الاميركيين لكي يبنوا بها دارًا يجتمعون فيها في مدينة نيويورك ويجمعوا فيها مكتبة حافلة بنفائس الكتب

الاعلانات في اميركا

ينفق الاميركيون على نشر الاعلانات ستمئة مليون ريال كل سنة اي مضاعف ثمن القمح الذي يستغلونهُ . ومن مجلاتهم مجلة تأخذ اجرة الصفحة الواحدة اربعة آلاف ريال وعدد ما يطبع منها تسع مئة وخمسون الف نسخة . والذين يعلنون في اميركا لا يزيد عددهم على نحو الف نفس وقد اكتشفوا طريقة للكسب لم يهتدِ اليها غيرهم مع انهم يرونها دائمًا

آثار جازر

اهتمت جمعيَّة النقب في فلسطين بالبحث عن آثار مدينة جازر التي اعطاها ملك مصر مهرًا لابنتهِ زوجة سليمان الملك وهي بين يافا والرملة وقد وجد المستر مكلستر آثار سورها القديم وهو من عهد سليمان او من قبلهِ وآثار

سور آخر بعده' وآثار هيكل قديم جداً من قبل ايام بني اسرائيل وكثيرًا من الآثار المصريَّة من الجعلان ونحوها

بعل حرمون

على قنَّة جبل الشيخ المعروف في التوراة باسم جبل حرمون آثار هيكل قديم وجد فيهِ السر تشارلس ورن منذ نحو ٣٥ سنة حجرًا عليهِ كتابة يونانيَّة فاستأذن رشيد باشا والي دمشق حينئذٍ في نقلهِ الى بلاد الانكليز وتمكن الآن الاستاذ كلرمنت غانو من قراءة كتابتهِ واذا فيها ما ترجمتهُ

"باسم الاله الاكبر القدُّوس كل من. . . ."

وارتأى ان هذا الاله هو اله الساميين الذي كان يُعبَد في قنة ذلك الجبل ويسمَّى بعل حرمون وقد بني له' الهيكل الذي كان هناك

رحلة سفن هدن

خصَّصت حكومة اسوج اربعة آلاف جنيه لطبع رحلة الدكتور سفن هدن في قلب اسيا بكل تفاصيلها وسيكون فيها اطلس كبير في مجلدين ومجلدات اخرى لوصف البلاد التي سار فيها والارصاد الجوية التي رصدها وما رآه' فيها من النبات والحيوان . وسيطبع هذا الكتاب النفيس باللغة الانكليزية لكي يطلع عليهِ العدد الاكبر من القرَّاء

احدى معجزات الجراحة

من معجزات الجراحة عملية عملها جراحو مستوصف الرمد في غلاسكو باسكتلندا لشاب ولد اعمى فابصر . والجراحون هم الدكاترة روجرس وستوارت ومايتلندرمسي . وملخص الخبر ان رجلاً اعمى منذ ولادتهِ وعمره' ٣٠ سنة واسمهُ جون كاروث أُخذ في ٢٤ الماضي الى المستوصف المذكور فعملت له' عملية جراحية في عينيهِ فابصر وكان اول شيءٍ رآه' وجه الجراح الذي عمل له' العملية فلم يعلم ما هو فلما تكلَّم الجراح علم انهُ وجههُ . وله' اقوال واعمال واطوار غريبة فانهُ اعجب بكل شيءٍ رآه' وسمعهُ مما لا يعجب بهِ الاَّ الطفل الصغير ولا غرابة في ذلك . وقد شرع يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وغيرها من الامور الابتدائية التي يتعلمها الطفل من امهِ . ولما كان اعمى كان يعرف اصحابهُ من سماعه لاصواتهم فلما ابصر ووقف اصحابهُ امامهُ ظلَّ يعتمد في معرفتهم على سماع اصواتهم فلا يعرفهم الاَّ بعد ما يتكلمون

وقال انهُ لم يرَ بعد احدًا يبكي ولا يريد ان يرى ذلك بل يودُّ ان يرى الوجوه والثغور باشة مبتسمة . وركب مرة قطر سكة الحديد فاغرب في الضحك عند ما رأى المنازل والاشجار التي الى جانبي الطريق تتحرك ظنًّا منهُ انها هاربة

ومن اقوالهِ انهُ سئل عن رأيهِ في النساء فقال

"انهن جميلات جداً وكذلك المخلوقات العاقلة . ولقد طالما سمعت وانا اعمى ان النساء يرثين لي ويرفقن بي ويعطفن عليَّ وقد تحققت الآن صدق هذا الخبر وذكرت المثل القائل ليس السمع كالبصر . اما جمالهنَّ وانسهنَّ ولطفهنَّ فمما يعجز عن وصفهِ اللسان ولا يختلف فيهِ اثنان"

وسأَلهُ احد اصحابهِ عن رأيهِ في الاطيار فقال لهُ انهُ كان يعرفها من اصواتها لكنهُ يراها الآن بعينهِ فيشاهد طيرانها في الفضاء ونشوبها في عنان السماء وينظر ارتفاعها وهبوطها وقيامها وسقوطها ويعجب من عدم مشاركة الناس لهُ في الاعجاب بتغريدها الساحر وجمالها الباهر

ثم رأى بطة تسبح في غدير فشاقهُ منظرها ووقف يتفرَّسُ فيها وتأسف لما توارت عن عينيهِ قبلما يتملى رؤيتها ويتمتع منها . ورأى طيوراً داجنة فذكرتهُ الدجاجة الرنقاء فاحبَّ ان يراها حاضنة لبيضها وعائلة لفراخها . ثم رأى ما شاء من الخيل والبقر والكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات الاليفة فلم يعجبهُ منظرها كثيراً لانهُ كان يتلمسها وهو اعمى فرسم لها في ذهنهِ صورة من حيث كبرها وصغرها وما يتعلق باختلافها بعضها عن بعض فلم يعد يجد فيها شيئاً يستوجب دهشتهُ واستغرابهُ

التصوير على الاثمار

يعلم الذين رأَوا التفاح على الاشجار انهُ يحمرُّ في الجهة المعرَّضة للشمس ويبقى اخضر او اصفر في الجهة التي لا تصيبها الشمس . وقد انتبه بعض الفرنسويين لذلك وجعلوا يقطعون الورق الرقيق على اشكال حروف او صور ويلصقونها بالاثمار قبلما تنضج باسبوع من الزمان فترتسم صورة الورق على الثمرة وتباع بثمن غالٍ من نصف جنيه الى عشرين جنيهاً حسب اتقان الرسم وغنى المشتري

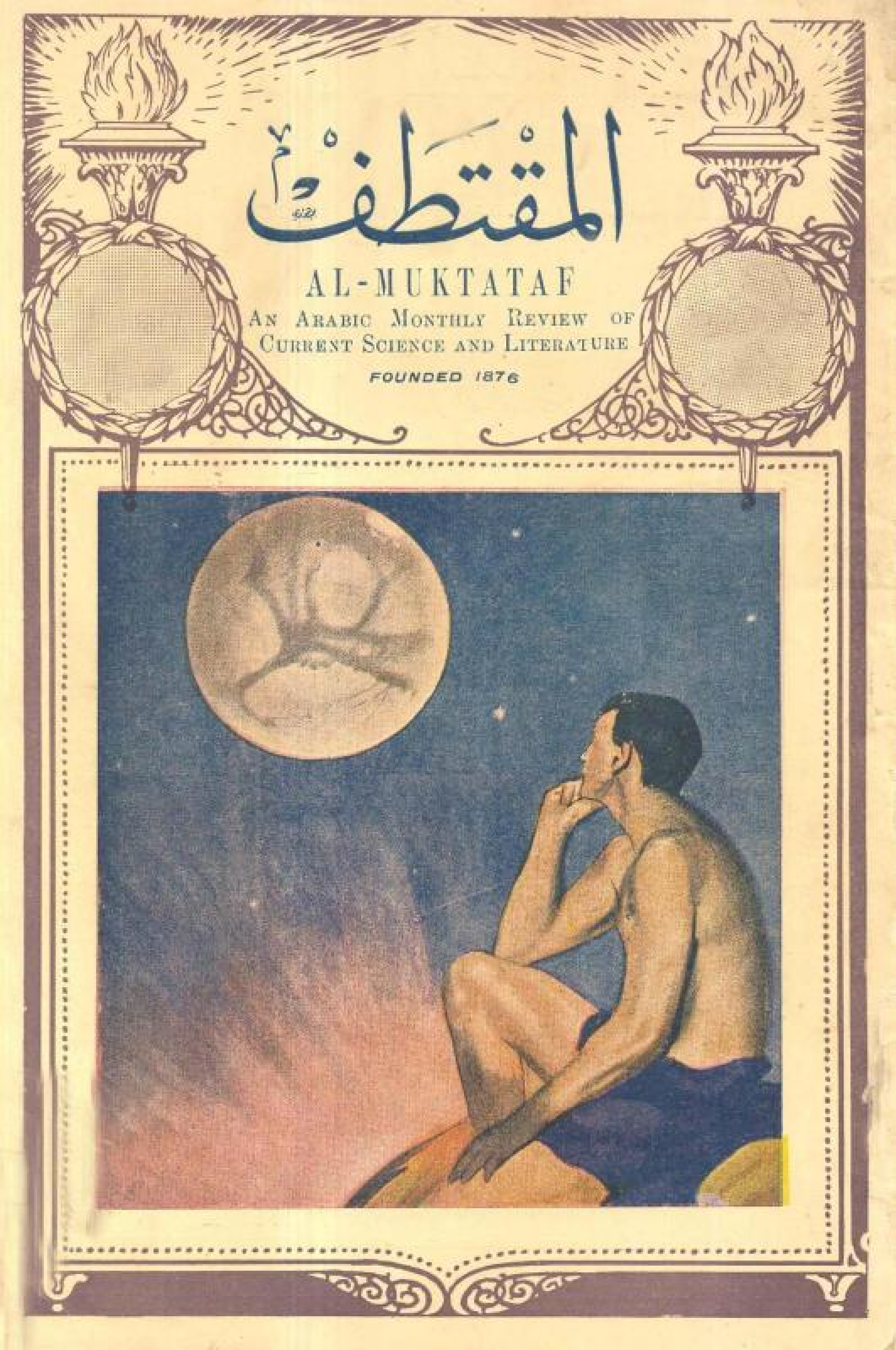
جلود الضفادع

تكثر الضفادع في بلاد الهند كما تكثر في كل بلاد حارَّة كثيرة الماء وقد وجد الهنود فائدة لها الآن بسلخ جلودها واستعمالها في تجليد الكتب والدفاتر ويقال ان جلد الضفدع لين ناعم يتلوَّن بما يراد من الالوان

قبائل الشلُّه

تبين لنا من حديث جرى لنا مع حضرة القس كلي جفن المرسل الاميركي المقيم بين زنوج الشلُّه المعروفين عندنا بالشلك على ضفة نهر السُّبَت في مديرية فشودة بالسودان انهم يعتقدون كلهم بوجود اله كبير واله اصغر منهُ وهذا الثاني هو الذي يهتم بامورهم ويميزون بين الحلال والحرام ويصدقون في كلامهم ويكرمون نساءهم اكثر من كثير من الامم المتمدنة في الشرق ويعتنون بنظافة منازلهم

فهرس الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١

المُلْك وحقوق الملوك

وحادثة السرب

لم نرَ للكلام على حادثة السرب تمهيدًا افضل من فصل كتبهُ حضرة المحامي الفاضل داود بك عمون ونشرناهُ في المقطم على اثر هذه الحادثة قال فيهِ :

ما برح الخلاف قائمًا منذ القدم بين الملوك والشعوب على طبيعة المُلك وحقوق الملوك يدعي الاولون ان الملك حق الهي وانهُ وديعة في ايديهم من الخالق لا يحاسبون عنهُ الاَّ امامهُ وليس للبشر عليهم مراقبة ولا محاسبة اساءوا في استعمال سلطتهم ام احسنوا وان طاعتهم امر واجب محتم والانتقاض عليهم اثم فظيع محرم

والشعوب تعتقد ان الملك انابة من الجمهور لشخص معين بشروط معلومة يجوز للجمهور مناقشتهُ الحساب عن كيفية تأديتهِ لها وعزلهُ منها وعقابهُ اذا لم يحسن القيام بها او اساء استعمالها

ولم تنفرد ملوك الغرب بهذه الدعوى بل ادعاها ايضًا ملوك الشرق وكانت منتشرة عند العرب في الجاهلية وقد عرضت هذه العقدة لكليب المشهور فلم يتعرَّض لحل الخلاف حلاًّ قانونيًّا بل ذكر المذهبين وقتل الملك وتركنا نتشوق الى معرفة رأيهِ فقال

ان يكن قتلنا الملوك حرامًا او حلالاً فقد قتلنا لبيدا

ثم جاء الاسلام بالخلافة الانتخابية والبيعة الجمهورية فقضى على مذهب القائلين بقولهم الى ان انتهى عهد الخلفاء الراشدين

اما اليوم وقد ترقت العقول وارتقت النفوس فلم يبقَ لهذا المذهب انصار الاَّ القوة والرهبة في بعض الممالك الشرقية او المتصلة بالشرق كالصين وايران وروسيا وحسبك دليلاً على ذلك

ان اعظم الدول مدنية وحضارة فرنسا وانكلترا قد حاكمت كلٌّ منهما احد ملوكها ونفذتا عليهما حكم الاعدام ولم يغنهما حقهما المزعوم فتيلاً . وقد اضطرَّ الملوك بعد الثورة الفرنسوية مرضاةً لشعوبهم ان يتقيدوا بقوانين ونظامات تعرف بالدستور او القانون الاساسي تخول للشعب بواسطة نوابهِ حق التشريع وادارة الاحكام بمفردهِ او بالاشتراك مع الملك ويتعهد كل من الملك والشعب باحترام ذلك الدستور ويقسم الملك بشخصهِ والشعب بلسان نوابهِ يميناً مغلظة على ذلك. ومملكة السرب من الممالك ذوات الدستور الاَّ ان ملكها الشاب لم يزل على ما يظهر من رأي القائلين بالمذهب الاول وهذا من الغرابة بمكان فانهُ اذا جاز لسليل البوربون ان يعتبر شخصهُ فوق عامة البشر وحقهُ الهيّاً لتقادم عهد بيتهِ بالملك الرفيع والشرف الاثيل فما رأيك في هذا الاعتقاد عند سليل راعي الخنازير

فالملك اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبهِ في استعمال حقوقهِ الشخصية كاقترانهِ بامرأة عاقر من بيت وضيع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فيكتسب لبلادهِ حليفاً ينفعها عند الحاجة ووريثاً يقيها اخطار الاضطراب والحرب الاهلية عند انتخاب خلف لهُ فتغيرت بذلك قلوب رعيتهِ عليهِ ولم يقف عند هذا الحد بل انهُ غدر بعهدهِ لامتهِ وحنث بيمينهِ لها وتعدى على حقوقها بايقافهِ الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى اوطارهُ الاستبدادية ثم اعادهُ كأن الدستور ملكهُ يعطيهِ اذا رضي ويستردهُ اذا غضب

فيتضح مما تقدم انهُ رحمهُ الله استوجب المؤاخذة واستحق المحاكمة

بقي اذاً ان نبحث في كيفية محاكمتهِ وايصال القصاص اليهِ وهنا نسلّم بأنهُ كان يجب محاكمتهُ محاكمة قانونية بكل مظاهرها وان الذين قتلوهُ لم تكن لهم صفة لمد يد الاذى اليهِ وان الانسانية كانت تقضي بعزلهِ او نفيهِ ولكن هذا الامر سهل نظرياً اما في الواقع فهو مستحيل اوفي حكم المستحيل . اما محاكمتهُ بالطرق المعتادة فبالبداهة غير ممكنة فاي موظف يرفع الدعوى عليهِ واي قاضٍ يحاكمهُ والموظفون والقضاة في يدهِ يوليهم ويعزلهم متى شاء . واذا فرضنا وجود قضاة للحكم عليهِ فهل يرضى بان يساق الى المحاكمة صاغراً ولهُ الحرس والانصار والاعوان فما هي الاَّ الحرب الاهلية وما تنتجهُ من تعطيل اعمال وقتل رجال وتيتيم اطفال

واما نفيهُ او سجنهُ فلا يعودان بفائدة لان الملك يبقى ما عاش سبب خوف وفتنة واقلاق لراحة بلادهِ لا تهدأ لها حال ولا يطمئن لها بال فضلاً عن تداخل الدول في امرهِ واعادتهِ بالقوة الى ملكهِ فلذلك رأى الثائرون ان اسهل الطرق للتخلص من استبدادهِ اعدامهُ فاعدموهُ مختارين بذلك اخف الشرين . والحق يقال انهُ لم يكن لهم سبيل آخر يسلكونهُ ليخرجوا من

ذلك المأذق الأ رضوخهم للصغار واقامتهم على الذل . نعم اننا لا نبرئهم لقتل نفس من غير محاكمة قانونية مهما كانت الاحوال ولكننا نجد لهم ما يخفف جرمهم بمخالفة الملك نفسهِ للقوانين التي كان قد اقسم انهُ يحترمها فلسان حالهم ينشدهُ

فلا تجزعن من خطة انت سرتها واول راض خطة من يسيرها

والذي نراهُ انهُ لا بدَّ من محاكمة الذين قتلوهُ وان اول عمل للملك الجديد سيكون اجراء تلك المحاكمة ولكن سيجدون من سوء تصرف القتيل وبغض الشعب لهُ ما يشفع في ذنبهم فيمحوهُ او يكاد

وفي هذا الحادث عبرة للحكام تذكرهم انهم اذا كانوا قد أُعطوا قوةً وجاهاً ومالاً واجلالاً يستمدونها من الهيئة المحكومة فما ذلك الأ مقابل حسن خدمتهم لها وجزاء سهرهم عليها لا ليتمكنوا من قهرها بقوتها واذلالها بعدتها وقتلها بسلاحها . ولله در شوقي حيث قال

ان ملكت الرقاب فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء

يسكن الوحش للوثوب من الأ سر فكيف الخلائق العقلاء انتهى

هذا ولما كتب الكاتب ذلك لم يكن قد اطلع على التفاصيل التي وردت بعدئذٍ عن محاولة هؤلاء القتلة اغتيال ملكهم وزوجتهِ بالسم وعن التمثيل بهما على صورة تقشعرُّ منها الابدان وتدلُّ على ان الطبيعة الوحشيَّة تغلَّبت عليهم فلم يعد غرضهم ابعاد الملك عن سرير الملك ولو بقتلهِ بل الانتقام منهُ ومن زوجتهِ باية صورة كانت والمحرّك الاول لهم ولغيرهم من المتواطئين معهم على هذه المكيدة ليس الاحتفاظ بدستور البلاد لكي تزيد سعادتها ويمنع عنها الحيف بل انتزاع مقاليد الاحكام من اسرة مالكة وتسليمها الى اسرة اخرى ولا مزية لاسرة على اسرة كأنهم مأجورون لهذا المنكر فارتكبوا فظيعة من اكبر الفظائع قتلوا ملكاً وزوجتهُ واخويها واناساً آخرين حتى لا يبقى امامهم احد يطالبهم بما فعلوا وحاولوا تقويض اعظم ركن من اركان العمران قضاء لاغراض ذاتية

اما بلادهم فكانت سائرة في سبيل الارتقاء سيراً حثيثاً وللعائلة التي قرضوها اغتيالاً فضل كبير عليها وايضاحاً لذلك نورد الفذلكة التالية من تاريخها

السرب قطعة من شبه جزيرة البلقان يحدها من الشرق رومانيا والبلغار ومن الغرب بلاد البوصنه ومن الشمال بلاد المجر ومن الجنوب البانيا . وقد هاجر اهاليها اليها من بلاد المجر سنة ٦٣٨ للميلاد واعتنقوا الديانة المسيحيَّة وبقوا اربع مئة سنة تحت سلطة امرائهم . وحاولت الدولة البيزنطيَّة الاستيلاء عليهم فلم يتم لها ذلك . وقوي شأنهم في عهد اميرهم اسطفان دوشان (١٣٣٦ —

١٣٥٦) فانهُ استولى على بلغاريا ومكدونيا والبانيا واكثر بلاد البلقان وطمع في انشاء مملكة منيعة تقاوم مملكة الترك لكنهُ توفي قبلما استتب لهُ ذلك وخلفهُ ابنهُ وكان ضعيف الرأي فانقسمت بلادهُ وتضعضعت احوالها فتغلَّب الاتراك عليها سنة ١٣٨٩ فصارت ايالة من ايالات الدولة العثمانية لكن اهاليها بقوا يمنّون انفسهم بالاستقلال وحاولوا ذلك مرارًا ولاسيما في عهد اسكندر بك الالباني في اواسط القرن الخامس عشر

ومرَّت عليهم ثلاثة قرون بعد ذلك والانكشارية يذيقونهم الذل الوانًا حتى انقرضت عيال كثيرة منهم. وسبي منهم في وقت واحدمئتا الف نفس بيعوا عبيدًا وكان فتيانهم يؤخذون منهم كل سبع سنوات ويربون في الاستانة لينظموا في سلك الانكشارية

وضمت بلاد السرب الى مملكة النمسا سنة ١٧١٨ ثم ردت الى الدولة العثمانية سنة ١٧٣٩ واخيرًا عيل صبر السربيين فنهضوا نهضةً واحدة سنة ١٨٠٤ بقيادة رجل باسل اسمهُ قره جورج وهومن مقتني الخنازير فطرد الانكشارية من البلاد واستولى على بلغراد وغيرها من الحصون . ولما أُمضيت معاهدة بخارست بين الدولة العلية والروس جاء فيها ان السرب تستقلُّ استقلالاً اداريًا وتقيم حامية عثمانية في كل حصونها . لكن الجنود العثمانية عادت فدوخت البلاد كلها فهرب قره جورج الى بلاد النمسا وثار السربيون ثانية سنة ١٨١٥ واختاروا لهم زعيمًا اسمهُ ميلوش اوبرنوفتش وهومن الرعاة ايضًا فتغلب على الجنود العثمانية حتى لم يبقَ منها في البلاد الاَّ حامية الحصون . وظل ميلوش هذا زعيمًا لاهالي السرب في طلب الاستقلال وقتل مناظرهُ قره جورج ونودي بهِ حاكمًا على البلاد واعترفت بهِ الدولة العلية اميرًا عليها في معاهدة بخارست وحصرت الامارة في نسلهِ لكنهُ كان مستبدًا فاضطرهُ شعبهُ الى التنازل لابنهِ ميلان سنة ١٨٣٩ وتوفي ميلان هذا تلك السنة فخلفهُ اخوهُ ميخائيل وتقوى حزب الاسكندر ابن قره جورج فطرد ميخائيل واقامهُ اميرًا على السرب واعتمد ميخائيل على الباب العالي وحكومة النمسا بدلاً من الاعتماد على روسيا وكان عاجزًا عن ادارة الاحكام فكثر مبغضوهُ واضطروهُ الى التنازل سنة ١٨٥٩ واعادوا ميلوش الاول من منفاهُ ونصبوهُ اميرًا عليهم وتوفي بعد سنتين فخلفهُ ابنهُ ميخائيل واخذت البلاد تفلح في ايامهِ فخمدت البغضاء من بين احزابها وساد النظام والقانون وبثت في الناس حياة جديدة فانتظمت الجندية وسارت البلاد في مراقي الفلاح وخرجت آخر حامية تركية منها ١٨٦٧. وقُتل الامير ميخائيل في السنة الثانية قتلهُ أُناس من حزب قره جورج فخلفهُ ميلان الرابع وفي ايامهِ نشبت الحرب بين الترك والروس ونالت السرب استقلالها التام واضيفت اليها ثلاثة اقضية ونودي بالامير ميلان ملكًا عليها في السادس من

شهر مارس سنة ١٨٨٢ ثم تنازل عن الملك لابنهِ اسكندر سنة ١٨٨٩ وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٩٠١ اما ابنهُ فكان عمرهُ ١٣ سنة لما تنازل لهُ ابوهُ فعين لهُ الاوصياء الى ان يبلغ سن الرشد لكنهُ قبض على ازمة الملك في ١٣ ابريل سنة ١٨٩٣ وعمرهُ ١٧ سنة واقترن بالسيدة دراجا ماشين في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٠ وهي اكبر منهُ بتسع سنوات وكانت من وصائف امهِ

وحكومة السرب دستورية وكان لها دستور اقرَّت عليهِ الجمعية العمومية في ٢ يناير سنة ١٨٨٩، فالغاهُ الملك اسكندر سنة ١٨٩٤ وعاد الى دستورها القديم الموضوع سنة ١٨٦٩ ثم وضع لها دستورًا جديدًا في ابريل سنة ١٩٠١ حصر فيهِ وراثة الملك بنسلهِ من الذكور والاناث . والقوة التنفيذية محصورة في الملك يساعدهُ مجلس النظار والقوة التشريعية في الملك بالاتحاد مع الجمعية العمومية ومجلس الشيوخ

ومساحة بلاد السرب ١٨٦٣٠ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها في آخر سنة ١٩٠١ مليونين و ٥٣٦ الفاً وهي زراعية كثيرة الحراج والمراعي وفيها كثير من القطعان والبساتين وكان عدد سكانها مليوناً و٩٠٠ الف نفس سنة ١٨٨٤ فزادوا ٣٠ في المئة في اقل من عشرين سنة وعاصمة بلادهم بلغراد فيها نحو سبعين الف نفس والاهالي مسيحيون على مذهب الكنيسة الارثوذكسية وبينهم نحو عشرة آلاف من الكاثوليك ونحو عشرين الفاً من مذاهب اخرى . وعندهم مدرسة جامعة فيها قسم للفلسفة وقسم للحقوق وقسم للهندسة عدد تلامذتها ٤٦٣ واساتذتها ٦٢ وست عشرة مدرسة عالية فيها نحو ٦٠٠٠ تلميذ منها مدرسة للبنات فيها نحو ٩٠٠ تلميذة ومدارسهم الابتدائية كثيرة فيها اكثر من مئة الف تلميذ . والتعليم الابتدائي اجباري ومجاني . وفيها عدا ذلك مدرسة حربية ومدرسة تجارية ومدرسة زراعية ومدرسة لزرع الكروم خاصة ومدرسة لعلم المساحة هذا عدا المدارس الخاصة وملاجئ الايتام وكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة اربعة في المئة فقط من السكان سنة ١٨٧٤ وهم الآن اربعة اضعاف ذلك وايراد الحكومة آخذ في الازدياد المستمر فقد كان ٦٣ مليون فرنك (دينار) سنة ١٨٩٨ فبلغ ٧٨ مليون فرنك سنة ١٩٠٠ وصادراتها ووارداتها جارية هذا المجرى ايضاً واكثر صادراتها من المواشي والحاصلات الزراعية والجلود والخمور . وكل مقابلة بين حاضرها وماضيها تدل على ارتقاء مستمر فيها

والسربيون اقوياء الابدان ميالون الى الحرب طبعاً يحبون بلادهم ويتغنون بمدحها ويميلون الى الرقص والطرب . شجعان مضيافون كبار الهمم لكنهم حادو الطبع سريعو الغضب يميلون الى الافراط وهذا يفسر اقدامهم على ما ارتكبوهُ اخيرًا من المنكر ثم ابداءهم دلائل البهجة والسرور

ما يلزم من الغذاء

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ تشتندن الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية فاقتطفنا منها ما يأتي قال الكاتب :

ليس بين المسائل التي يشتغل الانسان بحلها ما هو اعظم شأناً لخير الفرد والمجتمع الانساني من مسألة تغذية الجسم . فان الانسان يأكل ليعيش وليدخر قوة تمكنهُ من القيام باعمالهِ اليومية فاذا لم يكن الغذاء كافياً اختلت آلة الجسم واذا كان زائداً عن القدر اللازم اضرَّت تلك الزيادة بالجسم كما لو كان الغذاء ناقصاً عنهُ لانها تستلزم اسرافاً في النفقة وفي قوى الجسم يفضي الى انهاكهِ عاجلاً او آجلاً . ولا يخفى ان وظيفة الطعام امداد الجسم بالمواد التي يستخلص منها القوَّة اللازمة لهُ فكلُّ زيادة عن المطلوب انما هي حمل ثقيل عليهِ تفضي الى اختلالهِ واعتلالهِ

هذا واذا كانت حالة الجسم الفسيولوجية حسنة اصبح صالحاً للعمل ادبياً وعقلياً ومادياً . والاَّ تعرَّض للامراض والعلل الادبية والاجتماعية والعقلية والبدنية . فلا بدَّ للعقل الصحيح والآداب القويمة والقوة البدنية من جسم سليم . والغالب ان يكون الخروج عن حدود الاعتدال في المعيشة داعياً الى الانهماك في الشهوات او تذيرًا بهِ . فان الصحة والقوة والآداب تتوقف على اتمام شرائع الطبيعة وعليهِ فالواجب يقضي على كل أُمة ترغب في ترقية قواها البدنية والعقلية والادبية ان تبحث في ماهية تلك الشرائع حتى تتمكن من الجري على سننها والاَّ فان عاقبة العصيان الوقوع في مخالب الفقر وارتكاب الجرائم وانتياب الاسقام البدنية وكلل الشعور الادبي وغيرها من المحن التي تصحبنا ما دمنا احياء ويتوارثها الخلف عنَّا

والحاجة شديدة في هذا الزمان الى درس قوانين الغذاء والتغذية درساً دقيقاً لانها اساس المعيشة الحسنة والى معرفة ما يلزم لاستخدام الطعام على اتمّ الطرق واكثرها اقتصاداً للجسم ومعرفة اقلّ ما يستطيع الجسم ان يعيش بهِ من الغذاء وتأثير انواع الطعام المختلفة في نموّ الجسم واعادة قواه وتأثير الحالة العقلية في الهضم والتغذية . وهذه المسائل كلها قابلة للحلّ وعلى حلها يتوقف شفاء كثير من الاسقام

اما آراؤنا في كمية الطعام اللازمة للفرد المتمتع بالصحة ونوعهِ لحفظ توازن الجسم في حالتي الراحة والعمل فمبنية على ما اعتاد المتمدنون عملهُ لا على ما يجب ان يعملوهُ قضاء لحاجات

الجسم . فقد سمَّى السر وليم روبرتس الفم "ضمير الطعام [١]" وقال ان هناك افواهاً كثيرة لا تصلح لما جعلت لهُ وربما كان ذلك ناشئاً عن فساد طرق المعيشة . فان ما اعتادهُ الناس عموماً من التسليم بمطالب النفس والخضوع لاوامر الذوق بلا نظر الى حاجات الجسم الفسيولوجية يفضي بهم طبعاً الى مقياس فاسد للمعيشة مخالف للشرائع الطبيعية كل المخالفة

وقد جمع كثيرون من علماء الفسيولوجيا احصاءات عما يلزم الفرد من الطعام كلَّ يوم منهم العالم فويت الالماني واتووتر الانكليزي . فالاول يذهب الى انهُ يلزم الرجل الذي يعمل عملاً معتدلاً ١١٨ غراماً من الطعام المحتوي على البروتيين او الالبومين [٢] و٥٦ غراماً من الدهن و٥٠٠ غرام من المواد الهيدروكربونية كالسكر والنشا وفيها كلها من الحرارة ما يساوي ٣٠٥٥ وحدةً . واذا كان العمل شاقاً لزمهُ ١٤٥ غراماً من البروتيد و١٦٠ غراماً من الدهن و٤٥٠ غراماً من الكربوهدرات وفيها ٣٣٧٠ وحدة من وحدات الحرارة . وأما الثاني فمن رأيهِ ان الانسان الذي يعمل عملاً معتدلاً يحتاج يومياً الى ١٢٥ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٣٥٠٠ وحدة من الحرارة . وان الذي يعمل اعمالاً شاقة يحتاج الى ١٥٠ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٤٥٠٠ وحدة من الحرارة

والعلماء متفقون عموماً على ان هذين التعديلين صحيحان وان الفرد لا يحتاج الى اكثر مما هو مذكور فيهما على وجه التعديل . واذا ثبت ان هذا القدر اكثر من اللازم لحاجات الجسد فالنتيجة ان قسماً من الطعام يقدَّر ثمنهُ بالمال الكثير ذاهب سدًى على حين انهُ يمكن ان ينفق في وجهتهِ فيعود بالفائدة المطلوبة . فان العامل المُعيل الذي يهمهُ الاقتصاد في نفقاتهِ اذا اقتصد تلك الزيادة انفقها على تعليم اولادهِ او مشترى اشياء لا غنى لاهل بيتهِ عنها في ترقية آدابهم وعقولهم مثل الكتب المفيدة واشباهها

على ان البعض يعترضون على هذا النوع من الاقتصاد ويعدونهُ ضرباً من البخل ومبالغة في الشحّ والتقتير . فقد اصبح همنا في هذه الايام ان تكون موائدنا حافلة بالوان الطعام وانواع الشراب وان نأكل ونشرب قدر ما تشتهي نفوسنا من كلّ ما لذَّ وطاب وصار المتوسط

---

(١) اي القوة المميزة بين الطعام الجيد والرديء تشبيهاً لهُ بالضمير الادبي وهو القوة المميزة بين الخير والشر كما لا يخفى

(٢) البروتيين او البروتيد احد المواد الاصلية التي تتألف منها انسجة الجسم او اللحم . والالبومين مادة أخرى من تلك المواد الاصلية وهو ما نسميهِ بالزلال

الحال لا يكتفي الأَّ بمشترى الاطعمة الفاخرة الغالية الثمن ظنًا منهُ انهُ ان فعل ذلك حسنت صحة اهل بيتهِ وزادت قوتهم وان اقتصاداً مثل هذا يعرّض صحة اولادهِ للخطر

ولا يخفى ان طعام الانسان مقسوم ثلاثة اقسام الاول البروتيدات او الالبومينات ومنهما اللحم والبيض والجبن والجلوتن او الصمغ الذي في الحنطة . والثاني الكربوهيدرات كالسكر والنشا والثالث المواد الدهنيَّة وهي اما حيوانية واما نباتية . ومن خصائص المواد البروتيدية انها تحتوي على نحو ١٦ في المئة من النيتروجين. والمواد الدهنية والنشوية تحتوي على كربون وهيدروجين واكسجين فقط . اما المو د الدهنية والهيدروكربونية فتحترق دقائقها في الجسم وتتحول الى غاز الحامض الكربونيك وماء . واما المواد البروتيدية فانها تفرز غاز الحامض الكربونيك وماء وكلّ ما فيها من النتروجين على شكل مواد نتروجينية متبلورة في مفرزات الجسم . ووظيفة هذه المواد امداد انسجة الجسم بالدقائق اللازمة لبنائها مكان الدقائق المندثرة منها ولذلك لا يستطيع الجسم ان يعيش بدونها طويلاً . واما وظيفة المواد الدهنية والهيدروكربونية فمعظمها توليد القوة. والمواد الدهنية اصلح من المواد الهيدروكربونية لذلك فان الغرام منها يفيد مثل غرامين من المواد الهيدروكربونية بالتأكسد او الاتحاد بالاكسجين . واعلم ان مواد الطعام المختلفة لا تفيد الجسم مباشرة بل لا بدَّ من ان تهضم اولاً ثم تمتص وتتمثَّل وبعد ذلك يعتريها الانحلال فيخرج ما فيها من القوَّة التي تظهر في شكل حرارة او حركة. ففائدة الطعام يتوقف كثير منها على اكتمال هضمهِ واستعمال الجسم لهُ. والافراط في تناول المآكل البروتيدية يفضي الى زيادة الفضول النتروجينيَّة وهذه الفضول تؤَثر في الجهاز العصبي وغيرهِ من اجهزة الجسم قبل افرازها منهُ وتؤدي الى نتائج وخيمة . وكذلك يقال عن الافراط في تناول المآكل غير النيتروجينيَّة فانهُ يكلف الجسم عناء لا لزوم لهُ اذ لا بدَّ من هضمها وامتصاصها والاَّ اختمرت في المعدة والامعاء وفسدت فأدَّت الى اسقام عديدة واذا امتصَّ الجسم منها ما يزيد عن حاجتهِ ذخر تلك الزيادة في هيئة الدهن ولكنهُ يتحمَّل حملاً لا لزوم لهُ فيعيق سير آلتهِ

فيظهر من ذلك ان تناول مقدار من الطعام يزيد عن حاجة الجسم الفسيولوجية ليس من الحكمة في شيءٍ وربما ادى الى اضرار جسيمة لانهُ يوقع الخلل في آلة الجسم بدلاً من ان يزيدها قدرةً حتى تتمكن من قضاء عملها اليومي وقد اثبتت تجارب بعض علماء الفسيولوجيا ان الانسان يستطيع ان يعيش وصحتهُ جيدة على نصف ما يقدرهُ العالم الالماني فويت وعلى اقلّ مما يظنّ من المواد البروتيدية . ولكن لما كانت تلك التجارب لا تتجاوز مدة قصيرة من الزمن فلا يصح اتخاذها دليلاً صادقاً على ما يلزم في المدات الطويلة فقد قال العالم الالماني شافر " انهُ يشك

في ما اذا كان الرجل المتوسط القامة والثقل يستطيع ان يعيش زمناً طويلاً على اقل من ١٠٠ غرام من المواد البروتيدية في اليوم لكن اثبت العارفون ان كثيرين من سكان اسيا يأكلون من المواد البروتيدية اقل من الاوربيين بكثير . فان اهل الهند واليابان والصين يعوّلون في طعامهم على الارز وهو لا يحوي سوى قليل من البروتيد وعليهِ اتخذ بعضهم ذلك دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش على اقل مما يقدرونهُ لهُ غالباً من البروتيد ولكن ليس لدينا احصاءات يستدلُّ منها ان الاسيوي الذي يعمل قدر ما يعمل الاوربي يحتاج الى اقل مما يحتاج اليهِ الاوربي من البروتيد بالنسبة الى ثقل جسمهِ . والواقع ان ما لدينا من المعلومات يدل على ضدّ ذلك "

فالحقيقة ضائعة بين هذا العالم وذاك وهي ضالتنا المنشودة في هذه المقالة فنقول :

جرّب بعضهم عند كاتب هذه المقالة تقليل الطعام في نفسهِ مدة خمس سنوات فاعتدل بهِ واقتصد كثيراً فكانت النتيجة ان قواهُ الجسدية والعقلية تحسنت جداً ووجد انهُ يصلح لعمل اي كان من الاعمال من غير ان يشعر بالتعب العادي الذي يشعر بهِ الانسان بعد اجهاد قوتهِ البدنية . فهو يأكل قدر ما تشتهي نفسهُ ولكن ذلك القدر صار اقل مما يتناول الفرد منّا عادة

وبقي ثلاثة عشر يوماً في يناير الماضي تحت مراقبة كاتب هذه المقالة فكان يحلّل مفرزاتهِ كل يوم ليعلم مقدار البروتيد الذي ينفقهُ جسمهُ فظهر لهُ ان ذلك بلغ ٤١٫٢٥ من الغرام كل يوم وبقي ثقل الجسم على حالهِ (١٦٥ ليبرة) وكان يتناول من البروتيد يومياً نصف المقدر في مقياس فويت ولم تكن المواد الدهنية والنشوية والسكرية تحلُّ محل البروتيد او تسدُّ نقصهُ . وكان مطلق اليد في اختيار ما شاء لطعامهِ وقد اوصي باتباع عاداتهِ في تناول الطعام . فظهر من تحليل مفرزاتهِ ان فيها من النيتروجين ما يعادل انفاق ٤١٫٢٥ من الغرام من البروتيد يومياً على المتوسط فقد كانت تزيد حتى تبلغ ٤٧٫٠٥ وتنقص حتى تصل الى ٣٣٫٠٦ غرام

واستؤنفت مراقبتهُ في فبراير فكان طعامهُ ومفرزاتهُ تحلَّل تحليلاً دقيقاً كلَّ يوم ليعلم مقدار ما يتناول من البروتيد والمواد الدهنية والنشوية وكان طعامهُ بسيطاً مؤلفاً من حبوب مطبوخة ولبن وسكر يتناول قدر ما يشاء منهُ مرتين في اليوم . وبقي كذلك سبعة ايام . وكان الطعام يوزن وتركيبهُ الكيماوي يعيّن قبل تناولهِ . فبلغ متوسط ما تناولهُ من البروتيد في اليوم ٤٥ غراماً وتناول من الدهن والنشا ما يكفي للحصول على نحو ١٦٠٠ وحدة من الحرارة كل يوم . وهذا ليس شيئاً بالنسبة الى مقاييس الطعام المعوَّل عليها . فان اقلَّ ما يجب ان يتناولهُ

الانسان من البروتيد كل يوم بموجب مقياس فويت يبلغ ١١٨ غراماً وما يولده من الحرارة ٣٠٠٠ وحدة

وربَّ سائل يسأل هل كان الطعام الذي تناولهُ الشخص المذكور آنفاً كافياً لحاجات جسمهِ او لجسم رجل زنتهُ ١٦٥ ليبرة . والجواب على ذلك انهُ كان يأكل ما تطلبهُ نفسهُ الى الشبع وكان حرًّا في اكل اكثر منهُ اذا أراد. والجواب الفسيولوجي ان وزن جسمهِ بقي على حالهِ في الستة الايام المذكورة ومقدار الداخل اليهِ من النيتروجين والخارج منهُ بقيا متساويين تقريباً وعليهِ فالطعام المذكور آنفاً كان كافياً لحاجات جسم الرجل على بساطتهِ وقلة كميتهِ بالنسبة الى الكمية الواجبة في عرف علماء الفسيولوجيا

وهناك سؤَال آخر وهو هل يقدر الانسان ان يقوم باعمالهِ وهو يأكل طعاماً كافياً فقط لحفظ وزن جسمهِ على حالهِ وحفظ توازنهِ الفسيولوجي . والجواب على ذلك نقول ان الرجل المذكور أُخذ الى كلية يايل حيث روَّض بدنهُ على الالعاب الرياضية بادارة الدكتور اندرسون. وهذا ما كتبهُ الدكتور اندرسون في تقريرهِ عنهُ :—

" روَّضت المستر فلتشر على ما يلعبهُ المتقدمون في الجمنستيك من الالعاب الشاقة التي لا يستطيع المبتدئون لعبها بلا تعب والم وتأثيرها شديد في القلب والرئتين وعضلات الاطراف والجذع . وهي لا تعلَّم للمبتدئين لعنفها . فكانت النتيجة انهُ لعبها بسهولة لا مزيد عليها وبلا الم وعادت عضلاتهُ في اليوم التالي الى ما كانت عليهِ قبل اللعب ولم يظهر عليها اثر التسمم بالحامض الكربونيك وكانت ضربات قلبهِ سريعة ولكنها منتظمة وعادت الى حركتها الاصليَّة باسرع مما تعود اليهِ في قلوب الذين من ثقلهِ وسنهِ . وقد ادهشني انهُ يستطيع عمل ما يعملهُ لاعبو الجمنستيك المتمرنون على اللعب من غير ان يبدو عليهِ اثر التعب . وخلاصة الامر ان المستر فلتشر يعمل هذا العمل باكثر سهولة واقلّ تعب من جميع الذين تروضوا عندي وكانوا من سنهِ "

ومما لا بدَّ من ذكرهِ ان المستر فلتشر لم يروّض جسمهُ عدة شهور في ما سوى المشي العادي . ومع ان طعامهُ كان قليلاً ولم تزد كميتهُ على نصف الكمية اللازمة لحفظ قوام الجسم باتفاق العلماء فقد ظهر انهُ كان كافياً لامداد جسمهِ بالقوة اللازمة للرياضة لانهُ اتمَّ الالعاب المذكورة بلا تعب ولا الم ولم يحمّل قلبهُ ورئتيهِ ما هو فوق طاقتها ولم يفقد جسمهُ شيئاً من ثقلهِ

هذا من حيث الاقتصاد الفسيولوجي واما من حيث الاقتصاد المالي فان ثمن الطعام الذي

اكلهُ في السبعة الايام وظهر انهُ كافٍ لحاجات جسمهِ يبلغ ٧٧ سنتاً [١] او ١١ سنتاً في اليوم وهو اقلُّ من القليل في جنب ما ينفق على الطعام العادي . وقد اعترف المستر فلتشر انهُ اتَّبع هذه الطريقة من المعيشة خمس سنوات وانهُ يتناول الطعام مرتين في اليوم وانهُ اصبح مولعاً بالسكَّر والمواد النشوية على العموم ومتجنباً لأكل اللحوم. وان صحتهُ حسنة على الدوام ويرى نفسهُ صالحاً للعمل في كل آن. ومن عادتهِ مضغ الطعام كثيرًا حتى يمتزج باللعاب جيدًا سواءٌ كان سائلاً او جامدًا فيسهل بذلك الهضم والانتفاع باجزاء الطعام المغذية انتفاعاً تامًا

فيستنتج من التجارب المذكورة آنفاً وقلة تعويل بعض الامم الاسيوية على المآكل اللحمية في طعامها ومذاهب القائلين بوجوب الاقتصاد على اكل الفواكه والخضر انهُ يمكن البشر ان يزيدوا في الاقتصاد الفسيولوجي عما هم عليهِ الآن . فان كانت الامور المتقدمة حالات شاذة عن القاعدة العمومية وجب ان نعلم ذلك والأَّ فان كان يمكن الانسان عموماً ان يعيش جيدًا على اقلّ مما يعدُّهُ العلماء ضروريًّا للمعيشة وجب ان تحقق ذلك ايضاً . لانهُ ان كانت المقادير المعينة من الغذاء الآن زائدة عن الحدّ اللازم كنا والاقتصاد على طرفي نقيض فضلاً عن اننا نعرّض انفسنا لحالات مناقضة لقواعد الصحة وبالتالي منافية للراحة والرفاهة

ومما لا يحسن الاغضاء عنهُ قبل اختتام هذه المقالة ان تجارب كثيرة في هذا الصدد جرّبت في كلية كمبردج حديثاً وفي البندقية وعرضت على الجمعية الطبية الانكليزية ومؤتمر الفسيولوجيا الدولي الذي عقد في تورين بايطاليا اخيرًا فجاءت نتائجها مؤيدة لنتائج التجارب التي جربت في المستر فلتشر (انظر مقالة في جزء نوفمبر سنة ١٩٠١ من المقتطف حيث وصفت تجارب البندقية)

وقد وعد الكاتب في الختام ان يستأنف التجارب من هذا القبيل بمعاونة بعض العلماء اظهارًا للحقيقة كلها وترفيعاً لشأن العلم

هذا ويتضح من هذه المقالة ومن المقالة التي نشرناها سنة ١٩٠١ عن التجارب التي أُجريت في البندقية ان جمهور الاغنياء والاواسط يأكلون اكثر من مضاعف ما تحتاج اليهِ ابدانهم وان علماء الفسيولوجيا يقدرون الطعام اللازم للانسان اكثر مما يلزم لهُ حقيقة . ولا بدَّ من ان تشيع هذه الحقائق ويكون منها نفع عميم في حفظ الصحة وتقليل النفقات

---

(١) السنت جزءٌ من مئة من الريال الاميركي وهو يعدل ملّيمين

ميخائيل انجلو



تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يُحفَظ من اسمائهم الأَّ عدد قليل يعدُّ على الاصابع الواحد منهم بمقام الف بل بمقام الوف . هؤلاء مشاهير الزمان الذين اشرنا اليهم في الجزء الثالث من اجزاء هذا السنة . وكنَّا نودُّ ان نذكر ترجماتهم واحداً واحداً من اولهم الى آخرهم لو وسعنا المقتطف

وقد كنَّا نطالع الآن وصفاً بديعاً للتاج اجمل بناء في بلاد الهند ادَّعاهُ الاوربيون واثبت الواصف ان بانيهُ من اهالي الهند انفسهم ولكن من هو وما هو اسمهُ ومن تعلَّم صناعتهُ ومن ترجمهُ من الكتَّاب — كل ذلك طوتهُ الايام ويحتمل ان صاحب التاج جازاهُ كما جوزي سنمار في قصص العرب رماهُ من اعلاهُ حتى لا يبني بناء آخر مثلهُ

وقس عليهِ كثيرين غيره من الذين انشأوا حضارة العرب حقيقةً وكان لهم اليد الطولى في البناء والنقش والفلاحة والصناعة والتجارة فان اسماءهم نسيت او لم تذكر في كتب الوفيات الأ عرضاً وانما ذكرت فيها اسماء الامراء والشعراء والفقهاء كأن حضارة الامم تقوم بما يقرؤونهُ من البلدان وينظمونهُ من الشعر ويؤلفونهُ من كتب التفسير ولا شأن لمن يستثمر خيرات الارض ويجرّ اليها المغانم وينشئ فيها المعالم

خطرت لنا هذه الخواطر ونحن نقرأُ تلك المقالة ثم التفتنا الى اسماء المشاهير عند الاوربيين فوجدنا انهُ من الف رجل فاقوا غيرهم في الشهرة على ما يستدل من الاعتناء بترجماتهم كان اسم ميخائيل انجلو النقاش الايطالي الثلاثين اي ان الذين فاقوهُ في اعتبار الاوربيين ٢٩ نفساً من اشهر المشاهير والذين فاقهم تسع مئة وسبعون نفساً . فهو في المئة الاولى من الالف وفي الثلث الاول من المئة الاولى لا يفوقهُ الأ ٢٩ رجلاً من اشهر القواد والشعراء والفلاسفة مثل نبوليون ويوليوس قيصر والاسكندر المكدوني وشكسبير وهوميروس وملتون وباكون وارسطوطاليس واسحق نيوتن وقد قُدّم على سقراط وكنت وليبنتز وكرومول ولويس فيليب وفردرك الكبير ولورد بيرن ودانتي وفرجيل . فرأينا ان نثبت ترجمتهُ في هذا الجزء ونبحث عن باقي التاج في الجزء التالي

ولد ميخائيل انجلو سنة ١٤٧٥ وابوهُ من اهالي فلورنسا ومن وجهائها وكانت لهُ ثروة طائلة فقدها كلها ولكنهُ بقي محتفظاً بشرف نسبهِ فلما ظهر من ولدهِ الميل الى الرسم والنقش نهاهُ عنهُ حاسباً انهُ لا يليق بمقام اسرتهِ وكان يقول انهُ قد خسر امواله كلها ولم يعد في طاقتهِ ان يعيش مثل اقرانهِ لكنهُ يفتخر بانهُ لم يتدانَ الى الاكتساب بالتجارة او بالصناعة . وليس من الانصاف تشديد الملام عليهِ اذ كان اهل زمانهِ يقولون قولهُ ويعتقدون اعتقادهُ لكن رغبة الولد كانت شديدة فلم يستطع ابوهُ ان يصرفهُ عن عزمهِ . وكان يقول بعد ذلك انهُ رضع هذا الميل مع اللبن لان اباهُ كان قد سلمهُ الى امرأة زوجها نحات لكي ترضعهُ وتربيهُ فكان يرى اعمال زوجها في طفوليتهِ فأُشرب حب النقش مع اللبن . وبعد خصام شديد بينهُ وبين ابيهِ دخل صانعاً عند مصوّر اسمهُ غرلندايو وعمرهُ ثلاث عشرة سنة فقط لكي يقيم عندهُ ثلاث سنوات . وكانت البلاد حولهُ مملؤة بفاخر المصنوعات من الصور والتماثيل والمباني والنقوش فكانت رغبتهُ تزيد اتقاداً كلما وقع نظرهُ عليها . ودرس مبادئ التصوير اولاً لكن ميلهُ الاشد كان الى النقش وعمل التماثيل فلقي معيناً لهُ في شخص لورنزو دي مديتشي [1] ودخل مدرستهُ قبل ان

(١) المديتشي اصحاب فلورنسا وطسكانا كلها نشأوا في القرن الرابع عشر وكانوا تجاراً جمعوا ثروة وافرة

يتم السنوات الثلاث عند غرنلندايو ويقال ان غرنلندايو هو الذي اشار عليهِ بدخول المدرسة وتوسل الى لورنزو لكي يقبلهُ لما رأى من نباهتهِ واجتهادهِ وكان رئيس المدرسة من تلامذة دوناتلو النحّات الايطالي الشهير فجعل يقابل المصنوعات الحديثة بالقديمة ويحضر مذاكرات مهرة النقاشين والنحاتين ورغبتهم في التوفيق بين مصنوعات الوثنيين وما تقتضيهِ الديانة المسيحيَّة فظهرت عليهِ مخايل النجابة في المباحث الفلسفيَّة كما ظهرت في الاعمال الصناعيَّة

ولم يتم ثلاث سنوات في تلك المدرسة حتى توفي صاحبها لورنزو وخلفهُ ابنهُ بيرو وورث منصب ابيهِ ولكنهُ لم يرث اخلاقهُ وهمتهُ ورأى ميخائيل انجلو ان الخطوب ستتفاقم في عهد الولد فترك المدرسة وهرب الى بولونا وكان قد بلغ العشرين من العمر وصنع فيها ثلاثة تماثيل لكنيستها ثم دعي الى فلورنسا لعمل بعض التماثيل فعاد اليها وكانت شهرتهُ قد ذاعت وصنع فيها تمثالاً لاله الحب آخذاً فيهِ مأخذ القدماء فاشار عليهِ بعضهم أن يطمرهُ في التراب حتى يصير كالتماثيل القديمة المنبوشة من الارض ليرى كيف يقبل الناس عليهِ ففعل ذلك عازماً ان لا يزيد ثمنهُ لكي لا يكون فعلهُ من قبيل الخديعة بل من قبيل التسلية فاشتراهُ الكردينال سان جورجيو حاسباً اياهُ من مصنوعات القدماء ودفع ثمناً كبيراً للتاجر الذي باعهُ اياهُ . واكتشف الكردينال ذلك حالاً فاستردَّ مالهُ من التاجر وأُخبر ميخائيل انجلو انهُ اذا جاء رومية وجد فيها رواجاً كبيراً لمصنوعاتهِ فاسرع اليها واقام فيها بضع سنوات ولكنهُ لم يجد اولاً الرواج الذي انتظرهُ . وكان الاضطراب السياسي سائداً على رومية حينئذٍ فاقام فيها خمس سنوات مكرهاً وكان يعمل بجد واجتهاد لان اباهُ صار يعتمد عليهِ في معيشتهِ ولو بقي حاسباً تعاطيهُ صناعة التصوير وعمل التماثيل مما يحط من قدرهِ . ولم يوافقهُ ميخائيل على هذا الرأي ولكنهُ كان حريصاً على اسم عائلتهِ متفانياً في خدمتها حتى انهُ كان يتحمل ما لا يتحملهُ طبعهُ من المشاق وشظف العيش لكي يكتسب ما يقوم بنفقات بيت ابيهِ . والقى ابوهُ اعتمادهُ عليهِ فكان يتناول كل درهم يكتسبهُ وينفقهُ في بيتهِ كأن ابنهُ عبد مخلوق لخدمتهِ

وشرع بعد قليل في عمل تمثال داود المعروف بالجبّار صنعهُ من قطعة كبيرة من الرخام كان غيرهُ قد شرع في نحت تمثال آخر فيها منذ اربعين سنة فغيَّر شكل التمثال وصنع منها تمثال شاب عابس واحكم صنعهُ فجاء منطبقاً على القواعد العلميَّة والفنيَّة حتى دُهش منهُ كل مَن رآهُ . وجُمع كل ارباب الفن في فلورنسا ليختاروا لهُ مكاناً مناسباً لهُ فوضعوهُ امام قصر

وجادوا بها في المصالح العامة فصاروا حكام البلاد . ولورنزو من اشهرهم وكان عادلاً حليماً منشطاً للعلوم والفنون وهو من الشعراء المعدودين انشأ المدارس الكثيرة واغدق خيراتهِ على العلماء والصناع والفلاسفة

الحكومة سنة ١٥٠٤ وبقي هناك الى سنة ١٨٧٣ فنقل الى دار مدرسة الفنون . ولم يقتصر على عمل التماثيل بل اشتغل بالتصوير ايضاً وصوَّر بعض الصور الشهيرة . ولكن لم يطل عليهِ الوقت حتى دُعي الى رومية دعاهُ البابا يوليوس الثاني ومن ثم ابتدأ عصر جديد في اعمالهِ الفنيَّة

لما وصل رومية طلب منهُ البابا ان يصنع لهُ ضريحاً يكون منقطع النظير فصنع رسم الضريح واختار لهُ الرخام من مقالع كرارا وشرع في عملهِ ولكن حدث ما شغل بال البابا عن اتمام العمل ولم تعد النفقات تدفع الى ميخائيل وخشي من كيد مناظريهِ فهرب من رومية وعاد الى فلورنسا لكن البابا تغلَّب على خصومهِ وعاد فاستدعاهُ ورحَّب بهِ وامرهُ ان يصنع لهُ تمثالاً كبيرًا من النحاس لينصبهُ في بولونا فاقام خمسة عشر شهرًا على عمل هذا التمثال ونصبهُ في اوائل سنة ١٥٠٨ وهو يمثل البابا جالساً بحلتهِ والتاج على رأسهِ لكن اهالي بولونا ثاروا بعد ثلاث سنوات ورموا التمثال وكسَّروهُ

واستدعاهُ البابا الى رومية وانتدبهُ لتزيين سقف كنيسة سكستوس بالصور ولم يكن ميالاً الى التصوير ميلهُ الى عمل التماثيل فتذمَّر من ذلك اولاً لكنهُ تغلَّب على طبعهِ وصوَّر الصور المطلوبة فجاءت خير ما قامت بهِ شهرتهُ وكانت حياتهُ جهادًا مستمرًا بين اميالهِ الطبيعيَّة والعوائق الكثيرة المحيقة بهِ وهو بين هذه وتلك مستمرٌ الدأب لا يكلُّ ولا يملُّ . ولم يتم تلك الصور الأَّ سنة ١٥١٢ فجاءت آية من آيات التصوير . ثم عاد الى اتمام ضريح البابا وتوفي البابا بعد اربعة اشهر وطلب وارثهُ ان يصغَّر الضريح عمَّا رسمهُ اولاً فصغَّرهُ لكنهُ بقي عظيماً فخيماً ولا يعلم كم كان قبل ذلك

ونُصب البابا ليون العاشر فارسل ميخائيل انجلو الى فلورنسا لكي يبني واجهة كنيسة فيها ويزينها بالتماثيل

ومرَّت السنون وهو يعمل اعمالاً لا يميل اليها الى ان صوَّر صورة الدينونة واتمها وعرضها سنة ١٥٤١ فجاءت آية في فن التصوير وعين في السنة الثانية مهندساً لكنيسة مار بطرس فاقام في تجديدها وتزيينها الى ان وافتهُ منيتهُ سنة ١٥٦٤

وهو اشهر رجل بين رجال النهضة الايطالية فقد كان من امهر المصورين والنقاشين وكان ايضاً شاعرًا وبناء وعالماً بالهندسة الحربيَّة . ولهُ ايطاليا بل اوربا كلها مديونة في اتقان فني التصوير وعمل التماثيل كما انهُ هو مديون لما رآهُ فيها من آثار الاقدمين

شكوى اللغة العربية

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي
وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمتُ فلم اجزع لقول عداتي

ولدتُ ولمّا لم اجد لعرائسي
رجالاً واكفاء وأدتُ بناتي

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظاتِ

فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعاتِ

انا البحر في احشائهِ الدر كامنٌ
فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي

فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني
ومنكم وان عزّ الدواء اساتي

فلا تكلوني للزمان فانني
اخاف عليكم ان تحين وفاتي

ارى لرجال الغرب عزًّا ومنعة
وكم عزّ اقوام بعز لغاتِ

اتوا اهلهم بالمعجزات تفنناً
فيا ليتكم تأتون بالكلماتِ

ايطربكم من جانب الغرب ناعبٌ
ينادي بوأدي في ربيع حياتي

ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ
بما تحتهُ من عثرة وشتاتِ

سقى الله في ارض الجزيرة اعظماً
يعزّ عليها ان تلين قناتي

حفظنَ ودادي في البلى وحفظتهُ
لهنّ بقلب دائم الحسراتِ

وفاخرتُ اهل الغرب والشرق مطرقٌ
حياء بتلك الاعظم النخراتِ

ارى كلّ يوم في الجرائد مزلقاً
من القبر يدنيني بغير أناة

واسمع للكتّاب في مصر ضجة
فاعلم ان الصائحين نعاتي

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواةِ

سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الافاعي في مسيل فراتِ

فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة
مشكّلة الالوان مختلفاتِ

الى معشر الكتّاب والجمع حافلٌ
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

فإمّا حياة تبعث الميت في البلى
وتنبت في تلك الرموس رفاتي

وإما ممات لا قيامة بعدهُ
ممات لعمري لم يقَس بمماتِ

محمد حافظ ابرهيم

نهج العلم صراطٌ مستقيم

مربع العلم لا ديار اماما … فيهِ تستشعر القلوب هياما
هو يقري الارواحَ فضلاً ونُبلاً … وهي تقري الاجسام منها سقاما
وتراهُ يسقي القلوب برودًا … حيث تذكي في عقْوتيها[1] ضراما
مربع فيهِ للعلى آنسات … حسنت مألفًا فطابت مقاما
كم جلونا من المعا في عروسًا … واجتلينا من البيان مداما
ورشفنا من العلوم زلالاً … وبللنا من الزلال اواما
وهجرنا ديار سلمى واروى … واجتنبنا التشبيب والآراما
روض علم تستشعر العين منهُ … في مغانيهِ هيبةً واحتراما
فترى الهيئة ارتقت فارتنا … من نجوم العلى وجوهًا وساما
فلكم اوضحت خفيًا لنظا … رٍ اليها وقرّبت اجراما
وترى البدرَ قابَ قوسين قد شا … خَ وان اشبه الحبيب ابتساما
هرمًا صافحَ الفضاء بدور … جالَ فيهِ فاولدَ الأياما
اخرجتهُ عن كبدها الارض محمو … مًا الى فسحةِ الفضا مستضاما[2]
نبذتهُ ولم تراقب لهُ حُرْ … مةَ قربى ولم تراعِ ذماما
فاحتفت فيهِ ظلمةُ الجوِ اذ قد … اطفأت من لظى جواهُ اواما
وكستهُ الشمسُ المنيرة منها … ثاقبًا يصدعُ الدجى والظلاما
مذ رأتهُ عن امهِ الارض منفيًا … حبتهُ من نورها انعاما
فاباحَ الضياء من احد الشطر … ين وجهًا والاخرَ الإظلاما
ثم لما رأتهُ عنها قصيًا … جذبتهُ فراغ منها انهزاما
غيران القربى تريهِ اقترابًا … وإباهُ يوليهِ نأيًا ترامى
فهو يسري ما بين جذب ودفع … ويرى السيّر بين ذاك لزاما

وترى (الكيمياء) تثمر علمًا … جل بالاختبار حتى تسامى
صافحتها كفُّ الاوائل لما … انسوا من سنا ضياها ضراما

---

(١) ساحتيها (٢) اشارة الى اشتقاق القمر من الارض

اجهدُوا النفس والنفيس وافنوا زَهرَةَ العمر لم ينالوا مراما
طلبوا مبدأ الحياةِ اغترارًا وتحرَّوا من الغنى[٣] اوهاما
ثمَّ لما اتاهم عَرَضاً ما جلَّ نفعاً في العلم قالوا سلاما
فهي خرقاء انتجت ايَّ علمٍ رُبَّما انتج اللئامُ كراما
وتحرَّى الصحيح (دلتون) لمَّا نظم الكيمياء درًّا نظاما
اين هذا من (جابرٍ) ذي مرآة جدَّ في الكسر اذ رآهُ التئاما
فهو يبغي الاكسير جهلاً ودلتو نُ تحرَّى بها اموراً جساما
وهي كم انتجت عجيباً وابدت فائدات للعلم كانت دعاما

صاحِ ما هذه التي تظهر الخا في وقد جدَّ في السرار اكتتاما
ابرزتْ مضمر الخبايا بالرَّسمِ وقد كان في الخفاء اقاما
هي نصفُ الاكسير دقَّت فجلَّت يكبرُ الدهرُ شأنها اعظاما
مخضت عالم (الفتوغراف) لمَّا شدَّ (رنتجن) ازرها احكاما
شاهد (الباريوم) قد ضاء فاستنا مَ بهِ بارقَ النجاح وشاما
واطاعتهُ من اشعة (اكسٍ) شامسات لم تلوِ عنهُ الزماما
مثلما سخرِ الاثيرُ (لمركو نِي) وقد كان صعبةً لن يُراما
نصبٌ قد اقامها لقنص الشا ردَ منهُ فتستبين المراما
كيف من بالعراق فوراً بلاسا لكِ يُريِ الرأي من يحلّ الشاما

ما التي قد تأزرت مطرف الرّ يحِ عليها الغمامُ التى لثاما
شاهدت قبَّة السماء عليها من سنا الشهب نثرةً ونظاما[٤]
فشأتها[٥] والغازُ يخفر منها كبدًا كان بالعلى مستهاما
وتسامت من حيث يصعدها غا زٌ بها خفَّ يسترث[٦] النعامى
كرهت صحبة الورى فاستطارت واستطالت على السماء مقاما
اترى ظنَّت الثريَّا مداما ام ترى ظنَّت النجومَ ندامى
نازعتها الريح السرى فاستشاطت وعلت غاربًا لها وسناما

(٣) اشارة الى تطليم الاكسير (٤) من منازل القمر
(٥) سبقتها (٦) يستبطئ

واعتلت فوق عالم الارض حتى ... نشرت في العلى لها اعلاما

ثم جاشت بها الحميَّةُ اذجـ ... ـرَّ عليها السحاب جيشاً لهاما

طالباً نصر أمهِ الريح لما ... ملأ الارض والسماء قتاما

مذ تبدى يسوق منهُ ركاما ... خلتها يذبلاً يقلُّ شماما(٧)

فاختفي يزجي الدلوحَ(٨) وقدجلل ... وجه النهار منهُ ظلاما

فانبرت نحوهُ وقد جاش من غيـ ... ـظٍ ولكنها الدُّ خصاما

واستشاطت غضبى عليهِ وقدا ... بسمها الغيظُ شرةً وعراما(٩)

ثم شقت احشاءهُ وتعالت ... حيثُ مدت فوق الغمام غماما

كم قتيل مضي بها وشهيد ... جرعتهُ على يديها حماما

ثم لما انتهى بها السير حارت ... ثم القت للارض منها الخطاما

اظهر العلم للورى معجزات ... بيّنات تخالها احلاما

انطق البكم اكسب الصم سمعاً ... مثلما علّم الجماد الكلاما

لك يا ناطق (الفنغراف) حالٌ ... فيهِ ادهشتَ بالبيان الاناما

قد ابحت المكتوم من كل سرٍّ ... لم تراعِ عهداً ولم تخشَ ذاما

كم رأينا للكهرباء عجيبا ... تِ امورٍ تحير الافهاما

وروينا لها احاديث حازت ... حادث المجد والمعالي القداما

فهي كم قرَّبت بعيداً وجرَّت ... مثقلات وكم انارت ظلاما

سخَّروا ثائر البخار وزجرَ ... البحر بل مدَّهُ لها استخداما

واحالوا اشعة الشمس فيها ... قوةً قبل ذاك لن تستاما

كم اساغوا من الطبابة كأساً ... عادَ منها سيف المنون كهاما(١٠)

مذ اماطوا الستار عن كل مكرو ... بٍ ازاحوا الكروب والآلاما

ابتنوهُ ليعلموا كيف يحيا ... فاتَّقوا شرهُ فكان سلاما

فتأملهُ في الجلاتين تبصر ... لالوفِ الالوف منهُ ازدحاما

دق جسماً عن ان تراهُ عيون النا ... سِ واعتامَ للفنا الاجساما

---

(٧) اسما جبلين — (٨) السحاب الكثير الماء

(٩) الشرة الحدة والطيش والعرام الشراسة — (١٠) الكهام الكال

وعجيبٌ من كائنٍ قد تناهى صِغَرًا اوسع الورى اعداما
سارَ فيهِ (بستورُ) يعجم منهُ مخبرًا عنهُ قبلهُ اعجاما
وارتقوا في الجراحة المرتقى الاسمى فساموا الفساد فيها اهتضاما
كم درأنا (بالمصل) داءٍ دويًا وكفانا "التلقيح" داءً عقاما

وتناهوا في فهم كل خفيٍ فحسبنا افكارهم الماما
نهضوا للعلى على حين انا ما برحنا عن المعالي نياما
احسنوا للحجى الوفادة لما ان حفظنا للجهل فينا مقاما
فالى مَ المجودُ والناس ايقاظٌ وماذا القعودُ والعلمُ قاما
هل رأينا الطريق وعرًا وقد جدَّ بهِ الناس فاجتنبنا الزحاما
ام رأينا هذي الحياة جهادًا فخشينا في ذا الجهادِ الصداما
لا يساوي اولو البطالة من قد ربحَ الوقت خلسةً واغتناما
لا يساوي المجاهدين قعودٌ اخلدوا للهوى وخانوا الذماما
شاهدوا بارقَ التمدن فاشاموا اذاهُ فحجَّ بهم صوَّاما
تركوا منهُ ما استطاب اغترارًا واجتنوا منهُ ما امرَّ التزاما
ليس من سنَّة التمدن ان نمسي على الجهل والهوى قوَّاما
ليس من سنة التمدن ان تطوي الصدورُ الاحقاد والاوغاما
ليس من سنة التمدن ان تستقرئ اللهو او تديم المداما
انما سنة التمدن ان تنهض بالعلم والعلاء قياما
انما سنة التمدن ضمٌ واجتماعٌ لا يعرف الانقساما
انما سنة التمدن ان تُلقى على الصعب في العلى مقداما
انما سنة النجاح ثباتٌ فيه تلقى لدى الشتات اعتصاما
انما تدركُ النجاح عليًا تٌ نفوسٍ تعانق الاقداما
نشأتْ في فضيلة العلم والتهذيب حتى لا تعرف الاثاما
يا لقومي في مَ وحتى مَ نلقي امرنا في يد الهوى استسلاما
ان بقينا والجدُّ عنا قصيٌ فاقرئونا عن المعالي السلاما

النبطية احمد رضا

منزلة الشعر من التاريخ

١٨ اوهام العرب

ولا بأس بايراد شيء من اوهامهم فمن ذلك

١ً ذهابهم الى ان دماء المتضاغنَين لا تختلط معاً قال المتلمس

احارث لو انَّا تُساط دماؤُنا تزايلنَ حتى لا يمس دمٌ دما (١)

وقال المثقِّب العبدي

فلو انَّا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقينِ

٢ً زعمهم ان لكل شاعر تابعاً من الجن يلقنهُ الشعر قال ابو النجم العجلي

اني وكل شاعر من البشَرْ شيطانهُ انثى وشيطاني ذكَرْ

وقال جرير بن عطية

رأَيت رقى الشيطان لا تستفزُّهُ وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال الفرزدق في وصف قصيدة لهُ

كأَنها الذهب العقيان حبَّرها لسان اشعر خلق الله شيطانا

وكانوا يزعمون ان اسم شيطان الفرزدق عمرو . وقال الاعشى ميمون في شيطانهِ وكان يدعوهُ مسحلاً

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعَوا لهُ جُهُنَّام جدعاً للهجين المذمَّمِ (٢)

ومما يروونهُ لحسان بن ثابت قولهُ

ولي صاحب من بني الشيصبان فحيناً اقول وحيناً هُوَهْ (٣)

وذهبوا الى ان الجن لا ياكلون قال شمير بن الحارث الضبي

اتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجنّ قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما

لقد فُضِّلتمُ بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أَمِطْ عنا الطعام فان فيهِ لآكلهِ النقاصة والسقاما (٤)

---

(١) تساط تخلط (٢) قيل ان جهنام اسم تابعة عمرو بن قطن وكان عمرو يهاجي الاعشى . وجدعاً للهجين اي الزمهُ الله الجدع اي قطع عنهُ الخير . والهجين هنا اللئيم . والمذمم المذموم (٣) الشيصبان اسم قبيلة من الجن والهاء في هوه هاء السكت (٤) امط نحِّ

وقد مرَّ معنا عند الكلام عن تدمر انهم قالوا ان الجن هم الذين بنوها بالصفاح والعمد فاثبتوا لهم احتراف البناء (٥)

وزعم آخرون ان الجن بارعون في فنون الغناء ودليلهم قول القطامي

تبيت الغول تهرج ان تراهُ وصنج الجنّ من طرب يهيمُ

وقالوا ايضاً بمعرفتهم فنون القتال قال ابو دهبل الجمحي

جنيّة او لها جنٌّ يعلمها رمي القلوب بقوس ما لهُ وترُ

وزعموا انهم يوقدون الشُّعَل في الليل قال الاعشى ميمون

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجنّ بالليل في حافاتها شُعَلُ

وانهم يتعرَّضون للناس فيثيرون وساوسهم قال كهدل الراجز

وابعثْ لهُ يا ربّ عنا شغُلا وسواس جنّ وشلالاً مدخلا

وجَرَبًا قشرًا وجوعاً أطحلا (٦)

وكانوا اذا تغالوا في وصف غادة حسناء قالوا انها جنية قال حسان بن ثابت

جنيّةٌ ارَّقني طيفها تذهب صبحاً وترى في المنام

وكانوا يعتقدون بان الجن يتلوَّنون كالغول قال امية بن ابي عائذ الهذلي "صحارٍ تغوَّل جنّانها(٧)"

٣ الغول

والغول عندهم حيوان وصفهُ عنترة العبسي بقولهِ

والغول بين يديَّ يخفى تارة ويعود يظهر مثل ضوءِ المشعلِ

بنواظر زرق ووجه اسود واظافر يشبهن حدَّ المنجلِ

وقال ابو المضراب عبيد بن ايوب

ولله در الغول ايُّ رفيقة لصاحب قفرٍ خائف يتقتّرُ (٨)

فلما رأت ان لا اهال وانني شجاع اذا هزَّ الجبان المطيّرُ

اتتني بلحن بعد لحن واوقدت حواليَّ نيرانا تبوخ وتزهرُ (٩)

وكانوا يزعمون انهُ يتكلم كالبشر وانهُ اذا ضرب ضربة واحدة مات فان ثُني عليهِ عاش (على ما هو شائع بين البسطاء حتى الآن) قال تابط شرًّا

---

(٥) ذاك قول مَن يأخذ كلام النابغة مأخذ الحقيقة لا المجاز (انظر صفحة ١٠٧٩ من المجلد ١١ ٣٧ من المقتطف) (٦) القشر مصدر بمعنى اسم الفاعل والقاشر الكاشط · والاطحل الذي يأخذ منهُ الطحل وهو وجع الطحال . (٧) الجنان جمع جان وهو اسم جمع للجن (٨) يتقتر يتهيأ للقتال

(٩) باخت النار خمدت وزهرت اضاءت

واني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحانِ (١٠)
فشدَّت شدةً نحوي فاهوى لها كفي بمصقولٍ يمانِ
فاضربها بلا دهش فخرَّت صريعًا لليدين والجرانِ (١)
فقالت عُد فقلت لها رويدًا مكانك انني ثبتُ الجنانِ
فلم انفكَّ متكئًا لديها لانظر مصبحًا ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ

وكانوا يسمون اناث الغول سعالي وسعالى مفردها سعلاة وسِعلاة قال الاشتر النخعي

خيلاً كامثال السعالى شزَّبًا تعدو ببيض في الكريهة شوسِ

٤ التمائم

وكانوا يتخذون التمائم لدفع الاذى قال علقمة بن علقة

ولا مُلقٍ لذي الودعات سوطي أُلاعبهُ وربتهُ اريدُ (٢)

وقال عبدالله بن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم طفلة زانها اغرُّ وسيمُ (٣)
يتقي اهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقى والتميمُ (٤)

وقد ذكر ابو ذئيب الهذلي فساد ذلك بقوله

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفعُ

٥ الصفَر

ومن اوهامهم ان في البطن دويبة مثل الحية يسمّونها الصفَر تعتري من به شدة الجوع قال اعشى باهلة

لا يتأرى لما في القدر يرقبهُ ولا يعضُّ على شرسوفهِ الصفرُ (٥)

٦ السلوانة

ومن اوهامهم السلوانة وهي خرزة شفافة اذا دفنتها في الارض ثم بحثت عنها رأيتها سوداء

---

(١٠) السهب الفلاة والصحصحان ما استوى من الارض (١) الجران مقدم عنق البعير من مذبحهِ الى منحرهِ وقد اطلق هذا الشاعر الجران على كل عنق فدخلت بذلك عنق الغول فكان قوله مجازًا مرسلاً من باب تسمية الشيء باسم جزئهِ (٢) الودعات خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصغر والكبر (٣) الطفلة الرخصة الناعمة والوسيم الحسن

(٤) الرقى جمع رقية وهي العوذة والتميم جمع تميمة وهي خرزة رقطاء يُتعوَّذ بها

(٥) تأرى الشيء تحرَّاه. والشرسوف مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن

فكانوا يسحقونها ويسقون ماءها لمن ابتلي بحب فيزول عنهُ الحب ويسلو وتسمى هذه الخرزة سلوة وسلواناً قال عروة بن حزام في السلوة

فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة الاَّ بها سقياني

وقال رؤبة مسلم لا انساك ما حييتُ لو اشربُ السلوان ما سليتُ

ما بي غنى عنك وان غنيتُ

وفي لسان العرب ان السلوان "هو ما يؤخذ من تراب قبر ميت فيذَرُّ على الماء فيسقاهُ العاشق ليسلو عن المرأة فيموت حبهُ" واستشهدوا على ذلك بقول بعضهم

يا ليت ان لقلبي من يعلّلهُ او ساقياً فسقاني عنكِ سلوانا

وقال بعضهم السلوانة حصاة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وعلى ذلك شاهد النحاة

شربتُ على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا ميُّ ما اسلو

٧ الطيرة

ومن اوهامهم ايضاً الطيرة فانهم كانوا يتشاءمون ويتفاءلون قال تميم بن ابي مقبل العامري

انَّا مشائيم ان امسيت جاهلنا يوم الطعان وتلقانا ميامينا

وقال المقنَّع الكندي

وان يزجروا طيرًا بنحس يمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا يمرُّ بهم سعدا

وقال علقمة الفحل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُومُ

وكان منهم من يتفاءل بالسانح قال ذو الرمَّة

خليليَّ لا لاقيتما ما حييتما من الطير الاَّ السانحات واسعدا

ويتشاءم بطير الشمال قال ابو ذؤيب

زجرتُ لها طير الشمال فان تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

ومما تشاءموا بهِ نوع من الطير يسمى الاخيل قال الفرزدق

اذا قَطَنًا بلَّغتنيهِ ابنَ مدرك فلُقيتِ من طير اليعاقيب اخيلا

وقال حسان بن ثابت

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

قال العيني محمود " اهل نجد يتيمنون بالسانح دون البارح واهل الحجاز بعكس ذلك قال النابغة (الذبياني) وهو نجدي فتشاءم بالبارح

زعم البوارح ان رحلتنا غداً   وبذاك تنعاب الغراب الاسودِ

وقال كثير وهو حجازي ممَّن يتشاءم بالسانح

اقول اذا ما الطير مرَّت مخيفة   سوانحها تجري ولا استثيرُها

فهذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي والحجازي لغة النجدي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدي

فبيني على طير سجيس نحوسهُ   واشأم طير الزاجرين سنيحها[٦]

وقال الاعشى وهو نجدي

اجارهما شرٌّ من الموت بعد ما   جرت لهما طير السنيح باشأم

وقد ذكر الكميت الاسدي عدم مبالاتهِ بهذا الوهم في قولهِ

ولا انا ممن يزجر الطير همهُ   اصاح غرابٌ ام تعرَّض ثعلبُ

ولا السانحات البارحات عشيةً   امرَّ سليم القرن ام مرَّ اعضبُ[٧]

وذكر لبيد العامري كون هذا الوهم باطلاً بقولهِ

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

اما النابغة الذبياني فاطال الكلام في تفنيد هذا الوهم حيث قال

تعلَّم انهُ لاطيرَ الاَّ   على متطيّرٍ وهو الثبور[٨]

بلى شيءٌ يوافق بعض شيءٍ   احايينًا وباطلهُ كثيرُ

وأُنشد لمرقش السدوسي

لا يمنعنك من بقا   ء الخير تعقادُ التمائم

ولقد غدوتُ وكنت لا   اغدو على واقٍ وحاتم[٩]

فاذا الاشائم كالأيا   منِ والايامن كالاشائم

وكذاك لا خيرٌ ولا   شرٌّ على احدٍ بدائم

قد خُطَّ ذلك في الزُّبو   رِ الاوليات القدائم

وفي كلام علقمة والكميت ولبيد والنابغة شواهد على ان ذوي العقول الثاقبة من العرب كانوا ينكرون الطيرة وماكان قول النابغة "زعم البوارح" الاَّ من باب متابعة القوم لا من باب الاعتقاد ولذلك قال زعم وزعم مطية الكذب

امين ظاهر خيرالله

(٦) السجيس الدائم   (٧) الاعضب المكسور القرن   (٨) الثبور الهلاك

(٩) الواقي الصرد وهو طائر والحاتم الغراب

عمران العراق

ديانة اهالي بابل

يتعذَّر البحث عن عمران العراق من غير التفات الى العقائد الدينيَّة التي كانت سائدة فيهِ كما يتعذَّر البحث عن عمران غيرهِ من الممالك القديمة من غير نظر الى اديان اهاليها . لان للعقائد الدينية اليد الطولى في جمع الامم وسن الشرائع وتقرير الاحكام وتوجيه اميال النفس الى الخير او الى الشر . وتكون العقائد مسبَّبات في اول الامر ثم تصير اسباباً تتولَّد من تأثير الافعال الطبيعية في النفس ثم تتسلط عليها تسلُّطاً مطلقاً

وقد يُظنُّ لاول وهلة ان البحث عن العقائد البابليَّة المكتتبة بمثابة البحث عن اقدم ما تخيَّلهُ الانسان او ما اوحي بهِ اليهِ لان الكتابات التي تحويها قديمة جدًّا تمتدُّ الى اقدم عهد وُجدت الكتابة فيهِ . غير ان النظر في هذه الكتابات دلَّ على ان تلك العقائد تغيَّرت وتبدَّلت قبلما ضُمِّنتها الكتابات البابليَّة بعصور كثيرة وصار منها دينان مختلفان الدين العام دين جمهور الشعب والدين الخاص او الرسمي وهو دين رجال الدولة وخاصَّة الامَّة . الاول كثير الخرافات والاوهام يكاد يكون مزيجاً من التنجيم والطلاسم والثاني كثير القواعد والاحكام مؤَلف من اصلين مختلفين اصل سماري واصل سامي الاول مبني على وجود ارواح هيوليَّة حالَّة في كل جسم . وقد يُرَى الجسم ولا ترى روحهُ او ترى الروح ولا يرى الجسم الذي تحتلهُ او يرى الجسم وترى الروح ايضاً . فالصخر يرى جسمهُ ولا ترى روحهُ والصاعقة ترى روحها ولا يرى جسمها والسهم المنطلق عن الوتر يرى جسمهُ وتُرَى روحهُ ايضاً اي حركتهُ التي توصلهُ الى الغرض وتوقعهُ فيهِ

والاصل الثاني وهو السامي مبني على وجود الهٍ متسلط على الكون مثل سائر الاديان الساميَّة ولما سكن الساميون مع السماريين في بابل على ما تقدم وامتزجوا بهم اقتبس السماريون منهم الاعتقاد بوجود الله وكانوا يعتقدون ان للسماء روحاً وللارض روحاً وللعمق روحاً ولكل شيءٍ روحاً فما يسميهِ الساميون اله السماء يسميهِ السماريون روح السماء لكن معتقد السماريين يختلف اختلافاً جوهريًّا عن معتقد السماريين فان هؤُلاء كانوا يعتقدون ان اله السماء شبيه بالناس في كل اوصافهِ وهذه الاوصاف اكمل فيهِ منها في الانسان وهو ذكر وانثى ولهما ولد وارث لهما وبكلمتهِ برأَ المخلوقات من العدم وهو قادر ان يعيدها الى العدم

ويسمي الساميون هذا الاله " بعلاً " اي سيدًا او زوجاً كما تسمي المرأَة زوجها بعلاً .

وقد اختلفت البعول باختلاف القبائل فكان لكل قبيلة بعل خاص بها ثم لما تحضَّرت تلك القبائل وبنت المدن صار لكل مدينة بعل خاص

وقالوا ان هذا البعل يتجسَّم في جسم الشمس فهي الاله الحسي ملك السماء والارض . وكما ان للشمس فعلين متناقضين انماء المزروعات وانضاج الاثمار من الجهة الواحدة وتيبيس المزروعات وتجفيف الاثمار من الجهة الاخرى فهي نافعة وضارَّة معاً

من هذين الاصلين اي الاصل السماري والاصل السامي تألَّفت الديانة الرسمية في بابل والديانة العامة ايضاً فالساميون اعطوا السماريين آلهتهم وكهنتهم وهياكلهم وشعائرهم الدينية . والسماريون اعطوا الساميين اعتقادهم بالارواح والسحر والطلاسم والكتب الدينية . ولم يكن عند السماريين في اول الامر كهنة لخدمة الآلهة بل سحرة لدفع اذى الارواح لانهم كانوا يعتقدون ان الارواح تضرُّ ولا تنفع فلا بدَّ من ساحر يدفع اذاها عن الناس بتعزيمه ومن ذلك نشأ الطبُّ لدفع اذى الامراض . ثم رأوا ان ثلاثة من تلك الارواح تستحق ان ترفع على غيرها روح السماء وروح الماء وروح العمق او ما تحت الارض حيث تذهب ارواح الناس بعد الموت وحيث تجتمع الارواح الشريرة فاحلُّوها محلاً رفيعاً وعبدوها وبنوا لها الهياكل واقاموا الكهنة لخدمتها وكان ذلك قبل اتصالهم بالساميين

وكانوا يرصدون الكواكب فحسبوا ان لها علاقة بمصالح الناس واشركوا معها الارواح فالَّهوها ومن اقدم هياكلهم هيكل في نبور للاله مل ليل او ال ليل اي مولى عالم الارواح وهيكل في اريدو على بحر فارس لايا اله القمر. ولما كانت اريدو مركز التجارة كان سكانها يرحلون الى البلدان القاصية ويزيدون اختباراً ويأتي مدينتهم التجار من اماكن مختلفة فيستفيدون منهم علماً ومعرفة فصار الهها اله العلم والنور الذي يسرُّ بنفع الناس ومنحهم نعمة العمران وساعده في ذلك ابنهُ وسميهُ اساري وكان يعلن مشيئتهُ للناس ولقبوهُ بالمنعم او الرحيم

فصار في البلاد مصدران للعقائد الدينيَّة الواحد في نبور شمالي بلاد بابل وهو يثبت السحر والطلاسم والشر والظلمة وكل ما يخشى والثاني في نبور جنوبي البلاد وهو مصدر النور والعلم الذي ينعم بالخيرات على بني الانسان ويشفي امراضهم. وقالوا ان الاله ايا هو اول مشترع واول من اوجد العمران وابنهُ اساري يبعث الموتى ويرد اليهم الحياة

ثم لما امتزج الساميون بالسماريين حسبوا ان مل ليل الهُ نبور هو الههم بعل وصاروا يعتقدون انهُ متسلِّط على العالم العلوي والسفلي وابقوا اسم ايا على حالهِ وقالوا ان سلطتهُ تمتد على المياه كلها وابنهُ اساري هو مردخ اله بابل. ولما قوي شأن بابل قوي شأن هذا الاله ايضاً

فاحتلَّ محلَّ ابيهِ كما احتلَّ زفس الاصغر محل زفس الاكبر عند اليونانيين . وكان السماريون يسمُّون روح الجو انو فقال الساميون انهُ اله الجو وعبدوهُ في مدينة ارك وعبدوا اله القمر في مدينة اور على الضفة الغربية من الفرات

ويقال جملة ان الساميين الهوا بعض الارواح التي كان السماريون يعتقدون بوجودها لكن تعذَّر عليهم ان يؤلهوها كلها فابقوا ثلثمئة روح منها وستمئة روح للارض والاولى هي جند السماء التي كان بعل ربًّا لها

واقتضت اللغة السامية وجود الهة مع الاله لان فيها صيغة للمؤنث بازاء المذكر فقالوا انهُ توجد بعلة كما يوجد بعل لكن مقام المرأة لم يكن رفيعاً عندهم كمقام الرجل فانحطَّ مقام الاهاتهم عن مقام آلهتهم الاَّ مقام استار او الزهرة لانها كانت من آلهة السماريين وكان السماريون يجلون مقام المرأة على ما تقدَّم فبقيت على مقامها الرفيع

وكان السماريون يعتقدون ان تموّز روح الينابيع والغدران فقال الساميون انهُ عشيق الزهرة وان ناب خنزير الشتاء قتلهُ او انهُ فقع من حرّ الصيف فجعل النساء يجتمعن كلَّ سنة في شهر حزيران (جون) وينحن عليها وينتفن شعورهن . وقالوا ان الزهرة نزلت الى الهاوية لتنقذهُ فتعذَّر عليها انقاذهُ وقد نظموا هذه القصة شعراً كانوا يتغنون بهِ في عيدهِ

وكانوا يعتقدون ان الشمس تشرق وتغرب من بين جبلين يحرسهما رجال اجسامهم كالعقارب ورؤُوسهم في السماء واقدامهم في الهاوية ووراء الحد الغربي الذي تغرب فيهِ الشمس البحر المحيط ومياه الموت ووراءها جزيرة الخالدين حيث يقيم الابرار المقربون والى هناك نُقل نوح بعد الطوفان اما غيرهم من بني الانسان فينحدرون بعد الموت الى الهاوية حيث تطير الارواح كالخفافيش في الظلام. هناك ارض الظلمة والنسيان ولها سبعة ابواب وسبعة حرّاس يمنعون الارواح ان تهرب من سجنها ويبتلعون الاحياء ابتلاعاً. والالاهة اللات ترقب ماء الحياة النابع من تحت عرشها الذهبي وامامها اخيلة الابطال القدماء وكلٌّ منهم متوَّج بتاج خيالي وجالس على عرش خيالي لا ينهضون عن عروشهم الاَّ حينما تأتيهم روح ملك من ملوك الارض لتنضم اليهم فينهضون تحيتها

ثم نبغ في البلاد اناس فاقوا غيرهم ذكاء فجمعوا المعتقدات القديمة ومحَّصوها والَّفوا منها نظاماً دينيًّا فقالوا انهُ كان في البدء خلاء العمق فنشأ منهُ الالهان الاولان لخوم ولخامو ثم الالهان انصار وقيصار وهما الجو الاعلى والاسفل واخيرًا الهة الساميين العظيمة انو وبعل وايا واجتمعت هذه الالهة كلها لخلق السماء والارض ولكن نشبت الحرب اولاً بينها وبين طيامات

تنين العمق فتطوّع الاله مردخ لقتاله فدحره هو واتباعه وصنع جلد السماء من جلده وماء الينابيع من دمه ووُضع للعمق حدٌّ لا يتعداه فيغمر الارض ويردها خاوية كما كانت. ووضعت الشرائع والقوانين للاجرام السموية حتى لا تتعدى مداراتها بل تكون مقياساً للازمنة والاوقات ثم خلقت النباتات والحيوانات وخلق الانسان ليتسلّط عليها وقد خلق الانسان من تراب الارض لكنهُ جُعل ابناً للآلهة لانهُ خُلق على شكلها ومثالها



ورُسمت مبارزة مردخ لطيامات على جدران هيكل بعل في بابل وهي المرسومة في هذا الشكل ولعلهم اشاروا بذلك الى الزمن الذي كانت فيهِ مياه الفرات ودجلة غامرة بلادهم ثم حجزوها واحيوا البلاد وعمّروها

وكان عند البابليين كتب دينية يؤتمن عليها الكهنة ويتعلمها خاصة الشعب ولا تخفى امورٌ كثيرة منها على عامتهم ولاسيما الاناشيد والتراتيل فان جمهور الشعب كان يتغنى بها في الحفلات الدينية وقد جمعوا هذه الاناشيد في كتابٍ فكان كالفيدا عند الهنود والتوراة عند اليهود ولغتهُ سمارية لانها كانت اللغة الدينية . وكانوا يدققون في تلاوتهِ ومن لحن فيها فسدت عبادتهُ . وترجموا هذه الاناشيد الى اللغة السامية ووضعوا لها علامات لتقييد لفظها السماري حتى لا يلحن احد في تلاوتها ثم أُضيفت اليها اناشيدُ منظومة للشمس نظمها الساميون لكنهم كتبوها باللغة السمارية القديمة وكانوا يختمون كل نشيد من اناشيدهم بكلمة امانو التي

تقابل كلمة آمين بالعبرانية او العربيَّة

وكانت الخدمة الدينية مستمرة فكانوا يقرّبون ذبيحة كل يوم ويعيّدون اعيادًا مختلفة في كل شهر من شهور السنة وعندهم رسوم دينية لليل كما عندهم للنهار وكانوا يحفظون ايام الاهلّة بالتدقيق وكل يوم سابع . وكلمة سبت العبرانيَّة والعربيَّة من كلمتي سا اي قلب وبات اي نهاية يعنون بذلك انهُ يوم الانتهاء من العمل واراحة القلب . وكانت سبوتهم في اليوم السابع من الشهر القمري والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين وكان عندهم سبت آخر في التاسع عشر من الشهر لانهُ نهاية سبعة اسابيع . وحرّموا الاعمال على انواعها في السبوت ولم يجيزوا للملك اكل اللحم المطبوخ فيهِ ولا اللحم المدخّن ولا تغيير الثياب ولا لبس الحلل البيضاء ولا تقديم الذبائح ولا ركوب المركبات ولا اصدار الاوامر الملكيَّة . وحرموا على الكهنة الطيرة والتفاؤُل ووصف الادوية في ايام السبوت وكان رجال الدولة يفرضون على الشعب الصوم والاعتكاف في بعض الايام اذا اصاب البلاد ضيق مثال ذلك انهُ لما تهدّدت قبائل الشمال بلاد بابل على عهد الملك امرحدون امر الانبياء بان يصوم الشعب مئة يوم ومئة ليلة يحيونها بالصلاة والابتهال لكي يرفع اله الشمس خطيتهم ويدرأ عنهم شرّ الغزاة وكذلك لما قمع الملك اشوربنيبال ثورة بابل بعد حصارٍ طويل قال ان الانبياء امروهُ لكي يطهر مجالس الرحمة وينقي طرق الحفلات التي تدنّست ويسترضي الآلهة والالاهات بابتهالاتٍ خاصة ومزامير التوبة

وكانوا يطهّرون الارض التي يبنون فيها هياكلهم بسكب الخمر والزيت والعسل. والهياكل مربعة في ساحة كبيرة فيها برج عالٍ من طبقاتٍ متدرّجة يضعون محراب الاله في اعلاه ويستخدمونهُ للارصاد الفلكية وهو يماثل المرتفعات التي كانت تستعمل في بلاد كنعان . قال هيرودوتس ان قمة البرج التي في هيكل بعل مردخ ببابل لم يكن فيها سوى مقعد ومائدة

وتوضع صورة الاله في محرابٍ داخل الهيكل وهو ما يسمَّى بقدس الاقداس وامامها مائدة ذهبية عليها خبز الوجوه وتحتها البركو او مجلس الرحمة حيث يجلس الاله الاعظم وتحيط بهِ الآلهة على حسب معتقدهم وامام هذا المحراب مذبحٌ مصفَّح بالذهب ومرحضة من النحاس تقابل البحر في هيكل سليمان وتكون واقفة على رؤُوس اثني عشر ثورًا من النحاس وهي تمثل العمق الذي تطفو الارض عليهِ

وقد اكتشف العالم رسام في نينوى هيكلاً قديمًا فيهِ مذبح يُصعَد اليهِ بدرج وامامهُ عند مدخل الباب تابوت فيهِ صفيحتان من الرخام طول كلٍّ منهما قدمٌ وعرضها ثلثا قدم وضعهما

اسور زربال ملك اشور وكتب فيهما خبر انشائهِ لذلك الهيكل . ولما وجدنا ظنَّ العالِم النساطرة انهما لوحا الوصايا العشر في تابوت العهد. ويكون في الهيكل احياناً حجرٌ قائم يسمّى بيت إيل يُمسَح بالزيت ويُحسَب ان روح الاله تحلُّ فيهِ. وظلّت الذبائح تُقدَّم لهذه الحجارة الى عهد نبوخذنصر وخلفائهِ

وكانت ذبائحهم الدينيَّة من البقر والغنم والمعزى والحمام وتقدماتهم من الاثمار والبقول والخبز والخمر والزيت والطيوب وتختلف تقدماتهم فبعضها للخطية وبعضها للشكر

وكهنتهم طائفة كبيرة وكان لرئيسهم السلطة الدينية والدنيوية فكان هو الملك ثم استولى على المُلك غيرهُ فلم يبقَ لهُ الاَّ السلطة الدينيَّة ثم اشترك في هذه السلطة كثيرون فلم يبقَ لهم رئيس واحد ويتلو ذلك كثيرون من الخدم للاعتناء بادوات الهيكل ومسحها بالزيت وتقديم القرابين ومنهم الانبياء الذين ينبئون بمشيئة الآلهة ويرافقون الجيوش ويحدّدون الازمنة التي يحسن فيها الهجوم ثم معبّرو الاحلام

وكان بعض الكهنة خصياناً وهم قائمون في هيكل الزهرة لخدمتهِ مع العذارى المتبتلات لخدمتها وهؤلاء العذارى كنَّ يسكنَّ في الهيكل ويجوز لهنَّ ان يقتنينَ الاملاك ويتعاطينَ التجارة ليعطينَ جانباً من ربحهنَّ للهيكل وكان بعضهنَّ من العيال الشريفة بل من عائلة الملك وهنَّ غير النبيَّات اللواتي كنَّ يتنبأن باسم الزهرة وغير البغايا اللواتي انقطعنَ للبغاء في خدمتها. وقد كان لهؤلاء الكاهنات النبيات هيكلٌ في اربلا تنبأْنَ فيهِ لاسرحدون نبوات كثيرة لم تزل محفوظة الآن وقد قلنَ في واحدة منها ما تعريبهُ " لا تخف يا اسرحدون اني انطق بروح النبوة ولا اخفي عنك شيئاً اعداؤك يذوبون من امام قدميك كما تذوب السيول في سيوان انا السيدة العظيمة زهرة اربلا التي جعلت اعداءك يهربون امام قدميك اين الكلمات التي كلمتك بها حتى انك جحدت انا زهرة اربلا اعطيك اعداءك الاوكيين اسلمهم ليدك واسير امامك والى جانبك لا تخف انت في وسط الذين يبرئونك انا في وسط جيشك اتقدمهُ واقف منتظرة "

وكان الكهنة يتقاضون اموال الهيا كل من الشعب كلهِ فيأخذون العشور من كل احد من الملك الى الصعلوك فقد ذكر ان الملك نابونيدس دفع العشور لهيكل سبارة خمسة امناء من الذهب اي ٨٤٠ جنيهاً حين ارتقائهِ الى عرش الملك ويستدل من ذلك انهُ وجد من النقود في خزانة القصر ما يساوي ٨٤٠٠ جنيه. وكان للهيا كل اوقاف بعضها يقوم الفلاحون على خدمتهِ وهم مرتبطون بهِ كأنهم ارقاء وهم في الحقيقة احرار اي انهم لا يباعون مع الارض

بثمن ولكن لا يباح لهم ان يفارقوها وبعضها يقوم الكهنة على خدمته وبعضها يؤجر للمستأجرين

وكانت هذه الفرائض الدينية معروفة لدى خاصة الشعب اما العوام فكانت دياناتهم قائمة بالسحر والطلاسم لا غير ولذلك كان جمهور البابليين من اهل الاوهام فكانوا ينصبون الثيران المجنحة على ابواب قصورهم وسائر مبانيهم لكي تطرد الابالسة وتمنعها من دخول المنازل وهي مثل الشديم والكاروبيم عند اليهود وكأنهم كانوا يحسبون الدنيا مملوءة بالابالسة والارواح الشريرة التي ليس لها من شغل الا الايقاع بالناس وتعذيبهم فكانوا اذا شربوا ماء او اكلوا طعاماً حسبوا انهما لا يخلوان من الارواح الشريرة ولا بد من طردها منهما بالتعزيم قبل الاكل والشرب ونسبوا كل الامراض والاوصاب الى هذه الارواح الشريرة وقالوا انه يمكن منعها او نزعها بالعزائم والتمائم وان الجنون من فعل الشيطان خاصة فلا يزيله الا الساحر او الراقي. وانفوا كتباً كثيرة ضمنوها العزائم والرقى التي كانوا يخرجون بها الارواح الشريرة او يمنعون ضررها ومن قبيل ذلك ربطهم حجاباً حول اعضاء المريض بخيط يعقد سبع مرات

وزعموا ان الارواح والغيلان تفلت من اجسام الموتى ومن الهاوية في ظلمة الليل وتمتص دماء الاحياء. وان الكابوس واحد منها يركب صدر النائم قاصداً خنقه ورئيس هؤلاء الابالسة ليلة زوجة ليل وقد اقتبس اليهود هذا الاسم من البابليين فذكروها بلفظ للث في نبوة اشعيا

وكان للابالسة كهنة خاصّون بها يعبدون زهرة غير الزهرة المعبودة في ديانة المملكة ويلجأ اليهم عامة الشعب ليكتبوا لهم العوذ والتمائم التي تقيهم شرّ الابالسة فيحتجبون بها او يضعونها على ابواب بيوتهم دفعاً لدخول الاذى اليها وفي آخر كل عوذة او تميمة الكلمات الآتية انا فلان ابن فلان الذي معبوده الاله الفلاني اضرع اليك واطلب منك والثم يديك واسجد لك طالباً ان تهلك الساحر والساحرة اللذين سحراني لكي اعيش واسرّ قلبك

اما خاصة الشعب فكانوا يترفعون في الغالب عن هذه الخزعبلات ويتقدمون الى معبودهم كما يتقدم اليه المتعبدون في كل زمان ومن اناشيدهم في مثل ذلك ما ترجمته

لقد اغتاظ الرب مني فليرضَ عليَّ

ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ

لترضَ الالاهة التي لا اعرفها

ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ والالاهة التي لا اعرفها

يا الهي خطاياي عديدة ومعاصيَّ كثيرة لا اعرف ما هي خطيتي ولا ما هي معصيتي

نظر الربُّ اليَّ في حموّ غضبهِ واعلن الله نفسهُ لي وهو ساخط عليَّ

استعنتُ فلم اجد معيناً . بكيتُ ولم اجد معزّياً . ناديتُ بأعلى صوتي ولم يسمع احد لي . هوذا انا مضطرب في ضيق ولا اجسر ان ارفع عينيَّ . الى الله الرحيم التفت وارفع صلاتي . اقبل قدميَّ الهتي وابللهما بدموعي فتستحيل خطاياي الى نِعَم ومعاصيَّ تبدّدها الرياح . انزع عني آثامي الكثيرة نزع الثوب . يا الهي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفر خطاياي . يا الهتي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفري خطاياي

وهذه الصلاة وجدت في مدينة اردو وتاريخها قبل ابرهيم الخليل بقرون كثيرة ومن قبيلها نشيد لإله القمر نُظم اولاً في هيكل اور المدينة التي وُلد فيها ابرهيم الخليل قبل عهده بزمنٍ طويل ويقال فيها

يا ابي الطويل الاناة والكثير الغفران الذي في يده حياة كل انسان
البكرُ القدير الذي صدرهُ يسع كل شيء ولا يقع تحت قياس
العليُّ في الاعالي انت انت وحدك انت العليّ
مَنْ هو العليُّ في الارض انت انت وحدك انت العليّ
مشيئتك معلنة في السماء والملائكة تسجد لك ومشيئتك معلنة على الارض والارواح السفلى تجثو لك وتلثم التراب

ومن هذه الاناشيد ما يظهر منهُ ان البابليين او فريقاً من خاصتهم كانوا يعتقدون بوحدانيَّة الله وقد بيَّن السر هنري رولنصن ان فريق الموحدين هؤُلاء نشأ اولاً في مدينة ارك وعلَّم ان الهة الكلدانيين المختلفة انما هي مظاهر من الاله الواحد انو . ولم يكثر انصار هذا المذهب ولكن كان الميل الى التوحيد شائعاً بين خاصة البابليين حتى لما صارت بابل عاصمة المملكة صار الهها مردخ الاله الاعظم او اله الآلهة وكاد الناس يقتصرون على عبادته كما يظهر من الدعاء الآتي الذي دعا به الملك نبوخذنصَّر وهو

الى مردخ سيدي اصلّي ومنهُ اطلب. كلمة قلبي اتجهت اليهِ فقلت ايها الملك انت الكائن منذ الازل رب الوجود

الملك الذي تحبهُ والذي تدعوهُ باسمهِ كما يحسن في عينيك هو الذي تهديهِ وتحرسهُ وتسيّرهُ في سبيل البرّ انا الملك الذي يطيعك انا عمل يديك انت خلقتني وائتمنتني على ملك جماهير من الناس حسب مشيئتك الصالحة التي قضيت بها عليهم كلهم ايها السيد اعني على محبة عظمتك ودع خوف لاهوتك يسكن قلبي وامنحني ما تراهُ صالحاً لان منك حياتي

قال الاستاذ سايس بعد ترجمة هذه السطور ان من يصلي هذه الصلاة ليس بعيداً عن ملكوت الله

غرائب الاحلام

انَّ رأينا في الاحلام معروف وهو انها كلها هواجس واضغاث غير منتظمة ان صدق شيءٌ منها فمن قبيل الاتفاق . والذين يدَّعون انهم حلموا احلاماً صحت تماماً لو كتبوا ما حلموا بهِ وقابلوا بينهُ وبين ما يحدث لوجدوا بينهما بوناً شاسعاً لا يصحُّ معهُ ان يقال ان ماحدث دلَّ الحلم عليهِ . ولكن من الناس مَن يبقي الحلم في ذهنهِ صورة غير واضحة فاذا حدث لهُ حادث بينهُ وبين الحلم اقل علاقة عادت صورة الحلم الى ذهنهِ على شكل جديد منطبق على ما حدث ولو بعض الانطباق فيحسب ان ما تصوَّرهُ في اليقظة هو نفس الحلم الذي حلم بهِ في المنام

وقد اطلعنا الآن على مقالة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها طريق الاحلام بقلم لادي كري زوجة لورد كري الذي كان سفيراً لانكلترا في الاستانة وهي من اشهر الكاتبات باللغة الانكليزية وابلغهنَّ . وظاهر الامر انها تصدق بعض الاحلام او بعض ما يجيء فيها ولعلها لو تحرَّت كتابة كل حلم كما كُتِب الحلم الاخير من الاحلام التالية لوجدتها كلها اضغاثاً تقل عن ظنون اليقظة صحَّة . وهذه خلاصة مقالتها

من الاحلام ما يؤثر في نفس الحالم تأثيراً خصوصياً يُشعرهُ باهميتها وانها ليست مثل بقية الاحلام التي يحلمها وهي لا يمكن ان يكون سببها تلبك المعدة باكل المآكل الغليظة ككثير من الاحلام التي تنشأ عن التخمة . ومنها ما ينبيءُ بحوادث تجري في المستقبل كما جرى لي في الحادثة الآتية التي ان لم يكن ما تمَّ فيها ضرباً من الانباء بالغيب بل مجرد صدفة واتفاق فهي صدفة اغرب من النبوءة واعجب

فقد حلمت ذات يوم اني دعيت لحضور وليمة وانا بعد صغيرة السن يصحبني شيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأ على عصاهُ . وفي اليوم التالي دُعيت لحضور وليمة وكان شابٌ قد عُيِّن ليرافقني الى المائدة فلما ابطأ جاءوا لي بشيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأ على عصاهُ ليرافقني اليها بدلاً من الشاب فجزعت في باديء الامر لمرآهُ ولاسيما لانطباقهِ على الحلم ولكنني سررت بصحبتهِ بعد ذلك وقصصت حلمي عليهِ ثم استطردنا في الحديث الى الاحلام وغرائبها فاعتذر عن ظهورهِ لي في الحلم على غير قصد منهُ وقال ان هذا شأن الاحلام فانها تأتي على ضدِ ما يشتهي صاحبها ويريد وانهُ لما كان صغير السن كانت احلامهُ مملوءة بالمخاطر فلما صار كهلاً لم يكد يحلم بشيءٍ او اذا حلم لم يتذكر ما يحلمهُ وهو الآن شيخ فانٍ كثير الاحلام ومعظم احلامهِ عن ايام طفوليتهِ وصباهُ وما كان يجري لهُ في تلك الايام

وقد عرفت لورنس اولفنت وهو ممن اشتهر باحلامهِ الكثيرة ودقة شعورهِ فقال لي انهُ لا يعرف سبب الاحلام النبوية وخصوصاً في الاحوال التي لا علاقة البتة فيها بين الحالم والمحلوم بهِ ثم قص عليَّ احلاماً كثيرة من هذا القبيل اذكر منها القصة الآتية

وهي انهُ كان نائماً في منزلهِ بعد عودتهِ من اليابان ولم يكن بعدُ قد اتبع تعاليم هرس الاميركي[1]. فحلم انهُ رأى رجلاً غريباً واقفاً بجانب فراشهِ ينظر اليهِ كأنما يستغيث بهِ او يطلب منهُ قضاء لبانة لهُ. فقال في نفسهِ وهو على تلك الحال ترى ما هي العلامة التي استطيع تمييز هذا الرجل بها اذا رأيتهُ في حال اليقظة ثم حدق اليهِ فلم يرَ في اول الامر ما يميزهُ تمييزاً خصوصياً عن غيرهِ ولكنهُ رأى بعد طول التفرُّس فيهِ ان في وسط جبهتهِ ثقباً كبيراً مستتراً تحت شعر ناصيتهِ كأنهُ جرح معولٍ والدم يقطر منهُ وعند ذلك أفاق من نومهِ بغتةً

ومضت سنة تعرَّف في غضونها بهرس المذكور وقبل تعاليمهُ وتبعهُ هو وثمانون تلميذاً من اتباعهِ الى غابة من غابات اميركا حيث انقطعوا الى درس مذهبهِ وهم بمعزل عن هذا العالم وغرورهِ وفي ذات يوم ركب اولفنت جوادهُ وخرج للتنزه فلقي جماعة من الفعلة الانكليز يصلحون الطريق المحاذية للغابة حيث كان هرس واتباعهُ مقيمين فانفرد رجل عنهم وتفرَّس في وجه اولفنت طويلاً كأنهُ يعرفهُ ولكنهُ لم ينبس ببنت شفة فلحظ اولفنت انهُ هو الرجل الذي رآهُ في منامهِ منذ سنة. فسألتهُ عما اذا كان قد رأى في جبهتهِ أثراً للجرح الذي رآهُ فيها وهو نائم. فأجاب كلاّ ولكن تمهلي قليلاً فسكتُّ وانتظرت

وكان الفعلة يستعدون للذهاب الى حانوت قريب من ذلك المكان ليستريحوا فيها فقرَّ رأي اولفنت على موافاتهم الى ذلك المكان بعد ساعة ليستقصي امر الرجل ولكنهُ لما وصل علم ان الرجل تخاصم هو وآخر من رفاقهِ فضربهُ رفيقهُ بمعول في جبينهِ فسقط الى الارض مغشياً عليهِ ونقلوهُ الى غرفة اولفنت لانهُ كان مشهوراً عندهم بالطب والعرافة ولكنهُ مات بين يديهِ ومات معهُ سرُّ الحلم الذي حلمهُ اولفنت ان كان لهُ سرٌّ

وهاك حادثة من هذا القبيل جرت معي . وهي اني كنت ليلة من ليالي نوفمبر المكفهرة نائمة واذا بي أراني في شارع ضيق وسمهُ الفقر بميسمهِ وكان الضباب كثيفاً حتى خيل لي انهُ

---

[1] احد مشاهير المصلحين الاجتماعيين ولد في انكلترا سنة ١٨٢٣ ولكن اباهُ هاجر الى اميركا وعمرهُ اربع سنوات وهو صاحب طريقة دينية معروفة باسم "اخوية الحياة الجديدة" واتباعها يحترمون التوراة ويجلون قدر الزواج ويقال ان لهُ نحو الفي نفس من الاتباع وهم منتشرون في انحاء العالم ومنهم لورنس اولفنت المذكور في هذه القصة وزوجتهُ

شارع من شوارع لندن وكنت راكبة مركبة فوقفت بي امام باب منزل من احقر منازل الشارع وكان معي صرر جئت بها لغرض معلوم . ففتح الباب فرأيت خلفهُ امرأة لابسة قبعة قذرة ترتجف كأنها مصابة بالبرداء . وكان الممرُّ مظلماً ضيقاً ينتهي الى دار صغيرة وقد مدَّ فيها حبل نشرت عليهِ ملابس كأنها اطمار بالية وفي ارضها نقع من المياه القذرة تشمُّ منها رائحة الصابون فأخذ مني الاشمئزاز والنفور مأخذها . وبينما انا على تلك الحال سمعت صوتاً كأنهُ صوت حفر في الارض وصوت صدمات ثقيلة عند قدمي؟ فالتفت الى غرفة عن يميني فرأيت رجلين من الذين يكفنون الموتى قد انحنيا فوق شيءٍ اسود مستطيل وكانا يجرّانهِ . فحوَّلت وجهي الى المرأة التي فتحت لي الباب وسألتها عن ذينك الرجلين فلم تجب بكلمة بل ضحكت ضحكة استهزاء فأمعنت النظر في وجهها فرأيتهُ مشوه الخلقة قبيحاً وزاد استقباحي لها لما رأيتها ذات لحية وصوت يشبه صوت الرجال الاَّ انها لابسة ملابس النساء . فذعرت من منظرها وقلت في نفسي اني افضل ان اكون مع المكفنين اشاهد ما يفعلان على ان اكون واقفةً مع هذه المرأة ففررت الى الغرفة المذكورة واغلقت بابها ورائي

غير اني لم أرَ احداً فيها مع انني رأيت المكفنين يدخلانها وكان كلُّ ما رأيتهُ سجادة بالية عليها رسوم ورق الكرنب وعدة كراسي ومقعد محوك من شعر الخيل . وللغرفة شبّاكان مشرفان على الشارع مكسران وستائرها اشبه بالشباك لا تدفع نوراً ولا تقي برداً . ثم اطللت على الشارع فقلت في نفسي ما اقبح هذه المناظر التي اراها وما اشدَّ سوادها فان النفس تنقبض منها والصدر يضيق لرؤيتها ثم مرَّ جنديٌّ من الحرس لابساً ملابسهُ الحمراء ومرَّت بازائهِ فتاة لابسة ملابس زاهية فابرقت اسرتي وسرّي عني لاني لم اعد اراني منقطعة عن العالم وانا في تلك الغرفة المدلهمة

هذه نهاية حلمي وقد انقضى وترك في مخيلتي اثراً سيئاً ثم حدث لي ما يشبههُ

وتفصيل ذلك انهُ لم يكد يمرُّ على الحلم شهر حتى رأيتني في لندن في يوم اظلمت سماؤُهُ وتكاثف ضبابهُ واقفة امام باب المنزل الذي رايتهُ في نومي لمهمة إحسان اقضيها . وكان معي سلال وصرر تحتوي على طعام ولباس لفقيرة بائسة تسكن المنزل وهي تتقلب على فراش المرض وكانت هذه اول مرة في عمري خرجت فيها لمثل تلك المهمة فلا يمكن ان يكون حلمي تذكراً لحادثة تشبهها لانها كانت فريدة في بابها ولما فتح الباب نكص الشخص الذي فتحهُ الى الوراء وانزوى خلفهُ ليستر سحنتهُ القبيحة المشوَّهة وكان ملتحياً وعلى رأسهِ قبعة قذرة تشبه ما رايتهُ في الحلم وكذلك كلُّ ما رايتهُ في الدار لا يختلف بشيءٍ عما رأيتهُ في منامي

وبينا انا مندهشة مما يجري درت الى اليمين لادخل الغرفة التي في الطبقة السفلى واذا بالمرأة — ان صحت تسميتها امرأة — اشارت اليَّ ان اتبعها ثم صعدت امامي على درج ضيق يؤدي الى الطبقة العليا . وهذا هو الامر الوحيد الذي يختلف عما رأيتهُ في منامي واما سائر ما شاهدتهُ فكان ينطبق على الحلم كلَّ الانطباق . فاني رأيت سجادة عليها الرسم الذي رأيتهُ في الحلم ومقعداً مصنوعاً من شعر الخيل الى آخر ما هنالك . ولما التفتُّ الى الشباكين رأيتهما مكسرين ومصلحين على نحو ما رأيت في حلمي . ثم اشرفت منهما على الشارع فرأيت جندياً من الحرس وفتاتين سائرتين معهُ

اما المرأة التي جئت لمساعدتها فلها قصة طويلة ملخصها ان امها توفيت فتزوج ابوها امرأة قست عليها فهربت من بيت ابيها تخلصاً من الجور وعمرها خمس عشرة سنة فجاعت وأُغريت بالبغاء تخلصاً من الجوع اولاً ثم لكي تقيت طفلها الى ان توفي وكان يساكنها حينئذٍ رجل شرير سكير التهم كل ما كنت آتيها بهِ من الطعام وحاول ثلاث مرات ان يسلبني ما معي كما علمت بعدئذٍ ولم تكن نجاتي منهُ الاَّ بوصولي اليها قبل الميعاد المضروب اوبعدهُ . ومن الغريب ان حلمي لم يلمَّ البتة بهِ ولا اشار اليهِ باشارة انذار تداركاً لشرّهِ على اهميَّة علاقتهِ بالقصة على ان الامور الطفيفة التي لا يعبأ بها مثل رائحة الهواء وحقارة المنزل والشخص الذي فتح الباب والجندي الذي مرَّ في الشارع والرسم المرسوم على البساط تطابقت كلها في اليقظة والمنام

وهذا حلم آخر قصهُ عليَّ احد اقاربي وكان عند رؤيتهِ لهُ جندياً في بورما فقال انهُ حلم ذات ليلة انهُ يشمُّ رائحة كريهة كما ينبعث من جثة غريق طال عليها البقاء في الماء . ثم رأى اباهُ تحت الماء ومنظرهُ كمنظر الاموات فاستيقظ من نومهِ وكتب تاريخ يوم الحلم وساعتهِ . وعلم بعد ذلك ان اباهُ وعملهُ وسق السفن في احد موانئ ارلندا كان يقود حصاناً جموحاً حذاء الرصيف فدفعهُ الحصان الى الماء فغرق وكان الوقت مساء فلم يعثروا على جثتهِ حتى بقيت مدة في الماء . وظهر لابنهِ ان اباهُ غرق في اليوم الذي رأى الحلم فيهِ وفي الساعة نفسها

ويقال ان من الاحلام ما ينبئُ بعكس ما يراهُ الحالم كأن تحلم ان رجلاً اعطاك بصلة فتأتيك هدية خاتم من الماس او تحلم انك ماشٍ عارياً في مكان عمومي فتكون النتيجة انك تدعى الى حفلة رقص فتلبس فيها افخر ملابسك . وهاك قصة من هذا القبيل قصتها على سيدة تركية ايام كنت في الاستانة . وهي انها حلمت انها رأت ابنها وقد كان ملازماً في الجيش مكتوف اليدين ثم سيق الى ساحة امام الثكنة التي تقيم فرقتهُ فيها وأُعدم رمياً بالرصاص فجزعت لذلك الحلم لانها لم تعرف بما تأولهُ وخافت ان يكون نذيراً بسوءٍ يصيب ابنها في المستقبل

فقصّت ما رأتهُ على اهل بيتها صباح اليوم التالي ولكنها لم تقل انها حلمت بابنها بل وضعت شخصاً آخر موضعهُ وذلك لانهُ كان قد حضر بالاجازة حديثاً فخافت ان يؤثر حلمها تأثيرًا سيئاً فيهِ . والشخص الذي احلتهُ محلهُ ضابط شاب من ضباط فرقتهِ . ثم لبست بشمكها وذهبت الى عرّاف لمشاورتهِ في الامر فقصّت عليهِ حلمها ولم تذكر شيئاً عن ابنها بل وضعت الضابط رفيقهُ موضعهُ . ففسر العرّاف حلمها بما حملها على الاطمئنان من نحو ابنها قائلاً انهُ من الاحلام التي تنبئ بعكس ما سيجري وان صدر الضابط سيحلى بالنياشين بدلاً من ان توثق يداهُ بالحبال كما رأت في منامها . وان اخذهُ الى ساحة الثكنة يعني ترقيتهُ الى رتبة قائد لفرقتهِ

فلما سمعت المرأة بهذا التعبير سرّت سرورًا لا مزيد عليهِ ونهضت واقفة على قدميها ونادت باعلى صوتها قائلة للعرّاف " ولكني لم احلم بالضابط رفيق ابني ولا يهمني امر ترقيتهِ بل حلمت بابني نفسهِ " فاجابها العرّاف بصوت خافت ولكن لماذا خدعتني انكِ ستجنين جزاء جهلك لان النياشين التي كانت معدة لابنك سينالها رفيقهُ ولا قوة في الارض تستطيع ان تحرمهُ اياها

وكانت النتيجة ان الضابط المذكور نال النياشين كما قال العرّاف وحُرِمها ابنها

وهذه قصة اخرى عن امرأة حلمت حلماً مفزعاً رأت ملاك الموت فيهِ امامها وخلفها " مشمّر الاردان للقبض " وشعرت بحرّ انفاسهِ وشاهدت عظام هيكلهِ فتشاءمت بذلك وظنّت انها لا تعيش كثيرًا بعدُ ولكنها عمرت طويلاً وعاشت عيشة هنيئة وتحرير الخبر اني دُعيتُ في صباي لقضاء عيدي الميلاد وراس السنة في منزل بداخلية البلاد فصحبتني اليهِ سيدة ذات جمال ودلال . وكان المنزل غاصاً بالمدعوين والمدعوّات من الشبان والشابات ولم يكن بينهم سوى نفر من المتقدمين في السنّ يعدّون على الاصابع . وفي مساء آخر ايام السنة اجتمعنا للسهرة ولعبنا العاباً كثيرة من جملتها لعبة للتكهّن بما سيجري لكلّ منّا في المستقبل . وعند انقضاء السهرة وقفت رفيقتي وصاحت بغتة كمن هبط عليهِ وحي او الهام قائلة ليعتقد كلٌّ منّا ان ما يحلمهُ هذه الليلة يتمّ لهُ في السنة القادمة . واعلموا انهُ لا يجوز لأحد ان يكتم شيئاً من حلمهِ بل يجب ان يقصهُ علينا حرفاً حرفاً في صباح الغد ونحن على المائدة. فاتفقنا على ذلك ثم تفرقنا للنوم وصاحبتي تكاد "تروع مهابة وتذوب ظرفاً" وتطير مما بها من خفة الروح ورشاقة القدّ ولطافة العنصر ورقة المزاج

ولكن ما اصبح اليوم التالي حتى خرجت من غرفتها ضئيلة تدور على عينيها الجميلتين هالتان سوداوان و يلوح للناظر اليها انها اكبر مما كانت عليهِ بعشر سنين . وقد لاح لنا من منظر عينيها

انها كانت مستغرقة في البكاء . وكانت عصبية المزاج دقيقة الشعور حتى اعتقد كلٌّ منّا انهُ ان هبط الوحي على احد منّا في تلك الليلة فعليها اوكشف ضمير من ضمائر الغيب فلها . فلما ظهرت لنا بذلك المظهر خشينا ان يكون الالهام قد جاءها بما لا تحبُّ لنفسها ولا نحبهُ نحن لها

ولما رأيناها على تلك الحال لم نشأ ان نسألها عن السبب ولكننا اخذنا في قص احلامنا بعضنا على بعض آملين انهُ اذا جاءها الدور باحت لنا بغريب امرها . وهكذا كان فانهُ لما قص كلٌّ منا حلمهُ ولم يبقَ غيرها شرعت في الكلام بعبارات متقطعة وحدثتنا بما رأت في نومها اجابة لطلبها فأصغينا اليها بأشد الانتباه . وعند ما فرغت من الكلام اقترح بعضهم ان تكتب حلمها فتطبع عدة نسخ منهُ وتوزع على اصحابها . فامتثلت لما اقترح عليها وطبعت عدة نسخ من حلمها فاعطيتُ نسخة منها وها هو نصُّ الحلم على ما ورد فيها بلسان صاحبتهِ قالت :—

"حلمت انني في حديقة عمومية من مدينة لا اعرفها وكان الزمن صيفاً . وكنت لابسة ثوباً ابيض يجرُّ اذيالهُ على الارض . فلما اشتدَّ الحرُّ طلبت ظلاًّ اتفيأهُ واذا بصوت ارغن قد قرع مسمعي فالتفت الى الشارع القريب من الحديقة فرأيت كنيسة كبيرة والناس يهرعون اليها فقصدتها ودخلتها في من دخلها فشعرت ببرد كاد يصل الى قلبي فقلت في نفسي اني اجلس قرب الباب حتى اذا اشتد بي البرد خرجت ولم يشعر احد بخروجي . ولم يكن قربي احد فجلست على مقعد هناك اصغي الى ترتيل الرهبان وترنيمهم . وبينما انا اقلب اجفاني في الكنيسة والنور ضعيف قليل رأيت ان كل ما هناك من الستائر والملابس اسود اللون وعلمت ان اللحن الذي يلعب بهِ على الارغن لحن حزن . فقلت لا بدَّ ان تكون الحفلة حفلة جنازة والميت رجلاً ذا شهرة

وبينما ان افكر في من عسى ان يكون ذلك الميت شعرت بمجرى هواء بارد قد لطم كتفي اليسرى ثم اضاء المكان فعلمت ان الستار المسدول على الباب قد أزيح ولكني دهشت من برودة مجرى الهواء الذي اصاب كتفي على حين ان الحر شديد في الخارج فالتفت واذا بي أرى شبحاً يدخل الكنيسة على عجل وتبينتهُ فاذا هو شبح عزرائيل ملاك الموت ورأيت عظام القسم الاعلى من هيكلهِ ولم ارَ ما بقي منهُ لما حال بيني وبينهُ من الستائر والسجوف. وكان ماسكاً بيديهِ قوساً وسهاماً محددة الرؤوس فلما رآني نزع في القوس ثم صوَّب اليَّ سهماً ورماني بهِ قبلت من امامهِ فاخطأني واصاب السهم جانب المقعد الذي كنت جالسة عليهِ . ثم سار في سبيلهِ مهرولاً وهو ينزع بالسهام ذات اليمين وذات اليسار حتى غاب عن الابصار بعد ما صار الهواء الذي في اثرهِ بارداً كالجمد فاصابني منهُ نفحة شعرت بقرسها وقرّها

فذعرت مما رأيت وحمدت الله على السلامة ثم نهضت من مجلسي وخرجت من الكنيسة حيث دخل عزرائيل تجنباً لهُ وحذر الالتقاء بهِ فلما صرت الى الخارج شعرت بحرّ الهواء . فتمشيت في المقبرة وانا لا اكاد امسّ اديم الارض بنعليَّ من خفة الوطء وثوبي يسحب ذيلهُ ورائي . فجعلت اقف امام بعض القبور وربما اقرأ ما عليها من الكتابات وكان معظمها باللاتينية فلم افهم منهُ الاَّ القليل . وما زلت كذلك حتى وصلت الى قبر حفر حديثاً فدنوت منهُ ونظرت الى قعر الحفرة وقلت في نفسي لعلهُ قبر الميت الذي يجنزونهُ في الكنيسة . ثم درت لاخرج من المقبرة وادخل الحديقة العمومية ثانيةً فما شعرت الاَّ وذيل ثوبي قد علق بشيءٍ على الارض فانحنيت لأجردهُ مما علق بهِ فاطبقت اصابعي على راس سهم مثل الذي نجوت منهُ وانا في الكنيسة واذا بي اراهُ قد غرز في ثوبي والصقهُ الى حافة القبر كما بمسمار . فالتفت الى جهة الكنيسة واذا عزرائيل واقف خلف ضريح منصوب على احد القبور وفي يدهِ قوسهُ وهو مكشّرٌ عن اسنانهِ وعلى وجههِ سيماء الانتصار . وحينئذٍ اشتدَّ صوت الارغن وعلت نغمات لحن الحزن الذي كانوا يلعبونهُ عليهِ حتى خيّل لي ان الارض كادت تميد بي وتمور فصحت صيحة شديدة وافقت من نومي . ومضت هنيهة من الزمن قبلما ادركت انني كنت في حلم . وما زال صدري ضيقاً ونفسي منقبضة الى الآن "

والحق يقال ان فاتحة السنة الجديدة كانت فاتحة شؤم ونحس عليها . فاشار اصدقاؤها عليها بالانهماك في حفلات لندن تسلية لافكارها فافادها ذلك اولاً ثم عادت اليها سوداؤها فكانت تكثر التردد الى الكنيسة ولم تكن تأكل سوى النزر اليسير . ولم تزل تسقم وتهزل حتى ظنَّ الذين لم يعرفوا شيئاً من دخيلة سرّها انها مصابة بمرض عضال . واشتدَّ بها الهزال على مرّ الايام حتى باتت ادقَّ من العود وارقَّ من الخيال فكتبت كتب وداع واعدت هدايا تذكار لنحو خمسين نفساً من اصدقائها وكانت تنوي ارسالها اليهم حتى تصلهم في صباح اليوم الاول من السنة الجديدة التي ظنت ان شمسها لا تشرق عليها وهي في قيد الحياة

ولم يمضِ على ذلك اسبوع حتى اخذت تشعر ان حالها تحسن وزرتها حينئذٍ فرأيتها تنزع طوابع البريد التي كانت قد الصقتها على الكتب ورزم الهدايا وهي جذلة مسرورة كما كنت اراها في ايام صباها . وكان كلُّ ما رأتهُ في نومها وخشيت سوء عقباهُ اضغاث احلام وضرباً من الاوهام

فهذا خبر حلم كامل التفصيل مسرود الحوادث مرَّ على ذهن امرأة شديدة التأثر فكان حديث خرافة لاشبه فيهِ للحقيقة . ولكنَّ هذه هي طريق الاحلام. انتهى

العاديَّات المقلَّدة

لا يجلس المرء ساعة في قهوة من قهاوي القاهرة حتى يمرّ بهِ عشرات من باعة العاديَّات (الآثار القديمة) كالجعلان وقطع النقود وفصوص الخواتم واشباهها فيعرضوا عليهِ بضاعتهم لمشتراها فيقلبها بين يديهِ وينقدها بعينيهِ نقدًا دقيقًا ويتردّد في مشتراها طويلاً ليس لانهُ عرف غثّها من سمينها وميّز صحيحها من كاذبها اذ معرفة ذلك تنحصر في اشخاص قلال زاولوا شراء الآثار القديمة وبيعها السنين الطوال بل لانهُ شاع واشتهر ان سوق تقليدها وتزويرها رائجة في كلّ مكان وان اعظم الخبيرين بها قد يخطئون التفريق بين القديم الصحيح والجديد المقلَّد منها فضلاً عن الذين لا يلمون بشيء عنها

وقد اخطر هذا على بالنا ما قالهُ رجل من موظفي المتحف البريطاني من ان تقليد الآثار القديمة بلغ مبلغًا عظيمًا حتى صاروا يتقنونهُ في اقصر الاوقات . فكثرت الاشياء المقلدة في اوربا وانتشرت في كل جهاتها حتى بات الناس يشكّون في ما اذا كان هناك آثار قديمة حقيقيَّة ودخل منها الشيء الكثير الى المتاحف الاوربية رغمًا عن نقد الناقدين وخبرة الخبيرين من موظفيها

ومما أثار الخواطر في هذا الموضوع أمر التاج الذهبي الذي اشتراهُ متحف اللوفر في باريس منذ سنوات وعدّ من خيرة ما فيهِ من المعروضات والآثار القديمة فانهم يؤكدون الآن ان ذلك التاج ليس قديمًا بل ان صانعًا روسيًّا ماهرًا صنعهُ لرجل غير معروف سنة ١٨٩٦ وادعى ذلك الرجل انهُ تاج الملك سايتفارنيس وقد اعترف الصانع بفعلتهِ

على ان الحقيقة لا تزال مكتومة مجهولة اذ مما يدعو الى الحيرة والريبة في امر ذلك التاج انهُ بيع لمتحف اللوفر بثلاث مئة جنيه وفيهِ من الذهب وحدهُ ما يساوي هذه القيمة . فلا يعلم ما وجه ربح صاحبهِ منهُ الأَان يكون فيلسوفًا اراد ان يعلِّم الناس انهُ مهما بلغ مبلغ علمهم وادعائهم الكمال فلا يزال علمهم جهلاً وكمالهم نقصًا

وفي لندن وحدها الوف من الذين يعيشون من صنع الآثار التي يدعون انها قديمة وهي قد تكون بنت يومها . وما عليك الأَّان توصيهم بصنع ما شئت فيأتوك بعد ايام قليلة بما أوصيت بهِ كأنما هو من عهد عاد . وفي هولندا كثيرون يقلدون عمل الآنية الفضية القديمة ويغيِّرون هيئتها الخارجية بما يضيفون اليها من المواد الكيماوية حتى يخيَّل للناظر اليها انها من

بقايا القرون المتوغلة في القدم . وفي اثينا معمل لتقليد الآثار القديمة لا يستطيع العارفون تمييز مصنوعاتهِ من الآثار الحقيقية . وهم يبيعون التمثال الصغير فيهِ بمئتي جنيه او ثلاث مئة على حين انهم لا ينفقون على صنعهِ جزءا من مئة مما يبيعونهُ بهِ . ومما يتباهى رئيس المعمل بهِ ان مصنوعات معملهِ موجودة في نصف متاحف اوربا العمومية ومجموعات الآثار الخصوصية

وفي فرنسا معمل لصنع قطع من الرخام يدعي صاحبها انها من آثار بومباي التي دمرها بركان يزوف في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي وتباع القطعة منها بمئة جنيه او نحو ذلك وهي متقنة الصنع دقيقة التقليد حتى تخفى حقيقة امرها على اعظم الخبيرين

ومن الاشياء التي كثر تقليدها فصوص الخواتم التي نقشت عليها رؤوس اشخاص وصور طيور وحيوانات ورموز اخرى حتى انهُ يحكى ان رجلاً من اعيان الروس جمع مجموعة منها انفق عليها خمسة آلاف جنيه ولكن تبين لهُ بعد ذلك ان كثيرًا منها مقلد لا حقيقي . ولما اعيتهُ الحيلة في فرز المقلد منها عن الحقيقي باعها كلها بجزء مما انفقهُ عليها فكانت صفقة خاسرة

وفي لندن ومنشستر قوم يصنعون قطع الاثاث ويدعون انها قديمة كانت توضع في قاعات القصور الكبيرة في عهد الملكة اليصابات وانها حفظت الى هذا اليوم ويبرزون شهادات لتعزيز دعاويهم

واميركا غنية بهذه المقلدات وقد وصفها احد الذين يصنعون الكراسي على مثال الكراسي التي كانت تستعمل في القرن السادس عشر فقال " اننا نصنع الكراسي على المنوال المطلوب ثم نغمسها في سائل معلوم حتى يعلوها الصدأ وتظهر بالية ونرميها ببعض طلقات من بندقية محشوة بالخردق حتى يلوح للناظر اليها ان السوس نخرها لطول عهدها

ويقول بعض الخبيرين ان التحف التي ابتاعها المستر مورغان الغني الاميركي الشهير ودفع ثمنها نحو مليونين من الجنيهات اكثرها مقلد وقد احكم صانعوها صنعها حتى خفي امرها عليهِ وعلى الذين يستعين بهم في نقد ما يشتريهِ

على ان اغرب ما وصل الينا من حوادث تزوير العاديات حادثة شابيرا المشهورة . وشابيرا هذا رجل اسرائيلي بولوني اعتنق الديانة المسيحية وسيم قسيسًا وجاء سورية وقد رايناهُ فيها وعرفناهُ . وبيان خبرهِ انهُ زار السر ولتر بزنت رئيس جمعية النقب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين بطلعةٍ على كتاب قال عنهُ انهُ يدحض آراء علماء اللاهوت الحديثين كلهم ولم يشأ في بادىء الامر ان يبيح لهُ بسر اكتشافهِ ولكنهُ باح بهِ اخيرًا بعد الحاح شديد وعلى وجههِ سيماء الاستياء كأنهُ اكره على افشاء السر اكراهًا . فقال ان الكتاب المذكور

نسخة من سفر تثنية الاشتراع مكتوبة على رق ثم اراه قسماً منهُ وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى مبالغة في التظاهر بالحذر والتحوط واذا بهِ مكتوب بالاحرف الفينيقية التي وجدت على الحجر الموابي بحبر اسود جميل وكانت الكتابة واضحة جلية مع انهُ مرَّ عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواه . وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو ان الكتاب وجد محفوظاً في كهف جافٍ من بلاد موآب. فالحَّ السر ولتر بزنت عليهِ ان يعلن اكتشافهُ للعالم فتردَّد اولاً ثم رضي ان يطلع رجلين عليهِ وهما الدكتور جنسبرج من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كوندر الذي مسح القسم الغربي من فلسطين

فدعاهما السر ولتر بزنت الى منزلهِ في اليوم التالي فظن الدكتور جنسبرج ان الدعوة عمومية تشمل موظفي المتحف البريطاني كلهم وعليهِ حضر هو وجميع موظفي المتحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كوندر ايضاً فاطلعهم شابيرا على كتابهِ فدهشوا لذلك كثيراً وقال احدهم ان الرق يشبه الرق الحديث في منظرهِ وهو يدل على اتقان صناعتهِ في ايام موسى ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية "ان هذا الاكتشاف من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة". وقال الكبتن كوندر "ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان . فان ما هو مذكور فيهِ من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تماماً وموسى لا يذكر شيئاً عن موتهِ"

وكان في جملة المدعوين وليم سمبسون محرر جريدة "لندن نيوز المصورة" فلم يصدق دعوى شابيرا وكان يعرف جميع ما في بلاد موآب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة فقال للسر ولتر بزنت انهُ ليس في بلاد موآب كلها كهف جافٌ يحفظ فيهِ هذا السفر

وبينما كان العلماء يتداولون السفر وينقبون فيهِ ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنهُ جاء المسيو كلمان جانو من باريس لرؤيتهِ فقال "اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب فانهم قطعوا الرق الذي كتب عليهِ من حواشي الدروج العبرانية القديمة . اما الكتابة فكتابة امس"

واتضح لهم بعد طول البحث ان قول جانو صحيح فردَّ السفر الى شابيرا ولم يطلب احد مشتراهُ منهُ . فجزع جزعاً شديداً افضى بهِ الى ان شنق نفسهُ

وعجيب في امر المشغوفين بجمع العاديات انهم كثيراً ما يكتشفون ان بين مجموعاتهم اشياء مقلدة ومزورة ولكنك تراهم غير مبالين بذلك كأن لم يكن شيءٌ فقد عرفنا رجلاً اشترى اثراً ظنهُ قديماً ثم اتضح لهُ انهُ حديث فلم يقلل ذلك من قدر الاثر في عينيهِ بل ما زال يجلهُ ويكرمهُ ويضعهُ مع غيرهِ من الآثار القديمة كأنهُ واحد منها

غرائب "المعاشات"

ان كانت خزينة الحكومة المصرية تئنّ من ثقل المعاشات الكثيرة التي تؤديها الى رجال خدموها في شبابهم وكهولتهم فاقعدتهم الشيخوخة عن السعي واعجزهم الهرم عن مداومة العمل فهناك خزائن تؤدي الاموال الى اناس لم يمدُّوا يدًا الى مساعدة حكوماتهم بل لم يحركوا اصبعًا في جرّ مغنم اليها او دفع مغرم عنها

واعظم شاهد على صحة ذلك الخزينة الانكليزية فانها تؤدي الى بعض افراد الانكليز معاشات سنوية كبيرة لغير سبب معقول حسب الظاهر سوى المحافظة على التقاليد القديمة التي اشتهر الانكليز بها . وبيان ذلك انها تدفع معاشًا سنويًا قدرهُ اربعة آلاف جنيه الى دوق ولنتون الرابع لان جدَّ ابيهِ دوق ولنتون الاول المشهور خدم بلادهُ خدمة جليلة بانتصارهِ على بونابرت في معركة واترلو وباعمال حربية اخرى . وقد اعطت دوق ولنتون الاول ٤٠٠ الف جنيه في حياتهِ وبلغ مجموع ما اعطت ورثاءهُ منذ مماتهِ الى الآن ١٦٠ الف جنيه

وتعطي لورد نلسون خمسة آلاف جنيه كل سنة لانهُ ابن اخي الاميرال نلسون الكبير بطل ترفلجار الشهير حتى بلغ ما دفعتهُ الى نلسون وورثاء لقبهِ ما يزيد على ٧٠٠ الف جنيه وسيظلون ينقدون ذلك المقدار من الذهب ما داموا يتوارثون ذلك اللقب

وكانت الحكومة الانكليزية تدفع مبلغ اربعة آلاف جنيه الى وارثي لقب دوق ملبرو ولكن دوق ملبرو الذي توفي اخيرًا اتفق معها على استبدال معاشهِ منذ خمس عشرة سنة فدفعت اليهِ مبلغ ١٠٧ آلاف جنيه . فبلغ مجموع ما دفعتهُ الى دوق ملبرو الاول وورثائهِ منذ مئة سنة الى الآن نحو نصف مليون جنيه

واعظم معاش تدفعهُ الخزينة الانكليزيَّة معاش دوق رتشمند وهو ١٩ الف جنيه وكأنهُ ربا مال قدرهُ ٣٨٠٠٠٠ جنيه على معدل ٥ في المئة واصل هذا المعاش ان الملك كارلس الثاني منح عائلة رتشمند ان تأخذ شلنًا على كل طن من الفحم الحجري يصدر من نهر التين ثم ابدل الملك جورج الثالث ذلك بمال سنوي مقدارهُ ١٩ الف جنيه كما تقدم وهي بمثابة ربا ٣٨٠ الف جنيه

وفي عهد كارلس الثاني مُنح رجل من اسلاف دوق جرافتن الحق في اختيار ما شاء من الخمور التي تجلب الى انكلترا من الخارج ودفع ثمنها على ما يعينهُ هو فكانت تلك الاثمان اسمية . وتوارث اعقابهُ ذلك الحق الى اوائل القرن الماضي فتنازل رئيس عائلة جرافتن حينئذٍ عن ذلك الحق على شرط ان تمنحهُ الخزينة هو وورثاء لقبهِ معاشًا سنويًا قدرهُ ٦٨٧٠ جنيهًا .

وما زالوا يتناولون هذا المعاش منذ ذلك الحين اي مدة ٩٥ سنة فبلغت جملة ما تناولوهُ نيفاً و ٦٥٠٠٠٠ جنيه

وكان دوق نورفوك وهو من اغنى اغنياء الانكليز ينقد معاشاً قدرهُ ٤٠ جنيهاً في السنة ولكنهُ استبدلهُ منذ سنتين او ثلاث سنوات بمال قدرهُ ٨٠٠ جنيه . واصل ذلك المعاش ان احد ملوك الانكليز منحهُ لاحد اسلاف الدوق المذكور وهو اول صري منذ اربع مئة سنة لاشتهارهِ في معركة من المعارك . وقد بلغ ما دخل جيب الدوق واسلافهِ من هذا القبيل ١٥٥٠٠ جنيه ما عدا الثماني مئة جنيه المذكورة آنفاً

وينقد لورد ردني معاشاً يبلغ الفي جنيه في السنة وذلك لانهُ ورث لقبهُ عن بحَّار باسل اشتهر منذ ١٢٠ سنة او اكثر بتدمير الاسطول الاسباني الذي كان يهاجم حصن جبل طارق . فبلغ مجموع ما نالتهُ عائلة ردني بسبب بسالة ذلك السلف نحو ربع مليون جنيه وما نالهُ لورد ردني الحالي وحدهُ ٧٨٠٠٠ جنيه

ويأخذ فيكونت هاردنج ثلاثة آلاف جنيه كلَّ سنة لان جدَّهُ اشتهر في حروب الهند فنال ثلاثة توارثوا هذا اللقب ١٧٠ الف جنيه

ويأخذ لورد نبير الفي جنيه كلَّ سنة منذ سنة ١٨٩٠ لان لورد نبير الاول دوَّخ بلاد الحبشة على ما هو معلوم لاطلاق الاسرى منها

وليس من الانصاف ان القائد العظيم يستخدم كل قوى عقلهِ ويلقي بنفسهِ في مواقع الخطر كما فعل كتشنر وغيرهُ من القوَّاد العظام ثم تستكثر عليهِ مئة الف جنيه وموسى او ادورد التاجر او المضارب باسهم الترنسفال يكتسب من بسالة كتشنر ومهارتهِ ملايين الجنيهات ولا احد يستكثر عليهِ ذلك

اما المعاشات التي تدفعها الحكومة المصرية سنويًّا فتبلغ الآن نحو ٤٣٠٠٠٠ جنيه مصري ولو لم يستبدل بعضها بالاموال والاطيان لبلغت ستمئة الف جنيه او اكثر . ثم ان الاطيان التي اعطتها لمستحقي المعاشات بدل معاشاتهم لو بقيت في حوزتها الى الآن لزاد ثمنها اضعافاً مضاعفة . وقد بلغت الاموال التي أُعطيت معاشات في العشرين سنة الماضية ٨٦٥٥٧٤٥ جنيهاً والاموال التي دفعت في استبدال المعاشات ٣٦٣٣٦١٢ جنيهاً فان كانت الحكومة الانكليزية قد دفعت الوف الجنيهات لاناس اعلوا منار مجدها وملَّكوها زمام التجارة وافاضوا عليها ينابيع الثروة فالحكومة المصرية دفعت مئات الالوف لاناس لم ينفعوها نفعاً يذكر او اضرُّوا بها ضرراً لا يقدَّر

ولعلَّ اكثر البلدان دفعاً للمعاشات الولايات المتحدة الاميركية فان حكومتها تدفع في السنة ٢٨ مليوناً من الجنيهات معاشات وذلك اكثر مما تدفعهُ على اي فرع آخر من فروع ادارتها كما يظهر من الجدول الآتي الذي قدرت فيهِ نفقاتها لسنة ١٩٠٣ الحالية

المعاشات	١٣٨	مليون ريال
البريد	١٣٢	" "
الحربيَّة	١٣٠	" "
الملكيَّة	١٢٦	" "
البحرية	٨٥	" "
ربا الدين	٢٧	" "
ادارة هنود اميركا	١٣	" "
والجملة	٦٥١	

وعلى كثرة المعاشات التي تدفعها لا تشكو ضيماً بل ان ثروتها آخذة في الازدياد على اسلوب لم يرَ الناس لهُ مثيلاً

دروس الازهر

من رسالة لحضرة الفاضل السيد مصطفى بك بيرم قدمت الى مؤتمر اللغات الشرقية الذي عقد بمدينة همبرج في اوائل سبتمبر الماضي

ان الدين الاسلامي الحنيف لا يمنع من تعلم اي علم من العلوم المعروفة الآن بين الازهريين بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعيات والعقليات وغيرها من العلوم التي تقوي ملكة الفكر . ومن كان في شك مما نقول فما عليهِ الاَّ ان يلقي نظرة على تاريخ القرون الاولى من الاسلام ومحافظتها على الدين مشهورة فيرى ان جيدها كان مزداناً بكثير من فحول العلماء الذين نبغوا في هاتهِ العلوم النافعة والَّفوا فيها المؤلفات العظيمة وبثوا فيها التعاليم المفيدة ونشروها في اطراف الارض قاطبة

وكان المسلمون كافة من خليفتهم الى اميرهم ووزيرهم يتضافرون للأخذ بيد هاتهِ العلوم العقلية ومن يشتغل بها لما رأوا من فائدتها معاشاً ومعاداً . ذكر صاحب كشف الظنون : " ان

الخليفة الثاني من بني العباس ابا جعفر المنصور مع براعتهِ في الفقه كان مقدماً في علم الفلسفة محبّاً لأهلها وبالاخص علم النجوم "

وعلمنا التاريخ: " ان الخليفة المأمون العباسي كان يضطهد اعداء الفلسفة "وذكر لنا التاريخ: " ان الامير صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى قرية المعرّة وقد عصى اهلها عليهِ فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما احس اهلها بالغلبة سعوا الى ابي العلاء المعري المشهور بتطرفهِ في الفلسفة وسألوهُ ان يخرج و يشفع فيهم فخرج ومعهُ قائد يقودهُ (لانهُ كان كفيف البصر) فاكرمهُ الامير واحترمهُ ثم قال لهُ: " ألك حاجة " . قال المعري: " الامير اطال الله بقاءهُ كالسيف القاطع لان متنهُ وخشن حدهُ وكالنهار الماتع اشتد هجيرهُ وبرد اصيلهُ خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين " . فقال الامير: " قد وهبتها لك وترحل عنها " . فانظر كيف وهب هذا الامير بلداً عصى اهلهُ لفيلسوف

وهذا عمر بن عيسى رئيس المعتزلة وهذا عمران بن حيطان الخارجي كانا من الرواة الذين اعتمدهم الامام البخاري صاحب الصحيح . فانظر كيف كان لامام من اعظم ائمة السنّة ان يصل سندهُ في الحديث بمتطرفين في الرأي فيلسوفين احدهما رئيس من رؤساء المعتزلة والآخر خارجي

وذكر الامام ابو قاسم الحسين الاصفهاني في كتابهِ المسمى بالذريعة الى مكارم الشريعة: " حق الانسان ان لا يترك شيئاً من العلوم امكنهُ النظر فيهِ واتسع العمر لهُ الاَّ ويخبر بشمهِ عرفهُ وبذوقهِ طيبهُ ثم ان ساعدهُ القدر على التغذي بهِ والتزود منهُ فبها ونعمت والاَّ لم يُبصر لجهلهِ بمحلهِ ولغباوتهِ عن منفعتهِ الاَّ معادياً لهُ بطبعهِ فمن جهل شيئاً عاداهُ والناس اعداء ما جهلوا بل قال تعالى (واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم) . وحكي عن بعض الفضلاء انهُ رُئي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل لهُ في ذلك فقال وجدتهُ علماً نافعاً فكرهت ان اكون لجهلي بهِ معادياً لهُ ولا ينبغي لعاقل ان يستهين بشيء من العلوم . فانظر كيف كان المتقدمون ينظرون الى كل العلوم و يعتنون بها لينوروا بها افكارهم و يوسعوا بها معارفهم للانتفاع بما تجرهُ من الخير

فبقيت تلك العلوم النافعة المعروفة الآن بيننا بالعلوم الحديثة منتشرة زاهرة بين المسلمين لا يرمون من قرأها بزيغ العقيدة ولا من استمعها بالضلالة والكفر . ومكث الحال على ذلك الى ان صارت السلطة الحقيقيّة في الدولة الاسلامية للاعاجم من التتار والمغول . ولم يكن لاغلب اولئك الاعاجم ذلك العقل الذي راضهُ الاسلام الناهي عن الاستبداد والقلب الذي هذبهُ دين ذلك الصديق الذي جعل اول خطابهِ للناس بعد المبايعة: " ان رأيتموني على حق

فأعينوني وان رأيتموني على باطل فردوني " . بل جاؤوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم كأنهم لبسوا الاسلام على ابدانهم ولم ينفذ منهُ شيء الى وجدانهم [1] فانقلب الحكم في ايامهم من الشورى الى الاستبداد ولكنهم وجدوا امامهم عقبة كبرى تمنعهم من مطلق التصرف في عباد الله . تلك العقبة هي العلوم التي تعرف المرء قيمتهُ وحقوقهُ وتدفعهُ لطلبها اذا رآها مهضومة وتعلمهُ ان لا يقتنع بشيء يقال لهُ ولو في امور الدين ما لم يكن مقترناً بالدليل والبرهان . فلم يرَ الامراء طريقاً اسهل وصولاً لنيل مرادهم من اطفاء نور العلم الاَّ محو العلوم خصوصاً العقلية منها وتقليص ظلها . فمالوا على العلم ميلة كانت هي القاضية . فاتسع المجال حينئذٍ لقصاصي السوء ووعاظ الشر ان يحشوا ما شاؤوا في كتب الدين بما هو براء منهُ وابعدوا الناس بموضوعاتهم الكاذبة عن طلب الثمرة الحقيقية التي تطلب من تعلم العلوم . ومن ذلك العهد اخذت الهمم في القعود والعزائم في الخمول والقرائح في الجمود وهجرت العلوم التي اخترعها المسلمون وقد بلغ عددها وحدها مائة وتسعين علماً [2] وصار كل علم لا يفهم بسبب ما طرأ على القرائح من الجمود يقال عنهُ في بادىء الامر ان قراءتهُ غير مستحبة او مكروهة ثم تترقى تلك الكراهة شيئاً فشيئاً الى التحريم. وانقلبت اوضاع التعليم حينئذٍ من واسع الاطلاق والبحث عن علل الاشياء وحقائقها الى ضيق التقليد والاكتفاء بالاخذ بظواهر العبارات التي قالها المتقدمون بلا تنقيب عن ادلتهم التفصيليَّة ولو لمعرفة استخراج النتائج من مقدماتها ولا بحث عن اولئك المتقدمين هل هم من ائمتنا الراسخين في العلم الذين يطمئن القلب للأخذ باقوالهم ام هم من اولئك المبتدعين المتلبسين بلباس السنة الذين تعمدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بوضعهم الاحاديث .. ولكن رغماً عن هذا التأخر العلمي العام فان سماء عرفان الامة الاسلامية ما كانت تخلو من نجوم ثواقب تشرق بأنوار علمية على حالك الجهل السائد وتقاوم بما في طاقتها وتجاهد مجاهدة الابطال لاعادة حالة التدريس الى ما كانت عليهِ في ايام عزنا ومجدنا العلمي

هاتهِ هي أدوار التعليم في العالم الاسلامي أجمع من بداية ظهورهِ لليوم وهي هي بنفسها التي مرت على الازهر في ادوار مختلفة

ذكر المقريزي " ان اول ما دُرس في الازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة فانهُ في شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس عليُّ بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر

---

(١) انظر كتابات الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذا الموضوع

(٢) راجع كتاب كشف الظنون

وأملى مختصر ابيهِ في الفقه عن اهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعاً عظيماً واثبت اسماء الحاضرين "

واعتنى الخلفاء الفاطميون كثيراً بنشر مذهبهم باغداق نعمهم على المشتغلين بهِ من العلماء والطلبة. ذكر المقريزي : "ان الوزير يعقوب بن كلس لما تولى الوزارة في ايام الخليفة العزيز بالله رتب في دارهِ العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء المتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق والف كتاباً في الفقه يتضمن ما سمعهُ من المعز لدين الله ومن ابنهِ العزيز بالله وهو مبوَّب على ابواب الفقه يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ونصب لهُ مجلساً في يوم الثلاثاء يجتمع فيهِ الفقهاء وجماعة من المتكلمين واهل الجدل واجرى الارزاق وكان يجلس ايضاً في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاتهِ على الناس بنفسهِ واجرى الخليفة العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونهُ ارزاقاً تكفيهم في كل شهر وامر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيهِ بعد الصلاة الى ان تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير ايضاً صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلاً وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال " . فساد المذهب الفاطمي على مذهبي اهل السنة اللذين كانا منتشرين في مصر قبل الفتح الفاطمي (وهما المذهب الشافعي والمالكي) وصار هو المذهب المعمول بهِ في القضاء والفتيا وانكر ما خالفهُ ولم يبقَ ظاهراً مذهب سواهُ . ذكر المقريزي : " في سنة ٣٨١ هـ ضُرب رجل بمصر وطيف بهِ في المدينة من اجل انهُ وجد عندهُ كتاب الموطإ لمالك بن انس رحمهُ الله "

وبقي الازهر منبتاً للفقه الفاطمي الى ان بني الجامع الحاكمي في سنة ٣٨٠ هـ فتحلق فيهِ حينئذٍ الفقهاء الذين يتحلقون في الجامع الازهر

وبقي مذهب الشيعة منتشراً في مصر قضاء وفي الازهر دراسة الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ فعادت لمصر حينئذٍ السنة المحمدية واول مذهب سني درس بالازهر المذهب الشافعي وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعي ولم يبقَ لهُ بالازهر من اثر سوى الجراية من الخبز تعطى لمن هو متمذهب بهِ وهذه الجراية تصرف الى يومنا هذا وقلَّ عددها شيئاً فشيئاً حتى صارت الآن تسعة ارغفة في اليوم تعطى لطالب من الذين يقرأون المذهب الفاطمي الآن بمصر بمدرسة صغيرة خاصة بهم

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية ان تلك العلوم لا بد وان تكون قد درست في الازهر في زمانهم اذ يبعد على من كانت مكتبتهم محتوية على مائة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب وعلى كرتين سماويتين احداهما من الفضة

يقال ان صانعها بطليموس نفسهُ وانهُ انفق عليها ثلاثة آلاف دينار وعلى خرط جغرافية ثمينة كالتي ذكرها المقريزي بقولهِ : " دخل هذه المكتبة (مكتبة الفاطميين) احد السياح فرأى فيها مقطعاً من الحرير الازرق غريب الصنعة فيهِ صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة اسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير " ان لا يقرأُوا تلك العلوم الفلكية والرياضية والجغرافية والطبية بأزهرهم

ولما انقرضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على ملك مصر شرع في تغيير الدولة الفاطمية وازالتها وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية واخرى للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وابطل الخطبة والتدريس من الجامع الازهر رغبة منهُ في ازالة كل اثر للفاطميين

وبقيت الدراسة معطلة في الازهر الى زمن الملك السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة فلما تولى ملك مصر في سنة ٨٦٥ هـ أعاد الى الازهر حياتهُ العلمية والدينية بسعي احد امراء دولتهِ وهو الامير عز الدين ايدمر الحلي وذلك ان الامير المذكور جاور الازهر بالسكنى فراعى حرمة الجوار وانتزع لهُ اشياء كانت مغصوبة واطلق لهُ من السلطان جملةً من المال وعمَّر الواهي من أركانهِ وجدرانهِ واصلح سقوفهُ وبلطهُ وفرشهُ حتى عاد جديداً بعد ما كان بالياً

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص وتسابقت هم العلماء في اتقان آلاتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة فنبغ حينئذ بمصر ائمة اعلام يفتخر بهم اليوم العالم الاسلامي أجمع كالامام عز الدين بن عبد السلام والامام السبكي وابنائهِ . والشهاب القرافي . وابن هشام . والسراج البلقيني . وجلال الدين السيوطي وغيرهِ من المصريين . وابرهيم بن عيسى الاندلسي . وعز الدين عمر بن عبد الله عمر القدسي . والامام الاصبهاني . والامام الزيلعي . وابن الحاج محمد العبدري الفاسي وابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي . وتاج الدين التبريزي . والحافظ العراقي . والحافظ بن حجر العسقلاني . وعلاء الدين الحموي . والرضى الشاطبي . ومحمد بن محمد البغدادي . وشيخ الاسلام زكريا الانصاري . وقاسم ابن محمد التونسي . وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصي الارض لمصر لتعلم العلم في ازهرها

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضاً ولكن المشتغلين بها نزر من الطلبة وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئاً فشيئاً الى الازهر كما تسرب الى غيرهِ من الجوامع الاسلامية الاخرى حتى تركت هذه العلوم من الازهر شيئاً فشيئاً قال الجبرتي: " كان

الوزير احمد باشا كور المتولي على مصر في سنة ١١٦١ هـ من أرباب الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية فلما استقرّ بقلعة مصر قابل صدور العلماء منهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الازهر فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا: "لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت وكان للشبراوي وظيفة الخطابة بجامع السراية فكان يطلع يوم الجمعة ويدخل عند الباشا فقال له الباشا: المسموع عندنا بالديار التركية ان مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق الى المجيء اليها فلما جئتها وجدتها كما قيل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه. فقال له الشيخ: يا مولاي هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف فقال واين هي وانتم اعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ونبذتم المقاصد فقال الشيخ: نحن لسنا اعظم علمائها وانما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم واغلب اهل الازهر لا يشتغلون بالرياضيات الا بقدر الحاجة الموصلة لعلم المواريث كالحساب والغبار"

فبقيت تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية الفلسفية مهجورة من الازهر ينظر اليها بنظر السخط ويفر من سماعها فرار الصحيح من الاجرب حتى قال المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية في الحكومة المصرية في خططهِ ما نصهُ "وينهى اهل الازهر من يقرأ كتب الفلسفة ويشنون عليهِ الغارة وربما نسبوهُ للكفر"

ولكن بفضل الله وكرمهِ لم يطل الامر على ذلك كثيرًا حتى قيض الله لنا من امرائنا الكرام ووزرائنا الفخام وعلمائنا الاعلام من تنبه لاسباب تأخرنا العلمي وأخذوا في السعي لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للملكة الذهنية وخشية المفاجأة باعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ في أذهان الكثيرين ان بها ما يعدو على الدين رأى ولاة الامور ان يمهدوا السبيل لادخالها في الجامع الازهر بأخذ آراء افاضل العلماء الازهريين فكافوا والدي المرحوم السيد محمد بيرم [٣] بهاته المهمة العلمية. وبعد اخذ وعطاء بينهُ وبين المرحوم العلامة الشيخ محمد الانبابي شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الازهر والعلامة الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد استقرّ الرأي ان يكتب لهما استفتاء صورتهُ: "بعد الديباجة. ما قولكم رضي الله عنكم هل يجوز تعلُّم المسلمين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنهُ بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لاسيما ما ينبني عليهِ منها زيادة القوَّة في الامة بما يجاري بهِ الامم المعاصرين لها في كل ما يشملهُ الامر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الامة بمعنى ان يكون واجبًا وجوبًا كفائيًا على نحو التفصيل

(٣) من كبار مدرسي جامع الزيتونة ومدير عموم الاوقاف التونسية وقاضي محكمة مصر

الذي ذكرهُ فيها الامام حجة الاسلام الغزالي في احياء العلوم ونقلهُ علماء الحنفية ايضاً واقروهُ.
واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الازهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها افيدوا الجواب لا زلتم مقصداً لاولي الالباب " فاجابهُ العلامة الشيخ محمد الانبابي بالفتوى الآتية: " بعد الديباجة . يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافية لانهُ لا تعرُّض فيها لشيء من الامور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليهِ مصلحة دينية او دنيوية وجوباً كفائياً كما يجب علم الطب لذلك كما افادهُ الغزاليُّ في مواضع من الاحياء وان ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل بهِ زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمهُ فضيلة . ولا يدخل في علم الهيئة الباحث عن اشكال الافلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم احكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكيَّة على الحوادث السفلية فانهُ حرام كما قال الغزالي وعلل ذلك بما محصلهُ انهُ يخشى من ممارستهِ نسبة التأثير للكواكب والتعرض للاخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطئ لخفاء بعض الشروط او الاسباب عليهِ لدقتها

واما الطبيعيَّات وهي الباحثة عن صفات الاجسام وخواصها وكيفيَّة استحالتها وتغييرها كما في الاحياء في الباب الثاني من كتاب العلم فان كان ذلك البحث على طريق اهل الشرع فلا منع منها كما افادهُ العلاَّمة شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذٍ اهمية بحسب اهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن في علم الطب وكمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح العباد . وان كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لانهُ يؤدي للوقوع في العقائد المخالفة للشرع كما افادهُ العلامة المذكور . نعم يظهر تجويزهُ لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليهِ مما ذكر قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيهِ من اقوال ثلاثة : ثانيها الجواز مطلقاً ونسبهُ الملوي في شرح السلم للجمهور : ثالثها المنع مطلقاً ونسبهُ صاحب السلم لابن الصلاح والنووي . قال الملوي ووافقهما على ذلك كثير من العلماء ولما كان الامام النووي ممن يقول في المنطق بالمنع مطلقاً مشى على نظير ذلك في الطبيعة . فعدَّ في كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون ان يفصل . لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمدهُ هنا اذ لا فرق بذلك فان مظنة الضرر والنفع موجودة في كل منهما والظاهر ان موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة اذ غيرهُ لا محظور فيهِ اتفاقاً كالمنطق الخالص كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة

واما علم تركيب الاجزاء المبرهنة بالكيمياء فان كان المراد بهِ مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منهُ على العقيدة الاسلامية فلا بأس بهِ بل لهُ اهمية حسب ثمرتهِ والأَ جرت فيهِ الاقوال الثلاثة المتقدمة . واما العلم المعروف بعلم جابر ويسمى ايضاً علم الصنعة وعلم الكاف وهو الذي ينصرف اليهِ علم الكيمياء عند غالب الناس فقد افاد العلامة ابن حجر في شرحهِ على المنهاج انهُ ان قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقتهِ وكان العلم الموصل لذلك يقينيًّا جاز تعلمهُ والعمل بهِ والأَ حرم ولفقد هذا الشرط لم يحصل المشتغلون بهِ فيما رأينا الأَ على ضياع الاموال وتشتت البال وتغيير الاحوال

فعلم ان العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الاجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج اليهِ في الحجاج عن العقائد الدينية والله سبحانهُ وتعالى اعلم "

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى الرسمية الآتية نمرة ١٧١ " ما افادهُ حضرة الاستاذ شيخ الاسلام موافق لمذهبنا وما استظهرهُ من ان الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة ايضاً وجيه والله سبحانهُ وتعالى اعلم "

ولم يتقرّر رسميًّا ادخال بعض هاتهِ العلوم الأَ في عصر سمو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الحالي أيد الله بهِ الاسلام فقد أصدر امرهُ العالي المؤرخ في ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ هـ بتدريس بعض تلك العلوم في الازهر

فاصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الازهر الآن شاملة للعلوم الدينية وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الازهر كتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء قولاً وكتابةً واللغة متناً وادباً ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان

ولتنشيط الطلبة وحثهم على الاجتهاد في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً بالجامع الازهر اوجد اولو الحل والعقد بسعي افاضل المعتنين بهذا الجامع ونخص منهم بالذكر العلامة الغيور الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً مبلغاً ماليًّا قدرهُ ستمائة جنيه سنويًّا يعطى مكافأة للنابغين في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً فعظمت بذلك عنايتهم ونمت رغبتهم وابدوا من البراعة في تلك العلوم على قلة الزمن وحداثة العهد ما انبأ عن فرط ذكائهم وعظيم جدهم ولما اتضحت لهم فائدة تلك العلوم اقبلوا عليها اقبال العطاش على صافي الماء لا حبًّا بالمكافأة المالية بل رغبة في التحلي بالفوائد العلمية

متحف الاسكندرية ومكتبتها

اطلعنا في " الادجبشن غازت " على مقالة شائقة عن متحف الاسكندرية ومكتبتها الاولى من قلم عضو من اعضاء جمعية الآثار والعاديات في الاسكندرية وهي تشهد لغزارة علم الكاتب وسعة اطلاعهِ ودقة بحثهِ فرأينا ان نعربها وننشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفوائد الجزيلة قال :—

يعلم ادباء الاسكندرية ان متحفها ومكتبتها الاولى التي أسسها بطليموس سوتر (٣٢٣— ٢٨٤ ق . م) بايعاز ارسطو ونظمها ابنهُ فلادلفوس (٢٨٤ — ٢٤٦ ق . م) كانا سبب فخرها ومجدها ايام كانت مركز العلوم والآداب . ولم يكن متحفها مكاناً لمجرد جمع الآثار القديمة كما هو عليهِ الآن بل كان اشبه بمدرسة كلية رئيسها كاهن ينتخبهُ الملك واوقافها كثيرة تدفع من ريعها رواتب اساتذتها . وكان حول المتحف اراضٍ فسيحة فيها حديقة عمومية والمقاعد مبثوثة في جوانبها والتلامذة يدرسون على معلميهم الشعر والرياضيات والفلك والطب

قال شارب في كتابهِ تاريخ مصر " وكان يؤمُّ هذا المتحف عدد كبير من الفلاسفة والمصورين والنقاشين والشعراء والمؤرخين وفحول الرياضيين حتى اصبح من ازهى معاهد العلم وازهرها في ذلك الزمن . ومن حسن حظ الاسكندرية حينئذٍ ان ملوكها كانوا يحبون العلم ويجلُّون قدر العلماء " . وكان في المكتبة ٤٠٠٠٠٠ سفرٍ ودرجٍ . وقد ترجمت التوراة الى اليونانية وكتب تاريخ مصر باليونانية كتبهُ الكاهن مانثو بامر بطليموس فلادلفوس ليوضعا في تلك المكتبة

وكان العالم الخطيب ديمتريوس فاليريوس الاثينوي مديراً اول للمكتبة ثم خلفهُ الشاعر زنودوتس الافسي وهو اول من جمع قصائد هوميروس ونشرها . وكان اقليدس ابو الهندسة رئيس القسم الرياضي في عهد بطليموس الاول . ولما سألهُ بطليموس سوتر عن طريقة سهلة لتعلم الهندسة اجابهُ جوابهُ المشهور وهو قولهُ " ليس لها سكة سلطانية " ولعلهُ اشار بذلك الى عادة كانت جارية في بلاد فارس حينئذٍ وهي انهم كانوا ينشئون لملوكهم سككاً خصوصية محاذية للسكك العمومية . وكان كليماكس القيرواني استاذاً لشعر الرثاء والتأبين وارسستراتوس القوصي وهروفيتوس الخلكيدوني اول من علَّم التشريح في عهد بطليموس سوتر بل اول من استنبط صناعة التشريح العملي . وكان معلّم الفلك في عهد بطليموس فلادلفوس العالم

ارسترخس الساموسي وهو اول من قال بدوران الارض حول الشمس . وكان مدير مكتبة المتحف في عهد بطليموس يورجيتس الفلكي اراتوسثنيس الذي وضع خريطة السماء وهو اول من علَّم ان الارض كرة وبيَّن كيف يقاس حجمها ومحيطها . وكان ارخميدس اشهر قدماء الرياضيين قد ادخل لولبهُ (الطنبور) الى مصر لري ارضها ولا يزال فيها منذ ذلك العهد الى الآن (اكثر من ألفي سنة)

وخلف اراتوسثنيس على ادارة المكتبة المهندس ابوثينيوس وهو الذي شرح خواص الاشكال الاهليلجية والشلجمية والهذلولية . واكتشف هبارخوس ابو الفلك الرياضي والجغرافية في عهد بطليموس السادس مبادرة الاعتدالين واخترع اسطرلاباً قاس بهِ طول السنة فاذا هو ٣٦٥ يوماً وربع يوم

هؤلاء بعض العلماء الذين عاشوا في عهد البطالسة الستة الأُول وكان اولئك البطالسة يقصدون المكتبة لكي يسمعوا خطب اولئك العلماء الاعلام ويستفيدوا منهم ويكونوا قدوة لشعبهم في طلب الفائدة

اما ما جرى بالاسفار والادراج التي كانت في المكتبة وعددها ٤٠٠ ألف او ٧٠٠ ألف فقد اختلفت الاقوال فيهِ واول من كتب عن ذلك الفيلسوف سنكا معلم نيرون في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي اي بعد ما تلفت المكتبة بنحو مئة سنة فانهُ قال احترقت مكتبة الاسكندرية التي تحوي اربع مئة الف مجلَّد . وقال فلوطرخس في كتابهِ عن يوليوس قيصر بعد ذلك بسنوات قليلة ان قيصر كان يقاتل الجنود المصرية التي كانت بقيادة اخلاس ليحتلَّ مكاناً في حيّ القصر الملكي بالاسكندرية لان كليوباطرة فتنتهُ بمحاسنها بعد ما حملها ابولودورس اليهِ ملفوفة في بساط فاضطرَّ ان يضرم النار في سفنهِ التي في المرفإِ منعاً لوقوعها في يد الاعداء فاندلع لسان اللهب وامتدَّ الى القصر فأحرق مكتبة الاسكندرية العظيمة

هذا ولم يذكر المؤرخ الذي وصف احتراق السفن في حرب قيصر الاهلية شيئاً عن احتراق المكتبة ولا اشار سترابو الذي وصف الاسكندرية بعد ذلك باربع وعشرين سنة الى وجودها الأ اذا كان قد دمجها في المتحف الذي قال انهُ لم يمسَّهُ ضرٌّ . واغرب من ذلك ان شيشرون المشهور لم يقل كلمة عن تلك الخسارة العظيمة التي خسرها العلم والادب . على ان هذه كلها ادلة سلبية لا يعوَّل عليها في جنب الادلة الايجابيَّة التي عندنا غير قول فلوطرخس المذكور آنفاً منها ما قالهُ ديون كاسيوس (١٥٥ — ٢٢٩ ب . م) تأييداً لقول فلوطرخس وهو "ان لسان اللهب امتدَّ كثيراً فأحرق المرفأ واهراء الحبوب ومخازن الكتب وغيرها ويقال

ان الكتب كانت كثيرة وثمينة " . ونشأ في القرن الرابع من التاريخ المسيحي جنديٌّ ومؤلف اسمهُ مارسلنوس فوصف مكتبة الاسكندرية بقولهِ " انها مكتبة ثمينة اتفق الكتّاب الاقدمون على ان ما فيها من الاسفار والادراج التي جمعها البطالسة بعد طول الجهد والعناء وعددها ٧٠٠ الف مجلد ذهبت طعم النار في حرب الاسكندرية حين دمر قيصر المدينة " . وكتب بولس اوروسيوس في تاريخهِ الذي الفهُ نحو سنة ٤١٦ مسيحية يقول " صدرت الاوامر في غضون القتال باضرام النيران في الاسطول الملكي الذي كان راسياً قرب الشاطىء فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت ٤٠٠ الف كتاب كانت مخزونة في بناء قريب من مكان النار. فتلف بها ذلك الاثر العجيب المتضمن تاريخ نهضة اسلافنا الادبية الذين ابتدعوا تلك المجموعة العظيمة الجليلة وكانت دليلاً على سمو عقولهم "

فيمكن ان يستنتج من الروايات المتقدمة ان حرق المكتبة كان امراً مسلَّماً بهِ عموماً من ايام فلوطرخس وليس هناك سبب كافٍ يحملنا على الشكّ فيهِ الآن

وهنا سؤال آخر وهو هل احترقت ابنية المكتبة والمتحف ايضاً مثل محتوياتهما والاقوال متضاربة في ذلك . فقيصر يقول في اول تاريخ " حرب الاسكندرية " انهم لم يكونوا يستعملون الخشب في ابنية الاسكندرية وكانوا يصنعون سقوفها من الحجر بحيث كانت في مأمن من النار . ولكنهُ يقول فيما بعد انهُ لما احتاجت سفنهُ الى مجاذيف نزعت سقوف بعض الابنية العمومية وحوّل خشبها الى مجاذيف . والمرجح ان ابنية المتحف لم تتلف كلها بدليل ان سترابو يصفها ولا يعقل انها ترمَّم في مدة الاربع وعشرين سنة التي مرَّت منذ احتراقها ولا يشير سترابو اقلَّ اشارة الى هذا الامر. وان كانت المكتبة قسماً من المتحف فربما لم تحترق ايضاً

وقد قال الدكتور بطلر في كتابهِ الحديث " فتح مصر والاسكندرية " انهُ يكاد يكون من المؤكد ان بعض ابنية المتحف بقيت مستعملة الى ايام كركلاَّ القيصر الروماني الذي سفك الدماء في المدينة كالانهار (٢١٦ ب . م) وان القيصر اورليانوس دمَّر ابنية المتحف سنة ٢٧٣ ب . م واعمل سيف الدمار في حي بروشيوم قصاصاً لاهالي الاسكندرية على عصيانهم وقال غيرهُ غير ذلك

هذا من حيث المتحف وما اصابهُ واما من حيث موقعهُ وموقع المكتبة فقد قال الدكتور بطلر ايضاً في كتابهِ المشار اليهِ ما يأتي " اما عن ترتيب ابنية المتحف وموقع المكتبة فلا يعلم شيء اكيد وكذلك لا يعلم اين كان موقع المتحف " ولكن احد مواطنينا كتب حديثاً في هذا الموضوع وجزم " بان المتحف كان قائماً في الشارع الذي هو فيهِ الآن اي شارع النبي دانيال

بازاء جامع سعيد باشا وجوار القنصلية الفرنسوية . وكانت المكتبة جنوبهُ . واول من عين موقعهُ محمود الفلكي "

فلننظر الآن في هذا القول لنرى ان كان صحيحاً فنقول

ورد في رسالة لمحمود الفلكي عنوانها " الاسكندرية القديمة " وهي التي نقل الدكتور بوتي مدير المتحف عنها في كتابهِ المسمَّى " رسم مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة " ما يأتي :—

" وجد حجر كالخزانة في حديقة القنصلية البروسيانية في المربع الواقع بين شارع النبي دانيال والشارع الذي يمرُّ امام محطة سكة الحديد المؤدية الى القاهرة وشارع رشيد وعليها كتابة مآلها ان فيها مؤلفات كاتب كان قبل عهد الاسكندر . فثبت بذلك ان المكتبة العظيمة كانت في تلك البقعة . وقد أكَّد لي العالم الدكتور بروغش قنصل بروسيا في القاهرة سابقاً صحة ذلك وقولهُ حجة عندي وعند جميع علماء الآثار والعاديات في اوربا "

ومما يقولهُ الدكتور بوتي انهُ فتش الاوراق التي سلمتها اليهِ ابنة المستر هرس فوجد فيها المذكرة الآتية " حجر من الغرانيت وجد في اراضي المسيو دي لورين بالاسكندرية سنة ١٨٤٧ " . وقد وصف الدكتور بوتي الحجر فقال انهُ مستطيل الشكل طولهُ ١٧ عقدة وربع عقدة وعرضهُ ١٥ عقدة ونصف عقدة وفيهِ حفرة مماثلة لهُ في شكلهِ طولها ١٠ عقد وعرضها ٨ عقد وعمقها ٣ عقد . وقد ظن انها كانت محتوية على ادراج من البردي (بابيرس) وعلى احد جوانبهِ الخارجية كتابة يونانية يقال فيها " مؤلفات ديوسقوريدس "

اما المربع الذي تقدم القول عنهُ ان المتحف والمكتبة كانا فيهِ فقد كان مرتفعاً من ١٥ قدماً الى ٢٠ قدماً عن مساواة الشوارع المجاورة لهُ عند اكتشاف الخزانة الحجرية المذكورة آنفاً . وبقي نحو اربعين سنة على تلك الحال ثم مهِّد عند بناء بورصة طوسن وذلك قبيل انشاء المتحف الحديث وجمعية الآثار القديمة في الاسكندرية . وكان موقع منزل لورين الذي كان قنصل بروسيا ساكناً فيهِ سنة ١٨٤٧ عند الطرف الجنوبي الشرقي من المرتفع المشار اليهِ ولعلهُ كان ملك الكافليردي لورين قنصل النمسا حينئذٍ . اما الخزانة فلا يعلم ماذا جرى بها على عظم اهميتها لمجموعة الآثار اليونانية في متحفنا الجديد

اما كتَّاب اليونان الذين سُمُّوا باسم ديوسقوريدس فكثيرون ولكن الذي اشتهر منهم قبل عهد الاسكندرية هو ديوسقوريدس تلميذ ايسقراط الخطيب الاثينوي (٤٣٦ — ٣٣٨ ق . م) وزمانهُ يوافق افتراض الدكتور بروغش من ان ديوسقوريدس المنقوش اسمهُ على

الخزانة هو نفسهُ مؤلف الكتب التي كانت فيها . ولكن اذا صحَّ هذا الفرض وهو ما لا أخالهُ صحيحاً كان تعيين موقع اثر مشهور مثل مكتبة الاسكندرية بناء على اكتشاف خزانة فارغة حجة واهية ضعيفة

ومما يجب ذكرهُ ان بُعد بورصة طوسن والحمراء والقنصلية الفرنسوية (المتضمنة في مربع محمود الفلكي) عن المرفإ التجاري قرب الطرف الشرقي من ميدان محمد علي يزيد على ست مئة متر . وهذه المسافة تقتضي ناراً عظيمة مثل التي شبت سنة ١٨٨٢ فاحرقت الميدان المذكور وابنية شارع شريف باشا حتى تصل من المرفإ الى بورصة طوسن وغيرها من الابنية الواقعة ضمن المربع المذكور

على ان مؤرخ حرب قيصر الاهلية يخبرنا ان المكان الذي احتلهُ قيصر اولاً من القصر الملكي كان متصلاً بالمشهد والمرفإ . فلو فرضنا أن موقع المتحف والمكتبة كان بين حيّ اليونان الحالي والبحر وموقع المشهد محل عمود فكتوريا الحالي سهل علينا اذ ذاك ان ندرك كيف يمكن ان تحترق المكتبة باتصال النار اليها من المرفإ

ثم استطرد الكاتب الى القول الشائع وهو ان مكتبة السرابيوم الملقبة بابنة المكتبة الاولى اخذها انطونيوس من برغاموس واهداها الى كليوباطرة فوضعتها في هيكل السرابيوم حيث عمود السواري الآن فبيَّن ضعف هذا القول وضعف السند الذي بني عليهِ وهذا السند هو قول فلوطرخس لكن فلوطرخس لا يقول ان انطونيوس فعل ذلك بل ان كالفيسوس اتهمهُ بهِ لكي يحقرهُ عند اهل رومية . اما الكتَّاب الذين كتبوا في ذلك العهد وبعدهُ فلا يشيرون اقل اشارة الى ان مكتبة برغاموس نقلت الى الاسكندرية . وقد كتب استرابون بعد تاريخ النقل المزعوم بعشر سنوات وقال ان خزائن برغاموس وذخائرها كانت لا تزال فيها

هذا وقد وعد الكاتب باستطراد الكلام الى مكتبة السرابيوم وما حلَّ بها وهي المكتبة التي وقع الجدال في شأنها لما اوردهُ عنها عبد اللطيف البغدادي وابو الفرج الملطي من ان عمرو بن العاص حرقها بامر الخليفة عمر بن الخطاب وقام الباحثون المحدثون ونفوا ذلك بادلة نقليَّة وعقليَّة . وقد اشرنا قبلاً الى ما يرتئيهِ الدكتور بطلر احدث الباحثين في هذا الموضوع وهو ان مكتبة السرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح لكن الكاتب لا يميل الى هذا الرأي على ما يظهر وسنرى ما يقولهُ في هذا الموضوع اما ما قالهُ الذين جاؤوا قبل الدكتور بطلر فمتداول ووارد كلهُ في مقالة الدكتور بطلر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحرّ واسهال الاطفال

جاء الحرّ وزهقت الاجسام منهُ وخصوصاً اجسام الاطفال فانهُ يسبب لهم اسهالاً ولبعضهم اسهالاً وقيئاً . والانكليز والاميركيون يسمون هذا النوع من الاسهال مرض الحرّ وهو يؤثر في الجهاز الهضمي اي في المعدة والامعاء واذا اصاب الاطفال سُمّي هيضة الاطفال ثم ان الحرّ يسبب عرقاً غزيراً ينشأ عنهُ ضعف في الجسم عموماً وفي الهضم خصوصاً بسبب ارتفاع درجة الحرارة ويساعد على تكون المكروبات في الالبان قبل شربها وبعدهُ فتختمر ويحدث الاسهال كما ذكرنا . وليست الهيضة المرض الوحيد الذي يصيب الاطفال في الصيف بل ان امراضاً اخرى تصيبهم بدليل كثرة الوفيات منهم في فصل الصيف بالنسبة الى الفصول الاخرى في مصر وفي غيرها

فبناء على ما تقدم يجب على المراضع والامهات ان ينتبهنَّ لتكون درجة حرارة اطفالهنَّ معتدلة ويتجنبن اطعامهم الاطعمة غير المغذية وسقيهم المشروبات المضرة ويحافظن على نظافة ابدانهم وملابسهم ويزلنَ من اذهانهنَّ الوهم الشائع وهو انهُ لا يجوز غسل الاطفال المرضى او الذين مرض احد والديهم بالزهري بدعوى ان الغسل بالماء يحدث المرض المذكور فيهم . ويجب عليهنَّ ايضاً ان لا ينمن مع اطفالهنَّ في فراش واحد ولا يعطينهم شيئاً من السفوف العسر الهضم المؤلف من دقيق وسمن . ويمتنعن عن الارضاع المتكرّر فيرضع الطفل مرة كل ساعتين او ثلاث . ويجب ان تكون المرضع جيدة الصحة لتكون جيدة اللبن غير حامل. ولبن الام السليمة البنية الغزيرة اللبن خير من لبن المرضع . اما مدة الارضاع فاقلها سنة واكثرها سنتان . ويجب ان يفطم الطفل في اوائل فصل الشتاء لا في فصل الحرّ . ويستعان عند الفطام بالغذاء اللبني

شروط الارضاع الصناعي

يؤخذ اللبن لارضاع الطفل من بقرة واحدة حسنة الصحة خالية من المرض فيرضع مرة

كل ساعتين او ثلاث كما تقدم ويلزم اغلاء اللبن في اناء من فخار اوصفيح نظيف ويحفظ في اناء من الصيني او الزجاج من الصباح الى المساء ومن المساء الى آخر الليل وهكذا. وكيفية ارضاع الطفل منهُ هي ان تؤخذ كمية من اللبن المذكور ويضاف اليها قدر ربعها من الماء القراح المغلي وذلك لكي تصير حرارة اللبن مثل حرارة اللبن الطبيعي لان البارد يحدث اسهالاً في بعض الاحيان ويكون ثقيلاً على معدة الطفل اذا لم يمزج بقليل من الماء . ثم يناول الطفل منهُ اما بملعقة صغيرة او بالفنجان نفسهِ واذا بقي شيء في الفنجان بعد شرب الطفل منهُ فلا يضف الى اللبن الاصلي . او تستعمل الرضاعة على شرط ان تنظف كلّ مرة بماء مغلي

الفطام

متى بلغ الطفل سنة ونصفاً او سنتين من العمر يفطم فيعطى طعاماً لبنياً مع قليل من الخبز او البسكت مدة شهر او شهرين وبعد ذلك يؤخذ في اعطائهِ المرق والسوائل النباتية المؤلفة من ماء نقيّ واغذية نباتية مثل الشعير والارز والعدس المدشوش والبقول وغيرها ثم البطاطس الخ

الدكتور حسن باشا محمود

تربية البنات الجسدية

فرق اهل العربيَّة بين الحسن والجمال فقالوا ان الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضائهِ . وسواء صحّ ذلك او لم يصحّ فان في اعتدال القوام جمالاً غير ما يكون في لون الوجه وتناسب الاعضاء وهذا الاعتدال هو المقصود في هذه المقالة . ولا تستطيع كل امرأة ان تكون بيضاء الوجه دقيقة الانف صغيرة الفم واسعة العينين ولكن كل امرأة تستطيع ان تكون منتصبة القامة معتدلة القوام اذا تربَّت على ذلك من صغرها . والرجال يفضلون اعتدال القوام على حسن الوجه وهم مصيبون في ذلك لان اعتدال القوام يدل على جودة الصحَّة . وجودة الصحة ترافقها سلاسة الطبع غالباً

ولا تعتدل قامة المرأة الاَّ اذا رُبيت البنت تربية صحيَّة من صغرها فاذا ربيت في بيوت الفلاحين وخرجت مع امها تستقي الماء وتحمل جرتها على رأسها ونامت حالما يظلم الليل وقامت قبل الفجر واكلت الطعام البسيط الساذج فتلك المعيشة كافية لتنمي جسمها وتعدل قوامها ولذلك تجد اكثر بنات الفلاحين منتصبات القامة معتدلات القوام كأنهنَّ تماثيل الاهات الجمال ولولا قذرهنَّ وقلة اعتنائهن بوجوههنَّ وايديهنَّ لناظرن اجمل الجميلات . واما بنات المدن اللواتي يقصر والدوهنَّ هممهم على تعليمهنَّ القراءة والكتابة ولغة او لغتين غير ناظرين

الى تربية اجسامهنّ واعتدال قوامهنّ فتراهنّ جالسات في المدارس امام مكاتبهنّ محدودبات الظهر مطرقات الرأس خوصاوات العيون

وقد وضعت احدى السيدات القواعد التالية لتربية بنات المدن وهي

اولاً ان ينتبه الى صحة البنات فان كنّ نحيفات ضعيفات لا يسمح لهنّ ان يلعبن العاباً عنيفة شاقة مثل اخوتهنّ

ثانياً ان يمنعن عن رفع الاجسام الثقيلة لان العنف الشديد قد يصدع بعض عضلاتهنّ او اعضائهنّ الباطنة صدعاً لا يظهر للعيان كصدع اليد والرجل ولكن يبقى تاثيره في الجسم مدى الحياة

ثالثاً ان لا تروّض البنت بعض اعضائها وتترك البعض الآخر من غير ترويض فينمو بعضها على نفقة البعض الآخر

رابعاً ان تمنع من الوقوف والجلوس منحنية الظهر منخفضة الرأس فيصير يتعذَّر عليها الانتصاب. وتمنع ايضاً من الجلوس امام النار او في زاوية البيت قافَّة مجتمعة بعضها على بعض كما يفعل البنات عادةً اذا بردن

خامساً ان لا تلبس حذاء ضيقاً او عالي الكعب . وخير لها ان تمشي حافية دائماً من ان تلبس حذاء ضيقاً او عالي الكعب

سادساً ان تحثَّ على المشي في الهواء النقي والمشي البطيء لا يكفي ولا يفيد ولا بدَّ من المشي السريع والركض وتزيد فائدة المشي في الاماكن المطلقة الهواء كالرياض والبساتين والمروج اذا انتبه البنات الى ما يرين فيها من انواع الطيور والنباتات والحشرات وتسابقن عدواً

سابعاً ان تحث على الانتباه الى جسمها وقامتها حتى يصير ذلك ملكة فيها فلا تعود تنحني الأ وهي تشعر انها انحنت ويجب ان تنتصب حالاً

ثامناً ان تدرَّب على التنفُّس من انفها لا من فمها لان الهواء الذي يدخل من الانف يتنقَّى في طريقهِ من جراثيم الفساد واما الهواء الذي يدخل من الفم فلا يتنقَّى

تاسعاً ان ترغَّب في انواع الرياضة التي تزيد التنفُّس فيتسع صدرها وتنتصب قامتها ويعتدل قوامها ويتمُّ لها ذلك اذا وقفت منتصبة كل يوم واطبقت فمها وتنفست من انفها مدة ما تعدُّ عشرين ثم ضبطت نفسها ست ثواني وكرَّرت ذلك مراراً مدة ست دقائق فانهُ لا يمضي عليها شهر حتى ترى فرقاً كبيراً في اتساع صدرها

عاشراً ان ترغَّب في الرياضة التي تقوي عضلات صدرها وبطنها وحقويها ورجليها اما

عضلات الصدر فتقوى بمسك قضيب من الحديد باليدين واليدان وراء الظهر ممدوتان على طولها وعضلات البطن تقوى بالانحناء الى اليمين ثم الى اليسار. وعضلات الحقوين والفخذين والرجلين تقوى بحني الظهر ولمّ شيء خفيف عن الارض من غير ان تحنى الركبتان فاذا مارست البنت ذلك مدة تقوّت عضلات جسمها وانتصبت قامتها

ثم اذا تهذب عقلها بدت عليها مخايل الذكاء مع اعتدال القوام فزادتها جمالاً

تمريض المرضى

الفصل الثالث

امراض الجهاز العصبي . الفالج

اصدق وصف ينطبق على الجهاز العصبي هو انهُ يشبه راس اللفت فاللبُّ بمثابة الدماغ والجذور بمثابة الاعصاب التي تمتدُّ الى الظهر اي الحبل الشوكي والجذور الرفيعة التي تتفرع الى الذراعين والرجلين . فقد يتفق ان يعتلَّ الدماغ وفروعهُ كلها وهو ما يسمونهُ بالفالج العام . واحياناً يعتلُّ نصف الجسم الايمن ويفقد الانسان قوة النطق وهذا يسمونهُ الفالج النصفي . او ان الرجلين تعتلان وهذا يسمى الفالج السفلي ومهما يكن نوع الفالج فهو من اعسر الامراض معالجة فان معالجتهُ تقتضي صبرًا كثيرًا وطول اناة . وهو لا يأتي فجأة بل ان صاحبهُ يفقد تدريجًا صحتهُ ويقاسي فقد الاحساس . ولكن الذي يأتي فجأة قروح تصيب الجسم لاسيما اذا كان المريض لا يستطيع ضبط مبرزاته ويسمونها قروح الفراش . في معظم الامراض يمكن اجتناب هذه القروح اما في الفالج فان ذلك يستحيل غالبًا ولكن يجب مضاعفة العناية بالمريض لمنع ظهور القروح ولذلك يجب اولاً ان يبقى جسمهُ نظيفاً وجافًا . وثانياً ان يمنع من النوم على جانب واحد فقط . وثالثاً ان يكون فراشهُ خالياً من النتوءات وان يغسل وركاهُ صباحاً ومساء بالصابون وان يفرك جلدهُ بالسبيرتو ثم بمذوب الحامض البوريك واخيرًا ان ترش البودرة على ظهره ويفرك جيداً براحة اليد

ومما يريح المفلوج كثيرًا ان يقلب من جنب الى جنب لاسيما اذا كان تحت كتفيهِ مسندٌ يسندها وان يوضع تحتهُ كيس من الكاوتشوك المملوء بالماء ويمكن وضعهُ تحت كتفيهِ ايضاً لتخفيف الضغط لان القروح قد تظهر على الكتفين حتى المرفقين ايضاً

وليكن سرير المريض بعيداً عن الحائط بحيث يستطيع الشخص الذي يعتني بهِ ان يدور حولهُ بسهولة . ويقتضي لقلبهِ من جانب الى جانب شخصان . ويجبل لمن يتولَّى ذلك ان

المفلوج ثقيل جدًّا لما في تحريكهِ وقلبهِ من الصعوبة . اما طريقة قلبهِ فهي ان يضع شخص يدًا من يديهِ تحت وركي المريض والاخرى تحت كتفيهِ وان يضع الشخص الاخر يديهِ تحت يدي الاول ثم يرفعا المريض معاً ويقلباهُ على الجنب الآخر ويفركا جلدهُ بالسبيرتو او بمرهم وبودره فاذا كان الجلد مشققاً والقروح قد بدأت تظهر فلا يستعمل سوى المرهم البسيط وذلك ان يوضع منهُ على خرقة ناعمة بقدر القرحة ثم توضع الخرقة عليها ويوضع فوقها قليل من القطن المندوف وتثبت في مكانها بقطعة من المشمع

واذا كان المريض لا يستطيع ضبط بولهِ يلزم ان توضع تحتهُ قطعة من المشمع ويجب ان تكون ناعمة خالية من الطيات . وقد يحدث انهُ لا يستطيع ضبط مبرزاتهِ ايضاً فيلزم حينئذٍ ان يحقن يوماً بعد يوم . وطريقة ذلك ان يذاب بعض الصابون في ماء حارّ ويوضع في الماء ملعقة من الزيت . واذا كان معهُ قبض شديد يجب ان يضاف الى المزيج ملعقة من التربنتينا. ثم يقلب على جنبهِ ويوضع المشمع تحتهُ . ويدهن رأس الحقنة بالفاسلين ويفرغ الهواء منها ثم يحقن المريض على مهلٍ

داء السكتة

يصيب هذا الداء صاحبهُ فجأة على الغالب بعد ما يشعر بانزعاج بسيط قبل ذلك بايام قليلة فيفقد الشعور وقوة التسلط على اطرافهِ ويصير تنفسهُ عسرًا مصحوبًا بصوت ويزرقّ وجههُ وتدركهُ الحمّى . وسبب ذلك وجود جلطة دموية في الدماغ او اصابة الظهر بآفة على اثر صدمة او سقطة

والعلاج لذلك ان يوضع المصاب في الفراش وينقطع عن كلّ حركة ويعطى طعاماً سائلاً فقط . وتتبع جميع الوصايا المتقدم ذكرها في الفصل الماضي وخصوصاً ما تعلق منها بقروح الفراش

الصرع او داء النقطة

الصرع عكس الفالج والسكتة فبدلاً من ان يفقد المصاب بهِ قوتهُ وسهولة حركتهِ يصير ذا حركات شديدة غير ارادية تسمَّى تشنجات . ويصيح صيحة قوية ويجمع اصابعهُ فوق ابهاميهِ وتجتمع الرغوة على فمهِ ويضرب بيديهِ ورأسهِ وسائر جسمهِ ويعضُّ لسانهُ

واول ما يجب عملهُ ان يمنع المصاب من الحاق الاذى بنفسهِ . ويلقى على ظهرهِ وتوضع فلينة او منديل بين اسنانهِ حتى لا يعضُّ لسانهُ وتحلُّ عرى قميصهِ وطوقهِ ويمنع من الاصطدام بالاشياء التي حولهُ . وليلاحظ كم تدوم النوبة التي تنتابهُ ويخبر الطبيب بذلك

ويجب ان تكون امعاء المصاب لينة وان يكثر من الرياضة في الخلاء ويتجنب كلَّ ما

يقلق بالهُ ويشغل خاطرهُ والاَّ ساء خلقهُ جدًّا . ومما يحزن ذكرهُ ان المصاب بالنقطة يحبُّ الاضرار بغيرهِ وهو كثير الخداع والكذب ويودُّ ان يظهر بمظهر الصلاح والتقوى امام الناس فيجب ان تعدَّ اعمالهُ هذه جزءًا من مرضهِ ويعامل بالتؤدة والصبر

التهاب اغشية الدماغ

هذا المرض يصيب الاطفال على الغالب ولكنهُ يصيب البالغين ايضاً . وقد يصير وافدًا في بعض البلدان . واعراضهُ اكثر ظهورًا في الاولاد منها في غيرهم . فيشعر الولد بضعف وانحطاط قبل ظهور المرض . ومتى ظهر فاول اعراضهِ القيء والم شديد في الراس وتقلُّص البطن وارتفاعهُ ثم يأخذ الولد يصيح ويهزُّ راسهُ ولا يعود يحتمل سماع الاصوات ولا رؤْية النور . وفي اول درجات المرض تشتدُّ الحمى ثم يعقبها سبات وتشنجات وتصير العينان ثقيلتين جامدتين

اما العلاج الاعتيادي فهو ان يوضع الولد المصاب في غرفة مظلمة بعيدة عن النور والصوت ويضجع على ظهرهِ وتوضع مخدة واطئة تحت رأسهِ ويطعم طعاماً سائلاً مقويًا

واذا اشار الطبيب بوضع كيس جليد على رأسهِ فليكسر الجليد قطعاً صغيرة وتغسل حتى تذوب النتوءات التي فيها ويفرغ الهواء من الكيس حتى يباشر الراس جيدًا ويوضع منديل تحتهُ ليمتصَّ الرطوبة ويمنع ابتلال المخدة . وليطعم المريض وهو مستلقٍ على ظهرهِ بواسطة فنجان خاصّ معدٍّ لذلك . وما يقال في معالجة الاطفال يقال في معالجة البالغين ايضاً

النفراجيا والشياتكا

النفراجيا الم في الاعصاب نفسها . وهي اما ان تكون في الوجه او في الذراعين او في غيرها فتسمى دائماً نفراجيا الاَّ اذا اصابت العصب الكبير الذي يمتد من الظهر الى الفخذين فالركبتين وهو المسمى العصب الوركي او عرق النسا فتسمى حينئذٍ شياتكا . اما الالم فشديد الى الدرجة القصوى ولكن لما لم يكن هناك علامات ظاهرة تدل على وجود المرض فالغالب ان المريض قلما يجد بين اهلهِ واصحابهِ من يرثي لهُ . وهذا المرض يفاجئ الجسم اذا كان ضعيفاً او منهوكاً بالعمل الشاق والهموم العقلية . وعليهِ فاحسن علاج هو تغيير الهواء والراحة واعطاه المقويات . وعند حدوث الالم يجب وضع الاشياء الحارة على مكانهِ مثل الفلانلا المسخنة واللزقات وغيرها والحقن بالمورفين وهذا الاخير منوط بالطبيب فقط

وكثيرًا ما يشتكي الناس من الم في الوجه عند ما تؤلمهم اضراسهم . والم الضرس عبارة عن تعرض اعصاب الضرس للهواء بسبب "تسوُّس" مادتهِ وحينئذٍ فالامر من متعلقات طبيب الاسنان

الجنون

الجنون مرض الدماغ والجهاز العصبي وهو مثل سائر الامراض اما ان يكون وراثيًا او اكتسابيًا حادًا او مزمنًا بطيئًا او فجائيًا ناشئًا عن خوف او حزن او فرح

وفي اوربا بيمارستانات كبيرة لعلاج المجانين وبعبارة الطف مرضى العقول ومعالجتهم فنٌّ قائمٌ بنفسهِ فلا بدَّ ان يتمرَّن الاطباء والممرضون عليهِ قبل مباشرتهِ

ويجب على الذين يتولون تمريض المجانين ان لا يتظاهروا بالخوف منهم وان يكونوا طوال الاناة صبورين لانهم ان كانوا لا يستطيعون ضبط انفسهم فلا يستطيعون ضبط غيرهم

والمجنون كثير المخاوف والحيل. فيجب على من يمرضهُ ان يكون مستعدًا لتدارك امرهِ دائمًا فاذا عمد الى استعمال القوة والضرب فالواجب ان لا يقابَل بمثلهما بل ان تتقى ضرباتهُ بهدوء وسكينة وتمسك يداهُ بلين وتنزلا على مساواة جسمهِ . واذا عمد الى الاضرار بنفسهِ بالانتحار وجب ان تراقب نوافذ غرفتهِ وينزع من الغرفة كلُّ ما يمكن ان يؤذي نفسهُ بهِ مثل الزجاج والسكاكين والقناني وغيرها . واذا استعمل الفاظ البذاءة والسباب كما هي عادة المجانين غالبًا فليترك وشأنهُ

واذا كان المريض امرأة اصيبت بالمالنخوليا (السوداء) بعد الولادة او رجلاً اصيب بها على اثر كثرة الهموم والاشغال فيجب ان يرسلا الى حيث يبدلان الهواء . فان تبديل الهواء وتغيير هيئة المعيشة الاولى يعودان على المريض بالشفاء ولكن اذا أُهمل امرهُ فربما صار مرضهُ مزمنًا وبات عالة على اهلهِ

ومن اعسر فنون الجنون تمريضًا حوادث المجانين الذين يأبون تناول الطعام فيؤدي بهم الامر الى الموت جوعًا . ففي البيمارستانات يستعملون ما يسمونهُ "الاطعام الاجباري" وذلك انهم يلقون المجنون على ظهرهِ ويمسكون ذراعيهِ ورجليهِ ويدخلون انبوبة في فمهِ حتى تصل المريء ثم يصبون فيها مرقة او لبنًا . واذا كان المجنون قويًا اقتضى خمسة اشخاص لاطعامهِ

وهناك شكل آخر من اشكال الجنون يصعب تمريضهُ وهو اذا كان المجنون قذرًا وسخًا يأبى ان يغتسل او ان يمشط شعرهُ ويميل الى اللعب بالاقذار والاوحال . فيجب من ثم ان يعيَّن لهُ شخص يحرسهُ ويراقب حركاتهِ بالصبر والثبات

على ان هناك مجانين بسطاء ودعاء يعاشرهم المرء ساعات قبل ان يكتشف نوع جنونهم مثال ذلك ان رجلاً ظنَّ نفسهُ حبة قمح فكنت تراهُ هادئًا ساكنًا فاذا رأى دجاجة فرَّ مذعورًا وهو يصيح مستغيثًا ظنًّا منهُ انها ستتبعهُ لتأكلهُ . وآخر ظنَّ نفسهُ ملك انكلترا وان

انكلترا كلها ملك لهُ فكنت تراهُ سعيداً مسروراً ولم يكن يتعرض لاحدٍ بسوء

ويجب على الذين يمرّضون المجانين ان يكونوا اصحاب ذكاء ودهاء . ولا بدَّ ان كثيرين سمعوا حكاية الطبيب الذي امسكهُ ستة مجانين في غرفة وقالوا لهُ "هلمَّ بنا نقفز من احدى نوافذ هذه الغرفة الى اسفل ولكن يجب عليك ان تقفز امامنا اولاً فاذا ابيت ذلك عمداً الجأناك اليهِ مكرهاً" فاجابهم الطبيب ضاحكاً "لست ارى في القفز الى اسفل اقلَّ مهارة وانما كلُّ المهارة في القفز الى اعلى فهلمَّ يا رفاقي وانظروني اقفز الى اعلى" ثم ركض امامهم الى حديقة هناك وجعل يلاعبهم ويحاول القفز الى اعلى الى ان نجا منهم

ومما يعالج المجانين بهِ اقامة المراقص لهم واحضارهم الى مراسح التمثيل واللعب على البيانو امامهم وعمل الالعاب لهم في الخلاء . ولذلك نرى البيمارستانات اكثر المستشفيات اتقاناً واكملها ترتيباً ولو ما تراهُ فيها من الغرف المبطنة الجدران بالحشايا والممرضات والاطباء والمرضى ما كنا نعرف اين نحن عند زيارتنا لها . والذين رأوا الحبوس المظلمة التي كان المجانين يوضعون فيها في هذه البلاد والسلاسل التي كانوا يوثقون بها يندهشون عند رؤية البيمارستانات الجميلة في ممالك اوربا حيث يبذل الناس النفس والنفيس في تخفيف بلايا الانسانية وتوفير اسباب الخير والرفاه للامم

لسع الحشرات

اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولداً فاجتهد اولاً لتنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) من الجلد واغسل مكانهُ بروح الامونيا . واذا لم توجد روح الامونيا فاجبل كربونات الصودا بالماء وضعها على مكان اللسع . واذا لم توجد فضع عليهِ زيت الزيتون او عجين الدقيق . واذا امتصَّ احد الجرح بفمهِ حالاً بعد اللسع زال اكثر الالم . واذا اشتدَّ الالم فضع على الجرح لزقة من بزر الكتان

عضة الكلب الكلِب

اذا كانت العضَّة في طرَف من الاطراف كاليد او الرجل فاربط العضو المعضوض فوق العضَّة ربطاً شديداً لقطع اتصال الدم بين ذلك العضو وبين القلب ثم مصَّ الدم من الجرح بمصاصة من الكاوتشوك . ويمكن مصهُ بالفم اذا لم يكن فيهِ جرح . واجبل التراب بالماء وضعهُ على مكان العضَّة الى ان يحضر كاوٍ كحجر جهنم يكوى الجرح بهِ ويجب غسل الجرح من التراب قبل كيهِ . ولابدَّ من حفظ الكلب الى ان يرى هل هو مصاب بالكلَب اوغير مصاب بهِ

باب الزراعة

مدارس الزراعة
وحاجة البلاد الكبرى

من يجل بين الفلاحين الآن ويقابل كبار المزارعين من اصحاب الاطيان الواسعة يرَ ثغورًا باسمة ووجوهًا متهللة لما يرون من ارتفاع اسعار الحاصلات ولاسيما القطن الذي كان ثمن القنطار منهُ منذ خمس سنوات اقل من جنيهين وقد بلغ الآن اربعة جنيهات او خمسة فان نفقات الزرع تسدُّ كلها من الجنيهين الاولين وما بقي ربح صافٍ للمالك او للمالك والمؤاجر وعليهِ فقد زاد دخل البلاد من القطن وحدهُ اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات . وكل الحاصلات الاخرى كالحنطة والذرة والفول والشعير تضاعف ثمنها تقريبًا ولكن لما كانت تؤكل كلها في البلاد ولا يصدر منها الى الخارج الاَّ شيءٌ قليل فليس منها ربح للبلاد عمومًا ولو ربح بها المزارع من غيرهِ من سكان القطر

اما الربح من القطن ومن كل ما يصدر من القطر لحقيقي تزيد ثروة البلاد على مقدارهِ فان كان عشرة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم فهو اكثر من ربح الذهب الذي يستخرج من الترنسفال لان اعظم ما بلغهُ ذلك الذهب في سنة واحدة نحو ١٥ مليون جنيه يذهب نصفها نفقات في استخراجهِ اما العشرة الملايين الزائدة في ثمن القطن فكلها ربح للزارع والتاجر ومعلوم ان مناجم الترنسفال اغنى مناجم الدنيا ذهبًا فالقطن المصري اربح منها في سنة مثل هذه السنة . والمنتظر ان هذا الربح لا يقلُّ عن ذلك في المستقبل لجودة القطن المصري وشدة الحاجة اليهِ ولذلك لا عجب اذا بسمت الثغور وتهللت الوجوه .

ولكن تلك الثغور الباسمة والوجوه المتهللة لاتلبث ان تنقبض وتعبس اذا عرض للزراعة عارض من ندوة او حشرات او اصاب المواشي مرض كالطاعون البقري الذي فشا الآن في القطر وعند كل حادث غير عادي يصيب الزراعة او المواشي لان الفلاحين على مهارتهم في اعمال الزراعة العادية لا يعلمون كيف يدفعون العاهات ولا كيف يتقونها ولا لوم عليهم لان اتقاء العاهات ودفعها يقتضي علمًا خصوصيًا بطبائع الارض والنباتات والحيوانات وما يصيبها من العاهات وهذا العلم يُعرَف بعضهُ بالاختبار ولكن لا يعلم كلهُ الاَّ في المدارس الزراعيَّة .

وقس على ذلك اموراً اخرى تتعلق بالزراعة او تبنى عليها كتصليح الارض واستحيائها وحفر المراوي والمصارف فيها وتكعيبها واختيار تقاوي المزروعات والسماد المناسب ومقاومة ما يعتري الارض من نشع وسبخ فان ذلك كلهُ يُعلَم بعض العلم بالاختبار ولكن لا يعلم جيداً الأ بالدرس المدقق والوقوف على القواعد الكلية التي وصل اليها علماء الزراعة بعد البحث الدقيق والتجارب المتوالية

وقد رأينا في هذه الايام غيرةً تذكر لانشاء المدارس الصناعية في هذا القطر. ولا شبهة في ان هذه الغيرة في محلها والمدارس الصناعية أو الورش الصناعية لازمة للقطر لزوم المدارس العلمية ولكن لو جرينا على قاعدة تقديم الاهمّ على المهمّ لبذلنا هذه الغيرة في انشاء المدارس الزراعية اولاً لان الحاجة اليها امسّ . نعم ان الحكومة اجابت نداء البلاد وانشأت مدرسة زراعية وبغيرها كان يستحيل ان تنشأ مدارس أُخرى زراعية ولكن أين مدرسة واحدة من بلاد فيها اكثر من مليوني مزارع واكثر من خمسة ملايين فدان تزرع سنوياً زرعتين او ثلاثاً فلو انشئ عشر مدارس زراعية تخرج منها مئة طالب كل سنة ما كان ذلك كثيراً عليها لانهُ يجب ان يكون كل ناظر زراعة من العارفين بقواعد الزراعة وما يتصل بها . واذا فرضنا ان الناظر الواحد يستطيع ان يتولى مراقبة ألف فدان وجب ان يكون في البلاد خمسة آلاف ناظر من المتفقهين في الزراعة علماً وعملاً فلا تستطيع المدارس ان تخرّج هذا العدد من الطلبة حتى يتضاعف زمام الاراضي الزراعية

هذا وفي البلاد فريق يظن ان الحكومة تستطيع ان تفعل كل شيء ويجب عليها ان تفعل كل شيء لكن هذا الظن آخذ في الزوال من الاذهان وحسبُ الحكومة انها انشأت اول مدرسة زراعية وانها علّمت بعض الشبان الذين يستطيعون ان يعلّموا غيرهم في المدارس التي ينشئها اهل البر والاحسان فعسى ان تبدو رغبة المحسنين في انشاء المدارس الزراعية كما بدت في انشاء المدارس الصناعية فيخدموا بلادهم خدمة لا تقدر

الطاعون البقري

كنا بالامس نسمع بتفشي هذا الوباء في طرف افريقية الجنوبي أي بلاد الترنسفال فاذا بنا نراه فاشياً الآن في طرفها الشمالي أي في القطر المصري . ويعلم القرّاء انهُ فتك بمواشي الترنسفال فتكاً ذريعاً حتى اقتضت الحال ارسال اطباء خصوصيين لدرسهِ ومعرفة اعراضهِ واحوال سيرهِ وسائر ما يتعلق بهِ لكي يتمكنوا من اكتشاف الدواء الشافي لهُ ولكنهم لم يوفقوا الى نتيجة كافية لذلك وغاية ما نؤملهُ انهُ يقف عند حدهِ في هذا القطر بفضل الاحتياطات التي

اتخذت وان وطأتهُ تكون خفيفة رحمة بالزارع والفلاح من الاهالي

وقد فشا هذا الوباء في القطر المصري منذ عشرين سنة وفشا ايضاً نحو منذ اربعين سنة ففتك فتكاً ذريعاً . و يقال انهُ دخل بلاد الانكليز منذ سنين كثيرة فاهلك ثلاثة ملايين من مواشيها

أما ما فعلتهُ الحكومة فهو أن نظارة المالية طلبت من صندوق الدين ٢٠ ألف جنيه لتنفقها على الاحتياطات التي تتخذها مصلحة الصحة لمقاومة الوباء . واصدرت مصلحة الصحة عدة منشورات الى المديرين والمفتشين البيطريين بما يجب عملهُ في هذا الشان . وابلغت نظارة الداخلية المنشورات التي اصدرتها مصلحة الصحة عن الوباء للمديريات والمحافظات واردفتها بمنشور آخر حضت فيهِ اصحاب الشان من الموظفين على ابلاغ مصلحة الصحة كل اصابة مشتبهة واتخاذ التدابير التي اشارت بها هذه المصلحة

وارسلت نظارة الحربيَّة فصيلة من الطوبجيَّة الى الاماكن التي ظهر الطاعون البقري فيها لمساعدة رجال الصحة على منع انتقال المواشي من الاماكن الموبوءة الى الاماكن السليمة . واستقدمت مصلحة الصحة الباشمفتش البيطري وسائر المفتشين البيطريين الذين سافروا بالاجازة الى انكلترا

اما اعراض هذا الوباء المهمة فهي

اولاً ارتفاع درجة الحرارة من ٤٠ الى ٤١ ونصف بقياس سنتغراد

ثانياً امتناع الاجترار

ثالثاً سيلان مواد لعابيَّة كثيرة من الفم

رابعاً تقرُّح اللسان والفم والانف

خامساً التهاب المهبل

سادساً اسهال مع هزال سريع واخراج روث قاتم كريه الرائحة

سابعاً عسر التنفس وسرعتهُ

ثامناً وجود دم في البراز والبول

تاسعاً فقد اللبن من ضرع البقر وكثرة اسقاط الابقار الحاملة

عاشراً ينفق الحيوان في الحال بعد ما يصاب بالعوارض المتقدمة

وقد قالت مصلحة الصحة في احد منشوراتها ان رجال العلم اكتشفوا منذ مدة علاجاً لمنع عدوى هذا الوباء وتخفيف وطأتهِ وذلك ان تحقن المواشي السليمة بقليل من دم الحيوان المصاب

والمصل الذي اكتشف حديثاً للوقاية من هذا الداء فلا تنقل العدوى اليها وان هذا العلاج جُرِّب في الهند وجنوب افريقية والسودان فافاد فائدة عظيمة ومنع انتشار المرض وقد ارسلت الى الهند وجنوب افريقية تطلب مقداراً عظيماً منهُ

ورفع جناب الدكتور بتشنج تقريراً عن سير الطاعون البقري في القطر المصري الى عطوفة ناظر الداخليَّة قال فيهِ ان جميع مراكز مديريَّة البحيرة تعد كأَنها تلوثت وكذلك يعدُّ مراكز امبابة والجيزة في مديريَّة الجيزة وانهُ جاءهُ كتاب من المستر برانش يخبرهُ فيهِ انهُ وجد ثورين نافقين وثلاثة حيوانات أُخرى مصابة بهذا الداء في شباس الشهدا بمركز دسوق فدل ذلك على ان العدوى امتدت الى مديريَّة الغربيَّة

فاتخذت جميع الاحياطات اللازمة لايقاف سير المرض واقفلت جميع الكباري لمنع مرور المواشي من ضفة الى ضفة اخرى ومنعت القوارب من الجولان في النيل ولكنهُ يخشى ان يستحيل منع المواشي من الانتقال بسبب انخفاض المياه وسهولة عبور المواشي من بعض الجهات التي انخفض ماؤُها

وقد حقن مئات من المواشي بما في مخازن الصحة من المصل الواقي من الوباء في مديريَّة البحيرة في الايام الاخيرة ولم يؤَجل الحقن بهِ الى الآن الاَّ لمعرفة نتيجة التجارب التي جربوها منذ ايام

وقد انشئَ معمل لصنع المصل في العباسية وحقن منهُ اربع مواشٍ لاستخراج المصل منها ولكن لا ينتظر الحصول على مصل من هذه المواشي قبل اربعة اسابيع على الاقل

وحقن كثير من المواشي السليمة في مديرية البحيرة وبعض المواشي في مديرية الجيزة بالصفراء وطريقة هذا العلاج قائمة بحقن الحيوانات السليمة بعشرة سنتمترات مكعبة من الصفراء المستخرجة من حيوان نافق او مصاب بالطاعون البقري منذ سبعة ايام

وهذا العلاج يقي الحيوانات التي تعالج بهِ من الطاعون مدة ثمانية اشهر على الاقل ولكن فائدتهُ لاتكون مثل الحقن بالمصل والدم غير انهُ يتخذ وسيلة لمقاومة الوباء ريثما يصل المصل المطلوب الى مصلحة الصحة

ثم ابدى اسفهُ لان الاهالي يبالغون في اخفاء الحيوانات المصابة عن عمال الصحة كما كانوا يفعلون ايام الكوليرا والطاعون البشري فقد وجد المفتش الانكليزي ثلاثة حيوانات مصابة بالطاعون منذ ٢٦ الجاري في عزبة بمركز امبابه فقتلها بمساعدة البوليس واكد لهُ الاهالي انه لا توجد اصابات أُخرى عندهم ثم ورد من هذا المفتش ما يفيد انهُ وجد حيوانين آخرين

نافقين واربعة مصابة بالطاعون في تلك الناحية ولا ريب ان هذه الاصابات كانت موجودة عند اكتشاف المفتش للثلاث الاصابات الاولى ولكن الاهالي اخفوها عنهُ فاذا كان مثل هذا الانكار والاخفاء يحدث في مركز تطوف فيهِ الجنود مشاةً وفرسانًا وعمال الصحة للبحث عن الاصابات فما بالك بالمراكز التي تخلو من الملاحظين والمراقبين

ثم بسط الامل ان تشديد العقوبة على الذين يخفون الاصابات يأتي بفائدة عظيمة ولكنهُ يخشى أن يكون الضرر قد وقع فعلاً وقال ان الوفيات بهذا الداء تبلغ من ٨٥ الى ٩٠ في المئة اذا لم يراقب كما يجب فاذا لم يجد اصحاب المواشي على مدّ يد المساعدة الى رجال الصحة في اتخاذ الاحتياطات الوافية فالمرجح عدم الوصول الى ايقاف الوباء

موسم القطن

ثبت الآن ان الموسم الماضي يقصر عن ستة ملايين قنطار بنحو ربع مليون قنطار او اكثر فقد بلغ الوارد منهُ للاسكندرية حتى اواخر يونيو ٥٦٩٧٩٦٤ قنطارًا يقابلها في العام الماضي الى هذا التاريخ ٦٤٦٦٣٢٥ قنطارًا او نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار فالفرق بين السنتين نحو سبع مئة الف قنطار الَّا ان انكلترا اخذت من الموسم الاخير اكثر مما اخذت من الموسم الذي قبلهُ ولعلّ السبب في ذلك نقص الوارد اليها من اميركا

ولا يُعلَم حتى الآن كيف يكون الموسم المقبل لكن مساحة المزروع كبيرة ونمو النبات جيّد غالبًا ولو تأخر كثيرًا في بعض الجهات البحرية لكثرة الامطار التي هطلت في اوان الزرع واذا سَلِم من الآفات الجويَّة ومن الحشرات فلا يبعد ان يبلغ سبعة ملايين قنطار . وسواء بلغ هذا الحد او زاد عليهِ فلا خوف من هبوط الاسعار الحاضرة الَّا اذا حدث في الدنيا حادث غير منتظر كحرب كبيرة او مصيبة اخرى تصيب البشر لان الاخبار عن موسم اميركا لا تدل على انهُ سيفوق موسم العام الماضي بل هي بالضد من ذلك تنبئ بضعفهِ وتأخرهِ وهبْ انهُ بلغ ما بلغ في العام الماضي او زاد عليهِ قليلاً فقلة المتأخرات هذا العام وازدياد الطلب على القطن الاميركي في اميركا نفسها وازدياد عدد الناس الذين يستعملون المنسوجات القطنية سواء كان بزيادة المواليد على الوفيات او بافتتاح اسواق جديدة للتجارة كل ذلك يدعو الى ازدياد المقطوعية من القطن عمومًا

وللقطن المصري خاصةٌ محلٌّ لا يقوم فيهِ مقامهُ قطن آخر لانهُ لطول اليافهِ (شعرتهِ) ودقتها ومتانتها ينسج مع الحرير او تمط خيوطهُ فتصير كالحرير لمعانًا وتستعمل بدلاً منهُ في

كثير من المنسوجات التي كان يستعمل فيها ولهذا كله يرجَّح ان ثمن القطن المصري في الموسم المقبل لا يهبط عن السعر الذي وصل اليهِ الآن الَّا لاسباب تجارية او عمومية يتعذر معرفتها من الآن

بزرة القطن

قل الوارد من بزرة القطن هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي لقلة الموسم لكنَّ ثمن البزرة لم يرتفع كما ارتفع ثمن القطن لانها لا تُستعمل الَّا لعصر الزيت وهذا تشاركها فيهِ حبوب اخرى مختلفة الانواع فلا يُنتظر ان يغلو ثمنها الَّا اذا اصاب تلك الحبوب الزيتيَّة محلٌ غير منتظر

زيت البترول والحشرات

لا شبهة في ان زيت البترول افعل علاج لقتل الحشرات التي تسطو على الاشجار ولاسيما الحشرات القشرية التي تمتص عصارها . ولزيت البترول فعل خاص بالحشرات حتى ان مجرَّد اتصالهِ بها يقتلها ولا يعلم سبب ذلك تماماً حتى الآن وزيت البترول النقي الذي يستعمل للاضاءة غالي الثمن حتى لقد يزيد ثمنهُ على المنفعة التي تحصل منهُ الَّا انهُ يوجد زيت آخر رخيص الثمن جدًّا وهو زيت البترول نفسهُ قبل ان يتكرَّر ويتنقى . وقد ظهر من التجارب في اميركا ان هذا الزيت غير النقي اصلح لقتل الحشرات من الزيت النقي ولاسيما اذا استعمل شتاء لقتل الحشرات القشرية التي تلصق باشجار الليمون واثمارهِ

قال احد الثقات من الاميركيين ان هذا الزيت استعمل كما يستعمل الزيت النقي فظهرت لهُ مزية على الزيت النقي في انهُ لا يحرق قشر الاشجار بسهولة كالزيت النقي ولا يتبخَّر كلهُ بسهولة مثلهُ وحينما يتبخَّر يبقى منهُ قشرة على الشجر عدة اشهر

وقال آخر اني اعد زيت البترول غير النقي احسن علاج لقتل الحشرات وهو يستعمل مخففاً وغير مخفف ولكن لا بدَّ من الحكمة والاعتناء في استعمالهِ

الَّا ان انواع زيت البترول غير المنقى كثيرة ولا بدَّ من اختيار الانواع التي ثبت بالتجارب انها افعل من غيرها في قتل الحشرات



كتاب البؤساء

الجزء الاول

قابلت جرائد القطر المصري هذا الكتاب بما لم تقابل به كتاباً آخر قبله لان واضعه فكتور هيجو من اكبر ارباب النظم والنثر بالفرنسوية ومترجمه الناظم الناثر محمد افندي حافظ ابرهيم من ارباب الانشاء العربي ومن نخبة شعراء العصر . ولا تسهل الترجمة مالم يكن المترجم مالكاً ناصية اللغتين المترجم منها والمترجم اليها وما لم يكن بين اللغتين مشابهة في الاساليب والتعابير . اما امتلاك ناصية العربية نظماً ونثراً فممَّا امتاز به المترجم وهو يعرف الفرنسوية معرفة كافية ولكن المشابهة بين الفرنسوية والعربية قليلة جداً وذلك مما يزيد الترجمة وعورة الأ اذا حذا المترجم حذو المترجمين الاولين الذين نقلوا عن الفارسية واليونانية والسريانية فشحنوا لغتنا بالالفاظ والتعابير العجميَّة واخذناها عنهم ونحن نحسبها من لباب عربية مضر . اما المترجم فتوخَّى مخالفة ذلك فعانى اشد المشاق في نقل المعاني الفرنسوية وافراغها في قالب عربي متين

وكتاب البؤساء Les Misérables من اشهر الروايات الفرنسوية وابلغ ما كتبهُ فكتور هيجو نثراً وهو على ما فيهِ من المواعظ والحكم وبلاغة الانشاء سلس العبارة مألوف الالفاظ والتعابير يقرأهُ الاولاد بين العاشرة والخامسة عشرة من عمرهم فلا يتعذر عليهم فهمهُ . قرأهُ اولادنا بالفرنسوية وهم في هذا السن فما اضطروا الى استخدام كتب اللغة

وفي الكتاب اسهاب يملهُ كثير الاشغال ضيق الوقت ولكن من كان في سعة من وقتهِ قد لا يترك صفحة منهُ ولو قضى شهوراً في قراءتهِ ولذلك كثر رواجهُ وتُرجم الى لغات عديدة فربح منهُ واضعهُ وطابعهُ ومترجموهُ وناشروهُ فقد نشرهُ واضعهُ سنة ١٨٦٢ وطبعهُ بعشر لغات في وقت واحد في باريس وبركسل ولندن ونيويورك وميلان وليبسك وانفرس ومدريد وورسو وبشت وريو جنايرو . فجرى في تأليفهِ وترجمتهِ ونشرهِ في عواصم اوربا واميركا مجرى تجارياً حتى يحصر الكسب المالي منهُ فيهِ وفي الذين تولوا ترجمتهُ وطبعهُ ونشرهُ . فهو عمل تجاري كبير الربح كما انهُ مصلح ادبي كبير النفع . ولو اعتمد المترجم العربي على "الترجمة التجارية" التي ازدراها ما بلغ اثني عشر هلالاً في تعريب مئة وخمسين صفحة واضطرَّ ان يهمل ضعفيها

بل كان عربها كلها في اثني عشر يوماً وجاءت اروج وارجح

وقد ترك المترجم القسم الاول من الكتاب وابتدأ من القسم الثاني واختصر في اكثر الاماكن واسهب في غيرها وافرغ بعض المعاني في الفاظ كالدر او هي اثمن كقوله عن جان فالجان " ولا يعلم الاّ الله ما الذي حلّ بعدهُ بتلك الارملة واولادها وقد خلّفهم على مدرجة من سيول الحوادث يعبث الجوع بأحشائهم ويلعب اليأس بأرواحهم وليس لهم معين ولا نصير وقد ركب كلٌّ منهم رأسهُ وهام على وجههِ من فرط الجوع وتغلغل في ظلمات هذا الوجود ولحق بمن ابتلعتهم تلك الظلمات من البؤساء وتشتتوا في البلاد وجرَّ عليهم الدهر ذيل النسيان فنسيهم حتى ذلك السجين في سجنهِ انساهُ اياهم كرُّ الغداة ومرُّ العشي وتتابع البلاء وتوالي الشقاء ". الاّ انهُ اهمل هنا معنىً فلسفيًا ردَّدهُ المؤلف مرارًا وهو ان نوع الانسان آخذٌ في التقدم مثل جيش جرار سائرٍ في فتوحهِ ولا بد من ان يقع كثيرون منهُ في الطريق لضعفهم او لعوارض تعرض لهم فلا يعبأُ الجيش بهم ولا يقف عن سيرهِ لاجلهم بل يبقى حاثًّا الركاب الى ان يصل الى الغرض المطلوب . وقد عبّر المؤلف عن ذلك بقولهِ la sombre marche du genre humain

وفاقت بلاغتهُ بلاغة الاصل احيانًا على مايظهر لنا كقولهِ " وكأَن الطبيعة لم تزحزح هذا النقاب عن وجه القمر في تلك الفترة الاّ لتوضح لعيون الكون عمل ذلك الجاني لعلهُ يذكر او يخشى فلقد كان القمر منذ زمن لايتعدى شطر الساعة مقنَّعًا بغمامةٍ سوداء وقد انجلت عنهُ في اللحظة التي اوشك فيها ان يعثر هذا الشقي باعواد السرير . ومن رأى ذلك المضطجع (المطران) على فراشهِ رأى رجلاً قد قام على رأسهِ حارسان من المهابة والجلال يتألق في وجههِ نور اليقين ويجول في محياهُ ماء البشر وترتسم على وجههِ آيات الرضى والقبول وتكتسي شفتاهُ بابتسامة الامل الفسيح ويتأرج من اردانهِ ريح التوكل " وكقولهِ . " هل كان يسمع صوت ذلك الهاتف السماوي الذي بات ينذرهُ بعقباهُ ويكل لهُ الخيار بين خلتين اما نزوع عن الغواية فسموٌّ الى مقام الابرار واما استرسال في الضلالة فهبوط الى قرار الفجار ويوضح لهُ سبيل الحياة بين امرين اما سعادة دونها سعادة ذلك العابد واما بؤس خير منهُ بؤس المصفد في قاع السجون "

الاّ ان هذه القلائد الدرية شيبت مرة او مرتين بالفاظ وتعابير لا تصلح ان تنتظم في عقد هذا الكتاب والكمال لله

وحبذا لو راعى المترجم مقام المتكلمين فلم ينطق الخدم بكلام منتقى لا ينطق بهِ الأكابر

المنشئين كقولهِ بلسان خادمة العابد (المطران) "لقد هبط المدينة رجل مريب ما رآه احد الاَّ وذعر من رؤيتهِ وقد مشى بحديثهِ الكبير والصغير فورد الاندية وولج الاخبية" الخ والكلام في الاصل بلسان الراوي لا بلسان مدام مغلوار

وعندنا انهُ اذا خلا هذا الكتاب من الكلام اللغوي الذي لم يألفهُ جمهور القراء زاد رواجهُ وكثر الانتفاع بهِ وهما غايتان لا يليق باحد اغفالها. وقد اهداهُ المترجم الى العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . وفقهُ الله الى اتمام تعريبهِ ونشرهِ ونفع بهِ كما نفع باصلهِ

نوبار باشا

وما تمَّ على يدهِ

اهدي الينا كتاب بهذا العنوان يشتمل على اكثر مئتي صفحة الفهُ حضرة الاديب نجيب افندي مخلوف وضمنهُ اثني عشر فصلاً في شؤون مصر المختلفة والتقلبات التي طرأت عليها في حياة المرحوم نوبار باشا الشهير من ايام بوغوص بك يوسفيان الى عهد المغفور لهُ توفيق باشا الخديوي السابق . والفصول تبحث في حياة بوغوص بك يوسفيان كاتب سر محمد علي باشا وحياة نوبار باشا وعباس باشا الاول وسعيد باشا وقنال السويس وعلاقة نوبار باشا بالخديوي اسمعيل والامتيازات الاجنبيَّة والاصلاح القضائي وتنظيم المحاكم والمالية والخديوي توفيق باشا وماجريات حكمهِ

والكتاب مزين بالرسوم مثل رسم سمو الخديوي الحالي ونوبار باشا وبوغوص بك وسعيد باشا وعباس باشا الاول ودي ليسبس واسمعيل باشا وتوفيق باشا ومختار باشا الغازي ورياض باشا والمهدي والتعايشي وغردون باشا وهكس باشا واللورد كتشنر وغيرهم

منتخبات الحدَّاد

اهتمَّ حضرة الاديب حنَّا افندي نقَّاش بجمع الآثار الادبية التي خلفها فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وهي المقالات التي نشرها في الجرائد والتي لم يفسح لهُ الاجل في نشرها بل بقيت محفوظة في اوراقهِ ومعظم المقالات ادبيٌّ وبعضها سياسيٌّ واجتماعي وتاريخي اما الادبية فمنها مقالة في الفقير والغني واخرى في وصف ممثلة واخرى في الشبيبة في مصر وكيف يكون الاستقلال واما السياسية والاجتماعية والتاريخية فمنها مقالة في الانكليز واخرى في

الزواج واخرى في الطلاق واخرى في المرأة والعلم وغيرها في انتحار كليوبترا وهلمَّ جرًّا . والمقالات كلها بليغة العبارة صحيحة التركيب تشهد بما اشتهر عن مصنفها المرحوم من حسن الذوق والتدقيق في مآخذ الانشاء

القول السديد

في حرب الدولة العلية مع اليونان

ألَّف هذا الكتاب حضرة الفاضل علي رضا شاكر بك نجل المرحوم محمد شاكر باشا وهو يشتمل على ١٩٤ صفحة وهو وان يكن جاء متأخرًا الاَّ انهُ يمتاز على الكتب العربيَّة التي تقدمتهُ في هذا الموضوع بصورهِ الكثيرة عن مواقع الحرب المذكورة والقواد الذين اشتهروا فيها من الفريقين المتحاربين . وفيهِ تفصيل المواقع وصورة معاهدة الصلح الرسمية التي عقدت بين الدولة العثمانية واليونان بعد انتهاء الحرب بموادها الست عشرة . ويلي ذلك فصل في اسباب الحرب بين الدولة العلية واليونان

الجامع الازهر

انتدبت الحكومة المصرية حضرة الفاضلين عزتلو احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار ومصطفى بك بيرم وكيل النائب العمومي لينوبا عنها في مؤتمر علماء اللغات الشرقية الذي عقد في مدينة همبرج بالمانيا في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ . فخطب الاول في كتاب قديم عنوانهُ "العز والمنافع في المجاهدين بالمدافع" لمؤلفهِ ابرهيم بن احمد غانم الاندلسي . وخطب الثاني في الجامع الازهر . وقد طبع خطبتهُ واهدى الينا نسخة منها فاذا بهِ يبحث فيها عن تاريخ بناء الجامع المذكور وسبب تسميتهِ بالازهر وطريقة التدريس فيهِ ونموِّهِ واروقتهِ المختلفة ودروسهِ الماضية والحاضرة ومدة الدراسة والمدرسين والطلبة وجميع ما يتعلق بهم . وقد نشرنا فصلاً منهُ في هذا الجزء لما احتواهُ من الفوائد وللدلالة على طريقة بحثهِ فيهِ

ومما جاء في هذا الكتاب ان عدد الطلبة بلغ ١٠٤٠٣ انفس في السنة الماضية منهم ٦٤٥ طالبًا اجنبيًّا اي ان الاجانب جزءٌ من ١٦ جزءًا من الوطنيين . ومعظم الوطنيين من سكان الارياف وليس بينهم من سكان القاهرة سوى نفر قليل ومعظم الاجانب من السوريين فان عددهم ٢٦٤ طالبًا والاجانب كلهم ٦٤٥ طالبًا كما تقدَّم اي ان السوريين ٤٠ في المئة من مجموع الاجانب

" وقد احصي عدد المشتغلين بالعلم في الازهر سنة ٨١٨ هجرية فبلغ ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيالعة ومصريين ومغاربة "

الف ليلة وليلة

اتمت ادارة الهلال طبع الجزء الثالث من حكايات الف ليلة وليلة وهو يبدأ بالحكاية المئتين والثامنة وينتهي بالحكاية الثلاث مئة والحادية والثلاثين. والكتاب متقن الطبع حسن الورق مزدان بالصور وثمن النسخة منهُ عشرة غروش صاغ

تاريخ سيام

وقفنا الآن على هذا الكتاب وهو يتضمن تاريخ مملكة سيام من قلم حضرة عزتلو حكمت بك شريف باشكاتب المجلس البلدي في طرابلس الشام وكان قد ادرجهُ تباعاً في جريدة طرابلس الشام فاطلع عليهِ كل من يقرأ تلك الجريدة من سكان المملكة العثمانية فلما جمعهُ في كتاب واحد واراد نشرهُ وبيعهُ لم تسمح لهُ ادارة مراقبة المطبوعات بذلك ولعل عذرها انها تخشى أن الكتاب المذكور يخدش الاذهان وهو العذر الذي تنتحلهُ في كل ما لا تريد نشرهُ

اللغة العربية

ألّف حضرة الاديب جرجس افندي الخوري احد نائلي شهادة الكلية الاميركية في بيروت ومدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام كتاباً صغيراً في صرف اللغة العربية ونحوها قال في مقدمتهِ " وما زلت اقيد ملاحظاتي اثناء التدريس متخذاً اذواق الاحداث والحدثات رائدي حتى اجتمع لديَّ مواد وملاحظات كثيرة " الف منها هذا الكتاب وقد ادخل اليهِ نوعاً جديداً من الاعراب سماهُ " الاعراب التصويري " اقتبسهُ عن كتب النحو الانكليزية تسهيلاً لمعرفة نسبة الكلمات بعضها الى بعض في الجملة. فنثني على همتهِ ونتمنَّى لكتابهِ الرواج

مطبوعات اخرى

ولدينا كتب اخرى صغيرة وكراريس في مواضيع مختلفة اهمها كتاب في اللغة البرتغالية لجامعهِ الاديب شكري افندي الخوري من السوريين المهاجرين الى البرازيل غايتهُ منهُ تسهيل

تعلُّم اللغة البرازيلية على الذين يهاجرون الى البرازيل من سورية . وهي همة يشكرهُ عليها كلُّ وطنيٍّ غيور على مصلحة ابناء وطنهِ مهتمٍّ بخيرهم

ومنها كتاب عنوانهُ تدبير غذاء الرضيع الفهُ حضرة الفاضل الدكتور علي افندي حلمي الطبيب الاختصاصي لمعالجة امراض الاطفال وقد بحث فيهِ عن كيفية ارضاع الطفل وواجبات الام نحو نفسها ونحو رضيعها من حيث النوم والاكل والشرب وسائر الامور الصحية. وهو كتاب لا غنى عنهُ لكل الذين تهمهم صحة اطفالهم

ومنها كتاب الآيات البينات في تفسير النبوَّات وهو الجزء الاول وفيهِ تفسير نبوات عاموس وعوبديا ويونان ترجمهُ حضرة الاديب اسحق افندي خليل احد معلمي المدرسة الاكليريكية القبطية الارثوذكسية

اما الكراريس فمنها رواية عنوانها غرائب روبرتس ترجمها عن الانكليزية حضرة الاديب شهاد افندي ابرهيم ناظر المدرسة الاميركية في السنطة وهي رواية حقيقية لا وهمية "تمثل الادوار التي تنقلب على الانسان من سعادة وشقاء في حالتي الفضيلة والرذيلة"

ومنها كراس يتضمن ملخص اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت للسنة الماضية وهي سنتها الرابعة والثلاثون

وكراس آخر يشتمل على القانون الاساسي لجمعية تهذيب الشبيبة السورية التي انشئت في بيروت هذه السنة . وقد جاء في المادة الاولى والبند الثاني منها ان غاية الجمعية تهذيب الاحداث السوريين في المدارس العالية بقطع النظر عن مذهبهم ووطنهم وجاء في المادة الرابعة والبند الاول "ان مركز الجمعية موقتاً في المدرسة الكلية الاميركية" ولم يرد في الكراس اسم الذين سعوا في تاسيس هذه الجمعية . ولكننا نتمنى لها النجاح والثبات على كل حالٍ لان قصدها محمود وسعاها مشكور

ومنها كراس لمؤلفهِ الاديب رضوان افندي حسين الفالوجي موضوعهُ الاصول الخطية وقد بحث فيهِ عن علم الخطّ او الكتابة واقسامهِ وكيفية كتابة الهمزة والالف والواو والياء في جميع مواضعها



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) السيماتوغراف

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . صفوا لنا آلة السيماتوغراف

ج لا بدَّ من ان تتذكروا ان الاولاد يشعلون عوداً ويديرونهُ بسرعة فيظهر دائرة منيرة وسبب ذلك ان صورتهُ ترتسم في العين في كل نقطةٍ من مدارهِ ويصل الى آخر المدار قبلما تزول من العين صورة اول دائرتهِ فترى الدائرة كلها معاً . وعلى هذا المبدإ صُنع السيماتوغراف اي على ان الصور التي ترتسم في العين لا تزول منها حالاً بل تبقى لحظة من الزمان فاذا وضعنا امامها صورةً وازلناها سريعاً ووضعنا مكانها صورةً أُخرى متممةً لها بانت الصورتان معاً في وقتٍ واحد والثانية متصلة بالاولى . فيصنع الورق الحساس قدةً طويلةً تلف على نفسها كالبكرة وتوضع في آلة التصوير الشمسي وتفتح الآلة امام المناظر التي يراد تصويرها وتفك القدة الملفوفة داخل الآلة وتلف على بكرة اخرى حتى ترتسم عليها صورة ما امام الآلة من الاشباح المتحركة رويداً رويداً ولنفرض ان امام الآلة رجلاً يأكل وضع يدهُ في صحفة امامهُ فترتسم صورتهُ كذلك على قدة الورق داخل الآلة وحينما يرفع يدهُ من الصحفة ترتسم صورتهُ ايضاً وقبلما تصل الى فمهِ ترتسم ثالثة ثم ترتسم صورتهُ حينما يضع اللقمة في فيهِ وترتسم كذلك حينما يحرك فكيهِ لمضغ الطعام وحينما يرد يدهُ الى الصحفة وهلم جرًّا . فاذا رأى انسان هذه الصور مارةً امام عينيهِ بسرعةٍ على التوالي رأى فيها رجلاً يأكل طعامهُ من صحفة امامهُ يتناول الطعام بيدهِ ويلوكهُ بفيهِ كما لا يخفى . والسيماتوغراف آلة توضع فيها هذه الصور المتوالية ويُعكس النور عنها او يخترقها ويقع منفرجاً على ستارٍ كبير وهي متحركة بسرعةٍ فتظهر الصور على الستار متتابعة تتابعاً لا تميزهُ العين اذا كان سريعاً بل تراها صورة واحدة متحركة

(٢) الفانوس السحري

ومنهُ . ما هو الفانوس السحري

ج هو صندوق مبطن بدهان اسود فيهِ من الامام عدسية كبيرة من البلور تكبر صور المرئيات ومن الوراء مرآة مقعرة تجمع

اشعة النور على العدسية وبينهما قنديل كهربائي او زيتي ساطع النور. تصنع له صور شفافة على الزجاج وتوضع بين القنديل والعدسية فيقع نور القنديل عليها ويخرقها وينفذ العدسية ويمرّ منها منفرجاً حاملاً رسم الصورة ويلقيها على ستار منشور امام الفانوس على بُعد امتار منهُ وتكبر الصورة او تصغر حسب بعد الفانوس عن الستار ويزيد اشراقها او يقلُّ حسب قوّة النور او ضعفهِ وحسب اقتراب العدسية من محترق اشعة النور. ولا تدرك هذه الامور جيدًا الاَّ بدرس علم البصريات

(٣) كهربائية شلال اصوان

ومنهُ. هل مشروع توليد القوة الكهربائية من شلال اصوان وتوزيعها في انحاء القطر يفيد مصلحة تلغرافات الحكومة في ايجاد طريقة اسهل من الطريقة الحالية لتسيير آلاتها وعددها

ج كلاَّ لان القوة التي يمكن توليدها في اصوان لا يمكن نقلها الى الانحاء البعيدة الاَّ على اسلاك ثخينة جداً من النحاس يبلغ ثمنها الوفاً كثيرة من الجنيهات فلا ينتظر ان تستعمل لذلك

(٤) المترادفات والقواميس

ومنهُ. افيدونا عن اسم كتاب للمترادفات العربية وقاموس عربي يسهل البحث فيهِ ويفي بمعاني الكلمات

ج لا نعرف كتاباً للمترادفات العربيَّة ولكن فقه اللغة والالفاظ الكتابيَّة يقومان مقامهُ . ونحن نعتمد على محيط المحيط واقرب الموارد من كتب اللغة واذا اشكل لفظ رجعنا الى لسان العرب وتاج العروس

(٥) الميكروب والمغنطيسية

ومنهُ . قلتم في عدد سابق ان احد العلماء اكتشف مكروباً صغيرًا لهُ علاقة بالظواهر المغنطيسية والكهربائية فما هو وجه العلاقة بينهما

ج لا نذكر اننا ذكرنا شيئاً من ذلك ولعلكم تشيرون الى الذرات الصغيرة التي سميناها بالشوارد وهي اصغر من الجوهر الفرد ولها علاقة بالكهربائية كما ابنا غير مرة. ونرجو ان تخبرونا في اي جزء ذكرنا علاقة الميكروب بالمغنطيسية

---

(٦) اليهود والاطفال

وستر باميركا . الخواجه الياس الغز . لهجت الجرائد بشان قتل اليهود للاطفال واستنزافهم دمهم لا تمام بعض الفرائض الدينيَّة فهل ذلك صحيح

ج ان ديانة اليهود مبنية على التوراة وليس في التوراة شيءٌ يوجب قتل الاطفال لغرض ديني او يجيزهُ . ثم ان ادعاء هذه الدعوى عليهم سهل وتصديقها غير صعب على الذين يحسدونهم او يبغضونهم ولكن الادلَّة التي قامت على اثباتها لم تقنع المنصفين . فهي باطلة ولهم ان يطلبوا عقاب من يتهمهم بها

(٧) سبب الرياح

الواحات البحرية . عبد العزيز افندي واصف يقال ان سبب تكوّن الرياح هو من دوران الارض فما السبب في اختلاف مهابها وفي سكونها واشتدادها في اوقات مختلفة ما دامت الارض تتحرك في اتجاهٍ مخصوص لا يتغير وبسرعة واحدة لا تقلّ ولا تزيد

ج ان الرياح لا تتكوّن من دوران الارض بل من فعل حرارة الشمس بسطح الارض وبالهواء المباشر لها فان الحرارة تمدّد الهواء فيخف ويصعد فيندفع الهواء البارد الى مكان الهواء الذي تمدّد لارجاع الموازنة وتختلف الرياح باختلاف وجه الارض في تعرُّضهِ لاشعة الشمس ودرجات ارتفاعهِ وانبساطهِ واكتسائهِ بالنبات او بالرمال او بالمياه وبتعاقب الليل والنهار الى غير ذلك من الاسباب العمومية والموضعية . ولكن دوران الارض على محورها يغير اتجاه الرياح الجارية من القطبين الى خط الاستواء فان الهواء يخف عند خط الاستواء لاشتداد الحر هناك ويصعد فتاتي الرياح من ناحيتي القطبين الى خط الاستواء لارجاع الموازنة وتكون قبل مجيئها الى خط الاستواء دائرة مع الارض على محورها بسرعة دوران الارض فحينما تدنو من خط الاستواء تصل الى اماكن سرعتها في دوران الارض على محورها اشد من سرعة الاماكن التي اتت منها فلا تستطيع ان تجاريها بل تتأخر عنها الى الغرب لان الارض تدور من الغرب الى الشرق فتجري هذه الرياح قرب خط الاستواء من الشرق الى الغرب بسبب سرعة دوران الارض على محورها هناك من الغرب الى الشرق وهي الرياح التجاريَّة المشهورة وسميت كذلك لان سفن التجار الشراعية تترقبها وتستفيد منها. هذا هو تأثير دوران الارض في حركة الرياح وهو مضطرد على ما تسمح بهِ الفواعل الكثيرة التي تؤثر في حركة الرياح

---

(٨) عدوى السل

الحدث بلبنان . الياس افندي الشويري . ذكرتم في الجزء الماضي في آخر الكلام على السل انهُ يجب تبييض غرفة المسلول وطلاء ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيش فهل اذا طليت الحيطان بالجير المعروف عندنا بالطرش وطليت نوافذها بالمواد المستعملة عادة لدهن نوافذ البيوت يكون ذلك منطبقاً على المقصود من عبارتكم وكافياً لتطهير غرفة سكنها مسلول نحو ستة اشهر . ثم اذا كان ذلك كافياً لتطهير الحيطان والشبابيك فهل يلزم استعمال شيء لتطهير ارض الغرفة وهي مرصوفة بالجص والرمل والجير

ج الطرش بالكلس ودهن الابواب والشبابيك يفيان بالغرض ولا بدّ من غسل الارض بالماء الغالي اكثر من مرة او بالماء

الذي اذيب فيهِ السليماني ويحسن تبخير الغرفة اولاً بالكبريت يحرق فيها بعد ان يقفل بابها وكواها لكي يتطهر سقفها ايضاً ثم تترك مفتوحة مدة قبل سكنها لان النور والهواء من خير المطهرات



سكة الخط الواحد

اهم ما حدث من التغيير والاصلاح حديثاً في سكة الحديد جعل المركبات تجري على خطٍ واحدٍ بدلاً من خطين فتزيد سرعتها حتى تبلغ مئة ميلٍ او اكثر في الساعة . وتنشأ الآن سكة من هذا النوع بين لفربول ومنشستر ويقدّر منشئوها ان سرعة القطار عليها تكون مئة وعشرة اميال في الساعة فيصل من المدينة الواحدة الى الاخرى في عشرين دقيقة والمظنون انهُ اذا ثبت ذلك تنشئ شركات سكك الحديد خطوطاً مفردة بجانب خطوطها الحاضرة لتسير عليها قطرات الاكسبرس لا غير فتزيد سرعتها ولا تصطدم بغيرها

اشعة الراديوم

بيّن الاستاذ رذفرد انهُ ينبعث من الراديوم ثلاثة انواع من الاشعة سمّاها باسماء الاحرف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية النوع الاول منها ذرات صغيرة تنبعث من الراديوم فتمتصها المعادن بسهولة قطر الذرة منها مثل قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين وسرعتها عشر سرعة النور . والنوع الثاني مثل اشعة القطب السلبي المتولدة في انبوب مفرغ من الهواء . والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن واشد نفوذًا منها

والنوع الاول هو الاهم وهو الذي تمتاز بهِ الاجسام المنيرة كالراديوم عن غيرها وهو ينبعث من الراديوم ولو كانت حرارتهُ مئة وخمسين درجة تحت الصفر

زلزلة وان

حدثت زلزلة عنيفة قرب بحيرة وان في التاسع والعشرين من شهر ابريل الماضي تخربت بها مدينة ملازجرد وسكانها الفا نفس وخرب بها اربع مئة بيتٍ من القرى المجاورة . ومركز الزلزلة قرب جبل سبان وقد سارت على امتداد وادي الفرات الشرقي

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في ولاية جورجيا بامير في غرة يونيو تخربت مباني كثيرة وقتلت ٦٤ نفساً وكان عرضها ثلاث مئة قدم لا غير فانحصر ضررها في هذا الطريق الضيق . وممَّا

فعلتهُ انها نقلت الطابقين العلويين من معمل مبنيّ بالاجر فيهِ اربع طبقات وحملتهما مئات من الاقدام . واشتدت الظلمة مدة الزوبعة وتخلخل الهواء ولكنها لم تدم الاّ دقائق قليلة

سيل جارف

حدث سيلٌ جارف في بعض ولايات اميركا في اواخر شهر مايو الماضي فخرب مدينة توبيكا وعلت بهِ مياه نهر مسوري ثلاثين قدماً

الجذام واكل السمك

عاد الدكتور هتشنصن من سياحتهِ في بلاد الهند مقتنعاً بصحة مذهبهِ وهو وجود علاقة سببيَّة بين الجذام واكل السمك لانهُ وجد بالاستقراء ان الذين يأكلون السمك المنتن يكثر بينهم هذا الداء اما الذين يأكلون السمك الجديد او المقدَّد المملح جيداً فلا ضرر عليهم منهُ وقد اشار بالغاء ضريبة الملح من بلاد الهند لكي يسهل على الهنود تمليح كل السمك حال صيدهِ

النور الكهربائي والنظافة

الظاهر ان النور الكهربائي خير الانوار كلها من حيث حفظ نظافة البيوت فلا ذبالة فيهِ ولا دخان لهُ ولا رائحة خبيثة تفوح منهُ ولا يفسد الهواء بهِ لكن قد ثبت الآن ان الغبار يتجمع على مصابيحهِ واسلاكهِ وعلى مقربة منها ايضاً اكثر مما يتجمع على سائر جدران البيت كأن دقائق الغبار تجذب اليهِ انجذاباً بالفعل الكهربائي فاما ان تلصق بهِ او تندفع عنهُ ثم تلصق بما يجاورهُ على ما هو معلوم من فعل الاجسام المكهربة بالاجسام الخفيفة القريبة منها. والهمة مبذولة الآن في جعل المصابيح واسلاكها لا يتجمع الغبار اليهِ

عدوى التيفويد

أُتي الى بلاد الانكليز باحرمة مما كان مع الجيش في جنوبي افريقية والظاهر انها كانت ملوَّثة بمبرزات اناس مصابين بالتيفويد فنقلت العدوى الى الذين تغطوا بها واصيب كثيرون منهم

التلفون بين لندن وبروكسل

تمَّ مدُّ خط التلفون بين لندن وبروكسل عاصمة البلجيك وقد احتفل بفتحهِ في اوائل الشهر الماضي والقسم الذي مدَّ منهُ تحت الماء بين خليج سان مرغريت في دوفر ولابان في البلجيك طولهُ ٤٧ ميلاً وهو اطول خط من خطوط التلفون الممدودة تحت الماء . فان طول القسم الممدود تحت الماء من الخط الذي بين لندن وباريس يبلغ ٢٣ ميلاً فقط . اما الخط الذي بين لندن وبركسل فطولهُ كلهِ ٢١٠ اميال منها ٨٣ ميلاً في بر انكلترا و٨٠ ميلاً في بر البلجيك والباقي وهو ٤٧ ميلاً تحت الماء

المكروبات والالوان

اكتشف الدكتور جاكوبتز الالماني ان

الالوان الفاتحة لا تلائم انتشار المكروبات ونموَّها . فاذا شيدت جدران المنازل والمستشفيات والمدارس وغيرها من الابنية العمومية بالالوان الفاتحة امتنع ظهور المكروبات فيها ودخولها اليها

الفوتغراف الكهربائي

قال المستر هنيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي انهُ رأى في مرصد فلكيّ قرب رومية صوراً صوّرت فيها الاشخاص والمناظر بالكهربائية وهي على بعد عشرين ميلاً على الاقل ومن رأيهِ انهُ لا يبعد اننا نستطيع في المستقبل ان نصوّر من نشاء تصويرهُ من اهلنا واصحابنا وهم على بعد شاسع منا ونحن نخاطبهم بالتلغراف الذي بلا سلك

تثمين العاديات

فتح المسيو ادمون دريكلو المشهور بمعرفة الآثار القديمة مكاناً في بيروت لتثمين العاديَّات (الانتيكا) حتى لا يغشّ الذين يجدونها والذين يشترونها . وهو من اعرف الناس بالآثار الفينيقية واليونانية والرومانية لكثرة ما اشتغل بها منذ ثلاثين سنة الى الآن

حكٌّ طبيعي

في القسم الشمالي من استراليا الجنوبية نوع من النمل يسمى النمل المغنطيسي لانهُ يبني قراهُ بحيث يكون محورها الاطول متجهاً من الشمال الى الجنوب مثل الابرة المغنطيسية في الحك

رصاصة في الدماغ

اصيب ايطالي برصاصة خرقت دماغهُ ولم تضرَّ بهِ كثيرًا سوى انها اضعفت بصرهُ ولما اصيب بها توجه الي مخفر البوليس بنفسهِ وشكا امرهُ الى رجالهِ وهو متمتع الآن بالصحة الكاملة

المدرسة الكلية السورية

وتنصيب رئيسها الجديد

احتفلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت بتنصيب رئيسها الجديد الدكتور هورد بلس ابن استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس رئيسها الاول وذلك في اواسط شهر مايو الماضي . ففي اليوم الاول وهو العاشر من الشهر وعظ الرئيس السابق وتليت خطب موضوعها اسس الايمان . وفي اليوم الثاني التأمت الجمعيات المدرسيَّة وجرت الالعاب الرياضية . وفي الثالث وهو يوم المتخرجين من المدرسة ويوم التنصيب اجتمع المتخرجون في الصباح برئاسة احدهم خليل افندي زيدان وخطب فيهم محمد افندي ابو عز الدين ب . ع قاضي الشوف وجرجس افندي نصار ب . ع مدير مدرسة سوق الغرب ويوسف افندي افتيموس ب . ع مهندس بلدية بيروت والدكتور حبيب مالك طبيب بلدية الكورة وقرأ الدكتور اسكندر بك بارودي محرر مجلة الطبيب

قصيدة ارسلها الدكتور اسعد رحال طبيب بلدية مرجعيون وخطب نجيب افندي مصور ب . ع وتلا قسطنطين افندي ثابت ب . ع قصيدة انكليزية وانيس افندي الزامي ب . ع قصيدتين عربيتين وخطب فارس افندي الخوري ب . ع والدكتور قيصر غريب وتلا كلٌّ من سليم افندي عبد الأحد ب . ع واسكندر افندي ابي شعر قصيدة في مدح الرئيس

وفي ظهر ذلك النهار جلس على مائدة معدة للاساتذة والمتخرجين من المدرسة نحو مئة وثلاثين نفساً اقاموا عليها ثلاث ساعات يتناوبون اطايب الحديث وهم يتناولون اطايب الطعام وكان الاحتفال حينئذٍ برئاسة الدكتور اسكندر بك بارودي وتكلم فيهِ الدكتور يوحنا ورتبات والدكتور قيصر غريب والدكتور وليم فان ديك والدكتور بركتسك وسعادة قنصل اميركا الجنرال والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني والدكتور يعقوب ملاط والاستاذ اسعد الشدودي ثم تلا الدكتور اسكندر بك بارودي رسالة بعثنا بها الى هذا الاحتفال نيابةً عنا وقد نشرتها مجلة الطبيب فنقلناها عنها في آخر هذه النبذة لان فيها خلاصة تاريخ المدرسة في سنيها الاولى . ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر انتظم موكب المدرسة وسار الهوينا بالملابس الرسمية من غرفة العمدة الى النادي الكبير وكان غاصاً بجمهور المدعوين من اهالي بيروت ونزلائها وافتتح الحفلة الدكتور جورج فورد ثم قام الدكتور دانيال بلس الرئيس السابق وخاطب ولدهُ الدكتور هورد بلس الرئيس الجديد وبيدهِ مفتاح المدرسة واوصاهُ بالامانة والاجتهاد والاحتفاظ بما سُلِّم من الوزنات وسلَّمهُ مفتاح المدرسة فاستلمهُ واجابهُ بابلغ عبارة انهُ يبذل جهدهُ ليؤدي الامانة حقها . ثم خطب القس هاردن بالنيابة عن المرسلين الاميركيين في سورية والدكتور بورتر بالنيابة عن عمدة المدرسة الكلية واسعد افندي خيرالله ب . ع بالنيابة عن متخرجي المدرسة وشكري افندي معلوف بالنيابة عن الطلبة وقام بعدهم حضرة الرئيس الجديد فخطب خطبة بليغة وبها انتهت تلك الجلسة . واحتشد القوم في المساء في النادي الكبير وافتتح الجلسة الدكتور اسكندر بك بارودي رئيسها بكلام تمهيدي عن التهذيب والعلم والتربية واختتمهُ بقصيدة تلائم المقام ثم خطب داود افندي نحول الصيدلاني في التربية واحمد افندي عباس الازهري وبولس افندي الخولي ب . ع والحاج محمد افندي الجمال واختتم الدكتور اسكندر بك البارودي الحفلة بالشكر والدعاء لصروح العلم بالعمران . ونهار الاربعاء وهو الثالث عشر من الشهر اقيمت اجتماعات ادبية ودينيَّة وتلا الدكتور مور خطاباً نشر بحياً ممثلاً بالفانوس السحري واشعة

رنجن واجتمع الحضور في قاعة بوست رجالاً ونساء وقدمت لهم المرطبات وتبادلوا كؤوس المسرات . اما الرسالة المشار اليها آنفاً فهي

ايها الاساتذة والتلامذة اسيادي واخواني .

يسهل عليكم ان تتصوروا كم اتمنى ان اكون بينكم الآن امتع طرفي بمشاهدة اساتذتي الذين نشأت في ظلهم وتناولت منهم مبادئ العلم والتهذيب . واخواني الذين ربيت معهم كاخوة في بيت واحد مشتركين في اقتباس انوار العلوم . وتلامذتي الذين قضيت السنين ارقب نمو عقولهم وازدياد معارفهم كما يرقب الاب نجاح بنيهِ . وقد حرمت مما تمتعون بهِ الآن ولكن لا يصعب عليَّ ان اراكم بعين الخيال واتصوركم في دار فسيحة وحولكم قصور فخيمة شيدت للعلوم والفنون وجمعت فيها نفائس الكتب وبدائع الآلات والادوات وغرائب الاحياء والمحجرات . فهل تتصورون الحالة التي كانت فيها مدرستنا منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً حينما وضع اساسها المعنوي في ذلك البيت الصغير شمالي الدار التي شادها الطبيب الذكر الخالد الاثر المرحوم المعلم بطرس البستاني وجعلها مقرًّا لمدرستهِ الوطنية هناك اجتمعنا بضعة عشر تلميذًا وكان رئيسنا الدكتور بلس كهلاً في عنفوان قوتهِ . ولم يكن ذلك الاساس كبيرًا تنبسط عليهِ الآمال ولا فخيما تتطاول اليهِ الاعناق لكنهُ كان راسخاً على صخرتين متينتين — حاجة البلاد وهمة المنشئين

كانت حاجة البلاد ماسةً الى مدرسة كبيرة تعلم العلوم الطبيعية والطبية ولغةً اجنبية من اللغات التي اشتهرت كتبها بتهذيب الاخلاق . والحاجة ام الاختراع فاذا وُجدت وشعر بها ذووها لم يتعذر عليهم ان يجدوا ما يقوم بها . وقد ابنت في سطور وجيزة كتبتها منذ عهد غير بعيد عن رئيسنا الدكتور بلس ان الرغبة في العلوم والمعارف انبعثت في صدور السوريين بعد سنة ستين فانشأوا المدارس الكثيرة لتعليم العلوم الابتدائية على مثال المدارس التي انشأها لهم المرسلون الفرنسويون والاميركيون ولم يبقَ الاَّ ان تنشأ لهم مدرسة كلية تعلم العلوم العالية فلما انشئت وقعت منهم احسن موقع لانها وفت بحاجة كانوا يشعرون بها ويودون ان يجدوا ما يسدها

وكان من نصيب هذه المدرسة ان قيض الله لانشائها اناساً كبار الهمم كبار النفوس لم يدخروا وسعاً في ارساخ اركانها واعلاء بنيانها فاعتمدوا في حياتها المالية على الامة الاميركية امة النمو والارتقاء والكرم الحاتمي منشإ المحسنين المتفضلين على نوع الانسان . وفي حياتها العلمية والادبية على انفسهم وعلى من انضمَّ اليهم من الاساتذة

كان الدكتور بلس يعلمنا الجبر والفلسفة العقلية والادبية فوق اهتمامهِ بموارد المدرسة المالية وادارتها الداخليَّة . والمرحوم الدكتور فان ديك الكيمياء والفلك والباثولوجيا .

والدكتور ورتبات التشريح والفسيولوجيا . والدكتور بوست الجراحة والنبات والحيوان. والاستاذ ضدج الاقتصاد السياسي والتاريخ. والمعلم اسعد الشدودي الرياضيات والفلسفة الطبيعية . والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي النحو والبيان. عدا معلمي الانكليزيّة والفرنسويّة وكان الاساتذة كلهم يهتمون بتاليف الكتب وجمع المجاميع الطبيعية فوق اهتمامهم بالتعليم والتطبيب فلم يمضِ على المدرسة اربع سنوات حتى شعرت سورية بها ورأت بلاد الشرق اجمع ان فيها قوة جديدة لتهذيب العقول وتكبير النفوس. ولا انسى يوم حضر منصرف بيروت الاحتفال الاول باعطاء الشهادات العلميّة وسمعنا نخطب في مواضيع ادبيّة وطبيعية وفلسفية باحثين عمّا يرقي بلادنا ويوسع عقولنا فاعرب عن تمام الرضى وشدَّد عزائمنا وعزائم اساتذتنا

وقد مضى على المدرسة الآن اكثر من ثلث قرن والتلامذة الذين تخرجوا فيها يعدون بالمئات ولكن الذين استفادوا منها وانبثت فيهم الحياة العلميّة يعدون بالالوف وتلامذتها منتشرون الآن في مشارق الارض ومغاربها في اسيا واوربا وافريقية واميركا واستراليا وجزائر البحر . وفي كل مكان وصل اليهِ المتكلمون بالانكليزيّة من البريطانيين والاميركيين هناك تجد تلامذة المدرسة الكليّة السوريّة يزاحمون اكبر الامم همة من قلب افريقية على خط الاستواء الى اصقاع كلنديك في اقاصي الشمال ومن اطراف بلاد اليابان شرقًا الى اطراف اميركا غربًا وفي ايديهم المصباح الذي اسرجوهُ في هذه المدرسة

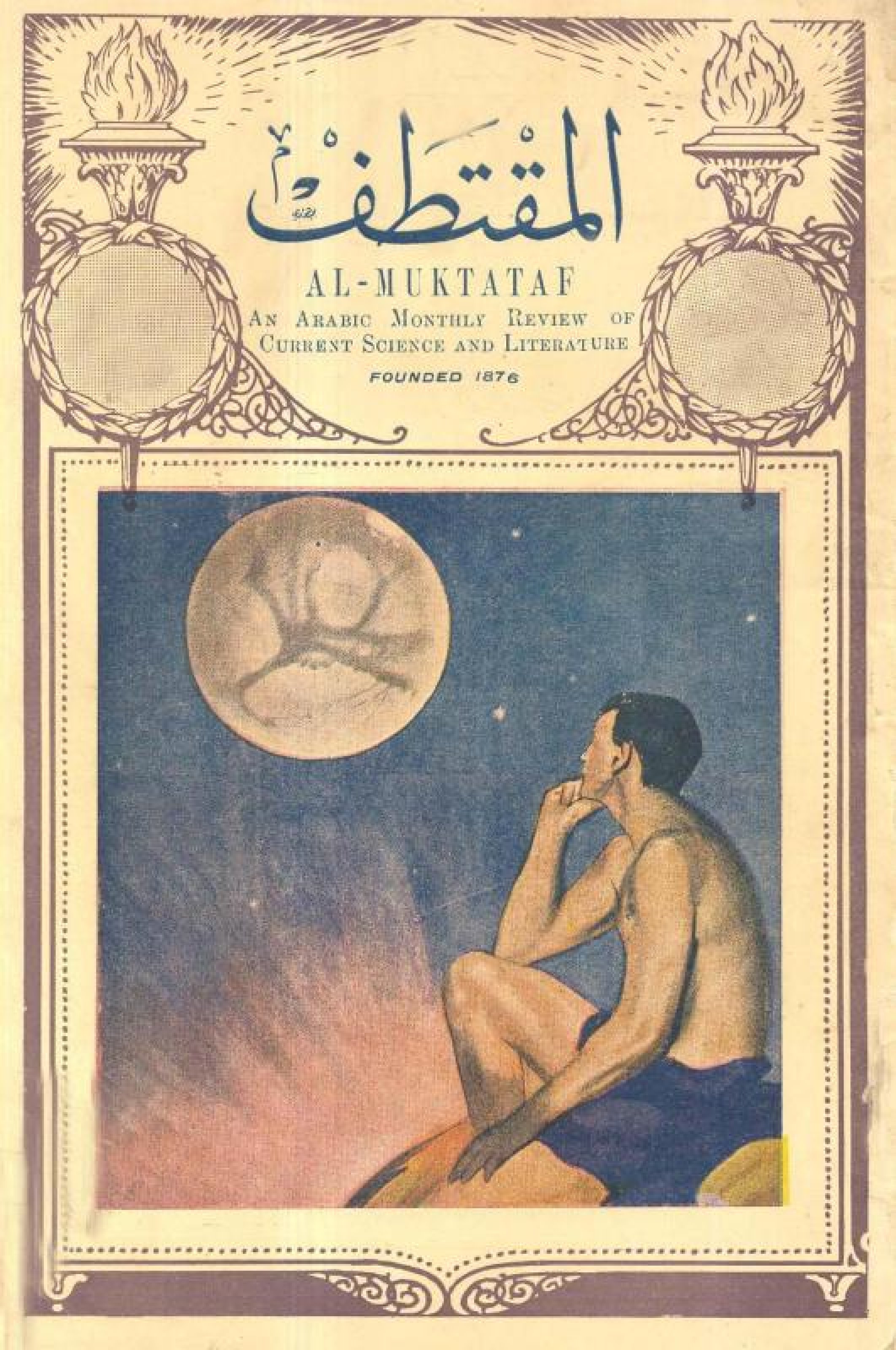
فاذا حق للعامل ان يفتخر بعملهِ فلرئيسنا الاول وللاساتذة الذين قامت بهم هذه المدرسة من حين انشائها الى الآن الفخر الاكبر والفضل الاعم

وانت ايها الرئيس الجديد المكرَّم لقد سُلّمت وزنات وافيات والاحتفاظ بها وانماؤُها لا يقلأن قيمة عن ايجادها من العدم وقد يكونان اصعب منهُ مراسًا لكن اخوانك وتلامذتك وكل المحبين لهذه المدرسة واثقون انك ابن بجدتها وانك ستبني كما بنى ابوك لاسيما وان الاساتذة الذين شاركوهُ في انشاء هذه المدرسة وتوطيدها وتوسيعها وابلاغها الدرجة التي وجدتها فيها يعضدونك كما عضدوهُ. فاقبل من ابناء المدرسة المقيمين في الديار المصرية التهانئ القلبية بالمنصب الرفيع الذي رقيت اليهِ عن اهلية واستحقاق والله نسأل ان يهنئك بهِ ويهنئ والديك بك ويمتعك ويمتع اخوانك الاساتذة بمشاهدة خير اثمار من اعمالهم في الدارين

واقبلوا يا اسيادي واخواني تحية مشوق يزفها اليكم من بلاد يرقب اهلوها اعمالكم ونجاحكم لا زلتم اساطين العلم ومصابيح الهدى

القاهرة في ٧ مايو سنة ١٩٠٣

فهرس الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين



المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٧ جماد اول سنة ١٣٢١

البابا ليون الثالث عشر



لا يسع مؤرخ القرن التاسع عشر الاَّ ان يعقد فصلاً طويلاً للبابا ليون الثالث عشر واعمالهِ العمومية في الربع الاخير من هذا القرن ولو تجنَّب كل بحث ديني في تاريخهِ لان اعمال

هذا الحبر العظيم احلتهُ ارفع محل بين رؤساء الاديان المهتمين بمصالح العباد الدينيَّة والدنيويَّة

وهو من اسرة ايطالية كريمة النسب ولد في الثاني من شهر مارس سنة ١٨١٠ وكان يفتخر بنسبهِ واهتم في حداثتهِ بجمع شجرة عائلتهِ . وُضع في مدرسة اليسوعيين بفتربو وعمرهُ ثماني سنوات ثم نقل الى مدرستهم في رومية (كولاجيو رومانو) وكان كثير الدرس بالغ الاجتهاد فنال رتبة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . واتجهت اليهِ الانظار وبدت همتهُ وغيرتهُ على مصلحة الجمهور في تخليص دوقية بنيفنتو من عبث اللصوص . وارتقى في المناصب الكهنوتية حتى سيم اسقفًا لمدينة دمياط (بالاسم) وارسل الى بلاد البلجيك "قاصدًا رسوليًا" ولم يكن يعرف كلمة من اللغة الفرنسويَّة حينئذٍ فعكف على درسها ولم يصل الى بلجيكا الَّا وقد صار يعرف من هذه اللغة ما يكفي للتكلُّم بها . واقام في بركسل ثلاث سنوات درس فيها مبادئ حكومتها الدستوريَّة وكان يديرها ليوبولد الاول اعقل ملوك اوربا وهي على ضد ما كان جاريًا في المدن الايطالية حينئذٍ . ويقال ان ذلك اثَّر في نفسهِ وفي توجيه افكارهِ وظهرت نتيجتهُ فيهِ لما رقي الى السدَّة البابوية . الَّا ان احد عارفيهِ وهو الوزير رتازي الايطالي قرين كافور قال عنهُ ما يدلُّ على ان ما بدا منهُ كان خلقيًا غير مكتسب ففي كتاب بعث بهِ الى زوجتهِ يقول "تكلمتُ كثيرًا منذ مدة عن الكردينال بتشي (وهو اسم عائلة البابا لاون الثالث عشر) مع الملك ليوبولد احكم ملوك اوربا واشدهم فراسة وكان قد عاشرهُ ودرس اطوارهُ لما كان قاصدًا رسوليًا في بلجيكا وعندهُ انهُ لا يتساهل الَّا في الامور الطفيفة وتساهلهُ يكون في العرض لا في الجوهر مع ما هو متصف بهِ من سمو العقل والاستقامة التامَّة والاحترام الجزيل للسلطة المدنية . وسيكون اشدَّ خضوعًا من سائر الاساقفة لما تقضي بهِ العناية ولكن تعلقهُ بالسدَّة البابوية بالغ الدرجة القصوى والمبادئ التي يجري عليها ثابتة في نفسهِ لا تتغير وهو شديد العزيمة لا يحول عن امرٍ عقد نيتهُ عليهِ . وحقًّا انهُ من الرؤساء الذين يضطرُّ المرء ان يحترمهم ويعجب بهم"

ونقل من بلجيكا وجعل اسقفًا لبروجيا ثم جعل كردينالًا سنة ١٨٥٣ ولكن لم يُشرَك في تدبير امور الكنيسة الَّا بعد اربع وعشرين سنة فقضى هذه المدة في تدبير امور رعيتهِ على مقتضى طرق الاصلاح الحديثة فانشأ بيوت الايتام ومستشفيات المرضى وملاجئ المنقطعين واتاها بالمديرين من بلاد البلجيك واصلح سكك البلاد ورمم الكنيسة الكبرى وبنى ٣٦ كنيسة جديدة . اما العمل الذي اهتمَّ بهِ اكثر من غيرهِ فهو نشر التعليم الابتدائي والثانوي والعالي وتعليم خدمة الدين العلوم الدنيوية . وكان وهو في بلجيكا قد شارك اهل النهضة الكاثوليكية

الحديثة التي نشأت في مونخ حاسباً ان الخطر الذي تخشاه الكنيسة من العلوم الحديثة والافكار الجديدة لايدفعهُ الا اناس يعرفون العلوم الدينيَّة والعلوم الدنيوية معاً. وحثَّ على تعليم خدمة الدين علم الفسيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا وما اشبه من العلوم الطبيعيَّة وكذلك التاريخ السياسي وحوادث الايام. ثم توسَّع في هذه الآراء لما رقي الى السدَّة البابوية ونشر منشوراتهِ المختلفة فان مدارها على حاجة الكنيسة السياسيَّة والاجتماعية وعلى الاتفاق بين تعاليمها والتقدم العقلي والادبي. وكان يحسب ان الزمان خير مصلح وما لا يتمّ في عصرهِ من الاصلاح المطلوب يتم في عصر خلفائهِ. ولم يسلم بحق الحكومة الايطالية في نزع السلطة المدنية من يد الباباوات ولكن حكمتهُ واعتدالهُ احلاّهُ محلاً رفيعاً في عيون رجال السياسة الايطاليين

وتوفي الكردينال انطونلي سنة ١٨٧٦ وكان بمثابة وزير الداخلية في الفاتيكان فدعاهُ البابا بيوس التاسع الى رومية وجعلهُ مديرًا للخزينة الباباوية خلفاً عن الكردينال انجلس لان الكردينال انطونلي كان يعرف قدرهُ ويحسبهُ مناظرًا لهُ على ما يقال فابقاهُ بعيداً عن رومية. وتوفي البابا بيوس التاسع في ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ واجتمع مجمع الكرادلة في ١٨ منهُ وكان فيهِ ٦٢ كردينالاً ووقع الانتخاب عليهِ في الاجتماع الثاني فانتخب باربعة واربعين صوتاً

علاقتهُ الخارجية

مع ايطاليا — جرى على سياسة سلفهِ في حسبانهِ الحكومة الايطالية مغتصبة لحقوق الكرسي البابوي لكنهُ لم ينفك عن حسبان الايطاليين اولاداً للكنيسة فلما دارت الدائرة على جنودهم في بلاد الحبشة وأُسر كثيرون منهم اوفد وفداً خصوصيًّا الى الملك منلك ليسعى في نجاتهم من الاسر لكنهُ فعل ذلك من باب ديني محض لا من باب سياسي

مع المانيا — لقد اجتهد في تمكين علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع كل حكومات العالم ما عدا الحكومة الايطاليَّة وكتب يوم انتخابهِ الى امبراطور المانيا وقيصر روسيا ورئيس جمهورية سويسرا يخبرهم بذلك ويطلب منهم الرفق بالكاثوليك القاطنين في بلدانهم. وكانت الحرب الدينية مستعرة في المانيا حينئذٍ لكن الحكومة الالمانية كانت قد ملَّتها لا سيما وان بسمارك كان قد اخذ في مناضلة الاشتراكيين وودَّ ان تكون لهُ اصوات الكاثوليك في مجلس النوَّاب ففازت رومية ولبي بسمارك مطالبها. وحكَّمت المانيا قداستهُ في الخلاف الذي كان بينها وبين اسبانيا فسرَّ بذلك وأبى ان يتخذ منزلة الحكَم لكنهُ امعن نظرهُ في الخلاف الذي بينهما مليًّا وعرض عليهما حلاً ارضاهما وزارهُ امبراطور المانيا الحالي سنة ١٨٨٨ ثم زارهُ ثانية سنة ١٨٩٣ هو وزوجتهُ وقامت المانيا مقام الحامي للكاثوليك من الالمان في الشرق فلم يعترض على

ذلك ولا ايده رسميًّا لئلاَّ يغيظ فرنسا التي كانت تحسب دائمًا حامية الكاثوليك في الشرق. وقد كسبت رومية في المانيا قدرما خسرتهُ في فرنسا او اكثر

مع فرنسا — لقد ابدت الحكومة الفرنسوية كل ما امكنها ابداؤهُ من دلائل الاستقلال عن رومية والمخالفة لها واعترض البابا على ذلك شديد الاعتراض لكنهُ حضَّ الكاثوليك على وجوب طاعة الحكومة لان ذلك اساس الراحة والامن وصرَّح علانية ان الحكومة الجمهورية هي الحكومة التي اختارها الفرنسويون لانفسهم فطاعتها واجبة عليهم لكن الحزب الاكليريكي قويٌّ في فرنسا وغير راضٍ عن الحكومة الحاضرة ولولا شدَّة رغبة رومية في مسالمة الجمهورية الفرنسوية لما صبرت على ما يصيب هذا الحزب من الضيم ولولا صبرها لكانت العاقبة اوخم

مع انكلترا — كان يكرم المرحومة ملكة الانكليز شديد الاكرام ويعجب بسياستها وكانت هي تحترمهُ وتجلُّ مقامهُ . واتفق ان قام في بلاد الانكليز في هذه الاثناء رجلان عظيمان من افضل رجال المذهب الكاثوليكي وهما الكردينال نيومن والكردينال منغ فسيرة هذين الفاضلين وكتاباتهما وسعي الراهبات في اعمال الرحمة واتساع ابواب المعاشرة والمخالطة كل ذلك ساعد على ازالة النفور القديم المستحكم بين البروتستانت والكاثوليك وتطرَّف بعض قسوس البروتستانت وطلبوا ان يجروا في رسوم كنيستهم على مثال كنيسة رومية حتى حسب البابا ان اتحاد الكنيسة الانكليزية بالكنيسة الرومانية امرٌ قريب او ممكن وحثَّ رؤساء الكنيسة الانكليزية على هذا الاتحاد ولكنهُ طلب مطالب يستحيل ان يقبلوا بها ولولا ذلك ما كان هذا الاتحاد مستحيلاً

مع النمسا — اما علاقتهُ مع حكومة النمسا والمجر فيقال انها لم تكن على تمام المسالمة لكن الواقفين على تفاصيل الامور يقولون انهُ لم يكن في امكانهِ ان يجري معها على غير ما جرى عليهِ وكانت علاقتهُ مع امبراطور النمسا والمجر على تمام المودة والصفاء لان الامبراطور من اتقى الناس واشدهم تمسكًا بالسدَّة البابوية وقد امتنع عن رد الزيارة لملك ايطاليا في رومية لكي لا يغيظ قداستهُ

مع روسيا — كانت العلاقات السياسية مع روسيا قد انقطعت في عهد البابا بيوس التاسع فلما رقي البابا ليون الثالث عشر الى السدَّة البابوية كان اول شيء فعلهُ انهُ كتب بيدهِ كتابًا الى قيصر الروس يعلمهُ بذلك وكتب اليهِ ايضًا يهنئهُ بالنجاة من مكايد النيهلست سنة ١٨٧٩ و١٨٨٠ فتساهلت روسيا كثيرًا في تعيين الاساقفة للكاثوليك من رعاياها واحسنت معاملتهم وردت اسقف ورسو من منفاه في سيبيريا . وبعث البابا منشورًا الى

اساقفة بولندا سنة ١٨٩٤ اوجب فيهِ عليهم " ان يبذلوا الجهد حتى تتأصل في نفوس الكهنة والرعية مبادئ الاحترام لاهل المناصب والخضوع للشرائع والقوانين " وبعث سفيراً خصوصياً الى موسكو سنة ١٨٩٦ لحضور الاحتفال بتتويج القيصر الحالي وكان اول ناصريهِ في المؤتمر الذي عقد لمنع الحرب او لتقليل المعدات الحربية

هذا ومما تذكرهُ لهُ المجلات العلمية بالشكر انهُ فتح ابواب مكتبة الفاتيكان لكل طلبة العلم من كل الامم والمذاهب من غير تمييز وابتاع كتب قصر البرغازي واضافها الى مكتبة الفاتيكان وامر بان ينتقى من كتب المراجعة (كالقواميس ودوائر المعارف) ثلاثون الف كتاب توضع وحدها تسهيلاً لمراجعتها . وصوّرت التوراة المعروفة بالنسخة الفاتيكانية وطُبعت ونشرت . واضيفت الآلات اللازمة الى مرصد الفاتيكان وسلّمت ادارتهُ الى فلكي . اه

وكانت وفاتهُ في التاسع عشر من شهر يوليو الساعة الرابعة بعد الظهر على اثر اعتلال طويل

اقتسام المسكونة

قام الفاتحون في سالف العهد ودوَّخوا الممالك فغنموا اموالها وسبوا سكانها او ضموها الى بلادهم فساسوها وجبوا منها الخراج وعبأُوا الجنود . كذا فعل ملوك مصر وبابل واشور واقتفى خطواتهم ملوك اليونان والرومان ثم خلفاء العرب ولا تزال هذه المناظرة بين الشرق والغرب ولكن اهالي الغرب اي اهالي اوربا ونسلهم في اميركا قد حملوا على الشرق حملة عنيفة في السنين الاخيرة فامتلكوا افريقية كلها ما عدا مراكش والحبشة وطرابلس الغرب وكادت مصر تعدُّ من املاكهم لان لهم فيها السلطة التامة . وخرجت انكلترا من هذه المعمعة بثلاثة ملايين من الاميال المربعة ما عدا مصر والسودان . وفرنسا باربعة ملايين ميل . وكلٌّ من المانيا وبلجكا بمليون ميل واسبانيا والبرتغال بمليون ميل وايطاليا باكثر من نصف مليون . لكن ليس العبرة باتساع البلاد بل بما فيها من السكان والخيرات ولذلك فنصيب انكلترا من افريقية اكبر من نصيب غيرها وادسم

وفي اسيا وجزائرها سبعة عشر مليوناً من الاميال المربعة وقد كان النصيب الاوفر منها لروسيا كأنها ارادت ان تجبر ما نقصها في افريقية فنشرت لواءها على سبعة ملايين من الاميال المربعة . واكتفت انكلترا بمليونين ولكنهما من اغنى الاراضي واكثرها سكاناً . واخذت هولندا ٧٤٠ الف ميل وهي ايضاً بلاد غنية كثيرة السكان . وغنمت فرنسا واميركا بلاداً صغيرة .

وعيون الدول الاربع الكبرى اي روسيا وانكلترا وفرنسا والمانيا طامحة الآن الى الصين وكوريا وافغانستان وبلاد فارس وقد وضعت روسيا يدها على منشوريا . ولا يبقى دولة اسيوية مستعزة بنفسها وجارية مجرى الدول الاوربية الّا اليابان على ضيق رقعتها . ويقال جملة ان عشرة ملايين ميل من اسيا صارت في يد الاوربيين الآن ولا يزالون يطلبون المزيد فروسيا والمانيا وفرنسا تترصَّد الممالك العثمانية وروسيا وانكلترا تراقبان ايران وافغانستان وتتناظران عليهما وفرنسا وانكلترا تتباريان على سيام ويبعد عن الظن ان تبقى تبت للصين زمناً طويلاً فلا يبقى من اسيا خارجاً عن قبضة اوربا الّا اربعة ملايين ميل مربع





الشكل الاول

البقع السوداء هي الاراضي الكثيرة السكان التي يزيد سكان الميل المربع منها على ٦٤ نفساً والاراضي التي فيها خطوط مائلة متوازية لا تزال من المجاهل التي لم يعلم ما فيها وهي في افريقية واسيا واميركا الجنوبية واستراليا

اما الارقام فهي قيمة التجارة في كل قارة بالنسبة الى الميل منها ففي اوربا يخص الميل ٨٣٠ جنيهاً وفي اميركا الشمالية ٦٨ جنيهاً وفي استراليا ٤٦ جنيهاً وفي اميركا الجنوبية ٣٦ جنيهاً وفي اسيا ٣٠ جنيهاً وفي افريقية ١٥ جنيهاً

ومعلوم ان اميركا الشمالية والجنوبية صارتا للاوربيين ونسلهم فهم يملكون الآن اوربا كلها ما عدا قطعة صغيرة في شرقيها للدولة العثمانية. واميركا كلها من غير استثناء وافريقية كلها ما عدا مراكش وطرابلس الغرب وبلاد الحبشة ونحو ثلثي اسيا ولهم ايضاً استراليا واكثر جزائر البحر . ومساحة الارض الصالحة للسكن ٤٧ مليون ميل مربع واحد واربعون مليوناً منها خاضعة للاوربيين ونسلهم في اميركا وستة ملايين لغير الاوربيين ولكن كلمة الاوربيين نافذة فيها . واذا قسم الاوربيون الى سلاف وجرمان ولاتين وجدنا الجرمان يملكون ١٠٧ مليون ميل واللاتين

خمسة عشر مليون ميل والسلاف تسعة ملايين ميل

هذا من حيث مساحة الارض اما من حيث عدد السكان فاذا حسبنا سكان الارض ١٦٠٠ مليون نفس فسبع مئة وخمسون مليون نفس منهم خاضعون للجنس الجرماني (اي الانكليز والالمان والهولنديين الخ) و ٢٥٠ مليوناً للجنس اللاتيني و ١٧٠ مليوناً خاضعون للسلاف و ٤٠٠ مليون خاضعون للصينيين و ١٠٠ مليون للاتراك

ومن الغريب ان جانباً كبيراً من الارض لا يزال مجاهل كما ترى في الشكل الاول فان الاراضي المغطاة بالخطوط المتوازية لم يعرف ما فيها حتى الآن وبعضها اجتازه اهل السياحة





الشكل الثاني

كل ما فيهِ خطوط افقية من الشرق الى الغرب فهو اراضٍ صالحة للزراعة
وكل ما فيهِ خطوط عمودية من اعلى الى اسفل فهو اراضٍ لا تزرع لكنها تنبت نباتاً
وكل ما هو اسود قاتم فهو صحارٍ جرداء
وكل ما فيهِ نقط (وهو غرينلندا شمالاً والاراضي حول القطب الجنوبي) فهو مغطى بالجليد

وروَّاد الحضارة من طرف الى طرف ولكنهم لم يجولوا فيهِ حتى يتيسر لهم وصفهُ غير انهم باذلون الهمة في كشف مجهولاتهِ ومسح فيافيهِ ووصف ما فيها من حيوان ونبات وجماد

وتختلف الاراضي كثيراً في خصبها الطبيعي واستعدادها للعمران كما ترى في الشكل الثاني فالبلدان التي رُسمت فيها خطوط افقية متوازية من الشرق الى الغرب اراضيها صالحة للزراعة ومن ذلك القطر المصري وبلاد الراس والترنسفال وجانب كبير من اواسط افريقية وبلاد اوربا كلها وسيبيريا الا اطرافها الشمالية وبلاد الهند والصين وشرقي استراليا والجانب الاكبر من اميركا الشمالية والجنوبية

والبلدان المغطاة بخطوط عمودية سهول لا تزرع و المغطاة بالسواد صحارٍ جرداء لا تنبت شيئًا . وهذان الشكلان يحتملان شرحًا آخر سنعود اليهِ في جزء تالٍ

خليل غانم

هو رجل من رجال سورية المعدودين ومن زعماء النهضة الحديثة الذين زرعوا ولم يجنوا ولكن لا بدَّ من ان يأتي زرعهم بالثمار في ابانها . ولد في بيروت سنة ١٨٤٦ ودرس في مدارس العازاريين في لبنان وذهب الى فرنسا سنة ١٨٦٨ وعاد منها فعيّن مساعد سكرتير لرشيد باشا والي سورية حينئذٍ . ثم جُعل ترجمانًا للولاية وبدت حميتهُ الوطنيَّة في المقالات التي كان يكاتب بها الجرائد وفي المخابرات مع قناصل الدول الاجنبيَّة فانهُ كان يدافع فيها عن حقوق بلادهِ وحكومتها وألف كتابًا في هذا الموضوع طُبع في احدى جرائد الاستانة

وكان مغرمًا بآداب اللغة الفرنسويَّة ونظم فيها قصيدة طويلة عن حرب الاستقلال الايطالية ورفع قصيدةً أُخرى الى البرنسس كليوتلدا حين زيارتها لبيروت مع البرنس نبوليون ولما كان اسعد باشا واليًا لسورية قبل ارتقائهِ الى منصب الصدارة اعجب بهِ فاقنعهُ بالذهاب معهُ الى الاستانة وجُعل هناك رئيسًا لسكرتيرية الصدر الاعظم وبقي في هذا المنصب سنتين من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧

ثم عين مندوبًا عن ولاية سورية في مجلس المبعوثان سنة ١٨٧٧ واقترح مدحت باشا عليهِ وعلى اغوب باشا ان يساعداهُ في انشاء دستور يوافق الممالك العثمانية فانشيء هذا الدستور وبقي المترجم يناضل عنهُ الى آخر نسمة من حياتهِ . وحمل هو واحمد افندي الخطيب التركي على الحكومة العثمانية لنفيها مدحت باشا وقال قولهُ المشهور وهو "ان السلطان لا يستطيع ان يسترجع الدستور بعد ان منحهُ لشعبهِ" فأمر بالرحيل عن الاستانة فسار الى باريس واقام فيها واشتغل بالتجارة ومكاتبة الجرائد الفرنسوية والانكليزية والعربيَّة وألف كتابا عربيًّا في الاقتصاد السياسي . وكتابًا فرنسويًّا في السلاطين العثمانيين وهو في مجلدين كبيرين

وقد كان غرضهُ الذي يسعى اليهِ وضع دستور عام لجميع الرعايا العثمانيين ومنع الاجانب من المداخلة في شؤون المملكة العثمانية وكان صادق الوطنية اديبًا انيسًا لطيف المعشر توفي في ٢٣ يونيو الماضي اثر داء عياءِ ولهُ من العمر سبع وخمسون سنة واحتفل بدفنهِ في مونبارناس وادَّت فصيلة من الجنود الواجب في مثل تلك الحال لانهُ حامل نشان اللجيون دونور

ناموس النشوء في تقدم العمران

اشرنا في اواخر كلامنا في الجزء الثالث من مقتطف هذا العام الى وجود فروق يختلف بها الحيّ عن المجتمع في شأن الارتقاء والآن نحن آخذون في ذكرها ملخصةً فنقول :

في الارتقاء الحيويّ تتدرَّج حياة الفرد اختفاء وضياعاً في المجموع حتى تستغرق فيهِ. واما في الارتقاء الاجتماعي فالامر بالعكس أي ان حياة المجموع وقفٌ على حياة الفرد ابدًا . فلا تزال الاولى تهبط في سلم السيادة والاستقلال والثانية تصعد في مراقي الشأن والعلاء حتى تختفي حياة المجموع في حياة الفرد كأنما الاولى تموت عن الثانية فداء

وبيانهُ موجزًا ان في هيئة الاجتماع العائلي الاولى كان وجود الفرد مختفياً أو مستغرقاً في وجود المجموع حتى لم يكن الاول يعرف باستقلالهِ الشخصي. وكانت حياتهُ وحقوقهُ وواجباتهُ وقفاً على خدمة العائلة . وكانت اعضاء العائلة مرتبطةً بربط الدين والسياسة خدمًا لسيدها وكبيرها. فكان يحق للاب ان يتخلى عن ابنهِ وهو طفل واذا كبر الطفل جاز لابيهِ ان يبيعهُ بيع الرقيق او يعاقبهُ حين العصيان بالموت . وكانت الزوجة كذلك مستعبدة لزوجها معدودة بمثابة الابنة. فلم يكن الزواج الا ناقلاً لها من عبودية الى أُخرى. ولم يكن يحق للفرد ان ينقل ملكهُ الى آخر مبايعةً حتى يحلف المتبايعان باحد اسلافهما ممن قد ماتوا قبل عدة قرون

وجملة القول لم يكن يجري شيء يشبه عقد البيع بين المتبايعين الفردين بل كان ذلك موكولاً الى مشيئة سيد يسمى باسم خاص. بل لم يكن للفرد في هاتيك الازمان تصوُّر او خيالٌ لمعنى العقد على الاطلاق. وكان جلُّ ما يدركهُ ذهنهُ انهُ وُلد لسيدهِ كالعبد يتصرف بهِ تصرُّف المالك بالمملوك

ولما ارتقت الهيئة الاجتماعية الى ما فوق ذلك من الاطوار السياسية بقي شيء من ضياع الفرد في المجموع زمناً فكانت حقوق الفرد تنكر عليهِ الاَّ اذا كان عضواً في الهيئة الحاكمة ولم يكن نصيبهُ من تلك الحقوق الشخصية الاَّ بعض الشيء . ففي عهد الجمهورية الرومانية واليونانية كانت مصلحة الفرد وقفاً على مصلحة الحكومة ولم يكن يتسنى للفرد ان ينال حظاً من حقوقهِ الاَّ بعد ان مضى على ذلك ازمان متطاولة ونقلبت على الامم احوال عديدة في جملتها ارتقاء الشريعة الرومانية ايام الامبراطورية الاخيرة فارتقت فيها اهمية حقوق التملك وشرائع العقود . ولما نشأ نظام الاقطاع (في القرون المتوسطة) كانت نسبة المزارع لمولاهُ مقرَّرة

محدودة بقوانين نظامية بما ورثت الامم لذلك العهد عن الشرع الروماني وبهذا الاعتبار كان لهذا النظام الميزة على ما سبقهُ من انظمة الشعوب

وفي اعتقاد المحققين من علماء الاجتماع ان هذه كانت النقطة التي ارتقت منها سيادة ارباب الاقطاع الى تآلف الامة بما اتسع للفرد من نطاق الحرية الشخصية الى حدٍ يفوق الحد الذي ارتقت فيهِ العشائر الاولى الى شعوب سياسيةٍ . وقد كان للكنيسة الرومانية في ترقية الحرية الشخصية من هذا الوجه يدٌ كما كان لها في تمهيد اسباب الاتحاد بالجامعة الوطنيةِ العامةِ . ذلك ان الرهبانية كانت تؤيد الروح الجمهوري حتى في اثناء حكومة الاشراف فجعلت بنفوذها تقدمَ الفرد موقوفاً على استعدادهِ الشخصي وامتياز الفرد منوطاً بقواهُ العقلية وصفاتهِ الادبيةِ

وتقدم الصناعة ايضاً كان في جملة العوامل المؤيدة لحقوق الحرية الشخصية . فان الصناعة بتفرُّعها وتشعبها جعلت الفوز للافراد الممتازين بقوام الشخصية ايًّا كانت طبقتهم حتى امست حقوق الفرد وهي الكلُّ في الكل بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً بين الناس وبعد ان كان الفرد يحيا لارباب الحل والعقد صار هؤُلاء يعدون حياتهم وقفاً على حياة الفرد

وهذا كلهُ على عكس الواقع في النشوء العضوي . ذلك اولاً لان حياة الجزء في هذا النشوء تُستغرَق تدريجاً في حياة المجموع حتى تختفي فيهِ . واما في الارتقاء الاجتماعي فليست حياة المجموع الا تابعةً خادمة لحياة الفرد كما تقدم وثانياً لان ارقى حيوان او نبات هو الذي في اجزائهِ من الحرية اقل ما يستطاع . بخلاف المجاميع العليا من هيئة الاجتماع فان حرية الافراد فيها على اسمى درجاتها واوسع حدودها

وعلى ذكر هذا التفريق بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع يناسب ان نذكر هنا ان بعضهم زعموا ان الاجتماع ليس الا نوعاً من انواع الاحياء بالذات فقالوا ان المدينة الجامعة تقابل قلب الحي وطرقها تقابل الاوعية الدموية فيهِ وان بضائعها الجوالة هي المواد المغذية السارية في البدن . وان النقود بمثابة الدم وان اسلاك الانباء اسلاك الاعصاب وان افراد سكانها تقابل اعضاء الحي المؤلف هو منها . فيقال في هذه المقابلات انها لا تخلو من سموّ الشأن في درس التاريخ وفن الاقتصاد فان سبنسر قد اورد كثيراً من هذه المقابلات الجامعة بين الفائدة والرشاقة الا انها مع ذلك لا تخرج عن حد المقارنة التشبيهية وليست في شيء من وحدة الجنس . وكذلك ليتره مع ابداعهِ في تقريرهِ " ان نسبة الاقتصاد السياسي الى علم الاجتماع كنسبة وظائف التغذية الى علم الحياة " قد ابقى فسحة وسيعة بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع . فان الفارق الذي لا يُفارق هنا هو ان الحياة الاخلاقية في الاجتماع في كلٍّ من

الاجزاء . واما في الجسم الحيّ فليست كلاًّ الّا في المجموع

قال سبنسر في تحصيل هذه الاحكام الكلية الواردة في هذه المقالة

" من ذلك كلهِ يُرى ان التقدم حكم ضروري لا اصطناعي ولا اتفاقي . وان التمدن بعض الطبيعة لا امرٌ خارج عنها على حد نشوء الجنين من الأُم وانتشار الزهرة من الكمّ . وكل ما طرأ او يطرأ على النوع الانساني من التغيرات انما هو فعل ناموس عام يجري على الخلائق العضوية بامرها . فما دام الجنس البشري في الوجود وما دامت هذه النواميس على نظامها واحكامها فلا بدّ ان تنتهي هذه التغيرات ببلوغها ما يقرب من حدّ التمام. وقد عقب على ذلك بعضهم بقولهِ "كما يتنبأُ الفلكي عن الاحداث السموية يتنبأُ الاجتماعي ان ناموس الملاءمة سيبقى جارياً على حكمهِ التدريجي في المستقبل السعيد الى ان تتمّ الموازنة او تكاد بين الامة ومحيطها فتحقق حينئذٍ اماني كل انسان بمفردهِ اذ يتم التوازن بين مطالبهِ ووسائل تحصيلها كما يتم الوفاق بين رغائبهِ ورغائب ذويهِ ومجاوريهِ. هذه هي الحجةَّ العليا التي يحلم بها العقلاء والغرض الاقصى الذي يسعى وراءهُ الفضلاء . حقوق مقدسة ينالها كل فرد من الامة حسب قواهُ وواجبات معينة يقوم بها للمجموع وهذا منتهى ما يتمنّى المرء في دنياهُ "

هذا وربما عدّ بعض القرَّاء ان كلّ ما جاء في هذه المقالة هو من قبيل الحقائق المقرَّرة عند جمهور اهل العلم لا ردَّ عليها ولا تعقيب والواقع هو ان الباحث النزيه يرى لبعض ارباب النظر الدقيق مآخذ على بعض احكامها تستوقف المنصف عن القطع بها والاقرار عليها . وفي جملة ما رأيناهُ من ذلك على وجه الاجمال امران

الاول هو ان منشأ تلك الغيريَّة الباعثة على ارتقاء المجموع في رأي البعض ليس اجتماعيًا محضًا كما ادَّعاهُ هذا الفريق من الطبيعيين نشأ بمجرَّد التغيرات الضرورية الاجتماعية بل ان الغيرية فطرية في كل انواع الحيوان سابقة لارتقاء الاجتماع وعلة اصيلة للمبدإ الاجتماعي لانتيجة لازمة عنهُ في طورٍ منهُ كما يدَّعي اولئك . وان الغيرية التي يظهر انها ترتقي بارتقاء الاجتماع الطبيعي ليست هي الغيرية الحقيقيَّة الاساسية المقومة لاركان الآداب وهذا يسوق الى الامر الثاني وهو

الثاني ان ارتقاء هذه الغيرية بارتقاء الاجتماع على ما يقول سبنسر وتبَّاعهُ ليس على الحقيقة آيلاً الى صلاح العمران فانهُ يظهر من خلال هذا التمدن الجديد انانية مرتقية او شرٌّ مرتقٍ سيقوض اركانهُ ويقرض بنيانهُ كالسوس الناخر في الغصن الناضر حتى تكاد تلك الانانية الاولى الهمجية لا تعدُّ شيئًا بجانب هذه الانانية المدنية ويقولون ان ما نرى من روائع

هذه الحضارة وسواحرها وبدائعها ومفاخرها ليس الأ مرعًى نبت في الدِّمَن فلا يروق عاقلاً حتى تروق الدفين جودة الكفن . وان في مقاتل هذا العمران المترقي دفائن وبيلة وكوامن دخيلة ستهوي بهِ الى مهاوي الهلكة والدمار يريدون بذلك انانية ارباب السيادة والصولة والحول والاقتدار ورجال الغنى وملوك الاحتكار ويوقنون ان ناموس بقاء الانسب الطبيعي ليس هو المعتدي الباغي ولا هو العامل وحدهُ على فناء الضعيف . وانما هو حجة المستأثر القاهر ومعذرة الطامع الظالم والقوي الجائر . ويعتقدون انهُ اذا قيض لابن المدنية صلاح او اصلاح فما هو ناب من هذه الارض ولا هو متأتٍ عن جانب البشرية المتقلبة بين طامح ظلاَّمٍ وبائس يولد في الشقاء ويعيش على الجيف ويموت كالانعام

ولقد وُلدنا كسائر المولودين من انسان وحيوان نرضع من الأُم لبانها ونغذى حبها وحنانها وننشأ على بذلها واحسانها ونحن نرى من حولنا كل حيٍّ في الوجود يولد بهلاك غيرهِ ويحيا في مهاد الكرم والجود. نشاهد الطبيعة بعين الفطرة الساذجة تحنو على بنيها وتجود بطيّب عناصرها حتى تحيا الارواح وتُملَّى الابدان بما لا تعدلهُ الكنوز ولا يقوَّم بالاثمان . وكان جل ما سمعناهُ من افواه المربين من جانب السرير وعلى مائدة الطعام انهُ لولا الفدى ما عاش ولد وانهُ لا يحيا جسد حتى يفنى اسد . ثم دخلنا غرفة الدرس فحسبنا اشرف ما غُرِس في اعماق الفؤاد أن اسعاد المرء ذويهِ احق دين يوفيهِ. وان اكرم نبيل من مات في سبيل اخيهِ فلا يتصوَّر الذهن تعريفًا للخير الأ انهُ الايثار على الذات لنفع الغير. حتى اذا بلغنا طور المطالعة وتهيأ لنا النظر في شيء من الفلسفة ومذاهبها رأينا نفرًا عاشوا بالاحسان ولولا الاحسان ما عاشوا ينادون ان الغيرية وما تطويهِ من مكارم الانسانية ان هي الأ اضغاث احلام وبنيات اوهام بل غوايات المنابر ونفايات الايام وان الفلسفة تنفيها والعلم سيفنيها فقلنا ما عسى ان يكون حال الدنيا على هذا يا ربَّاهُ اهذا يكون مآل الولد ومن ربَّاهُ أحلمٌ هو الذي يتجلّى من شريعة الطبيعة وسنَّة الوجود حتى ينقلب النفع ضرًّا والخير شرًّا . ام هو الانسان الكفور شرُّ ما ربَّت الطبيعة وافسد من دبَّ على الارض يجحد النعمة وهي حياتهُ ويكفر بالرحمة وبدونها مماتهُ . ثم لجَّ بنا داعي البحث والتنقيب فوقفنا على اقوال متفرقة لاهل العلم الطبيعي والفلسفي تنفي ما عزاهُ الانانيون للعلم وهو منهُ براء كالقول بطروء الآداب ونفي الالزام الادبيِّ وان اللذة غاية الفضيلة وسيلة الى ما يلحق بذلك من هادمات دعائم العمران على ما ننوي تلخيصهُ ونشرهُ ان شاء الله

دمشق متري قندلفت

منزلة الشعر من التاريخ

١٩ الصداق

اما الصداق عندهم فكان الرجل يسوقهُ الى المرأة وهو في الغالب من النياق . وقد ذكر عنترة العبسي ما كان من امرءٍ في طلب الصداق قال

ترى علمت عبيلة ما ألاقي من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بالربا والمكر عمي وجار عليَّ في طلب الصداقِ
فخضت بمهجتي بحر المنايا وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوق والرعيان وحدي وعدت اجدُ من نار اشتياقي

ولم يكن الصداق محدوداً فكان حسب تراضي الفريقين . ولذلك نجد جريراً يعين مهر بنات قومهِ سبعين ناقة بدليل ما قالهُ في احدى قصائدهِ راداً على الفرزدق

سبعون والوصفاء مهر بناتنا اذ مهر جعثنَ مثل حبّ البندقِ (١)

وكثيراً ما تكون قلة المهر دليل ذلة المهورة قال جرير

لقد جرِّدت يوم الحداب نساؤكم فساءت مجاليها وقلَّت مهورُها

٢٠ استخدام الاماء والعبيد

لاخلاف في ان العرب كان عندهم الاماء والعبيد والخدام قال عروة بن الورد " واني عبدٌ عندهم وابي عبدُ " وقال سبرة بن عمر الفقعسي

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها تظنُّ اماء والاماء حرائرُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

فلعلي ان يكثر المال عندي ويعرّى من المغارمِ ظهري (٢)
وترى اعبدٌ لنا واواقٍ ومناصيف من خوادم عشرِ (٣)

وقال عمر بن كلثوم التغلبي

بأي مشيئة عمرو ابن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

(١) الوصفاء جمع وصيف وهو الغلام المملوك . وجعثن اسم اخت الفرزدق
(٢) المغرم ما ينوب الانسان في مالهِ من ضرر لغير جناية كتحمل الديات والاطعام في النائبات
(٣) المناصيف جمع منصفة وهي الخادمة

تهدّدنا وتوعدنا رويداً متى كنّا لأُمك مقتوينا [٤]

وقال عدي بن زيد

متكئاً تُصفَقُ ابوابُهُ يسعى عليهِ العبد بالكوْبِ [٥]

٢١ الصبوح والغبوق

وكانوا يشربون اللبن ويعاقرون المدام اما صباحاً ويدعونهُ صبوحاً قال عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا [٦]

واما مساء ويدعونهُ غبوقاً قال عنترة العبسي

كذب العتيق وماء شنٍ بارداً ان كنت سائلة غبوقاً فاذهبي [٧]

وقال المخبل السعدي

واهلكني شيبان في كل شتوة لقلبيَ من خوف الفراق وجيبُ [٨]

اشيبان ما ادراك ان رب ليلة غبقتك فيها والغبوق حبيبُ

وكان الغلمان يطوفون بكؤوس المدام قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس مختلق الذفرى شديد الحزام

وكذلك كانت القيان يتعاطين سقي الشراب قال عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

٢٢ الغناء

وكان للغناء عندهم شأن وكانت القيان ذات براعة بهِ قال طرفة عمرو بن العبد

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسدِ [٩]

اذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدَّدِ [١٠]

وكنَّ يستعملن آلات فمن ذلك "المزهر" قال احيحة بن الجلاح الأوسي

---

(٤) المقتوي الخادم والزوزني في شرح المعلقات يقول القتو خدمة الملك

(٥) صفق الباب أغلق ورد او فتح . الكوب كوز مستدير الراس لا عروة له ولا خرطوم

(٦) الصحن القدح العظيم (٧) كذب وجب . ومعنى البيت عليك باكل العتيق وهو التمر اليابس وشرب الماء البارد ولا تعرضي لغبوق اللبن وهو شربهُ عشياً

(٨) شيبان بفتح الشين وكسرها . قال الجوهري شيبان وملحان شهرا قماح وهما اشد الشتاء برداً . سميا بذلك بما عليها من الثلج والصقيع وهما الكانونان . والوجيب الخفقان

(٩) ندامى جمع ندمان وهو النديم . والقينة الامة المغنية . والمجسد الثوب المصبوغ بالجسد وهو الزعفران

(١٠) على رسلها اي على وقارها . والمطروقة التي بها ضعف

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهوة وشاربها

" والصنج " قال الاعشى ميمون

ومستجيباً تخال الصنج يسمعهُ اذا ترجعُ فيهِ القينة الفُضُلُ (١)

" والقصاب " قال رؤبة " في جوفهِ وحي كوحي القصَّاب (٢) " وقال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسميـ ن والمسمعات بقُصَّابها (٣)

" والعود " قال ابن مقبل

فضلى تنازعها المحابضُ رَجْعَها حذٌاء لا قمام ولا مصحال (٤)

وقال النمر بن تولب

قامت تباكي اذ سبأت لفتية زقًا وخابية بعود مقطعِ (٥)

وكان العزيز المبجل اذا قدم من سفر خرجت الاماء لاستقبالهِ ينشدن الاهازيج المطربة.
ولما دخل النبي مكة يوم الفتح استقبلتهُ اماء مكة يصفقن ويقلن

طلع البدر علينا من ثنيَّات الوداع (٦) وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وكان الرجال ايضاً يشتركون بكل ذلك وكانوا يسمون الضرب بالدف والغناء قلساً وتقليساً
وقيل ان التقليس هو استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو قال الكميت يصف ثوراً
طعن في الكلاب فتبعهُ الذباب لما في قرنهِ من الدم

ثم استمرَّ تغنيهِ الذباب كما غنَّى المقلس بطريقًا بمزمارِ

وكانوا في الاسفار يتخذون الحداء باعث تنشيط ابلهم وتجديد قواهم ويتداولونهُ الواحد بعد
الآخر ولطالما اتخذوا الحداء وسيلة للتعريض باشياء قال الحطيئة

فلم اشتم لكم حسباً ولكن حدوت بحيث يستمعُ الحداء

وكثيراً ماجرَّ ذلك التعريض سفك الدماء كما كان من حداء زيادة بن زيد بن مالك
وهدبة بن خشرم وحديثهُ طويل اثبتهُ الاصبهاني في الاغاني

٣٣ مزج المدام

اختلفوا في المدام هل الاولى شربها صرفًا او ممزوجة قال حسان بن ثابت في الصرف

---

(١) امراة فضل اذا كانت متفضلة في ثوب واحد (٢) القصاب المزمار
(٣) الجلُّ الورد فارسي معرب . والقصاب جمع قاصب وهو الزامر (٤) اي منقطع عن الضراب
(٥) المحابض اوتار العود. ورجعها جوابها والمراد بالجواب هنا صوتها. حذاء قصيرة . والقطع المقطوعة والمصحال ذات البحة (٦) الوداع وادٍ بمكة وثنيات الوداع منسوبة اليهِ

ان التي ناولتني فرددتها قُتِلت قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصلِ

وعابت اخت جذيمة الابرش ما كان من تعاطي اخيها الصرف اذ قالت لهُ

ذاك من شربك المدامة صرفاً وتماديك في الصبي والمجونِ

وقد امتدح حسان الممزوجة بقولهِ

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

قال الشيخ عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب "انما اشترط ان يمزجها لانها خمر شامية صليبة فان لم تمزج قتلت شاربها . وخصَّ العسل والماء لان العسل احلى ما يخالطها وانهُ يذهب بحرارتها واما الماء فيبرّدها ويلينها"

وقيل ان الخمرة الممزوجة كانت شراب الملوك ولذلك عابت اخت جذيمة اخاها لعدولهِ عن عادة امثالهِ بشربهِ لها صرفاً . والى هذا يذهب من يقول ان رأساً في قول حسان "كأن سبيئة في بيت رأس" بمعنى رئيس لا انهُ اراد بيت رأس اسم القرية التي في ناحية الاردن من الشام وكانت هذه القرية مشهورة بجودة الخمر وفيها ماتت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك واليها اشار النابغة الذبياني في قولهِ

نمين قلالهُ من بيت راس الى لقمان في سوق مقامِ

وقد عللوا مزج الخمرة بكراهية اخراجها لهم عن عقولهم في معاطاتها صرفاً قالوا والى ذلك اشار عدي بن زيد بقولهِ

ربَّ ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالِ

فانهُ يكني بركب يشربون الخمر بالماء الزلال عن الملوك الذين كانوا في عصرهِ . ولعدي ايضاً من قصيدة اخرى قولهُ

فدعا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريقُ
قدَّمتهُ على عُقارٍ كعين الا ديك صفّى سلافها الراووقُ (٧)
ثم كان المزاج ماء غمام غير ما آجنٍ ولا مطروقُ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي يصف شربهُ

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن الحصَّ فيها اذا ما الماء مازجها سخينا (٨)

(٧) العقار الخمر . والراووق المصفاة (٨) مشعشعة اي ممزوجة بالماء . والحص الزعفران .

﴿٣٤﴾ نضح الخيل بالخمر

وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهنَّ وبايديهنَّ زجاجات الخمر فينضحن جيادهم بها قال حسان بن ثابت

تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

﴿٣٥﴾ الرايات

وكان لكل قبيلة راية يرفعونها ويدعونها ايضاً عَلَماً ولواء قال ابو زيد الطائي

ولنا فوق كل مجد لواء فاضل سيفي التمام كلَّ لواء

وقال عنترة بن شداد العبسي

ولقد عدوت امام راية غالب يوم الهياج وما عدوتُ باعزلِ

وكان اللواء لا يدفع الاَّ الى صنديد مقذَّف قال النابغة الذبياني

لهم لواء بكفَّي ماجد بطل لا يقطع الخرق الاَّ طرفهُ سامي

وكانت الويتهم ذات رسوم قال النابغة الذبياني

فوارس من منيلة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقابُ

يريد بالعقاب راية عليها رسم العقاب · وكان بعضهم يغزون متساندين اي من اقوام متعددة وحينئذٍ يسمون اشائب ولم يكن ذلك بالممدوح قال النابغة الذبياني

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير اشائبِ

ولكنهم كانوا لا يرون في ذلك عيباً اذا كان عددهم عظيماً كما قالت ليلى بنت لكيز التغلبي في تحريض قبائل عديدة مستصرخة اياهم لينقذوها من يد الاعجام

قل لعدنان فديتم شمروا لبني الاعجام تشمير الوحى

واعقدوا الرايات في اقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى

يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى

وكانوا فضلاً عن تميزهم بالرايات يتخذ كل قوم منهم (شعاراً) اعني نداءً خاصاً قال النابغة

مستشعرين قد الفوا في ديارهم دعاء سوع ودعميٍّ وايوبِ

امين ظاهر خير الله

تخبينا اي جدنا وكان من عادة العرب اذا انتشوا ان يجودوا قال عنترة

واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلمِ

واذا صحوتُ فلا اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

التاز وبانيهِ

ليس من تلك المباني بل جوًى في قلب عاهل
نحِذَ الجوهر متناً والحواشي من جنادل
من حجار احكمت اشكا لها تلك الشمائل
يتجلَّى في سناهُ مثل بدر في المنازل
او نفوس من ذكاء الا عقل باتت في هياكل
او فتاة ذات دلٍّ تتهادى في غلائل
اسفرت فالقلب مني بين ولهان وواهل
وبعيني خشوعٌ وارتجاف في المفاصل
وبانفاسي على وجـ ـدٍ تولأني دلائل
ذلك التاز النبيـ فاقت بهِ الهند الاوائل

قال بعضهم "اذا بلغت مدينة اكرا في ليلة قمراء نحث الركاب الى التاز. ولو كان وصولك اليها في المربع الاخير من الليل". وقال آخر "ان كل ما كُتب عن التاز منذ مئتين وخمسين سنة اي منذ بنائهِ الى الآن لا يفي بوصفهِ وستمضي مئتان وخمسون سنة اخرى قبل ان يقوم مَن يقوم بذلك". وقال القس اوروك في كتابهِ عن الهند "ما هو التاز" ثم اجاب بما ترجمتهُ "مدفن امرأَة مدفن زوجة ملك عظيم مدفن زوجة هام بها زوجها مدفن لها ولهُ بناهُ اجابةً لطلبها لكي يدفن فيهِ الى جانبها

"عناز التتار بتأنقهم في بناء مدافنهم فقد بنى كل ملك منهم مدفناً لنفسهِ. والتاز من بناء شاه جهان حفيد السلطان جلال الدين محمد الملقب باكبر اقامهُ لزوجتهِ ممتاز زماني ولنفسهِ

"على ميلين من المدينة باب كبير كأَنهُ من بناء الجبارين يذهل الناظر اليهِ ويستحق ان تشد اليهِ الركاب من شاسع الاقطار فاذا مررت فيهِ رأَيت امامك جنَّة يانعة في ظل ظليل وماء غمير. سرو باسق وماء دافق ومنفرج امامهُ دكتان الواحدة فوق الاخرى السفلى من الحجر الاحمر علوها عشرون قدماً واتساعها الف قدم في مثلها عرضاً والعليا من الرخام الابيض علوها خمس عشرة قدماً واتساعها ثلاثمئة قدم في مثلها عرضاً وعلى زواياها الاربع اربع مآذن من الرخام. والتاز بينها قناطر وسيعة وقباب رفيعة تنظرها عن بعد فتستصغرها ولكن لا تلبث ان تدنو منها حتى تراها تزيد فخامة ومهابة وجمالاً وجلالاً كأَنها من تزاويق الخيال بل من بيوت

المجد ذوات العمد الطوال . جدرانها مرصعة بالجواهر وقبابها مبطنة بالنضار الناضر ووراءها نهر الجمنا يسيل ماؤُهُ كذوب اللجين . ولا تظهر عظمة التاز في جزء من اجزائهِ اذا شوهد على حدة لما فيهِ من دقة الصناعة ونحافة النقش فتضيع معها فخامة البناء لأن العقل والاختبار لم يعتادا رؤْية هذه الدقَّة مع هذه الفخامة . فهو من بناء الجبارين وصوغ الصاغة الماهرين حلية فخيمة قاعدتها ١٨٦ قدماً مربعةً وارتفاعها مئتا قدم أُنفق عليها اكثر من مليونين من الجنيهات تسمع الاصداء تحت قبابهِ كاشجى الانغام لانهُ خاوٍ خالٍ ليس فيهِ غير قبر وما حواهُ من رخام"

وقال القس هتشنصن في كتابهِ الحديث عن ملوك العالم "التاز حلم في رخام كما قيل على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اكرا انشأهُ السلطان شاه جهان مدفناً لزوجتهِ ارجمند بنو بكم الملقَّبة بممتاز محال التي توفيت سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمهُ نادرشاه ملك الفرس ونقلهُ الى بلاد فارس وكان فيهِ الماسة الشهيرة المعروفة بقوه نور اي جبل النور وهي الآن من جواهر ملوك الانكليز

"والتاز مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر كريمة في جدرانهِ عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأنها حواشٍ لما تحيط بهِ من النقوش وفي الغرف الاربع التي على زواياهُ صفائح كبيرة من الرخام الابيض عليها ازهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهاراً طبيعيةً وفي الزهرة الواحدة مئة حجر كريم او اكثر . وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى ضمن درابزون من المرمر وفوق كل ركن من اركانهِ الاربعة قبة مثل القبة العليا شكلاً على قناطر دقيقة والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة"

وكتب المستر هفل من مدرسة الفنون في كلكتا مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر بحث فيها عن باني التاز بحثاً مستفيضاً قال فيهِ "الشائع ان باني التاز بنَّاء ايطالي ومزخرفهُ نقَّاش فرنسوي كانا في خدمة شاه جهان . الأ ان هذا مبنيٌّ على ظنون ليس لها سند تاريخي . والاوربيون ومن يحذو حذوهم من الهنود اهل النشأَة الجديدة يخطئون في حكمهم على الفنون الهندية ولا يقدرونها قدرها لانهم لا ينظرون اليها بكل ملابساتها ولا يجرّدون انفسهم عما رسخ فيها من احتقار الفنون الشرقية . وكأنهم نسوا ان صناعة التصوير والنقش في بلاد الهند متصلة بصناعة البناء لانها قائمة بزينتها فهي غير مفصولة عنها كما هي مفصولة في اوربا حيث انحطت صناعة التصوير حتى صارت واسطة لتزيين غرف الاكل والاستقبال

"والتاز منتهى ما وصلت اليهِ الفنون الهندية فاذا ثبت ان بانيهُ وناقشهُ من الاوربيين

ثبت ان الصناعة الهندية لا تبلغ حدها من الاتقان الاَّ اذا ساعدها ذكاء الصناع الاوربيين .
وعليهِ وجب ان نبحث في الادلة التاريخية التي تثبت ما تقدم من ان باني التاز ايطالي وناقشهُ
فرنسوي . ومن المحقق ان الذي انشأ التاز هو شاه جهان انشأهُ مدفناً لزوجتهِ ممتاز محال التي
توفيت نفساء سنة ١٦٢٩ فحزن عليها حزناً مفرطاً وعزم ان يبني لها مدفناً يكون اعجوبة
الزمان فاستدعى امهر بنائي سلطنتهِ من شيراز وبغداد وسمرقند وامرهم ان يصنعوا لهُ رسوماً
واختار واحداً منها وامر صانعهُ ان يصنع لهُ مثالاً من الخشب ثم بني التاز على هذا المثال

"اما هذا البنَّاء او المهندس فمؤرخو الهنود متفقون كلهم على ان اسمهُ الاستاذ عيسى
ثم اختلفوا في وطنهِ فقال بعضهم انهُ شيرازي وقال غيرهم انهُ رومي . وشكل التاز يدلُّ على ان
بانيهُ شيرازي ولكن يحتمل انهُ اقام في القسطنطينية عاصمة بلاد الروم واستخدمهُ سلاطين
آل عثمان قبل بنائهِ للتاز . وخالفهم الاب منريك الكاهن الاسباني الذي رأى التاز بعد
الشروع في بنائهِ بعشر سنوات وقال ان بانيهُ رجل من اهل البندقية اسمهُ جيرونيمو ڤرونيو"

واورد الكاتب ادلة كثيرة على نقض هذا الخبر مما لا محل لاستيفائهِ هنا . وقال انهُ
كان للتاز بابان من الفضة النقية أُنفق عليهما ١٢٧ الف ربيَّة نُزعا وصُهرا لما نهب الجات
مدينة اكرا . والدرابزون الذي حول القبر كان اولاً من الذهب الابريز مرصعاً بالجواهر فمن
المحتمل ان يكون شاه جهان استخدم اوستن الصائغ الفرنسوي في صياغة البابين والدرابزون
ولكن من يمعن نظرهُ في المباني الكثيرة التي بنيت في ايام السلطان اكبر وما بعدهُ الى ايام
شاه جهان وما فيها من بديع النقش والزخرفة يجد انها كلها شرقية نشأت وارتقت في بلاد
المشرق فان العرب كانوا اولاً يبنون مبانيهم من الاجر ويغطونها بقطع من المرمر المختلف
الالوان منظومة من اشكال هندسيَّة لانهم كانوا من السنيَّة الذين لا يجيزون رسم الصور فلما
وجدوا حجارة البناء من الرخام ابطلوا اسلوبهم الاول وجعلوا يزخرفون الرخام بالنقش والترصيع
ثم لما وصلت هذه الصناعة الى الشيعة وهم لا يحرّمون تصوير الصور تركوا الاشكال الهندسيَّة
ورسموا بدلاً منها الصور الطبيعيَّة . وشاع ذلك قبل بناء التاج كما يرى في مدفن اعتماد الدولة
جد السلطانة ممتاز محال فانهُ مغطًّى بالنقش المسمى بالمطيف وفيهِ المزاهر واشجار السرو واشكال
مختلفة من الازهار . وتاريخ بنائهِ سنة ١٦٢٢ والتاز اكثر اتقاناً من مدفن اعتماد الدولة من
هذا القبيل لان مدفن اعتماد الدولة تمثل فيهِ الصور الفارسيَّة تمثيلاً واما التاز فالصور التي فيهِ
تمثل الاشكال الطبيعيَّة نفسها اجابةً لطلب شاه جهان الذي اراد ان يكون مدفن زوجتهِ
اجمل ما صُنع في الدنيا

وقد وجد الكاتب صوراً كتب عليها السلطان جهانجير والد شاه جهان في السنة التاسعة عشرة من ملكهِ انها من عمل الاستاذ منصور امهر مصوري عصرهِ وفيها رسم رجال بلاطهِ وبعض الطيور الهندية وهي في غاية الاتقان وقد صنعت سنة ١٦٢٤ اي قبل بناء التاز بست سنوات وأُطر ثلاث منها منقوشة نقشاً يماثل نقش التاز حتى ان من يراها ويرى التاز يثبت لهُ ان ناقشهُ فارسي لا اوربي او انهُ اتَّبع الاسلوب الفارسي لا الاسلوب الاوربي. ولعل رسوم التاز منقولة عن رسوم هذه الصور. اما الصنَّاع الذين كانوا يعملون تحت يد مهندسهِ فهنود كلهم على ما يظهر من اسمائهم وكانوا من اساتذة الفن لان اجرة الواحد منهم على ما في السجلات الهندية من مئتي ربيَّة الى ثمانمئة ربية

وخلاصة ما تقدم ان باني التاز الذي رسمهُ وشارف بناءهُ رجل فارسي يقال ان اسمهُ الاستاذ عيسى ولا يعرف من امرهِ غير ذلك

ثم انتقل الكاتب الى وصف التاز وقال انهُ حلية من الحلى وصورة عقلية تجسمت في الرخام والحجارة الكريمة واورد ابياتاً في وصفهِ للسر ادون ارنلد وهي التي ترجمناها ونظمناها في صدر هذه السطور . وختم مقالتهُ بما ترجمتهُ

ان ما ذكرهُ الشاعر هنا ليس تصوُّراً عقلياً استنبطتهُ المخيلة بل وصف حقيقة يدلُّ التاز عليها فان شاه جهان ومهندس التاز ارادا ان يمثلا بهِ جمال ممتاز زماني وكمالها. والذين رأوهُ وانتقدوا بناءهُ بقولهم ان فيهِ نحافة نسائية اصابوا كبد الحقيقة في قولهم ومدحوهُ وهم يقصدون ذمهُ فان رسمهُ وبناءهُ ونقشهُ وزخرفتهُ كل ذلك مقصود بهِ ان يمثل تلك الغانية البديعة الجمال الذكية الفؤاد بل هو شخصها بجمالها ودلالها وقدها واعتدالها وهي لا تزال واقفة تتهادى على ضفة الجمنا يهبُّ عليها نسيم الصباح ويجللها نور الاصيل او هو دليل احترام الهند لجمال نساء الهند

هذا وقد بحثنا في العام الماضي عن مقياس الشهرة عند كتَّاب العرب فنظرنا في كتب التراجم وجمعنا اسماء الذين يدور ذكرهم على الالسنة وتعمر بهم اندية الادب فاذا هم الامراء والشعراء والفقهاء وعدد قليل من الاطباء وعلماء اللغة وليس بينهم تاجر او مهندس او مدير عمل او مستنبط صناعة كأن اسباب المعاش ودعائم العمران من سقط المتاع حتى لا يستحق اربابها ان يذكروا بين اعيان الامة . والظاهر ان هذا الشان طرأ على بلاد الهند ايضاً بعد وصول العرب اليها فكانت نتيجتهُ ان العمران الذي ورثوهُ لم يدم الا مقدار ما قاوى مخالب الدهر وعناصر الانحلال. ولا يتعذَّر اكتشاف السبب الاكبر لذلك لان الذين نخرهم الاكبر في شن الغارات وتمحيق العبارات لا ينبغ منهم غير رجال السيف ورجال القلم

آثار البهنسى العلمية

البهنسى مدينة صغيرة معروفة بين بني سويف والمنيا كانت من المدائن العظيمة في زمن الفتح كما تدلُّ آثارها الكثيرة وقد ذكر الواقدي خبر فتحها فملأهُ بالمبالغات حتى كأنهُ قصد تأليف رواية فكاهية لا ذكر حادثة تاريخية فقال خرج صاحبها واسمهُ البطليوس لملاقاة خالد ابن الوليد في عشرين الف فارس وخمسين الف راجل والف وثلثمئة فيل وكان في المدينة مؤونة تكفي اهلها وما فيها من الجيوش عشر سنوات وكان للمدينة سور يمشي عليهِ خيَّالان متكاتفان . الى ان قال انهُ استشهد فيها يوم فتحت خمسة آلاف من اصحاب الرسول وانهُ قتل من الروم حينئذٍ ثلثمئة الف وصالح خالد من بقي من اهلها على الف الف مثقال من الذهب والف الف اوقية من الفضة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير . ثم نكث اهل المدينة عهدهم فقتل خالد منهم ثلاثين الفاً وامر عشرين الفاً وصاروا يجرُّون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس في الحفر . الى غير ذلك من المبالغات التي لا يصدقها عاقل . ومهما كان اصل هذه هذه الروايات فلا شبهة في ان البهنسى كانت من المدن العظيمة في زمن الفتح وانها كانت من اعظم مدائن النصرانية

ونقل علي باشا مبارك في خططهِ ان مسطح ارض البهنسى كان نحو الف فدان وقال ان المقريزي اطال الكلام عليها في خططهِ فذكر انهُ كان يعمل فيها الستور البهنسية ونسيج المطرَّز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبَّرة وكان ما يعمل بها شيء من الستور يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعاً وقيمة الزوج منهُ مئتا مثقال ذهب واذا صُنع بها شيء من الستور والاكسية من الصوف او القطن فلا بدَّ من ان يكون فيها اسم المتخذ لهُ مكتوباً . وكانت وقت فتح بلاد مصر حصينة الاسوار منيعة الابراج وكان لها اربعة ابواب في الجهات الاربع لكل باب ثلاثة ابراج وكان بها اربعون رباطاً وكنائس وقصور فلما أُخذت بالفتح تغيرت معالمها واندرس كثير من آثارها . واكثر اعمدة الجوامع القديمة أُخذت من كنائسها وهي معابد المصريين الاول . الى ان قال " فلو ازيلت الرمال عن انقاضها لظهر من آثارها اشياء كثيرة تنبيء عن تواريخ مدة الرومانيين واليونانيين وغيرهم "

هذا ما ذكرهُ علي باشامبارك في خططهِ وقد تحقق قولهُ الآن على اكثر مما ظنَّ فكشف اهل النقب بين انقاض البهنسى كتابات كثيرة من عهد اليونان والرومان واهم ما كشفوهُ

الكتاب المعروف باللوجيا او اقوال المسيح استخرجوهُ من ارضها سنة ١٨٩٧ فكان لهُ اعظم شان في الدوائر العلمية والدينية

وقد كتب المستر غرنفل والمستر هنت الباحثان الشهيران يصفان ما كُشف حديثاً من الكتابات اليونانية واللاتينية في آثارها فقالا

رجعنا الى البهنسى في شهر فبراير الماضي حيث كان من نصيبنا ان نجد مجموعاً كبيرًا من صفائح البردي اليونانية سنة ١٨٩٧ . وقصرنا النقب هذه النوبة على تلّين فنزعنا الردم منهما حتى وصلنا الى الارض المبللة بماء النيل حيث لا يرجى وجود صفائح سليمة لو كانت هناك واكلنا نزع الردم منهما في ستة اسابيع فوجدنا مقدارًا كبيرًا من صفائح البردي من القرون الاربعة الاولى حتى كأن التلين نفايات مكتبة كبيرة حافلة بالكتب الادبية والدينية. وقد وصلت هذه الصفائح الآن الى مدرسة اكسفرد وقرئ بعضها وفي جملتها مجموعة اقوال المسيح وهي من القرن الثالث ولغتها تشبه لغة اللوجيا التي كشفت في البهنسى سنة ١٨٩٧ وبعض هذه الاقوال وارد في اماكن اخرى كقولهِ " ان ملكوت الله داخلكم " وقولهِ " كثيرون اولون يكونون آخرين وآخرون اولين " . وبعضها جديد لم يرَ من قبل ولها مقدمة يقال فيها " الاقوال التي قالها المسيح الرب الحي لاثنين من تلاميذهِ " . وبعض هذه الاقوال مختوم بقولهِ " من يتعجب يملك ومن يملك يستريح " . وقد استشهد اكليمنضس الاسكندري بهذه العبارة وقال انها واردة في انجيل العبرانيين . فمن المحتمل ان هذه الاقوال كلها مقتبسة من هذا الانجيل او من انجيل المصريين اما نحن فنرجح ان هذه الاقوال والاقوال الاولى التي في اللوجيا كان كلٌّ منها مجموعاً في كتاب على حدة ومحسوبة كانها اقوال المسيح

ووجد بُردي مكتوب باللاتينية من القرن الثالث فيهِ ملخص بعض كتب ليڤيوس اعظم مؤرخي رومية. وكتب ليڤيوس التي بعد الكتاب الخامس والاربعين مفقودة الآن لا يوجد الأ ملخصها اما الملخص الذي وجد في البهنسى ففيهِ زبدة الكتاب السابع والثلاثين الى التاسع والثلاثين وزبدة الكتاب التاسع والاربعين الى الخامس والخمسين . والذي لخص هذه لم يختر الحوادث التي اختارها صاحب الملخص المعروف . والملخص الذي وجد الآن كتب عليهِ احد المسيحيين جانباً كبيرًا من الرسالة الى العبرانيين فهي اقدم ما وجد من العهد الجديد مكتوباً على ورق البردي . ووجد بين هذه الصفائح ايضاً جانب من سفر التكوين فهو اقدم ما وجد من نسخ التوراة حتى الآن

ومما قرئ من الكتابات غير الدينية

(١) اناشيد كتبت في القرن الاول قبل المسيح من نظم شاعرة لعلها كورنا معلمة بندار وعلى الجانب الآخر من ذلك البردي مقاطيع كثيرة من نظم الشعراء ليوتيدس واتيباتر وامنتياس وكلها جديدة لم تعرف لهم قبلاً

(٢) محاورة فلسفيَّة بين الطاغية فيستراتس وبريفور وصولون وغيرهم من المشاهير

(٣) بردي من القرن الثاني فيهِ ابتهالات لالهة ذكرت اوصافها وقيل انها كانت معبودة في مصر وفي كل المسكونة وعلى الجانب الآخر من هذا البردي وصف علاج شافٍ استنبطهُ امهوتر وهو بمثابة اله الطب عند اليونان

ومن رأي الكاتبين ان تلال البهنسى لا تنقب كلها في اقل من ثلاث سنوات ولا بدَّ من ان يكشف فيها كثير من الكنوز العلميَّة فعسى ان تهتم الحكومة بحفظها من ايدي المتلفين الى ان تصل اليها ايدي العلماء المدققين

شرح الاحكام الشرعية

في الاحوال الشخصية

الشريعة الاسلامية واسعة النطاق كثيرة الفروع دقيقة الاختلافات صعبة المنال لوجود اصولها متفرقة في كتب القوم ولتشعُّب المذاهب فيها. وقد قضي الطلاَّب قروناً عديدة يستقونها من المصنفات الكبيرة كابن عابدين والبحر والنهر والزيلعي وغيرها مما يستغرق تصفحهُ السنين الطوال ناهيك عن درسهِ بامعان ودقة حتى خطر للمرحوم قدري باشا ان يجري فيها مجرى الغربيين في كتبهم القانونية لجمع الاحكام الشرعية المختصة بالاحوال الصحية والمعاملات ورتبها في مواد لسهولة حفظها ومراجعتها . والكتاب الذي امامنا هو الجزء الاول من شرح لكتاب المرحوم قدري باشا المسمَّى بالاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية وضعهُ حضرة العالم المحقق الشيخ محمد زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية في مدرسة الحقوق الخديوية توخَّى فيهِ تقريب هذه الاحكام من الطلبة مقتصرًا على ما تهم معرفتهُ للطالب والمحامي فجاء وافياً بالغرض لاغنى عنهُ للمشتغلين بهذا الفن الجليل

وقد سلك الشارح افضل الطرق في تمحيص اقوال الائمة مختارًا الاظهر منها او ما كان اكثر موافقة للعصر الحاضر ولاسعاد العباد اذ ان الشرائع وُضعت لراحة الانسان لا لتكون حجر عثرة في سبيلهِ . وامثلة ذلك في الكتاب كثيرة منها انكارهُ رأي القائلين ان الاصل

في الطلاق الاباحة فانهُ فند اقوالهم مستشهدًا بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية مثبتًا ان الطلاق كفران للنعمة وقطع للمودة والرحمة التي جعلها الله تعالى بين الرجل وزوجتهِ وان الشريعة لم تبحهُ الاَّ في احوال خصوصية لا يجوز التوسع فيها فانهُ امرٌ كبير لا يجب ان يقدم عليهِ الانسان اذا امكنهُ اتقاؤُهُ وانما اضطرَّ الشارع الى السماح بهِ دفعًا لشر اكبر منهُ وعلى ذلك الحديث "ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق"

وفي كلامهِ عن طلاق المكره والمخطىء والناسي خالف الامام ابا حنيفة وقال بمذهب القائلين بعدم وقوعهِ لاسباب قوية لا سبيل لردها. وقال ايضًا باظهرية مذهب القائلين بعدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور فالقائلون بوقوعهِ يبنون رأيهم على كون عقلهِ قد زال بسبب معصية فلذلك يقع الطلاق عقابًا لهُ. وقد ردَّ عليهم الشارح بقولهِ "والظاهر عدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور لان الطلاق ليس عقابًا لهُ فقط بل يترتب عليهِ قطع الزواج المترتبة عليهِ المصالح الدينية والدنيوية والاضرار بالزوجة وبأولادها منهُ وباهلها فلو اوقعنا طلاق السكران لعاقبنا غير المذنب ممن ذكر وهو غير جائز فلا يعاقب الاَّ السكران وعقابهُ يكون بالحد لينزجر عن مثل هذا ويعتبر غيره"

وقد خالف الشارح مذهب الذين يقولون ان نفقة طعام الزوجة تقدَّر "بقدر حال الزوجين يسارًا واعسارًا فان كانا موسرين فنفقة اليسار وان كانا معسرين فنفقة الاعسار وان كانا مختلفين حالاً فنفقة الوسط فلو كان الزوج هو الفقير لا يخاطب الاَّ بقدر وسعهِ والباقي دين عليهِ الى الميسرة" فان في الحكم الاخير من هذه المادة غبنًا عظيمًا على الزوج. وقد اوضح الشارح ان الاظهر هو رأي القائلين بان النفقة تقدر بحسب حال الزوج وحدهُ فلا يكلف الاَّ بقدر طاقتهِ واستشهد على ذلك بالآية "لينفق ذو سعة من سعتهِ ومن قدر عليهِ رزقهُ فلينفق مما آتاهُ الله لا يكلف الله نفسًا الاَّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا" وهذا الرأي فضلاً عن مطابقتهِ لنص الآية فانهُ اقرب الى العدل والانصاف

ومن المسائل التي اختلف العلماء فيها سقوط نفقة المرأة التي تمتنع عن السفر مع زوجها فقال بعضهم انهُ اذا كان السفر مسافة قصر فاكثر لم تسقط نفقتها وافتى غيرهم بخلاف ذلك. وقد جاء رأي الشارح في هذه المسألة موافقًا للعصر الحاضر الذي كثرت فيهِ الاسفار وسهلت فيهِ المواصلات بين الاقطار فانهُ قال بتفويض الامر الى القاضي الذي يستفتى فيهِ وعدم الاخذ بواحد من الاقوال على الاطلاق فان الزوج قد يكون غير مأمون ويريد ابعاد زوجتهِ عن اهلها بقصد الاضرار بها فعلى المفتي اذ ذاك ان لا يفتيهُ بقهرها على الانتقال معهُ ثم قد

يكون الزوج من مستخدمي الحكومة وتأمرهُ الحكومة بالانتقال الى مكان آخر فعلى زوجتهِ ان تتبعهُ . وخلاصة القول ان الفتوى بانتقال الزوجة او بعدم انتقالها لا تتوقف على مسافة السفر بل على كون الزوجة في امن من جهة الزوج

وقد اختلف واضعو القانون المدني الفرنساوي في هذه المسألة فانضم نابليون الى القائلين بوجوب انتقال الزوجة مع زوجها لان الزوجية تربط الزوجين في السرَّاء والضرَّاء وجميع احوال الحياة اينما وجدا وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليهِ الفقرة الاولى من المادة ٢١٤ من القانون المدني الفرنسوي التي تعريبها "على المرأة ان تسكن مع زوجها وان تتبعهُ الى اي محل يراهُ موافقاً لسكناهُ"

وفي الكتاب امور كثيرة من هذا القبيل تدل على تدقيق حضرة الشارح وسعة اطلاعهِ . وطريقتهُ في تفسير الاحكام العويصة حسنة سهلة المأخذ فانها تجلو غوامضها وتقربها من فهم القارىء . فنتمنى لهذا الكتاب الاقبال الذي يستحقهُ ونثني على مؤلفهِ لا تحافهِ طالبي الحقوق بهذا الكتاب النفيس

نسيم برباري

الراديوم

اصبح هذا العنصر الشغل الشاغل لعلماء الطبيعة ومن لهم مشاركة فيها حتى الجرائد السياسيَّة والمجلات الادبيَّة لا تنفكُّ عن ذكرهِ واستقصاء اخبارهِ لانهُ كشف للعلماء اسراراً غامضة وظهر لهم بمظهر يخالف ما الفوهُ من نواميس الطبيعة واي مخالفة اشد من ان تضع جسماً في الجمد فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ وتضعهُ امام بعض الاجسام فيجعلها تنير في الظلام من غير ان ينبعث منهُ نور منظور . هذا شأن الراديوم فانهُ يوضع في الثلج فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ ويوضع امام حجر من الماس في الظلام فينير الماس كأنهُ عكس النور من جسم منير

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاشعة التي تتولد من الراديوم على ثلاثة انواع سميت باسماء الاحرف الثلاثة الاول من حروف الهجاء اليونانية . النوع الاول منها ذرات صغيرة تندفع من الراديوم بعنف شديد وتطير بسرعة فائقة . والنوع الثاني مثل المجاري السلبية المتولدة عند القطب السلبي في البطرية الكهربائية او عند القطب السلبي في انابيب كروكس وهي اوضح الاشعة المتولدة من الراديوم واكثرها نفعاً على ما يظهر حتى الآن وهي التي تجعل بعض الاجسام ينير في الظلام وتؤثر في الواح التصوير الشمسي ولو بعد ان تخرق لوحاً من الحديد

سماكتهُ عقدة (بوصة) والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن ويفعل فعلها في التصوير ونحوهِ

قلنا ان بعض هذه الاشعة نافع ومن اوجه نفعهِ التي ظهرت حتى الآن ان يميز بهِ الماس عن الزجاج فاذا وضع حجر من الماس مع قطعة من الراديوم في غرفة مظلمة اضاء الماس ضوءا ساطعاً واما الحجارة الزجاجيَّة التي يقلد بها فلا تضيءُ مطلقاً

الاَّ ان خروج الاشعة من الراديوم وتولدها بسببهِ ليسا بالمميز الوحيد لهُ ولا هو منفرد بهما لان عناصر اخرى تشاركهُ في ذلك حتى الماء الخارج من اعماق الارض كما بيَّن الاستاذ طمسن حديثاً . وكذلك لا يستغرب انبعاث الجواهر منهُ لان الاجسام التي تتبخر تطير الجواهر منها ولكن جواهرها التي تطير تبقى من نوعها تماماً ولو تغير شكلها الطبيعي الظاهر واما جواهر الراديوم فتتغير صفاتها الكيماوية وتصير كأنها من عنصر آخر ويبقى منها غاز ثقيل في مسام ملح الراديوم اذا مرَّ على مادة مما ينير نوراً فصفورياً جعلها تنير نوراً ساطعاً . ولم تعرف حقيقة هذا الغاز الكيماوية حتى الآن ولا تبقى قوة الانارة فيهِ الاَّ اياماً اواسابيع ثم انهُ يترك على ما يمرُّ عليهِ من الاجسام راسباً جامداً يختلف عنهُ ولا تعلم حقيقتهُ ايضاً . وتسهل اذابة هذا الراسب وترسيبهُ ثانيةً من غير ان يُرى او يوزن او يستدلَّ عليهِ بدليل آخر غير قوَّة الانارة التي فيهِ ولا يعلم ماذا يجري لهُ بعد ذلك . ويحتمل انهُ يتولَّد من كل العناصر متولدات مثل هذا ولكن لا سبيل الى الاستدلال عليها ولولا الانارة في ما يتولَّد من الراديوم ما كنا ادركنا وجودهُ

ثم ان هذا الراسب او المتولد يجري مجرى الغاز في مرورهِ من انبوب الى آخر واذا برّد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت صار مثل السائلات ولم يعد ينتقل في الانابيب كالغازات ولكن تبقى قوة الانارة فيهِ

فما هو هذا الجسم او الغاز الذي يطير من الراديوم وكيف لا يدرك الاَّ بقوة الانارة التي فيهِ ولا يعرف لهُ ثقل مهما دقت الموازين . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج العالم الطبيعي في هذا المعنى

ان جواهر المادة ليست بسيطةً كما كان يُظن بل هي مركَّبة كلٌّ منها مؤلف من دقائق صغيرة جداً متحركةً حركةً مستمرة ضمن الجوهر وتبقى ضمنهُ بفعل كهربائي يوازن الجذب بالدفع فما دامت هذه الموازنة محفوظة فالجواهر تبقى على حالها ولكن يظهر ان دوام الحال من المحال في كل شيءٍ فان بعض هذه الجواهر وهو واحد من مليون او مليون مليون يقع خلل فيهِ فتزول الموازنة من بين دقائقهِ اما لزيادة سرعتهِ عن الحد الذي تحفظ فيها دقائقهُ بعضها مع

بعض او لسبب آخر فيتكسَّر وتطير شظاياهُ بسرعة فائقة بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان وهي النوع الاول من اشعة الراديوم

فاذا اصابت هذه الشظايا حاجزًا فصفوريًا جعلتهُ ينير واذا اصابت جواهر اخرى من جواهر الراديوم نفسهِ اضطرت ان تقف في سيرها فتتحوَّل حركتها الى حرارة فتزيد حرارة الراديوم قليلاً باستحالة حركة بعض جواهرهِ الى حرارة . اما الحركة التي كانت تحركها شظايا جواهرهِ فغير معروفة بين انواع الحركة المعروفة وهي الدوران والانتقال والاهتزاز والشد فيجب ان يزاد الآن الى هذه الانواع الحركة التي تحركها دقائق الجوهر الفرد

ثم ان خروج هذه الشظايا من الراديوم يصحبهُ ارتجاف في جواهرهِ فتخرج بعض دقائقها منها وهي صغيرة جدًا ولصغرها تمرُّ في مسام الاجسام كأنها في فلاة قفراء حتى ان لوح الحديد الذي ثخنهُ عقدة لا تجد اقل صعوبة في اختراقهِ وهي النوع الثاني من اشعة الراديوم. وخروجها من الراديوم ينتج عنهُ ردُّ فعل فيهِ تتولد منهُ الاشعة الثالثة من اشعة الراديوم وهي مثل اشعة رنتجن كما تقدم

ثم ان جوهر الراديوم الذي خرج بعض دقائقهِ وطار منهُ لا يبقى جوهرًا كاملاً ولا تبقى فيهِ خواص عنصر الراديوم بل يصير عنصرًا آخر لا يعلم ما هو حتى الآن . لكن الجواهر التي يصيبها ذلك قليلة جدًا بالنسبة الى ما حولها من الجواهر التي لا يصيبها شيء فلا تدرك وحدها لان الجسم غير قائم بها بل هي فيهِ فضلة زائدة لا يعتد بها كأنها قطرة في بحر وذهاب بعض دقائقها يضعف قوتها فتصير اشد تعرُّضًا للتمزُّق والتفرُّق فتتمزَّق بعد ساعات او ايام ويتولَّد منها الراسب الذي اشير اليهِ قبلاً وهو غير ثابت ايضًا فيتمزق بعد مدة طويلة او قصيرة وقد تتولَّد منهُ مواد اخرى ولكن الاستدلال عليها صعب لانها ادق من ادق وسائل الكشف المعروفة

واسهب السر اوليفر لدج في تعليل ذلك بما لا يخرج عن حد الظنون وقال انهُ يمكن تفسير نور الحباحب الآن بان الحباحب تتحكم في حركة بعض دقائق جسمها حتى تكون نورًا كنور الراديوم بدلاً من ان تكون حرارة وقد اختار في ما قالهُ عن نور الراديوم وحرارتهِ مذهبًا من مذهبين وهو مذهب الاستاذين رذرفورد وصدي وترك مذهب السر وليم كروكس والدكتور جنصتن ستوني ومفادهُ ان الراديوم يجمع القوى من الاثير المحيط بهِ لان المذهب الاول اوجه من المذهب الثاني ولو لم تقم الادلة الكافية على تأييدهِ حتى الآن

هذا ولا بدَّ من ان يقوم اصحاب التلبثي الآن ويقولوا انهُ اذا خرج من جواهر الراديوم دقائق صغيرة تسير بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان فما ادرانا انهُ لا يخرج من

جواهر الدماغ دقائق صغيرة عند التفكير تسير بمثل هذه السرعة وتؤثر في بعض العقول التي تقبل التأثر بها فيعلل بذلك انتقال الافكار على ما هو مشهور . الا ان المحققين يقولون لهم اثبتوا لنا انتقال الافكار اولاً بالدليل القاطع ومتى ثبت لا يتعذر اظهار سببه

ربة الحسن والقلم

مدادكِ في ثغر الزمان رضابُ — وخطكِ في كلتا يديهِ خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفهُ — فلا بدع في ان اليراع شهابُ
كلحظكِ او امضى وان كان آسياً — جراح اللواتي ما لهن قرابُ
يمجّ كمثل الشهد مجتهُ نحلة — وان لم يكن فيما يمجّ شرابُ
ويكتب ما يحكي العيون ملاحة — وما السحر الا مقلة وكتابُ
فدونكِ عيني فاستمدي سوادها — وهذا فؤاد طاهر وشبابُ
أرى الكف من فوق اليراع حمامةً — وتحت جناحيها يطير غرابُ
كأن اديم الليل طرس كتبتهِ — وفيهِ تباشير الصباح عقابُ
كأن جبين الفجر كان صحيفة — كأن سطور الخط فيهِ ضبابُ
كأن وميض البرق معنى قدحتهِ — كأن التماع الافق منهُ صوابُ
كأنكِ اما تنظري في كتابة — ذُكاء واوراق الكتاب سحابُ
اراكِ ترجين الذي لستِ اهلهُ — وما كل علم إبرة وثيابُ
كفى الزهر ما تندى بهِ راحة الصبا — وهل للندى بين السيول حسابُ
وما احمق الشاة استغرت بظلفها — اذا حسبت ان الشياه ذئابُ
فحسبكِ نبلاً قالت الناس أنجبت — وحسبكِ فخرًا ان يصون حجابُ
لك القلب من زوج وولد ووالد — وملك جميع المالكين رقابُ
ولم تخلقي الا نعيماً لبائس — فمن ذا رأى ان النعيم عذابُ
دعي عنكِ قوماً زاحمتهم نساؤهم — فشوكل ماء ناقع وسرابُ
تساووا فهذا بينهم مثل هذهِ — وسيان معنى يافع وكعابُ
وما عجبي ان النساء ترجلت — ولكن تأنيث الرجال عجابُ

مصر — مصطفى صادق الرافعي

مصرع ملك

تتضمن ذكر مقتل الملك اسكندر والملكة دراجا زوجتهِ اللذين فتك بهما رؤساء الجيش السربي ونشر خبر حادثتهما المقتطف في الجزء السابق

لم اجد مثلهُ حبيباً اساء ... جلب البغض حبهُ والعداء
ملك كان للهوى عبد رقٍ ... يتولاهُ فاعلاً ما شاء
جعل الملك خاتماً او سواراً ... في يدَيْ زوجةٍ لهُ حسناء
ملكت قلبهُ وعرشاً شقيًّا ... لم يجد بين اهلهِ اكفاء
خادم رأسها تحمّل تاجاً ... فهوى التاج عزة وإباء
وارتفاع الوضيع من غير حقٍ ... لهو الرزء يجلب الارزاء
ثم قامت تريد ان تهب التا ... ج أخاها تحكماً واعتداء
فنما في البلاد حزب انوفٌ ... لم يشأ ان يسوّد الخدماء
قال هبُّوا بنا فقد آن ان يضعـ ... ـف ملكٌ يظنكم ضعفاء
علموا المستبدَّ ان الرعايا ... تحسب الناس والملوك سواء
فاذا اصلحوا فذلك عدلـ ... واذا أفسدوا استحقوا الجزاء
واتوا قصرهُ وقد بسط الليل ... عليهِ سحابة سوداء
وسكون الدجى يقول هلموا ... لا تخافوا في الارض من رقباء
غفلت عنكم العيون لاني ... قد جعلت الكرى عليها غشاء
فلقوهُ وقد خلا بالتي جرّ ... هواها عليهِ ذاك البلاء
قال صدري اليكمُ فاقتلوني ... ودعوني اموت عنها فداء
فاستخفوا بهِ وساموهُ امرينِ ... طلاقاً لها أو استعفاء
او فهم جاعلوهُ عبرة قوم ... حكّموا في السياسة الاهواء
فأبى ان يذلّ من بعد عزٍ ... وابى الحبُّ منهُ الاَّ وفاء
والمرء يقتل العزائم حتى ... ينبذ المجدَ أهلهُ والعلاء
فقضى العاشقان قتلاً ومَن لم ... يرحم الناس لم يجد رحماء

قل لبعض الملوك في الشرق عدلاً ... قبل ان تسفك الدماة دماء
ذهب اليوم يوم كانت ملوك ... الارض فيها اربابها الاقوياء

وقضى العدل فيهم للرعايا ان يصيروا خدامها الامناء
ملك السرب مات قتلاً واضحى قاتلوهُ بقتله احياء
ضلَّ من يحسب الرجال ارقاء ومن يحسب النساء اماء
لم يجز سيدٌ ولا جار الأ بين قوم لا يعرفون اجتراء

القاهرة نقولا رزق الله

عمران العراق

العلم والتعليم

لا نعلم كم عدد العارفين بالقراءة والكتابة الآن في ولاية بغداد بالنسبة الى عدد الاميين ولكن اذا قسنا تلك الولاية بسائر الولايات العثمانية ترجح لنا ان العارفين بالقراءة والكتابة فيها كانوا منذ اربعة آلاف سنة اكثر منهم الآن بالنسبة الى سائر السكان كما ان عمران بلادهم كان ارقى مما وصل اليهِ في هذا العصر . ولو لم يكن لذلك مثيل في القطر المصري لعسر علينا تصديقهُ لكن القطر المصري قد نهض منذ عشرين سنة واذا استمرَّ عشرين سنة اخرى سائرًا في خطة ارتقائهِ لم يبقَ لنا سبيل للشكوى من تأخرهِ

وقولنا ان بلاد العراق كانت منذ اربعة آلاف سنة ارقى عمرانًا مما هي الآن لا يصدَّق ما لم نقم عليهِ الادلَّة وهذه الادلَّة متوفرة الآن بعد ان كُشف كثير من مكاتب البابليين وقرئ ما فيها من الكتب . وصفائح تلك الكتب ليست من الورق ولا من الرق ولا من البردي بل من الخزف ولذلك قاوت الدهر كل هذا الزمان والكتابة دقيقة جدًّا تتعذَّر رؤية بعضها من غير بلورات مكبّرة وهي منقوشة نقشًا قبل شي الخزف

وقد عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهبًا في كتابهِ عن بابل واشور تكلَّم فيهِ على التعليم عند البابليين فقال ما خلاصتهُ

شاع التعليم في بلاد بابل من عصر السماريين وقد وجدت صفيحة لتعليم الكتابة وفي اعلاها القاعدة التي يتعلم التلميذ الكتابة عليها ويقال فيها "النجيب في المدرسة يرتقي كالفجر" وكان البنات يتعلمن القراءة والكتابة ومبادئ العلوم كالصبيان . وقد وُجدت مكاتيب كتبتها النساء من ذلك كتاب كتبتهُ امرأة الى ملك مصر وجد بين صفائح تل الامرنة . ويظهر من رقيم كتبهُ رجل الى خطيبتهِ او عشيقتهِ انها كانت تقرأ وتكتب لانهُ يقول لها فيهِ

ما ترجمتهُ " الى السيدة كسبية هذا ما يقولهُ جميل مرودخ لتعطلكِ الهة الشمس الحياة الابدية اني اكتب اليك لاسأل عن صحتك فتكرمي عليَّ بالجواب وقد اتيت بابل ولكنني لم اركِ فانشغل بالي . حينما يأتين اليها ارسلي اخبريني حتى اطمئن تعالي في شهر مرسفان ودام بقاؤكِ للداعي

وقال الملك اشور بنيبال انهُ تعلم في القسم المختص بالنساء من القصر لكن الذين علموهُ كانوا رجالاً

ولم يكن تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل لكثرة الحروف او العلامات الدالة على الحروف والكلمات ولكثرة المشابهة بينها ولو اختلفت معانيها ولكثرة الكتابة اساليب واختلاف الحروف باختلافها . وكان ينتظر من التلامذة ان يتعلموا ذلك كلهُ ولبعض حروفهم اكثر من لفظ واحد وكانوا يستعملون بعض العلامات للدلالة على المعاني من غير التجاء الى الحروف الهجائية وكان لابدَّ لهم من تعلم اللغة السمارية مع اللغة البابليَّة اي السامية او العامية ومن كلماتهم ما كان يكتب بحروف سمارية ويلفظ كأنهُ مكتوب بحروف بابليَّة

والظاهر انهم كانوا يعتنون بتعليم اولادهم لان كتاباتهم الباقية الى الآن قليلة الغلط اللغوي وتكاد تكون خالية من كل غلط في التهجئة . وكتب التدريس غاية في الجودة وحسن الاسلوب وفيها كل ما يلزم لتسهيل العلوم وتقريب تناولها

وكان عندهم قواميس للغة السمارية وتفسيرها باللغة البابليَّة اي الساميَّة وكتب صرف ونحوٍ ذكرت فيها قواعد اللغة السمارية باللغة السامية. وكتب للمطالعة مشحونة بفصول وقطع مقتبسة من الكتب البليغة واكثرها باللغة السمارية ولكن تذكر معها ترجمتها باللغة العامية اي لغة بابل او اللغة الساميَّة وعندهم ايضاً تفاسير لكتب المؤلفين الاقدمين فسروا فيهاما اشكل من الفاظها وعباراتها وما غمض من معانيها . وكان التلامذة يكتبون التمارين اما عن قاعدة توضع امامهم او من ذاكرتهم فيتمرنون بذلك على الخط والتهجئة ويستفيدون من معنى ما يكتبونهُ وبعض هذهِ القواعد تاريخي او جغرافي فيتعلم التلامذة بعض الامور التاريخيَّة او الجغرافية وهم يعلمون الخط والتهجئة . وبعضها شعر او نثر بليغ فيتعلمون البلاغة وهم يتعلمون الخط

ومن رأي الاستاذ سايس ان دقة الحروف التي كانوا يكتبون بها تدعو الى تبصر البصر لان منها مالا يرى الاَّ بالبلورات المكبرة ولكنهم كانوا يكثرون من ترويض اولادهم في الخلاء فيعود بصرهم الى رؤية الاشباح البعيدة

وكان في الكتاب من كتبهم صفائح كثيرة كل صفيحة منها بمثابة فصل قائم بنفسهِ ويكتب في آخر كل صفيحة عدد سطورها والكتاب الذي هي منهُ واول سطر من الصفيحة التي تليها حتى لا يقع خطأ في جميع الصفائح بعضها مع بعض . ويطلق على كل مجموعة من هذه الصفائح اسم الكلمة التي تبدأ بها الصفيحة الاولى منها فيقال مثلاً في آخر الصفيحة الرابعة من صفائح خبر الخليقة " فيها مئة وستة واربعون سطرًا وهي الصفيحة الرابعة من الكتاب الذي فاتحتهُ "الذي لم يعلن في الاعالي" " ويتلو ذلك السطر الاول من الصفيحة التالية. وكان عندهم فهارس كتبوا فيها اسماء الكتب التي في مكاتبهم واسماء مؤلفيها واول سطر من كل كتاب منها وكانوا يرتبون الكتب على رفوف في المكاتب وقد وجد المسيو ده سرزك ٣٢٠٠٠ كتاب منها في جنوبي بلاد الكلدان وكانت لم تزل على ترتيبها الذي رُتبت فيهِ منذ الفين وسبع مئة سنة

والمواضيع التي الفوا فيها كثيرة مثل التاريخ والجغرافية والشريعة والمراسلات العمومية والخصوصية واللغة وعلم الحيوان والجماد والفلك والتنجيم وعلوم الدين. واضافوا الى ذلك البحث في العيافة والعرافة وما اشبه من العلوم الخرافية. ووجد في مكاتبهم دواوين شعرية وكتب ادبية ونسخ من الحجج والصكوك والشروط والاحكام الشرعية والكشوف عن المقتنيات فكانت مكاتبهم بمثابة الكتبخانات والدفترخانات تحفظ فيها كتب العلماء والادباء وسجلات الولاة والقضاة

وكان في كل مدينة كبيرة مكتبة من هذه المكاتب وكتّاب او امناء يقومون على حراسة كتبها ونسخ ما قدُم عهدهُ منها و تصحيحهِ او تأليف كتب جديدة . ويراد بالتصحيح اعادة الحروف التي طمست لقدم عهدها وكان الكاتب لا يقدم على تصحيح حرف من ذلك الاَّ بعد ان يثبت الصورة التي وجدهُ فيها والصورة يظن انها كانت لهُ . وكان هؤلاء الكتبة غاية في التدقيق والامانة فلا يلقون الكلام على عواهنهِ ولا يأنفون من الاعتراف بالجهل اذا جهلوا شيئًا

واذا حارب ملوكهم بعضهم بعضاً قتلوا الرجال واستحيوا الكتب لاعتقادهم انها في حرز الالهة. فكانوا ينقلونها من مدينة اخرى كانها كنوز ثمينة ويضعونها في هيا كلهم غالبًا ولذلك كان نسخها والقيام على حفظها من الاعمال الدينية التي تنيل فاعلها رضى الالهة وغفران ذنوبهِ

وكانت المدارس تُبنى الى جانب المكاتب حتى يستفيد الطلبة من مطالعة الكتب. واتسعت مدارسهم على مرور الايام حتى صارت كليات جامعة كالكلية التي ذكرها المؤرخ سترابو وقال انها كانت في ضواحي بابل والظاهر انها كانت لتعليم صناعة الطب خاصة كما يظهر من كتاب طبي وجد فيها وهو الآن في دار التحف البريطانية

ولشيوع التعليم في بابل كثرت اساليب الخط ولم تعد لهُ طريقة واحدة كما في البلدان

التي ينحصر العلم فيها في طبقة مخصوصة من الناس . وقد وُجدت نسخة من كتاب الخليقة نسخها ابن رجل فقير من الذين يُستخدمون لري الارض . فاذا تعلَّم اولاد الاجراء الفقراء القراءة والكتابة فذلك دليل على ان التعليم كان شائعاً تمام الشيوع . ويستدلُّ من بعض الحجج والصكوك ان العبيد كانوا يحسنون القراءة والكتابة ايضاً

ولم يقتصر تعليمهم على قراءة الكتب وكتابتها بل كانوا يضطرون الى تعلم اللغة السمارية القديمة بعد ان أُهملت ولم يعد يتكلَّم بها الاَّ العلماء وصارت كالعربيَّة الفصيحة بالنسبة الى العاميَّة او كاللاتينية بالنسبة الى الايطالية والفرنسوية

وكان اولادهم يتعلمون اللغة السمارية كما يتعلَّم ابناء اوربا اليوم اللغة اللاتينيَّة او كما يتعلَّم اولادنا العربيَّة المعربة بحفظ قواعد الصرف والنحو ومطالعة كتب الادب ودواوين الشعراء واستظهار كثير منها الاَّ انهم فاقونا في كتابة لغتهم البابلية فكانوا يترجمون من اللغة القديمة (اي السمارية) الى اللغة الحديثة (اي البابلية او الساميَّة) وبالعكس ولا يزال كثير من التمارين التي كانوا يتمرنون بها على هذه الصورة لتعلُّم اللغة القديمة محفوظاً الى الآن

ثم انهم كانوا يتعلمون لغات الامم المجاورة لهم ولما انتشرت اللغة الارامية لغة سورية وصارت لغة التجارة كالفرنسوية الآن صار البابليون يتعلمونها ويستعملونها في تجارتهم كما يتعلم اولادنا اللغة الفرنسوية . واقام التجار الاراميون اي السوريون في بابل واشور وانشأُوا فيها محلات تجارية واسعة كما اقاموا في مرسيليا وقرطاجنة ومصر في الزمن القديم وكما لا يزالون يقيمون حتى الآن في مراكز العمران فترى بيوتهم التجارية في الاسكندرية ومرسيليا وباريس ولندن ومنشستر ونيويورك . ولما جاء ربشاقى وزير سنحاريب الى اورشليم ليخاطب اهلها في امر التسليم على ما جاء في التوراة طلب رؤساء اليهود منهُ ان يكلمهم بالارامية لا باليهودية على مسامع الشعب فابي الاَّ ان يكلمهم باليهودية . ويستدل من ذلك انهُ كان يعرف الارامية واليهودية ايضاً مع انهُ لم يكن من علماء امتهِ بل من وزرائها

ثم ان اعتناءهم بتعليم اللغات دعاهم الى المباحث اللغوية ولا سيما الى البحث عن اشتقاق الكلمات في لغتهم واللغات المجاورة لهم وعن معاني الاعلام في اللغة السمارية القديمة

وكانوا يميلون الى علم التاريخ ولو لم يبرزوا فيهِ كالاشوريين . وآخر ملك من ملوكهم كان مؤرخاً وباحثاً عن تواريخ اسلافهِ وقد نقب في اطلال المدن القديمة ليقف على الحقائق التاريخية

الاَّ انهم لم يقتصروا على العلوم الصحيحة بل عكفوا ايضاً على العلوم الباطلة كالعرافة والتنجيم وكان للعرافة شأن كبير عندهم لانهم كانوا يميلون الى البحث عن العلل فاذا رأوا شيئاً

سبق معلولاً وجرى على نسق واحد مرارًا قالوا انهُ علة لهُ فاذا دخل كلب بيتاً ولم يمرض احد من ابنائهِ اوكان مريضاً فشفي قالوا ان دخول الكلاب الى البيت فال حسن وان دخل بيتاً فمرض واحد من ابنائهِ اوكان مريضاً فاشتدَّ مرضهُ قالوا ان دخول الكلاب بيتاً شؤم على سكانهِ. واتفق ان ولدًا ولد من غير فم وانهدم بيت عند ولادتهِ فقالوا ان انهدام البيت نتيجة لازمة عن ولادة ولد من غير فم او مشوَّه الخلقة وهلم جرًّا. وقد جمعوا كثيرًا من هذه الحوادث الجزئية وبنوا عليها احكاماً كلية مع قلة الاستقراء فيها وقلَّة الرابطة بين ما ظنوهُ علة وما ظنوهُ معلولاً

ومن هذا القبيل علم التنجيم فانهم استدلوا بالحوادث الفلكيَّة على الحوادث الارضيَّة وربطوها بها لكن علم التنجيم لم يكن عقيماً لانهُ دعاهم الى تخطيط السماء وقسمة نجومها الى مجاميع وتعيين الابراج لنزول الشمس والقمر. وحسبوا اوقات الخسوف والكسوف بعد مراقبات كثيرة مدة سنين عديدة وكتبوا في النجوم ذوات الاذناب وفي اقترانات الشمس والقمر ومدة دوران القمر والزهرة. وقسموا السنة الى اثني عشر شهرًا كلاً منها ثلاثون يوماً واضافوا اليها شهرًا كل نحو ١٢٠ سنة ليزول الفرق وسمَّوا الشهور اولاً باسماء ابراج السماء وكان عندهم سنة قمريَّة وسنة شمسيَّة وحسبوا نجم العيوق مبدأً حسبوا منهُ بُعْد الشمس للاستدلال على بدء السنة ثم جعلوا يحسبون بداءة السنة من الاعتدال الربيعي. وهذه الحقائق وامثالها علمت اكثرها من المكاتيب الباقية الى الآن بين آثار بابل واشور ومصر مثال ذلك كتاب كتبهُ طبيب اسمهُ ارادنانا الى الملك اسرحدُّون يقول لهُ فيهِ اما من جهة الرعاف فيظهر من تقرير الرب ماج (اي رئيس الاطباء او الحكيمباشي) انهُ حدث نزف كثير امس نحو المساء لان الرفادة لم توضع في مكانها بل وُضعت خارج المنخرين فعاقت التنفُّس ووقعت حالما ابتدأ النزف فيجب ان توضع داخل المنخرين فتمنع الهواء وتوقف النزف واذا شاء سيدي الملك فاني اذهب غدًا بنفسي وارشدهم الى مايجب عملهُ". وكتاب آخر كتبهُ هذا الطبيب الى الملك يقول فيهِ " الى الملك سيدي من عبدهِ ارادنانا سلام ابديٌّ للملك سيدي ان حالة المصاب بالرمد آخذة في التحسُّن فقد وضعت رفادة على عينيهِ ونزعتها امس مساء فوجدتُ عليها صديدًا كرأس الخنصر. ليفرح سيدي الملك وليطمئن بالهُ فان الرمد سيشفى تماماً في سبعة ايام او ثمانية"

وكتب منجم اسمهُ ايل استار الى ملك اشور وكان هذا الملك قد كتب اليهِ من نينوى ليرصد لهُ خسوف القمر وكسوف الشمس فقال " اما من حيث خسوف القمر الذي كتب اليَّ عنهُ سيدي الملك فقد اقمت الرصد على رصدهِ في اكد وبرسبا ونبدر " ثم يتلو ذلك وصف الكسوف لكن الكتابة محاة تعسر قراءتها الان. الى ان يقول " وقد امرني سيدي الملك

ان ارصد كسوف الشمس ايضاً فوجدت بعد المراقبة ان الكسوف للقمر لا للشمس وقد كان تامًّا في بلاد الشام ووقع الظل على بلاد الاموريين وبلاد الحثيين وجانب من بلاد الكلدانيين"

ويظهر من ذلك انهُ كان عند البابليين مراصد كثيرة لرصد الافلاك وانهم كانوا يعرفون من علم الطب وعلم الفلك اكثر مما يعرف خلفاؤُهم الآن وقس على ذلك سائر العلوم. فاين ضاع ذلك العمران وماذا حلَّ بهِ ولماذا لا ترجع البلاد الى عهدها الاول اذا لقيت من العناية ما لقيت منذ اربعة الاف عام حين كانت وسائط العمران على اقلها في الدنيا كلها

التدوين في الاسلام

لا يعلم على التحقيق اذا كان العرب قبل الاسلام دوّنوا شيئاً من آدابهم واخبارهم لغلبة الامية على سكان وسط الجزيرة اما في الاسلام فبدأ تدوين القرآن ثم تبعهُ تدوين الآثار وغيرها . اخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال ارسل اليَّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعندهُ عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس واني لاخشى ان يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الاَّ ان يجمعوهُ واني لارى ان يجمع القرآن. قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئاً لم يفعلهُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيهِ حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعهُ. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان اثقل عليَّ مما كلفني بهِ من جمع القرآن. فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعلهُ النبي (ص) فقال ابو بكر هو والله خير. فلم ازل اراجعهُ حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعهُ من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم اجدهما مع غيره "لقد جاءكم رسول من انفسكم" الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها اه

هكذا دُوّن اول كتاب واشرفهُ في الاسلام اما العلوم الاخرى فقد ذكر احد الثقات ان اول من أَلَّف في المغازي موسى بن عقبة بن صغار التابعين وقال بعضهم ان التدوين لم يحدث الاَّ سنة سبعين للهجرة ويقال ان الصحابة دونوا شيئاً من الحديث . وفي صحيح

البخاريّ ان عمر بن عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبهُ فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل الأ حديث النبي (ص) وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلّم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا . ولا عجب اذا كان هذا مبلغ عناية القوم في الصدر الاول بامر التدوين فقد ورد الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفي رواية بالكتاب

قال حسن صديق خان في ابجد العلوم واعلم انهُ اختُلف في اول من صنف فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصريّ المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة ذكرهما الخطيب البغدادي وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ستين ومائة قالهُ ابو محمد الرامهرمزي ثم صنف سفيان بن عيينة ومالك بن انس بالمدينة المنوّرة وعبد الله بن وهب بمصر ومعمرٌ وعبد الرزاق باليمن وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة وحماد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة وهشيم بواسط وعبد الله بن مبارك بخراسان

وقال بعض المؤرخين ان اول كتاب أُلف في الاسلام كان في القرن الثاني وهو كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير ثم تبعهُ كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن في السنن النبوية المأثورة ثم كتاب الموطأ . وقد انكر الامام احمد بن حنبل على مؤلفهِ الامام مالك في انهُ اتى ما لم يأتهِ الصحابة . وقال غيرهُ ان قد دوّن مالك ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب بالمدينة وابن جريج وابن عيينة بمكة والتوزيّ بالكوفة وربيع بن الصبيح بالبصرة

حكى السيوطيّ ان المنصور لما حج قال لمالك قد عزمت ان آمر بكتبك هذه التي صنفتها فتنسخ ثم ابعث في كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم بان يعملوا بما فيها ولا يتعدوا الى غيرهِ فقال يا امير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم واتوا بهِ من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم . ويحكى نسبة هذه القصة الى هرون الرشيد وانهُ شاور مالكاً في ان يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيهِ فقال لاتفعل فان اصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكلٌّ سنة مضت قال وفقك الله يا ابا عبدالله

هذا ما كان من امر العلم الاسلامي اما العلوم السائرة فقد ذكر ابن عبد ربه ان عبدالله بن يزيد كان ناسكاً وخالد بن يزيد عالماً لم يكن في بني أُمية ازهد من هذا ولا اعلم من هذا قال ابن خلكان كان خالد من اعلم قريش بفنون العلم ولهُ كلام في صنعة الكيمياء والطب

وكان بصيرًا بهذين العلمين واخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال لهُ مريانس الرومي ولهُ فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهنَّ ما جرى لهُ مع مريانس وصورة تعلمهِ منهُ والرموز التي اشار اليها . وخالد مات سنة خمس وثمانين للهجرة

ويقول ابن خلدون ان اول من دوّن في الكيمياء عند العرب جابر بن حيَّان امام المدونين حتى انهم يخصونها بهِ فيسمونها علم جابر قال وربما يُعزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيّن ان خالدًا من الجيل العربي والبداوة اليهِ اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف لهُ بصناعة غريبة المنحى مبنيَّة على معرفة طبائع المركبات وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهمَّ الاَّ ان يكون خالد بن يزيد آخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمهِ فممكن . ويؤخذ مما قالهُ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي وكان قدم الشام فاتى عمتهُ امنة بنت سعيد بن العاصي وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليهِ فرآهُ فقال لهُ ما يقدم علينا احد من اهل الحجاز الاَّ اختار المقام عندنا على المدينة فظن محمد انهُ يعرّض بهِ فقال وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح (الجمال) فتزوجوا امك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليهِ يعني الكيمياء وكان يعلها — يفهم من قولهِ ان خالدًا كان يعاني الكيمياء وهذا يؤيد ما رواهُ ابن خلكان من رسائلهِ فيها

وروى ابو عبيدة وابن خلكان وغيرهما ان كتب عمرو بن العلاء احد القراء السبعة وكان اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ان كتبهُ التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا الى قريب من السقف ثم انهُ تقرأ اي تنسك فاخرجها كلها وقيل احرقها فلما رجع الى علمهِ الاول لم يكن عندهُ الاَّ ما حفظهُ بقلبهِ . وكانت ولادة عمرو بن العلاء سنة سبعين وقيل ثمان وستين وقيل خمس وستين وتوفي سنة نيف وخمسين ومائة . وكيف يا ترى بدأ التدوين من القوة والكثرة حتى بلغت كتب ابن العلاء مخدعًا كاملاً في منتصف القرن الثاني على ان ذلك لا يستكثر من العرب وقد كانت نشأتهم الاجتماعيَّة على ما عُرف من القوة المدهشة

وقال القرماني ان السفَّاح اول خلفاء بني العباس كان اول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت لهُ الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس . وقال الذهبي في سنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن

ابي عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبهُ ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وفي هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة

وقال الغزالي اذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدًا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره ابو بكر وجماعة من الصحابة (رض) تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئًا ما فعلهُ رسول الله (ص) وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاهُ بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر (رض) وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفًا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرًا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليهِ في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر (رض) لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيف الموطإ ويقول ابتدع ما لم تفعلهُ الصحابة (رض) وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس (رض) بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيهِ سننًا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطإ بالمدينة لمالك بن انس ثم جمع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام

محمد كرد علي

(المقتطف) يتضح مما تقدم على ما فيهِ من الاختلاف الكثير ان العرب لم يدونوا كتابًا من كتبهم الا في اواخر المئة الاولى او اواسط المئة الثانية . ولا يخفى ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم فتوقفهم عن كتابة اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة امر عجيب في ذاتهِ واعجب منهُ ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعهُ اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبرًا سمعناهُ في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين

مَنُّ النبات

كثيرًا ما ترى على اغصان الورد الطرية حشرات صغيرة جدًّا خضراء منتشرة بعضها بجانب بعض حتى تغطي الغصن الذي هي عليهِ . وترى مثلها على اغصان اللوز والخوخ وما اشبه لكنها تكون هناك سوداء او بنية اللون. وتراها ايضًا على بعض البقول كالخيار والقثاء والكرنب وهي اما خضراء او رمادية اللون. ويطلق عليها كلها اسم مَنّ النبات وهي من جنس واحد ولكن اختلاف طرق معيشتها والفصول التي تظهر فيها والنباتات التي تعيش عليها جعلها تختلف لونًا وتختلف بناء ايضًا فمنها ما يلصق بما يقع عليهِ من النبات بشوكة لولبية يغرزها في ورق النبات او حائطهِ حتى لا تعصف بهِ الرياح ومنها ما لا يستطيع الطيران ما لم يلقِ نفسهُ على ظهرهِ ويدور على نفسهِ بسرعة نحو خمس عشرة دورة

واغرب من ذلك ان من المن ما يتعاقب في تولدهِ فيلد اولادًا تخالفهُ تمام المخالفة حتى لا يظن احد انها اولادهُ ثم تلد هذه الاولادُ اولادًا مثل اجدادها تمامًا ويدور الدور على ما تقدم فيتماثل النسل الاول والثالث والخامس والسابع وهلمَّ جرًّا ويتماثل ايضًا النسل الثاني والرابع والسادس والثامن ولكن الاول لا يماثل الثاني ولا الثاني الثالث اي ان الولد يخالف اباهُ ويماثل جدَّهُ . وقد يعيش النسل الاول والثالث على ورق النبات واما النسل الثاني والرابع فلا يعيشان على الورق بل على الجذور تحت الارض

وتتفق انواع المن في انها كلها آلات حيَّة لصنع العسل او الدبس من عصار النبات . وقد ذقنا عسلها مرارًا فوجدناهُ مثل احلى انواع العسل طعمًا من ان عصار النبات الذي كان عليهِ مرٌّ عفص. فتراهُ يغرز خرطومهُ في قشر الاغصان او الاوراق ويمتص العصار منها ويخرجهُ من قرنين في ظهرهِ فيخرج منهما سائلاً دبقًا كقطر السكَّر. والنمل المشهور بحبهِ للمواد الحلوة الطعم واستنشاقهِ رائحتها عن بُعْدٍ يسعى وراءهُ ويمتص عسلهُ او يدغدغهُ بقرنيهِ حتى يفرز العسل كأنهُ الحلاَّبات يحلبن البقر . واذا كان لا بدَّ للمن من ان يعيش على النبات فالنمل رحمة للنبات لا نقمة لانهُ اذا لم يتلقَّ العسل ويأكلهُ سقط على اوراق النبات وانبسط عليها وطلاها بطلاء كالغراء فتيبس لانهُ يسدُّ مسامها ويمنع تنفسها . غير ان فائدة النمل هذه يوازيها ضررهُ في نقل المن من غصن الى آخر. ويقال ان النمل لا يكتفي بتسويم بقرات المن وحلبها بل يزربها في قراهُ ايام اشتداد البرد حتى يغتذي بعسلها حينئذٍ

وتتفق اكثر انواع المن ايضًا في انها تبقى بلا اجنحة ما دام طعامها غزيرًا ومرعاها نضيرًا

ولكن اذا قلّ الغذاء وصار لا بدَّ لها من الرحيل او تموت جوعاً نبتت لها اجنحة فتشد الرحال لانتجاع مراعٍ جديدة

ومن اغرب ما في طبائع المن كثرة توالدهِ فان الواحدة منهُ تصير ٢٥ في يومين وكل واحدة من اولادها تصير ٢٥ في يومين آخرين وهلم جرًّا وسبب هذا التكاثر ان المن قلما يبيض بيضاً والغالب ان صغارهُ تتفرع من جسمهِ تفرُّعاً كما تتفرَّع البراعم من اغصان النبات ويتكرَّر ذلك الى ان يقبل فصل الشتاء ببردهِ فيبيض بيضاً حينئذٍ لان البيض اقوى على احتمال البرد من الحيوان الصغير اما في الربيع والصيف فيكون تولدهُ بالتبرعم كالنبات ويكون كلهُ اناثاً تلد كذلك الى ان يحين الوقت الذي تبيض فيهِ بيضاً فتولد منهُ حينئذٍ ذكور تتزاوج مع الاناث وتبيض الاناث بيضاً

وقد بيَّن الاستاذ هكسلي بالحساب انهُ اذا ولدت كل منة كل ما تستطيع ولادتهُ وولدت كلٌّ من اولادها كل ما تستطيع ولادتهُ ايضاً الى عشرة اعقاب بلغ عدد العقب الاخير تسعة وعشرين رقماً من الارقام العددية اي عشرة آلاف مليون مليون مليون مليون فاذا حسبنا ان ثقل كل عشرة الاف منة حبةٌ واحدة وحسبنا ان ثقل الرجل مليونا حبة فثقل اولاد تلك المنة الواحدة في العقب العاشر فقط ثقل خمسة آلاف مليون مليون رجل اي اكثر من ثقل سكان المسكونة ثلاثين مليون مرة ولكن حياة المن ظل زائل تراهُ اليوم يغطي اغصان النبات واوراقهُ وتأتي في الغد او بعد ايام قليلة فلا تجد منهُ شيئاً فاين يذهب وكيف يضمحل

لكل شيء آفة من جنسهِ وآفة المن ثلاثة انواع من الحشرات النوع الاول حشرة نمسية صغيرة جدًّا تبيض على المن بيضاً ميكروسكوبيًّا وتولد صغارها من هذا البيض وتخرق جلد المن وتأكل ما فيهِ فتغادرهُ قشرًا خالياً خاوياً واذا نظرت الى غصن عليهِ المن تجد بينهُ قشورًا رقيقة يعبث بها الهواء وكل قشرة منقوبة ثقباً مستديرًا في ظهرها فمن هذا الثقب خرجت الحشرة النمسيَّة بعد ان التهمت ما في باطن المنة

والنوع الثاني دود الفراشة الصغيرة التي لها اجنحة بيضاء ضاربة الى الخضرة فانهُ يتلمس بين الاغصان لانهُ اعمى لا يبصر فيهتدي الى المن ويلتهمهُ يمتص ما في بدنهِ ويلصق جلدهُ بظهرهِ فترى الدودة وظهرها مرصَّع بجلود قتلاها

والنوع الثالث أكال المن وهو حشرة صغيرة تلتهم ستين منة في الساعة وضعنا حشرة منهُ على وردة مصابة بالمن ثم اتينا في اليوم التالي فلم نرَ عليها غير آثاره قشورًا دقيقة لاصقة بالاوراق والاغصان. ولا يفلُّ الحديد الّا الحديد

حقوق الصحف والمشتركون فيها

وضع صاحب المنار الاغر فصلاً مسهباً موضوعهُ قرّاء الصحف المنتشرة · بيّن فيهِ احوال المشتركين في مجلتهِ من حيث وفاء الحقوق فقال انهُ وجد مسلمي بلاد الروس احسن خلق الله وفاء . وان تجار العرب في الهند وجاوى وسنقافورة يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة . واسوأهم معاملة واكثرهم مطلاً واهمالاً مسلمو الهند وبينهم اهل الجزائر فان كثيرًا من المشتركين في هذين القطرين ليقرأ المجلة او الجريدة عدة سنين ولا يخطر ببالهِ ان يرسل الى صاحبها شيئاً واهل المغرب الاقصى كاهل الجزائر الاَّ افراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء · والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

ثم انتقل الى القطر المصري فقال ان احسن الناس وفاء المهندسون ولعلَّ السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها اوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى. اما علماء الدين او قضاة الشرع او القضاة عامةً فيحسب غير الخبير انهم احسن الناس وفاء لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل واداء الحقوق لكن ليس هذا الحسبان بصحيح · والمطل على اشدهِ في اهل البطالة ثم في كتَّاب الدواوين وغيرها . ويكثر المطل واللي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء ورجال النيابة

ومدح المشتركين في المنار من العمد ولم يستثنِ منهم الاَّ اثنين وشكا مرَّ الشكوى من مكاتبي الجرائد او طالبي مكاتبتها

وقد اذكرنا بحث صاحب المنار بحثاً مثلهُ للفيلسوف هربرت سبنسر ظهر لهُ منهُ ان خَدَمة الدين اقل وفاء بالحقوق من غيرهم . والتفتنا نحن الى المشتركين في المقتطف والمقطم في هذه العاصمة وقسمناهم الى ست فرق علماء وقضاة ومحامين ومستخدمي حكومة وتجار واصحاب املاك فوجدنا ان اكثر المشتركين في المقطم والمقتطف من اصحاب الاملاك ويتلوهم موظفو الحكومة فالتجار فالعلماء فالمحامون فالقضاة على هذه النسبة

اصحاب الاملاك	٥١	في المئة
موظفو الحكومة	٢٣	" "
التجار	١٠	" "
العلماء	١٠	" "

المحامون ٤٠ في المئة

القضاة ٢ " "

ولعلَّ هذه النسبة موافقة لنسبة الاهالي الذين يحسنون القراءة ويستطيعون الاشتراك في الجرائد والمجلات. وليس العبرة بها بل بما يدفعهُ هؤلاء المشتركون من قيم الاشتراكات وما يمطلون في دفعهِ حتى يضيع على اصحابهِ فقد جمعنا المتأخرات عند الذين كانوا مشتركين فوجدنا موظفي الحكومة وهم ٢٣ في المئة من المشتركين عندهم من المتأخرات لنا ٦٣ في المئة وعند اصحاب الاملاك والتجار ١٠ في المئة وعند المحامين ٧ في المئة وعند العلماء ٦ في المئة وعند القضاة ٤ في المئة. ونسبة قيم الاشتراكات والمتأخرات على ما ترى في هذا الجدول

اصحاب الاملاك ٥١ في المئة من مجموع المشتركين وعليهم ١٠ في المئة من مجموع المتأخرات

الموظفون ٢٣ " " " " ٦٣ " " " " "

التجار ١٠ " " " " ١٠ " " " " "

العلماء ١٠ " " " " ٦ " " " " "

المحامون ٤ " " " " ٧ " " " " "

القضاة ٢ " " " " ٤ " " " " "

واذا حسبنا قيمة الاشتراكات السنويَّة الف جنيه وقيمة المتأخرات السنوية مئة وخمسين جنيهاً فالمتأخر منها عند كل طائفة من الطوائف المتقدمة ما يأتي

اصحاب الاملاك قيمة اشتراكاتهم ٥١٠ جنيهات يتأخر منها سنويًّا ١٥ جنيهاً اي ٣ في المئة

الموظفون ٢٣٠ جنيهاً " " " ٩٤ ١/٢ " " ٤٠ ١/٢ "

التجار ١٠٠ جنيه " " " ١٥ " " ١٥ "

العلماء والمعلمون ١٠٠ " " " " ٩ " " ٩ "

المحامون ٤٠ جنيهاً " " " ١٠ ١/٢ " " ٢٥ "

القضاة ٢٠ " " " " ٦ " " ٣٠ في المئة

وحينئذٍ تصير نسبة هذه الطوائف من حيث مبادرة افرادهم الى دفع الحقوق في اوقاتها على ما في الجدول التالي

اصحاب الاملاك يتأخر عندهم ٧ في المئة من حقوق الجرائد والمجلات

العلماء " " ٩ " " " " " "

التجار " " ١٥ " " " " " "

المحامون	"	"	٢٥ في المئة من حقوق الجرائد والمجلات
القضاة	"	"	٣٠ " " " " " "
الموظفون	"	"	٢/١ ٤٠ " " " " " "

وهذه النتيجة تنطبق على نتيجة صاحب المنار الأ من حيث العملة ولعلّ سبب ذلك اننا جمعنا معهم المعلمين . اما موظفو الحكومة فاكثرهم من المستخدمين الصغار لا من الموظفين الكبار ومن الغريب ان يدخل حضرات القضاة والمحامين في باب المطل ولو لم تكن النتيجة التي وصلنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب المنار لظننا حسابنا خطا

غير ان الذين عددناهم مماطلين في دفع اموال الجرائد ليسوا من مشتركي المقتطف والمقطم الآن بل قد قطعنا الجرائد عنهم كلهم ولعلنا اذا اعدنا هذه المقابلة بعد عام او عامين لم نجد من المماطلين بين المشتركين الأ عدداً قليلاً جداً

العرافة الحديثة

للمستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية وَلَع شديد بالبحث عن غرائب التنويم واعتقاد راسخ بان بعض الذين ينامون نوم الاستهواء يخترقون حجاب الغيب ويدركون المغيَّبات فهم من اهل العرافة في اوسع معانيها . وقد اضرم نار جدال عنيف في الجرائد الانكليزية بعد مقتل ملك السرب وزوجتهِ زاعماً ان امرأة عرَّافة انبأت بذلك منذ العشرين من شهر مارس الماضي . ثم بسط الكلام على هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلتهِ فرأينا ان نترجمهُ هنا ونبقي حجتهُ على روايتها ثم نعقّب عليهِ بما يبدو لنا لاننا مخالفون لهُ في رأيهِ . قال :

ان اغتيال ملك السرب وزوجتهِ في بلغراد في الحادي عشر من شهر يونيو الماضي انبأت بهِ امرأة في مدينة لندن في العشرين من شهر مارس هذه السنة فوصفت تلك الفاجعة الدموية امام خمسة عشر شاهداً وأُبلغ الخبر في اليوم التالي الى سفير السرب في انكلترا فبحث في الرابع والعشرين من الشهر عن صحة ما بلغ اليهِ وكتب في يوميتهِ حينئذٍ ما سمعهُ من احد الشهود عن وصف ما جرى وكتب بعد اربعة ايام كتاباً خصوصياً الى الملك اسكندر حذَّرهُ فيهِ من المتآمرين على قتلهِ داخل جدران قصرهِ فلم يعبأ الملك بتحذيرهِ وفي الحادي عشر من شهر يونيو قُتل الملك والملكة كما وصفت العرَّافة مع اختلاف طفيف في العرض لا في الجوهر .

وقد اختلف الشهود في ما يتذكرونهُ من قولها فقال بعضهم انها أنبأت بقتل الملكة ايضاً وقال غيرهم انها انبأت بنجاتها وفي ما عدا ذلك اتفقوا كلهم في كل الامور

وقد تردَّدتُ كثيرًا في اختيار الطريقة التي ابسط بها الكلام على ما حدث ورأيت اخيرًا ان اتبع الطريقة التي يتبعها قضاة التحقيق في تحقيق الجنايات فاثبت اولاً انهُ حدثت نبوءة عن اغتيال ملك السرب وزوجتهِ منذ شهر مارس الماضي وبلغت الى سفير السرب في لندن والسفير بلَّغها الى ملك السرب ثم جمع شهادة الشهود الذين سمعوا تلك النبوءة ورأوا المرأة التي انبأت بها وهي في حال الانباء

وسفير السرب في انكلترا المسيو شدومل مجاتوفتش رجل مشهور بل هو اشهر رجل سياسي قام في بلاد البلقان وهو ايضاً عالم ومؤرخ ومن زعماء الديانة المعدودين ولهُ يد في انشاء الجريدة الدينيَّة التي تطبع في بلغراد لاجل تنوير ابناء الكنيسة الارثوذكسية وقد ترجم الى لغة البلغار كتاب سياحة المسيحي وتفسير الدكتور برون للاناجيل وكثيرًا من مواعظ لدن وسبرجن وكان وزيرًا للداخلية في بلادهِ منذ سنة ١٨٧٦ وعضوًا من اعضاء مجلس الشيوخ السربي وأُرسل سفيرًا الى الاستانة قبل مجيئهِ سفيرًا الى لندن . ولما التأم مؤتمر السلم في هولندا كان نائبًا فيهِ عن بلادهِ وكان لهُ الشأن الاكبر بين النواب ولو كانوا نوابًا عن اعظم الممالك. ولهُ مؤلفات تاريخيَّة كثيرة تدل على دقة بحث وسعة روية . وزوجتهُ انكليزيَّة وهي مؤلفة ايضاً ومؤلفاتها جعلت السرب والسربيين معروفين في اوربا . وهو معروف في كل عواصم اوربا وكل الذين يعرفونهُ يجلونهُ ويكرمونهُ . وهاك ما شهد بهِ هذا الرجل الفاضل وهو بنصهِ (بعد حذف اسماء الاماكن) "انا شدومل مجاتوفتش اشهد هذه الشهادة التي اعتقد انها تامَّة مطابقة للواقع . لقد اهتممت بالمباحث النفسيَّة منذ عهد طويل وهذا جعلني اتعرف بالمستر ستد محرر جريدة البوردرلند ومجلة المجلات ولكونهِ يعلم رغبتي في هذه المباحث دعاني لاجتماع في مكتبهِ يوم الجمعة في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٣ حيث تمتحن امرأة عرَّافة (سيكومترست اي تستدلُّ باشياء تمسها على ما يتعلَّق بها من الامور الماضية او المستقبلة) وهذا بعض كتاب الدعوة الذي ارسلهُ اليَّ المستر ستد حينئذٍ

"سيكون عندنا عرَّافة صالحة يوم الجمعة التالي في موبرلي هوس وقد تعهدت ان تمتحن عرافتها امامنا اثنتي عشرة مرة الى عشرين اي تُعرَضُ عليها مواد لا تعرف شيئًا من امرها فتخبرنا عما تراهُ مما يتعلق بها فارجو ان تحضر وتجلب معك شيئًا او شيئين مما اذا رأتهُ العرَّافة وانبأت عما يتعلق بهِ كان لكلامها وقع فيحسن ان تحضر معك مثلاً قطعة صغيرة من الجبة التي تكلم

عنها المستر ل — وقال انها عندك الآن وانهُ يسمح لي بها لهذا الغرض او شيئاً آخر نشربُ من انفاس الملك ميلان او الملكة دراجا لعلنا نقف على شيءٍ يتعلق بهما "

" فقبلتُ الدعوة وذهبتُ فوجدت المكان مزدحماً بالمدعوين ورأيت المرأة واخبرت ان اسمها مسز برتشل وقد تشكت من ان الاحوال غير مناسبة لاظهار قوتها

" ومن الاشياء التي أُخذت الى هناك لتراها العرافة امضاء الملك اسكندر بالحروف السربية على ورقة وضعت في ظرف اتيت بهِ لنرى هل تعرف ما هو من لمس الظرف بيدها وتستطيع وصف الملك هذا كل ما قُصِد ولم نكن ننتظر اكثر منهُ

" وعُرض على العرافة اشياء كثيرة ثم توقفت عن التجارب بغتة فلم يعرض عليها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك اسكندر وانا هناك ثم خرجتُ وتركتُ الظرف مع واحد من الحضور وهو المستر ل — . الذي بقي هناك ليتعشى مع المستر ستد ومسز برتشل وآخرين ولم استطع انا ان ابقى واتعشى معهم لاني كنتُ مضطراً ان اذهب تلك الليلة الى قصر بكنهام ورجعت الى بيتي وانا احسب ان العرافة فشلت فشلاً تاماً

" وفي اليوم التالي وهو الحادي والعشرون من شهر مارس زارني المستر ل — . وقال لي انهم امتحنوا العرافة بعد العشاء وانهُ اعطاها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك فاصابها انفعال شديد ووصفت اغتيال الملك ومحاولة اغتيال الملكة داخل القصر وفصَّل لي تفاصيل اخرى تدلُّ على ان مسز برتشل رأت اغتيال ملكي وهو داخل قصرهِ . ويوم الثلاثاء التالي في الرابع والعشرين من شهر مارس زرت المستر ستد في مكتبهِ واخبرتهُ بما اخبرني بهِ المستر ل — . وسألتهُ عما اذا كان ذلك صحيحاً ولما عدت كتبت في يوميتي ما خلاصتهُ

" لندن في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٣ ذهبتُ اليوم بعد الظهر الى موبرلي هَوْس لارى المستر وليم ستد (محرر مجلة المجلات) ولأسألهُ عما قالتهُ العرافة يوم الجمعة الماضي (٢٠ مارس) عن الملك اسكندر فقال لي ان المستر ل — . وضع في يدها ورقة صغيرة فمسكتها دقيقة ثم قالت هذا امضاء شاب في مقام عالٍ جداً نعم هذا امضاء ملك (ثم وصفت شكل الملك اسكندر) وقالت ان ملكتهُ بجانبهِ وهي سمراء واكبر منهُ ولكن يا الهي ماذا ارى اواه وا مصيبتاه ثم ركعت على ركبتيها وشبكت يداً بيد ورفعت رأسها وهي مغمضة عينيها وصلَّت الى الروح العظيم لكي ينجيهما ان امكن وقالت اني اراهما كليهما الملك والملكة وهناك رجل اسمر وبيدهِ خنجر يحاول قتلها ابتدأ الصراع نجت الملكة اما الملك فقتل . وقد بلغ اضطرابها مبلغاً شديداً ووصفت ما رأتهُ على مسمع كثيرين من النساء والرجال فتأثروا من وصفها شديداً

"وبعد اربعة ايام اي في ٢٨ مارس كتبتُ كتاباً الى الملك اسكندر ورأيت انهُ يجب عليَّ ان احذرهُ من الخطر المحدق بهِ . ولم احتفظ نسخةً من كتابي ولكنني اتذكر جيداً الفقرة التي حذرتهُ فيها ولم يزل عندي وصل مكتب البريد لانني ارسلت الكتاب مسجلاً (مسوكراً) اما الفقرة المشار اليها فقلت لهُ فيها اني اعلم ان جلالتكم تضحكون كما كنتم تضحكون دائماً حينما اكلمكم عن التنويم (كلارڤونيس) ولذلك لا اقص عليكم كل ما علمتهُ اخيراً من هذا القبيل ولكنني اتوسَّل الى جلالتكم ان تتخذوا كل الوسائل لسلامتكم وانتم راكبون او ذاهبون الى الكنيسة او المشهد وكذلك وانتم في قصركم لا سيما واني واثق ان البعض يتآمرون على اغتيالكم فيهِ

وقرات زوجتي هذا الكتاب قبلما ارسلتهُ وهي تؤكد الآن انهُ كان مكتوباً كذلك . وكنت قد تكلمت مراراً مع الملك اسكندر عن هذه المظاهر النفسيَّة فكان يهزأ بها ولا يحسب لها حساباً ولم احذرهُ قبل ذلك قط لكنني تأثرت من كلام هذه العرَّافة جدًّا حتى ظننت ان الملك يدعوني اليهِ الى بلغراد رغماً عن انكارهِ صحة العرافة لكي يسمع مني تفاصيل ما حدث ولكن لم يتحقق ظني فلم يستدعني ولا اكترث لتحذيري . ولما وردت اخبار اغتيالهِ تذكرت حالاً تحذيري لهُ واخبرت بعض رجال الصحافة بذلك فنشرتهُ جرائد المساء في ١١ يونيو"

وما تقدَّم كافٍ وحدهُ لاثبات ما اردت اثباتهُ اولاً وهو ان عرَّافة انبأت بهذهِ الفاجعة قبل حدوثها وان سفير السرب ارسل يحذر مولاهُ من ذلك بكتاب مسجل في شهر مارس الماضي. ولنأْتِ الآن الى اثبات امور اخرى متعلقة بذلك وهي كيف صار هذا الانباء ومتى واين وايضاحاً لذلك اقول

اني دعوتُ اناساً كثيرين وفي جملتهم السفير مجاتوفتش وارل غراي والمستر ل — . والمستر غلبرت اليوت وغيرهم لكي يأتوا يوم الجمعة في ٢٠ مارس ويشاهدوا بعض اعمال العرافة التي وعدت مسز برتشل ان تقوم بها في الاجتماع الاهلي الذي يعقد عندي مرة كل اسبوع (At Home) في موبري هوس وابتدأ الاجتماع الساعة الرابعة بعد الظهر وحضرهُ سبعون او ثمانون شخصاً وظهر بعد نصف ساعة ان الاحوال غير موافقة لمسز برتشل فصعدت الى الطبقة العليا من البيت وجرَّبت قوتها امام بعض الحضور فنجحت اكثر مما نجحت امام الجمهور وبقي الجمهور تحتُ وهم يتذاكرون في موضوع العرَّافة (سيكومتري) الى ما بعد الساعة السابعة وفي نحو الساعة الثامنة ذهبنا الى مطعم غتي وروديسانو وكنا ١٦ نفساً (وهنا ذكر اسماءهم وعنواناتهم الاَّ الشخص الذي سماهُ مستر ل — . فابقاهُ كذلك نكرة لا تعرف لكنهُ قال

ان عندهُ اسمهُ وعنوانهُ وهو يفضل ان لا يشهر اسمهُ الآن)

وبقينا كلنا معاً ما عدا مسترمني الى ما بعد انباء مسز برتشل باغتيال ملك السرب وقد انبأت بهِ بعد الساعة العاشرة وكان قد مضى علينا مجتمعين ست ساعات وقد تعبنا ومللنا ولم نكن ننتظر منها شيئاً غير عادي . ولا استعددنا لكتابة شيء مما نسمعهُ ولا اظن ان احداً كتب شيئاً

وكان حديثنا على الطعام في مواضيع عمومية وكان المستر ل — . حاضراً فتكلمت أنا عنهُ وعن السرب ولكن لم يُذكر اسم الملك على ما اتذكر الآن ولا ذُكر ما يشير الى اغتيالهِ لا صريحاً ولا تلميحاً . اما مسز برتشل فامرأة بسيطة تصنع بعض الادوية وتبيعها ولها عشرة اولاد ويظهر لي انها لا تهتم بأمر بلاد البلقان ولا تعرف عنها شيئاً . وقد كتبتْ بعد ذلك في جريدة سنت جمس تقول انها لم تكن حينئذٍ تعرف شيئاً من امر السرب ولا تعرفُ اسم الملك ولا اسم الملكة ولا شيئاً من ماضي الملكة ولا مما لهُ علاقة بها وبزوجها وكانت وقت العشاء صامتة وعلى وجهها دلائل التعب والفشل لانها لم تفلح ولذلك لم اوجه حديثي اليها

وبعد العشاء اخذت تصف لكل واحد من الحضور ما كانت تشعر بهِ حينما كان يسلمها شيئاً مما معهُ ولما وصل الدور الى المستر ل — . جعل يشير اليها برأسهِ وهي تكلمهُ كأنهُ يصادق على كلامها فانكر سكرتيري عليهِ ذلك لكن لم يكن لكلامها حينئذٍ علاقة بالانباء عن اغتيال الملك ولما تكلمت عن اغتيالهِ كانت مغمضة العينين ولم اعلم هل كانت تصف فاجعة حدثت في الزمن الماضي او فاجعة ستحدث ولم اعرف ما كان في الظرف الَّا بعد ما اكملت وصفها . ثم لما فتح لم استطع ان اقرأ ما فيهِ لانني لا اعرف الكتابة السرية فسأَلت المستر ل — . عنها فقال انها امضاء الملك ثم جعل يتحدث معها

وكان هناك سيدتان من العرّافات (كلرڤوينت) فقالتا انهما رأَتا المنظر الذي رأَتهُ مسز برتشل حينما كانت تصفهُ وقالت احداهما ان الجنود كانت لابسة اللباس الروسي

وذهبت مسز برتشل حالاً وبقي البعض ساعة اخرى ولما كنت راجعاً الى بيتي نحو نصف الليل التقيت بصحافي من اصدقائي اسمهُ ارثر هوكس واخبرتهُ بما حدث تلك الليلة وقد كتب بعد ذلك يقول " قرأتُ عن اغتيال ملك السرب والملكة حين وصولي الى مديرا من بلاد الراس في ٢٢ يونيو ورأَيت في الدايلي تلغراف خبر الانباء بهذا المنكر في ٢٠ مارس بعدما تعشى البعض بدعوة المستر ستد وللحال اخبرتُ المستر ريد من اهالي يوهنسبرج الذي وجَّه التفاتي الى تلك الفقرة انني كنت حاضراً عند المستر ستد ذلك اليوم في مكتبهِ ولم يمكني البقاء

الى العشاء ولكنني التقيت بهِ نحو نصف الليل وركبت معهُ فاخبرني ان سيدة عرَّافة انبأتهم باغتيال الملك اسكندر والملكة دراجا فضحكتُ حينئذٍ لانني لا اصدق هذه الامور وقلت ان كل احد يمكنهُ ان ينبيء باغتيال ملك ولكن الانباء باغتيال ملك وملكة معاً امرٌ يفوق التصديق. وقد كتبت ذلك الآن تزكية للشهادات الكثيرة التي وردت عن الانباء بهذه الفاجعة قبل حدوثها"

ويظهر من هذه الشهادة انني كنت متأكداً حينئذٍ ان مسز برتشل انبأت بقتل الملك والملكة معاً

شهادة المستر ل — ·

سئل المستر ل — . ان يصف ما حدث وقت العشاء وبعده فقال انهُ كان حاضراً لما اعطي الظرف الذي فيهِ امضاء الملك لمسز برتشل وانهُ سمع وصفها لاغتيال الملك والملكة في القصر وابلغ خبر ذلك في الصباح الى المسيو مجاتوفتش وانهُ كان قد فتح الظرف وهو على العشاء واري الامضاء لسكرتير المستر ستد وكان جالساً بجانبهِ بعيداً من مسز برتشل وهي لما أُعطيت الظرف لم تخرج الورقة منهُ وبعد ان أنبأت بما أنبأت أُخرجت الورقة من الظرف وسئل أن يقرأ ما فيها وهي ورقة سادجة ليس عليها علامة التاج ولا شيء آخر ولم يكن أحد من الحضور قد رآها غيره هو وسكرتير المستر ستد . وكان وصف الملك والملكة كما وصفتهما مسز برتشل تماماً وكذلك ملابس الجنود السربيَّة تشبهُ ملابس الجنود الروسية .ولما أتمت مسز برتشل عملها اخذ يتكلم معها فقالت لهُ انهُ لا بدَّ من الاغتيال كما رأت ما لم تُبذَل الوسائل الفعالة لمنع ذلك. ولم تذكر اسم الملك ولا اسم الملكة

واتفق الشهود كلهم على ما تقدَّم الاَّ اثنين الاول سكرتير المستر ستد فانهُ قال انهُ لايتذكر ان مسز برتشل جثت على ركبتيها مطلقاً ولا يتذكر شيئاً مما حدث حتى يظن انهُ لم يكن في الغرفة حينئذٍ . والثاني المستر مكدونلد فهذا كتب في جريدة وستمنستر ان مسز برتشل قالت لما تناولت الظرف "ماكيء" وقالت اقوالاً تنطبق على فاجعة السرب اذا أُريد تطبيقها عليها وفسَّر ذلك بقولهِ انها تعلم علاقة المستر ل — · بعائلة ملك السرب . اما الباقون فسئلوا كلهم عمَّا يذكرون وكُتبت خلاصة اقوالهم وعُرضت عليهم فامضوا على صحتها وهي :

وضع المستر ل — · ظرفاً في يد المستر ستد بعد الساعة العاشرة وقال لهُ امتحنها بهذا فاخذ المستر ستد الظرف وهو لا يعلم ما فيهِ وانتظر الى ان اتمَّت وصف ما طلبهُ منها الحضور حتى آخرهم وكانت قد تعبت وودت ان ترجع الى بيتها فوضع الظرف في يدها وطلب منها ان تجرّب مرة اخرى لعلها تجد فيهِ شيئاً فمسكتهُ بيديها وجلست وبقيت دقيقة ساكتة وقلَّبت الظرف في

يدها مرة او مرتين ثم قالت بصوت عالٍ واضحٍ " ملكيٌّ شخص مهم — ملك " ولما قالت ذلك اتجهت الانظار اليها فاصغينا لنسمع ما تقوله وجعلت تتكلم بسرعة من غير ان تتنفس لشدة انفعالها ولا دليل على انها كانت في غيبوبة . وكان كلامها عاديًّا قبلما سلمها المستر ستد الظرف وقد اغمضت عينيها لكن ذلك تفعله لكي تجمع افكارها وتكلمت كأنها تنظر من كوَّة الى داخل غرفة وتصف ما تراه فيها لاناس واقفين بجانبها . وكان على مقربة منها امرأتان من العرَّافات وهما مسز برتشلي ومسز منكس

وابتدأت بقولها " ملكيٌّ شخص مهم ملك ها هو واقف في غرفة بقصرهِ اسمر اللون بدين الجسم طويل العنق ومعهُ امرأة ملكة سمراء واري هناك (واشارت الى زاوية في الغرفة) ولدًا " ولما قالت ذلك زاد اضطرابها فصرخت " اواه ما هذا لا اطيق النظر اليهِ هوذا رجل شديد السمرة هاجم على الغرفة وهو يحاول قتل الملك وقامت الملكة تتوسل اليهِ لكي يعفو عنهُ اواه " وصرخت صرخة شديدة وارتمت على ركبتيها حتى ظن المستر ستد انها وقعت على الارض ومدَّ اليها يديهِ لكي ينهضها لكنها لم تقع بل شبكت يديها وبقيت تتكلم بصوت التفجع قائلة " ها هم يقتلونهُ خلِّصوهُ خلِّصوهُ جثت الملكة على ركبتيها تتوسل اليهم لكي لا يقتلوها وهم لا يسمعون لها . ما اشد الاضطراب وما اكثر اهراق الدماء . قتلوهُ وذهب توسلها عبثًا والآن طرحوها على جانبها وطعنوها بخنجر آه آه "

ولما قالت ذلك خارت قواها وكادت تنقلب على احد جانبيها لكن المستر ستد انهضها واجلسها مكانها

ولما جثت على ركبتيها نهضت مسز برتشلي وقالت نعم نعم اني اراهم يقتلونهُ . وتلتها مسز منكس وقالت وانا ايضًا وصارت كلما قالت مسز برتشل شيئًا تقول مسز منكس نعم نعم

ووقع الظرف من يد مسز برتشل لما زاد اضطرابها فتناولتهُ مسز برتشلي وجعلت تصف الفاجعة وصفًا اقل وضوحًا من وصف مسز برتشل لها ثم قالت انظروا كيف اشتدت الظلمة انظروا الجنود آتين علينا وهم يطلقون الرصاص على كل من يلاقونهُ في طريقهم

فسألها احد الحضور مَن يشبهون . فقالت يشبهون في ملابسهم الجنود الروسيَّة ولكن اشتدت الظلمة فلم اعد ارى جليًّا (ان مسز برتشلي زارت روسيا في العام الماضي) ثم قالت مات الملك الآن وما اشد الاضطراب وما اكثر سفك الدماء . قالت كل ذلك بسرعة بينما كان المستر ستد يساعد مسز برتشل على النهوض والجلوس في مكانها فلم يُنتبه الى قولها كثيرًا حينئذٍ ولكنها تقول الآن انها لاتزال تتذكر جيدًا ما رأتهُ وما قالتهُ

والتفت المستر ستد الى المستر ل — · الذي اعطاهُ الظرف كانهُ يسألهُ عمَّا فيهِ لاننا كنا كلنا سمعنا مسز برتشل تصف اغتيال ملك وملكة ولكن لم نكن نعلم اي ملك واية ملكة وقال لهُ ما يحوي هذا الظرف . فقال المستر ل — · انظر وفتح الظرف واخرج منهُ ورقة بيضاء عليها امضاء اسكندر وقال الملك

فقال المستر ستد وهل وصفها صحيح

فقال المستر ل — · حرفيًّا · كل ما وصفت بهِ القصر والملك والملكة على تمام الصحة

وكانت مسز برتشل قد عادت الى نفسها فقالت للمستر ل · ان كل ما رأيتهُ سيتم حرفيًّا اذا لم تتخذ الوسائل اللازمة لمنعهِ قريبًا

وقد عُرضت مسودَّة هذا التفصيل على الذين كانوا حاضرين فامضوا كلهم على صحة ما فيها الاَّ سكرتير المستر ستد الذي قال انهُ لا يتذكَّر شيئًا من ذلك والمستر مكدونلد الذي فسَّر اولاً ما حدث ثم انكرهُ

ووعد المستر ستد في ختام هذه المقالة ان يتبعها بمقالة اخرى يذكر فيها بحث جمعيَّة المباحث النفسيَّة في هذه الحادثة

هذا ونحن نعرف المستر ستد ونعترف لهُ بالفضل والنبل ولكننا لا نبرئهُ من الميل الى تصديق الخرافات التي من هذا القبيل . ولا نقول ان احدًا من الحضور حاول الخداع عمدًا ولكن ذلك لا ينفي ان يكون المستر ل — · خدع مسز برتشل عن غير قصد وهو لا يدري فان محاولة قتل ملك السرب وزوجتهِ كانت منويةً كما ثبت من شواهد كثيرة ولا يبعد ان يكون ذلك قد بلغ المستر ل وانهُ اطلع مسز برتشل عليهِ من حيث لا يدري لان من الناس من يفعل فعلاً واذا قلت لهُ فيهِ انكرهُ كل الانكار وهو غير كاذب في انكارهِ اما لانهُ ينسى حالاً ما فعلهُ او لانهُ فعلهُ وهو في حالة من التعقُّل غير حالتهِ العادية · وكذلك مسز برتشل يحتمل ان تكون قد سمعت كثيرًا عن وصف ملك السرب وزوجتهِ وقصرهِ والمكايد التي تكاد لهُ وهي في حالة من التعقل غير حالتها العادية ثم عادت الى هذه الحالة لما اصابتها النوبة العصبيَّة التي وصفت فيها ما وصفت · اما الخداع فنستبعدهُ عنها وعن المستر ل — · ولكننا لا ننفيهِ نفيًا باتًّا لان كثيرين من مدعي العرافة اعترفوا قبل موتهم انهم كانوا يخدعون الناس خداعًا · ومن المحتمل ايضًا ان سكرتير المستر ستد مشارك لهما في الخداع وقد لجأ الى الانكار التام ابعادًا للشبهة لكن هذا الاحتمال بعيد ولا يسوغ لنا ترجيحهُ ما دمنا نجهل من هو الرجل ونجهل اخلاقهُ . وما دامت مسز برتشل ماهرة الى هذا الحد في رؤية الغيب او ما يأتي بهِ

الغد فلماذا لا تستعمل مهارتها في ما يكسبها الثروة بدلاً من عمل الادوية ويفيد بلادها فوائد سياسيَّة لا تقدَّر بمال . على مَ لم يستعن بها المسترستد على معرفة ما آلت اليهِ حرب الترنسفال وما تأول اليهِ الاحوال السياسيَّة في بلاد الصين والعلاقات الدولية بين انكلترا وروسيا والحرب الدموية في الصومال والقلاقل المتوالية في ارلندا والمناظرات التجارية بين انكلترا واميركا والمانيا ونحو ذلك مما يدفع الناس الوف الجنيهات لمعرفة عشر معشارهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفصل الرابع

الامراض العمومية

القلب

ان ما تستطيعهُ الممرضة في امراض القلب قليل جدًّا وغاية ما تقدر عليهِ انها تسهر على المريض وتراقبهُ وتطعمهُ وتعتني براحتهِ . وهذا يصدق فقط على الذين يضطرهم مرض قلبهم الى الاقامة في السرير لان كثيرين يصابون بمرض في القلب وهم لا يقيمون في السرير بل يتعاطون اعمالهم ويعيشون سنين كثيرة

وامراض القلب مختلفة والتمييز بينها من عمل الطبيب اما الممرضة فعملها ان تجعل المريض يستريح في سريرهِ . وهناك نوعان من امراض القلب الواحد يستدعي ان يستريح المصاب بهِ راحة تامة مستلقياً على ظهرهِ والثاني يستدعي من يبقى جالساً في سريرهِ ويسند بالمساند والوسائد حتى يسهل عليهِ التنفس . وتعلم الممرضة ذلك من رؤْيتها المريض فاذا رأَتهُ ينهض رأسهُ ويحاول الجلوس حينما يريد التنفس فهو في حاجة الى ان يسند بالمساند والوسائد واذا رأَتهُ يفضل ان يستلقي ويخفض رأسهُ وجب ان تبقيهُ مستلقياً . اي عليها ان تجاريهُ على مرادهِ ولا تجادلهُ ولا تزعجهُ لان المصابين بامراض القلب يكونون سريعي الانفعال لشدة ما يقاسونهُ من الالم ولصعوبة التنفُّس عليهم فيجب على الممرضة ان تكون صبورة وتعاملهم باللين وتسلم لهم بكل ما لا ضرر منهُ

وهناك امران يجب الانتباه اليهما في امراض القلب الواحد تدفئة المريض والآخر جعله يتنفس الهواء النقي . فاذا اريد تدفئة قدميهِ تملأ زجاجة عادية ماء سخناً وتسد سداً محكماً وتوضع بين قدميهِ ومتى دفئت القدمان دفئ الجسم كله . واذا كان المريض يحاول التنفس فيستصعبهُ او يزرق وجههُ فليوضع بحيث يصيبهُ الهواء النقي وليسق قليلاً من العرق الممزوج بالماء السخن وليكن طعامهُ خفيفاً مغذياً . ولهُ ان يأكل ما شاء من الطعام اذا كان يستطيع هضمهُ ولكنهُ اذا ملأ بطنهُ من الطعام وساء هضمهُ آل ذلك الى تعب قلبهِ حتماً

واذا تورَّمت قدماهُ وجب ان يخبر الطبيب حالاً ويجب حينئذٍ منع المريض من المشي ومن الجلوس في سريرهِ

الكبد

ان البرد الشديد والحر الشديد والاشربة الروحية كل ذلك يضر الكبد . فعلى من كان معرضاً لداء الكبد ان يتجنب البرد والحر والمسكرات . ولكن من ادواء الكبد ما لا يمكن منعهُ كحصاة الكبد وخراجهِ وسرطانهِ . ويمكن وضع اللزق والفلانلا المسخنة على مكان الالم . والكبد على الجانب الايمن وهي تبتدئ حيث تنتهي الرئتان اي عند منتهى الاضلاع واذا كانت الممرضة تجهل موضع عضوٍ من الاعضاء لكي تضع عليهِ لزقة او حرَّاقة او ما اشبه فلتسأل المريض عن المكان الذي يشعر ان الالم فيهِ وتضع العلاج عليهِ

خرَّاج الكبد

تقدَّم ان الصديد يتكون غالباً بعد التهاب الرئتين وتدعو الحال الى عمليَّة جراحيَّة . ويحدث مثل ذلك في الكبد فتلتهب وتشتد الحرارة ويتبع ذلك تولد خرَّاج . ولا بدَّ من شق هذا الخراج ووضع انبوب فيهِ ينزح بهِ الصديد وبوضع الغيار المضاد للفساد و يربط برباط عريض يمكَّن بدبابيس موقية كما يفعل في عمليَّة الرئة . والفرق الوحيد هو ان الرئتين تمتدان من اعلى الصدر الى آخر الاضلاع والكبد تبتدئ من آخر الاضلاع وتمتد حسب ما فيها من الالتهاب

اليرقان

اليرقان حادث عن خلل في الحوصلة المرارية فيصفر فيهِ الجلد والعينان والبول والعرق وتختلف صفرتها من لون الزعفران الى الاسود المسمر . والاسباب مختلفة ويجب ترك البحث عنها الى الطبيب الذي يشخص العلة و يصف لها العلاج . واذا تألَّم المصاب فلتوضع لهُ لزقة على كبدهِ فيخف المهُ ولو الى حين . ومما يفيدهُ ايضاً الحمامات السخنة فانها تريحهُ

وتصلح لون جلدهِ وتمنع التهابهُ وتكوُّن الطفح عليهِ

وطعام المصاب باليرقان يجب ان يكون سائلاً وقليلاً . واليرقان العادي يدوم من عشرة ايام الى اربعة اسابيع ولكنهُ قد يبقى عدة اشهر

الاستسقاء

يحدث الاستسقاء بسبب خلل في الكبد او غيرهِ من الاعضاء ويمكن اعتبارهُ عرضاً لا مرضاً ولكنهُ من نتائج آفات الكبد ولذلك استطردت الكلام اليهِ هنا . فان البطن يمتلئ ماء بسبب مرضي فيتعب منهُ المريض تعباً كثيراً . ويزول هذا الماء احياناً بالقيام في الفراش والوسائل العلاجية ولكن تدعو الحال في احوال اخرى الى بزل البطن واستخراج السائل منهُ فيزول تعب التنفس

ولا بدَّ قبل اجراء هذه العملية من استحضار اناء كبير وانائين اصغر منهُ حتى يملأ احدهما بالسائل الخارج من البزل ثم يوضع الثاني مكانهُ بينما يفرَّغ الاول في الاناء الكبير ويضع بعض الاطباء مبزلاً في الثقب ويتركونهُ حتى يخرج السائل منهُ ويجب ان يوضع مشمَّع تحت المريض وتوضع تحتهُ ملاءة مطويَّة اربع طيَّات والاَّ تبلَّل فراشهُ من السائل

واحسن وضع للمصاب بالاستسقاء ان يسند بالمساند ويوضع مسند تحت قدميهِ حتى لا يزحل عن سريرهِ بسبب ثقلهِ وتعسر اليهِ النهوض . واذا زحل تعذَّر على الممرضة وحدها ارجاعهُ الى وضعهِ الاول فيجب ان تساعدها ممرضة اخرى او شخص آخر ويضع كل منهما ذراعيهِ تحت ذراعي المريض ويرفعانهِ ويقف احدهما على جانب من جانبي سريرهِ

ولا بدَّ من تدفئة المصاب بالاستسقاء ويحترس من ان يصاب بقروح الفراش في اليتهِ وكعبيهِ لان الاستسقاء يمتد الى قدميهِ ايضاً واذا نطلت رجليهِ بماء سخن شعر براحة كثيرة . ويجب ان يكون طعامهُ سائلاً ومغذياً لان ملء المعدة بالطعام الكثير يزيد تعبهُ

الكليتان

قلت ان الاستسقاء من اعراض امراض الكبد . وهو ايضاً من اعراض امراض الكليتين ووظيفة الكليتين افراز البول فاذا مرضتا ولم تعودا تقومان بوظيفتهما اجتمع البول في البطن والساقين والجسم كلهِ فاذا كان العليل نظيف الجسم يستحمُّ بماء سخن كل يوم فمسام جلدهِ تساعدهُ على افراز البول ولكن اذا كانت المسام مسدودة ساءت حالهُ ما لم يساعدهُ الطبيب بالادوية التي تعرّقهُ وترد الكليتين الى وظيفتهما

وقد يكون مرض الكليتين حادًّا تصحبهُ حمى ويتلوَّن معهُ البول لوناً قاتماً وتقلُّ كميتهُ .

وقد يكون مزمناً من غير حمّى ويكون لون البول طفيفاً وكيته عادية · والمصابون بالمرض المزمن قد يعيشون عشرين سنة وهؤلاء لا يحتاجون الى شيء من التمريض ولكن يجب ان يتقوا البرد ويعتمدوا على تدبير الطعام وليس كذلك الحوادث الحادّة حيث تشتد الحرارة ويقل افراز البول ويلزم الاعتناء التام بتدبير الطعام · ويجب حينئذٍ تدفئة المصاب بتدثيرهِ بالاحرمة وتنطيل رجليهِ بالماء السخن ويسقى اللبن فقط ثم مرق الفراخ واذا نقه او ازمنت علته يطعم السمك والفراخ ولحم الحملان مع الخضر · ويحسن ان يطعم شوربا الخضر واللبن

الاسهال والدوسنطاريا

قد يحدث الاسهال من سوء الهضم او البرد او سل الامعاء · لذلك يجب معرفة السبب اولاً · وصوّم العليل ودفئهُ واسقهِ كاساً من اللبن السخن كل ساعتين فيشفى من الاسهال سريعاً واذا لم يشفَ فاستشر الطبيب لان الاسهال اذا أُهمل امرهُ صار مزمناً ولو لم يكن ناتجاً عن مرض

والدوسنطاريا اسهال شديد مؤلم تتقرح فيها الامعاء ويخرج الدم مع البراز · اسقِ العليل مسهلاً من زيت الخروع واعتنِ بهِ شديداً اكثر مما تعتني بهِ اذا كان مصاباً بالاسهال البسيط واحفظ مبرزاتهِ الى ان يراها الطبيب

الديابيطس او البول السكري

في الديابيطس يستحيل الدم الى سكَّر وتضعف القوة رويداً رويداً . ويشعر العليل بعطش شديد ويكثر بولهُ فيجب ان يكال بول الاربع والعشرين ساعة ويخبر الطبيب عن مقدارهِ · ولا داعي لحفظهِ اربعاً وعشرين ساعة ما لم يطلب الطبيب عينةً منهُ لامتحانها · والصعوبة الكبرى في الديابيطس تدبير طعام العليل لانهُ يمنع عن ماكل كثيرة فيصعب عليهِ وعلى من يمرضهُ اختيار الطعام المناسب لهُ · ولا يمنع عن البيض واللبن والزبدة والجبن والخضر كالاسبانخ والكرنب والهليون والجرجير والخس الخيار والطماطم والزيتون والزيت والخل وانواع المكبوسات · ولكنهُ يمنع عن الفول والبازلا والبطاطس والجزر واللفت والبنجر والرز والتبيوكا والماكروني ويمنع ايضاً عن الخبز ويطعم بدلاً منهُ كسراً محمَّصة او نوعاً خاصاً من الخبز يصنع لمن كان مصاباً بالديابيطس وهو غالي الثمن نوعاً . ويمكنهُ ان يشرب الماء والقهوة والشاي وماء الصودا والبن والليموناضة ويأكل من الفاكهة البرتقال والليمون الحلو والخوخ والجوز من كل الانواع ما عدا الكستنا (ابو فروة)

الكَلَب

يحدث الكَلَب من عضَّة حيوان مصاب بالكَلَب والغالب ان يكون كلباً ولا بدَّ من ان تكون العضة بالغة تجرح العضو المعضوض والاَّ فلا ضرر منها · ومدة الحضانة من اربعين يوماً الى عدة اشهر ولذلك جرت العادة في بلاد المشرق ان يسهر المعقور في الليلة الاربعين ويمنع من النوم وهي عادة سيئة لا نفع منها مطلقاً · والكَلَب من افظع الادواء والمصاب بهِ يخاف من الماء خوفاً شديداً ومن كل سائل حتى انهُ يجزع من رؤية الانية التي توضع فيها السوائل فيصيبهُ تشنج ويتكوَّن الزبد على فمهِ ويرتمي ويضرب نفسهُ بما حولهُ فيجب ان يوضع في غرفة خالية من الاثاث ويبسط فيها حصير او بساط ويترك فيها حينما تصيبهُ النوبة لئلاَّ يعض احدًا فيعديهُ وحينما تزول النوبة يسكن ويعود اليهِ رشدهُ ولا يعود منهُ ضرر ولكنهُ يعلم ان آخرتهُ دنت · ويموت بعد يومين الى اربعة

والعلاج المستعمل الآن للكَلَب حسب طريقة باستور يمنع الكلب اذا استعمل في وقتهِ ولكن اذا لم يستعمل في وقتهِ وانتشر السم في البدن لم يعد العلاج ينفع شيئاً

مدة الهضم

الجسم يغتذي مما يهضمهُ من الطعام لا مما يأكلهُ منهُ فقد يأكل كثيرًا فيتعب معدتهُ ويخسر اموالهُ على غير جدوى كما ابنا في الجزء الماضي في الكلام على ما يلزم من الغذاء · ثم ان الاطعمة المختلفة تختلف كثيرًا في الزمن الذي يقتضيهِ هضمها فبعضها سريع الهضم يهضم في ساعة من الزمان وبعضها بطيء الهضم لا يهضم الاَّ في اربع ساعات او اكثر · وقد اتصل الباحثون في هذا الموضوع الى وضع الجدول التالي ذكروا فيهِ انواع الاطعمة المختلفة وما يقتضيهِ كلٌّ منها من الزمن لهضمهِ · وهي مرتبة هنا حسب حروف الهجاء

دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
٠٠	١	الارز	٣٠	٢	البطاطس المقلو
٤٥	٣	البنجر المسلوق	٠٠	٢	التبيوكا
٣٠	٣	البيض المسلوق	٠٠	٢	التفاح الحامض
٣٠	٣	البيض المقلو	٣٠	١	التفاح الحلو
٠٠	٣	البيض تامبرشت	٣٠	٣	الجزر المسلوق
٣٠	٣	البطاطس المسلوق	٣٠	٣	الجبن

دقيقة	ساعة	
١٥	٣	خبز الذرة
٣٠	٣	خبز القمح
٠٠	٢	الديك الرومي المحمَّر
٣٠	٣	الزبدة
٠٠	٤	شوربة لحم البقر
٠٠	٣	شوربة الفراخ
٣٠	٢	الفول الاخضر
٠٠	٣	الفول اليابس
٠٠	٢	الكرنب الاخضر
٣٠	٤	" المسلوق
٠٠	٢	اللبن المغلى

دقيقة	ساعة	
١٥	٢	اللبن بلا اغلا
٠٠	٣	لحم البقر روستو
٠٠	٤	لحم البقر المقلو
٠٠	٤	لحم البط الاهلي
٣٠	٤	لحم البط البري
٣٠	٢	لحم الحمل المسلوق
٠٠	٣	لحم الضان المسلوق
١٥	٣	" " روستو
٠٠	٤	لحم عجل مسلوق
٣٠	٤	لحم عجل مشوي
٠٠	٢	لحم الوز المقلو

ويضاف الى ذلك ان من المواد السهلة الهضم الاروروط والهليون والقنبيط والبرتقال والعنب والفرولة (كبوش القش) والخوخ (الدراقن) ومن المواد العسرة الهضم الجوز على انواعهِ والكمثرى والبرقوق (الخوخ) والكرز والخيار والقثاء والبصل والمخللات على انواعها والكمك . ومن المواد التي بين بين الخبز والتفاح ومطبوخ الاثمار

خلاصة الاثمار

يؤخذ الثمر الكثير العصارة ويهرث في اناء كبير حتى يصير ربًّا ويوضع على النار حتى يسخن جيدًا ثم يصب في منخل دقيق الشعر ويترك حتى يتصفى منهُ فيفرغ في قناني واسعة الفم وتسد جيدًا وتوضع في اناء كبير فيهِ ماء بارد ويوضع على النار ويترك حتى يغلي ثلث ساعة ويرفع الاناء عن النار حينئذٍ ويترك حتى يبرد والقناني فيهِ فما في القناني يستعمل في عمل الشربات ونحوها لان فيهِ طعم الثمر الذي استخرج منهُ

واذا كان الثمر قليل العصارة كالتفاح والكمثرى فيوضع في اناءٍ ويغطى بالماء ويغلى حتى ينضج جيدًا فيهرث ويوضع في منخل ويترك حتى يتصفى الماء منهُ من غير عصر ويوضع في قناني ويتم العمل كما تقدم . اما ما يبقى في المنخل فلا يصلح لذلك اذا اريد ان تكون الخلاصة شفافة لعمل الشربات اما اذا لم يرد ان تكون شفافة فلا يترك من الثمر الا القشر والبزر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سؤَال

عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق

سئلت دليلاً واضحاً على وجود الاله تعالى كأنهم في شك منهُ او من شدة الظهور كان الخفاء وكيف خلق الخلق أمن ذاتهِ تعالى او من شيء غيرهِ او من عدم وكيف الفنا والاعادة

فان كان الخلق من عدم فمن عدم بالصورة او من عدم بالذات فان كان من عدم بالصورة كالثوب قبل نسجهِ كان معدوماً بالصورة موجوداً بالمادة فسلم وان كان من عدم بالذات فما هو العدم واين محلهُ ام خلقوا من غير شيء وكيف يحصل من العدم شيء وهو لا شيء

وان كان الخلق من شيء غير ذاتهِ تعالى فما هو ذلك الشيء وهل هو حادث او قديم فان كان حادثاً فمن اي شيء حدث وان كان قديماً فهل تعدد القدماء وتساوت القدرة وتم الوفاق كلاَّ لو كان فيهما آلهة الاَّ الله لفسدتا

وان كان الخلق من ذاتهِ تعالى فهل امتدت منها وفيها صور الخلق طوراً بعد طور وهل هي كلها او بعضها فان كانت كلها فكيف يتساوى الحادث بالقديم وهل كل فرد منها مسيطر على نفسهِ وان كانت بعضها فاين محلها منهُ وهل هناك حلول او لا غيرية فلا حلول اذ الشيء لا يحل في نفسهِ فيكون قديماً بالذات حادثاً بالصورة وهو تعالى مهيمن عليها بعضهُ على بعض

وهل تجلَّى تعالى بنفسهِ لنفسهِ فظهر من عالم الملكوت وهو الباطن الروحاني وهو الوجود المطلق وهو مرتبة الحق باعتبار الذات الى الصورة منهُ وهي مرتبة الارواح ثم الى عالم الملك وهو الظاهر الجسماني وهو مراتب اشباح الخلق كما ظهرت بالروح بشرية الحية من باطن العصا ثم عادت العصا من باطن الحية الى سيرتها الاولى وكل منهما عين الاخرى للدلالة على البدء

والاعادة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

وهل هو تعالى لا يزال واحداً بالذات وان تعدد بالصور فهي منهُ وترجع اليهِ كالثلج في الماء فهو منفصل منهُ بالصورة غير مباين لهُ متصل معهُ بالذات غير ملتحم فيهِ فهو منهُ بالتكوين واليهِ يرجع بالتحليل فهو تعالى المكان والكائن وهو الدهر وهو الأول والآخر والظاهر والباطن

وهل مراتب الخلق وان انفصلت بالصورة فهي متصلة بالذات وعاملة بها كالمركبة الكهربائية بالنسبة لمجرى تيارها الكهربائي فهي متحركة ومشرقة بهِ فلا انفصال بقطع المدد ولا اتصال يمنع الحركة كذلك الانسان مع ربهِ ابصر بهِ واسمع ما لهم من دونهِ من ولي ولا يشرك في حكمهِ احداً

وهل الدليل القائم على وجود التيار الكهربائي بفعلهِ من الحركة والاشراق وان لم نبصرهُ يصلح دليلاً على وجود الاله تعالى وخلقهِ الخلق وتدبير شؤونهم وان لم تدركهُ الابصار دون البصائر اذ لا سبيل الى وجود مصنوع من غير صانع والمصنوع لا شك موجود فلا سبيل الى انكار الصانع فهو المحمود في مرتبة الحق وهو الحامد في مراتب الخلق

وهل الدليل القائم على وجود الصانع الحادث وتعددهِ وترقي صنعتهِ في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة كالنجار والنجارة والحداد والحدادة يصلح دليلاً على وجود الصانع القديم ووحدتهِ وكمال علمهِ وقدرتهِ وظهور صنعتهِ كاملة على أبدع اتقان كالارض ومعادنها والسموات وكواكبها والماء والهواء والنبات والحيوان ولو كان حادثاً لتعدد وكان ناقصاً في العلم والقدرة وظهرت صنعتهُ غير كاملة وترقت في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة وما دامت على حال واحدة من كمال التنظيم فصانعها قديم بلا ابتداء وفرد واحد وكامل وباقٍ بلا فناء وقائم على تدبيرها بعلم واختيار يمنع الحركة القسرية لامتناع تماثلها في افرادها صنع الله الذي أتقن كل شيء وهو اقرب اليهِ من حبل الوريد

وطُلب ان يكون الدليل على ذلك وجيزاً في المبنى غزيراً في المعنى لا تقليد فيهِ ولا شطط يقنع بهِ من الناس الوسط فيكون بديهياً عند الاعلى وقريباً من فهم الادنى يقبلهُ العقل ويساعد عليهِ النقل

واني لاطرحهُ بالجرائد والمجلات العلمية لعل بصيراً من العلماء يتفضل بالاجابة فنظهر بالدليل الصحيح والقول الرجيح فيثبت الحق ويرتفع الشك والسلام المعتمد على ربهِ

منصور الشريف

المدارس السورية الانكليزية

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد السادس من المقتطف الاغر بامضاء " تاجر " انتقد فيها ما كتبتهُ عن المدارس المذكورة وطلب ايضاح بعض الامور التي يرغب في ازالة اثرها من نفسهِ فارجوكم نشر هذه الكلمات اجابةً لسؤلهِ وان لم يكن فيها زيادة فائدة للقراء

ان حضرتهُ قد حصَّل من قراءة المقالة ما لم يحصّلهُ سواهُ وفاتهُ ما لم يفت غيرهُ اما ما حصَّلهُ وحدهُ فهو ان الامضاء س . خ . امضاء كاتبة وانها تعلَّمت في المدارس المشار اليها مع ان آداب الكتابة تقضي بان لا يفتَّش عن كاتب لا يريد ان يعلن اسمهُ . ويحتمل ان الامضاء امضاء كاتب عارف باحوال المدارس الانكليزية لان ضمير المتكلم يطلق على المذكر والمؤنث

واما ما فاتهُ ولم يفت غيرهُ فهو فضل هذه المدارس وذلك ظاهر من سياق الكلام في ان المدرسة الداخلية هي اول مدرسة في سورية (قانونيَّة علّمت اللغات الاجنبيَّة والبيانو والتطريز الخ . وفن التعليم) قبلما انشئ غيرها بزمان " والفضل للمتقدم " وان نجاحها السريع حرَّك همة الغير حتى نسجوا على منوالها . واما فائدتها فهي لوجود فروعها التسعة والخمسين في انحاء عديدة ولكثرة اقبال الطالبات اليها حتى بلغ عددهنَّ ٤٦٨٠ اربعة آلاف وستمائة وثمانين كما اثبتناهُ في المقالة المذكورة وقد سها حضرة " تاجر " عن قراءة الصفر الى اليمين مع انهُ ظاهر ظهور فضل المدارس السورية الانكليزية

واما نسبتنا عمل الرئيسات اللواتي تولين ادارتها الى انهُ " ابتغاء لوجه الله الكريم وحبًّا للقريب " فهو لكونهنَّ خدمنَ هذه الخدمة الشريفة بدون اجرة لا بل انهنَّ انفقنَ من اموالهنَّ المبالغ الطائلة في سبيل انجاح هذه المدارس

ومع ان الاقرار بالفضل واجب فاقرارنا بهِ لا يمنع ان يكون غيرهنَّ ممن حذا حذوهنَّ وبذل النفس والنفيس في خدمة العلم والوطن من اهل الفضل نظيرهنَّ يستحق المديح والاكرام وان يخلد اسمهُ في بطون الصحائف كما ان قولنا ان حضرة التاجر " تاجر " امين صادق في معاملتهِ يقنع بالارباح القليلة لا يمنع ان يكون غيرهُ من التجار من ذوي الصدق والاستقامة وفي هذا القدر كفاية س . خ .

مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام

لئن فضل الشرقيون رجالهم على النساء ونظروا الى المرأة نظرة الازدراء فذلك لا ينقص من قدرها ولا يحط من مقامها طالما هي أمٌ وامرأة تدبر العائلة بحسن ادارتها وتربي

الاولاد بفضل آدابها وتلهم الرجل بسديد رأيها وترقي البلاد باعداد رجالها

ولم يكن للمرأة قدر يذكر ولا مقام يُعرَف حتى قامت المدارس لتعليمها وشيدت دور الادب لتهذيبها فخرجت منها تضاهي الرجل بمضاء العقل وتجاربهِ في ميدان العمل الى حدّ أدرك الرجل عنده مقام المرأة الجديد فطرح عنهُ ما كان في عقلهِ من احتقارها ورأت هي منهُ ذلك فأخلصت لهُ محبتها وأنعشت بروح الحريَّة فسارت في مضمار الارتقاء شوطاً بعيداً

نظر الغربيون بوجهِ الحكمة الى اهمية المرأة في التربية وعرفوا مواضع الخلل فيها فاصلحوها وكاد ان يقضى على المرأة في الشرق لولا نفحة علم هبَّت فأحيت ما كان ميتاً من حقوقها واظهرت ما كان غامضاً من عجائبها وأبانت في مدارسنا السورية للبنات من قوة المرأة واهليتها ما لم يحلم بهِ اجدادنا من قبلنا. فقد احتفلت في ٢٦ حزيران من هذهِ السنة مدرسة البنات الاميركيَّة في طرابلس الشام بمنح شهاداتها لخمس من الفتيات وما أزفت الساعة الأ ووفد القوم الى المنتدى الاميركي حتى اذا غصَّ بهم افتُتح الاحتفال بالصلاة انبرت المنتهيات الخمس بحللهن البيضاء فتلت الآنسة هيلانة جرجس خطاباً في "اللغة الانكليزية" والآنسة انيسة صراف خطاباً "في السعي وراء المال" والآنسة زهية غراب خطاباً في "المهاجرة" والآنسة روزا نحاس خطاباً في "الخمول في الشرق" والآنسة مناشة حكيم خطاباً في "التهذيب الحديث والوداع" وقد أظهرت كلٌّ منهن من سعة الاطلاع والبراعة في الالقاء ما حملنا على الاعتراف بفضل المدرسة المذكورة وتقديم الثناء للقائمين بها الذين لا يألون جهداً في اعلاء شأنها. ثم تلاهنَّ حضرة الخطيب السنوي الاستاذ داود افندي قربان بخطاب انيق في "الوراثة الطبيعية" بيَّن فيهِ ما يجب على الوالدين ان يورّثوهُ لاولادهم الذين سيتصفون باوصافهم وينشأون على نشأتهم ومنحت الشهادات بين التصفيق والانغام وارفضَّ الجمهور وهم يدعون لمشيّدات العلم بدوام البقاء

طرابلس الشام ا. اخ

ردٌّ على انتقاد

اطلعتُ على ما ورد في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة لحضرة الاديب (باحث مستفيد) تحت عنوان منزلة الشعر من التاريخ فرأيت في كلامهِ الامور الآتية

(١) مؤاخذة مجلة المقتطف بتنويهها بفصول مقالتي

(٢) شكوى من التطويل في مقالتي

(٣) ادعاؤُهُ انني لم اكد اعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي

نظموا فيهِ الاشعار التي استشهدت فيها

(٤) ان النقود وُجدت في زمن اسبق من الزمن الذي رويتُ ان العرب كانوا يتعاملون فيهِ بالنقود

(٥) انهم لولا تعاملهم بالنقود لما كانوا بشرًا

(٦) كون وزن النقود والذهب والفضة دليلاً على ضعف العمران

(٧) ذكر ملابس العرب لا يدل على ارتقائهم

(٨) ان التيجان اقدم استعمالاً من زمن العرب

(٩) القول ان العرب كانوا يأكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه

وسأجيب على كل ذلك

البحث الاول

حبذا لو جاد حضرة المنتقد الفاضل باسمهِ الكريم ليكون تأدُّبي في مناظرتهِ اتمَّ بل لأتحقق ما اذا كان لي ان اجاذبهُ عنان المناظرة او لا . فقد ذكر حسن باشا زاده في شرحهِ رسالة كلنبوي " ان للمناظرة آداباً تسعة .... ثامنها انهُ ينبغي ان يحترز عن المناظرة مع اهل المهابة والاحترام " وقال عبد الوهاب الآمدي في شرح الولدية "ولا تباحث المهيب المحتشم"

ثم ان مواد الاقيسة تختلف مكانتها باختلاف المتناظرين فما يجب على فريق ان يسلم بهِ قد لا يجب على فريق آخر التسليم بهِ فلو عرف كلٌّ منَّا مناظرهُ لكانت سهام احتجاجهِ اسدَّ تصويباً واصمى رمية . فضلاً عن ان البلاغة مطابقة الواقع لمقتضى الحال . ومقتضى الحال يطلب تعيين المخاطب

ومالي اعدد اوجه الاحتجاج في هذا الصدد وقد تصدَّى حضرتهُ لمعارضة منشئي المقتطف الفاضلين في قدر بحث علمي وهما اللذان ما برحا منذ نحو ثلاثين عاماً يستخرجان من مناجم الابحاث المفيدة درر الفوائد فيرصعان بها قلائد المعقول والمنقول وقد خبرا اذواق قراء مجلتهما فعرفا اية ابحاث هي اسوغ في آذانهم واعلق باذهانهم . فهل بلغ حضرتهُ مبلغهما في كل ما ذكر ليكون لرأيهِ من الوقع ما لرأيهما

اقول هذا تطويلاً في البحث على ما ينسبهُ اليَّ حضرة المنتقد ولو شئت لقلتُ لم يكن التنويهُ مني فيتعين الجواب عليَّ

البحث الثاني

قال حضرة المنتقد " فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأنها من المكتشفات العصريَّة والمبتدعات المفيدة "

اجيب ماذا يريد حضرتهُ بقولهِ " على ما فيها من التطويل " فان اراد اعطاء كل بحث حقهُ من الاستيفاء فهل يرى في ذلك بأساً. وان اراد ان من الشواهد ماهو متفق المعنى موحَّد الغاية فذلك يكون لاختلاف تلك الشواهد في الوضوح او لتعدد قائليها او لاعتبارات اخرى. والمسلك الذي سلكت فيهِ هو مسلك جلة العلماء والمنشئين ألا يرى ان مجلة المقتطف في مقالتها "مشاهير الزمان" المدرجة قبيل انتقادهِ بصفحات اتت بثلاثة شواهد متفقة المعنى موحَّدة الغاية مع ان ذاك البحث ليس ممَّا يشتجر بهِ عوامل الاختلاف . وهكذا نجد سيبويه امام النحاة يورد على القاعدة الواحدة عدة شواهد انظر مثلا " باب ما اواخر الاسماء فيهِ الهاء " فانهُ قد قال فيهِ " واعلم ان الشعراء اذا اضطرُّوا حذفوا هذهِ الهاء في الوقف وذلك لانهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلاً منها وقال الشاعر (ابن الخرع) (متقارب)

كادت فزارة تشقى بنا فاولى فزارة اولى فزارا

وقال القطامي فقي قبل التفرُّق يا ضباعا

وقال هدبة عوجي علينا واربعي يا فاطما "

وهذه الشواهد الثلاثة في بحث واحد لغاية واحدة . وهذا الامام ابن منظور اللغوي مع ما اشتهر عنهُ من تلخيص المطوَّلات واكتفائهِ بالزبد نجدهُ في معجمهِ لسان العرب يسرد الشواهد العديدة في البحث الواحد للمقصد الواحد مثال ذلك قولهُ ان الصراري هو الملاَّح (البحَّار) " بدليل قول الفرزدق

ترى الصراريَّ والامواج تضربهُ لو يستطيع الى برّية عبرا

وكذلك قول خلف بن جميل الطهوي

ترى الصراريَّ في غبراء مظلمة تعلوهُ طورًا ويعلو فوقها تيرا (١) "

فاكتفي بهذه الشواهد خشية التطويل واقول ان سرد الشواهد المتعددة في البحث الواحد للغاية الواحدة لهُ مواقع هي اشبه بما يذكرهُ علماء المعاني من مواقع ذكر المسند اليهِ

ولعل حضرة المنتقد يذهب في عبارتهِ السابق ايرادها الى نكتة بديعية هي الاتيان بالمديح في معرض الذم فألبس عبارتهُ مظهرًا تبدو بهِ المؤاخذة وهو يبطن الثناء ويؤيد هذا الظن اذا

(١) تيرجع تارة

اعتبرنا كأن في قولهِ "كأنها من المكتشفات العصرية" واردة للتأكيد على مثال ما يخرج قول امرىء القيس

أحارِ بن عمرو كأني خمر ويأتي على المرء ما يأتمر

اي انني خمر . اقول ان كان هذا ما اراده فان فريقاً كبيرًا في طليعتهِ حضرة الكاتب البليغ والباحث المدقق محمد افندي كردعلي يرى غير ما ارتاه ويقول انني آخذ ما خذ الاختصار ويشير عليَّ بالتطويل واري ان القول ما قاله هذا الفريق فقد اوجزت الكلام في معظم الفصول التي اوردتها وكان الأَولى ان استوفي البحث فمن ذلك

(في فصل الطيوب) ذكرتُ في فصل الطيوب ان الرجال كانوا يتطيبون واهملتُ الفصل بين الطيوب الخاصة بالنساء والطيوب المشتركة بين الفريقين . فقد روي عن ابراهيم النخعي انهُ قال "انهم كانوا يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورتهِ بأساً" قال شمر "اراد بالمؤنث طيب النساء مثل الخلوق والزعفران وما يلوّن الثياب واما ذكورة الطيب فما لا لون لهُ مثل الغالية والكافور والمسك والعود والعنبر"(٢) واقول هذا القول اغلبي فقد ورد ان الذكور كانوا يتطيبون بمؤنث الطيب قال الاعشى

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنتُ بها قديمًا مولَعا
الخمر واللحم السمين واطّلي بالزعفران فلن ازال مولَعا

والزعفران من مؤنث الطيب كما ترى ذلك في كلام شمر

(وفي فصل الصنائع) اهملتُ من فصل الصنائع ذكر الخياطة وقد ورد من شواهدها قول الاعشى

وانبئتُ قيساً ولم ابلهُ كما زعموا خير اهل اليمن
يشقُّ الامور ويجتابها كشقّ القراري ثوب الرَّدَن (٣)

(وفي بحث الاستياك) اهملت انهم كانوا يتخذون المساويك من خشب الزيتون ايضاً . قال النابغة الجعدي

كأن فاها اذا "تحككت" من طيب مشمٍ وحسن مبتسم
يُسَنّ بالضرو من براقش أو هيلان او ناضرٍ من العُتُمِ (٤)

(٢) عن مادة انث في لسان العرب (٣) يشق الامور اي يبرمها ابرامًا . ويجتابها اي يقطعها على احسن الوجوه . والقراري نسبة الى القرار اراد بهِ الخياط . الردن الخز عن المقاصد اللغوية لمدني

(٤) يسن يسوك . الضرو شجر طيب الرائحة والعتم الزيتون . وبراقش وهيلان واديان في اليمن

(وفي بحث الغياصة) اهملتُ ما اوردتهُ في هذا الرد من شواهد الصراري وشواهد أُخرى تؤيد وجود الملاحة عند العرب

(وفي بحث الحدادة) اهملت ذكر اشتهار بني تميم بالحدادة نظرًا لما هو مشهور من هجاء جرير للفرزدق بان اباءهُ كانوا قيونًا كقولهِ

كان العنان على ابيك محرَّمًا والكير كان عليهِ غير حرامِ

كما اهملت استطراد البحث في قول النابغة الذبياني

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قمصاء ذائل

فقد ذهب بعضهم كقدامة بن جعفر الى ان المراد بسليم سليمان بن داود النبي فغيَّر اسمهُ لضرورة الوزن [٥] فانَّ ذلك البحث طويل ربما اخرجني عما رسمتهُ لنفسي

البحث الثالث

قال حضرة المنتقد "ولكن يرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها"

اجيب انني قلت " الشعر اهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار " ولم اقل اننا " نعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ الخ " فيكون لاعتراضهِ وجهٌ

ثانيًا ان اعتراضهُ يحمل ضمنًا الادعاء ان العثور على المنتظر لا يعدُّ ذا شأْن . وهو ادعاء باطل فاننا نجد روَّاد العاديات لا ينقبون عنها الا حيث ينتظرون العثور عليها ومع ذلك فان مايعثرون عليهِ يعدونهُ من التحف

ثالثًا ليس كلُّ ما ينتظر معلومًا واضرب لذلك مثلاً وهو انني لمَّا مثلتُ روايتي وفاء السموأل جاء فيها " سلام ايها الملك الهمام " فانكر عليَّ بعض الادباء ان يكون السلام على الملوك عند العرب في الجاهلية هكذا وانما كان بأبيت اللعن فقلت اولاً ينتظر ان يكون السلام بالعبارة التي وردت في كلامي فردَّ عليَّ بان المنتظر قد لا يكون حادثًا حينئذٍ استشهدت بقول امية "سلام ايها الملك اليماني " ولهذا قلت " ابيت اللعن وردت تحية تستدل انها احدى التحيات الواردة في مخاطبة الملوك لا التحية الخاصة كما يزعم البعض [٦] "

وعلى ذلك فبما ان بعض المنتظر غير معلوم . وكل ما ليس بمعلوم يكون في نشرهِ فائدة

(٥) انظر فصل ائتلاف اللفظ والوزن من كتاب نقد الشعر

(٦) انظر الصفحة ٤١١ من مجلد المقتطف ٢٧

مما كان في ما انشره عند من يعده منتظراً غير معلوم فائدة هي منية لمطالع الاديب

البحث الرابع

قال حضرة الاديب " ان استعمال النقود قديم جداً من قبل عهد الاسكندر " " وان العرب لا يُعقل الاً انهم يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم " واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام و يلبسون الثياب

اجيب على المقدمة الاولى

لم اتعرض للبحث في " متى وُجدت النقود عند العرب " وخلاصة ما كان مني انني اوردت في الابحاث التي سبقت فصل استعمال النقود ان العرب كانوا ذوي ارتقاء في العمران [٧] . ثم قلت ان "النقود وسيلة التعامل عند الامم الراقية في العمران [٨] " فكان قياس كلامي ما يأتي

كان العرب من الامم الراقية في العمران . والامم الراقية في العمران كانت تتعامل بالنقود . فكانت امة العرب تتعامل بالنقود . اذن فلا يرد على قولي قوله " ان استعمال النقود قديم جداً من قبل عهد اسكندر "

واجيب على المقدمة الثانية هذا قول مطلوب البيان

واجيب على النتيجة (اولاً) لا مناسبة بين المحمول والمحمول عليهِ فقد تترقى المدنية الى مكانة سامية في العمران ولا نقود . ولا يعيش انسان بلا طعام

(ثانياً) لا اعلم من اين اتى بهذه النتيجة فان انكر كونها نتيجة فالمطلوب اثبات صحتها

ثم انهُ لا يعزب عن حضرتهِ ان المؤرخ يجب عليهِ ان يذكر ما كان من ابحاث تاريخهِ استطراداً والاَّ كانت ابحاثهُ غير مستوفاة . وقد وضعتُ فصل النقود دفعاً لتوهم ان العرب كانوا لا يتعاملون بالنقود كما سيرد في هذا الرد

ولا خلاف ان الشعر العربي لم يصل الينا من بدء استعمالهِ وانما وصل الينا ما ورد منهُ قبيل الاسلام بقليل فالشعراء الاولون مجهولو الاقوال ولو وصلت الينا اقوالهم لاتخذنا منها حججاً تاريخية مكانتها من الاعتبار بمكانة تلك العصور

وكما ان في تعدّد الاهرام فوائد تاريخيَّة كذلك في تعدد اشعار العصور فوائد تاريخيَّة

---

(٧) انظر الفصل الثاني من مقالة منزلة الشعر المدرج في الجزء ٣١١ من المجلد ٣٧١١ من المقتطف والفصل الثالث في الجزء ٥١١ والجزء ١١١١ (٨) الجزء الاول من المجلد ٣٨١١ .

فالعصر الدارس شعرهُ لا نستطيع معرفة مدنيتهِ كما لو كنَّا وقوفاً على شعرهِ

ولما كان عصر استعمال النقود من زمن "قديم جدًّا قبل عهد الاسكندر" كما يقول حضرة المنتقد كان الوقوف على بدء استعمال النقود مما يقوم عذري اذا لم استطع تعيينهُ من الشعر

وقد تقاضاني حضرة المنتقد بحثاً آخر هو ايراد شاهد على صك العرب الجاهلية نقوداً فان الشواهد التي استشهدتُ بها منها ما يدل على كونها مجتلبة من نقود الامم المتاخمة ومنها ما لا يدلُّ على شيء سوى تداولها بين العرب . وهذا البحث قد اعرتهُ التفاتاً خاصًّا لاسيما بعدما اشار عليَّ بهِ ولكنني لم اظفر لهُ بشاهد شعريّ مع كل ما بذلتهُ من الاهتمام . وقد ظفرت بشاهد غير شعري ذكرهُ المبرد في كتابهِ الكامل وهو

" وحدثني التوازي عن ابي عبيدة او الاصمعي عن ابي عمرو قال . قال لي رجل من اهل القريتين [٩] اصبتُ ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم واربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس نخفت السلطان فأخفيتها [١٠] " ولم اورد هذا الشاهد في مقالتي لانهُ من المنثور

امين ظاهر خير الله

حمة النحلة والزنبور

اني قرأت بمجلة المقتطف جزء سابع سنة ١٩٠٣ صفحة ٦٠٢ تحت عنوان لسع الحشرات ما يأتي : اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولداً فاجتهد اولاً لتنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) وهذا لتفسير غلط محض لان الحمة السم والضر كما جاء في كتاب اداب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينوري (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى انها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرهما وكذلك هي من الحية لانها سم ومنهُ قول بن سيرين يكرهُ الترياق اذا كان فيهِ الحمة يعني بذلك السم واراد لحوم الحيات لانها سم ومنهُ قولهُ لارقية الا من نملة او حمة ولذا ارسلت لكم بهذا لتصليحهِ وتصليحهِ بالعدد القادم . ولي بعد درج هذا التصليح شيء آخر والسلام

(المقتطف) جاءنا هذا التصحيح او الانتقاد من غير تخليص من البريد ومن غير امضاء فاستلمناهُ من البريد على خلاف عادتنا من اهمال ما يرسل الينا من غير تخليص ونشرناهُ على غير عادتنا من اهمال ما يأتينا من غير امضاء . اما استلامهُ فكان خطأ واما نشرهُ فكان

---

(٩) قال المبرد ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لطسم وجديس

(١٠) في الصفحة ٤٣١ من نسخة الكامل المطبوعة سنة ١٢٨٦

لاظهار فائدة والفائدة هي انهُ اذا اختلف اهل اللغة واهل علم في معنى كلمة مستعملة في ذلك العلم فالقول ما قالهُ اهل العلم في ذلك المعنى · ومن هذا القبيل كلمة حمة فان علماء اللغة يقولون ان معناها السم لكنهم لا يحتمون ان معناها السم لاسواهُ فقد قال صاحب لسان العرب "الحمة السم وقال بعضهم هي الابرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك او تلدغ بها"

وظاهر من ذلك ان علماء اللغة الذين نقلوا العربية عن اهلها رأوا ان بعض العرب يستعملون الحمة بمعنى شوكة الزنبور والعقرب واكثرهم يستعملها بمعنى السم لكن المتكلمين في طبائع الحيوان وعليهم المعول في اسماء اعضائهِ لهم ان يسموا كل عضوٍ من اعضائهِ بما يشاؤُون سواء وافقوا في ذلك علماء اللغة او لم يوافقوهم كما ان الصرفي والنحوي والبياني والعروضي والمنطقي يستعمل كلٌّ منهم في علمهِ كلمات كثيرة موافقة لوضعها او غير موافقة لهُ ككلمة صرف ونحو وماضي ومضارع وامر وسالم وصحيح ومعتل ومثال واجوف وناقص ومبتدإٍ وخبر ومنصوب ومجزوم ومضاف ومسند وتورية واستعارة وجناس وقافية وفاصلة وموضوع ومحمول الى غير ذلك مما يعد منهُ ولا يعدَّد

فهل استعمل المتكلمون في طبائع الحيوان الحمة بمعنى ابرة النحل والزنابير والجواب نعم وهاك ما قالهُ امام المتكلمين في طبائع الحيوان من العرب كمال الدين الدميري قال في كلامهِ على النحل ما نصهُ "ومن خصائص الملك ان لهُ حمة يلسع بها" وكلامهُ حجة لا تردّ



مثال الاباعد

ابعدية المسيو بايرلي

طالما بلغنا عن ابعدية المسيو بايرلي مدير البنك العقاري المصري انها مثال الاباعد المصرية في الاعتناء بالزراعة وخدمة المواشي فقصدناها في هذهِ الاثناء لكي نرى الاساليب المتبعة فيها ونصفها لحضرات القراء الذين لم يشاهدوا تلك الابعدية لان السبيل الذي يرجى منهُ النفع الاكبر لاهالي هذا القطر هو اتقان الزراعة اتقاناً تامًّا حتى ان الفدان الذي يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من الحنطة او خمسة قناطير من القطن يصير محصولهُ ثمانية ارادب من

الحنطة او ثمانية قناطير من القطن وقس على ذلك سائر حاصلات الارض · وهذهِ النتيجة اي زيادة الحاصلات من خمسة الى ثمانية او عشرة مقدورة لكل ارباب الزراعة في اكثر الاباعد والسبيل اليها غير متعذر على احد وهي تقوم باتقان الحرث والعزق والتسميد والري والصرف وانتقاء التقاوي كما سيظهر من الشرح التالي

ذهبنا الى ابعدية المسيو بايرلي من الزقازيق في مركبة اوصلتنا اليها في نصف ساعة والطريق اليها متحفّر كثير المرتفعات والمنخفضات يعلوهُ الغبار احياناً حتى يسد المنافس لكثرة ما يمرُّ عليهِ من المركبات والمواشي والقطعان . والاطيان على جانب الطريق جيدة التربة بعضها مهمل وبعضها مخدوم خدمة حسنة ولو خُدِمت كلها الخدمة الواجبة لكانت مزروعاتها من اجود مزروعات القطر لكن الاهمال والتقتير باديان على كثير منها ولا سيما اذا قوبلت باطيان المسيو بايرلي التي بلغ فيها الاعتناء والكرم على الزراعة مبلغا يفوق الوصف

ولم نكد نصل الى حدود ابعدية المسيو بايرلي حتى بدت لنا دلائل العناية في مجرى الوابور والاشجار المغروسة على ضفتيهِ والنبات المزروع علفاً للغنم وكان حضرة الخواجا انطون خير وكيل المسيو بايرلي ومدير ابعديتهِ ينتظر قدومنا فاستقبلنا ببشاشتهِ المعهودة وشرع من ساعتهِ في اطلاعنا على ما الابعدية من المباني والآلات والادوات والاساليب المختلفة فقضينا نحو اربع ساعات كلها بحث وفائدة

والابعدية الف ومئتا فدان والظاهر انها لم تكن من جيد الاطيان لانها واطئة نوعاً حتى ان مياه المصارف التي حولها تبلغها اذا لم تطهَّر وهذا مما يزيد فضل المسيو بايرلي ووكيلهِ الخواجه خير اللذين اوصلاها الى هذه الدرجة من الخصب بعد ان كانت ارضاً سبخة ومما يثبت لاهالي القطر ان كل الاطيان التي يمكن ان تروى وتصرف تجود بالري والصرف وحسن الخدمة حتى تصير مثل اجود الاطيان

ومما يستوقف النظر اولاً ان كل ما ينقل في هذه الاطيان ينقل بمركبات على سكك حديدية ففيها سبعة عشر كيلو متراً من الخطوط الضيقة تنقل عليها الحاصلات والردم والسباخ ويسير عليها النظار اقتصاداً في الوقت والقوَّة وتوفيراً للنفقات . وقد بقينا نحو ثلاث ساعات راكبين مركبة يجرها بغل ونحن ننتقل في الاطيان من جهة الى اخرى ولو سرنا تلك المسافات مشياً على الاقدام لقضينا سبع ساعات وانهكنا التعب

ثانياً مزارب المواشي ومخازن الحاصلات وهي كلها واسعة عالية مطلقة الهواء مبنيَّة بالطوب الاحمر ومسقوفة بالقرميد وارضها مفروشة بالاسفلت تمتد فيها الخطوط الحديدية ·

ومزارب المواشي منفصلة عن مخازن الحاصلات وهي ثلاثة يسع المزرب (الدوار) منها اربعين زوجاً من الثيران ونحو عشرين فرساً او بغلاً ومئتي رأس من الغنم . وتقف المواشي ورؤوسها متقابلة على معلفين متوازيين متقابلين بينهما طريق عرضهُ متران مفروش بالاسفلت والسكة الحديدية تسير وراء المواشي من هنا ومن هناك لجلب الردم ونقل السباخ . والخيل والغنم في جناحين على جانبي المزرب. والمزارب كثيرة الشبابيك فضلاً عن ارتفاع سقفها الفائق فلا تشم فيها اقل رائحة خبيثة حتى كأن المواشي قائمة في الخلاء تظللها مظلة عالية من اشعة الشمس وهذا مما يدعوها الى زيادة الاكل ولكنهُ يزيد قوتها ايضاً . وقد كانت المواشي تملأ المزارب الثلاثة ولكن استُغني عن جانب منها بعد جلب محراث بخاري كما سيجيء

وصحة المواشي جيدة جداً ولم يصل اليها طاعون المواشي ولا سبيل لوصولهِ اليها على ما يظهر لانها تشرب من ماء بئر ولا تخالط المواشي الاجنبية . لكن اساليب العدوى مختلفة فقد عديت الفراخ التي هناك بكوليرا الفراخ وماتت كلها والظاهر ان العدوى وصلتها بواسطة العصافير على ما يظنهُ حضرة الوكيل

والمخازن كبيرة مثل المزارب وهي غرف فسيحة ارضها مفروشة بالاسفلت ومع ذلك لا تنجو الحبوب فيها من السوس اذا اقامت من سنة الى اخرى وقد رأينا فيها الفول الباقي من علف المواشي من السنة الماضية ضربهُ السوس حتى اتصل بكل حبة منهُ . والحبوب مفصولة في المخازن كل نوع على حدة وهي عرم كبيرة جداً لكثرة ما يستغل منها

ثالثاً عزب السكان وقد دخلنا عزبتين منها وفي كل منهما جامع بناهُ المسيو بايرلي احسن بناء واستوفى فيهِ الشرائط الصحية كلها. اما بيوت الفلاحين انفسهم فلا يظهر انها ارتقت عن حالة السذاجة التي تكون في سائر العزب كأن سكانها لا يستطيعون ان يصنعوا شيئاً لانفسهم من تلقاء انفسهم فيرون بيت المالك ووكيلهِ ومستخدميهِ ومخازن الغلال ومزارب المواشي كلها مبنية احسن بناء ونظافتها تامة ولا يهتمون بتنظيف مساكنهم مثلها . بل يرون قفران النحل ومرتفقات الجوامع انظف من بيوتهم ولا تاخذهم الغيرة . وهذهِ خلة تشغل البال لانهُ ان لم توجد في الفلاحين محبة الاقتداء بالغير والتمثل بمن هم احسن منهم لا ترتقي حالهم مهما بذل من الوسائل لترقيتهم

رابعاً مخمر السباخ. قلنا ان الردم تحت المواشي وجمع السباخ من تحتها وتحت الدواب والغنم دائمان لكن سباخ هذهِ الحيوانات لا يكفي اطياناً مساحتها ١٢٠٠ فدان وقد بذلت العناية في عمل السباخ الصناعي من نفايات الزراعة وغائط السكان وما يستخرج من مراحيض الجوامع

في المدن القريبة كالزقازيق و بردين

وصنع في الارض حوض كبير جداً قائم الزوايا وبُطن من الداخل بالسمنت فتقص عيدان الذرة وكل نفايات النبات وتوضع في هذا الحوض ويوضع معها تراب ويصب عليها كل ما يمكن الحصول عليهِ من بول وغائط وماء قذر . واسفل الحوض منخفض تتجمع فيهِ المياه المتحلبة ثم ترفع بطلمبا يديرها ثور وترسل في انابيب معدنية وتنصب ثانية على ما في المخمر فيختمر كل ما فيهِ ويحل ويستحيل الى سماد تفوح منهُ رائحة النشادر ثم يرفع ويمزج بقليل من فصفات الجير حتى يصير منهُ فصفات الجير النشادري و ينقل الى الغيطان وتسبخ بهِ الارض المعدَّة لزراعة الذرة فيحرث معها ويبقى فيها منهُ من الغذاء ما يكفي للقمح والقطن اللذين يزرعان بعد الذرة

والحوض المشار اليهِ مقسوم قسمين حتى يستعمل قسم منهُ بينما يملأ القسم الآخر . والاسلوب المستعمل لنزح مراحيض الجوامع واجرائها الى هذا المخمر تدل على تمام الاعتناء والمهارة والحرص على الانتفاع بكل شيء

خامساً المحاريث — المحراث المستعمل هناك هو المحراث البلدي ويفضلهُ حضرة الوكيل لخفتهِ ولانهُ لا يغور كثيراً في الارض . وقد صلح الاطيان بالقصابيَّة البلديَّة لكنهُ يستعمل ايضاً محراثاً بخارياً كبيراً من معمل فولر لهُ وابوران بخاريان كبيران قوة كلٍ منهما ١٦ حصاناً فيسير الوابوران على جانبي الحوض ويجرّان المحاريث بحبل ثخين من اسلاك الصلب ذهاباً واياباً ويتقدمان رويداً رويداً الى ان يتمّا حرث الحوض كلهِ وهما يحرثان في النهار من ١٥ فداناً الى ٢٥ فداناً حسب كون الارض صلبة او لينة . وثمن هذين الوابورين والمحاريث التي يجرانها ثلاثة آلاف جنيه واسلحة المحاريث لا تقلب الارض كثيراً كسكك المحاريث الافرنجيَّة فهي شبيهة باسلحة المحاريث البلدية ولكنها اشد غوراً منها في الارض فترفع التراب الاسفل وتقلل خصب الارض مدة سنتين او ثلاث الى ان تمضي مدة كافية لفعل الهواء والشمس . اما التخطيط فيكون بالمحاريث البلدية

غير ان هذا المحراث البخاري غالي الثمن ثقيل على الارض ويصعب نقلهُ فيها اذا كانت كثيرة المراوي وقد علمنا من الخواجه انطون صباغ انهُ اشترى محراثاً بخارياً يجرهُ وابور واحد متصل بهِ وهو رخيص ثمنهُ الف جنيه ويحرث في النهار اكثر من عشرين فداناً حرثاً جيداً يقوم مقام حرثتين بالمحاريث البلدية فاذا بقي جارياً هذا المجرى فقد انحلت بهِ عقدة كبيرة من عقد الزراعة في هذا القطر وهو عدم وجود المواشي الكافية وغلاء العلف واجور الانفار .

سادساً سائر ادوات الزراعة هي كثيرة جداً اخصها آلة الفم وآلة الدراسة وقد رأينا آلة الدراسة تدرس الحنطة ولها فم كأنهُ الهاوية يلتهم اغمار الحنطة باسرع من البرق تدرسها الآلة وتغربل الحنطة وتفرزها وتلقي الحبوب الكبيرة في كيس والمتوسطة في كيس ثانٍ والدقيقة في كيس ثالث ويخرج التبن منها مكسّراً مدعوكاً وهي تدور بآلة بخارية قوتها ثمانية احصنة وتدرس في النهار غلة ستة فدادين اي نحو ٤٨ اردباً من الحنطة و٩٦ حملاً من التبن لان متوسط غلة الفدان هذه السنة ثمانية ارادب من القمح و١٦ حملاً من التبن

ومنها آلة انتقاء التقاوي وهي غرابيل اسطوانية مختلفة الثقوب فتفرز الحبوب الرقيقة وحدها والكبيرة وحدها ولا يستعمل للتقاوي الا الحبوب الكبيرة وبهذه الواسطة انتقي القمح والشعير والذرة السبعينيَّة حتى صارت حبوبها من اجود ما يكون ومحصولها من اكثر ما يكون

ومنها ميزان يزن الحاصلات وتخرج منهُ ورقة كتب عليها مقدار كل زنة وآلات لتكسير القلاقيل . وهناك ورشة لتصليح الآلات والادوات

سابعاً الاعتناء بالمراوي والمصارف وتبطين بعضها بالسمنت او زرع نوع من الزنبق على حافاتها حفظاً لها من الانهيار وزرع الاشجار على جوانبها تظليلاً للسابلة وانتفاعاً بجسورها . واكثر الاشجار من شجر سريع النمو بلغ ساق بعضهِ ١٢ متراً ارتفاعاً ونحو ٢٠ سنتيمتراً قطراً مع ان عمرهُ سبع سنوات . والاهتمام بهذهِ الاشجار كثير حتى انهُ زرعت غابة كبيرة منها . وزُرعت اشجار اليوكالبتوس في اماكن كثيرة للاستظلال بظلها والانتفاع بخشبها هذا عدا الحديقة الخاصة ببيت المالك وما فيها من اشجار الفاكهة والازهار والرياحين

ثامناً الاعتناء بتربية النحل للانتفاع بعسلهِ وبتلقيحهِ لازهار المزروعات بعضها من بعض وقد استُغلَّ من العسل هذا العام نحو ٦٠ كيلو وهي تستخرج بآلات استخراج العسل وتوضع في حناجر من الزجاج والعسل شفاف ابيض ضارب الى الصفرة يباع الكيلو منهُ باثني عشر غرشاً

وليس في الارض الآن زراعة غير القطن وهو تامٌّ مخضرّ الورق كثير الطرح ويظن حضرة الوكيل ان محصول الفدان هذا العام لا يكون اقل من محصولهِ في العام الماضي ان لم يكن اكثر منهُ

هذا ولا شبهة في ان النفقات التي أُنفقت على هذه الاطيان كثيرة جداً ولكنها لم تضع سدًى بل كل جنيهٍ أُنفق عليها زاد في قيمتها جنيهات وقد بدأَت فائدتهُ تظهر في زيادة الريع فان الريع يزيد الآن عاماً فعاماً والنفقات تقلُّ عاماً فعاماً وهذا غاية التدبير الزراعي . ولا شبهة في انهُ انفقت فيها نفقات كثيرة يمكن الاستغناء عنها لانهُ لم يُتبع في تنظيمها دستور كان معروفاً

في هذا القطر فهي الآن دستور ما يتلوها فيجتنب الذين يجرون على مثالها النفقات الزائدة ويقتصرون على ما ثبت لزومهُ ونفعهُ بالاختبار وكأنها مدرسة زراعية ودار امتحان افادت الذين شاهدوها وستبقى فائدتها تتجدَّد ما دام الناس ينتفعون من اختبار غيرهم

الهليون (كشك الماظ)

الهليون ويعرف في مصر باسم كشك الماظ نبات معروف يؤْتى باغصانهِ الطرية من اوربا وتباع بثمن غالٍ جدًّا. وهو يزرع الآن في القطر المصري ولكن ما رأيناهُ منهُ لا يقابل بما يأتي من اوربا لا من حيث غلظهُ ولا من حيث بياضهُ ولا من حيث نضارتهُ ولذلك لا يباع غالياً مثل الهليون الذي يؤْتى بهِ من اوربا. واذا امكن ان يزرع في القطر المصري ويكون ابيض غليظاً طريّاً مثل الهليون الذي يرد من اوربا فمنهُ ايراد وافر جدًّا اكثر من ايراد كل زراعة اخرى. نعم انهُ لا يمكن ان تزرع زراعات واسعة منهُ لان مقطوعيتهُ محدودة في هذا القطر ولكن اذا كثرت زراعتهُ ورخص ثمنهُ فلا يبعد ان يصدر منهُ الى اوربا بدل ما يرد منها الآن وسوقهُ رائجة في اوربا فيكون منهُ ربح وافر جدًّا

ويجود الهليون قرب الشطوط البحرية اكثر مما يجود في داخلية البلاد اذا تساوت وسائل الزرع والتسميد ولكن اذا بذلت العناية التامة في الزرع والتسميد في داخلية البلاد بعيدًا عن البحر جاد فيها ايضاً

والارض التي يزرع فيها يجب ان تكون رملية ومن اجود الاراضي الرملية وان تسبخ التسبيخ الكافي سنويًّا فاذا تمَّ لها ذلك بقي يجود فيها عشرين او ثلاثين سنة. ويراد بالارض الرملية ما كان الرمل فيها اكثر من الطين لا ما كانت رملاً صرفاً

ولا بدَّ من حرث الارض التي يزرع فيها حرثاً عميقاً جيدًا وان تسمَّد قبل الزرع بسماد كثير من السباخ البلدي والجوانو وما اشبه ويجاد حرثها حتى ينعم ترابها جيدًا

وتخطط الارض خطوطاً بين الخط والآخر نحو اربعين سنتمترًا وعمق الخط خمسة سنتمترات ويزرع البزر فيها في اواخر فصل الشتاء حينما يصير يمكن عزقها. والنبات الذي ينبت من هذه البزور اما ان يراد نقلهُ وعمرهُ سنة او يراد نقلهُ وعمرهُ سنتان فاذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنة يخفف بعدما ينبت حتى يبقى بين النبتة الواحدة والاخرى سبعة سنتمترات واذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنتان لا يخفف مادام زرعهُ منتظماً

ويعزق النبات بعزاقة صغيرة بعدما ينبت وتنزع منهُ الاعشاب باليد ثم يخفف اذا اريد

غرسهُ وعمرهُ سنة ويعزق ثانية بعد اسبوعين ولا بدَّ من ابقائهِ نقيًّا من الاعشاب كل فصل الربيع والصيف واذا ترك في مكانهِ السنة الثانية فلا يحتاج في الربيع والصيف التاليين الاَّ العزق ونزع الاعشاب

والرطل من البزر ينبت منهُ عشرة آلاف نبتة · ويمكن ان يزرع المليون من قرامي تشترى من مربي الجنائن اختصارًا في الوقت ويغرس المليون في كل الاراضي ولكن الاراضي الرملية اصلح لهُ من غيرها بشرط ان تكون عميقة التربة جيدتها لان جذورهُ تغور في الارض الى عمق عميق وكلما زاد خصب الارض زاد نموهُ فيها ولا بد من حرثها حرثًا عميقًا جيدًا في فصل الخريف ثم تمهَّد حتى ينعم ترابها وتسبخ بالسباخ البلدي في الربيع يضاف الى الفدان ستون او سبعون حملاً او قنطاران من دقيق العظام او النصف من الاول والنصف من الثاني ثم تحرث حرثًا عميقًا وتزحف ويضاف اليها السماد مرةً ثانية اذا كان خصبها قليلاً

غرس المليون — يمكن غرس المليون في الخريف ولكن يفضل ترك الخريف والشتا لزيادة اعداد الارض ثم يغرس في اول الربيع. وهو يغرس حينئذٍ على ابعاد متساوية من قدم ونصف الى ست اقدام وقد قال المستر برل الاميركي في كتابهِ عن الحقول والبساتين انهُ وجد بالاختبار ان بُعد خمس اقدام بين الخطوط اصلح من غيرهِ بشرط ان تكون الارض محروثة حرثًا عميقًا جيدًا ومسمدة كما يجب فيجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام وعمقها ثماني عقد ويجعل البعد بين غرس وغرس قدمًا ونصف قدم ويزرع الغرس وتبسط جذورهُ وتغطى بالتراب ويلبد ويطمر الغرس كلهُ حتى يعلو التراب عقدةً فوق رأسهِ · فاذا غرس المليون على هذه الابعاد وسع الفدان ٥٥٠٠ غرس

وطول القرمية الى آخر رأسها نحو عقدتين فاذا جعل سمك التراب فوقها عقدة بقيت ست عقد تحت سطح الارض اي بقي فوقها ست عقد من الحفرة التي زرعت فيها وحينما يفرخ النبات يتعهد بالعزق ويكرّر ذلك في فعل الصيف حتى تمتلئ الخطوط واذا جاء فصل الخريف صارت الارض مستوية

وفي الخريف يوضع السماد في الخطوط وتحرث الارض على جانبي كل خط ثم تمهد ثانية في الصيف التالي بالعزق وتنزع منها الاعشاب · وفي الخريف الثاني تحرث الخطوط على الجانبين ويضاف اليها سماد مختمر جيدًا او مسحوق العظام وتحرث ثانية حتى يعود التراب الى فوق الخطوط · وتعزق في الربيع حتى تكاد تستوي · ويظهر المليون حينئذٍ ونقطع منهُ الفروخ الكبيرة ولكن لا يقطع كثير منها لئلاَّ يضعف النبات

ثم يحرث في الصيف كما حرث اولاً ويسمد في الخريف ويكرر حرثهُ في الصيف وتسميدهُ في الخريف كل سنة ويعزق في الربيع حتى ينعم ترابهُ ويكوَّم فوق الاغراس واذا بقيت منهُ اغراس كبرت وازهرت وجب قطعها قبلما يتكوَّن فيها بزر لئلاَّ يقع البزر منها على الارض وينبت فيها فيتلف الاغراس

ويضاف الى الارض ملح في السنة الثالثة يذر على الفدان نحو اردب منهُ او يمزج بالسباخ ويوضع في الخطوط ولا ضرر اذا زيد الملح كثيرًا حتى تغطت بهِ الارض اما اذا كانت الارض ساحلاً بحريًا يتخلل الملح هواءهُ فلا داعي لاضافة الملح اليها

وتقطع فروخ الهيلون في اواسط الربيع ويكون قطعها اولاً ثلاث مرات في الاسبوع ثم تقطع كل يوم مرةً او مرتين وتحزم حزماً وتوضع في السلال واقفة على كعوبها ولا توضع وضعاً آخر لئلاَّ تتلف

وهي تقطع حينما يصير ارتفاعها ست عقد فوق سطح الارض فتقطع على اربع عقد تحت سطح الارض فيكون طولها عشر عقد وهو الطول الكافي عادة وتحزم بقشر عريض حتى لا تتجرح

ويبزر الهيلون حينما يصير عمرهُ سنتين وثمرهُ قرمزي اللون اذا نضج في الثمرة منهُ ثلاث بزرات الى ست وحينما ينضج يقطع الغصن الذي هو فيهِ ويمرث ثمرهُ حتى يخرج البزر منهُ ويوضع في الماء فيغرق البزر ويطفو الرب الذي كان حولهُ. ويكرّر غسل البزر حتى ينظف جيداً ثم يجفف في الشمس وفي الهواء وهو ينبت اذا زرع بعد سنة او سنتين الى ثلاثة

زراعة الموز

من مقالة للمستر بونابرت من اساتذة المدرسة الزراعية الخديوية

يزرع في القطر المصري اربعة انواع من الموز

الاول البلدي وتعلو شجرتهُ نحو ١٤ قدماً وهو كثير الانتشار في حدائق القاهرة وثمرهُ قصير ثخين خالٍ من البزر يبلغ طولهُ اربع عقد الى خمس ولونهُ ضارب الى الخضرة ولبهُ كثير السكر عطري الرائحة وينضج ثمرهُ من ابتداء الخريف الى اوائل الربيع

الثاني اصابع الست وثمرهُ صغير قصير يبلغ طولهُ ثلاث عقد وليس فيهِ بزر وهو دقيق منحنٍ ولونهُ اصفر ذهبي من الخارج وهو اقل ثمناً من الموز المتقدم واكثر وجودهِ في الخريف

الثالث الموز الصيني او الهندي وثمرهُ منحنٍ كالهلال دقيق طويل طولهُ نحو خمس عقد الى ستة وقشرتهُ صفراء غليظة ولبهُ خالٍ من البزر وطعمهُ لذيذ جدًّا ورائحتهُ طيبة وشجرهُ قصير

جداً وقد نجحت زراعتهُ في القطر المصري وانتشر زرعهُ في ضواحي الاسكندرية في ناحيتي القباري والرمل وعلى طول الترعة المحمودية وسيصير الوحيد في القطر المصري لانهُ اجود من غيره وقشر اثماره متين فيسهل اصدارهُ الى الخارج

الرابع الموز الاميركاني وثمرهُ كبير جداً يبلغ طولهُ من ٧ قراريط الى ١٤ قيراطاً وفيهِ بزور وهو قليل السكر فلا طعمهُ لذيذ ولا رائحتهُ طيبة فلا يصلح الاَّ للطبخ

وزراعة الموز من الاعمال الزراعيَّة الوافرة الربح وهي الآن محصورة في الحدائق ولكن ينتظر ان يتسع نطاقها فتشمل جانباً كبيرًا من الاراضي الزراعيَّة

الارض الموافقة لهُ — ينمو الموز في كل الاراضي ولاسيما الطينية الرملية الكثيرة الغذاء والمسام

كيفية غرسهِ — يُغرس من الفسائل او الخلفة وهي الفروع التي تتولد عند اصل شجير الموز والاحسن ان تقلع صغيرة وطول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف الى اربع ونصف او خمس حسب نوع الموز ويجب ان تكون نامية من اشجار سليمة ينضج موزها باكرًا . وتحرث الارض جيداً وتحفر فيها حفر البعد بينها من ٨ اقدام الى ١٢ قدماً ويكون البعد بين الخطوط من ١٠ اقدام الى ١٣ قدماً وتكون الحفر على طول قناة الري عمقها ٤٠ سنتيمترًا ويوضع في الحفر قليل من السباخ البلدي المختمر جيداً ويطمر من الخلفة قدم ويداس التراب حولها جيداً حتى لا يتخللهُ الهواء ويجفف الاصل المطمور والجذيرات حال نموها . ويزرع في الفدان ٣٥٠ شجرة ثمن كل شجرة منها من غرش ونصف الى غرشين . ويصلح الزرع في كل شهر من شهور السنة وافضل الاوقات من منتصف فبراير الى آخر مارس

الخدمة اللازمة — ينمو الموز بسرعة ويثمر في آخر السنة الثانية من زرعهِ وتتولد الفسائل (الخلفة) عند اصلهِ فيترك منها ثلاث فسائل او اربع ولا بدَّ من عزق ارضهِ حول اصولهِ وتسميدها بالسباخ البلدي المختمر جيداً كل عام وتقطع شجرة الموز حينما يقطع ثمرها وتترك واحدة من فسائلها مكانها ويدوم ذلك ما دام الثمر جيداً فاذا ظهر فيهِ ضعف تقلع القرمية كلها ويزرع موز جديد بدلاً منها

الري — يحتاج شجر الموز الى ري كثير فيروى حينما يزرع ثم يروى بعد ذلك في فترات قصيرة الى ان تثبت جذورهُ في الارض . ومتى ظهر ثمرهُ يروى في فترات طويلة ولا بد من ان يكون في الارض مصارف تصرف المياه بها

الجني — يجنى الموز قبلما ينضج جيداً ويعلق في مكان مظلم او بين التبن حتى يتم نضجهُ ويحلو طعمهُ وتطيب رائحتهُ

السماد ووزن القطن

ابنا غير مرة ما كان من فعل السماد الكيماوي في مقدار غلة القطن ولم نبين هناك مقدار تأثيره في تصافي القطن اي فيما نتج من القطن الشعر من كل قنطار قطن . وقد بيّن المستر فودن في مقالة نشرها حديثًا ان الخواجات خريمي وبناكي وشركاءهم حلجوا له انواع القطن المسمدة على اساليب مختلفة كل نوع على حدة فوجد تصافي القطن اليونفتش المزروع في ميت الدية على ما في هذا الجدول

اسم السماد	الجنية الاولى	الثانية
السباخ البلدي	٣/٤ ٩٤	٩٨
اعلى فصفات البوتاسا	١/٢ ٩٦	٣/٤ ٩٨
اعلى فصفات البوتاسا ونيترات الصودا وكبريتات النشادر	١/٢ ٩٧	١/٤ ١٠٠
من غير سماد	٩٥	٣/٤ ٩٧

اما القطن المزروع في الجيزة وهو من الميت عفيف فبلغ صافي المزروع بعد الذرة مسبخًا بالسباخ البلدي ١/٢ ١٠٤ ومسبخًا بالاسمدة الكيماوية من النيترات والفصفات ١/٢ ١٠٦

ويستدل من ذلك كله ان السماد الكيماوي يزيد التصافي نحو رطلين في القنطار سواء كانت الارض قوية كارض الجيزة او ضعيفة كارض ميت الدية

موسم القطن

بلغ الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي حتى الرابع والعشرين من يوليو ٥٧٠٠٠٠٧ اي خمسة ملايين وسبع مئة الف قنطار وذلك اقل مما ورد في العام السابق بنحو سبع مئة وسبعين الف قنطار . وقد زاد المتصدر الى انكلترا نحو مئة وسبعين الف قنطار ونقص المتصدر الى اوربا نحو سبع مئة الف قنطار وكذلك نقص المتصدر الى اميركا ١٦٥ الف قنطار

اما الموسم الحاضر فاسعاره تتراوح حوالي ١٤ ريالاً . هذه هي اسعار الكنترانات و يضاف اليها ثمن البزرة . ويرجح جمهور الباحثين انه سيفوق الموسم الماضي في مقداره ولكنه ينقص عن الموسم الذي قبله فيبلغ ستة ملايين وربع ويقدره المبالغون في جودته بسبعة ملايين والمبالغون في رداءته بستة ملايين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الخزان والهواء

اسيوط · جورجي افندي خير · هل يطرأ تغير على الطقس في اصوان واسيوط في مستقبل الايام بسبب انشاء الخزانين فيهما

ج لا يحتمل ان يطرأ تغير على هواء (طقس) اسيوط لان تبخر الماء فيها من الخزان لا يزيد كثيرًا عما كان يتبخر من النيل قبل انشاء الخزان · اما اصوان فلا يبعد ان تتغير حرارة هوائها بعض الشيء لان الخزان ولَّد فوقها بحيرة كبيرة واسعة السطح فيزيد التبخر منها في فصلي الربيع والصيف عما كان قبلاً زيادة كبيرة

(٢) الاحلام

ومنهُ · يحلم الانسان في بعض الاحيان حلماً وهو نائم ثم يستيقظ ويسرد كل ما شاهدهُ في حلمهِ فهل كانت قوة العقل اثناء الحلم في حالة الصحو فلم يأخذ العقل الراحة المطلوبة لتجديد قواهُ او كانت في حالة النوم والنوم موت قصير المدة يفقد المرء فيهِ جميع الاحساسات فكيف يفتكر من كان فاقدًا الحركة والشعور

ج لا يحلم الانسان وهو مستغرق في النوم بل وهو في الدقائق الاخيرة قبلما يستيقظ تماماً اي حينما يكون بعض قوى عقلهِ نائماً والبعض الآخر مستيقظاً اما ما يظنهُ من ان الحلم دام ساعات كثيرة فوهم والحقيقة انهُ لا يدوم اكثر من بضع ثوانٍ او دقائق لان الانسان قد يغفل خمس دقائق فقط فيحلم فيها حلماً طويلاً كثير الحوادث وقد يسمع صوت مدفع قبلما يستيقظ فيبني عليهِ معركة حربية كثيرة الوقائع ولا تكون المدة من حين سمع صوت المدفع الى ان استيقظ سوى دقيقة من الزمان

(٣) هل الحب اختياري

ومنهُ · هل الحب اختياري او اضطراري

ج اضطراري بمعنى انهُ اثر في النفس لازم عن مؤثرات في الخارج لكن الارادة القوية تتصرف في هذا الاثر فتزيدهُ او تضعفهُ كأنها تحرك تأثيرات اخرى تساعد التأثير الاول او تقاومهُ

(٤) حلم في حلم

مصر . عطا افندي فهمه . حلمتُ مرةً حلماً وحلمتُ في آخره انني استيقظت وقصصت الحلم على احد اصحابي ففسَّره لي ومضيت الى حيث اشتغل فوقع لي تفسير الحلم كما فسره لي تماماً. ثم استيقظت من نومي حقيقةً وتذكرت كل ما كان واستغربتهُ فكيف يقع للانسان انهُ يحلم ثم يحلم انهُ قصَّ حلمهُ على من فسَّره لهُ وتمَّ التفسير كما فسره

ج ان الاحلام من قبيل المواجس التي نهجس بها ونحن بين النوم واليقظة او من قبيل الافكار التي نفكر بها في النهار فان الانسان وهو جالس في القاهرة يفتكر احياناً بصديق لهُ مقيم في الاسكندرية مثلاً وينتقل فكره حالاً اليها فيتصورها ويتصور نفسهُ فيها وانهُ يرى اصدقاء آخرين ويذاكرهم في بعض الشؤون ويوافقهم او يخالفهم الخ الّا انهُ اذا كان مستيقظاً كانت قوة الحكم فيهِ مستيقظة فتصلح خطأ الوهم ويبقى مقتنعاً انهُ في القاهرة لا في الاسكندرية وان ما تصوَّره افكار لا حقيقة لها واما اذا كان غافلاً او نائماً كانت قوة الحكم فيهِ نائمة عن قضاء عملها فلا تصلح خطأ وهمهِ فيعتقد ان ما تخيلهُ واقع حقيقة . فاذا كنتم تهجسون في الاحلام وتفسيرها فلا يبعد انكم تحلمون بذلك كما لا يبعد انكم تفتكرون بهِ وكل ما يحتمل ان يفتكر بهِ الانسان يحتمل انهُ يحلم بهِ ايضاً

(٥) امتناع البلى

مصر . الخواجا ميخائيل بساراني واولاده قرأنا في جريدة الوطن مقالة رواها احد القادمين من الحبشة الى القطر المصري قال انهُ لما وصل هو ورفاقهُ الى الصحراء التي بين رايبلي وكيلوبي ضربوا خيامهم ليستريحوا من وعثاء السفر وارسلوا الخدم لقطع الاخشاب لاشعالها اثناء الليل حتى لا تقترب الضبع من مواشيهم وبينما كان خادمان صاعدين الى شجرة رأيا حبشيين مائتين فرجعا بعد قطع الخشب واخبرا بالذي شاهداه فذهب صاحب المقالة مع الخادمين لرؤية ذينك الميتين فوجدوهما صلبين كالخشب ومع مضي السنين على موتهما لم تنتفخ اوداجهما ولم يمسهما الدود باذًى وقد كان معهم طبيب غربي فعجب لرؤيتهما على تلك الحال مع مضي الاعوام على وفاتهما من غير ان يشوه الموت وجهيهما فما قولكم في صحة هذه الحادثة الغريبة

ج لا محل للريب في ان جثة الميت تحفظ من البلى اذا كانت في قفر ليس فيهِ ميكروبات الفساد ولا حشرات تأكل اللحم هي او ديدانها لان بلى الاجسام الميتة لا يحدث الّا من ذلك اي ان ميكروبات الفساد تسطو عليها وتحللها والحشرات التي تأكل اللحم كالنمل او تأكل ديدانها اللحم كالذباب تسطو عليها ايضاً ولا تبقي الّا العظم فاذا كانت الارض قفراً جاف الهواء فالغالب ان الاحياء

الصغيرة كالميكروبات والنمل والذباب لا تعيش فيها وكذا اذا كان شديدة البريد كالاصقاع الشمالية المتجمدة فان الحيوانات التي يطمرها الثلج فيها تبقى سنين كثيرة محفوظة من البلى ولذلك نرجح صحة الرواية التي اشرتم اليها لاننا لا نرى سبباً علمياً للريب فيها

(٦) الكنة والحماة

ومنهم . لماذا تبغض الكنَّة حماتها والابنة امها ويبغض الابن اباهُ واعداءُ الانسان اهل بيتهِ . فهل ذلك ناتج عن سوء التربية منذ الصغر او هو امر طبيعي مغروس في فطرة الانسان

ج ان ما هو مغروس في فطرة الانسان مخالف لذلك الاَّ من حيث الكنَّة وحماتها. فان الواقع هو ان الابنة تحب امها حتى تكاد تفتديها بنفسها والابن يحب اباهُ ويتجشم اشد المشاق لاجلهِ وما من احد يسهر على المرأة وهي مريضة مثل ابنتها ولا احد يهتم بخلاص الرجل من ضيقتهِ مثل ابنهِ وما شذَّ عن ذلك فسببهُ الغالب فساد التربية . اما الكنَّة وحماتها فسبب الخلاف بينهما تناظرهما في محبة زوج الكنة ابن الحماة والتسلط على بيتهِ فان كلا منهما تشعر ان الاخرى تحاول سلبها شيئاً مما يحق لها ولو كان ذلك وهماً

(٧) مدة سبي بابل

ومنهم . كم كانت مدة سبي بابل

ج سبعين سنة كما تنبأ عنها النبي ارميا فقد جاء في سفرهِ ما نصهُ "هانذا ارسل آخذ كل عشائر الشمال يقول الرب والى نبوخذ راصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الارض وعلى كل سكانها . . . . وتصير كل هذه الارض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة" . وجاء في سفر دنيال ما نصهُ " في السنة الاولى لداريوس ابن احشويروش . . . انا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب الى ارميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب اورشليم" ويتلو ذلك الكلام عن صلاة دانيال واجابة الرب

---

(٨) صناعة الخياطة

بيروت . جرجي افندي نقولا باز . قرأنا في بعض الجرائد انهُ تألفت شركة اميركيَّة تنوي انشاء محلات للخياطة في عواصم اوربا الكبيرة وادخال الزي الاميركي اليها فهل فاق الصنَّاع الاميركيون الاوربيين في صناعة الخياطة واين يمكن تعلم هذه الصناعة تعلماً متقناً جدًّا

ج كلاَّ ولم نسمع ان الاميركيين يدَّعون هذه الدعوى بل هم وغيرهم يعترفون لخياطي باريس بالسبق ولكن يحتمل ان يكون المراد انشاء محلات كبيرة للخياطة في عواصم اوروبا برأس مال اميركي لاجل الربح التجاري . وقد اشتهرت باريس وڤينا ولندن بمهارة خيَّاطيها فالتعلم في واحدة منهنَّ يفي بالغرض

(٩) آلة الابصار

الزقازيق . عبد الحميد افندي علي . اطلعنا في الجرائد المحلية على ذكر آلة اخترعها الدكتور بيترستنس تجعل العمي يبصرون حتى من كان اعمى من ولادتهِ فهل ذلك صحيح ؟

ج كلاَّ ولكن العمي يدركون ما حولهم بغير حاسة البصر وقد ادَّعى بعضهم انهُ صنع آلة كهربائية تتأثر بامواج النور وتوضع على صدغ الاعمى فيشعر بتأثرها من امواج النور حتى اذا تدرَّب على هذا الشعور فقوي فيهِ صار يُدرِك سببهُ . الَّا ان ذلك كلهُ لا يزال في معرض البحث ولم يتقرر حتى الآن

---

(١٠) جمال الانكليزيات

بيروت . احد المشتركين . قرأت في مقتطفكم الزاهر السنة الماضية قولكم "المشهور ان نساء الانكليز اجمل النساء منظرًا" ولم اسمع ان احدًا قال ذلك قبلكم والمعروف عن الجميع ان الانكليزيات اقلّ جمالاً من غيرهنَّ من نساء اوربا فما هو برهانكم على انهنَّ اجمل من غيرهنَّ ؟

ج ان الباحثين في موضوع الجمال يقولون القول الذي ذكرناهُ فان كنتم قد وقفتم على بحثٍ باحثٍ ثقةٍ خالف ذلك فاتحفونا بهِ لكي ننشرهُ في المقتطف

(١١) صحة السيمياء

ومنهُ . اراكم تنفون السيمياء وتقولون انها مثالات خيالية وهمية . وقد شاهدت امرًا اقصهُ عليكم وهو اني رأيت في احد الملاعب رجلاً اخذ ردائي ولبسهُ وجلس على كرسي في منتصف الملعب امام الجمهور وقال اربطوا يديَّ ربطاً وثيقاً بالكرسي فربطناهُ وكنا ثلاثةً اقمنا ثلاث دقائق نربطهُ ثم أُلقي عليهِ غطاء اسود وفي اقل من عشر ثوانٍ رفع عنهُ الغطاء واذا بردائي في يد رجل واقف والرجل المربوط جالس على الكرسي كما كان فلبست ردائي واذا هو هو بعينهِ ثم خلعتهُ واعطيتهُ للرجل الواقف وأُلقي الستار على الرجل المربوط ثم كُشِفَ عنهُ فاذا هو لابس ردائي كما كان اولاً ففككنا يديهِ ورجليهِ واخذنا الرداء منهُ . وانا اعلم ان ما حدث لم يحدث بقوة سحرية ولكن كيف حدث ان لم يكن بالسيمياء

ج للمشعوذين اساليب كثيرة في اجراء هذه الحيلة وامثالها سنأتي على تفصيلها في فرصة اخرى

(١٢) نمو الشعر

ومنهُ . قرأت في المقتطف غير مرة انهُ اذا تكرر قلع الشعر مرارًا كثيرة لم يعد ينمو وقد كررت قلع شعرة كذلك ولا تزال تنمو فما هو السبيل الى منع نموها

ج السبيل الاكيد لمنع نمو الشعر ان تحرق بصلتهُ بابرةٍ كهربائية

(١٣) الحقد المسبب عن الاديان

طنطا . الخواجا جوزف دهان . هل يزول يوماً ما الحقد الذي توجدهُ الديانات المختلفة

ج متى تعلَّم الناس وتهذَّبوا انكروا ان في الدين الذي يدينون بهِ شيئاً يوجب ايغار الصدور بالحقد واوّلوا ما يحمل منهُ هذا المحمل حتى لا يقال انهم يدينون بشيءٍ يناقض ما يقتضيهِ ارتقاء الانسان . ويظهر من امعان النظر في المخلوقات من اول تاريخها الى الآن ان الارتقاء سنَّة طبيعيَّة شاملة لها فلا يبعد ان يصل بهِ الناس الى حالة ينتفي فيها الحقد وغيرهُ من الشرور التي تدعو الى التأخُّر

(١٤) فائدة الاديان

ومنهُ . ما قولكم في الاديان بنوع عام هل افاد تشعُّبها تقدُّم النوع الانساني او اخَّرهُ

ج تتعذَّر مقارنة شيءٍ موجود بشيءٍ غير موجود فاذا عاش الناس حصَّة من الدهر على دين واحد غير متشعب ورُقب تقدمهم فيها امكن مقارنة ذلك بتقدُّمهم واديانهم متشعبة والاَّ فلا . ولا يخفى ان الدين او التديُّن اسم لجميع ما يتعبَّد بهِ من محبة المعبود والخضوع لهُ والاتكال عليهِ والخوف منهُ والشكر لهُ كما عرَّفهُ دارون في كتابهِ اصل الانسان فاذا كان المعبود موصوفاً بكمال الحنو والرحمة والعدل وبانهُ أبٌ لبني البشر شفوق عليهم كما هو في اكثر الاديان الشهيرة فلا بدَّ من ان ترقي عبادتهُ عبادهُ وتؤلف بين قلوبهم والاَّ ففيها خلل او في فهمها خطأ

---

(١٥) تاريخ الحشيش

دمياط . عبد الغني افندي الجمال . نرى ان بلوى الحشيش قد عمت ومصائبهُ تعاظمت فنرجو ان تخبرونا بالتفصيل عن منشإهِ وتاريخهِ .

ج لقد كتبنا مقالتين مسهبتين في هذا الموضوع الواحدة في المجلد السابع عشر صفحة ٥٨٣ والثانية في المجلد السابع والعشرين صفحة ١٠٩ فعليكم بمراجعتهما . اما سؤالكم الآخر فسنجيب عنهُ بالتفصيل قريباً

---

(١٦) هوَس العلماء

النبطية . احمد افندي عارف الزين اجبتم عن سؤال في الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين ان من يصدق باستحضار الارواح من العلماء لا يخلو عقلهُ من هوَس او خلل . فكيف ذلك وبلغنا ان المعتقدين باستحضار الارواح من جلة العلماء

ج اننا عللنا ذلك في الجواب الذي تشيرون اليهِ . وذكاء العقل وتفوُّقهُ في بعض العلوم لا يوجب ان يكون على تمام الصحة في كل شيءٍ بل قد يكون على الضد من ذلك للسبب الذي ذكرناهُ هناك



غرائب العمق

مَن رأى علماء اوربا والمسالك المترامية التي يسلكونها في خدمة العلم يقول انهم مسخَّرون لذلك تسخيرًا لا ينتظرون اجرًا ولا شكورًا فبينا نرى علماءنا يهملون ما بين ايديهم وما تتوقف عليهِ دنياهم نرى اولئك العلماء يبحثون في طبقات الجو واعماق البحر عن شيء جديد يضيفونهُ الى معارف الناس . والبحث في اعماق البحر بلغ حدًّا قاصيًا جدًّا في السنين الاخيرة حتى سخَّروا لهُ البوارج الحربيَّة وطافوا لاجلهِ الاقطار الشاسعة من القطبين الى خط الاستواء واستنبطوا جرافات تغوص الى اعمق الاغوار وتصعد بما فيها من حيوان ونبات وجماد. ومعلوم انها تمرُّ في قاع البحر كالطيور والقواطع ولا تجرف منهُ الاَّ جزءًا صغيرًا جدًّا لا يبلغ واحدًا من مليون مليون ممَّا فيهِ ومع ذلك وجد في ما استخرجتهُ جرَّافات سفينة واحدة نحو الفي نوع جديد وثلثمئة جنس من الاجناس الجديدة . وجرَّافة عرضها بضع اقدام لا ينتظر ان تجرف الحيوانات الكبيرة كالحيتان والتنانين ولذلك لم يجرف بهذه الجرافات الاَّ الحيوانات الصغيرة لما ارسلت سفينة البترس الانكليزية الى الاوقيانوس الباسيفيكي منذ عامين استخرجت حيوانات مائية حية عن عمق اربعة اميال ونصف والماء هناك بارد كالثلج وضغطهُ شديد جدًّا يبلغ اربعة اطنان ونصف طن على كل عقدة مربعة

وقاع الاوقيانوس عميق جدًّا يبلغ عمق نصفهِ اكثر من ميلين ويبلغ عمق بعضهِ اربعة اميال او خمسة وهو كثير المرتفعات والمنخفضات كوجه الارض وفيهِ جبال شامخة تظهر لنا جزائر صغيرة قائمة فوق وجه الماء وما هي الاَّ رؤُوس جبال شاخصة من جوف البحر مثال ذلك ان البركان موناكيا ارتفاعهُ فوق سطح البحر نحو ثلاثة اميال وهو غائر في الماء ثلاثة اميال اخرى فارتفاعهُ الحقيقي نحو ستة اميال. ويبلغ غور البحر في بعض الاماكن نحو ستة اميال وارتفاع بعض الجبال البارزة منهُ نحو اربعة اميال فالفرق بين اعلى جبال البحر واخفض اغوارهِ نحو عشرة اميال فعمق البحر اعظم من ارتفاع البر واذا جمع البر من قارات الارض كلها ورمي في الاوقيانوس الباسيفيكي لم يملأ سبعهُ

اكبر المعامل الكيماويَّة

في بادن بالمانيا اكبر معمل كيماوي في

الدنيا ففيهِ ٦٠٠٠ عامل و١٤٨ كيماويًا و٧٥ مهندسًا و٣٠٥ كتَّاب . والمباني في هذا المعمل ٤٢١ ويتبعها ٥٤١ مسكنًا لسكن العمال و٩١ مكتبًا وفيهِ ٢٥٣ آلة بخارية قوتها ١٢٦٠٠ حصانًا و٢٧ ميلاً من سكك الحديد و٣٨٧ مركبة لنقل المواد الكيماوية

عدد سكان الصين

ظهر الاحصاء الرسمي لسكان الصين واذا فيهِ ان عدد سكان الصين الاصلية ٤٠٧ ملايين نفس وعدد التابعين لها ١٩ مليونًا وجملة السكان ٤٢٦ مليونًا . واكثر ولاياتها سكانًا هونان وفي الكيلومتر المربع منها ٢٠٠ نفس فهي اقل ازدحامًا من بلجكا لان عدد السكان في الميل المربع من بلجكا ٢٢٠ نفسًا

آثار ابيدوس

من اهم ما كشفهُ علماء الآثار المصرية هذا العام في ابيدوس آثار عشرة هياكل بني الواحد منها على انقاض الآخر في مدة ٤٥٠٠ سنة اي من سنة ٥٠٠٠ قبل التاريخ المسيحي الى سنة ٥٠٠ قبلهُ وهناك ادلة على ان الهيكل الذي كان في عهد الدولة الرابعة من الدول المصرية خرب وابطلت منهُ الذبائح الدينية فجاء ذلك مؤيدًا لما قالهُ هيرودوتس المؤرخ وهو ان الملك خوفو باني الهرم الاكبر اقفل الهياكل وابطل الذبائح . ووجد تمثال من العاج لهذا الملك وهو اول تمثال كشف لهُ حتى الآن

مقدار الذهب

قدَّرت دار الضرب في اميركا مقدار الذهب الذي استخرج من الارض كلها منذ اكتشاف اميركا الى سنة ١٩٠٠ بما يساوي ٢٠٠٠ مليون جنيه وهي تزن ١٦٢٧٢ طنًا واذا سبكت برجًا اسطوانيًا قطر دائرهِ ٢٠ قدمًا بلغ ارتفاعهُ ٨٦ قدمًا ويزيد ارتفاعهُ الآن نحو متر كل سنة بما يستخرج سنويًا من الذهب

مقاومة البعوض في الاسمعيلية

كتب سكرتير ترعة السويس العام الى الماجور روس يقول ما ترجمتهُ اننا اتبعنا مشورتكم في ردم الحفر والخنادق وسكب الزيت في الصهاريج والبرك ومنع المستنقعات على انواعها من جهات الاسمعيلية ووزعنا الكينا والاستركنين على السكان مجانًا منذ شهر ابريل سنة ١٩٠٢ فقلت الحمَّى منذ دسمبر الماضي بالنسبة الى ما كانت عليهِ في السنين الماضية ولم يستأصل بعوض الملاريا حتى الآن ولكن الذي مُسك منهُ وُجد خاليًا من العدوى كأنهُ لم يجد سبيلاً لاخذ العدوى من احد لقلة حوادث الحمى . وقلَّ البعوض العادي حتى كاد يزول تمامًا وصار يسهل على الانسان ان ينام من غير ناموسية (كلة) ولا يمكن الحكم البات في نتيجة هذه الاعمال

قبل مضي شهر اغسطس ونوفمبر اللذين تكثر الملاريا فيهما ولكننا نرجو ان الوسائل التي اشرت بها لا تبقي للملاريا اثرًا في مدينة الاسمعيلية

الراديوم والسرطان

قيل ان الدكتور غوسنبور النمسوي جرَّب فعل اشعة الراديوم بالسرطان فوجد انها تشفيهِ تمامًا

سمك النيل

اهتمت الحكومة المصريَّة بالبحث عما في النيل من انواع السمك واناطت بعض رجال العلم بذلك وكانت انواع السمك المعروفة في النيل تسعين نوعًا فاكتشف عشرة انواع جديدة

الراديوم والميكروبات

اطَّلعنا على صور مستنبتات ميكروبيَّة عُرِضت لاشعَّة الراديوم فماتت الميكروبات التي فيها حيث وقعت الاشعة عليها وبقيت نامية متكاثرة حول ذلك الاَّ ان مدة التعرض لاشعة الراديوم طويلة من ست عشرة ساعة الى اربع وعشرين ساعة

مستقبل عواصم اوروبا

حسب بعضهم ما سيبلغهُ سكان العواصم الكبيرة في اوروبا واميركا سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ اذا بقي نموها جاريًا مجراهُ فكان كما في هذا الجدول

١٩١٠

لندن وضواحيها	٧٤٩٠٤٠٠
نيويورك وضواحيها	٤٩٥٣٠٠٠
باريس وضواحيها	٤١٣٩٩٩٠
برلين وضواحيها	٢٩١٤٥١٧
شيكاغو وضواحيها	٢٥٧٤٢٣٩
فيلادلفيا	١٦٩٧٤٠٠
بطرس برج	١٣٣٩٧٢٨

١٩٢٠

لندن وضواحيها	٨٥١٦٢٥٦
نيويورك وضواحيها	٦١٩١٢٥٨
باريس وضواحيها	٤٧٥٩٥٨٩
برلين وضواحيها	٣٣٢٢٥٤٩
شيكاغو وضواحيها	٣٤٧٥٢٠٩
فيلادلفيا وضواحيها	٢٠٠٢٩٣٢
بطرس برج	١٥٠٠٤٩٥

وقد كان عدد السكان في هذه المدن سنة ١٩٠٠ هكذا

لندن وضواحيها	٦٦٥٢١٤٥
نيويورك وضواحيها	٣٨٣٣٩٩٩
باريس وضواحيها	٣٥٩٩٩٩١
برلين وضواحيها	٢٥١٢٢٥٣
شيكاغو وضواحيها	١٨٣٨٧٣٥
فيلادلفيا	١٣٦٩٦٣٢
بطرس برج	١١٣٢٦٧٧

وعدد السكان في الميل من مدينة باريس ٧٩٣٠٠ ومن برلين ٦٧٦٠٢ ومن نيويورك

٤٠٠٠٠ ومن لندن ٣٧٠٠٠ ومن بطرس برج ٢٨٢٦٠ الاّ ان الازدحام يبلغ اشدَّهُ في بعض الاحياء من نيويورك حيث يبلغ عدد السكان ٦٣٠٧٤٠ في الميل لكن ذلك محصور في ثلاثة افدنة ونصف ويبلغ ١٣٢٠٠٠ في مدينة لندن وذلك في ٣٥٧ فداناً

اكبر عائلة

اكبر عائلة في العالم عائلة ملك سيام فان لهُ زوجتين شرعيتين وثمانياً وثمانين سرية واثنين وسبعين ولداً

طعام الملوك

لامبراطور الالمان غرام شديد باكل يخنة السماني وملكة هولندا باكل الافخاذ المقلوَّة . وملك اسبانيا مولع باكل لحم البقر غير الناضج . وملك ايطاليا بنوع من الحلوى وقيصر روسيا بالسمك المقلوّ بالزيت ورئيس جمهورية فرنسا بلحم الضان وملك انكلترا بالكستلاته المصنوعة من الضان ايضاً . وكان جدُّ ملك ايطاليا الحالي مولعاً بأكل الخبز والجبن حتى انهُ كان يأخذ منهما معهُ الى مراسح التمثيل

اكبر ماسة

وجد الكبتن جونسن الانكليزي ماسة كبيرة في جنوب افريقية وهي الآن في استردام عاصمة هولندا حيث تقطع وتصقل وثقلها ٩٧١ قيراطاً وثمنها مئة الف جنيه

قضية طويلة

بين عائلتين ايطاليتين دعوى طويلة عريضة رفعت منذ اربعة قرون ولم تنتهِ الى الآن . والخلاف فيها على غابة واسعة مضت عليها هذه المدة الطويلة ولم يمس احد شجرة منها . وفي تلك الغابة بقع اقتتل رجال العائلتين فيها منذ مئتي سنة واهرقوا الدماء ولكنهم لم يفوزوا بطائل من ذلك ولا تزال الدعوى اليوم حيث كانت امس

ضحية العلم

كان احد اطباء النمسا يبحث في عدوى الطاعون فدخل قليلٌ من سمهِ جسمهُ عرضاً من جرح فأصابهُ الطاعون وتوفي بهِ سريعاً

مرض النوم والخيل

وجد الدكتور دتون والدكتور طُد اللذان مضيا الى بلاد غامبيا ليبحثا عن مرض النوم انهُ يصيب السود والبيض على حدٍ سوى وان الخيل تصاب بهذا المرض او بمرض يشبههُ في اعراضهِ

العلم العملي

يمتاز العلم الطبيعي الآن بسرعة استعمالهِ وبناء الاعمال النافعة عليهِ فلم يكن احد يظن ان الهواء السائل يفيد علم الطب لكنهُ افادهُ على طريقة غير منتظرة فان ميكروب الحمَّى التيفويدية لا يصنع لقاح يقي منهُ الاّ اذا وضع

في الهواء السائل فانهُ يبرد حينئذٍ برداً شديداً ويصير ينكسر اذا سُحق فيصنع منهُ لقاح يقي من الحمى التيفويدية. ولم يشتهر امر الراديوم حتى صنع بعضهم اشارة صغيرة منهُ توضع على راس البندقية او المدفع فترى ليلاً باشراقها فتكون مرشداً لتسديد المدفع او البندقية الى الغرض

الأكابي في الآثار المصرية

لا يخفى ان السر هري جنستن اكتشف حيواناً في افريقية بين الفرس والزرافة سمي الاكابي كما يسميهِ اهالي البلاد التي وُجد فيها وقد ثبت الآن ان المصريين القدماء كانوا يعرفون هذا الحيوان فانهم صوروا معبودهم ست اخا اوسيرس بصورة انسان لهُ رأس حيوان يشبه رأس الاكابي ويظهر من ذلك ان هذا الحيوان كان موجوداً في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف سنة وهو لا يوجد الآن الاَّ في اعالي الكنغو

خيل السباق

لا يعلم بكم كان العرب يقومون سوابق الخيل مع انهم كانوا يغالون بها جداً ولكن يظهر من بيع ابنائهم لاسبق جيادهم بخمس مئة جنيه الى ثمانمئة جنيه انهم لم يكونوا يغالون بها اكثر من ذلك اما الاوربيون فبلغوا من المغالاة بالسوابق في هذا العصر مبلغاً يفوق التصديق وهاك اثمان بعض خيول السباق التي باعوها حديثاً مع اسمائها

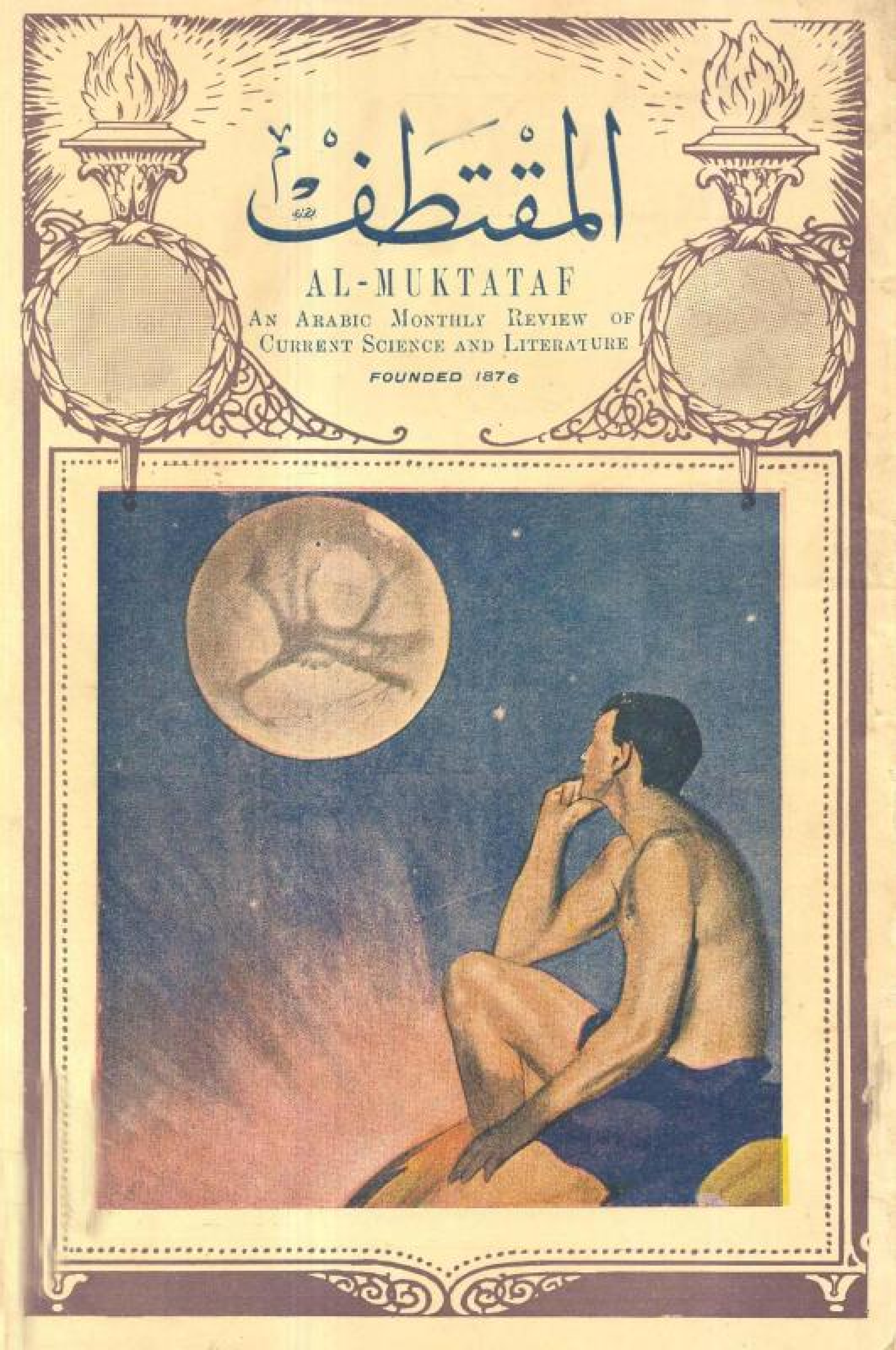
	جنيه
فلَينغ فكس	٣٧٥٠٠
اورمند	٣٠٠٠٠
مدلر	١٤٥٠٠
لافلش	١٢٦٠٠
بلاراثول	١٢٥٠٠
سبتر	١٠٠٠٠
كيبيرر	٠٩١٠٠
ايسونومي	٠٩٠٠٠
بزبَدي	٠٨٨٠٠
هرفستر	٠٨٦٠٠
غالوبن	٠٨٠٠٠

واكثر البائعين والمشترين او كلهم من الانكليز

سرعة الرسائل البرقية

ارسلت جريدة التان الفرنسوية تلغرافاً قصدت ان يدور حول المسكونة ويعود اليها وهو كلمتان فقط "التان باريس" فعاد الى باريس الى مكتب التان في خمس ساعات ونصف بعد ان طاف حول المسكونة براً وبحراً وبلغت اجرتهُ ٦٥ غرشاً وسار بطريق مالطة وعدن وسنقافورة وبرسبان وفانكوفر ووصل الى السلك الفرنسوي في الاوقيانوس الاتلنتيكي الى اوربا فباريس مسافة اربعين الف ميل

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين



المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٢١

مركيز سلسبري

مركيز سلسبري اكبر ساسة الانكليز في هذا العصر قضى نحبهُ مساء السبت في الثانية والعشرين من شهر اغسطس . أُصيب بالتهاب الكلية في أوائل يونيو الماضي وخالطهُ ضعف القلب وزاد ضعف قلبهِ رويدًا رويدًا حتى قطع الرجاء من شفائهِ وتوفي من غير ألم فجاءَت وفاتهُ خاتمة حياة طويلة مفعمة بعظائم الاعمال ولكنها بعيدة عن محبة الأبهة والظهور

وُلد في هتفيلد ببلاد الانكليز في الثالث من فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفي فيها في الرابعة والسبعين من عمرهِ وهو من سلالة وليم سسل لورد برلاي الذي نشأ في اواسط القرن السادس عشر وكان من اكبر وزراء الملكة اليصابات

درس في مدرسة اتن ومدرسة اكسفرد واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٥٠ ونال رتبة بكلوريوس في العلوم وساح بعد ذلك في الاقطار فبلغ استراليا وزيلندا الجديدة فعرف احوال الناس وبلدانهم وعاد سنة ١٨٥٣ وطُلب منهُ ان يعود الى المدرسة للتدريس ففضل حزون السياسة على سهول العلم ودخل مجلس النواب نائبًا عن ستمفرد من حزب المحافظين وبقي في هذا المنصب الى ان توفي ابوهُ سنة ١٨٦٨ وآلت اليهِ القابهُ فدخل مجلس الاعيان باسم مركيز سلسبري

واقترن سنة ١٨٥٧ بابنة قاضٍ مشهور اسمهُ البارون الدرصن وكانت من نوابغ النساء في قواها العقلية الموروثة من والدها فساعدتهُ على ولوج ابواب السياسة والانشاء وجعل يكاتب بعض الجرائد الشهيرة ويكتب المقالات الانتقاديَّة وكان يدافع عن الكنيسة وعن المحافظين. وامتازت خطبهُ حينئذٍ كما امتازت بعدئذٍ بعبارات لا تخلو من قوارص الكلم كقولهِ ذامًّا اعمال الحكومة انها اليق بالمحامين منها برجال السياسة ثم اضطرَّ ان يعتذر عن ذلك الى المحامين. وكقولهِ

مَن يستفيد شيئاً من جريدة ثمنها نصف غرش (بني) . واشهر جرائد المحافظين تباع الآن بنصف غرش . وكقولهِ عن اللورد جون رسل انهُ يعامل الدول الاجنبية بالقحة قوية كانت او ضعيفة . ولم يبدُ جوهرهُ ولا ظهرت مقدرتهُ الاَّ لما نبغ غلادستون و بدت شدة عارضتهِ في توسيع نطاق الانتخاب

ولما ألّف لورد دربي الوزارة سنة ١٨٦٦ دعا صاحب الترجمة اليها واعطاهُ وزارة الهند من غير ان يكون قد استعدَّ لها الاستعداد العادي فبدت مهارتهُ حالاً قولاً وعملاً

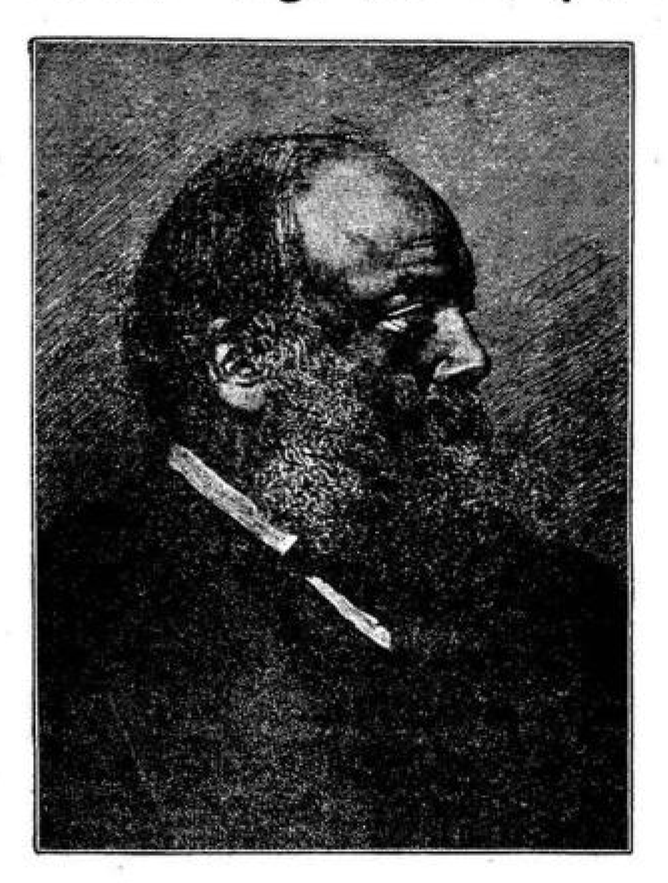
ولم يكد يدخل مجلس الاعيان حتى بدت مقدرتهُ ورأى فيهِ مَن يعجب بفصاحتهِ وقوة عارضتهِ فانهُ كان خطيباً مفوَّهاً وعبارتهُ وجيزة اللفظ دقيقة المعنى خالية من البرقشة البديعية . واتفق ان المسائل التي عُرضت على الاعيان لينظروا فيها حينئذٍ كانت من المسائل التي يودُّ هو البحث فيها فقال ان المسائل الهامة التي مثل هذه لا يليق بوزارة ان تهتمَّ بها وهي في اواخر ايامها بل لا بدَّ من عرضها على البلاد كلها . اي لا بدَّ من اعادة الانتخابات قبل النظر فيها اما مجلس الاعيان فشأنهُ الموافقة على ما يجمع عليهِ جمهور النواب اذا اجمعوا عليهِ من تلقاء انفسهم معتقدين صحتهُ وهاك ما قالهُ في هذا الصدد

" اذا رأيتم ان اهالي بلادكم ارتأوا رأياً وانهم معتقدون صحة شيء اعتقاداً صريحاً وجب عليكم ان تجاروهم . وقد لا تسرُّون بذلك او قد تودون تحويلهُ على صورة اخرى . ومن البين ان اعضاء الوزارة الذين يُطلَب منهم ان يفعلوا ما يخالف رأيهم واعتقادهم يستطيعون ان يستعفوا منها واعضاء مجلس النواب الذين يُطلَب منهم ان يعضدوا امراً منافضاً لاعتقادهم يستطيعون ان يتركوا مجلس النواب واما انتم فلا تستطيعون ذلك وعليهِ لا يبقى امامكم الاَّ ان تسلموا لرأي الامة اذا اتفقت على امر مخالف لرأيكم والاَّ بطلت اعمال الحكومة "

ولم تمضِ عليهِ مدة طويلة حتى اضطرَّ ان يجري على هذا المبدإِ فان الوزارة التي تألفت حينئذٍ اثبتت امراً يتعلق بالكنيسة الارلندية مخالفاً لرأيهِ فقال للاعيان ان هذا الامر كان منظوراً لما جرت الانتخابات فالاكثرية التي انتخبت الاحرار واعطتهم مقاليد الاحكام كانت تعلم غرضهم وسياستهم فرأيهم رأيها ولذلك هو رأي الاكثرية ولا بدَّ لنا من الموافقة عليهِ . وكان من رأيهِ ان تعطي الحكومة الرواتب للكهنة الكاثوليك في ارلندا ولو فعلت ذلك لاصطنعتهم ونجت تلك البلاد من القلاقل

وتوفي لورد دربي الاكبر سنة ١٨٦٨ وكان مشيراً لمدرسة اكسفرد الجامعة وهو من العلماء والكتَّاب وقد ترجم اشعار هوميروس الى الانكليزية . فانتخب مركيز سلسبري خلفاً لهُ فافاد

المدرسة فوائد جمّة لانهُ كان يشتغل بالعلم ايضاً رغماً عن اشتغالهِ بمهام السياسة سواء كان في الوزارة او خارجاً عنها لكن اشتغالهُ العلمي كان في المواضيع الطبيعية كالكيمياء والفلسفة الطبيعية اكثر منهُ في علم الاحياء وفلسفة العلوم الطبيعية والأ ما ارتكب الخطأ الذي ارتكبهُ في خطبتهِ التي خطبها لما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني حينما اجتمع في



مركيز سلسبري

اكسفرد سنة ١٨٩٤ وهي التي ترجمناها ونشرناها في المقتطف بعنوان مجاهيل العلم وقد قال السر ميخائيل فوستر العالم الفسيولوجي الشهير في صدد ذلك ما ترجمتهُ " لقد ندَّد لورد سلسبري رئيس المجمع البريطاني بالمذهب الداروني فلما قام هكسلي ليشكرهُ على جاري العادة انبعثت اصوات البشر والترحيب من الجمع المزدحم حتى صمت الآذان وكأنَّ لسان حالم يقول

هذا هو الخادم الامين الذي خدم العلم اكثر من خمسين عاماً خدمة صادقة ناظراً الى الحق بعزم شديد ومرادنا ان يعلم ان اتعابهُ لم تذهب سدًى . وكان لورد كلفن زعيم علماء الطبيعة قد قام قبلهُ ليشكر اللورد سلسبري وقال ان الخطبة التي اصغوا اليها برغبة وتشوُّق قد دخلت ميداناً فيهِ سعة للعلم والفكر فاتيدت بها افكارهم من العصور الوسطى الى اواسط القرن الحاضر فظهر لهم ان مدارس اكسفرد بقيت في طليعة علماء العصر . وقد سمعوا عن اعمال داروين العظيمة التي جعلت الناس يفتكرون ويجاهرون بافكارهم كما يشاؤُون . وان اساليب علم الحياة التي لم يضعها داروين بل وسَّعها كثيراً ورقَّاها ثبت انها نافعة جدًّا للعلم وللدين وللعقل. ويظهر من خطبة الخطيب من اولها الى آخرها انهُ من طلبة العلم ومن رجالهِ الذين لا يحصرون انفسهم ضمن دائرة ضيقة من دوائرهِ بل يتسعون فيهِ ويشتغلون بكل فرع من فروعهِ . وقد وقف اكثر قواهُ لعلم السياسة ولو جرى على مقتضى طبعهِ لفضَّل ان يقفها للمباحث الكيماويَّة او نحوها من المباحث العلمية . ثم استدعى وجوب الشكر لهُ على خطبتهِ المفيدة . فلما قام الاستاذ هكسلي يؤيد طلب الشكر على جاري عادتهم (وهم يختارون لذلك خيرة رجالهم) قال

انهُ كُلِّف هذا العمل الشريف وهو تأييد الشكر ولكنهُ يأسف لان صحتهُ منعتهُ عن حضور هذا الاجتماع السنوي منذ سنين عديدة فنسي الرسوم المتَّبعة في مثل ذلك واضطر ان يراجع في ذهنهِ ما كان يجري في المجمع في الايام السالفة منذ اربعين عاماً فرأَى انهم كانوا يقتصرون على الشكر والمدح بعد تلاوة خطبة الرئاسة ويتركون الجدال والمناظرة الى الاجتماعات الاخرى التي تجتمعها اقسام المجمع . ثم قال ان خطبة الرئيس جزيلة الفائدة وحريَّة بان يُنظر فيها في قسم البيولوجيا . وان فيها كثيراً مما يعجب بهِ جدًّا ويوافق عليهِ اتم الموافقة . واستطرد الى مسألة النشوء ومذهب داروين فقال انهُ جرت فيهما مناظرة عنيفة بين بعض العلماء منذ اربع وثلاثين سنة وهي التي اشار الرئيس اليها فقال انصار داروين ان انواع النبات والحيوان غير ثابتة على حال واحدة بل تتغير دواماً وقد تولَّد بعضها من بعض وتولَّدت كلها من اصول قليلة العدد فقال الناس عنهم انهم يقصدون تقويض اسس الدين والصلاح وان النسبة بينهم وبين الحيوانات الدنيا قريبة جدًّا ولذلك يحسبون اصل الانسان منها . الاَّ ان آراء الناس تغيرت كثيراً في هذه الاربع والثلاثين سنة التي مرَّت لانهُ رأى الخطيب يصرّح في خطبتهِ جهاراً ان القول بثبوت الانواع على حالها قد نُفي نفياً مطلقاً . وان قليلين يشكُّون الآن في ان بعض افراد النوع الواحد من انواع الحيوان قد تختلف بعضها عن بعض اكثر مما يختلف نوع عن آخر من انواع الحيوان كلها . فهذه القضايا التي يقول بها اصحاب

النشوء هي اساس مذهبهم وعندهم ان مذهب دارون ومذهب سبنسر ومذهب هكل ومذهب وممن ليست النشوء عينهُ بل هي مذاهب ذهب اليها اصحابها تفسيرًا لكيفيَّة حدوث النشوء فهي مبنيَّة على النشوء ولكنها ليست اياهُ . اما النشوء فثبت على مقاومة خصومهِ كل هذه السنين . وقد ختم لورد سلسبري على صحتهِ تلك الليلة بخاتم الرئاسة . ثم رحَّب بلورد سلسبري لاعتناقهِ مذهب النشوء جديدًا وشكرهُ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن نصراء دارون الذين لم يزالوا في قيد الحياة على ما اثنى بهِ على ذلك الرجل العظيم . فشكرهُ لورد سلسبري ووافقهُ على اقوالهِ "

وانتقلت الوزارة الى المحافظين سنة ١٨٧٤ فرأسها دزرائلي وجعل مركيز سلسبري وزيرًا للهند وضربت المجاعة اطنابها في تلك البلاد حينئذٍ فارتأى البعض ان يمنع خروج الحبوب منها فرفض سلسبري ذلك حاسبًا مصادرة التجارة اضرَّ من كل ضرر فكانت النتيجة ان تجار الحبوب صاروا يرسلون حبوبهم الى الاماكن التي ظهرت فيها المجاعة فقلَّ ضررها . وفي عهد تلك الوزارة لُقّبت الملكة فكتوريا امبراطورة لبلاد الهند وهو الخاطر الذي خطر على بال دزرائلي واثبتهُ في رواية تنكرد التي عربناها ونشرناها في المقتطف منذ اربع سنوات فاخرجهُ من القوة الى الفعل كما اخرج غيرهُ من الخواطر . اما راي مركيز سلسبري من قبيل معاملة الانكليز للهنود فاوضحهُ في خطبة خطبها في مدرسة كبرس هل سنة ١٨٧٥ حيث قال

" ان جمهور اهالي الهند راضٍ بحكمنا كما اعلم عن ثقة ولقد كثر تغيُّر الملوك على بلاد الهند حتى لم يعُد الهنود يأنفون من تغيُّر ملوكهم غير ان الحكومة لا تثبت اذا شعر المحكوم انهُ ذليل في عيني الحاكم وشعر الحاكم انهُ اعز من المحكوم ويجب ان يذلهُ . فالذين يذهبون من انكلترا الى بلاد الهند لكي يذلوا اهلها هم اعداء انكلترا الذين يجب علينا ان نخشى شرهم لان في طاقتهم ان يقضوا على حكمها في تلك البلاد . ولكنني واثق ان الجميع يعرفون ما يجب عليهم وان التلامذة الذين يخرجون من هذه المدرسة ويذهبون الى بلاد الهند يذهبون اليها كدعاة للعمران شاعرين انهُ يُطلب منهم ان يمكِنوا ربط الاتحاد بين انكلترا وتلك البلاد العظيمة التي كان من نصيبنا ان نتولَّى حكمها "

ويظهر لنا ان كثيرين من الانكليز يجرون هذا المجرى ولولا ذلك ما تمكنوا من البقاء في بلاد الهند ولا في هذا القطر ولكن البعض لا يجرون عليهِ بل قام في نفوسهم ان اذلال الرعيَّة يرفع شأن رعاتها . ولو كانوا كثارًا في مستعمرات انكلترا لما قامت لها قائمة فيها

وحدثت حوادث البلغار سنة ١٨٧٦ ونهض غلادستون يثير البلاد على الحكومة ونشبت

الحرب في السرب والجبل الاسود وطلبت روسيا لها الهدنة واشارت انكلترا بعقد مؤتمر الاستانة ليشير بما يجب عمله لتسكين الخواطر في البلدان العثمانية وعينت مركيز سلسبري نائباً عنها في ذلك المؤتمر فمرَّ بعواصم اوربا وذاكر وزراءها وهو ذاهب الى الاستانة ولم تكن الدولة العلية راغبة في عقد هذا المؤتمر كما يظهر من التلغراف الذي بعث به صفوت باشا الى سفير تركيا في لندن ولا كانت روسيا راغبة فيهِ

والتأم المؤتمر في دسمبر تلك السنة وكانت انكلترا قد وضعت الشروط التي يجب ان تراعى فيهِ وهي حفظ الحالة التي كانت في السرب والجبل الاسود قبل الحرب وامتناع الدول كلهنَّ من الاستفادة من حوادث تركيا وحفظ البلاد العثمانية مع ادخال الاصلاح اليها مضموناً بضمانات كافية

وفُضَّ المؤتمر في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٧ من غير ان يأتي بنفع وشهرت روسيا الحرب واعلنت انكلترا انها تبقى على الحياد ما دامت الحرب لا تمس مصالح رعاياها في مصر وترعة السويس والدردنيل وما دامت روسيا غير عاملة على اخذ الاستانة نفسها . فلما تقدمت جنود الروس في البلقان اوجست انكلترا شرًّا وسألت روسيا عما تنويهِ للاستانة وامرت اسطولها ان يذهب الى الدردنيل في ٢٣ يناير سنة ١٨٧٨ .وأُمضيت شروط الصلح بين تركيا وروسيا في ٣ مارس وهي المعروفة بشروط سان ستفانو ولما أُعلنت بعد ثلاثة اسابيع قامت انكلترا وقعدت واضطرَّ لورد دربي ان يستعفي من وزارة الخارجية فأُسندت الى مركيز سلسبري فنشر منشوره المشهور لوكلاء بريطانيا في كل البلدان ومفاده ان مركز تركيا قد حُدِّد في معاهدة باريس التي وقَّعتها الدول الاوربيَّة سنة ١٨٥٦ فكل ما يغير مركز تركيا الآن يجب ان يكون باتفاق تلك الدول . واشار بعقد مؤتمر برلين وبوضع شروط أُخرى للصلح غير شروط سان ستفانو . ورأَت روسيا ان لا مناص لها من امر من امرين اما القبول بعقد هذا المؤتمر او محاربة انكلترا ولم تكن مستعدة للحرب فقبلت بالمؤتمر كرهاً

فعُقِد المؤتمر وجاءه دزرائلي وسلسبري من قبل انكلترا بعد ان عقد سلسبري معاهدة سرية مع سفير روسيا في لندن افشت جريدة الغلوب امرها

ونتائج ذلك المؤتمر معلومة لدى الخاص والعام وهي ان روسيا لم تعد تعبأ بخلل يحدث في تركيا ولا عجب اذا سُرَّت بهِ لانهُ ينيلها منها ما لا تنالهُ بالسلاح . وذئاب اوربا تجمهرت من كل صقع لخطف ما تستطيع اختطافهُ من ارزاق العثمانيين والمرابون الاوربيون قضوا لباناتهم فاسترهنوا اعظم موارد السلطنة ولا يزالون يطلبون المزيد

وسقطت وزارة دزرائلي سنة ١٨٨٠ وقامت وزارة غلادستون وتوفي دزرائلي في السنة التالية فخلفهُ سلسبري في زعامة المحافظين وفي غضون ذلك احتلَّت انكلترا مصر وتركت السودان وكادت تنشب الحرب بينها وبين روسيا على حدود الافغان فكان لسلسبري مجال واسع لمناضلة وزارة الاحرار الى ان سقطت سنة ١٨٨٥ وكان قد خلا لهُ الجو فاستدعتهُ الملكة واسندت اليهِ رئاسة الوزارة وهي اول مرة تولاَّها ولم تطل مدة وزارتهِ فاعيدت الانتخابات فكانت الاكثريَّة للاحرار لكنهم انقسموا بسبب لائحة الاستقلال الاداري لارلندا واعيدت الانتخابات ففاز المحافظون وبلغت اكثريتهم ١١٨ بمن اتحد معهم من الاحرار ودامت وزارتهُ هذه النوبة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٢ وحدثت في غضونها حوادث مهمة كقيام بولنجه في فرنسا وعقد المحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا واتفاق انكلترا والمانيا على اقتسام ما تمتلكانهِ في افريقية وما تنويان امتلاكهُ فيها وسكون القلاقل في اوربا في اواخر هذه المدة واتساع الخرق بين قسمي حزب الاحرار

وأُعيدت الانتخابات العموميَّة سنة ١٨٩٢ ففاز الاحرار باكثريَّة قليلة وعاد غلادستون الى دست الوزارة وصادق مجلس النواب على لائحة الاستقلال الاداري لارلندا لكن مجلس الاعيان رفضها . واضطرَّ الضعف غلادستون الى ترك الوزارة للورد روزبري فظلت في يد الاحرار الى اواسط سنة ١٨٩٥ حين استعفت لسبب طفيف وأُعيدت الانتخابات فكان الفوز للمحافظين وانصارهم المتحدين وعاد سلسبري الى الوزارة ولا تزال الحكومة في يد المحافظين الى الآن

وحدثت المذابح الارمنية في هذا الاثناء فقام خطيباً ينذر بالويل والدمار وهو يحسب ان الكلام يقوم مقام الحسام وفاتهُ انهُ ان كانت انكلترا محقة في التعرُّض لشؤُون تركيا الداخلية فالتعرُّض لا يكون بالكلام وان كانت غير محقة فالكلام لا يجدي نفعاً . ولو كان للرعايا الانكليز مصلحة مالية في منع المذابح الارمنية لخرت بوارجهم فوق جبال طورس ألاَ ترى ان مصالحهم جمعت مئات الالوف من الجنود ودوَّخت بهم بلاد الترنسفال من اقصاها الى اقصاها . وكل وزير يهمل مصلحة بلادهِ المالية اهتماماً بغيرها فهو خائن عهد الامانة لامتهِ ولذلك لا يلام سلسبري اذا اهتمَّ بمصلحة بلادهِ ولم يهتم بسواها لان مصالح الغير لها مَن يهتم بها وليس في قوانين البشر ما يوجب على وزير دولة من الدول ان يهمل مصلحة دولتهِ ويهتم بمصلحة دولة اخرى

وفي غضون هذه الوزارة استرجعت بلاد السودان بامر منهُ باغت بهِ الحكومة المصرية لما علم ان المعدات الحربية تهيأت لاسترجاعها . وخيف من وقوع الحرب بين انكلترا والولايات

المتحدة الاميركية بسبب التخوم في فنزويلا ثم انقضى الخلاف بالتحكيم . وضُمّت بلاد الترنسفال الى الاملاك البريطانية بعد حرب شيبت الولدان . واتفقت الدول الاوربية على اخماد ثورة البكسر في الصين وحمّلت الصين نفقات الحرب فامست مديونة لاوربا باموال طائلة تضطر ان توفي رباها سنة بعد سنة وتصغي الى اوامرها كما يصغي المديون الى الدائن والضعيف الى القوي . واعيدت الانتخابات مرة ثانية فزادت اكثرية المحافظين والمتحدين معهم وترك سلسبري حينئذٍ وزارة الخارجية وبقي في رئاسة النظار . وفي العام الماضي امضيت محالفة بين انكلترا واليابان الى خمس سنوات وهو الذي وضع اساسها . وتوفيت الملكة فكتوريا فاقرَّهُ ابنها في منصبهِ وكان يود ان يحضر تتويجهُ ثم يستعفي من مناصب الحكومة لشيخوخته وضعف صحتهِ ولكن التتويج تأخر بسبب مرض الملك فاضطرَّ ان يستعفي قبلهُ ورفع استعفاءهُ في ١١ يوليو من العام الماضي فاثنت البلاد كلها مع ملكها عليهِ لانهُ خدمها خدمة صادقة بالهمة والنشاط والحكمة والسداد

وخُطَب سلسبري ومقالاتهُ التي نشرها في الجرائد والمجلات تملأُ مجلدات كبيرة ويظهر منها كلها انهُ كان محبًّا لوطنهِ عاملاً على رفع منارهِ يخالف غلادستون في بعدهِ عن الافراط والتفريط وكان لهُ في زوجتهِ اكبر معين فانها كانت تشاركهُ في اشغالهِ السياسيَّة فيطلعها على كل شيء ويعتمد على رأيها وهي كانت من نوابغ النساء عقلاً وذكاء ثم لما مرضت وتوفيت جعل اعتمادهُ بعدها على ابنتهِ الصغرى فكانت بمقام كاتم اسرارهِ

وكان شديد التدين متمسكاً بعقائد الكنيسة الانكليزية وتدينهُ كان الجامعة بينهُ وبين غلادستون وسبب التواد بينهما مع انهما كانا في السياسة على طرفي نقيض . ولولا خوضهُ غمار السياسة لكان من العلماء الطبيعيين الذين يشار اليهم بالبنان . ولم يترك البحث العلمي ولاسيما في الكيميا فكان يلجأُ اليها كلما طلب الراحة من متاعب السياسة

ولم يكن شديد الالفة ولا خبيرًا باقدار الناس بنوع عام لكنهُ كان يعرف الناس المشتغلين معهُ ويقدرهم قدرهم وكانت الملكة فكتوريا تكرمهُ وتعدهُ من اصدقائها المخلصين لعرشها وتثق بآرائهِ السياسيَّة ثقة تامة . وكان الاعيان كلهم يجلون قدرهُ ويصغون الى اقوالهِ كانها منتهى الحكمة والسداد وقد كانت كذلك لانها مبنية على اسس وطيدة وهي احترام الحرية الشخصية وحقوق الغير والاحتفاظ بما ورثتهُ الامة الانكليزية من اسلافها من المجد والعظمة والابتعاد عن الحروب وويلاتها بكل واسطة ممكنة . هذا لباب سياستهِ التي اقامها مدة خدمتهِ لبلادهِ

———

بحث في الكامل

﴿ النقد عند الافرنج ﴾ تفرّغ بعض كتّاب الغرب للنقد حتى صار عندهم علماً خاصاً برأسهِ وجُعلت لهُ جرائد ومجلاّت همُّها نقد التآليف وتبيان صحيح الكلام من فاسدهِ مما لا تخفى فائدتهُ للطالع واصحاب التآليف والمتصدين للافادة ان كانوا احياء · ولقد اشتركتُ في احدى المجلاّت العلمية الباريزية ست سنين كانت جلُّ استفادتي من مقالة ينشرها رئيس التحرير وهي في نقد تأليف نُشر حديثاً . فيبدأُ الناقد بذكر المؤلف اولاً وايراد طرف من ترجمة حياتهِ وتعيين منزلتهِ من العلم والادب ثم يجول في المؤلَّف جولة يبين فيها موضوعهُ وثمرتهُ غضةً كانت او فجّة . وهنا بيت القصيد في هذا الباب والفائدة التي يستلذ اقتباسها الراغبون في الوقوف على الحقائق والعمل بمضامينها . وإنَّ من عزّت اوقاتهُ وبعُد عليهِ التقاط المعارف من مظانها وطلبها من تضاعيف الصحائف ليستغني بتلاوة اعمدة قليلة عن الخوض في المطوّلات ويجتزئ من تعبهِ بتعب غيرهِ

فالنقد عند الغربيين من الفنون الراقية كما كان عند العرب ايام استبحرت حضارتهم وزخرت بحار علومهم . وطريقة العرب عبارة عن شروح وردود والمقصد واحد · وقد رأيت ان أُحاول احتذاء مثال الاسلاف والاخلاف وان لم يدرك الظالع شأو الضليع ولم يتساوَ قلٌّ وكثر فتخيرت الكتب القديمة بدل الحديثة اذ قلما يؤلف لعهدنا بلغتنا ما يستحق عناء البحث على هذه الطريقة فابدأُ الآن بالكلام على كتاب الكامل في اللغة والادب . والتأليف كما قال ابو حيّان يكون اما لاختراع معدوم او لجمع متفرق او تكميل ناقص او تفصيل مجمل او تهذيب مطول او ترتيب مخلَّط او تعيين مبهم او تبيين خطإٍ

﴿ مؤلف الكتاب ﴾ هو ابو العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمُبرِّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ كان اماماً في النحو واللغة ألَّف التآليف النافعة منها كتاب الكامل وهو من أُمهات كتب الادب في العربية ومنها كتاب المقتضب والروضة وغيرها . ذكر ابن خلكان ان المبرّد اخذ الادب عن ابي عثمان المازنيّ وابي حاتم السجستاني واخذ عنهُ نفطويهِ وغيرهُ من الائمة · وكان المبرّد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب صاحب كتاب الفصيح للاستكثار منهُ وثعلب يكره ذلك ويمتنع منهُ · قيل لختَن ثعلب (زوج ابنتهِ) لِمَ يا بى ثعلب الاجتماع بالمبرّد فقال لان المبرّد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وثعلب مذهبهُ مذهب المعلمين فاذا

اجتمعا في محفل حُكِمَ للمبرّد على الظاهر الى ان يُعرف الباطن . وكان المبرّد كثير الامالي حسن النوادر ونظم فيهِ وفي ثعلب ابن العلاّف اياتاً سائرة وهي

ذهب المبرّد وانقضت ايامهُ وليذهبنَّ إثر المبرّد ثعلبُ
بيت من الآداب اصبح نصفهُ خرِباً وباقي بيتها فسيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطّنوا للدهر انفسكم على ما يسلبُ
وتزوّدوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرّد عن قريب يشربُ
وارى لكم ان تكتبوا انفاسهُ ان كانت الانفاس مما يكتبُ

وكان المبرّد كثيراً ما ينشد في مجالسهِ

يا من تلبس اثواباً يتيهُ بها تيهَ الملوك على بعض المساكينِ
ما غيّر الجلُّ اخلاق الحمير ولا نقش البراذع اخلاق البراذينِ

﴿وصف التأليف﴾ كتاب الكامل "يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة" فسّر ما وقع فيهِ من كلام غريب او معنى مستغلق وشرح ما عرض فيهِ من الإعراب شرحاً شافياً واجاد في انتقاء نُتف من صحيح الكلام الجزل الذي يُتّخذ حجة في الصحة وانموذجاً في الفصاحة واظنُّ المبرّد في اختيارهِ للكامل احسن من اختيارهِ للروضة وكأنهُ فيما يظهر جعل الكامل للصحيح من الكلام والروضة لفاسدهِ وبضدها تتبيّنُ الاشياء

ويخيّل لي ان ابن عبدربّهِ الاندلسي لم ينصف المبرّد عند ذكرهِ في العقد الفريد سوءَ الاختيار وانهُ اغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار فقال : ألا ترى ان محمداً بن يزيد النحوي على علمهِ باللغة ومعرفتهِ باللسان وضع كتاباً سماهُ بالروضة وقصد فيهِ الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الاّ ابرد ما وجد لهُ حتى انتهى الى الحسن بن هانئ وقلما يأتي لهُ بيت ضعيف لرقة فطنتهِ وسبوطة بنيتهِ وعذوبة ألفاظهِ فاستخرج لهُ من البرد اياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

ألا لا يلُمني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوسِ
تعشّقها قلبي فبغّض عشقها اليَّ من الاشياء كل نفيسِ

واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكرهُ في كتاب الموالي فقال ومن الموالي الحسن بن هانئ وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيهِ ومن قولهِ

فجاء بها صفراء بكراً يزفها اليَّ عروساً ذات دَلّ معتقِ

فلما جلتها الكاس ابدت لناظري محاسنَ ليث بالجمال مطوقِ

ومن قولهِ ساعٍ بكاس الى ناس على طرب كلاهما عجب في منظر عجبِ

قامت تريك وشمل الليل مجتمع صبحًا تولد بين الماء والعنبِ

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء درٍ على ارض من الذهبِ

وجلُّ اشعارهِ الخمريات بديعة لا نظير لها نخطر بها كلها ونخطاها الى التي جانستهُ في بردهِ فما احسبهُ لحقهُ هذا الاسم المبرّد الاَّ لبردهِ " انتهى

لا يتبرم المطالع بقراءة الكامل اذ يتراوح فيهِ بين النثر والنظم والآثار والاخبار على ان ابوابهُ ليست على نسق واحدٍ في الطول والقصر فقد ينتهي الفصل الواحد في صفحتين او ثلاث وقد ينتهي الآخر الى مئة وخمس واربعين صحيفة او اقل من ذلك كما هو الشأن في باب اخبار الخوارج فانهُ استغرق خمس الكتاب مع انهُ لم يبدأهُ على ما قال لتتصل فيهِ اخبارهم " ولكن ربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسخ بهِ عزمَ صاحب الكتاب ويصدُّهُ عن سننهِ ويزيلهُ عن طريقتهِ ". بهذا اعتذر المصنف عن هذا الباب وقد اجاد فيهِ ما شاء واتى من انباء زعماء الخوارج بما يبعث معناهُ الاسى في النفوس ويحكم مبناهُ ملكة الفصاحة في الالسن مثل اخبار عمران بن حطان وقَطَريّ بن الفجاءة وغيرهما من رجال الاسلام وامراء الكلام

والمؤلف في كل ما اوردهُ من الفوائد التاريخيَّة والادبيَّة ابان عن افكار سامية ومقاصد شريفة فهو حرٌّ فيما نقل حرٌّ فيما أملى متفضلٌ على التاريخ فيما ضم شتاتهُ من اخبار الاباضية والصفرية والازارقة . وربما سئم بعضهم من ذكر اسماء وانباء يقرأها ولا يكاد يفهمها في الغالب فعليهِ اذا وقع لهُ شيء من ذلك ان يتَّهم عقلهُ وعلمهُ فقد طال العهد بيننا وبين العرب الخُلَّص وضَعُفَ سندَ علومهم بحيث اصبحنا لا نقدر ما ورثوناهُ حقَّ قدرهِ الاَّ اذا توفر المرء على الدراسة وخالطت تلك المعاني الروح مخالطة الصهباء للماء وتمكنت من النفوس تمكن الفصاحة من السن العرب العرباء

❊ منثور الكامل ❊ في هذا الكتاب من الكلام المُرسَل العربي البحت الذي لم تَشُبْهُ شائبة التكلف ما لو استظهرهُ من شدا شيئًا من الأدب لغلا قولهُ وسمت منزلتهُ . فما نقلهُ رسالة عمر ابن الخطاب في القضاء الى ابي موسى الاشعري " وهي التي جَمَعَ فيها جُمَلَ الاحكام واختصرها باجود الكلام وجعل الناس بعدها يتخذونها اماماً ولا يجدُ محق عنها معدلاً ولا ظالم عن حدودها محيصاً " وهي :

اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنَّة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانهُ لا ينفع تكلُّم بحقٍ لا نفاذ لهُ. آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادَّعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الَّا صلحًا احلَّ حرامًا او حرَّم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيتهُ اليوم فراجعتَ فيهِ عقلك وهُديتَ فيهِ لرُشدك ان ترجع الى الحق فان الحقَّ قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا او بينة أُمدًا ينتهي اليهِ فان احضر بينتهُ اخذت لهُ بحقهِ والاَّ استحللتَ عليهِ القضية فانهُ انفى للشك واجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الاَّ مجلودًا في حدٍ او مجرَّبًا عليهِ شهادة زُور او ظنينًا في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان . واياك والغَلَق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكُّر عند الخصومات فان الحقَّ في مواطن الحق يُعظِم الله بهِ الاجر ويحسن بهِ الذُّخر فمن صحَّت نيتهُ واقبل على نفسهِ كفاهُ الله ما بينهُ وبين الناس ومن تخلَّق بما يعلم الله انهُ ليس من نفسهِ شانهُ الله فما ظنك بثواب غير الله عزَّ وجلَّ في عاجل رزقهِ وخزائن رحمتهِ والسلام

وهنا اندفع المؤلف على عادتهِ في شرح المستغلق من " حكيم الاخبار وبارع الآداب " فقال ما ملخصهُ : قولهُ آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك سوِّ بينهم وتقديرهُ اجعل بعضهم أُسوة بعض . لا يطمع شريف في حيفك في ميلك معهُ لشرفهِ . فيما تلجلج في صدرك تردد واصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل في فيهِ فلا تزال تتردد الى ان يسيغها او يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للعيي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان . ظنينًا في ولاء او نسب هو المتهم واصلهُ مظنون وهي ظننت التي تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننتُ بزيد وظننت زيدًا اي اتهمتُ . درأ دفع . الغَلَق ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غَلِقٌ من قولهم أُغلق عليهِ امرهُ اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن اي لم يوجد لهُ تخلص

ومما يروى لاختصارهِ وسمو افكارهُ ما اوردهُ من ان الاحنف بن قيس لما مات وكان موتهُ بالكوفة مشى المصعب بن الزبير في جنازتهِ بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دُفن قامت امرأة على قبرهِ فقالت : " لله درُّك من مجَنٍّ في جَنَن (اي مستور في قبر) ومُدرَج في كفن فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير

دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الارامل عطوفاً ولقد كنت في الحي مسوّدا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين ". قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة ابلغ ولا اصدق معنى منها . قلت ومن طالع سيرة الاحنف وخبر تلك النفس الكبيرة يرَ ان رثاء هذه المرأة له من ابلغ ما خطهُ الرجال والنساء وتمثل له سلامة الفطرة الخالصة عن رين التصنع. واحرِ ببعض من يدعون الادب لعهدنا فينبرون في المقابر لتأبين ميت عزيز ان يقتدوا بهذه الاعرابية في اختصار مراثيهم فما قلّ وقرّ خير مما كثر وفرّ . فان بعضهم قد يستوقفون الحضور ساعة في وهج الشمس وبرد الشتاء يلوكون الكلام ويبعدون عن المرام فتكون المصيبة ثنتين عناء الخُطَب وعناء الخَطب

﴿ منظومة ﴾ يظهر ان المبرّد طالع كثيراً من دواوين العرب وانتقى طرفاً صالحاً منها فجاء ما وقع اختياره عليهِ زبدة لزُبد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختاره ابو تمام الطائي من شعر العرب العرباء ومن الانموذجات ما نقلهُ من طريف شعر الحرث بن ظالم من قولهِ وكانهُ شعر معاصر

فلما فقدتُ الصوت منهم واطفئت ... مصابيح شُبّت بالعشاء وانؤرُ
وغاب قُمير كنتُ ارجو غيوبهُ ... وروّح رعيان ونوّم سُمّرُ
ونفّضتُ عني العين اقبلت مشية الـ ... حُباب وركني خيفة القوم ازورُ
فحييتُ اذ فاجأتها فتولّهت ... وكادت بمكنون التحية تجهرُ
وقالت وعضّت بالبنان فضحتني ... وانت امرؤٌ ميسور امرك اعسرُ
اريتك اذ هنَّا عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوّك حُضَّرُ
فوالله ما ادري اتعجيل حاجة ... سرت بك ام قد نام من كنت تحذرُ
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... اليكِ وما عين من الناس تنظرُ
فيا لك من ليل تقاصرَ طولهُ ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصرُ
ويا لك من ملهًى هناك ومجلسٍ ... لنا لم يُكدّرهُ علينا مكدّرُ
يمجّ ذكيّ المسك منها مفلّج ... رقيقُ الحواشي ذو غروب مؤشّرُ
يرفُّ اذا يفترُّ عنهُ كأنهُ ... حصى بَرَد او أُقحوان منوّرُ
وترنو بعينيها اليَّ كما رنا ... الى ربرب وسط الخميلة جؤذرُ
فلما تقضّى الليل الاّ اقلَّهُ ... وكادت توالي نجمهِ تتغوّرُ
اشارت بان الحيّ قد حان منهم ... هبوبٌ ولكن موعدٌ لك عزوَرُ

فما راعني الاّ منادٍ برحلهِ وقد لاح مفتوق من الصبح اشقرُ
فلما رأت من قد تنوَّر منهم وايقاظهم قالت أَشِر كيف تأمرُ
فقلت أُباديهم فإما افوتهم واما ينال السيف ثأرًا فيثأرُ
فقالت اتحقيقًا لما قال كاشحٌ علينا وتصديقًا لما كان يؤثرُ
فان كان ما لا بدَّ منهُ فغيرهُ من الامر ادنى للخفاء واسترُ
اقص على اختيَّ بدء حديثنا وما لي من ان تعلما متأَخرُ
لعلهما ان تبغيا لك مخرجًا وأَن ترحبا سربًا بما كنت أَحصرُ
فقامت كئيبًا ليس في وجهها دمٌ من الحزن تذري عبرة تتحدَّرُ
فقالت لاختيها اعينا على فتًى اتى زائرًا والامرُ للامر يُقدَرُ
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا اقلي عليك اللومَ فالخطب أَيسرُ
يقوم فيمشي بيننا متنكرًا فلا سرُّنا يفشو ولا هو يظهرُ
فكان مجنّي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومُعصرُ
فلما اجزنا ساحة الحيّ قُلن لي الم تتقِ الاعداء والليل مُقمرُ
وقلن أَهذا دأْبك الدهر سادرًا اما تستحي او ترعوي او تفكّرُ

(شرحه: شبّت اوقدت. انوَّر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو. قُميِّر انما صغرهُ لانهُ ناقص عن التمام وهذا في اول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد. السمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلاً. والحباب حية بعينهِ. نفضتُ عني العين احترست منها وامنتها والنَّفضة امام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق. أَزور يعني متجافيًا يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق. ذو غروب. غرب كل شيءٍ حدهُ وانما يعني الاسنان. ومؤشر لهُ أُشر وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعًا يقال لاسنانهِ أُشرٌ فهذا الشائع الذائع واما الشنب فهو عندهم جميعًا برْد في الاسنان. التوالي التوابع. تُغور تغور فتذهب. مأخوذ من الغور. هبوب انتباه. عزوّر موضع بعينهِ. أَيقاظهم جمع يقظ. اباديهم اظهر لهم. ان ترحبا تتسعا اي تتسع صدورهما من قولهم فلان رحيب الصدر. أَحصر أَضيق بهِ ذرعًا. مِجنّي ترسي. وقولهُ ثلاث شخوص والوجه ثلاثة اشخص ولكنهُ لما قصد الى النساء انَّث على المعنى وابان ما اراد بقولهِ كاعبان ومعصر)

﴿جملة فوائدهِ﴾ من يدرس الكامل تتوفر لديهِ مادَّة مهمة من فُصح اللغة وشواردها ويقف على جانب من قواعد النحو والصرف والبيان مما لا غنى لمتأدب عن معرفتهِ دع ما هنالك

من اخبار الخلفاء ومجالس العلماء . فما نصَّ عليهِ من الفوائد عند شرحهِ : — قتلنا اخانا للوفاء بجارنا — ان ذلك يكون على ضربين احدهما ان يكون تُخّم نفسهُ وعظمها فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع بهِ والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كبرًا ولا ينبغي على حكم الاسلام ان يكون هذا مستعملاً الاَّ عن الله عز وجل لانهُ ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى : انا انزلناهُ في ليلة القدر . وانا اوحينا اليك . وكل صفات الله اعلى الصفات واجلها فما استعمل في المخلوقين على تلك الالفاظ وان خالفت في الحكم فحسَن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الاَّ ما وصفنا قبلُ من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار او متكبر كان عليهِ عيبًا ونقصًا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبديء المعيد الخالق البارىء ولا يليق ذلك بمن تكسرهُ الجوعة وتطغيهِ الشبعة وتنقصهُ اللحظة وهو في كل أُمورهِ مُدَبَّر

ومما يؤثر من اخبار الخلفاء ما رواهُ عن الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليهِ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ يأمرهُ بالقدوم عليهِ هو وعمَّالهُ وان يستخلفوا جميعًا . قال فلما قدمنا اتيتُ يرفأ (مولى عمر) فقلت يا يرفا مسترشدٌ وابن سبيل اي الهيئات احبُّ الى امير المؤمنين ان يرى فيها عمَّالهُ فأومأ اليَّ بالخشونة فاتخذت خُفَّين مطارقَين ولبست جبَّة صوف ولُثت عِمامتي على رأسي فدخلنا على عُمَر فصفنَّا بين يديهِ فصعَّد فينا وصوَّب فلم تأخذ عينهُ احدًا غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تولَّى من اعمالنا قلتُ البحرين قال كم ترتزق قلت الفًا قال كثير فما تصنع بهِ قلت اتقوَّت منهُ شيئًا واعود بهِ على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا باس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعَّد فينا وصوَّب فلم تقع عينهُ الاَّ عليَّ فدعاني فقال كم سنُّك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوَّعت لهُ فأُتي بخبز واكسار بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت انظر اليهِ يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت اقول يا امير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فيؤتى بالخبز لينًا واللحم غريضًا . فسكن من غربهِ وقال اهنا غرْتَ قلت نعم فقال يا ربيع انَّا لو نشاء ملانا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ثم امر ابا موسى باقراري وان يستبدل باصحابي

(قولهُ فلثتها على رأسي ادرت بعضها على بعض على غير استواء الصلائق ما عمل بالنار طبخاً وشياً يقال صلقت الجنب اذا شويتهُ وصلقت اللحم اذا طبختهُ على وجهه ِ . وسبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصهُ يريد الحوّارى والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابيٌّ اذا كان في ذلك اللون . اكسار بعير فان الاكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليهِ من اللحم . نعى على قوم شهواتهم عابهم بها ووبخهم . غرت ذهبت يقال غار الرجل اذا اتى الغور وناحيتهُ مما انخفض من الارض وانجد اذا اتى نجداً وناحيتهُ مما ارتفع من الارض . غربهُ حدهُ . خفين مطارقين مطبقين يقال طارقت نعلي اذا طبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ)

هذا ما ساعد عليهِ المقام للبحث في الكامل وهو على الجملة من خير ما في الايدي من كتب الادب مشكول محل الاشكال من الفاظهِ تغلب الصحة والضبط على الطبعة المصرية منهُ حريٌّ بالمكاتب ان تزدان بهِ وبالناس ان يتأدبوا بالنظر فيهِ ولا غرو فهو الكامل باسمهِ ومسماهُ والكمال لله وحدهُ

محمد كردعلي

فردريك الكبير ملك بروسيا

تمهيد — اذا بسط القارئُ اللبيب خريطة اوربا امامهُ يرى في شماليّ المانيا على سواحل البلطيك بقعة من الارض حول برلين يقال لها براندنبرج Brandenburg كانت امارة مستقلة تحت زعامة مركيز من آل هوهنزلرن Hohenzollern والى شرقيها بقعة اخرى يقال لها امارة بروسيا تحت امرة دوق . ففي بدء القرن الثامن عشر كان صاحب براندنبرج اميراً خطيراً ذكيّ الفؤاد وفيهِ دهاء سياسيّ وطمعٌ شديد فتغلب على بروسيا وضمها الى امارتهِ وجعلهما مملكة واحدة باسم مملكة بروسيا بمصادقة امبراطور المانيا واتخذ برلين عاصمة واقام فيها ملكاً باسم الملك فردريك الاول وكان لهُ ولد في العاشرة من عمرهِ اسمهُ فردريك وليم جعلهُ وليّاً للعهد حتى اذا ادرك الثامنة عشرة زوَّجهُ بصوفيا دوروثي بنت جورج منتخب هانوفر الذي تبوأ بعد حينٍ عرش انكلترا وتلقب الملك جورج الاول

مولد فردريك وحداثتهُ

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧١٢ وُلد لولي العهد غلامٌ سماهُ فردريك والمملكة البروسيَّة يومئذٍ في السنة الثانية عشرة من عمرها فلما بلغ الشهر الرابع عشر توفي جدهُ فردريك الاول مؤسس

الدولة ووسدت الاريكة لابيهِ فردريك وليم فاصبح هذا الطفل وليًا لعهدهِ

وكان الملك الجديد غريب الاطوار غرابةً حملت مؤرخيهِ على رميهِ بالجنون فبدأ ملكهُ بصرف بطانتهِ وخدمهِ وبيع خيولهِ والاقتصاد في النفقات واطراح ما توجبهُ ابهة الملك والرجوع الى شظف العيش والكد في العمل . ولو وقف عند هذا الحد لاجاد وافاد ولكنهُ تجاوز الى الافراط فيهِ فكان يسير بين الناس في الشوارع متوكئًا على عصاه يضرب بها من غير حساب كل من استثار غضبهُ ولو كان الذنب طفيفًا كحسن البزة والاقتداء بالفرنسويين ولا فرق عندهُ ان يكون المضروب رجلاً او امرأةً والرجل كبيرًا او صغيرًا ولهذا كان الناس يهربون من بين يديهِ

ومع ان المملكة كانت ضيقة النطاق ودخل خزينتها قليلاً فان الاقتصاد مكَّن صاحبها من جمع المال الكافي لحشد جيش جرَّار يناهز المئة الف من الرجال ومن تدريبهِ تدريبًا حسنًا حتى اصبح قوةً عظمى تضاهي قوى اعظم الدول يومئذٍ على انهُ كان يقوم على تدبير ذلك بنفسهِ غير مدخرٍ وسعًا ولا مشفقٍ على الجند من تحمل الصعاب

ورأى ان يربي ابنهُ تربيةً عسكرية ليكون جنديًا ولكن الطفل كان نحيفًا ولم تبدُ منهُ امارات النشاط والقوة اللازمتين للجندي فضلاً عن انهُ كان محبًا لاختهِ ولهلمينا حبًا مفرطًا وفيهِ ميل للقراءة والموسيقى فحسبها ابوهُ تخنثًا ونشأت فيهِ عاطفة الاحتقار للطفل ثم ازدادت شدةً حتى صارت كرهًا

كل هذا وفردريك او فريتز كما كانت تدعوهُ امرتهُ طفل صغير فلما بلغ السادسة من عمرهِ حشد ابوهُ سريةً من ابناء السراة عدتهم مئة وجعلهم تحت امرة ابنهِ ثم زاد في عددهم حتى صاروا كتيبةً اقام فريتز عليها قائدًا برتبة اميرالاي (كولونل)

وفي السنة السابعة من عمرهِ سلمهُ للمعلمين وامرهم ان يعلموهُ العلم والفن العسكري بمنتهى الشدة والصرامة غير مشفقين عليهِ ولا ناظرين الى مقامهِ منهم فاحتمل من هذا التعليم اشد العناء سيما من استصحاب ابيهِ لهُ في رحلاتهِ وفي استعراض الجيوش

وترعرع فريتز ناشئًا على غير ما احب ابوهُ من الاميال والاذواق لان فردريك وليم اراد تعويدهُ شظف العيش في الطعام والمنام واللباس والمبيت فلم يقع ذلك من الغلام موقع القبول بل كان عليهِ مرغمًا

ولم يكن هذا كل الاختلاف بين الاب وابنهِ بل اختلفا في التعليم ايضًا لان الملك كان اميًا لا يحسن القراءة والكتابة بخلاف فريتز فانهُ مال الى المطالعة منذ الصغر وكلف بدراسة اللاتينية كلفًا شديدًا غير ان اباهُ كان يكره تلك اللغة حتى اذا دخل يومًا على ابنهِ وهو يقرأ على

استاذهِ في كتاب لاتيني احتدم غيظاً ورفع عصاهُ ليضرب الاستاذ ففرَّ هارباً

واذا كان هذا مبلغ سخط الملك من دراسة لغةٍ كانت لذلك العهد عنوان العلم والحكمة عند الاوربيين فكيف يؤاخذ على غضبهِ من اشتغال ابنهِ بالموسيقى ونظم الشعر

وما برحت مسافة الخلف تزداد بينهما انفراجاً يوماً بعد يومٍ حتى تنغَّص عيش الصبي وبات لا يرى لهُ فرجاً الأ بمجبة امهِ واختهِ ولطفهما عليهِ غير ان الملك شعر بمقامهِ منهما فسرت اليهما بغضاؤهُ — كل ذلك والصبي دون العاشرة من عمرهِ على انهُ في تلك الآونة رُزق الملك صبي آخر سماهُ اغوسطس وليم فمال اليهِ وتمنى لو يموت فريتز فتكون ولاية عهدهِ للطفل وهو ينشئهُ على ما يحب . ومع هذا كلهِ ما برح يشدد النكير على فريتز ليتخلق باخلاقهِ

اماني الملكة

كانت الملكة صوفيا دوروثي من فضليات النساء اللواتي يحرصن على اولادهن وينظرن نظراً بعيداً الى مصالحهم وكان لاخيها (جورج) ولي عهد انكلترا ابن اسمهُ فردريك دوق كلوستر هو خليفتهُ من بعدهِ وابنة حسناء اسمها اميليا فخطر للملكة ان تسعى بزواج ابنها باميليا وابنتها ولهلمينا بابن اخيها الأ انها صادفت صعاباً لان اخاها وزوجها كانا قد اجتمعا في حداثتهما واختلفا فاختصما ونتج عن خصامهما كرهٌ شديد . فضلاً عن ان بعض الدول الاوربية رأت ان العقد المزدوج يزيد الرابطة وثوقاً بين انكلترا وبروسيا فتنال هذه بذلك حولاً وعزة

الأ ان الملكة لم تدخر وسعاً بل سعت جهدها فاقرَّ البلاط الانكليزي على خطبة الاميرة ولهلمينا لدوق كلوستر ولكنهم لم يقطعوا المدال في اعطاء يد الاميرة اميليا لفريتز

وكان لامبراطور المانيا سلطة على الملوك والامراء الخاضعين لسيادتهِ فكأنهُ رأى يومئذٍ ان بروسيا على صغرها اصبحت ذات حولٍ وطول بقوة عسكرها المدرَّب وان خزينتها قد طفحت بالنقود نخاف من استفحال امرها اذا تمَّ العقد المزدوج الذي تسعى اليهِ الملكة فاصدر امراً يحظر بهِ الزواج المنويّ

ولم يكن الملك فردريك وليم ليمتعض لهذا المنع لانهُ ينطبق على رأيهِ وانما كان راغباً فقط في تزويج ابنتهِ بالامير الانكليزي وليس براضٍ عن تزويج ابنهِ لئلا تجيء عروسةٌ من انكلترا بالثروة الطائلة وبالعيش الهنيء الذي لا يرضاهُ ويخشى ان يلتفَّ حولها جماعة من بطانتهِ فيتألف لابنهِ حزبٌ ينازعهُ الامر على ان في رفضهِ واصرارهِ مخالفة يتوخاها لملك انكلترا .

ولهذا كلهِ رضخ للامر الامبراطوري واجاب انهُ يسمح بزواج ابنتهِ فقط اما ابنهُ فلا ولما علم ملك انكلترا بذلك اعلن انهُ راغب في العقدين معاً وليس في واحدٍ منهما فقط

وفي يونيو سنة ١٧٢٩ ورد نعي الملك جورج ملك انكلترا ومع ان فردريك وليم كان يكرههُ شديداً تأثر لموتهِ وشرع يظهر التديّن والتقشف

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً لكنها خطراتٌ من وساوسهِ

وفي تلك السنة استصحب ابنهُ وهو في السابعة عشرة من عمرهِ للاجتماع باغسطس ملك بولونيا وقد اتى درسدن عاصمة ساكسونيا فاقام فريتز ثمة نحواً من شهرٍ حيث كان البلاط مملوءًا بالفساد فوقع في شركهِ حتى اذا عاد الى بوتسدام مرض مرضاً شديداً لازمتهُ الوعكة منهُ زمناً طويلاً بعد شفائهِ

اما امهُ فظلَّت مبدأ العقد المزدوج شغلها الشاغل لان اخاها جورج الثاني تولى الاريكة الانكليزية واصبح ابنهُ وليًّا لعهدهِ ولم يكن فريتز قد رأى اميليا ابنتهُ ولكنهُ رأى صورتها وابصر عليها ملامح الجمال فرغب فيها وكتب الى امها باشارة الملكة ينوه برغبتهِ في مصاهرتها من غير ان يعلم ابوهُ بشيءٍ من ذلك ولو علم لقامت قيامتهُ لان كره الفتى كان قد بلغ فيهِ اشدَّهُ واصبح يحقرهُ ويضربهُ في الاحايين بقبضة يدهِ على اذنيهِ او بعصاهُ اينما اتفق كل هذا وفريتز يحاول استرضاءَهُ عبثاً فكتب اليهِ مستعطفاً فاجابهُ معنفاً لائماً محقرًا ما شاءت فظاظة اخلاقهِ

واذ كان مدمناً شرب الخمر أُصيب بداء النقرس فزادت بهِ شراسة الخلق وشكاسة الطباع واصبح يندفع بالشتائم والسباب على امرأتهِ وكل اسرتهِ حتى لم يبقَ لاحدٍ منهم جسارة عليهِ الاَّ بنتهُ الثانية فردريكا على انها كانت يومئذٍ في الخامسة عشرة من عمرها وقد اوشكت تزف لخطيبها الماركيز انسباخ فسألها ابوها يوماً على المائدة عما تنوي عملهُ في ترتيب بيتها بعد زواجها فاجابت انها تجعل طعام مائدتها احسن من طعامهِ وخدمتها اكثر ترتيباً واذا رزقها الله اولاداً عاملتهم بالحسنى على غير ما يعامل اولادهُ ولا تجبرهم على اكل ما يكرهون

فامتعض لهذا الجواب واحتدم غيظاً ولكن على ولهلمينا وفريتز وشرع يضربهما بصحاف الطعام فلما اخطأها عنف الملكة لسوء تربية اولادها . فنهض القوم عن المائدة ولكنهم لم يجدوا منصرفاً الاَّ بالمرور من امام كرسيهِ فرفع عكازهُ وصوَّبهُ على رأس ولهلمينا فخلت من تحت الضربة ولو اصابتها لاودت بحياتها فلم يرضهِ هربها واوعز الى الخدم ان يجروا الكرسي الجالس عليهِ ليلحق بها وكاد يدركها لو لم يفسح اولئك الخدام لها مجالاً

وفي ذات مرةٍ كان فريتز يتعلم الموسيقى على استاذ ساكسوني اسمهُ كوانتز وهو مستترٌ في بوتسدام فدخل عليهِ الرقيب واخبرهُ بوصول ابيهِ وكان الفتى لابساً حلة افرنسية فخلعها ولبس الرداء العسكري وجلس يتظاهر باشتغالهِ بدروسهِ فلما دخل الملك رآهُ ضافراً شعرهُ على

الطرز الافرنسي ثم ابصر الحلة التي خلعها عنهُ فاحتدم غضباً والقى بها في النار ومال الى المكتبة وجمع ما كان فيها من المؤلفات الافرنسية وامر كتبياً ببيعها بابخس الاثمان وعذَّب وليَّ عهده تعنيفاً شديداً

الجنون فنون

في سنة ١٧٣٠ ذهب فردريك وليم الى بولونيا واستصحب ابنهُ معهُ ليحضرا استعراض الجنود فلم يفتر عن اهانتهِ في حضرة مضيفهما ملك بولونيا وسراة بلادهِ من الرجال والنساء فعظم ذلك على فريتز حتى عقد العزم على الفرار الى انكلترا بصحبة صديقهِ الملازم كات ولكن علم ابوهُ بذلك فارسل وقبض عليهما ولما جيء بابنهِ الى حضرتهِ نهض اليهِ وقبض على مخنقهِ ثم اقتلع بيدهِ خصلة من شعر راسهِ وبعد ذلك ضربهُ بعصاهُ على وجههِ فادماهُ وامر بسجنهِ في احدى القلاع لانهُ اعتبرهُ من قادة الجند وقد حاول الفرار فاستحق العقاب بالموت وشرع يقول انهُ لا بد من الحكم عليهِ وعلى اختهِ ولهلمينا وقطع رأسيهما ولم يكن لولهلمينا ذنب الاَّ حبها لاخيها واشفاقها عليهِ ثم امر فقبض عليها وجيء بها اليهِ فشرع يضربها على صدغيها حتى اغمي عليها فاراد ان يقذف بها من النافذة ولكن امها واخوتها حالوا دون عملهِ ولما افاقت حبسها في حجرتها واقام رجلين على خفارتها

وعقد مجلساً حربياً حكم على الملازم كات بالحبس سنتين وقيل مدى الحياة فاغتاظ من حكم المجلس وامر بهِ فقتل في ساحة القصر وجاؤوا بفريتز الى النافذة لدى مقتل صديقهِ فلما ابصر الرأس وقد تدحرج أُغمي عليهِ كأنهُ علم انهُ حكم عليهِ بمثل ذلك

الاَّ ان سخط الملك لم يأخذ حدَّهُ لان امبراطور المانيا وملكي بولونيا واسوج عرفوا بعزمهِ على قتل ابنهِ واستفدحوا الخطب فيهِ فسعوا لديهِ بالعفو عنهُ فعفا

واعقب هذا ان فردريك وليم اراد غصب عاطفة ولديهِ فارغم ولهلمينا سنة ١٧٣١ على التزوج من مركيز بيريث .Baireuth واجبر فريتز على التزوج سنة ١٧٣٣ بالاميرة اليصابات بنت دوق برونسويك وكانت حسناء الخلق والخلق ولكن زوجها لم يمل اليها لانهُ غصب على التزوج بها حتى انهُ لما تمت حفلة الاكليل خرج من حجرتها ولم يرجع اليها قط فكان ذلك بدء انفصالهما الذي استمرا عليهِ سحابة ايامهما غير ان فريتز لم يكن ليهمل احترامها ومراعاة شأنها في الرسميات بل كان ينيلها من نفسهِ مقام الاميرة زوجة وليّ العهد ثم مقام الملكة حين افضت الاريكة اليهِ بوفاة ابيهِ سنة ١٧٤٠

تملك فردريك

تولى فردريك (فريتز) الاريكة وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ بعد ان قاسى العذاب

من ابيهِ واحتمل مضض البلوى حتى اثرت السيئة في اخلاقهِ وكانت سعة مملكتهِ تناهز ٥٩ الف ميلٍ مربع وعدد سكانها مليونين و٢٤٠ الفاً ولم يكن في دولتهِ دار ندوةٍ ولا دستور ولا شريعة غير ارادتهِ المطلقة فلما تبوأ الملك اعلن في الامة منشوراً يطلق فيهِ الحرية في الدين والآراء ونشر الكتب والجرائد

وكأن الاريكة بعثت فيهِ روحاً جديدة عرَّفتهُ الشأن الملكي فلم يحفل بالاصدقاء الذين كانوا يلتفون حولهُ ولاعاقب الاعداء الذين اظهروا لهُ الجفاء ولم يكن من قبل يبالي بالجندية بل كان يكره منها خشونة عيشها ولكنهُ مذ القيت اليهِ مقاليد الامور مال بكليتهِ اليها وشرع يزيد في عددها وبذل جهدهُ في الاهتمام بشؤون الدولة مخصصاً للعمل بها معظم وقتهِ

وكان ميالاً الى العلم والعلماء فسعى في تقريبهم منهُ وتنشيطهم وزيادة سوادهم في مملكتهِ وانشأ لهم مجمعاً علمياً وشرع يراسل علماء اوربا واخص منهم فولتير الفرنسوي الشهير

حروب فردريك ومغازيهِ

حدثتهُ نفسهُ منذ بدء جلوسهِ بالفتح والكسب فارسل سرية من عسكرهِ الى حصنٍ قديم فامتلكهُ حتى افتداهُ صاحبهُ بمبلغ من المال

وبعد ذلك مات الامبراطور شارل السادس غير تاركٍ ولداً ذكراً فتولت اريكة النمسا ابنتهُ ماريا تريزا زوجة فرنسوى ديوك لورين وكانت في مقتبل العمر لم تحنكها التجارب وليس في خزينتها مالٌ وافر ولا في مملكتها جيش منظم فطمع فردريك في امتلاك شيء من بلادها واتجهت انظارهُ الى قطرٍ على نحوِ الجنوبية الشرقية يسمى سيليسيا Silesia فيهِ نحو مليونين من السكان ولم يرَ في اقتحامهِ وضمهِ الى مملكتهِ امراً عسيراً لخلوهِ من الحامية ومن الحصون والقلاع فلما انتصف الشتاء ولم يبقَ خوفٌ من ارسال بعوثها دخل القطر ودوخهُ في بضعة اسابيع وعاد الى برلين ظافراً منصوراً

فنهضت ماريا تريزا كأنها اللبوة تحمي اشبالها فادهشت اوربا وحيَّرت فردريك فسيَّر الى سيليسيا ستين الفاً فاحتدم القتال وكان هائلاً لاسيما وان الدول الاوربية تحفزت للقتال وخاضت غمراتهِ في نصرة احد الفريقين جرياً مع السياسة على ان معظم الناس حتى الملوك والوزراء استعظموا فعلة فردريك واستعظموا نهضة ماريا تريزا ولكن فرنسا كانت ترغب في اضعاف النمسا فنصرت بروسيا وخالفتها انكلترا شأنها حينئذٍ في كل اعمالها وانحازت الى النمسا ودخول هاتين الدولتين في الحرب جرَّ ذيلهُ على غيرها من الدول الاوربية كاسوج وبولونيا فضلاً عن الممالك والامارات الالمانية فاصبحت اوروبا كشعلة نار اتصل لهيبها الى مستعمرات

الدولتين فرنسا وانكلترا ولا تسل عن الدم المهراق وعن المال المبذول فان ذلك يكاد لا يقع تحت الحصر ولما وقع النزال اظهر فردريك من الحنكة والدربة في ابواب القتال والدهاء في السياسة ما اكسبهُ الظفر ولكنهُ لم يرعَ للفرنسوية عهداً بل صالح على امتلاك نيس Neisse سرًّا عن انصارهِ وعاد الى برلين في اواخر سنة ١٧٤١ ظافراً

ثم سعى لمحالف فرنسا وساكسونيا وباڤاريا على تجديد الحرب لامتلاك ولاية موراڤيا Moravia النمسوية الواقعة الى جنوبي سيليسيا حتى اذا تمَّ لهم الظفر احتزَّ منها قطراً عرضهُ نحو خمسة اميال على طول تخومهِ وترك الباقي غنيمة لساكسونيا

وزحف في بدء سنة ١٧٤٢ غير مبالٍ بالامطار والثلوج والعواصف غير ان حلفاءهُ لم يكونوا مندفعين الى الحرب بمثل مطامعهِ فتلكأوا عن خوض غمرات القتال في ابان الشتاء فانفرد بالعمل لا يعبأ بالصعاب وابلى ابلاء حسناً حتى ظفر فعاقدتهُ النمسا على الصلح تاركةً لهُ سيليسيا . فشرع يسدد شؤونها ويسعى بنشر الامن في بلادهِ منحرفاً في سياستهِ عن خطة حلفائهِ الى موالاة النمسا ظاهراً لكن ذلك لم يكن طويل الامد لان ماريا تريزا ارادت تتويج زوجها الدوك فرنسوى ده لورين امبراطوراً على المانيا لخالفها فردريك واحبط مسعاها بمساعدة فرنسا فانتخب شارل البرت ملك باڤاريا امبراطوراً

ولم تكن ماريا تريزا قد اغترت بمصافاة فردريك ولكنها قعدت عنهُ حتى فازت عساكرها على فرنسا وفتحت بوهيميا وباڤاريا وطردت الامبراطور الجديد ورأت ان الحروب الدامية قد مرَّنت عسكرها على القتال واظهرت حنكة بضعة من كبار قادتها واستفزت الامة للذود عن حياضها يومئذٍ حدثتها نفسها باسترجاع سيليسيا

فلما عرف فردريك بذلك مال سنة ١٧٤٤ الى فرنسا لمحالفها وعاقد امبراطور المانيا المطرود على الولاء واشترط على حلفائهِ ان ينال جزاء الظفر ثلاثاً من ولايات بوهيميا

ثم اقتحم بوهيميا واحاط على حاضرتها براغ Prague وثمت وقعت الحرب الهائلة فجرَّت الويل على البلاد ونال عسكرهُ من الجوع والقتال نيلاً عظيماً حتى اضطر ان يلجأ الى سيليسيا في ابان الشتاء وان يعاني في القهقرى اليها اشد العناء فانزل العسكر في قراها واتى برلين ليعدَّ الاهبة لمتابعة الحرب وكانت غزواتهُ قد استنزفت مال الخزينة وما اذ دخر ابوهُ . ثم وردهُ النبأ بان النمسويين الظافرين لاحقون بعسكرهِ المخذول الى سيليسيا وان الامبراطور الالماني قضى نحبهُ كل ذلك وفردريك لم يظهر الضعف كأن الصعاب لا تقوى على ايهان قواهُ اذ عاد الى ساحة الحرب وقاتل الاعداء قتالاً مريعاً فظفر بهم وردهم على الاعقاب خاسرين وفتح درسدن

عاصمة ساكسونيا وعاد الى برلين منصورًا سنة ١٣٤٦

فوضعت الحرب اوزارها بضع سنوات قضاها فردريك وهو يدبر شؤون بلادهِ ساعيًا في انماء ثروتها عاملاً على تحسين صنائعها وتعزيز تجارتها ونشر الآداب فيها

لكن ماريا تريزا لم تكن خلال ذلك راضية عن اغتصاب سيليسيا من قبضتها بل كلما ذكرت على مسمعها اذرفت عليها الدمع سخينًا وكان على اريكة روسيا يومئذٍ الامبراطورة اليصابات وهي تكره فردريك كرهًا شديدًا فمالت الى النمسا وحالفتها عليهِ وكانت بولونيا اتبع لروسيا من ظلها فلحق ملكها بالامبراطورة وكذلك انضمت فرنسا الى الحلفة لانهُ كان لملكها عشيقة يقال لها المارکيزة ده بومبادور وقد غلبت عشيقها على التصرف بامرهِ وكان قد بلغها ان فردريك يهزأ بها ويسخر من تسلطها فامتعضت وحملت الملك على الانضمام الى اعداء فردريك

وعلم فردريك بما كان وان القوم يتألبون عليهِ حتى اذا غلبوهُ اقتسموا بلادهُ بينهم لا يتركون لهُ منها الاَّ امارة صغيرة لا شأن لها فتحفز لمفاجأتهم وكانت فرنسا حينئذٍ تحارب انكلترا مصوّبة نظرها لامتلاك هانوفر فتحالف فردريك والانكليز لكن هذه الحلفة لم تجدِ بروسيا نفعًا لان قوة انكلترا كانت بحرية اكثر منها برية ولذلك انحصرت المساعدة الانكليزية باداء نحو ثلاثة ملايين ريال في السنة

اما فرنسا فحشدت على الرين جيشًا جرارًا وكذلك اجتمع الروس في بومارانيا والنمساويون على تخوم سيليسيا وانضم السويديون الى الحلفة ووقفوا في ليفونيا وبهذا التألب اصبحت بروسيا محاطة بنطاق من الاعداء غير ان فردريك سار بمئة الف من كماتهِ فاقتحم ساكسونيا وفتح عاصمتها درسدن وضرب على اهلها ضريبة فاحشة فجاء النمساويون لنصرة حلفائهم ووقعت بينهم الحرب هائلةً فاجلت عن انكسار النمساويين وارتدادهم فاسرع فردريك الكرة الى بوهيميا حيث وجد العدو مخيمًا في ظاهر حاضرتها براغ فحمل عليهم حملةً صادقة كثرت فيها القتلى من الجانبين ولكنها اجلت عن نصرهِ والتجاء النمساويين الى المدينة فحصرها وصب عليها نيران المدافع وفتك فيها الجوع والوباء وما زال يشدد عليها الحصر حتى جاء النمساويون لنجدتها فوقع القتال وانكسر فردريك فارتدَّ بمن بقي من جيشهِ الى قلعة برسلو في سيليسيا ولحق بهِ النمسويون والفرنسويون فواقعوهُ واجلوهُ عن القلعة وظنوا ان قوّتهُ قد اضمحلت ولكنهُ عاد فكسرهم في اواخر سنة ١٧٥٧ واسر منهم عشرين الفًا وغنم غنائم وافرة وكرَّ على برسلو فملكها تسليمًا وزحف منها على الروس فردهم خاسرين وطردهم من البلاد ثم مال على الاسوجيين ففروا من لقائهِ

وفي الربيع التالي تجدد القتال فانكسر فردريك وشدَّ المتحالفون روابط الاخاء وانضمت

اليهم كل ممالك المانيا واماراتها الكاثوليكية لان بروسيا ونصيرتها انكلترا بروتستانتيتان فزحف سنة ١٧٥٩ عسكر المتحدين فرنسا والمانيا وروسيا وبولونيا واسوج على فردريك فلقيهم بثمانين الفاً عند فرنكفورت فكسرهم ابتداء ولكنهم عادوا نكروا عليهِ وكسروهُ وارتدَّ في ظلام الليل فلم يلحقوا بهِ واذ كان همامًا لا تضعضع حوادث النوائب بل تزيدهُ همةً ونشاطًا اسرع فلمَّ شعث جيشهِ المكسور واستحضر المدافع من القلاع الداخلية فاصبح بعد اندحارهِ ببضعة ايام واقفاً لمواقعة العدو حتى زمن الشتاء. وتعذر القتال فانفصل المتحاربون ولكنهم عادوا في ربيع سنة ١٣٦٠

وكان كماة البروسيانيين المدربين قد ذهبوا وقودًا لنار الحرب فملأ فردريك مواضعهم بمن اخذ من الاحداث والفلاحين واسرى الاعداء حتى اجتمع لديهِ من هذا اللفيف خمس وسبعون الفاً برز بهم لقتال مئتين وخمسين الفاً وانما ناهضهم بحذقهِ وذكائهِ حتى ادهش العالم وحارب فانتصر في معظم المواقع واحبط مساعي المتحدين فارتدوا اونة الشتاء مدحورين

ولم تكن مواقع سنة ١٧٦١ ذات نتائج مهمة لان فردريك تحصَّن في موقعٍ منيع لم يجسر المتحدون على الدنو منهُ ولكنهم حصروهُ طويلاً حتى الشتاء فانقلبوا راجعين

يومئذٍ امسك الانكليز عن فردريك اداء المساعدة الماليَّة واوشك اليأْس يستولي على البروسيانيين لو لم ترد الانباء بموت اليصابات امبراطورة روسيا في بدء سنة ١٧٦٢ فخلفها بطرس الثالث وكان كارهاً لماريا تريزا محبًّا لفردريك فاصدر امرهُ بانسحاب عسكرهِ من بين المتحدين وانضمامهم الى فردريك ولحق بهم الاسوجيون على الاثر غير ان فردريك لم ينتفع من هؤُلاء النصراء لان بطرس الثالث قُتل وشيكاً وخلفتهُ امرأَتهُ كاترينا الثانية فاستدعت عسكرها من ساحة القتال

وبعث فردريك فدسَّ لرجال الدولة العلية العثمانية ان يحاربوا النمسا فاجابوا ثم نهض وهاجم النمساويين فكسرهم كسرةً هائلة ذهبت بامال ماريا تريزا لما رأَت من فراغ خزينتها وتقدم العثمانيين اما فردريك فشرع ينهب بوهيميا وساكسونيا حتى اسرعت النمسا لمصالحتهِ مصدقةً على ضمّ سيليسيا الى ملكهِ فتمَّ الصلح سنة ١٧٦٣ وبهِ تمَّت حرب السنوات السبع

ولمَّا عاد فردريك الى بلادهِ ظافرًا صرف عنايتهُ الى اصلاح مملكتهِ وتقدمها فاسرعت في الارتقاء على انها ولئن حاربت السنين الطوال واستطالت بالغلب على جوارها فما برحت ضيّقة النطاق قليلة الساكن لا تباري في السعة والعدد والغنى الدول العظمى التي بارتها في القتال ولذلك كان من مقاصد ملكها ان يوسع نطاقها ما وسعهُ الجهد

وكان في جوارهِ مملكة بولونيا مساحتها ٢٨٤ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرون

مليونًا وهي تتاخم ايضًا النمسا وروسيا وكانت الفوضى ضاربة اطنابها فيها فشرعت الدول الثلاث تتباحث في شؤونها في خلوات مريبة عازمة على اقتسامها ولعل هذا العزم خطر لفردريك اولاً لانهُ اشد معاصريهِ طمعاً وقد سعى لنيلهِ حثيثاً. الا تراه قدم لروسيا لائحة اولى فشغلت عن اجرائها ثم خلا في نيس بامبراطور المانيا الذي انتهت اليهِ الامبراطورية سنة ١٧٦٩ فزيّن لهُ ذلك بالرغم عن ارادة امهِ ماريا تريزا ثم اعاد عليهِ الكرة سنة ١٧٧٠ حتى ارتضى وعاد فردريك فقدَّم لروسيا لائحة التقسيم ثانية فاجازتها على ان يكون لها ٨٧٥٠٠ ميل وللنمسا ٦٢٥٠٠ ميل ولروسيا ٩٤٦٤ ميلاً فقط

ثم اتخذ الحلفاء صندوقاً عامًا ادروا عليهِ من اموال خزائنهم الثلاث وانفقوا منهُ عن سعة في استرضاء بعض نبلاء بولونيا وبعد هذا سيروا بعوثهم فملكوا البلاد ونال فردريك جزاء عملهِ

ومذ ضم القطر البولوني الى مملكتهِ شرع في اصلاحهِ بهمة حملت واصفيهِ على القول ان عمله في السلم كان عظيمًا يعادل عمله في الحرب . وهكذا ظلَّ يزيد في عزة ملكهِ حتى توفي في ١٧ آب سنة ١٧٨٦ في الخامسة والسبعين من عمرهِ والسادسة والاربعين من ملكهِ

ولقد انصفهُ من لقبهُ بالكبير الاَّ ان اراءهُ الدينية والادبية كانت منحطة كثيرًا تسقط من قدر اعمالهِ العظمى في الحرب وكانت لهُ مشاركة في التأليف اذ الَّف تاريخاً لعصرهِ سماهُ Histoire de mon temps اسهب فيهِ بذكر شؤون اوروبا في ذلك الحين واعتمدهُ المؤرخون في نقلهم

واذ رأى بلادهُ من غير شريعة ترتاح اليها الناشئة الجديدة وضع لها سنة ١٧٤٦ شرعة الاصلاح المعروفة بقانون فردريك Code Frederick

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

٣٦ الفدية

وكانوا عقيب الحرب يعمدون الى مفاداة الاسرى وكثيرًا ما يفتدي الاسير نفسهُ بشيءٍ معيَّن قال القطامي

فني نادي اسيرك ان قومي وقومك لا ارى لهم اجتماعا

وقد صرَّح ابو اذينة اللخمي ابن عم الاسود بن النعمان اللخمي بان الفدية تكون اما من الخيل والابل واما من الفضة والذهب حيث قال

قد عرّضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وإبلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علامَ تقبل منهم فدية وهمُ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

٣٧ المراعي

استجاد النابغة الذبياني السعدان مرعى للابل في قولهِ

الواهب المئة المعكاء زيّنها سعدان توضح في اوبارها اللبدِ (١)

واستجاد اليعضيد والجرجار كلاً ترعاهُ الخيل في قولهِ

يخلّب اليعضيد من اشداقها صفرًا مناخرها من الجرجارِ (٢)

وقد ذكر ابو وجزة المكنان والقطب في اثناء وصفهِ حمارًا فعدَّهما من افضل الاعشاب قال

تحسَّر الماء عنهُ واستُجنَّ بهِ إلفان جنّا من المكنانِ والقُطَبِ (٣)
جماديين حُسُوماً لا يعايِنهُ رعيٌ من الناس في اهل ولا غرَبِ (٤)

والحلَّة . قال ابو حنيفة هي شجرة شاكة تنبت في غلظ الارض اصغر من العوسجة وورقها صغار ولا ثمر لها وهي مرعى صدق قال

تأكلُ من خِصب سيال وسلَمْ وحِلَّةٍ لمَّا توطّأها قدَمْ

والخُلَّة والحَمض . قال ابو عمرو الخلة ما لم يكن فيهِ ملح ولا حموضة والحمض ما كان فيهِ حمض وملوحة قال الكميت

صادفنَ ودابة المغبوطَ نازلُهُ لا مرتع بعدت من حمضهِ الخُلَلُ

والعرب تقول الخلَّة خبز الابل والحمض لحمها او فاكهتها اوخبيصها وفي المثل انك مختل فتحمَّض اي انتقل من حال الى حالٍ قال الطرماح

لا بني يُحمِضُ العدوُّ وذو الخلـ ـة يُشفَى صداهُ بالإحماضِ

وكانوا يعدُّون الملح والغسويل اردأ المراعي قال الربيع الكامل (الربيع بن زياد العبسي)

ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحًا وغسويلا

---

(١) المعكاء من الابل السمان الغلاظ . السعدان نبت ذو شوك يسمى شوكه حسكاً ويشبه بو حلمة الثدي وهو مغبر اللون حلو . واللبد ما تلبد من الوبر الواحدة لبدة

(٢) اليعضيد بقلة من الاحرار مرة لها زهرة صفراء . والجرجار عشبة طيبة الريح لها زهرة صفراء

(٣) تحسر اي انكشف . واستُجنَّ استتر . وجنا مبني للمجهول سترا . المكنان من الشعب ورقته صفراء وهو لين كله والقطب جمع قطبة ضرب من الشوك يتشعب منها ثلاث شوكات كانها حسك

(٤) الجماديان الشهران المعروفان . وحسوماً دؤوبا

٢٨ السرج

وكانوا ينيرون منازلهم بالسُرُج قال النابغة الجعدي

اضاءت لنا النار وجهاً اغرّ ملتبساً بالفؤاد التباسا
يضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيهِ نحاسا (٥)

٢٩ العِيَب

وكانت نساؤهم يحفظن ملابسهنّ في عِيَب . قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فزينك في شريطك ام عمرو وسابغة وذو النونين زيني (٦)

والشريط العيبة . وقال علقمة الفحل

كميت كلون الارجوان نشرتهُ لبيع الرداء في الصُّوان المكعَّبِ (٧)

٣٠ القمار بالقداح

وكان القمار شائعاً بين كبراء العرب قال عفيف بن معدي كرب الكندي

وودعتُ القداح وقد اراني لها في الدهر مشغوفاً رهينا

وكانوا يعدونهُ من دلائل الشرف فاذا ذكروهُ افتخروا بهِ قال زهير بن ابي سلمى المزني مادحاً هرم بن سنان بن ابي حارثة المري وقد استطرق الى مدح اهل بيتهِ

ان قامروا قمروا او فاخروا فخروا او ناضلوا نضلوا او سابقوا سبقوا

وقال ايضاً

والاّ فانّا بالشربّة فاللوى نعقر امّات الرباع ونيسرُ (٨)

وقال النابغة الذبياني

هلاّ سألتِ بني ذبيان ما حسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البَرَما (٩)
اني اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الأُدُما (١٠)

واما القداح فلم أرَها مجموعة في شعر قديم . وقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ

فذ وتوأم رقيب نافسُ والحلس والرابع قيل الخامسُ
كذلك المسبل والمعلّى مما على النصيب قد تولّى
ثم السفيح والمنيح الوغدُ ليس لهُ الى النصيب رشدُ

---

(٥) السليط الزيت والنحاس الدخان (٦) السابغة الدرع (٧) الصوان الوعاء الذي يصان فيهِ الرداء (٨) الرباع جمع رباعي بالتخفيف وهو من الحيوان الذي القى رباعيتهُ (٩) البرَم البخيل (١٠) الادم جمع أدام

ووجه القمار هو انهم كانوا يشترون جزوراً فينحرونهُ ويقسمونهُ ثمانية وعشرين قسماً ويتساهمون عليهِ بعشرة قداح يسمونها الازلام وهي المذكورة في الايات ويفرضون لسبعة منها انصبة مقدرة فيجعلون للفذ نصيباً واحداً وللتوأم نصيبين وللرقيب ثلاثة وهكذا الى المعلَّى فان لهُ سبعة انصبة واما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها وكانوا يكتبون على كل قدح اسمهُ ويجمعون هذه القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها في يد رجل عدل يسمونهُ المجيل او المفيض فيجيلها في تلك الخريطة ويخرج منها قدحاً للرجل منهم فمن خرج لهُ قدح من ذوات الانصبة اخذ نصيبهُ ومن خرج لهُ قدح لا نصيب لهُ غرّم ثمن الجزور . ولنعد الى شعر النابغة فهو يقول انهُ اذا كانت اصحاب القداح اقلّ سهاماً من سبعة كان يتمم السبعة فيأخذ ثلاثة انصباء اي مكان ثلاثة وانهُ يعطي اصحابهُ نصيبهُ المرة بعد المرَّة . وتسمى القداح ايضاً سهاماً واحدها سهم . ومن هذا الوجه استعار عروة بن الورد السهم للمنية حيث قال

فان فاز سهم للمنية لم اكن جزوعاً وهل في ذاك من متأخرِ

وقد ذكر المنيح قال

مطلاً على اعدائهِ يزجرونهُ بساحتهم زجر المنيح المشهّر

وكانوا يقمرون بالابل . قال سبرة بن عمرو الفقعسي

نحابي بها اكفاءنا ونهينها ونشرب في اثمانها ونقامرُ

وبالخيل . قال علقمة الفحل

وقد يسرت اذا ما الجوع كلّفهُ معقب من قداح النبع مقرومُ
لو ييسرون بافراسٍ يسرت بها وكل ما يسر الاقوام مغرومُ

﴿ ٣١ ﴾ العطاء

كان الشهير في عطايا الملوك منح مئة من الابل . وربما اتبعوها بالخيول المطهمة وبالجواري الحسان واردفوها بنفيس الملابس والورق والعقيان . قال النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر

الواهب المئة المعكاء زيّنها سعدان توضح في اوبارها اللبدِ
والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجردِ (١)

(١) "فانقها نعّم عيشها . والهواجر جمع هاجرة وهي الحر الشديد . والجرد الموضع الذي لا ينبت فيهِ شيء . والمعنى يهب الجواري اللواتي يرفلن باذيالهن" عن شرح ديوان النابغة للبطليوسي باختصار

والخيل تمزع غزبًا في اعنتها   كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد (٢)

واما المكثر في وصف الاعطية فهو الاعشى ميمون بن جندل صناجة العرب لكثرة قصده الملوك فمن ذلك قوله

الواهب المئة الهجان وعبدها   قطنًا تشبهها النخيل المُكرَعا (٣)

وقوله   هو الواهب المئة المصطفا   ةَ اما مخاضًا واما عشارا (٤)

وقوله   هو الواهب المئة المصطفا   ةَ كالنخل زينها بالرَّجَنْ (٥)

وقوله من قصيدة متناهية في الجودة مدح بها قيس بن معدي كرب الكندي مطلعها

رحلت سمية عدوة اجمالها   غضبي عليك فما تقول بدا لها

هذا النهار بدا لها من همها   ما بالها بالليل زال زوالها

الى ان يقول

وسبيئة مما يعتق بابل   كدم الذبيح سلبتها جريالها

وغريبة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها يقال من ذا قالها

ولقد نزلتُ بخير من وطئ الحصى   قيس فاثبت نعلها وقبالها

الواهب المئة الهجان وعبدها   عوذًا تزجي خلفها اطفالها (٦)

والقارح الاحوى وكل طِمِرَّة   ما ان تنال يد الطويل قذالها (٧)

وما احسن قوله فيهِ ايضاً

ان قيسًا قيس الفعال ابا الاشـ   ـعث امست اعداؤُهُ لشَعُوب (٨)

ذا كم الماجد الجواد ابو الاشـ   ـعث اهل الندى واهل السيوب (٩)

كل عام يمدُّني بجموم   عند ترك الطعان او بنجيب (١٠)

تلك خيلي منهُ وتلك ركابي   هن صفرٌ اولادها كالزبيب (١)

---

(٢) المزع شدة السير · والغرب الحدة واول الجري · والشؤبوب الدفعة من المطر

(٣) القطن والقطين اتباع الملك وهو حال وتشبهها بالخطاب · والمكرع من النخيل ما غرس حول الماء

(٤) المخاض الحوامل من النوق والعشار التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر

(٥) رجن الناقة اذا حبسها للعلف ولم يسرحها

(٦) الهجان من الابل ابيض الكرام · وعوذًا جمع عائذ يريد الحديثات النتاج · وتزجي تسوق

(٧) القارح من ذي الحافر الذي شقَّ نابهُ وطلع وهو بمنزلة البازل من الابل · والاحوى اي خالط خضرته سواد او صفرة · والطمرة الفرس ذات القوائم الطوال والقذال من الفرس مقعد العذار خلف الناصية

(٨) شعوب علم للمنية   (٩) السيوب جمع سيب وهو العطاء   (١٠) الجموم الفرس الكثير الجري   (١) الركاب الابل لا واحد له من لفظهِ · وصفر جمع اصفر بمعنى اسود

وقال عارف الطائي

والله لو كان ابن جفنة جاركم ما ان كساكم حطةً وهوانا
ولكان عادتهُ على جيرانهِ ذهباً وريطاً رادعاً وجفانا (٢)

اراد بابن جفنة عمرو بن الحارث الغساني ملك غسان.

ولم يكن عطاء المئة من الابل خاصاً بالملوك دون الامراء فقد كانت الامراء تجود بمئة ناقة منحة للمستمنح قال بشر بن حازم في عمرو بن ام اناس

والمانح المئة الهجان بأسرها تزجي مطافلها كجنة يثرب (٣)

وقال اوس بن حجر في مديح فضالة

الواهب المئة المعكاء يشفعها يوم النضار باخرى غير مجهودِ

وقد تكون العطية دون ذلك واقلّ ما يجودون بهِ بعير اوشاة قال مالك بن جعدة الثعلبي

فانك يوم تأتيني حريباً تحلّ عليّ وتنتذر نذور (٤)
لأمك ويلة وعليك اخرى فلا شاة تنيل ولا بعيرُ

وقال ابو دهبل الجمحي

يا ناق سيري واشرقي بدمٍ اذا جئتِ المغيره
يا ناق ثم عنقتِ من دلجي ومن نص الظهيره
سيثيبني اخرى سوا كِ وتلك لي منهُ يسيره

٣٣ صحاف الفضة وقصاع الخلنج

ورد في ترجمة النابغة الذبياني انهُ كان يتناول الطعام في صحافٍ من الفضة. ولعلَّ ذلك كان مما اهدتهُ الملوك فقد كانت الملوك تجود بذلك قال الاعشى ميمون بن جندل في الاسود بن المنذر

يهب الجلّة الجراجر كالبسـ ـتان تحنو لدردق اطفالِ
والمكاكيك والصحاف من الفضـ ـة والضامرات تحت الرحالِ (٥)
وجياداً كأنها قضب الشو حط يحملن شكّة الابطالِ (٦)
ودروعاً من نسج داود في الحر ب وسوقاً يحملن فوق الجمالِ (٧)

---

(٢) الرادع الذي فيهِ اثر الطيب

(٣) تزجي تسوق. ومطافل وهي ذات الطفل من الانس والوحش (٤) الحريب المسلوب المال

(٥) المكاكيك آنية يشرب فيها الخمر. والصحاف القصاع والضامرات النجب من الابل

(٦) الشوحط ضرب من شجر الجبال يتخذ منهُ القسي. وقد شبه الجياد بقضبانها ووجه الشبه الضمر. والشكة السلاح الكامل (٧) الوسوق جمع وسق وهو الحمل

وربما اتخذوا الكؤوس من فضة قال لبيد

فدعدعا سرَّة الركاء كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا (٨)

وهذا شاهد استعمالها عند الاعاجم واما استعمالها عند العرب فدليلهُ قول النابغة

وتسقي اذا ما شئت غير مصرَّد بزوراء في حافاتها المسك كانع (٩)

وقد اتخذوا القصاع من شجر الخلنج قال عبد الله بن قيس الرقيات

ان يعش مصعب فانَّا بخير قد اتانا من عيشنا ما نرجي

يهب الالف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج (١٠)

امين ظاهر خير الله

رجال المال والاعمال

لورد افيا

جاء في الانباء البرقية منذ ايام ان لورد افيا الارلندي تبرَّع بخمسين الف جنيه اعطاها الملك الانكليز تذكارًا لزيارتهِ مدينة دبلن لكي يوزعها على المستشفيات في ارلندا سواءٌ كانت للبروتستانت او للكاثوليك وعلى مستشفى السل في نيوكسل . وقد ذكرنا منذ بضع سنوات ان هذا المحسن تبرَّع بمئتين وخمسين الف جنيه دفعةً واحدة لتوسيع نطاق علم اصبح من انفع العلوم لنوع الانسان والحيوان وهو علم البكتيريولوجيا اي العلم الذي يبحث عن الميكروبات والامراض الناشئة عنها وكيفيَّة معالجتها . وقلنا هناك انهُ رجل كريم وهب هبات اخرى قبل الآن لهذا الغرض ثم رأى البلاد الانكليزية محتاجة الى دار كبيرة مثل دار باستور يبحث فيها العلماء عن طبائع الميكروبات فوهبها هذا المال الطائل (انظر باب الاخبار العلميَّة في مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩)

وها نحن موردون الآن طرفًا من ترجمتهِ ووصف العمل الذي جمع منهُ ثروتهُ

من عادة الانكليز انهم اذا أُعطوا لقب الاعيان اضطروا الى ترك اسم عائلتهم والتسمي باسم آخر اذا سبقهم احد من عائلتهم الى رتبة الاعيان وابقى اسم العائلة لنفسهِ كما ترى في

---

(٨) دعدع ملأ . والركاء اسم موضع . والغرب جام فضة

(٩) التصريد شرب دون الري . والزوراء مشربة من فضة مستطيلة شبه التلتلة والقدح كذا جاء في لسان العرب . وقال شارح ديوان النابغة زوراء دار بالحيرة للنعمان هدمها جعفر وهو وهم . وكانع لاهق

(١٠) البخت جمال طوال الاعناق . والخلنج شجر . فارسي معرب تتخذ من خشبهِ الاواني

تلقيب السر افلن بارنج بلقب لورد كرومر حينما نال لقب لورد لان واحداً من عائلتهِ سبقهُ الى رتبة اللوردية ولقب نفسهُ لورد بارنج . اما اذا كان هو اول من نال رتبة الاعيان في اسرتهِ فالغالب ان اسمها يبقى لهُ كما ترى في لورد كتشنر ولورد ملنر . ولورد إفيا من عائلة غوينس وهي عائلة ارلندية خطت اول خطوة في سبيل الثروة على عهد جدها ارثر غوينس وكان خماراً يصنع البيرة السمراء فانهُ ابتاع خمارة كبيرة في مدينة دبلن وجرى في عمل البيرة فيها على احدث الاساليب المعروفة حينئذٍ . والبيرة شراب يستحلهُ الاوربيون حتى الذين يحرّمون شرب الخمر منهم ويشربهُ رجالهم ونساؤهم واولادهم على حدٍّ سواء ولذلك لا يعدُّ عملهُ وبيعهُ من المحرمات بل من اساليب الصناعة والتجارة المحللة التي يقبل عليها الناس من كل الطبقات

واحبَّ ارثر غوينس مدينة دبلن واهتم بما يرقيها لانهُ افلح فيها فاكرمهُ اهلها وعدُّوهُ من الوجهاء بينهم . ولما شبَّ اولادهُ اشركهم معهُ في عملهِ

والولد الثالث من اولادهِ واسمهُ بنيامين ولد سنة ١٧٩٨ ولما شبَّ ابدى من الهمة في ادارة الاعمال ما جعل اباهُ يعتمد عليهِ ويسلم ادارة معملهِ اليهِ فنظمهُ ووسعهُ حتى ابلغهُ حدًّا يفوق كل ما قدَّرهُ لهُ ابوهُ . وهو اول من اهتمَّ باصدار البيرة الارلندية الى مدن إنكلترا وسكتلندا واضطرَّ ان يغير انواعها لكي توافق اذواق الناس الذين ارسلها اليهم فعمَّت مصنوعاتهُ البلاد الانكليزية كلها وانتشرت في اوربا وفي اميركا ايضاً لان شاربي البيرة وجدوا فيها شراباً سائغاً لم يذوقوا اطيب منهُ قبلاً فكثر الطلب عليها حتى فاق ما كان ينتظرهُ لكنهُ كان الرجل الذي اذا عرضت لهُ المصاعب قابلها بالحزم واذا دعت اعمالهُ التوسُّع لم يرضَ لها بالضيق فاخذ من ساعتهِ يوسع معملهُ حتى ابلغهُ حدًّا يفوق التصديق ووضع فيهِ مراجل كبيرة جدًّا وآنية لم يرَ مثلها صنَّاع البيرة في بلد من البلدان لكبر حجمها حتى صار معملهُ اكبر معمل من معامل البيرة في المسكونة ولا يستطيع المرء ان يسير فيهِ من طرف الى طرف الأ بسكة حديدية تجرها آلة بخارية . وبقي من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٦٠ يدير هذا المعمل بهمة لا تعرف الملل يوماً بعد يوم من الصباح الى المساء . يراقب كل فرع من فروعهِ ويرشد العمَّال في اعمالهم ويختار الاكفاء منهم ويعتمد عليهم في ادارة الفروع المختلفة كل ذلك ورائدهُ اللطف والدعة مع العمال حتى كانوا كلهم يعدُّون انفسهم من اصدقائهِ لا من صناعهِ

فجمع ثروة طائلة وكان كثير المبرَّات ينفق على مدينة دبلن وفقرائها بسخاء حاتمي فعدَّهُ اهاليها اعظم رجل بينهم يلقون بهِ الملمات ويقابلون نوائب الدهر ومنحوهُ كل القاب الشرف التي في طاقتهم منحها

ومن اعماله الخيرية الكبيرة انهُ جدَّد بناء كنيستهم الكبرى سنت باترك وانفق على تجديدها ١٦٠٠٠٠ (مئة وستين الف جنيه) واستخدم لهُ امهر مهندسي العصر وامهر بنائيهِ ولما اتمَّ تجديدها انتُخب عضوًا في البارلمنت الانكليزي عن مدينة دبلن وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٦٨ وبلغت تركتهُ الخصوصية حينما توفي مليونًا ومئة الف جنيه وبقي معملهُ يزيد اتساعًا وانقانًا بعد وفاتهِ وكان لهُ ولدان شاركاهُ في ادارتهِ وهما ارثر غوينس وادورد غوينس وجريا على خطتهِ بعد وفاتهِ ومنح اولهما لقب لورد ارديلون والثاني لقب لورد إڤيا . اما الاول فباع نصيبهُ لاخيهِ بمليون جنيه وتنحى عن العمل وبقي اخوهُ فيهِ وكانت ولادتهُ (وهو لورد اڤيا) سنة ١٨٤٧ ودرس في مدرسة دبلن الكلية ونال منها لقب دكتور في الشريعة المدنية واستقلَّ بعمل البيرة سنة ١٨٨٠ لما ابتاع نصيب اخيهِ وادارهُ بهمة ونشاط ثم باعهُ الى شركة مساهمة سنة ١٨٨٦ بستة ملايين من الجنيهات واكثر اسهمها لهُ وكان ثمن السهم الاساسي عشرة جنيهات فبلغ منذ سنتين ٥٥ جنيهًا

وحذا حذو ابيهِ واخيهِ في الانفاق على الاعمال الخيرية وانفق اكثر من مليون جنيه على بناء البيوت الصحية لفقراء مدينة لندن ومدينة دبلن فافاد الفقراء فوائد لا تقدَّر ولا يزال يزيد كرمًا وهو يزيد غنى ولا عجب اذا ارتقت بلاد يكون فيها كثيرون من امثالهِ

لورد هِندلِب

البيرة شراب منعش يُصنَع من الشعير المختمر ويصح ان يطلق عليها اسم الجعة لانها كانت معروفة عند العرب بل عند المصريين القدماء لكن الاوربيين خصوها بالشراب الذي يعالج بحشيشة الدينار ولا دليل على ان هذه الحشيشة كانت تستعمل في استخراج الجعة فابقينا كلمة بيرة على حالها لئلاَّ تفوت هذه الدلالة وتلتبس البيرة بشراب آخر يستخرج من الشعير ولا يعالج بحشيشة الدينار

ذكرنا في الفصل السابق سيرة بيت غوينس الذين اثروا من عمل البيرة وصاروا من اشراف الانكليز . ولكن مقطوعية البيرة كبيرة جدًّا فقد كان لها في البلاد الانكليزية ٧٢٨٨ معملاً سنة ١٨٩٨ وبلغ دخلها السنوي حينئذٍ ١٢١٤٠٥٢٢ اي اكثر من اثني عشر مليون جنيه ودخل معمل بيت غوينس وحدهُ ٦٥٢٦٣٨ جنيهًا اي نحو خمسة في المئة من دخل المعامل كلها فلا بدَّ من وجود معامل اخرى كبيرة لعمل البيرة

ومن اصحاب هذه المعامل بيت السوب ومعملهم قديم جدًّا اخذوهُ من بيت ولسن وهؤلاء من بيت برتن ويمتدُّ تاريخهُ الى قبل ايام الملكة اليصابات وآل الى بيت السوب سنة ١٨١٢

وكان اسم مديرهِ حينئذٍ صموئيل السوب وكان كبير الهمَّة فوسَّع المعمل ووفَّر ارباحهُ وانتقل منهُ الى ابنهِ هنري السوب الذي صار لورد هندلب الاول وهو الذي وسع المعمل وجعلهُ من اكبر المعامل واوفرها ربحاً وجاء ابنهُ بعدهُ فورث منهُ قوَّة العقل وقوَّة الارادة . ولما آل المعمل الى صموئيل السوب حوَّلهُ الى شركة مساهمة وكان دخلهُ السنوي قد بلغ ٢٣٠ الف جنيه وكانت مبانيهِ تشغل اكثر من ٤٠ فدانًا والى جانبها ارض مساحتها ١٤٠ فدانًا لكي يملأَها اذا دعت الضرورة . ولم يمضِ الأ زمن يسير بعد ان تحوَّل الى شركة مساهمة حتى صار دخلهُ السنوي ٤٨٦ الف جنيه

ولم يعش لورد هندلب طويلاً بل توفي سنة ١٨٨٧ وكان كريمًا ولاسيما على العمَّال الذين يعملون في معملهِ ولورد هندلب الحالي شاب ولد سنة ١٨٧٧ وانتظم في الجيش وحارب في الترنسفال

لورد برتن

ومن اكبر عمَّال البيرة في البلاد الانكليزية لورد برتن وكان جدهُ صانعًا فقيرًا اسمهُ وليم باس ينقل البيرة من مكان الى آخر لبيعها فخطر لهُ ان يصنعها هو ويبيعها وكان ذلك سنة ١٧٧٧ فصنع معملاً صغيرًا لعملها وورثهُ منهُ ابنهُ واسمهُ ميخائيل باس ووسعهُ واستعان برجالٍ من الاكفاء فاشركهم معهُ فاشتركا في ربحهِ ومات اولها وخلَّف اكثر من مليون جنيه ومات الثاني تاركًا نحو ثلاثة ملايين جنيه ولا يزال اولادهما مشتركين في هذا المعمل

وكان ميخائيل باس يصدر اكثر البيرة التي يصنعها الى بلاد روسيا وبلغهُ ذات يوم ان حكومة الروس فرضت مكسًا ثقيلاً على البيرة الاجنبية فلم يعد في امكانهِ ان يصدر بيرتهُ اليها ولم يبقَ امامهُ الأ الاسواق الانكليزية فاضطرَّ ان يصلح بيرتهُ حتى توافق ذوق الانكليز وكان ذلك سبب نجاحهِ وثروتهِ ولو بقي يصدر البيرة الى بلاد الروس كما كان يفعل اولاً لبقيت بيرتهُ من النوع الرخيص الثمن القليل الرواج القليل الربح لكنهُ استفاد من هذا النائبة كما يستفيد كل ارباب الهمم من نوائب الدهر

واختلف تجار البيرة الذين يأخذونها الى بلاد الهند مع صاحب المعمل الذي يصنعها لهم فعرضوا بيرتهُ على المستر باس وسأَلوهُ عما اذا امكنهُ ان يصنع لهم بيرة مثلها فاخذها وحللها حتى عرف اساليب عملها وعمل بيرة مرة مثلها او اجود منها وارسلها الى بلاد الهند فراجت فيها رواجًا عظيمًا ويبلغ ثمن البيرة التي يصنعها معمل باس الآن خمسة ملايين جنيه كل سنة وجانب كبير من هذا الثمن ربح صافٍ لاصحاب هذا المعمل

ورقي ميخائيل باس الى رتبة الاشراف سنة ١٨٨٦ باسم لورد برتن

البابوية وانتخاب البابوات

رأيت في الجزء الماضي من المقتطف خبر وفاة البابا لاون الثالث عشر وطرفاً من ترجمتهِ وقد رأيت ان اجمع مختصر تاريخ البابوية ووصف مركزها الحالي في المجتمع الدولي

كان النصارى في اول نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدهم ورعاً واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنية للامم الذين يسودونهم قائلين لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لانهُ ليس سلطان الاَّ من الله. ثم لما كثر عددهم وقوي شأنهم خصوا الرئاسة الدينية باربعة من اساقفتهم سموهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينية وانطاكية والاسكندرية عواصم ولايات الامبراطورية الرومانية وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف

وكان البطاركة اصلاً متساوين في الرتبة والمقام الاَّ ان بطاركة رومية حاولوا من اول الامر السيادة على غيرهم بدعوى انهم خلفاء بطرس الرسول . ولم يأْتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا قد فازوا بمطلبهم واعترف الامبراطور الروماني بالاسقف انوسنتس الاول رئيساً عامًّا للكنيسة المسيحية . والمرجح ان اول من لُقّب بلقب بابا بمعناهُ الحالي هو غريغوريوس الكبير الذي تولَّى رئاسة الكنيسة الرومانية من سنة ٥٩٠ الى ٦٠٤ للميلاد

وساعد البابوات في نيل الرئاسة العامَّة ما كان لرومية مقر كرسيهم من السلطان في تلك الايام حين كانت عاصمة العالم والمرجع الاعلى للمالك في احكامها وسياستها فزعامتها للعالم في المسائل السياسية ساعدت بطاركتها على الوصول الى الزعامة الدينية ايضاً . ولما نقل قسطنطين الكبير كرسي الملك الى عاصمتهِ الجديدة خلا لاسقف رومية الجو فصار الآمر الناهي الوحيد فيها وزد على ذلك ان الامبراطورين لجأُوا اليهِ مرارًا في صدّ غزوات قبائل الشمال التي كانت تتهدد المملكة الرومانية فكان يفعل بسلطتهِ الدينية وهو اعزل من السلاح المادي ما كانت تعجز عنهُ جنود الامبراطورين فلذلك علت منزلتهُ وعمَّت هيبتهُ . ولما سقطت الامبراطورية الغربية زادت سلطة البابا وصار اعلى اصحاب المقامات في اوربا . وكان البابوات في تلك الايام يفضون المشاكل بين مدن ايطاليا وقبائل البربر الشمالية فاصبحوا الحكَم العام تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم

وارسلت رومية دعاتها الى فرنسا وجرمانيا وجزائر بريطانيا وغيرها من ممالك اوربا تدعو الناس الى النصرانية فاهتدوا بهديها وانشأُوا الكنائس واشربت قلوبهم حب رومية التي دعتهم

من الظلمات الى النور فكانوا يرسلون اساقفتهم اليها لينالوا البركة من يد البابا اعترافاً بخضوعهم لهُ . وبقي بابا رومية رئيساً عاماً للنصرانية الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسألة وضع الايقونات في الكنائس فاتخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقية . وزاد الخلاف بين رومية والقسطنطينية حتى آل الامر الى انفصال الكنيستين الشرقية والغربية في القرن الحادي عشر فخسرت رومية بذلك سلطانها في الشرق لكن حالفت ملوك اوربا وامراءها فكانت تستعمل سلطتها الدينية في توطيد سلطتهم وكانوا يستخدمون جيوشهم في الذود عنها وتمليكها المدن والمقاطعات كما فعل بين وشارلمان وغيرهما وهكذا تأسست سلطة البابا الزمنية التي بقيت الى ان استولى الايطاليون على رومية سنة ١٨٧٠

وساعد البابوية في توسيع نطاق سلطتها الزمنية ما كانت عليهِ اوربا في القرون الوسطى من الجهل فادَّعت الكنيسة ووافقها شارلمان ان الكهنة خارجون عن سلطة المحاكم السياسية مدنياً وجنائياً فلا يحاكمون الاَّ امام محاكم الكنائس . ثم توسعت بالامر وحكمت بان لها الاختصاص بالنظر في كل المسائل المتعلقة بالازواج والارامل واليتامى لعلاقتها بالدين . ولم تقف عند هذا الحد بل ادعت الاختصاص بالنظر في المسائل الجنائية ايضاً بدعوى ان الجناية تعدٍ على شريعة الله فللكنيسة الحق في معاقبة الجانين . وبهذه الطريقة اصبح الكهنة قضاة للشعب ينطقون بالاحكام ويكلون تنفيذها الى الحاكم الزمني . ولما كان الاساقفة تابعين لرومية كان استئناف احكامهم يرفع الى البابا فاصبح الحكَم الاعلى لا مرد لحكمهِ واصبح الملوك والامراء كالشرطة ينفذون احكامهُ ويأتمرون باوامرهِ

وفي اواسط القرن العاشر قام اوتو الكبير ملك المانيا فاعاد الى الامبراطورية الرومانية مجدها الذي كانت عليهِ في زمن شارلمان وبقي ملوك المانيا يتوارثون هذه الامبراطورية التي دعيت بالامبراطورية الرومانية المقدسة حتى اخذها منهم نابليون الاول . ولما قويت السلطة الزمنية في القرن العاشر اجتمع في المملكة الرومانية المقدسة حاكمان يتنازعان السلطة البابا والملك وتضاربت الآراء في نسبة احدهما الى الآخر . قال البعض ان كلاً منهما مستمد سلطتهُ من الله تعالى فهما اذاً متساويان وكلاً منهما متمم للآخر احدهما يحكم الانفس والآخر يحكم الاجساد وعلى الملك ان ينفذ بسيفهِ قوانين الكنيسة ويدفع عنها غارات المراطقة والاعداء . وقال حزب البابا ان لصاحب السلطة الروحيَّة التقدم على صاحب السلطة الزمنية . وذهب حزب الملك الى ضد ذلك وكل من الحزبين استشهد على صحة قولهِ بآياتٍ من الانجيل

فسرها على ما يوافق دعواه'

غير ان السلطة الزمنية ما زالت تنمو وتتقوى وتستقل عن السلطة الدينية حتى لم يبقَ لهذه سوى بعض مقاطعات ومدن اهداها اليها شارلمان وغيره' الى الباباوات . ولما نهضت ايطاليا حديثاً نزعت املاك البابا منه' شيئاً فشيئاً حتى لم يبقَ له' الا مدينة رومية فعارضتها فرنسا في ذلك وارسلت فصيلة من الجيش لحمايتها حتى اضطرت الى استرجاع جنودها منها سنة ١٨٧٠ حينما نشبت الحرب بينها وبين بروسيا فاستغنم فكتور عمانويل تلك الفرصة وضم رومية الى ايطاليا وجعلها عاصمة المملكة . وكان حينئذٍ في كرسي البابوية بيوس التاسع فاقام الحجة على ايطاليا واستغاث بدول اوربا فلم يغثهُ احد . وبديهي انهُ لما كان للبابا املاك زمنية كان جامعاً في يدهِ سلطة روحية وسلطة سياسية في ما يختص بالحكم في مقاطعاتهِ وكانت بقية الدول تعد مملكة البابا مستقلة عما حولها وتحترمهُ كملك زمني فوق ما له' من الاحترام الديني بصفتهِ الرئيس الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . فلما كان ما كان من استيلاء ايطاليا على رومية وتجريدها البابا من املاكهِ دخلت البابوية في دور جديد هو الدور الحالي واصبح خليفة مار بطرس في مقام فريد بين الملوك لا شبيه له'

ولا مراء ان وجود مملكة للبابا ولو صغيرة جعله' مستقلاً في اعمالهِ لا سلطة لغيرهِ عليهِ . غير ان تجريد دولة ايطاليا له' منها تركه' وحيداً فريداً . ولو كان رئيساً لكنائس ايطاليا وحدها لما اهتم احد بامرهِ بل كانوا تركوه' وشأنهُ مع الايطاليان لكنهُ رئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم اجمع وكلها تنظر اليهِ كنائب المسيح على الارض وراعيها في المسائل الدينية فيهمها اذاً ان لا يكون تابعاً لدولة من الدول بل يكون مستقلاً عنها كلها اذ لو فرضنا انهُ كان تابعاً لاحداها لتمكنت تلك الدولة بواسطتهِ من المداخلة في اعمال بقية الممالك الداخلية فتكسب بذلك قوة وسلطاناً لا يقدَّران

وقد ادرك الايطاليون من البداءة ان العالم الكاثوليكي ينظر بعين القلق الى مصير البابوية بعد فتوحات فكتور عمانوئيل فعرض الكونت كافور سنة ١٨٦١ على فرنسا وعلى الفاتيكان ان يتنازل الفاتيكان عن املاكهِ فتضمن له' ايطاليا الاستقلال التام في اعمالهِ الدينية ويكون له' الامتياز الذي للملك وتدفع الدول الكاثوليكية نفقات الكنيسة فابى بيوس التاسع الموافقة على ذلك . ثم عرضوا عليهِ اسلوباً آخر سنة ١٨٦٨ وهو ان يترك مستقلاً في الفاتيكان وحي ليونين (وهو واقع بين نهر التيبر والفاتيكان ويبلغ عدد سكانهِ خمسة عشر الفاً) فابى ايضاً . ثم جددوا هذا الاقتراح سنة ١٨٧٠ وضمنوا للبابا جميع الامتيازات التي للملوك فاصرَّ على الاباء .

ولما استولى فكتور عمانوئيل على رومية رأى ان اول واجب عليهِ هو ازالة الشك الذي ربما خامر بقية الدول الكاثوليكية من جهة بقاء البابا مستقلاً فاصدر قانون الضمانة في ١٣ مايو سنة ١٨٧١ لانهُ خاف انهُ اذا لم يفعل ذلك هجر البابا رومية فتخسر برحيلهِ عنها الشيء الوحيد الباقي من عظمتها السابقة التي جعلتها في مقدمة الممالك المسيحية

اما الاساس الذي بني عليهِ قانون الضمانة فهو وجود كنيسة حرة في بلاد حرة . وقد تركوا للبابا المقام الملكي الذي كان فيهِ لكنهم جردوهُ من املاكهِ فاصبح ملكاً بلا مملكة . وملخص ما جاء في هذا القانون ان ليس للبابا املاك قط بل لهُ الانتفاع ببعض القصور كالفاتيكان وقصر لاتران مع ما يتبعهما من الحدائق وان هذه القصور وما احتوت عليهِ من المعارض والتحف تكون معفاة من الضرائب ولا يمكن بيعها او نزع ملكيتها للمنفعة العامة وشخص البابا مقدس كشخص الملك ولا يمكن محاكمتهُ امام المحاكم الجنائية وكل تعدٍّ عليهِ او مكيدة ضدهُ تجازى كما لو كانت موجهة الى الملك نفسهِ . ويؤدى للبابا حيثما سار في ايطاليا نفس الاحترام الذي يؤدى للملك ولهُ التقدُّم على الملك في الحفلات الرسمية وهي الطريقة التي جرى عليها بقية الملوك الكاثوليك . ولا يمكن لمأموري الحكومة الايطالية الدخول الى قصر البابا حال تأدية واجباتهم بغير اذن منهُ ولقداستهِ ارسال السفراء لدى الدول وقبول السفراء منهم ايضاً ولهُ ان يجري شؤُون سلطتهِ الدينية بتمام الاستقلال وان يتخابر مع الكاثوليك في كل العالم من غير مراقبة او معارضة من قبَل الحكومة الايطالية . ولما كانت ادارة الكنيسة تقتضي نفقات طائلة قطعت لهُ ايطاليا مالاً سنوياً حسب آخر ميزانية عملها في مملكتهِ . لكن الفاتيكان رفض قبول هذا المال ولم يأْخذ شيئاً منهُ حتى الآن

قلنا ان مقام خليفة مار بطرس بين الدول مقام فريد لا شبيه لهُ . فالبابا ايطالي الجنس يولد ويعيش في ايطاليا لكنهُ غير تابع لها بل هو مستقلٌّ وشخصهُ مقدس كشخص الملك وخارج عن سلطة المحاكم الايطالية . وهو مجرد تمام التجريد عن الاملاك الزمنية التي هي اهم اختصاصات الملوك اذ وجود الملك يستدعي وجود المملكة . واساس علاقات الدول بعضها مع بعض هو عدم المداخلة اي ان كلاً منها حرة في اجراآتها الداخلية بخلاف علاقاتها مع كرسي البابوية فانها مبنية على ما للبابا من حق المداخلة في احوال بقية الممالك واجراء المراقبة والتأديب . فللبابا في كل منها نفوذ سياسي وديني وبموجبهِ تداخل البابا لاون الثالث عشر في الانتخابات الالمانية. غير ان بعض الدول احتاط لذلك فقرَّر عدم نشر شيءٍ من منشورات البابا قبل تصديق الحكومة عليهِ

وخلاصة القول ان البابا ايطالي لكنهُ غير تابع لايطاليا وملك ولكنهُ اصبح بلا مملكة ولهُ حق المداخلة في امور بقية الممالك حالة كونها لا تسمح احداها للاخرى بذلك . وظاهر مما تقدم انهُ لا يزال كما كان في القرون الوسطى في مركز دولي يساعدهُ على حفظ السلام بين الممالك الاوربية وعلى دعوتها الى الاتحاد والتعاون في كل ما يؤول الى راحة البشر ورفع شأن الانسانية

وقد احتجَّ البابا بيوس التاسع الذي سقطت رومية في ايامهِ على حكومة ايطاليا وامتنع عن قبول المال السنوي الذي قطعتهُ لهُ واعتصم بقصر الفاتيكان ولم يعد يخرج منهُ وسار البابا لاون الثالث عشر على خطتهِ في ذلك لاسيما وانهُ خلفهُ والجرح لا يزال دامياً والافكار مضطربة

هذا من حيث تاريخ البابوات ومقامهم الديني والسياسي . اما كيفية انتخابهم فهو انهُ حينما يتوفى احدهم ينوب الكامرلنج عن مجمع الكرادلة في ادارة اعمال الكنيسة ثم يجتمع المجمع المذكور في الفاتيكان وتقفل الابواب والنوافذ بناء بالحجارة الاَّ باباً واحداً للخروج والدخول منهُ وبعد حضور القداس في اليوم الاول يقسم الكرادلة اليمين المعتادة في هذه الاحوال ثم يخرج الاجانب ويقفل الباب ويبقى الكرادلة مع خدمهم والطبيب والبنَّاء والنجار وخلافهم ويجري الانتخاب مرتين في اليوم قبل الظهر وبعدهُ فاذا لم ينل احد المرشحين اكثر من ثلثي الاصوات تحرق اوراق الانتخاب مع قليل من القش المبلل فيصعد لها دخان كثيف من مدخنة عالية ويعلم الناس في الخارج ان كرسي البابوية لم يزل خالياً . فاذا نال احدهم العدد اللازم من الاصوات أُحرقت الاوراق وحدها فلم يصعد لها دخان فيعلم الجمع حينئذٍ انهُ تم الانتخاب . ويتقدم اقدم الكرادلة الى المنتخب ويسألهُ عما اذا كان يقبل المنصب وعن اللقب الذي يختارهُ ثم يلبسونهُ الحلة البابوية ويؤمر البنَّاء فيفتح النوافذ التي يكون قد سدها ويقف الكردينال الاول في شرفة كنيسة مار بطرس ويقول للشعب باللاتينية ما ترجمتهُ

" أُبشركم بفرح عظيم فقد انتخبنا بابا الكردينال فلان المعظم وقد اتخذ لنفسهِ الاسم الفلاني " . ثم يظهر البابا الجديد للجمهور المجتمع في ساحة مار بطرس ويمنحهم البركة الرسولية " لمدينة رومية وللعالم اجمع "

وقد تم في هذا الشهر انتخاب قداسة البابا الحالي الكردينال جوزف سارتو الذي اختار اسم بيوس العاشر وتوّج في كنيسة مار بطرس يوم الاحد في ١٠ منهُ امام جمهور عظيم يربو على خمسين الفاً

ن . ب

الهيدروسكوب

نشط الايطاليون للاكتشاف والاختراع كأنهم يريدون ان يعيدوا عصر ايطاليا الاول وزمانها الذهبي حينما كانت مقصد العلماء ومصدر العلم والعرفان فقد كان لهم الشأن الاول في اكتشاف سبب الحمى الملارية وقام منهم الشاب مركوني وادهش العالم بتلغرافهِ وذاع الآن اسم شاب آخر اسمهُ بينو اخترع منظاراً ترى بهِ اعماق البحر سماهُ بالهيدروسكوب ومركباً يغوص في الماء وآلة تصل الى الكنوز والدفائن التي في قاع البحر وتستخرجها منهُ او تصل الى السفن التي غرقت وترفعها الى وجه الماء

وقد رأينا وصف ذلك في مجلة ببرصن من قلم صديقهِ الدكتور لبزنكريو فاقتطفنا منهُ السطور التالية

قال الكاتب سمعت حديثاً دار بين بينو وزوجتهِ قالت الزوجة " لقد زادت نفقاتنا جداً واذا بقينا على هذه الحال امسينا فقراء " فقال لها بينو " خففي عنكِ يا عزيزتي فان في البحر كنوزاً لا تقدَّر وقد صارت في قبضة يدي انتشل منها ما اشاء " . ولا يستغرب منهُ هذا القول بعد ان اعجب بهِ ملك ايطاليا وامبراطور المانيا وحكومة اليونان وحربية الانكليز وكثيرون من رؤساء الشركات البحرية وعدوهُ من اكبر مخترعي العصر

كم في البحر من الكنوز التي غاصت بها السفن وكم فيهِ من السفن التي أُنفقت عليها بدرات الاموال وهي ملقاة الآن في قاعهِ . وكم سقط فيهِ من التحف والمصنوعات البديعة وكم في مشاهدة اغوارهِ وما فيها من المرتفعات والمنخفضات وانواع النبات والحيوان من فائدة علمية ولذة ادبية . وكل ذلك يرى بهيدروسكوب بينو ويستخرج بآلتهِ الرافعة

ثم ان صيد السمك صناعة واسعة النطاق يعيش منها الوف وأُلوف الالوف من الناس والصيادون يلقون شباكهم في البحر فتجيء بملئها سمكاً او تجيء بحمأة وقليل من الاعشاب لانهم لا يرون السمك في الماء فيطرحونها على التوكل فلا تمتلئ مرة حتى تصعد فارغة منهُ مرة فاذا استعانوا بالهيدروسكوب ورأوا بهِ اعماق البحر لم يطرحوا شباكهم الا حيث يجدون السمك فيقل تعبهم وترخص الاسماك وهي اكثر انواع الطعام غذاء فيعم النفع ويشمل الفقراء

وبينو شاب كما تقدَّم عمرهُ ثلاثون سنة صغير الجسم كبير العقل شديد العزم يتيم من ابيهِ وامهِ وهو طفل فكفلهُ اخوتهُ وبدا ميلهُ للاكتشاف والاختراع وهو فتى فحاولوا صرفهُ عن

ذلك فهرب منهم ولم يسمعوا اسمهُ بعد ذلك الاَّ حينما منحهُ ملك ايطاليا لقب الشفاليه جزاء استنباطهِ السفينة الغوَّاصة

ولما هرب من اخوتهِ ورأَى نفسهُ وحيدًا شريدًا لا صديق لهُ ولا معين عكف على الدرس والبحث والتجارب وكان معهُ قليل من النقود مما تركهُ لهُ والدهُ فانفقهُ كلهُ واضطرَّ ان يحترف حرفةً لمعيشتهِ فدخل فرنًا كبيرًا في جنوى وجعل يعمل فيهِ كاحد صغار العمال ورآهُ مدير الفرن (او معمل الخبز) وهو يرسم رسومًا على الورق فناداهُ وقال لهُ ما هذه الرسوم التي اراك تشتغل بها دوامًا . فقال هذه رسوم قارب يغوص في الماء مسافة الف قدم ويسير بالبخار وهو تحت سطح الماء كما يسير فوق سطحهِ . واخذ يشرح لهُ اجزاءهُ المختلفة فسرَّ المدير بهِ واعتقد انهُ قادر على عمل قارب يسير تحت الماء وعفاهُ من العمل في المخبز ومدَّهُ بالمال لعمل هذا القارب وكان عمرهُ حينئذٍ اربعًا وعشرين سنة

واراد مرةً ان يمتحن آلة للتنفس في الماء فصنع وعاء كالتابوت وجلس فيهِ مع آلة التنفس المشار اليها وطلب من الذين معهُ ان ينزلوهُ في خليج جنوى بعد ان يسدوا باب الوعاء سدًّا محكمًا ويبقوهُ في الماء الى ان يشير اليهم بآلة متصلة بالوعاء ولعلها جرس كهربائي . فانزلوهُ حسب طلبهِ ومرَّت دقيقة بعد اخرى وهو لا يشير اليهم فظنوا انهُ اختنق او أُغمي عليهِ واصعدوا الوعاء وفتحوهُ فنهض وجعل يعنفهم لانهم اصعدوهُ قبلما اشار اليهم وقال انهُ كان جالسًا مستريحًا وهو يحل مسألة شغلت بالهُ

والغوَّاصة التي صنعها وفت بالمطلوب من اول تجربة وقد غاص بها اكثر من مئة وخمسين مرةً الى عمق خمس مئة قدم او اكثر وغاص مرارًا اخرى كثيرة الى اقل من ذلك ووصف ما شاهدهُ في اعماق البحر من انواع الحيوان والنبات وصفًا شعريًّا بديعًا فقال انهُ رأَى اسماكًا كالازهار وازهارًا كالاسماك وهي تختلف بحسب طبقات الماء فالاسماك التي على ستين قدمًا تختلف عن الاسماك التي على ستمئة قدم وتكثر الاسماك على عمق معلوم حتى تصير كاوراق الحراج في فصل الصيف

وقد اقنعتهُ المناظر التي شاهدها في قلب البحر انهُ يمكن ان يصنع منظار ينظر بهِ ما في اعماقهِ وكان قد الَّف شركة لعمل الغوَّاصات وجُعل مديرًا لها وكثرت اشغالهُ فلم تسمح لهُ بالتفرُّغ لعمل هذا المنظار لكنهُ عملهُ بعد سنتين من حين ارتسمت صورتهُ في ذهنهِ وسمَّاهُ بالهيدروسكوب وهو انبوب طويل في طرفهِ آلات بصرية مختلفة ومصباح كهربائي ساطع النور فينار قاع البحر بهِ وتنعكس صورتهُ على الآلات البصرية التي في الهيدروسكوب فتلقيها على ستار في السفينة

فيراها الذين ينظرون اليهِ كأنهم ينظرون الى قاع البحر والنور ساطع عليهِ · ويستطيع ربان السفينة ان يرى بهِ اسفل سفينتهِ وجسرها الذي تبنى عليهِ وما يصيبهُ من العاهات

وقد رأى واستخرج من قاع البحر امام بلاد اليونان تحفاً كثيرة وقعت فيهِ منذ الفي سنة. واتفقت معهُ حكومة اليونان اخيرًا على ان يستخرج لها كل ما يجدهُ من التحف في ما يجاورها

وامتحن هيدروسكوب ينو اول مرة امتحاناً عمومياً في شهر يناير الماضي وحضر الامتحان كثيرون من ضباط البحرية ورجال العلم فرأَوا قاع البحر بواسطة الهيدروسكوب كأن لا ماء بينهم وبينهُ ورأَوا فيهِ الصخور والحجارة والاصداف والاسماك والازهار وكل ما في قاع البحر وكتبوا تقريرًا عما رأَوا ووقَّعوا عليهِ

اما الآلة الرافعة التي ترفع الاجسام الثقيلة من قاع البحر كالسفن والمدرَّعات فاكبر نفعاً من كل ما استنبطهُ هذا الرجل . وقال الكاتب ان نظارة البحرية الانكليزية عازمة على امتحانها فاذا وفت بالغرض فهناك النفع الكبير والربح الكثير لانهُ استُنبط حتى الآن اكثر من اربعة آلاف استنباط لرفع السفن الغرقى من قاع البحر فلم تفِ بالمراد . ويغرق الآن اكثر من ١٨٠ سفينة كل شهر يحمول كلٌّ منها اكثر من خمس مئة طن يبلغ ثمنها عدا ما فيها من الشحن الوفاً والوف الوف من الجنيهات فاذا عُرف مقرها بالهيدروسكوب ورُفعت بالرافعة انهالت ميازيب الثروة على صاحب هذا الاختراع وردَّ جانب كبير مما يضيع الآن ولا امل بردهِ .وكم من اختراع بسيط يخترعهُ رجل قليل العلم يفوق الاختراعات الكبيرة التي يستنبطها كبار العلماء

ولم نقف على وصف الرافعة التي استنبطها ينو ولا رأَينا صورتها ولكن الكاتب يقول انها تخالف في مبدإِها كل ما استنبط لهذه الغاية حتى الآن وهي من نوع الغوَّاصات ولكنها نوع خاص قائم بنفسهِ ومتانتها وقوتها تكفيان لرفع المدرَّعة الكبيرة من اعمق اعماق البحر . ولا يراد ان توصف قبل ان تجرَّب فاذا وفت بالغرض كما وفت غوَّاصتهُ وكما وفى هيدروسكوبهُ فيكون قد استنبط ثلاثاً من انفع الآلات قبل ان يناهز الثلاثين من العمر فما عسى ان يخترع بعد ذلك واين تقف سلسلة مكتشفاتهِ . وهل تحذو ايطاليا حذو اميركا وتُحوّل قوَّة الخيال في الايطاليين من التصوير والتمثيل والنظم الى استنباط الآلات وابتداع الاساليب التي تزيد راحة الناس ورفاهتهم وهل يعود الى ايطاليا عصرها الذهبي الذي كانت فيهِ راقية اعلى مراقي النجاح وسائرة في طليعة ممالك الارض

الثلج في افريقية

ذكرنا غير مرة ان المستر مور وصل الى جبال القمر في قلب افريقية وشاهد الثلج عليها واكتشف ثلاثة من انهار الجليد . وقد وقفنا الآن على مقالة لهُ في هذا الموضوع وصف فيها ما شاهدهُ وصفاً بديعاً وبنى عليهِ حكماً ان صحَّ لم يبقَ للاوربيين املٌ كبير ان يعمروا افريقية ويجدوا فيها جبالاً باردة تخفف لظى الصيف وتغنيهم عن الرجوع الى بلادهم سنة بعد اخرى

ووجود الثلج في قلب افريقية على خط الاستواء تماماً امرٌ يبعد تصديقهُ على مَن لم يرَ الثلج هنالك ولا رأى تعاليلهُ في كتب الطبيعيات . واما الذين لهم المام بالعلوم الطبيعية فيعلمون ان طبقات الجو باردة جدًّا لا حرارة فيها لان الحرارة انما تصل الى الارض من الشمس واذا مرَّت في الجو اللطيف الهواء القليل البخار المائي لم تسخنهُ لانهُ شفاف لها فتخترقهُ وتصل الى الارض من غير ان تخسر شيئاً ثم اذا وصلت الى الارض وكانت مائلة جدًّا لم تسخنها واما اذا كانت عمودية او قريبة من العمودية فانها تسخن سطحها والهواء المجاور لهُ. فلا تكون الحرارة الاَّ في سطح الارض وما يجاورهُ حيث تقع اشعة الشمس عمودية او قريبة من العمودية وفوق ذلك يبرد الهواء رويداً رويداً حتى يبلغ درجة الجليد اي الدرجة التي يجمد عندها الماء ويصير جليداً و يصير بخار الماء ثلجاً . والحد الذي يبرد فيهِ الهواء الى هذه الدرجة يصل الى سطح الارض عند القطبتين لشدة ميل الاشعة هناك ويرتفع رويداً رويداً بالدنو من خط الاستواء حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو سبعة آلاف قدم في جبال الالب وعشرة آلاف قدم في جبل لبنان وثلاثة عشر الف قدم الى اربعة عشر الف قدم عند خط الاستواء . فاذا كان جبل عند خط الاستواء ارتفاعهُ ١٥ الف قدم عن سطح البحر فقنتهُ تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة . وجبال القمر في قلب افريقية وجبال الاندس في اميركا الجنوبية من هذا القبيل فيبقى الثلج مغطياً قنتها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء لان ارتفاعها اكثر من اربعة عشر الف قدم

وقد يظن لاول وهلة انهُ اذا وُجد في قلب افريقية جبل يكسوهُ الثلج على مدار السنة فالهواء في ما يجاورهُ يجب ان يكون بارداً منعشاً كما هو في جبال الالب التي يكسوها الثلج ولكن ليس الامر كذلك لان بين المكانين فرقاً كبيراً في وقوع اشعة الشمس فالاشعة التي تقع مائلة ينعكس اكثرها ولا تمتص الارض الاَّ شيئاً قليلاً منها ولذلك لا يشتد الحر في الاصقاع القطبيَّة ولو اشرقت الشمس يوماً بعد يوم مدة شهر او اكثر لانها تشرق وتدور قريبة من الافق فتكون اشعتها مائلة جدًّا على سطح الارض فلا تمتص الارض الاَّ القليل من

حرارتها وكذا تقلُّ الحرارة في الصباح مع شروق الشمس لميل اشعتها حينئذٍ وتقلُّ في اواخر النهار ايضاً لولا ما يبقى في الارض والهواء من حر الظهيرة. والجبال التي يبقى قليل من الثلج على قنتها في الصيف حينما تكون اشعة الشمس عمودية يكسوها الثلج كلها الى سفحها في الشتاء والربيع حينما تكون اشعة الشمس مائلة

اما في ما يجاور خط الاستواء فاشعة الشمس تقع عمودية او قريبة من العمودية على مدار السنة فيشتد حرها في النهار صيفاً وشتاء ولا يبقى شيء منهُ في الليل بعد ان تغيب الشمس اذا كان المكان عالياً لطيف الهواء جدًّا لان حرارة النهار تشعُّ سريعاً ولا يحفظها الهواء اللطيف فتبرد الاماكن العالية بردًا شديدًا يجمّد الماء ويصيرهُ جليدًا. والبخار المائي الذي يصل الى تلك الاعالي يستحيل ثلجاً كما ترى في مقالة اخرى في هذا الجزء فتبقى قنن تلك الجبال العالية البالغة حد الجليد مغطاة بالثلج والجليد على مدار السنة ولكنهما يبقيان محصورين فيها لا يطغيان على ما حولها الى سفوح الجبال والسواحل البحرية كما يحدث في البلدان الشمالية والجنوبيَّة حيث يشتد ميل اشعة الشمس في فصل الشتاء

والجبال التي يغطيها الثلج في افريقية ثلاثة جبال اطلس في الجنوب الغربي في المغرب الاقصى وارتفاعها نحو ١٥٠٠٠ قدم وجبال القمر على خط الاستواء وارتفاعها نحو ١٨٠٠٠ قدم وجبل كنيا وارتفاعهُ نحو ١٩٠٠٠ قدم وهو الى الشرق الجنوبي من جبال القمر. ويقع الثلج ايضاً على جبال كميرون في غربي افريقية ولكنهُ لا يبقى فيها على مدار السنة لان ارتفاعها ١٣٤٨٠ قدماً فقط

وقد وصف المستر مور جبل كنيا وجبل القمر على اثر زيارته لها فقال "يرى جبل كنيا من سكة اوغندا فان القطار يقطع قفار الساحل الشائكة فيصل اولاً الى سهول يبَّست الشمس ما فيها من الاعشاب فظهرت كحقول حصدت ووراءها جبل منفرد لهُ قنتان كبيرتان اسم احداها كيبو واسم الاخرى كيليما نجارو على الاولى منهما قليل من الثلج متفرقاً نتفاً اما الثانية فالثلج يكسوها كلها ويمتد على الشعاب التي حولها كاهداب الرداء ولكن شكل هذه القنَّة يمنع تكوُّن انهار الجليد حولها ولو كان الثلج كثيرًا عليها ولا تظهر انهار الجليد الا في جبل كنيا نفسهِ وهو الى الشرق من القنتين المذكورتين فهناك انهار الجليد اي الجليد الذي يسير سيرًا بطيئاً في الشعاب على جوانب الجبل كأنهُ نهر بطيء السير جدًّا حتى اذا بلغ سفح الجبل ذاب طرفهُ وبقي ما فوقهُ يمدُّهُ بالجليد وتقع عليهِ الحجارة من جوانب الجبل وهو سائر فيحملها على عاتقهِ ويلقيها حيث يلقي عصاهُ ويذوب من حر الهواء فتبقى هناك كوماً كوماً شاهدة على سير انهر الجليد كما هي في بلدان كثيرة. وتُرى هذه الحجارة على بعد شاسع من جبل

كنيا لا تصل اليهِ انهر الجليد الآن دلالة على انها كانت تصل اليهِ في غابر الزمن وان اقليم تلك البلاد كان اقل حرارة منهُ الآن . واذا قطعتَ جبل كنيا غرباً وسرت بين جبل الغون وبحيرة فكتوريا بلغت سهلاً عالياً ينتشر امامك كالبساط وهو نجود تتخللها الآجام ويغطيها نبات البردي واذا سرت فيهِ غرباً بلغت سفح الجبال العظيمة المعروفة بجبال القمر

"زرت هذه الجبال في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولم يكن احد من اهالي اوربا قد وصل الى حد الثلج فيها ولا رأى احد انهر الجليد الجارية منها فكان غرضي الاول من المجيء اليها الوصول الى حد الثلج واكتشاف ما ربما يكون فيها من انهار الجليد . فصعدت مع رفاقي وضربنا في عرض الجبل من الشرق الى الغرب خارقين حراجهُ الكثيفة وتابعين مجرى نهر موبوكو وهو بارد الماء كالثلج الى ان بلغنا منعطفاً كالهلال رأيت فيهِ ثلاثة من انهر الجليد تسير الى الوادي في جهات مختلفة وقد اتشحت بوشاح الزبرجد. والثلج على هذا الجبل طبقات مرصوفة بعضها فوق بعض ثلج فجليد فثلج فجليد وهكذا وسبب ذلك ان الشمس تشرق بعد وقوع الثلج فيخور من شدة حرارتها ويندى سطحهُ ثم تغيب فيبرد سطحهُ حالاً ويجلد . وهذا شأن اماكن كثيرة في افريقية يشتد البرد فيها ليلاً حتى يجمد الماء ثم يشتد الحرُّ نهاراً حتى تذوب الاجسام

"ومعلوم ان اكبر عائق يعوق الاوربيين عن سكنى افريقية هو حرها الشديد فاذا كان فيها اماكن يبرد الهواء فيها حتى يماثل برد القطبين فلا بدَّ من ان يكون فيها اماكن اخرى بين بين لا برد قارس ولا حر لافح . هذا ما ظنهُ كثيرون ووطنوا نفوسهم عليهِ فكان غمامة صيف تقشعت على ما ثبت لي بالاختبار فان الاماكن العالية علوًّا كافياً لبرد الهواء قليلة وضيقة المساحة وبعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً تفصل بينها قفار قاحلة واجام كثيرة الحميات وجراثيم الحمى تبلغ الاماكن العالية حتى لقد اصيب البعض بها وهم على خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر

"ومقدار المطر الذي يقع سنويًّا يختلف اختلافاً كبيراً من سنة الى اخرى ومن وقت الى اخر وتكثر العواصف وتشتد الزوابع وتنقضُّ الصواعق على الاشجار والبيوت فتمزقها وتصم الاذان بصوتها وتقع الامطار سيولاً جارفة فلا تبقي ولا تذر"

هذا ما قالهُ المستر مور ولعلهُ غير بعيد عن محجة الصواب ولو كان قلب افريقية مما يسهل تعميرهُ لما تقلص ظل العمران عنهُ الى الآن لكن ما تعذَّر على الاقدمين قد لا يتعذَّر على ابناء هذا العصر الذين ذللوا الصعاب فقد يحولون هجير خط الاستواء برداً وسلاماً وما ذلك على العلم بعسير

دلالة الغيم

وتحقيقات جديدة

الغيم بخار عائم في الهواء تقلَّص بعضهُ حول دقائق الغبار فصار نقط ماء صغيرة وجمد البعض الآخر من شدَّة البرد فصار قطعاً صغيرة من الجليد

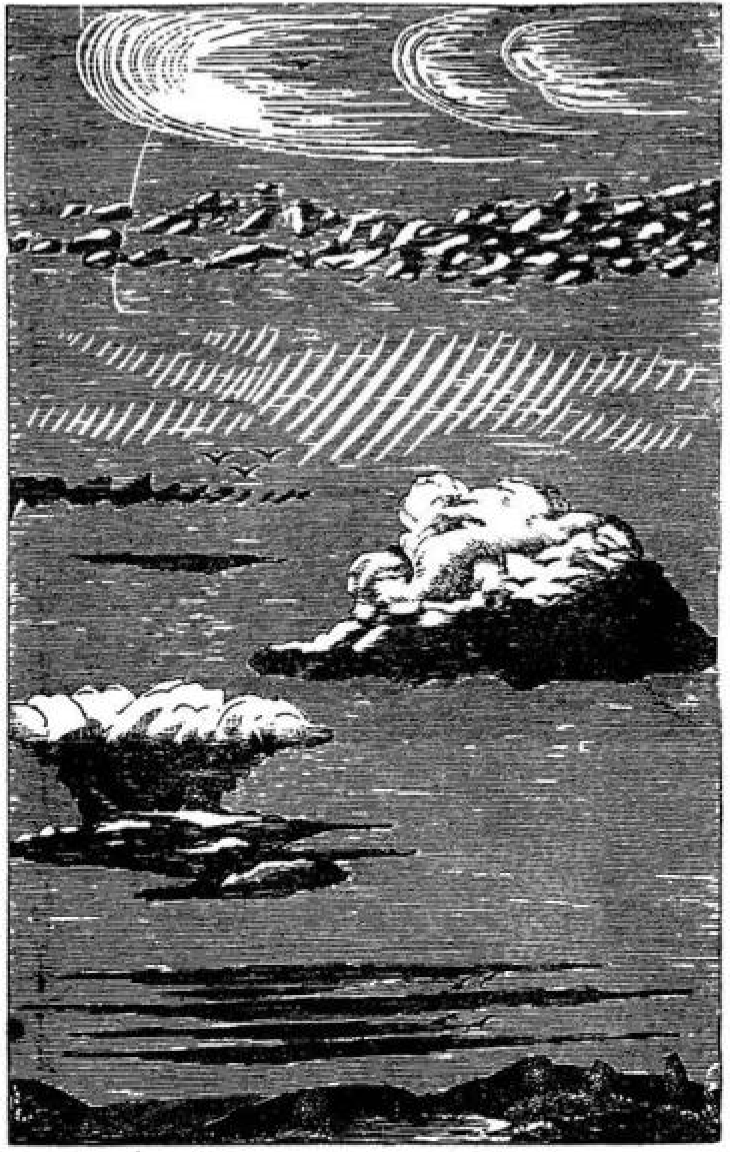
وهو يظهر على اشكال مختلفة لا تقع تحت حصر ولكن يظهر لدى امعان النظر فيها انهُ يمكن ردها كلها الى ثلاثة انواع اصلية وثلاثة فرعية ونوع سابع مؤلف منها · هذا هو تقسيم لوك هوَرد لها منذ سنة ١٨٠٢ وقد جرى العلماء عليهِ حتى الآن ورأوا انهُ ينطبق على انواع الغيم في كل البلدان والاقاليم

وللانواع الاصلية ثلاثة اسماء لاتينيَّة وهي السرّس اي المتجعد كالشعر الاجعد والكمولس اي المتراكم والستراتس اي المنبسط . واسماء الانواع الفرعية مركبة منها وهي السرّكمولس والسرّستراتس والكمولستراتس والنوع السابع يسمَّى نمبوس ومعناهُ الغيم مطلقاً · وقد رُسمت هذه الانواع السبعة في الشكل المقابل

وكان المظنون ان الغيم لا يرتفع اكثر من خمسة اميال فوق سطح الارض فثبت بالمراقبة والقياس انهُ يرتفع اكثر من ثمانية اميال ويبلغ ارتفاعهُ احياناً ٤٣٨٠٠ قدم فيعلو فوق اعلى جبال الارض نحو خمسة عشر الف قدم

وقد ظهر من البحث ايضاً ان الغيم يكون في ثلاث طبقات مختلفة الطبقة السفلى منها تكون بين ٢٠٠٠ قدم و٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر والطبقة الوسطى تكون بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ قدم والعليا بين ٢٠٠٠٠ و ٢٧٠٠٠ قدم . ولا غيم بين الطبقة السفلى والوسطى ولا بين الوسطى والعليا كأَن الغيوم ثلاث مناطق محيطة بالارض لا اتصال بينها. هذا هو الغالب لكن السفلى قد تنحط عن ذلك فتصل ذيولها الى الارض والعليا قد تسمو فيبلغ ارتفاعها ٤٣ الف قدم او اكثر كما تقدَّم

والطبقة السفلى يدخل فيها الستراتس والكمولس واما الوسطى والعليا فتتكونان من السرّس والسرّكمولس . وقد يعظم الكمولس حتى يمتد من الارض الى اعلى طبقات الجو فيبلغ ارتفاع اعلاهُ ٢٠٠٠٠ قدم. واذا صعد الانسان في بالون في وسط غيمة مثل هذه وجدها مؤلفة من ثلاث طبقات السفلى مزيج من الهواء الجاف والبخار والوسطى هواء جاف وبخار وماء والعليا



النوع الذي فيهِ صورة طائر واحد هو السرّس . والذي فيهِ طائران السركولس . والذي فيهِ ثلاثة طيور السرستراتس والذي فيهِ اربعة طيور الكمولس . والذي فية خمسة النمبُس . والذي فيهِ ستة الستراتس

بخار بَرَد فصار جليداً وماء وقطع صغيرة من الجليد وفي اعلى هذه الطبقة جليد صرف . وتحط الحرارة هناك احياناً حتى تبلغ الدرجه ٧٥ تحت الصفر

اما الستراتس وهو الغيم المنبسط فوق الارض فقلما يعلو فوق ٤٠٠٠ قدم ويتكون غالباً من انبساط غيوم الكمولس وقد يغطي وجه السماء الليل كلهُ ثم ينقشع حالما تشرق الشمس والاَّ صار من السحب المواطر

والسحب المواطر التي تُرى تحت الكمولس حينما تكثر الصواعق مزيج من الانواع الثلاثة وهي اكثف انواع الغيم

والى شمالي خط الاستواء منطقة من النوع السابع المعروف بالنمبس عرضها نحو ٣٠٠ ميل تحيط بالارض كلها ويقع منها مطر غزير على البلاد الحارَّة يتدفق منها تدفقاً كأنهُ من افواه القرَب . ويغلب السكون هناك ولكن تتخللهُ العواصف احياناً . وسبب هذه المنطقة الرياح التجارية الحادثة من دوران الارض وحرارة الانحاء الاستوائية

والغيوم تتكوَّن من البخار الصاعد من الارض والبحر وتختلف اشكالها والوانها باختلاف الحر والبرد ومجاري الرياح ووقوع اشعة النور . فكلما زاد الهواء حرارة قلَّ ظهور الغيوم حتى لا تكاد تراها في فصل الصيف في هذا القطر الاَّ نادراً مع ان الجو لا يخلو منها في البلدان البادرة حتى لقد وجدوا بالمراقبة ان السماء تكون غائمة سبعة اعشار الوقت في البلاد الانكليزيَّة فاذا انقشعت الغيوم ثلاث ساعات اطبقت سبع ساعات وذلك لان الهواء الحار يحمل مقداراً كبيراً من البخار الشفاف واما الهواء البارد فلا يحمل الاَّ مقداراً صغيراً منهُ فان زاد فيه تكاثف وصار ضباباً او سحاباً

والغيوم من اصدق الادلَّة على احوال " الطقس " ولاسيما اذا روقبت عند شروق الشمس وعند غروبها فاذا انتشرت حول الشمس وقت المغيب كانها الاسماك في البحر وضرب لون الشمس الى الحمرة دلَّ ذلك على قرب عصف الرياح . واذا كان الغيم خطاً طويلاً فوق الشمس وقت غروبها عصفت الرياح الغربيَّة . واذا كان لونهُ رصاصياً عند مغيب الشمس دلَّ على مطر من غير ريح . والغيم الرقيق الذي اطرافهُ غير محدودة دليل الصحو واما الكثيف المحدد الاطراف فدليل المطر . وتختلف هذه الدلالات باختلاف الاماكن والاقاليم ولو جرت على وتيرة واحدة في المكان الواحد

السل وعلاجهُ الحديث

جاءَ محل عيادتي منذ ايام قليلة احد الافاضل وفي يدهِ عدد من اعداد المقطم ذُكر فيهِ شيءٌ عن دواءٍ جديد للسل جرَّبهُ احد اطباءِ برلين ونجح في كثيرين من المصابين بالسل . وسألني هذا الفاضل رأيي في هذا العلاج وكيفية الحصول عليهِ وغير ذلك من المسائل التي تكرر على مسامعي كل يوم ممن يقرأون في الجرائد اليومية عن الاكتشافات الطبية الجديدة وعن عجائب العلاجات الحديثة . فخطرت لي كلمة في هذا الموضوع ربما تجيءُ بفائدة فنبهت العليل الى ان الشفاء لا يرجى من جرعة دواءٍ حديث لاسيما في مرض مثل السل وكتبت هذه العجالة

لا يمر يوم الاَّ ونرى في الجرائد اليومية ذكر دواءٍ جديد او علاج مفيد في باب الاكتشافات او في باب الاعلانات الطويلة العريضة القائلة ان الدواء الفلاني يشفي من العلة الفلانية او من اكثر العلل ونحو ذلك من الاقوال التي تضل العامة وتحيد بهم عن اتباع الطرق القويمة لنيل الشفاء من العلل او تخفيف الآلام . فان كثيرين من البسطاء يتهافتون على مشترى الادوية المار ذكرها ويتجرعونها وهم يتوقعون منها الشفاء السريع فاذا خاب املهم وجهوا ملامهم الى الطب والاطباء وما ذلك الاَّ لانهم يجهلون ما يجب على كل عاقل معرفتهُ وهو ان الطبيب الحاذق يدرس العليل وهو يدرس علتهُ فيصف لهُ ما يلائم طبعهُ ومزاجهُ وعلتهُ بمقادير مناسبة ولذا كانت استشارة الاطباء واجبة قبل اخذ الدواء

والسل داءٌ فتاك بجانب كبير من البشر واسع الانتشار في المعمورة حارب الانسانية منذ القرون السالفة ولا يزال ينتاب الناس على اختلاف طبقاتهم ورتبهم . عرفهُ اليونان والرومان وكثرت علاجاتهم لهُ منها ما يضحك اطفال هذه الايام ومنها ما يسلّم بهِ العقل . الاَّ ان حقيقة السل وسببهُ لم يعرفا تماماً حتى قام كوخ واكتشف الميكروب او الباشلس المعروف باسمهِ وبيَّن ان علاقة هذا الباشلس بداء السل والتدرُّن مستديمة . وبحث كوخ في هذا الموضوع بالغ الغاية في الدقة ومستوفٍ الى حدٍ انهُ لم يزد عليهِ احد شيئاً مع انهُ قد مضى عليهِ سنون عديدة منذ ظهورهِ بل ان قول كوخ جُعل اساساً لكل مبحث في هذا الموضوع . وجملة القول ان كوخ اكتشف جسماً مكرسكوبياً مستطيلاً اعقف اذا جمع الف ميكروب منهُ لم يبلغ طولها كلها سوى ثلاثة مليمترات او اربعة يصبغ بالانيلين ويحفظ لون الصبغة ولو وضعت عليهِ الحوامض خلافاً لغيرهِ من انواع الميكروبات (ما عدا باشلس الجذام)

ووجد كوخ ان هذا الميكروب موجود في كل عضو من اعضاء الجسم المصاب بالتدرُّن

وكذلك في رئات المسلولين ونفثهم وانهُ اذا ربي في المواد التي يعيش فيها وطعمت بهِ بعض الحيوانات الصغيرة اصيبت بالتدرن . ويستنتج من ذلك انهُ هو علة السل وان الوراثة انما تساعد الباشلس باعدادها اجساماً صالحة لنموهِ اي ان ابن المسلول يكون جسمهُ مستعداً لقبول ميكروب السل اكثر من جسم من كان ولداهُ او اسلافهُ اقوياء اصحاء لا يعرفون السل

واعراض السل معلومة لدى الجمهور اكثر من اعراض اي مرض سواهُ لذلك لا اتعرض لذكرها هنا اذ ليس قصدي وصف العلة واعراضها وصفاً علمياً دقيقاً بل اظهار طريقة العلاج الحديثة لهذا الداء ومنها يعرف ان الشفاء لا ينال بالادوية والعقاقير بل بطرق المعالجة والمداراة والاعتناء وكلها امور اصبح لها المقام الاول في عرف الطب الحديث

تكثر جرائد اوربا واميركا من ذكر " السناتوريا " (المصحات) فانها اصبحت ملجأ المسلولين يعالجون فيها على الطرق الحديثة النافعة ويتمتعون بالراحة والرفاهة مما لا يحصل عليهِ الانسان في بيتهِ ما لم يكن من ذوي اليسار وقد اهتم اهل العاصمة بمسألة السل في العام الفائت والفوا لجنة كنتُ من جملة الذين دعوا للانضمام اليها والقصد منها مقاومة مرض السل في القطر المصري الاَّ ان الهمم فترت عن هذا المسعى الجليل وربما عادت يوماً اليهِ فاسفرت المسألة عن بناء " سناتوريوم " (مصح) في حلوان على شاكلة المصحات في البلاد المتمدنة

اما المبادئ التي تدور عليها المعالجة الحديثة في المصحات فهي هذه

(١) استنشاق الهواء النقي وتكييفهُ بحيث لا تتغير درجة حرارتهِ تغيراً يشعر بهِ

(٢) التغذية الجيدة الكافية لحفظ الجسم على وزنهِ الطبيعي اي كما كان قبل المرض

(٣) العيشة القانونيةُ المرتبة التي تعفي كل اعضاء الجسم لاسيما الرئتين من التعب

(٤) الرياضة المعتدلة

ولا بدَّ لي من شرح كل من هذه الامور الاربعة شرحاً موجزاً

(١) يفرض على العليل في المصحات ان يعيش في الهواء النقي دواماً ولا يتعرض لتغيرات الحرارة مثل ان ينتقل من غرفة دافئة الى غرفة باردة وان تحفظ حرارة غرفتهِ نهاراً وليلاً مثل حرارة الهواء خارجاً بان تترك الشبابيك والنوافذ مفتوحة فلا يدخلها الاَّ الهواء النقي الخالي من الغبار ومن المواد الضارة وبذا يقوى جسمهُ فلا يعود يتعرَّض للزكام ولا تشتد عليهِ العلة فيتيسر للانسجة التي يكون قد بدأَ فيها المرض ان تعود الى الشفاء قدر استطاعتها . ثم انهُ يترك وحدهُ في كثير من الاوقات فلا يسمح لاحد ان يدخل غرفتهُ . ويدقق في مسألة انتقاء الفرش والاثاث لغرفتهِ ويعتنى اشد الاعتناء بتنظيف كل الادوات التي يمسها او

يستعملها وتوضع لهُ مبصقة فيها من المواد القاتلة للباشلس وبالاختصار يقال ان قسماً مهماً من معيشتهِ يتوقف على الهواء النقي

(٢) التغذية الكافية بالرغم عن فقد شهية الطعام فيجبر على اكل كمية وافرة من الطعام لا تقل عما كان يأكلهُ وهو سليم فيصرف نحو ساعتين احياناً ليتمكن من تناول الكمية المفروضة عليهِ . ويطعم ثلاث مرات في النهار ولا يمنع من المآكل التي يريدها ويطلبها بشرط ان تكون مغذية ومطبوخة طبخاً جيداً وينتخب لهُ ما كثرت فيهِ المواد الدهنية ويسقى كميات وافرة من اللبن مع هذه الوقعات الثلاث فيشربهُ كأنهُ الماء ويداوم على ذلك الى ان يعود جسمهُ الى وزنهِ الاصلي فيسقى حينئذٍ البيرا او النبيذ عوض اللبن حسب مقتضى الحال . وقد اكد الاطباء المكلفون بالمصحات ان كثرة الغذاء تأتي باحسن الفوائد الصحية للمسلولين وانها احسن واسطة لهبوط درجة حرارة الحمى . وكثيرون من هؤلاء الاطباء يطعمون مرضاهم وهم واقفون امامهم يكلمونهم ويشجعونهم على الاكل

(٣) ترتب معيشة العليل حتى ينام ويأكل ويشرب في اوقات معينة وكذلك يسمح لهُ بالرياضة المعتدلة مثل المشي ببطء وصعود التلال مسافات قصيرة تختلف من بضعة امتار الى ميل واحد او اكثر حسب مقدرة العليل ثم النزول من التلال ويمنع عن العدو او الركض فان ذلك يزيد عمل الرئتين ويرفع درجة الحرارة . وكذلك يمنع عن مباشرة كل مهيج من شانهِ ان يرفع الحرارة كالضرب على البيانو او لعب الورق او الشطرنج . ومن كان قد تمكن منهُ المرض يمنع من مقابلة اصدقائهِ ومعارفهِ خوف ان يتأثر من ذلك فيؤول هذا التأثر الى معاكسة المعالجة

(٤) اما الرياضة ونوعها ومدتها فتتوقف على حالة المريض لذلك وجب ان تكون تحت مراقبة الطبيب دواماً يتدبر امرها معتمداً على شعور العليل وتأثير الرياضة على جسمهِ

وبالاجمال يقال ان معالجة السل الحديث تقوم بتوجيه القوى والافكار الى تقوية الاجسام وجعل انسجتها قادرة على مقاومة شر العدو الفتاك ألا وهو باشلس السل

قال احد اطباء هذه الايام وهو يبحث عن انتشار السل ووسائل الوقاية منهُ التي آلت الى تقليل عدد الوفيات بهِ عما كانت عليهِ قبلاً " ان ارتفاع اجور العمال من كل الطبقات وتحسن المعيشة واتخاذ الوسائط الصحية كالاهتمام بامر مساكن الفقراء كانت السبب الاكبر في اضعاف قوة السل فقللت عدد ضحاياهُ " . فعسى ان ينتبه القراء الكرام الى هذه الامور ويذكروا ان غاية ما ينظر اليهِ في علاج هذا الداء الهواء النقي والتغذية الكافية والعيشة القانونية والرياضة المعتدلة

انيسة صيبعة

دكتور في الطب والجراحة

طفل مدى الحياة

يرى الناظر في غرائب الخلق شذوذاً كثيرة لا تقع تحت حصر حتى في نوع الانسان الذي فاق انواع الحيوان جمالاً واعتدالاً ومرَّت عليهِ القرون وهو يجاهد جهاداً يبقي اصلحهُ للبقاء . ومن هذه الشذوذ الاقزام الذين يبلغون تمام نموهم وهم صغار القد كالاطفال الذين عمرهم بضع سنوات حتى لقد زار هذا القطر قزم وقزمة جازا سن الشبيبة ولا يبلغ طول كلٍّ منهما ثلاث اقدام . لكن الاقزام الذين من هذا القبيل يكونون في الغالب كاملي البنية الجسدية والعقلية يسيرون مثل سائر الناس ويتزوج بعضهم ويخلفون نسلاً فهم رجال ونساء صغار الابدان لا غير ولكن من الناس من تمرُّ عليهِ السنون ويبقى صغير القد كالطفل ويبقى منظرهُ منظر طفل

قيل انهُ توفيت فتاة في المانيا منذ سنين قليلة وعمرها ثمانٍ وعشرون سنة وقد مضت عليها هذه السنون الطوال وهي تنام في سرير الطفل ومنظرها منظر طفل لا تفرق عنهُ الاَّ في كلامها وذكاء عقلها فانها كانت تتكلم مثل فتاة بالغة سن الادراك . وقد زعمت امها ان نمو جسمها توقف بسبب رعب اصابها وهي طفلة عمرها بضعة اشهر لكن ذلك بعيد عن التصديق لان الرعب اصاب الام ولم يصب البنت . ومهما يكن من السبب الذي اوجب توقُّف نموها فان جسمها بقي جسم طفلة مدى حياتها حتى كان الذين يزورونها يندهشون حينما يرون طفلة تكلمهم وتسائلهم وتجادلهم كأنها فتاة في العشرين من عمرها واسم هذه الفتاة ماري شومن

ومن قبيل ذلك فتاة اخرى توفيت في بلاد الانكليز وعمرها سبع وعشرون سنة وقد بقيت كل ايامها مثل طفلة عمرها سنتان او ثلاث وبقي عقلها صغيراً مثل جسمها وبلغت هذا السن ولم تستطع النطق فبقيت طفلة جسماً وعقلاً مع ما مرَّ عليها من السنين الاَّ انها كانت وديعة انيسة محبية الى الذين يرونها وكانت امها تعمل في معمل يعمل فيهِ النساء فاحبها نساء المعمل كلهنَّ وبكينها لما ماتت كما يبكين اولادهنَّ . واسمها سارا اغنس ممسن

ومنذ مدة جاءت امرأة دار الشرطة في مدينة لندن تطلب صدقة من صندوق الصدقات ومعها طفلة تظهر مثل ابنة سنتين او ثلاث وعمرها تسع عشرة سنة وكانت تتكلم مثل طفلة عمرها سنتان لا غير ولا تستطيع ان تفعل شيئاً غير ما يفعلهُ الاطفال الذين عمرهم شهران او ثلاثة فقط لكن رأسها كان كبيراً مثل رأس البالغ

وفي الولايات المتحدة الاميركية فتاة اسمها جني لودر عمرها اكثر من ستين سنة وثقلها نحو

١٦ أقة وطولها نحو ٤٧ عقدة وهي في بقية الامور مثل الاطفال تماماً فلا تسرُّ الاَّ باللعب مع الاطفال ولا تعد نفسها الاَّ طفلة مثلهم . ولا تكلم الناس الاَّ في موضوع واحد وهو ما عساها ان تفعل حينما تكبر . وقد ترك لها والداها مالاً طائلاً فيعتني بها الاعتناء التام

وعُرض بالامس في اميركا ولد عمرهُ ست سنوات لكن الذي يراهُ يحسبهُ طفلاً عمرهُ ستة اشهر لا غير لانهُ مثل ابن ستة اشهر منظرًا ووزنًا وقد دخلت بهِ امهُ الى مجلس القضاء وهي تحملهُ على ذراعيها كالطفل الصغير . وفحص الاطباء هذا الولد وقرَّروا ان نموَّهُ توقف لفقد الغدَّة الدرقية احدى الغدد الكبيرة في العنق التي حار الاطباء في معرفة وظيفتها تماماً لكنهم عرفوا ان فقدها يوقف نمو الجسم

ومن اغرب هؤلاء الاطفال او الممسوخ رجل اسمهُ يوحنا مورفي لما كان عمرهُ خمساً وخمسين سنة لم يكن وزنهُ سوى عشر اقات وتوفي وعمرهُ ست وخمسون وبقي حتى وفاتهِ لا يمشي ولا يقف ولا يجلس لان عظامهُ وعضلاتهِ كانت تخالف عظام الناس وعضلاتهم فصنعوا لهُ كرسيًّا خاصًّا كانوا يحملونهُ بهِ . وكان شنيع المنظر جدًّا لكنهُ كان يأكل ويشرب ويطرب مثل سائر الناس وكان رأسهُ سليماً وعقلهُ راجحاً وذاكرتهُ بالغة حد الاعجاز فكان يحفظ كل شيء ويعيهِ ويستحضرهُ حتى اذكرتنا قصتهُ قصةَ شق وسطيح المذكورة في كتب العرب

وخلاصة ما ذكر عن شق وسطيح انهما كاهنان الاول منهما نصف انسان اي لهُ يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة والثاني واسمهُ ربيع بن ربيعة الذيبي لُقِّب سطيحاً لانهُ سطيح اي لا عظم لهُ ولا بنان وكان يطوى مثل الحصير ولم يكن لهُ رأس ولا عنق وانما وجههُ في صدرهِ . ونسبوا الى شق وسطيح اقوالاً يدلُّ ظاهر لفظها وما فيها من السجع المحكم على انها موضوعة كقول سطيح لربيعة بن نصر اللخمي احد ملوك لخم "احلفُ بما بين الحرَّتين من حنش. ليهبطنَّ ارضكم الحبش . وليملكنَّ ما بين ابيَن الى جرَش" فسألهُ الملك متى يكون ذلك افي زماني ام بعدهُ فقال "بل بعدهُ بحين . اكثر من ستين او سبعين . يمضي من السنين" . فقال هل يدوم ملكهم او ينقطع قال "ينقطع بضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين" . قال الملك ومن الذين يلي ذلك . قال "يليهِ ابن ذي يزن . يخرج عليهم من عدن فلا يترك احد باليمن" . واحضر الملك شقًّا وسألهُ كما سأل سطيحاً فقال "بما بين الحرتين من انسان لينزلنَّ ارضكم السودان وليملكنَّ ما بين عدن الى نجران" . وسألهُ مسائل اخرى كما سأل سطيحاً فاجاب اجوبة تخالف اجوبة سطيح لفظاً وتوافقها معنًى وهي مثلها سجعاً

ويروى عن سطيح انهُ كان يسكن بمشارف الشام وجاءهُ ابن اختهِ عبد المسيح بن عمرو

الغساني فوجدهُ قد اشفى على الموت فحيَّاهُ فلم يجبهُ فرفع عبد المسيح صوتهُ وقال

اصمُّ ام يسمع غطريف اليمن يا صاحب الخطة اعيت مَن ومنْ

ففتح سطيح عينيهِ وقال "عبد المسيح . على جمل مشيح . وافى الى سطيح . وقد اشفى على الضريح . بعثك ملك ساسان . لارتجاس الايوان . وخمود النيران . ورؤيا الموبذان . رأى ابلاً صعابا . تقود خيلاً عرابا . قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس . يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة سارة لم تكن بابل للفرس مقاماً ولا الشام لسطيح شاماً . وسيملك منهم ملوك وملكات . على عدد الشرافات وكل ما هو آتٍ آت

وكان كسرى انوشروان قد اوفد عبد المسيح الى سطيح يسألهُ عن الآيات التي ظهرت لهُ

ويستبعد ان يكون شق وسطيح كما وصفهما كتَّاب العرب اي ان احدهما شق انسان والآخر لا رأس لهُ وانما وجههُ في صدرهِ وكلاهما ينبئُ بالمستقبل ولكن لا يستبعد ان يكونا مسخين ويكونا ذكيي الفؤاد واسعي الاخبار شديدي الحفظ فان بعض الاقزام المشوهي الخلقة غاية في الذكاء وسرعة الخاطر

العرافة الحديثة

وفاجعة ملك السرب

اوردنا في الجزء السابق خبر العرَّافة التي ادَّعى المستر ستد محرر مجلة المجلاَّت الانكليزية انها انبأَت بفاجعة ملك السرب قبل وقوعها بثلاثة وثمانين يوماً . وعقَّبنا على ما ذكرهُ المستر ستد بما يتضح منهُ اننا مرتابون في صحة روايتهِ منكرون للنتيجة التي وصل اليها . وقد وعد المستر ستد ان يوافي القراء بما اثبتتهُ جمعيَّة المباحث النفسية في هذا الشان . وجاءتنا مجلَّة المجلاَّت الآن وفيها انجاز لوعدهِ لكنهُ جاء موافقاً لرأينا لا لرأيهِ فقد قال ان الجمعيَّة بعثت اليهِ رجلاً اسمهُ المستر بدنجتون في التاسع عشر من شهر يونيو اي بعد الفاجعة بثمانية ايام فذاكر سكرتيرهُ في ذلك ثم كتبت كاتبة الجمعية الى المستر ستد الكتاب الآتية ترجمتهُ

عزيزي المستر ستد

اشكرك على كتابك الذي بعثت بهِ اليَّ في ١٦ يونيو ردًّا على سؤَالي عن الانباء بمقتل ملك السرب

وقد عاد المستر بدنجتون الآن بعد ان ذهب الى محلك وكنت غائباً عنهُ وذاكرَ سكرتيرك .

ويستدل مما علمهُ منهُ ان المسألة لا تستحق البحث ونحن آسفون على ذلك لان هذه المسألة من المسائل الكبيرة التي كان يمكن ان يبحث فيها بالتدقيق لو كان فيها مستندات يعوَّل عليها ولكن يظهر ان كل ما يعتمد عليهِ فيها مبنيٌّ على ذاكرة بعض الحضور لانهُ لم يكتب احد شيئاً حينئذٍ والحضور مختلفون في ما يتذكرونهُ عن بعض الامور الجوهرية اختلافاً كبيراً حتى يستحيل ان يثبت من اقوالهم شيء . واذا نشرنا شيئاً عن ذلك وجب ان ننشر قول سكرتيرك وقول المستر مكدونلد اللذين يتفقان في ان العرَّافة لم تنبئ بشيء عن مقتل ملك السرب وانهُ جرى حديث كثير في ذلك الاجتماع عن السرب واحوالها السياسية قبلما تكلمت العرَّافة وان احد الحضور سأل العرَّافة مسائل كثيرة مهمَّة عن السرب . ثم ان مسز برنشل نفسها كتبت في جريدة سنت جمس تقول ان الظرف الذي اعطيتهُ وفيهِ اسم ملك السرب كان مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأت ما فيهِ

ولا يخفى ان اثبات امر فوق ما تدركهُ قوانا المعروفة مثل معرفة المستقبل يستلزم ادلَّة قاطعة ويظهر لي ان ما جرى لا يقوم دليلاً على صحَّة ما تدعي صحتهُ ومع ذلك فنحن شاكرون لك غيرتك واهتمامك بتوجيه افكارنا الى البحث في هذه المسألة الداعية

السر جنصن

وقد اجاب المستر ستد عن هذا الخطاب جواباً شديد اللهجة جدًّا فلام جمعية المباحث النفسية لوماً عنيفاً لانها لم تهتم بالبحث عن هذه المسألة البحث الواجب ولانها تميل الى النفي اكثر مما تميل الى الاثبات ولام رسولها المستر بدنجتون لانهُ اكتفى بسؤال سكرتيرهِ ثم ادعى انهُ وجد تضارباً في اقوال الشهود وآخذ جمعية المباحث النفسية لانها تحجم عن البحث في قضية اذا لم يكن فيها مستندات مكتتبة حاسباً ان شهادة الشهود يجب ان تكفي لاثبات شيء او نفيهِ اذ قيل على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة . واستشهد برجال النيابة والقضاة الذين يحكمون الاحكام بناء على شهادة الشهود

وهنا موقع الضعف في احتجاج المستر ستد فانهُ اذا شهد شاهدان انهما رأيا رجلاً يقتل رجلاً آخر فشهادتهما على القاتل سهل تصديقها ولا سيما اذا كانا من العدول ولكن اذا شهدا انهما سمعا عرَّافاً يقول ان زيداً سيقتل عمرًا بعد ثلاثة اشهر لم تقم شهادتهما عند القضاة دليلاً على ان زيداً هو القاتل لعمرو بل ربما حسبوهما والعرَّاف من شهود الزور . وكذا اذا شهدا انهما رأيا رجلاً يمشي في الهواء ولا تمس رجلاهُ الارض وهو غير معلَّق بشيء لم تصدَّق شهادتهما ولو كانا من العدول بل اذا اهتمَّ احد بالبحث عمَّا شاهداهُ وجَّه بحثهُ الى الخلل العقلي

الذي جعلهما يريان ما لم يقع للبشر وما لا ينطبق على ناموس من النواميس المعروفة بل يناقض ناموساً مقرَّرًا منها او الى سبب اعتقادهما انهما رأيا ما لم يرياهُ حقيقة . لانهُ قد يحدث ان يعتقد الانسان انهُ شاهد شيئاً وهو لم يشاهدهُ اوسمع شيئاً وهو لم يسمعهُ. والشواهد كثيرة على ذلك لا تقع تحت حصر روى لنا استاذنا الدكتور بلس ان امرأة شهدت انها رأت في صباها رجلاً يقتل آخر وقصَّت على القضاة واقعة الحال كما شاهدتها وكانت من الفاضلات المتدينات اللواتي يركن اليهن" ويؤخذ بقولهن" لكن ظهر بعد البحث والتحقيق ان القتل المشار اليهِ حدث قبل ان ولدت وان الصور التي كانت راسخة في ذهنها كانها رأتها بعينيها انما ارتسمت في ذهنها من سماعها قصَّة ذلك القتل في صباها مرةً بعد اخرى فبقي اثرها في نفسها وصارت تعتقد انها رأت ذلك عياناً

وهكذا انباء مسز برتشل باغتيال ملك السرب قبل اغتيالهِ بنحو ثلاثة اشهر فانهُ من الامور الخارقة التي لا تصدَّق الاَّ بنقض كثير من احكام العقل المعروفة واثبات احكام اخرى لهُ لا يؤيدها شيء معروف من امرهِ . ونسبة الوهم والخطإ والخداع الى الشهود اقرب الى التصديق من مناقضة احكام العقل. واقرب من هذا وذاك التعليل الذي علَّلنا بهِ هذه الحادثة وهو ان فيها خداعاً غير مقصود . ولا نرى المسترستد مصيباً في تشديدهِ النكير على جمعيَّة المباحث النفسيَّة ولكننا نخشى ان تكون حملتهُ عليها مقوضة لاركانها لاسيما وان رغبة الناس فيها تقلُّ عاماً بعد عام . والعمر لا يكفي للبحث عن الحقائق فكيف يضاع في البحث عن الاوهام

ثم ان المسترستد لام جمعية المباحث النفسيَّة على اقوال تسرَّعت فيها في كتابها الذي بعثت بهِ اليهِ وان لم يكن عندها ادلة تعتمد عليها غير ما رواهُ المسترستد كقولها ان مسز برتشل استلمت الظرف مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأت ما فيهِ فقد قال المسترستد ان مسز برتشل لم تفتح الظرف ولا رأت ما فيهِ وهب انها فتحتهُ ورأت ما فيهِ فاسم ملك السرب كان مكتوباً بالحروف السربيَّة وهي تجهل قراءتها

وقال ان الكلام الذي جرى عن السرب لم يكن على مسمع من مسز برتشل او انهُ لم يقل على مسمع منها كلمة واحدة تشير الى مقتل ملك السرب . ولاشبهة في ان المسترستد صادق في قولهِ ولكن ذلك لا ينفي ان يكون غيرهُ من الحضور اخبر مسز برتشل بما كان ينويهِ البعض لملك السرب ولو عن غير قصد منهُ . او ان ذلك كلهُ كان مقصوداً حتى يعلم بهِ غير السرب ويعلم مولاهُ فيتجنَّب الخطر قبل وقوعهِ . والله اعلم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردٌّ على انتقاد

البحث الخامس

قال حضرة المنتقد " فلا يعقل الاَّ انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والاَّ فليسوا بشرًا "

لا أعلم من اين جاء حضرة المنتقد بالجزم ان الانسان لا يكون انساناً الاَّ اذا استعمل النقود فهل استعمال النقود فصل الانسان او خاصة شاملة لازمة لهُ كالضحك بالقوة . والحقيقة انهُ خاصة غير شاملة كالكتابة بالفعل فان العربي يستطيع ان ينال كل اسباب المعيشة بدون نقود ألا ترى ان قيس بن زهير يقول

ألم يأتيك والانباء تنمي ... بما لاقت قلوص بني زيادِ
ومحبسها على القرشي تشرى ... بادراع واسيافٍ حدادِ

وعمرو بن كلثوم التغلبي يقول

فما أبقت الايام ممال عندنا ... سوى جذم اذوادٍ محذفة النسلِ
ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا ... واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

وفي قول قيس شاهد الحصول على السلاح بدون نقود . وفي قول عمرو شاهد الحصول على الخيل والقوت بدون نقود . واذا قلنا ان الاقوات من حاجات الحياة وقد اراد بها جميع حاجات الحياة من مأكل وملبس مجازًا من باب تسمية الكل باسم الجزء كان لنا ان نقول ان العربي يمكنهُ ان يشتري سلاحهُ وجوادهُ وطعامهُ وكساءهُ فينشد قول حاتم

سأذخر من مالي دلاصاً وسابحاً ... واسمر خطياً وعضباً مهندا

وذلك يكفيني من المال كلّهِ مصوناً اذا ما كان عندي متلدا

ولا يخرج عن كونهِ بشراً بل يكون كما مرّ سابقاً جواداً عزيز الجانب شاعراً بليغ الاقوال خطيباً نفيس المعاني

ومما اوردتهُ هنا يظهر جليّاً وجوب ادراج ما ادرجتهُ عن استعمال النقود لئلا يقال انني ادعي ضمناً ان العرب كانوا لا يتداولونها باثباتي الشاهدَين المارَّي الذكر الاول في بحث الاتجار والثاني في بحث القيام على الماشية

البحث السادس

قال حضرة المنتقد " اما استعمال الوزن للنقود وللفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران "

اجيب (اولاً) اعجب من قول حضرة المنتقد ان وزن النقود دليل ضعف العمران فما نحن في عصر نقول ان عمرانهُ بالغ من الارتقاء ما لم يكن في العصور الماضية وموازين النقود عندنا متنوعة افيعدها دليل ضعف العمران فلا اشك ان قولهُ السابق كان وهم خاطر

بل انني لا اشك ان حضرتهُ بعد التروي يجزم بان استعمال الموازين للنقود من ادلة ارتقاء العمران . (ثانياً) يزعم " ان استعمال الذهب والفضة وزناً دليل ضعف العمران " و يسلم بان " اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس " فهل فاتهُ ان كمبيس " ملك من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٢ ق . م [1] " وان عمران مصر وفتشر كان قد دخل في دور الذبول فاستعمال النقود اذن لم يكن في ارق دور من عمران مصر بل جاء في دور الانحطاط فلا يكون دليل عظمة العمران بل دليل ضعفهِ وهذه النتيجة لا اقول بها ولكنني اقول انها مستخرجة من كلام حضرة المنتقد

ثم سلَّم " ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي " فاقول ان زمن سليمان كان ارقى من هذين الزمنين اذن ينتج ان النقود لم تستعمل في الزمن الارقى عمراناً فكيف يعد " استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران "

ثم اننا لو سلمنا لهُ ان " نقود الاسكندر المكدوني اجمل من النقود التي تسك الآن " لكان ذلك حجة على فساد الادعاء بان " استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران " وذلك لان النقود وفتشر مع كونها اجمل من نقود عصرنا هذا لم تحل دون استعمال الوزن حتى ان يهوذا الاسخريوطي تناول ثمن المسيح وزناً على القول الصحيح . وهنا نرجوهُ ان يفيدنا كيف يوفق بين

(١) في الصفحة ١١ ١٥٧ من كتاب النهج القويم

القول بسمو عمران ذاك العهد لان نقوده كانت اجمل من النقود التي تصك الآن والقول بضعف عمران ذاك العهد بعينهِ لانهُ كان يتعامل بالذهب والفضة وزناً وهذا التعامل "دليل ضعف العمران" ولي حجة عليهِ اوردها وهي "ان في ايام خلافة المامون زهت العلوم واينعت حدائق المعارف فبعث العلماء الى الاقطار وجمع من كتب اليونان كل ما طالت يدهُ اليهِ ثم استخلص نقاوتها وامر بترجمتها وتوزيعها على اهل بلادهِ . . . وقال آخرون انهُ بذل الى ثاوفيلوس قيصر القسطنطينية مئة وزنة من الذهب على ان يبعث اليهِ بلاون الرياضي [٢]"

فاننا نجد في هذا القول دليلاً على استعمال الذهب وزناً في عصر المامون ازهى العصور الاسلامية وكفى بهِ دليلاً على فساد القول "بان استعمال الذهب وزناً دليل ضعف العمران"

البحث السابع

قال حضرة المنتقد "ولقد احسن في ما جمعهُ من الايات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساء ولكن كل ما ذكرهُ . . . لا يدل على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمراناً من الاحباش او السودان اليوم"

اجيب : ابنتُ تفنن العرب في نسيج ملابسهم واتخاذ بعضها من الغالي الثمن وفي ذلك دليل على البراعة في الصناعة والسعة في الغنى وهما من ادلة العمران ولم اتخذها وحدها دليل عمران الامة العربية بل اضفت هذين الدليلين على ما سبقهما واتبعتهما بادلة اخرى . فليتمهل حضرة المنتقد في حكمهِ بمنزلة عمران العرب حتى يفرغ من مطالعة جميع ادلتهِ فان الفاضل والمفضول قد يجوز تساويهما في امور مشتركة بين الفريقين ولا يحول هذا الاستواء دون فضل الفاضل

البحث الثامن

قال حضرة المنتقد "وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان . . . فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون كثيرة فليس لذلك شأن يذكر"

اجيب : اذا كان سليمان لبس تاج ذهب فلا يدلُّ ذلك على ان ملوك العرب لبسوا التيجان الذهبية فكان ما اوردتهُ من هذا القبيل لمجرد اثبات حقيقة ولو لم اثبت ذلك لكان مجال لاحتمال احد امرين اما القصور في البحث او ان ملوك العرب كانوا لا يلبسون تيجاناً

البحث التاسع

قال حضرة المنتقد "الاستدلال على عمران العرب بايات يقال فيها انهم يأكلون

(٢) الفصل الرابع من المقالة العاشرة من كتاب صناجة الطرب

ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيء من التنويه بقدرهم "

اجيب : ان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليشترون فقط أعترض على اطلاقهِ يأكلون فان من المآكل ما يدل على المدنية كأكل الكلاب والجرذان والقطط الخ وان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليأكلون وما يتلوهُ فهو توجيه فاسد فقد اوردتُ ان معاطاة الشراب كان لهُ عند العرب اعتبار خاص فهم لا يشربون "مثل سائر الناس"

وبما ان الاعتراض عليَّ غير مستقيم التوجيه ولا الاطلاق ارجو المنتقد ان يتكرم بإحكام توجيههِ او اطلاقهِ ليصح لهُ انتاج ما انتجهُ

وفي ختام الردّ اشكر فضل حضرة المنتقد على ما تحرَّاهُ من الالماع الى وعوثة الطريق التي سلكتُ فيها شكرًا اسطرهُ من صميم الفؤَاد امين ظاهر خير الله

التاز

بنوهُ على تلك اللحاظ الفواتكِ وصاغوهُ من نور الثغور الضواحكِ
فأمسى كمرآة السماء على الدجى وانجمها في شعرهِ "كالمشابكِ"
وأصبح يحكي اعين الروض نضرةً وفيها الندى مثل الدموع السوافكِ
ومنذ طوَوْا فيهِ شبابكِ لم يزل تلوح عليهِ مسحة من شبابكِ
بناهُ لكِ الباني فلم يلبث الهوى ان اقتادهُ حتى ثوى في جواركِ
سليهِ أهذا قلبهُ صار مدفناً وقبركِ في السوداء ام غير ذلكِ
وتلك لآلٍ ام امانيُّ نفسهِ وذاك ظلام ام هموم الممالكِ
سليهِ فلو هشَّت عظامكِ نحوهُ لردت اليهِ روحهُ من سوَالكِ
وضعتِ بيمناهُ فؤَادًا فلم يجد سوى ملككِ من حلية لشمالكِ
ونزَّهتِ عن شرك المحاسن فاغتدى لاجلك في الاحسان غير مشاركِ
فلا ما بنى كسرى ولا قصر جعفر ولا قصر غمدانٍ ولا للبرامكِ (١)
كأني ارى افقاً تجلَّت نجومهُ كأنك فيهِ بعض تلك الملائكِ

---

(١) ما بناهُ كسرى هو الايوان المشهور وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماهُ الجعفري وللبحتري اشعار في وصفهِ وغمدان بالضم قصر باليمن قال المجد : بناهُ يشرخ بأربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخلهُ قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعاً والبرامك هم البرامكة المشهورون

كأن قلوباً في جمالك احرقت فذوَّبها الصيَّاغ بين السبائك
كأن اللآلي المشبهات أزاهراً فرائدها بعض الدموع الشوابك
كأن ظلام القبر في لمعانها شعور الغواني بين حال وحالك
كأن سناك في دياجيهِ نيةٌ تردد في قلب طهورٍ مبارك
كأني أرى تلك المآذن ايدياً تشير الى الأفلاك أنك هنالك
بدائعُ نالت من يراعي ولم يكن يراع يباريهِ بهذي المسالك
أفضنَ على قلبي الجلالة والتقى فاصبحت منها بين ناسٍ وناسك
وان بناني للفؤاد سنابك فأطلق جوادي ينطلقْ بالسنابك

طنطا مصطفى صادق الرافعي

الدرجة والميل

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قلتم في مقتطفكم الزاهر في الجزء الخامس من هذه السنة في باب المسائل ان طول الدرجة الارضية ٦٦ ميلاً مع ان المشهور ان الدرجة ٦٠ ميلاً فقط وربما استعملتم الميل العادي الانكليزي الذي طولهُ ١٧٠٠ يرد فهو اولاً لا ينطبق على الدرجة تماماً وثانياً يوجد انواع كثيرة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص بالميل فاي نوع منها عنيتم وثالثاً انهُ يوجد ميل لقياس واحد مخصوص عند كل علماء الارض وهو الميل الجغرافي اي واحد من ستين من الدرجة الارضية وانتم الآن تتكلمون عن الدرجة الارضية فكيف استعملتم غيرهُ دون تعيينهِ والميل الجغرافي واحد عند الجميع بيروت احد المشتركين

[المقتطف] لقد اصبتم في قولكم انهُ توجد انواع مختلفة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص ولكنكم اخطأتم في ان الميل الجغرافي واحد عند الجميع فان الميل الجغرافي عند الالمانيين $\frac{1}{15}$ من الدرجة فهو اربعة اميال من الاميال الجغرافية الانكليزية . واذا كان طول الدرجة ستين ميلاً عند خط الاستواء فلا يكون طولها كذلك في عرض مصر . واذا اعدتم نظركم على الجواب الذي تشيرون اليهِ وجدتم اننا لم نقصد هناك تحقيق طول الميل بل الارشاد الى الطريقة التي جرى عليها القدماء لقياس الارض . وحيث ان القدماء الذين قاسوا محيط الارض قالوا ان طول الدرجة بين الاسكندرية واصوان ٦٦ ميلاً (وقد ارادوا بذلك الميل الروماني وهو ٥٠٠٠ قدم رومانية او نحو ٤٨٥٠ قدماً انكليزية) لجاريناهم في

ذلك لاظهار الطريقة التي جروا عليها في قياس محيط الارض . ومعلوم انهم لم يدققوا في قياس الدرجة ولا في قياس الارض ولذلك قلنا انهم استطاعوا ان يعرفوا محيط الارض بالتقريب من قياس مثل هذا . اما لو كان المراد الكلام على الميل الجغرافي او البحري لقلنا ان الدرجة على خط الاستواء ستون ميلاً ولكن هذا الميل يكون اطول من الميل الروماني الذي كان مستعملاً عند الاقدمين بنحو ١٢٠٠ قدم

اصلاح وهم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم قصيدة بليغة للشاعر الفاضل نقولا افندي رزق الله قال فيها ان الملكة دراجا كانت خادماً وانهُ نما في البلاد حزب انوف لم يشأ ان يسوّد الخدماء . واني اضن بالمقتطف ان يثبت قضية تاريخية على غير وجهها فاولاً ان مدام دراجا مشين التي اقترن بها ملك السرب لم تكن خادماً بل كانت عند امهِ وهي ملكة السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيهِ لما كان ملك السرب . والمنصب الذي كانت فيهِ لا تترفع عليهِ ابنة اكبر قائد او اكبر وزير عند ملكة بلادها . ونسب الملك اسكندر ليس ارفع من نسب الملكة دراجا . وثانياً ان الحزب الذي اغتالها لم ينقم عليها لان نسبها احط من نسب زوجها بل لاغراض سياسية اشار اليها المقتطف

مصر احد القراء

باب الزراعة

غلة القمح ومستقبلهُ

لما وقف السر وليم كروكس خطيباً في مجمع العلوم البريطاني منذ خمس سنوات اشار الى ان عدد الذين يأكلون القمح يزيد سنة بعد سنة زيادة بالغة ولكن مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً الآن والتي يمكن ان تزرع في المستقبل لا تزيد على هذه النسبة فلا بدَّ من ان يقلَّ القمح في المستقبل القريب عن حاجة الناس فيغلو ثمنهُ جدًّا او تستعمل واسطة لزيادة غلتهِ وقال ان هذه الواسطة معروفة وهي تسميد الارض بسماد نيتروجي واشار بطريقة كيماوية اكتشفها لعمل هذا السماد وقد اخذت الدلائل تدلُّ على تحقيق ما انبأ بهِ ولو لم يكن بالسرعة التي ذكرها فعلا ثمن

الحبوب رويدًا رويدًا ولاسيما القمح ويخشى الآن ان لا تكفي غلة هذا العام الناس الذين يعتمدون على القمح في طعامهم فقد كان متوسط غلة القمح في اوربا كلها سنة ١٨٩٨و١٨٩٩ و١٩٠٠ و١٩٠١ نحو ١٦٣ مليون كوارتر او نحو ٢٨٨ مليون اردب لان الكوارتر نحو اردب ونصف. وكانت غلة العام الماضي ٢١٣ مليون كوارتر وهي تفوق المعتاد وتفوق متوسط السنوات الاربع السابقة ومع ذلك لم تهبط الاسعار كثيرًا ولا زاد القمح في الاسواق والمخازن بل كان في اول اغسطس هذا العام اقل مما كان في اول اغسطس في العام الماضي بنحو خمسين الف كوارتر كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩٠٣		١٩٠٢	
المشحون لاوربا	٣٠٦٥٠٠٠	كوارتر	٢٩٤٥٠٠٠	كوارتر
المخزون فيها	٢٩١٥٠٠٠	"	٢٣١٠٠٠٠	"
المنتظر من اميركا	٢٩٠٠٠٠٠	"	٤٢٢٥٠٠٠	"
" من الارجنتين	٠٢٥٠٠٠٠	"	٠١٦٠٠٠٠	"
والجملة	٩١٣٠٠٠٠	"	٩٦٤٠٠٠٠	"

وقد بلغت غلة القمح في الدنيا كلها في العام الماضي ٣٧٥ مليون كوارتر ولا ينتظر ان تبلغ ذلك هذا العام ومن المؤكد انها لا تفوقهُ فاذا بلغتهُ وكان الموجود من الحنطة الآن في مخازن اوربا والمشحون اليها على الطريق والمنتظر ان يرد اليها من اميركا كل ذلك ينقص ٥٠٠٠٠٠ كوارتر عما كان في الصيف الماضي فكيف يكون حال اوربا في العام المقبل وقد قلّت المتأخرات وزد السكان. وقد قدَّر بعضهم ان الممالك السبع الكبيرة في اوربا تحتاج في السنة الى ١٩٥ مليون كوارتر هكذا

بريطانيا	٣٠٠٠٠٠٠٠	كوارتر
فرنسا	٤٣٠٠٠٠٠٠	"
ايطاليا	٢١٠٠٠٠٠٠	"
النمسا والمجر	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
روسيا	٤٢٠٠٠٠٠٠	"
المانيا	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
اسبانيا	١٥٠٠٠٠٠٠	"
والجملة	١٩٥٠٠٠٠٠٠	

او نحو ٢٩٣ مليون اردب فاذا اضفنا الى ذلك الممالك الصغيرة كبلجكا وهولندا نقصت غلَّة اوربا عن احتياج اهلها نحو ٢٤ مليون كوارتر او ٣٦ مليون اردب او نحو ثلاثة اضعاف غلة القطر المصري من القمح وسائر الحبوب وجب ان تجلبها من اسيا واميركا واستراليا

ويقول الناظرون الى المستقبل بعين الرضى والاطمئنان انهُ اذا غلا القمح وجد الناس حقولاً جديدة لزرعهِ فيها في سهول اميركا ورحاب السودان وفاتهم انهُ اذا وجدت الارض الصالحة لزرع القمح لا توجد ادوات الزراعة وسائر معداتها سريعاً ولا وسائل النقل الرخيص فالاماكن التي تجود فيها الحنطة وهي قريبة من مراكز العمران واسباب الزراعة ميسورة فيها لا يترك منها الآن شبر من غير زرع واما الاماكن القاصية فاذا عمرت حتى كثر الفلاحون فيها وكثرت وسائل النقل ورخصت فالقمح الذي يزرعهُ سكانها يأكلونهُ وما يزيد عنهم لا يكون كثيرًا يفي بحاجة البلدان القديمة . وزد على ذلك ان الاجور في البلاد الجديدة تكون اغلى من الاجور في البلدان القديمة والاَّ ما اهتمَّ الناس بالمهاجرة اليها ولا يوافقهم زرع الكثير من القمح لتصديرهِ الاَّ اذا كان غالياً جدًّا فاذا رخص لم يعودوا يكثرون من زرعهِ

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الامر نرى مستقبل القمح مكفول في هذا القطر اذا اعتني بزرعهِ وانتقاء تقاويهِ الاعتناء الواجب فان الفدان الذي يجود قمحهُ لا تقل غلتهُ عن ثمانية ارادب الى عشرة ويبلغ تبنها ١٦ حملاً الى ٢٠ فيبلغ ايراد الفدان المزروع قمحاً على حسب اسعار القمح والتبن الحاضرة نحو ١٦ جنيهاً ويمكن زرع القمح في مليوني فدان كل سنة في هذا القطر فيبلغ ايرادها منهُ نحو ثلاثين مليون جنيه اي نحو مضاعف ايراد القطن . وهب ان سعر التبن هبط فبلغ ثمن الحمل نصف ما هو الآن يبقى ايراد زراعة القمح نحو ٢٤ مليون جنيه في السنة هذا اذا اعتني الاعتناء الواجب بالزرع وانتقاء التقاوي . واذا زاد المحصول عن مقطوعية البلاد فلا خوف من كساد سوق القمح في اوربا الاَّ اذا اخطأَت كل التقادير التي يعوَّل عليها

الفول السوداني

زراعتهُ وتحقيقات مفيدة فيهِ من مقالة للعالم وليم فريزر في مجلة الزراعة في الهند الغربية وقد اضفنا اليها عبارات وضعناها بين قوسين اتماماً للفائدة

زراعتهُ

الارض — تجود زراعة الفول السوداني في الاراضي الخفيفة المحروثة جيدًا ولا بدَّ من ان يكون فيها شيءٌ من الجير . واذا كان لون الارض فاتحاً اي ضاربًا الى البياض كان لون

الفول ضارباً الى البياض ايضاً . وهذا يفضل على غيره في التصدير وثمنهُ اغلى من ثمن الفول الاسمر الذي يزرع في الارض السوداء او الشديدة السمرة

إعداد الارض — تحرث الارض وتنعَّم جيدًا الى عمق نصف قدم قبل فصل المطر وتسمد بالسباخ البلدي إما قبل زرع الفول السوداني فيها او في زمن الزراعة التي تسبق زراعتهُ

زمن الزرع — قبل دخول فصل الشتاء لان الفول السوداني لا ينبت ما لم تكن الارض رطبة

الزرع — يقشَّر الفول ويزرع في خطوط البعد بينها من قدم الى ثلاث ويجعل عمقها ثلاث عقد تحت الارض . وبعض الزارعين يبلّ الفول نحو ساعتين قبل زرعهِ . وتداس الارض فوق البزر ثم يوضع عليها قليل من التراب المحلول . (ولا يقشر في القطر المصري ولا يبل الاَّ اذا كانت الارض جافة)

الاعتناء بعد الزرع — لا يحتاج الفول السوداني الى عناية خصوصية غير طرد الطيور عنهُ لئلاَّ تأكلهُ حالما ينبت واستئصال الاعشاب التي تنبت بينهُ

زمن البلوغ — يبلغ الفول السوداني في جزائر الهند الغربية في اربعة اشهر الى ستة . وبعض الانواع الاميركية تبلغ في ثلاثة اشهر

الجمع — يجمع الفول السوداني بقلعهِ من الارض وينقى الفول منهُ باليد . وهذه الطريقة متعبة ولكنها تسهل اذا اعتمد على نوع من النبات يحمل فولهُ كلهُ في مكان واحد تحت اصلهِ

مقدار الغلة — مقدار غلة الفدان في جزائر برباذوز عشرون قنطارًا مصريًا وقد يبلغ اربعين قنطارًا . ومقدار الغلة في الولايات المتحدة الاميركية من عشرة قناطير الى عشرين قنطارًا ومقدار الغلة في السنيغال حيث يعتمد على الحرث بالمحراث من ٢٧ قنطارًا الى ٦١ قنطارًا (وتبلغ الغلة في القطر المصري عشرين اردبًا)

اكلاف الزرع —

الحرث	٢٥ غرشاً
العزيق	١٠ غروش
الزرع باليد	٢٠ غرشاً
التعشيب	١٧ "
الجمع	٧٥ "
	١٤٧ "

فاذا كانت الغلة ثلاثين قنطارًا وبيع القنطار منها بثلاثين غرشاً بلغت غلة الفدان تسعة

جنيهات تدفع منها اجرة الارض واكلاف الزرع فيبقى ربح كافٍ عدا ثمن اوراق النبات التي تؤكل علفاً

استعماله

يؤكل الفول السوداني محمصاً ويستعمل لصنع الحلويات ويعصر الزيت الطيب منهُ فان زيتهُ كثير يبلغ ٣٠ الى ٥٠ في المئة من وزنهِ . وطعمهُ طيب ورائحتهُ حسنة وهو كثير الشبه بزيت الزيتون وزيت القطن . والانواع الجيدة منهُ المستخرجة على البارد تستعمل للطبخ ويعسر تمييزها عن زيت الزيتون والانواع الدنيا تستعمل لطبخ الصابون ولتزييت الآلات . وقد ورد الى مرسيليا ١٠٤٥٤٢ طنًّا من الفول السوداني سنة ١٩٠٠ واكثرها لطبخ الصابون ولاستخراج الزيت الطيب واكثرها من الاملاك الفرنسوية والانكليزية في غربي افريقية وقليل منها من الهند ويستعمل هذا الزيت للاضاءة ايضاً لكن نورهُ غير ساطع

وكسب الفول السوداني بعد عصر الزيت منهُ غنيٌّ بالمواد الهيدروكربونية والنيتروجينية وفيهِ كثير من الدهن وهو يحتوي على ٥٢ في المئة من المواد المكونة للحم (البروتيين) و٨ في المئة من الدهن و٢٧ في المئة من الكربوهيدرات فهو من اقوى انواع الغذاء المعروفة يشبه كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او يفوقهما غذاء

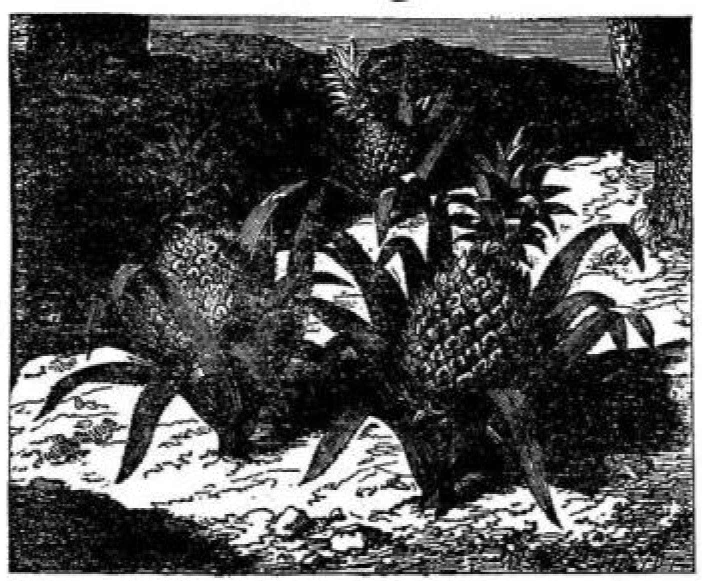
وجرِّبت التجارب في بلاد الانكليز لمعرفة فائدة كسب الفول السوداني علفاً للمواشي فوجد انهُ مثل الفول تماماً وجرَّبهُ الدكتور روبرتصن في بلاد الهند علفاً للخيل والبقر والخنازير الخ فكان يطعم الثور الشغَّال اربعة ارطال من الكسب مع الدريس فتحفظ صحتهُ وقوتهُ . اما اذا اريد تسمين المواشي فلا علف اجود منهُ لذلك ويأتي لحمها جيداً جداً وكذلك لا اجود منهُ للبقر الحلاَّبة فانهُ يزيد لبنها ويجيدهُ فيمزج ستة ارطال منهُ برطلين او ثلاثة من الرضّة (النخالة) ويجبل مزيجهما بالماء . وقد علف البقر بهذا العلف سنوات عديدة فبقيت على تمام الصحة وبقي لبنها غزيراً . وهذا الكسب جيد للغنم ايضاً وهو اجود علف لها وكان يطعمها اياهُ مدقوقاً جافًّا

وورق نبات الفول السوداني علف جيد للمواشي واهالي الولايات المتحدة يحسبونهُ نافعاً جداً لها ولاسيما اذا بقي معهُ شيءٌ من البزر . وقشر الفول السوداني يغذي ايضاً اكثر من قشر بزر القطن

وثمن الطن من الفول السوداني في بلاد الانكليز من تسعة جنيهات الى ١٧ جنيهاً حسب نظافتهِ وجودتهِ وحسن انتقائهِ وجفافهِ وبياض لونهِ . ويسهل قصرهُ حتى يبيضَّ لونهُ هكذا وهي

مثل طريقة الاستاذ هلفارد المستعملة في كليفورنيا يذاب ٦ ارطال من مسحوق القصارين و١٢ رطلاً من كربونات الصودا في ٥٠ جالوناً من الماء ويوضع الفول السوداني في هذا السائل خمس دقائق ثم ينزع منهُ ويغسل جيداً ويوضع في مغطس آخر فيهِ ٦ اواقي من الحامض الكبريتوس في جالونين من الماء وتترك فيهِ خمس دقائق ثم تنزع منهُ وتغسل جيداً وتفرش في الشمس حتى تجف ويتم قصرها في ربع ساعة فيزهو لونها وتنظف ولا يتغير طعمها ولا رائحتها واذا زرعت تنبت مثل غيرها دلالة على ان المواد الكيماوية لم تؤثر في لبها بل اثرت في القشر فقط وسيأتي الكلام على كيفية زرع الفول السوداني في هذا القطر

زرع الاناناس



وصف بعضهم كيفية زرع الاناناس في البلاد التي يكثر زرعهُ فيها وهو نفسهُ من الذين يكثرون من زرعهِ فبنينا على كلامهِ السطور التالية

اهم ما يحتاج اليهِ الاناناس لخصبهِ ان تكون الارض خفيفة محلولة جافة وهو يجود فيها ولو كانت افقر من ان يجود فيها نبات آخر سواهُ بشرط ان يعتنى بها وتسمد جيداً واهم شرط لصلاحية الارض ان تكون خفيفة محلولة مثل الاراضي الرملية الجبلية في هذا القطر لكي يسهل على جذيرات الفسائل ان تسري فيها

ولا بدَّ من ان تنقَّى الارض من كل ما فيها من الجذور وتحرث وينعَّم ترابها جيدًا وان تكون مصارفها مستوفاة حتى لا تبقى فيها اقل رطوبة لان نبات الاناناس لا يحتمل الرطوبة ولذلك تحفر فيها المصارف الضيقة قريبة بعضها من بعض حتى لا يكون بين المصرف والمصرف اكثر من عشرين قدماً الى اربعين وتقطع بين المصارف ترابيع طول التربيعة منها ١٢ قدماً وعرضها ١٠ اقدام تفصلها مماشٍ عرضها اربع اقدام

ويزرع الاناناس من الفسائل او الجذور التي تفرخ او الفروع او القرم او البزور واجودها الفروع او الفسائل التي تنبت من باطن الورق واكثر الاعتماد عليها فانها تنزع من امها وتزرع . واذا بلغ الاناناس وقطع نبت نبات جديد من جذورهِ مكانهُ فيُعتنى بهِ ويتجدد الزرع منهُ واذا نبت فرخان معاً ينزع احدهما ويزرع في مكان آخر

وبعض انواع الاناناس تفرخ فروخاً من اسفلها كالنخل وهي فسائل ايضاً فتنزع وتزرع لكنها بطيئة النمو . والذين يعتنون بزراعتهم لا يتركون هذه الفروخ حتى تكبر بل ينزعونها ويطرحونها حالما تظهر . اما القرمة فهي حزمة الاوراق التي تكون في اعلى ثمر الاناناس وهي تترك على الثمر في مزارع الاناناس لا تنزع منهُ لتزرع الاَّ اذا فسد الثمر او اكلتهُ الجرذان . ويحسن الاعتماد عليها في هذا القطر للابتداء بزرع الاناناس فيهِ ولو كان نموها بطيئًا

والبزور قليلة في الاناناس لا تتولَّد الاَّ في بعض انواعهِ

كيفية زرعهِ — تعدُّ الارض جيدًا ويؤْتى بالفسائل او الجذور المفرخة ويجب ان يكون طولها قدماً او اكثر وان تختار من نبات جيد يحمل ثمرًا وتزرع ويجعل البعد بينها قدمين ويضغط التراب حولها ولا بدَّ من قص الاوراق السفلى من الفسيلة وبري الطرف المكسور بسكين ماضية حتى تندمل سريعاً

الاعتناء بهِ — يستدعي الاناناس عناية كثيرة لان الاعشاب تخنقهُ وتميتهُ ولا يستطيع مغالبتها كانهُ من اولاد الكبراء . واذا كانت الارض فقيرة يضاف اليها سماد جيد من البوتاس ومسحوق العظام او ما يماثل ذلك واما اذا كانت جيدة فلا داعي لتسميدها بل قد يضرُّ السماد بها فقد قال الكاتب ان ارض جمايكا لا تحتاج الى سماد بل يضرُّ السماد بها ولكن يبعد ان يبقى خصبها على درجة واحدة اذا تكرَّرت زراعة الاناناس فيها سنة بعد سنة

القطاف — يقطف الاناناس حينما يتم نموهُ ويبلغ حدَّهُ ولا يقطف قبل ذلك والاَّ فسد قبلما ينضج واذا نضج لم يكن طيب الطعم . ويترك مع الثمر قدر عقدة من الاصل ويعلق بها ٢٤ ساعة او اكثر حتى يجف ويصير معدًا للتصدير . وحينما يصدَّر الثمر يلف بشيءٍ حتى لا

يترضّض والغالب ان يلف بالتبن او القش ويرد كذلك الى هذا القطر من جهات الهند

الزراعة والميكروبات

من مقالة في مجلة العلم العام للدكتور شنيدر من اساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة

زُرعت الارض منذ الوف من السنين وحاول ارباب الزراعة من اول عهدهم ان يستغلوا منها اكثر ما يمكن من الغلة بأقل ما يمكن من التعب لكن لم يجرِ ذلك على طريقة علمية الاَّ منذ عهد قريب . والآن قد استعملت الاساليب العلمية التي تزيد خصب الارض وتجيد ما يستغل منها وما يرتبط بهِ من تربية الاشجار والمواشي وما اشبه ويظهر انهُ سيكون لعلم الميكروبات شأن كبير في ذلك

ومن بعض الميكروبات فائدة كبيرة للزراعة ومن بعضها ضرر كبير وسيكون الشغل الاكبر لارباب الزراعة استخدام الميكروبات النافعة واستئصال الميكروبات الضارة . ومن اهم هذه الميكروبات مايوجد منها في جذور القطاني كالفول والعدس ولست اخوض في تاريخ اكتشافها وفعلها في النبات الذي توجد فيهِ بل اقتصر على ذكر ما فعلهُ البعض الانتفاع بهذه الاحياء وما يمكن ان تؤدي اليهِ في المستقبل

فقد ثبت بالامتحان ان هذه الميكروبات تستطيع اخذ النيتروجين من الهواء وتمثيلهُ للنبات حتى يغتذي بهِ ولولا ذلك ما استطاع ان يأخذهُ من الهواء مباشرة وبعضها يعيش في جسم النبات نفسهِ كميكروب القطاني (ريزوبيا) الذي يعيش في عقد جذور الفول وهو يأخذ النيتروجين ويصنع منهُ مركبات يسهل على النبات الاغتذاء بها فكأنهُ يقيم في جذورهِ لاجل تغذيتهِ . وبعضها يعيش في التراب الذي حول جذور النبات كالذرة والقمح ويركب المركبات من النيتروجين ويبثها في الارض حول الجذور لتغتذي منها

لما ثبت ذلك جعل علماء الزراعة يجربون التجارب الكثيرة لاضافة الميكروبات النافعة الى التقاوي او لتطعيم الارض بها فتكللت بعض تجاربهم بالنجاح وسمي الطعم الذي تطعَّم بهِ الارض ليكثر فيها الميكروب الذي تستفيد منهُ القطاني بالنيتراجين الاَّ ان الذين امتحنوهُ لم يجمعوا على فائدتهِ دائماً وبعضهم يقول انهُ يفيد كثيرًا في الارض البكر التي لم تزرع قبلاً واما في الاراضي الزراعية الجيدة ففائدتهُ قليلة . والظاهر انهُ ثبت الآن ان الارض التي زرعت فيها المزروعات القرنية كالفول واللوبياء والبرسيم يكون فيها ما يكفيها من ميكروبها فلا يزيد خصبها باضافة النيتراجين اليها واما الارض التي لم تزرع فيها هذه المزروعات

فالمرجح انها تستفيد كثيرًا من اضافة النيتراجين اليها. ثم انهُ اكتشف ميكروب ينمو حول جذور النباتات ذوات الحبوب كالذرة والقمح ويأخذ النيتروجين من الهواء ويركب منهُ مركبات يسهل على جذور النبات الاغتذاء بها ولا يزال العلماء يبحثون فعل الميكروبات في خصب المزروعات

اصلاح الجنائن

اهدى الينا احد الفضلاء بالامس قفصاً من الفاكهة فيهِ عنب اسود كبير الثمر مستديرهُ رقيق القشر صغير العجم كلهُ ربٌّ وسكَّر ما عهدنا عنباً مثلهُ في هذا القطر. وفيهِ ايضاً اربعة اشكال من المنجو الاول كبير الثمر جدًّا يبلغ طول الثمرة منهُ ١٢ سنتمترًا وعرضها تسعة والثاني صغير الثمر جدًّا طول الثمرة منهُ نحو سبعة سنتمترات وعرضها نحو خمسة والثالث متوسط بينهما والرابع طويل اعقف من طرفيهِ الى جهتين متخالفتين كعلامة المدة التي توضع فوق الالف وهو طويل كالاول لكنهُ دقيق لا يزيد عرضهُ على خمسة سنتمترات او ستة. والظاهر ان زراعة المنجو اتسعت جدًّا فقد رأيناهُ يباع في اكثر المحطات من العاصمة الى دمياط

ومن انواع الفاكهة التي انتشرت زراعتها وجاد نوعها الخوخ (الدراقن) فقد رأينا منهُ نوعاً كبير الثمر خالياً جلدهُ من الزغب لا يكاد يفرق عن الخوخ الجيد الذي ينبت في سواحل الشام

واعتنى البعض بجلب اشكال التين الشامي وزرعها من الابيض والاحمر والاسود فجادت كلها وذقنا ثمرها فوجدناهُ على لذتهِ المعهودة في بلاد الشام

واعتنى كثيرون بزرع البطيخ من نقاوي البطيخ اليافاوي فجاء البطيخ عندهم جميل المنظر طيب الطعم يقارب البطيخ اليافاوي في اكثر خواصهِ

وكثر زرع الشليك (الفرولة) حتى رخص ثمنهُ جدًّا وصار ربات البيوت يشترينهُ بمقادير كبيرة لعمل المربَّى

اضف الى ذلك ما بُذل من العناية في انواع اصلاح البرتقال واليوسف افندي والموز والشمام تجد ان الفاكهة قد كثرت انواعها وجادت جدًّا بالنسبة الى ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات

لكن من يمعن نظرهُ في الجنائن في هذا القطر والقطر الشامي يجد ان اصحابها لم يهتدوا بعد الى الطريقة التي تكثر بها الاثمار وتجود وتزيد غلة الارض ولو كانت ضيقة وذلك بتصغير الاشجار وتكثير ثمرها فان احد نابغي الانكليز انتبه وهو ولد صغير الى ان الاشجار التي تقلع لتباع ثم يرفض المشترون ابتياعها لصغرها فترد الى البستان وتقلع في وقت آخر لتباع فلا يشتريها

المشترون اصغرها ايضاً—هذه الاشجار يكثر ثمرها ويصير اطيب من غيرهِ ولو بقي جرم الشجرة صغيراً فخطر لهُ ان قلع الاشجار وزرعها مرةً كل سنة او سنتين يسقم بدنها ولكنهُ يجيد ثمرها فجرَّب ذلك فوجد ان استنتاجهُ صحيح فجعل يعامل اشجار جنائنهِ على هذه الطريقة يقتلعها من مكانها ويزرعها في مكان آخر مرةً كل سنتين فتبقى جذورها قرب سطح الارض ولا تكبر بل تبقى كالانجم . وقد سهل عليهِ ان يزرع في الفدان الواحد خمس مئة شجرة من شجر التفاح وبقي بينها فسحة تسع سبع مئة شجرة من اشجار اخرى من نوع آخر وكان يحرثها حرثاً عادياً وينزع الاعشاب من تحتها حتى تبقى ارضها نظيفة دائماً ويقضب الاغصان حتى تبقى قصيرة ويبقى شكل الاشجار هرمياً او منبسطاً فصار يجني من الفدان مضاعف ما يجنيهِ منهُ لو كانت اشجارهُ كبيرة . فعسى ان ينتبه اصحاب الجنائن الى ذلك ويجربوهُ فان فائدتهُ محققة

الخضر في غير اوانها

خذ الباميا او اللوبياء او الخرشوف وما شاكلها وضعها في اناء فيهِ ماء سخن قارب الغليان وضع فيهِ قليلاً من ملح الطعام حتى يملح الماء قليلاً وسد الاناء سداً محكماً حتى اذا جاء الفصل الذي لا ينبت فيهِ ذلك الصنف فتحت الاناء وطبخت خضرة قلما تفرق عنها في اوانها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الحميات

الحمى التيفويدية

تمريض المصابين بالحمى الملارية امرٌ سهل جداً اذا روعيت قوانين الصحة وقوانين التمريض الاعتيادية ولكن تمريض المصابين بالحمى التيفويدية ليس بالامر السهل . والواقع ان حياة المريض بالتيفويد تتوقف على حسن العناية بالتمريض اكثر منهُ في سائر الامراض حتى ذات الرئة ما عدا الدفثيريا

واذا كانت الاصابة خفيفة استمرت الحمى ٣ اسابيع عادة ولكنها قد تستمر ٦ اسابيع الى ٣ اشهر والطبيب والدواء يعجزان عن شفاء المرض او توقيفهِ ولكن الاعتناء وحسن التمريض يحفظان حياتهُ والاهمال ومخالفة اوامر الطبيب قد تكون نتيجتهما ازدياد الخطر لان النكس سهل جدًّا في هذا المرض وكذلك تولد المضاعفات (الاختلاطات) . ثم ان في طاقة الممرضة ان تريح المريض وتساعدهُ على نيل الشفاء العاجل

اذا سار المرء في سفينة قاصدًا بلادًا بعيدة وتيسَّر لهُ ان ينام في غرفة نظيفة مطلقة الهواء ويأكل طعامًا طيبًا مغذيًا وصل الى المكان الذي يقصدهُ مستريحًا اكثر مما لو نام في غرفة قذرة فاسدة الهواء واكل طعامًا خبيثًا منتنًا . والقلق في اثناء الطريق ومخاصمة القبطان والبحَّارة لا يقصران مسافة السفر ساعة واحدة فالراحة اولى من القلق والتعب اللذين لا يجديان نفعًا

وهذا شأن المصاب بالتيفويد فانهُ اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب فالمرجح انهُ يبلغ الشفاء مستريحًا بالنسبة الى من لا يعتنى بهِ ولو لم تقصر مدة المرض

وتحدث التغيرات في التيفويد كل سبعة ايام ولذلك لا داعي للاكثار من الادوية واقلاق الطبيب لانهُ لا يقدر ان يقصر الميعاد يومًا واحدًا . وكما يحدث في سفر البحر انواء وعواصف او يقع خلل في الآلة البخارية التي تسير بها السفينة كذلك يقع احيانًا في هذا المرض فتتولد مضاعفات (اختلاطات) كثيرة وسأتكلم عنها قريبًا

واقول الآن ان مركز الضرر في التيفويد هو في الامعاء هناك سم المرض وهناك التقرُّح الذي يسبب الحمَّى . فيجب ان تعلم الممرضة ان السم يكون في مبرزات المريض فتكون العدوى فيها واذا لم ينتبه لذلك فقد تنتقل العدوى الى سائر اهل البيت

اذا ظهرت التيفويد في بيت وجب ان يلتفت الى شيئين مصارف البيت والماء الذي يشرب منهُ سكانهُ لان كثيرين ينفقون الاموال الطائلة على زخرفة بيوتهم وتزيينها ووضع الاثاث الفاخر فيها ولكنهم يهملون الامر الاهم وهو مصارفها اما لجهلهم او لقلة اعتنائهم

ولا بدَّ من الالتفات الى الامور الآتية في تمريض المصاب بالتيفويد وهي

ان يكون الاثاث في غرفتهِ على اقلهِ

ان يكون الهواء النقيُّ فيها على اكثرهِ

ان يبقى جسم المريض نظيفًا دائمًا

ان لا يطعم شيئًا غير سائل ما دامت الحمَّى عليهِ

يجب ان لا يجلس في سريرهِ ولو دقيقة واحدة

ان يحترس من جراح الفراش

ان يعتنى ببرزاتهِ

ومركز الضرر في الامعاء كما تقدم لانها تكون متقرحة فاذا اكل طعاماً جامداً ولو كسرة صغيرة من الكعك فيحتمل انها تصل الى قرحة من قروح الامعاء وتكشط الجلد الذي تكوّن عليها فينتكس العليل . ويحتمل ايضاً انها تشق القرحة فتنثقب الامعاء في مكانها ويموت العليل حالاً . وتنثقب الامعاء ايضاً من جلوس العليل في فراشهِ ومن تقلبهِ ولذلك لا يسمح لهُ بالجلوس ولا بالانقلاب من جهة الى جهة بل يلزم بالنوم على ظهرهِ دائماً وتوضع مخدَّة واطئة تحت رأسهِ

وقد يصاب العليل بالنزف الدموي فيخرج كثيراً من الدم بغتةً واذا لم يوقف هذا النزف فقد يقتلهُ . واذا حدث النزف فلا بدَّ من استدعاء الطبيب حالاً واخبارهِ عمَّا حدث بالتفصيل حتى يأتي مستعداً وحالما يحصل النزف يوضع كيس ثلج على بطن العليل او منشفة كبيرة مبللة بماء الثلج او بابرد ماء يمكن الحصول عليهِ . ويجب ان يبقى العليل هادئاً ويكون الهواء في غرفتهِ مطلقاً. ولا تناولهُ شيئاً من الكنياك Brandy فان الكنياك يعطيهِ الطبيب فقط اذا اشتدَّ النزف لانهُ يزيد عمل القلب فيزيد النزف

ويجب ان يكون الثلج موجوداً مهما اختلفت حالة الحمى التيفويدية . والاطباء يصفون عادة وضع اكياس الثلج على الراس او على البطن وكثيراً ما يصفون للعليل مصَّ الثلج . فيجب غسل الثلج بعد تكسيرهِ قطعاً سواءٌ كان القصد منهُ وضعهُ على بطن العليل او اعطاءهُ لهُ ليمصهُ لان غسلهُ يجعلهُ نظيفاً ويزيل النتوءات والرؤُوس الحادة منهُ فلا يزعج العليل

واذا كان المريض يحب شرب المثلوجات فلا تمنعها عنهُ ولكن اياك ان تسقيهُ شراباً سخناً . والسوائل الفاترة خير ما يسقاهُ

وليطعم المريض بالتيفويد بفنجان مخصوص او ملعقة دائماً وهو مستلقٍ على ظهرهِ اذ لا يجوز ان يجلس في فراشهِ ولكن يجوز رفع راسهِ باليدين عند اطعامهِ

الفراش

يجب ان يستلقي المريض على ظهرهِ كما تقدم وان لا يوضع تحت رأسهِ سوى مخدة واحدة وان يكون الفراش مستوياً ليناً على قدر ما يمكن وخير فراش لهُ ما كان من الكاوتشوك مملوءًا ماءً وكذلك تكون المخدة من الكاوتشوك وتملأ ماءً اذا امكن الحصول عليهما والاَّ فتوضع كعكة منهُ تحت اليتيهِ

ويجب ان يكون الغطاء خفيفاً جداً . واذا كانت درجة الحمى مرتفعة فان ملاءة واحدة تكفي ويجب ان يوضع مشمع فوق الملاءة التي توضع على الفراش ويغطى المشمع بملاءة اخرى قديمة مطوية لتكون ألين. وانزع كل نتوء خشية ان تتكون قروح على ظهر المريض لاسيما وانهُ يهزل يوماً فيوماً وتبرز عظامهُ

الكرسي (اناء البراز)

يجب ان يكون الكرسي الذي يغوط فيهِ مسطحاً وان يكون شكلهُ مستديراً او على شكل الخف وان يشترك اثنان في وضعهِ ونزعهِ الاَّ اذا كان المريض صغير الجسم خفيفاً وممرضتهُ كبيرة الجسم قوية . واذا لم يكن هناك سوى الممرضة فلتقف عن يمين المريض ولتمسك الكرسي يدها اليمنى ولتضع يدها اليسرى تحت عجيزة المريض ولترفعهُ برفق ثم تضع الكرسي تحتهُ دون ان ترفع الملاءات . واذا كان المريض ثقيلاً واحتاجت الممرضة الى مساعدة ممرضة اخرى فلتقف مقابلها ولتضع يدها تحت يدها وتساعدها على رفع المريض

ويصب في الكرسي قليل من سائل كندي قبل وضعهِ تحت المريض لانهُ يزيل كل رائحة منهُ ولو لم يقتل جراثيم الحمَّى . واما جراثيم الحمَّى فتقتل بمحلول ثقيل من الحامض الكربوليك . وينظف العليل بعد استعمالهِ الكرسي ويدهن بالبودرا ولا ينظف بالورق بل بخرق قديمة ناعمة منقوعة في محلول السليماني

ملاءات المريض

يجب ان توضع ملاءات سرير المريض وحدها وتغسل وحدها . واذا غاب المريض عن وعيهِ وغاط في فراشهِ وتلطخت ملاءتهُ ببرازتهِ فانزعها حالاً وانقعها في محلول الحامض الكربوليك ودع الغسالة تغليها جيداً ولاسيما اذا نقه المريض واريد استعمال هذه الملاءات ثانية . ولا بدَّ من غسل السرير ايضاً بالحامض الكربوليك ويوضع الفراش في الشمس والهواء اياماً عديدة ويمسح المشمع بفرشاة وحامض كربوليك ويحسن ان يعطى لفقير مريض بالتيفويد فيفيدهُ ولا يضرهُ

غسل المصاب بالتيفويد

لا بدَّ من غسل اجسام المصابين بالتيفويد دواماً والاَّ انتنت ابدانهم ولا بدَّ ايضاً من غسل افواههم والاَّ بخرت وتقرحت شفاههم والسنتهم وحلوقهم وربما اصيبوا بذات الرئة من جراء ذلك . وهنا تظهر فائدة التمريض في منع المضاعفات

ولا يحسن بالمريض ان يلبس غير قميص النوم . واذا غاب عن الوعي فالبسهُ قمصاناً قديمة

يمكن شقها من ظهرها حتى لا ينام عليها بل تكون بمثابة غطاء لهُ فلا تتسخ ولا تدعو الحال الى كثرة تغيير القمصان وحينما يراد نزع القمص عنهُ تنزع منهُ اليد الواحدة اولاً ثم الثانية ثم تنزع من فوق رأسهِ واذا اريد الباسهُ القميص تدخل فيهِ يداهُ معاً ثم يدخل رأسهُ في بنيقتهِ ويبسط على جسمهِ

وحينما ينزع القمص يغطَّى المريض الى عنقهِ وتوضع منشفة تحت ذقنهِ وتقف الممرضة عن يمين سريرهِ وتكون قد وضعت هناك طستاً فيهِ ماء سخن (لان الماء البارد لا ينظف المريض) وضعتهُ على كرسي او طاولة وتأخذ قطعة ناعمة من الفلانلا وترغي الصابون عليها وتغسل وجههُ واذنيهِ ورقبتهُ وتشطفهُ بالماء وتعيد غسل وجههِ وتنشفهُ . ثم تأخذ احدى يديهِ وتضع المنشفة تحتها وتمسحها بالماء وتنشفها وتأخذ يدهُ الاخرى وتغسلها وتنشفها ثم تعريهِ الى وسطهِ وتغسل صدرهُ وبطنهُ بلطف تام وتنشفهُ سريعاً وتضع القميص عليهِ وتمسح احدى ساقيهِ وتنشفها ثم تمسح الاخرى وتنشفها وتقلبهُ بلطف على احد جانبيهِ وتغسل ظهرهُ واليتيهِ وما بين تخذيهِ ثم تفرك ظهرهُ واليتيهِ بالسبيرتو المثيلي وتعيد فرك اليتيهِ بمرهم الزنك او البورق وترش على ظهرهِ مسحوق الزنك منعاً للتقرُّح

وحينما يراد تغيير الملاءة (الشرشف) يقلب المريض الى الجانب البعيد عن الممرضة وتنزع المخدة وتلف الملاءة الوسخة تحتهُ الى الداخل وتوضع الملاءة النظيفة بدلاً منها ثم تدور الى الجانب الآخر من السرير وتقلب المريض الى الجانب الاول على الملاءة النظيفة وتنزع الملاءة الوسخة ثم تسحب الملاءة النظيفة تحتهُ حتى تغطي السرير وتمهدها . واذا اتسخ المشمع او تبلَّل يغسل وينشف قبلما يعاد الى تحت المريض . ولا بدَّ من ابقاء المشمع نظيفاً دائماً والاَّ صار سبباً للعدوى

واذا كان المريض ثقيلاً لا تستطيع ممرضة واحدة ان تقلبهُ من جهة الى جهة فلتستعن على قلبهِ اثنتان فتضع احداها يداً من يديها تحت كتفيهِ ويداً تحت عجزهِ وتقف الاخرى مقابلها على الجانب الاخر من السرير وتضع يديها تحت يدي الاولى وتعينها على قلبهِ من جهة الى اخرى او على رفعهِ او خفضهِ في سريرهِ

المسح بالاسفنج

يقصد بهذا المسح خفض الحرارة حينما ترتفع جداً ولا خوف من ان يبرد العليل حينئذٍ كما يمكن ان يبرد حينما يغسل فتلقى منشفة على حقويهِ وينزع الغطاء عنهُ ويؤتى باسفنجة كبيرة ناعمة وتغطس في الخل والماء الفاتر ويمسح بها المريض من رأسهِ الى قدميهِ مسحات كبيرة

وليكن المسح لطيفاً فوق بطنهِ لانهُ شديد التأثر وهو مركز الداء ويقلب المريض بلطف على احد جانبيهِ ويمسح ظهرهُ وساقاهُ وابطاهُ بالاسفنجة ويمسح كذلك كفاهُ واخمصا قدميهِ لانها احر اجزاء بدنهِ حينما تكون الحمى عليهِ ويجب ان تكون حركة مسح بدنهِ كلها متجهة من اعلى الى اسفل ومدة مسحهِ بالاسفنج ثلث ساعة ولا ينشف بعد مسحهِ بل يغطى بملاءَة ولكن يجب ان لا يمرَّ عليهِ مجرى هواء حينئذٍ ويحسن ان تستعلم حرارة المريض بالترمومتر قبل مسحهِ وبعدهُ لكي يعلم كم انخفضت حرارتهُ بواسطة مسحهِ بالاسفنجة

ويوضع المريض احياناً في حمام طويل يسعهُ نائماً فيحمل اليهِ بالملاءَة التي يكون نائماً عليها يحملهُ اثنان واحد من عند رأسهِ وواحد من عند قدميهِ ويحترسان من هزهِ او ليهِ ولكن لا بدَّ من حضور الطبيب حينئذٍ ويكون الحمام تحت ارشادهِ وهو يعين حرارة الماء

غسل فم المريض

قلت سابقاً ان لا بدَّ من تنظيف فم المريض منعاً للبخر ولاتصال الالتهاب الى الحلق والرئتين . وهو ينظف هكذا يلف القطن على راس المقراض ويغطس في محلول الغليسرين وماء الورد وينظف بهِ الحلق واللسان والشفتين والاسنان مرتين في النهار . وفي ذلك راحة كبيرة للمريض . ويحسن ان يفعل ذلك لكل المرضى الذين يتعسر عليهم ان يجلسوا وينظفوا افواههم

الشعر

كانت العادة انهُ اذا اصيب احد بالتيفويد امر الاطباء بقص شعرهِ او حلقهِ حاسبين ان الشعر يبقي الرأس سخناً والغالب انهُ يسقط من نفسهِ بعد النقه اما الآن فتستعمل كل الوسائل لحفظ الشعر وتبريد الراس باكياس الثلج ومشط الشعر مرتين في اليوم فاذا كان المريض امرأة ضُفر شعرها ضفيرتين على جانبي رأسها لكي لا تنام عليهما . ويسهل مشط شعرها بادارة راسها الى الجهة الواحدة ثم الى الاخرى . ولا شيءَ ينعش المريض مثل مشط شعرهِ وغسل وجههِ ويديهِ . ومن اكبر الاغلاط ان يترك المرضى بدون غسل لانهُ لا يخشى من اصابتهم بالزكام ما داموا في الفراش . واذا شعروا انهم غير نظيفي الابدان تململوا من ذلك وقلقوا . وان كان الوسخ يجلب المرض فكم تجب النظافة على مَن نقصد ان ننجيهُ من المرض

وقد طال هذا الفصل لانهُ تجب العناية التامة بتمريض المصابين بالتيفويد وفيهِ امور كثيرة يجب الاعتماد عليها في تمريض المصابين بغيرهِ من الامراض

اما الاختلاطات التي اشرت اليها قبلاً وقلت انها تصيب احياناً المصابين بالتيفويد فهي

الاسهال والنزف من الامعاء والرعاف (نزول الدم من الانف) والتهاب الكليتين والتهاب الرئتين وتخثر الدم

تخثر الدم

ويراد بهِ تخثر الدم في الاوردة ولاسيما اوردة الساقين فان الدم يكون في حالة غير صحية فلا يجري في الادعية كما يجري في حال الصحة ولذلك فقد يتخثر اي تتكون فيهِ جلطة واكثر ما يحدث ذلك في حال النقه ولاسيما اذا نهض المريض وجعل يمشي قبلما يتقوى ولكنهُ يشعر بذلك حالاً لانهُ يؤلمهُ فيجب ان يستلقي حالاً وترفع الرجل التي اصابها ذلك وتدفأ بالقناني التي فيها ماء سخن ويستدعي الطبيب فيصف ما يراهُ مناسباً من النطولات او الدهانات

غادة المرآة

تميزت الحقيقة عن محالِ وأسفرت الهداية عن ضلالِ
سطا ما كان يخدع عن طلاءِ على ما كان يظهر من جمالِ
لحا الله ايضاضاً كان يغري بجيدكِ كلَّ أعمى القلب خالِ
وخدًّا لم يحمرهُ صباغٌ وعيناً لم تُسوَّدْ باكتحالِ
وصدرًا ناكلَ الثديَينِ لولا نديفُ القطن والخرَقُ البوالي
وحسناً كاذب الوجهين تمشي مطالعهُ على قدم الزوالِ
وساعاتٍ وقفتِ بها مليًّا الى المرآة وقفة ذي خيالِ
فحيناً تعبسينَ لغير فكرٍ وقد تتبسمينَ لكل حالِ
وكم قالت لكِ المرآة قولاً ظفرت بهِ جواباً عن سؤالِ
وكم نظرات صدٍّ واجتنابٍ وكم نظرات عطفٍ او دلالِ
ولو كانت نظيركِ كل أُنثى وكانَ الحسنُ يجلب باحتيالِ
لأثرى كلُّ صباغٍ وأمسى غنيًّا مَن يُتاجر بالغوالي
أقلّي من خضاب الشعر جهلاً فقد خدعتكِ أبصارُ الرجالِ
وقد يسودُّ أبيضُ كلِّ شيءٍ سوى ما ابيضَّ من سود الليالي
خذي عني النصيحة واغنميها بلا ثمنٍ فانَّ النصحَ غالِ
ولا يُضلِلْكِ إطراءُ مَضلٍّ يجود بهِ كذوبٌ لا يبالي
فقد يبدي سلوًّا وهو صبٌّ وقد يشكو غراماً وهو سالِ

أما لو كان ذاك القبح حسناً لما أغناكِ عن حسن الخلالِ
ويقبحُ أن يُذَمَّ قبيحُ وجهٍ اذا ما كانَ محمود الفعالِ
وأفضل ما تصبّي النفس خلقٌ تحلى بالفضيلة والكمالِ
وأمَّا الحبُّ فهو يقيمُ إلاَّ اذا دخل الفسادُ على الخصالِ

القاهرة نقولا رزق الله

[المقتطف] اراد الشاعر بغادة المرآة الفتاة التي تكثر من التصنع والتبرج فانكر ذلك عليها كما ينكرهُ كل عاقل لكنهُ عيب محتمل لا يقابل بالخلو من حلية الادب . ولا بأس بانتقاد العيوب فانهُ يمهد السبيل الى هجرها . وحبذا لو اتحفتنا احدى ربات القلم بانتقاد مثل هذا لعيوب الرجال فان الشيخ الهمَّ منهم يتقن الخضاب حتى تظنهُ في عصر الشباب . والشاب المفتون يضيع صحتهُ ومالهُ وراء كل قبيح وجههُ حسن . واذا وازن المنصف بين عيوب النساء وعيوب الرجال قال كما قال احد الظرفاء " الكل في الهوى سواء "

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ حياة اميل زولا

جارى النابغون من اسرائيلي المشرق اخوانهم النابغين من اسرائيلي المغرب في الاثراء ولكنهم لم يجاروهم حتى الآن في دواوين الانشاء . وكنّا كلما فكّرنا في اهمالهم للانشاء العربي نظن سببهُ وعورة العربيَّة ورغبة الناس عنها في هذا العصر فجاء هذا الكتاب بشيرًا بان الفصاحة ستدين لهم كما دانت للسموأل . والكتاب من الكتب الانتقادية التي يندر وضعها في العربيَّة واندر من ذلك ان تكون من قلم سيدة فقد وضعتهُ السيدة الفاضلة استير مور يال وقالت انها اقتطفتهُ من اوثق المصادر فاتت فيهِ ولاسيما في مقدمتهِ والتمهيد الذي وضعتهُ لهُ بما لا يستطيعهُ الأكبار المنشئين وجمعت في فصولهِ من البحث الدقيق والنقد والتحقيق ما لا يستطيعهُ الكاتب الاَّ بعد درس مؤلفات زولا كلها والاطلاع على اقوال اشهر الكتَّاب فيها

وقد اطنبت حضرة الكاتبة في مدح زولا فقالت انهُ كان رب قلم كالسيف وبيان كالسحر وكتابة هي السيل اذا جرف والبحر اذا طمى والرعد اذا قصف والبرق اذا اخذ بالابصار وابهر.

وانهُ الكاتب النحرير والفيلسوف الخطير والرجل المستقيم الذي لا يبارى والشجاع الكريم الذي لا يجارى وانهُ نابغة زمانهِ واعجوبة اوانهِ . وانهُ كان " عدوًّا لليهود لعدم اختبارهِ اياهم واطلاعهِ على طباعهم ومزاياهم ومواهبهم ولعدم معاشرتهِ لفريق منهم فهو لم يكن يعرف عن اليهود سوى ما ارسختهُ القسس في الاذهان عنهم وتناولتهُ السنة العجايز ... ولما حصلت قضية دريفوس وعرف ظلامتهُ واكتشف على دخائلها ومخبآتها انقشع الضباب عن عينيهِ فابصر ورأى اليهود باكثر جلاء فاتضح لهُ انهم شعب كغيرهِ من الشعوب لهُ مزايا خصوصيَّة وكمالات ونواقص وانهُ لا يقلُّ عن غيرهِ استحقاقًا ولا يحطُّ ادبًا ولا يسقط اميالاً وغريزة ... فاستبدل العداوة بالشفقة والازدراء بشيء من الاحترام "

وبسطت الكلام على كتب زولا وآرائهِ الاجتماعية وترجمت كتابهُ الذي رفعهُ الى رئيس الجمهورية الفرنسوية في شأن قضية دريفوس . وكأنها جعلت قضيَّة دريفوس محورًا يدور عليهِ كتابها . وشدَّدت النكير على خصومهِ وخصوم دريفوس ووصفتهم بكل وصف قبيح كالرياء والخيانة واللؤم والشر والنفاق . واسهبت في الكلام على وفاتهِ ودفنهِ واقوال الجرائد فيهِ مدحًا وقدحًا . ولامت الجرائد العربيَّة لانها لم تهتم بامرهِ حين وفاتهِ ولامت المقتطف خصوصًا لانهُ ذكر وفاة زولا " في باب المسائل واجوبتها كأنهُ خبر لا يستحق الالتفات لولا سؤَال بعض السائلين اوكأن تاريخ حياة زولا اقل اهميَّة واحط شأنًا من تواريخ بعض ارباب الملايين من الاميركان الذين يصدّر اعداده احيانًا بسيرهم وصورهم ولا فضل لاولئك العجول الذهبيَّة سوى انهم تمكنوا بصبرهم وجَلَدهم واجتهادهم ومساعدة الظروف لهم ان يستولوا على الملايين العديدة في بلاد لا بدَّ لكل مجتهد فيها ان ينال نصيبهُ من الرزق الواسع والثروة الطائلة باسهل مما يمكنهُ ان ينال بلغة من العيش في البلاد الاخرى "

وعسى ان لا يكون تدقيق حضرة الكاتبة في سائر كتابها مثل تدقيقها في هذه الفقرة فان زولا توفي في التاسع والعشرين من سبتمبر والمقتطف يصدر في غرة اكتوبر فاوقفنا طبع الملزمة الاخيرة منهُ ونشرنا ما يحتملهُ المقام من ترجمتهِ في باب الاخبار وجعلنا منعاهُ تلو منعى فركو اكبر علماء اوربا وقبل كل الاخبار العلمية فذكرناهُ بما قلَّ ودلَّ من الالفاظ وقلنا انهُ من اشهر كتَّاب فرنسا في هذا العصر ان لم يكن اشهرهم كلهم وان رواياتهِ انتشرت في الآفاق كما انتشرت روايات دياس من قبلهِ ووعدنا هناك ببسط الكلام على رواياتهِ واسلوبهِ فيها وفلسفتهِ

هذا من قبيل زولا وترجمتهِ . اما " العجول الذهبية " الذين تشير اليهم الكاتبة سواءٌ كانوا اميركيين مثل كارنجي وركفلر او اوربيين مثل روشيلد وسسل رودس فستبقى مدارسهم

ومكاتبهم تنير اذهان الناس وترشدهم الى سواء السبيل بعد ان تلقى روايات زولا في زوايا النسيان إما بتغير منهاج الانشاء واقتفاء طرق جديدة فيهِ او باثبات الضرر لاسلوب التصريح الذي جرى عليهِ . وغرضنا الاول والاهم من نشر ترجماتهم ترغيب الناس في جمع الثروة لانها اضحت قوة لاتبارى حتى ان اضعف الشعوب صاروا اعزَّهم بها . وحث الاغنياء على انفاق جانب من ثروتهم على الاعمال النافعة لابناء نوعهم كما ينفق المثرون من الاميركيين والاوربيين . وعندنا ان ذلك انفع وابقى من تعليم الناس "ان ابنة المرأة من زوجها تشابه عشيقها الذي يضمها الى صدرهِ ويعطيها من عضلاتهِ وعظامهِ ويغادرها مدموغة بآثار قبلاتهِ" ونحو ذلك من الآراء الفاسدة علماً والشروح المفسدة للاخلاق

ولسنا على رأي المعجبين بكل ما ذكرهُ زولا في رواياتهِ ولا نشير على اولادنا بمطالعتها ولكننا لا ننكر عليهِ المقام الذي رقيهُ بين ابناء لغتهِ . وهذا الكتاب عنهُ غاية في الاجادة . وقد اهدتهُ مؤلفتهُ الى المحسن الشهير الخواجه فيلكس سوارس

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الثاني

لا نتذكر انهُ وقع في يدنا كتاب عربي بعد حضارة الاسلام فيهِ من الفوائد التاريخيَّة التي يودُّ كثيرون الوقوف عليها قدر ما في هذا الكتاب فنهنئ حضرة مؤلفهِ وصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال بما وُفّق اليهِ في جمع موادهِ وتنسيقها وبناء الاقيسة عليها

ومدار الكلام فيهِ على ثروة الدول الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني اميَّة وبني العباس فذكر مواردها ووجوه انفاقها بالاسهاب التام في عصر بني العباس لان "الثروة الاسلامية لم تنضج الاَّ في هذا العصر" واثبت جريدة ابن خلدون التي ذكرها في مقدمتهِ لجباية الدولة العباسية في ايام المأمون وجريدة قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في كتاب الخراج لجبايتها في ايام المعتصم او بعدهُ وجريدة ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وهي عن جباية الدولة في اواسط القرن الثالث

وقد بلغت الجباية حسب الجريدة الاولى نحو ٣٩٦ مليون درهم وحسب الجريدة الثانية نحو ٣٨٨ مليون درهم وحسب الثالثة نحو ٢٩٩ مليون درهم واذا حسبنا كل ١٥ درهماً ديناراً والدينار نصف جنيه فقد كانت الجباية او ايرادات الحكومة سنة ٢٠٠ للهجرة نحو ١٣ مليون جنيه وربع مليون وسنة ٢٢٥ للهجرة نحو ١٣ مليوناً فقط وسنة ٢٥٠ نحو عشرة ملايين لا غير

ونشر القائمة التي عثر عليها البارون فون كريمر وفيها ما اشترطهُ احمد بن محمد الطائي على نفسهِ ان يقدمهُ من ضمانهِ الى بيت المال وما كان ينفقهُ بيت المال في بغداد في السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٧٩ للهجرة وقد ذكر فيهِ مقدار المال اللازم لكل فئة من فئات الموظفين الذين تدفع رواتبهم من بيت المال وجملة ذلك مليونان ونصف من الدنانير او مليون وربع من الجنيهات . وحسب ان ما بقي من الدخل يبقى في بيت المال . قال "ويكون مجموع الباقي في بيت المال في السنة يساوي عشرة ملايين جنيه" . ثم قال ان مصادر ايراد الدولة كانت في اوائل الهجرة قاصرة على الزكاة ثم حدثت الغنائم بعد واقعة بدر الكبرى ثم الجزية لمن صالح من نصارى جزيرة العرب ويهودها ولما فتح الشام والعراق ومصر وضع الخراج والعشور على الارض والمكس على التجارة ثم زادت مصادر الجباية رويداً رويداً حتى بلغت احد عشر في ايام بني العباس اوسعها الخراج وكان الاعتماد عليهِ وانحط ايراد الدولة حتى بلغ سنة ٣٠٦ للهجرة ١٤ مليون دينار ونصف مليون اي نحو سبعة ملايين من الجنيهات على ما في تقرير الوزير علي بن عيسى الذي رفعهُ الى المقتدر

واسهب في الكلام على زيادة الايراد في القرون الاولى ونقصهِ بعد ذلك وذكر لتلك الزيادة ولهذا النقص اسباباً كثيرة . ويظهر لنا ان السبب الاوجه هو ان العرب دخلوا بلاداً عامرة كثيرة المال فنزف المال منها رويداً رويداً لانهم لم يعتنوا الاعتناء الواجب بعمارتها واستخراج خيرات ارضها فقلت خيراتها في عهدهم وقلَّ سكانها ايضاً . اعتبر ذلك بما اثبتهُ من ان جباية مصر كانت في زمن الخلفاء الراشدين ١٢٠٠٠٠٠٠ دينار وجباها عبد الله بن سعد في ايام عثمان ١٤٠٠٠٠٠٠ دينار ولكنهُ استعمل العنف في تحصيلها ثم انحطت جبايتها في ايام بني امية الى ٣٠٠٠٠٠٠ دينار وفي ايام المماليك الى نحو ١٠٠٠٠٠٠ دينار

ويمتاز هذا الجزء عن الجزء الاول باسناد كل ما جاء فيهِ الى المصادر التي نُقل عنها ولقد اصاب في ذلك غاية الاصابة . وفيهِ مئة وتسعون صفحة بقطع المنار مفعمة بالفوائد التاريخيَّة

اسرار الارتقاء

ترجمهُ عن الانكليزيَّة حضرة المحامي الفاضل توفيق افندي دوس وقال في تمهيد وضعهُ لهُ انهُ طالعهُ في زمن الفراغ فوجدهُ ملؤهُ الفائدة الحقيقية ثمرة التجربة والاختبار فودَّ نقلهُ الى العربية عسى ان يستفيد منهُ بنو جلدتهِ ما استفادهُ منهُ هو . ولم نرَ الاصل حتى نقابل الترجمة بهِ ولكن يظهر لنا من مطالعتهِ ان المترجم راعى الاصل واضاف اليهِ اموراً تنتظم معهُ وتدعو

المقام اليها . والمؤلف وليم كوبت من ارباب الانشاء عند الانكليز ولهُ مؤلفات عديدة في مواضيع شتَّى وكتابهُ هذا من نخبتها ويصحُّ ان يقال فيهِ انهُ خزانة حكمة عمليَّة على ما ظهر لنا من الصفحات التي تصفحناها منهُ . وكثير من نصائحهِ معلوم مبتذل لكن لا يخلو ذكرهُ من فائدة لان القارئ اذا رأى ان رأي الكاتب يطابق رأيهُ واختبارهُ زاد بهما تمسكاً واقتناعاً . وفيهِ امور اخرى غير مقارنة للصحة كنصحهِ للمرء ان لا يستحسن اقوال المؤلفين وكتاباتهم لان رجلاً فاضلاً مدحها لهُ بل ان يقرأها بامعان وتفكر ولا يقفي عليها الاَّ بما يظنهُ هو رغماً عن كل ما يخالج فكرهُ من قول زيد وحديث عمرو من الكتَّاب العظام . فان هذه النصيحة مخالفة لروح الكتاب كلهِ التي مدارها ان يستفيد المرء من اختبار غيرهِ . والقصَّة التي سردها على اثر ذلك لا يصحُّ ان يبنى عليها حكم عام مثل هذا لان حادثة واحدة او حوادث قليلة لا تقوم مقام الاستقراء التام . كذلك قولهُ عن ارضاع الاطفال فانهُ بالغ فيهِ وارتكب الشطط . ونسبة الكتاب الى القواعد الفلسفيَّة التي توضع الآن للتربية كنسبة كتب الطب القديمة المبنيَّة على التجارب الى كتب الطب الحديثة المبنيَّة على النظريات العلميَّة . وهذا لا يقدح في الكتاب ولا يقلل نفعهُ فنثني على مترجمهِ لاجل الغيرة التي دفعتهُ الى ترجمتهِ

مذاكرات جمعية ام القرى

هو فصول نشرت اولاً في مجلة المنار الاسلامية بمصر مدارها البحث عمَّا اصاب اهل الاسلام من الفتور وعن العلاج اللازم لهُ . اما سبب هذا الفتور فقال فيهِ احد اعضاء تلك الجمعية ما نصهُ " اني ارى منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً . ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية كحب المجد والرئاسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الامور وكالترغيب في ان يعيش المسلم كميت قبل ان يموت . وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لا يرتضيها عقل ولم يأتِ بها شرع ولمثلها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنهُ ابا ذر الغفاري الى الربذة "

وقال آخر " ان سبب الفتور هو تحوُّل نوع السياسة الاسلامية حيث كانت نيابية اشتراكية اي ديمقراطية تماماً فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت اشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحوُّل من ان قواعد

الشرع كانت في الاول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين بالفتوحات وتفرقهم في البلاد فظهر في امر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم نزعاتهم الوثنية وليتهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيهِ فاتخذ العمال السياسيون ولاسيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للانقسام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة اهلهِ وتفرقت كلمة الامة فطمع بها اعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها العلوم والحضارة على حسبها. وقد اثَّر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثرية امة جندية صنعة واخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية. ثم بسبب فقدان القوّاد والمعدات لم يبقَ مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن اي منذ صارت الجندية عند غيرنا صفة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والاحتيال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور"

فقال آخر "ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بدَّ للفتور في المسلمين من سبب آخر. وفي ما اتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب امرائنا المترفين الذين ضلوا واضلونا سواء السبيل"

وقال آخر "ان القاء التبعة على الامراء خاصة غير سديد لان امراءنا ان هم الاَّ لفيف منا فهم امثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يولَّى عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن امراؤنا مدنفين. وعندي ان البلية هي فقدنا الحرية وما ادرانا ما الحرية هي ما حُرِمنا معناهُ حتى نسيناهُ وحرم علينا لفظهُ حتى استوحشناهُ. وقد عرَّف الحرية مَن عرَّفها بان يكون الانسان مختاراً في قولهِ وفعلهِ لا يعترضهُ مانع ظالم. ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار انهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذل النصيحة. ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية. ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم او غاصب او غدَّار مغتال. ومنها الامن على الدين والارواح والامن على الشرف والاعراض والامن على العلم واستثمارهِ فالحرية هي روح الدين. وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي

وما الدين الا ان تقام شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضابُ

فقد حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن . هذا ولا شك ان الحرية اعز شيء على الانسان بعد حياته وان بفقدها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين . . . وقد كثرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال وترك الاعمال والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام امر النفس . . . . وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعياً

هذا ونعترف ان فينا بعض اقوام قد الفوا من الوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقتهُ وهذا هو السبب في ان السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد ان نالوا رغم انوفهم الامن على الانفس والاموال والحرية في الآراء والاعمال لا يرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون الى الناقمين على امرائهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرَّد كون الامير مسلماً يغني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعتهُ واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم . والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور"

وتلاهُ اثنان شدَّدا النكير على امراء المسلمين الذين هذه صفتهم وقال احدهما " ان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسلمين لانهم اقرب الى العدل واقامة المصالح العامة واقدر على عمارة البلاد وترقية العباد . وقد افتخر النبي عليهِ السلام بانهُ وُلِدَ في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب فقال ولدتُ في زمن الملك العادل . وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انهُ لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة ٦٥٦ امر ان يستفتى علماؤُها اي الرجلين افضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر . فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطهُ فيها بتفضيل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده"

وذكر غيرهم غير ذلك من العلل حتى ابلغوها ٨٦ علة واشاروا بما تداوى به حتى جاؤُوا على اكثر مقوّمات الحضارة وقالوا انهم الفوا جمعية ام القرى للنظر في ذلك واصلاح حال المسلمين



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تُدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الماء او الاثمار

النبطيَّة. احمد افندي عارف الزين.

هل ترك الماء الصحيح واستبدالهُ بالاثمار والالبان احسن ام استعمالهُ على طريقة معتدلة. وايُّ المائين اصلح البارد ام الفاتر وهل يحسن ترك الشاي والقهوة

ج ان اكل الاثمار وشرب الالبان قد يغنيان عن شرب الماء ولكنهما غير ميسورين لكل احد ومن كانا ميسورين لهُ لا يكون من الحكمة ابدالهُ الماء بهما لانهُ خير السوائل لارواء العطش ولاذابة الطعام. والماء البارد الذ من الفاتر ولاسيما ايام الحر. وترك القهوة والشاي احسن للصحة الأ اذا اشار بهما الطبيب للتسكين ولتقليل الانحلال. ولكن الانسان لا يعامل طعامهُ وشرابهُ معاملة التاجر لبضائعهِ فيقتصر على ما منهُ ربح اكيد بل لابدَّ لهُ من ان يفعل ما يلذ لهُ ايضاً ولو لم يكن منهُ نفع مادي يظهر في تكثير لحمهِ وتقوية عصبهِ. ولو استخفَّ كل احد بملاذ الحياة وحسبها كلها تجارة لأبطل الناس الكماليات كلها واقتصروا على الحاجيات وابطلوا اكثر الصنائع واكثر طرق المعاملات

(٢) الطعام مرتين او ثلاثاً

ومنهُ. اتناول الطعام الساعة الثانية عربيَّة مؤلفاً من البيض النيء واللبن الحليب الممزوج بالسكر وفي الساعة العاشرة عربيًّا اتناول العشاء وانام باكرًا فهل هذه الطريقة اصلح ام ما هو ما مألوف من تناول الطعام صباحاً وظهرًا ومساء والنوم الساعة الثالثة ليلاً

ج اذا كانت كميَّة الطعام واحدة ونوعهُ واحدًا فقسمتهُ ثلاثة اقسام في النهار خير من قسمتهِ قسمين فقط ولكن المرجح ان من يتناول الطعام ثلاث مرات في النهار يتناول فيها اكثر ممَّن يتناول طعامهُ مرتين فقط فاذا كان طعام المرتين كافياً فطعام المرة الثالثة زائد عن الكفاف ومتعب للجسم ومضرٌّ بهِ. ولا فرق بين ان ينام الانسان باكرًا او متأخرًا بشرط ان يعتاد النوم في وقت معلوم وينام مدة كافية لراحة جسمهِ واسترداد قوتهِ

(٣) دواء الارق

ومنهُ. ما احسن دواء للارق

ج الارق عَرَض لا مَرَض ومعالجتهُ

تقتضي اولاً البحث عن سببهِ فاذا عُلم أزيل اوعولج واذا لم يُعلم عولج الارق نفسهُ بالمنوّمات والمسكنات اذا كان الدماغ متعباً من كثرة الاشغال او كان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطرباً بامر يهيجهُ او كان المرء قد الف الارق لكثرة السهر على مريض . ومما يحسن الاعتماد عليهِ استنشاق الهواء النقي قبل النوم والرياضة البدنية وشرب فنجان من اللبن السخن او من مرق اللحم السخن قبل النوم. وقد يقلق الانسان لسبب طفيف جداً كما اذا غيَّر فراشهُ او سمع صوتاً متكرراً او كان في غرفتهِ نور او ما اشبه او اذا بردت رجلاهُ فيزول الارق بازالة سببهِ . وقد يحصل من الحر او من الشعور بالحر ولو لم يكن حقيقياً فيعالج بمعالجة سببهِ . وقد يحصل من سوء الهضم في اشكالهِ المختلفة كما في التطبُّل وتولُّد الغازات وتمدُّد المعدة فيعالج بمعالجة سوء الهضم ويفيد حينئذٍ شرب كاس من الماء الحار عند النوم واذا لم يجدِ نفعاً يُسبق بشرب قليل من روح الامونيا العطرة وكربونات الصودا . ومما يفيد ايضاً شرب الايثير وماء روح النعناع واذا حصل الارق من شرب الشاي والقهوة وجب ابطالها . ولا بدَّ من الاعتماد على الطبيب في وصف العلاجات الدوائية مهما كان نوعها

(٤) الدمعة والعوينات

ومنهُ . رجل سنهُ العشرون كثير المطالعة تعتريهِ دمعة فهل تفيدهُ العوينات اولا وعلى فرض الافادة ايها لهُ احسن المحدبة ام المقعرة

ج لا بدَّ لهُ اولاً من ابطال المطالعة او تقليلها والاقتصار على ما حروفهُ واضحة من الكتب وعلى مطالعتهِ حينما يكون النور ساطعاً . اما كون العوينات (النظارات) محدبة او مقعرة فيتوقف على العينين فان بعضها تجتمع الصور فيهِ امام الشبكية و بعضها تجتمع الصور فيهِ وراء الشبكية فالاول يحتاج الى عوينات مقعرة والثاني الى عوينات محدبة . و يعلم نوع العوينات ودرجة تحدبها او تقعرها بالامتحان في عوينات مختلفة توجد عند اطباء العيون وتوجد احياناً عند باعة العوينات انفسهم واذا لم تكن العوينات موافقة لحالة العينين تمام الموافقة يكون ضررها اكثر من نفعها

(٥) الالبان واللحوم

ومنهُ . اي الالبان واي اللحوم انفع وهل تستنسبون تناول الحليب (اللبن) سخناً او بارداً بعد تسخينهِ وهل ترون للحم الماعز ضرراً لمن اعتادهُ

ج ان العبرة بما تهضمهُ المعدة و يغتذي بهِ الجسم من اللبن واللحم لا بما فيهما من مواد الغذاء لان الغذاء كثير فيهما على كل حال ولكن المعدة لا تتناول الاَّ القليل منهُ عادةً . ولا بدَّ من تسخين اللبن اذا خيف ان يكون مشوباً بمادة ضارَّة ثم يشرب بعد ذلك

فاترًا او باردًا حسبما تعتاده المعدة . ولحم المعزى يضرُّ الذين لم يعتادوه لكن اذا اكلوهُ رويدًا رويدًا الفتهُ اجسامهم ولم يعُد يضرُّهم

(٦) حفظ الصحة

ومنهُ . ما عندكم من جوامع الكلم لحفظ الصحة حاصلة

ج الزم الاعتدال في كل شيءٍ فلا تفرط في طعام ولا عمل ولا شغل . وأجِد مضغ طعامك وكُلْ الى حد الشبع ولا تزد

---

(٧) لذة النوم

مصر . عطا افندي فهمي مترجم دائرة دولة والدة خديوي . متى يجد النائم لذة النوم وهل النوم موت قصير وهل تتعطل الحواس الخمس مدة النوم واذا كانت تتعطل فكيف يحصل للنائم احيانًا ان يقوم مذعورًا من نومهِ

ج ان الراحة الحادثة من النوم تنال الجسم حالما ينام ولكن المرء لا يشعر بها الاَّ في اليقظة فانهُ يشعر حينئذٍ بالنشاط الناتج عن راحة النوم او عن استرداد اعضاء الجسم لقوتها مدة الانقطاع عن العمل . والجسم مثل حوض ينصبُّ فيهِ ماء من حنفية ولهُ حنفية اخرى يخرج الماء منها الاولى بمثابة الدم الذي يغذي الجسم بما فيهِ من الغذاء والثانية بمثابة العمل الذي تندثر بهِ دقائق الجسم . ففي اليقظة والعمل يزيد الاندثار على الغذاء حتى يكاد الحوض يفرغ . وفي النوم يزيد الغذاء على الاندثار فيعود الحوض يمتلئ . والحواس تبطل شغلها وقت النوم كما تبطل الرجلان المشي واليدان الحركة ولكن ابطالها الشغلها يكون وقتيًا فاذا نبهها منبهٌ انتبهت وعادت اليها الحركة وهذا المنبه قد يكون خارجيًا وقد يكون داخليًا . اما سؤالكم الآخر عن الناس ذات الرؤوس الطيارة فلم يصل الينا

---

(٨) جوهرة الثعبان

فاقوس . محمد افندي ابرهيم طاهر . يقول بعض الناس ان الثعبان اذا بلغ من الكبر عتيًا تولدت لهُ جوهرة يخرجها من فؤادهِ عند الحاجة للتعيُّش على ضوئها فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ

---

(٩) كذبة ابريل

ابو شوشه . ديمتري افندي بطرس . في غرة ابريل من كل عام يكذب الناس بعضهم على بعض بارسال بعضهم بعضًا من مكان الى آخر فما هو اصل هذه العادة

ج يقال ان فيها اشارة الى ارسال السيد المسيح من عند بيلاطس الى هيرودس وردهِ من هيرودس الى بيلاطس ولكن المرجح انها عادة وثنية قديمة يراد بها مجرد الهزل وانها كانت شائعة في اوربا قبل انتشار الديانة المسيحيَّة فيها

(١٠) القرينة

مصر . محمود افندي اللقاني . اعتاد بعض الناس الذين يموت اولادهم وهم صغار لا يتجاوزون السنة الاولى ان ينسبوا موتهم الى القرينة فما هذه القرينة وما هي اسبابها

ج يموت الاطفال من فساد الطعام وقلة الاعتناء . والقرينة خرافة وهمية لا حقيقة لها

(١١) زرقاء اليامة

حمص . رزق الله افندي نعمة الله عبود . أصحيح ما رواهُ مؤرخو العرب عن زرقاء اليامه من انها كانت تبصر مسافة ثلاثة ايام ام فيهِ مبالغة وكيف يمكن ذلك والارض كرة وهل يوجد الآن اناس حديد والبصر الى هذه الدرجة

ج لا شبهة ان في الخبر عنها مبالغة كثيرة فان البصر لا يمتد الى مسافة ثلاثة ايام او ستين ميلاً الاَّ اذا وقف الانسان على جبل ارتفاعه ٤٨٠٠ قدم او اذا وقف في سهل ونظر الى جبل ارتفاعهُ ٤٨٠٠ لكن الزرقاء كانت تسكن مع قومها بلاداً ليس فيها جبال مرتفعة الى هذا الحد ثم انهُ يتعذر على العين ان تجمع على هذا البعد الشاسع نوراً كافياً يريها صور الناس

(١٢) مرض المعدة

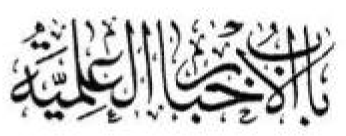
اسيوط . احمد افندي محمد خشبه . مرضت بمعدتي منذ اربعة اشهر وكان من نتيجة ذلك اني اذا اطلقت لنفسي العنان في الاكل حتى قربت من الشبع انتابني عقب الاكل خفقان شديد وضربان في جميع الجسم وهذا الامر لا يحصل اذا اقتصرت على اكل قليل فهل استمر على ذاك القدر رغماً عن حاجتي الشديدة الى الاكل ام يحسن ان آكل حتى اقرب من الشبع رغماً عن الخفقان والضربان

ج الاحسن ان تقتصروا على الاكل القليل المغذي السهل الهضم كاللبن والبيض والمرق مع الاطعمة المشوية المائعة المطبوخة جيداً ولا تعتمدوا على الشعور بالحاجة الى الطعام لانهُ قد لا يكون دليل الحاجة الحقيقيَّة. واستعملوا الادوية المقوية للمعدة التي تستعمل لمنع تمددها ثم زيدوا الطعام رويداً رويداً ما دمتم لا تشعرون بتعب من زيادتهِ

(١٣) تلوُّن البول

ومنهُ . يشكو البعض من تلوُّن البول باللون اللبني فما سبب هذا الداء وكيف يعالج

ج سببهُ ديدان صغيرة ميكروسكوبية تسمَّى فلاريا دم البشر . وهذه العلَّة تشفى من نفسها وتعالج غالبًا بالمركَّبات الحديدية كصبغة بركلوريد الحديد ومورياتات الحديد والقوابض والاستحمام بالمياه الملحة وتقليل الاطعمة الحيوانية



اشعة رنتجن والسرطان

كُتب الى الدابلي ميل من اميركا ان احد مساعدي اديصن واسمهُ تشارلس دالي اصيب بالسرطان في يديهِ من تأثير اشعة رنتجن واشعة الراديوم بهما واقتضت الحال قطع يديهِ كلتيهما لئلاً يمتد السرطان في بدنهِ . وقد درس المستر اديصن هذه الحادثة درساً مدققاً واشار بطريقة لمنع الضرر من اشعة رنتجن واشعة الراديوم يحسبها مفيدة ايضاً في معالجة السرطان . فقال ان في البدن الصحيح اجساماً صغيرة من نوع الاميبا تجري فيهِ من جهة الى اخرى تأكل ما يدخلهُ من الجراثيم الغريبة عنهُ وتردُّ الاعضاء المألوفة الى حالتها الطبيعية . والظاهر ان اشعة رنتجن تميت هذه الاجسام فلا يعود البدن قادراً على التخلص من الآفات الجراحية التي تعتريهِ فيعالج حينئذٍ بادخال دم صحيح اليهِ من حيوان صحيح بواسطة الحقن ليدخلهُ مقدار كاف من الاميبا مع دم ذلك الحيوان . ولا يبعد ان يكون الحقن بالدم مفيداً في معالجة السرطان ايضاً

هذا وان البعض يعالجون الذئب الأكال باللحم النيء يضعون قطعة من اللحم على ما تقرَّح من الاورام الذئبية فان كانوا قد رأوا فائدة من ذلك فلا يبعد ان تكون ناتجة عن ان هذه الاجسام (وهي من نوع كريات الدم البيضاء او هي اياها) تنتصل من اللحم النيء الى التقرُّح وتأكل ميكروبات المرض منهُ فتكون بمثابة مدد لكريات الجسم البيضاء للتغلب على الميكروبات المرضية

نزع برج ايفل

عين الفرنسويون لجنة لتخطيط شان ده مارس وانشاء الشوارع فيهِ فاجمعت على نزع برج ايفل منهُ حينما تنتهي مدة امتيازهِ اي سنة ١٩١٠ . وسيأسف على ذلك البرج كل من رآهُ وشاهد مدينة باريس وضواحيها من قنتهِ وعسى ان يعدل الفرنسويون عن عزمهم ويجدوا سلوباً لحفظ حديدهِ من الصدإِ والبلى ويبقوهُ اثراً خالداً لما بلغتهُ الصناعة الميكانيكية في اواخر القرن التاسع عشر

مساعدة المخترعين

كثيراً ما يخترع رجل اختراعاً ثم يعجز عن الانفاق على اخراجهِ من القوة الى الفعل فتألفت في المانيا شركة غرضها مساعدة المخترعين الفقراء على استعمال مخترعاتهم وقد وجدت ان الحكومة الالمانية اعطت امتيازاً

بمئة وار بعين الف اختراع ولكن لم يستعمل منها الأ نصفها والنصف الآخر اهملهُ اصحابهُ لضيق ذات يدهم . وهذه الجمعيَّة تعطي المخترعين مكانًا لوضع ما يخترعونهُ وامتحانهِ من غير اجرة وتساعدهم على بيعهِ من غير خسارة

ترياق سم الافاعي

قال الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافعى ان الترياق المستخرج من سم نوع واحد من الافاعي يشفي من سموم الافاعي كلها اي انهُ ترياق عام لسموم الافاعي وخالفهُ في ذلك اكثر العلماء الباحثين في هذا الموضوع والظاهر ان مذهبهم تأيد الآن وثبت ان الترياق المستخرج من سم نوع من الحيات يشفي من سم ذلك النوع دون سواهُ . اما الترياق فيستخرج من مصل دم حيوان حُقن بسم الافعى مرارًا متوالية وزيدت كمية السم رويدًا رويدًا

دوار الجبال

يعتري بعض الناس الذين يصعدون في الجبال العالية دوار مثل الدوار الذي يعتري المسافرين بحرًا وقد اتفق للبعض ان صعدوا في جبال اراراط فاصابهم الدوار المذكور فجلسوا وغلوا الشاي وشربوهُ سخنًا جدًّا ففارقهم الدوار حالاً

الحمى الصفراء والبعوض

قالت جريدة العلم الاميركية انهُ ثبت بالامتحان للجنة ارسلتها مستشفى البحرية الى فراكروز ان الحمَّى الصفراء مسببة عن حيوان صغير من نوع الحلَم لا عن ميكروب من نوع البكتيريا. وانها تنتقل بواسطة لسع البعوض فهو سبب العدوى اي ان حلَم الحمى الصفراء يعيش في جسم البعوض وينتقل الى من يلسعهُ وان هذا يصدق على نوع واحد من البعوض وهو النوع المسمَّى علميًّا Stegomyia Fasciata فالبعوض يسبب الحمَّى الملارية والحمَّى الصفراء وحمَّى الدنج

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

التأم هذا المجمع في مدينة انجر برئاسة المسيو اميل لفاسر فاتخذ "الاجرة" موضوعًا لخطبة الرئاسة وقال ان ما كُتب في هذا الموضوع يملأُ مئات من المجلدات وملايين من الاوراق وجعل مدار كلامهِ على الاسباب التي يتعيَّن بها مقدار الاجرة وعلى هل زادت اجور العمال عما كانت عليهِ فقال في القسم الاول ان مقدار الاجرة يتوقف على فائدة العامل للعمل ومقدار النفقة اللازمة للعامل وعائلتهِ ودرجة نجاح البلاد ومقدار المال عند ارباب الاعمال والاتفاق او الاختلاف بين العمَّال وارباب الاعمال ونظام البلاد الاداري والاجتماعي. وقال في القسم الثاني ان الاجور زادت في فرنسا وغيرها من البلدان المتمدنة بسبب زيادة الغنى بنوع عام ونجاح الاعمال واتقان الآلات ومهارة الصناع افرادًا واجمالاً

السودان قبل التاريخ

قال المسيو ده باران في اكادمية العلوم الفرنسويَّة انهُ وصلتهُ اصداف متحجرة من جهات السودان فاذا هي من الاصداف التي تعيش في الماء الملح وتدل على ان البحر كان يغطي تلك الجهات او على انهُ كان في قلب افريقية بحر متلاطم الامواج قبل عصر التاريخ

اديان البشر

ظهر من احصاء الدكتور زلر مدير ديوان الاحصاء في ستتغرت ان عدد سكان المسكونة الآن ١٥٤٤٥١٠٠٠٠ وهم مقسومون حسب اديانهم هكذا

مسيحيون	٥٣٤٩٤٠٠٠٠
مسلمون	١٧٥٢٩٠٠٠٠
يهود	٠١٠٨٦٠٠٠٠
اتباع كنفوشيوس	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
براهمة	٢١٤٠٠٠٠٠٠
بوذيون	١٢١٠٠٠٠٠٠

والباقون من اديان مختلفة . الاَّ اننا نرجح ان عدد المسلمين اكثر من ذلك كثيرًا ولا يبعد ان يكون عددهم ٢٥٠ مليونًا

زوبعة جمايكا

ثارت زوبعة عنيفة في جزيرة جمايكا ليلة الحادي عشر من اغسطس خرَّبت البيوت وقتلت كثيرين من السكان واصبح بها الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة قاعًا صفصفًا

البرد وحرارة الراديوم

ظهر للمسيو كوري وزوجتهِ ان الحرارة التي تصدر من الراديوم تبلغ اعظمها متى برُد الراديوم الى اشد درجات البرد اي متى وضع في الهيدروجين السائل فكلما اشتدَّ بردهُ زاد صدور الحرارة منهُ . والحرارة الصادرة من ملح من املاح الراديوم تزيد رويدًا رويدًا الى مدة شهر بعد تركيب ذلك الملح وبعد الشهر تقف على درجة واحدة لا تزيد ولا تنقص

تغير مغنطيسيَّة الارض

ذكر الاستاذ اغمنون ان الاب فرنسسكو شفردي كتب سنة ١٦٨١ عن تغير فجائي اصاب الابر المغنطيسيَّة في مدينة رومية كان انحرافها ٣ درجات فقط فاصبح ٥ درجات وحدث ذلك في اواخر اكتوبر سنة ١٦٨٠ وعلل هذا الانحراف بحدوث الزلازل في اسبانيا ومالقة

احتراق قطار كهربائي

في باريس ترامواي كهربائي يسير في نفق طويل تحت الارض . وحدث في العاشر من شهر اغسطس ان الآلة المتحركة التي في احد قطراتهِ اختلت فوقف القطار كلهُ ونزل الركاب منهُ ومن القطار الذي وراءهُ وكان في كل منهما اربع مركبات مشحونة بالركاب وجعل القطار الثاني يسوق الاول امامهُ لكي

يصل بهِ الى المحطة فلا يسد الطريق ·
والظاهر ان الآلة التي وقفت اختلت باحتراق حدث فيها من شدة حركتها فاشتعلت بعد قليل وامتدت النار الى المركبات كلها لان سرعة سيرها دفعت اللهب الى الوراء فعمَّها كلها وملأ النفق فاذاب اسلاك النور الكهربائي فانطفأت المصابيح في النفق كلهِ وجاء قطار ثالث فرأى النار مضطرمة امامهُ فاستولى الرعب على ركابهِ وعلى الركاب الاولين فجعلوا يركضون يمنة ويسرة ويدوس بعضهم بعضاً والذين بلغوا منهم المحطات القريبة رأوا الركاب نازلين على سلالمها فوقع بعضهم على بعض ومات منهم ٨٣ نفساً اختناقاً ودوساً

وقد اخبر احد الذين نجوا بما شاهدهُ من غمرات الموت قال · نزلت في القطار انا وزوجتي الساعة السابعة مساء فلما بلغنا شارع باريه طُلب منا ان ننزل منهُ لان ارض المركبة التي فيها المحرك الكهربائي اشتعلت غير ان النار أُطفئت منها حالاً واستمرَّ القطار سائرًا فنزلنا منهُ وركبنا في القطار الذي جاء وراءهُ وازدحمنا فيهِ ازدحاماً · ثم طُلب منا ان ننزل كلنا من القطار الثاني لان القطار الاول وقف عن السير وصارت قوة قطارنا لازمة كلها لدفعهِ امامهُ فنزلنا وانتظرنا قطارًا ثالثاً وركبنا فيهِ كلنا وكان بعض الركاب يضحك وبعضهم يتذمر وبعضهم يحلف او يشتم وما منهم من يدرك مقدار الخطر الذي كنَّا فيهِ حتى بلغنا محطة كورون واذا نحن باثنين من مستخدمي القطرات اقبلا الينا وهما يناديان ويقولان لينجُ من يستطيع النجاة . فصدق البعض كلامهم وارتعبوا وكذبهُ البعض الآخر واغتاظوا واسرعتُ انا وزوجتي وجمهور من الركاب الى سلم المحطة لنهرب منها (فان المحطة على وجه الارض وينزل منها بسلم الى القطار) فوجدناها مشحونة بالركاب النازلين فيها ليركبوا القطار فانذرناهم بسوء المصير وطلبنا منهم ان يصعدوا لكي نصعد وراءهم فلم يصدقوا

وكان الدخان قد وصل الينا فقلت في نفسي ان انا بقيت هنا هلكتُ مع هؤلاء الناس فامسكت يد زوجتي وقلت لها هلمَّ بنا لنعود الى محطة بلفل فسرنا وسار نحو عشرة وراءنا ولم نمشِ عشرة امتار حتى انطفأت المصابيح الكهربائية فامسينا في ظلام دامس وجعلنا ننادي ولا مجيب وبعد قليل اقترب منا احد المستخدمين ومعهُ مصباح احمر وسار امامنا فتبعناهُ مسرعين وتبعنا الدخان وكان يزيد كثافة وسمعت بكاء امرأة ورائي وشعرت كأنَّ اثنين سقطا في الطريق ولكنني لم ألوِ على احد لانني كنت هاربًا للنجاة بنفسي وبزوجتي وكانت ركبتاها ترتعشان وكادت تسقط من يدي فوصلنا محطة بلفل واذا هي مزدحمة بالركاب النازلين على سلمها مثل محطة كورون فجعلنا نناديهم لكي يصعدوا ونتوسل اليهم فلم نلقَ مجيباً لانهم كانوا قد دفعوا اجرة السفر

ولم يشاؤوا ان يخسروها. وشملنا الدخان حينئذٍ حتى كدنا نختنق فمددت يديَّ وجعلت ألطم وادفع من امامي حتى فتحت طريقاً على السلم فصعدنا ونجونا

وقال حارس القطار الثالث كان قطاري مزدحماً وفيهِ ٣٥٠ نفساً فلما بلغنا محطة باريه اخذنا ركاب القطار الذي اشتعل وسرنا حتى بلغنا محطة كورون فاشير الينا لنقف واذا امامنا دخان كثيف آتٍ نحونا نخفت العاقبة وناديت الركاب لينزلوا واسرعت الى التليفون لكي اقول للذين في محطة بلفل حتى يقطعوا المجرى الكهربائي لكني وجدت التليفون عاطلاً لا ينقل الكلام فناديت الحارس وطلبت منهُ ان يسرع الى المحطة و يطلب قطع المجرى. وطلبنا من الركاب ان ينزلوا فابوا قائلين انهم دفعوا الاجرة ولا ينزلون الاَّ وتردها لهم فقلت لهم اننا نرد الاجرة اما الآن فيجب ان تنجوا فقاموا عليَّ وتهدَّدوني ولطمني بعضهم واجتمع حولي جمهور منهم منع البقية من الوصول الى السلَّم وحينئذٍ انطفأت المصابيح الكهربائية فعلا الصياح واشتبك الناس بعضهم ببعض وشملنا الدخان حتى كدنا نختنق فجعلت اتلمَّس الحائط واسير الى جهة الشمال لاني اعلم انهُ يوجد باب هناك فعثرت بشخص في طريقي فامسكت بهِ وجررتهُ معي الى ان وصلت الى الباب وكان قد اعتراني الدوار وكاد يغمى عليَّ فامسكت بالسلم الذي عند الباب وصعدت درجتين ولم اعد اعي على شيء ولحسن الحظ وجد هناك من رفعنا وساعدنا حتى افقنا

ووصف احد مكاتبي الجرائد ما شاهدهُ في النفق بعد الحادثة فاذا الناس الذين ماتوا كانوا يمزقون الجدران ويمزق بعضهم بعضاً قبل ان اسلموا الروح

اليوكالبتوس في افريقية

اليوكالبتوس شجر من استراليا ولكنهُ ينمو ويجود في افريقية حتى قال بعض الثقات انهُ سيكون الاعتماد عليهِ في زرع الغابات فيها لجودة خشبهِ وسرعة نموهِ وقد كثر زرعهِ في بلاد الراس ويستعمل خشبهُ الآن فلنكات لسكك الحديد وهو اجود من خشب الصنوبر المقطرن

الاستاذ هنري

وجد الاستاذ بروسبر هنري الفلكي الفرنسوي ميتاً في جبل الالب في مكان ارتفاعهُ ١٦٠٠ متر عن سطح البحر والظاهر انهُ مات برداً وذلك في الخامس والعشرين من شهر يوليو الماضي . وهو علماء الفلك المشهورين واليهِ والى اخيهِ بول هنري ينسب فضل تخطيط السماء بواسطة الفوتوغراف وقد اكتشفا اربع عشرة من النجيمات

معادن افريقية

الف موسيو ده لوني كتاباً موضوعهُ غنى افريقية بالمعادن بيَّن فيهِ ان بلاد مصركانت

في العصور الغابرة مثل كليفورنيا في هذا العصر لكثرة الذهب المستخرج منها من بين النيل والبحر الاحمر وقيمة ما استخرج من افريقية كلها من المعادن والحجارة الكريمة سنة ١٨٩٨ نحو ٢٣ مليون جنيه اكثرها من ذهب الترنسفال فان قيمتهُ نحو ١٦ مليوناً ونصف مليون وماس مستعمرة الراس فان ثمنهُ بلغ اكثر من اربعة ملايين . وكانت قيمة المعادن المستخرجة من بلاد الجزائر ٦١٣ الف جنيه ومن مستعمرة الراس ٤٦١٠٥٨٧ جنيهاً ومن السودان الفرنسوي ١٠٥٦٠ جنيهاً ومن شاطىء الذهب ٦٣٨٣٨ جنيهاً ومن ناتال ٧٥٠٧٥ جنيهاً ومن مستعمرة نهر الارنج ٤٩٨٧٩٧ جنيهاً ومن روديسيا ٨٣٠٥٣ ومن السنيغال ١٥٤٦٤ ومن الترنسفال ١٦٩٥٥٠٠٠ ومن تونس ٥٧٢٢٨

وزادت قيمة الماس المستخرج من مستعمرة الراس سنة ١٩٠١ فبلغت ٥٣٨٧٩٥٥ جنيهاً وقيمة الذهب المستخرج من روديسيا . واستخرج من مدغسكر ذهب قيمتهُ ١١٢٨٦٠ جنيهاً

تلغراف مركوني

وضعت آلات تلغراف مركوني في كل البوارج الانكليزية وفي اكثر الطرادات . والحكومة الانكليزية تدفع الآن الى شركة مركوني نحو عشرين الف جنيه كل سنة . وقد استعمل الروس تلغراف مركوني في بلاد الصين بين مينا ارثر والبوارج الروسية في خليج بتشلي

الريحان والبعوض

ذكرنا غير مرة ان بعضهم كتب الى جريدة ناتشر يدعي ان نبات الريحان (الحبق) او نوعاً منهُ يطرد البعوض فلا يدخل غرفة زرع فيها . وقد اكثرت الجرائد الاوربية من ذكر ذلك واخيراً كتب بعضهم من غربي افريقية يقول انهُ وجد هذا النبات لا يطرد البعوض كما قيل لا اذا كان اخضر ولا اذا كان يابساً واذا حُرق اليابس منهُ في غرفة فيها بعوض هرب البعوض منها او مات ولكن يجب ان يكون دخانهُ كثيفاً فيها حتى يضطر الناس ان يخرجوا منها ايضاً

دودة لوز القطن

وعد حاكم ولاية تكساس باميركا ان يعطي عشرة آلاف جنيه لمن يستنبط واسطة لملاشاة دودة لوز القطن

بطريَّة اديصن

تمَّ عمل البطريَّة التي استنبطها اديصن وقال انها افضل من كل بطرية تقدمتها لخزن الكهربائية فانهُ يخزن فيها اكثر من مضاعف ما يخزَن في غيرها . ولم يشع استعمالها حتى الآن لان معاملهُ لم تكن تستطيع ان تصنع منها الأ بطريَّة واحدة في اليوم ولكن في شهر اكتوبر هذا تصير تصنع ست بطريات

في اليوم وفي دسمبر تصير تصنع كل ما يُطلب منهُ . وهي تملأ في ساعة من الزمان فتسير بها المركبة اربعين ميلاً وستصنع على اربعة اشكال شكل يخدم مسافة ٢٥ ميلاً وشكل يخدم مسافة ٥٠ ميلاً وشكل مسافة ٧٥ وشكل مسافة ١٠٠ ميل . وقد ثبت بالامتحان الرسمي ان بطريَّة الرصاص القديمة التي ثقلها ١٢٦٠ ليبرة تسير بها المركبة ٢٥ ميلاً واما بطرية اديصن التي ثقلها ٦٥٠ ليبرة فتسير بها تلك المركبة ٣٧ ميلاً . ويقال انها متى كثرت لم يعد يستعمل في الاوتوموبيل غيرها

التلفوت

التلفوت Téléphot آلة جديدة لتصوير الاشباح البعيدة بالفوتوغراف وهي تكبّر الصورة قبلما تصورها على اسلوب بسيط جدًّا فتدخل الاشعة من عدسية آلة التصوير وتنعكس عن مرآة وراءها في المكان الذي يوضع فيهِ لوح التصوير عادة وهذه المرآة مائلة قليلاً الى الاعلى فتنعكس الاشعة عنها الى مرآة اخرى فوق العدسية ثم تنعكس عن هذه المرآة الى لوح التصوير ويكون اللوح موضوعاً فوق المكان الذي يوضع فيهِ عادةً فتنفرج الاشعة كثيرًا في سيرها وانعكاسها مرتين وترتسم بها الصورة الصغيرة جدًّا لبعدها كبيرة كأنها قريبة فهي تكبّر صور الاشباح البعيدة وتصورها في وقت واحد

الراديوم والسل

بينما نجد معمل اديصن في اميركا يثبت حدوث السرطان من اشعة رنتجن واشعة الراديوم نجد علماء اوربا يثبتون فائدة اشعة الراديوم في شفاء السل وقد نشر الجرنال الطبي البريطاني (برتش مديكال جورنال) مقالة مسهبة في هذا الموضوع بيَّن فيها ان اشعة الراديوم والثوريوم تميت ميكروب السل لكن استعمال درهم من الراديوم خمس دقائق بمثابة استعمال درهم من الثوريوم عشر سنوات . ويهتم الاطباء الآن بكيفية ايصال اشعة الراديوم والثوريوم الى الرئتين والاجزاء المأوفة فيهما وعندهم ان الثوريوم يقوم مقام الراديوم لرخصهِ ولو كان ابطأ منهُ فعلاً

التعليم العالي في اميركا

في مدارس اميركا العالية والاستعدادية ٦٥٠٠٠٠ تلميذ وفي مدارسها الكلية والجامعة اكثر من مئة الف تلميذ يتلقون التعليم العالي (الثانوي) واكثر من خمسين الف تلميذ يتلقون التعليم النهائي كالطب والحقوق والهندسة . والذين نالوا الشهادة سنة ١٩٠١ من المدارس الكلية والجامعة بلغوا ١٦٥١٣ الذكور منهم ١١٤٦٣ والاناث ٥٠٥٠ ونال الدبلوما الطبية ٥٤٧٢ والدبلوما في علم الحقوق ٣٣٦٦ وفي طب الاسنان ٢٣١١ وفي اللاهوت ١٥٨٥ وفي الصيدلية ١٣٧٣ وفي الطب البيطري ١٠٠

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين